

تاريخ
الخلفاء السليمة

تأليف
محمد بن أحمد العقيلي

الجزء الأول

الطبعة الثانية

مزيدة
بفصول جديدة
وتنقيحات ووشائق

تاريخ
الخلفاء السليمان

تأليف
محمد بن أحمد العقيلي

الجزء الأول

الطبعة الثانية

مزيدة
بفصول جديدة
وتنقيحات ووشائق

من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

الطبعة الثانية

١٤٠٢ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات التقريظ والتنبؤ التي وردت للمؤلف

اعترافاً بالفضل لأهله والتقدير لذويه، والتشرف بعطف قادة الرأي لدينا وأيادهم على العلم وأهله، وتقديراً للشخصيات الكريمة من العلماء ورجال الفكر في المملكة وفي العالم العربي ومواطنينا الكرام في المنطقة أورد بعض الرسائل التي تلقيتها بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب .

١- رسالة من ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ابن عبد العزيز بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٣٨١ هـ [رحمه الله تعالى]

٢- رسالة من الديوان الملكي بتوقيع سكرتير جلالة الملك بتاريخ ١١ / ٤ / ١٣٨١ هـ

٣- رسالة من المدير العام للإذاعة والنشر بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٣٨١ هـ .

٤- رسالة من مدير عام وزارة الصحة الدكتور يوسف الحميدان بتاريخ ٢١ / ٢ / ١٣٨١ هـ .

٥- رسالة من الفريق حمد الشميمري .

٦- رسالة من نائب رئيس مجلس الشورى وشاعر جلالة الملك الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي - رحمه الله -

٧- رسالة من معالي الأستاذ الوزير عبد الله السعد .

٨- رسالة من معالي وزير الحج والأوقاف الشيخ حسين عرب ١ / ٣ / ٨١

٩- رسالة من أمير عسير الشيخ تركي بن ماضي بتاريخ ١ / ١٢ / ٨١

١٠- ١١ / ١ / ٨٢ » » » » » » » »

١١- رسالة بقلم الكاتب الكبير والشاعر القدير الشيخ محمد حسن عواد

رحمه الله - ١٩ / ٣ / ٨١

- ١٢ - رسالة بقلم الدكتور محمد شوقي السواح .
- ١٣ - رسالة بقلم الشيخ عبد الله بن محمد بن ماضي في ٥ / ٧ / ١٣٩٠
- ١٤ - كلمة منشورة في مجلة المنهل ربيع الأول عام ٨١ بقلم العلامة الشيخ عبد القلوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل الأغفر .
- ١٥ - كلمة بقلم الشيخ محمد المعلمي العتبي من مكة المكرمة .
- ١٦ - رسالة من عالم المنطقة الشيخ عبد الله العمودي - رحمه الله
- ١٧ - من كلمة للأديب أحمد عمر عباس - رحمه الله - منشورة في جريدة الندوة الغراء .

المملكة العربية السعودية
ديوان ولي العهد
الرقم ٢/٢/٩٨
التاريخ ٣٨١/٢/٢٠

حضرة المكرم السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي
بعد التحية . وردتنا رسالتكم المؤرخة في ١٤ الجاري ومعها هديتكم
الجزء الثاني من كتاب « الجنوب العربي » وديوان الشاعر بن هتيمل ، ونحن
إذ نشكركم على هذه الهدية القيمة نقدر فيكم هذه الروح الطيبة متمنين لك
دوام النجاح والتوفيق ، والله يحفظكم . فيصل

المملكة العربية السعودية
ديوان جلالة الملك
مكتب الصحافة والأبناء
الرقم ٧٨
التاريخ ٣٨٢/٤/١١

حضرة الأستاذ الكريم محمد بن أحمد عيسى العقيلي حفظه الله ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد تشرفت بعرض كتابكم المؤرخ
في ٧ / ٢ / ٨١ والموجه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم على أنظار
جلالته كما تشرفت بتسليم جلالته هديتكم المرفوعة منكم إليه وهي « الجزء
الثاني من كتابكم القيم (تاريخ المخلاف السليماني) ، وديوان الشاعر بن هتيمل
الضمدي المزين بتحقيقاتكم العظيمة عليه وتعليقاتكم النادرة على صفحاته
وما أسبغتم على الكتابين من روحكم الطيبة ولقد أمرني جلالته أيده الله بأن
أنقل لكم شكره وتقديره وامتنانه على جهودكم المشكورة في المساهمة بإحياء
تراثنا المظهور وإلقاء الأضواء العلمية على مجاهل حياتنا الفكرية خصوصاً في
ذلك الجزء الجنوبي الغالي من بلادنا .. وإني أبلغكم فحوى الشكر الملكي
أنتهز هذه الفرصة لأقدم لكم تحياتي مقرونة بأطيب التهاني والتبريك على هذا
المجهود المشكور الذي آمل أن يكون بداية لدراسات متسلسلة متلاحقة تقومون
بها في خدمة وطن الجميع . والسلام عليكم ورحمته وبركاته .

عبد الله بلخير سكرتير جلالة الملك المعظم

المملكة العربية السعودية
المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر
الرقم ٢/٣/١١٣٤
التاريخ ٣٨١/٢/٢٠
المكرم الأستاذ / محمد بن أحمد العقيلي المحترم
بعد التحية :

بالإشارة إلى خطابكم المؤرخ في ١٦ / ٢ / ٨١ الخاص بعرضكم لكتابي
تاريخ المخلاف السلياني وتحقيق ديوان الشاعر القاسم بن هتيميل .
ولنا إذ نقدر مجهودكم الضخم المبذول في الكتابين . ونأمل أن لا يتوقف
نشاطكم التأليفي والتحقيقي عند هذا الحد . فلنا نرجو تأمين خمسين نسخة من
كل كتاب منهما وتسليمهما لمستودعات هذه المديرية لأخذ مذكرة استلام
ومن ثم تقديم الفاتورة بالقيمة المستحقة مشفوعة بمذكرة الاستلام لمقابلتكم بها .
مع تحياتنا وخالص تمنياتنا لكم بالتوفيق الدائم .. وشكراً .
المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر

محمد عبد الرحمن الشيباني

المملكة العربية السعودية
وزارة الصحة
الرقم ٥٧ ع
التاريخ ١٣٨١/٢/٢٩
سعادة الأخ الكريم محمد أحمد عيسى العقيلي مدير دار الأيتام بجازان
المحترم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسرني أن أقدم لكم جزيل شكري حول هديتكم الثمينة التي قدمت لنا
تحمل اسمكم الغالي وهي الجزء الثاني من المخلاف السلياني أو الجنوب العربي
في التاريخ وديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيميل وهذا يدل على شعوركم
الأخوي نحونا وفقم إلى كل ما فيه علو ورفعة نحو هذا المضمار المنير . ونرجو
أن تكونوا باستمرار تقدمون المؤلفات ذات المنفعة الكبيرة لكل من سلك
طريقه للبحث والعرفان .

وتقبلوا فائق التقدير والاحترام

مدير عام وزارة الصحة
(الدكتور) يوسف الحميدان

أخي الكريم الأستاذ الأديب محمد بن أحمد عيسى العقيلي سلمه الله
تحية طيبة ، أرجو لكم دوام الصحة والعافية والهناء والسرور . بيد السرور
تناولت الكتابين القيمين من مؤلفاتكم بواسطة الأخ العزيز الرائد عبدالرحمن
مفلح الحربي وتم كان سروري بهما لا يقدر لأسباب عديدة منها حكمة الأداء
وبساطة الأسلوب مع العمق في المعاني . علماً أنني أعبر عن البداية حيث لم
أصل إلى النهاية فيها لضيق الوقت ولا أود المبالغة بالوصف قبل أن أنتهي من
قراءتها مع قناعتي أن الكتاب يقرأ من عنوانه ، كما يقول المثل كان الله
في العون . مع شكرى وتقديري لاهتمامكم وتقديركم لنا وكان بودي مقابلتكم
عندما زرت جيزان ولكن لظروفكم الصحية ولعدم المعرفة الواضحة منا
أيضاً . ولكن هذه بادرة خير والله يحفظم ويرعاهم .

أخوكم الفريق

حمد الشميمري

حضرة صاحب الفضيلة الأديب الكبير والعلامة الجليل أخي العزيز
الشيخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فأرجو أن تكونو بتمام الصحة
والهناء . هذا وأتقدم إلى فضيلتكم بأخلص الشكر وأزكاه على تكرمكم بإهداء
مخلصكم مؤلفكم القيم الثمين «من تاريخ المخلاف السليماني» أو الجنوب العربي
في التاريخ . . وأتقدم إليكم بأصدق التقدير والإعجاب على ما بذلتم فيه
من جهود موفقة . واحتملتم لأجله من أتعاب شاقة . ويؤسفني يا أخي العزيز
أن يتأخر شكري هذا وتقديري عن وقته بسبب واحد مزدوج وهو أولاً
أنني سألت كثيراً عما إذا كنتم بجدة أو بالرياض أو بجيزان فلم أهتد إلى ذلك . .
حتى الآن . . وثانياً أنني مع مشغولياتي الكثيرة في الأعمال الرسمية والأدبية
والعائلية . فإن الأمراض - عافاكم الله - قد تحالفت عليّ للدرجة لا أملك معها
إلا سرقة الوقت في فرص محدودة . . ولكن هذا وذاك لم يدع لحظة واحدة
أنسى فيها ما غمرتموني به من لطفكم وحسن جميلكم وإني إذ أكتب لكم
بيدي هذا أشعر بكثير من الوجل والحجل في عدم قيامي بذلك - حتى
ولو برقياً - فعسى أن يشملني غفوكم كما غمرني فضلكم . . وتأكلوا أنني

أكبر فيكم هذا المجهود العظيم وأتمنى لكم دوام الصحة والعافية والنجاح والتوفيق .. وبودي أن تلوم بيننا المواصله دائماً وأبداً .. وأن أتشرف بأي خدمة لكم .. وأن أظفر بأي مؤلف حديث تظفر به المكتبة العربية كلها من إنتاجكم الغالي الرفيع . وتفضلوا بقبول عميق الحب والاحترام .

(مكة المكرمة) (حارة الباب) أخوكم المخلص الشاكر

أحمد إبراهيم الغزاوي

سلامي وشوقي واحترامي لكل الإخوان بطرفكم وأرجو فضلاً إشعاري بوصوله للأطمثان مع الصفح والغفران

رسالة الأستاذ الكبير معالي الوزير عبد الله السعد القبيلان

تلقيت بفائض الامتنان والتقدير مؤلفيكم الخلاف السلياني وديوان القاسم ابن علي بن هتيمل وكان لذلك أكبر الأثر في نفسي وإنني إذ أشكركم أجزل الشكر لا يفوتني أن أنوه عن جهودكم الملحوظة وجهادكم الأدبي الموفق في سبيل إبراز شخصية الأدب السعودي وسماته العربية الأصيلة ، وفقكم الله لتحقيق رسالتكم وأكرر شكري الجسيم وثنائي الطيب .

عبد الله السعد

كلمة معالي وزير الحج والأوقاف السابق حسين عرب المنشورة في جريدة البلاد بعدد ٧٧١ في ١٣٨١/٣/١ هـ .

ولو أن كل من يحمل قلماً حاول أن يخدم إقليمه أو مسقط رأسه بالأسلوب الذي تبعه الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي لاستطعنا أن نجد في فترة قصيرة تاريخاً مكتوباً متكامل الحلقات لسائر أجزاء هذا الوطن .

لقد اطلعت على كتابيه - الخلاف السلياني - ثم ديوان الشاعر القاسم ابن هتيمل الضملي - ولمست فيه - أي في المؤلف - الرغبة العارمة في التبع والاستقراء والمثابرة لضبط التاريخ وتحليله .

فهو بهذا يحمل على عاتقه أمانة المؤرخ ودقة العالم - وعمق الباحث - ونزاهة القلم .

لست بهذا أقرضه - ولكني أدعو كل متعلم - أن يسجل أحداث بلده أو منطقته في أي فترة نستطيع بذلك أن نلقي بصيصاً من الضوء على الماضي المجهول من تاريخنا بمفاخره ومساوئه وخيره وشره .

إن الذي لا يعرف ماضيه ، يجهل حاضره ويعجز أن يرسم مستقبله
أو يتخيله ... الخ .
أخوك
حسن عرب

رسالة من أمير عسير الشيخ تركي الماضي

حضرة المحترم الأستاذ محمد بن عيسى العقيلي الموقر ...

بعد التحية والاحترام إجابة لطلبكم الأول أبعث لكم بطيه أوراق خلعتها
من مجموع عندي للاطلاع عليها ونقل ما ترون منها والتكرم بإعادتها وعدم
إطلاع أحداً عليها سواكم ولكم تحياتي وقد بعثت لكم نسخة من تاريخ الماضي
أرجو أن تكون وصلتكم ودمتم . ٨٢ / ١ / ١١

المخلص

تركي بن ماضي

رسالة من أمير عسير الشيخ تركي الماضي

حضرة الأستاذ النبيل الأخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي الموقر ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. تلقيت رسالتكم الكريمة وبرفقتها
هديتكم القيمة وهي الجزء الثاني من مؤلفكم الفذ وديوان ابن هتيمل وإني
أشكركم على أريحيتم وكرم شعوركم وإني أهنئ جيزان وأهالي جيزان
بوجودكم لما بذلتموه من بحوث قيمة وسجلتم حوادث تاريخية وجمعتم
ما تفرق من ذلك وأظهرتم للناس سنناً قيماً جمع بين الماضي والحاضر
فبارك الله في جهودكم وكللها بالتوفيق والنجاح . لقد سبق أن اطلعت على
الجزء الثاني وبعثت لكم ببعض الملاحظات وعسى أن تسمح لي الظروف
وأتمكن من تحرير ولو شيئاً قليلاً مما طلبتموه مني أما تاريخ الماضي فهي
نبذة قصيرة مختصرة لا يصح أن تسمى مؤلفاً لأنها ليست مما ينبغي نشره ولم
نقصد سوى إرشاد الأسرة ببعض ما خفي عليها خصوصاً النشء الجديد وهي
إليك بطيه للاطلاع عليها وتحياتي لكم وسلام الله عليكم .

المخلص

٨١ / ١٢ / ١

تركي الماضي

أخي العزيز الأستاذ الشاعر ...

السيد محمد أحمد عيسى العقيلي المحترم

تحياتي ، وقد تناولت كتابيكم القيمين : « تحليل ديوان ابن هتيميل » ،
و « الخلاف السليmani » وسأسعد بقراءتهما قراءة درس وفهم ويسرني أن
أخبرك أنني كتبت كلمة سريعة عنهما في يوميات الندوة وستقرأها يوم الأحد
٢٣ / ٣ / ١٣٨١ فعسى أن تكون راضياً وأرجو أن أقرأ ردك عليها واستجابتك
لما فيها من اقتراح لا يصعب عليك تحقيقه وتحياتي إليك مكررة وإلى الأخ
الأستاذ الشاعر محمد بن علي السنوسي صاحب القلائد وإلى لقاء أطيب ... ،
١٩ / ٣ / ١٣٨١

جدة - العمارية

محمد حسن عواد

السيد الفاضل الأستاذ العقيلي

تحياتي إليكم وجزيل شكري على هديتكم الرائعة الجزء الأول بقسميه
عن « الجنوب العربي في التاريخ » ولا شك أنه مرجع هام في هذا الباب ويكفي
أن مؤلفه - وجامعه ومحققه هو والمراجع الأصلية والخطيات - هو شاعر
الجنوب وليس أولى بالكتابة عن الجنوب سوى كاتب من الجنوب - فما بالنا
وهو شاعراً أيضاً : شاعر لا يقرض الشعر الجميل فحسب بل شاعر يشعر
كذلك بحقيقة الجنوب الذي يقيم فيه وينتسب إليه .

أهنتكم كثيراً وأهنتك تهنته قلبية وأكرر لكم شكري ومزيداً من
السلام . جدة في ٦/٧/٧٩

دكتور محمد شوقي السواح

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الأديب محمد العقيلي الموقر

تحية طيبة وسلاماً جماً وبعد فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله
جل وعلا أن يديم على الجميع نعمة الأمن والاستقرار في ظل رائد التضامن
الإسلامي إمام هذه الأمة ورائد نهضتها وقائد مسيرتها إلى دروب الخير إن شاء
الله جلالة الفيصل المقدس ، أيدده الله وأعز به الإسلام والمسلمين .

ثم إنني أشكر لكم مشاعركم النبيلة تجاه أخينا المرحوم الأمير تركي الماضي واتجاهنا بما حبرته براعة قلمكم السيل من معلومات مفيدة في مقالكم الضافي الذي نشرته لكم جريدة عكاظ الغراء بعددها الصادر يوم ٧ / ٦ / ٩٠ ، ذلك المقال - الرصين الذي إن دل على شيء فإنما يدل على وفائكم المتواصل ومزايكم الحميدة وسجاياكم المحميدة ، ولا غرو فإن مقالكم آنفاً قد جمع فأوعى وبين للقراء الكرام أشياء كثيرة قد يجهلها السواد الأعظم من الناس ، فشكراً لشخصكم المفضل على ما نوهتم عنه وما أبدىتموه إزاء آل ماضي من مشاعر طيبة هي في الواقع نابضة من نياط قلبكم المفعم بمحبة المليك والوطن وإننا لندرجو لجنابك العالي مزيداً من التوفيق في بحوثك العلمية والتاريخية القيمة الهادفة لخدمة المليك والوطن والمجتمع ، وفقك الله يا عقيلي ولا فض فوك ، ونأمل منك أن تتحفنا بمؤلفك عن المخلاف السلياني عندما ينتهي طبعه ويظهر للناس في ثوبه القشيب لأنه يهمننا الاطلاع عليه ، كذلك نأمل أن ترودنا بكل جديد من مقالاتك الرشيقة وبحوثك القيمة وأن تبعث لنا بعدة نسخ من المؤلف المذكور بعد طبعه ، وفقك الله لما يحبه ويرضاه ، وأي لازم أخبرونا وسلامنا لمن يعز عليكم كما هو لكم من الأبناء والله يحفظكم .

عبد الله بن محمد الماضي

جيزان في ٩٠/٧/٥

(الجزء الثاني) المخلاف السلياني

يشتمل على تاريخ المخلاف السلياني وعسير وتهامة

تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي

جازان

إذا قلنا إنه كتاب السنة ، فما أظننا نعدو الصواب ، ذلك لأنه أماط لنا اللثام عن تاريخ حقبة قريبة منا ولكنها غامضة مجهولة الحقائق والتفاصيل كادت الكتب المتفرقة تذهب ببعضها بدداً وبعضها لم تشمله الكتب فكاد يضيع في مهات الرياح وإذا قلنا: إن مؤلف هذا الكتاب النفيس هو مؤرخ الجنوب فما إخالنا نتجاوز الواقع والحقيقة ذلك لأنه تخصص في هذه الناحية وحاول تحقيق هذا المطلب العسير ، فدان له بالشيء الكثير الوفير وآية ذلك

كتابه هذا المخلاف السليماني الوحيد الفريد في بابهِ ، فليس لنا نحن العرب مرجع وافٍ وكافٍ عن تاريخ المخلاف السليماني السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني والديني والأدبي سوى هذا المرجع إذن فالكتاب بحق كتاب السنة ومؤلفه الباحث الطلعة الصبور على متاعب البحث والاستقصاء والترتيب والمقارنة ، هو مؤرخ الجنوب بحق ، بدأ المؤلف كتابه بالحالة العامة في العهد الصليحي ووصف عقيدة الصليحي الباطنية المخالفة لعقيدة الإسلام ، وفصّل أشهر معاركهم في اليمن مع صاحب صنعاء حتى دحره في المخلاف السليماني مع نجاح السني المذهب والعقيدة حتى استولى الصليحيون على تهامة والمخلاف ، ومن ثم تقدموا للحجاز في أيام أمير مكة شكر الحسني فاستولى على الحجاز ثم انتفض أهل الحجاز عليه فجاء من صنعاء ليعيده إلى حكمه فقتل في الطريق وما تبع ذلك أحداث وثورات بين الأطراف المتناحرة على السلطة هناك ومن طريف ما في البحث ولاية أروى بنت أحمد الصليحي زوج المكرم على اليمن وكانت قارئة كاتبة متأدبة .

والفصل كله مهم ومفيد ونحدث عن حقبة تكاد تندثر أخبارها المفصلة وهذا الفصل لأن حوادثه تقع في القرن الهجري الخامس يتعلق ببحث الصليحيين في الجزء الأول كان من حقه أن يكون هناك ولكن المؤلف اعتذر عن إيراده ونشره في مستهل الجزء الثاني هذا بأنه لم يعثر آنذاك على مصادره الوافية فلما عثر عليها الآن وضعه وابتدئ الجزء الثاني في حقيقة الأمر من الفصل الثاني الذي يتحدث عن الحالة العامة في المخلاف السليماني من سنة ١٢٤٥هـ وهذا الفصل والفصول الإثني عشر التي تليه هي كلها لب وفوائد جلية في تاريخ المخلاف في شتى شمول التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني والأدبي ولذا فالكتاب ذخيرة وذخر ولا يمكن أن يستغني عنه باحث ومعني بتاريخ شبه جزيرة العرب في حقيقة هي أقرب إلى عصرنا ، ومع ذلك أشد الحتم غموضاً واختفاء واحتجاباً والمؤلف مؤرخ أمين في تاريخه يذكر الحقيقة سواء كانت على من يؤرخه أوله لا يبالي بالعواطف ولا بالآراء المتضاربة وهذه ميزة يجب أن يحتفظ بها له ومن أجلها

يستحق أن يوضع في مصاف المؤرخين المعاصرين الأثبات بل لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إنه من رواد التاريخ ولو كان في جامعة وقدم كتابه هذا إليها لاستحق عليه التقدير ونيل شهادة الدكتوراه في هذا الفرع الهام من التاريخ الذي تخصص في بحثه ونشر مطوياته وإيضاح معمياته وبسط مكنوناته.

وقد وفق المؤلف الفاضل إلى العثور على مخطوطات أثرية قيمة بالنسبة لتاريخ المخلاف الحديث الغامض فنشر صورها الفوتوغرافية بالكتاب فكانت كقلائد وضاعة على جيد الحسنة ومنها رسائل تاريخية على جانب كبير من الأهمية إذ بينها ما هو للسيد محمد بن علي الإدريسي ورسائل أخرى لا تقل عنها أهمية وزين الكتاب بخرائط تقريبية عن أودية سامطة وبلاد المسارحة والحارث وأودية جازان وصيبا وضمد وجبل فيفاء وغيرها إلى خريطة تقريبية لما بلغته حلود الدولة الإدريسية عام ١٣٤١ هـ وما إلى ذلك وقد استمر المؤلف في دراسة الحالة العامة في المخلاف السلياني لا من سنة ١٢٤٥ هـ إلى سنة ١٣٢٦ هـ فقط كما ورد في استهلال الفصل الثاني من الجزء بل تجاوز ذلك إلى سنة ١٣٧٩ أي قبل نشر الكتاب بسنة واحدة وبالجملة فالكتاب جدير بالدراسة وقين بالاعتناء ويقدر مؤلفه على ما بذل فيه من جهد جهيد وقد وقعت فيه أخطاء مطبعية لا تخفى على فطنة القارئ اللبيب وقد طبع بدار الكتاب العربي بالقاهرة ويقع في ٤٣٩ صفحة من القطع المتوسط .

عبد القدوس الأنصاري

المنهل ربيع الأول ٨١

رسالة من الشيخ محمد المعلمي العنمي من مكة المكرمة

حضرة الأستاذ الجليل/شاعر الجنوب ومؤرخه السيد محمد بن أحمد العقيلي
بعد التحية والاحترام - يسرني بمناسبة فراغي من مطالعة كتابكم النفيس
(المخلاف السلياني) نعم يسرني أن أبعث لكم شكرنا الجزيل وثناءنا العظيم
لما لمسنه فيكم من الموهبة الربانية التي بوأتكم الصدارة الأولى كأديب كبير
ومحقق قدير زادكم الله من فضله عزاً ورفعة .
وتقبلوا تحياتي ، ،

محمد المعلمي العنمي

رسالة من الشيخ عبد الله العمودي

إلى ولدي الأستاذ البحائة الأجل محمد أحمد عيسى العقيلي حاكم الله
بعد أسنى السلام والتحية والإكرام والمعاهدة وإنه وصلني التاريخ
هدية وإتحافاً لنا منكم فشكر الله سعيكم وأزادكم من معارفه فقد أحسنتم فيه كل
الإحسان فما أحق أن أقول فيه هذين البيتين من القريض :

قد نورت طلعة التاريخ حين بدت
كالكوكب المشتري الوهاج في الأفق

لله در مؤلفه البحائة الندس
عفا على الآخرين في وضعه الأنق

وإني رأيت في صاحبنا حمد الجاسر فيما نشره في مقدمته ما يظهر منه
في عدم التبريز في نتف منه من عبر التاريخ في حق ملوك اليمن ما يعجب
منه ، وإلا فهو قد أثنى عليكم فيما وضعتموه من اللياقة والثقافة وإني بالأشواق
إلى تكملة .

وشريف السلام حرر الثالث عشر من شعبان سنة ١٣٧٨ هـ

والدكم

عبد الله العمودي

موجز كلمة الأستاذ أحمد عمر عباس المنشورة في

جريدة النلوة الغراء

لمحات أدبية وسياسية

وعلى ذكر آل المتحمي وابن ماسط وابن مجثل وآل عائض لا بد لنا أن
نتوقف قليلاً عن سرد الأحداث لنشير إلى كتاب (الخلاف السلطاني) ونشيد
بذكر مؤلفه الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي أحد كبار أدباء جنوب
المملكة ومن أبرز شعرائه على ما بذل من جهد في حمل أمانة البحث والتقصي
حتى أخرج لنا في تاريخ جنوب المملكة ذلك المؤلف النفيس .

رسائل من علماء العالم العربي

- ١ - رسالة من العالم والمؤرخ ابنمينا الشيخ إسماعيل الجرافي .
- ٢ - رسالة من أستاذ الجغرافيا بجامعة الملك سعود وعضو المجمع الجغرافي بباريس الدكتور محمد محمود الصياد .
- ٣ - رسالة من الدكتور عمر حليق .
- ٤ - رسالة من مستشرق في أكسفورد (بطرس أبو مته) .
- ٥ - رسالة من الدكتور محمد علي الشهاري .
- ٦ - رسالة من الدكتور فاروق عثمان أباطة .
- ٧ - رسالة من عميد كلية بلقيس الدكتور حسين علي الحبيشي .
- ٨ - رسالة من وزير المعارف في عدن عبد الرحيم لقمان ١٦/٤/١٩٦٦ .
- ٩ - رسالة من مدير القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية .
- ١٠ - رسالة من المشرف على المكتبة والمتحف الثقافي بالجامعة العربية .

رسائل مواطنين من المنطقة

- ١ - رسالة من الدكتور محمد الشامي .
 - ٢ - رسالة من الأستاذ سالم باهادون .
 - ٣ - رسالة من مدير إدارة التعليم بجازان الأستاذ محمد سالم العطاس .
 - ٤ - كلمة لرئيس بلدية جازان الأسبق المرحوم عبده علاقي .
 - ٥ - رسالة من الأديب الشاب السيد / حمد بن علي مسرحي .
- هذا ما اخترناه من نحو مائة رسالة والله الموفق ، ، ،

رسالة العلامة اليمنى الأستاذ إسماعيل جرافي

العالم المؤرخ الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد : فإنه يسرني أن أخبركم أنني تصفحت الجزء الأول من مؤلفكم

العظيم (المخلاف السلياني) أو الجنوب في التاريخ لدى بعض الأصدقاء وكنا
ولا نزال نعتز بعلماء هذه المنطقة وتاريخها المليء بالمجد والعزة ولكننا الآن
نشعر باعتزاز أكثر لأنها لا تزال مركز إشعاع منه النور وأن مؤلفكم ليس
إلا برهان على ما في هذه المنطقة من أفكار وأدب جم .

إسماعيل الجوافي

القاهرة - شارع عقبة - الدقي

١٣ ذو القعدة سنة ١٣٧٨

جامعة الملك سعود

الرياض: المملكة العربية السعودية، الأحد ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هـ

الأستاذ الفاضل محمد بن أحمد عيسى العقيلي المكرم

يا أخي الكريم بارك الله فيك وأعانك على إتمام ما بدأت فيه من إحياء
لتاريخ جزء حبيب من وطننا العربي الكبير .

جاءني كتابك « من تاريخ المخلاف السلياني » وقد هممت بمغادرة الرياض
قاصداً القاهرة فأنستني زحمة السفر أن أحمله معي لأنس به على ضفاف النيل ؛
فلما عدت إلى عروس نجد كان أول ما حفلت به قراءة كتابك : وأشهد
أنني استمتعت به ليالي طوالا ، أنتقل من فصل إلى فصل فلا أجد إلا طريفاً
من الحديث وعميقاً من الدراسة ؛ فجزاك الله خيراً على ما قدمت ويسر لك
من الأسباب ما يساعدك على إتمام ما بدأت - فلا يزال المجهول من تاريخنا
في حاجة إلى من يبعثه ؛ وهذه هي مهمة أبناء البلاد ، ومن أسف أن يسبقنا
إليها الأجانب نعيش على بضاعتهم ونحن أصحابها ، وننقل عنهم والواجب
أن ينقلوا عنا .

ألا إنها لبنة وضعتها وأرجو أن تواصل ويواصل معك العلماء من أبناء
هذه البلاد الكريمة وضع اللبنة حتى يرتفع البناء عالياً شامخاً إن شاء الله .
ولك شكري الخالص وتمنياتي الطيبة .

محمد محمود الصياد

أستاذ الجغرافية بجامعة الملك سعود بالرياض

أخي الأستاذ محمد

سلام الله عليك . وبعد فقد كان جميل منك أن تتلطف بكلمات رقيقة في رسالتك إلى . فالشكر لك وللفرصة التي أتاحت لي الاتصال بك .

وقد أسعدني أن علمت قيامك على وضع مؤلف تاريخي عن هذا الجزء المغمور من الجزيرة . فالمراجع عنه شحيحة وكل جهد تقدمه للقارئ العربي سيعوضه عليك الله بأضعافه . وإني لأتربح فراغك من تأليف هذه المادة لأستفيد من قراءتها . ولعل الأيام القادمة توفر لي فرصة زيارة جيزان عندما أعود من أجازة إلى المملكة في السنة القادمة إن شاء الله .

والواقع أن الكتابة عن الجزيرة - عن مختلف أنحاء الجزيرة صعب شاق . فالمراجع الأجنبية لا تعطي صورة صادقة عن حقائق التاريخ ، وكل ما تقدمه للقارئ ألوان من الصور .

أكرر لك التحية من وراء البحار .

وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه .

واسلم في رعاية الله .

لأخيـك

٢١ رجب - ١٥ مارس ١٩٥٥ .

عمر حليق

٢٥ - ٣ - ١٣٨١ - ٦ - ٩ - ١٩٦١ م -

عزيزي الأخ الكريم محمد بن أحمد عيسى العقيلي

تحية واحتراماً...

لا بد أن تستغرب عندما تتلقى هذه الرسالة من شخص لما تنشأ بينك وبينه صلة تعارف .

ولكن يبدو أنه في عصر كعصرنا الذي نعيشه لم تعد صلة التعارف محدودة في نطاق التعارف الشخصي ، وأصبح في الإمكان أن يتعرف شخص ما على الآخر عن طريق أثر من آثاره ، أو كلمة ، أو موقف من كلماته أو مواقفه .

وليس أدل على ذلك من أنني أكتب إليك هذا الخطاب ولدي الإحساس بأنك لست غريباً عن شعوري .

ولم لا وكتابك « المخلاف السلياني » أو « الجنوب العربي » الجزء الثاني ، وعليه اسمك الكريم إلى جانبي . نعم إلى جانبي مباشرة ، ومنه نقلت اسمك وبواسطته اكتشفتك .

أفليس لي الحق بأن أقول أنني قد تعرفت عليك من خلال عملك التاريخي الممتاز ، وأنني تحت الشعور بالقرابة الحميمة منك أكتب إليك هذا الخطاب ؟

وقد تفضل الأخ مساوى الحكيم فأعطاني فكرة عنك ساعدتني على تفهم بعض جوانب شخصيتك .

وبفعل هذا كله وجدتي قريباً منك ، وشاعراً بالرغبة لأن أبادئك بإرسال هذا الخطاب .

ولعل هناك عاملاً آخر قربك من وجداني ؛ ألا وهو أنني كنتك يا عزيزي مهمت بتاريخ « الجنوب العربي » الذي كرّست له همك ونشاطك ، فأنا مكلف بتقديم رسالة دكتوراه عن « تاريخ اليمن الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية » وقد أعددت بعض أجزاء الرسالة في ألمانيا الشرقية حيث اتخصص فيها هناك ؛ وكان علي أن أسافر إلى القاهرة خلال فترة الأجازة لجمع المراجع العربية في هذا الصدد ، ومن حسن حظي أنني وجدت كتابك الأنف الذكر .

من هنا تعرف سر استشعاري إياك بهذه السرعة والعمق وكما يقول المثل العربي : « شبيه الشيء منجذب إليه » .

وإن كنت أطمح إلى شيء منك فإنني لأطمح في أن يكون لديك شعور بالارتياح والرضا في أن يكون كتابك إحدى المراجع الهامة التي اعتمد عليها حول « دولة الإدارة » ، في نشوئها ، وتطورها واضمحلالها ، وحول عدا ذلك من المواضيع التي عالجها كتابك .

على أن لدي الاقتناع بأن كتابك يحظى بأهمية خاصة نظراً لأنك اعتمدت فيه على وثائق ، وأدلة مادية ، مما أعطى الكتاب طابعه الواقعي .

على أنني أكون - بطبيعة الحال - أكثر سعادة في أن اطلع على كتابك الأول من « تاريخ المخلاف السلياني أو الجنوب العربي » الذي طبع بمطابع الرياض والجزء الثالث منه الذي ما يزال تحت التأليف ، والرابع الذي شرعت في تبييضه ، والمتعلق بالتاريخ الأدبي لتهامه ، وكتابك المعد للطبع حول منطقة جازان في العهد السعودي ، وغير ذلك من مؤلفاتك الشعرية ، وتحقيقاتك الأدبية .

ولا أنكر أن لي محاولات شعرية انقطعت عن ممارستها بانصرافي إلى عملي التاريخي الذي لم يترك لي فرصة ذهنية أطلق فيها خيالي بعيداً عن وقائع التاريخ وأحداثه .

لقد التقيت بك بفكري ووجداني ، لا أقول على غير موعد بل على موعد ، وفي لحظة تهيأ فيها الجزيرة للانطلاق لأداء رسالتها المعاصرة كما قامت برسالتها في القرون الوسطى ، وكل شيء يغمره الظلام .

أو ليس من إمارات هذا الانطلاق أن تكون الجزيرة قد أنجبت طلائع مؤرخيها الأوائل المحدثين ، وأن تكون أنت على رأس القائمة ممن يستلهمون ماضيها في انطلاقها نحو مستقبلها .

إنني لا أكتمك الشعور بأنني أطمح في أن تكون صلتنا مستمرة وأن وجودي في ألمانيا لن يكون حائلاً دون دوام تراسلنا .

وسأحرر لك عنوان سكني في ألمانيا على ظهر غلاف خاص مع هذه الرسالة حيث يمكنك أن تضع خطابك إليّ ضمنه مباشرة ، وترسله إلى وإذا أمكنك أن ترسل مع ذلك إحدى أجزاء المخلاف السلياني مما أتممت طبعه كتكريس لزمالتنا « التاريخية » وتدشيناً لصداقتنا التي أعتقد أنك تشاطرنني الآن في مدى أهميتها وقيمتها ، فإنني أكون حينئذ أكثر سعادة ، ومحققاً في الشعور بأنني اكتسبت صديقاً تطلب صداقته ، ويخطب وده .

وسأتوجه في نهاية شهرنا هذا إلى ألمانيا . فإذا كان بإمكانك وكان لديك الوقت بأن ترسل إلي رسالتك قبل هذا إلى القاهرة فيمكنك حيثنذ أن ترسلها على عنوان البعثات السعودية بواسطة الأخ مساوي الحكمي ، وهو العنوان الذي أكتبه لك في ظاهر غلاف هذه الرسالة . تقبل تحياتي وصاداقي .

ملحوظة : قبل أن أرسل إليك هذا الخطاب التقيت بالأخ على العبدلي وهو صديق قديم وكان عائداً من السعودية وعندما سألته عنك حدثني حديثاً شيقاً عرفتك به أكثر ولذلك أقترح أن تكون مراسلتنا عن طريق الأخ على العبدلي ، وأى هدية من كتبك القيمة يمكنك أن ترسلها إليه وهو بدوره سيرسلها إلى وعلى أى حال فالرأى لك .

أخوك

محمد على الشهاري

كلية القديس بطرس - إكسفورد في ١١/١١/١٩٧٤ م

الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي المحترم .

جازان - المملكة العربية السعودية

سيدى الأستاذ :

إني من خريجي جامعة اكسفورد وأشتغل الآن في بحث تاريخي عن شبه جزيرة العرب في القرن التاسع عشر . وقد علمت من بعض الأصدقاء هنا أن لكم كتاباً من ثلاثة أقسام في تاريخ الخلاف الإسلامي يبحث خاصة في إمارة الشرفاء من آل خيرات وفي حكم بيت الإدريسي . لقد بحثت عن الكتاب كثيراً ولم أستطع أن أهتدي إليه ، فأرجوك يا سيدي أن ترسلني كيف أحصل على نسخة منه فإني في حاجة ماسة للكتاب خاصة وقد قيل لي أنه واف ويشتمل على العديد من الوثائق . إني على استعداد لأن أقدم بدل نسخة منه أي ثمن . فإن تكرمت علي بهذا الجميل أكون جد شاكراً لك فضلك .

مع تحياتي لك مقرونة بأطيب التمنيات .

بطرس أبو منه

الاسكندرية في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ هـ . الموافق ٢٣ سبتمبر
سنة ١٩٦٢ م .

سيادة الأخ الكريم الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي
جازان — المملكة العربية السعودية
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد ...

تلقيت ببالغ الشكر والتقدير رسالتكم الكريمة ومؤلفكم الموقر عقب
عودتي من أجازتي السنوية التي قضيتها خارج الاسكندرية . وقد توقعت هذا
الكرم من سيادتكم وأدعو الله أن أوفق في كتابة رسالتي عن « الحكم العثماني
في اليمن » لأهدي لسيادتكم نسخة منها وسيكون مؤلفكم بإذن الله في مقدمة
مصادرها والله خير موفق ومعين . وسأحاول معرفة الطريقة الرسمية التي
يمكنني بواسطتها إرسال قيمة النسخة وتكاليف البريد مع تقديمي خالص
الشكر وأصدقه . ولتعلموا سيادتكم أن زميلا لي بجامعة القاهرة قد استعار
مؤلفكم وهو لديه الآن ليعتمد عليه في إتمام بحث بدأه منذ سنوات . ولا شك
أن زملاء غيرنا سينتفعون بمؤلفكم هذا وسيكون في متناول أي باحث لدينا
بالجامعة يطلبه في المستقبل إن شاء الله .

وقد قمت بشراء نسخة من الجزء الثاني لمؤلفكم من دار المنياوي
بالإسكندرية ، ويهمني كثيراً أن تتكرموا بموافاتي باسم دار النشر التي ستولى
نشر الجزء الثالث لمؤلفكم الذي أنتظره وينتظره معي عدد من الزملاء الدارسين
وندعو جميعاً لكم الله أن يوفقكم في تأليفه ومواصلة بحوثكم العلمية المتقدمة .
ويسرنى أن أعرض لسيادتكم الخطوط الرئيسية لموضوع الرسالة التي
أقوم بإعدادها وهي تلخص فيما يلي :

- ١ — حملة العثمانيين على شمال غربي اليمن في سنة ١٨٤٩ م .
- ٢ — حملة العثمانيين على اليمن ودخول صنعاء سنة ١٨٧٢ م .
- ٣ — موقف العثمانيين من الإمام يحيى والسيد الإدريسي والإنجليز حتى
صلح دعان سنة ١٩١١ م .

٤ - موقف العثمانيين في اليمن أثناء الحرب العظمى ثم خروجهم من اليمن في سنة ١٩١٨ م .

٥ - آثار حكم العثمانيين في مقلدات اليمن الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

هذا ويسعدني كثيراً أن أسترشد بآرائكم القيمة في هذه الموضوعات وما ترونه من مصادر ينبغي الرجوع إليها لمساعدتي في البحث .

ولا شك أن المكتبة العربية تفتقر كثيراً وتحتاج إلى مؤلفات عن اليمن وغيره من بلدان وطننا العربي الخالد . كما أن المكتبة الأجنبية غير العربية لا يوجد بها سوى القليل النادر عن اليمن خاصة . وأولى بأبناء العروبة أن يسدوا هذا النقص في المكتبتين العربية والأجنبية على السواء .

وقد حملتم سيادتكم هذا المشعل بمؤلفاتكم وسنواصل السير جميعاً بإذن الله من أجل الإسلام والعروبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم فاروق عثمان أباطة

هيئة التربية والتعليم اليمنية - كلية بلقيس

الشيخ عثمان - عدن - جنوب اليمن . في ١٨ نوفمبر ١٩٦٤م - الرقم ٣٠٦ - ٦٤

حضرة الأستاذ القدير والمؤرخ الكبير الشيخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي .
تحية إجلال وتقدير ...

وبعد : تسلمنا بمزيد من الشكر والامتنان للنسخ المهداة من تاريخكم القيم لكلية بلقيس .

وإدارة الكلية إذ تشكركم على هديتكم الثمينة تود مخلصاً أن تسجل هنا تقديرها للمجهود الذي بذلتموه سيادتكم في سبيل كشف النقاب عن تاريخ جزء حيوي هام من الوطن العربي الكبير .

ولكي نجسد هذا التقدير عملاً إيجابياً فقد قررت إدارة الكلية أن تجعل هذا الكتاب أول مرجع لها في مادة الاجتماعيات - فرع التاريخ والجغرافيا -

ولنا كبير الأمل في تعميم فائدة هذا الكتاب في ربوع الوطن العربي الكبير .
أخيراً تقبلوا سيادتكم خالص التحية وجميل التقدير . وشكراً جزيلاً مرة
أخرى . ودمتم للمخلص .
عميد كلية بلقيس

حسين علي الحبيشي

عدن في ٦ أبريل ١٩٦٦ م .

الأخ الكريم الأديب المحقق السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي حفظه الله
تحية مباركة ...

وبعد فإني أرغب أن أقدم إليكم بالشكر والامتنان مرتين واحدة لتفضلكم
سابقاً بإهدائي كتابكم الفريد «الخلاف السليماني» وأخرى لإرسالكم إلي كتابكم
«ديوان السلطانين» وكلاهما ذوا قيمة عظيمة في حياة الجنوب الفكرية والتاريخية.
ويسرني أن أخبركم أن لكم في عدن والجنوب قراء كثيرين ومعجبين
بأدبكم وفصلكم يرجون لقاءكم يوماً وإذ أؤف إليكم إعجابهم وإعجابي
ولا كباري أتمنى لكم دوام التوفيق .

لقد توفي منذ أسبوعين والدي في جلة ودفن في جوار بيت الله بمكة
المكرمة وهو في طريقه لأداء فريضة الحج وأنا في طريقي غداً إلى طرابلس
الغرب لحضور مؤتمر وزراء البلاد العربية للمعارف والاقتصاد وربما أمكنني
في طريقي من المرور بمكة والزول للعمرة وزيارة قبر الوالد وسأسال عن
حضرتم من آل بقشان أصدقاء الأسرة لعلني أتشرف باللقاء بكم إذا صادف
وجودكم بمكة أو الكتابة إليكم منها .

وتقبلوا خالص تحياتي وشكري وتمنياتي الطيبة

المخلص عبد الرحيم لقمان

وزارة المعارف

لندن : في ٢٨/٩/١٩٦١

حضرة السيد محمد بن أحمد عيسى العقيلي المحترم ، ، ،

تحية واحتراماً ، وبعد - نشكركم شكراً جماً على النسختين التي تفضلتم

بإرسالها إلينا من كتابيكم « الخلاف السلياني » الجزء الثاني و « ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل » ونفيدكم بأننا قد وضعناهما في مكتبتنا بين أنفس كتبنا ليطلع عليهما زملاؤنا وزوارنا من عرب ومستشرقين ٥

ونحن إذ نشكركم على هذه الروح النبيلة الطيبة ونتمنى لكم مزيد التوفيق والنجاح نرجو أن تكونوا ممن يستمعون إلى برامجنا العربية كما نرجو أن تكتبوا إلينا دائماً بكل ملاحظة تعن لكم بخصوص موادها وتقديمها ودرجة وضوح استقبالها لديكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ٥

عن مدير القسم العربي

جامعة اللول العربية - الأمانة العامة

رقم ٢/٢١/١٥ - ٩٩١ - في ١٩٦١/٩/٢٨م

السيد المحترم الأستاذ الفاضل محمد بن أحمد عيسى العقيلي الأفخم

جيزان - المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد - فقد تكرم صديقي الأستاذ الحاج محمد حلمي المناوي بإهدائي نسخة من مؤلفكم القيم « الخلاف السلياني » أو « الجنوب العربي في التاريخ » (الجزء الثاني) كما تكرم وأهدى مكتبة الأمانة العامة لجامعة اللول العربية نسخة أخرى من نفس الكتاب ٥

ولما كان يهمني الحصول على الجزء الأول من هذا المؤلف النفيس ٥ كما يهم المكتبة أيضاً الحصول عليه استكمالاً للفائدة التي أملت على سيادتكم البحث والدراسة ومن ثم التأليف ، فأوصاني بالكتابة لسيادتكم بهذا الشأن ٥

ولاني إذ أتقدم بوافر الشكر - نيابة عن المكتبة وعني - لسيادتكم على

هذه الهدية القيمة الكريمة لأرجو التفضل بإهدائها نسختين من الجزء الأول
إحداهما للمكتبة والثانية لي .

داعياً لكم بدوام التوفيق وسداد الرأي ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

المخلص (محمود رأفت)

المشرف على المكتبة والمتحف الثقافي

المملكة العربية السعودية - وزارة المعارف

أستاذنا الكبير وعالمنا التاريخي الجليل - محمد بن أحمد عيسى العقيلي الموقر
تحية مباركة من عند الله تحية الإسلام أبعثها لسيادتكم في شهر الصيام وبعد :

كنت أسمع عن مؤلفكم القيم «المخلاف السلياني» على أفواه العارفين ورواد
الاطلاع . وشاءت الأقدار من حسنت حظوظهم فأنا طالب منتسب في قسم
التاريخ السنة الرابعة جامعة الرياض . لهذا العام في تاريخ الدولة السعودية
المقرر علينا عدة مراجع منها كتابكم المذكور ولشد ما فرحت فأخذت
أتلسمه عند الأصدقاء حتى وجدته فقرأت نبذاً منه فأثلجت صدرى فأسلوبه
سلس قيم وعباراته جذابة أما مادته التاريخية فشيء يعجز الوصف عنه فهو
بعيد عن الخرافات التي تندس في صفحات التاريخ التي طالما قرأناها فقد
ناقشتم فيه الحقائق التاريخية بصراحة واضحة . والحقيقة أنه تاريخ قيم ستظل
الأجيال والأجيال تفخر به على مر الأزمان .

وقد عزمت لشرائه لقيمته التاريخية من مكتباتكم النيرة إلا إنني عدلت
عن ذلك لأطلبه من سيادتكم كهدية من باحث تاريخي إلى دارس يبحث عن
الحقيقة . ليكون لي حافزاً على دراسته وسيكون لي عوناً في النجاح وبذا
شاركتم سيادتكم في بناء مستقبل الدارسين . أبقاكم الله لخدمة العلم وطلابه والله
يحفظكم .

الدارس

محمد سالم العطاس

مدير إدارة التعليم بجـيزان

بعنوان كتب جديدة - بصحيفة الأضواء عدد ٤٩ في ١١/٦/١٩٧٨

من تاريخ الخلاف السلياني - الجنوب العربي في التاريخ

بقلم رئيس بلدية جيزان السيد عبد القادر علافي

كنت في زيارة لجريدة عرفات بجدة لدى مديرها النشيط السيد حسن عبد الحي قراز فلقت نظري في جانب من مكتبة عرفات منظر مكتبة الجريدة، الأمر الذي حداني إلى الاطلاع على ما تحتويه هذه المكتبة من مؤلفات فقيمت بالتفتيش لقراءة ما يعجبني من الكتب ولم كان سروري عظيماً عندما لفت الأستاذ (حسن) نظري إلى كتاب عن « الخلاف السلياني » للأستاذ محمد ابن أحمد عيسى العقيلي وهو من أدباء جيزان وشعرائها البارزين .

وقد قرأت جانباً من هذا الكتاب فأثلج صدري بحوثه التاريخية المركزة وأدهشني تمحيص المؤلف للوقائع والرجوع إلى عدد كبير من المخطوطات ومطبوعات للاستقاء منها .

والحق أن الكتاب تحفة تاريخية بذل المؤلف في سبيل إخراجها وطبعه جهوداً يشكر عليها ، والكتاب مكون من مجلدين في ٥٨٦ صفحة وهذا المجلدان يعتبران جزءاً أول من جزأين ثانيهما تحت الطبع وإني أتوجه بالتهنئة للمواطن العزيز الأستاذ المؤلف مع تمنياتي الطيبة وأرجو منه بذل المزيد من الجهد لسجله التاريخي ليسجله التاريخ في سجل من خلدومه .

هذا وقد كانت مقدمة الأستاذ حمد الجاسر مقدمة ممتازة وقد بذلت مطابع الرياض جهداً ملحوظاً في طبع الكتاب رغم وجود بعض الأخطاء المطبعية . وفق الله العاملين المخلصين لهذا الوطن العزيز ،

رسالة من الأديب الشاب حمد بن علي مسرحي

حضرة فخر الوطن المؤلف العملاق شاعر ومؤرخ الجنوب السيد / محمد بن أحمد عيسى العقيلي .

لقد توجت جيزان بتاج العلم والأدب وأحييت رسماً بلي واندثر، إنني

قبل أن أهنتك يجب أن أهنيء نفسي لأنك رفعت رأسي ورأس كل مواطن في هذا الخلاف الذي يدين لك بهذا العمل الخالد وانك لمن الخالدين بإنشاء الله مدى التاريخ وهنا كلمة لا بد أن أقولها ، أنت بحق نجم لاتنالك حشرات الأرض وان تسامت بالغرور ، أنت عملاق وما دونك أقزام وان أرادوا الخاق بكعبك تعثروا دون أدنى غايتك والسلام .

أخوك

حمد بن علي مسرحي

رسالة المواطن محمد الشامي - الطالب بجامعة القاهرة

الأستاذ الجليل السيد محمد أحمد عيسى العقيلي

تحية وسلاماً

لعل لا أنصفكم الحق إذا أشدت بفضلكم العظيم على منطقتنا فقط ولا على الجزيرة العربية بطولها وعرضها فحسب بل على المكتبة العربية التي تفتقر لمثل أبجائكم الجليلة ، ولعل كتاب « الخلاف السلياني » لأكبر شاهد وأوضح برهان على ما أقول بل وعلى سهركم المضي ومن حسن حظي أني قبل سفري للقاهرة وجدت في مكتبة شركة أرامكو نسختين من تاريخكم القيم فاستعرتها ولما كان لا بد من سفري للقاهرة لمواصلة الدراسة أعدتها . لقد أخبرني في القاهرة صديق يعني أن سفركم القيم « الخلاف السلياني » أو الجنوب في التاريخ يتخذ الآن كرجع هام وأن أحد الطلبة اليمنيين في ألمانيا الغربية اعتمد عليه بالدرجة الأولى كرجع مهم جداً في التحضير للدكتوراه عن تاريخ اليمن .

وهذه ولاشك شهادة بفضلكم من أحد أبناء العروبة من خارج المملكة فكيف بنا نحن أبناء جلدتكم ووطنكم لانعز بكم ونشيد بفضلكم وان التأخر عن ذلك يعد جحوداً وفقكم الله وأخذ بيدكم وتقبلوا أسمى آيات الاجلال والاحترام . .

محمد الشامي

من أهالي مدينة صيبا

ملخص رسالة الأخ سالم باهادون

حضرة الفاضل السيد / محمد بن أحمد العقيلي .

تحية وتقدير وبعد - لا أدري ماذا أسطر لك من المديح فأثّره في هذا
الطرس ، أم ماذا أنتقي من الشناء والتقدير فأخطه بقلمي في هذه الصفحة .

لقد تكرمتم فنحنتموني مؤلفكم العظيم عن جنوبنا المحبوب فأقول لقد
تجلت العبقرية في أجمل صورها وفي ثوبها الناصع .

لقد تكرمتم علي بما استثناني لتسطير هذه العجالة لأعبر لكم فيها عن
شعوري وإحساسي الطيب بشخصيتكم الكريمة مع الإعجاب والإكبار
لخدمتكم العلم والأدب ، وتقبلوا تحياتي ،

سالم عبد الله باهادون

ملخص رسالة علي حمود أبو طالب

من أدباء جازان

سيدى الأستاذ العلامة / محمد بن أحمد العقيلي

تحية واحترام

فوجئت أنكم بكل ما فيكم من علم وفضل لجدير بأن تظلوا علماء وأن
يحبكم كل مواطن جزءاً من حياته ، اعترافاً بما أسديتم للوطن من خدمات
في العلم والتاريخ أرجو الله أن يرعاكم ،



المؤلف (محمد بن أحمد العقيلي)

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين .

يتبادر إلى الأذهان - سؤال بسيط - هل التاريخ مادة فقدتُ نعمة الحياة ؟ أو هو مادة حية معنوية بتفاعله مع الماضي وبتأثيره في الحاضر ، وتحكمه - بإذن الله - في المستقبل .

إن ما كان من أحداث ذات بالٍ في ما قبل التاريخ أو بعده - نسبياً - في حثي ، ومصر ، وبابل ، وأشور ، ومِعين ، وسبأ ، في الأحقاب الخوالي والآماد المواضي بقي له بعضُ تأثيره في أحداث الحاضر ، وأفكار الأجيال ، نوعياً أو كيفياً .

إنَّ التاريخ شريط عَرَضٍ يستعرض أحداث الأزمان ، منذ عَرَفَ الإنسان أن يُسجِّل أحداثه أو يقيد تصرفاته البسيطة البدائية سواءً سجَّلها في نقش جدار كهف أو رسم في مغارة من قبل أن يعرف الكتابة .

أما بعد معرفته بالكتابة وتسجيل ما يَعْنُ له على الحَجَر ، فتلك قفزة راقية تَسَامَت بفكر الإنسان ونَمَتْ ذاكرة الأُمَم ، وجعلت للكلمة قُدْسِيَّتَهَا والمَقُول أهميَّتَهُ .

وعندما أصبح الرسم فناً وصناعة فقد أصبح للصورة أهميتها وإشراقها ، فمن منا إن قرأ سيرة ملك من قدماء ملوك مِصر ، أو بطل من أبطال اليونان أو الفينيقيين ، أو الرومان أو غيرهم ، لا يتوق

لرؤية صورته ، التي حفظت سماته وصوّرت ملامحه ، حتى يستكمل له الخبر والصورة .

ثم جاء دور الوثائق وأهميتها التاريخية ، بحيث أصبح كل تاريخ لا يكون مُستكمل التوثيق لأهم أحداثه وأروع حركته ، لانتكون له قيمته التاريخية والسياسية والأدبية وإذا كانت بخط أبطال الحركات وقادة الثورات ، ورجال الادارة ، ممن عايشوا الأحداث وشاركوا في النضال ، وباشروا الوقائع ، فذلك ما يرفد التاريخ بأوثق المصادر .

إنَّ التاريخ ينبغي أن يسير في مهجع الحقيقة ، بقدر ما يسجل الواقع ، وبما أنَّ الإنسان شعور وعواطف وميول ، يصعب في الأغلب الانعتاق من قيودها ، والانفلات من عقابيلها والتحرر من كبولها ، فعليه أن يتحرر بقدر الاستطاعة التخلي عن ميوله وعواطفه بقدر الإمكان .
وأن يكتب التاريخ لابلهجة علمية جافة ، تجعله بعيد الاستساغة ، بل يمزجه بقطرات من حلاوة الأدب ، ورونق الخيال ، في حدود تقرب جداً من الإنصاف .

وعلى المؤرخ أن ينفخ في كتابة تاريخه نبض الحياة ، فحياة الماضي زاخرة بارتعاشات الأفكار وخلجات الأرواح وحرارة الأحداث مع مزجه ببعض عنصر الجوهر الأدبي ، بحيث لاتطغى عليه وقدة حرارة التحمس العاطفي فتلوحه بوقود الهوى ، وشواظ الميول الشخصية أو القومية أو الإقليمية الضيقة ، أو الحزبية المفرطة ، وإذا كان الكمال مؤوزا ، فليحاول التحرر بقدر المستطاع .

وَلْيَكُنْ مُؤَايَمًا بَيْنَ مَنَهِجِ التَّارِيخِ الْوَاقِعِيِّ ، وَمَهَيِّعِ الطَّرِيقَةِ الْأَدَبِيَّةِ
الْمُؤَنَقَةِ بِقَدَرِ مَا يَضْفِي الطَّلَاوَةَ ، وَيَمْنَحُ الطَّرَاوَةَ ، لِتَلِينِ يَبُوسَةَ مَادَّةِ
التَّارِيخِ وَجَفَافَ أَسْلُوبِهِ .

إنه منذ عهد (هيرودوس) الذي هو أبو التاريخ ، ثم من تلاه
من مؤرخي اليونان فمروراً بمؤرخي الرومان ، ومن بعدهم من مؤرخي
النهضة إلى (جين) الذي فصل تأريخَ الامبراطورية الرومانية بعد
سقوطها بألفين وثلاث مئة سنة وإلى (كارليل) صاحب نظرية الأبطال ،
وإلى وقتنا الحاضر ، والتاريخ سجلٌ حافلٌ بمعاناة الإنسان ، وثوارت
الأزمان وفجائع الحروب ، وعثرات البشرية ، ونهضات الإنسانية
واكتشافاتها العلمية ، ورُقِيَّها الفكريُّ وحضارتها المتقدمة .

إنَّ ما سجلته في تاريخي هو تاريخ منطقة من مناطق المملكة
العربية السعودية مع الالتفات جنوباً وشمالاً إلى ما حولها تاريخياً
وسياسياً واجتماعياً ، حيث لا يمكن كتابة تاريخ منطقة إلا بكتابة
تاريخ ما حوَّلَهَا فتاريخ كُلِّ منطقة مرتبط بالوشائج بِما حولها
تاريخياً وإنسانياً .

فَتِهَامَةٌ هِيَ - تقريباً - ما يَمْتَدُّ من العقبة إلى عدن ، ذلك الشريط
الساحلي الذي تُشرف عليه سلسلةُ العمود الفقريِّ من الجبال الممتدة
من اليمن إلى طرطوس ، وقد وَرَدَ في نعوت الرسول ﷺ النَّبِيِّ
التَّهَامِي .

ويطلق على أجزائها (مجازاً) أسماء ما يجاورها من الناحية الشرقية ،
فيقال : تهامة الحجاز لما يوالي الحِجَاز إلى جنوب القنفذة ، ويُقال

لما يُوالي بلاد عسير تهامة عسير ، وهي من حلي بن يعقوب إلى الشرجة قديماً - المؤسّم حالياً - وهو ما كان يعرف بالمخلاف السليمانيّ سابقاً ، وبمنطقة جازان الآن ، ويقال لما يوالي اليمن تهامة اليمن .

والمخلاف السليمانيّ أو منطقة جازان - أشبه في وضعه الجغرافيّ بعُنقِ الرُّجاجة بين البحر الأحمر والمرتفعات الشرقية من سلسلة جبال السُّرّات ، أو العمود الفقريّ لشبه الجزيرة .

فهو صِلَةُ الوُصل بين الحجاز شمالاً واليمن جنوباً ، والطريقان الرئيسان التّاريخيّان قديماً وحديثاً ، الطريق الساحلي ، والطريق الأوسط من حَضْرَمَوْت عبر اليمن إلى الحجاز ، مثابة الحج ومهوى قلوب المسلمين - كما كان في القديم طريق التجارة العالمية الأسهل والأمن من طريق شرق الجزيرة : فحضرموت فبلاد البَحْرَيْن فالعراق .

وكانت قريش تسلكه في رحلة (الشتاء) إلى مشارق اليمن وإلى الحبشة عبر مضيق باب المندب - في الأعم الأغلب .



لقد نفذت الطبعة الأولى وطلب مني كثيراً إعادة طبعه ، وتحت الضغط والالاحاح قمت - بعد الاستعانة بالله تعالى - بدراسته مجدداً - ومن ثمّ تنقيحه ، وحذف ما ليس له علاقة بالتاريخ ، كالقسم الجغرافيّ الذي ضَمَمْتُهُ إلى كتاب خاص موسع باسم « المعجم الجغرافي » ، والقسم الخاص بالأدب الشعبيّ الذي أضفت إليه معلومات وموادّ جديدة في مؤلّف جديد باسم « الأدب الشعبي في الجنوب » وطبع في جزئين .

ولا أحب أن أصدع القارئ الكريم بما أضفته إلى هذا التاريخ من موادَّ جديدة قديمة من فصول قائمة بذاتها ، وحواشي وتعليقات من مصادر ، لم تكن تحت يدي وقت تأليف الكتاب آنفاً ، وما أمكن الحصول عليه من وثائق تاريخية يصعد تاريخ بعضها إلى ما يقارب مئتي سنة ، ووثائق خاصة بالعهد الإدريسي ومكاتبات وبرقيات تتعلق بتاريخنا الحاضر خاصة وجنوب الجزيرة عامة .

وقد زادت صفحات هذا الجزء بعد ذلك زيادة سيدر كلها القارئ عند المقارنة والله أسأل أن يجعل كتابي هذا من العلم النافع وان يوفقنا للخير والفلاح .

وختاماً أقدم خالص الشكر وجزيل الامتنان لعالم الجزيرة ، وأستاذ الجيل الشيخ حمد الجاسر صاحب (دار اليمامة للطبع والترجمة والنشر) الذي دائماً يتفضل بنشر كُتُبِي ، والعناية بمؤلفاتي ، ومنها القيام بنشر هذه الطبعة من كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » - أيضاً - كما سبق له أن قام بنشر الجزء الأول منه .

جازان ١٤٠٢ هـ

المؤلف

محمد بن أحمد العقيلي

مقدمة الطبعة الأولى

توفرت لدي مخطوطات تاريخية نادرة الوجود فاقتنصت فرصاً من أوقاتي شغلها بما أرجو أن يكون ذا فائدة . في تأليف هذا التاريخ عن قسم مهم من جنوب الجزيرة العربية ، التي هي على أهميتها لم أر لها تاريخاً مرتبطاً الحلقات ، متسلسل الحوادث ، راجياً أن أكون قد أسهمت في هذه النهضة المباركة والوعي المتقد في هذا الدور المهم من أدوار الأمة العربية الكريمة التي هي آخذة في إتمام بناء صرح الوحدة ، مما يبشر بزوغ فجر جديد وربط حاضرها المتوقد بماضيها المشرق المجيد . فالحاضر امتداد للماضي أو بالأحرى الماضي امتداد للحاضر ، أو الحاضر امتداد للمستقبل .

والأمة التي ترغب بناء صرح نهضتها على قواعد راسخة لا غنى لها من أن تستمد خبرتها وتجاربها لا من ماضيها فقط ، بل من اختبارات الأمم الأخرى وتجاربها وعبرها في أوسع مجال الاختبارات العالمية والفكر الإنساني .

والاتجاه الحديث لكتابة التاريخ يحتم الاستنباط العقلي في أوسع مجالات الفكر ليكون مع إثبات الحقائق التاريخية خير حافز لأسباب القوة وبناء الأمجاد وإحياء التراث القومي المشترك ، لتوحيد الغاية ، واستغلال الماضي في بعث الحياة ، وإيقاظ المشاعر وتوحيد الميول ، وإثارة الحوافز الدافعة نحو التقدم والسيادة ، والعمل على إزالة الفوارق بين طبقات الأمة الواحدة ، مما يصدع الوحدة ويبدد الطاقة في خلافات مذهبية أو حزازات قبلية تنخر جسم الأمة السليم ، وتوردها موارد التفرقة مما جاء الشرع لمحوه ودعا العقل لنبذه .

وقد قسمت بقدر الجهد هذا التاريخ إلى ثلاثة أجزاء : —

الجزءان الأولان في التاريخ السياسي والاجتماعي . والثالث في التاريخ الأدبي .

وها أنا أقدم الجزء الأول راجياً من الله العون على إتمام الجزءين الباقيين ليظهر قريباً .

تنبيه :

كنت قصدت بتأليفي هذا أن أدون ما وصل إليه علمي من تاريخ (المخلاف السليماني) ولكنني اضطررت لارتباط كثير من أخبار دول وحكومات نشأت في البلاد المجاورة له إلى الاستطراد بسرد أخبار تلك الدول والحكومات ، مما أرى القارئ بحاجة إلى استيعاب معرفته وهو في واقع الأمر جزء من تاريخ الأمة العربية بأسرها ، وتاريخ بلادها الواسعة .

والخير أردت . ولكل امرئ ما نوى ، وأملئ أن ألقى من إخواني أبناء الأمة العربية في الوطن العربي من التشجيع ما يدفعني إلى إنهاء الجزءين الباقيين . ولا يفوتني أن أسدي خالص الشكر والثناء للعالم الجليل ، والمحقق القدير السيد حمد الجاسر الذي بفضل تشجيعه ومساعدته تم إخراج هذا الجزء إلى حيز الوجود .

محمد بن أحمد عيسى العقيلي

جازان - ١٠ شعبان سنة ١٣٧٥

مقدمة الطبع

من أهداف مطابع الرياض^(١) :

تسهم « مطابع الرياض » بقدر طاقتها في نشر الكتب التي ترى في نشرها فائدة ، ولا تتقيد في سبيل نشرها بشيء من القيود ، غير أنها تقدم ما ترى الحاجة تدعو إلى تقديم طبعه من مؤلفات علماء هذه البلاد وأدبائها ، بغية تقوية الحركة الثقافية ، لكي تسير بلادنا غيرها في هذا الميدان الذي لا تزال متأخرة فيه عن كثير من الأقطار العربية .

ولقد قامت هذه المطابع — على حداثة عهد إنشائها — بطبع مجموعة طيبة من الكتب ليس من المبالغة وصفها بأنها أكبر مجموعة قامت بطبعها أية مطابع أخرى من مطابع هذه البلاد . وما كان القائمون على مطابع الرياض يودون تفضيل هذه المطابع في هذه الناحية — وإن كان التنافس في سبيل الخير من الأمور المحمودة — بل كانوا يريدون من المطابع الأخرى أن يكون أثرها في بلادنا ومؤازرة علمائنا وأدبائنا في طبع مؤلفاتهم النافعة أقوى أثراً مما قامت به مطابع حديثة قد تأخرت عنها عهداً وقوة ، ونعني بالمطابع الأخرى تلك المؤسسات الطباعية في جدة ومكة .

باكورة طيبة :

ولقد كان من باكورة ثمار هذه المطابع أن طبعت ونشرت كتباً متنوعة الأهداف والمقاصد منها :

١ — « كتاب أهداف العمران في المملكة العربية السعودية » تأليف الدكتور عمر حليق ، ولعله أول كتاب عالج الموضوعات الاقتصادية في بلادنا ، وحاول دراسة كثير من مشكلاتها بأسلوب علمي قوي مما دفع الإدارة الثقافية في جامعة اللول العربية إلى أن تقرر برقم ٤٩ / ٤ / ٢ ب ١٧ في ٥ / ١ / ١٩٥٧ (شراء كمية منه لتوزعه على المكتبات العامة ، وبعض

مكتبات المعاهد والمدارس في البلاد العربية ، تعمياً للفائدة المتوخاة منه ،
وتقديرأً منها لقيمة الكتاب .

٢- كتاب « شهر في دمشق » للأستاذ عبد الله بن خميس ويتضمن
وصف رحلة قام بها المؤلف إلى الشام ، وما شاهده في تلك البلاد من مظاهر
التقدم والنشاط الحيوي في مختلف ميادين الحياة ، وما قارنه بما عليه بلادنا
مقارنة يقصد بها حفز الهمم إلى الأخذ بأسباب التقدم .

٣- « في وادي عبقر وقصص أخرى » مجموعة من القصص القصيرة
كتبها الأستاذ خالد محمد خليفة يصور بها بعض أحوالنا الاجتماعية مبرزاً
ما فيها من عيوب بأسلوب فكاهي ساخر ، يحجب القراءة ، ويرغب فيها .

٤- « من أعلام الشعر النبطي » للأستاذ عمران بن محمد بن عمران
مجموعة من التراجم لشعراء إقليم البصرة قد تكون الأولى من نوعها من حيث
جمعها لتراجم عدد من شعراء هذا الإقليم القدماء وعرض نماذج من أشعارهم ،
وتحليلها .

٥- « شك وورد » للأستاذ الشاعر حسن بن عبد الله القرشي ، وهو
مجموعة من المقالات المتنوعة في الأدب ، من دراسات لبعض دواوين شعراء
العرب المعاصرين ، وآراء في بعض نواحي الحياة المختلفة ، وتقريظ ونقد
لمؤلفات أدبية مختلفة .

٦- « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » تأليف الأستاذ عبد الله
ابن خميس ، وهو أول دراسة شاملة للشعر الشعبي العامي من حيث
الأساليب والأغراض وإبراز ما لهذا الشعر من مميزات . وما فيه من صور
حية ، تعبر عن مختلف الإحساسات والمشاعر .

٧- وهناك مطبوعات أخرى غير أننا نكتفي بعرض أسماء هذه الكتب
التي قد توضح اتجاه هذه المطابع ، واختيارها ، فهي كتب - كما يتضح
لمن طالعها - تنسم بالجلدة في موضوعاتها ، وبصلتها الوثيقة بحياتنا .

هذا الكتاب :

وهذا كتاب ترى « مطابع الرياض » أنها بطبعه قد أحسنت صنعاً لا إلى الجزء الجنوبي من وطننا الحبيب ، الذي تضمن قسماً مهماً من تاريخه ، فحسب ، بل إلى كل عربي مثقف ، يدرك ضرورة معرفة كل جزء من أجزاء بلاده ، وكل ما يتعلق بهذه البلاد من الأمور التي تقوم عليها أسس الحياة فيها — في ماضيها أو حاضرها :

ومؤلف هذا الكتاب الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي (*) أحد شعرائنا النابهي القدر وكتابنا المعروفين ، وهو من الأفراد القليلين الذين لا يجود بهم كل زمان ، من حيث حب البحث والدأب ومواصلة العمل في التتقيب عن تاريخ هذه البلاد ، وتلوين ذلك التاريخ ، في عهد انصرف نظر نابتتنا الحديثة — بل جل مثقفي بلادنا — عن الاهتمام بعلم التاريخ انصرافاً مزرياً . وعناية الأستاذ المؤلف بهذا العلم ، وإقدامه على تأليف هذا الكتاب الضخم ، في وقت الانصراف والعزوف عن البحوث التاريخية ، يضاف إلى ذلك ما بذل من جهد في سبيل جمع مواد هذا المؤلف ، وترتيبها ، وهو جهد لا يقدره قدره إلا من عاني مثل هذا العمل — كل هذه أمور تحمل كل مثقف منصف أن ينظر إلى عمل الأستاذ العقيلي في تأليف هذا الكتاب نظرة تقدير وإعجاب ، وأن يقابل هذا العمل بالشكر ، فهو فضلاً عن كونه جهداً أدبياً طيباً — يعبر عن عاطفة وطنية كريمة يجب أن تغذى وأن تنمى ، وأن يؤخذ بيد من يتصف بها نحو الطريقة المثلى .

والكتاب يعد أولى المحاولات لتلوين تاريخ البلاد التي عني بتاريخها — بطريقة تغاير ما سار عليه كل من كتب التاريخ في هذا الجزء من بلادنا ، وهو من المحاولات الأولى في تلوين تاريخ بلادنا بطريقة حديثة . وأمر هذا شأنه عرضة لأن يعتوره القصور والنقص ، وليس من الإنصاف أن نطالب الأستاذ العقيلي بالكمال في عمله ، وأن ننظر إلى كتابه — وهو كما قلنا أولى المحاولات في طريقته — نظرنا إلى المؤلفات التي وجد مؤلفوها الطرق معبدة ،

(*) في كتاب « شعراء الجنوب » نبذة عن حياة المؤلف .

والوسائل متوفرة ، على أننا لا نغني الأستاذ المؤلف من تبعه النقص في مواضع كان في إمكانه تداركه فيها ، من حيث التبويب والترتيب والإيجاز في مواضع تستدعي الإسهاب ، والإسهاب في مواضع لا تستحق ذلك .

كنا نريد أن يكون القسم الأول في الجزء الأول من الكتاب أوفى وأدلى مما هما عليه ، وأن يوجز تاريخ الحكومات التي حكمت اليمن — فالمؤلفات التي عنيت بتدوين تاريخ هذا القطر العزيز من بلادنا كثيرة متداولة — بخلاف كل ما يتعلق بتاريخ (المخلاف السليماني) الذي ألف من أجله هذا الكتاب ، وما كنا نريد للأستاذ التوسع في الموضوع توسعاً يجعل من الصعب على الباحث أن يعتبر هذا الكتاب شاملاً لتاريخ (الجنوب العربي) الذي يقصد به جنوب جزيرة العرب بأسره ، بينما ، لا يجد الباحث فيه شيئاً من تاريخ جل هذا القسم من بلادنا (كعدن وحضرموت وعمان) على أننا نأمل — وهذا ما دفعنا إلى الإشارة إلى بعض مواضع النقص — أن يتدارك المؤلف ذلك في الطبعة الثانية .

وكنا نود أن لو خرج الكتاب بصورة خير من الصورة التي خرج بها من حيث جودة الطبع وقلة (التطبيع) غير أن عدم إشراف الأستاذ المؤلف على التصحيح ، ورداءة كتابة الأصل ونموض كثير من الكلمات التي تبدو في الغالب غريبة على المصححين ، وعدم قيامي بما ناط بي المؤلف من أمر التصحيح بسبب اشتغالي في أعمال أخرى اشتغالا منغني من عمل — كنت ولا أزال — أعتبره من أحب الأعمال إلى نفسي ، وحدائث لإنشاء مطابع الرياض ، وعدم استكمالها وسائل الطباعة الحديثة — كل هذه الأمور حالت دون إخراج الكتاب بصورة مرضية من جميع النواحي .

ولن يمنع هذا — كل منصف — أن يذكر لمطابع الرياض فضلها ، وأن يشكر فعلها ، في سبيل نشر هذا الكتاب وأمثاله من الكتب النافعة .

الفصل الأول

جنوب الجزيرة

هو الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، يعرف في الكتب القديمة بالعربية السعيدة ، وكانوا يطلقون ذلك التعريف على البلاد الواقعة بين (خليج العرب) والبحر العربي جنوباً والبحر الأحمر غرباً .

وسكانه عرب خلص أغلبهم (قحطانيون) والعربيُّ عَرَبِيٌّ قبل كل شيء ، فالعروبة هي عنصره الأول ، ومنتهى انتسابه الاسمي ، والإسلام دينه القويم ، ومنتهى سؤدده ، به تكونت وحدته ، وعلى هديهِ استنارت أمتُهُ وتكوّنَ تراثُهُ المشترك ، وأمجادهُ الخالدة ، وفتوحاته العظيمة ، وخفقت راياته السَّمَاءُ على مملكتي أكبر امبراطوريتين عرفهما العالم في تاريخه القديم

قبل الإسلام :

ينسب غالب عرب جنوب الجزيرة كما أسلفنا إلى (قحطان) ومنه تفرعت أصول غالب سكانه وتشعبت قبائله ، وكان في العصور السحيقة الموغلة في القدم يتولّى السلطة القبلية أقوى شخصية فيها وتكون سلطته لا تتجاوز نطاق العشيرة أو القبيلة الواحدة ، فإذا ما نجح في غارة موفقة على قبيلة أخرى ، أو قرية أصبح رئيس (مَحْفِد) والمَحْفِد عبارة عن عدد من القرى في السهول ، أو عدد من القصور في الجبال ، وكان الرؤساء يعيشون في تلك المحافد تحفُّ بكل رئيس قرابته وأهل بيته ، الذي يستمد من عصبيتهم حمايته وبَسْطَ نفوذه وقُوَّةَ تسلُّطِهِ ، ووراءهم في الترتيب الأقرب من قبيلته ، ثم المحالفون لتلك القبيلة ، وغالباً ما يكونون ممن ليس لهم عصبية قوية ، فينضمون إلى عشيرة ذلك الشيخ أو الرئيس ، كما يقتضيه العرف القبلي ويكادون يكونون عادة في الدرجة الثانية بالنسبة إلى القبيلة الأصلية ، ومن ورائهم الخدم وأصحاب المهن ، ومن يقومون بخدمة

مرافق المجتمع ، وهم عادة ممن غلبوا على أمرهم ، ومن ألفوا الدعة والحمول والخنوع والسلامة من الحرب ، ومن الغارات المحفوفة بالمخاطر ، ومع تمادي الاجيال أصبحوا في آخر طبقات ذلك المجتمع القبلي . ومن ذلك المجتمع الأول نشأ — كما نخاله — تفاوت الطبقات ، فقد ورد في تاريخ اليمن القديم أن هناك مدناً يطلق عليها اسم (هجر) واحدها (هجره) كان يسكن حولها الموالي ، وينسبون إلى الأشراف من عشائرها الرئيسة بالولاء — كما ورد في النقوش والكتابات الأثرية كأدم بني (مرثد) وأدم (بني جدن) أي التابعين لبني جدن والتابعين لبني مرثد .

الألقاب :

وكان يطلق على الرئيس لقب (ذو) مضافاً إلى اسم المحفد ، فيقال (ذو غمدان) و (ذو رعين) وتعرف هذه الطبقة من الرؤساء بالاذواء ، فإذا ما نبغ ذو مواهب حربية من رؤساء المحفد ، واستطاع بشجاعته أو تفوقه العقلي أن يبسط سلطانه على عدة محفد أطلق عليه لقب (قَيْل) واندماجت تلك المحفد تحت سلطته باسم (مخلاف) .

وكان (الأذواء) و (الأقبال) يُورثون تلك الألقاب أبناءهم ويطلق على أسرهم لقب الأشراف أو النبلاء بالمصطلح المتعارف عليه في العصر الحاضر .

ومن أسر أولئك الحاكمين مع تعاقب الأجيال تكونت تلك الطبقة التي اعتبرت نفسها بمنزلة أسمى من مجموعة السكان ، ثم اتخذت أقوى كل الأسر لنفسها لقب (مكرب) الذي كان في ابتداء الأمر يطلق على (سادن) آلهتهم حتى إذا تغلغل سلطان تلك الآلهة في قلوب متعبيها على طريقتهم الوثنية اعتلت منزلة تلك السدانة المقصورة على تلك الأسرة وانقلبت إلى ملكية تستمد نفوذها وسلطانها من صميم حقوق تلك الآلهة المزعومة ، وأضحى المكرب هو الملك وسادت القوارق ، وتكون نظام الطبقات ،

ومع تمادى الأجيال أمست عادةً وعرفاً متوارثاً تحتمة التقاليد ، ويفرضه العرف .

وهذه التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة أكبر العوائق في سبيل تقدمها الحقيقي مما جاء الدينُ الحنيف والشرعية السمحةُ لحوه : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ) فشرع المساواة والأخوة في الدين ، ومحو ذلك العرف البدائي القبلي ، الذي لا يعيش في مجتمع ضالّح يهدف إلى إعلاء دين ، وتكوين أمةٍ وبناء وحدةٍ .

أشهر الحكومات في العهد القديم

إن من أشهر الحكومات القديمة في جنوب الجزيرة هي (حكومة أو مملكة معين) التي قامت على تقدير بعض الباحثين حوالي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وتسمت باسم عاصمتها القديمة (معين) ثم انتقلت إلى عاصمتها الثانية (القرنا) وموقع تلك الحكومة (الجوف) بين حضرموت ونجران وهي أرض منبسطة خصبة التربة ^(١) .

ويستدل بعض الباحثين من أسماء ملوكهم وأسماء آلهتهم ونظامهم السياسي والاجتماعي أن أصلهم من (العمالة) بلو والآرميين الذين كانوا في أعلا الجزيرة قبل ظهور دولة (حمورابي) في العراق بعدة قرون ، وقد يكون المعينين اقتبسوا تلك الحضارة من العمالة بحكم الاتصال التجاري أو الهجرات التي تقذف أمواجها الجزيرة ، ثم عادوا إلى وطنهم وقد اقتبسوا الكثير فكان نواة لمعارفهم وحضارتهم الزاهرة .

وعلى كل ، فقد أنشأ المعينيون حضارة جعلتهم في القمة بين سكان الجزيرة في عصرهم ، ورفعهم رقيهم وتفوقهم الأدبي والتجاري على القبائل

أول مستشرق عني بالبحث عن الآثار اليمنية هو العالم الألماني (ميخائيلس) المتوفى سنة ١٧٩٧ م ثم حصل الضابط الإنجليزي (ولستيد) wellsted على كتابة حميرية نالت إهتمام علماء الآثار وأعيانهم حلها حتى تمكنوا بعد كل جهد إلى ذلك بعد عدة أعوام ، وجد الرحالة (هوتن) T.G.Hutten نقوشاً أثرية أخرى في عام ١٨٣٥ م .

المجاورة فبسطوا سلطانهم وملوا ظل سيادتهم على قسم من الجزيرة العربية فاحتكروا التجارة ونظموا الإدارة ومهلوا طرق المواصلات وشادوا المعابد وبنوا الهياكل وضربوا المسكوكات ، وافتنوا في وسائل الترف والحضارة واقتبسوا الأبجدية (الفينيقية) لسهولة التي احتاجوا إليها لضبط حساب تجارتهم واقتصادياتهم وتلوين معارفهم ثم مع توالي الأجيال تحولت إلى (المسند) الخط المعروف .

لم تكن (معين) معروفة في المؤلفات العربية وإنما عرفت بصفحتها محافد من جملة المحافد حتى (الهمداني) نفسه لم يعرف عن تلك الدولة شيئاً ، بل ذكر جملة من مواقعها في (الجوف) كمدينة (معين) و (نشق) و (براقش) بدون علم وإلمام عن تاريخها الموغل في القدم .

وأقدم من ذكرها من الكتاب (الكلاسيكيين) هو (ديودورس الصقلي) ، حوالي سنة ٤٠ قبل الميلاد .

أما في العصر الحديث فقد اكتشفها السياح المستشرقون وفي مقدمتهم (يوسف هاليفي) و (إدوارد كلاسر) و (أويتنك) .

أما مكتشف أطلال مدينة (معين) فهو المستشرق (يوسف هاليفي) المتقدم ذكره في أثناء ارتياده بلاد الجوف ، فقد عثر على أطلالها ، وقرأ اسمها مكتوباً على بابها (بالخط المسند) وحصل كتابات أثرية معينة (سميت باسمه) وهي (٧٠٠ نقشاً) :

٨٠ من أطلال مدينة معين .

١٥٥ من أطلال مدينة (يثل) .

٤٦٥ من أطلال مدن القرنا . براقش . السوداء .

كما عثر الضابط البريطاني « كروتندن » في صنعاء على كتابات حميرية ظنها من خرائب مأرب في عام ١٨٣٨ .

أما « الفرنسيون » فأول من اعتنى منهم بالبحث فهو المسيو « أرنو »

فقد دفعه حبه للبحث إلى دخول « اليمن » عام ١٨٤٣ م وعاد معه ٥٦ نقشا من صنعاء والخريبة وقد حل رموزها المستشرق « أوسياندر » عام ١٨٤٥ وعقب ذلك انتدبت وزارة المعارف الفرنسية المستشرق « يوسف هاليني » عام ١٨٦٩ فدخل اليمن وبلغ مأرب وعاد به ٧٠٠ نقش فتفوق بذلك على كل من سبقه .

ثم دخل إلى اليمن المستشرق الألماني « كلاسر » غير مرة ونقل منه كتابات أثرية منها ما هو ذو قيمة تاريخية وعقب ذلك ارتاده غيرهم مثل النمساوي « لنكر سيكفريد » Langer Siegfried الذي تمكن من تصوير بعض النقوش ونقل بعض الكتابات سنة ١٨٨٢ وقتل في اليمن ثم قام إدوارد كلاسر النمساوي بأربع رحلات الأولى عام ١٨٨٢ والثانية عام ١٨٨٥ والثالثة عام ١٨٨٧ والرابعة عام ١٨٩٠ واقتفاه غير واحد من الرواد المعروفين .

فقرأ أسماء الكثير من مدنها وملوكها وبعض نظمها ، وقد بلغ عدد من عثر على أسمائهم من ملوكها ٢٦ ملكاً ومن اكتشاف (يوسف هاليني) وغيره من الرواد ، اتضح أسماء ملوكهم وإن لم يتفقوا على مجموع عددهم وترتيب أزمانهم ، وأن دولة (معين) كانت حكومة ملكية ، وأنها حكومة مدن ، كل مدينة منها حكومة مصغرة لها آلهتها ومعابدها الخاصة بها وعلى رأس كل مدينة ممثل للملك ، يلقب (بكبير) للتوجيه ، وتنسيق السياسة العليا للدولة ، أما الإدارة المحلية فيقرر أمورها ويدير شؤونها ، مجلس المدينة المؤلف من طبقة (الأشراف) ويطلق على المجلس اسم (مسود) وظهر أن دولتها دولة تجارية لا دولة حرب وفتح وإن إيراداتها العامة من الضرائب الآتية :

- ١ - ضرائب عامة لخزينة الدولة أو بالأصح خزينة (الملك) .
- ٢ - ضرائب تجبي باسم المعابد من الرعية ومن النذور وغيرها .
- ٣ - ضرائب إضافية للمشاخ والحكام الإقليميين تجبي من سواد الشعب .

ديانتهم :

كان لشعب معين (آلهة) يتعبدون لها وفي كل مدينة معابدها وهياكلها ولكل معبد كهنته وسدنته ينظمون الطقوس ويقومون بدور الوسطاء بين الشعب الساذج والآلهة الصماء ، ويقبضون الهبات ، والنذور تؤلف أكبر قسم من إيرادات المعابد . فإذا نذر شخص للآلهة أصبح ديناً عليه يقوم المعبد بتقاضيته منه واستحصاله ومن أشهر آلهتهم (عثر ذو قبضم) أي ذو قبض ، وقد تلاشت في دولة (سبأ) ، في القرن الثامن قبل الميلاد ؟..

ملكة قنبان

ملكة عربية موقعها على وجه التقريب في الجنوب الغربي على ساحل (تهامة) وقد امتدت إلى باب (المندب) وعاصرت حكومة (معين) وقد أورد ذكرها بعض الكتاب (الكلاسيكيين) مثل (ثيوفراستس) وغيره حوالي سنة ٣١٢ قبل الميلاد وقد اندمجت بعد ذلك في حكومة (سبأ وريدان) .

نظامها ملكي وراثي ويدير شؤونها ونواب وشيوخ يطلق عليهم لقب (كبير) وفي كل مدينة مجلس يوكل إليه مهمة إدارتها ويطلق عليها اسم (مسود) ومن مهمته تقنين القوانين وتقرير الضرائب وكان لهم تشريع عام يحدد تقرير العقوبات في شتى الجرائم وينظم العلاقات الاجتماعية والتجارية .

وكانت لهم مسكوكات (نقود) عليها صورة رجل واسم الملك والمدينة التي ضربت فيها تلك (السكة) وهي مدينة (حريب) وقد حقق بعض المستشرقين موقع تلك المدينة شرق شمال مدينة صنعاء بمسافة ٥٥ كيلا ويعد وادي بيحان من صميم بلاد (قنبان) .

الدولة السبئية

ورد ذكر سبأ في القرآن الكريم ، وعرضت المؤلفات العربية لشيء من أخبارها .

يقدر الباحثون من المستشرقين أن مبتدأ قيام تلك الدولة في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد مرت بعدة أدوار من الأدوار المشار إليها قبل ، في

مبتدأ هذا البحث حتى توصلت إلى تكوين دولتها ، وقد مرت بعد تكوينها بثلاثة أدوار .

١ - الدور الأول أو دور الطبقة الأولى من ملوكها الذين تلقبوا بلقب (مكرب سبأ) ومدته حوالي ٧٠٠ سنة .

٢ - الدور الثاني دور الطبقة الثانية من ملوكها الذين تلقبوا بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) ويبدأ من سنة ١١٥ قبل الميلاد إلى ٢٧٥ بعد الميلاد .

٣ - الدور الثالث دور الطبقة الثالثة الذين تلقبوا بلقب (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في الجبال وتهامة) وينتهي في عام ٥٢٥ ميلادية بأيام (ذي نواس الحميري) وهذا الدور الأخير هو العهد الحميري . ووصفت في التوراة بتصديرها اللبان والطيوب والأحجار الكريمة والذهب ؛ وورد ذكرها في المؤلفات اليونانية والرومانية .

ديانتهم :

ديانة السبئيين الوثنية ، واسم آلهتهم في الدور الأول (المقة) والمكرب في هذا العهد هو الكاهن أو السادن الأول لتلك الآلهة ، وبعده نصبوا لهم آلهة جديدة تسمى « تألب ريام » وكانت لهم طقوسهم ومعابدهم يتقربون بها إلى تلك الآلهة الحجرية ، ويهبون لمعابدها الهبات وينذرون لها النذور ويتقربون إليها بإقامة المعابد وإشادة الهياكل ويستمدون منها النصر في حروبهم لا من الله جل وعلا .

حالتهم الاجتماعية :

كان الشعب مقسماً إلى ثلاث طبقات : -

١ - طبقة الأشراف : ومنهم حماة الأمن وحملة السلاح وحراس القوافل التجارية والحاشية الملكية وحرس الملك ورجال الحكومة .

٢ - الزراعة : ومن أعمالهم فلاحة الأراضي وحفر القنوات والترع وبناء السلود وغرس الحدائق .

٣- التجار وأرباب الحرف والعمال .
ولكل طبقة مستواها المخلود الذي لا تتعدها .

حضارتهم :

سادت حضارة زاهرة في جنوب الجزيرة لا تقل عن أعظم الحضارات القديمة رقياً وتمديناً فقد أتقنوا الخط والحساب لتدوين حضارتهم وتسجيل أحداثهم التاريخية وضبط تجارتهم وعرفوا هندسة المباني وعلم الفلاحة فشادوا القصور وأقاموا السلود وحفروا الترع وغرسوا الحدائق وبنوا المعابد الفخمة والهياكل العظيمة واستخرجوا المعادن والأحجار الكريمة وألوا بغير ذلك من الصباغة ونسج البرود وتركيب الطيُوب ومعرفة طرق المواصلات فقادوا القوافل التجارية والسفن الشراعية واتصلوا بغيرهم من الأمم وأنشأوا معهم العلاقات السياسية والتجارية ، وكان ملوكهم يستعملون في تنقلاتهم عربات تجرها الخيول ، والفيلة ، ويتحلون بالأساور الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة ويستعملون آنية من الذهب والفضة ويرتلون منسوجات من الحرير المخطط بأسلاك دقيقة من الذهب والفضة .

وقد تغلب الحميريون على دولة سبأ وبنوا على أنقاضها الدولة الحميرية التي هي الطبقة الثالثة في هذا البحث التي عرف ملوكها بملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في الجبال وتهامة ، وانتهت كما مر بأيام ذي نواس في عام ٥٢٥ ميلادية .

غزو الحبشة

العلاقات بين جنوب الجزيرة والحبشة قديمة ، قدمهما في التاريخ ، لقرب بلادهما اللتين لا يفصلهما إلا مضيق باب (المندب) وقد أغرت خيرات ذلك الجزء من البلاد العربية وازدهار حضارته (الأحباش) بغزوها غير مرة كما يأتي :

١ - غزا الأحباش اليمن في القرن الثاني الميلادي واستولوا عليها فطردهم (الحميريون) .

٢- وفي القرن الرابع تمكن الأحباش من فتح (اليمن) بعد معارك طاحنة واستولوا عليه نحو عشرين عاماً ثم تمكن (الحميريون) من طردهم عام ٣٧٤ م .

٣- أما الغزو الثالث وهو موضوع البحث فقد كان في عام ٥٢٥ م وخلاصته أن (ذي نواس) المتقدم ذكره آخر ملوك (الطبقة الثالثة) غزا (نجران) التي انتشرت (النصرانية) في أنحاء فاستولى عليها عنوة وكان ذو نواس قد اعتنق (اليهودية) وأخذ في العمل على نشرها ، فعرض على النحرانيين اعتناق (اليهودية) فامتنعوا فدفعه تعصبه إلى وضعهم في الأخلود وشب عليهم النيران وهدم (بيعتهم) ففر من نجا منهم إلى (قيصر الروم) فكتب لهم كتاباً إلى النجاشي ملك الحبشة - الذي يدين مثله بالنصرانية وتربطه به علاقات سياسية - يحثه على غزو (اليمن) .

بعث (النجاشي) جيشاً مؤلفاً - كما يقال - من سبعين ألف مقاتل بقيادة (ارياط) فاستولوا عليها ٧٤ عاماً عملوا في خلالها جاهدين على نشر النصرانية ومن أجل ذلك أرادوا هدم (الكعبة) فأهلك الله جموعهم وأرسل عليهم (طبراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل) فعادت فلوهم إلى صنعاء وظلوا بها إلى أن أخرجهم (الفرس) الذين استنجد بهم أحد الأمراء المسمى (سيف بن ذي يزن) واستطاع بمساعدتهم طرد الأحباش ، وسام من بقي منهم الذل وفرض عليهم العبودية ، وسخرهم في أحط الأعمال وأحقرها نكابة في إذلالهم ويقال : إن الطبقة المعروفة في (اليمن) بالخدّام ، والذين إلى الآن يمتنون (حمل الأشياء ونقل المؤن) على ظهورهم ويخدمون في مرافق الشعب ، هم من بقايا تلك الفلول الحبشية ، والحقيقة أنهم سود البشرة في ألوان سكان أفريقيا محتفظين بطابعهم الأول في اللون ، وهم لا يخالطون غيرهم فتجدهم في كل محل منعزلين في حي خارج كل مدينة قد فرض عليهم العرف عدم الاختلاط مع السكان يتزوجون من جنسهم مما جعل الاحتفاظ بلونهم الأصلي باقياً بالرغم من مرور أربعة عشر قرناً على نزوحهم الأول .

وقد قتل سيف بن ذي يزن على يد بعض حراسه فحكم (الفرس) اليمن مباشرة حتى ظهر الإسلام .

عند ظهور الإسلام

بعث النبي الكريم ﷺ وأغلب جنوب الجزيرة تحت نير (الحكم الفارسي) بيد أن حكمهم بعد مصرع (كسرى أبرويز) سنة ٦٢٨ م ضعف نفوذه وفلت سطوته فظل نائبهم في (صنعاء) مشلول الإرادة أمام الإقطاعيات القوية التي تساندها عصبياؤها العتيدة بل إن الطبقة الارستقراطية (من الأبناء) وهم المولودون في اليمن من أصل فارسي قد دب بينهم التنازع والشقاق واختلفت كلمتهم وتفرقت آراؤهم وهم معين القوة التي تستمد منها الطبقة المحاربة ضد سكان البلاد وأهلها الشرعيين ، فنتج من وراء ذلك أن تركت المقاطعات تحكم نفسها تحت زعامة رؤساء العشائر القوية وانفرد كل رئيس بسلطة قومه وإدارة شؤون قبيلته وقد غلت الدماء العربية إباءاً وانفة من الحكم الفارسي الدخيل وراح ذوو الرأي يتطلعون إلى بارقة أمل تضيء السبيل إلى التحرر والتخلص من نير أولئك الدخلاء الأجانب الذين غزوا (اليمن) بجيوشهم وفساد مدنياتهم التي قد تردت في آخر مراحل الانحلال ونجم عن سوء إدارتهم أولاً وضعف سلطتهم آخرأ ، أكبر عوامل الفوضى والاضطراب والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي .

في ذلك الأفق الملمح أشرقت شمس الإسلام بأنوارها الساطعة فأقبلت قبائل الجنوب العربي إلى مطلع مشرق الهدى تعلن إسلامها ، وكانت السنة العاشرة للهجرة سنة الوفود من سائر أنحاء (الجزيرة) ومن جملتهم :

- ١- وفد كندة برئاسة الأشعث بن قيس .
- ٢- وفد الشحر ، أو ساحل حضرموت برئاسة وائل بن حجر .
- ٣- وفد حمير برئاسة الحارث بن كلال .
- ٤- وفد همدان .
- ٥- وفد المعافر .
- ٦- وفد الأشاعرة على رأس أبي موسى الأشعري .
- ٧- وفد بلاد حكم على رأس عبد الجلد الحكمي .

فأسلموا واعتنقوا الدين الحنيف ، فبعث النبي ﷺ معهم عماله وهم :

- ١ - الطاهر بن ابي هالة ، على جهة عك من تهامة .
- ٢ - خالد بن سعيد بن العاص ، ما بين وادي زبيد ونجران .
- ٣ - يعلي بن أمية ، الجند .
- ٤ - فيروز الديلمي ، صنعاء .
- ٥ - معاذ بن جبل ، يتنقل في جميع جهات أولئك العمال لتعليم القرآن وتفقيه الدين .

في خلافة أبي بكر الصديق :

بعد وفاة الرسول الكريم ارتد أكثر عرب الجزيرة فبعث الخليفة الأول البعوث لإعادتهم إلى حظيرة الدين ومنهم :

- ١ - المهاجر بن أمية ، لحرب الأسود العنسي بصنعاء .
- ٢ - زياد بن ليلى ، لحضر موت .
- ٣ - أبو موسى الأشعري ، لزبيد ورمع .
- ٤ - يعلي بن أمية ، لحولان .
- ٥ - معاذ بن جبل ، للجند .
- ٦ - سويد بن مقرن ، لتهامة .
- ٧ - جرير البجلي ، لنجران .
- ٨ - عبد الله بن ثور ، لجرش .
- ٩ - عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، على أبين .

في خلافة الفاروق :

أقر الفاروق أولئك العمال على أعمالهم إلا يعلي بن أمية فقد عزله مرتين ، ويظهر أنه عزله أولاً عن ولاية صنعاء وولاه حولان ثم عزله عن عمالة حولان

في خلافة عثمان بن عفان :

توفي الفاروق في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ وخلفه عثمان فأعاد يعلي بن أمية إلى عمله وأقر باقي العمال على أعمالهم .

في خلافة علي بن أبي طالب :

في السنة الأولى من خلافته أي سنة ٣٦ هـ أرسل :

١ — عبيد الله بن عباس ، لصنعاء وأعمالها .

٢ — سعيد بن سعد بن عبادة ، للجند وأعمالها .

ففر يعلي بن أمية وابن أبي ربيعة إلى مكة على خوف ووجل ، فظل عبيد الله بن العباس على صنعاء ويحج بالناس إلى آخر أيام علي وهي السنة التي اقتحم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة اليمن ودخل صنعاء فلما علم عبيد الله بدنو الجيش استخلف على عمله عمر بن أراكة الثقفي وسار إلى علي وترك طفليه عند أم سعيد البرزخية فدخل بسر بن أرطاة صنعاء ، وقتل الطفلين وعمر ابن أراكة وجماعة من الأبناء وسار إلى عدن .

علم الإمام علي فجهز أنلي فارس بقيادة جارية بن قدامة إلى اليمن ، فانسحب ابن أرطاة فدخل جارية صنعاء وقتل من قدر عليه من أصحابه ومن شايعه وعاد إلى مكة فبلغه قتل علي وهو بها في رمضان عام ٤٠ هـ .

في خلافة معاوية :

استعمل على صنعاء عثمان بن عثمان الثقفي ثم عزله وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان وجمع له ولايتي صنعاء والجند ، ويقال : إنه عزله بفروز الفارسي الذي توفي بعد تسعة أشهر من ولايته ، فاستعمل الضحاك بن فيروز فلم يزل على ولايته إلى أن توفي معاوية فأخذ البيعة ليزيد .

في خلافة يزيد بن معاوية :

استعمل يحيى بن ريشان الحميري على ولايتي صنعاء والجند إلى أن توفي في سنة ٦٤ هـ .

في خلافة عبد الله بن الزبير :

استعمل الضحاك بن فيروز — السابق ذكره — سنة واحدة ثم عزله بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مدة وأبدل بعبد الله بن المطلب ابن أبي وداعة السهمي سنة وثمانية أشهر وعزله بأخيه وداعة ، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير خمسة أشهر ثم عزله بحسن بن عبد الله واستعمل بعده قيس ابن يزيد السعدي التيمي عشرة أشهر واستعمل غيره وبعدها قتل ابن الزبير كما هو معروف في عام ٧٢ هـ .

في خلافة عبد الملك بن مروان :

بعد قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير أسند إليه عبد الملك ولاية الحجاز واليمن فاستعمل على اليمن :

١ — أخاه محمد بن يوسف الثقفي على صنعاء .

٢ — الحكم بن أيوب على حضرموت .

٣ — واقد بن سلمة الثقفي على الجند .

فظلوا على ولاياتهم ثم عزل الأخير وضم ولايته إلى أخيه فجمع له ولاية صنعاء والجند إلى أن أدركته الوفاة في سنة ٨٦ هـ فأناوب الحجاج على ولايته أيوب بن يحيى الثقفي .

في خلافة سليمان بن عبد الملك :

عزل سليمان بن أيوب يحيى الثقفي ، عن اليمن وولى عليه عروة بن محمد السعدي .

في خلافة عمر بن عبد العزيز :

توفي سليمان بن عبد الملك عام ٩٩ هـ وخلفه عمر فأقر عروة على عمله واستقضى معه وهب بن منبه على صنعاء .

في خلافة يزيد بن عبد الملك :

تولى الخلافة عام ١٠١ هـ فاستعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبي .

في خلافة هشام :

تولى الخلافة عام ١٠٥ هـ فأقر مسعوداً على الولاية سنة واحدة عزله بعدها بيوسف بن عمر الثقفي وجمع له ولاية جميع مخاليف اليمن واستقضى معه الغطريف بن الضحاك بن فيروز فظل يوسف على ولايته ثلاثة عشر عاماً إلى أن صدر أمر هشام بولاية العراق فأناوب على اليمن ابنه الصلت إلى أن توفي هشام عام ١٢٥ هـ .

في خلافة الوليد بن يزيد :

استعمل على صنعاء في سنة ١٢٥ هـ مروان بن محمد بن يوسف الثقفي فظل على ولايتها إلى أن قتل الوليد في عام ١٣٦ هـ .

في خلافة يزيد بن الوليد :

استعمل الضحاك بن وائل السكسكي واستقضى معه يحيى بن شراحيل ابن أبرهة .

في خلافة مروان بن محمد :

استعمل مروان على صنعاء القاسم بن عمر الثقفي وفي أيامه ثار عبد الله ابن يحيى الحضرمي وقصد صنعاء وهزم الوالي الأموي وقتل ابن أخيه الصلت ابن يوسف ، وتغلب الثائر على حضرموت واليمن وغيره سنة وأربعة أشهر كما استولى عليه بعده أبو حمزة - الثائر المعروف - وتقدم إلى مكة والمدينة فبعث إليه مروان جموع أهل الشام بقيادة عبد الملك السعدي الذي التقى به في وادي القرى فأوقع به وتعقبه إلى بيشة ثم إلى اليمن وحضرموت ، فوافاه كتاب مروان بولاية الموسم فصالح القوم وسار في ركب قليل فلما بلغ الجوف قتل هناك فبعث مروان الوليد بن عروة بن محمد على اليمن فلم يزل على ولايتها إلى أن قتل مروان عام ١٣٢ هـ .

العهد العباسي

في عهد الخليفة العباسي الأول السفاح استعمل على الحجاز واليمن عمه داود بن علي فأناوب داود على اليمن عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وهو أول نائب لبني العباس فأقام في صنعاء وبوب جامعها ، ولم يكن له باب من قبل ، وبعد خمسة أشهر أدركت داود الوفاة فبعث السفاح محمد بن يزيد بن عبد الممدان الحارثي فقدمها لسبع بقين من رجب سنة ١٣٣ هـ وبعث أخاً له على عدن فساعت سيرتهما فأدركتهما الوفاة في يوم واحد فأرسل السفاح مكانهما عبد الله بن مالك الحارثي فكث أربعة أشهر وعزله بيعلي بن الربيع الحارثي فبقي في ولاية اليمن أربع سنين وأشهر

في خلافة المنصور :

استعمل المنصور عبد الله بن الربيع الحارثي ثم عزله بمعن بن زائدة الشيباني في ربيع الأول عام ١٤٠ هـ ، وفي تلك السنة تناثرت الشهب من أول الليل إلى آخره ويقال أنه شفي في تلك الليلة كثير من المجانين .

ظل معن على ولايته ست سنوات وبعث ابن عمه سليمان إلى المعافر فقتل فأحرق معن القرية التي قتل بها وقتل من أهلها نحو ألف شخص ومن حضر موت نحو خمسة عشر ألفاً ثم رجع إلى صنعاء فصدر إليه أمر المنصور بالسير إليه وأن يستخلف عليه ابنه زائدة ففعل فظل ابنه في نيابته ثلاث سنوات حتى عزل بالحجاج بن منصور ثم عزل الأخير بيزيد بن منصور الحميري سنة ١٥٤ هـ الذي ظل على الولاية إلى أن توفي المنصور في ذي الحجة عام ١٥٨ هـ .

في خلافة المهدي :

أقر المهدي يزيد بن منصور ثم أمره أن يحج بالناس فاستخلف عبد الخالق ابن محمد الشهابي وتوجه إلى الحج فتوفي بعد خمسة وسبعين يوماً من خروجه فاستعمل الخليفة بدلا عنه رجاء بن حيوة الجذامي ثلاثة عشر شهراً وعزله بعلي بن سليمان بن علي العباسي فقدم صنعاء في المحرم سنة ١٦١ هـ وأقام بها

سنة وخمسة أشهر ثم سار إلى العراق واستخلف رجلاً يسمى واسع بن عصمة إلى أن عزله المهدي بعبد الله بن سليمان العباسي الذي قدم صنعاء سنة ١٦٥ هـ ومكث على عمله سنة وعزل بعبد الله بن سليمان النوفلي فظل هذا في الولاية سنة وعشرة أشهر حتى عزل بسليمان بن يزيد الحارثي الذي ظل على ولاية اليمن في بقية أيام المهدي وعهد الهادي التي لا تتجاوز السنة الواحدة .

في خلافة هارون الرشيد :

استعمل على اليمن عبد الله بن مصعب الزبيري ثم عزله بغيره ثم استعمل بدلاً عنه محمد بن خالد بن برمك الذي استخرج النهر المعروف بالبرمكي حول صنعاء وكان من أحسن العمال سيرة فخرج عن طاعته أهل تهامة وعجز عن إخضاعهم فعزله الرشيد بحماد البربري فبقي إلى تغلب المأمون على الخلافة .

في خلافة المأمون :

استعمل المأمون يزيد بن جرير القسري فساءت سيرته وتعصب لقطانته ضد الأبناء فعزل بعمر بن واقد الخطابي فحبس سلفه ثم عزل هذا وولى اسحاق بن موسى بن محمد بن علي العباسي فاستخلف على عمله ابن عمه قاسم ابن اسماعيل وعاد إلى العراق وفي مدته كان خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي - على العباسيين في اليمن - فبعث المأمون محمد بن علي ابن عيسى بن ماهان فاستولى منه على اليمن وظل به إلى أن عزل بعيسى ابن يزيد الجلودي الذي استخلف على عمله حصين بن منهل وعاد إلى العراق ، وفي أيامه نشط دعاة العلويين فأرسل رؤساء وأعيان اليمن وفداً إلى الخليفة المأمون فيهم محمد بن زياد من ولد عبيد الله بن زياد ، وكان على جانب من الحصافة والدهاء فتوسم فيه الخليفة الرجل الذي يصلح لولاية اليمن فاخبره فوجد فيه بغيته وتعهده هذا للخليفة بالقضاء على حركة العلويين فولاه تلك البلاد عام ٢٠٣ هـ .

وبتولي الريادي الولاية العامة ، ظل في صنعاء وآل عباسي يناط أمر تعيينه عمر الخلافة ، فعزل الخليفة ابن منهل عنها وولاه إبراهيم الإفريقي

ثم عزله بنعيم بن وضاح الأزدي والمظفر الكندي أحدهما للإدارة والصلاة ،
والآخر للجهاد .

وفي عام ٢٠٦ توفي المظفر فعزل الخليفة نعيم بمحمد بن عبد الله بن محرز
ثم عزله بإسحاق العباسي فأساء السيرة ، وتوفي في ولايته فخلفه ابنه يعقوب
فثار عليه أهل صنعاء فخرج منها إلى ذمار فعزل بامير عباسي آخر فاستخلف
العباسي الجديد على عمله عبّاد بن عمر الشهابي .

في خلافة المعتصم :

أقر المعتصم عبّاداً ثم عزله بغيره .

في خلافة المتوكل :

استعمل على صنعاء جعفر بن دينار فأقام على عمله مدة ثم استخلف
ابنه وعاد إلى العراق وظل ابنه إلى أن قتل المتوكل .

في خلافة المنتصر :

استعمل على صنعاء منصور بن عبد الرحمن التنوخي فأحسن السيرة ثم
قدم إليه مشاركاً له في عمله عبد الله بن محمد الماهان .

في خلافة الواثق :

أناط الواثق أمر صنعاء بمولاه إيتاخ الذي أناب عليها أحمد بن أبي العلاء ،
فتوفي هذا بعد أن استخلف أخاه فعزل بشخص يسمى هرثمة وهو الذي
نشب القتال بينه وبين يعفر بن عبد الرحيم الحوالي مؤسس الإمارة اليعفرية -
راجع أخبار الإمارة اليعفرية -

منطقة تهامة

تهامة بكسر التاء المثناة ، اسم يطلق على السهول المحاذية للضفة الشرقية للبحر الأحمر ، والنسبة إليها تهامي وتهام أيضاً ، وإذا فتحت التاء لم تشدد ، كما قالوا رجل يمان وشأم ، وقوم تهامون ، كما يقال يمانون وقال (سيويو) : منهم من يقول تهامي ويماني وشامي بالفتح ومع التشديد ، واتهم الرجل سار إلى تهامة .

وتبدأ حلودها على رأي بعض الجغرافيين ، من بحر القلزم أو بالأحرى من العقبة إلى عدن وعلى هذا يقال تهامة الحجاز وتهامة عسير وتهامة اليمن لما يلي كل جهة من تلك الجهات . كما جاء في نعوت النبي ﷺ « النبي التهامي » .

والبعض يحددها من الليث شمالاً إلى عدن جنوباً ، كما أن بعضهم يحددها من حُلَيْي ابن يعقوب شمالاً إلى عدن جنوباً ويحددها الحمداني بجبل كدميل (١) وعلى كل فهي سهول خصبة تمتد بمحاذاة ضفة البحر الأحمر الشرقية تختلف عرضها بقدر قرب أو بعد سلسلة جبال السروات من البحر بين ٤٠ كيلاً و٧٥ تقريباً ، ولانخفاض أرضها تنحدر إليها مياه المرتفعات فتكون أودية عظيمة تحيل تلك السهول إلى جنات فيحاء . وأهم أوديتها الجنوبية :

١ - وادي مَوَزَع . ٢ - وادي زَبِيد .

٣ - وادي حَيْس . ٤ - وادي رَمَع .

٥ - وادي سَهَام . ٦ - وادي سُرُود .

٧ - وادي مور . ٨ - وادي جدلان .

٩ - وادي حَيْرَان بالحاء المهملة ١٠ - وادي حَرَّض .

وأودية المخلاف السليمان سيأتي بيانها في الفصل الخاص بها .

(١) جبل كدميل هو يعرف الآن بجبل (كتنبل) بكاف وتاء مثناة بعدها نون وباء موحدة ولام هو يقع في شاطئ (بلدة القحمة) في مصب وادي حمضة جنوب قرية البرك .

تهامة في التاريخ القديم :

إذا أمعنا النظر في خريطة الجزيرة العربية المرسومة في الكتب الكلاسيكية نجد على تقادم العصور التي مرت على رسمها ، أنها تشتمل على نفس الشواطئ والرؤس والخلجان والمنعرجات والتضاريس ، المرسومة في خرائط القرن العشرين إذا استثنينا بعض الخطوط التي ترمز إلى الأنهار في تهامة ، وفي القسم الجبلي إذا أخذنا بالنظرية القائلة بأن الجزيرة قد اعتبرها الجفاف ونضبت أنهارها الجارية التي استدل الباحثون بآثار مجاريها ، أما أسماء المدن والقبائل الواردة في تلك الخريطة فقد عجز الباحثون عن معرفة أسماء أكثرها .

أما خريطة العربية السعيدة ، التي رسمها (بطليموس) في القرن الثاني من الميلاد فهي مثل سابقتها .

وجل معارف اليونان والرومان عن الجزيرة العربية مستقاة عن طريق ورواية روادهم في البحر الأحمر والبحر العربي الذين دفعهم حب المغامرة أو الاتجار في البحار العربية ، في غرب الجزيرة وجنوبها الشرقي وشرقها .

وكان لليونان مستعمرات على شواطئ البحر الأحمر لإصلاح سفنهم وتزويدها وحماية تجارتهم ومن أشهرها (لويكة كومة) موضع مدينة (الحوراء) القديمة فيما بين الوجه وأملج ، البلدتين المعروفتين الآن .

في ذلك التاريخ السحيق كانت سفنهم تجوب البحار العربية للاتجار ثم تنقل تلك البضائع لشواطئ البحر الأبيض على القوافل قبل أن يكتشف (ماجلان) طريق رأس الرجاء الصالح في القرن السادس عشر الميلادي - بألف سنة تقريباً - وقبل حفر قناة السويس التي فتحت في القرن التاسع عشر بـ ٢٥٠٠ سنة تقريباً .

وقد جاء في النقوش القديمة أن ملوك سبأ تلقب أولئك الملوك في الدور الثالث بملوك سبأ وذي ريدان وأعرابها طودم وتهم ، أي في الطود وتهامة مما يدل دلالة واضحة أن تهامة منطقة معروفة بذلك الاسم ذات كيان معروف استدعى الحال أو العرف السياسي إلى إضافة اسمها إلى ألقاب التاج السبئي .

الطرق التاريخية الى جنوب الجزيرة

افتتح الرومان طرقاً توصل بين البلاد السورية التي كانت تابعة لسلطانهم وبين بلاد البخور والبلدان العربية السعيدة لتسهيل التجارة وسير قوافلهم ، ومن أشهر تلك الطرق السكة الرومانية التي أنشأها (طرايانوس قيصر) وجعل عليها أعلاماً كتب عليها (فتحت هذه الطريق لتوصل بين سوريا وسواحل البحر الأحمر) وتلتقي تلك السكة بالطرق التي تسلك الحجاز وتهامة واليمن ، وعدن وحضرموت .

ومن المعروف في التاريخ أنه كانت في (الجزيرة العربية) طريقان رئيسيان ، توصل بين سوريا وسواحل المحيط الهندي .

١- من حضرموت إلى الأحساء ومنه إلى صور على شاطئ البحر الأبيض .

٢- من حضرموت ثم محاذية البحر الأحمر مجتازة بـ (تهامة) و (الحجاز) ثم منه إلى سوريا .

والطريق الثانية أكثر سهولة وأضمن راحة لسير القوافل - في تلك المرحلة الطويلة الشاقة - عن الطريق الأولى التي تعترضها المفاوز المهلكة والصحارى القاحلة .

ولسهولة الطريق الثانية التي تجتاز سواحل البحر الأحمر « تهامة » المتصلة العمران والمنتثرة قراها ومدنها على طول شواطئ البحر ، من عدن إلى الحجاز ، فقد رغبت القوافل في سلوكها أكثر من الأولى ، ونظام سير القوافل - في ذلك التاريخ المتقدم - يتطلب ن كل قبيلة أن تتولى حمايتها إلى أن تخرج لأراضي القبيلة الأخرى . فما لا شك فيه أن قبائل تهامة كانت

بدورها تقوم بحماية القوافل ، عبر أراضيها ، وتتولى تأمين طرقها ، مما
يضمن عليها الأهمية في ذلك الشريان البري الحيوي الذي كان عن طريقه
اتصال الشرق بالغرب - وسوف يمر القارئ الكريم بتوضيح مفصل عن
هذا الطريق البري الهام الذي يمر في قلب الخلاف السلطاني ، أو بالأحرى
ما يطلق عليه الآن اسم مقاطعة جازان ، في الفصل الخاص بالدولة الزيادية
في هذا الجزء .



الفصل الثاني

تهامة في التاريخ الإسلامي

لم نعر على تاريخ مستقل « لتهامة » في الثلاثة القرون الأولى للإسلام نرجع إليها في استقراء أحداثها ودراسة أحوالها السياسية والاجتماعية والعمرانية وفي خلافة الصديق استنفر القبائل للجهاد فسارع إليه ذو الكلاع الحميري في قومه وقيس بن هبيرة المرادي وجندب بن عمر الدوسي وحابس بن سعد الطائي ، وأنه في يوم واحد وصل منهم إلى المدينة عشرون ألفاً فصرف الخليفة الأول نصفهم إلى فارس والنصف الآخر إلى الشام — وقد ورد في أسماء عمال الرسول ﷺ اسم الطاهر ابن أبي هالة الذي ولاه بلاد « عك » من تهامة .

ونجد في حروب الردة أن الخليفة الأول أعطى اللواء العاشر لسويد ابن مقرن ، وأمره بالسير إلى تهامة ، وكما يرى القاريء الكريم أنها جمل مقتضبة لا تغني الباحث ولا تصل به إلى الغاية المنشودة والبحث العميق .

أشهر قبائلها عند ظهور الإسلام :

أشهر القبائل المعروفة هي :

١ - الأصابع في جهة لحج .

٢ - بنو مجيد في جهة باب المنذب .

٣ - الأشاعرة في جهة وادي زبيد .

٤ - عك في جهة ذوال إلى سردد ووادي مور .

٥ - حكم وتمتد من جنوب وادي مور إلى صبيا .

٦ - خولان وكنانة في مخلاف عثر من شمال صبيا إلى حمضة « القحمة »

حالياً .

- ٧- بنو حرام من كنانة في جهة حلي ،
٨- كنانة من « حلي » وإلى ما وراء الليث .

أشهر مدنها التاريخية :

إن في بلاد حكم ومخلاف عثر - اللتين توحدتا في القرن الرابع - باسم المخلاف السلياني ، مدن تاريخية قد دثرت وطمست آثارها في هذا العصر ومن أشهرها :

- ١- مدينة الخصوف ، مدينة حكم
٢- مدينة عثر .

فقد أورد اسميهما الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» في الفصل الخاص بمعرفة أطوال مدن العرب المشهورة ، فقال : وعرض الخصوف مدينة حكم مثل عرض صعدة ، وطولها من المشرق إلى المغرب مائة وتسع عشرة درجة وعرض عثر ست عشرة درجة ورابع وطولها من المشرق إلى المغرب مائة وتسع عشرة درجة ورابع .

فأورد اسميهما ضمن أشهر مدن جنوب الجزيرة مثل صنعاء وصعدة ونجران وجرش ، كما أورد اسم مدينة ثالثة هي الشرجة فرضة حكم ، وذكر عدة مدن سوف نورد أسماءها في الفصل الخاص بـ « تهامة في القرن الرابع » وقد ذكر الشرجة (عمارة) اليمنى ونعتها بأنها « مقر ملك عظيم » ويظهر أن تلك المدينة أخذت في التأخر ونقص العمران بعد ذلك فلم يأت القرن الثامن إلا وهي بلدة صغيرة ، وقد أشار إليها ابن بطوطة في رحلته المشهورة ووصفها بأنها بلدة صغيرة .

قبائل تهامة وقراها في القرن الرابع

بالرغم من مضي خمسين ومائة عام تقريباً على قيام الإمارة الزيادية فإن نفوذ الأسر القوية لا يزال يتمتع بسلطانه ويظهر أن السلطة المركزية بزييد اكتفت بخضوع رؤساء الأسر الاسمي مع دفع الخراج مقابل أن تحكم كل أسرة من تلك الأسر عشايرها وقد سهل لنا الهمداني مهمة الوقوف على

ما نحن بصددده وكان يطلق على أولئك الرؤساء اسم ملوك ، وعلى ضوء ذلك نوضح أسماء الأسرة الحاكمة في تهامة التي كل مجموعة من الأودية منها تكون مخالفاً له رئيس يقوم بعوائده وإدارته .

١ - الأشاعرة قبيلة معروفة في التاريخ ومواقعها من حدود بني مجيد إلى حيس فزيب وتشمّل سواحل هذه القبيلة على :

غلافقة ، المنذب ، المخا .

ورؤساء تلك القبيلة آل أبي الغارات .

ومن قرى زيب : المَعْقَر ، القحمة - وهي غير القحمة المعروفة في جهة حمضة - .

٢ - سهام وهي عكية ، ومن بواديها :

واقر ، المَهْجَم ، عدد من القرى الصغيرة ، وسواحلها بها ميناء الحردة والعطنة .

ورؤساؤها آل النجم .

٣ - مور « عكية » ورؤساؤها آل روق بن شهاب .

٤ - بلد حكم وهو مسافة خمسة أيام ، ومن مدنه في القرن الرابع :

الهجر^(١) ، الخَصُوف ، الساعد ، السَّقِيفَتان ، على وادي خلب ، وميناؤه الشرجة .

ومن قراه في ذلك التاريخ : العدايا^(٢) ، الركوبة^(٣) ، والمخارف^(٤) ، والقليق .

(١) الهجر والخصوف والساعد والسقيفتان : ومدينة (الشرجة) - راجع كتابنا المطبوع « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » .

(٢) العدايا قرية قد دثرت في جهة سامطة ويطلق الآن هذا الاسم على تل مرتفع نرجح انه انقاض تلك القرية التاريخية كما أنه يوجد في غرب صبيا قرية عامرة بهذا الاسم .

(٣) موجودة القرية بهذا الاسم إلى تاريخنا الحاضر .

(٤) غير معروفة الآن .

ومن أوديته : واديا بني عبس ، حيران وجدلان ، حرض ، اخيد
تعشر ، جحفان ، لية ، خلب ، زائره ^(١) ، شاية ^(٢) ، ضمد ،
جازان ، وصبيا

ورؤساؤه من الحكيمين من آل عبد الجدد .

٥ — مخلاف عثر وقبائله من خولان وكنانة والأزد ، ومن مدنه :
« ييش » وحصبة ابراق ، عثر ^(٣) وهي « فرضته » .

ومن أوديته : الأمان ^(٤) ، ييش ، عتود ، ريم وعرمرم ، زنيف ،
العمود ، ورؤساؤه من بني مخزوم .

٦ — بلد حرام من كنانة ، ومن أوديته : أئمة ، ضنكان وبه معدن
غزير ولا بأس بتره .

٧ — حلي وقاعدته الصحارية موضع رؤساء بني حرام ، وأوديته :
تلومه ، الفراسة ، الجونية ، المحرم .
ومن قراه : حلي العليا ، السرين ساحل كنانة ، الليث .

(١) يطلق الآن عليه اسم وادي الخمس بالخاء المضمومة والميم الساكنة .

(٢) يطلق على وادي شايه الآن اسم وادي الكور .

(٣) في جهة ساحل الجعافرة غرب مدينة صبيا .

(٤) نرجح انه ما يطلق عليه الآن اسم وادي قرى .

الفصل الثالث

المخلاف السليماني

بعد هذا التمهيد الذي لا بد منه لإعطاء القارئ الكريم صورة واضحة المعالم والرسوم عن « تهامة » في القرن الرابع الهجري ، والأسر التي كانت تحكم أقطارها ، نأتي بكلمة موجزة عن (سليمان بن طرف الحكمي) الذي تولى المخلاف في آخر عهد الدولة (الزيادية) وسيأتي ذكرها .

سليمان بن طرف الحكمي

سليمان هذا من آل (عبد الجدد الحكميين) بل أنجب تلك الأسرة على الإطلاق .

تولى مبدئياً ما يتولاه أسلافه من رئاسة قبيلة (حكم) بل تسامت همته إلى أبعد مما قنع به ذووه ورفع طموحه في أثناء انحلال الدولة (الزيادية) وضعف السلطة المركزية إلى إنشاء تلك الإمارة بجهته بل ووسع مجالها حتى شملت ما أطلق عليه اسم (المخلاف السليماني) وهو من الشرجة إلى حلي ابن يعقوب .

وبعد أن استوثقت له الأمور اتخذ من مدينة « عثر » عاصمة لإمارته وضرب اسمه على « السكة » وخطب له على منابر المخلاف واستمرت إمارته عشرين عاماً من عام ٣٧٣ إلى ٣٩٣ هـ .

لم تشر المصادر التاريخية إلى أسباب انهيار إمارته ولا إلى سنة وفاته والذي نستنتجه :

١ - إن سليمان بن طرف من آل عبد الجدد الحكميين آلت إليه رئاسة بلد حكم .

٢ - أنه كان أنه تلك الأسرة وأبعدهم همة .

٣ - وحد بلاد حكم ومخلاف (عثر) وجعل منها إمارة موحدة ومخلفاً

موحداً نسب إليه بعد ذلك باسم الخلاف السلیمانی ، أما كيفية انتهاء أو انهيار تلك الإمارة فندع التفسير للأحداث التاريخية التي نستطيع أن نستنتج من مدلولاتها ماضي التاريخ أو بعبارة أوضح ما أهمله مؤرخو تهامة .

إن ضعف حكومة أبي الجيش الزیادي وعجزه لتقدم سنه هو السبب المباشر لانتقاض أطراف مملكته واستقلال القسم الجبلي وقيام إمارة (سليمان ابن طرف) .

وقد توفي أبو الجيش عام ٣٧١ وخلفه طفل من أطفاله تحت وصاية مولى من موالیهم يدعى رشيد ولم تطل مدة هذا الوصي فقد أدركته الوفاة بعد مدة وجيزة فخلفه على وصاية الطفل مولاہ (الحسين بن سلامة) .

وقد أشرنا في أخبار الدولة الزیادية إلى أن الحسين بن سلامة كان هم الأول لإعادة هبة الدولة واستعادة ما انتقض من أطرافها وإنه جرد السرايا وبعث البعوث حتى استرد أغلب البلاد لإمارتهم التابعة لخلافة العباسية .

وإذا رجعنا إلى آثار (الحسين بن سلامة) العمرانية وربطه طرق المواصلات من حضرموت إلى مكة وإقامته الأميال والبرد والفراسخ وحفر الآبار وإشادة الجوامع مع إقامة المنائر ثم إلى عمارته للجامع (حلي بن يعقوب) تحقق لدينا أن نهاية تلك الإمارة كانت على يد الحسين بن سلامة ولا شك أنه بعد استعادته لضم تلك الإمارة أزال رئاسة بني عبد الجد الذي كان رئيسها أول المنتقضين على دولة موالیه .

وقد قدمنا هذه النبذة التاريخية عن سليمان ليكون لدى القارئ إلمام تام ببعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية في هذا الخلاف -

قبائل المخلاف السليماني

أشرنا قبل إلى أسماء قبائل تهامة في القرن الرابع الهجري وإذا كان من واجب المؤرخ والباحث استعراض الأحوال الاجتماعية في أدوار التاريخ فإتماماً للبحث نستعرض في هذا الفصل أسماء قبائل المخلاف السليماني خاصة في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري وإذا كانت التواريخ القديمة تحدد المخلاف السليماني من حليّ ابن يعقوب شمالاً إلى الشرجة جنوباً فإن هذا المخلاف في تأريخنا الحاضر يحتفظ بنفس حدوده الأصلية ضمن المملكة العربية السعودية العتيدة وتتألف قبائله من :

١ - قبائل بني مروان وموطنهم - حالياً - الموسم الذي لا تزال أطلال مدينة الشرجة التاريخية ماثلة في ساحله ، وقبائل بني مروان هم قسمان . قسم عائد إلينا وقسم عائد إلى المملكة اليمنية ، ويتألف التابع لحكومتنا من :

(أ) العِربَة ، وقريتهم الموسم وتبعد عن ميدي بقدر خمسة عشر كيلاً تقريباً .

(ب) بني العِواجي .

(ج) المِيزَابَة .

(د) النقيسوس .

٢ - وشرقاً من منطقة الموسم قبائل بني حُمَد ، وتتألف قبيلة بني حمد ، من العشائر الآتية :

- | | | |
|-----|------------------|--|
| (١) | أ - أَلْجَمَاحَه | { ويطلق عليهم اسم الشهرة
ورئيسهم العام محمد طاهر جماح . |
| | ب - الشَهَرَه | |
| | ج - أَلْعَوَفَا | |
| | د - الطَّمَامِيح | |
| | هـ - بني واصل | |

ويطلق عليهم اسم بني عيسى ورئيسهم العام يعقوب بن علي	{	٢) أ - النجامية
		ب - العكرة
		ج - بني مهدي
		د - الفتننة
		هـ - الطوافرة
		و - بني عيسى

٣ - قبيلة بني شبيل ، وتمتد من الجبل إلى ساحل البحر - أي نصاقيب من الشرق قبائل بني الحرث ومن الجنوب قبائل بني حُمد وقبائل الموسم - بني مروان وشمالا بقبائل « المسارحة » وأشهر عشائر بني شبيل :

بني امبارك ، أمشعابية ، المداخلة ، المذاكرة ، الفتاحية ، القواده ، القضاة ، النعامية ، العراشية ، السهالية ، الحانشة ، الشنابرة ، البجادية ، العبرة ، الأشراف ، الصوارمة ، الصملة ، الجواهره ، الجنانة ، بني الجرب ، المداخلة .

وحاضرهم مدينة سامطة ورئيسهم العام حسين بن أحمد مساوي مباركي^(١) وأشهر الأودية التي تمر بجهاثهم :
وادي له ، تعشر ، المغيلة .

٤ - قبيلة المسارحة وهي أكبر قبائل الخلف السلياني وتحادد الحرث شرقاً وبني شبيل جنوباً والحكامية غرباً ومن الشمال تمتد إلى جهة أبي عريش وتتألف من : الرواحة ، الشرفاء وتتفرع منهما القبائل الآتية :

الفقهاء ، الحوامضة ، الحناتيل ، الصفاحية ، الرواجحة ، المحازرة ، الخبرايه ، السوادية والمنافرة ، الطواهره ، البكارية ، بني واصل ، المعاشية ، الضوامرة ، الطوالبه ، بني حوائج ، الكرره ، العطفة ، الكيلبة ، المعايدة ، الفحللة ، الميساميلة ، الحرم ، الغزوة ، الحجامه ، بني امبارك .

ويرأس الرواحة وهم ثلثا المسارحة أحمد دريس ، ويرأس الشرفاء وهم

(١) توفي وخلفه ابن أخيه حسين بن محمد ثم تنحى عن المشيخه وتولاها مديش بن عل بيموى .

ثلث ، قاسم قصادي ، وحاضرتهم قرية « الاحد » وبها مركز الإمارة .
وأشهر الأودية التي تمر بهم :

- | | |
|--------------|---------------|
| ١- وادي خُلب | ٢- وادي الخمس |
| ٣- وادي مقاب | ٤- الفجاء |

٥- الحكامية وتقدر بربع عدد « المسارحة » وحاضرتهم قرية المضايا ،
ومن أشهر عشائرها :

- | | |
|-------------|-----------------|
| ١- بني ولي | ٢- بني حفظ الله |
| ٣- بني مهدي | ٤- بني سهل |
| ٥- السوالة | ٦- بني إبراهيم |
| ٧- الحواسية | ٨- المغاير |

ورئيسهم العام ولي بني علي حكيم :

٦- قبائل بني الحُرث ويحدها جنوباً وشرقاً المملكة اليمنية وشمالاً
المسارحة والعبادل وغرباً المسارحة وأشهر عشائرها :

- | | |
|---------------|-------------|
| ١- بني شراحيل | ٢- المحارشة |
| ٣- الهزاهيز | ٤- الغادية |
| ٥- والبيه | ٦- العلاوين |
| ٧- لَحْضُوب | ٨- بني دارس |
| ٩- الكعوب | |

وحاضرتهم (الخوبة) وليس لهم رئيس عام .

٧- قبائل وادي جازان الأسفل ومن أشهر عشائره :

- | | |
|--------------|-------------|
| ١- آل الأسدي | ٢- الفقهاء |
| ٣- الخرادلة | ٤- الخصاوية |
| ٥- المسجارية | ٦- الكواملة |

٧ - المقارية ٨ - القَعَارِيَّة

٩ - الدشانية ١٠ - أهل العشوة

١١ - العقالية ١٢ - العساونة

ويرأسهم محمد علي بن عقيل وحاضرهم مدينة جازان قاعدة المقاطعة .

٨ - قبائل وادي جازان الأعلا وأشهر عشائره :

١ - القصامة ٢ - الحمازية

٣ - أهل البيض ٤ - النمره

٥ - الحكامية ٦ - القواسمة

٧ - الصعادية ٨ - الرفاعية

٩ - المحالية ١٠ - الشراونة

١١ - الشواذلة ١٢ - آل مني

١٣ - الحوابنة ١٤ - الجزيرة

١٥ - المورية ١٦ - المحلبة

١٧ - آل إدريس .

وحاضرهم مدينة أبي عريش ورئيسهم جبريل بن محمد .

٩ - قبائل وادي ضمد ، ومن أشهر عشائره :

١ - الحوازمة ٢ - القضاة

٣ - المشايخ ٤ - الهوادة

٥ - المعافين ٦ - المطاهرة

وحاضرهم قرية « ضمد » ورئيسهم أحمد أبو دينة .

١٠ - قبائل الطمحة وأشهرهم :

١ - الفقرة ٢ - الشدادة .

ويرأسهم أحمد عبده الشيخ ومنازلهم بين جازان وصبيا مما يلي الساحل .

١١ - قبائل الجبال التابعين لمركز العارضة حالياً ونصاقيب مواقعهم قبائل « الحرث » جنوباً والمملكة اليمنية شرقاً ، وفيفا شمالاً والمسارحة غرباً .

وأشهر تلك القبائل :

- | | |
|--------------|---------------|
| ١ - العبادل | ٢ - بني ودعان |
| ٣ - بني معين | ٤ - قيس |
| ٥ - بني حريص | ٦ - آل منخيف |
| ٧ - سفيان . | ٨ - الصوفة . |
| ٩ - سحار . | |

وحاضرتهم قرية العارضة وأشهر مشايخهم شيخ قبيلة سفيان محمد بن أحمد « أبو حمدة » .

١٢ - قبائل جبل فيفاء وهم :

- | | | |
|----------------|---------------|----------------|
| ١ - أمعامى | ٢ - آل عمر | ٣ - آل متعب . |
| ٤ - أمجشم | ٥ - أمتيب | ٦ - شراحيل |
| ٧ - أمد اثر | ٨ - الأبيات | ٩ - آل الظلمي |
| ١٠ - أمجاني | ١١ - الأشراف | ١٢ - آل سلمان |
| ١٣ - آل المدري | ١٤ - الحرايبة | ١٥ - آل أمتويع |
| ١٦ - بالحكم | | |

ورئيسهم العام حسن بن علي أميحي

١٣ - قبائل بني الغازي وموقعهم في سهل فيفاء وأشهر عشائرهم .

- | | |
|--------------|--------------------|
| ١ - المعاملة | ٢ - قصي أو أهل قصي |
| ٣ - آل حياد | ٤ - حماد |

ومركزهم « عسيبان » ورئيسهم مفرح أمجرو

١٤ — قبل ثل جبال بني مالك ومواقعهم شرق جبل فيفاء وتمتد شرقاً إلى حدود المملكة اليمنية وأشهر قبائلهم .

- | | | |
|---------------|----------------|----------------|
| ١ — آل سلامة | ٢ — آل أحمد | ٣ — آل قطيل |
| ٤ — آل حراز | ٥ — آل مزعلي | ٦ — أمعزة |
| ٧ — آل حسين | ٧ — آل الرقة | ٩ — آل عثمان |
| ١٠ — آل الحجة | ١١ — آل نعام | ١٢ — آل البقاع |
| ١٣ — آل معبد | ١٤ — آل امشريف | ١٥ — آل سنين |
| ١٦ — آل نشمة | ١٧ — آل حبس | ١٨ — آل نعشة |

ويرأسهم حسين بن أحمد وجابر اماناجعة

١٥ — القبائل التابعة لمركز جبل هروب وأشهرهم .

- | | |
|----------------|-----------------|
| ١ — قبائل هروب | ٢ — بني أمجهل |
| ٣ — بني قراد | ٤ — الصهايل |
| ٥ — العزّين | ٦ — المغفرة |
| ٧ — آل أمصهيف | ٨ — آل أمشيخ |
| ٩ — بني أحمد | ١٠ — حريص امحشر |

ومواقعهم بين عيبان جنوباً وبني مالك شرقاً والحقو غرباً والريث شمالاً ومركزهم بلدة هروب .

١٦ — قبيلة الريث ويحاذون هروب جنوباً والحقو، في الجنوب الغربي وجلة الموت وقحطان شرقاً وأشهرهم .

- | | |
|----------------|----------------|
| ١ — آل اميشحنة | ٢ — آل مسعود |
| ٣ — آل امنجاد | ٤ — آل امشيني |
| ٥ — آل سلمى | ٦ — آل امصاعره |

وأشهر مواقعهم جبل القهر .

١٧ - قبائل الحقو وأشهرهم .

- | | |
|----------------------|------------------|
| ١ - امسلاطين | ٢ - النهارية |
| ٣ - الصيبانية | ٤ - آل مويد |
| ٥ - آل غشوم | ٦ - الخواجية |
| ٧ - آل رُشيد | ٨ - آل قطينة |
| ٩ - الشتافية | ١٠ - أهل الملحا |
| ١١ - آل عثوان | ١٢ - جغلة |
| ١٣ - آل ابن مُعَرِّش | ١٤ - آل ابراهيم |
| ١٥ - آل ابن غالية | ١٦ - آل ابن طينة |
| ١٧ - آل ابن زالف | |

قبائل الحسيني وتجمعهم كلمة « عصيره » وتحد مواقعهم غرباً بالصبياني وجنوباً وادي ضمد وشرقاً بعبس وبني الغازي والحساب وأشهر عشائهم .

- | | | |
|------------------|---------------|---------------|
| ١ - الذروة | ٢ - الحوازمة | ٣ - الشراحية |
| ٤ - السباعية | ٥ - القصارية | ٦ - الدراحة |
| ٧ - الوحاشية | ٨ - البصالية | ٩ - الطواشة |
| ١٠ - العنابرة | ١١ - آل طيران | ١٢ - العقالية |
| ١٣ - النحوس | ١٤ - الحدارية | ١٥ - العوامرة |
| ١٦ - آل الأسدي . | | |

ومركز رئاستهم قرية الحسينية ورئيسهم علي بن محمد الذروي .

١٨ - قبائل صيبا وأشهر عشائرها .

- | | | |
|--------------|--------------|-----------------|
| ١ - الخواجية | ٢ - آل شافع | ٣ - الحكامية |
| ٤ - الشباعنة | ٥ - آل شيخين | ٦ - فاسخ |
| ٧ - الحراية | ٨ - الفرادية | ٩ - أهل العداية |

١٠ - الصلاهية ١١ - العناثية ١٢ - آل مربع

١٣ - أهل قرية الباهر .

وحاضرهم مدينة صبيا .

١٩ - قبائل الجعافرة وهم قسمان :

١ - آل شعلان ٢ - آل خيرين

وأشهر عشائريهم :

١ - آل شعلان : المشايخ ، آل سلطان ، آل سواده .

٢ - آل خيرين : الطامح ، السباعية ، الصراخية ، الجرايبة ، الأثالوه ،
الحقاوية .

وهم في ساحل صبيا ويحلون شرقاً بالصياني وجنوباً بالطمحة ورئيسهم
ضيف الله الأخرش .

٢٠ - قبائل المخلاف : ويطلق اسم المخلاف حالياً على القبائل الواقعة من
شمال صبيا إلى جنوب قرية أم الحشب ويتألف من أهل القرى الآتية :

١ - الجمالة ٢ - العشة

٣ - الملحة ٤ - الشاجر

٥ - المحلة ٦ - السلامة

٧ - أبو القعائد .

وأشهر أوديته :

١ - وادي نخلان ٢ - وادي وساع وشهدان

٣ - وادي قُرى .

ورئيسهم حيدر^(١) بن محمد القبي ، وأشهر عشائره :

(١) توفى قبل نحو ثمان سنوات وخلفه ابنه محمد الزاهد .

(١) الملحاي وتتألف عشائره من سكان : الملحا ، أبو القعائد ، أبو السلع ، الشاخر ، وأشهر عشائهم :

القباب ، آل أبي العبد ، عماري ، الزباني ، الموكلي ، العطافي ، الشيخيني الكوسي ، الرجة ، العطوى ، آل مشني ، الصمادحة ، النعامية ، آل جيبين ، آل بوحيه ، الهراشنة ، آل مقدم ، آل أبو هادي ، المشيرة ، المثمي ، المعافي ، الخديشي ، آل بومكي .

٣ — المحلة السفلى .

٢ — المحلة العليا

وأشهر عشائهما :

النمازي ، الزغبني ، آل امصدام .

٤ — السلامتين العليا والسفلى وأشهر عشائهما :

الشمائخة ، آل الكبش ، القباب ، الجواحلة ، آل الوالد ، الخواجية ، الهتانة ، المكاتلة .

٥ — عشائر قرية العشة :

العوامرة ، الجعاير ، الهتانة ، آل جبران ، النواصرة ، الغفافة ، آل حيلر ، آل علان .

٦ — عشائر قرية الجارة :

آل مهنا ، آل موسى بن علي عماري ، العمارين ، الخداشية ، السمانة ، آل عقيل ، الدلاكة ، المحاصة .

٧ — عشائر قرية الجمالة :

آل البر ، البكارية ، النمازي ، المناعة ، الجواهررة .

٢١ — قبائل السادة وأشهر قراهم :

٢ — الدهنا .

١ — العالية

ورئيسهم الحسن بن عرار النعمي .

٢٢ - قبائل بيش وحاضرتهم قرية أم الخشب وأشهر عشائريهم :

- | | |
|-------------|--------------|
| ١ - البناية | ٢ - الملاحه |
| ٣ - الفقهاء | ٤ - العوارضة |

ورئيسهم حسن بن قاسم عكفي .

٢٣ - قبائل بني شعبة وأشهر عشائريهم :

- | | |
|--------------|--------------------|
| ١ - آل هيازع | ٢ - آل شار بن مرعي |
| ٣ - الصبانية | ٤ - الأشراف |
| ٥ - آل حدره | ٦ - آل زيد |
| ٧ - آل لباس | ٨ - آل أبي سلة |

وحاضرتهم قرية الدرب ويرأسهم علي بن محمد الشعبي .

٢٤ - قبائل الشقيق وأشهر قبائله :

- | | |
|---------------|--------------|
| ١ - المشايخ | ٢ - المطامية |
| ٣ - الصبانية | ٤ - آل زياد |
| ٥ - الفلاقيه | ٦ - القرب |
| ٧ - العصاره . | |

وحاضرتهم قرية الشقيق ويرأسهم هادي قربي .

٢٥ - قبائل القحمة وأشهرهم :

- | | |
|-------------|-------------|
| ١ - المنجحه | ٢ - المقبحة |
|-------------|-------------|

تقدير السكان والمساحة لمنطقة جازان

لم يجر — حتى الآن — إحصاء لسكان المخلاف السلياني ، ولكننا إذا رجعنا إلى بعض التقارير الرسمية عن قراه وقبائله ، وبعض الإحصاءات العامة المالية والإدارية فإننا نستطيع أن نقدر عموم السكان بما يقارب ستمائة ألف نسمة تقريباً —

أما عن مساحة المخلاف فقد سبق أن بينا حدودها في أول الكتاب ، طولها ٣٠٠ كيلا تقريباً ، وعرضها يتراوح بين ٤٥ و ١٧٠ كيلا تقريباً . ومتوسط عرضها ٨٠ — تقريباً فتكون مساحته ٢٤٠٠٠ .

ونزيد هنا أيضاً تاريخياً هو أن ما كان يطلق عليه اسم بلاد حكم ، في القرن الرابع الهجري ، يشمل الجانب الجنوبي من هذا الإقليم ، من الموسم إلى صبيا ، وما يطلق عليه اسم (مخلاف عثر) يشمل الآن ساحل قبيلة الجعافرة ، وما يطلق عليه اسم المخلاف الآن (أي ما بين صبيا وبيش) ويشمل أيضاً مواقع قبيلة بني شعبة والشقيق والقحمة .

لهجات بعض قبائل المخلاف

من المعلوم أن اللهجة العربية الفصحى هي اللهجة السائدة في هذه الجهات لما لتلك اللهجة من مكانة سامية في النفوس ، لنزول القرآن الكريم بها ، ولأنها هي وسيلة القيام بالشعائر الدينية الإسلامية التي يتعبد بها جميع سكان هذا الإقليم — كغيرهم من بقية أقاليم المملكة — ونحن لا نريد أن نتوسع في دراسة اللهجات غير أننا نود أن نشير إلى ملاحظتين جديرتين بالدراسة من المهتمين بدراسة اللهجات العربية :

أولاهما — أن كثيراً من المؤرخين ذكروا أن اللهجة العربية الفصحى بقيت صحيحة لم تتغير في هذه الجهات — منذ انتشار تلك اللهجة ، إلى عهد

قريب . فعمارة الحكمي المؤرخ والشاعر المشهور يقول في كتابه (المفيد) ^(١) :
وجبلا (عكاد) ^(٢) فوق مدينة (الزرائب) ^(٣) ، وأهلها باقون على اللغة
العربية من الجاهلية إلى اليوم ولم تتغير لغتهم ، بحكم أنهم لم يختلطوا بأحد من
أهل الحاضرة في مناكحة ولا مساكنة ، وهم أهل قرار لا يظعنون ولا
يخرجون منه . ولقد أذكر أنني دخلت (زبيد) في سنة ثلاثين وخمس مائة ،
أطلب الفقه ، وأنا يومئذ دون العشرين ، فكان الفقهاء في جميع المدارس
يتعجبون من كوني لا ألحن في شيء من الكلام ، فأقسم الفقيه نصر الله
ابن سالم الحضرمي بالله تعالى لقد قرأ هذا الصبي في النحو كتباً كثيرة ،
فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا لقيت ، يقول : مرحباً بمن
حشت في يميني من أجله ، ولما زارني والذي وسبعة من إخواني في زبيد
أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم ، فلا والله ما لحن واحد منهم لحنة واحدة
أثبتوها عليه .

ثم جاء ياقوت الحموي (توفي سنة ٦٢٦) والفيروز آبادي مؤلف
القاموس (المتوفي سنة ٨١٧) ومرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس (المتوفي
سنة ١٢٠٥) فكرروا ما قال عمارة ، بل أغرب صاحب التاج فقال بأن أهل
« عكاد » لا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاثة أيام خوفاً على لغتهم .

والحقيقة أن كثيراً من عوام هذه النواحي ينطقون بجمل عربية فصيحة
يظن من سمعها أنها جاءت عن دراسة للغة وقواعدها ، وهي في الواقع سليقة .

ثانيهما - البون الشاسع بين لهجتي سكان الجبال وسكان السواحل والسهول
فبينما نجد في لهجة سكان السواحل والأودية القريبة منها فصاحة ووضوحاً
وسهولة ، نجد في لهجات القبائل التي تسكن الجبال في المخلاف وفي أطرافه

(١) ص ٤٥ المطبعة المصرية .

(٢) بقرب وادي وساع .

(٣) درست هذه المدينة ، ويوجد موضع فيه آثار عمرانية قديمة يسمى « أمزربة » نرجع
إنه موضع تلك المدينة ، على وادي وساع .

غرابة وخشونة في استعمال كلمات غريبة ، بلهجة لا يستطيع فهمها إلا من اختلط بأصحابها مدة طويلة من الزمن ، وقد لا نجد لكثير من كلماتهم ذكراً في المعاجم العربية القديمة ، مما يحملنا على القول بأن العلماء الذين دونوا تلك المعجمات تركوا كثيراً من مفردات اللغة ، وفاتهم شيء من لهجات القبائل العربية ، ولا نريد أن نتوسع في هذا الموضوع ، فعلمه القسم الأدبي - من هذا التاريخ - غير أننا سنورد هنا بعض أمثلة للهجات بعض القبائل . من قبيل التمثيل :

لهجة قبائل الحُرث :

منازل هذه القبيلة تجاور سكان سلسلة الجبال من الشرق وسكان السهول من الغرب فلهجتها مزيج من لهجتي الجبال والسهول وهاهو أنموذج منها .
حسنُ المحسين ماتا قتولك أفه لا تزين ذمه الهنيبي ، يايان صاه أشبحي
لذهه الهنيبي الزين حوله أمجفش .

يحذفون حرف النداء . ويرخمون الاسم الثلاثي ، فينطقون حسن ، حس
بدون نون ويحذفون عين الفعل الثلاثي إذا أسند إلى ضمير المتكلم ، كما في
« قتولك » بمعنى قلت لك .

المعنى :

يا حسن بن حسين قلت لك اترك لا تسوى هذا الشيء ، ثم التفت
المتكلم مخاطب أمه قائلاً يايان ، أي يا أم ، لأنهم يقولون للام « يان » أنظري
لذلك الشيء الجميل عند الطفل وهم يقولون للطفل جفش ، بجيم وفاء وشين .

لهجة قبائل المسارحة :

تختلف لهجة قبائل المسارحة نسبياً عن لهجة المصاقيين لهم من بني شبيب
في الجنوب والحُرث في الشرق وهذا الفارق النسبي لا يشعر به إلا المتعمق
في دراسات لهجات الخلاف أو ممن تنقل بين أرجائه وأتينا إذ ننقل هنا نموذجين
للهجة المسارحة فإننا نسجل المفردات التي يلفظها المحافظون منهم على اللهجة
القبيلية الأصيلة وإلى القارئ بعض ألفاظ منها مع ما يقابلها في الفصحى .

الفصحى	العامة	
كثير	ذِيْرَة	{ فهم ينطقون الجيم زايًا
جَازَان	زِيزَان	
عجوز	عزوز	
يا هذا	هَلَبَعَدْ	لمناداة من لا يعرف اسمه — للمذكر أو لتعمد عدم ذكر اسمه .
يا هذه	هَلَبَعْدَا	لمناداة من لا يعرف اسمها — للمؤنثة أو لتعمد عدم ذكر اسمها .
هذا	ذَحْوَلَهْ	للإشارة القريبة
ذاك	ذَالَهْ	البعيدة
هنا	هَنَحْوَلَهْ	اسم الإشارة للمكان
صغير	حَنِين	

لهجة قبائل بني مالك :

يرخون المنادى ويختصرون الاسم متى كان مركباً من كلمتين أي اسمين ويستعملون أم الحميرية في مقام ال ويستعملون النطق بالمشي على القاعدة الصحيحة وهذا أنموذج من لغتهم الدارجة :

باؤ مسعه امحسن قد بودي تقابلني نَحْ امقاضي عَوْسَ جملنا ذا سُرُق
عاماً نَحْ بيت صالح امسلما بنته تعرفه من نَحْ أو صافه أنت ومَحَه امريه
وما تشهدان نحوه أنما وشوفتين هنا يعرفانه :

معناه بالفصحى :

يا مسعود بن حسن : أرغب أو أريد بودي تقابلني عند القاضي بشأن
جملنا الذي سرق في العام الماضي من جهة بيت صالح بن سلمان وأنت تعرفه
من جهة أو صافه ، أنت ومحمد بن مريم وما تشهدان به أنما وامرأتان هنا -
أي حاضرتان - يعرفانه :

أَمْوُذَج لِلْهَجَةِ قِبَائِلَ فِيفَاء :

وَيَزِمُ قَاسِمٌ وَيَزِمُ أَنْتَ بَادٍ وَيَزِمُ مَالَا خَيْرٍ وَادِعُ الْجَابِرُ مَ سَالِمٌ قَلُّوا
قَالَ الْأَمِيرُ يَسْتَسْلُ نَحْوُ دَلْحِينَ وَيَاهُمَا مَرَّةً بِهَا بِحَاجَتُوا وَلَا يَلْهِي .

يَنَادِي يَزِيدُ بْنُ قَاسِمٍ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النَّدَاءِ الْأَوَّلِ نَادَاهُ أُخْرَى
وَزَادَ أَلْفًا بَعْدَ وَאו النَّدَاءِ ثُمَّ قَالَ أَنْتَ بَادَايَ قَدْ ظَهَرْتَ وَسَمِعْتَ يَا يَزِيدُ فَأُجَابُهُ
فَقَالَ الْمُنَادَى خَيْرٌ وَالْقَصْدُ مِنْهُ أَنْ تَدْعُو جَابِرُ بْنُ سَالِمٍ تَقُولُ لَهُ : إِنَّ الْأَمِيرَ
يَطْلُبُ وَصُولَهُ هَذِهِ السَّاعَةَ وَيَعْجَلُ أَنْ الْأَمِيرَ يَحْتَاجَهُ وَلَا يَتَأَخَّرُ .

هَجَةُ قِبَائِلَ فِيفَاء :

وَيَزِيْ بِدِيْ أَوْ اشْعَلْكَ أَيْلَ نَتْ هَاشِ مَعِي نَحْ أَمَشِيْخٌ وَمَا أَنْحَنُ
لَاهِلِينَ :

أَيُّ يَا يَزِيدُ مَرَادِي أَوْافَقُكَ إِذَا أَنْتَ تَمْشِي مَعِي عِنْدَ الشَّيْخِ وَمَا نَرِيدُ
نَمَكْتُ هُنَاكَ .

فِيهِ تَرْخِيمُ يَزِيدٍ وَبَدِيٍّ بِمَعْنَى مَرَادِي أَوْ اشْعَلْكَ أَيْلَ بِمَعْنَى إِذَا ،
هَاشِ سَائِرٌ ، نَحْ عِنْدَ أَمَشِيْخٍ إِبْدَالُ لَامِ التَّعْرِيفِ مِثْلًا أَنْحَنُ نَحْنُ لَاهِلِينَ مَبْطُونِينَ .

هَجَةُ بَنِي جَمَاعَةَ :

لَا كَانَ مَنَا مِنْكَ هَشْتٌ عِنْدَ يَحْيَى وَمَا رَيْكُوا هَا سَمِعْتَ نَتْ وَنَشْتَى
يَابَاقِي وَالسَّلَامَةُ تَدْعُو أَيْلُو فِي أَبَيْتٍ يَنْحَحِي صَلَانَا .

أَيُّ أَفْتَحُ كَلَامِي عَلَيْكَ بِأَنِّي سَرْتُ عِنْدَ يَحْيَى وَمَا رَأَيْتُهُ أَيُّ فُطِنْتُ كَلَامِي
أَنْتَ وَنَرِيدُ يَا طَوِيلَ الْعُمُرِ وَلَكَ السَّلَامَةُ تَدْعُوهُ إِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ يَنْزِلُ عِنْدَنَا
(هَشْتٌ) مُشْرَكَةٌ مَعَ غَيْرِهِمْ فِي الْجِهَاتِ الْقَرِيبَةِ وَانْفَرَدُوا فِي إِبْدَالِ التَّاءِ كَافًا
فِي رَأْيَتِهِ وَمَنْشَى نَرِيدُ وَتَدْعُو بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَأَيْلُو بِمَعْنَى إِذَا أَبَيْتَ الْبَيْتَ إِبْدَالُ
الْلامِ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ يَنْحَى يَنْزِلُ صَلَانَا عِنْدَنَا .

خَوْلَانٌ وَرَازِحٌ :

يَا مُحَمَّدُ عَبْدَ اللَّهِ يَارَنِي مَا رَوَّكَ طَوْلُ أَيُّومٍ يَا بَيْتَ وَقْلِي تَرَوُّ أُمِّي
ذَحِيكَ إِلَى ثَلَى يَارَ النِّحَا مُتَوَحِّيًا لَكَ وَالنَّاسُ شَاهِدَةٌ لَنَا أَيُّ يَا مُحَمَّدُ

عبد الله تراني ما رأيته طول يومنا هذا في البيت وقصدي ترد الشيء الذي عندك إلى ثمة ترانا منتظرين لك .

في هذا ترخيم محمد : يارني بمعنى تراني وإيداله التاء كافاً من رأيته وحذف لام اليوم .

وكذا البيت والهي وإبدال اللام بالتشديد لما بعده : دَحِيكَ فيه إشارة هذا عندك ثلي ثمة .

منبه الواقع جبلهم جنوب فيفاء وشمال خولان :

يا جَبَّة نَحْوُشَهْ أَرُوْ لِيَحْمَ على يواحيبي عند أمنظره بالشرية وإلا وُرُني ميد أنفذ علاه فأنو مَهَامِيْدُ يُقْنَدِي وُرُبْهَرَه شَيِّ يُزْغَرُ .

أي يا جبار أنا أخوك أخبر يحيي على يحضر معي عند الأمير يقابلني بالشرية وإذا لم يقابلني فتراني أريد أنفذ عليه لأنه ما يريد ينصف وترى بعض الأفعال كهذه يثير غضب .

فيه ترخيم جبار ، وجعل الكاف شينا في نحوشه (أخوك) ويحم أبدل الياء ميما وفي يواحيبي : بناظرني . وُرُني . تراني ميد سأفعل وإبدال الياء ألفاً من عليه يُقْنَدِي يرجع إلى طريق الحق وُرُ ترى يهر بعض :

قبيلة سحار :

كبنى جماعة في صدر الكلام وينفردون عن بني جماعة بإبدال اللام في تعريف الأسماء بالميم ولينا بدل صلاتنا لين بمعنى حتى :

محمدي وحسيني :

يبدلون الطاء تاء كاتلع أو نتالب بمعنى اطلع ونطالب :

ابن الأعلى : يبدلون الدال طاء ويجعلون على الألف في آخر الكلام همزة ويبدلون لا النافية بمع كقوله يا احمعا يا خيرري هيا ماه جالسن تتبع بعدك في القفار عا تراعي لنا أو مع .

يا أحمد يا صاحي ماذا تريد دائماً نتبع بعدك في القفار هل تراعي تنتظرنا
نمشي رفقة أم لا .

اليمين الأسفل :

ينفردون عن اليمين الأعلى بإبدال القاف غيناً مثل قاسم والدغيغ في قاسم
والدقيق ٥

تهامة اليمين :

تبدل العين همزة كياعلي يا ألى .

جبل صبر :

يبدلون الجيم قافاً مثل : يارقال في يارجال والقمل في الجمل .

* * *

نقوش أثرية

٢٤٩٨ H٢١٨٥٢ ٢١٥٢٢
 ٥٧٨ ٥٥٥٨ ٤٥ N١٢٤
 ٥٩٨ ٨٨٢٢ ٤٥ ٥٩٢
 ٤٤٥٥ ١٢٥٥ ٥٥٥ ٤٥٨٥
 ٩٥٨ ٥٥١٢ ٤٥٥ ٤٤٤ ٥٤
 ٥٥٨ ٥٥٨ ٤٤٤

نقوش أثرية في موضع يسمى « الحج المكتوب » شرق قرية « الحما »
 يقلر بخمسة أميال ويوجد في تلك الجهة كثير من النقوش الأثرية :
 « نسخها السيد حسن بن أحمد المعافري الفيضي »

الفصل الرابع

الحكومات والأمراء في المخلاف وتهامته واليمن

تمهيد :

بعد أن أشرقت شمس الرسالة المحمدية وعم نور الإسلام شبه الجزيرة العربية توحدت أجزاؤها وأذهب الله عنها الإقليمية والعصبية القبلية وقسمت إدارياً على مناطق يتولى أمرها حُكَّام إداريون يبعثون من قبل الخلافة ، في المدينة أو في دمشق أو بغداد ، وكانت الخلافة تراعي في تعيين الحكام وضم أو فصل المناطق الأوضاع الإدارية وما يتفق وسياسة الوقت والمصلحة العامة لا الوضع الجغرافي أو الإقليمي أو العصبية التي أزالها الإسلام .

وكان إذا ولت الخلافة عاملاً على جهته وضمت إليه إدارياً جهات أخرى فليس معنا أن تلك الجهات هي تابعة لتلك الجهة التي بها مقر وقاعدة عملته ، فإذا بعثت الخلافة عاملاً على مصر وضمت إليه ليبيا والقيروان فليس معنى ذلك أن تلك الأقطار تابعة لمصر . ، فوالى ما كان يطلق عليه خراسان كانت ولايته تضم عدداً من الأقاليم المختلفة الجنسيات واللغات وإنما وحدها الإسلام فأصبحت جزءاً من أجزاء الخلافة الإسلامية بينما هي في الحقيقة تضم ما يعرف الآن بـ (بليران) و (أفغانستان) و (بخارى) وأجزاء من التركستان ، هي الآن من الاتحاد السوفيتي . وفي نفس الوقت تعتبر تلك الأقطار ، أن ولآءها وبيعها هي للخلافة الإسلامية لا للمنطقة أو القطر أو المدينة التي أقام بها الحاكم الإداري فمثلاً كانت إدارة نجد تناط بحاكم أو عامل المدينة وربطت الجنوب بعامل تبالة ، وكانت كلمة (البحرين) تشمل أكثر من منطقة الأحساء والقطيف حالياً بينما هي الآن تنحصر من جزر البحرين (المنامة) . وما يتبعها من جزر .

وعلاوة على كل ذلك فقد كثر الثائرون في تهامة وفشى التشيع وأنصاره وعمت النواحي فرأى المأمون أن يبعث والياً من قبله على جنوب الجزيرة .

الدولة الزيادية

مقدمة :

تولى (المأمون) الخلافة عام ١٩٨ هـ ولم تمض سنتان على خلافته حتى قامت الثورة الرابعة للعلويين بظهور (إبراهيم بن موسى بن جعفر) واستيلائه على مكة وتهامة واليمن ونجران كما هو معلوم وقد تمكنت القوات العباسية من القضاء على تلك الثورة .

بيد أن المأمون بعد وفاة علي بن موسى الرضا ، وتخليه عن أمر نقل الخلافة للعلويين نظر إلى بعد تلك الجهات عن مقر الخلافة وما يسود أرجاءها من النزعات والفرق المختلفة - بعين المحرب اليقظ .

وإذا سمحنا للقلم بالبحث السريع في دراسة تاريخ جنوب الجزيرة - قبل الإسلام - نجده يستمد من تاريخه البعيد وتقاليده الرتيبة تقديس الأسر الحاكمة شأن من تأصلت قداسة الملكية بين شعوبها .

وجنوب الجزيرة مهد حضارات في عهد الدولة المعينية - قبل الميلاد بـ ١٣٠٠ ثم القتبانية والأوسانية والحضرية والسبئية كما مر بك في هذا الكتاب ومن المعلوم أن نظام الطبقات كان سائداً في تلك الجهات ، وأن الشعب مقسم إلى طبقات .

جاء الإسلام بتعاليمه السمحة وهدية القويم لاجتياح تلك الأرستقراطية الزائفة والفوارق المحخفة .

بيد أن تلك التقاليد العتيقة قد تعمقت ورسخت رواسيها على توالي الأجيال المتعاقبة كعادة سائدة وتقليد مألوف - ولبعد تلك الأقطار عن مركز الخلافة وضعف السلطة المركزية المحلية استأنفت بعض الشيء حكومة الأسر نشاطها الأدبي والإداري - برغم أن النفوس قد هذبها الإسلام ، بل ينخيل للمطلع أن تلك الأسر قد تنامت أسس (التشريع) الذي تستمد منه سلطتها وسلطانها قبل الإسلام ، وأصبح ارتكازها على تقاليد بالية فقدت حرارة الاعتقاد ،

وراح الشعب يبحث على ضوء تقليده إلى من يخلف تلك الأسر في سلطانه وكان والي الخليفة العباسي يكتفي في الأغلب بما تظهر له تلك الأسر من الولاء الإسمي مع دفع الخراج الذي يتقاضى أضعافه من الشعب وقد كانوا لا يدركون أن الأغلبية ترى أحقية الخلافة لغير بني العباس ، ويظهر أن المأمون تنبه إلى نشاط الدعوة للعلويين في تلك الأصقاع ورأى بحزمه المشهور ضرورة تدعيم الحكم العباسي في تلك الجهات بشخصية يعول عليها في مثل هذا موقع الاختيار على شخص من « آل زياد » يسمى (محمد بن زياد من ولد عبد الله بن زياد) بل اختار معه وزيراً شخصية أموية صميمة وهي شخصية (سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي) وكان قبل ذلك قد حمل البريد للمأمون خبر ثورة الأشاعرة وعك .

ابن زياد :

تجهز ابن زياد إلى الجنوب ترافقه القوة الكافية — لأداء مهمته — فحج وأغذ السير فوافاه في أول عام ٢٠٣ .

فتح ابن زياد تهامة واليمن — كما تقول تواريخ اليمن — مما يدل أنه دخله ظافراً بعد معارك حامية .

دان الجنوب لابن زياد واستتب الأمن في أرجائه ، وشمل سلطانه الجبال والسهول .

وباستقرار الأمور وعملاً بوصية المأمون اختط مدينة (زيد) ببلاد الأشاعرة عام ٢٠٤ ، وقد صدق حدس المأمون فإن انتصارات ابن زياد مهدت لدعوتهم في جنوب الجزيرة مائتين وخمسين سنة .

كان لابن زياد مولى يسمى (جعفر) على جانب من الدهاء والخصافة وحسن التدبير حتى ضرب به وبمولاه المثل فقتل — ابن زياد بجعفر — وقد نسب إلى جعفر هذا أحد مخالفين اليمن المسمى بخلاف جعفر .

في عام ٢٠٥ بعد توطيد ابن زياد دعائم الحكم العباسي وجّه مولاه جعفر إلى الخليفة المأمون بأموال وهدايا ، كبرهان على أداء مهمته وإنفاذ برنامج سياسته .

وفي عام ٢٠٦ عاد جعفر من بغداد وبرفقته (ألف) فارس منهم تسعمائة من مسودة خراسان - أو بالأحرى الحرس الخاص - لتوطيد الأمن وتعزيز الإدارة المركزية ، فتعزز بذلك سلطان ابن زياد ، وعم نفوذه غالب جنوب الجزيرة وخطب له بصنعاء وصعدة وبيحان ونجران وعدن وجرش وحلي والمخلاف السلياني حتى أدركته الوفاة عام ٢٤٥ .

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد :

تولى إبراهيم بن محمد الحكم بعد وفاة أبيه ويظهر أن عهده عهد استقرار وخول بدليل أن مؤرخي عصره لم يعبروه كبير عناية سوى أنه تولى عام ٢٤٥ واستمرت ولايته ٤٤ عاماً وتوفي ٢٨٩ .

زياد بن إبراهيم :

اختصر المؤرخون في تاريخ ولايته ودور ولايته لا يتجاوز سنتين .

أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم :

تولى حكم اليمن عام ٢٩١ هـ ، وفي أيامه تقدمت جيوش (القرامطة) على رأس علي بن الفضل إلى (تهامة) وهاجمت مدينة زبيد ففر أبو الجيش ودخلت القرامطة زبيد عنوة واعملوا السيف في أهلها وسبوا أربعة آلاف عناء فأمر علي بن الفضل بذبحهم بموضع يقال له المشاحيط ، وقد تكون هذه المذبحة مبالغاً فيها لسوء سمعة علي بن الفضل .

طالت مدة أبي الجيش حتى وهن عظمه وضعفت منته فعجز في آخر أيامه عن إدارة الحكم في ذلك العهد الذي كان الحاكم كل شيء في دولته فامتنعت عليه الأطراف وانقطعت عن اسمه الخطب في كثير من الجبال والسهول ومن اسقط اسمه من الخطبة سليمان بن طرف الحكمي أمير (المخلاف السلياني)

وهو من « حلي » إلى « الشرجة » وجعل الخطبة باسمه - بعد اسم

الخليفة العباسي - وكذا السكة ، وكان ارتفاع عمله خمسمائة ألف دينار
عثرية ، نسبة إلى عاصمته الجديدة مدينة « عثر » .

وخرج عن سلطته كثير من البلاد ، في الجنوب والشرق ، وإن كانت
تعتبر نفسها - في نفس الوقت - تابعة للخلافة العباسية كبقية البلاد الإسلامية .

وقال ابن الجاور ص ١٨٤ ج ٢ وممن امتنع عن أبي الجيش « سليمان
ابن طرف » صاحب « عثر » وهو من ملوك تهامة وبلاد « أعماله » مسيرة
عشرة أيام في عرض يومين ، وهي من الشرجة - الموسم - حالياً ، إلى
« حلي » .

ابن أبي الجيش :

خلف أبو الجيش طفلاً اختلف المؤرخون في اسمه هل هو إبراهيم أو
عبد الله أو زياد ، تولت كفالته عمته هند بنت إبراهيم تحت وصاية مولى
من موالهم يسمى (رشيد) حبشي الأصل ثم مات رشيد فقام بكفالة الطفل
والوصاية عليه وصيف لرشيد يسمى (الحسين بن سلامة) .

الحسين بن سلامة :

أصله من النوبة نسب إلى أمه ، ربي في كنف مولاه (رشيد) الذي
اعتنى في تنشئته وتربيته وتأديبه فشب متعلماً على جانب من العفة والحزم
ورأس من في الدار وتولى غالب أمور الدولة في حياة مولاه (رشيد) .

فلما توفي رشيد قام (الحسين بن سلامة) بالأمر على وصاية الطفل وكانت
دولهم قد سرى إليها الضعف والانحلال من أيام أبي الجيش وغلبت أمراء
الجبال والمخالفين على الأطراف فكان هم هذا الوصي الحازم إعادة هبة
الدولة واستعادة ما انفرط من أطرافها فلم يقبض على زمام الإدارة حتى
جهز البعوث وجند السرايا وجرد الجيوش على الخارجين على دولة بني زياد
وحالفه التوفيق على استعادة غالب إمارة الزبادين .

إن الحسين بن سلامة من طراز فريد في الرجال ممن يتولون الحكم في

فترات من التاريخ فما استقرت له الأمور وساد الاستقرار والأمن حتى أخذ في الإنشاء والتعمير وإشادة المدن ، وتسهيل سبل المواصلات وشق الطرق وإقامة الأميال والبرد وبناء المساجد والجوامع وإقامة المنائر مما يفخر التاريخ بتسطيره .

فأنشأ المدن الآتية :

- ١ - مدينة الكدراء على وادي سهام .
- ٢ - مدينة المعقر على وادي ذوال .
- ٣ - أدار أول سور على مدينة زبيد .
- ٤ - جدد مسجد معاذ في رأس الوادي تحت الجبل .
- ٥ - شيد مسجد العارة في أسفل الوادي على ساحل البحر .
- ٦ - شيد مسجد الأشاعرة .
- ٧ - شيد جامع حلي .
- ٨ - سهّل عقبة كراء بين مكة والطائف .

روى (الديبع) من رجال القرن التاسع قال ، قال ابن عبد المجيد (١) رأيت اسم الحسين بن سلامة مكتوباً في ألواح في عدة مساجد أو أماكن كجامع زبيد ومسجد الأشاعرة و كجامع (حلي) وأماكن كثيرة وبمسجد الرباط بـ (أبين) وهو من أحسن المساجد وأوسعها ، وروى الديبع أنه رأى اسم الحسين بن سلامة في مسجد الأشاعر بزبيد في لوح من خشب الساج بالقلم الكوفي وهو موجود إلى الآن - أي في القرن التاسع - في الجدار القبلي ولم يكتف بتلك المنشآت بل نظر إلى الإصلاح العمران نظرة عامة في مملكته الواسعة فيما يعود لمصلحة شعبه ورفاهية مملكته (٢) .

شق الطرق وسهل السبل في الجبال والسهول وبني الأعلام وأقام الصوى والأميال والفراسخ والبرد من حضرموت إلى مكة مع توضيح مسافات الطريق كما يأتي :

(١) في تاريخه بهجة الزمن .

(٢) انظر عن بعض أعماله (تاريخ عمارة) ص ٣٩ وما بعدها .

١ — أولها من شبام وترىم إلى عدن وأبين ولحج والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة جامع ومنازة وبئر مع ما نصب على طول تلك المسافات من الأميال والبرد والقراسخ .

٢ — من عدن تفرق طريقان :

(أ) طريق تصعد الجبال .

(ب) تسلك تهامة .

قال عمارة النخعي فمن ذلك ما رأيته ومنها ما وروى لي رواية لإجماع — ويلاحظ هنا أنه بين عمارة والحسين بن سلامة نحو ١٢٠ سنة — فأما طريق الجبال فرأيت بها جامع « الجوه » وهو جامع كبير عمره حسين بن سلامة ورأيت جامع « الجند » وهو مثل جامع ابن طولون بمصر ، وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه معاذ بن جبل ثم جدده وزاد فيه حسين بن سلامة ، ثم جامع ذي أشرق مكتوب فوق بابه : مما أمر به عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ثم مدينة «اب» المشهورة ثم النقييل ثم مدينة ذمار ثم بين ذمار وصنعاء مسافة نحو خمسة أيام في كل مرحلة منها بناء . ثم من صنعاء إلى صعدة عشرة أيام ثم من صعدة إلى الطائف عشرة أيام . في كل مرحلة جامع ومصانع للماء ثم عقبة الطائف وهي مسير يوم للطالع من مكة ، ونصف يوم للهابط ، عمرها الحسين بن سلامة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها — هذه الطريق العليا .

فأما الطريق التي تمر تهامة فهي تفرق إلى طريقين .

١ — طريق ساحلية على البحر .

٢ — طريق متوسطة وهي الجادة السلطانية .

وفي كل مرحلة منهما الساحلية والوسطى جامع ومنازة وبئر .

١ — الساحلية :

١ — المخبث وهي على ليلة من عدن وبها بئر طولها ثلاثون باعاً أنا وردتها مراراً وجامع رأيته متهدم .

- ٢ — العارة بها جامع وبئر طولها أربعون باعاً .
 ٣ — عيرة
 ٤ — باب المنذب
 ٥ — مدينة الحما
 ٦ — مدينة النجاري
 ٧ — » الخوخة
 ٨ — » الأهواب
 ٩ — » غلافقة
 ١٠ — » نبعة
 ١١ — » الحردة
 ١٢ — القحمة
 ١٣ — » اللوعة
 ١٤ — » الشرجة وبها جامع عظيم
 ١٥ — » القنيدرة
 ١٦ — » عثر وهي مقر ملك عظيم
 ١٧ — » حمضة
 ١٨ — » ذهبان
 ١٩ — » حلي
 ٢٠ — » السرّين
 ٢١ — » جدة

٢ — الطريق الوسطى :

- ١ — ذات الخيف
 ٢ — موزع
 ٣ — الجلون
 ٤ — حيس
 ٥ — زبيد
 ٦ — فشال
 ٧ — الضحي
 ٨ — الكراء وهي مقر ملك عظيم
 ٩ — الجنة
 ١٠ — عرق النشم
 ١١ — المهجم
 ١٢ — مور
 ١٣ — الواديان
 ١٤ — الساعد
 ١٥ — حرص
 ١٦ — وادي تعشر
 ١٧ — وادي خلب
 ١٨ — وادي جازان
 ١٩ — (بياض الأصل) ثم تلتقي بالطريق الساحلية وتفرق من السرّين .
 ٢٠ — بئر الرياضة
 ٢١ — الليث

٢٢ — وادي الخضراء المشهور بالهضبة وبه قبائل هذيل ، وبه مآثر أبينية عتيقة يصل إليها الإنسان من باب معقود تحت الأرض بالحجر وفي الموضع

شمالاً على بعد ميل أو زيادة جبل على قفاه تمثل لشخص ، يقال : إنه المؤسس لتلك الجهة .

انتهى ما نقل عن عمارة وذكر الديبع أن الحسين بن سلامة كان عادلاً في الرعية كثير الخيرات والصدقات ولم يزل حتى أدركته الوفاة عام ٤٠٢ وقيل ٤٠٣ هـ .

عبد الله بن زياد :

انتقل الأمر بعد وفاة الحسين بن سلامة — وفاته طفله الموصى عليه — انتقل إلى طفل آخر اسمه (عبد الله) ، وهكذا أصبح العصر عصر أطفال ودولة أوصياء من الموالي ، وأقيم على الطفل وصي من موالي الحسين بن سلامة اسمه مرجان استقر مرجان في الحكم بعض الوقت اليسير وكان لمرجان وصيفان قد قام بتربيتهما وتأديبهما وهما .

١ — نجاح . ٢ — نفيس

فولى نجاح أعمال الكدراء والمهجم ومور والواديين .

وأناط بنفيس تدبير الإدارة العامة للدولة . أو بالعرف الحاضر رئاسة الوزراء .

وهنا وقع التنافس بين الرجلين على واردات الدولة وقد عرف الأول باللين وشهر بالعدل والرأفة بعكس الثاني الذي اتسم بالشدة والقسوة التي نفرت القلوب منه ولاحتدام بغضاء بينهما أخذ كل منهما يعمل في الخفاء الساعة الحاسمة .

وهنا اتصل بعلم نفيس أن عمه الطفل (عبد الله بن زياد) تكتب نجاحاً وتميل إلى تأييده ضده فقام بدوره باستصدار أمر موقع من مرجان الوصي الشرعي بالقبض على العمه والطفل تمهيداً لإعدامهما وفي سنة ٤٠٧ أي بعد القبض عليهما بيسير بنى عليهما جداراً في القصر الملكي وهما يناشدانه الله حتى ختم الله عليهما وكان هذا الطفل آخر ملوك آل زياد حسب الجدول :

الاسم	من	إلى	مدة الحكم
محمد بن عبد الله الزياتي	٢٠٣	٢٤٥	٤٢
إبراهيم بن محمد	٢٤٥	٢٨٩	٤٤
زياد بن إبراهيم	٢٨٩	٣١١	٢٢
إسحاق بن إبراهيم	٣١١	٣٧١	٦٠
ابن أبي الجيوش بوصاية رشيد ثم حسين بن سلامة	٣٩١	٤٠٣	١٢
	٤٠٣	٤٠٧	٤
عبد الله بن زياد			

الدولة النجاشية

قضى (نفيس) على الملك الطفل وعمته بتلك الصورة البشعة الوحشية التي هي من الفظاعة مما تشور له النفوس وتنفطر القلوب لاستبشاعه واستنكاره فهاج الرأي العام ضد جبروته فاستغل نجاح الأمر خير استغلال وقام مطالباً بثأر مولاه وعمته ، وعندما استكملت استعدادات نجاح الذي قد شهر أمر عصيانه على مولاه مرجان بحجة المطالبة بدم القتيلين تقدم نجاح بقواته على مدينة زبيد ، وبعد قتال مرير أسفر عن قتل نفيس على أبواب زبيد دخل نجاح ظافراً وتقدم إلى قصر الحكم الذي أقام فيه مرجان ينتظر مصره المعروف .

دخل نجاح القصر على مرجان وكان أول سؤال وجهه إليه : أين مواليك ومواليكنا ؟ فقال مرجان مشيراً بأصبعه : تحت ذلك الجدار ، فأمر نجاح فوراً بهدم الجدار وإخراج الجثتين وصلى عليهما ودفنهما في احتفال مهيب وأمر بوضع مرجان في مكانهما من الجدار وأن يبني عليه حياً ففعل به ذلك في ذي القعدة سنة ٤١٢ .

نجاح :

استقل نجاح بالملك وضرب السكة باسمه ودعى له على المنابر وبقي في الحكم ١٤ عاماً إلى أن توفي سنة ٤٢٦ مسموماً من قبل الصليحي الذي يدير الحركة السرية في جبال اليمن من قبل الفاطميين .

سعيد الأحول بن نجاح :

بويع لسعيد الأحول بن نجاح بعد موت والده بصفته أكبر أبنائه وكانت قد استفحلت دعوة الصليحي الذي لم يؤخر ظهورها إلا الخشية من خنكة نجاح وعدم الحزم بالفوز مع وجوده ، فلما توفق إلى سبه لم يقف في وجه دعوته التي أثارها واقف ، فلم تمض سنتان إلا وقد قضى نهائياً على آخر معقل من معقل النجاشيين وطرد سعيداً الأحول فقر هارباً إلى دهلك في

عام ٤٥٢ واستمر الصليحي ملكاً على اليمن وتهامة وعدن كما امتد سلطانه على الحجاز كما سنوضحه في ترجمته بحوله تعالى حتى قتل على يد سعيد الأحول بعد ٢١ عاماً من تاريخ تغلبه على الدولة النجاشية .

في أواخر عام ٤٧٣ رجع سعيد الأحول سراً إلى زبيد بعد أن مهد لهذا النزول وقتاً ليس بالقليل ووافته المعلومات الوافية عن الصليحي وعلاقته مع أهل تهامة خاصة مدار حكم النجاشيين ، ومن تلك المعاومات علم أن لا طاقة له ولا قدرة على التغلب على قوة الصليحي ، وأنه لا أمل في النجاح إلا بقتل الصليحي في حركة خاطفة يكون منهبها المغامرة الجريئة المتسمة بروح التضحية والفداء وعلى هذا الأساس رسم الأحول خطته .

في تلك السنة عزم الصليحي على الحج وإخضاع شريف مكة الذي تخلى عن طاعته وقطع الخطبة باسم الفاطميين بعد طرده السليمانيين الذين أنابهم الصليحي عنه في حكم مكة وخطب للخليفة العباسي .

خرج الصليحي في وجهته تلك من صنعاء في ألف فارس بعد أن أناب ابنه أحمد المكرم . خرج موكبه تظله الأعلام الخفاقة في ألف فارس ترج الأرض بجوافر خيولها القاهرة وتملأ الأفق بصهيل أصواتها الصاخبة وصليل سيوف حماها وقعقة سلاح أبطالها تردد أهازيج أناشيدهم ودوي قرع طبولهم الجبال الشاغمة والمخارم المتجاوبة فيردد صداها تتجاوبه الهضاب والآكام حتى غاب الموكب عن عيون سكان صنعاء الذين خرجوا لتشيعه وتوديعه في جموعهم الزاخرة ومواكبهم الهادرة ، وكان في الموكب مائة وستون فارساً من آل الصليحي وهكذا مر الموكب تستقبله الحفاوة ومظاهر الأفراح في كل مدينة يجتازها وحي يمر بأرجائه تتقاطر على مواكبه الوفود وتحف بسيره الحشود حتى اجتاز المنطقة الجبلية التي هو أحد أبناء عشائرها النابذة قبل الملك .

وهبط على سهول تهامة في بحر من الجياد غوارب آذنت الأبطال حتى وصل ضاحية المهجم بضبعة تدعى أم الدهيم ويثر تشهر بأمر معبد فحط الموكب ثقله وطنب الجيش خيامه وتحفف من أسلحته وعدده وركن بعد ذلك السفر

المضني والرحلة الشاقة - وقد أصبح الآن في السهول - إلى الدعة والاستجمام وأخذ كل جماعة في لهوهم أو مجاذبة الأحاديث حول ما مروا به في طريقهم :

أطل الصليحي من رواق خيمته المنصوبة على مرتفع يشرف على الخيم المترامي الأطراف في ذلك السهل الأفيح وكان في أثناء الرحلة قد سمع بحركة سعيد الأحول في زبيد فاحتاط للأمر بأن انتدب خمسة آلاف جندي ترصده على طول طريق الساحل فلم تفت (سعيداً الأحول) الحيلة فارتاد لسيره المتهيب عن عيون الجيش المترصد وسار ومن معه متلصصين بين جنوع أشجار الشاطئ يغذون السير حتى شارفوا على مخيمه .

وفي تلك الساعة التي أطل منها الصليحي رمق على البعد أشباح قوم أضنانهم الجوع وأوجاهم الخفا في أسمال بالية ليس عليهم من السلاح شيء إلا جريدة في رأسها مسمار وعددهم لا يتجاوز السبعين شخصاً فظن الصليحي أنهم من بعض معني فضله ومنتجعي بره وما راعه إلا صوت أخيه عبد الله بن علي الصليحي وكان قريباً منه : اركب ، اركب ! فهذا والله الأحول فلم يبرح الصليحي مكانه حتى وصل إليه الأحول فقتله ^(١) وقتل أخاه وقتل من معه من سائر الصليحيين القريبين منه وصالح بقية العسكر قاتلاً لهم إنما أخذت بثأري وحز رأس الصليحي وأخيه واستولى على جميع ما في مخيمه من الأموال والذخائر وآتية الذهب والفضة وخمسة فرس محلاة بأسراج مذهبة ليزين بها موكبه في موسم الحج ، وأقام حرساً على امرأة الصليحي (أسماء بنت شهاب) المرافقة للحملة وسار من حينه إلى زبيد يتقدمه هودج زوجة الصليحي وأمامها رأس الصليحي ورأس أخيه ، وعلى رأس الأحول مظلة الصليحي وتحت فرسه وبين يديه كامل زينة الموكب حتى دخل زبيد ، وفي ذلك يقول شاعرهم العماني :

بكرت « مظلته » عليه فلم ترح إلا على الملك الأجل سعيدها

(١) وفي رواية أن الذي قتله جيش بن نجاح وأن عبد الله الصليحي اشتبك مع أحد الأقباش وقبض كل منهما الآخر فصاح الحبشي اقتلوني وهذا فشكهما سعيد الأحول بحريته واحتز رأس عبد الله .

ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها
سود الأراقم فاتكت أسد الشرى يا رحمتاً لا سودها من سودها

أنزل الأحول أسيرته زوجة الصليحي في دار (نشخار) ووكل بها من يحرسها ونصب الراسين أمام نافذة الدار فأقامت أسماء تحت الأسر سنة لم تتمكن من الكتابة في خلالها لابنها حتى استطاع رجل مشرقى من الدنو من الدار في زي فقير فأعطته رغيماً في باطنه كتاب إلى ابنها أحمد المكرم الذي لا يزال في هلكتهم على القسم الجبلي غير قادر على استعادة القسم التهامي من «الأحول» وقد احتوى كتابها أنها قد أصبحت حاملاً من «الأحول» سفاهاً، استشارة لحمية ابنها وإثارة لحفيظة قبائل قحطان التي هي منهم في الصميم وترمي من وراء ذلك للأخذ بثأر زوجها واستخلاصها من الأسر فقط وإلا فالحقيقة أن (الأحول) لم ير وجهها قط.

وصل الكتاب إلى ابنها «أحمد المكرم» فجمع كافة رؤساء القبائل، وفي جمع القوم الحافل قرأ عليهم الكتاب فاستنكفوا لمضمونه وثار حبيتهم واستعلوا لأمر استخلاصها مهما كلفهم الأمر واجتمع له منهم ثلاثة آلاف فارس غير المشاة وسار بهم أحمد المكرم من صنعاء إلى زيد، فلما وصلوا إلى نصف الطريق وقف خطيباً في جموعهم وأنبأهم بأنهم قادمون على الموت—فن يرى في نفسه الاستعداد فليسر في ركبه ومن أراد الرجوع فليرجع معنوراً من موقفه وتمثل بقول المتنبي :

وأورد نفسي والمهند في يدى موارد لا يصلرن من لا يجالد
فرجع من رجع وسار فيمن بايعه على الاستبسال إلى الظفر أو الموت :
بلغ سعيد الأحول تقدمهم فحشد جموعه ورابط بهم على باب المحرى
أحد أبواب مدينة زيد .

أقبلت حشود قحطان فرساناً تتحرق إلى القتال وغسل «العار» الذي ظنوه لحق أرملة ملكهم الراحل والذي تربطهم به لحمية النسب ورابطة الجنس وصلة الدم، وحملوا حملة صادقة اكتسحت صفوف الأحباش الذين ولوا

الأدبار تتأثرهم قبائل قحطان الخلص حتى أتوا على أكثرهم قتلاً وأسراً وكان ذلك سنة ٤٧٥ .

وكان سعيد الأحول رجل المباغيات والمغامرات قد أعد لكل شيء عدته من النصر والهزيمة ، قد أعد خيلاً مضمرة على بوابة الجانب الآخر لمدينة زبيد فما شعر بالهزيمة المحققة حتى انسل انسلال الأرقم هو وذووه الأدنون وركبوا الخيل المعدة إلى السفائن المجهزة لفرارهم إلى معقل التجأهم الأول (دهلك) .

دخل القحطانيون مدينة زبيد عاصمة النجاشيين عنوة وكان أول فارس وقف تحت نافذة « أسماء بنت شهاب » ابنها « أحمد (١) المكرم » قائلاً : ليبيك ، فلم تميز شخصه لما عليه من عدد القتال ، ولما غشاه من رهج المعركة فسألته من ، فقال : أحمد بن علي ، فقالت : أحمد بن علي في الناس كثير ، وأمرته أن يحسر اللثام ويرفع المغفر فرفعه وهو يتصبب عرقاً من المعترك ، فأصابه ريح ارتعش لها واختلجت بشرة وجهه وعاش بعد ذلك سنين عديدة على تلك الحالة .

فدخل المكرم القصر وفتحت أبوابه على مصراعها وجلست أسماء بجانب ابنها بارزة الوجه كما تعتاد ذلك في أيام الصليحي ، وأقبل قادة الجيش ورؤساء القبائل يهتثون ابنها بالنصر ويسلمون عليها بالفوز والخلص .

وبعد أن استقرت الحالة أناب أحمد المكرم خاله أسعد بن شهاب على مدينة زبيد والأعمال التهامية ، ورحل إلى صنعاء وبرفقته والدته أسماء بنت شهاب ، ودخلها في موكبه الظافر ترفرف عليه ألوية النصر .

وقد عاشت أسماء في كنف ابنها بعد ذلك حتى أدركتها الوفاة عام ٤٧٩ .

(١) يروى أن جيشاً أشار على أخيه سعيد الأحول يوم قتل الصليحي : أن يفك أسر زوجته ويعفو عن بقية آل الصليحي وغيرهم من ذويهم واتباعهم وأن يكتب للمكرم : اننا دركنا ثأرنا واستمدنا ملكنا وما عداه ، فقد أكرمنا والدتك واعدناها إليك مكربة مصانة وعفونا عن بني عمك وذويك وخاصتك : فإن فعلت لاتنازعك قحطان ، فنع وقال لانطى ذلك ورفض .

استقرت الأحوال عامين تقريباً ، وفي عام ٧٧٤ عاد سعيد الأحوال إلى زبيد ٥

لم يكن الأحوال ممن يستكين للهزيمة أو يخضع للأحداث فما استقر في دهلك حتى استأنف نشاطه ضد الصليحي ، واتصل بمن يثق بإخلاصهم من رجال عهده ومن صنائعهم السابقين فمهدت الأمور حتى استكملت الأهبة وتم الاستعداد ، استأنف الأحوال مغامراته وانقض على زبيد فطرد منها أسعد بن شهاب نائب الصليحيين ، ومن ثم بسط نفوذه على تهامة .

هزيمة سعيد الأحوال وقتله :

في هذا التاريخ كان العقل المدبر للدولة الصليحية في القسم الجبلي الذي بقي تحت حكمهم السيدة « بنت ^(١) أحمد » زوجة أحمد المكرم كما سنوضحه في تاريخها ، وقد رأت بثاقب نظرها أن لا وسيلة ناجحة في القضاء على سعيد الأحوال منافسهم العنيد وخصمهم اللود إلا بإعمال الرأي وتدبير الحيلة الماكرة ، وفعلت قامت بالتنفيذ للخطة التي رسمتها لذلك العمل الخطير . استدعت عاملها ^(٢) على حصن الشعر أحسن معقل للدولة الصليحية وأقواها منعة واتفقت معه على الترتيبات ورسم الخطه ، وكان بالطبع في سرية تامة .

وبعد عودة العامل إلى حصن الشعر شرع في الاتصال السري بالأحوال يعرض عليه إخلاصه وإنه ان تعهد له بمقدار من المال وتعهد له بما يطلبه لنفسه من شروط سهل له سبيل الاستيلاء على المعقل الحصين الذي باستيلائه عليه يتم له بكل سهولة محاصرة (ذي جبلة) العاصمة الجديدة للصليحيين ومن ثم تملكها والقبض على السيدة بنت أحمد وخزائنها ، صادف هذا العرض أمنية طالما هفت نفس الأحوال إلى تحقيقها .

تعهد الأحوال للعامل بتحقيق جميع مطالبه ودارت المخابرة السرية في

(١) ويطلق عليها لقب بلقيس الثانية ولاين أبي الحفاظ الحجوري شاعر اليمن في القرن الخامس مدائح طنانة في مدحها سوف توردها في « التاريخ الأدبي » بحوله تعالى .

(٢) الحسين النبى .

تفاصيل الاتفاقية حتى وثق الأحول بصدق العامل الماكر ولم يبق إلا تنفيذ خطة الاستيلاء على المعتقل الحصين والتي تنحصر في نهوض الأحول على رأس قوة تصل إلى قرب المعتقل فيسهل لها العامل الدخول إليه بدون مقاومة .

وبالرغم عن ذلك فقد جمع سعيد الأحول كل ما استطاع جمعه من قوة وعدد زيادة في الحيلة وتوجه برفقته زوجته « أم المعارك » .

أما السيدة بنت أحمد فقد أعدت له كميناً من أخلص رجالها وأعدت قوة أخرى رتبها لقطع خط الرجعة وسد المضائق والشعوب :

أقبل الأحول بالجيش ولم ير ما يستدعي الرية أو يوجب الخلد فشرع في التقدم صوب المعتقل ممتناً نفسه فلم يشعر إلا وقد خرج عليه الكمين فبدد شمل جيشه وأطبقت عليه قوات الصليحيين من كل جانب وقتل سعيد الأحول في معمعان المعركة وأبيد جيشه قتلاً وأسراً وأخذت زوجته أم المعارك أسيرة واقتيد هودجها إلى ذي جبلة ورأس الأحول أمام الهودج حتى وصلت إلى السيدة بنت أحمد التي أمرت بإنزالها في دار من دور مدينة ذي جبلة وأن ينصب رأس الأحول أمام نافذتها :

وكانت السيدة بنت أحمد تقول : ليت لمولاتنا أسماء بنت شهاب عين ترى بها رأس الأحول أمام هودج زوجته ثم منصوباً أمام نافذة الدار المأسورة بها ، وكان قتل الأحول سنة ٤٨٢ هـ .

ومن التدابير الناجحة لخطتها المحكمة في هذا اللور التي قامت بتمثيله خير قيام أنه في اليوم الذي تحقق لديها قيام سعيد الأحول على رأس قواته للاستيلاء المزعوم على المعتقل أمرت أسعد بن شهاب أن يتحرك على رأس قوة كبيرة من صنعاء إلى زبيد وحددت له خطط السير بدقة فائقة حتى يتفق أن يكون وصوله إلى زبيد في اليوم والوقت الذي يصل فيه الأحول قرب المعتقل بين شقي « الكماشة » وتم ذلك بكل دقة ووصل فعلاً أسعد بن شهاب إلى زبيد واستولى على مدينة زبيد بدون مقاومة تذكر وفر من فيها من بني نجاح على رأس جياش بن نجاح ووزيرهم قسيم الملك أبي سعيد خلف بن طاهر الأموي إلى دهمك - ومنها إلى الهند .

جياش بن نجاح :

وصل جياش ووزيره خلف بن طاهر الأموي الهند ومكثا بها ستة أشهر حتى هدأت الأحوال فرجعا سرّاً إلى اليمن فوصلوا إلى ميناء عدن ، ومنها افترقا بعد اتفاقهما على خطة العمل .

١ - فوصل خلف إلى زبيد مستأمناً لنفسه ومذيعاً خبر وفاة جياش في الهند :

٢ - وصعد جياش مستخفياً إلى ذي جبلة ، مقر الدولة الصليحية الجديد :

وصل جياش إلى ذي جبلة في زي وقيافة فقراء « الهنود » متأبطاً هراوته وحاملاً قدحه مطيلاً شعر رأسه وساتراً عينه العوراء بنحرة سوداء إمعاناً في التنكر فلرس الحالة وسبر الأمور واطلع بنفسه على كل ما يهمه ، وقد ساعده زراية مظهره إلى ارتياد كل محل يهمه بصفته فقير غريب لا يثير منظره شبهة أو تشير حالته إلى ريبة .

وقد رأى ما عليه « أحمد المكرم » من الانعكاف على لذاته والانغماس في شهواته وتفويضه أمور الدولة إلى زوجته السيدة بنت أحمد ، وانحدر بعد ذلك إلى مدينة زبيد .

عودة جياش بن نجاح إلى زبيد :

عاد إلى زبيد متخفياً في زيه المستعار ، وأقام قريباً من دار الإمارة كأنه أحد المتسولين الهنود فإذا جن الليل آوى إلى مصطبة الوزير علي القمي - وزير والي زبيد أسعد بن شهاب - فسمع ذات ليلة الوزير علي القمي يتفوه وهو محتدم غضباً ويقول : والله لو كلب من آل نجاح موجود لسلمته زبيد .

وفي أحد الأيام وجياش على المصطبة خرج من الدار الحسين بن علي القمي وهو يومئذ رأس الطبقة الممتازة في لعب الشطرنج بين أهالي زبيد ، فقال له هل تلعب الشطرنج يا هندي ، فقال له نعم فأدخله الدار وتلاعبا فغلبه الهندي ، فثار الحسين ابن الوزير غضباً وكاد أن يبطش به ، وفي أثناء

ذلك دخل الوزير ، فقال الحسين لوالده : غلبني الهندي الملعون ، فقال والده ما ظننت يا بني أحداً يغلبك ما عدا المرحوم الأمير جياش بن نجاح ، الذي مات بالهند ، ثم قال الوزير - وكان من أساطين لاعبي الشطرنج - دعه يا بني أنا ألعبه ، وهنا تدهى جياش وتعهد التساهل في لعبه حتى تم (الدست) مائعاً فاغتبط الوزير وخف الهندي على قلبه ، وقال يا هندي إلزم الدار وسنكفيك مؤنة العيش ولا نكلفك شيئاً .

مكث الهندي عدة أيام في بيت الوزير ، وكان الوزير على غير انسجام مع نائب الصليحيين وكثيراً ما يصل إلى داره محتتماً من مخالقات تقع بينه وبين نائب الصليحيين أسعد بن شهاب ، فيسمعه يقال : عجل الله علينا بكم يا آل نجاح .

ظل الهندي - أو بالأصح جياش - يقضي سخابة يومه والقسم الأول من الليل في دار الوزير فإذا هجم كل من في الدار تسلل خفية إلى حيث يجتمع بوزيره السابق خلف بن أبي طاهر إلى قبل أذان الفجر فينسل إلى دار الوزير ، وفي ذلك الاجتماع السري يقومون بتدبير أمر ثورتهم ، ويطلعه الوزير خلف على مراحل العمل أولاً بأول ويتلقى منه ما ينبغي أخذ رأيه فيه .

وهكذا ظل العمل سائراً في المرحلة التمهيديّة حتى تم للوزير خلف الاتصال بكافة الأجباش من رجال آل نجاح المتفرقين في أنحاء تهامة ، ثم من يتوسم فيه مشابعتهم ، ومن ثم أخذ في إعدادهم للساعة الحاسمة وحشدتهم سرّاً في الضواحي حتى بلغ عددهم خمسة آلاف محارب فأدخلهم مدينة زبيد ليلاً متفرقين ووزعهم في أرجاء المدينة في بيوت المخلصين للنجاحيين وأخبر جياشاً بآخر مراحل العمل فسر بذلك وأمره بأن يصل إلى عمر بن سحيم أحد تجار زبيد وأن يستلم منه عشرين ألف دينار ويوزعها على الخمسة آلاف الموزعين في المدينة .

وقبل أن يتم كل ما ذكرناه بأيام قليلة عاد ذات ليلة الوزير على القمي إلى داره ودعى الهندي للملاعبة الشطرنج ، وبينما هما مستغرقان في الشوط دخل

ابن الوزير الحسين بن علي القمي منفعلا يطرد عبداً من عبيدهم فأدركه قرب الهندي فضربه بسوط نال الهندي طرفه وهو مستغرق في اللعب فاعتزى الهندي قائلاً : أبو الطامي ^(١) - فالتفت الوزير مستغرباً وسأله ما اسمك ؟ فقال اسمي « بحر » فقال الوزير مندهشاً : بحر يصلح أن يكني أبا الطامي ؟ وساءت ظنون القوم به ، وقال : هذه يا سيدي كنييتي .

وفي ليلة أخرى لعب الهندي مع الحسين ابن الوزير ، والوزير مضطجع بالقرب منهما ، يرشد ابنه إلى مقاتل اللعبة فقال لابنه : إن غلبت الهندي أوفدتك إلى أحمد المكرم بخراج تهامة - وكان ينال من يوفد بها ألوف الدنانير - فتراخى الهندي في لعبه ليتمكن ابن الوزير من الغلب حتى فاز فاستخفه زهو الانتصار وطاش به الفرح فشتم الهندي فاحتمل له ذلك فزاد في شتمه وإغاظته حتى مد يده لانتزاع الخرقه السوداء التي يغطي بها عينه فانتهره والده وقام الهندي يتعثر في مشيته من شدة الغيظ فارتطم بشيء أمامه فاعتزى أنا جيش أبو الطامي بصوت مختنق لم يتميزه واضحاً إلا الوزير فجري وراءه حافياً حتى أدركه في الدرج فانتحى به إلى خلوة سرية وقال : له انتظر وأحضر مصحفاً وقال : أقسم لك بهذا الكتاب الكريم إن أنت كشفت لي حقيقة أمرك لكان عندي سرّاً لأبوح به لأحد ، وبعد أن اطمأن الهندي أخبره بالحقيقة فتعاهدا .

وحالا أمر الوزير بإخلاء دار الأغر الصليحي وفرشت وعلقت عليها الستور ونقلت إليها جارية هندية لجيش كان اشتراها من الهند وقدمها قبله إلى زبيد عند أحد خلصائه وهي حامل وعند منتصف الليل نقله إلى الدار فوجد جاريته تنتظره ، وبعد قليل لحقه الوزير على القمي وقال له : قد استوثق كل منا من الآخر فاخبرني بسر حركتك ولا تخف عني شيئاً فأطلعه بجميع ما تم من أول مراحل الحركة إلى دخول الخمسة آلاف مقاتل وتوزيعهم في أرجاء المدينة فقال له الوزير علي القمي : أعلن أمرك ولا تخف فقال جيش إنني أكره قتل الوالي أسعد بن شهاب لأنه طالما ترفق في الانتصار على

(١) وهي كنية جيش ، وكان من عادته إذا استفزان يعترى .

ذوينا فغنى عنهم عفو القادر وأحسن إليهم ، فقال له الوزير افعل ما تراه أليق بك .

انصرف الوزير من عنده بعد منتصف الليل ، فأرسل جيشاً إلى وزيره خلف وأطلعه على ما جرى واتفقا على إعلان الثورة التي يتوقف أمر إعلانها على إعطاء الرجال الموزعين داخل المدينة الإشارة المتفق عليها وهي ضرب الطبول التي يستعمل قرعها الأجباش في مدة دولة النجاشيين لإعلان الهجوم في الحرب ومن انصرف خلف إلى داره أوغر بقرع الطبول فانطلق الرجال من مخابثهم وساعدتهم كافة أهالي زبيد في الهجوم على الحامية الصليحية وقصر الإمارة بعد أن صدرت التعليمات لكافة الجنود بعدم قتل أسعد بن شهاب ولم تشرق شمس ذلك اليوم إلا وقد أقبلوا به مخفوراً إلى قصر جيش فلما دخل عليه قال أسعد بن شهاب : ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد والأيام سجال بين الناس ومثلي لا يسأل العفو فقال له جيش : ومثلك لا يقتل وأولاه خيراً وسيره بجميع ما يملكه من أهل ومال إلى آل الصليحي .

ولم يمض شهر واحد حتى صار جيش يركب في عشرين ألفاً من حملة الحراب .

كان جيش بن نجاح أديباً بارعاً له أشعار رائقة وترسل بارع وهو المصنف لكتاب التاريخ المسمى « المفيد في أخبار زبيد » قال الديبع هو كتاب متسع الإفادة عزيز الوجود ، ومن شعره :

إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أنقى وأروح
وفي العفو ضعف والعقوبة قوة إذا كنت تغفون عن كفور وتصفح

استمر جيش في ملك تهامة ولم يكن من أحمد المكرم بعد ذلك كبير خطر أكثر من غارات غير ناجحة على أعمال زبيد وقد تولى جيش أمر تهامة من سنة ٤٨٢ إلى ٤٩٨ وتوفي في ذي الحجة من السنة نفسها .

اختلاف أبناء جيش بن نجاح :

خلف جيش أربعة من الرجال وهم :

الفاتك بن جيش ، منصور بن جيش ، إبراهيم بن جيش ، عبد الواحد ابن جيش .

وكان رجال الجيش يميلون إلى عبد الواحد وبقية رجال الحكومة متفرقوا الرأي كل منهم مع واحد من الثلاثة الباقين وتقسمت الأهواء والثالث الأمور إلى أن ظفر الفاتك بأخيه عبد الواحد فعنف عنه وأكرمه وأغناه واستقام الأمر نوعاً للفاتك :

مخالفة إبراهيم بن جيش :

يبد أن إبراهيم شق عصا الطاعة وخرج من زبيد سرّاً ونزل على أسعد ابن وائل الكلاعي الحميري مستنصراً على أخيه فأكرم أسعد وفادته غاية الإكرام .

وفاة الفاتك بن جيش :

توفي الفاتك بن جيش عام ٥٠٣ وكانت مدة ملكه سنتين تقريباً وخلف طفلاً اسمه منصور دون البلوغ فبايعه موالي أبيه .

عودة إبراهيم بن جيش إلى زبيد :

علم إبراهيم بموت أخيه فجمع جموعه قاصداً مدينة زبيد وكان عبد الواحد أيضاً بدوره متحزراً في داخل زبيد يغتم اضطراب الأحوال واختلاف الآراء بين مؤيدي المنصور بن الفاتك وبين مستبشري بزحف إبراهيم بن جيش فاهتبل الفرصة وقام بالدعوة لنفسه بزبيد وتغلب على ابن أخيه منصور بن فاتك ومواليه وأخرجهم قسراً من زبيد ، فالتجأوا إلى الفضل بن أبي البركات الحميري صاحب التمكر^(١) والسيدة بنت أحمد ، والتزموا لهم بربيع الخراج إن نصروهم فنزل معهم الفضل على رأس رجاله كما سنوضحه .

(١) التمكر معقل مشهور في اليمن الأعلى .

ولما قرب إبراهيم بجيشه من زبيد وعلم أن أخاه عبد الواحد قد سبقه إلى تملك المدينة توجه إلى الحسين بن أبي الحفظ الحُجُورِي .

عودة منصور بن الفاتك إلى مدينة زبيد :

عاد منصور بن الفاتك بقوة جديدة أمده بها الفضل صاحب التعكر ، والسيدة بنت أحمد وتغلب بها على عمه عبد الواحد واستقر له الأمر نهائياً في تهامة كأسلافه إلى أن أدركته الوفاة عام ٥٣٠ .

امارة الفاتك بن محمد بن منصور بن الفاتك بن جياش :

تولى الإمارة الفاتك بن محمد واستمر فيها إلى أن قتل على يد مواليه سنة ٥٥٣ وزالت الدولة بعد قتله على يد علي بن مهدي الحميري عام ٥٥٤ ، ولم يكن لأولاد الفاتك بن جياش من الأمر إلا المظهر والخطبة بعد الخليفة العباسي والركوب في أيام الأعياد والمواسم ، وأما الأمر والنهي فاستوالهم كما سنوضحه بعده .

جدول ملوك آل نجاح

الاسم	من	إلى	المدة
نجاح	٤١٢	٤٥٢	١٤
سعيد الأحول (١)	٤٥٢	٤٥٤	٢
سعيد الأحول (٢)	٤٧٣	٤٧٥	٣
سعيد الأحول (٣)	٤٧٧	٤٨٢	٥
جياش	٤٨٣	٤٩٨	١٤
فاتك بن جياش	٤٥٠	٤٥٣	٢
منصور بن الفاتك	٥٠٤	٥٣٠	٢٦
الفاتك بن محمد	٥٣٠	٥٥٤	٢٤

الحالة العامة في العهدين الزيادي والنجاحي

نستشف من دراسة أحوال الإمارة « الزيادية » أن أوضاعها السياسية والإدارية أقرب إلى المنهج الأموي منها إلى العهد « العباسي » فؤسسها الأول ينحدر إلى من ألحقه « معاوية » بنسبه ، ووزيره أموي صميم ، وإذا نظرنا إلى الغرض الأول في توليته أمر اليمن من قبل الخليفة المأمون وهو محاربة الدعوة العلوية في اليمن ، ظهر للقارئ الكريم أن اختيار الخليفة له يتفق ونزعة هذا الأمير .

ليس لدينا المصادر الكافية للدراسة الأحوال العامة في عهد تلك الإمارة ونسق إدارتها ووضعها الإداري والسياسي ، وإنما لدينا بعض ذلك عن الإمارة النجاحية التي هي في حقيقة الأمر امتداد للإمارة الزيادية ، فالنجاحيون هم موالي الزياديين انطبعوا بطابعهم وساروا على منهجهم وتأثروا بمبادئهم ، ولا شك أنهم كانوا يتخذونهم المثل الأعلى في منهجهم السياسي والقوة في الإدارة والحكم ، ونلاحظ أن المؤسس الأول للإمارة الزيادية كان مقلداً لسياسة جده الأول زياد مع الفارق بالطبع لمقتضيات سياسية الوقت والزمان والمكان .

وتشير بعض المصادر إلى أن قبل ولاية الزيادي الأول انتشرت دعوة العلويين في الجنوب ، فتخوف اليمنيون عاقبتها وما يترتب على نجاحها من صدع الوحدة وتفرق الجماعة ، وما ينجم من ورأها من التصدع وما يحدث من الثورات ومحالفها من الفتن والحروب بين أبناء الأمة الواحدة التي قد استظلت تحت لواء الخلافة العباسية التي شمل سلطانها الوطن العربي العام ، فبعثوا وفداً إلى الخليفة المأمون ، كان في مقدمتهم محمد بن زياد لاطلاعه على جليلة أحوال « اليمن » ووضع حد لما يصدع الوحدة ويفرق الجماعة ، وكان الزيادي على جانب من اللباقة السياسية فتمكن من كسب رضا المأمون وضمن له صيانة اليمن من دعاء العلويين ، كما يقول ابن خلدون ، فأسند

إليه أمر ولاية تلك البلاد - فهل محمد بن زياد قد ولد في اليمن حتى أصبح واحداً ممن يشترك مع ذوي الرأي في سياسته العامة ومقدراته الاجتماعية فيسير في مقدمة الوفد إلى مقر الخلافة ؟ وهذا مالا يستبعد فتشتت الأمويين بعد نجاح دعوة بني العباس شيء معروف ، ومع ذلك فالعربي - في حقيقة الأمر والوضع - أينما حل من الجزيرة أو بلاد العروبة ، فقد حل في أهله ووطنه ، وعلى كل فليس تحت أيدينا ما يشير إلى من انتقل من آبائه من العراق إلى اليمن .

تولى الزيايدي إمارة اليمن فسار في سياسته على المنهج الأول فكانت إمارته أشبه بمشيخة القبائل منها بالإمارة المنظمة ، وكان فيها شيء من العنف والشدّة واحتكار السلطة مما يروى عنه أنه منع على أهل جهاته اقتناء الخيل ، والملاحظ أنه لم يستطع القضاء على الإقطاعيات وإنّما أخفت أصواتها وحد من سلطتها ، فدان لسلطانها من حلي ابن يعقوب إلى عدن ، وامتدت سلطته إلى الحجاز الاعلا ، ومخالف اليمن الاعلا ، وبيحان ، ونجران ، وبالجملّة فقد شمل أمره سهول اليمن وجبالها .

انقضت مدة الإمارة الزيايدية - كما مر بك مفصلاً - وخلفهم مواليهم النجاشيون فازدهرت الإمارة في أول عهدهم ، ثم تخللها كثير من الضعف والثورات الداخلية مما سهل التغلب لمواليهم والسيطرة على مقدرات تلك الإمارة حتى أصبح الأمير النجاشي رمزاً لا أكثر ولا أقل ، ولا غرو فقد اقتدي موالي النجاشيين بما هو سائر في مركز خلافة ببغداد من استبداد الموالى الأتراك على الخلافة العباسية ، وأول استبداد وقع على الدولة النجاشية هو من أنيس الفاتكي مولى الأمير منصور بن فاتك النجاشي .

وزارة أنيس الفاتكي :

تولى الوزارة ، وكان أقل ما يوصف به أنه متجبر غشوم ، شعوبي النزعة نسى فضل العرب الذين تبوأ ذلك المركز الرفيع في بلادهم ، فأساء السيرة فيهم وأثنى القتل في جمهورهم فنزح أكثرهم من تهامة . وتناسى مكانة

أميره فاتخذ لنفسه من زينة الموكب ما كان مقصوراً على الأمير ، فعمل مظلة لركوبه وضرب اسمه على السكة ثم هم بقتل مولاه .

شعر الأمير منصور بن فاتك أو بالأحرى أفاق من غيوبته فتنبه إلى الخطر الذي سيطوح برأسه فتذرع بالحيلة وعمل ويمة عامة واستدعا وزيره ، فلما حضر احتال عليه وقتله ، فكان أول وزير حزر رأسه منذ تأسست الدولة الزيادية ، واصطفى الأمير أمواله وحريمه في سنة ٥١٧ هـ .

وزارة من الله الفاتكى :

هو أيضاً من موالى فاتك بن جياش ، وصف بأنه كان جواداً ممدوحاً من شعراء عصره - سوف نورد بعض ما مدح به في التاريخ الأدبي ، وهذا الوزير هو الذي هزم على بن إبراهيم المصري المعروف بابن نجيب الدولة على أبواب زبيد ، وقتل من أصحابه نحو تسعمائة في أواخر عام ٥١٨ هـ . وله واقعة أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح ، قتل فيها من أبناء العروبة الأشواس نحو ألف قتيل ، فرفع ما حازاه من النصر في الوقعتين مكانته ووطد مركزه فطمع في مركز الإمارة ، ودس السم للأمير منصور ، وكخطوة لتحقيق مظامعه أقام على الإمارة (طغلا) من أبناء الأمير منصور .

البدخ في القصور النجاحية :

كان النجاحيون مغرمين بتقليد البلاط العباسي ، فحشدوا في قصوره الشائخة الكثير من السراري والوصائف وركنوا إلى التفرغ لشهواتهم وهيثوا لأنفسهم وسائل اللهو وأسباب الترف ويكنفي هنا بالإشارة إلى أن الأمير منصور بن فاتك توفي ، وفي قصره ألف (سرية) وهو في عهود تدهور تلك الإمارة واستبداد الوزراء بأمورها وتصرفهم في مقلراتها فلما بالنّا في عهود قوتها وعنفوان سلطتها .

نهاية الوزير من الله الفاتكى :

بموت الأمير منصور مسموماً أقام الوزير الأمير الطفل واستبد بالأمور استبداداً مطلقاً وتفرغ للملاذة وشهواته واطلق لتواضعه العنان ، واتخذ من

سرايا الأمير المتوفي مسرحاً لفجوره ومورداً لإطفاء سعار شهوته ، بل امتد فجوره إلى بنات مواليه ، فاحتالت عليه إحدى (حظايا) الأمير المتوفي وقتلته بالسّم في ليلة ١٥ حمادى الأولى سنة ٥٢٤ .

كان من الله مع ما هو معروف من فجوره وفحشه مقدرّاً للعلماء باراً بهم ، وقد يكون بر من يشترى صبتهم وعدم استنكارهم بإحسانه ، وهو الذي جدد بناء سور مدينة زيد ، وبقتله قامت بالوصاية على الأمير الطفل أمه الحرة علم ، وكانت من فضليات النساء على جانب من التدين ، كثيرة البر والصدقات فأُسندت منصب الوزارة إلى أحد موالِيهم المسمى (زريق الفاتكى).

وزارة زريق الفاتكى :

كان متصفاً بالشجاعة والكرم فأُجزل العطايا للشعراء ، إلا أنه لم يستطع أن ينسجم في سياسته مع الجيش .

كان واسع الثراء وقد أنجب ثلاثين ولداً فتناخضت فريضة تركته وفريضة من مات من أبنائه قبل تفريض تلك الثروة الضخمة وانتشرت واتسعت حتى أنه يقال لم يستطع أحد من الفقهاء في اليمن على طول باعهم وكثرة اشتغالهم في علم الفرائض تفريضها إلى أن قدم إلى زيد رجل مُسنٌّ من حضرموت يسمى أحمد بن محمد الحاسب في عام ٥٣٩ قاصداً للحج فأخرج فريضتهم وصحح حسابها وأعطاهما الفقيه عمارة الخدقي ووضح له تقسيم حصصها فاستفاد عمارة من ذلك .

استمر زريق في الوزارة إلى أن أدركه العجز وأقعدته الشيخوخة ثم تخلى عن الوزارة فأُسندت إلى أحد الموالِي المسمى مفلح الفاتكى .

وزارة مفلح الفاتكى :

لقب من صغره بمفلح البغل ، وكان وهو في الوزارة يتبره منافسوه بذلك فلا يغضب ويقال أنه من كبار فقهاء عصره متحلياً بالأدب مشهوراً بالجدود وفي وزارته قدم إلى زيد أبو المعالي ابن الحباب ، من الديار المصرية ،

فابتاع وصيفاً حبشياً للخدمة فهرب الوصيف وتعلق بغلمان الوزير مفلح ،
فكتب إليه أبو المعالي :

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه وعاقته عن سقياي إحدى العوائق
فإن لم تجلني هاطلات غمامكم فلا تدن مني محرقات الصواعق

فوصل البیتان إلى يد ابن الوزير فاستدعا الغلام وأعادته إليه مع أربعة من
جنسه واستحضر أبا المعالي وطلب منه مدح أبيه ، وعندما وصل بالقصيدة
أدخله عليه واستأذن له في الإنشاد وبعد أن انتهى من القصيدة أثابه الوزير
بخمسة دینار وأعطاه الإبن ثلثائة ثوباً على قصيدة أخرى مدحه بها .

استمر مفلح على الوزارة حتى وقعت الوحشة والشحناء بينه وبين قائد
الجيش سرور ، فاحتال القائد على إخراجهم من زبيد فلحق بحصن من حصون
برع ظل منه يغادي ويرواح الغارات على زبيد إلى أن تمكن سرور من فل
غاراته فلزم الحصن إلى أن أدركته الوفاة عام ٥٢٩ هـ فخلفه على الحصن ابنه
منصور أما الوزارة فقد تولاها إقبال الفاتكي .

وزارة إقبال الفاتكي :

تولى الوزارة بمساعدة القائد سرور ، وقد مر بك أنه بعد موت الوزير
السابق مفلح خلفه على الحصن ابنه منصور فظل في قتال مع سرور وأخيراً
تخلى عنه أصحابه فطلب الأمان من الأمير النجاشي ووزيره إقبال فأمناه ونزل
إلى زبيد فخلع عليه الوزير وأنزله بدار أبيه ومن الغد قتله غيلة فأغضب
ذلك الأمير والقائد سروراً فاعتذر لهما وأظهر الإنابة ثم دس السم للأمير
فقضى نحبه في شعبان عام ٥٣١ هـ .

ب وفاة الأمير الذي لم يكن له عقب يخلفه ، اتفق رأى أعيان الدولة على
بابعة ابن عمه الأمير فاتك بن محمد وكان ضعيف الرأي خائر العزم ، كما
أجمعوا على تنحية إقبال عن الوزارة .

وزارة سرور الفاتكي :

هو وزير لآخر أمير من النجاشين ، وهو أيضاً من موالى الأمير الفاتك

النجاحي ، وعندما نجب واشتد ساعده تولى رئاسة الحرس وتدير أمر القصور ولازال يرتقي المناصب حتى تولى قيادة الجيش .

إن في ملاك سيرته ما يعطينا صورة واضحة عن المثالية في الإماراتين الزبادية والنجاحية .

كان سرور متديناً ، قال عنه عمارة - وهو قد عاصره - كان يخرج من بيته إلى المسجد بعد نصف الليل أو ثلثيه ، وقد سئل عن أسباب خروجه ، فقال : أخرج لأجل من لا يقدر على الوصول إليّ بالنهار من أرباب الستر وأهل البيوت لفرط الحياء أو لكثرة الناس ، فإذا صلى الفجر ركب إلى صالح يزوره أو مريض يعود ، أو ميت يحضر جنازته ، أو عقد نكاح يشهده ، ولا يخص بذلك أحداً بل على وجه العموم ، ومن دعاه أجابه ، وإنها والله لمثالية - يستمدّها من سيرة الرسول الكريم ﷺ وخلفائه الراشدين ، إلى أن يقول : ويجفو عليه المتظلم ويغلظ له في القول وهو آمن من غضبه ، ومتى استدعي إلى مجلس الحكم حضر تواضعاً : ويقعد بين يدي الحاكم أي القاضي .

ثم بعد طوافه يرجع إلى باب الإمارة فيدخل ويسلم ويجلس فيقضي حوائج الناس إلى وقت الغداء فيذهب إلى بيته فيقيم فيه إلى الزوال ثم يخرج إلى المسجد فلا يشتغل بشيء - بعد الفريضة - غير سماع المسندات الصحيحة للحديث حتى تحين صلاة العصر فيصلبها ويعود إلى بيته إلى غروب الشمس فيخرج إلى المسجد فيصلب المغرب فإذا انتهت الصلاة تناظر الفقهاء بين يديه إلى صلاة العشاء فيصلب ويرجع إلى داره ، ولم تزل تلك عادته إلى أن قتل ، بمسجده في الركعة الثالثة من صلاة عصر يوم الجمعة ١٢ رجب ٥٥١ .

سيرته العامة :

ومن سيرته العامة أنه يخرج من زييد في آخر شهر شعبان فيصوم في مدينة المهج فينفذ أمور الجهات الشمالية من دولتهم - ويتوسع في نفقاته وصدقاته في رمضان توسعاً يجاوز الحد بحيث تبلغ نفقات مطبخه في اليوم ألف دينار .

وفي آخر شوال يعود إلى العاصمة زبيد .

وصف استقباله :

يخرج الناس إلى استقباله على اختلاف طبقاتهم إلى خارج العاصمة ويقفون على تل مرتفع ويقبل الوزير في موكبه فإذا ناظر جموعهم ترجل عن جواده وصافحهم فرداً فرداً على الوجه الآتي :

١ - أول من يتقدم إليه فقهاء الشافعية والحنفية والمالكية .

٢ - الأعيان والتجار .

٣ - العساكر .

ثم يستأنف الموكب سيره إلى دار الإمارة فيقضي حق السلام على الأمير ثم يدخل إلى جناح الأميرة والدة ، فيتفرق من حولها إن كان لديه ما يوجب استشارتها من مهام أمور الدولة ، ما عدا امرأتين من خواصها تقفان في آخر المجلس ، الأولى تسمى غزال وهي أخت زوجة الوزير والأخرى من جوارى منصور وهما مشهورتان بالتقى ، ثم ينصرف من حضرته إلى صلاة الظهر فيصلبها جماعة في مسجده ويدخل إلى داره .

بعض موازنة الإمارة

قال عمارة رأيت جريدة نفقاته المعتادة فقرأت بها :

١- ما يدفع للفقهاء والقضاة والمنتصدين لأمر الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والمفتين ١٢٠٠٠ دينار .

٢- ما يدفع لحاشية الدار وأعيان الدولة وغيرهم ١٢٠٠٠ دينار .

٣- ما يدفع إلى بيت الأميرة الوالدة (علم) وحاشيتها ومن بالمعية ١٥٠٠٠ دينار .

وروى عمارة أن المحمول إلى بيت مال سرور من أعماله في كل سنة ٦٠٠٠٠ دينار •

والمحمول من بيت مولاته وحاشيتها على وجه الهدية ١٥٠٠٠ دينار .

وفي أيام هؤلاء الوزراء عمل القاضي الرشيد أحمد بن الحسين الغساني الأسواني (المجاري) القنوات التي يجري الماء فيها إلى داخل زبيد من الناحية الشرقية ، في عمل هندسي أدهش أهل عصره .

المقراطة أودعاة العبيدين في اليمن

علي بن الفضل ينتسب إلى خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة الحميري ،
ويظهر أنه من غلاة الشيعة ، قبل أن يتصل بالعبيدين فيروى أنه حج ،
وبعد حجه توجه لزيارة قبر الحسين رضي الله عنه بكر بلاء :

وهناك حول الضريح التي بميمون القداح ، الذي لم يأل جهداً في استمالته
والتأثير عليه لما رأى فيه من ملامح الذكاء والشجاعة حتى جعله من خاصته ،
ثم بعثه داعياً إلى اليمن يرافقه أحد رجال القداح المسمى منصور بن فرج
ابن حوشب بن زاذان الكوفي ، وقد خصص لكل منهما منطقة عمله ودائرة
نشاطه كالآتي :

١ - منصور لجهة عدن لاعة .

٢ - علي بن الفضل لجهة يافع .

قال نشوان الحميري في «البحر العين» صحيفة ١٩٧ - ١٩٨ - : أول من
نشر مذهب الاسماعيلية باليمن الداعي أبو القاسم بن فرج بن حوشب بن زاذان
الكوفي وهم - أي الاسماعيلية - يرون أن محمد بن إسماعيل بن جعفر ،
كان بالمدينة وولد له ولدان جعفر ، وإسماعيل وأقام حتى شهر أمره في
عهد الخليفة هارون الرشيد ، فبعث بحملة إليه وحُدَّتْ (١) محمد فاتخذ
سرباً وهو أقدم من سرداب سامراء الثاني عشر الجعفريين ، وغاب فيه زمناً
واستتر في داره بالمدينة ، ثم أنه بعد أن هدا الطلب خرج مستوراً وخلف
ولديه بالمدينة ، فصار إلى نيسابور ثم صار إلى الديلم ، وولد هناك ولداً
يكنمون اسمه ويسمونه الإمام المستور ، وتوفي محمد بن إسماعيل بالمشرق ،
وأوصى إلى ابنه هذا بالإمامة وهم يلقبونه بالمهدي ، ثم أوصى إلى ابنه الثاني
يمثل ذلك وهو يلقب بالمقتدي ، ثم أوصى إلى ابنه الثالث يمثل ذلك وهو

(١) هكذا في الأصل .

يلقب بالهادي ثم انتقل الهادي إلى الكوفة ، وبعث منها المنصور أبا القاسم ابن فرج بن حوشب داعياً لليمن وأمره أن يدعو إلى ابنه عبد الله المهدي وبعث معه علي بن الفضل الخنفرى ، وكان قد وفد إليه من اليمن ، فخرجوا جميعاً إلى مكة ، ثم افترقا فقصده المنصور عدن لاعة ، وقصده ابن الفضل إلى أرض يافع ، ثم إن المنصور طلع جبل مسور وافتتحه وأسر العامل الذى كان فيه للأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالى من حصن مسور ونزل فيه ، فبعث إليه الهادي بأبي عبد الله الحسين بن امرق الهرمزي ولقبه المنصور أيضاً وأمره أن يبعث أبا عبد الله هذا من اليمن إلى المغرب ، فلقب بالمعلم وعرف به ثم عرف بالشييعي وبالمشرقي وربما لقب بالصنعاني .

علي بن الفضل بن الخنفرى الحميرى :

قصده علي بن الفضل جهة « يافع » فألفاها تربة خصبة لبذور دعوته فارتدى ثوب الورع وأظهر الزهد والتقى ، وأقام على قدم التجرد والعبادة والعزلة حتى أصبح مناصب رجائهم وموضع اعتقادهم ، فبث دعوته وكثر مريدوه وأتباعه ، وعندما استوثق من قوة مركزه جند أتباعه وحشد مريديه وأشياعه وقادهم للأطراف القريبة ، ومنها أضاف من اتبعه وسار إلى (سلطان الحج) أبي العلاء الأصبحي .

تغلب علي « الحج » وغنم خزائن صاحبها الذي كان أغنى ملوك اليمن في عهده فاشتد ساعده بالمال وكثر حشده بالرجال فقصده جعفر بن أحمد المناخي صاحب المذيخرة فقتله واستولى على بلده المذيخرة وجعلها عاصمة أمره ومركز حركته .

تحرك من المذيخرة إلى صنعاء فملكها لأول مرة عام ٢٩٣ وأخرج منها ، ثم استعادها عام ٢٩٤ ، ثم أخرج منها واستعادها عام ٢٩٩ .

وعند ذلك أمار اللثام عن مذهبه الهدام وإباحيته السافرة وادعى النبوة وأمر المؤذن أن يقول أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، ومما يروى

نقيم شرائع هذا النبي	خذي العود يا هذه واضربي
وجاء نبي بني يعرب	تولى نبي بني (هاشم)
ومن فضله زاد حل الصبي	أحل البنات مع الأمهات
وحط الصيام فلم تنعب	وقد حط عنا فروض الصلاة
وإن صوموا فكلي واشربي	إذا الناس صلوا فلا تنهضي
ولا زورة القبر في يثرب	ولا تطلبي السعي عند الصفا
من الأقربين ولا الأجنبي	ولا تمنعي نفسك المعرسين
فكيف	

كان بعد فتحه الأول لصنعاء قد انهمرت جحافلها على تهامة والجبال
نهب الأموال وتنتهك الأعراض وتبيح لنفسها المحرمات ، فأراقت الدماء
أنهاراً وتركت البلاد خراباً ، ودخل مدينة زبيد ففر من وجهه أبو الجيش
الزيادي واستباحها ثلاثة أيام يقتل الرجال ويسبي النساء ، واصطفى من السبي
أربعة آلاف عذراء ، وبعد أن خرج بهن من زبيد قتلهن في موضع يسمى
المشاحيط .

في تلك الأثناء انتقضت عليه صنعاء ، ودخلها يحيى بن الحسين الرسي
الملقب بالهادي ، ولم يلبث ابن يعفران أن أخرج الهادي في عام ٢٩٤ ،
وفي نفس ذلك العام كر ابن الفضل فأخرج ابن يعفر من صنعاء ، فاستدعا
أهلها الإمام الهادي فطرد علي بن الفضل منها ، ثم بعد ذلك عاد ابن الفضل
وطرد الإمام الهادي ، وهنا تقدم ابن يعفر فاستعاد مدينة صنعاء ، وفي
عام ٢٩٩ استعادت القرامطة مدينة صنعاء وطردت أسعد بن يعفر ، ثم رأى
أن السياسة اصطناع أحد الخصمين فاصطلح مع أسعد بن يعفر على أن يتولى
إمارة صنعاء تحت رعايتهم فتولى لهم أمر المدينة وقطع الخطبة للعباسيين ،
وخطب للعبيدي صاحب مصر واستمر أسعد على إمارته للقرامطة على صنعاء
حتى عام ٣٠٣ ، السنة التي مات فيها علي بن الفضل مسموماً بمشرط متطبب ،
وصل من العراق لتلك المهمة ، واتصل قبل وصوله إلى المذخرة برجل

بني العباس أسعد بن يعفر ، وشجعه على أداء القيام بمهمته وتعهده له بكل ما يطمئنه ويغريه ومما تعهد له به أنه يشاطره ماله إن بقي على قيد الحياة .

وصل المتطبب إلى عاصمة ابن الفضل « المذيخرة » ومكث وقتاً يمتن الطبابة التي قد أتقن فيها فشهر عند الخاص والعام ، وقويت به ثقة الناس وتناقلت الثناء على فنه حتى وصل ذكره إلى علي بن الفضل فأرسل له يوماً ليتولى فصدده وعندما مثل بين يديه أخرج المشروط ومصه علامة أن المشروط خالياً من السم - وهي عادة يقوم بها الأطباء ، وفي حين فصددهم الملوك ، ومن في طبقتهم - فاطمأن علي بن الفضل ، بيد أن الطبيب قد جعل مادة سامة في شعر لحيته فسح المشروط بالشعر يوهمه أنه يحففه من الريق الذي علق به فلم يكن في ذلك ما يثير ريبة علي بن الفضل ، وباشر بعد ذلك عملية الفصد وانصرف مسرعاً ، وهناك التهاب الفصد ، فبحثوا عن الطبيب ، فلم يجلبوه ، فثارت مخاوف علي بن الفضل ، وأمر بالقبض عليه أينما وجد ، واقتفاء أثره حتى عثروا عليه بعد أن قضى نحبه علي بن الفضل فقتلوه ، وبموته جمع أسعد ابن يعفر جموعه وحاصر المذيخرة ولم يفارقها حتى استسلمت ، وقتل ابن علي بن الفضل وأسر بناته الثلاث ، وذلك عام ٣٠٤ .

منصور بن فرج بن حوشب :

تقدم منصور إلى منطقة نفوذه ونقطة نشاطه وبدأ في العمل حتى إذا استوثق من قوة ساعده ونجاح دعوته بعض الشيء وثب بمن معه على جبل مسور ، وأسر عامل إبراهيم بن محمد بن يعفر ، وجعل منه مركز استقرار لا مركز انطلاق يساعد زميله ضمن تلك الدائرة الضيقة ، وقد طغت مقدرة علي بن الفضل على مقدرة زميله وجعله كالعضو الأشل داخل منطقة ذلك الجبل

ويظهر أن عمل ونشاط علي بن الفضل لم يرق في عين زميله ، وراح ينتقد عمله ويتهمه بالخروج عن طاعة العبيدين ، فلما لم يجد ذلك نفعاً وأخيراً ضاق ذرعاً بذلك التفوق والنجاح ، وران على قلبه الحسد ، فأعلن على زميله الحرب ، وكان علي بن الفضل بدوره محققاً على ذلك الزميل الذي أكل

قلبه الحسد ، فاتخذ من تلك المخالفة السافرة ، والعداء المكشوف حجة في القضاء عليه .

تحرك علي بن الفضل على رأس قواته إلى زميل العمل وصديق السلاح ، وأقام على جبل « مسور » محاصراً حتى سعى بينهم من يهمة أمر مصالحهم على أن يترك علي بن الفضل لزميله منطقة « مسور » فقط .

مكث منصور على إمارة الجبل إلى أن أدركته الوفاة ، فأوصى بالدعوة في مسور لابنه تحت وصاية عبد الله الشاوري ، ويظهر أن جهاز الاتصال بالمركز الرئيسي كان على غاية التنظيم والإشراف على الخلايا المنبثة في أنحاء الجزيرة العربية وفي إفريقيا وبالطبع أن المركز الرئيسي لم يوافق على الوصاية بل صلر أمره بإسناد الأمر إلى عبد الله الشاوري بمفرده .

لم يرق في عين حسن بن منصور التخلي عن الإمارة ولم يكن من أولئك الذين يرون أن من أوجب الفروض إطاعة إمامهم المزعوم فما هو إلا أن جمع أمره ووثب على الشاوري فقتله ونفض يده من تلك النزعة الزائفة ورجع إلى مذهب السنة والجماعة .

بيد أن للقضية العبيدية أنصاراً ومتشيعين مخلصين ومتحمسين قد ران الباطل على بصائرهم فنظروا إلى تصرفه بعين السخط والازدراء والمقت وتأمروا على خلعه وأسئلوا أمرهم إلى أحد الأشياء المتحمسين المدعو إبراهيم ابن عبد الحميد فتغلب عليه وطرده وأهله من مسور إلى بني عشب وهناك أغار المحاورون عليهم باسم أنهم باطنية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وبإخراج أبناء منصور من مسور اختلف إبراهيم بن عبد الحميد مع زميل آخر يسمى ابن العرجي ونشب بينهما القتال ، فانتقلت الدعوة إلى شخص يسمى ابن الطفيل ومنه إلى آخر يعرف برحيم إلى أن مات واستخلف لها رجلاً من شبام يسمى يوسف بن الأشج ولا يبعد أن بعض أنظمة ودعوة القوم صادفت الاستجابة عند الكثير من رؤساء العشائر والقوم في ذلك التاريخ لمقابلتها للكثير من مألوف بعض التقاليد .

لهذا نجد أن يوسف الأشج يعهد بدعوتهم إلى شخصية من أصحاب أقوى الحصون في اليمن ، هي شخصية سليمان بن عبد الله الزواحي ، صاحب حصن كوكبان المشهور ، كما اعتنقها شخصية مماثلة في مركزها للأولى ، وهي شخصية الحسين بن عامر بن طاهر صاحب حصن حبابة .

وبإسناد الأمر إلى سليمان بن عبد الله الزواحي ، كادت القضية أن تبلغ ذروة نجاحها وساعد الرجل جاهه وماله ودهاؤه فلم يأل جهداً في الترويج والدعاية واستعمال كافة طرق الغواية والاستهواء والاستمالة والحيل الشيطانية - التي تلك الفرقة من أقدر خلق الله على استعمالها والزواحي هذا هو الذي اكتشف استعداد ذلك المرید الذي كان أبرز من لعب الدور الرئيسي منهم في اليمن أعني علي بن محمد الصليحي .

والصليحي هو الذي استطاع إخضاع كافة اليمن والحجاز لدعوتهم وعمل ما لم يقيم به غيره ، فبعد استيلائه على جبل مسور استمال كافة القبائل من سنحان وهمدان وحمر ، وتحرك إلى صنعاء فملكها كما ملك حضور ، ثم هزم رئيس همدان الأعلا يحيى بن حاشد الضحاك ، كما أباد بني آل الفتوح الخولاني وآل الكرندي وآل معن وغيرهم من الأمراء الإقطاعيين .

الْحَوَالِيُونُ

الحواليون هم من بني عامر بن عوسجة ذي حوال الأصغر ، ينتمون إلى
ذي حوال الأكبر بن يريم بن ذي مقار ، منهم الأمير يعفر^(١) بن عبدالرحمن
مؤسس الإمارة اليعفرية في صنعاء .

وكان يسكن قرية شبام اقيان ، من مخلاف إقيان بن زرعة بن سبأ
الأصغر ، وقرية شبام يطل عليها جبل ذخار التي هي في عرضه ، وفي قمة
الجبل مما يليها قصر كوكبان المشهور .

حروبه مع ولاية بني العباس :

من تلك القرية العريقة حارب الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحولي :
قواد المعتصم والوائق والمتوكل ، وهم :

١ - منصور بن عبد الرحمن التنوخي .

٢ - الشير أو الشارباميان الفارسي .

٣ - جعفر بن دينار الخياط .

٤ - هرثمة .

فقل جموعهم ، وهزم جيوشهم ، من قريته ذلك المعقل الحصين .

(١) انظر في الأكليل (ج ٢ ورقة ١١ وما بعدها) نسخة (برلين) المصورة بحثاً وافياً
عن اليعفرين هؤلاء . وقد طبع الكتاب ، وأخبارهم في الجزء الثاني من المطبوع

الدولة اليعفرية باليمن

في عام ٢٣٩ في خلافة المعتصم العباسي كان واليه على اليمن هرثمة في ذلك التاريخ قد نشطت الأسرة القوية في تثبيت وتكوين إقطاعيات بحسب قوة نفوذ كل منها ، ومركز عصيته ، وكان على رأس تلك الأسرة أسرة الحوالمين التي بدأ رئيسها الأمير يُعْفِرُ بن عبد الرحمن الحوالمين بمقاومة الوالي العباسي ، وقد استمر على مقاومته إلى زمن خلافة المعتمد العباسي ، وكان قد قوى نفوذه فانهز فرصة تولية المعتمد ، فأخذ له البيعة التقليدية ، وكتب له بذلك والدولة العباسية في تاريخنا هذا من الضعف بحيث تقنع بالمظاهر الشكلية ، والعهد التقليدي فوصله الأمر بالتفويض فتوطدت بذلك شرعية إمارته على صنعاء وأغلب مخاليف اليمن الأعلى .

الأمير يعفر بن عبد الرحمن :

بعد سنتين من ثورته استطاع أن يجلي الوالي العباسي عن مدينة صنعاء ، ورغبة في مصانعة الوالي العباسي القوي محمد بن عبد الله بن زياد ، فقد رأى الأمير يعفر مهاداته وإظهار الطاعة الإسمية له والخطبة له بعد بني العباس ، ومصانعته بالهدايا وبعض الخراج ، فاكتفى ابن زياد منه بذلك . وقد تولى السلطة في تلك الإمارة محمد بن يعفر الذي أرغم والده على التنازل له .

في أواخر عام ٢٣٢ هـ حج الأمير محمد بن يعفر واستخلف ابنه أبا يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر . وبعد عودته من الحج أنشأ جامع صنعاء .

استمر إبراهيم في مشاركة أبيه في إدارة شؤون الإمارة إلى عام ٢٦٥ هـ . فنجم الخلاف على أشده بين الابن وأبيه ، وكان الأمير الجد - يعفر بن عبد الرحمن - لا يزال على قيد الحياة يزفر السخط على ابنه الأمير محمد

فبدلاً أن يتدارك الخلاف بين ابنه وحفيده أخذ في توسيع الفتق وتحريض حفيده على قتل أبيه ، وكانت النتيجة المأسوف لها قتل الأمير الشاب لو والده بعد غروب شمس يوم في صومعة بمسجد مدينة شبام ، وهنا اضطربت

الأمور واختل الأمن وكان لذلك الفعل الشنيع موجة من الاستياء والسخط وخروج كثير من أمراء قبائل همدان وغيرهم مثل :

١ - إبراهيم بن عبد الله الدعام سيد همدان^(١) .

٢ - الفضل بن يونس المرادي بالجوف .

٣ - جعفر بن أحمد المناخي صاحب المذخرة .

بلغ الخلاف أسمع الخليفة العباسي فارتأى حسماً لذلك أن يتنحى القاتل عن الإمارة وأن يعهد بها إلى ابنه حتى لا تخرج عنهم - وهو حل رآه الخليفة إبرة (مورفين) مسكنة مؤقتاً .

يُغْفِرُ بن إبراهيم بن محمد :

تولى الإمارة كما ارتأى الخليفة فقتل عام ٢٧٩ بمدينة « شبام » .

يُغْفِرُ بن عبد القاهر بن أحمد بن يعفر :

ليس في المصادر التي تحت أيدينا تفصيلاً عن إمارته .

أسعد بن أبي يعفر بن إبراهيم :

تولى الإمارة تقريباً عام ٢٩٣ ، دخل القرامطة على رأس علي بن الفضل مدينة صنعاء ، ففر أسعد إلى أحد معاقله ، وأخيراً اصطاح معهم وتولى لهم إمارة صنعاء ، وبذلك قطع الخطبة للعباسيين وخطب لعلي بن الفضل .

(١) كان من أخلص أصدقاء الأمير محمد بن يعفر ، فلما قتله ابنه وصل إلى صنعاء معزياً بادی الاستياء للواقع وعندما دخل على القاتل الأمير إبراهيم ابن محمد صادفه مخموراً فعاتبه على سوء فعله فكان جوابه يجب أن تلطم على سوء أدبك فخرج حنقاً يتميز من الفيظ فلما صحا الأمير أخبر بما كان منه فأمر باحضاره وأذى مجلسه ولاطفه واعتذر إليه فقال له الدعام : لن ترقع - كرامة اليوم هوان الأمس ثم أظهر الرضا حتى خرج من عنده وارتحل إلى همدان فأعلن مخالفته ، وايدته قبيلة بكيل ، فقتلته شوكة ، ودخل صنعاء ، وطرده اليعفرين حتى استعادوها منه بواسطة النجدة التي وصلت لتأييدهم من الخليفة المعتضد فتحالف بعد ذلك مع الإمام الهادي يحيى بن الحسين إلى آخر أيامه واسلم إليه بلد همدان ، وفي ذلك يقول بعض ارحب :

سلبنا من حوال الملك قسراً بلطمة شيخ كهلان الدعام

بقي على موالاته لعلي بن الفضل - خوفاً من بأسه - حتى توفي علي بن الفضل مسموماً ، فجهز أسعد جيشاً قوياً وسار إلى المذيخرة عاصمة ابن الفضل ، وقد خلفه عليها ابنه أحمد بن علي بن الفضل ، فضرب عليها نطاق الحصار سنة كاملة حتى استسلمت فقتل ابن علي بن الفضل وسبا بناته الثلاث واستمر أسعد على الإمارة إلى أن توفي عام ٣٣٢ .

أبو يعفر بن أسعد :

تولى بعد أبيه سبعة أشهر وأدركته الوفاة عام ٣٣٣ .

علي وردان :

مات أبي يعفر بن أسعد تغلب على الإمارة مولى لهم يسمى « علي وردان » يشاركه « أسمر بن أبي الفتوح الخولاني » صاحب حصن ناعط وبنو الضحاك الحاشدي ، إلى أن توفي عام ٣٥٠ .

سابور أخو علي وردان :

استخلفه أخوه علي وردان عند وفاته فأقام بالإمارة سنة واحدة .

عبد الله بن قحطان اليعفري :

تولى الإمارة بعد سابور فقويت شوكته وأعاد للإمارة بعض أمجادها وفتح عدة حصون ، واستولى على مخلاف جعفر وغيره ، وكان يخطب للعبيدي الفاطمي ، توفي عام ٣٨٤ .

أسعد بن عبد الله بن قحطان اليعفري :

تولى الإمارة بعد وفاة والده في عام ٣٨٤ تقريباً فلم يستتب له الأمر ، وكان عهده عهد اضطراب وفتن ، وخرج الأمر عنه عام ٣٨٩ ، وتلاشت إمارته كلياً واستبد بها « جعفر بن أحمد الحميري المناخي » وكان مركزه المذيخرة التي عمرت أحسن عمران في عهده ، ودامت إمارته بها ٤٣ سنة إلى أن استولى عليها علي بن محمد الصليحي .

المفضل بن أبي البركات الحميري :

المفضل هذا من بقية الأسر الإقطاعية الحميرية ، وهو صاحب «التعكره وسبقت الإشارة في إخبار الدولة النجاشية إلى هذه الشخصية ، وما كان من التجاء موالى منصور بن فاتك بن جياش ، إلى المفضل والسيدة بنت أحمد وتعهدهم للمفضل بربع خراج تهامة أن قام بمساعدتهم على استعادة زبيد . وقد استجاب لذلك الإغراء ونزل على رأس جيشه وساعدهم على هزيمة خصمهم عبد الواحد بن جياش ، وهنا دارت المطامع برأس المفضل ، وهم بطرد منصور ومواليه والتغلب على زبيد وتهامة ، ويظهر أن موالى منصور على جانب من الدهاء والمكر ، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي انتظاراً للقيام بخطة الدفاع ، بل اتصلوا فوراً بالمنافسين له في ذلك المعقل الحصين وشجعوهم كما يظهر مادياً وحربياً ، وبينما هو يضع الترتيبات النهائية لتنفيذ خطته وافته الأخبار بأن جماعة من الفقهاء ثاروا عليه في معقله الحصين واستولوا على حصن التعكر موطن عشيرته ومهد عصبيته وموئل خزائنه وكن أسرته فاستطار هلعاً ورحل على رأس من معه على جناح السرعة لا يلوي على شيء حتى وصل إلى ذرى الجبل فألفاه أعز من أن ينال وأصعب من أن يرام ، قد حصن وسدت طرقه وأقيمت دون كل ثنية ومنعطف الحماة والرماة ، ويقال أنه نظر إلى حظاياها وهن في أعلا قة الطود يضررن الدفوف ويراقصن الثوار فأت غمماً .

وفي إبان مجده وأيام سلطانه مدحه أحد شعراء وقته بقوله :

أيا حمى الدين والدنيا وأهلها ومن بعروته الإسلام يمتسك
قد قيل جاور لتغني ، البحر أو ملكاً وأنت يابن الوليد البحر والملك

ومما تنسبه تواريخ اليمن إليه قوله :

غلبنا بني حواء بأساً ونجدة ولكننا لم نستطع غلب الدهر
فلا لوم فيما لا يطاق وإنما يلام الفتى في ما يطيق من الأمر

كان يشارك السيدة بنت أحمد في الأمر كوزير لها ، توفي عام ٥٠٤ هـ فخلقه أخوه وتوفي أيضاً عام ٥٠٤ هـ .

آل الضحّاك

من المعبدن وهمدان « وضحاك وززام وسعيد الخوالي » أبناء العياش
ابن سعيد أبي معيد ، هم الذين قاموا لحرب بكبل والمترجم له هو محمد
ابن أبي الضحاك السابق ذكره .

تولى محمد رئاسة قومه وقتله مسعود غلام أبي يعفر قتله بأمر مولاه ،
فغضب فيه همدان ، وقامت فيه حاشد وبكبل مع الدعام سيّد حاشد فأزال
مملكة آل يعفر ، لما سبق الإشارة إليه قبل هذا .

أبو جعفر أحمد بن محمد الضحاك :

كان أبو جعفر سيد همدان في عصره في أواخر القرن الثالث ، وهو
مدحج أبي محمد الحسن بن أحمد الحمداني ، وقد كان الحمداني مختصاً به ،
وقد اعتنى بتقييد أيامه وتسجيل وقائعه وحروبه وشهد معه نحو مائة زحف ،
كان أغلبها مع يحيى بن الحسين العلوي وأسر أبو جعفر محمد بن يحيى
ابن الحسين في واقعة يوم « إتوه » (١) .

اتفق أبو جعفر بعد وفاة يحيى ابن الحسين مع ابنه محمد المرتضي وأحمد
الناصر . بيد أنه بعد ذلك وقع الخلاف بينه وبين القاسم ابن الناصر . وقد
هاجم مدينة صعدة ودخلها ثلاث مرات وأخرجهما ودخل صنعاء مرتين ،
قتل أبوه وهو ابن سبع سنين فراعي ثأره في آل يعفر سبعاً وخمسين سنة
ثم قتل منهم خمسة بخديعة . ويروي الحمداني أن آل الضحاك هذا لا يرون لهم
كفوّاً في قبائل حاشد وأنه قد حاول محمد بن يحيى بن الحسين العلوي أن
يصهر إليهم فأعياه ذلك .

(١) من مساقط وادي محصم من بلد همدان .

بنوالمكرم وبنو الزريع

كان أمراء عدن من بني «معن»^(١) فلما استولى على ملك اليمن علي ابن محمد الصليحي ، أقرهم مدة حياته أي إلى ٤٧٣ هـ على شريطة أن يدفعوا خراج عدن إلى أرحام ابنه أحمد المكرم والد وإخوان السيدة بنت أحمد ، الذين اشترطوا أن صداقها خراج عدن ، ووالدها هو أحمد المكرم اليامي الهمداني هـ

لما قتل الصليحي امتنع بنو معن عن دفع الخراج ، فحاربهم أحمد المكرم بن علي الصليحي ، حتى تغلب عليهم ونحاهم عن عدن ، وولى بدلا عنهم صيهر بن العباس ومسعود ابني أحمد المكرم الهمداني ، وأمرهما أن يؤديا خراج عدن لزوجته السيدة بنت أحمد المكرم أختهما ، فكانا يحملان إليها سنوياً مائة ألف دينار ، وكانت ولايتهما على الوجه الآتي :

١ - ولاية العباس على حصن التعكر وخارج باب عدن هـ

٢ - مسعود على عدن .

مكث الأخوان على ولايتهما طيلة حياتهما ، وعندما أدركتهما الوفاة آلت إمارتهما إلى أبنائهما كآلاتي :

١ - أبو السعود وزريع ابنا العباس على ولاية أبيهما ، وتوسع زريع فضم «الدملوة» في عام ٥٠٨ .

٢ - أبو الغارات بن مسعود على عدن .

كان بين بني العم اتحاد متين وأتفاق تام ، فقوي أمرهم واستبد به لايتهما عن السيدة بنت أحمد بعد وفاة زوجها أحمد المكرم ، التي هي في الحقيقة عمتها ومنعوا بعث الخراج المقرر فأعلنهم الحرب وبعثت إليهم جيشاً تحت قيادة المفضل بن أبي البركات .

(١) ابتدأت اماره بنو معن على عدن عام ٤١٢ وانتهت ٤٦٠ .

سار لقتالهم ابن أبي البركات ، فوجد من اتحادهم وتماسك إمارتهم ما جعله يرضى بالمصالحة حلا وسطاً ، وهو أن يدفعوا نصف الخراج المقرر ، ورَضُوا هم بذلك كخطوة أولى للتخلص تدريجياً .

مضوا على ذلك إلى أن توفي الوزير المفضل بن أبي البركات عام ٥١٤ هـ وتمنعوا عن دفع الخراج فصالحهم منصور بن أبي البركات الذي خلف أخاه في الوزارة للسيدة بنت أحمد على ربع الخراج .

سبأ بن زريع :

توفي أبو السعود وتبعه أخوه زريع فتولى شؤون الإمارة « سبأ بن زريع ابن العباس ، ويلقب بالداعي لقيامه بشئون دعوة العبيدي الفاطمي باليمن في عهد السيدة بنت أحمد وسبأ بن أحمد المظفر الصليحي وتغلب على إمارته ابن عمه محمد بن أبي الغارات واستمر في الإمارة إلى أن توفي عام ٥٣٢ .

محمد بن أبي الغارات بن مسعود :

وبوفاة أبي الغارات تولى شؤون الإمارة في عدن ابنه محمد بن أبي الغارات فاختلف مع ابن عمه اختلافاً أدى إلى القتال ، وكانت نتيجة تغلب سبأ ابن الزريع الداعي على إمارة ابن أبي الغارات .

محمد بن سبأ بن الزريع :

قام بالإمارة بعد وفاة والده وتوفي عام ٥٥٠ هـ

عمر بن محمد بن سبأ بن الزريع :

تولى الإمارة بعد وفاة والده واستطاع بحزمه وبسالته أن يصد جحافل أبناء مهدي عن إمارته ، ازدهرت الإمارة في عهده وقصده غير واحد من الشعراء توفي عام ٥٦٠ هـ

وصاية ياسر بن بلال بن جريو :

خلف عمر بن محمد بن سبأ ثلاثة أطفال ، فقام بالإشراف على تربيتهم

ولإدارة شؤون قصرهم مولاهم جوهر المعظم ، وقام بتدبير أمور إمارتهم
ياسر بن بلال ابن جرير واستمر على وصايته إلى أن تغلب على عدن
« توران شاه » وقتل ياسراً .

وآل الزريع هم أحسن ملوك اليمن سلطاناً بعد آل الصليحي .

وقال الشاعر محمد بن زياد الماربى يمدح أبا السعود بن زريع :

يا ناظري قل هل تراه كما هوه إني لاحسبه تقمص لؤلؤه
ما أن نظرت بزاهر في شامخ حتى رأيتك جالساً في السملوه



إمارة آل المخلص الهمداني^(١)

في عام ٥٩٢ وفي آخر عهد سبأ بن أحمد الصليحي تقلص نفوذ الدولة الصليحية في كثير من المقاطعات اليمنية فحفز ذلك المتطلعين من رؤساء الأسر القوية وذوي العصبية والنفوذ على الاستقلال على جهاتهم ، وكان من سياسة الصليحي إزالة تلك الطبقات من الأسر التي بقي لها النفوذ القبلي بين عشائرها منذ العصر الأول ولاتساع رقعة اليمن كانت تكتفي الولاة في الغالب بإمناطة أمور العشائر برؤوسها ليضمن لهم أولئك الرؤساء صدق الولاء والطاعة ولسهولة انقياد العامة للخاصة لما تحتمه التقاليد وتوجهه العصبية من تعود الطاعة وقوة النفوذ .

يبد أن قصارى ما قام به الصليحي لقصر مدته بالنسبة لما يحتاجه استئصالها من الوقت الكافي ، فإن ما قام به لم يكن إلا إجراء مؤقتاً انكسرت فيه سطوة تلك الأسر وعادت تستأنف نشاطها بعد ضعف إدارة ابن عمه أشد مما كانت .

وهكذا في عام ٥٩٢ تقوم إحدى أسر « همدان » من آل المخلص بالاستحواذ والتغلب على أمر صنعاء ، كما قام غيرها ، فبعد أن كانت دولة موحدة القوى مرهوبة الجانب تذوب في خضمها العصبية وتتلاشى في محيطها الواسع المطامع والنعرات القبلية ، عادت لإقطاعيات صغيرة جُلُّهمها التفاجر بالسلطة والتباهي بالعصبية والاشتغال بالمنازعات والمطامع الفردية حتى إذا أخفقت بهم عن بلوغ الغاية اتحنوا من الدين سلماً للمطامع ووسيلة للغايات .

حاتم الغشم المغلسي الهمداني :

تغلب على صنعاء عام ٤٩٢ واستمرت إلى ٥٠٢ .

(١) قال الهمداني في الجزء العاشر من الأكليل صحيفة ٣٩ : ومن أشراف همدان الآن آل أبي

المغلس ملوك الجزء من أرض المعافر وآل أبي ارنبة بناحية صنعاء .

عبد الله بن حاتم :

ب وفاة حاتم تولى في عام ٥٠٢ ابنه عبد الله بن حاتم إلى عام ٥٠٤ .

معن بن حاتم :

تولى معن عام ٥٠٤ فخلفه على الإمارة قاضي همدان حاتم بن أحمد ابن عمران بن الفضل وجعل على الإدارة محمد بن أبي القيب ، وفي ٥١٠ أزاح ابن أبي القيب وجعل عليها شخصاً منهم اسمه هشام يساعده آخر اسمه حماس ، وقد توفى هشام إلى إقرار الأمن إلى أن توفي عام ٥٢٢ فخلفه حماس .

حماس بن القيب الحمداني :

تولى الإمارة حماس فأدار دفة الحكم بمهارة وضم إليها « جنب » توفي ٥٣٢

حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي^(١) :

ب وفاة حماس شغل منصب الإمارة فأجمعت همدان على تولية رئيسها حاتم بن عمران بن الفضل اليامي ، فدخل مدينة صنعاء في سبعمائة فارس واستمر على إمارته إلى أن توفي عام ٥٥٦ .

علي بن حاتم :

خلف والده على إمارة صنعاء ، وكان أحد أعيان وقته ورجال زمانه مجداً وسؤدداً وسيادة ، وقد بقي سلطان هذه الأسرة على صنعاء ورئاستها إليهم في حال أن يتغلب عليها غيرهم من الأمراء أو الأئمة مدة غير قصيرة ، وشمل سلطانهم ذمرمر ، يشاركونهم فيه بنو الأنف إلى أن تغلب عليهم على ابن صلاح في القرن الثامن .

(١) يام بن أصبا بطن من همدان ، قال الحمداني في صفحة ٦٩ ج ١٠ من الأكليل يقول

شاعرهم .

وأنى لكم أن تبغوا مجد « يامنا » وأرحب حتى ينفذ الترب ناقله

فهم أصل همدان الوثيق وفرعها قديماً وأعلى هضبا وأطاوله

كانت يام في الجاهلية تدعى « قتلة جبانها » وكان فيهم جبان يسمى اثيب فأقسموا الايوجد له

فيهم ولد الاقتلوه ، ومرّ في من أهل الكوفة بالحجاج وهو يستعرض الجند ، فسأله الحجاج بمن

أنت يافتي فأجابته : أنا من قوم لم يكن فيهم جبان ، قال : إذن أنت من يام .

علي بن مهدي الحميري

علي^(١) بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبد الله ابن عبد الجماهر بن عبد الله بن الأغلب بن الفوارس بن ميمون الحميري الرعيني كان في بداية دعوته يسكن في قرية قرب زبيد يظهر النسك ويواظب على العبادة حتى خلب قلوب الناس وانجذبت النفوس إلى قبول دعوته ويظهر أنه كان يرى رأي غلاة المعتزلة في تكفير أصحاب الكبائر .

بدأ دعوته بهيئة الرأي على استنكار ما بلغت الحالة في عهده من - الاضطراب والفساد - وما يجب من إنكار المنكر وبيث روح الاعتزال بما فيها من شدة وتطرف ، وقد مكث وقتاً ليس بالقصير حتى استطاع أن يثبت جنورها ويمكن أصولها في محيط ذلك العصر الذي تتقاذفه شتى المذاهب والنزعات وتعصف به الأهواء والمطامع .

سرت دعوته في سرية ، وانتشرت في تودة وثبات في الجبال والسهول ، وكان له من الطاعة والنفوذ في اتباعه ما يفوق الوصف ، وعندما شعر بنجاح دعوته صعد من بلدة العنبرة إلى الجبال العليا وجعل من حصن « الشرف » من حصون « أصاب » مركزاً لدعوته ونقطة للانطلاق حتى إذا استوثق أمره وعظم نفوذه في تلك الأصقاع ولم يبق إلا تهامة في عهد ملكها النجاشي فاتك ابن محمد بن فاتك ، وعلى وزارته وزيره المعروف سرور الفاتكي ، أدرك علي بن مهدي صعوبة التغلب عليه فأوعز إلى أحد أتباعه باغتياله .

(١) جاء في تاريخ « كارل بروكلمان ص ٢٢٨ ج ٢ كانت سلطة صلاح الدين لا تزال بعيدة عن الثبات في سوريا عندما حاول في سياسة من النظر البعيد أن يمكن لحكمه في مصر بالسيطرة على مفتاح البحر الأحمر الجنوبي أيضاً فوجه أخاه « توران شاه » إلى هناك سنة ١١٧٣ ، وكانت السلالتان المسيطرتان على تلك الديار وهما - الحمدانية في صنعاء والنجاشية في زبيد - ونلاحظ هنا أن إسم السلالة الحاكمة في ذلك التاريخ في صنعاء الحمدانية لا الحمدانية ، قد أزيلتا على يد أحد الخارجيين ، وتفصيل ذلك أنه ظهر في تهامة حوالى سنة ١١٥٩ رجل زعم أنه المهدي كما زعم آخرون في التاريخ الإسلامي وهم كبير ، فتبعه بعض الأعراب واستولى على زبيد ، واحتفظ حفيده عبد النبي الذي خلفه سنة ١١٦٢ ونلاحظ هنا على المؤلف أن عبد النبي هو ابن مهدي لاحقاً ، وليس من شك أن صلاح الدين قد اعتبر القضاء على هذا المنتصب عملاً يرضى الله .

سار ذلك التابع المغامر واسمه « محرم » إلى زبيد لإنفاذ خطته وتربص للساعة المناسبة حتى أمكنته فاغتيال سروراً في عصر يوم الجمعة ١٢ رجب عام ٥٥١ في الركعة الثالثة ، واغتال في موقفه جماعة من رجال الدولة لا شك أن قتلهم من ضمن مهمته .

وبقتل سرور والنخبة المختارة من رجال الدولة النجاحية أصبح المهجوم على تهامة مهد السبيل ، وبعد ذلك توفيت « الحرة الصالحة » فأزيلت بذلك كل العوائق فما هي إلا غارات متتابعة على العاصمة زبيد حتى أجلى جميع رجال البادية التي تقوم بمهمة أمر الدفاع ودخلها ظافراً في يوم الجمعة ١٠ رجب عام ٥٥٤ .

أقام علي بن مهدي في زبيد يشيد قواعد ملكه حتى أدركته المنية في مستهل أمره يوم ٧ شوال ٥٥٤ .

مهدي بن علي بن مهدي الحميري :

ولى الأمر يوم وفاة والده في ١٠ شوال ٥٥٤ فعظم أمره وتوطد سلطانه يساعده أخوه « عبد النبي » وتوفي في عام ٥٥٩ ، وفي عهده تقدم أخوه عبد النبي إلى الخلاف السلياني وملكه بعد معارك دامية بينه وبين السليانيين انتهت بقتل الأمير « وهاس بن غانم » وسبي النساء والأطفال ، وفي ذلك يقول عبد النبي في قصيدته المشهورة :

ألوت « بوهاس » ضحى فابتدرته مـرحاً
فظل من تحت الرحا مـزرجاً مرغماً

عبد النبي بن علي بن مهدي :

تولى الأمر بعد وفاة أخيه ، وكان أدبياً ظريفاً مشهوراً بالشجاعة والإقدام استطاع الاستيلاء على كل ما استعصى على والده وأخيه ولم تمتنع إلا عدن التي استعان صاحبها ابن الزريع بعلي بن حاتم الهمداني وقبائل جنب ، فراجع عبد النبي بعد محاصرته لها .

توجه بعض الأمراء من أسرة وهاس ملتجئين إلى السلطان صلاح الدين^(١) الأيوبي ، كما وضعنا ذلك في أخبار الدولة الأيوبية ، فبعث أخاه توران شاه على رأس جيش لليمن ، فحالفه التوفيق وأسر عبد النبي ، ثم قتله شنقاً عام ٥٦٩ .

وكانت مدة دولتهم ١٥ عاماً ، وقد اجتمع في خزائن عبد النبي ذخائر خمسة وعشرين إمارة من الإمارات التي استولى على ذخائرها هو وأبوه وأخوه.

(١) ويذكر صاحب «قلائد الجمن» إن صلاح الدين كان متخوفاً من نور الدين زنكي أن يطرده من مصر ، فبعث أخاه توران شاه على رأس جيش لفتح بلاد النوبة ، ثم علم أنها بلاد فقيرة فجهز أخاه إلى اليمن ، وكان يرى من وراء ذلك أنه إذا تغلب عليهم نور الدين وطردهم من مصر يكون لهم مملكة أخرى ينتقلون إليها .

الدولة الصليحية ومؤسسها علي بن محمد الصليحي

أبو الحسن علي^(١) بن محمد الصليحي عربي صميم من بيت علم وفضل ورئاسة في قومه ، تولى أبوه القضاء في اليمن فعلمت الباطنية بما له من وجاهة ومكانة فأوعزت إلى داعيتها «عامر بن^(٢) عبد الله الزواحي» وهم هم في انتقاء واختيار ذوي النفوذ والرئاسة لأغراضهم ، وكان القاضي سني العقيدة فلم ير الداعي في قناته مغمراً ، فاكثى بإنشاء صداقة وصلة مودة بينه وبين القاضي ، يقيم في داره ضيفاً مدة إقامته الطويلة متظاهراً بالتقوى والعلم ستاراً لدعوته ومبادئه الباطنية التي انتدب لبثها في تلك الأرجاء باذلاً ماله وجاهه العريض لبث دعوته .

فلمح الداعي في بيت القاضي فتي يافعاً تلوح على محياه مخائل الذكاء ودلائل النجابة وعرف أنه ابن مضيفه فأظهر لوالده استعداداه لتعليمه وتأديبه مكافأة لأبائيه وتقديراً لمقامه ، فلم يمانع القاضي .

تتلמד الفتى - وللقوم طرق خاصة في اسمالة المريد وتشويقه إلى شتى المعارف بأساليبهم المعلومة دفعته إلى استيعاب ما يتلقاه بسرعة أدهشت أستاذه ، فتدرج به رويداً إلى تلقين مبادئ دعوتهم الباطنية حتى أصبح واحداً من أخلص دعايتها ، وعندما أدركت الأستاذ الوفاة أوصى له بكتبه وأطلعه على طريقة الاتصال بمركز دعوتهم .

ظل يعمل بعد وفاة أستاذه تحت ستار من الزهد والصلاح وكخطوة أولى للظهور تزعم الحجج اليمنى خمسة عشرة عاماً ، وفي أثناء ذلك يوعز سرّاً

(١) ينسب إلى الاصلوح من بلاد «حراز» ثم من حير .

وجاء في الجزء العاشر من الأكليل صحيفة ٩٩ - في انساب بني عريب ابن جشم بن حاشد من همدان قوله «من بني عبيد آل الصليحي انجاد كرماء من بيت الاخروج» أي بلد الاخروج .

(٢) عامر الزواحي من امرء حصون اليمن .

إلى نقباء وخاصة مخلصي دعوته بأن يشيعوا في الناس أنه سوف يملك اليمن والحجاز حتى إذا راجت وجوهر بها من بعض من يستبعد ذلك وينكره أظهر عدم الرضى لترويج مثل تلك الإشاعات ، وأنكر على من يقولون بها أشد الإنكار حتى تمكن وكثر أشياعه وآخر سنة حجها قبل إعلانه هي سنة ٤٢٨ ، وهناك في تلك - المشاعر العظام - طلب من ستين شخصاً من أنخص أتباعه مبايعته على الموت حتى إذا بايعوه ووثق من صدق إيمانهم استصحبهم عائداً إلى اليمن .

وعندما وصل إلى اليمن طلع بأصحابه إلى قمة جبل مسور، وهو من أعلى جبال اليمن وتحصن بذروته ، فما استقر حتى تسامعت به القبائل الجاورة ، وأقبلت في جموعها لمهاجمته وأنذروه بالنزول حالا وإلا ضربوا عليه الحصار فبعث إليهم من أصحابه من يقنعهم بأنه لم يفعل ما فعله إلا خوفاً من تملكه القبيلة المعادية لهم فإن سمحوا له عن طيب خاطر وإلا نزل ، ولم يكن بالطبع صادق القول ، وإنما هي المرونة السياسية لاسترخاء عواطف المقاومين ، ومع شيء من المال تمكن من إقناعهم ورجوعهم بسلام .

وحالا شرع في تثبيت قدمه ببناء الحصون والمعازل ، وعمل على استمالة القبائل وإظهار الدعوة لصاحب مصر .

توطدت دعوته في القسم الجبلي ، بيد أن الصليحي كان يهيمه في الدرجة الأولى أن يستولى على تهامة التي هي الطريق الممهد في اليمن إلى توسيع رقعة مملكته إلى الحجاز من أقصر الطرق وللاتصال بالبحر الأحمر الذي هو الشريان الحيوي بمركزه الرئيسي - مصر - إن تعذر الطريق البري وكان يقف دون ذلك الرجل الذي يعرفه الصليحي ويعرف مقدرته السياسية والحربية وهو نجاح المعروف مؤسس الدولة النجاشية ، فرأى التمهّل وأعمال الحيلة والدهاء قبل المخاطرة في اشتباك حربي مع رجل لا يجزم بالتفوق عليه فصرف النظر مؤقتاً عن تهامة ، وأخذ في علاقات شبه ودية مع نجاح وأخذ في مهادنته أولاً ومهادناته ثانياً حتى تمكن من إهدائه جارية فائقة الحسن رائعة الجمال ،

كان قد دربها تدريباً خاصاً « لتدس السم » له ، وتم ذلك ومات نجاح مسموماً .

وهناك لم يبق ما ينحشاه الصليحي ، فاندلعت دعوته تلهم كل ما صادفها في تهامة ، واندفعت جيوشه تطوي البلاد اليمنية طياً ، انخر على البلاد كالسيل الجارف والبرق الخاطف فاستولى على « الجند » ووقف خطيباً في جامعها المشهور يوم الجمعة وقال : في مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن - ولم تكن عدن قد دخلت في ملكه وهي مشهورة بمناعتها الدفاعية فاستبعد كلامه الناس ، فقال أحدهم مستهزئاً - سبوح قلوبس - فسمع كلامه فقال اقتبسوا عليه واستصحبه معه إلى عدن وساعده المقادير ففتح عدن وخطب على منبرها في الموعد المحدود ففتن الرجل به ودخل في دعوته .

استقر ملكه باليمن واستولى على ظفار وجميع اليمن سهله وجبله وشرقه وغربه في مدة يسيرة وأزال جميع سلطة سلاطين همدان وآل الكرندي وآل معن وآل التبعي ورؤساء خولان ، وأزال الإقطاعيات^(١) المتأصلة وولى في حصون اليمن ومخالفها أمراء من رجاله غير من كان يتولاها من أسرها بالتوارث ، وولى على تهامة صهره أسعد بن شهاب .

وفي عام ٤٥٥ توجه على رأس جيشه إلى الحجاز فدخله منتصراً في ذي الحجة من السنة المذكورة ، فأظهر العدل وأفاض البذل ، قال ابن ظهيرة في جامعته اللطيف ما نصه (استعمل الجميل مع أهلها فاستتب الأمن واطمأنت القلوب ورخصت الأسعار في أيامه .. الخ) وكسى البيت ثوباً أبيض ورد إليه الحلي الذي أخذه بني الطيب الحسينيون لما تولوا الإمارة بعد شكر ابن أبي الفتوح ، وأمر أن يخطب للفاطمي صاحب مصر ، وعاد إلى اليمن بعد أن

(١) كآل الكرندي ملوك غلاف « المعافر » وهم من أبناء الأبيض بن حمال الذين اقطعه « الرسول الكريم » صلى الله عليه وسلم جبل « الملح » ثم استقاله منه فاقاله وكان إليهم سلطته مغلافهم ، ومن أزال سلطانهم الصليحي أيضاً أبو حاشد يحيى بن حاشد الضعفاك سلطان همدان وإليه كان أمر صنعاء ، وآل أبي الفتوح سلاطين خولان ، وآل « معن » وآل التبعي أصحاب « حصن الشمر » ثم آل نجاح ، وبذلك دان اليمن جميعاً لسلطانته ، سهله وجبله وشماله وجنوبه في أقصر مدة .

أناب عنه في حكم مكة أبا هاشم محمد بن جعفر وأقام معه حامية وزوده بالسلاح والمال ، واستمرت الخطبة للفاطميين بمكة والحجاز إلى أن قطعها أبو هاشم محمد بن جعفر عام ٤٦٢ .

وفي عام ٤٧٣ تجهز الصليحي إلى الحجاز في ألف فارس للحج واستعادته ، وهي الرحلة التي قتل فيها على يد سعيد الأحول بن نجاح ، كما وضعنا في أخبار الدولة النجاشية .

كان الصليحي متضلعا من علوم عصره وبالأخص علم دعوته الباطنية وما ترتبط به من الفلسفة والجدل ، وله مشاركة في الأدب والبلاغة ، ومن شعره الحماسي :

انكحت بيض الهندسمر رماحهم ورؤسهم عوض النشار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها إلا بحيث تطلق الأعمار
وقوله :

وألذ من قرع المثاني عندنا في الحرب اركب يا غلام واسرج
خيلا بأعلا حضرموت مجالها وصهيلها بين العراق ومنبج

أحمد المكرم بن علي الصليحي :

ذكرنا في ترجمة « سعيد الأحول » استخلاف الصليحي لابنه أحمد المكرم على شئون مملكته ، ونقول : عندما بلغ أحمد المكرم خبر قتل والده أخذ لنفسه البيعة من رؤساء القبائل وإعيان الخواضر ، واكتفى بضبط القسم الجبلي الذي تؤيده فيه العصبية القبلية ، ولم تواته قوته لمهاجمة سعيد الأحول واستعادة تهامة ، وبقي يتحين الفرص حتى وافاه كتاب والدته الأسيرة عند الأحول بزييد ، فجمع رؤساء القبائل وتلا عليهم مضمونه فاستثار حميتهم ولبوا داعيه واستعملوا المناصرته ، وتم الهجوم على زييد واستخلص المكرم والدته من أسر الأحول .

وبعد أن قرر أمور تهامة أناب على شئونها خاله أسعد بن شهاب

واستصحب والدته وعاد إلى عاصمته صنعاء . وصل صنعاء وقد زاد عليه « داء » الشلل وضعفت قواه العقلية ، فأقام زوجته السيدة بنت أحمد نائبة عنه لإدارة مملكته فكان أول ما أشارت به عليه الانتقال من صنعاء إلى مدينة « ذي جبلة » لمعرفتها بما عليه القبائل الضاربة حولها من الإخلاص للصليحيين وما تنسم به من الخلق العربي والمران الحربي .

مدينة ذي جبلة (١) :

مدينة حصينة وصفت أنها بين نهرين صغيرين جارين في الشتاء والصيف اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ ، فرحل المكرم إلى ذي جبلة ترافقه زوجته وخزائنه فما استقر بهما المقام حتى أمرت السيدة بنت أحمد باختطاط دار الإمارة المسماة « العز » وكانت تلك الزوجة من فضليات النساء تنصف بحسن التدبير وحصافة الرأي وبعد النظر فقامت خير قيام بتدبير مملكتهم المترعة الأركان المتداعية البنيان ، وأخذت تعمل على رتق الفتوق وسد الثغرات حتى استقرت الأحوال وهدأت الأمور ، فعززت الثغور وحشدت المقاتلة على الحدود ، ونظمت جباية الأموال حتى أعادت للولتهم بعض أمجادها ، وزوجها أحمد المكرم منغل في قصره عاكف على لهوه مستغرق في ملاذه وشهوته ، وبعد ذلك قامت بحركتها البارعة وخطتها الفريدة التي أوقعت فيها سعيداً الأحول في شرك دهاؤها وأحاييل تدبيرها وأوردته حياض المنون ، وأسرت زوجته « أم المعارك » ونصبت رأسه ، (أمام هَوْدَجِهَا) ثم قبل نافذة القصر الذي أنزلت فيه الزوجة الأسيرة كما فعل الأحول مع حماها أساء بنت شهاب ، وكانت خطتها في غاية البراعة والشمول بحيث لم تقف عند القضاء على الأحول وسمق جيشه ، بل تعدت ذلك إلى احتلال عاصمة ملكه مدينة زبيد ، فقد أمرت كما وضعنا سابقاً في أخبار الأحول - أميرها في صنعاء - أسعد بن شهاب - بالتحرك على رأس قوته إلى زبيد ،

(١) وفيها يقول شاعرهم .

ما مصر ما بغداد ما طبرية كدنية قد حفها النهران
« خدد » لها شام وحب - مشرق - و « التعكر » العال المنيف يمان

ورافقه في الحملة عمران بن الفضل اليامي ، وحددت مواعيد تحركاته بدقة وفي غاية البراعة الحربية بحيث يصل إلى زبيد في يوم وساعة وقوع الأحوال في الكباشنة الحربية المعدة الترتيب لوقوعه بين شقيها ! وكان ذلك في عام ٤٨٢ هـ وبعد عامين من ذلك الانتصار أي في عام ٤٨٤ هـ توفي أحمد المكرم في عاصمته الجديدة « ذى جبلة » .

سبأ بن أحمد الصليحي :

تولى سبأ بن أحمد على أمور الدولة الصليحية عام ٤٨٤ هـ وكان في حوزته الجبال المطلة على زبيد كوصاب والظفر وريمة ، وما والاها وظلت الحرب سجلاً بينه وبين النجاشيين الذين استعاد ملكهم جيش بن نجاح بن كروفر في الشتاء تنزل قوة الصليحي إلى زبيد ونواحيها وتحتلها ويفر جيش إلى دهلك ، فإذا أقبل الصيف أعاد جيش الكرة واحتل زبيد ، فتتفرق قوة الصليحي إلى الحواز والجبال ، وكان الظافر من الطرفين يحسب للريعة ما استحصله الطرف الآخر من الخراج .

ضاق سبأ بن أحمد ذرعاً بتلك الحالة المائعة ، ورأى أن من الواجب وضع خطة حاسمة للقضاء على النجاشيين ، فأخذ في التأهب والاستعداد وحشد الجنود حتى اجتمع ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف رجل .

وعندما تم له كامل الاستعداد انحدر على تلك القوة الهائلة إلى تهامة ووالي زحفة إلى قرب مدينة زبيد ، والنجاشيون داخل المدينة يتربصون ويعدون العدة في غاية السرية والتحفظ .

زحف سبأ إلى ظاهر مدينة زبيد فلم ير استعداداً ظاهراً للمقاومة مما جعله يستخف بالعدو المتحصن داخل المدينة ويعتد بكثرة ما أعده من الرجال والعتاد ، فنبذ الحزم وترك الاحتراس ، فلما جن الليل وغط الجيش الغافل وقائده المغرور في سنة النوم العميق تسلل الأحباش جند النجاشيين من المدينة وأحاطوها من كل جانب ، ومن ثم تغلغلت فرقة منهم إلى وسط مخيمهم وصاحت صيحة منكرة علامة الهجوم المعروفة عنهم ، فبث الرعب

والضوضاء ، فهب الجيش مذعوراً يقتل بعضهم بعضاً ظناً أن الأحباش قد خالطوهم وفر أكثرهم لا يلوي على شيء ، ومن خرج وقع في سيوف وحراب الأحباش حتى فنى أغلبه ، ونجا سبأ فاراً على قدميه حتى وجد من أركبه فرساً في آخر الليل .

وبذلك قضى النجاشيون على قوة الصليبيين قضاءً مبرماً ، ولم يستطع بعدها سبأ بن أحمد مهاجمة تهامة بعد ذلك حتى توفي عام ٤٩٥ هـ ، وكانت مدة ملكه ١١ عاماً .

وبموته انهارت الدولة الصليحية فآل قسم منها إلى آل الزريع بن أبي العباس أهل عدن من همدان بن جشم ، وبقيت رقعة صغيرة تتولاها السيدة بنت أحمد يشاركها في أمرها المفضل بن أبي البركات الحديري صاحب تعز حتى توفيت « السيدة »^(١) عام ٥٣٢ هـ . وبذلك انقرضت دولتهم .

جدول يوضح مدة ملكهم

الاسم	من	إلى	المدة
أحمد بن علي الصليحي	٤٢٨	٤٧٣	٤٥
أحمد المكرم	٤٧٣	٤٨٤	١١
سبأ بن أحمد	٤٨٤	٤٩٥	١١
السيدة بنت أحمد	٤٩٦	٥٣٢	٣٦

(١) توفيت في جامع « ذى جبلة » ولها مآثر جليلة وسبل خيرية .

الحالة العامة في العهد الصليحي

نستخلص من دراسة السياسة الصليحية أو بالأصح مذهبها^(١) الرسمي أنها سياسة مستوردة حيكمت خيوطها الأولى لنسخير العقول للإيمان بفرد وتقديس أسره . - وأخلص معتنيها لا يسعه إلا تقرير هذا - وراحت على ضوء هدفها تستمد من الفاسفات القديمة والمعتقدات الأجنبية وتأويل الآيات القرآنية وتخوير معاني الأحاديث النبوية تأخذ وتدعم على طريقها الخاصة معتقدها في أئمتها المرعومين . وهي مع ما يكتنفها من الإهام والغموض وما تخلعه من القدسية على أئمتها توائم من بعض الوجوه الرواسب المتخلفة من بقايا الديانة (الوثنية) القديمة حول الزعامة ، التي بقيت رواسبها المتعمقة الجذور في أغوار نفسية كثير من الشعوب مطمورة خنق أنفاسها الإسلام بهديه القويم وإن كانت تجد لها بعض المتنفس في العرف والتقاليد في بعض البلاد - ويتمس لها في يأس من الطبقة الارستقراطية ما يلهم حقها الذي تراه كحق مقدس في عرفهم الباطل وتتمحل . ما يبرره أو يدعّمه في تأويل نصوص الدين سواء بالنص المفتعل إن أمكن أو بالتأويل الملتوي إن أعوز الحال .

لذلك نجد الاسماعيلية تسبق غيرها إلى (اليمن) ودعاتها بدأوا قبل النصف الثالث . فإنه قبل منصور اليمن الذي وفد إليها عام ٢٦٨ كان بها (أحمد ابن عبد الله الخليع) الذي استرابت الإمارة اليعفرية في نشاطه فألقت القبض عليه « أو أعدمته » .

وصل (منصور إلى اليمن وكذا علي بن الفضل) كما مر بك مفصلاً .

(١) الصليحيون هم من فرق الإسماعيلية الذين وصفهم جيتة الشاعر الألماني في ديوانه الموسوم « الديوان الشرق للمؤلف الغربي » وصفاً شاعرياً نوره كدلالة على رأى مستشرق غربي في الإسماعيلية على وجه العموم قال :

« وما أنذا أسمع في آخر أيام عن شيعة متوسطة بين الوثنية والمسيحية ، قد أعلن أصحابها أنهم على استعداد لأن يقدروا ويعجبوا ويقدموا ما يصل إلى علمهم من كمال وسمو، بل وأن يعيدوه... الخ نعوذ بالله من زلل العقول وزيف الخلوم ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

ويقول الشاعر إقبال حول تأويلاتهم الباطنية :

الحق أن التماس معاني باطنية في شريعة أمة مسخ لتلك الشريعة .

وتعاقبت الدعاة الاسماعيليون ومن بعد أن كان دعايتها إما ممن يوفدهم المركز الرئيسي أو بعد ذلك ممن جازوا الاختبار وبرهنوا على إخلاصهم . نرى بعد ذلك اعتناق غير واحد من الطبقة الارستقراطية لدعوتهم تلك فيعتنقها صاحب حصن (كوكبان) وصاحب حصن (حب) والأول هو (عبد الله الزواحي) الذي اختار الصليحي وهياًه لمركز الزعامة والقيادة - راجع أخبار الدولة الصليحية فيما تقدم .

ونلاحظ أن الصليحي استطاع في مدة وجيزة أن يوحد اليمن بأسره تحت رايته من عدن إلى الحجاز وهو حدث له أهميته التاريخية والسياسية . فقد كان اليمن من الناحية السياسية قبله مقسماً إلى دويلات وإمارات كالأتي :

- ١ - الدولة الزيادية - أو بالأصح النجاشية وتشمل عموم تهامة :
 - ٢ - الإمارة اليعفرية في صنعاء . ٣ - الإمارة الزيدية في صعده .
 - ٤ - إمارة آل الكرندي وتشمل :
 - (أ) مخلاف جعفر . (ب) المعافر . (ج) الجند . (د) حصن السميدان .
 - ٥ - عدن ، أبين . حضر موت لبني (معن) .
 - ٦ - إمارة بني عبد الواحد (في برع) .
 - ٧ - مخلاف وحاطة - لأسعد بن وائل .
 - ٨ - حصون (حب) (بعدان) - حصن الشعر - في النادرة - حصن السحول - المخادر - لبني الأصبح . ٩ - مخلاف وصاب :
- هذا من الوجهة السياسية وهي في الغالب أمارات وراثية من قبل الإسلام أو مكتسبة توطدت من قبل قرنين كاللولة النجاشية ومن الوجهة الأخرى فهناك الناحية المذهبية التي تمس الروح والعاطفة مباشرة - في وقت كانت تفوق كل نزعة سواها ونتبين ذلك من الصورة التفرييبية الآتية^(١).

١ - (صنعاء) وأعمالها شافعية على مذهب السنة والجماعة .

٢ - (صعده) وأعمالها على مذهب الإمام (زيد) :

(١) ج ١ ص ٦٢ وما بعده كتاب ظهر الإسلام للدكتور أحمد أمين .

٣- (تعز) و (لب) و (الجند) وجنوباً إلى حضرموت وعدن شوافع ولا يزالون إلى هذا التاريخ .

٤- (تهامة) شوافع على مذهب السنة والجماعة .

والمذهب الاسماعيلي كما يعتقد أكثر المسلمين بعيد عن الدين . والصليحي نفسه داعية من دعائه والعاملين على نشر مذهبهم والقائم بنصرته . فهاذا ينتظر من ولاء الشعب له . بعد ذلك أضف أن الصليحي مع حسن سياسته وبعد أفقه لم يستطع أن يتخلى عن مبدئه من الوجهة المذهبية بل طبق تعليمها^(١) ويقول المكرم في كتابه للخليفة الفاطمي بعد فتح (زبيد) : وأقام المملوك رسم الدعوة الهادية بزبيد على العادة الجارية .

١- طبق تعليمات مذهبه في الأذان والمراسم .

٢- فرض على الرعية أخذ الخمس من أموالهم طبقاً لمذهبه .

٣- أزاح أمراء الإقطاعيات - وحسن فعل - إلا أنه جعلها إقطاعية فولى أقاربه كالأتي :

١- أحمد المكرم ابنه على الجند وما يليها .

٢- عبد الله بن محمد الصليحي على (التعكر) وما يليه .

٣- عمه السلطان عبد الله على تعز .

٤- الحسين بن مهلهل الصليحي (الأخرج) .

٥- سبأ بن أحمد الصليحي أشيخ .

٦- عبد الله بن يعلي الصليحي خدد .

٧- أسعد بن شهاب الصليحي (تهامة) .

ويلاحظ أن كلا الناحيتين : المذهبية . والسياسية كانت من أقوى العوامل في زعزعة الحكم الصليحي .

ومع أن الصليحي قد قام بمجهود فريد من الناحية السياسية في توحيد

(١) من هنا اعتمادنا في التلخيص على كتاب تاريخ الصليحيين .

(اليمن) في دولة موحدة قوية ضمت أقطاره وجمعت شتات إقطاعياته المتفرقة إلا أن تفرق تلك الإقطاعيات كان يعتبر في ذلك العصر أجزاء موحدة ضمن دائرة الخلافة العباسية الإسمي ضمن الوطن العربي العام . ويعتبر كل توحيد عداه داعي تفرقة في عرف الأكثرية الساحقة التي ترى في الدعوات المذهبية المتطرفة صدعاً للوحدة وخروجاً عن مذهب السنة والجماعة أضف إلى ذلك ما وصم به الباطنية مما ينفر القلوب ويشير الغيرة الدينية .

ومع أن الصليحي عربي صميم . إلا أن دعوته طائفية باطنية لها طابعها الذي تنفر منه الغالبية ويرمون ذوبها بالمروق ، وخصمها الأول النجاشيون وهم (أحباش) استعربوا بحكم التربية والمولد وعرفوا كيف يكسبون ولاء الشعب من الناحيتين الدينية والسياسية فن الناحية الدينية :

كانوا حملة لواء مذهب السنة والجماعة درسوا الفقه الإسلامي والعلوم العربية وترسموا المنهج السني في تواضع واعتدال فكسبوا ولاء الشعب الديني وهو من أقوى العوامل في التفاف أهل تهامة حولهم بإخلاص .

ومن الوجهة السياسية فهم متصلو الولاء بخلافة بغداد العباسية التي تمثل الخلافة الإسلامية آنذاك وتدين لها الأغلبية بالولاء .

أشهر معارك الصليحية

معركة صواف :

حاول الصليحي أن يهادن ويصانع (صاحب صنعا السلطان أبا حاشد يحيى بن إبراهيم الصحاري) ؟ الذي خلف أباه على ملك صنعاء . كما كانت العلاقات مع والده (إبراهيم الصحاري) ، بعث الصليحي إليه وفداً للتعزية . فاعتبر أبو حاشد أن ذلك الوفد بعثه الصليحي إليه كأنه تابعاً له . فرد الوفد . ونشب القتال بينهما . وكانت وقعة (الصواف) التي قتل فيها (أبو حاشد) وضمت (صنعاء) إلى الصليحي .

معركة نجد النجاح :

استولى الصليحي على (صنعاء) ، وكان (أبو الفتح) الوافد من الديلم في سنة ٤٣٧ . قد ملك (صعده) فخشي من استفحال أمر الصليحي فرأى لابد من محالفة جهة قوية فاتصل بـ (نجاح) ملك تهامة فأعانه . ونشب القتال بينه وبين الصليحي وانتهى بمعركة (نجد النجاح) ببلاد (عنس) التي قتل فيها (أبو الفتح) وحمل رأسه إلى (صنعاء) .

معركة الهرابة :

الهرابة بالبلاء الموحدة التحتية . قام القاسم بن جعفر العياني . بمطالبة الإمامة . فاتصلت به رؤساء همدان وسار لقتال الصليحي والتقى الجمعان في قرية الهرابة . فهزمه الصليحي وحاصره سبعين ليلة حتى استسلم فأطلق سراحه ؟

معركة الزرائب :

كان الصليحي يتوق العداء السافر والحرب العلنية مع (نجاح) خوفاً من تفوق قوته التي حملت لواء (السنة والجماعة) في (تهامة والجنوب الأعلى) . وكان يدرك أنه بدون القضاء على الدولة النجاشية فلا نجاح لسياسته .

كما أدركت الزعامة (الزيدية) على رأس أبي الفتح « السابق ذكره »

بأن لا طاقة لها في الوقوف بمفردها في وجه (الصليحي) . وأنه لابد من الاستعانة بأكثر قوة في الجنوب (بجانبها) ضده . فعمل (أبو الفتح) كما سبق الإشارة على الاتصال به (نجاح) .

أخذ نجاح للأمر أهميته . وأمد (أبو الفتح) بالمال والسلاح وحثه على النهوض . إلا أن الصليحي أسرع في القضاء على أبي الفتح في وقعة (نجد النجاح) ثم التفت إلى الحليف القوي نجاح الذي كان قد سير جيشاً قوياً عن طريق (صعفان) فلاقاه (الصليحي) في السهل قبل أن يصعد الجبل وأرغمه على التقهقر إلى زبيد .

وبعد تلك المعركة جمع النجاشيون وابن طرف الحكمي عشرين ألفاً . وكان مركز تجمعهم في الخلاف السلجاني في موضع يسمى الزرائب فسار إليهم (الصليحي) في ألفين وسبعمائة فارس ودارت المعركة في (الزرائب) من أعمال ابن طرف . وكانت الدائرة على النجاشيين وابن طرف والتجاء نحو ألف من فلول النجاشيين إلى جبل (عكوه) .

وفاة نجاح :

بعد معركة (الزرائب) بمدة يسيرة توفي (نجاح) وبوفاته تسهل كل صعب انفسح المجال أمام الصليحي فاستولى على عموم تهامة والقسم الجنوبي الأعلى . وباستيلائه على (زبيد) التجاء سعيد الأحول بن نجاح وأسرته إلى (جزيرة دهلك) .

تقدمه صوب الحجاز :

بعد الفراغ من أمر (اليمن) طمحت أنظاره إلى (الحجاز) فاغتم فرصة قطع أمير (مكة) شكر الحسني . الخطبة للفاطمين فأخذ في الاستئذان من الخليفة الفاطمي لغزو الحجاز . وتهينة وسائل التحرش وتبادل الرسائل مع (شكر) تحمل التهديد والوعيد فأجابه (شكر) بقصيدة مستهلا :

لتفليق الجماجم والرعوس وإقحامى خميسا في خميس

فأمر (الصليحي) شاعره (عمر بن يحيى الهيثمي) بأن يرد على (شكر)
بقصيدة عن لسانه فأجاب بالقصيدة الآتية :

دم الأبطال في اليوم العبوس	مدامي لا شراب الخندريس
ولهوى بالنشيج إذا تلاقى الوشيج	بمعرك حامي الوطيس
أحب إلى من نغمت عود	وصادحة تغرد غيطموس
ولولا فضل من لبي وجلوى	معد ذي الندى الغمر المسوس
لكنت حليف إقتار حبيساً	يدار صريع أفيون شريس
أفق عن عيب أجدادي ومجدي	فما بأسى بمفلول الضروس
ولا ييتي به (همدان) بن زيد	بمجهول الفروع ولا القنوس
أنا بن حماها وذرا قناها	أنا بن عنايس الحرب الضروس
أنا بن سراتها الحكام فيها	ذوي الأفضال مرضى المسيس
نماني كل أغلب (حاشدى)	علو للنا عنه شمس
بنوا وأتم مفخرهم بنائي	وقلوى جبل مجدهم فريسي
وكم ملك أسرت وكم خميس	أباد سراته قتلا خيـسي
وكم نفع أثارته رعالي	فطير الجو منه في سلوس
بني حسن ألا تنهون (شكر)	عن استمطاره سمع النحوس
أتاني السب عنه وقال : إني	إذا أقسمت أحلف بالبحوس
إلى قسم بغير أبي تميم	وأسرتة البلور من الشموس
متى أذن الإمام بحرب شكر	أنته بالردى خيلي وعيسى
بني حسن حذار إذا أتتكم	جنود الله بالخطب الشكوس

استيلاء الصليحي على الحجاز :

ظل الصليحي يتحين الفرص وينتظر الموافقة من خليفته وفي تلك الأثناء
توفي الأمير (شكر) فتقدم إلى الحجاز وضمه إلى حوزته وولى إمارتها
(محمد بن جعفر) وخطب للفاطمي وأبقى حامية يسيرة وعاد إلى اليمن .

وظل الحال على ذلك ثم قطع صاحب (مكة) الخطبة للفاطمين ،

وطرد الحامية الصليحية - كما تقدم مفصلاً - استمر الصليحي في إدارة ملك
البنين إلى أواخر عام ٥٧ .

قتل الصليحي :

في شهر القعدة ، سار الصليحي من صنعاء لاستعادة الحجاز ، بعد أن
أناب ابنه (أحمد المكرم) وفي ذلك يقول الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي
من قصيدة طويلة :

ما لمن فارق الأحبة عنذر	إن نهى دمه عن الفيض صبر
إن سيف الإمام كالبحر ذى الموج	له في البلاد مد وجزر
ولئن ساءنا فراق على	فلنا في ابنه إذأ ما يسر
ذاك بحر سقى به مكة	الله وهذا لوفد صنعاء بحر

رواية المصادر الصليحية :

كان مسيره من صنعاء يوم الإثنين السادس من ذي القعدة ٤٥٩ في
موكب حاشد .

وصف الموكب :

خرج في ألني فارس . ويتقدم موكبه الخاص خمسمائة فرس مطهمة
محلة بالسروج المفضضة والمذهبة وخمسون هجيناً مزينة وغيرها من أدوات
الزينة من الأعلام والطبول وأمامه مائة وخمسون أميراً من أمراء الإقطاعيات
الذين غلبهم على أمرهم واستولى على بلادهم .

الحالة في تهامة :

ظل النجاشيون وعلى رأسهم (سعيد الأحول بن نجاح) يتربصون لأخذ
الثأر واستعادة ملكهم الزائل . - وبصفتهم أنصار مذهب السنة والجماعة -
التي يدينها سكان تهامة والجنوب الأعلى فإن السكان يدين لهم بالولاء الحقيقي -
وكان من ورائهم أحد رجالهم المدعو (فرج السحرتي) يعمل لمصلحتهم جاداً .
فبلغ الصليحي ذلك فاستقدم (فرجاً) ووبخه فأنكر كل شيء وطلب الإذن

له بأن يحتال في قتل سعيد الأحوال فارتخت أعصاب الصليحي وسمح له بالعودة إلى زبيد .

عاد (فرج) إلى زبيد وأخذ في العمل الجدي لإبراز المؤامرة لحيز التنفيذ قائلا : للمتأمرين : الآن قد شهر أمركم فاجلوا وإلا أهلككم . فرفعت الأخبار للصليحي فأمر عامله بـ (زبيد) بالقبض على (فرج) وبعثه إليه مكبلا . وبوصوله إليه أمر حالا بقتله وشعر النجاشيون وأنصارهم أن أمرهم قد فشى وأنه لا بد من المبادرة فثاروا على عامله بزبيد وقتلوه .

علم الصليحي بالثورة بعد مغادرته لصنعاء وقد تقدمته الحملة في أمن ودعة . وأولها تقريباً في (هجر ١١) وآخرها في (المهجم) وهو يسير في المؤخرة مع حرسه الخاص وجماعة من الصليحيين . وإن الثوار في طريقهم إليه فأنفذ قوة لقتالهم — ويقال إن القوة التي أرسلها هم من الأحباش . فاتفقوا بالثوار ودلوهم على تخيم الصليحي ومقدار من معه وقالوا لهم إن فاتكم اليوم السبت لحق بجيشه وامتنع عليكم نيله . فصحت عزيمتهم وقصلوه على علم وبصيرة .

وفي يوم السبت الموافق ١١ ذي القعدة هاجموا تخيمه على حين غرة وفتكوا به وبمن معه وبقي ابنه الموفق فاتجه إلى مكان الحرم للذود عنهم فحاصروهم الأحوال حتى يوم الأربعاء ١٥ منه فاستأمنوا منهم ثم فتك بهم واستاق النساء أمامه إلى زبيد .

المعركة بين النجاشيين والصليحيين

سقنا ما ورد في كتاب الصليحيين ملخصاً وتحرياً للحقيقة وإيفاء للبحث
فنسوق الرواية كما أوردها (عمارة) نقلاً عن (كتاب المفيد) لجياش بن نجاح .
تسلل (الأحول) إلى زبيد واستتر في دار (ملاعب الخولاني) وكان
من المشايعين للنجاشيين .

واحتفر لنفسه (نفقاً تحت الأرض) يختبئ فيه . ومنه كان يدبر أمره
ويتصل بأنصاره . ثم كتب لأخيه (جياش) في دهلك بأن يقدم إليه في
زبيد فوافاه .

وبعد قتل فرج - على الصورة السابقة - ظهر سعيد الأحول في سبعين
رجلاً . قال عمارة :

حدثني (أحمد بن فلاح) صاحب ديوان التحقيق بزبيد . قال لما خرج
الأحول ، من زبيد بأصحابه قتل جندياً على فرس كان تحته فركبه وكان
خروجه يوم ٩ ذو القعدة سنة ٤٥٩ .

قال جياش بن نجاح :

خرجنا في طريق الساحل وتركنا الجادة السلطانية مخافة العساكر أن تلقانا .
وبيننا وبين المهجم ، مسيرة ثلاثة أيام للمجد وكانت الأخبار قد سبقتنا إلى
الصليحي . والأسماع قد امتلأت حتى لا تكاد المساجد والمدارس والأسواق
تخلو من ذلك فلما سمع الصليحي . بخروجنا سير من ركابه خمسة آلاف حربة
من الحبشة . وأكثرهم ممالئنا وبنو عمنا . وكنا قد سلكنا طريق البحر
فخالفناهم ولقد أذكر أن أظلم علينا الليل ونحن (بالمرأعة) من أعمال
(الكسراء) فخرج علينا رجل من تلال الوادي وقال أظنكم عريتم^(١)
الطريق فقلنا نعم . فقال اتبعوني . فما زال بين أيدينا حتى طلع الفجر ففقدناه

(١) هكذا ولعله يقصد ضلّتم . وفي جهتنا يقال إلى الآن عريت السفينة إذا صدمت بشعب
أو مرتفع في البحر أو جنحت على اليابسة .

ونالنا التعب والسغب بين مسير النهار والليل رجالة حفاة وسعيد بن بجاح راجل بيننا والفرس يجنب وهو يقول يا صباح الخير والظفر ولم يزل يغدو السير . على الرجا واليأس إلى أن دخلنا طريق الخيم . والناس يعتقلون أنا من جملة عبيد الصليحي وحواشيه . ولم يشعر بأمرنا إلا عبد الله بن محمد الصليحي . فإنه ركب وقال لأخيه يا مولانا اركب فهذا والله هو الأحول بن نجاح . العدو الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب من (زييد) . قال جياش فأدركه اليأس من الحياة فلم يبرح من مكانه حتى قطعنا رأسه بسيفه . وكنت أول من طعنه وشركني فيه عبد لنجاح وأنا الذي جززت رأسه بيدي ونصبته على رأس عود المظلة وأمرت بضرب الطبول والأبواق وركبت فرسه الحضرمي المسمى بالذيال .

وأما (عبد الله بن محمد الصليحي) وكان فارس العرب فحمل فينا وقتل منا رجالات ثم اعتنقه رجل منا وسقط على الأرض . ونادى صاحبنا اقتلوني وهذا فشككتهما سعيد بحربة واحدة وجز رأسه . وهو يعتقه (الصليحي) ثم ركب فرسه والرأسان منصوبان أمامه على باب المسجد الذي فيه أسماء بنت شهاب زوجة الصليحي . فقال لها : اخرجي فصيحي وصبحي على السلطانين . فقالت لا صبحك الله يا أحول بخير . ثم أنشدت ووجهها مكشوفاً قول امرئ القيس :

فإنك لم يفخر علينا كفأخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ثم أن سعيد أرسل رسولا إلى الخمسة الآلاف الذين قد كان الصليحي بعثهم في الليل لقتله يقول لهم أن الصليحي قد قتل وأنا رجل منكم والعز عزم . ولم يبرح سعيد على باب المسجد والرأسان منصوبان أمامه والطبول تضرب حتى قدمت الحبشة فسلمت عليه وبهما استطال على عسكر الصليحي قتلا وأسراً ونهباً .

قال جياش : وعزت نفس أخي سعيد من ذلك المقام وشمخ بنفسه حتى على وإني أخوه ابن أمه وأبيه . وذلك أني أشرت إليه أن يحسن إلى السيدة أسماء ويعفو عن معناها من بني الصليحي وهم مائة وسبعون ويعفو عن معناها من

أمرأ قحطان وقلت له لئن فعلت ذلك لا تنازعك قحطان في ملك تهامة ولئن
كرهت ذلك لتهيجن حفااضها ولتطلبن ذحولها . فأجابني بقول الشاعر :
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
ثم أمر بالصليحيين فقتلوا عن آخرهم رحمة الله عليهم أجمعين . الخ
واستولى على جميع ما في الخيم ... الخ .

وقال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي راثياً الصليحي من قصيدة :
وأنشأ الحج إلى (مكة) يبغى رضا الله وأجر جزيل
وارتجت الأرض له هيبه بمن بها بين فرات ونيل
وقام بالجيش وأضرابه شم العرائن كرام الأصول
فصار في (المهجم) في عصبه من قومه غالته دهياء غول
كالليث في الغابة دبّت له رقطاء. ليلا ذات جسم ضئيل
فإن يكن نيل على غرة فالبلر لا بد له من أفول

وقال الكاتب المنشيء والشاعر المخلق الحسين بن علي القمي على لسان
السيدة (تحفة بنت محمد الصليحي) راثياً :

لعمرى ما طارت طيور بأسعد غداة دهنتي الحادثات بأسعد
وذكرنى فقدى لأسعد إخوتي ملوك من المستشهدين بسررد
رزيت من الأملاك كل متوج كثير غبار الجيش طلاع أنجد
ملوك ترى الأملاك حول دسوتهم صفوفاً عكوفاً من قيام وقعد
أأبكي علياً. أم أخاه الذي فدا وأكرم مفدي هناك ومفتدي
أم الثالث اللاّ في الحراب بنحره وقد نهلت من كل أغيد أصيد
فله أسد صرعت بثعالب ولله أحرار أديلت بأعبد
وهون وجدي أنهم ما نخرموا بغير المواضي والوشيج المقصد

الحالة بعد قتل الصليحي :

قضى سعيد الأحوال على الصليحي - في ضيعة أم الدهيم - على الصورة
السالفة ، فثار ايمن بأسره تقريباً على نواب الصليحي وبلغ الخبر ابنه أحمد

المكرم في صنعاء . فوقف في موقف حرج للغاية ولم يبق تحت طاعته إلا صنعاء
أو حصن التعكر ومن القبائل التي ثارت ضده في القسم الجبلي :

- ١ - أهل كحلان
- ٢ - وهران .
- ٣ - عنس .
- ٤ - زبيد
- ٥ - يحصب .

وسرت نار الثورة حتى عمت ضواحي (صنعاء) وضربت عليها نطاق
الحصار وبعد لأي استطاع فك الحصار وتعقب الثوار حتى (حضور) .

عودة القواد :

وهناك وافاد القواد العائدون - الذين كانوا في الحملة - متقدمة قبل
الموكب وهم :

عامر بن سليمان الزواحي .

مدافع بن حسن الجنبي .

عمران بن الفضل اليامي .

الحسن بن عمران السنحاني .

فتنفس الصعداء بوصولهم وأخذ في خطة تنظيم الدفاع على الوجه الآتي :

١ - سير (الزواحي) إلى بلاد حمير ومغرب اليمن لإخضاع الثائرين .

٢ - إسماعيل بن يعفر الصليحي إلى يحصب وكحلان ورعين .

فتوفق القائدان في مهمتهما ، وبينما (المكرم) يحتفل بهذا النصر الذي
عزز مركزه نسبياً . وافته الأخبار بقيام الداعي (حمزة بن هاشم وذلك في
سنة ٤٥٩) .

ثورة حمزة بن هاشم :

استفحلت دعوته . فزحف على (صنعاء) به (خمسمائة فارس وعشرة
آلاف راجل) حتى بلغ (الماوى) .

معركة الملوى :

خرج المكرم لصدده وفى يوم الخميس الموافق ٢١ الحجة ٤٥٩ التقى الجيشان وفى يوم ٢٢ منه دارت المعركة التي انتهت بقتل (حمزة) وهزيمة جيشه

ثورة قبيلة بكيل :

وبانتهاء المكرم من المعركة وافته الأخبار بثورة (بكيل) فأفرغ جهده لإخمادها حتى قضى عليها

الهجوم على زبيد :

وأخذ في الاستعداد لأخذ الثأر من النجاشيين . سار في ثلاثة آلاف فارس في شهر صفر عام ٤٦٠ هـ وهجم على (تهامة) من شرق (زبيد) ووالى زحفه السريع حتى دخل قرية (التريبة) فجر يوم الجمعة ٨ منه فصلى وأسفر الصباح فإذا أوائل خيله قد أقبلت وعلى كل رجيل قائده فصار في المقدمة ووجهته باب الشبارق - من مدينة زبيد - الباب الشرقي للمدينة .

المعركة :

وقبال المدينة عباً جيشه على الوجه الآتى :

١ - القلب ويتألف من حمير وسنحان وتولى هو قيادته يساعده (أحمد المظفر الصليحي) .

٢ - الميمنة وتتألف من همدان ويام وجنب بقيادة (عمران بن الفضل الياامي) .

٣ - الميسرة وتتألف من أهل حراز بقيادة (مالك بن شهاب الصليحي) .

الدفاع :

اتخذ النجاشيون للدفاع خطة بارعة . يقوم أساسها على الدفاع مع احتفاظها بطريق التراجع وعلى أساسها عبساً (الأحول) ثمانية عشر ألف مقاتل رابطت على باب (الشبارق) على الوجه الآتى :

- ١ - ميمنة . يستندها احتياطي من ورأها يحفظ لها طريق تراجعها .
- ٢ - ميسرة يستندها احتياطي من ورأها يحفظ لها طريق تراجعها .
- ٣ - قلب .
- ٤ - كمين في حائط السور .

المعركة :

وفي يوم الإثنين الموافق ٢٩ صفر سنة ٤٦٩ دارت المعركة وانتهت بهزيمة النجاشيين وانسحابهم من المدينة ولا نجد أبلغ وصف لتلك المعركة من وصف الكاتب المنشيء (الحسين بن علي القمي) في الرسالة التي كتبها عن لسان الملك (أحمد المكرم) إلى الخليفة الفاطمي (المستنصر) . وإن كان بطبيعة الحال أن الرسالة (رسمية) ويستدعى الموقف من الكاتب إضفاء ذيول سابعة وإحاطة ذلك النصر بهالة من التمجيد والمبالغة . فإننا نراه قد حاول تصوير صور بارعة للمعركة . فضلاً أنه قدم لنا نموذجاً من فن الإنشاء الرفيع والبيان العالي المونق للنثر الفني في اليمن في القرن الخامس .

وانجزء من الرسالة على ما يختص بالمعركة :

فوردنا مدينة زبيد يوم الإثنين الموافق ٢٩ صفر سنة ٤٦٠ ، وسبق النذير إلى العدو . فألفاه صافئاً على باب الشبارق .

قد نفخ الشيطان . ريح الطغيان في أنفه . وأراه الحياة في حتفه . قد عصب برأسه من الكبر تاجاً . ظن أن لا يستطيع له نزعاً . وتردّى من الجبروت بثوب لا يروم له ما عاش خلعا . فقطع بالدابرة لنفسه على الله قطعاً ولم يعلم أن الله قد أهلك من القرون من هو أشد قوة وأكبر جمعاً . فدلّنا إليه في جماعة من المؤمنين قاموا لله أنصاراً واتخذوا الصبر شعاراً . والله عز وجل جار المتمسكين بسيبه الذي لا ينقطع من تمسك بسيبه . جاهدين في ابتغاء رضاه وطلبه . وخوف سخطه وغضبه .

فلما ترأى الجمعان . وتدانى الفريقان . ماجت الصفوف . وسالت

الزحوف . ولمعت السيوف . ووكفت الختوف . وتزلزلت الأقدام وصال
الحمام . واغبر القتام وتداعت الأبطال . وتدانى الآجال . وكثبت الرجال .
وانقطعت الآمال . واحمر الخدق . وفاض العرق وشخصت الأبصار .
وألحمت الشفار . وطلبت الأوتار ونقم الثأر . وأعوز الفرار .

فتطاعنا بالرماح . واضطربنا بالصفاح . وتجاودنا بالأرواح . وتدافعنا
بالراح . ودعونا نزال . فأنزل الله سكينة على المؤمنين . وأوقع الرعب في
قلوب الكافرين وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

وظفقت سيوف الحق تلتحمهم . وأيدى المسلمين تقسمهم . فتركوهم
ضريح بدمه وهارليديه وفه . وشارد لم ينجه سعى قدمه ، ونادم لم ينتفع بدمه .
وجريح قد انفضته الرماح (المعدية) . وطريح قد جندلته السيوف
(المستنصرية) ومعمور نطيح ومطعون جريح قد عادوا فرصة لكل واثب .
وأكلة لكل ناهب . مصرعين مصارع أمثالهم من الكافرين . واردين موارد
أعمالهم من الخاسرين .

قد قطع الله أوصالهم . وبَتَّ من حبله حبالهم . وسلط عليهم أوليائه .
ليبيدهم بعنادهم . وحل بهم نكالهم .

وفلت (اللعين) بمن معه . وقد أذن الله معه . ورد كيده ودفعه .
وألبسه الخزي والعار ومن اتبعه . بشلو مأكول . وجسم مبذول . وجمع
مفلول . وعسكر مخذول .

وكان السبب لنجاته . والموجب في ذلك لحياته . أن المملوك جعل أكثر
همه ، من في الدار من حرمه ، فلم ينبع (المخذول) أحداً ولا أزمع له طرداً .
وغنمنا من الغنائم مالا يمكن نعته ولا يتأني وصفه .

وجعل (العبد) يقصد سعيد الأحوال — لا رحمه الله — يدنو بمن بقي معه
من المدينة ويبعد ، ويبرق بغير قوة بأس ويرعد . ويقوم في غير عائدة

ولا تأثير ويقعد . يوهم أنه انهزم عنا قصداً وحاد عن لقائنا عمداً . وأنه قد أحلنا بحيلته سجنًا . ويظهر أنه قد امتلأ بذلك فرحاً وقد ملأه الله حزناً . ويركب في الإجلاب سهلاً وحزناً ، والمملوك - يعني نفسه - يسمع جمعجته ولا يرى طحنًا .

وسار (العبد) وهو على مسافة يوم والعساكر بالغنائم موقرة مثقلة ، وطريقهم بالأنفال والأفياء منتظمة متصلة ، فحين دنا (المملوك) منه راغ بمينه وقصده حيث هو فراغ يسره ... الخ ؟ .

ونلاحظ في هذه الرسالة من قوة البيان وأصالة فن الإنشاء الرفيع ما يغني عن كل إشارة بقيمتها الفنية .

ويظهر من فحوى مضمون الرسالة أن (المكرم) اضطر إلى مغادرة (زبيد) إلى (صنعاء) بسرعة السبيين^(١) :

١ - مرض عامله وخليفته على صنعاء مرضاً أشرف منه على الموت .

٢ - إن قاسم بن جعفر العلوي الذي سبق أن ثار على الصليحي وعفا عنه بعد الظفر به في معركة الهرابة جدد الآن ثورته وفعلاً قد غادر زبيد يوم ١٢ ربيع الأول عام ٤٦٠ ترافقه والدته والسيدات الصليحيات الذين استنقذهن من الأسر .

وبخروج (المكرم) إلى صنعاء ، استعاد (سعيد الأحوال) المدينة (زبيد) .

عودة المكرم إلى صنعاء وبصحبه الملكة الوالدة :

وقد استقبل قدمه بمظاهر الابتهاج واحتفل بعودة الملكة وحياتها بالشعر ومن ذلك قصيدة الشاعر عمر بن يحيى الهيثمي بقوله :

أوبة (أسما) إلى قصرها بعد فراق الملك الأوحده

وبعد عوصاء الخطوب التي رمت بني (قحطان) بالمؤبد

(١) ذكرهما في نفس الرسالة السابقة .

كرجمة الشمس وقد جنبها دجن وسربال دجى أسود
فيالها من نعمة أصلها بأس ابنها باني العلي أحمد

وخرج المكرم من صنعاء فأطفأ ثورة (قاسم بن جعفر العياني العلوى)
ولم يكده ينتهي من ذلك حتى وافته الأخبار بما يأتي :

١- نزول (الحسين بن مغيرة التبعي) و (أبي العباس السخطي) و (أبي
إسماعيل الكلالي) إلى (الحمراء) بقبائل (محصب) و (رعين) ثائرين ضده .

٢- تقدم (سعيد الأحول) من تهامة لمهاجمة (صنعاء) .

٣- أحد إخوان الأحول بجيش آخر إلى ذي أشرق .

فانكفأ عائداً وفي عودته هاجم جبل (حملان) واستولى عليه ووالى سيره
إلى (صنعاء) ومنها سار إلى (الخلاف) وانتهى إلى (بينون) وأخيراً استسلم
له (التبعي) و (السخطي) فعاد إلى (صنعاء) في ٧ شعبان ٤٦١ .

الاستيلاء على تهامة^(١) :

عاد المكرم إلى عاصمته (صنعاء) وأكبر منه أخذ الثار من (سعيد الأحول)
فأخذ في تهيئة الرأي العام وإلهاب الشعور العام فأمر الخطباء بحض الناس على
الجهاد والكتاب بكتابة الرسائل ووصف المعارك والإشادة بمواقف الشجاعة
والتضحية وأوعز إلى الشعراء في تأجيج نار الحماسة فتيار المجهود العلمي يشيد
بمواقف البطولة وشرف التضحية وفضل الجهاد وإذكاء نار الحمية ومن
الشعراء المشهورين في ذلك الموقف الشاعر الحسين بن علي القمي الذي قال
قصيدة نحتزئ منها بما يأتي :

أقحطان هزي البيض واعتقل السمرأ وردي العوالي من دماء العدا حمرا

في يوم الخميس الموافق ١٧ رمضان ٤٦١ . قاد جيشه إلى (زبيد) فوافته
الأخبار بأن (سعيد الأحول) قد تحرك بلوره إلى (الخلاف) أو إلى (عدن) .

(١) هذه الرواية في المعركة وقتل الأحول يخالف ما أورده عمارة اليمنى في تاريخه كما
أوردناها فيما تقدم من كتابنا .

وهنا أخذ (المكرم) يقلب أوجه الرأي في الموقف . وأخيراً اهتدى إلى ما ترجح لديه صوابه . فبعث قسماً من الجيش بقيادة (سليمان الزواحي) لصد تقدم (الأحول) وتابع هو السير فيمن بقي معه إلى جبل (حصن الشعر) . وعندما قرب من الجبل علم أن (سعيد الأحول) قد رابط به .

فعبأ المكرم كتائبه وهجم هجوماً خاطفاً ، أسفر عن قتل (الأحول) وأكثر جيشه فحز رأسه كما حز رأس أخيه (مالك بن نجاح) الذي قتل بجهة (نقيل صيد) في معركة مماثلة .

وبانتهاء (المكرم) من المعركة تقدم صوب (زبيد) فاستولى عليها يوم السبت غرة شوال ، بعد أن انسحب منها (جياش بن نجاح) إلى المقاطعات الشمالية . فأتاب المكرم على (زبيد) (سبا بن أحمد الصليحي) وتقدم شمالاً لمطاردة (جياش) حتى توقف في هجر - ضمد - التي بلغها يوم الجمعة ٢٨ شوال ولما علم أن (جياشاً) توجه إلى (الهند) أبقى في هجر (محمد وعلى ابني شهاب الصليحي) واتجه راجعاً . فوصل إلى (الساعد) وفيها مدحه الشاعر (أحمد بن محمد التهامي) بقصيدة بديعة قال فيها :

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب	وقد سحبت أعطافه كل مسح
بشعواء في (صنعاء) قرع طبولها	وريعانها بالعرق دون الحصب
أدارت على درب الحصب مع الضحى	رحاً ذات قطب حاشدى ولولب
فأضحوا على الأبواب صرعى كأنهم	قبائل عاد في الصباح العصب
وجئت وأم المؤمنين وسر بها	كزينب يوم الطف حول الخضب
فإن ذكرت بالفخر يوم نسابها	قريش كعمرو أو كعيسى ومصعب
أو الخرق عتاب أو المرء خالد	أو الشهم مروان الخطيب المهذب
وإخوتنا الأزديمانون أن أتوا	بغربنسي الأيام (آل المهلب)
أتينا بذئ (السيفين) أحمد أنه	يفوق على الحيين أد ويعرب

وسار من (الساعد) إلى (المهجم) فنبش جثتي والده وعمه وحملهما في تابوتين وسار إلى صنعاء وفي تلك الأثناء توفيت والدته أسماء بنت شهاب . فانقل

المكرم من (صنعاء) (إلى ذي جبلة) فأسسها واتخذها قاعدة للمملكة وأتاب
على (صنعاء) (عمر بن الفضل الياحي) ثم تزايدت عليه علة الفالاج ففوض أمر
الدولة إلى زوجته (السيدة أروى بنت أحمد) واعتكف في جبل التعكر .

توحيد العملة

كانت العملة المتداولة ، إما (سعيدية) نسبة إلى (سعيد الأحول) أو
(عثرية) نسبة إلى مدينة (عثر) فأمر (المكرم) بصك الدينار الملكي الذي
نسب إليه وكتب عليه ما يأتي :

(السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين) .

قال عمارة : وظل الدينار على تلك السكة حتى ولى الملك (عمران بن
محمد الزريعي) فسك ديناراً وكتب عليه :

(أوحده ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد) .

وظل المكرم متخلياً عن الأمر - بأسباب علة - لزوجته الملكة السيدة
إلى أن توفي عام ٤٧٧ .

السيدة أروى بنت أحمد :

أروى بنت أحمد بن محمد الصليحي ولدت عام ٤٤٠ وهي السنة التي
بعث على بن محمد الصليحي والد السيدة أروى على رأس الوفد اتبني إلى
المستنصر الفاطمي فتوفي به (عدن) .

نشأت في كنف الملكة السيدة (أسماء بنت شهاب) تحت أروقة المجد
وبين رحاب الملك والسلطان .

وصفها :

بيضاء مشربة بحمرة مديدة القائمة معتدلة القدم مع ميل إلى السمرة جميلة
الصورة جهورية الصوت .

معلوماتها :

قارئة كاتبة ، تحفظ الأخبار وتروي الأشعار . وتلم بالتاريخ وأيام العرب :
واسعة العلوم في الفقه الاسماعيلي ومذهبها الفاطمي . لها تعليقات على كتب
القوم تدل على غزارة مادتها كما أورد ذلك صاحب كتاب الصليحيين :

كانت تلقب بـ (بلقيس الصغرى) أدارت شئون مملكتهم بمقلدة ودهاء
إبان نيابتها عن زوجها . وبعد وفاته واستقلالها بالملك مدحها شعراء عصرها
بغرر القول وجميل الثناء . وديوان السلطان (الخطاطب بن الحسن الحجوري)
يزخر بمدائحها وفي زواجها بالمكرم يقول شاعر البلاط الصليحي (الحسين
بن علي القمي) من قصيدة :

وكريمة الحسين . يكنف قصرها أسد تخاف الأسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياء تغض من تماثلها المرثي في مرآتها
ظفرت يداك بها . فيخ لمنما لك تذخر العلياء مكنوناتها

وله من قصيدة يمدحها إبان ملكها أولها :

أعلمت أن من الرماح قدوداً ومن الصفاح محاجرأ ونهوداً
أعلى الأنام أبأ وأكرم طينة وأتم أعراقاً وأصلب عوداً
لو كان يعبد في الجلالة في الورى بشر لكنت ذلك المعبودا
أو كان في أثوابها . بلقيس ما هابت سليمان ولا داودا
وإذا الوفود . تأخرت . وفدت عطاياها . فكانت للوفود وفودا
هى نعمة الله التي ما ماؤها ثملا ولا معروفها مجوداً

أشرنا إلى توليها دفة الإدارة وتصريف شئون الدولة في حياة زوجها
(الملك المكرم) وازداد نفوذها واتسعت سلطتها باشتداد علته بالفالج . فنفردت
بالمملك وسلطة الدولة . وكانت تستعين برأي (القاضي عمران بن الفضل)
اليامي وأبي السعود بن شهاب الصليحي - إلى أن توفي زوجها - كما سبقت
الإشارة إليه في سنة ٤٧٧ .

تفرد بها بالملك :

قال عمارة : أوصى المكرم بإسناد الدعوة إلى ابن عمه (سبأ بن أحمد) ،
وقد خالفه صاحب كتاب (عيون الأخبار) بالرواية الآتية :

(كتبت الملكة السيدة أمر وفاة الملك المكرم ورفعت للخليفة الفاطمي
المستنصر . ورجته لإصدار مرسوم بتولية ابنها علي بن أحمد المكرم وأنه
وردها المرسوم . وإنها تمكنت الملكة من القبض على زمام الأمور نيابة عن
ابنها الطفل واستعانة بالأمير سبأ بن أحمد رئيساً للوزراء وقائداً عاماً .

الحرب بين القائد سبأ والأمير جيش :

كان (جيش) قد استعاد إمارة (تهامة) — بعد عودته من الهند —
فاشتبك القتال بينه وبين القائد الصليحي (سبأ بن أحمد) وظل الموقف مائعاً
والحرب سجالاً . يحتل الصليحيون زبيد في فصل الشتاء ويرغمون (جيش
على الانسحاب) . فإذا أقبل الصيف كر عليهم (جيش) وأرغمهم على
الانسحاب .

قال عمارة : ان تهامة تستقبل عودة جيش بمظاهر الأفراح وتلقاه بنشر
المصاحف وابتهاج الفقهاء وسرور العلماء لأن النجاشيين يعتبرون أنصار مذهب
السنة والجماعة وحماتها بخلاف الصليحيين الذين يدينون بالمذهب الاسماعيلي .

معركة الكظائم :

معركة من المعارك الفاصلة التي تقرر على نتائجها تثبيت دعائم الحكم
النجاشي في تهامة وانهايار بنيان الحكم الصليحي — راجع الفصل الخاص بالدولة
النجاشية ونضيف هنا ، أن خلاصة ما أورده (عمارة) بأن (جيش) اتفق
مع وزيره خلف بن طاهر الأموي على خطة مؤامرة تتلخص في أن يعلن
الأمير جيش غضبه على وزيره ويصادر أمواله ويسجنه . ومن ثم يفر الوزير
إلى الأمير سبأ ، ويحفزه على غزو تهامة . ويوافي الأمير جيش بخطة وعدد
قواته فإذا ما نزل إلى زبيد أطبقوا على جيشه الخ . وفعلاً نجحت المؤامرة
وطبقت الخطة بمهارة ودهاء وتم القضاء الساحق على الجيش الصليحي ، ومن

أعان النجاشيين في الاشتراك في الحطة والمعركة الأمير يحيى بن غانم السلياني
صهر النجاشيين فقد استنهض قبائل المخلاف السلياني فشاركت في المعركة في
صف النجاشيين .

ومن قتل في المعركة (القاضي عمران بن الفضل اليامي) قتله (يحيى بن
حمزة السلياني) وقال في قتله قصيدة أولها :

أبلغ نزار حيث حل نزار

ومنها :

ونجا (الحجازي) الرئيس بطعنة نجلا لها تحت القميص خوار

وكان الأمير (يحيى بن حمزة) شعر بأنه تدخل في عداوة سافرة مع
الصليحيين مما يعرضه لأحرج المواقف فيما لو انتصر الصليحيون في المستقبل -
فرغب في الاعتذار وبعث بقصيدة أولها .

يا راكباً جسرة كالقارب القطم هوى لقاربه الكدري من أمم

ومنها :

وقد يعز علينا ما أصابكم منا . بغير رضا كف ولا قدم
والله يعلم أنني يوم وقعتكم لم أمس إلا على جمر من الندم
وأن فيض دم منكم كفيض دم بكرلاء . وثأر الطف لم يرم

فأجابه الأمير عبد الله بن يعلى الصليحي على لسان الأمير سبا :

يا راكباً راح لا يلوي على أحد لقيت داعية التوفيق والنعم

إلى أن قال :

فليس (قيس) وإن جلت رزيته وكان صنوى لحمي لحمه ودمي
ولا الهام أبو موسى وصاحبه محمد وهما من أوثق العصم
بأول القوم مناحم موتهم بين الأسته والهندية الخدم
والسيف يأكلنا حيناً ونرتعه حيناً إذا شاء في الأعناق واللمم

وفي سنة ٤٨١ توفي الأمير علي بن أحمد المكرم وتلاه أخوه محمد فهب
سباً بن أحمد الصليحي يطالب بالوصاية ليوخطب زواج الملكة . وأخيراً

وبعد وساطة البلاط الفاطمي تم زواجها منه وظلت قائمة بالأمر وهو يساعدها إلى أن توفي في عام ٤٩١ .

كان الأمير سبا سيداً كريماً ممدوحاً من شعراء وقته متعلقاً بالمثاليات العربية ومن مدائح الشاعر الحسين القمي فيه القصيدة الآتية :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشبح أو	أزري بك الدهر فاستمطر بنان سبا
ما جاءه طالب يبغي مواهبه	إلا وأزمع منه فقره هرباً
تخال صارمه يوم الوغا قبساً	تضمرت من دم حافته لهباً
بني المظفر ما امتدت سماء علا	إلا والفيتم في أفقها شهباً
إن امرأ كنت دون الناس مطلبه	لا أجدر الناس أن يحظى بما طلبا

وله فيه غير ذلك من غرر المدائح . والأمير نفسه يقول الشعر واسع الاطلاع وكان مركزه حصن (اشبح) ومن مدائح القمي فيه :

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة الـ	عنول ولا جود بن أحمد والجلدب
كريم إذا جادت فواضل كفه	تيقنت أن البخل ما يفعل السحب
أجاز. فلا خوف. وأحياناً فلا ردى	وجاد فلا فقر ورام فلا صعب
ويثنى على قصاده فكأنه	يجاد بما يجدي ويحيي بما يحبو
كتبت إليه والمقادير بيننا	وكان جواني جود كفيه لا الكتب

الوزير الفضل بن أبي البركات :

ب وفاة الأمير (سبا) أقامت الملكة السيدة (المفضل بن أبي البركات) على الوزارة وقيادة الجيش كان والده والياً للصليحيين على التعكر وظل على ولايته إلى أن توفي فأقام ابنه الأكبر (خالد) في ولايته وكان الفضل من الذين نشأوا في البلاط الصليحي وكان في خدمة الملكة من طفولته الأولى . وعندما اغتيل أخوه خالد ولته بدلا عنه على التعكر - راجع أخبار المفضل .

وزارة أسعد بن أبي الفتوح :

توفي المفضل بن أبي البركات عام ٥٠٤ فاستوزرت أسعد بن أبي الفتوح ،

وكان قبلها والياً للصليحيين على (صبر) و (تعز) فأقام يساعدها بشئون الحكم وإدارة دفة الدولة إلى أن توفي عام ٥١٤ .

وبموته اضطربت الأمور وكانت الملكة قد أدركتها الشيخوخة فطلبت من خليفة (مصر) بعث مستشار يساعدها فبعث إليها (علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة) وبصحبه عشرين فارساً وقيل : إن قدومه إلى اليمن قبل وفاة الوزير (أسعد بن أبي الفتوح) .

كانت الدولة النجاشية قد استعادت بعض أمجادها السابقة . فضايق نجاحها الملكة (السيدة) فكان ذلك من الأسباب المباشرة لاستدعاء مستشار من الدولة الفاطمية .

وعلى كل فقد استطاع ابن نجيب الدولة أن يهديء الأمور ويحد من سلطة الطامعين في الداخل ويقف في وجه المتطلعين لابتلاع الدولة في الخارج — كأمثال النجاشيين — وقد رأى أن الجيش الصليحي — بعد معركة الكظام — قد دب فيه الوهن وشت معنويته فطلب من خليفة مصر بعث قوة يطعم بها معنوية الجيش الصليحي فوصلته بعض الإمدادات . فجند عليهم سبعائة فارس من قبيلة (همدان وسنحان) وأخذ في إعدادهم . فقوى بهم مركزه . فأطمعته ذلك بأن يدعم مركزه في خارج حدود الدولة الصليحية — أي على حساب النجاشيين فغزى زبيد في عام ٥١٨ — وكان على وزارة النجاشيين الوزير من الله الفاتكي — فأعد له العدة وهزمه شر هزيمة على أبواب زبيد فعاد إلى ذي جبلة مخضود الشوكة مفلول الحد .

وبعد هزيمته تضعضع مركزه وتألبت عليه العناصر الوطنية المعارضة التي تطلع إلى مركز الملكة . وكادوا له بالرفع ضده للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله فاستدعاه فتلكأ في المبادرة بالعودة فبعث الحاكم رسوله للقبض عليه فسلمته الملكة لهم .

فأنابت الملكة علي بن عبد الله الصليحي لإدارة ما بقي تحت إدارتها من البلاد إلى أن توفيت عام ٥٣٢) .

الدولة الأيوبية في جنوب الجزيرة

بعد قتل « سرور » وزير دولة آخر طفل من آل نجاح استفحل أمر مهدي ابن علي وقويت شوكته ، وبموت « الحرة أم منصور » كرر الهجمات على زبيد حتى فتحها ، وبذلك اندفعت جحافلها على بقية أقطار تهامة وقد عاجلته المنية فآتم عمله ابنه علي بن مهدي ، الذي استولى على أغلب جبال اليمن ، واستولى على المخلاف السلياني بعد قتله للأمير وهاس في جهة حرض ، كما أشرنا إلى ذلك في جهته - بالتوضيح - وبعد قتل وهاس التفت أسرته ، التي لم تجد من المتوكل أحمد بن سليمان صاحب « حيدان » - الذي ظاهرها على المقاومة - كبير غني فالتجأ بعضهم إلى مصر التي قد تولى على مقلداتها السلطان صلاح الدين الأيوبي « ورأى صلاح الدين أن في إرسال قوة إلى « اليمن » خير عمل لإشغال الرأي العام في مصر ، ثم إن في انتصاراتها تثبيتاً لمركزه وتوسيعاً لمجال ملكه وتأييداً لنفوذه الذي امتد إلى الحجاز التي أصبح يدعى له فوق منابرهما بعد الخليفة العباسي .

أرسل صلاح الدين جيشاً إلى اليمن تحت قيادة أخيه « توران شاه » شمس الدين الأيوبي ، وفي صحبته - منصور بن غانم ورفقاؤه من أسرة وهاس - وصل شمس^(١) الدين توران شاه إلى اليمن وحالفه التوفيق^٢ وانتصر بعد

(١) روى صاحب « قلائد الجمن » عن المؤرخ المشهور « ابن الأثير » أن صلاح الدين سير أخاه توران شاه إلى بلاد النوبة ، وبعد عودته منها سيره إلى اليمن لقتال عبد النبي عن طريق الحجاز فغلب على عبد النبي وملك زبيد وخطب للخليفة العباسي ، ومنها سار إلى عدن وقتل أميرها « ياسر » وأتاب عليها « عز الدين عثمان الزنجبيلي » وعلى زبيد « سيف الدولة مبارك ابن منقذ » ثم تقدم توران شاه إلى تعز ، وملك أغلب بلاد اليمن سهله وجبله ، وبعد أن دانت له البلاد توجه إلى مصر والشام ، وبعد رحيله توجه نائبه على زبيد : مبارك بن منقذ وأتاب عنه أخاه حطان بن منقذ .

معارك دامية على عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري ، وتم له الاستيلاء على أغلب اليمن في السهل والجبل ، وبعد إقامة ثلاثة أعوام في اليمن تمهدت له في أثنائها الأمور واستقرت الأحوال ، طلب من أخيه السلطان صلاح الدين الإذن بالعودة إلى مصر ، فأجابه برسالة تتضمن ترغيبه في البقاء ويشرح له الفائدة السياسية والحربية من وراء بقاءه في مملكة اليمن الواسعة الأرجاء الغنية بخيراتها وأموالها ، وبعث الجواب مع أحد ثقائه ، فلما وصل الرسول إلى اليمن وسلم الكتاب لشمس الدين التفت شمس الدين إلى خازنه ، وقال : أحضر الآن ألف دينار ، فلما أحضرت قال لأحد رجاله أحضر لنا به ثلجاً ، فقال يا مولاي لا يوجد الثلج هنا ، فقال لرسول أخيه معرضاً - وما يصنع الإنسان بالمال إذا لم يجد الكماليات لراحته ، ففهم الرسول غرضه وأخبر أخاه ، فعلم صلاح الدين أن لا فائدة في بقاءه ، فأذن له بالتوجه إلى مصر ، ومن الرسائل الإخوانية التي كان يبعثها صلاح الدين إلى أخيه ويضمنها اشتياقه وحنينه إلى اللقاء ، وهي من إنشاء القاضي الفاضل ، هذه الأبيات الرقيقة :

لا تضجرون - بما أتيت فإنه	صدر . لأسرار الصبابة ينفث
أما فراقك . واللقاء فإن ذا	منه أموت - وذاك منه أبعث
حلف الزمان على تفرق شملنا	فتى - يرق لنا الزمان ويحنث
حول المضاجع كتبكم فكأنني	ملسوعكم وهي (الرقة) النفث

بعد وصول الإذن لشمس الدين استخلف أخاه « أيوب » ورحل إلى مصر .

أيوب الأيوبي :

استخلف على اليمن بعد أخيه شمس الدين ولم تطل مدة استخلافه أكثر من سنة واحدة من ٥٧٣ إلى ٥٧٤ هـ .

بعد وفاة أيوب عام ٥٧٤ اضطربت الأمور وتنازع القادة أمر الرعامة واختلفت وجهات النظر ، وبعد منازعات ومحادثات أدت إلى إراقة الدماء وإهدار الأرواح اصطالحوا وساروا جميعاً إلى خطاب بزبيد ، فلما أدرك خطاب دنوهم ارتفع إلى حصن قوارير .

وصول (خطيليا) من قبل صلاح الدين عام ٥٧٤ هـ :

دخل خطيليا مدينة زبيد ومرض مرضاً أشرف منه على الموت فراسل خطاباً سرّاً خوفاً من منافسه «الزنجيلي» فدخل خطاب إلى زبيد خفية واجتمع بخطيليا وبقي معه في زبيد ، فعلم بذلك منافسه «الزنجيلي» فسار على رأس جيشه وحاصر زبيد ، وذلك في أوائل ٥٧٧ هـ .

مات خطيليا في أثناء الحصار وبقي خطاب في زبيد إلى سنة ٥٧٩ هـ .

وصول سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن :

علم صلاح الدين بما بلغت إليه الأحوال في اليمن فأرسل أخاه «طغتكين» في ألف فارس ، وخمسمائة رجل — بطريق الحجاز — فدخل مكة في إمارة قتادة ، فطاف وسعى وخلع عليه خلعة نفيسة وتوجه إلى اليمن فوصل مدينة زبيد في أواخر عام ٥٧٩ هـ وخرج خطاب لاستقباله والاحتفاء بمقدمه فخلع عليه ، وبعد دخوله زبيد بأيام قليلة استأذنه خطاب في السفر إلى الشام فأذن له فجمع خطاب جميع أمواله استعداداً للسفر في الخنايذ ضاحية من ضواحي زبيد ، فأمر طغتكين بالقبض عليه ومصادرة جميع أمواله ، ثم أمر بإرساله إلى تعز حيث أمر بختقه هناك ، وأخذ طغتكين بعد ذلك في تعقب جميع الأمراء السابقين ، وألقى القبض على ياقوت ومظفر الدين الأول أمير تعز والثاني أمير جبلة وصادر أموالهم إلا الزنجيلي فقد استطاع أن يجهز سفناً وفر بما جمعه إلى العراق .

دان أغلب اليمن سهلاً وجبلاً لطغتكين واستولى على جهات في اليمن لم تخضع لأسلافه واستولى على مدينة صنعاء في عام ٥٧٩ هـ . وشرع بعد ذلك في تشييد الحصون والمعازل الهامة ومنها :

١ — جدد بناء حصن «التمكر» .

٢ — جدد بناء حصن «حب» .

٣ — جدد بناء حصن «خدد» .

٤ — جدد بناء حصن «تعز» .

٥ - جدد بناء سور « زبيد » .

٦ - جدد بناء سور مدينة صنعاء بعد أن تهدم من رمي النفط أثناء مهاجمته للمدينة .

وبالجملة فإن تواريخ اليمن القديمة تصفه بحسن السيرة ، وإن المتظلم يتعرض موكبه ويمسك بعنان فرسه ولا ينصرف حتى تكشف ظلامته ويؤخذ له الحق ممن ظلمه ، ولما أحس بدنو « المنية » أناب مملوكه « أبو ريا » وأرسله إلى « البلاد العليا » .

توفي بقرية « المنصورة » بين الجند وعدن في شوال عام ٥٩٣ هـ . ومدة ولايته ١٤ سنة .

معلوماته :

كان فقيهاً له مقروءات ومسموعات قرأها وسمعها معاصروه باليمن .

مآثره وإنشاءاته :

١ - بناء المؤخرين في جامع زبيد والجناحين الشرقي والغربي والمنارة .

٢ - اختط في اليمن مدينة أسماها المنصورة في ذي القعدة سنة ٥٩٢ هـ ، وأبنتى بها قصراً أنيقاً .

أعماله الإدارية :

١ - قرر الضرائب السلطانية ووضع الأنظمة لجبايتها وقن قوانين الأعمال الإدارية .

٢ - جعل عشر زكاة النخل نقداً ، وكان في أيام بني زياد وآل نجاح وبني مهدي يدفع من الثمار ، فنفّر كثير من أهل النخل فأخذ نخل من هرب صفيّاً لبيت المال . وهذا ينافي العدالة التي شهد بها مؤرخو عهده .

٣- عزم على^(١) شراء جميع أراضي اليمن الزراعية ، وأن يجعلها ملكاً (لبيت المال) ومن أراد حرث شيء منها استأجره من ديوان الأراضي الخاص بإدارة أملاك الدولة فأدركته الوفاة ، وقد شرع المثنون في تقدير أثمان الأراضي .

ولاية المعز ابن طغتكين :

كان المعز قد خرج إلى « مصر » مغاضباً لأبيه فأدركته الرسل في آخر مرحلة ، فرجع وتولى زمام الملك وتسلم حصن « تعز » وغيره من الخزائن والحصون وقتل جميع غلمان أبيه الذين حاولوا العصيان عليه بعد موت أبيه . وبعد ذلك صعد إلى مدينة صنعاء وقبض على « دوريا » وقتله في المحرم عام ٥٩٤ هـ ، ثم عاد إلى مدينة زبيد ، ويروي أنه داخلته « المنخوليا » وضعفت قواه العقلية ، فادعى الخلافة وانتفى إلى بني أمية وبلغ أعمامه ذلك بمصر فكتبوا له ينكرون عليه فلم يرجع وأخاف أكثر رجاله الأتراك فهربوا على رأس الأتابك ستمر ، وبقي معه الأكراد ، ولما تفاحش أمره قتله الأكراد على باب مدينة زبيد سنة ٥٩٨ هـ ، ونهبت المدينة فكانت ولايته ستة أعوام .

معلوماته :

كان متضلعا في فنون الأدب شاعراً له ديوان شعر معروف في عصره .

آثاره :

- ١- يشهر بأنه أول من بنى المدارس باليمن .
- ٢- أنشأ المدرسة المعروفة « بالميلين » شرقي رحبة الدار الكبير الناصري بزبيد .

٣- أنشأ المدرسة السيفية بتعز نسبة إلى أبيه « سيف الدولة » .

(١) كانت الأراضي الزراعية في مصر كلها ملك بيت المال منذ الفتح الإسلامي إلى عهد الخديوى إسماعيل ، وكانت الحكومة تقيس أرض كل قرية مرة كل ثلاثين سنة وتختبر خصوبتها وتعيد النظر في مبلغ الإيجار الذى يؤخذ من القرية ، وكانت لكل قرية وحدة مالية من قبل دفع الضرائب التى تصدرها الحكومة وتسلم تلك القرية إلى ملتزم ترسو عليه .

نيابة الأتابك سنقر :

لما علم الأتابك « سنقر » وهو متحصن في حصون حجة نزل إلى تهامة فتلقيه الأكراد والجنود وجعلوه أتابكاً للملك الناصر أيوب بن سيف السولة طغتكين والناصر طفل لم يبلغ الحلم .

وفي أيامه نزل برد « أبيض » واستمر يوماً وليلة وأظلم الأفق ، ونزل بعد ذلك رماد « أسود » ووقعت هزات أرضية وسمي ذلك العام عام الرماد وهو عام ستمائة هجرية ، واستمرت ولايته تسع سنوات تقريباً إلى وفاته عام ٦٠٧ هـ .

آثاره :

- ١ - أنشأ جامع « المعز » وعمل به المنبر وهو من عجائب البناء في عصره .
- ٢ - أنشأ مدرسة للشافعية تعرف « بالعاصمية » نسبة إلى مدرستها الفقيه « عمر بن عاصم » .
- ٣ - أنشأ مدرسة في زبيد وهي تعرف إلى القرن التاسع بمدرسة « ابن حماد » نسبة إلى الفقيه محمد بن حماد مدرستها .
- ٤ - أنشأ جامع عبقور من أرض « أبين » .
- ٥ - أنشأ الصفتين والجناحين ومؤخراً في مسجد الجند .

الأتابك غازي بن جبريل :

أوصى « سنقر » قبل وفاته بأن يخلفه على الوصاية بالملك « الناصر » جبريل بن غازي وبعد أن استتب الأمر لجبريل بن غازي حمل الملك الناصر على الطلوع لصنعاء الذي لم يسعه إلا موافقته كارهاً .

جمع جبريل بن غازي ما استطاع جمعه وحشده من الجند ، وحمل أموالاً جزيلة ورحل بالملك إلى صنعاء ، وبعد وصوله إليها احتال على قتل الملك بالسهم في الحرم عام ٦١١ هـ ، فكان مدة ملكه تحت وصاية « سنقر » وتحت وصاية جبريل ١٣ سنة .

صبرت جثة الملك الناصر وحملت إلى تعز حيث دفنت بميدان تعز .
استمال جبريل بن غازي بعد ذلك الجند ونصب نفسه ملكاً وأخذ البيعة
ورحل على رأس جيشه إلى زبيد وكله أمل بالمستقبل الباسم والمجد الباذخ فلما
صار « بالسحول » أحاطت القبائل بركبه فلم يستطع مقاومتهم فأنهبوا جميع
ما معه ونجا بنفسه هارباً إلى مدينة « اب » وتفرق من معه من الجند ومن
جملتهم ممالك الملك الناصر .

كانت أم الناصر والخواتين من نساء الأيوبيين مقيمين في حصن التعكر ،
فطلع ممالك ولدها إليهم فشتتهم وأنبتهم وطلبت منهم قتل جبريل بن غازي
إذا كان بقي لديهم شيء من الرجولة والوفاء لمواليهم فرحلوا حالاً إلى « اب »
وهجموا على جبريل في بيته واجتزوا رأسه وحملوه إلى أم الناصر فكانت
مدة وصايته إلى أن قتل ستة أشهر .

أم الناصر :

نزلت أم الناصر من معقلها حصن التعكر إلى مدينة « تعز » وقامت
بتدبير شئون الدولة ستة أشهر .

سليمان تقي الدين بن عمر شاهنشاه :

قدم في تلك الأثناء سليمان المذكور في جماعة من الصوفية الفقراء قاصدين
الحج وأمه من بني أيوب فاستدعته أم الناصر وبقية الخواتين وطلبن منه أن
يتولى الوصاية على الملك فأجابهن إلى ذلك ، فلما استقر به الحال وغمرته نعمة
الملك بعد جفاف العيش الذي مر به في عهد دروشته في سلك المتصوفة سرعان
ما انغمس في ملاذه وانغمز في شهواته ، وغفل مع النساء والحظايا عن أمور
الدولة حتى ضربت القوضى أطناها واستضرت جرة القبائل حتى قتلوا من
جنده في جبل « صبر » قرب العاصمة « تعز » مائة فارس وهو سكران في
القصر لا يفيق يغني راقصاً بقوله :

أنظروا للملك غيري أنا مشغول با . . .

اتصل بالأيوبيين في مصر ما آلت إليه الأحوال ووصلت إليه الأمور

باليمن فجهاز الملك العادل ابنه المسعود وهو في سن البلوغ في جيش قوى وزوده بكل ما يلزم من العتاد والمال .

وصول المسعود إلى اليمن :

توجه المسعود على رأس جيشه من مصر إلى اليمن فدخل مدينة « زبيد » في ٢ محرم سنة ٦١٢ وبعد أن قرر الأمور طلع إلى مدينة « تعز » وتسلم زمام الأمور وقبض على سليمان بن تقي الدين المعروف في اليمن بالصوفي في شهر صفر من تلك السنة ، وتزوج بالأميرة ابنة سيف الدين الأتابك ، وبعد أن وطد دعائم ملكهم في اليمن أناب أتابكه ومدير أموره جمال الدين قليم ور حل إلى مصر .

جمال الدين قليم :

تولى جمال الدين النيابة عن المسعود في اليمن ، وكان سيء التصرف فظاً ضاق الناس من شدته وغطرسته وأساء إلى بعض الشخصيات المحترمة فألبت عليه الرأي العام ، وكان هناك شخصية بجانبه مرنة عرفت كيف تستغل الموقف لصالحها وهي شخصية عمر بن علي الرسولي الذي كان يخدم مصلحته الشخصية وأغراضه الذاتية أكثر من مصلحة الدولة التي يخدمها ، فزاد ذلك في إحراج موقف جمال الدين الذي عاجلته المنية فحسنت التنافس .

عودة المسعود إلى اليمن :

اضطربت الأمور بعد موت جمال الدين مما أوجب المسعود إلى العودة بنفسه إلى اليمن وبوصوله هدأت الأحوال وساد الأمن ، وكان توجهه من مصر براً عن طريق الحجاز واصطدم في قتال مع أميرها « حسن بن قتادة » فانهزم ابن قتادة وفر هارباً ، وذلك في عام ٦١٩ أو ٦٢٠ هـ . وتولى المسعود أمر مكة وحج بالناس ، وبعد الحج أناب عمر بن علي الرسولي ، واستأنف رحلته إلى اليمن ومكث به إلى أواخر عام ٦٢٥ هـ . فأرسل لعمر بن علي الرسولي نائبه على الحجاز فوصل إلى اليمن فأنابه عنه وتوجه إلى الحجاز وهناك

أصابه مرض الفالج ، وفي بعض روايات تاريخ اليمن أن ابنه أمر من يدس له السم في طعامه وتوفي عام ٦٢٦ .

جدول ملوك الأيوبيين

الاسم	من	إلى	المدة
شمس الدين توران شاه	٥٧١	٥٧٤	٣
أيوب الأيوبي	٥٧٤	٥٧٥	١
خطاب بالنيابة	٥٧٦	٥٧٩	٣
طغتكين	٥٧٩	٥٩٣	١٤
المعز إسماعيل	٥٩٤	٥٩٨	٤
الناصر أيوب	٥٩٨	٦١١	١٣
المسعود	٦١٢	٦٢٥	١٢

الحالة العامة للعهد الأيوبي في جنوب الجزيرة

«أدخلت الدولة الأيوبية في اليمن عناصر جديدة وتقاليد غريبة من الأتراك والعرب والجزاكسة وغيرهم حملوا معهم عادات وتقاليد أعجمية، وأصبحوا إقادة الرأي وعماد القوة» ورجال الدولة ، والناس بطبيعتهم مقلدون للقوي الغالب .

أضف إلى ذلك أن الأيوبي الأول في اليمن « توران شاه » قضى على أغلب الحكام الوطنيين فقد شنع الملك عبد النبي بن علي بن مهدي ، وجل رجال دولته وقتل الأمير ياسر حاكم عدن ، وقضى على الحكام المحليين ، وأقام في محلهم نوابه ، وقد تمكن من التغلب على أغلب اليمن ، واستولى على صنعاء ، وبلغ سلطانه إلى الجوف وغيره ، فأصبح اليمن خاضعاً لسلطة نفوذه وبعد أن توطد أمره عاد إلى مصر بعد أن ترك نوابه في البلاد فعملت المنافسة الشخصية عملها فاضطرب الأمن وسادت الفوضى فبعث السلطان صلاح الدين إلى اليمن أخاه الآخر سيف الإسلام طغتكين فوطد الأمور فعظم سلطانه وشمل اليمن بأسره ، واستعاد مدينة صنعاء وبنى بها « الدار السلطانية » في البستان ، الذي يعرف في هذا التاريخ « بستان السلطان » وقد أحسن التصرف والإدارة وقرر الضرائب على غرار ما هو متبع في مصر ، وهم أن يجعل جميع الأراضي الزراعية ملكاً للدولة وتؤجر على الأهالي للديوان ، وكان نوابه ورجال حكومته من العناصر التي قدم بهم رفقته إلى اليمن أو من بقايا رجال أخيه « توران شاه » فكان همهم ابتزاز الأموال والتشديد على الرعية في استحصال الضرائب الحكومية نقداً ، فهرب أكثر المزارعين عن مزارعهم لعجزهم عن تسديد ما تقرر عليهم - وكان قبل عهد الأيوبيين يستحصل الخراج على النخل والحبوب عيناً كزكاة شرعية ويظهر أنه كان يتألم شيء من الرفق والتسامح والرفقة - بخلاف العهد الأيوبي الذي اتسم بالظلم وبزيادة التشدد في جباية الأموال وعدا ذلك فإن الإقطاعيات بقي لها نفوذها لا سيما

بين القبائل البعيدة عن المدن الرئيسية أو في الجهات الصعبة المواصلات فكان الأيوبيين يكتفون من الإقطاعى بتأدية الحراج الذي يستحصل هو أضعافه وسيلاحظ القارئ كيف أن (توران) قضى كما أشرنا قبله على أغلب الأمراء المحليين فما هي إذن الإقطاعيات التي بقيت ؟ فنجيبه أن هناك إقطاعيات كانت تنسم بالتوثب وقوة العصية القبلية أو المذهبية والتي تحاول بسط سلطة إدارية أو نفوذ روحي لإشادة دولة وقيام حكومة فهذا ما قضى عليه قضاء مبرماً وإنما عدا ذلك فكانت هناك إقطاعيات من لا يخشى بأسهم على سلطانه أو معارضة حكم فيتغاضى عنهم راضياً أو متجاهلاً ولو عاد من جراء ذلك بأضرار على الأمن أو حاد في التخلي عنهم عن منهج الحزم فانطلق عقول نشاط الصوفية ورجالها والصوفية في تهامة اليمن وإن كانت وافدة إليها فإنها قد تأقلمت وانطبعت بطبع محلي إيجابي واتخذت لها زعامة روحية بين القبائل تدعن لها الرقاب وتطاطىء لسلطتها الزمنية الرؤوس التي لا تنحني للسلطة الحاكمة ولم يكن للدولة مذهب ديني خاص أو مبدأ سياسي مدروس تفرض الأول أو تحاول تحقيق الثاني لذلك رأت في رجال التصوف أداة لتوطيد سلطانها فاعتنت باحترام زعمائها وإعفائهم من الضرائب وعدم التعرض لأتباعهم أو الاعتراض على زواياهم وحلقات الذكر وريع النذور والفتوح التي كانت تنهال عليهم وينفقها^(١) زعماء التصوف على إعانة المريدين ووفود الزوار

(١) ومن زعماء التصوف في ذلك العهد :

١- آل الحكى في المخلاف السليمانى .

٢- موسى بن على عجيل في بلاد الزرائق من نهامه اليمن .

٣- على الأهلى . ٤- محمد بن أبى بكر الحكى

٥- عيسى البحر ٦- الاسدى .

٧- اليجلى .

ومن زعماء الاقطاعيات :

١- آل وهاس في المخلاف السليمانى .

٢- بنو الزين في الزيدية ٣- بنو امقمة .

٤- بنو جابر .

٥- عمر عدنان العريق في بنى العريف .

٦- بنو الخطاب .

وطالبي التبرك ومستمطري الرحمت وقاصدي الشفاء - مما ينافي جوهر الإسلام ونص الفرقان فعرفوا الجميل للدولة ، وكانوا في جانبها - (راجع الفصل الخاص بالصوفية في اليمن في الجزء الثاني .

أما في القسم الأعلا الشمالي الذي يدين بمذهب الإمام زيد ، فقد استطاعت الدولة أن تفرض سلطانها بالقوة وتقضي على كل مقاومة ، وقد بلغ سلطانها الجوف وصعدة وحجة وغيرها من الجهات التي يسود في أرجائها مذهب « الزيدية » .

وتشير بعض المصادر اليمنية إلى أن طغتكين هو أول من نظم الإدارة الحكومية وقرر الضرائب ، وبالطبع أن الدولة الأيوبية في اليمن فرع من الدولة الأيوبية في مصر التي ورثت أنظمة الإدارة من الدولة الفاطمية التي وضع صاحب « صبح الأعشى » قوانين إدارتها وأنظمة دواوينها ، فكان اتباع الدولة الفرعية لأنظمة الدولة الأم وتطبيقها في اليمن حدث جديد استدعى التسجيل من مؤرخي اليمن .

استمر عهد الدولة الأيوبية في اليمن من عام ٥٧١ إلى ٦٢٥ هـ ، وبهنا هنا أن نشير إلى العادات والتقاليد الشعبية في ذلك العهد في الجنوب ، وبما أن مدينة « زبيد » هي عاصمة اليمن زهاء أربعمئة عام في العهدين الزيادي والنجاحي ، وعهد علي بن مهدي وابنيه ، وفي أول عهد « توران شاه » فإن العادات والتقاليد السائدة في أرجائها تعطينا أنموذجاً وفكرة نستشف منها الكثير من العادات الاجتماعية في بقية البلاد التابعة لإدارتها ، وبما أن الجنوب العربي متسع الأرجاء وتسوده عادات وتقاليد قد تباين بعض الشيء في السهول عن الجبال ، فقد اتخذنا من زبيد وصنعاء مثالين ، الأولى للسهول والأخرى للقسم الجبالي .

زَبِيدُ الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ (١)

من عادات أهل زبيد حلق « رؤسهم » وأن يحنوا أيديهم وأرجلهم ، ومن عاداتهم تقديم الطرح أو ما يسمى في بعض البلاد العربية « التقديم » في مناسبات أفراح العرس والختان ، وللنساء فيهما وفي الولادة .

ومادة طعامهم الذرة والدخن والدجرة « اللوبيا » والبر والفول والحبس ويصنعون من الذرة والدخن طعاماً يسمى « الحفوش » ومن الدجرة « حساء » يسمى « الكبان » ويصنعون من الذرة والدخن « اللحوح » والفطير يأكلونه بعد أن يمرس بالبن والسمنك ويسمونه « الملتح » وبعضهم يمرسه بالموز والقند و « الحليب » ويأكلون الدبأ مشوياً في « التنور » وفواكههم وخضارهم « البطيخ » والموز والعنب والرمان والقثاء والخيار .

وأحاديث عامتهم تدور حول الطعام ، فإذا حدث زيد عمراً — مثلاً — يقول له اليوم « تصبحت » فطير دخن وقطيباً أو « ملتح » وأنت ما « تعوفت » فيقول عمرو « رغيف » خبز بفلس وقطعة حلالة بأربعة فلوس ، ويقول جعفر أنا أكلت أكلة تكفيني ثلاثة أيام « فطير » و « حليب » و « قند » وترفت إلى أن شبع ، ويستدل من ذلك أن هناك محلات عامة لبيع الطعام جاهزاً ومن طبيخهم « الملوخية » .

ويقول علي بن أبي علي السنوي في ذلك :

قد قلت يوماً لـ « ريم » ذات إعجاب	و ذات صلر رحيب ذات أكعاب
و ذات قسد رشيق كالقضيبي إذا	ما، ماد. من فوق دعص الرمل ربراب
وقد أشارت بـ « كف » وهي معرضة	وأقبلت مثل ظبي بين أسراب
خذي « الثريد » إذا ما جئت مقبلة	نحوي ، ولا تأخذي ، مسكاً بأطياب
واستعملي من فطير « الدخن » مع لبن	وصبحيني به صباحاً على « الباب »
فإن « قلبي » إلى حب « الفطير » صبا	وليس « قلبي » إلى حب « النساء » صابي

(١) من هنا إلى نهاية الفصل ملخص من تاريخ ابن الجاور .

النخل في زبيد في العهد الأيوبي

النخل في وادي زبيد قديماً ، فسيمر بك مقدار خراجه في عهد النجاشيين وإن كانت تشير بعض المصادر إلى أن أول من غرسه علي بن محمد الصليحي ، وفي عهد الأيوبي كان في عشر مواضع :

- | | |
|----------------|-----------------------|
| ١ - الأبيض | ٢ - الكديجا |
| ٣ - المحرشية . | ٤ - المحلة - الأثيل . |
| ٥ - وكروة . | ٦ - المحجر |
| ٧ - القبرا . | ٨ - المغارس . |
| ٩ - حجنة . | ١٠ - المجازع . |

أما أنواع رطبة فثلاثة أنواع « حُماري ، صفاري ، خُضاري » . فإذا حان وقت ثمره يتقبل كل شخص على قدر استطاعته - أي يستأجر من الملاك ويحجيء إليه من « حرض » إلى « أبين » ، وينزل أهل الجبال إلى تهامة ، ويقول ابن المجاور : كم من امرأة تطلق من جهة النخل ، وكم تنكح امرأة ، قال الشاعر الشعبي من الشعر الحميني :

هذا الشَّقَحْ واللَّقَحْ والطلَعْ منه قد افتتحْ
يا غازلات اغزلوا فالنخل قد صار بلح

وقال آخر :

من عرف النخل والقبلة أمسى وفي قلبه دباله
وعاش فيه معاش سوء وناله الدين لا محالة

السبوت :

يطلق اسم السبوت على نزهاتهم في موسم الرطب فكان إذا حان أوانه رحل القوم إليه في مواكب صاحبة بالزغاريد والطبول والرقصات الشعبية ويقيمون فيه مدة شهرين أو ثلاثة .

ويكون غالب أكلهم أثناء إقامتهم بين إخراجهم تناول رطبه الجني وأكلهم معه الموالح والحوامض وهم في لعب ولهو وضحك وشراب ويعمل القوم

من التمر والبر والرطب نبيذاً يسمى (الفضيخ) يصح عمله في يوم وليلة ويشرب النساء مع الرجال .

فإذا انتهى موسمهم خرج الجميع في مواكبهم الحاشدة وجمعهم الراقصة على قرع الطبول والمزامير بعد أن يلبسوا جملاً عدة تامة من الأجراس والقلال والحلي والجلجل يسير أمام الموكب ويركب كل أربعة على جمل وبعضهم من أصحاب الثراء والجاه يركبون في الشقادات إلى أن يصلوا إلى مسجد مشرف على البحر في موضع يسمى الفازة فينزل القوم بجمعهم للبحر للهو والمرح والاستحمام ثم يعودون إلى المدينة زييد .

خراج خارج النخل :

تتحصل الدولة على مائة وعشرين ألف دينار من النخيل باسم ضمان وكان خراجه في عهد النجاشين ثم في عهد علي بن مهدي وابنيه سبعين ألف دينار وكان يؤخذ عيناً لا نقداً كما هو الحال في هذا العصر الذي تجلى صفحته — العهد الأيوبي ، ويقال أنه ارتفع إلى ذلك القدر في عهد طغتكين إلا أنه قال لعماله أرفقوا بأهل الحرب فإن الفلاح يحرث ويسقي ويعزق ويحصد وينري في الهواء ويجد مشقة فالواجب الرفق به ، أما أصحاب النخيل فإنهم يجنون الثمرة من العام إلى العام بلون مشقة ولا عناء فوفروا عليهم في الخراج فشدوا عليهم ففر الكثير منهم وتركوا نخلهم فاصطفت الدولة وسمته الصوافي .

الأسماء : وأشهر أسماء عامتهم .

حنكاس ، يعفر ، غطيظ ، زبرقان ، زنقل ، دعص ، مجلس ، زير ، حمسيس ، عطعط ، وطبوط ، ددع ، شقادات ، مطعون ، جرباح ، صبيعة ، قبيع ، قعيش ، حنبل ، جحشوش ، سحلب ، كشكاش ، كركر ، كعدل .

اللباس :

لباسهم لا يختلف ، واللباس السائد الآن في البوادي وهو المنزر والمدرعة وقطعة خام يعتم بها على الرأس ، ويلبس أهل البوادي غطاء على الرأس من الخوص يسمى « القبع » شكل رقم (٨) وفي شمال تهامة اللباس العام المنزر

والصديرية ، والشباب يكونون حاسري الرؤوس التي تزينها الشعور المسدولة
أما السنون فيعتمدون بالعمائم على الكوفية غطاء الرأس المعروفة من الخيزران
أو القماش ويتردون برداء يسمى الخفاف .

النواحي الاقتصادية :

إن مدينة زبيد بحكم كونها العاصمة تتركز فيها الحركة الاقتصادية والرخاء
المادي والنشاط التجاري ومصانع النسيج ، وقد شہرت اليمن بمنسوجاتها
الممتازة وبردها المشهورة ، وكانت تصدر إلى أغلب الجهات بعد الاستهلاك
المحلي ، وبها المدايع والمصانع وعدا سوقها الزاخر بالحركة والبيع والشراء
يوميّاً فلها سوق أسبوعي يقام يوم (الجمعة) يسمى « الوعد » يرتاده الناس
من البوادي والحواضر والمحلات القصية ، واستمر الوعد يقام في ذلك اليوم
إلى عهد الملك الأشرف الثاني ، فعدل بيوم الخميس .

وأكبر حركة لسوقها اليومي بعد صلاة الظهر ويتعاملون مع « الجند »
العشرة خمسة عشر - وهذا هو الربا المنهي عنه شرعاً - .

السكة ، العملة المتداولة :

العملة المتداولة في زبيد في ذلك التاريخ « العملة العباسية » والمصرية
والدينار الملكي ، وهو من العملة الصليحية ، ويذكر أنه مما ضربه أحمد
المكرم الصليحي ، والدرهم السيفي المنسوب إلى سيف الإسلام طغتكين
الأيوبي ، وأول من جعل داراً للسكة المعز إسماعيل بن طغتكين ، وضرب
الدرهم الذي وزنه ثلاثة عشر قيراطاً وبأدناه بيان العملة المتداولة في العهد
الأيوبي في اليمن :

١ - الدينار الملكي ، ويساوي أربعة دنائير ونصف مصري .

٢ - الدرهم ، وقيمة كل أربعة دراهم دينار .

٣ - الجائز ، وقيمة كل جائز ثلاثة دراهم .

٤ - الفلوس ، وقيمة كل ثمانية فلوس جائز واحد .

٥ - الدارس ، كل أربعة دوارس بفلوس .

وبالطبع إن حركة البيع والشراء في أبسط المجتمعات البدائية تستدعي وجود « مكاييل » للكيل ومعايير للوزن فما بالناس بأسواق « زبيد » عاصمة اليمن « الأولى والتي تجاوزت تجارتها أسواقها المحلية والتبادل التجاري مع البلاد العربية إلى « الهند وفارس والحبشة » بل والصين ، وقد كان في ذلك التاريخ المقاييس الكيلية والمعايير الوزنية كالآتي :

١ - المدة ، وهو الوحدة الكيلية الأولى .

٢ - الثمن

٣ - الزبدى

المعايير الوزنية :

١ - المن ، رطلان .

٢ - الرطل ، وهو وزن مائة وعشرين درهماً .

٣ - الدرهم ، عشرة قراريط .

ويباع السمن بـ (الجمنة) وهي عبارة عن تسعة أمتان .

المنسوجات :

كانت في ذلك التاريخ مناسج مشهورة في زبيد تصدر الفائض بعد الاستهلاك المحلي وأشهر أنواع النسيج في العهد الأيوبي الذي نحن نحاول جلاء صفحته هي :

١ - (البرد) وطول الواحد منها ثمانية أذرع ويشد حملها من (١٢٢) برد لما يرحل إلى الشجر وغيرها .

٢ - (اليرم) نوع من المنسوجات وطول الواحد ٦ أذرع .

٣ - (السباعيات) هي نوع من الأردنية ، وطول الواحدة سبعة أذرع في عرض ٤ وهي على صنفين .

(أ) من الحرير الخالص .

(ب) مشروك بالحرير والكتان .

٤ - (الملايا) .

٥ - شقق حرير وطول الشقة عشرون ذراعاً .

٦ - القوط .

معامل الدباغة :

وفي زبيد معامل الدباغة وهي معامل كثيرة تتقاضى عليها الدولة رسوماً ثابتة ضمن موازنة إيراداتها وتصدر مصنوعات إلى البلاد العربية وغيرها .

الضرائب الحكومية :

تتقاضى الدولة الأيوبيه رسماً داخلياً يسمى الضمان وهذا بيان ما أمكننا الوقوف عليه في منطقة (زبيد) .

دينار

٩٠٠٠٠ ضمان سنابيق سفن الصيد والخضر والبقول التي تباع مع الغلال رسوم الحلقة سنوياً .

١٣٠٠٠ ضمان دار (الضرب) .

١٢٠٠٠ ضمان (النبيذ) .

١٣٠٠٠ ضمان (المدابع) .

١٢٠٠٠ ضمان (النخيل) .

في ميناء العارة :

١ - يستحصل نصف ورربع عشر (السنابيق) والصيادين والقفول الواردة من عدن والصادرة إليها .

٢ - يستحصل على مراكب أهل (زيلع) على كل مركب ١٢٠٠ دينار سنوياً .

حلي النساء :

وكان النساء يتحلين بالحلي الثمينة ، وقد نظم أحد شعراء ذلك العصر أبياتاً تتضمن ذلك ، فقال :

يا بلدر تم طلعا ونور فجر سطعا

ويا قضيباً ناعماً على كتيب مرعا

ويا غزالا مربى عصراً يجمر الخلعا
مخلخلاً مدملجاً مسوراً مملجعا
ممسكاً ، محجلاً معصباً مقنعاً

قد شمل سلطان الأيوبيين صنعاء ، كما شمل غيرها من البلاد اليمنية وإذا كان في العادات والتقاليد السائدة في مدينة زبيد ما يصور لنا فكرة عامة عن السهول ، فإن في عادات وتقاليد مدينة صنعاء ما يصور لنا الحالة في الجبال في ذلك العهد .

اللباس :

وبحكم طبيعة المنطقة الجبلية وبرودة جوها ، فإن لباسهم يختلف نسبياً بحكم الضرورة عن لباس السهول الشديدة الحرارة ، وبالطبع إننا في البحث ننقل ما توصلنا إليه من لباس سواد الشعب لا الخاصة .

لباس العامة الخام المصبوغ وغير المصبوغ ويتكون منه للفرد .

١ - مزر ٢ - قيص مصبوغ بالنيلة

٣ - ولباس شباهم « الفتوحي » وهي القمصان الواسعة ويشد وسطها بحزام من الجلد .

٤ - قطعة من الخام المصبوغ يعم بها على الشعر يسمى « قُبْع » بضم القاف المثناة وسكون الباء الموحدة التحتية وسكون العين المهملة ، ويلبس أهل الحواضر تحت القميص صدارية تسمى « الزنة » .

الطعام :

وغالب طعامهم « البر » والشعير واللحم والحلبة ، ويقول ابن الجاور أنهم لا يتركون الشراب لا صيفاً ولا شتاءً القوي منهم والضعيف .

وهم يرتادون في الغالب « عدن » بمنتجاتهم ويأخذون منها « العطر » و « العطب » القطن ، و « الهندوان » وما يرد من الهند وغيرها .

عدن الميناء الرئيسي

هي الميناء الرئيسي لليمن ولها أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية ، وقد كانت في عهد الدولة الزيادية يتولاها أمراء وطيون يؤدون قسما من الخراج حتى استقل بها « بنو معن » الذين أخضعهم لطاعته علي بن محمد الصليحي ، فظلوا يؤدون له الخراج إلى أن قتل ، فحاولوا الاستقلال فسار إليهم ابنه أحمد المكرم وطردهم وولاها صهره العباس ومسعود إبن المكرم الهمداني الملقب بـ « الزريع » فبقيت تتوارث فيهم إلى أن ضعف أمرهم وتغلب على شئونهم وزيرهم بلال بن جرير الحمدي ، ثم بعده ابنه ياسر بن بلال ، الذي أسره توران شاه ، واستولى على « عدن » منه - راجع الفصل الخاص بآل الزريع - وبعد أن استولى عليها توران شاه أناب على حكمها أحد رجاله المسمى عثمان الزنجيلي وظل على نيابته بها إلى أن وصل سيف الإسلام طغتكين ، فغادرها فاراً ، فأنا ب عليهم طغتكين أحد رجاله - راجع الفصل الخاص بالأيوبيين .

إن إيرادات عدن في عهد الإمارة « الزريعية » لا تتعدى المائة ألف دينار سنوياً ، أو المائة والخمسين ألفاً في الأكثر ، وقد ارتفعت إيراداتها في عهد الدولة الأيوبية إلى ستمائة ألف دينار بعد المصروفات وهو صافي المبلغ الذي يرسل إلى خزانة عاصمة الأيوبيين « تعز » وقد كان للرسوم في عهدهم تعرفه رسمية تحدد رسم كل صنف من البضائع والرقيق والحيوانات ، كما أن هناك بضائع استدعت حاجة البلاد الاقتصادية تشجيع توريدها فأعفتها من الرسوم ، وها نحن نوضح النوع الأول :

دينار	الضرائب الرسومية المقررة في العهد الأيوبي
١١	على البهار « الفلفل » عشور ١٠ رسوم الفرضة ٢ رسم الشواني
٤	على قطعة « النيلة » أربعة دنانير شواني ربع رسم الفرضة ربع
٨	على بهار « الحلتيت » .
٣	على بهار « قشر المحلب » .

دينار	الضرائب الرسومية المقررة في العهد الأيوبي
١١	على بهار الطباشير عشرة وإثنين من ثلاثة ودينار شواني .
٢٥	على فراصلة « الكافور » .
٧	على بهار « الهيل » .
١١	على فراصلة « القرنفل » .
٣	على فراصلة « الزعفران » .
٧	على بهار « الكتان » .
	يؤخذ رسم مثوي على المراكب التي تباع في المائة عشرة .
	يؤخذ على الحديد عشور النصف - استحدث ذلك في أيام
	« طغتكين » سنة ٥٩٨ .
١٢	على بهار « القوة » استحدث أيام المعز بن طغتكين .
	على بهار « الحمر » ثثة جوز .
	على رأس الضأن ربع دينار .
٥٠	على رأس الخيل في دخوله إلى البلاد - استحدث أيام الناصر .
٧٠	على رأس الخيل في خروجه من البلاد ، وهي نظرة اقتصادية
	معمول بها في العصر الحاضر في أحدث الأنظمة الجمركية من
	حيث رفع الضريبة على الشيء الذي لا تستغني عنه البلاد نسبياً
	في أثناء التصدير وتخفيضها على ما يرد منه .
٢	على الرأس الرقيق .
	هذا ما استطعنا إيراداه لإعطاء القارئ الكريم صورة واضحة -
	بقدر الإمكان - عما تتقاضاه الدولة على الواردات وعداه
	ما يستحصل على الصادرات وهذا بعضه :
١	على شقق « الحرير » صنع زبيد .
	على الثوب الظفاري ربع دينار .
	على الشقة البيضاء صنع « زبيد » ثمن دينار .
٢	على كورجة الحوك صنع زبيد .
٢	على كورجة السباقيات صنع زبيد .
	على قفعة الذرة والدخن ثمن دينار .

المعفيات من الرسوم :

١ - الواردات من مصر وهي :

الدقيق ، الصابون ، زيت الزيتون ، السكر ، الأشنان ، زيت الحار ،
الأرز ، العطارة ، كل ما يتعلق بالنقل إن كان قليلا .

٢ - المعفيات مما يرد من الهند :

الإهليلج ، السمس ، المخاد ، الصابون ، الأرز ، المعز .

أشرنا في « تعرفه الرسوم » إلى رسم يتقاضى باسم « الشواني » وهنا من المستحسن الإشارة إلى ذكر تلك الشواني ، فقد أثير أن توران شاه استقدم عدداً من الشواني - نوع من السفن - من مصر وأبقاه لدى نائبه عثمان الزنجبيلي وعندما قدم طغتكين ، قال له بعض رجاله : إن الشواني قد أضرت بأخشابها حرارة الشمس والأحسن أن تأمر بإنفاذها إلى البحر لحراسة التجارة في بحر الهند ويفرض رسم إضافي مقابل حمايتها لأموال التجار في حين ترسم بضائعهم فاستحسن رأيه وأمر بذلك فقرر وضع رسم إضافي في المائة واحد واستمر الحال إلى أن ألغاه الملك المسعود عام ٦١٥ .

الآثار العمرانية للأيوبيين

من المعلوم في تلك العصور أنه لا يطلب من الحكومات تشيد الآثار العمرانية الخالدة والمرافق الإنسانية البارة كالمعاهد العلمية والجامعات والمختبرات والمستشفيات والمنزهات والحدائق العامة فلم ترتفع المدارك في ذلك العهد إلى الرقي العقلي الذي يتسامى بالإنسان إلى ذلك الدرك الحيوي إلا قليلاً في بغداد والقاهرة والأندلس وهي عواصم للدول عربية لها إمكانياتها ومقدراتها وما الدول الأيوبية في اليمن إلا فرع للدولة الأيوبية في مصر وقد أشرنا في الفصل الخاص بها - إلى أنها أول من شاد المدارس في اليمن - كما سجل مؤرخو عصرها - وبنت الخانقاه والتكايا وإذا كنا في عصرنا نرى بعين العقل البصير أن تلك التكايا والزوايا دور للكسالى ومأوى للمتبطلين من الدراويش فقد كانوا في وقتهم وبحكم ما كان سائداً في أغلب البلاد العربية من رواج لدعاة التصوف وتسلط نفوذه على النفوس كانوا يرونه أقرب القربات؟ عدا ذلك فقد شادت الدولة الأيوبية في اليمن القصور وغرست الحدائق وبنت المعامل وعمرت المساجد واختطت مدينة المنصورة مما توضح بعضه .

١ - حاصر طغتكين حصن الدملة ستة سنوات ولم يتمكن من أخذه لمناعته فاضطر إلى أن اشتراه بمائة ألف دينار من القائد كافور مولى الداعي الاسماعيلي فاستلم القائد المبلغ وأبقا نائبه في الحصن وأخذ كل ما في الحصن من ذخائر وبعد أن وصل ميناء العارة وأبحر في طريقه إلى الحبشة بعث بخاتمه لنائبه حسب الشروط بتسليم الحصن ففتح النائب فاضطر طغتكين إلى تجديد الحصار ستة أشهر وأخيراً اشتراه للمرة الثانية بستين ألف دينار واستلم الحصن وهدمه ثم جدد عمارته وجعل له ستة أبواب وأنشأ به ثلاث برك أحدها شمسية في قلة الجبل وغرس به بستاناً سماه الجنان وميداناً وجعل الحصن في غاية القوة والصناعة .

٢ - اشترى طغتكين ماء تعز الذي ينزل من « صبر » بعشرة آلاف دينار وسبلة .

- ٣ - أدار طغتكين سوراً على مدينة الجند سنة ٥٩٣ .
- ٤ - أعاد بناء جامع الجند ورفع سقوفه وزوقها بالذهب واللازورد .
- ٥ - بنى طغتكين درب القاضي بصعدة وجعل أبواباً لسوره .
- ٦ - بنى طغتكين الدار السلطانية بـ « صنعاء » والتي تعرف إلى هذا التاريخ ببستان السلطان .
- ٧ - بنى طغتكين المؤخرين في جامع زبيد .
- ٨ - اختط مدينة المنصورة قبلي الجند بينها وبين عدن سنة ٥٩٠ وبنى بها قصرآ .

الفصل الخامس

المخلاف السليماني

من القرن الخامس إلى القرن السابع

أشرنا إلى إمارة (سليمان بن طرف الحكمي) التي شملت مخلافي حكم وعثر فيما أطلق عليه بعد ذلك اسم «المخلاف السليماني» ومما لا شك فيه أن ذلك التوحيد وسع رقعة تلك الإمارة وأفسح مجالها الحيوي، وقد يكون هذا التوحيد السياسي الأول من نوعه تحت إدارة حازمة أتاحت فرصة الازدهار والرخاء مما ارتفعت به إيرادات تلك الإمارة إلى خمسمائة ألف دينار عثرية.

وكان قبل هذا التاريخ، كل من المخلافيين منفصل عن الآخر على الوجه الآتي:

١ - مخلاف حكم تحت رئاسة آل عبد الجدد الحكمي.

٢ - مخلاف عثر تحت رئاسة قوم من بني مخزوم.

وكما ألمنا إلى ذلك قبله انتهت تلك الإمارة بالتلاشي والاضمحلال على يد الحسين بن سلامة الذي رأى في مؤسس تلك الإمارة الخطر الكامن الذي يهدد مستقبل تلك الدولة الزيدية نظراً لما يتمتع به مؤسسها سليمان بن طرف من عصبية قوية من حكم أقوى قبائل السهول التهامية حينذاك، والتي تمتد عصبيتها القحطانية إلى مشارف^(١) تلك السهول، وبالقضاء على سليمان بن طرف وإمارته تعمد الحسين بن سلامة سلب الرئاسة انورثة لآل عبد الجدد - بحكم التقاليد القبلية - سواء في ما أطلق عليه المخلاف السليماني عامة أو رئاسة حكم خاصة التي هي موطن عشائريهم ومثوى عصبيتهم.

وهنا نتساءل من خلف تلك الأسرة في إمارة المخلاف، وبالطبع أن

(١) لا يزال في القسم الجبل قبائل تنتمي إلى حكم، ومن جملتهم في جبل فيفاء، راجع قبائل المخلاف بهذا الجزء.

الحسين بن سلامة لن يأنس - بعد ما كان من سليمان بن طرف - إلى إقامة أحد من أسرته .

وإذا رجعنا إلى المخطوطات التاريخية نجد أن أغلبها يشير إلى أن إمارة الخلاف آلت إلى العلويين في عام ٣٩٣ أي في السنة التي زالت فيها إمارة سليمان بن طرف .

فمن المرجح أن الحسين بن سلامة رأى من مصلحة دولتهم نقل إمارة الخلاف إلى أسرة جديدة يؤمن شر انتفاضها بعد ما قاساه من انتفاض الأمير سليمان بن طرف على أن يكون الأمير الجديد ممن يقدر له حسن الصنيع ، وأن لا يكون خطراً يهدد الإمارة الأم ، ومن جهة أخرى فإن هذه الأسرة التي رشحها أو أسند إليها إمارة الخلاف هي موضع تقدير ونفوذ روجي تسند سياسته من استغلالها - وقد يكون رمى لأن يبذر منهم منافسين لخلفاء الرسي في الشرقي الشمالي من القسم الجبلي فمن يا ترى ولي الخلاف ؟

تشير بعض المخطوطات أن أول خارج من الحجاز إلى الخلاف السلیماني هو داود^(١) بن سليمان وأنه استولى على إمارته بمساعدة يحيى بن الحسين الهادي ، وهذا أقدم نص نقف عليه عن أول نزوح للسليمانيين من الحجاز . أما ما أشار إليه صاحب العقد المفصل من استقرار آل موسى الجون في الخلاف في عهد القاسم العياني ، فهو الأقرب إلى الحقيقة ، بيد أنه لم يوضح اسم المتولي لإمارة الخلاف منهم .

وبإمعان النظر في تنازع الإمارات في ذلك العصر المضطرب نرى أن المتولي لإمارة الخلاف مع ما يربطه بأئمة الزيدية من وشائج القربى ، فإنه

(١) جاء في صحيفة ٥٦ من الجواهر في الهامش بقلم المؤلف تعليقاً على ما أورده في المتن من استقرار السليمانيين في الخلاف كان في أيام القاسم العياني وبمساعده استيلاء السليمانيين على الخلاف عام ٣٩٣ ، وقبل ذلك التاريخ كان أمر الخلاف إلى الحكيم أو سليمان بن طرف الحكيم وإليه نسبت الخلاف ، وأخرج المؤلف في الهامش ، بل أول خارج من الحجاز دواد ابن سليمان واستولى على الخلاف بأمر يحيى بن الحسين الهادي ، ونقول أن يحيى بن الحسين الهادي قام بدعوته في الجبال عام ٢٨٤ ، وأن الخلاف بقى تحت رؤساء عشائره كما ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب إلى القرن الرابع كما وصفوه .

كان على اتصال وصلة سياسية بالدولة الزيادية الممثلة لدور الخلافة العباسية ، ونرى أيضاً أنه قام بلور إيجابي في السعي والعمل عند الحسين بن سلامة في إزالة إمارة سليمان بن طرف والحصول على ثقته بإسناد الإمارة إليه .

ويفسر لنا ما نذهب إليه ذلك الإصلاح والعمران الذي قام به بعد ذلك الحسين بن سلامة في شق الطرق وربط المواصلات بين حضرموت ومكة ولو لم يكن الخلاف ضمن سلطة الدولة الزيادية لما تمكن من شق الطريق الوسطى والساحلية ، وبناء المساجد وحفر الآبار وإقامة البرد في كل مرحلة :

١ - في القسم الجبلي عن طريق صنعاء ، الصعدة ، الطائف .

٢ - في القسم الأوسط الذي يمر في قلب الخلاف السلياني .

٣ - في القسم الساحلي الذي يمر في سواحل الخلاف .

ومع ذلك فنجد أن المصادر التاريخية قد ضنت على الباحث بالكثير من الحقائق فلم تشر إلى :

١ - مقر تلك الإمارة واسم الأمير .

٢ - تفاصيل الحوادث والأخبار المتعلقة بالخلاف في عهدها .

٣ - سنة وفاة الأمير الذي أسندت إليه الإمارة بعد سليمان بن طرف .

٤ - من الذي خلفه على إمارة الخلاف .

وهذا جميعه ما يفتقر الباحث إلى حقيقته وإن لم يكن هو كل ما يتطلبه التاريخ .

ومع كل ما سبق فإن الباحث يرى أن الخلاف السلياني لم يخرج عن محور فلك إمارة زبيد التابعة للخلافة العباسية .

١ - من أول عهد الدولة الزيادية إلى عام ٣٧٣ يحكم بواسطة رؤساء عشائره كما سبق توضيح ذلك .

٢ - من عام ٣٧٣ في أواخر إمارة أبي الجيش استقل بإمارته سليمان ابن طرف الحكمي إلى عام ٣٩٣ .

٣ - في عام ٣٩٣ في إمارة سليمان بن داود الحسيني ، على القول السابق .

٤ - في وصاية مرجان كان مولاه نجاح أميراً على الكدراء والمهجم ومور والوديان ، وقد يكون نفوذه يشمل الخلاف ، باسم الخلافة العباسية ويتولى رئاسة إمارته أحد السليمانيين .

٥ - في عهد نجاح الذي استمر من ٤١٢ إلى ٤٢٦ وإن كان الخلاف ضمن نطاق دولته إلا أننا لم نقف على حقيقة من ينوب على إمارته أو يتولاها .

٦ - في عهد الدولة الصليحية الذي استمر من عام ٤٣٦ إلى عام ٤٧٣ وامتدت رقعة ملكه إلى مكة أصبح الخلاف جزءاً من المملكة الصليحية وقد كانت للصليحي وقعة مشهورة انتصر فيها على بعض الخارجين عن طاعته في جهة بيش يقول فيها شاعره .

قرنت إلى الوقائع يوم بيش فكان أجلاً يوم السباق

٧ - في الدور الثاني للدولة النجاشية الذي استمر من عام ٤٧٤ إلى ٥٥٤ كان الخلاف ويتولاها بعض العلويين ومن جملتهم يحيى وعيسى ابنا حمزة إلى آخر أدوارها في عهد الفاتك بن محمد الذي تولى من عام ٥٣١ إلى ٥٥٤ والفاتك هذا هو الذي كان يقوم على وزارته وتصريف شئون دولته سرور الفاتكي الذي استقطع منه الخلاف السليمانى قاسم بن غانم واستسمح القارىء الكريم الرجوع قليلاً إلى ما قبل هذا التاريخ للوقوف على ما جاء حول هذا الخلاف في تاريخ القسم الجبلي الذي يهتم في الدرجة الأولى بأخبار الأئمة الزيديين فنجد ما يأتى :

١ - جاء في اللآلئ المضيئة لأحمد بن محمد الشرفي ما نصه (ممن وفد على الإمام القاسم بن علي العياني من تهامة محمد ويحيى ابنا ابن الطيب منتظرين لهبوطه إلى تهامة وفتحها ، والقاسم العياني توفي عام ٣٩٣ - وهنا ملاحظة نستوفها على الشرفي لأننا نجد المؤرخ المكي السباعي يورد في أخبار عام ٤٠٣ أن السليمانيين هاجموا مكة برئاسة أبي الطيب^(١) داود بن الفاتك فهل أن ابني أبي الطيب كانا في الخلاف قبل ذلك التاريخ هذا ما لم نقف عليه .

(١) تاريخ مكة صحيفة ١٣٢ كما أورد العبارة بن ظهيرة في جامعه اللطيف صحيفة ٣٠٥ .

٢ - يشير الشرفي نفسه في أخبار أحمد بن سليمان أحد أئمة الزيدية المتوفي ٥٥٦ هـ بأن أحمد بن سليمان تقدم من جهة حيدان إلى أحواز تهامة وأنه عندما دنى منها طلب منه الفقيه الحسن بن شبيب أن يكتب غانم بن يحيى بن حمزة ابن وهاس وكافة بني سليمان ويوعظهم لأنهم كانوا على فسق وظلم وقد أجابه إلى ذلك وحط بموضع يقال له الصبابة أعلا وادي جازان في شق تهله إلى أن قال : فأرسل الإمام رسلاً يطلب منهم الدخول في الطاعة والتوبة على يديه فلما بلغ غانم بن يحيى رد جواباً يعد فيه بالمساعدة والمعاوضة انتهى باختصار وغانم بن يحيى هذا هو والد وهاس بن غانم قتيل عبد النبي كما سنوضحه بعد هذا .

إمارة السليانيين

في منتصف القرن الخامس تقريباً حاول الأمراء السليانيون أن يستردوا إمارتهم على مكة فثاروا بزعامة أحد العلويين المسمى حمزة بن وهاس على أبي هاشم الذي أنابه الصليحي على الإمارة بمكة وأجلوه عنها بيد أن أبا هاشم تمكن من العودة إلى مكة ظافراً وأجلى حمزة بن وهاس وذلك في ٤٦٢ .

ويظهر أن حمزة بن وهاس بعد ذلك لحق بتهامة واستوطنها وبالطبع أنه يحمل جذوة الكفاح المتأججة التي قد خمدت والأمل المشوب الذي قد ذوى وضوى في صدور أبناء عمومته الذين استوطنوا تهامة قبله فمهد لنفسه سواء باتصالاته بحكومة زبيد وتقربه من رجالها مع الشهرة التي سبقته في إمارته على مكة أو باستمالة الشعب التهامي ، ويلوح أن المنية عاجلته قبل أن يلرك أمنيته فتمكن ابنه عيسى ويحيى من الاتفاق مع حكومة زبيد على تولي إمارتي حرص وعثر كالآتي :

١ - عيسى بن حمزة على حرص وأعمالها وبلد حكم .

٢ - يحيى بن حمزة على عثر وأعمالها .

قال عمارة الحدقي : أخذت الغزي يحيى بن حمزة أسيراً إلى العراق وبقي أخوه عيسى يكتب ويبدل الأموال لاستخلاص أخيه من العراق حتى فك

إساره وعاد إلى عثر ، فأدار رجا مكره على أخيه عيسى وبثما فعل ، قال
المأربي : ما لمح إليه الشيخ عمارة — قصائد طويلة منها :

خنت المودة وهي الأمُ خطئة	وسلوت عن عيسى بن ذي المجدين
يا طف (عثر) أنت طف آخر	يا يوم عيسى أنت يوم حسين
قد كان يشني ما بقلبي من جوى	لو طاح يوم الروح في الخيلين
هيهات أن يد الحمام قصيرة	لو هز مطرد الكعوب رديني
أبلغ بني حسن إذا لاقيتهم	لا عن قلى وحلت باليمنين
أنى وفيت بعهد عيسى بعده	لا لو وفيت قلعت أسود عيني

وكان محمد بن زياد المأربي لكثرة أسفه وحزنه على صديقه عيسى
ابن حمزة نذر أن لا يرى الدنيا إلا بعين واحدة فغطى أحدهما بخرقة إلى أن
مات ، فقال قرب موته :

قرت عيون الشامتين وأمنحت عيني على من كان قرة عيني
ولما بلغ يحيى بن حمزة ما يقول من الأشعار غضب وقال لأسفكن دمه
فبلغ المأربي فقال فيه :

نبئت أنك قد أقسمت مجتهداً لتسفكن على حرّ الوفاء ، دمي
ولو تخلدت خلدي ما غدرت ولا أصبحت الأم من يمشي على قدم

ولحسن بن أبي الحفاظ الحجوري وأخيه الخطاب مدائح رائعة وأهاجي
مقذعة في يحيى بن حمزة ، ونرجح أنه عاش في الثلث الأول من القرن
السادس وقد تناوب على إمارة المخلاف جماعة من عقبه كما أورده صاحب
الجواهر نقلا عن اللطائف السنية للكبيسي .

وبعد وفاة يحيى بن حمزة خلفه ابنه غانم بن يحيى ، وهو الذي وفد على
أحمد بن سليمان ، ويظهر أن تلك الوفادة لم تقبلها حكومة زيد بطيب خاطر
فترى بعد ذلك ابنه قاسم بن غانم يجدد صلته بحكومة زيد ، ويستقطع منها
من وادي « عين » إلى « بيش » وبعد ذلك التاريخ تنحدر جحافل أبناء مهدي

وتعصف بالحكومة النجاحية عصفاً ، وتنكل بالسليمانين حلفائها ، كما سنوضحه ، وتقتل الأمير « وهاس بن غانم » في جهة حرص ، وتسبي ذراريهم ونساءهم بدون رادع ولا وازع ، ونستنتج أن السليمانين ، يتولى منهم الشخص الأكبر أو يلتزم تلك الجهة ، ثم يوليها قرابته وذويه ، فإننا نجد صاحب اللطائف السنية وغيره يشير إلى أن منهم أمراء باغته ، وجزازان ولية مما يدل أنهم توزعوا الجهة ، وقد اتفقت أسماء الكثير منهم مما يصعب معه إخراج جدول بأسماء من تولى الإمارة العمومية في المقاطعة على وجه التدقيق وإن كانت تتفق جميع تواريخ الخلاف أن آخرهم وهاس بن سليمان الملقب « بالمقلم » .

ومما لا شك فيه أن أسرة الغوانم كانت على علاقة حسنة بالدولة النجاحية على الأغلب ، وهذا ما حمل علي بن مهدي بعد استئصاله جذور النجاحيين إلى إرسال جحافله على رأس أخيه عبد النبي إلى الخلاف السليمانى للاستيلاء عليه وسحق أسرة وهاس أو الغوانم ، كما أن تلك الأسرة من جانبها لم تحاول التقرب إليه لما تقرر لديها من عداوته الجافة وقصده السيء .

تقدم عبد النبي ، وهناك قرب مدينة « حرص » دارت المعركة الفاصلة التي خر في وسطها الأمير وهاس صريعاً ، وبذلك استولى الأمير عبد النبي على مقاليد الخلاف واصطفى أموال أسرة وهاس ، وسبي النساء والذراري وعاد إلى زبيد ، وبذلك طوى الدور الأول لإمارة هذه الأسرة .

الأمراء الغوانم الملقبون بالشطوط

بعد إيقاع عبد النبي الحميري بالأمراء الغوانم ، وقتل الأمير وهاس في المعركة الفاصلة التي يقول فيها عبد النبي من قصيدته المشهورة :

ألوت بو هاس ضحى فابتدرته مـرحاً
فظل من تحت الرحا مضرجاً مرغماً

استولى على أموالهم واستاق النساء والأطفال سبياً وسار بهم إلى زبيد فتم رأي من نجا من الغوانم على إرسال الأمير منصور بن أحمد ليرفع استصراخهم وما حاق بهم إلى الخليفة العباسي .

وصل الوفد إلى بغداد ، والخليفة العباسي مسلوب الحول والطول ، وإنما عملاً بالتقليد الخليفي ونظراً لانتعاش الخلافة العباسية بدعوة صلاح الدين الأيوبي لها في مصر ، ورغبة في أن يرى الخليفة صاح الدين أن مركز الخلافة لا يزال الموثل الأول لكل مظلوم ، فقد كتب لهم إلى صلاح الدين ليعث جيشاً إلى اليمن للاستيلاء عليه باسم الخلافة والأخذ بنصرتهم .

وصل الأمير منصور إلى صلاح الدين بكتاب الخليفة ، ورأى صلاح الدين بثاقب نظره أن الفرصة سنحت لامتلاك الضفة الأخرى للبحر الأحمر ، واستعادة أمجاد ونفوذ الدولة الفاطمية في اليمن ، فاهتبل الفرصة السانحة ورأى في سرعة الاستجابة لصريخ الغوانم ، تحقيق أمل الخليفة من جهة ، ومن الأخرى في ذلك استعادة نفوذ مصر السياسي وتوسيع مجالها الحيوي وإشغال الرأي العام بأخبار وأنباء وانتصارات جديدة تضي الروعة والجلال على العهد الجديد ، وعلاوة على كل ما سبق فلأنها فرصة ذهبية لإبعاد من يرغب في إبعاده أو يشك في إخلاصه ليكون في تسييره في تلك الحملة عملية تطهير .

وقد أوضحنا الأعمال الحربية لحملة توران شاه في أخبار الدولة الأيوبية في اليمن .

قاسم بن غانم :

كان عميد أسرة الغوانم قاسم بن غانم ينتظر مستخفياً نتائج ما تسفر عنه الوفادة ، وما إن وصلت القوات الأيوبية إلى اليمن حتى سارع في الاتصال بها والعمل في صفوفها ، وبعد أن تكملت أعمال الحملة بالنجاح وتم القضاء على عبد النبي شتقاً أعيد الأمراء الغوانم إلى إمارة الخلاف تحت رئاسة قاسم بن غانم وبعد عودته إلى الإمارة كان همه الأول الأخذ بالتأثر من القبائل التي ساعدت ابن مهدي في نهب أموالهم وسبي ذراريهم ، فجمع من استطاع جمعه وأغار على وادي « عين والمهجم » ونهب الأموال وسبي الذراري ، ويقال : إنه طلب في جواز عمله هذا فتوى من أحمد بن سليمان إمام الزيدية فأفتاه بجواز ذلك .

توفي قاسم بن غانم ولم تشر المصادر التاريخية إلى سنة وفاته .

المرتضى :

تولى المرتضى إمارة الخلاف السلياني بعد وفاة والده ، ولم يسر على سياسة سلفه من اللين والتساهل مع الأيوبيين ، فأخذ الجفاء والوحشة تحل محل التفاهم والوثام حتى أدى الأمر إلى مناوشات حربية كان نتيجتها قتله في عام ٦١٠ هـ ، فقام مقامه أخوه « المؤيد » وأخذ يعمل على الأخذ بالتأثر من الساعة الأولى فاستنجد بإمام الزيدية عبد الله بن حمرة فأمدّه ببعض رجاله فهاجم بهم قرية المهجم ، فقابلته الأيوبيون بهجوم مضاد أدى إلى هزيمة جيشه فاستبسل على صهوة جواده فرماه أحد الأيوبيين « بحجر » خر على أثر إصابته صريعاً فاقتيد أسيراً وبقي في أسرهم حتى رضوا عنه .

علي بن محمد بن ذروة :

في أثناء أسر المؤيد تولى الإمارة علي بن محمد بن ذروة ، وقد بقي في الإمارة حتى أطلق سراح المؤيد ورضي عنه الأيوبيون وقسمت بينهما الإمارة من خلب وشمالاً إلى علي بن محمد ، ومن خلب وجنوب إلى وادي « عين » إلى المؤيد .

ويلوح أن المؤيد لم تطب نفسه بهذه القسمة ، فأخذ على العمل في استعادة القسم الآخر مما أوجب على بن محمد إلى الاستغاثة بالملك المسعود الأيوبي الذي لا نشتك في أنه ينظر إلى ما سبق من عمل المؤيد بعدم الرضى والاطمئنان فاغتنم الفرصة وسير معه « سرية » قوامها مئتا فارس على رأس أحد قوادها المسمى الخوارزمي .

القوات الأيوبية في الخلاف السلجاني

دنت السرية من حدود الخلاف فشعر المؤيد بالخطر الداهم فانسحب إلى شعب الملح شمال وادي حرض ، وهنا يلوح أيضاً أن علي بن محمد شعر بمغبة خطر هذا التدخل المسلح فلم يسعه إلا أن يعتذر من القائد الخوارزمي باضطراب وقع جهة وادي صبيا ويتوجه من حينه ، وفي طريقه يكتب إلى المؤيد مشيراً عليه بمصالحة الأيوبيين نظراً لما يعرفه من ضالة قوته ، وبدلاً من أن يعمل بتلك النصيحة يهب مسارعاً لملاقاة الخوارزمي بمن استطاع جمعهم ، وفي أثناء السير يتخلى عنه جل أصحابه ، ومن جملتهم شخص يدعى منصوراً من قرابة الأيوبيين بعد أن أشار على المؤيد بالرجوع ولم يطعه ، فيقول المؤيد فيه :

فلو كان يامنصور عزمك من عزمي لمسارعت لما قيل هذا الخوارزمي

وهكذا يلتقي المؤيد بالسرية الأيوبية ويكون الصريع الأول في المعركة وبذلك دخل الخلاف في حكم الأيوبيين المباشر ، ولم تطل بعد ذلك إقامة المسعود في اليمن فقد أناب عنه عمر بن علي الرسولي وتوجه إلى الحجاز في طريقه إلى مصر فعاجلته المنية في مكة واستقل بعد ذلك بملك اليمن عمر الرسولي الذي أصبح الخلاف جزءاً من مملكته التي أسسها ودامت لخلفائه ٢٣٤ سنة ، قال المؤرخ « الوشلي » في صحيفة ٢٣٤ الجزء ٣ بإسناده عن مؤرخي الخلاف

السليمانى ما نصه « أن أمر الخلاف السليمانى كان إلى سليمان بن طرف الحكيم وأولاده إلى عام ٣٩٣ هـ ، ومن بعدها إلى العلويين ومنهم أبناء يحيى بن حمزة المشهورون بالغوانم إلى عام ٦٢٤ ، واستقل بالملك فى اليمن من هذا التاريخ عمر بن علي الرسولى ، واستمرت يده ومن بعده يد الرسولين على الخلاف مدة ولايتهم وقدرها مائتان وأربعة وثلاثون عاماً ، وفى أثناء حكم الرسولين كان ينوب عنهم من أشرنا إليه فى القسم الخاص بالدولة الرسولية .



الدولة الرسولية

عمر بن علي الرسولي :

أناب الملك المسعود عمر الرسولي كما سبق توضيحه على اليمن في أواخر سنة ٦٢٥ هـ وتوجه إلى الحجاز في طريقه إلى مصر وتوفي في الحجاز في أوائل عام ٦٢٦ هـ وبذلك حانت الفرصة لتحقيق آمال ذلك الرجل الطموح فاستقل بملك اليمن ووضع أساس الدولة الرسولية التي دام ملكها على اليمن ٢٣٠ سنة تقريباً .

دان اليمن لعمر بن علي الرسولي من حضر موت إلى مكة وخطب باسمه على المنابر في سائر تلك الأقطار ونقش اسمه على السكة في عام ٦٣٠ هـ وتلقب بالملك المنصور ؟ .

وبالطبع إن عمله لم يقابل بالرضى في البلاط الأيوبي بمصر وتأزمت العلاقات بين مصر واليمن ، بيد أن عمر الرسولي أصبح من القوة والمنعة مما جعله يبادىء الدولة المصرية بالهجوم ليزيح خطر المعارك المستقبلية عن قاعدة ملكه إلى أملاك الدولة الأيوبية نفسها — فبعث جيشاً إلى مكة المكرمة ومعه قتادة بن راجح الذي التجأ إليه من منافسه على إمارة مكة .

توجه الجيش الرسولي في أوائل عام ٦٢٩ يرافقه قتادة فتمكن من دخول مكة وإخراج نائب الملك الكامل ملك مصر ، وإنما لم يدم له هذا النصر ففي شهر رمضان من العام نفسه استعاد نائب الملك الكامل مكة ، وانسحب الجيش الرسولي إلى اليمن ومعه قتادة .

لم يفت هذا الاندحار من عزيمة الرسولي بل حفزه إلى إعادة الكرة فجهاز جيشاً آخر وسيره إلى الحجاز يصاحبه قتادة بن راجح وتمكن الجيش الرسولي من طرد جيوش الملك الكامل ودخول مكة في صفر عام ٦٣٠ هـ ، وفي هذه المرة أيضاً تمكن نائب الملك الكامل من طرد الجيش الرسولي ودخول مكة في أواخر سنة ٦٣٠ هـ .

وفي عام ٦٣١ هـ تمكن الجيش الرسولي من الاستيلاء على مكة فاضطر الملك الكامل إلى إرسال قائده جفري على رأس جيش قوي إلى الحجاز وقد توفق جفري في دحر الجيش اليمني الرسولي ودخول مكة وبقى الحجاز تحت ولاية نائب الكامل إلى سنة ٦٣٥ هـ .

في سنة ٦٣٥ هـ تجهز المنصور الرسولي بنفسه إلى الحجاز في جيش قوامه ألف فارس ووالى تقدمه إلى أن وصل الرابضة ، فلما علم المصريون بقوته واستعداده انسحبوا من مكة .

دخل المنصور الرسولي في رجب عام ٦٣٥ هـ معتمراً ملياً ، وفرق العطايا والهبات ، وفي أثناء ذلك تقدم إليه جماعة من أمراء الجيش الأيوبي ، ومنهم الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس بطلب الأمان فأمنهم وقابلهم بالإكرام ، وبعد أن استقرت الأحوال قفل راجعاً إلى اليمن بعد أن أناب على مكة ابن الوليد وابن التعزي .

وفي عام ٦٣٧ هـ أرسل الملك الصالح الأيوبي جيشاً إلى مكة يرافقه الشريف شيحة فتمكن من إخراج الرسوليين ودخول مكة التي بقيت في ولايته فيها إلى عام ٦٣٨ هـ .

في عام ٦٣٩ هـ تجهز المنصور الرسولي بنفسه على رأس جيشه إلى الحجاز فلما دنى من مكة خرج منها نائب الملك الصالح فدخلها في رمضان ٦٣٩ هـ ، معتمراً ملياً وبقيت في ولايته إلا أن توفي مقتولاً في عام ٦٤٧ هـ .

قتل المنصور على يد مماليكه في قصر الجند يوم ٩ القعدة ٦٤٧ هـ بعد أن دام ملكه ٢١ سنة ، وفر الجناة إلى « فشال » وبايعوا ولد أخيه .

آثاره :

- ١ - المدرسة المنصورية الشرقية للشافعية بربيد .
- ٢ - المدرسة المنصورية الغربية للحنفية .
- ٣ - المدرسة المنصورية المشهورة بالوزيرية نسبة إلى مدرستها الوزيري

- ٤ - مدرسة نعتت بأنها مدرسة عظيمة في مكة المكرمة .
- ٥ - المدرسة الغرابية نسبة إلى مدرستها الفقيه غراب بتعز .
- ٦ - مدرسة في حد المنسكية بوادي سهام .
- ٧ - أنشأ مسجد النورية بن زبيد وحيس وخصص لمن يسكنها مزرعة فعمرت وأصبحت قرية عامرة .
- ٨ - أنشأ بن مكة والمدينة حصوناً ومصانع للماء .
- ٩ - أمر بعمارة ^(١) قرية البرك - وهو جبل متصل بالبحر بين مكة واليمن

المظفر بن عمر الرسولی :

وصل الخبر إلى المظفر بقتل أبيه وكان مقبياً في « سردد » فتقبل الخبر برباطة جأش ورتب أموره لحجابه الواقع وتوجه لفك حصار مدينة زبيد التي تقدم لمحاصرتها ابن عمه الحسن على رأس المماليك الذين قتلوا المنصور وبايعوه .

تقدم المظفر إلى المحاصرين لزبيد فأدرك المماليك مبلغ القوة التي تحرك بها نحوهم وإقبال الناس على مبايعته ومناصرته ، فسرعان ما شرعوا في مكاتبته سرّاً يعرضون عليه طاعتهم واستعدادهم للغرر بآبن عمه وتسليمه إليه كدليل على طاعتهم ، فأظهر لهم الموافقة ، وبذلك تمكن بسهولة ويسر من القبض على ابن عمه وقاتلي أبيه ، وذلك في الحجة ٦٤٧ هـ ، وبذلك دانت له البلاد ، وفي عام ثمانية وأربعين وستمائة تسلم حصن « حب » وفي عام ٦٤٩ هـ أخذ حصن التعكر ، وفي عام خمسين وستمائة استولى على الدملوة وصنعاء .

وفي عام ٦٥١ هـ استرد جيشه الحجاز بمساعدة حليفه « راجح بن قتادة » وفي ٦٥٢ ولى ابن برطاس ولاية مكة ، وفي العام نفسه أخذ مدينة صعدة هـ ويروي الديبع أن المظفر حج في عام ٦٥٩ وأنه خرج من اليمن في شوال برأ تبارى موكبه المراكب في البحر بما يحتاجه من الميرة والعدد والمال فدخل مكة في عسكره محرماً ملياً وهو عاري البدن حتى أتى بالنسك وأتم حجه

(١) قرية البرك معروفة بهذا الاسم بين القحمة وحل .

واجتمع إليه الناس فخطبهم وعلمهم المناسك ودخل البيت وحمل القربة على يديه وأفاض الماء في جوانبه غاسلاً وعم أفضاله وعطاياه كل بيت في مكة وشملت كثيراً من الحجاج وكسا البيت ، وعاد بعد ذلك إلى اليمن .

واستولى على مدينة ظفار سنة ٦٧٨ هـ وفي عام ٦٩١ بعث محملاً إلى الحج تلقاه أبو نجي بمزيد من الإجلال والتعظيم وخفقت أعلام المظفر على عرفات وتليت مناقبه على قبة زمزم على أسماع حشود الحجيج ووفود البيت الحرام وسلم أمير الحج اليمني هدايا المظفر إلى أبي نجي ، وقد حوت الكثير من طرائف اليمن ، وأمال الجزيل والكسوة الفاخرة والطيب المحتوي على العود والمسك والصندل والعنبر والخاص النفيسة و ١٢٠٠٠ عدة من الغلال ، وثمانين ألفاً من الدراهم وهي أضعاف ما تبعته الدولة المصرية إلى مكة سنوياً .

ووفد إليه بمدينة زبيد الأمير وهّاس الحسني من الخلفاء السليمان في أثناء إقامته لديه بعث الملك المظفر سرية من الخليل لأخذ الشاعر القاسم بن علي ابن هتيمل الضمدي الخزاعي لما بلغه من اتصاله بأمرأ حلي ومدائحه فيهم ومن جعلها القصيدة التي عرض به في البيت المشهور :

إن الملوك بني يعقوب قاطبة طرا وكل ملوك غيرهم سوق
فلما علم ابن هتيمل بوصولهم لأخذه التجأ إلى بيت الأمير وهّاس فنعه منهم ابنه الأمير سليمان بن وهّاس وهو في ذلك التأريخ في سن الشباب الباكر وقال لهم : إن ابن هتيمل قد استجار بنا والساطان يحب رعايتنا ووالدي في حضرته فأرجو أن تتركوه وللسلطان رأيّه فينا وفيه فلم توافقه السرية فنعه عن أخذه فانصرفت السرية وأبأغت السلطان أن ابن وهّاس تعرض لهم بخيل ورجال واستخلص منهم الشاعر قسراً فلام السلطان الأمير وهّاس فقال له إن في بيتي غلاماً لم يدرك ولا يعقل أن يقاومهم ولا أمرته بشيء ، فأمر السلطان بإحضاره فلما حضر أقر أنه استخلص الشاعر ، فعفا عن الفتى وألزم الأمير بجلب الشاعر ، فأحضر إلى زبيد ومثل بين يدي السلطان فقال له أنت القائل :

إن الملوك بني يعقوب قاطبة طرا وكل ملوك غيرهم سوق

فقال الشاعر : أطال الله عمر السلطان ، إنما قلت — وكل ملوك غيرهم
سبق فاستحسن السلطان تخلصه وعفا عنه رعاية لأمر جازان ، فقال ابن هتميل
في الأمير قصيدته السنيّة المثبتة في ديوانه ، ولابن هتميل بعد ذلك مدائح
رنانة في السلطان المظفر منها القصيدة الرائية الطويلة التي منها :

أسمع — بقيت مصاناً عن منافسهأل	أغيار في الملك محروساً من الغير
أني امرؤ في في ماء وفي كبدي	جراحة ، من أمير غير مؤتمر
قد ذقت من غصص الدنيا وفجعها	ما كان منه - جميل الصبر - كالصبر
إن جرجر العود فانظر ما بغاربه	فإنه إن رغا يرغو من الدبر
وانظر إلى بعين منك راحمة	لا تقصدن غير وجه الله في النظر
والبس من الحبر الموشي مذهبه	ينسبك مذهبا موشية الحبر

في جمادى الأولى من سنة ٦٩٤ هـ استخلف ولده الأشرف محمد الدين
عمر بن يوسف ، وكتب بذلك تقليداً كريماً بمشهد من رجال الدولة وأعيان
المملكة ننقل نصه كأنموذج للإنشاء في ذلك التاريخ :

أما بعد فقد ملكتنا عليكم من لم تؤثر فيه داعي التقريب على باعث
التجريب وعاجل التخصيص على آجل التمحيص ولا ملازمة الهوى والإيثار
على مداومة البلوى والاختبار ، وهو سليلنا الخطير وشهابنا المنير وذخيرتنا
الذي وفق على المراد ونصرنا الذي نرجو به إصلاح البلاد والعباد ونؤمل فيه
من الله الفوز والنجاة في المعاد ، وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية ومعالم
الرفق والرعاية ما قد التزم بوفاء عهده ومضى عزمه بحجده وجهده ، والمسئول
في إعانته من الأعوان من عنده ، ولن نعرفكم من حميد خصاله وسديد فعالة
إلا ما قد بدا للعيان وزكا مع الامتحان وفشى من قبلكم على كل لسان شعراً :

وشهدتم به وشاهدتموه	وحمدتم عقباه في كل أمر
من حناديس ظلمة شملتكم	كان في كشفها لكم ضوء فجر
سيفه مغمم عليكم ومسلول	على كل من رماكم بنكر
لم يزل منذ حل عن جيده الطوق	خائفاً بكل حمد وشكر

وقد حددنا له أن يكون بكم رؤفاً رحيماً جواداً كريماً ما أطعتموه على المراد ومطاوعة الانقياد ، فأما من شق العصى وبأن عن الطاعة وعصى فهو بغض منه ولو مت إليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة يكن لكم بالبر والإحسان خير ملك ووال انتهى

وتوفي في ١٣ من شهر رمضان من ذلك العام ، وشمل سلطانه اليمن الأسفل والأعلا ، وضم صعده قسراً إلى مملكته ، ولم يبق له في الأقطار اليمنية منازع .

مآثره :

- ١ - المدرسة المظفرية بتعز . ٢ - خانقاه في قرية حيس .
 - ٣ - المسجد الجديد بمعزية تعز ٤ - الجامع المظفرى بالمهجم .
 - ٥ - إنشاء جامع ذي عدينة . ٦ - جامع قرية المحالب .
 - ٧ - المسجد المعروف بالنظامي جنوب دار السلطنة بزبيد .
- وهو أكثر بني رسول إنشاء للمدارس والجوامع في عهده .

الأشرف الأول ابن المظفر :

تولى الأشرف الملك فلما علم أخوه المؤيد بوفاة والده وكان غائباً في الجبال تغلب على عدن وأبين فسير إليه الأشرف الجنود واستعاد منه القطرين وقبض عليه في عام ٦٩٥ وسجنه في سجن دار الأدب بتعز .

في ذلك العام هطل مطر غزير لم يعهد مثله ونزلت حبة برد كالجلجل الصغير بين بلد سنحان والراحة ومثلها ببلد خولان ، ونزل الجراد في ذلك العام فأتلف المزارع والنخيل مما دفع الأشرف إلى إعفاء الرعية من الزكاة ، وأمر بعد النخيل ، وإزالة الظلم عن أهله وانتدب العدول لتقدير زكاة الثمار والحبوب وتلافى بذلك الظلم المستمر على المزارعين من عهد طغتكين وقال للعدول إذا لم يبق إلا خراج نخلة واحدة بوجه الحق والعدل رضيتم بها فشجع الرعية على الإكثار من غرس النخيل وانتعشت الزراعة في عهده .

توفي ليلة الثلاثاء ١٣ محرم عام ٦٩٦ هـ بني المدرسة الأشرفية بتعز ودفن
٣-٤ .

المؤيد الأول ابن المظفر :

اجتمع أعيان الدولة ورجال الحل والعقد وداود بن يوسف بن عمر بعد
موت الأشرف على تولية أخيه المؤيد وبذلك أخرج من سجنه وبويع بالملك
في اليوم التالي .

تولى المؤيد مقاليد الأمر واستوزر القاضي موفق الدين علي بن محمد
المعروف بابن الصاحب وسار بعد ذلك إلى الجهات الشرقية واستولى على
حصون حجة التي خرجت عن طاعتهم قبل ذلك .

وفي عام ٧٠١ هـ خالف طاعته أشراف جازان فأرسل قوات من الأتراك
والأمراء المماليك لإخضاعهم فوصلت إلى اللؤلؤة - الشقيق - حالياً -
والتقت برؤسائهم وتم الاتفاق بدون قتال بعودتهم للطاعة ودفع الحراج
السنوي .

توفي ليلة واحد الحجة عام ٧٢١ هـ ومدة ملكه ٢١ سنة .

معلوماته :

كانت له مشاركة في العلوم وشهر عنه أنه حفظ التنبيه في الفقه ومقدمة
طاهر في النحو وكفاية المتحفظ في اللغة وأخذ الحديث عن مشايخ قطره .

الملك المجاهد ابن المؤيد :

علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي

بويع الملك المجاهد بعد وفاة والده مباشرة وبعد شهرين من مبايعته نزل
من تعز إلى دار الشجرة فأغراه قائد جيشه شجاع الدين ابن منصور بالقبض
على ابن عمه الناصر وسجنه في قلعة عدن وبإصغائه إلى ذلك القائد نفرت منه
القلوب وثار عليه عمه واتفق مع المماليك والأمراء وتم لهم القبض على الملك
المجاهد في شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٢٢ هـ وتولى الملك عمه المنصور

وأطلق الناصر المسجون في قلعة عدن ، وبعد ثلاثة أشهر تأمر غلمان المجاهد وهجموا على المنصور ليلاً وأجبروه على التنازل وأعادوا مولاهم المجاهد .

كان للمنصور هذا ولد اسمه الظاهر قد أقامه والده أميراً على مدينة الدملوة فلما سمع بخلع والده دعى لنفسه وقويت شوكته .

ثورة الظاهر ابن المنصور :

استفحل أمر الظاهر وفي شهر ربيع الأول ٧٢٣ هـ استولى على مدينة عدن وانضم إليه أحد خالصائه المدعو (عمر بن باليال بن الدويدار) كما انضم إليه المماليك من زبيد وحاصروا الملك المجاهد في حصن تعز واستولوا على التهام .

الزعيم قائد المجاهد يستعين بأشراف صعدة والخلاف السلياني على محاربة المماليك :

أقبل الزعيم على رأس من استنجد بهم من صعدة والخلاف السلياني وابن علاء الدين وابن الأسد وابن الشوع لمحاربة المماليك وهم زهاء ألف وثلثمائة فارس وألف راجل وترددت الرسل بين الصعديين والسليانيين من جهة والمماليك من الجهة الأخرى بدون اتفاق على نتيجة ، وفي ١٠ ذي الحجة من ٧٢٤ نشب بينهما القتال بجاحن وادي سهام وبعد قتال مرير انهزم المماليك وقتل من قادتهم (السراجي) و (أربك الصارمي) وأسر آخرون منهم (أطنبا الحمودي) و (الصارم بن ميكائيل) والقصري بعد أن أبلوا بلاء حسناً ، ثم أطلق سراح القصري وتمكن (أطنبا الحمودي) بعد الأسر من الفرار إلى بلاد المعازبة ، وكان قبل ذلك التاريخ قد أثنى فيهم قتلا في إحدى الوقائع السابقة ومدح على ذلك من أحد شعراء عصره بالآيات الآتية :

فارس الخليل أطنبا الحمودي	ملتقي جنده بيأس شديد
علم الناس كيف قتل الأعادي	وحصاد الرؤوس قبل الحصيد
فعلت خيله بأهل (ذؤال)	مثل فعل الرياح في قوم هود

أخذتهم صواعق الترك في أهلكت جمعهم بغير عديد
لبسوا للوغا (قلوب) حديد جعلوها وقاية للحديد

ومن غريب ما رواه الجندي أن (أطنبا المحمودي) قتل من تلك القبيلة
أخوين زوج أحدهما ولده على ابنة الآخر وتم العقد وتأخر البناء فأنهت مدة
الحداد فدخل الفتى على ابنة عمه فقالت كظام : لا تقبل الصداق إلا رأس
أطنبا ومنعته عن غشيانها فاستمر على الهجران حتى ساقته الصدف وساعدته
المقادير وسمع بفراره من الأسر ، فأسرع الفتى في رفقاته واعترضوا الطريق
التي سلكها في فراره وقتلوه واحتز الفتى رأسه وأقبل به فخوراً إلى عروسه
وأقبلن فتيات الحي يضربن بدفوفهن وينشدن .

با صبية انهضي والعبي بالدف أطنبا المحمودي قلدوقع في الكف

عاد الممالك بعد هزيمتهم على رأس أحد قادتهم المسمى (القصري) إلى
زبيد وأطلق ابن علاء الدين ابن محمد وجهاز زميله بن طريطة لمقاتلة الصعديين
والسليمانيين فوصل ابن طريطة إلى بيت الفقيه وصالح القوم على يد ابن علاء
الدين على عشرين ألفاً وكان الممالك ينتظرون من ابن طريطة شيئاً من العطاء
فحرموا فانصرفوا مغاضبين إلى قرية السلامة وفيها اجتمعوا بان طريطة
وبالمملك الناصر ، وأشاروا عليه بالقيام والمطالبة بالمملك فسار معهم حتى أقبلوا
على زبيد التي سبقهم إلى دخولها أبناء المظفر ، فرجع الناصر والممالك إلى
بيدحة ثم إلى الكلراء فاستولى على أموال الدولة التي بها ، وهناك وصل إليه
ابن علاء الدين وابن الأسد وعاهلوه على الطاعة ، ومنها توجه إلى فحال
فجسبى أموالها وانحدر إلى زبيد وعسكر بالنخل .

استمرت هذه الاضطرابات إلى شهر جمادى ، وفيه قدم ابن الشوع
صاحب دمار على المملك المجاهد بتعز فقتل عزيمة المملك المجاهد وجمع جموعه
ونزل إلى قرية السلامة ، وأعلن الأمان للطائع من الممالك وغيرهم فوافاه
عباس بن عبد الجليل ونور بن حسن وغيرهم من الممالك ورحل منها إلى

الحائط ، فأقبلت إليه أكثر عساكر الناصر مستسلمة ، وفر الناصر في سبعين من المماليك إلى السلامة ، وفي أثناء ذلك استسلم ابن علاء الدين .

دخل السلطان المجاهد مدينة زبيد ، ومنها جهز ابن أخيه المفضل إلى السلامة للقبض على الناصر والأشرف فاستسلما بدون مقاومة ، وفي شهر رجب من ذلك العام توفي الناصر ، وفي ذلك يقول الشاعر جمال الدين بن محمد ابن منصور العامري مادحاً السلطان المجاهد بقصيدة طويلة منها :

وعارض يحدو به راعد يحن في الجو ، حنين اللقاح
يسوقه البرق بأسواطه إذا وني ، مال عليه وصاح

ثم ذكر المعارك على لسان السلطان والمفضل :

لما تلاقينا وقد أثمرت	بالموت أطراف غصون الرماح
وللمنايا سحب ماؤها	يجري على حد متون الصفاح
سالت نفوس بين حد الظبا	كالماء يجري بين خضر البطاح
ومضمرات الخيل ، كراتها	كرات صب مبتلى بالملاح
وأقبلت خضرا « يمانية »	عجاجها ، كالمسك والندفاح
سفينة تحمل أثقالها	تمشي رويداً مثل مشي الرdach
تغار في الأرواح أجفانها	ولحظها يفرى كحد السلاح
بلا ولي نكحت نفسها	لا تنكح الهيجاء إلا سفاح
ملاحها لا يشتهي وصلهم	ورب وصل فيه حتف متاح

ويظهر أن السلطان المجاهد في أثناء تلك الاضطرابات اتصل بحكومة مصر وطلب منها مساعدته فأرسلت حملة عسكرية إلى اليمن ، فقد ذكر الجندي أن في رجب عام خمسة وعشرين وسبعائة وصل البشير إلى الملك المجاهد بقلوم الغارة أي النجدة إليه من مصر بألفي فارس وألفي راحلة وعشرين ألف جمل تحمل الأثقال والمؤن تحت رئاسة بيبرس .

خرج السلطان الملك المجاهد للقائهم وعند ما أشرف عليهم ترجل ، فزلوا عن خيولهم وقبلوا الأرض ثم ألبسوه عمامة سلطان مصر ، وقد جعلت

في صندوق وأمروا ألا يفتحوا الصندوق إلا بين يد الملك المجاهد ، وبعد ذلك سلموه الخلع ، ثم والوا السير تحت لوائه إلى زبيد ، ومنها طلع الملك المجاهد إلى « تعز » يرافقه بعض قادة المصريين ، وهناك أمر بسبل عين والي جبل صبر .

سفر القوات المصرية :

أشاعت الجنود المصرية الخوف والإرهاب في اليمن إبّان وجودها واستولوا على حاجاتهم بالثمن البخس ، وفي آخر الأمر تطاولت أيديهم إلى النهب والاغتصاب فأنهبوا بيوتاً كثيرة ، فاضطر التجار إلى إخفاء بضائعهم من الأسواق ، فارتفعت الأسعار وساءت الأحوال ، واضطرب الأمن ، وساد الإرهاب وعم الخوف وبلغت بهم الوحشية إلى نهب قرية من قرى تعز تسمى عقاقة وسي حريمها ، وإتلاف جميع مزارع تعز ونواحيها ، وأخيراً هجموا على ناحية فقاومهم أهلها وأردوا منهم أربعين جندياً فعادوا مهزومين ، وقبضوا على الصقر وعلى الغياث بن نور ، ثم تجهزوا للسفر في مستهل شعبان عام ٧٢٦ هـ ، وتوسط السلطان المجاهد وتشفع لديهم في إطلاق سراح الغياث ابن نور ، وبذل لهم مالا مقابل إطلاقه فلم يقبلوا .

سارت تلك الحملة عائدة إلى مصر فسلكوا طريق تهامة ينهبون ما صادفهم في طريقهم حتى أقبلوا على زبيد ، فنعمهم واليها « الخربرتي » من قبل الملك المجاهد ، من دخولها فاستأنفوا سيرهم إلى الكدراء ، ومنها إلى حرض ، وهناك تركوا أسيرهم الغياث بن نور ، ومضوا في طريقهم إلى مصر عن طريق « الحجاز » .

المجاهد بعد رحيل القوات المصرية :

بعد سفر القوات المصرية توجه الملك المجاهد من تعز إلى عدن ، ولما وصل إلى « الرعارع » تلقاه ابن اللويدار بمائتين وخمسين فارساً فخلع عليه الملك المجاهد وعلى المعز استاداره ، وجماعة من قبيلة الجحافل ، وذلك في نصف شعبان ٧٢٦ هـ ، ودخل عدن ، وبعد دخولها أمر بالقبض على

ابن الدويدار والمعز استاداره وابن مكنون ، ثم رحل من عدن ودخل مدينة زبيد في شهر رمضان وأصدر أمره بشنق ابن طريطة في مدينة تعز ، كما أمر بسمل عيني « ابن مبارز » من أهل « حرض »

نهاية الظاهر صاحب الدملوة

لما علم الظاهر نزول الملك المجاهد إلى زبيد خرج من الدملوة إلى عدن وقبض على ابن الصليحي حاكم عدن من قبل الملك المجاهد وقتله خنقاً ، وقد تمكن الملك المجاهد بعد ذلك من القبض على الظاهر وسجنه إلى أن توفي في سجنه .

وفي شهر رجب ٧٢٧ هـ ، وصل أحد الأمراء المسمى « الزعيم » إلى الملك المجاهد بزبيد ، وفي جمادى الآخرة ٧٢٨ أقطع الملك المجاهد ابن أخيه حرض ثم انتزعها منه وولاه « الزعيم » .

استمر الملك المجاهد في قمع الفتن إلى عام ٧٤٢ هـ ، فعزم إلى الحج ورجع إلى تعز في أول عام ٧٤٨ هـ .

وفي عام ٧٥١ هـ حج المجاهد في إمارة عجلان ، وفي عرفات تأمر عليه الأمير عجلان وأمير الحج المصري وهجموا على خيمه شاهري السلاح ، ونشب القتال في ذلك المشعر الحرام ، ودافع رجال الملك المجاهد ، وإنما أعان المهاجمين رجال القبائل الطامعون في النهب ، فتغلبت الكثرة على الشجاعة فسلم المجاهد نفسه ، ونهب المهاجمون جميع ما في خيمه من مال ودواب وأسلحة وهدايا ، أما المجاهد فبعد تسليم نفسه أسره أمير الحج المصري وتوجه به إلى مصر ومكث أسيراً إلى أن أطلق المصريون سراحه في عام ٧٥٢ هـ

في أواخر عام ٧٥٩ هـ اندلعت نار الثورات على المجاهد ، وهاجّت القبائل واستولوا على قريب من سبعمائة رأس من الخيل الحكومية ، وهجموا على مدن فшал والقحمة والكدراء وقرية الدارية والتريبة بقرب « زبيد » وغدت زبيد شبه محصورة .

الأمير علي بن مجاهد الملقب بابن الجارية :

في سنة ٧٦١ هـ تقدم علي بن محمد علي رأس جماعة من بني حمزة وعشائر الخلف السلياني — متظاهراً بقلومه لمساعدة الملك المجاهد علي قمع الفتن وإخماد أوار الثورة ، وبعد وصوله عسكر في المحالب ثم المهجم إلى ليلة ١٧ جمادى الأولى ٧٦١ هـ فهجم علي مقدم « الغز » بالمحالب الشرف ابن خليل في داره وقتله ونهب ما في الدار من مال وخيل وجمال ، بلغ خبر هذا الحادث مدينة المهجم وأميرها عمر بن يعقوب الغزي وبها الأمير ابن حاتم المستخلص ، فجمعا من استطاعا واستنجدا بالأمير وهاس بن أحمد ، وكان يومئذ قد استولى على حازة وادي مور مقابل مال يحمله للمجاهد — وبذلك تم لهما حشد مائتين وأربعين فارساً هجموا بهم علي « علي بن محمد » فأسفر الهجوم عن قتل القائد وهاس بن أحمد ، وانهمز الباقين ، وأخيراً اجتمعت قبائل المعازية والرماء والقهرية والمقاصرة والزبيدين وصدقوا علي بن محمد اللقاء فانسحب من قرية المهجم عائداً للمخلاف السلياني وانتهب القبائل مدينة المهجم وأحرقوها .

وفي عام ٧٦٢ هـ تغلب الأمير نور الدين بن ميكائيل الذي كان من أمراء الملك المجاهد ، على مدينة المهجم ونواحيها من الجهات الشمالية ، وتوفي الملك المجاهد يوم السبت ٢٥ جمادى الأولى ٧٦٤ هـ .

وصف المجاهد بأنه شاعر فصيح متضلع في الفقه ومشارك في عدة فنون ، وإنه أعلم بني رسول .

عرف الناس محبته للفنون وتشجيعه للعلوم ، فقصدوه من الآفاق بكل تحفة من الكتب حتى أهديت له نسخة من كتاب الأغاني بخط ياقوت الحموي فبذل فيها مائتي دينار مصرية ، ويكفيه فخراً أن خزانة كتبه اشتملت على مائتي ألف مجلد في عصر لم يعرف فن الطباعة ، وأنشأ بتعز القصور البديعة والمباني الرائعة .

الملك الأفضل العباس بن المجاهد :

تولى الأفضل وأطراف مملكتهم منتقضة والأمير محمد بن ميكائيل المتغلب على المهجم قد وسع منطقة نفوذه حتى شملت سررد ومور وحرص وخطب له على منابرها في كافة الجهة الشامية .

أخذ الأفضل في رتق الفتوق وسد الثغرات وتهذبة الأحوال حتى استقامت له الأمور ، وفي أول عام ٧٦٥ هـ جرد حملة قوية لتأديب الناصر محمد بن ميكائيل تحت قيادة الأمير فخر الدين بن أحمد الكامل .

الأمير محمد بن نور بن ميكائيل :

كان والده نور الدين بن ميكائيل من أمراء السلطان المجاهد فاقطعه أعمال حرص ، وبوفاة والده بقي الولد في عمل أبيه حتى شعر بالاضطرابات التي توالى على المجاهد فنفض يده من طاعته ، وذلك في عام ٧٦١ ، ويظهر من استقرار الحوادث أن ابن ميكائيل كان على سابق اتفاق مع إمام الزيدية المجاهد لدين الله علي بن محمد فشجعت تلك الاتفاقية واستشرى أمره واستولى على مور وسررد ، وخطب له على منابرها ، واستمر على تغلبه حتى بعد مضي عامين من عهد السلطان الأفضل ابن المجاهد إلى أن جرد الأفضل عليه الحملة التي أشرنا إليه .

حملة الأمير فخر الدين بن أحمد الكامل :

بعث الملك الأفضل حملة لتأديب ابن ميكائيل بقيادة الأمير الكاملى فالتقى به في القحمة — شمال زبيد — يوم ٢٢ جمادى الأولى ٧٦٥ هـ ، وهزمه ففر ابن ميكائيل بعد هزيمته إلى صعدة عند إمام الزيدية المجاهد لدين الله ، وتقدمت قوات الأفضل فاحتلت حرص والجهة الشامية .

في سنة ٧٧١ أعان إمام الزيدية ابن ميكائيل بجيش استطاع بواسطة استعادة الجهات التي سبق تغلبه عليها وأسر الأمير فخر الدين زياد الكامل وأطلقه بعد الأسر .

وفي عام ٧٧٢ جهز الأفضل للمرة الثانية الأمير فخر الدين زياد الكامل
لقنال ابن ميكائيل — الذي تقدم إلى سرحد — فهزمه الكامل .

وفي عام ٧٧٤ بعث الأفضل من اغتال شيخ « بعدان » أبا بكر بن معوضه
ووصل إليه برأسه .

وفي عام ٧٧٧ نزل الإمام صلاح بن علي وحاصر مدينة زبيد ثلاثة أيام
وعندما علم تحرك الملك الأفضل نحوه من تعز قفل عائداً للجبيل .

تحرك الملك الأفضل من تعز فوصل مدينة زبيد في أول رجب وأقام بها
إلى يوم الجمعة ٢١ شعبان ٧٧٨ وتوفي بها في قصره « الخورنق » وحمل إلى
مدينة تعز ، ودفن في المدرسة الأفضلية .

مآثره :

- ١ — المدرسة الأفضلية بتعز ، وكان لا نظير لها في عهدها .
 - ٢ — أنشأ مدرسة « بمكة المكرمة » تجاه الكعبة المشرفة .
- وصف بأنه عالي الهمة شديد البأس حازم يقظ ومدة ملكه ١٤ سنة .

معارفه :

كان على جانب من المعارف الفقهية والنحوية واللغوية والأنساب
والتاريخ ، له مؤلفات متداولة .

مؤلفاته :

ومنها :

- ١ — بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم .
- ٢ — نزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون .
- ٣ — كتاب العطايا والسنن في معرفة طبقات فقهاء اليمن .
- ٤ — مختصر لتاريخ ابن خلكان .
- ٥ — مختصر لكتاب كنز الأخبار .

الملك الاشرف الثاني إسماعيل عباس الأفضل :

الأشرف إسماعيل بن العباس الأفضل بن المجاهد علي بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول وهو مملوح المجد محمد بن يعقوب الشيرازي مؤلف كتاب القاموس المحيط في اللغة بقصيدته المشهورة التي منها :

مولى ملوك الأرض من في وجهه	مقياس نور أيما مقياس
بدر محيا وجهه الأسنى لنا	مغن عن القمرين والنبراس
من أسرة شرفت وجلت واعتلت	عن أن يقاس علاؤها بقياس
رووا الخلافة كابرا عن كابر	بصحيح إسناد بلا ألباس
فروى علي عن رسول مثل ما	يرويه يوسف عن عمر ذى الباس
ورواه داود صحيحاً عن	عمر وروى علي عنه للجلال
ورواه عباس كذلك عن علي	ورواه إسماعيل عن عباس

أجمعت الأمة على مبايعته عقب وفاة والده الأفضل وتمت له البيعة في يوم الإثنين ٢٤ شعبان ٧٧٨ هـ ، وفي السنة الثانية من عهده توفي الأمير محمد بن ميكائيل الخارج عن طاعتهم فاستقرت الأمور :

وفيه أمر بإرسال المحمل النجني إلى الحج برئاسة الأمير فخر الدين السبئلي وتفرغ بعد ذلك لعمارة المآثر الدارسة من المدارس والمساجد بمدينة زبيد وهي على قسمين قسم دثرت آثاره وغفت أطلاله وهو :

- ١ - المدرسة المنصورة للحنفية وعلم الحديث .
- ٢ - المدرسة السيفية الصغرى .
- ٣ - المدرسة النظامية .
- ٤ - المدرسة العفيفية .
- ٥ - المدرسة الميكائيلية .
- ٦ - مسجد الأتابك سنقر .
- ٧ - مسجد الطواشي فاخر .
- ٨ - مسجد خيلخان .

والقسم الثاني وهو ما أشرف على التلف فأمر بتجديده وهو :

- ١ - المدرسة المنصورية العليا للشافعية .

- ٢ - المدرسة السابقة .
- ٣ - المدرسة السيفية الكبرى .
- ٤ - المدرسة الناجية الفقهية .
- ٥ - مسجد السابق
- ٦ - المدرسة قنديل .
- ٧ - مسجد الحاجه
- ٨ - مسجد احثائه .
- ٩ - مدرسة الميلين .
- ١٠ - المدرسة العاصمية والمدرسة السمسمية والمدرسة الهكارية ومدرستي القراءات والحديث .
- ١١ - المسجد الجامع بزييد .

وفي تلك السنة أي ٧٨٠ أمر بإنشاء القصر المسمى دار النصر في ناحية الفوز من زييد .

وفي شهر شوال عام ٧٨٦ أمر بعمارة القيسارية في قرية المملاح لتكون مرفقاً للحيش المرافق له وإنشاء جامعها وفي شهر شوال ٧٩٠ أمر بأن يكون وعد سوق زييد يوم الخميس بدلاً من يوم الجمعة كما أمر بحصر عدد المدارس والمساجد ، فبلغ عددها مائة وثلاثين ونيفاً .

وفي عام ٧٩٦ وصل إلى اليمن العالم المشهور مجد الدين الفيروز أبادي المتقدم ذكره ونزل في ميناء عدن فأمر الملك الأشرف على عامله في عدن بالمبالغة في إكرامه وصرف ألف دينار مصاريف القلوم وألف دينار أخرى لتجهيز سفره لمقابلته بزييد وبوصوله استقبله الأشرف بالحفاوة والإكرام وخرج لاستقباله ، ثم أسند إليه وظيفة القضاء وتزوج بنته وكانت رائعة الجمال وفي أثناء إقامته باليمن ألف قاموسه المشهور وأهداه للملك الأشرف على أطباق أعادها له مملوءة دراهم وفي مقدمة القاموس يقول :

ولله صباية من الخلفاء الحنفاء والملوك العظاء الذين تقبلوا في أعطاف الفضل ، وأعجبوا بالمنطق الفصل ، وتفكهوا بثمار الأدب الغض أنعشت الجلود العواثر أطفاهم واهتزت لاكتساء حلال الحمد أعطاهم راموا تخليد الذكر بالإنعام على الأعلام - وأرادوا أن يعيشوا بعمر ثان بعد مشاركة الحمام . بل

زعم الشامتون بالعلم وطلابه . والقائلون بدولة الجهل وأحزابه ان الزمان يمثلهم لا يوجد فرد عليهم الدهر مراغماً أنوفهم فطلع صبح النجاح من آفاق حسن الاتفاق . وتباشرت أبواب تلك السلع بنفاق الأسواق . وناهض ملوك العهد لتنفيذ الأحكام . مالك رق العلوم وربقة الكلام برهان الأساطين الأعلام سلطان سلاطين الإسلام . عاقد ألوية العلوم . مقلد أعناق البرايا بالتحقيق طوق امتنانه .

مولي ملوك الأرض من في وجهه مقياس نور أيما مقياس الخ .

وحمل إلى الأشرف بعد ذلك مصنف قاضي القضاة جمال الدين الريمي المسمى بالتفقيه في شرح التنبيه في أربعة وعشرين مجلداً فأجازه عليه بإثني عشر ألف دينار حملت في أطباق الفضة ملفوفة بأثواب الحرير والديباغ .

وهكذا كانت حياة هذا الملك العظيم فيضاً من البر والأنعام على العلم والعلماء مما يسجله التاريخ بمزيد من الفخر والإعجاب وكان مع ذلك متفتناً في العلوم واسع المعرفة — توفي في ١٩ ربيع الأول ٨٠٣ .

الملك الناصر الأول :

أحمد بن الأشرف إسماعيل العباس الأفضل على المجاهد بن داود المؤيد بن يوسف المظفر تمت له البيعة أثناء مرض والده يوم الثامن من ربيع الأول عام ٨٠٣ وفي ١٦ ربيع خرج إلى الجبال لتأديب بعض الخارجين على طاعته وعاد منصوراً وفي رجب نزل من تعز إلى زبيد ، فدخلها في شهر رجب وعاد إلى تعز في شهر القعدة ومنها سير قائده بلر الدين زياد الكاملي لإخضاع ريمة وأعمالها ، وقد توفى ذلك القائد في مهمته وعاد ظافراً .

وفي سنة ٨٠٨ استولى على مدينة دثينة قهراً .

ومن « دثينة » قصد في جموعه جازان التي تأخر أميرها عن دفع الخراج السنوي ، فدخلها وقد غادرها أميرها فأقام بها أياماً ، فعاد إليه أميرها مستسلماً فأرسله برفق الأمير محمد بن زياد الكاملي إلى زبيد ، وأقام أحد

أقارب الأمير في الإمارة حتى عاد من تلك الغزوة إلى زبيد فاستشفع إليه الأمير بعلماؤها وأعيانها فقبل شفاعتهم فيه وخلع عليه ووصله بعشرين ألف دينار وخمسين مملوكاً وأعاده لإمارته .

خروجه إلى حلي :

ومن جازان سار إلى حلي لإخضاع أميرها المتأخر عن دفع الخراج فأسرع صاحبها إلى مقابلته في البرك يحمل الخراج المتأخر والهدايا والتحف ويطلب العفو فاشترط أن يبعث في كل عام خمسين « فرساً » فقبل الشرط الذي ليس من قبوله مهرّب فأبقاه على إمارته .

وفادة أبناء سعد الدين المجاهد الحبشي :

في عام ٨١١ وفد إليه أبناء سعد الدين مستنجدين على ملك الحبشة فأكرم وفادتهم ووعدهم خيراً ، وفي تلك السنة توفي الشيخ معوضة بن تاج الدين . وفي سنة ٨١٧ قدم مسلماً الشيخ « طاهر بن معوضة » فأنعم عليه وعلى من معه .

في عام ٨٢٠ غزا الإمام صاحب صنعاء بلاد بني طاهر التابعين للرسولين فتحرك الملك الناصر على رأس جيشه والتقى بالإمام في موضع يسمى « الضرام » فهزمه وتعبه إلى وادي حبان ، ومنها سار إلى بلاد « العجالم » ثم إلى أبين ودثينة وعدن ، ومنها عاد إلى تعز ومن تعز نزل إلى زبيد ، فبلغه عصيان قبائل وصاب فسار إليهم وأخضعهم وأخذ أربعين حصناً من حصونهم ، واستولى على حصن قوارير وبني به قصرأ حصيناً وعمائر أنيقة جعل سقفوها من خشب الصندل .

في سنة ٨٢٢ ثار عليه أخوه حسين واستولى على مدينة زبيد وتلقب بالظافر ، فنزل الملك الناصر من تعز ، واستعاد مدينة زبيد ، وقبض عايه وأرسله إلى سجن تعز ، وهناك تمكن من الخروج من السجن واستأنف الثورة ، فسار الناصر مجدأ على رأس جيشه وضرب نطاق الحصار على أخيه وأصحابه حتى استسلموا قهراً فقبض على أخيه وأرسله إلى حصن ثعبان وأمر

شقيقه أن يسمل عيديه — فكانت وصمة في تأريخه — ونقطة سوداء في سيرة حياته . نزل الناصر إلى زييد وافتتح الميناء الجديدة بالعارة .

وصول وفد الصين :

في عام ٨٢٣ قدم إلى انهن وفد من الصين تقله ثلاثة مراكب بحرية تحمل هدايا نفيسة تبلغ قيمتها عشرين لكاً من العملة الذهبية ، ويظهر أن تلك الوفادة كانت لتوثيق العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري .

استقبل الملك الناصر الوفد — فلم يقبل الأرض بين يديه — ويظهر أن الرسوليين اتخذوا في « بروتوكول » قصورهم تلك العادة الأعجمية المذمومة من تقييل الأرض بين يديهم — بل تقدم رئيس الوفد قائلاً بكل اعتداد : سيدك ملك الصين يهديك تحيانه ويوصيك بالعدل في رعيتك . فأجابه الملك الناصر : مرحباً بك ونعم المحبي جئت واحتفا بهم وأمر بإنزالهم في قصر الضيافة وكتب الناصر كتاباً إلى ملك الصين وأعاد الوفد مكرماً وأرفقه بالهدايا النفيسة والتحف الفاتكة ، ومن جملتها وحوش برية وثياب ملوكية من منسوجات انهن وأمر بتشجيعها إلى عدن .

وصول أبناء المجاهد الحبشي سعد الدين :

في عام ٨٢٥ هزم ملك الحبشة أبناء سعد الدين فالتجئوا إلى الملك الناصر وعندما باغوه ووصلهم إلى مدينة زييد نزل الملك الناصر لاستقبالهم من تعز واجتمع بهم غير مرة ورغب في العبور إلى أفريقية للجهاد ثم عدل وجهاز لهم مائتي فرس وأعطاهم عطية مائتي فرس أخرى كاملة العدة والآلة واستمر في معاونتهم حربياً ومادياً حتى استعادوا مكانهم .

ثورة ابن نجاح :

ظهر في عهد الناصر ناثر اسمه (محمد بن أبي القاسم الأشعري ويلقب بابن نجاح) وعندما كثرت جموعه قصد الاستيلاء على مدينة زييد فصدته قوات الملك الناصر ثم تمكن من دخولها وأصبح بعد ذلك مقتولاً ، ففصرت العامة بملكه القصير الأمد المثل فقالوا : (ملك نجاح ساعة وراح) .

مآثره :

١ — إنشاء المرسى الميناء بساحل وادي زبيد وقد أنفق على إنشائه أموالاً طائلة .

٢ — عمر حصن الفحص بقوارير وقصر الترنجة والقاهرة .

٣ — إنشاء القصر الناصري بزبيد — المنسوب إليه .

٤ — أنشأ ببيدة قصرين عظيمين وبساتين أجرى إليها المياه من جهات بعيدة .

٥ — أنشأت والدته المدرسة الفرحانية في جهة الطواشي بزبيد .

أخلاقه :

شهر عنه الكرم والحلم وأنه ترفع إليه أمور لا تحتل عند ملوك عصره فلا يستغفر لذلك غضبه ولم يذم بسوى ما صنعه بأخيه .

شمل ملكه التهام والجلال إلى أن توفي في آخر يوم الأحد ١٠ جمادى الأولى ٨٢٧ في حصن الفحص وحمل إلى مدينة تعز ودفن في مدرسة والده الأشرف .

المنصور الثاني :

عبد الله بن الناصر ، تولى الملك بعد وفاة أبيه ، وشهر بالعدل والشجاعة ومتانة الدين ، وعرف عنه إزالة منكرات كانت شائعة ، ومنع دخول محترفي الطرب من النساء إلى دار مملكته — مما يدل أن للطرب سوقاً ومحترفات من النساء — وكان ملازماً لصلاة الصبح جماعة بمسجد الأشاعرة بزبيد والجامع المظفري ببدي عديته ، وأنه دأب على الجد والنهوض بأعباء الملك مع صغر سنه حتى أدركته الوفاة يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ٨٣٠ بالدار الكبيرة بمدينة زبيد وحمل إلى تعز ودفن في مدرسة جده الأشرف .

الملك الأشرف الثالث :

إسماعيل بن أحمد الناصر تولى أمر الملك بعد أخيه « المنصور الثاني » ولصغر سنه ألف مجلس وصاية من أعيان الدولة ، وبالطبع ان مجلس الوصاية

لم يكن إلا جماعة من أعيان الدولة أصحاب المطامع المتباينة ، فلم تمض مدة حتى نجم الخلاف واستعان كل منهم بصنائه والمنتسبين إليه ، فاختلفت الأمور واضطرب الأمن واستبد المماليك بالقصر ، ويظهر أن ذلك الملك الطفل أراد أن يقوم بعمل يضع حداً لتصرفاتهم ، فقبض عليه المماليك في ٩ جمادى الآخرة ٨٣١ بالقصر الملكي الأخضر بتغز واتهبوا خزان القصر وذخائره وما حواه .

الملك الظاهر :

انعقد إجماع ذوي الرأي على تولية الظاهر يحيى بن الأشرف فأخرج من سجن ثعبان صباح يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة ٨٣١ وأخذت له البيعة ثم ركب إلى قصر العدل بتغز فأرسل بابن أخيه المخلوع الأشرف الثالث إلى حصن الدملوة تحت الحراسة .

نزل الظاهر إلى مدينة زبيد ، فدخلها يوم الجمعة ٢ ذي القعدة في موكب فخم واحتفال رائع ، وقد شعر بنفوذ وخطورة المماليك الذين تأمروا على خلع ابن أخيه فأحكم التدبير في التنكيل بهم وأبادهم قتلاً ونفياً ولم يتورع عن مضادة وزير ابن أخيه القاضي شرف الدين إسماعيل بن عبد الله العلوي ، وبعد ذلك أظهر رضاه عنه وهنا يسجل التاريخ وصمة في تاريخ هذا الملك وهي أنه بعد إظهار رضاه عن الوزير راسل زوجته طالباً منها أن تطلق منه - لم يسمع تلك الزوجة إلا أنها أطلعت زوجها على ما راسلها به الملك وتحت تأثير الخوف من سطوة ذلك الظالم طلقها .

علم الملك الظاهر بطلاق الزوجة فاستدعى الزوج وعينه والياً على مدينة الحالب ، وبعد انتهاء عدة الزوجة تزوجها الملك ، علم الزوج الأول بالأمر فترك ولايته وفر هارباً إلى مكة فأمر الملك بالقبض على أخيه الشهاب العلوي وأموالهم ودورهم ، فبلغ الخبر الشهاب العلوي فلجأ مستجيراً ببيت الشيخ الغزالي بن طلحة الهتار ، فقال له الشيخ : لا نقدر نجريك من الملك فلجأ إلى مدرسة الملكة الوالدة المعروفة بالمدرسة الفرحانية ، فأمر الملك بإحضاره فساقته الجنود فحمل المصحف على رأسه حتى أوقفوه بين يدي الملك فأمر بضرب عنقه فوراً ، وهكذا ذهب ذلك الرجل ضحية بريئة ، ولم يقف ظلمه

للك الأسرة عند ذلك الحد ، بل صادر واصطفى أموالهم وهدم دورهم .
وذلك في رجب عام ٨٣٣ .

وفي عام ٨٣٥ قدم للسلام عليه الشيخ شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة
وتزوج الملك الظاهر ابنته .

آثاره :

١ — المدرسة الظاهرية بتعز .

٢ — أنشأت زوجته المدرسة المعروفة بمدينة زبيد غربي الحان انجاهدي .

توفي في يوم الجمعة آخر يوم في شهر رجب ٨٤٢ بمدينة زبيد ، وحمل
إلى تعز ودفن بمدرسته الظاهرية .

الأشرف الرابع :

بموت الملك الظاهر اجتمع رجال دولته وقرروا إقامة ابنه الأكبر
إسماعيل باسم الأشرف الرابع ، وقد باشر إدارة مملكته بحنكة وإقدام ، وقام
أبعدة حملات تأديبية ضد قبيلة القرشيين من بوادي زبيد واشتهر فيها بالشجاعة
والقروسية ولم تطل مدته أكثر من سنتين وثلاثة أشهر تقريباً ، توفي بمدينة
تعز عام ٨٤٥ ودفن في المدرسة الظاهرية .

الملك المظفر الثاني :

يوسف المظفر بن المنصور الثاني ، بعد مبايعته ثار عليه جماعة من جنوده
الأتراك بقيادة يشبك الحاصلي ، وخرجوا من تعز معلنين العصيان إلى زبيد
وهناك أقاموا المفضل أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الملك الأفضل
ملكاً فدخل مدينة زبيد ووزع أموالاً جزيلة على القبائل ، واستولت قبيلة
القرشيين على نخل أهل وادي زبيد واضطرب جبل الأمن وساءت الأمور
فأرسل المظفر قوة من تعز قضت على ثورة المفضل الذي قتل في شعب
الديارة ولم تزل البلاد في فوضى ، فنزل إلى زبيد وأمر جنوده بنهب المدينة ،
ثم خلع في ربيع الأول عام ٨٤٧ .

الملك المسعود :

الملك المسعود صلاح الدين بن الأشرف بن الناصر تولى الملك وعمره ١٣ سنة ليلة الإثنين ١٠ ربيع الأول ٨٤٧ .

في عهده برزت مطاعم بني طاهر سافرة في الملك - وكانت الدولة الرسولية في آخر أدوارها من الانحلال والتلاشي فاستغل بنو طاهر الموقف وأول شيء أظهره في أول عهد الملك المسعود هو العطف والتأييد للمخلوع الملك السابق المظفر وساروا به إلى الحج .

تجهز الملك المسعود إلى عدن ومنها تقدم إلى لَحْج فhezهم ودخل لحج ، فطلع المظفر فاراً إلى بعض حصون تعز وعاد بنو طاهر إلى جهتهم في انتظار الوقت المناسب للوثوب .

ومن لحج تقدم المسعود إلى تعز لمحاصرة المظفر ، فاستنجد المظفر ببني طاهر ، فنزل الشيخ عامر بن طاهر على رأس قواته إلى دار القسطل لمحاربة الملك المسعود وحاصره حتى أبرم معهم صلحاً يتضمن مغادرته مدينة تعز في يوم الجمعة ١٥ رمضان ٨٥٢ .

غادر المسعود تعز إلى عدن فوافاه يوم ٦ شوال ، فاقتفاه بنو الطاهر يرافقهم المظفر ، ونشب القتال بينهم وبين المسعود قرب عدن ، وكانت النهاية هزيمة المسعود ، وأخيراً سمحوا له بحصن تعز فتسلمه المسعود في عام ٨٥٤ وفي عام ٨٥٨ سار الطاهريون على رأس جيش قوي لمحاربة المسعود الذي يظهر أنه استعاد نشاطه الحربي - والحقيقة أن من عام ٨٤٥ من عهد المظفر الثاني إلى سنة ٨٥٨ والحكم الفعلي في زبيد وأعمالها للعبيد وليس للمسعود أو غيره إلا الاسم .

وأخيراً وبينما المسعود مشغول بحروبه مع بني طاهر اجتمع العبید في جهة زبيد ، وبايعوا الحسين بن الملك الظاهر الذي تلقب بالمؤيد فعقد هدنة موقته مع الطاهريين وتجهز إلى زبيد لمحاربة المؤيد ، وفي أثناء الطريق شعر بمؤامرة تدبر ضده من جيشه فعاد إلى تعز واستأنف الحرب مع بني طاهر بمن استطاع

جمعهم ممن يخلصون لعهدده ، ومن تغز رحل إلى عدن ، وهناك أصدقاه
الحرب الظاهريون حتى اضطر إلى التنازل لهم عن الملك في جمادى الآخرة
عام ٨٥٨ .

جدول ملوك بني رسول

الاسم	من	إلى	المدة
			سنة شهر
١ - عمر بن علي الرسولى المنصور	٦٢٥	٦٤٧	٢١
٢ - المظفر الأول	٦٤٧	٦٩٤	٤٦
٣ - الأشرف الأول	٦٩٤	٦٩٦	١ ٤
٤ - المؤيد	٦٩٦	٧٢١	٢٥
٥ - المحاهد	٧٢١	٧٦٤	٤٣
٦ - الأفضل	٧٦٤	٧٧٨	١٤
٧ - الأشرف الثاني	٧٧٨	٨٠٣	٢٥
٨ - الناصر الأول	٨٠٣	٨٢٧	٢٤
٩ - المنصور الثاني	٨٢٧	٨٣٠	٣ ٩
١٠ - الأشرف الثالث	٨٣٠	٨٣١	١ ٢
١١ - الظاهر	٨٣١	٨٤٢	٩
١٢ - الأشرف الرابع	٨٤٢	٨٤٥	٣ ٣
١٣ - المظفر الثاني	٨٤٥	٨٤٧	٢ ٤
١٤ - المسعود	٨٤٧	٨٥٩	١١

نظرة عامة في تاريخ ملوك آل رسول

إن تاريخهم مليء بالآثار والأعجاد مما مر بك منشوراً في صفحات الفصل السابق ، وقد أنجبوا ملوكاً لهم شغف بالعلوم والمعرفة وولوع بالآداب - وإن لم يكن بلغوا الغاية فلا أقل من أنهم يعدون في قائمة ملوك الطوائف العاملين في الأمة العربية الكريمة .

كان مؤسس دولتهم الأول عمر بن علي الرسولي ، قلدتهم الأولى في بناء المدارس وتشجيع العلم ، ويقول عنهم أصحاب دائرة المعارف الإسلامية : كان معظم سلاطين الرسوليين من بناء المدارس والمساجد ، وكان بعضهم من الكتاب .

إن ملك تلك الأسرة قد دام قرنين وثلث قرن ، وامتد سلطانهم في أغلب عهدهم على أكثر اليمن وتهامة ، كما شمل وقتاً الحجاز والشعر وعمان ، ودان لسلطانهم اليمن الأعلا والأسفل ، وقد مرت بهم عهود من القوة والضعف كما تقتضيه سنن الحياة وديساتير الوجود ، والتاريخ شاهد لهم وعليهم .

آثارهم :

كان لهم الأثر الخالد في بناء المدارس ونشر المعرفة وتشجيع العلم وإكرام العلماء ، فمن ملوكهم من ألف المؤلفات الخالدة مع اشتغاله بمهام الملك وإدارة دفة أمور الدولة - في عهود كان الملك فيها القائم بكل أمور الدولة ، ومنهم الكتاب المبرزون ، ومنهم من أسس المكاتب وشاد المدارس ومنهم من بلغ مجموع ما في مكتبته مائتي ألف مجلد من الكتب النادرة - في عهد لم تعرف فيه الطباعة - وبلغت شهرتهم في تشجيع العلم أن أهديت إليهم الكتب النادرة من العراق ، وراسلهم الملوك وتقدمت إلى سوحهم الوفود وقصدهم العلماء من أقاصي البلاد - وفي وفود « الفيروز ابادي » إلى بلاطهم أكبر شاهد - كما وفد عليهم الرحالة المشهور « ابن بطوطة » .

وفي إكرامهم لوفادة « الفيروز ابادي » وإثابة بهم « لجمال الدين الريمي »

على مؤلفه الموسوم بـ « التفقيه في شرح التنبيه » بإثنى عشر ألف دينار ؛
ما يغني عن الإكثار .

نظام دولتهم :

كان الملك يتولى السلطة التنفيذية والإدارية ، وكانت البلاد تحكم على يد
ولاة يعينهم الملك أو زعماء يقرهم على حكم عشائريهم وإدارة شئون جهاتهم
يأترون بأمره ويدفعون لخزائنه الخراج ، وفي أغلب المدن ولاة إداريون
يسمى واحدهم الوالي أو الأمير ونظار للخراج يسمى أحدهم « المشد أو الزمام »
وكان للملك ديوان للرسائل وآخر للخراج ، وكان كبار العمال يخرجون
لاستحصال العوائد الحكومية .

الجيش :

ان الدولة الرسولية انبثقت عن الدولة الأيوبية ، فكان جل اعتمادها في
مراحلها الأولى على جيشها المؤلف من المماليك والأكراد والغز ، الذين
أبقاهم الملك المسعود للمحافظة على الأمن وتمكين دعائم الحكم وكان كتفيل
سائد الاستعانة بتلك العناصر الأجنبية ، ثم بعد قتلهم لعمر بن علي الرسولي
الذي هو لم يكن من مواليد اليمن استعان ابنه المظفر بحكم مولده ونشأته
العربية بالمجندين من أهل البلاد ، وإن لم تنقطع تلك العناصر الذي قد أصبح
الكثير منهم عنصراً مهماً في الجيش والإدارة .

كان جيشهم يتألف من ألف فارس وعشرة آلاف راجل على وجه
التقريب .

تقاليد البلاط الرسولي

التحية : إذا دخل الزائر يمس الأرض بسبابته ثم يرفعها إلى رأسه ،
ويقول : أدام الله عزك - وهي عادة أعجمية لا تمت إلى الإسلام ولا إلى
العروبة بصلة .

وكان مجلس الملك على دكة عالية مفروشة بالطنافس المسترة بالحرير

الفاخر من منسوجات اليمن أو من منسوج الصين ، ويقف الحرس الخاص
صفين شاكي السلاح على الوجه الآتي :

١ — يليه منهم أصحاب السيوف والدرق .

٢ — أصحاب القسي .

وبين الصفين الحاجب ورجال الدولة ويلهم كاتب « السر » وأمير
ورؤساء الحرس والشاوشية ، فإذا قعد الملك صاحوا بصوت « بسم الله » فإذا
قام فعلوا مثل ذلك فيعلم بذلك وقت قعوده وقيامه كل من في القصر .

وإذا استوى في مجلسه أذن بالدخول عليه لمن اعتاد ذلك فيسلم الزائر على
الصفة — السابقة — ويقف حيث رسم له ولا يقعد إلا من يأمر بالقعود ،
فيقول الملك لرئيس الحرس : مر فلاناً يقعد . فيتقدم ذلك المأمور بالقعود
قريباً من موقفه على البساط .

الموائد الملكية :

ثم تحضر الموائد على درجتين :

١ — السباط الأول للملك وقاضي القضاة والطبقة الأولى من أشرف
الدولة والفقهاء والضيوف الممتازين .

٢ — السباط الثاني للدرجة الثانية ممن ذكرنا .

وصف مهرجان ختان أبناء الملك الأشرف في سنة ٧٩٤ :

للدولة الرسولية ولع بإقامة المهرجانات وإظهار أبهة الدولة وإقامة الزينات
ومظاهر الأفراح في كثير من المناسبات بإقامة الولائم الفخمة والمواكب
الرسمية واستعراضات الجيش وضرب « الطبلخانة » أي الموسيقى ، وقد سجل
المؤرخ « الخرجي » وصفاً شيقاً لمهرجان من تلك المهرجانات في حفل ختان
أبناء الملك الأشرف فقال :

في أول شهر شوال عزم الملك الأشرف على تطهير أولاده فشرع في

تحصيل مالا بد منه من الطيور وذوات الأربع والخنطة والسمن والعسل والأرز
والرمان والعنبر والقرطم والحرير والقرقة والسنبل والموز والجوز والسوسن
ومن البقول على اختلاف أجناسها وأنواعها .

ومن التمر والليمون وسائر الفواكه .

ومن الحطب والسليط والشموع على اختلاف أشكالها الملونة والمزهرة
شيء كثير ، ومن الآنية الصيني واليشم والقاشاني .

ومن آنية الفخار من الصحن والزبادي والأدراج والكيزان البيض
والطباشير والقراريب والمظاهر ، ومن الرياحين والزهور كالفل والورد
والرجس والياسمين والمنثور والكادي وأشباهه .

ومن أنواع الطيب والعطور : المسك والعود والصندل والبنفسج والشند
والند والعنبر وماء الورد .

وبعد وصف الشروع في الحصول على مؤن ذلك الحفل أخذ في وصف
الوفود .

وصف مقدمة وفود المهرجان :

توافد الأمراء والمقدمون من سائر أنحاء المملكة ، إلى أن قال :

١ - وصل مشد وادي زبيد سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم .

٢ - وصل الأمير عز الدين هبة بن محمد الفخر .

صنع الحلوى للمهرجان :

ولما انقضى شهر شوال طلب صناع الحلوى فاشتغلوا منها شيئاً كثيراً
فأخرج لهم :

١ - من الصحن الصيني خمسمائة صحن مما لم يستعمل قط .

٢ - من الفخار الزبيدي شيء كثير للحلوى « المضروب » .

إلى أن قال فجهز الصنّاع من أنواع الحلوى :

- ١ - المضروب .
- ٢ - المشبك .
- ٣ - القرعية .
- ٤ - القاهرية .
- ٥ - الشيزارية .
- ٦ - الخشخاشية .
- ٧ - الفانيد .
- ٨ - البطاطيخ وأشباه الطير وغيرها .

احتفال القصر :

واحتفل أهل الدار الملكية بل وسائر الناس احتفالا عظيما فأحضروا إلى القصر نحو ثمانين امرأة واستدعى لحضور الحفل نساء الأمراء والمقدمين والقضاة والمتصوفين والأعيان والوجهاء ولم يتخلف منهن امرأة .

الهدايا :

وحمل الأمراء والمقدمون وكبار رجال الدولة « التقاديم » الهدايا النفيسة في يوم ١ ذي القعدة .

- ١ - هدية الأمير بدر الدين محمد بن علي الشمسي حملها ستون حمالا .
- ٢ - هدية القاضي شهاب الدين الوزير ووصفت بأنها تجل عن الوصف .
- ٣ - هدية الأمير صفي الدين أمير حصن تعز .
- ٤ - هدية القاضي رضي الدين بن عمر الصائغ .
- ٥ - هدية الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي .
- ٦ - هدية الأمير فخر الدين أبو بكر صاحب حصن صبر .
- ٧ - هدايا غيرهم من الأمراء والقضاة والمقدمين .

وتتقدم كل هدية من تلك الهدايا رأسان من البقر الفارضة الفتية مجللة بالحرير الملون وتزف الهدايا في موكب حاشد بين قرع الطبول والأهازيج الشعبية والرقص الوطني تتقدم الجميع الأبواق إلى أن يصل الموكب إلى ساح القصر الملكي فينزع الجزارون أثواب الحرير عن « الرأسين البقر » وتذبح

ويتوزع لحمها من حضر هناك من « السواس » والقيالين والجمالين وأهل الاصطبل ومن في سلكهم وتدخل الهدايا إلى القصر .

الاستعراض :

وفي يوم ٦ ذي القعدة صلى الأمر الملكي بإقامة استعراض في الميدان السعيد بـ (ثعبان) ثلاثة أيام ، فتقدم إلى شهوده الوزراء والأمراء والقضاة والمثليون أمراء النواحي والمتقدمون وخدمة (الطبلخانة) أي الموسيقى وقام الجيش المؤلف من الفرسان والمشاة بالاستعراض وألعاب الفروسية وإقامة المهرجانات الشعبية ودام ذلك طيلة الثلاثة الأيام .

السماط الملكي :

وفي اليوم الرابع على بدء المهرجان أقام الملك وليمة كبرى حفل سماطها بما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين على الصفة الآتية :

- ١ — السماط الأول ويشتمل على أصناف الأغذية وأنواع اللحوم .
 - ٢ — السماط الثاني ويشتمل على أصناف الحلوى :
 - ٣ — السماط الثالث ويشتمل على أصناف المكسرات من اللوز والجوز والققع والفستق والبندق .
 - ٤ — السماط الرابع خاص بالطيوب والعطور والمباخر ويشتمل على المسك والعود والصندل والبنفسج والند والشند والعنبر وماء الورد والغالية .
- وتقدم حشود المدعوين من الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساء النواوين والمثليين والفقهاء والوجهاء وسائر طبقات الشعب ، وبعد أن غص بهم المجلس قاموا على السماط الأول وتناولوا ما لذ وطاب ثم تحولوا إلى السماط الثاني فالثالث فالرابع .

الحفل :

وبعد ذلك تحول الجمع إلى سرادق الحفل وقام الشعراء والخطباء يتبارون بالإشادة والمدائح ، ومن خطباء وشعراء ذلك الحفل الرائع :

- ١- موفق الدين علي بن محمد الناصري .
- ٢- سراج الدين عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي .
- ٣- رضي الدين بن فارس . ٤- عفيف الدين عثمان بن أبي الأصبحي
- ٥- نور الدين بن إياس . ٦- برهان الدين بن أبي بكر المزوري .
- ٧- شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الصيرفي .
- ٨- برهان الدين الجحافي . ٩- موفق الدين الطيني .
- ١٠- علي بن الحسن الحجازي .

ومع الأسف الشديد أن الخزرجي لم يورد شيئاً من تلك الخطب والقصائد إلا قصيدته التي نورد منها الأبيات الآتية :

هب النسيم معبر النفحات	وشدا الحمام بأطيب النغمات
وتضوع اليمن الخصب بأسره	بالطيب من عدن إلى عرفات
وتألق البرق الكليل فأشرقت	أنواره في حندس الظلمات
فرحاً بتطهير الملوك الأكرام	بين الأعظمين الجلة السادات
فالدوح يخطر في غلائل سندس	والأفق ينثر لؤلؤ القطرات
والروض معمّ النبات بترجس	وشقائق تزري بكل نبات
والطيب إذا شاد وهذا زامر	فوق الغصون بأفصح الأصوات

وفي الختام انهالت الخلع النفيسة والعطايا الجزيلة على كبراء الدولة ورؤساء
الحرس الملكي والخطباء والشعراء .

الصيد والقنص والتزده والنخيل :

اعتاد الرسول ليئون تقضية فترات للترريح عن النفس وممارسة رياضة الصيد
وللاستحمام على شواطئ سواحل زبيد أو تمضية وقت في النخيل إبان حملها
بالرطب الجني وتسمى أيام السبوت (١) .

(١) وصف ابن الجاور في كتابه « صفة بلاد اليمن » سنة ٦٢٦ النخيل والسبوت فقال :
النخل عشر قطع وهي : الأبيض - الكديح - المجرشية - المحلة - الاثيل - المجازع - كروه =

أما رياضة الصيد فكانوا يخرجون إلى جهات الحسينية لصيد حمر الوحش أو في غيرها كما كانوا يخرجون في مواكبهم الملكية إلى شواطئ الأهواب وشواطئ المتينة فيستحمون في مياه البحر ويرتعون على الضفاف والرمال يفرغون من مشاغل الحياة وينعمون براحة البال .

أما نزهاتهم في إخراج النخيل فقد سجل لنا المؤرخ الخزرجي وصفاً لنزهة من تلك النزهات الملكية فقال (نزل الملك الأشرف في ٢ شعبان ٧١٧ للنخل وقد عمرت له دار من العرايش وأقيمت بجانبها الاصطبلات وجعل لحوية الدار أربعة أبواب شرقي وغربي وشمالي وجنوبي فاحتوت الحوية على آلات الساطان كلها من الخيل والأفيال والبغال والحمر وسائر البيوتات والمستودعات كالحزانة ومستودع المنروشات ومستودع المطابخ والشراب (الشربخانة) ومستودع السروج (الركب خانة) والموسيقى (الطبلخانة) فازدان الموضع بذلك الترتيب والتنظيم حسناً . مما يوضح لنا أن رحلاتهم كانت في غاية الأبهة وكمال الاستعداد والزينة .

نفوذهم السياسي :

شمل سلطانهم في أوج دولتهم اليمن والحجاز والشحر وعدن وظفار ، ومع ما تخلله من فترات الضعف فقد ظل إلى عام ٧٧٢ هـ محتفظاً بنفوذهم

= الحجج القوي ، المغارس وحجة ، وكل واحدة من تلك التلح يكون عرضها وطولها ربع فرسخ ، ورطبها ثلاثة أصناف : حمري - صفاري - خضاري ، كلها ذات ألوان مختلفة فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره ويحجى إليه الناس من باب حرص إلى آخر أعمال ابن إلى أن قال : ويقعون الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة وغالب أكلهم الحموضات والمواالح ، وهم في لب وضحك وشرب ويعمل من التمر والبر والربط نبيذ يسمى الفخخ يصاح عمله في يوم وليلة ويبلغ خراجه ١٣٠ ألف دينار ، فإذا فرغ النخل - وكان - خرج الصغار مع الكبار والاختيار مع الجار ب « الطيل والزمر » بعد ما يابسون - لا عدة كاماة تامة من الأجراس والتلاقل ويشد في رقبة المقاتع والحلي ، ويركب كل أربعة على جبل وناس منهم على الشنادف ويمشون إلى مسجد مشرف على البحر ، يقال انه موضع نزل به معاذ بن جبل ويسمى الموضع « النمازة » وينزل فيه الرجال مع الماء وهم في شرب وأب ورقص وقصف وما يخرج إلى هذا الموضع إلا في كل أسبوع يومين يوم الاثنين ويوم الخميس وإذا رجعوا من هناك دخلوا البلاد رأساً .

السياسي والإداري ، بل تجاوز الضفة الشرقية على البحر الأحمر إلى الضفة الغربية في إفريقية ، فقد ذكر المؤرخ الخزرجي في حوادث عام ٧٧٢ ، أن الوالي الرسولي على زبيد وهو الطواشي أهيف ، كان ضمن منطقة ولايته من عدن إلى حرض ، بل وتشمل ما وراء البحر كـ « عوان وزيلع » وغيرهما من البلاد الشاسعة هكذا ، أي أن نفوذ الدولة الرسولية تجاوز البلاد العربية في اليمن وغيرها إلى إفريقية الشرقية .

العلاقات السياسية :

للدولة الرسولية علاقات سياسية بلول وملوك عصرهم تجاوزت البلاد العربية عامة ومصر إلى الدول الشرقية فكان عدا نفوذهم المباشر على شاطئ إفريقية الشرقي لهم علاقات سياسية مع سلطان الحبشة المسلم المجاهد سعد الدين ثم مع أبنائه من بعده ، بل تجاوز نطاق العلاقة السياسية إلى العون الحربي والعدد العسكري مما تراه مسطوراً في ثانيا الفصل الخاص بتاريخ « الدولة الرسولية » .

كما كانت لهم علاقات سياسية عن طريق الوفادة (الدبلوماسية) وتبادل الهدايا التي كانت العامل الأساسي في التفاهم السياسي في عرف ذلك العصر وعقد المعاهدات الودية بين الدول كما هو معلوم أو بالأحرى بين الملوك لما تقتضيه العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري وبالأخص لما لميناء عدن من الموقع الهام في استقبال تجارة الشرق وتصدير منتجات اليمن ، والذي كان في ذلك التاريخ — ولا يزال — من استقبال السفن الواردة من الصين والهند وسيلان وفارس إلى البلاد العربية وغيرها ، ومن تلك العلاقات السياسية والاقتصادية ما يأتي :

١ — وفد الصين الواصل إلى الدولة الرسولية — كما مر بك مفصلاً في الفصل الخاص بالدولة الرسولية .

٢ — ملك السند ، وقد وصل آخر وفد منه في ٧٦٨ إلى الملك الأفضل ، ومن جملة الهدايا غروس فسائل أشجار غير موجودة في اليمن .

٣- وفد ملك « كاليقوط » ومن الهدايا التي حملها إلى الملك الأفضل الطيور النادرة وفسائل الأشجار والزهور التي أمر الأفضل بغرسها في حديقة الديباج به « تعز » .

٤- وفد ملك سيلان في سنة ٨٠٠ لتوثيق الصلات الودية والعلاقات الاقتصادية ومن بين الهدايا التي حملها أربعة أفيال وأشجار (العنبا) وغيرها ، وكان الكتاب الذي مع الوفد مسطوراً على رقيقة من الذهب .

٥- أوفد ملك الهند بعثة لتجديد الصلات السياسية والاقتصادية إلى الرسولين سنة ٨٠٢ هـ .

وهكذا كانت للدولة الرسولية صلات ودية واتصالات سياسية وارتباطات اقتصادية بلول الشرق في عهدهم فأمدته بجيش قوي تمكن به من استعادة عرش بلاده الذي دام كما سبق توضيحه ٢٣١ عاماً .

حضر موت والشحر وظفار :

امتد سلطان الدولة الرسولية إلى حضر موت والشحر ، بل تجاوزهما إلى ظفار ، ففي عهد المظفر الرسولي تقدمت القوات الرسولية بقيادة ابنه الأشرف فاستولت على حضر موت ثم عاد إلى ظفار بعد معركة قتل فيها ملكها سالم ابن إدريس الحبوطي ، وذلك في سنة ٦٧٨ هـ وأنيطت إمارة ظفار بالأمير داود بن المظفر ، وقد استمرت إمارة الرسولين على الشحر إلى نهاية القرن الثامن ، وقد ذكر المؤرخ الخزرجي في حوادث سنة ٧٦٨ هـ أن الأمير الرسولي على الشحر هو صارم الدين داود بن موسى بن حاجر ، وذكر في حوادث سنة ٧٩٥ أنه وردت إلى الدولة الرسولية كتب أهل الشحر بهزيمة أحد الثائرين بها فبعث لإمارة الشحر الأمير الشماسي .

أما ظفار فقد خرجت قبل ذلك عن تبعيتهم وإنما ظلت لهم علاقات ودية وسياسية كما يظهر ، فقد ذكر الخزرجي في حوادث سنة ٨٠١ هـ ، أن ملك ظفار المسمى المحاهد الذي تغلب عليه أحد الثائرين التجأ إلى الدولة الرسولية .

الدولة الرسولية والزيدية :

حاول غير واحد من أئمة الزيدية الثورة والخروج على الدولة الرسولية في القسم الذي يدين بسلطتهم الروحية ، ففي عهد الملك المظفر ثار الإمام إبراهيم بن تاج الدين سنة ٦٧٠ فأسره الجيش الرسولي في موقعة دمار وسجن في تعز إلى أن أدركته المنية ٦٨٣ .

وقبله ثار الإمام يحيى بن محمد السرجي فأسره القائد الرسولى سنجر الشعبي عامل صنعاء سنة ٦٦٠ .

وثار بعدها المطهر بن يحيى سنة ٦٧٦ هـ فاستمر في حروب مع جيوش الرسوليين إلى أن توفي ٦٩٧ هـ فقام بعده ابنه المهدي واستولى على صنعاء وتوفي سنة ٧٢٨ .

وفي سنة ٧٥٠ استولى على صنعاء وتوابعها المهدي علي بن محمد إلى أن توفي سنة ٧٧٣ .

ونلاحظ في تلك الفترة أن سلطان الرسوليين كان يعم نفوذه أغلب جبال اليمن ، فقد أورد الخرجي في صحيفة ٥٣ ج ٢ أن الملك المؤيد غزا بلاد خولان وأخربها .

وأورد في صحيفة ٦٧ ج ٢ أن الملك المجاهد سير جيشاً إلى دمار مؤلفاً من ٤٠٠ فارس و ١١ ألف راجل فاستولى الجيش على دمار وحصن هان ، وأتاب عليهما الأمير زين الدين قراجا ، وأنه استمر على نيابتهما إلى سنة ٧٣٩ هـ ثم عزل بابن الحجازي .

وفي سنة ٧٧٠ هـ استولى الملك الأفضل على حصن الظاهر من بلاد عنس ، وقبض على ١٨ شيخاً من شيوخها وقتلهم .

وفي سنة ٧٧٦ بعث الملك الأفضل من اغتال رئيس جبل بعدان أبا بكر ابن معوضة ووصله برأسه إلى تعز ، فقام ابن المقتول محمد بن أبي بكر واستنجد بالإمام صلاح الزيدي فوصله وسارا لقصده غزو تعز وبلغا في تقدمهما إلى الجند في ٦ رمضان فأصدر الملك الأفضل أوامره على القبائل والأطراف

يحفظ الطرقات وقطع خط الرجعة على الإمام صلاح فكر الإمام راجعاً من الجند واعتصم محمد بن أبي بكر بمعقله يبعدان .

وفي سنة ٧٧٧ غزا الإمام صلاح تهامة ووصل إلى زبيد في غرة شوال وحاصرها ثلاثة أيام وكان الأمير عليها الطواشي أهيف ، فكذب إلى قبائل بادية زبيد بالاستعداد لمهاجمة الإمام من الخارج وهو من الداخل ، فعلم الإمام بالخطوة فانصرف في اليوم الرابع وفي نفس السنة تقدمت القوات الرسولية بقيادة ابن حناجر إلى ذمار فاستولت على عدة حصون فبعث الإمام بجيش تمكن من هزيمته وأسره ، وفي سنة ٧٧٨ تقدمت القوات الرسولية بقيادة ابن إياس إلى حقل قرب صنعاء فأوقعت نشاط الإمام صلاح وأخذت في شن الغارات على بلاد الإمام ، وفي ربيع سنة ٧٩١ تقدم الإمام صلاح إلى الجهات الواقعة شمال زبيد ، فانسحب عمال الدولة الرسولية من حرص إلى المحالب فوصلوا إلى زبيد وقابلوا الملك الأشرف الذي أمرهم بالرجوع إلى مراكزهم وأمدهم بالقوات فانسحب الإمام عائداً ، وأعاد الإمام الكرة في شهر جماد الأولى وعسكر على باب سهام من زبيد وذلك في يوم ٢٢ جمادى الأولى سنة ٧٩١ وفي يوم ٢٧ منه علم بدنو القوات الرسولية الواصلة لنجدة زبيد من تعز فانسحب راجعاً .

وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة بعث الإمام صلاح جيشاً إلى تهامة بقيادة مولاه منصور وقربيه يحيى الباقر فاصطدم بالقوات الرسولية في المحالب وانتهت المعركة بقتل منصور ويحيى الباقر وهزيمة الجيش الإمامي .

وفي سنة ٧٩٢ استولت القوات الرسولية على حصن نعم وفي سنة ٧٩٧ وفد على الملك الأشرف صلاح بن علي بن مطهر بن يحيى الزبيدي وسلم للأشرف حصن دوران فأكرمه بأربعين ألف درهم .

ووجد ضمن ديوان الرسائل لعهد الملك المظفر رسالة من أهل ظفار مرفوعة له نوردها كلها للدلالة التاريخية ونموذج لفن الرسائل في ذلك التاريخ

وهذا^(١) نصها الحرفي بعد البسملة والحمد لله والثناء : وبعد الرعية الداعون يهون إلى المقام الأعظم . أعلى الله شأنه . أنه طرق البلاد طارق البلاء وقصدها هلاك لم يسمع بمثله ، وذلك أنه لما كان ليلة الثاني من شهر ربيع الآخرة سنة ٦٨٥ هـ ضربت ريح عاصفة من الأفق الشمالي في غاية الشدة ودامت على ذلك إلى الصباح واستمر يومه إلى العصر ، وكان يأتي ألواناً ، فتارة أسود ملهم ، وتارة أحمر شديد الحمرة حتى يظن أن النار تخرج منه ويظلم أخرى حتى لا يبصر المرء جليسه من شدة الظلمة .

فلما كان وقت العصر اختلف الريح فضرب من مطلع النسر فجعل المطر واستمر طول الليل مطر عظيم لم نشاهد مثله . وهب الريح من مطلع العقرب فما انفجر انفجر إلا والسيول قد سالت من كل مكان فلم يبق السيل داراً إلا هدمه ولولا من الله سبحانه وتعالى بفتح جانب البلاد إلى البحر لغرق الناس .

وطلع البحر ليلة الأربعاء طلوعاً يعجز عنه الوصف حتى كسر الدرب الحديد وهدم الدور التي تتصل به ووصل في البلاد إلى نحو ثمانين ذراعاً وهدم سائر البيوت حتى سكن الناس في المساجد .

وأما ما كان حول البلاد من الأعمال والبساتين ، فإن الريح كسرت أكثر نخيلها من الفوفل والزنجبيل وأتلف الموز ، وآتى السيل على ما كان من الطعام على الإجراء وطلع البحر فأذهب جميع العبيد ووصل إلى مواضع مقدار المدينة مرتين أو ثلاث .

ومن أعظم ما جرى على الناس الدور تهدمت على أصحابها فقتلت الرقيق والمواشي والدواب ، وأصبح أكثر الناس فقراء من أموالهم لا يجدون ما يأكلون وأنزلت السيول من الجبال جميع الأنعام ، ومن الناس خلق كثير تركتهم مصرعين في كل جانب .

وصارت البلد بدون دروب ولا مانع إلا الله تعالى ، وعمارتها من أوجب

ما يكون والقيام فيه بالبذل والمال أوجب السؤل من تفضل مولانا وبره وحسن رعايته النظر في أحوالنا بعين الرعاية والشفقة وأن يرعانا بعطفه ويرفع عنا « الديوان » سنة كاملة ، وقد صرنا لا نقدر على شيء ، وإحسان مولانا عظيم ، ونحن أحق من تصدق عليه ووصل إحسانه إليه وليس لنا ملاذ وملجأ إلا الله ثم عطف مولانا والسلام .

هذا غيض من فيض نستعرضه عن تلك الدولة وفي الرجوع إلى الفصل الخاص بتاريخها ما بقي .

كان الملك المظفر منتظماً في المعارف والعلوم أخذاً من كل فن بنصيب وافر قرأ الفقه ودرس الحديث ، وتوسع في النحو واللغة ، ودرس علم الطب وبرع فيه وكان مقرباً للعلماء باراً بهم شغوفاً بإنشاء المدارس .

معارف وعلوم بعض ملوكهم :

نشأ الأشرف على طراز والده الذي ضرب في المعارف بأوفر نصيب فكان له من البيثة والقلوة بوالده أكبر حافر ، وقد اعتنى والده المظفر بتنشئته وتعليمه وتهذيبه واتخذ له العلامة سعيد بن أسعد الحراري معلماً ومؤدباً ، فدرس الأشرف الفقه والحديث والنحو واللغة والأنساب والطب وعلم الفلك ولم تقف معارفه الواسعة عند التحصيل والدرس بل تجاوزها إلى الاختبار والتجربة والتأليف ، وقد سبق — في الفصل الخاص بالدولة الرسولية — الإشارة إلى مؤلفاته القيمة ونضيف هنا ما وقفنا عليه بعد كتابة ذلك الفصل :

- ١ — كتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب .
- ٢ — كتاب تحفة الآداب في التاريخ والأنساب .
- ٣ — كتاب جواهر التيجان .
- ٤ — كتاب الجامع في الطب .
- ٥ — كتاب في الاستطرلاب ، بعد أن زاول عمله ، وقام باختباراته عملياً .

وتظهر براعته في الطب من كتاب أرسله والده المظفر في حياته —
والأشرف في مقتبل العمر وريعان الشباب — أرسله إلى الملك الظاهر بيبرس
يطلب منه طبيباً قال فيه :

ولا يظن المقام العالي اننا نريد الطب لأنفسنا ، فإننا نعرف من الطب
مالا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة ، وولدنا عمر — يقصد
الأشرف — من العلماء بالطب وله كتاب جامع ليس لأحد مثله :

وكان الملك المظفر معجباً بنجاة وذكاء ابنه الأشرف إعجاباً يتجلى في
اعتداده بعلومه عامة وبالطب خاصة في كتابه إلى الظاهر بيبرس :

والأشرف من خيار ملوك بني رسول ، وكانت أيامه غرة في تاريخ الدولة
الرسولية ويؤثر عنه من الحذب والبر بأهل مملكته ما يخلد له السيرة العطرة :

ومن شعر الملك المجاهد :

أنا نلت العز بأطراف القننا
ليس بالعجز المعالي تجتني
نحن بالسيف ملكنا الحننا
كل فخر تدعى الناس لنا أعرق العالم في الملك أنا
أنا شبل الملك خدن الكتب
يوسف جدي وداود أبي
فالشهيد الملك زاكي الحسب
وعليّ الندب عالي المنصب جدنا بعد رسول جدنا
إن تكن أضحت علام خبرا
فالعلى مني بالعين ترى
أنا كالليث إذا ما زأرا
أنا كالبحر أنا ما زخرا المنيا في يميني والمني
أبذل المال ولا أجمعه
كل عاف نحونا منجعه

وإذا القرن طغى اصصره
وإذا ولي فلا أتبعه وإذا لاذ بحقوى أمنا
شيم للملك أضحت أنجما
يمن لي من جلودى التمدد
ثم ملك الشام من ماء السماء
يعشرون الناس طراً رنما من هنا أو من هنا
وله قصيدة مطولة وصفت بأنها في غاية الجودة مستهاها :
تبريع جوى ونوى شجني منعاً عيني من الـوسن
لم نظفر منها بغير مستهاها .

وله ترسل فائق ونقد في غاية الإبداع التي منه ما أورده المؤرخ
وطيوط قال : ومن ذلك ما كتبه بمسجد معاذ شرقي وادي زبيد - اللهم
كل صانع يجب لإصلاح صنعته - وأنا صنعتك فاصلحني .

كان للملوك الرسولين غرام بالأدب ، وقد مر بك طرف في الفصل
الخاص بالدولة الرسولية عن تشجيعهم للعالم ومكافأتهم للدوليين كمحمد بن أحمد
الريمي مؤلف التنبيه ، ورعايتهم للفيروز أبادي ، أما الشعر خاصة فقد ظفر
بنصيب وافر من عنايتهم ورعايتهم ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في أخبار
المظفر الرسولي ، وقد سار ذلك كتقليد متبع في دولتهم مما حدا بفطاحل
وزعماء ذلك العهد إلى التقدم لمدهم وفي انتصار الملك الأفضل على الثائر
محمد بن ميكال قال المظفر بن محمد بن مطهر يمدحه وينوه بذلك الانتصار :

لجهلك لم تخش الذي بأسه يخشى	ولم ترهب الأفعى ولا الحية الرقشا
وأرداك من منك بالملك مثلهما	تردى ضحى من ظهر ناقته الأعشى
ولجت طموم البحر وهو غظمطم	ومن ولج (التيار) لاقى به الحرشا
أغرك أن أرخى (المجاهد) ستره	عليك ولم ينهك منه الذي تخشى
عفا عنك صفحاً في الظلام إذ انجلي	بفضل وإحسان وفي الليل إذ يغشى
فاما ثوى وابتز في الملك (ابنه)	وربك يعطي الملك في خلقه من شا

ففاجئتك (العباس) منه بصولة
وليت فلم تؤمن سرياً ولم تخف
فلما استوى العباس في الملك وانجلت
دعانا فليدنا نداه بعصبة
أتوك ببيض ضربها يقطف الكلى
فلم استقرت في (فшал) فشلم
ثمان ليال ظلات جندك التما
ألم تدرا أن الملاك يؤتيه من يشاء
تأن وقف من حيث أوقفك التضا

فغشاك منه يا (محمد) ما غشا
غويّاً ولم تمه الفحوش عن الفحشا
دياجر للنظار في جنحها أعشا
ترش الثرى من ضربها بالدما، رشاً
ويختطف الأشلا ويحترق الأحشا
كما فشلت للأسد في رعين الشا
كما جمعت ببيض المواضي لها فرشاً
إله السما الجبار مبتدع الإنشا
فمن فاته (إيوانه) سكن الحشا



الدولة الطاهرية

الملك المجاهد شمس الدين علي وأخوه الظافر صلاح الدين عامر ابنا طاهر بن معوضة بن تاج الدين الأموي القرشي .

على أثر تنازل الملك المسعود الرسول دخل المجاهد شمس الدين علي ابن طاهر بن معوضة ليلة الجمعة ٢٣ رجب ٨٥٨ حصن التعكر وفي الصباح دخل أخوه الظافر على رأس بقية الجيش ، وكان في الحصن المؤيد حسين ابن الملك الظاهر ، فاستسلم وقد قابل الإخوان استسلامه بالإكرام وخصصا له داراً يسكنها واشترى منه ما بعهدته من الأسلحة والمعدات .

علم أهل مدينة زبيد بتنازل الملك المسعود فأسرعوا بإرسال وفد لتقديم طاعتهم إلى الملك المجاهد الذي قد توجه إلى عدن فأحسن استقبالهم ومنها تحرك في ٢ شوال إلى زبيد فتقدمت إليه وفود تهامة بالطاعة والولاء .

أطمع انهيار الدولة الرسولية أبا دجانة محمد بن سعيد بن فارس ملك الشحر في الاستيلاء على مدينة عدن فأبحر في شهر ربيع الآخر ٨٦١ في تسع سفائن وبوصله إلى الميناء بأشر إنزال قواته فقاومه الحامية الطاهرية والأهالي مقاومة شديدة فراجع إلى سفائنه وضرب عليه الحصار ، فهبت زوبعة شديدة حطمت مركبين من سفائنه ، ثم قدم الملك الظافر يوم ٢٤ من الشهر على رأس قوة كبيرة فانقطع رجاء ملك الشجر وأقلع راجعاً فانفتحت ثغرة في مركب القيادة الذي يستقله الملك ، فغرق المركب ونزل ناجياً بنفسه إلى ساحل المكسر فأسرع الملك الظافر على رأس جيشه فأسره وابن أخيه وجملة من رجاله الذين نجوا من الغرق ، وقتل منهم مبارك الفاسي من نقباء يافع الذي حفر ملك الشجر على غزو عدن وأطمعه في تملكها وعاد إلى عدن ظافراً فدخلها في موكب حاشد يتقدمه أسيره ملك الشجر على جمل .

في صفر ٨٦٢ تقدم إمام صنعاء إلى حدود الدولة الطاهرية فهض نحوه الملك الظافر وعقدت هدنة بين الطرفين عاد على أثرها كل منهما إلى بلاده

بيد أن تلك الهدنة لم يطل أمدھا ، فقد نشب القتال بينهما في شهر رجب من تلك السنة ، وفي سنة ٨٦٦ خطب للملك المجاهد على المنابر وضربت السكة باسمه وكانت قبل ذلك باسم أخيه الملك الظافر .

غزوة الملك الظافر لصنعاء :

في شهر رمضان ٨٦٦ تقدم الملك الظافر إلى جهة صنعاء فتلقاه إمامها في موضع يسمى (رمم) ونشب بينهما القتال وقتل في تلك الموقعة سلطان الجوف من أصحاب الإمام وقتل من الطاهريين الشيخ محمد بن طاهر شقيق الملكين المجاهد والظافر ، وفي ذلك العام استولت القوات الطاهرية على ذمار .

وفي تلك السنة قبض الملك المجاهد على الشيخ العلامة إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي أحد علماء زبيد بتهمة مكاتبة أمير جازان وتحريضه على محاربة الدولة الطاهرية ثم تحقق للمجاهد عدم صحة التهمة فأطلق سراحه ، في تلك السنة أمر الملك المجاهد بحصر نخل الدي فيبلغ :

١٠٠٠٠٠٠	ما يدفع عليه الخراج للدولة .
١٥٠٠٠	خمسة عشر ألف لبني العجيل .
٤٠٠٠	لباقى الصوفية .

ومقدار خراج النخل دفع مقابله في تلك السنة ثمانون فرساً قيمة الفرس ثلاثة وستون أوقية .

وفي تلك السنة صدر أمر الملك المجاهد على قبيلة « القرشيين » بإعادة النخل الذى اغتصبوه في أواخر عهد الدولة الرسولية إلى أصحابه من أهل وادي زبيد .

غزوة الظافر لبلاد الشحر :

رأى الظافر فضلاً من النشاط فأحب أن يوسع رقعة مملكته على الجار القريب ملك الشحر فجهز جيشاً قوياً وتولى قيادته بنفسه ، وسار قاصداً الشحر وعلى مقدمته الأمير زين الدين السنبل ، وقد بلغت نفقة كروة جمال

الحملة اثني عشر ألف دينار وهو مبلغ له ضخامته من القيمة الشرائية في ذلك العهد وتقدم الجيش كما يأتي :

- ١ - المتقدمة تحت قيادة الأمير زين الدين السنبلي .
- ٢ - القلب تحت قيادة الأمير عبد الملك بن داود الطاهري .
- ٣ - المؤخرة تحت قيادة الملك نفسه .

والت المقدمة تقدمها حتى دنت من أراضي الشحر ففر ملكها هارباً فوالى السنبلي زحفه حتى دخل المدينة وأرسل ابنه غلم الدين بشيراً بالفتح ، وعلى أثر دخول السنبلي دخلها عبد الملك فنهب المدينة بدون خشية ولا وازع ، وبعد ذلك دخلها الملك الظافر ورتب إدارة البلاد وأناط إدارتها بالأمير أحمد ابن إسماعيل بن ستمر اليمني ، وعاد إلى عدن يوم الجمعة ١ ربيع الأول .

ابن الناصر إمام الزيدية والدولة الطاهرية :

بعد وصول الملك الظافر إلى عدن وافته الأخبار بأن إمام صنعاء ابن الناصر استولى على ذمار ، وأن قوات الأمير عبد الوهاب الطاهر تقاومه مقاومة يائسة حول المدينة فأسرع الظافر على رأس جيشه إلى ذمار فاستعادها في شهر رجب وتقدم يتعقب ابن الناصر إلى أن حاصره في حصن (هران) وشدد عليه نطاق الحصار حتى ضاقت به الحال وأخيراً أسره بعض القبائل القريبة من الحصن وسلموه إلى الإمام مطهر منافسه في الإمامة .

وفي جمادى الأولى ٨٦٧ نشطت القوات الطاهرية في الجبال ووالت تقدمها في غير موضع فاستولى الظافر على « بحرانه » وما والاها من الجبال والحصون وفي جمادى الآخرة استولى أحد قواد الإمام على حصن علب فأسرع الملك المجاهد في بعث الجيوش حتى استعاد الحصن في شهر رجب .

دخول الدولة الطاهرية صنعاء :

في شهر شوال ٨٦٧ استولت القوات الطاهرية على مدينة صنعاء ، وأنابت على إدارتها أحد أفراد الأسرة المالكة الأمير عبد الوهاب بن داود

الطاهري وتنازل أمامها وأقطعته الدولة الطاهرية بعض نواحيها بتولى أمرها تحت إدارتهم .

في عام ٨٦٩ استعاد ابن الناصر مدينة صنعاء وطرده أميرها الطاهري محمد ابن عيسى البعداني ، فخرج إليه الظافر في ألف وثلثمائة فارس فاستولى كلياً على مدينة صنعاء وأعمالها ، ويقول صاحب العقيق الثاني : إن محمد بن الناصر باع مدينة صنعاء مقابل شيء من المال ، ويظهر أن الطاهريين لم يطمئنوا إلى وجود بن الناصر في صنعاء فأمر الملك الظافر عامله على صنعاء بإشخاصه إليه بمدينة زبيد فاطلع ابن الناصر على ورود الأمر فثار وطرده العامل واستولى على صنعاء .

وفي رجب من تلك السنة ولي المجاهد بن شعبان أمور تهامة .

قتل الملك الظافر :

وصلت الأخبار إلى الظافر بثورة ابن الناصر فتجهز قاصداً صنعاء على رأس جيش كثيف حتى وصل على رأس جيشه إلى ضواحي المدينة وضرب عليها الحصار ، وقد دفعه الغرور اعتماداً على كثرة جيشه عن عدم أخذ أهبة الحزم والاحتراس ، وعندما شعر الإمام باستحكام حلقة الحصار استنجد بأحد قواده المدعو محمد عيسى شارب فأقبل مسرعاً لمنجدة الإمام على رأس رجاله فافتحموا المعسكرات الطاهرية على حين غرة فاختل نظامها وأشاع الهجوم المباغت غير المنتظر الفوضى والاضطراب ، فكانت الهزيمة ، وشجع ذلك الارتباك ابن الناصر وأهل صنعاء على الخروج من المدينة والقيام بغارة عارمة أودت بالبقية الباقية من ثبات الجيش المذعور ، وتقول المصادر غير الزيدية : إن الظافر ثبت على رأس فريق من جيشه وقاتل قتال الأبطال حتى قتل .

في السابع من جمادى الأولى وقعت هزة أرضية بمدينة زبيد ، وفي ذي القعدة تزوج الأمير عبد الوهاب بن داود الطاهر بنت الشريف علي ابن سفيان .

في سنة ٨٧٦ أقطع الملك المجاهد الأمير عمر بن عبد العزيز الحبشي البلاد الشامية — عن زبيد .

وفي تلك السنة ظهر الذهب الأشرفي قريباً من قرية — واسط — من قرى زبيد وإباحه" الملك المجاهد للشعب ، وفيها توفي الأديب أبوبكر بن أحمد ابن عمر العقيلي الزيلعي :

وفادة أبناء المجاهد الحبشي سعد الدين ، على الملك المجاهد :

وفد أبناء المجاهد سعد الدين الحبشي على الملك المجاهد طالين النجدة فأعانهم بمائة وخمسة رؤوس من الخيل العربية مع ما يلزمها من العدة والدروع والسلاح .

في ليلة ٢٧ رمضان ٨٧٨ أقام الملك المجاهد في مدينة زبيد سماعاً دعى إليه كافة أهل زبيد على اختلاف طبقاتهم .

وفي ليلة ٢٩ أقام ابن أخيه الأمير يوسف سماعاً وعمل ما يسميه « الدبيع » « طلاعة » على باب الدار — قوس النصر — زينها بأنواع الثمار والأشجار وضرب النفاطات المختلفة ، ويظهر أن هذه الاحتفالات كانت تقام في عهد الدولة الرسولية التي نقلت إلى اليمن من التقاليد السائدة في مصر في عهد الفاطميين ومن بعدهم :

وفي ٨٨١ جهز الملك المجاهد كتيبة مؤلفة من خمسين فارساً كاملة العدة لأبناء المجاهد الحبشي سعد الدين .

وفي شعبان ٨٨٢ خرج الأمير يوسف بن عامر من زبيد إلى البلاد الشامية واستحصل الخراج من الريدية إلى حرص .

الملك عبد الوهاب بن داود الطاهري :

عهد الملك المجاهد في حياته إلى ابن أخيه الأمير عبد الوهاب بن داود ابن طاهر ، وبعد وفاته جددت له البيعة وتلقب « بالمنصور » فتوجه إلى عدن وفي صحبته جمال الدين القباط فدخلها يوم الثلاثاء ١٣ من الشهر وجمع الناس

وأعلن وفاة عمه وتوليته وفرق العطاء والهبات في الجيش وغيرهم وبعد شهر
ولى قضاء عدن القاضي القحطاني وتوجه إلى تعز .

وفي عام ١٨٨٦ في أثناء إقامة المنصور بزبيد وقع الشغب بين موظفي إدارة
زبيد وانقسموا إلى حزبين :

١ — الفقيه عبد الله الهبي ، عبد الرحمن المحالي ، الفضل بن علي دغش ،
سعيد الرضاة .

٢ — بنو الأحمر ، ومحمد الشجون .

فأدبوا وعزلوا من وظائفهم وولى في الإدارة :

١ — الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن العلوي والفقيه محمد البسام ، أعمال
الديوان .

٢ — الفقيه أحمد البحلي الاستيفاء .

وبذلك حسم كل داء للشغب .

توفي المنصور عشية الثلاثاء السابع من جمادى الآخرة ١٢٩٤ ودفن صبح
الأربعاء ببلدة « جن » .

مآثره :

١ — تجديد مسجد الأشاعرة ٢ — المدرسة المنصورة بزبيد

٣ — أضاف زيادة إلى جامع مدينة زبيد ومنبر للخطبة نصبه في مكان
الزيادة ليس له نظير في اليمن في عهده .

٤ — مدرسة بالمدرنة . ٥ — مسجد بمدينة إب

الملك الظافر الثاني الطاهري : عامر بن عبد الوهاب الطاهري :

تولى بعد وفاة والده ، وبعد انتهاء ثلاثة أيام على الوفاة رحل إلى المقرنة
ثم أقطع خاله الشيخ عبد الله بن عامر بن طاهر البلاد الشرقية .

ثورة الشيخ عبد الله بن عامر :

لم يلبث الشيخ عبد الله غير يسير في إمارته على البلاد الشرقية حتى أعلن الثورة والخروج على ابن أخته .

كان الملك الظافر قد رحل من المقرانة إلى تعز حينما بلغته ثورة خاله وأنه استولى على خزائنه بمدينة جبن وانتهب الدار المنيعية التي بناها المنصور وأخرب بعضها وصادر أموال التجار .

لم يسع الظافر إلا حشد ما أمكن حشده من المقاتلة وتوجه نحوه ، سار الظافر على رأس من تمكن من حشدهم فوصل « جبن » يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة ٨٩٤ وانتهى بالصلح بينهما على يد الأمير عمر ابن عبد العزيز الحبشي على أن يعطي خؤولته عبد الله بن عامر ، ومن بقي منهم ، أربعين ألف دينار من جباية عدن ويقطعهم جبل جرير والشعب .

وفي عام ٩٠٧ تجهز السلطان عامر بن عبد الوهاب لمحاصرة صنعاء واستمر حصاره إلى المحرم ٨٩٨ حتى أنقذها من حصاره الإمام الوشلي والأمير محمد ابن حسين الحمزي .

وفي سنة ٩١٠ أعاد الكرة لحصار صنعاء ودارت رحا المعارك الحامية بينه وبين الوشلي والأمير السابق ذكره حتى هزمهما وأسر الإمام الوشلي وأحمد ابن الناصر ، ودخل صنعاء ظافراً وامتد ملكه على تهامة جميعاً وصنعاء وصعدة وما بينهما من الحصون .

كادت ثورة أخواله أن تأتي على ملكه لولا حسن سياسته وسعة تدبيره الذي مكّنه من أسرهم مؤخراً وزجهم في السجن وبقضائه عليهم دان له اليمن أعلاه وأسفاه واستولى على جميع الحصون القوية والمعاقل الحصينة ، وفي آخر أيامه وصلت قوات قنصوه الغوري اليمن وتقدمت إلى مدينة زبيد التي جعلها الظافر حصن الدفاع فلم تقو جنوده الكثيرة على مقابلة الجراكسة وأسلحتهم النارية التي لأول مرة في التاريخ يشاهدها اليمن ، وانتهت المعركة بقتل الظافر عامر بن عبد الوهاب واستيلاء الجراكسة على زبيد ورداع وتعز ،

وذلك في ربيع ٩٢٣ وكان مُحِبًّا للعلم شغوفاً بجميع الكتب^(١) .

بعد قتل الظافر اجتمع فلولهم في ما بقي لهم من إمارة عدن وأقاموا على الإمارة عامر بن داود بن طاهر وبقيت إمارته قائمة حتى استولى عليها القائد التركي حين استيلائه على عدن عام ٩٤٥ وأعطى الأمان والعهد للأمير الطاهري ، ثم بعد ذلك دعاه لزيارة سفينة القيادة في أسطوله المتوجه إلى الهند وعندما وطئت قدم الأمير السفينة أمر القائد الظالم بقتل الأمير ورفع رأسه على سارية السفينة ، ثم بعد ذلك قتل جميع أفراد أسرته .

(١) وقد رثاه العلامة المؤرخ النديم بقوله :

أخلى ضاع الدين بعد ابن عامر وبعد أخيه أعدل الناس في الناس
فأفقدنا الله والله أننا من الأمن والائناس في غاية اليأس

الفصل السادس

المخلاف السليماني الأمراء آل القطبي (١)

في أوائل القرن التاسع الهجري آلت إمارة جازان من الأمراء الغوانم إلى أبناء عمومته الأمراء آل القطبي الذين أول من تولى الإمارة منهم خالد ابن قطب الدين بن محمد بن هاشم بن محمد بن هاشم بن غانم بن يحيى بن حمزة ابن وهاس بن أبي الطيب الحسيني ، وكانت تلك الإمارة مرتبطة بالرسولين ، ثم بالطاهريين .

وفي عهد خالد القطبي هذا كان خراب مدينة المنارة التي خرج على ما يظهر أهلها عن طاعته فأرغمهم - بعد ما أغار عليهم وأخرب المدينة ، فنزح أهلها - إلى قرية ضمد .
توفي عام ٨٤٢ .

درب ابن خالد بن قطب الدين :

خلف والده على إمارة جازان عام ٨٤٢ .

وكان يبعث سنوياً إلى حكومة زبيد بألف دينار .

وفي الأمير درب يقول الشاعر الغرباني :

دعوت الندى من رأس «غربان» دعوة وثنيت صوتي في جميع المشاهد
وثنيت صوتي معلناً فأجاني على البعد من كفى درب بن خالد

(١) وهم أصحاب قلعة « المعتق » وكانت لهم مبانيهم بأعلا وادي جازان ولهم المعقل الحصينة بالجبل المشهور بالجرد المستطيل إلى الحبث بجهة الجارة ومن مآثرهم بها القلعة الحصينة المسماة الثريا ، ودرها المشهور بدرب النجا ، ومدينتهم ضاربة شمالاً في الجبل المذكور ومستندة إلى قرب ضفة الوادي ، وبها جامعها الكبير ، قيل : إن معاصر الزيت التي بها كانت خمسة معصرة .

أحمد بن دريب :

تولى الإمارة بعد وفاة والده دريب بن خالد على (...) .
وفي عام ٨٨٢ أغار على إمارته محمد بن بركات ، ويظهر أن السبب
المباشر لهذه الغارة مطامع محمد بن بركات في ضم تلك الإمارة إلى
نفوذه ، وقد لمس ضعف الدولة الطاهرية وعجزها عن مساعدة صديقيها
أمير جازان .

تجهز ابن بركات من الحجاز في حشد من قوات القبائل ، ويقال : إنه
استصحب في غزوته هذه زوجته وسراريه فوافى جازان في ربيع الأول ٨٨٢
وبعث النذر إلى أحمد بن دريب طامعاً في إذعائه بدون قتال ورغبة في
الاستجابة لمطالبه التي تنحصر في اعترافه بالبيعة له ودفع شيء من المال
وقلومه إليه كدليل للاعتراف ، فرفض ابن دريب الوسائط واستعد للقتال ،
فتقدم إليه محمد بن بركات ونشب بينهما القتال بقرب درب النجا ،
فانهزم أحمد بن دريب فهجم ابن بركات على مدينته ، على مدينته ،
وقتل أغلب السكان وانكشفت العورات ، ويقول الديبع : جرى على نساء
صاحب جازان من الذل والمهانة وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد بحساب
وانتهت خزائنه ، وفيها من الكتب النفيسة شيء كثير وأخذ من السلاح
ما جمعه أبوه وجده وأحرقت وهدمت دور الإمارة وسور البلاد وأصبحت
جازان^(١) خاوية على عروشها ، انتهى . وعاد ابن بركات بعد ذلك تاركاً
البلاد بدون حامية .

وفي ٨٨٣ بعث أحمد بن دريب ابنه إلى النولة الطاهرية ويظهر أنه يحمل
رسالة عتب على تخلفها عن نصرته في تلك المحنة القاسية ، فوصل إلى مدينة
زبيد فأحسن استقباله الأمير يوسف بن عامر الطاهري وأنعم عليه وجهزه
إلى عمه الملك المجاهد بعدن فأكرم الملك المجاهد وفادته وأجزل له العطاء
وأعادته إلى أبيه مكرماً .

ونسشف أن تلك السفارة لم تأت بالنتيجة المبتغاة ، وما حمل الأمير
أحمد بن دريب نفسه عام ٨٨٥ للقلوم على الملك المنصور بزبيد .

(١) مدينة جازان العليا المشهورة بدرب النجا ، راجع الحاشية التي في أول هذا الفصل .

علم الملك المنصور بقدوم الأمير ، فبعث في استحضار الآلات السلطانية والتحف المملوكية ، وما يلزم لإبداء أبهة الملك في عين الأمير الوافد والحليف العاتب ، وعندما بلغه وصوله إلى ظاهر مدينة زيبد خرج لاستقباله في موكب تحف عليه الأعلام وتحف به الفرسان وعندما تقابلا ترجلا وتعانقا ، ثم ركبا واستأنف الموكب سيره ، وأنزله في قصر أعد لضيافته ، وجعل له حاشية من الحرس الملكي ، وكان محل رعايته وإكرامه إلى أن عزم الملك المنصور إلى تعز ، فخرج الأمير مع المشيعين وودعه في نصف الطريق وعاد في طريقه إلى جازان يوم ٢٣ من الشهر ، ويظهر أن تلك الزيارة قد وثقت العلاقات وأزالت أسباب الجفا .

في شعبان سنة ٨٩٢ هـ إغصار شديد في ما بين المدب ، وخلق بحيث يراه من في القريتين ، والنار مشتعلة في أعلاه حتى بلغ حلة بأعلا القريتين ، فطير عشها مشتعلة بمن فيها ، ثم سار في طريقه إلى المشرق فأحرق الظباء والوحوش .

وفي عام ٩١٧ قتل العطاولية أبا الغوائر أحمد بن جارالله بن خالد وانتهبوا المال وعقروا الخيل ، وقتلوا معه ابن أخيه خالد بن الحطيم .

في تلك السنة اجتاحت الخلاف السلطاني مجاعة ضارية وامتدت إلى عام ٩٢٥ وأهلكت أكثر السكان ، وبالأخص في وادي جازان ووادي ضمد ، فلم ينج من سكان كل قرية إلا نفر أو نفران ، وفي صيبا والملحأ أفنت مالا يحصى .

المهدي بن أحمد بن دريب :

الأمير أحمد بن المهدي واسطة العقد في أمراء هذا البيت يقول شاعر الجراح بن شاجر في مقدمة ديوانه (أن الذي مدح به من هزّت به الممالك الجازانية أعطافها وأرضعته أخلافها ، وطبقت مكارمه البقاع ونطقت بمحامده الأفواه وامتلات بشكره الأسماع وانعقد على سيادته الإجماع جمدال الدين المهدي بن أحمد بن دريب) .

ويقول ذلك الشاعر الوفي في أيامه .

أيامنا بك يا عز الهدى غرر وعيشنا بك صفو ما به كدر
وصدعنا بك يامهدي منشعب وكسرنا بك يامهدي منجبر
وحالنا بك يامهدي حالية وحال أعدائنا يابن الصفي صبر

ويقول عنه صاحب العقيق اليمني : كان المهدي مشهوراً بالكرم الذي فاق به أهل زمانه ، وكان أديباً فصيحاً مدحه أكثر الشعراء منهم الجراح بن شاجر الذروي الذي له ديوان مشهور متداول بين أيدي الناس ومن شعرائه الذين مدحوه وأعطاهم أموالاً جلية الشاعر محمد الهبي الصعدي كان يصله من صعدة بمدحه وله فيه القصائد الطنانة انتهى ونحن نثبت هنا القصيدة الرائقة التي هي من أحسن ما قاله في الأمير :

يا مربع الحى بذات الرند بالله خبر كيف كنت بعدي
هل وقفت فيك الحداة تحدي واحر أكبادي وطول وجدي
نوحى ودمعي فيك أقصى جهدي

كنت لعليا ولريا ملعباً وكل رعناً ذات ثغر أشنباً
أصبحت مأوى للنعام والظبا وفيك طير البوم ليلا نعباً
جادك هطال صدوق الوعد

أصبحت بعد الظاعنين مقفراً مغبراً منكراً مدعثراً
فيك النعام والظباء والفرا فدمع عيني لما نلت جرا
سقاك من مجلجل مسود

نبت فيك الشيخ والمقوفر ويضحك الآس بها والعبر
إذا غدا يركض فيك السبر والزهو فيك أبيض وأخضر
وعانق البان غصون الرند

فليت شعري هل يعود ماضى ويرجع العيش الذي كان انقضى
رعياً وسقياً لأثيلات الغضا هبات قد عاد سوادي أبيضاً
وأبيض قد عاد كالمسود

فرب هيفا كالقضيب قامه ظاهرة النعمة والوسامة
مليحة في ثغرها المدامة عانقت في نجد وفي تهامة
محبباً غير مضاع الود

ياعاذلي دع عنك عذلي واعذر في حب غيدا كالأغزال المعصر
تلك كعباً مثل حق المرممر ابنة عشر وثلاث معصر
طوع العناق غير ذات نهد

جبينها مثل الهلال يزهر وشعرها إن أرسلته يستر
وثغرها ممسك معنبر معطر مكوثر مسكر
فيه مدام عاتق وشهد

إن بسمت تريك برقاً رفرقاً أو لثمت أعطتك خمرأ قرققاً
أو لحظت أرتك ظيباً شنفأ أو خطرت أرتك غصناً أهيفأ
أخفي هواها تارة وأبليدي

حوت من الحسن عجيباً في عجيب أنا لها رب السما أوفى نصيب
ليلا ووشماً وقضيباً في كتيب بي ألم ليس له اليوم طيب
إلا التي ملمسها كالرند

من الخرايعب الرايعيب رداح إن صمت الحجل لقرطها صباح
أو أشبعت دملجها جاع الوشاح تغار منها الحاجريرات الملاح
تفاخر البان بلين القد

تريك من مبسمها زمردأ ولؤاؤأ وفي الحدود عسجدأ
دعجاء نعساً ما تريد الأثمدا كن لها البيض المراكيل الفدا
أيضاً أنا من كل سوء أفدي

الثغر منها أشنب مفلج والطرف ساج أدعج وأدعج
والجيد سام والجين أبلج كأنها بين النساء عوهج
أتلع أدما من ظباء نجد

لعماء نعساء لم تمخض بولد وكعبها غضة (ليم) مانهد

كأنما أنياها ماء جهـد أو جوهر أو طلع نخل أوبرد
أو أولؤ رطب ملبح السرد

كأنها حمامة في غصنها رشيقة يابعد قرط أذنها
حين تيمس في مجال العقد

تعطيك ما تهوي لصغر سنها يذهل عقلي حين قطر دنها
قد صار فني في الهوى من فنها وموج بحري قد غدا من مزنها
أو مصالها من شرار زندي

مشيتها في الأرض مشية القطا ليست من الغبر الطويلات الخطي
يعجني التخميش منها والخطي إن الحب لا يذم إن سطا
حبيبة إن لم تجدد بوعـد

في ثغرها المسواك منها يرشف كسلى من المضجع لا تنحرف
حتى إذا كاد النهار ينصف قامت كمن قد دب فيه القرقف
إلى سـواك الراك لا للكـد

وشادن أشرف لي من كلاه ذو حمرة في خده من خجله
قبلته فصد عني قباه لما وضعت سكري في عسـله
أعاضني أنساً بذاك الصـد

لم أنس أيام أبي عـريش حيث رباشى قد نما وريشي
حيث انتهت خلعتي وطيشي ما لذ لي نومي وطاب عيشي
إلا بإنعام الإمام المهـدي

القطبي الحـالدي الغاني الحيدري الأزهري الفاطمي
القمري الحسني الماشي حديث كل الناس في المواسـم
ونقطة البـكار من معـد

غضنفر الهيجاء طعان النـر فارس عدنان إذا التمع انتشر
القمر التـم لنا وابن القمر الواهب الخليل الصحيحات الغرر
المقـربات الصافنات الجـرد

محمد المهدي وما محمد إلا همam وخضم مزبد
وعارص يغنيك حين يرعد يفيض منه ورق وعسجد
فرد بهذا العصر أي فرد

سنانه يهوى النحور والكللا وسيفه يهوى الرأس والطلا
من آل قطب الدين أرباب العلا دع غيرهم فإنهم هم الملا
أهل المعالي ورجال المحمد

نال من المحمد مثالا لا ينال هو الزلال العذب والحلو الحلال
حاز البهاء والجمال والجلال وإن غدا في درعه يوم النزال
فدونه العباس وابن معدي

تلفت الغيد إذا ما التفتا وترهب الأسد إذا ما صمتا
هو لي ربيع ومصيف وشتا هو النقي هو التقي هو القتي
لعقد حل ولحل عقد

لا زال خفاقاً عليك العلم سيفك ماض في الورى والقلم
فأنت في الناس جميعاً حكم يا حامي المحمد ويا غششم
لواؤه فوق جباه الأسد

قال العلامة محمد بن سعد الشرفي رواية عن العلامة المحقق حسين
ابن إسماعيل بن جعفر أن الشاعر محمد المهدي كان طالباً للعلم بمدينة صعدة ،
وكان لأحد أغنيائها من ذوي الوجاهة بنت رائعة الجمال فأراد أبوها أن
يزوجها بمن يملك في داره ، ورأى في أخلاق ذلك الطالب للعلم ما يقربه إلى
قلبه ووافق شرطه فزوجه ، ومكثت الفتاة وقتاً تظن أن زوجها من الغني
وسعة الحال بما يتفق ومركز والدها حتى صارحها في خلوة من خلواته
بحالته ظناً أن صدقه وصراحته أنفع له فأيقنت من أن والدها المجهز لعرسها
والقائم بنفقة زواجها وانتهى الأمر بالمفارقة فندم ندامة الفرزدق حين فارق
نوار وهام في التشبث بها حتى قال هذه القصيدة في المهدي ، فسأله المهدي
هل هذا الوصف يوجد ، فقال : له نعم ، ووصف قصته فقال له : عليّ
مساعدتك ، وتوجه المهدي إلى صعدة ، وخطب الفتاة لنفسه ودخل عليها ،

وبعد مشاهدته لها طلقها قبل الدخول بها وخطبها بعد ذلك لشاعره وبذل لوالدها ولها ما أوجب رضاها هكذا باختصار .

غارة أمير حلي على جازان :

في عام ٩٢٤ في إمارة المهدي أغار أمير حلي قيس بن محمد الحرامي على جازان فاستعد الأمير المهدي لقتاله ، ودارت المعركة بينهما في الغواثر ، أعلا وادي صيبا ، فانهزم المهدي واستحر القتل في أصحابه وانسحب إلى « العالية »^(١) أعلا وادي خلب ، ومنها انسحب إلى قلعته المشهورة بأعلا وادي جازان فعاشت جيوش أمير حلي في وادي جازان نهبا وهتكاً للحرمت إلى البحر واجتمع على الناس غلا الأسعار والفتنة ، وبعد ذلك انسحب أمير حلي عائداً إلى وطنه .

(١) راجع كتابنا « المعجم الجغرافي - الطبعة الثانية .

العلاقة السياسية بين المخلاف والدولة الطاهرية

كانت علاقة أمير المخلاف السلياني (المهدي بن أحمد) بالدولة الطاهرية علاقة وثيقة الصلة عميقة الولاء وفي ديوان (الجراح بن شاجر) شاعر الأمير قصائد متبادلة تدل على الولاء السياسي من الأمير للملك الطاهري وكان وضع المخلاف في ذلك التاريخ وضعاً دقيقاً فهو بين مطامع أمراء مكة وحلفائهم أمراء حلي بن يعقوب الذين غزوا المخلاف السلياني غير مرة ينتصرون في الأغلب ويستولون على المخلاف وينهزمون في الأقل ويعودون بدون تحقيق غاية ، وجارتهم في الجنوب الدولة الطاهرية القوية التي يمتد سلطانها من وراء عدن إلى المخلاف السلياني ولا بد لإمارة بذلك الوضع من سند تحتمى به ولا يوجد ذلك إلا في جارتها الجنوبية ولو بالمصانعة السياسية والحاملة المادية اكتفاءً للشرب وإظهاراً للولاء .

ولا شك أن الأمير المهدي قد مرت به من حوادث التاريخ في المنطقة ما يرشده فقد أرادت أسرة وهاس الحاكمة للمخلاف في القرن السادس في سنة ٥٥٩ عدم الإذعان لحكومة علي بن مهدي الرعيني في زبيد فسحقها جيشه في وقعة حرض المعروفة — راجع ما تقدم — ، فطمحت البقية من الأسرة بأبصارها إلى من يأخذ بناصرها فلم تجد في إمام الزيدية في وقتها أحمد بن سليمان ما يحقق النصر الذي ترجوه لأن سيادته الروحية تنحصر في القسم الأعلى الشمالي في جهات صعدة ، وكان هناك عدة عناصر في القسم الأعلى الجنوبي يناوئون أحمد بن سليمان وهم سلاطين همدان كآل الياحي وغيرهم من الحميريين .

فالتجأ الغوانم إلى مصر ، وكان أول مرة تصل إلى اليمن جنود من مصر للاستيلاء على اليمن ، أما قبل ذلك التاريخ فكان الارتباط روحياً وسياسياً كما كان في عهد الصليحي .

وهنا نجد التاريخ يعيد نفسه فنرى المهدي بن أحمد يشعر بأن الجراح المقرر على إمارته أرهقه فيطمح إلى ربط علاقته بمصر ويبادر إلى إنشاء علاقة

سياسية ظاهرها التظلم من الخراج ، وقد يكون باطنها طموح هذا الأمير في المستقبل إلى أعظم من ذلك وبعد تمهيدات واتصالات قاربت من النهاية يلد للمهدي طفل فيبادر إلى تسميته بقانصوه الغوري ويضع قدم الطفل في زنجفور ويطبعه على ورقة ويبعثها إلى قانصوه مع هدايا وكتاب يتضمن ما خلاصته .

١ — إعجابه بالسلطان الغوري وتسميته ابنه باسمه كتفاؤل لربط أمره بسلطانه .

٢ — شكواه من الخراج الجائر المفروض عليه من السلطان عامر ابن عبد الوهاب .

٣ — الإلحاح في المبادرة بإرسال جيش للاستيلاء على اليمن وعرضه المساعدة والتسهيلات للجيش مقابل الإبقاء على إمارة جازان فقط .
وصل الوفد إلى مصر فأحسن الغوري استقباله ، وبعد ذلك أعاده بصحبة الجيش المصري إلى اليمن .

وصات الحملة المصرية إلى جازان فأرفقها الأمير المهدي بأخيه عز الدين إلى زبيد لمحاربة الدولة الطاهرية . وذلك في سنة ٩١٧ .

نهاية الأمير المهدي :

عاد الأمير عز الدين بعد دخول القوات المصرية مدينة زبيد إلى جازان فكان همه الأول تدبير مؤامرة تتألف من رجال الجيش بالمال والوعود واستغلال العناصر المناوئة لأخيه حتى إذا استوثق من نجاحه ومسعاه أعد عدته ، وفي ذات ليلة وعلى حين غرة هجم على قصر الإمارة واستولى على محتوياته من المال والسلاح والخيل واقتاد أخاه أسيراً إلى السجن وكبله بالحديد وقبض على حاشيته وقتل أغلبيهم .

قتل الأمير المهدي في عام ٩٢٥ هـ :

أصبح المهدي مريضاً في السجن ، ويقال : إنه أرسل إليه ليلاً من تولى قتله خنقاً وهكذا طويت بذلك صفحة مشرقة من حياة ذلك الأمير الذي أوردنا

البعض من وصف حياته الأدبية في ترجمة شاعره الجراح بن شاجر الأروى (١).

الأمير عز الدين بن أحمد بن دريب :

تولى الإمارة على الصورة السابقة في عام ٩٢٥ .

وفي ٩٢٦ جدد الأمير قيس الحرامي حملته على جازان فقابله الأمير عز الدين بجيشه في موضع يسمى خضران قبلى وادي ضمد بثلاثة أميال أو أكثر فدارت الدائرة على عز الدين الذي انسحب في تراجع إلى جازان بعد قتل أكثر رجاله ومنهم الأمير يحيى بن أحمد بن دريب وجملة من أعيان صبيا وشجعانها .

غارة الجيش المصري على جازان :

بلغ القائد المصري العام بزبيد أمر الانقلاب الذي قام به الأمير عز الدين ضد أخيه المهدي - ويظهر أنه على غير سابق اطلاع على مثل ذلك الأمر - ففرى الاسكندر في نفس العام بجرد حملة تأديبية إلى جازان تحت قيادة قائد اسمه الغوير وتصل إلى جازان أخبار تحركها فيسارع الأمير عز الدين إلى مغادرة البلاد إلى أحد الجهات النائية ويشعر أهل البلاد بعقم المقاومة فيغادرها أكثرهم إلى الجبال والغابات النائية ، وتوالى القوات المصرية تقدمها بدون مقاومة فتحرق وادي جازان من الجبل إلى البحر وتدمر وتخرب وتنهب ما وجدت وتعود إلى قواعدها بزبيد .

مقتل الأمير عز الدين :

قام الانقلاب الذي أشرنا إليه في الفصل الخاص بتاريخ الجراكسة فطوح بالإسكندر الناقم على خطة الأمير عز الدين ، وقد أدى ذلك الانقلاب بحياة الاسكندر فتنفس عز الدين الصعداء وكان له في نفس الحملة المصرية أصدقاء يعطفون على قضيته ويؤيدون رأيه وقد يكون كمال الرومى الذي

(١) نشرنا بحثاً في مجلة « النمامة » الغراء يتضمن ترجمة وأخبار الجراح ابن شاجر - وهو فصل من الكتاب الذى نخضر موادها باسم التاريخ الأدب لأمخلاف السليمانى ، وسيطاع قريباً بجواه تعالى .

نصبه الثائرون ممن يعطفون على الأمير بيد أن مدة كمال الرومي لم تطل زيادة عن عامين ونصف فخلقه الشخص المسمى الطويل وكان نصيبه الخلع كما أوضحنا ، وحل في منصبه الاسكندر شولي ، وهذا كان على معرفة واتصال شخصي بالأمير ، والإسكندر شولي هو الذي استنجد بالأمير عز الدين كما سبق ، وفي آخر الأمر اختلف معه وقتل الأمير في المعركة التي نشبت بينهما بين بيت الفقيه وزبيد — كما نقلت الرواية عن تاريخ الواسطي في في العقيق اليماني — وكانت المعركة في عام ٩٣٠ .

الأمير محمد بن يحيى القطبي :

بعد رجوع الجيش الذي استصحبه الأمير عز الدين من زبيد إلى جازان اختلفت أسرة القطبي في من يتولى الإمارة وبعد تفاقم الأمر تنازل أكثرهم وانحصر الخلاف بين الأميرين محمد بن يحيى وأحمد بن المهدي وبعد مناوشات بينهما استقام الأمر أخيراً لمحمد بن يحيى في شهر جمادى الأولى عام ٩٣٠ .

وفاة شيخ الإسلام في تهامة :

في عام ٩٣٠ توفي شيخ الإسلام القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن القاضي أبي المحاسن بن محمد المزجد بفتح الزاي المعجمة وتشديد الجيم المعجمة ، كان رحمه الله حجة في فقه الشافعية وله المؤلفات الجليلة التي من أشهرها كتاب « العباب المحيط بنصوص الشافعي والأصحاب » والذي يروى أن علماء مصر والشام في وقته أجمعوا أنه لم يصنف مثله في حسن ترتيبه وجمعه وتبويبه مكث في تأليفه وتهذيبه عشر سنين وهو القائل فيه :

ألا إن العباب أجل سفر من الكتب القديمة والجديدة
كتاباً قد تعبت عليه دهري وخضت لجمعه كتباً عديدة
وقربت القضاء لطالبيه وقد كانت مسافته بعيدة
وغصت على الحبايا في الزوايا فها هي فيه بارزة عتيقة
وكنت ركضت فيه جياذ فكري
ومرت لي به مدد مديدة

إلى أن بلغ الرحمن مني
مرادي من مواهبه الحميدة

وكان رحمه الله على تضلعه وسعة معارفه متقللاً من الدنيا إذا غسل ثوبه لا يجد غيره ، ومع ذلك لا يعلم حقيقة حاله إلا القليل وله بيتان مشهوران يشهدان بصدق حاله وهما :

أما والله لولا ضنك عيش وعول ما وجدت لهم كفاية
لما فارقت عشي طول دهرى ولا أشغفت يوماً بالولاية

مكث الأمير محمد بن يحيى في إمارته ، وكان يدفع الخراج المقرر لإدارة زيد سنوياً إلى عام ٩٣٤ فتخلف عن بعثه فاستغل ذلك منافسه أحمد ابن المهدي - المقيم في زيد - فأخذ في تجسيم الإشاعة عن مخالفته لإدارة زيد وخروجه عن الطاعة وجد في الكيد له والوشاية عليه عند والي سليمان .

شعر محمد بن يحيى بكيد منافسه فأحب أن يحبط كيده فبعث بهدية من الخيل والتحف للوالي سليمان فتقبل الهدية وصرف النظر عنه وقتاً بيد أن منافسه لم يتوان في موالاة الإغراء ومتابعة التأليب عليه في كل فرصة ولا يألو جهداً في إغراء قلب الوالي وتحذيره وأنه لم يقدم الهدية إلا تحذيراً وخدعة ليشغله لينبأ يستكمل استعدادده وتم أهبطه مما أوجب الوالي إلى التيقظ والرغبة في سبر غوره ومعرفة حقيقته فأرسل رسولا إلى الأمير محمد بن يحيى ليكشف له الحال ، وزود الرسول بكتاب يتضمن طلب عدد من الخيل ويلوح باستعدادده بإرسال القيمة .

وصل الرسول إلى الأمير محمد بن يحيى فقابلته بعدم الاكتراث وقلة المبالاة ، وبعد إقامته وقتاً صرفه معتذراً بقله وجود الخيل في جهته ، وقال له : قل لصاحبك : ليس له عندنا طاعة ولا مخالفة فإن تركنا تركناه وإن قصدنا قصدناه .

عاد الرسول إلى زيد وأبلغ سليمان منطوق الرسالة وأخبره بنتيجة تحرياته فثارت ثائرة الأمير سليمان وفي التو استدعى أحمد بن المهدي وأظهر له الرضا

وأطلعته على بعض ما أسفرت عنه مهمة رسوله ، فقال له : هذا يحقق صدق نصحي وحقيقة إخلاصي ويوضح لكم سوء نواياه ، والرأي أن تبادره بالقتال قبل أن يستكمل أهبتة ويصبح خطراً عليك يصعب تلافيه وأرجو منك ألا تقبل له عذراً أو تبرم معه صلحاً بعد نهوضك إليه فإنه خدعة لا يتورع أن أراك مقبلاً ولم يتم استعداداه أن يدعن ظاهراً حتى ترحل عنه ثم يعود لمخالفته عليك .

تجهز سليمان على رأس قواته إلى جازان فتلقاه الأمير محمد بن يحيى على رأس من استطاع حشدهم والتقى الجمعان في يوم ١٢ ربيع الأول عام ٩٢٤ بموضع يسمى القرن قريباً من المدب ، فأسفرت المعركة عن قتل الأمير محمد بن يحيى وهزيمة جيشه فتقدم سليمان إلى جازان وولى الإمارة حليفه أحمد بن المهدي بعد أن اشترط عاياه لزوم الطاعة ودفع الخراج المقرر والمنكسر من عهدة سلفه .

أحمد بن المهدي :

تولى أحمد بن المهدي إمارة جازان في ربيع الأول ٩٣٤ ولم يلبث إلا يسيراً حتى طالبه سليمان بالخراج المنكسر من عهدة سلفه فاطل وقتاً ولما شعر بالإلحاح رفض الطلب وأعلن استقلاله عن إدارة زبيد ؛ وبعد مكاتبات ووسائط لم تكلل بالنجاح ، تجهز سليمان من زبيد لإخضاعه .

وصل سليمان إلى أبي عريش على رأس حملته الحربية ، ومنها بعث الرسل إلى أحمد بن المهدي يحذرهم وينذرهم ويطلبه بدفع الخراج المنكسر والوفاء بما اشترط عليه فعادت الرسل بغير النتيجة المرتجاة تقدم سليمان إلى « درب النجا » مدينة آل القطبي ونشب القتال وبعد معارك حامية قتل الأمير أحمد بن المهدي وتقدم سليمان إلى المدينة ونهب جميع ما احتوته من الأسلحة والذخائر والأموال ، وأمر جيشه بتدميرها وأحرق جميع قرى جازان إلى البحر وقضى على إمارة القطبة كلها وعاد إلى زبيد ، ومن هناك بعث ابن أخيه المدعو مصطفى بيرم أميراً لجازان .

الإمارة القطبية الثانية

إمارة عامر بن يوسف العزيزي في عام ٩٣٥

بعد رحيل المدير مصطفى بيرم عن مقاطعة جازان اختل الأمن واضطربت الأمور وسادت الفوضى فأجمع رأي أعيان ووجهاء المخلاف على تأمير أحد الأسرة القطبية (عامر بن عبد العزيز) وتوجه وفد منهم إلى الدحن - بكسر الحاء المهملة - وعرض عليه تولي الإمارة فوافق ونزل معهم إلى أبي عريش وباستلامه مقاليد الأمور استقرت الأحوال ، وساعد الحظ باشتغال مصطفى بيرم عنه بحوادث اليمن ومناضلته لقتلة خاله ومنافسيه على الإمارة العامة .

ازدهرت مدينة أبي عريش في عهده واتسع عمرانها وعم الرخاء البلاد ولم يكدر من صفو عهده إلا حسد أقرباء أبناء المهدي بن أحمد فأخذوا في المجاهرة في منافسته على الإمارة ، وكان لهم من عطف الشعب على ما نال والدهم من المصير الحزن وكثرة الصنائع والأتباع ما أشعره بضعف مركزه أمامهم . فأخذ يعوض هذا النقص بالإكثار من اقتناء العبيد المحليين من السودان حتى بلغ عددهم ستمائة مملوك ، ووسع عليهم في الأرزاق ودججهم بالأسلحة وأطلق لهم العنان فتصرفوا في شئون الإمارة فاستشرى بهم البطر وعاثوا في البلاد فساداً ، فضج الشعب من شروهم واختل الأمن ونجمت الفتن .

أطمعت الفوضى الضاربة أطنابها أضداده من أمراء حلي وحليفهم أمير مكة أبا نمي بن بركات وشعر عامر بن يوسف بالخطر يهدده فأحب أن يؤمن جهته من ناحية الأتراك فبعث في عام ٩٣٨ وفداً إلى زبيد برئاسة المهدي ابن الهادي وغيره من آل الحكمي وصحبهم الهدايا النفيسة من الخيل والمال ، فقام الوفد بمهمته وتوفق إلى إصلاح الشأن وإزالة سوء التفاهم .

هجوم أمير حلي على المخلاف :

شعر أمير حلي بالتدابير التي قام بها والاتصالات التي تمت بينه وبين

الاسكندر والى زبيد التركي وتجديد العلاقات ، فتريث وقتاً يتحين الفرصة المناسبة حتى عام ٩٤٠ فتحرك على رأس قواته ووالى تقدمه وبدون مقاومة تذكر لأن الأمير عامر انسحب من أبي عريش إلى جازان الأعلى فأفسح الطريق أمام خصمه ليتوغل إلى داخلية البلاد .

والى الأمير قيس تقدمه حتى دخل مدينة أبي عريش واستجم أياماً ، ثم تحرك إلى جازان الأعلا تاركاً في أبي عريش أنقاله وأهله مستخفاً بقوة دفاع خصمه ظاناً سهولة القضاء عليه وعودته به أسيراً في ركابه .

أشرف الأمير قيس على مدينة جازان الأعلا ، وكله أمل في القضاء على تلك القوة التي تحصنت داخل المدينة ، ففاجأته تلك القوات التي تنتظر وصوله متحفزة لتثار لشرفها المثلوم من التعديات المتكررة — وقابلته بهجوم مفاجيء شتت شمل قواته وطاردها مهزومة أمامه ، فولى الأمير قيس لابلوى على شيء وبلغ به الهلع والخوف إلى سلوك طريق الحازة عائداً إلى حلي تركا واردد في أبي عريش أنقاله ونخيمه وزوجته ليقعوا غنيمة باردة في يد عدوه . وأقبل المطاردون واستولوا على الخيم فخرج المهدي الهادي الحكمي وأخذ زوجة الأمير قيس إلى داره وأجارها في وجهه ومكثت في جواره إلى أن حال الحول ، فجهزها مع الحجيج إلى وطنها معززة مكرمة .

غزوة الأمير قيس الثانية :

أخذ منذ أن عاد إلى حلي يفكر إفي غسل عار تلك الهزيمة وأخيراً اتصل بأمير مكة وراح يرغبه في الاستيلاء على الخلاف ويهون عليه أمر صاحبها حتى تمكن من إقناعه في إمداده بقوة من رجاله وحشد أمير حلي كل من تمكن من حشده وسار إلى الخلاف على عامر بن يوسف بتقدم الأمير قيس فأخذ في الاستعداد والتأهب وتقدم لملاقاته وهزمه شر هزيمة وعاد ظافراً .

غزو أمير مكة لجازان :

لم تن على أمير مكة أبي نمي هزيمة حليفه وجاره ، فأخذ في التأهب لغزو جازان بنفسه وفي عام ٩٤٣ تقدم من مكة حتى إذا وصل إلى بيش توقف وبعث وفداً إلى الأمير عامر يعرض عليه الشروط الآتية :

١ - إعلان الطاعة .

٢ - تقديم الترضية وطلب العفو عما سبق منه على جيشه المرافق للأمير
قيس .

٣ - تقرير دفع ضريبة سنوية .

رفض الأمير عامر تلك الشروط بكل شتم وعاد الوفد إلى أبي نمي
برفضه فتقدم أبو نمي واستولى على مدينة جازان الأعلا المشهورة بدير النجاء
مدينة الأمراء القطبية وهدم قلعتها المسماة الثريا وعاد إلى أبي عريش فأقام به
بقية عام ٩٤٣ وكر راجعاً إلى الحجاز . انسحب الأمير عامر مهزوماً إلى
الحقار ومنه توجه إلى زبيد إلى الناخوذه أحمد وأقام لديه إلى نهاية عام ٩٤٣
وكأنه لم يجد منه مساعدة ، فرحل إلى الإمام شرف الدين فأكرم وفادته
وكتب له أمراً إلى ابنه الأمير عز الدين والي عمدة لمساعدته بقوة من رجاله
لاستعادة الأمير لإمارته .

عودة الأمير إلى الخلاف :

بوصوله إلى صعدة جهز معه الأمير عز الدين حملة قوية بقيادة قاسم
ابن عاهم وابن شربه وصادف نزول الحملة في الوقت الذي غادر أبو نمي
الخلاف فلم يتمكن نائبه من القيام بواجب الدفاع بل رحل حال ما سمع بدنو
الحملة .

تقدمت الحملة الإمامية بدون مقاومة يمهدها السبيل اسم الأمير عامر
الذي يعتبره الخلاف أميره الشرعي - حتى دخلت مدينة أبي عريش في
رجب ٩٤٤ .

وبدخولها إلى أبي عريش أقبل وجهاء وأعيان الخلاف أفواجاً أفواجاً على
الأمير عامر مبدلين من ضروب الخفاوة والابتهاج ما أجمع نار الحسد وألهب
لظى الغيرة في قلب القائدين فتآمرا على قتله وبعثا من يغتاله ليلاً في قصر
الإمارة فأصبح مقتولا على فراشه فجهازه آل الحكمي وواروا جثمانه في مقبرة
أبي عريش .

الجراكسة المصريون

أشرنا فيما تقدم إلى ما ذكره صاحب « العقيق الجاني » من اتصال أمير جازان بقانصوه الغوري ، وطلبه بعث قوة إلى جنوب الجزيرة ، الخ .. وتلى ذلك أو سبقه استنجد سلطان اليمن عامر الطاهري بقانصوه من الإفرنج البرتغاليين ، وتعدياتهم بالسلب والنهب والعيث في شواطئ البحر الأحمر ، وما رفعه ملوك الهند المسلمون من طلب بعث قوات لمساعدتهم ضد أولئك الإفرنج .

وعلى ذلك وما قد سبق في مظان التاريخ — سابقاً — من اتصال وعلاقة الدولة الفاطمية بالصليحي وخلفائه ، ثم بعث صلاح الدين الأيوبي قوات إلى جنوب الجزيرة فليس الآن هناك ما يمنع قانصوه من الظهور بمظهر البطل الإسلامي والاقتراء بصلاح الدين الأيوبي وإعادة أمجاد الدولة الأيوبية ، وتوسيع مجال مصر الحيوي ونفوذها السياسي ، والتحصن ضد الزحف التركي المتطلع لوراثته الخلافة ، التي تحتضنها مصر آنذاك صورياً بوجود الخليفة العباسي الأسمى لديها ، واستغلال اسمه لمد سلطانها وتوسيع نفوذها واستقطاب المسلمين تحت اسم الخلافة ، ما دامت الفرصة سانحة والطلبات تترى من ملوك وأمراء المسلمين من جنوب الجزيرة والهند بطلب المساعدة ضد عدو من الإفرنج .

لذلك جميعه فقد اتصل قانصوه بالسلطان العثماني الذي كان أقوى دولة آنذاك وبملك أحدث الأسلحة الجديدة والفتاكة والذي كان مشغولاً بالجهاد المقدس في أوروبا أكثر منه بآسيا ، وفي ذلك ما يرفع قانصوه في نظره ويطمئنه أن في ملوك المسلمين من يحبي سنة الجهاد وفريضة القتال في سبيل الله .

وفعلا حظى ببعض الرضا والمساعدة بالأسلحة النارية من السلطان العثماني — آنذاك — وبطبيعة الحال إن في ذلك ما يكمل قوته ويزيد في قدرته القتالية ، ويحقق أهدافه ومطامحه البعيدة .

الحالة السياسية :

كان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري قد آل إليه ملك اليمن كما أسلفنا قبل - واستطاع بدهائه القضاء على الثورات الداخلية وبدأ في الضغط على سلطة الأمراء المحليين الذين كانوا يتمتعون بكامل السيطرة على جهاتهم لضعف الإدارة المركزية العامة تارة ولتساهل من سبقه أخرى نظراً لمقتضيات سياسة الوقت والاكتفاء بالمظهر الإسمي، مادام يؤدي لهم ولو بعض الخراج ويخطب بأسمائهم على المنابر بيد أن دهاء السلطان عبد الوهاب أطمعه في أن يضع حداً لتلك الإقطاعيات ، وعدا ذلك فقد شدد الضغط ووالى الهجوم وضيق الخناق على إمام الزيدية الإمام شرف الدين الذي اتصل بدوره بالجراكسة في كمران وطلب منهم التقدم واستعد لمساعدتهم في القضاء على الدولة الطاهرية ، وهكذا أتيح للجراكسة من المساعدة الداخلية في القضاء على الدولة الطاهرية ما أطمع المغير وسهل مهمته وجر الولايات على اليمن مما استقرأه موضعاً .

حسين الكردي والحملة الجركسية المصرية :

أشرنا إلى طلب كل من السلطان عامر وأمير جازان وسلطان كجرات إلى السلطان قانصوه الغوري ملك مصر النجدة لمحاربة البرتغال الذين يعيشون سلباً ونهباً وسيياً في البحر الأحمر واحتلالهم جزيرة أم قشم وسقطرة ويريم وغيرها ، في الخليج والمحيط .

جهز السلطان قانصوه أسطولاً مكوناً من نحو خمسين سفينة مسلحة بالمدافع والأسلحة النارية وشحنه بالمقاتلة من (اللوند^(١)) تحت إمرة سلمان الرئيس وأسند القيادة العامة لحسين الكردي من كبار قواده بعد أن ولاه نيابة مدينة (جدة) وذلك في سنة ٩١٧ .

فوصل جده وحصنها بسور قوي، سخر في بنيته الأهالي إلى أن أتمه ثم

(١) اللوند : هم من الجنس التركي وجاء في صحيفة ٤٢ من البرق اليماني عند ذكر تجهز الأمير سلمان قوله : وكتب له من اللوند الأتراك أربعة آلاف مقاتل .

توجه بالأسطول إلى الهند فوصل إلى « ديو » واجتمع مع السلطان (مظفر شاه) ووجد منه التجاوب والتعاون الإسلامي ضد البرتغال مما اضطر البرتغال إلى الانسحاب إلى (كوه) واكتفى من مهمته بذلك وعاد .

وصل إلى جزيرة (كمران) بحملته ومعه الرئيس (سَلْمَان) ومنها بعث إلى السلطان عامر يطالبه بتأمين أرزاق الحملة التي يرى قائدها أنهم وصلوا حسب طلب السلطان عامر الذي استنجد بقانصوه من البرتغال وأرفق مع رسوله هدية سنية ، وبوصول الرسول والرسالة والهدية أراد السلطان أن يعمده بالأرزاق ويتعاون معه فنصححه وزيره بأن ما يقدمه الآن من الأرزاق سيكون بمنزلة الخراج الذي يلزمه دفعه كل سنة ، فامتنع السلطان من إمداده بالأرزاق فتوترت العلاقات بينهما .

علم الإمام شرف الدين فاتصل به (حسين الكردي) فزاد النار وقوداً وبعث إليه وفداً للتفاهم والتعاون ضد السلطان ، وكذلك اتصل به (المهدي ابن أحمد) أمير جازان الذي هو على علاقة مسبقة مع قانصوه فأيدهم بجيش بقيادة أخيه الأمير عز الدين رافقهم إلى زبيد . ووفد على (حسين الكردي) صاحب مدينة (الحبيّة) الفقيه (أبو بكر بن مقبول) فخلع عليه فتعهد له بتأمين الميرة وتسهيل نزولهم إلى بلده والتقدم معه لغزو بلاد السلطان عامر .

كان لدى السلطان عامر جيش قوي وإنما لم تعرف الأسلحة النارية آنذاك في اليمن وتهامة وفي أول معركة أطلق الجراكسة قذائف مدافعهم ورصاص بنادقهم انهزم السلطان وجيشه وتعقبهم الغزاة إلى أن احتلوا مدينة زبيد وساعدتهم في حروبهم مع السلطان من أرسلهم الإمام شرف الدين من الزيدية ، وكان احتلالهم مدينة زبيد في عشر جمادى الأولى سنة ٩٢٢ هـ .

— راجع الفصل الخاص بالدولة الظاهرية قبل —

ثم سار إلى عدن في الأسطول ومعه سلمان الرئيس — بعد أن ولي — على مدينة زبيد الأمير (برسباي) .

توجه حسن الكردي — كما أشرنا — إلى عدن وهاجمها فامتنعت عليه

فأخذ ما وجده في فرضتها وأبحر يوم السبت الموافق ١١ رجب ٩٢٢ إلى جدة بما استولى عليه من أموال الناس وظل حاكماً بها إلى أن استولى الأتراك على مصر ، فصدر أمر السلطان سليم الأول إلى شريف مكة بقتل حسين الكردي فنفذ الأمر بإغراقه في خارج مياه جده وذلك في سنة ٩٢٣ تقريباً .

برسبای :

بعودة حسين الكردي إلى جدة بقي (برسبای) ومن معه من الجراكسة في تهامة اليمن فسار من زبيد إلى تعز ومعه جيش مؤلف من الجراكسة والأتراك والمغاربة وفرقة من الزيدية وفرقة من جيش أمير جازان فوصل إلى تعز في ٦ شهر صفر ٩٢٣ فانسحب السلطان عامر بدون قتال إلى جهة «إب» فدخل برسبای تعز واستباحها ثم سار إلى (المقرنة) فدخلها واستولى على خزان السلطان عامر واستباحها وأبقى فيها نائباً يسمى « اسكندر » وخرج لجهة (صنعاء) والتقى بالسلطان عامر فهزم جيشه وقتله وأسر أبناءه وذلك في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣ .

وتقدم إلى صنعاء فأخذها عنوة ونهب ما وجده من أموال وما صادره على تجارها وأضافه إلى ما استولى عليه من خزان السلطان ومن تعز وغيرها وبعد إقامة شهرين تحرك راجعاً إلى زبيد ترافقه ثمانية آلاف جمل مثقلة بالغنائم الحرام التي استولى عليها خاصة من النقود والذخائر والحلي والمجوهرات والأثاث المملوكي التي استولى عليها المملوك الطاهريون من ملوك الدولة الرسولية التي استمر سلطانها مائتي سنة ، سار بجيشه وأثقاله وغنائمه فلما توسط المضيق خرج عليه (بنو حبيش) ومن لف لفهم من العربان وقتلوه وقادة جيشه واستولوا على جميع تلك الغنائم ومن سلم من العسكر نجى برأسه ، ووصل فلهم إلى زبيد في جمادى الآخرة سنة ٩٢٣ .

الأمير إسكندر الخضرم :

بعد أمور يطول شرحها تولى ولاية اليمن اسكندر الخضرم ووصلته بعثة عثمانية تطالبه بالدخول في طاعة السلطان فأذعن لهم وتزياً بزيهم وقلدهم في

كل شيء ، ولهذا فقد قال الواسطي (١) صاحب الأرجوزة التي نظم فيها تاريخ تلك الفترة :

وهكذا اسكندر تروما شعر وصار في دولته مخضراً .

بيد أن الجيش المصري الجركسي لم ينظر — بعين الرضا — إلى هذا الإذعان الظاهري فتنكر لقائده وكاد أن يعلن العصيان — لولا أن القائد كان على جانب من الدهاء فعمل على إحضار أكثر القادة في مؤتمر خاص ، وأظهر لهم أنه لم يفعل ذلك إلا عملاً بمقتضى ما يستدعيه الموقف لأن مصر نفسها أصبحت مقاطعة عثمانية ومع ذلك فهو لا يزال على رأيهم ، وأن الحكم في تهامة اليمن واليمن الأسفل بأيديهم لا بأيدي الأتراك .

ويظهر من مجريات الحوادث أن الجراكسة قبلوا اعتذاره ظاهرياً وأخذوا في العمل ضده سراً حتى تمكنوا من إحكام تدبيرهم الذي انتهى في عام ٩٢٧ بهجوم عليه وقتله وإسناد الأمر إلى شخص منهم يسمى كمال الرومي .

ولاية كمال الرومي :

أقام في الولاية ستين ونصفاً — تقريباً — ثم ثار عليه مؤيدوه بالأمس وقتلوه ، وولوا في مكانه شخصاً منهم يسمى « علي بك الطويل » .

خلف علي « كمال الرومي » ولم تطل مدته في نفس سنة توليه ثار عليه الجراكسة ، وولوا شخصاً منهم اسمه اسكندر متولى .

حسين الثاني والي جدة :

الأمير حسين الثاني نائب جدة تركي الأصل ممن رافقوا السلطان سليم إلى مصر ولاه خيرى بك والي مصر نيابة جدة بعد وفاة نائبها الأمير قاسم الشرواني .

وصل من مصر بوظيفة نائب لجدة فشهد في فرضتها ومستودعاتها عدداً من المراكب والمدافع والآلات الحربية التي كان جهزها السلطان الغوري سلطان مصر السابق مع حسين الكردي لحرب البرتغال فتقدم بها إلى الهند

(١) « الواسطي » نسبة إلى قرية « واسط » : من قرى زبيد له تاريخ منظوم لتلك الفترة .

ثم عاد بها إلى تهامة اليمن - كما أشرنا قبل هذا - ثم رجع بها معه إلى جدة .
ولما علم هذا بحالة الجراكسة في تهامة اليمن من الفوضى والاختلافات بينهم
واستبدادهم بتهامة اليمن رفع إلى والي مصر (خيرى بك) يستأذنه في التوجه
إلى تهامة اليمن للقضاء عليهم فور دته الموافقة ، فتوجه من جدة بحراً في سنة
ست وعشرين وتسعمائة .

وصل إلى جهة زبيد فهم الأمير اسكندر للتصدي لقتاله فعاد إلى جدة

قتل إسكندر المخضرم وولاية كمال بك الرومى :

وصل كمال الرومى إلى تهامة اليمن من مصر مع حملة (سليمان الرئيس)
- المتقدم ذكره - وظل يترقى بها إلى أن تأمر الجراكسة على اسكندر
المخضرم فاستعد للقيام بتنفيذ المأمورية وفي اليوم المتفق على التنفيذ دخل على
اسكندر المخضرم واستأذنه في الاختلاء به وعندما اختلى به قطع رأسه وأعلن
للعوم أن اسكندر كان ضد السلطنة ومنع رسول السلطان الأمير حسين
المتعمد بولاية تهامة واليمن الأسفل ، إلى غير ذلك من المبررات الزائفة وكان
ذلك في سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

وتولى الولاية بعده وخطب للسلطان سليمان ، في زبيد ونواحيها ، وكان
المتولي لأمر تعز الأمير رمضان ، تحت إمرته وبعد مضي سنتين ونصف على
توليته تأمر عليه مؤيدوه بالأمس وقتلوه وولوا شخصاً آخر يسمى (علي بك
الطويل) . - كما سبق الإلماع إلى ذلك قبل هذا -

تولى الطويل الأمر ولم تطل مدته في نفس تلك السنة ثار عليه زملاؤه
وولوا القيادة قائد آخر يسمى (اسكندر شولي) وذلك سنة ٩٣٠ . - كما
أشرنا قبل - وكان في زبيد واليمن الأسفل عساكر من (اللوند) يتطلع قادتهم
إلى الحكم فثاروا على الأمير الطويل ، وقتلوه - كما أسلفنا - وولوا واحداً
يسمى (اسكندر شولي) كما سار جماعة منهم إلى تعز وقتلوا محافظها
(رمضان) وولوا شخصاً منهم وذلك في شهر صفر ٩٣٠ وخطبوا على المنابر
للسلطان سلمان وبهذه للإسكندر ، وكانت الحالة غير مستقرة والفوضى ضاربة

أطنانها فضاير أموال الناس وسامهم أصناف الذل والهوان ، ومع ذلك فأمرهم لا يتجاوز المدن ، والقبائل العربية من أهل البلاد تتولى أمر البوادي وقطع الطرقات وتخيف السبل .

عودة سلمان الرئيس إلى اليمن للمرة الثانية :

وصل سلمان من (مصر) إلى (مكة) في أثناء فتنة وعصيان (أحمدبasha) ثم سار من مكة إلى (جدة) وتفاهم مع نائبها الأمير حسين الرومي على قتال الجراكسة والوند في تهامة اليمن ، وشجعهما على التنفيذ ما يوحد في (جدة) من المراكب والذخائر التي عادت مع الأمير حسين الكردي إلى (جدة) بعد غزوته إلى الهند . ثم تجهز واستقلها إلى تهامة اليمن حسين الرومي—أيضاً—وعاد بها إلى « جدة » .

وفي تلك الأثناء استأنف البرتغاليون نشاطهم في البحرين الأحمر والعربي والمحيط وعادوا إلى التمرکز في جزيرة كمران .

نجم سلمان الرئيس وحسين الرومي العسكر من جدة ومكة الموجودة ورساً الأسطول الموجود في ميناء جدة وأبحرا إلى كمران فطردا البرتغاليين منها وطارداهم في ميناء البحر الأحمر ثم توجهوا إلى ميناء زبيد (البقعة) .

وأرسلا إلى الإسكندر بطالبانه بالطاعة ، فطلب رؤساء الجند وأخبرهم بما وصله فاستعملوا للمقاومة والقتال فاتصل سراً بالقائدين وأخبرهما برغبته في الموافقة لولا تشدد الجند في القتال .

علم القائدان ، أن قوتهما لا تمكنهما من التغلب على القوات التي في (زبيد) فبعثا إلى قبيلتي (يافع) و (المهرة) يطلبان منهم مرتزقة .

كما كتبوا لأمير جازان يطلبان مساعدته بقوة يقودها هو نفسه وبوصول المرتزقة وأمير جازان اتفقوا على ما يأتي :

١ — أن يقف (حسين الرومي) مع احتياطي الجيش في الأسطول لحماية المؤخرة .

٢ - أن يتقدم سلمان الرئيس ببقية الجيش والمرترقة وأمير جازان وجيشه على زبيد .

علم اسكندر وجيشه بتقدم تلك القوات فتقدم لقتالهم فانهم ودخل مدينة زبيد فتقدم الجيش وضرب نطاق الحصار على المدينة وضايقها حتى أرغم المحاصرين على طلب الأمان .

عندها طلب سلمان من أمير جازان الوقوف بجيشه خارج المدينة لحماية ظهره بحجة خوفه من الغدر وضمن له قسمة من الغنائم .

وبدخوله زبيد استولى على الغنائم ولم يف لأمر جازان بالشرط بإعطائه نصيبه ، فنشب القتال بين أمير جازان (عز الدين بن أحمد) و (سَلْمَانُ الرئيس) ورجحت كفة الأمير عز الدين إلا أن استعجال أصحابه للحصول على النهب والسلب مكّن سَلْمَانُ من هجوم مضاد أسفر عن قتل الأمير الجيزاني وهزيمة جيشه .

فعاد سَلْمَانُ إلى زبيد وأخذ في مصادرة التجار ومضايقة الأهالي وسومهم اللذ ، فثاروا ضده فاستدعى (الأمير حسين) لتهديئة الحالة فأخذ الأمير حسين في استرضاء الأهالي واستمالتهم والتقرب إليهم فاجتنبوا (الأمير سلمان) ومالوا إلى (حسين) وشعر (سلمان) بقوة مركز الأمير حسين ومحبة الناس وإقبالهم عليه فخاف وترك زبيد وركب بعض قطع الأسطول وتوجه فاراً إلى مصر وذلك في شهر رجب سنة ٩٣٠ هـ .

وفاة حسين الرومي :

وصف الأمير حسين الرومي بحسن السيرة والرفق بالرقية ، وإنما لم تطل مدته أكثر من نحو سنتين تقريباً وتوفاه الله في سنة إثنين وثلاثين وتسعمائة بعد مرض لازمه ، ووصية سجلها بإنابة مصطفى الرومي على البلاد .

وصول سلمان الرئيس للمرة الثالثة :

وصل سَلْمَانُ إلى مصر وصادف فيها وصول رئيس الوزراء إبراهيم باشا إلى مصر فاتصل به وشكى إليه من زميله حسين الرومي وأخذ في إغراء الوزير

والوشاية به ورغبته في استخلاص اليمن وقتال الإفرنج البرتغال الذين يعثون فساداً في البحر فانتدب معه أربعة آلاف من (اللوند الأتراك) وأسطولا من السفن فأبحر إلى جدة فوصلها في شهر رمضان ٩٣٢ يرافقه قائد للقوات اسمه (خير الدين حمزة) فكث بها إلى أن حج وتوجه إلى تهامة اليمن فوصله بعد وفاة الأمير حسين .

الحرب :

بعث الأمير مصطفى رسولاً إلى سَلْمَانَ الرئيس يستفسر عن أسباب قلوبهم فأجاب الرسول أن السلطان عين (الأمير خير الدين) والياً على اليمن وأن عليه أن يسلمه البلاد ويسلم نفسه لتجهيزه إلى الأستانة ، وبعودة الرسول فهم مصطفى أنه إن سلم نفسه قتله (سَلْمَان) فاستمال الجند الذي لديه وأجزل لهم العطاء فالتفوا حوله وأيدوه فأخذ في استمالة جماعة من (اللوند) الذين وصلوا مع سَلْمَان وبذل لهم جزيل العطاء وأغراهم بالمال فالتحقوا به إلا الأقل فخرج من مدينة زبيد إلى جهة (الصليفي) والتحم القتال بينهم فهزم مصطفى واستمر في هزيمته إلى جهة (عدن) وهزيمته انضم عسكره إلى (سَلْمَان) فاستولى على مدينة (زبيد) وكانت مقر الولاية - آنذاك - فصادر أموال أهل المدينة وأقام بها حاكماً اسمه يونس ، وسار إلى تعز فقتل أميرها ثم سار إلى جهة (إب) و (جبلة) ونهب أموال أهل البلدين .

وكان شخص من (اللوند) يدعى (ابن حمزة) في (الزيدية) فثار عليه الأهالي فهرب ناجياً بنفسه فوصل سَلْمَان واستولى على أمواله .

فالتجأ ابن حمزة إلى حاكم بيت الفقيه (علي القرماني) واتفق رأيهما على التوجه إلى زبيد فسارا بقوة وأخذوا المدينة وطرده الأمير يونس نائب سلمان فأقبل سلمان بقوته واقتحم عليهما المدينة ، وأخذ في قتل من ظفر به وسمل أعين البعض وفر البعض إلى الالتحاق بـ مصطفى في عدن فاشتد ساعد مصطفى بهم ، وخرج من عدن لقتال سَلْمَان .

وعندما علم سلمان بذلك سار لقتاله والتقى الجيشان في (التربة) فهزم

مصطفى وفر فلحقه وقتله سلمان وأسر ابن حمزة فسمّل عينيه كما سمل وقتل أغلب عسكر مصطفى ، وانفرد بالأمر وذلك في سنة أربع وثلاثين وتسعمائة .

الخلاف السلياني وسلمان الرئيس :

كان من ضمن توسع النفوذ المصري الجركسي أولاً والعثماني ثانياً امتدت نفوذها على الخلاف السلياني — منطقة جازان — كسائر جنوب الجزيرة العربية إلا ما قل أو بعد في الصياص والحبال ، ومع أن أمراء جازان ساعدوا الحملة الجركسية — كما تقدم — فلم يكفهم غزو المنطقة وقتل غير واحد من أمرائها — آنذاك — فقد غزاها اسكندر المخضرم كما غزاها سلمان الرئيس في إمارته الأولى وغزاها أيضاً في إمارته الثانية وأقام ابن أخته مصطفى ابن يرم أميراً على المنطقة وربطها مباشرة بسلطته في زيد — راجع ما تقدم من أخبار الإمارة القطيبيّة .

سلمان وخير الدين :

كما وقع بين (سلّمّان) و (حسين الرومي) — كما سبق الإشارة إليه وقع الآن بينه وبين زميله (خير الدين) فقد استأثر سلّمّان لنفسه بكل نفوذ وسلطة وترك زميله صفراً على اليسار ، وكان في أول وصولهما الأمر شوري بينهما ، وإن كان خير الدين هو قائد عموم الحملة ، أما سلّمّان فهو قائد الأسطول فقط ، فصبر خير الدين على مضض ، وإنما بعد انتصار سلمان في معركة الترية وقتل الأمير مصطفى استبد بالأمر ولم يبق لخير الدين أي اعتبار ، وعند ذلك أخذ في التآمر عليه سرّاً .

المؤامرة :

أخذ خير الدين في حبل مؤامرة حصيفة وسريّة ضد زميله (سلّمّان) وعندما سنحت الفرصة بتوجه (سلّمّان) إلى موضع يعرف بجزيرة المحاملة ؟ بعث رؤساء المتآمرين معه للتنفيذ فساروا في سرعة وتصميم إلى جزيرة المحاملة فهجموا على مكان (سلّمّان الرئيس) وقطعوا رأسه وأسرعوا في العودة إلى الأمير خير الدين ، فأرسل خير الدين رؤساء المتآمرين معه مثل (القبطان

ستان) و (كريم الحلبي) و (بالي الحلبي) مع فرقة من العسكر إلى مدينة زبيد ، فاستولوا على المدينة وأسروا أصحاب سَلَمَان وجميع أتباعه بها في أول شهر شعبان ٩٣٥ وبعد ثلاثة عشر يوماً اقتحم عليهم المدينة مصطفى ابن بيرم وقتل القبطان سنان ومن معه .

راجع ما تقدم ، عن غزو (سلمان) منطقة (جازان) وقتله أمير جازان وإلغاء منصب الإمارة المحلية ، وإرسال ابن أخته (مصطفى بيرم) أميراً للمنطقة وربطها مباشرة بإدارته .

تحرك مصطفى بيرم من جازان :

بوصول خبر قتل (سلمان) إلى ابن أخته مصطفى بيرم — كما تقدم سار إلى زبيد واتصل بالخواجة (صقر) نائب خاله على السفن والأسلحة وهو من رجال سلمان المخلصين فاستوزره ، وتقدم وأخذ مدينة زبيد — كما أشرنا —

القتال :

بسقوط مدينة (زبيد) في يد مصطفى بيرم جمع خير الدين من استطاع من الموالين له من القوات وخرج للقتال ودارت المعركة على أشدها بين الطرفين فهزّم جيش (خير الدين) ففر (خير الدين) هارباً فتبعه مصطفى وقتله بيده ، واستولى على جميع البلاد ، واستقر في مدينة زبيد ، وأخذ في مصادرة أموال وقتل من كان من أنصار خير الدين أو من ساعده من الأتراك والجراكسة والأهالي ، وجمع من الأموال الكثير بطريق المصادرة والسلب والنهب والتغريم وبجميع الوسائل ، وبذلك لم تستقر الأمور ، واللوند وأشياء خير الدين يتربصون به الدوائر ، ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه ، فأخذ في تدبير أمره للفرار ، فجمع أموانه وذخائره ، وما استطاع أخذه من السلاح والمدافع ومن يلوذ به من أهله والمخلصين من رجال خاله ، وأناب عنه على البلاد (علي الرومي) من أصحابه المقربين وجعل معه مساعداً اسمه أحمد بك وتوجه إلى جزيرة (كمران) مورياً أنه سوف يقوم ببناء

قلعة حصينة جديدة لدفع عادية الإفرنج البرتغاليين وتوجه مع البنائين ، وآلات البناء وبوصوله أمرهم بمباشرة وضع الأسس ، وعندما حان سفر رجوع المراكب إلى الهند شحن جميع أمواله وأسلحته وأهله ومن يتبعه في سفن الدولة التي وصل بها خاله سلمان الرئيس ومعه الحاجة أسفر وسار إلى الهند وذلك في سنة ست وثلاثين وتسعمائة وظل في خدمة ملوك دلهي أولاً ثم في خدمة همايون شاه آخرأ إلى أن توفي سنة ٩٤٥ .

نيابة على الروى :

في سنة ٩٣٦ ومصطفى بن بيرم كان والياً على الجهة قام الجراكسة واللوند بحركة عضيان يتزعمهم (اسكندر) الذي كان حاكماً لوادبي (سهام) و (ذوال) من قبل مصطفى نفسه فهب (مصطفى) وهو في (كمران) بتجريد حملة لإخماد تلك الحركة فهزمت شر هزيمة ، وعندها تشجع المتآمرون وف في عضد مصطفى فتعجل بسفره إلى الهند - كما أشرنا قبل .

وعندما علم اسكندر برحيله سارع إلى التقدم على مدينة زبيد ودخلها عنوة فأذعنت له جميع تهامة اليمن .

الاسكندر موز :

بخضوع تهامة اليمن لطاعته تجهز لإخضاع اليمن الأسفل فتمسكن من طرد رجال (مصطفى بيرم) من (تعز) و (التعكر) وغيرهما ، ومع ما يشيد به مؤلف البرق اليمني من حسن تدبيره وجميل سيرته فإن مؤرخي المنطقة تذكر عكس ذلك وتصفه بالنزعة الطورانية ، وأنه كان سفاكاً للدماء مبغضاً أشد البغض للعرب الذين بزغ نجم مجده في أفق سمائمهم ، وساد وقاد في بلادهم بعد أن كان جندياً في عسكر الدولة العثمانية ، وقد بلغ من تعصبه الذميم أنه اقتنى من الموالي السود أعداداً كثيرة ، علاوة على أصحابه اللوند ، وسام العرب بهم الذل وأذاقهم مرارات المسكنة والهوان ومع ذلك فقد وصلته المراسيم السلطانية بتأييد ولايته التي استمر فيها ستة أعوام ونصفاً ، وفي أيامه قوي أمر الإمام شرف الدين واستفحل شأنه ، واستولى على كثير من

الجبال اليمنية ، وكان الاسكندر موز يدافع من موقع ضعف حتى أدركته
الوفاة سنة ٩٤٣ وأوصى بأن يخلفه ابنه القاصر تحت وصاية الناخوذة أحمد
وهو رجل من قدماء الأتراك في الجهة .

ولاية الناخوذة أحمد بالوصاية :

هو من قدماء الأتراك الذين وصلوا إلى جنوب الجزيرة فتأثّل من المال
وجمع ثروة طائلة شأن كبار رفقاءه الذين يجمعون المال بشتى الوسائل الحرام ،
وكان من المتنفذين ، تقلب في وظائف الدولة محلياً ولما نَزَرَ اسكندر موز
على الولاية تقرب منه حتى أصبح وزيره ومشيره وأقرب أصحابه إليه فأوصاه
على ابنه وولايته .

وفي أيامه عظمت قوات الإمام شرف الدين وتكاثرت جيوشه فبعث
قواته إلى مدينة زبيد فحارب عليها نطاق الحصار أياماً حتى تمكن الناخوذة
أحمد من استقدام نجدات من جهات عدن وأنحاء تهامة والتحم القتال ضارياً
بين المعسكرين فهزم جيش شرف الدين منسحباً إلى القسم الجبلي وذلك في
آخر سنة ٩٤٣ . واستمر الناخوذة أحمد على الولاية حتى وصل سليمان باشا
الحادم سنة ٩٤٥ .

الفصل السابع

المهد الأول للأتراك في جنوب الجزيرة

في القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن العاشر الهجري امتدت فتوحات « البرتغال » إلى الهند وبذلك انصرفوا عن طريق مصر التي تنقل عن جهتها تجارة الهند إلى السويس ومنه إلى الإسكندرية لتبحر إلى أوروبا عبر البحر الأبيض ، وصاروا يقصدون رأس الرجاء الصالح في المحيط الأطلنטיكي الأمر الذي أضر بمصالح تركيا الاقتصادية .

وكان قد سبق أن استولت تركيا في عهد السلطان سليم على مصر في عام ٩٢٤ ، وفي عام ٩٢٩ هـ بناء لما سبق أمر السلطان العثماني واليه بمصر بإنشاء أسطول قوي في البحر الأحمر وإرسال حملة جربية بحرية من السويس لمحاربة البرتغاليين وإرغامهم على إعادة الطريق التجاري إلى مصر .

وصل الأسطول العثماني إلى عدن في عام ٩٤٥ واستدعى قائده سليمان باشا أمير عدن عامر بن داود الطاهري لزيارة سفينة القيادة فلبى الأمير العربي الدعوة وصعد السفينة ، وقبل أن يستقر به المقام أمر القائد بقتله ونصب جثته على السارية ، ومن ثم أنزل جنوده فاستولت على عدن بدون قتال وتأثر كل من يمت إلى الأمير بقرابة قتلا .

بعد الاستيلاء على عدن بتلك الطريقة الغادرة أناب على إدارتها أحد ضباطه المسمى « بهرام » وأقلع أسطوله إلى الهند .

وبعد انقضاء مهمته - تلك المهمة التي لم تكمل بالنجاح نظراً لتخوف ملك الكجرات محمود بهادر شاه ، من غدره لما سبق من عمله الغادر مع أمير عدن مما أوجب محمود بهادر شاه مؤخراً للاتحاد مع البرتغاليين ضد القائد العثماني فانسحب هذا عائداً إلى عدن وبوصوله إليها كتب له ملك الشحر طالباً ضم بلاده إلى أملاك الدولة العثمانية .

أقلع القائد العثماني من عدن عائداً إلى مصر ماراً بسواحل اليمن .

ودخل ميناء « المخا » وطلب من الناخوذة أحمد - راجع أخبار الجراكسة - الدخول في التبعية العثمانية فلم يستجب لطلبه فأبحر إلى ميناء الصليف وأنزل بها قسماً من جيشه بقيادة أحد مرافقيه المدعو « سنان » وأمره بالتقدم إلى زبيد فالتقاه الناخوذة أحمد خارج زبيد ونشب بينهما القتال فانهزم الأخير وتحصن في مدينة زبيد ، فحضر عليه سنان الحصار حتى عدت الأقوات وضيق عليه الخناق حتى أرغمه على طلب الأمان واستلم المدينة ، ثم ألقى القبض عليه وأعدمه شنقاً مع جملة من رجاله الجراكسة ، وبذلك ضم اليمن إلى أملاك الدولة العثمانية •

إن العربي ينفر بطبعه العربي الأصيل من الغدر ويمقت مقترفه لذلك فإن القبائل العربية العدنية تأثرت لقتل أميرها من الحامية التركية واتفقت مع البرتغاليين ضد الأتراك .

وصلت الأخبار إلى الأتراك فأرسلوا في نفس العام أسطولاً حربياً للبحر الأحمر تحت قيادة « بيري » فاسترد عدن ، ثم استولى على مسقط وجزيرة هرمز ، وأرسل بالبشائر إلى القائد العام سليمان باشا الم رابط في ميناء الصليف الذي اعتبر أن مهمته الرئيسية قد انتهت فأسند ولاية اليمن إلى مصطفى المعروف « بمصطفى غزة » وأقلع عائداً من حيث جاء .

الوالي مصطفى غزه (١) :

أرسل هذا الوالي نوابه إلى الأقسام التهامية ومنها جازان ، وذلك في شهر ذي الحجة عام ٩٤٥ .

(١) وذكره صاحب العقيق اليماني باسم مصطفى النشار وأنه وصل لولاية اليمن في عام ٩٤٨ هـ ووصفه بأنه صاحب شدة على مديري النواحي وأن مركزه كان مدينة زبيد ، وأشار إلى أنه وصل إلى اليمن ثلاثة مرات :

١ - المرة الأولى من عام ٩٤٨ إلى عام ٩٥٣ أي خمس سنوات ، وكان والياً على اليمن مركزه مدينة زبيد .

٢ - وصل في أيام « ازدمر » للصلح بينه وبين المطهر .

٣ - وصل إلى اليمن وتوفي في مدينة زبيد .

وفي عام ٩٤٦ أخذ الأتراك في عملية التوسع في اليمن فوق التصادم المسلح بينهم وبين الإمام شرف الدين ، وقرروا - وهم في مستهل عملهم التوسعي - استعمال الأساليب السياسية راجين بلوغ أهدافهم لعلها توفر لهم الرجال - الذين هم في أمس الحاجة إليهم - لأنهم إلى هذا التاريخ لم ترددهم الإمدادات الكافية من الرجال ، لذلك أرسل الوالي شخصاً منهم معروفاً بسعة الحيلة والمكر والدهاء يسمى حسن^(١) البهلوان إلى الإمام شرف الدين

(١) ذكر صاحب العقيق اليافى بصحيفة ١٢٢ مخطوط ما نوره بتصرف: في رجب ٩٥٣ وصل إلى اليمن الباشا أويس بن سليمان خلفاً لمصطفى النشار ، وفي شهر شوال من السنة نفسها سار أويس على رأس حملة إلى الجبال فاستولى على تمز يوم الثلاثاء ١٠ ذى الحجة ٩٥٣ ، ومن تمز - التي جعلها مركز انطلاق - استولى على جميع بلاد الشافعية في الجبال اليمنية ، وفي ٩٥٤ سار من بلاد الشافعية إلى بلاد الزيدية ، فلما وصل إلى وادي حيان ، تأمر المدعو حسن البهلوان مع رفقاته من رجال الحملة وقتلوه ، وذلك في جمادى الأولى ٩٥٤ .

علم المسكر يقتل أويس باشا فطلب أكثرهم الرحيل إلى ذمار - التي يتولى إدارتها « ازدمر » للتشاور معه حول من يخلف أويس في مركز الولاية ويلوح أن حسن البهلوان كان يطمح إلى المركز ، ويؤمل أن ازدمر سوف يساعده في تحقيق أمنيته ، بيد أنه بوصول المسكر إلى ذمار واتفاق حسن البهلوان ورفقته بازدمر خاب ظن البهلوان لأن ازدمر يرى نفسه أحق من كل إنسان بمركز القيادة والولاية ، وبعد المشاورات السرية بين بعض قادة الحملة وازدمر - وبدون اطلاع البهلوان طبعاً - قرروا اسناد الاتهام بحسن البهلوان وأنه هو المتهم بقتل أويس باشا ، وبذلك يعد خارجاً عن طاعة السلطان ، فمن كان في طاعة السلطان فليستظل بعلمه ، ومن كان خارجاً عن الطاعة ومشايماً لحسن البهلوان فليبق معه عندها شعر البهلوان بما دبر ضده في الخفاء - وانحاز أكثر الجنود إلى العلم السلطاني ، ولم يبق مع البهلوان إلا الأقل من خاصة سار بهم إلى الإمام شرف الدين .

وصل حسن البهلوان إلى الإمام شرف الدين وأظهر له حسن الطاعة حتى اكتسب ثقته وكان بارع التمثيل ويقول صاحب العقيق بصحيفة ١٢٣: أظهر البهلوان الطاعة للإمام والتفاني في محبته ، وكان لا يجلس في حضرة الإمام بل كان يتمثل قائماً بين يديه فإذا تنخم الإمام أخذ النخامة في إحرامه ومسح بها وجهه فاستمال بذلك قلب الإمام ويمثل هذا المكر والتفاني مثل دوره المشين حتى شعر بتحريك ازدمر وجيشه من ذمار لقصد محاصرة صنعاء فأقبل بصناديق (١) محكمة الاقفال ثقياة الحمل وأدخلها إلى بيت الإمام وقال له : قد عرفت محبتي وصدق ولائي وهذه خزانتي أضعتها بين يديك برهاناً على صدق اخلاصي ، فقال له الإمام : قد عرفنا نصحك فبماذا تشير علينا ، فقال : الرأي يامولاي أن تجهز لي جيشاً أقاتل به عدوك وعدوى ازدمر قبل أن يصل ويحصرنا جميعاً في هذه المدينة ، ويقول أيضاً صاحب العقيق إنما قصد خديعة الإمام بذلك وتسهيل الفرار لنفسه إلى زبيد للإلتجاء إلى الأمير حيدر التركي أمير زبيد الذي يشايه على رأيه =

فاستطاع أن يبذر الشقاق ويوقع الفتنة بينه وبين ابنه المطهر — راجع الفصل الخامس بأئمة الزيدية — نشب القتال مروعاً بين الإمام وابنه واشتغلا ببعضهما عن أخذ الأهبة والاستعداد للعدو الغازي المتربص فسنحت له الفرصة فأخذ في الزحف والتوسع إلى سنة ٩٥٢ ، والإمام وابنه محتدم القتال بينهما ، فرأى بعض العقلاء ما يجره هذا القتال من الفناء والإبادة للأمة على مذهب المطامع الشخصية والأثرة الفردية ، فسعوا للصالح بينهما وانتهى على تنازل الإمام شرف الدين لابنه المطهر .

استمر مصطفى غرة على ولايته حتى عزل عام ٩٥٣ ، بأويس باشا .

أويس باشا :

وصل إلى اليمن خلفاً لمصطفى في عام ٩٣٥ ، وفي شهر شوال من تلك السنة سار على رأس حملة من زبيد إلى القسم الأعلا فاستولى على تعز يوم الثلاثاء الموافق ١٠ الحجة ٩٣٥ وجعل من تعز قاعدة لغزو البلاد المحاورة وتمكن من الاستيلاء على جميع بلاد الشافعية .

وفي عام ٩٥٤ سار إلى بلاد الزيدية ، وفي طريقه تأمر عليه رجال الحملة وقتلوه في وادي حبان ، واختلف المتآمرون فيما بينهم فيمن يلى القيادة ، وأخيراً أجمع رأيهم على قصد ذمار التي كانت تحت سلطتهم ، وينوب على إمارتها أزدمر ، وهناك تمكن أزدمر من التغلب على العناصر الطامعة في تولى القيادة وتولى هو نفسه رئاسة الحملة .

= ضد أزدمر الذى قد استال المساكر وتولى القيادة العامة في القسم الجبل ، وأنه عند وصوله إلى زبيد يضمّر الاستيلاء على تهامة فجهز له الإمام جيشاً وتوجه على رأسه صوب ذمار ، وبعد خروجه من صنعاء نقض طاعة الإمام وسار بالجيش إلى زبيد ، وإن الإمام لما اطلع على خيائته فتح الصناديق فوجدها مملوءة حجارة فتحقق حينئذ من خيائته .

علم أزدمر بتحرك البهلوان من صنعاء على رأس ذلك الجيش ، وأنه يقصد زبيد ، فبعث على جناح السرعة حملة خفيفة الحركة تحت قيادة أمير يسمى موسى ليسبق حسن البهلوان على زبيد ، وفعلت تلك الحملة واستولت على زبيد علم البهلوان بسقوط مدينة زبيد في يد قوة منافسه ، فصرف وجهته عن زبيد إلى شمال تهامة وتسامعت القبائل بفشله فتألبت ونهبت أكثر سلاح أصحابه وقتلوه .

أزدرم :

تولى أزدرم قيادة الحملة وسار قاصداً صنعاء ، وكان قد عرف نقطة الضعف في موقف المطهر وما بينه وبين إخوانه وقرابته من الشحاء والمنافسة فاستغلها خير استغلال ، واتصل سرّاً بكل من يهيمه الاتصال به ، وأثمرت تلك الاتصالات في توسع شقة الخلاف وتفرقة الآراء واستئالة القلوب والوقوف على مقدار قوات المطهر .

وتقدم أزدرم بعد كل ذلك ، فكان الرجحان في كفهم . وكل ما يهيمه الاطلاع عليه من الوجهة الحربية ، وأشهر موقعة التحم فيها مع المطهر هي معركة يوم قاع صنعاء وانتهت بانسحاب المطهر إلى ثلا ودخل أزدرم صنعاء من خندق « باب السبخة » بمعاونة رجال الطابور الخامس ، وقتل في صنعاء نحو ألف نسمة ونهبت الدور وخُذِشتِ الأعراض ، وبعد ثلاثة أيام نادى بالأمان .

وبسقوط (صنعاء) توطد مركز الأتراك في الجبال وتم لهم الاستيلاء على كثير من البلاد (والمطهر) يقاوم مقاومة يائسة لا تجدي نفعاً واستمر الحال على ذلك المنوال إلى عام ٩٥٤ .

أما عز الدين أخو المطهر فبعد محاصرته للحامية التركية في أبي عريش وإحراقه للمدينة المذكورة على تلك الصورة التي وضحناها في الفصل الخاص بتاريخ تهامة في عهد الأتراك - ووصول الخبر إليه بسقوط صنعاء بيد أزدرم وأن أخاه ارتفع إلى ثلا انسحب مسرعاً إلى صعدة فوجد الناصر صاحب الجوف قد استولى عليها باسم الأتراك فتوجه إلى ظفار وهناك تعقبه الناصر وضرب عليه الحصار واستمال أهل حصن ظفار بالمال فقبضوا عليه وسلموه له ، فأرسله إلى أزدرم الذي أرسله بدوره إلى الآستانة .

وفي عام ٩٦٠ خرج أزدرم من صنعاء في رحلة تفتيشية متفقداً شئون البلاد إلى ذمار ومنها إلى تعز ومنها إلى زبيد ثم إلى بيت الفقيه وطلع إلى ريمة فبَرَعَ واستولى على بعض الحصون وتوجه إلى لعسان، ومنه نزل إلى أبي

عريش فوصله في ٢٠ صفر عام ٩٦٠ فوطد الأمور وأصدر العفو عن الخارجين على النظام ، وخفف الضرائب عن أهالي إقليم جازان وقفل عائداً منها إلى تركيا في ١٥ ربيع الأول ٩٦٠ فكانت مدة ولايته لليمن ٩ سنوات و ٦ أشهر .

مصطفى النشار للمرة الثانية :

وصل إلى اليمن برّاً فدخل مدينة أبي عريش في شهر المحرم ٩٦٢ وأقام بها أسبوعاً ، أصدر أمره في خلاله بشتق الرئيس محمد بن معبد ثم سار إلى زيد بعد أن ولي إبراهيم كرد مديراً لإقليم جازان فوصل إلى زيد يوم غرة صفر ومنه قصد تعز فأقام به خمسة أشهر ، ورجع إلى زيد فتوفي بها يوم ٢٠ شعبان عام ٩٦٣ وأوصى بأن يخلفه الأمير سلمان فنازعه أحد القواد المدعو عبد ربه وتغلب عليه إلى أن وصل وال جديد من تركيا استمر على ولاية اليمن إلى عام ٩٦٧ وعزل بمحمود باشا :

محمود باشا :

تولى اليمن في عام ٩٦٧ واستمر إلى أن عزل برضوان باشا عام ٩٧٣ (راجع أخبار اليمن في عهد الأئمة) .

رضوان باشا :

وصل إلى صنعاء ، فازداد أمر المقاومة ، ونشط رجال اليمن تحت راية المطهر ، وأذاقوا الأتراك أمر النضال ، فرأى رضوان ، رأي من سبقه ، بأنه لا نجاح ولا قضاء على المقاومة إلا بالقضاء على المطهر فشن عليه الحرب السافرة ؛ وفي أثناء ذلك ورده الأمر بالعزل فنشط المطهر وبث سراياه في القسم الجبلي وقطع المؤن عن صنعاء ، وأكثر المدن الجبلية .

مراد باشا :

تولى ولاية اليمن عام ٩٧٤ وأراد أن يكمل عمل سلفه ويقتني أثره في شن الغارات على المطهر فهزم في الشلال وخر صريعاً في تلك المعركة وبالقضاء عليه تمكن المطهر من دخول صنعاء عام ٩٧٥ وطرده الأتراك من أغلب المنطقة

الجبليّة وحررها من نيرهم — كما كان يطلق عليه —

حملة سنان باشا :

وصل على رأس الجحافل التركيّة المزودة والمدججة بأحدث الأسلحة الجهنميّة في عصرها ، فدكت مركز المقاومة دكاً ، وتم لها النصر والغلبة بعد أن سالت الدماء أنهاراً فرتب سنان الإدارة وجعل عليها برهام باشا والياً في عام ٩٧٧ وتوجه إلى الحج ومنه إلى تركيا . .

ولاية برهام باشا :

أقل ما يوصف به هذا الوالي الفظاعة والتعجرف وسفك الدماء ، ولذلك كثرت الفتن في عهده ووقع العصيان عليه من بعض جنوده وساءت الأحوال واضطرب الأمن .

وفي عام ٩٨٢ توفي الخليفة العثماني سليم الثاني فخلفه ابنه مراد الثالث ، فأصدر أمره في عام ٩٨٣ بعزل برهام باشا وتعيين مصطفى باشا ، وفيما برهام يتّهيأ للعزل من مدينة تعز وافاه خبر موت خلفه فبقى على ولايته وشدد النكير على المتذمرين من عهده وقتل من تسبب في شكواه .

وفي نفس تلك السنة علم الخليفة العثماني بوفاة مصطفى باشا فأصدر أمره بإرسال مراد باشا فتوجه على جناح السرعة فوصل صنعاء في نفس السنة واستقر على ولاية اليمن إلى عام ٩٨٩ .

حسن باشا :

وصل إلى اليمن خلفاً لمراد باشا في عهده ٩٨٩ وفي أثناء ولايته تمكن من القبض على الإمام الحسن بن داود وأخيه وبعث بهما إلى الآستانة واستولى على ثلا ومدع وعفار وذوي مرمر والشرفين الأعلى والأسفل وصعدة وقضى على معركة المقاومة في الجبال فترة من الوقت ثم استؤنفت بقيام الإمام القاسم ونشب القتال بينه وبين الوالي حسن باشا ، وقد توجه الوالي المذكور إلى تركيا وأُتَاب في مكانه مساعده سنان باشا واستمرت نيابته على اليمن إلى

عام ١٠١٧

جعفر باشا :

وصل والياً لليمن ، ثم تجهز لمحاربة الإمام القاسم ، واستولى على أكثر الجهات التي تحت يده ، ولم يزل على ولايته حتى عزل في عام ١٠٢٣ بإبراهيم باشا الذي توفي على أثر وصوله بمدينة زبيد فبقى جعفر باشا على الولاية إلى عام ١٠٢٥ .

محمد باشا :

وصل إلى اليمن خلفاً لجعفر باشا ، وكان من الولاة القلائل الذين ظفروا بثناء المحكومين لما يتصف به من حسن الإدارة وبعد النظر والتقدير الصائب ، وكان من مساعيه الموفقة الصلح الذي تم بين تركيا والإمام القاسم وعزل في عام ١٠٣١ بفضل باشا .

ولاية فضلى باشا :

في ولايته انتفض الصلح المبرم بين الأتراك وأولاد الإمام القاسم وعزل بحيدر باشا عام ١٠٣٣ .

حيدر باشا :

استقر في منصب ولاية اليمن ونار الحرب مشتعلة الأوار في اليمن الأعلى وفي عام ١٠٣٦ استولى الإمام المؤيد على أكثر البلاد اليمنية .

وفي عام ١٠٣٩ وصل من مصر عن طريق الحجاز القائد قانصوه على رأس عشرة آلاف جندي ، وفي عام ١٠٤٣ استولت الجنود الإمامية على جميع أقطار تهامة — ما عدا زبيد والمخا وموزع التي رابطت بها فلول القوات التركية وفي عام ١٠٤٥ هرب قانصوه — السابق ذكره — من معسكر الأتراك بزبيد إلى الحما — شمال شرق أبي عريش — في طريقه إلى الحجاز ثم مصر — فاتفق في الحما بابن الإمام ثم والى سيره .

وفي تلك السنة نفسها سلم الأتراك للإمام زبيد ، وفيها انتهى أمر الأتراك من اليمن — راجع تاريخ الأئمة —

وهذا ينتهى الدور الأول للأتراك في اليمن .

الفصل الثامن

المخلاف السليماني

في العهد الأول للولاية الأتراك

استولت الدولة « التركية » في عام ٩٤٥ على تهامة ، فأناوب القائد البحري على ولاية زبيد مصطفى غزة فبعث هذا نوابه على البلاد التهامية ومنها جازان . وفي عام ٩٤٦ توجه من زبيد لقصد الحج واستصحب معه محملاً يميناً تضرب أمامه الطبول وتنفخ الأبواق مما يتنافى مع جوهر الإسلام وتعاليمه السامية ، وقد استمر تسيير هذا المحمل سنوياً من قبل الولاة الأتراك في زبيد ثلاثين عاماً ونيفاً .

في عام ٩٤٦ تعين الأغا ازدمر مديراً لإقليم « جازان » ويقول صاحب الجواهر الحسان : في هذا العام فتح الله بولاية الباشوات رحمة لأهل اليمن وتهامة مما اعتادوه من ظلم اللوند - الجراكسة - وجورهم ويحدد الوضع السياسي لليمن في ذلك التاريخ على الوجه الآتي :

- ١ - من تعز إلى جازان تحت إدارة الأتراك المباشرة .
- ٢ - من تعز وشمالاً ما يوازي المنطقة الجبلية إلى صعدة للإمام شرف الدين وصل أزدمر إلى إقليم جازان واتخذ مدينة أبي عريش مركزاً لإدارته وأنشأ مسجده الذي في آخر محلة العين وحفر وعمر البئر المشهورة باسمه بين المحلة المذكورة ومدينة أبي عريش .

واستمرت إدارته إلى عام ٤٩ فتعين مصطفى عبد الله القصير خلفاً له إلى نهاية عام ٩٤٩ وعزل هذا وتعين « مؤمنة » التركي في الإدارة وعزل في نهاية العام بحسن البهلوان .

ضمن أو التزم حسن البهلوان إقليم جازان من الوالي مصطفى باشا النشار في عام ٩٥١ وفيه توفي العلامة الزين بن الأمين شافع الساكن في قرية « الباهر » وكان له منزلة علمية ونفوذ ديني في وادي صبيا .

الأمراء الخواجيون

آلت إليهم الرئاسة في وادي صيبا بعد الأمراء الذروات ، أورد العلامة النمازي في مؤلفه « السلاف في تاريخ صيبا والمخلاف » بإسناده عن علي ابن هادي المنسكى أن أول من اختط مدينة صيبا الحالية هو الأمير دريب ابن مهارش الخواجي عام ٩٥٨ - وكانت قبل ذلك مساكنهم في أطراف الوادي من الغرب في مكان يسمى « أبو دنقور » وأول من تولى الرئاسة منهم هو عيسى بن حسين الخواجي المتوفي عام ٩٥١ وخلفه على الرئاسة دريب ابن مهارش .

في السنة الأولى من عهد حسن البهلوان أغار الأمير عز الدين ابن الإمام شرف الدين ، وأقام في « السنبوق » أسفل درب جازان المشهور من شهر رجب إلى أول شهر رمضان .

سأمت أحوال إقليم جازان في عهد حسن البهلوان الذي اختط منهجاً في الظلم والعسف يفوق حد التعبير فصادر أموال المتسبيين وروع الآمنين ، ففر الناس ناجين بأنفسهم إلى الجبال والأماكن القصية ورفعت الشكاوى إلى والي زبيد فوصل الأمير أزدمر للتحقيق وفتح باباً للمتظلمين واستخرج من البهلوان ما ثبت عليه لأهله وانتهت مهمته بعزل حسن البهلوان وتعيين يحيى أرتبون في عام ٩٥٢ .

وفي تلك السنة توفي الزاهد المشهور « أحمد بن عثمان الزيلعي » الملقب بصاحب المساوك .

الغارة الثانية للأمير عز الدين بن الإمام شرف الدين على جازان :

عزل المدير يحيى أربون بمدير آخر اسمه « بيرم » فأتاب هذا عنه شخصاً يدعى الأحور ، وفي شهر جمادى الآخرة ٩٥٤ نزل الأمير عز الدين على رأس قوته وحاصر الأحور في قلعة جازان خمسين ليلة ، وفي أثناء ذلك بلغه أن للأتراك المحصورين ودائع عند آل الحكمي فطالبهم بتسليمها فأنكروا فاشتد غضبه وتكشفت حماقته عن تلك الغلطة الشنيعة والتصرف السيء ونكتني هنا

بوصف صاحب « العقيق البماني » لذلك الحادث المحزن قال : أمر الأمير عز الدين بإحراق مدينة أبي عريش وإخراج أهلها إلى « المدب » فأخرج أهلها وأحرقت المدينة ، إلى أن قال : وسار الناس إلى المدب ، وكان الأكثر يمشي على رجله ويحمل على ظهره الأطفال والضروري من المتاع ، فانتهكت الحرمات وأسقطت الحوامل ، ومع كل ذلك كله لم يظهر للأمير عز الدين شيء من الأموال التي ظنها فلا حول ولا قوة إلا بالله ، كان وقوع هذا الحادث المحزن في أول شهر رجب ، وفي اليوم العاشر منه وصلته الأخبار بسقوط مدينة صنعاء في يد الأتراك وأن والده وأخاه فرا إلى « ثلا » فانكفأ مسرعاً إلى « ثلا » فلم يتمكن من دخولها لأن الأمير ناصرًا صاحب الجوف ، قد استولى عليها فتوجه إلى ظفار فطارده ناصر الجوفي وضرب عليه الحصار حتى استسلم فقبض عليه وأرسله تحت الحراسة إلى القائد التركي أزدمر في صنعاء وقام القائد التركي بإرساله إلى تركيا وتوفي في طريقه إليها بساحل ينبع .

وبعد انسحاب الأمير عز الدين أمر المدير التركي بجازان بهدم :

١ - جامع جازان .

٢ - قبة الأمير أحمد بن دريب .

٣ - هدم كل بناية قريبة من القلعة .

لأن جنود الأمير عز الدين في أثناء الحصار كانوا يرتقون سطح الجامع وفوق المنارة والقبة ويرمون على الأتراك المحصورين بالبنادق والمنجنيق .

في ٢ من شهر شوال عام ٩٥٤ وصل فرحات باشا إلى جازان في طريقه إلى اليمن ، وفي ١٨ ربيع الأول ٩٥٥ وصل المدير فرحات الزنكي الملقب بالسكران إلى أبي عريش مديراً لإقليم جازان ترافقه قوة عسكرية فأكثر من الغارات والغزوات التأديبية فأثار بعمله ثائرة رؤساء العشائر ورجال القبائل وكانت كنتيجة لتلك الغارات الإرهابية وقعة « حنر » .

وقصة حنتر (١)

هي في أساسها حملة من الحملات التأديبية في نظر ولاية الأتراك الظالمين ، وقد نشطت تلك الحركات في عهد المدير فرحات السكران ، ويظهر أنه طالب الخواجين رؤساء « صيباً » بدفع العوائد الحكومية فلم يجد لديهم الاستجابة فجمع قواته وتحرك صوب وادي صيبا وتآلف قوته من :

٢٠٠ من الفرسان .

٣٣٠ من حملة البنادق .

علم الأمير دريب بن مهارش بتحرك المدير التركي فأخذ في الالهبة والاستعداد واستنخى قبائل وادي صيبا والمخلاف فتبادرت اليه في جموعها الحاشدة فتقدم بهم إلى « حنتر » الذي قد عسكرت فيه الحملة ، وكانت قوات رجال القبائل تتألف من :

٢٠٠ من الفرسان .

٢٠٠٠ من الرجال المشاة .

التحم القتال وشدت رجال القبائل العربية الباسلة الحملة ذيادة عن النفس والعرض - لما يفهمونه من مبادل الأتراك وفجورهم ، تدفعهم الغريزة الدينية والحمية العربية ، فولى الأتراك الأدبار فتأثرتهم رجال القبائل قتلاً وسلباً وبذلك الانتصار تحطمت هيبة الحكومة واستضرى رجال القبائل فعاثوا يقطعون السبل ويخيفون السابلة .

عاد المدير التركي مهزوماً إلى أبي عريش وكتب إلى مرجعه بزيبيد بالحادث مجسماً خطر وعصيان قبائل صيبا والمخلاف مبرراً هزيمته بما عن له من المبالغة والتهويز .

استدعاء الأمير عبد الوهاب القطبي

انقطعت المواصلات بين صيبا وأبي عريش وغيرها من أجزاء المخلاف السلياني واضطرب الأمن وعاث رجال القبائل يقطعون السبل فاجتمع أعيان

(١) حنتر بضم الحاء على وزن بلبل موضع قريب من قرية الحسيني .

وادي صبييا ومخلافها لتبادل الرأي ووضع حد لتلك الفوضى وأجمع رأيهم على استدعاء الأمير عبد الوهاب القطبي نظراً لسابقة تلك الأسرة في الامارة لتوليته أمرهم عسى أن يكون من وراء ذلك ما يرقع الفتق ويحقن الدماء ويضفي الأمن .

توجه وفد من صبييا إلى قرية البداح ، وقابل الأمير عبد الوهاب وعرض عليه قرارهم فوافق وعاهدوه على الطاعة وحسن الانقياد وأنهم يبذلون أرواحهم ودماءهم في سبيل اخراج الحامية التركية من أبي عريش لتكون مقرأ لآمارته .

الامدادات تصل من زبيد :

وصلت كتب المدير فرحات السكران إلى الوالي التركي بزبيد فجرد حملة قوية بقيادة « فرحات الجمليات » وفي يوم ١٨ جمادى عام ٩٥٥ دخلت مدينة أبي عريش وفكت الحصار المضروب على فرحات السكران ، وبعد أن استجمعت ثلاثة أيام تحركت إلى صبييا .

وقعة المحجاة :

تقدمت الحملة التركية صوب صبييا فالتقاها رجال المخلاف السليمانى وعلى رأسهم الأمير عبد الوهاب والرؤساء الخواجية والتحم القتال فانهزم الأتراك وتأثرهم رجال القبائل قتلاً وأسرّاً وسلباً إلى غرب ساحة مدينة أبي عريش فلم يسع الأمير فرحات إلا الرحيل بين من بقى من رجاله إلى قلعة جازان والتحصن بها انتظاراً للمدد ، فكانت المدة بين واقعي (حنتر) وهذه الوقعة ٥٤ يوماً .

قتل المدير فرحات السكران :

تحصن المدير فرحات في قعة جازان^(١) وظل يشن الغارات على أبي عريش وأقلق بال الأمير عبد الوهاب فأعد له كميناً تمكن من قتله والفتك

(١) قلعة جازان الاعلا .

بأكثر رجاله في فجر يوم الجمعة ١٢ رجب عام ٩٥٥ وسحب جثمانه إلى طرف الحلق (بحاء مهملة ولا م وقاف مثناة موضع شرقي أبي عريش) ودفن هناك.

وقعة الأربعاء :

وردت الأخبار إلى زبيد بقتل المدير فرحات كما أيد ذلك ورود التوضيح من الشيخ محمد بن معبد مطالباً في الإسراع بإرسال حملة فجرد الوالي حملة قوية بقيادة الأغا فرحات العمليات والأغا عبد ربه تتألف من :

٥٠٠ فارس .

٥٠٠ من المشاة حملة البنادق .

وقد تلقاها الشيخ محمد بن معبد ليكون الدليل لها في طريقها إلى أبي عريش وفي ليلة الثلاثاء الموافق ٨ شعبان ٨٥٥ دخلت قلعة جازان العليا ولبثت إلى مساء الأربعاء يدير قائدها مع محمد بن معبد أوجه الرأي وقد هالتهم الجموع المحتشدة في أبي عريش وهدتهم الحيلة إلى أن يكتب الأخير كتاباً إلى الخوارجين وأهل صبيا ومخلافها يتضمن النصيحة والتحذير ، وأن الأتراك مصممون على مهاجمة صبيا وقتل الرجال ونهب الأموال ولهذا فهو يتقدم اليهم بالتحذير والنصيحة حتى لا يؤخذون على غرة ، وأن يبادروا للندود عن الحياض والذب عن الأعراض .

وصل الكتاب إلى أعيان صبيا المرابطين في أبي عريش هم وجل قبائلهم فأثار موجة من الرعب وبلبله الخواطر وسارع أكثرهم إلى الرحيل من فور الساعة وبقي من بقي .

عباً الأمير عبد الوهاب رجاله وبعث عيونهم لمراقبة حركة الأتراك ووجهة سيرهم فعادت إليه فجر يوم الأربعاء بتحركهم إلى أبي عريش .

خف الأمير إلى تعبئة قواته وحشد رجاله وتوزيعها على جناح السرعة ، وأقبلت قوات الأتراك موزعة على الوجه الآتي :

١ - قوات الميسرة في مواجهة الأمير عبد الوهاب في شمال المدينة .

٢ — الميمنة من الجهة الشمالية للمدينة .

٣ — القلب وقد هاجم المدينة من الغرب .

دارت رحا المعركة ونشب القتال حامياً بين الطرفين فهزمت القوات المدافعة هزيمة منكورة ولم تجد لها منفذاً للخروج فالتجأت إلى صف آل الحكمي مستليذة بحرماتهم الدينية ، وبلغ عدد القتلى من أهل صبيبا ألف وثمانمائة قتيل ، وقام آل الحكمي بمهمة جمعية (الهلال الأحمر) في حماية الملتجئين ومواراة القتلى فعجزوا عن دفنهم فاستعانوا بالبقر والحارث حتى أقاموا عليهم ربوتين عظيمتين غربي بئر الباشا « ازدمر » قبل مدينة أبي عريش وبعد ظهر ذلك اليوم أشرف قائد الحملة التركية من حصن الامارة ومعه محمد ابن معبد ، وفي تلك الساعة خرج الأمير عبد الوهاب متنكراً ليغادر المدينة فرمقه محمد بن معبد فأشار إلى القائد التركي قائلاً : الأمير عبد الوهاب ، فأمر من يخرج اليه ، فأدركه الجند وقتلوه (تغمد الله برحمته) .

انتهت المعركة بتلك النهاية المحزنة ، وظل ذلك اليوم يضرب به المثل في المخلاف السليمانى .

مكث القائد التركي في أبي عريش إلى نهاية شهر شوال ٩٥٥ يهدىء الأمور وانسحب عائداً إلى زبيد .

الأمير عيسى بن المهدي :

قام بعد مقتل أخيه يشن الغارات ويتابع الغزوات على مدينة أبي عريش حتى أقلق راحة السكان وأخاف الآمنين وبدلاً من أن يوجه مجهوده الحربي إلى الأتراك — قتلة أخيه — جعل هدفه ووجه همه إلى السكان الوادعين .

ضاق سكان المدينة ذرعاً بغزواته ولم يجدوا من الأتراك — المتحصنين داخل معاقلهم — كبير عناء في دفع شره فاختل الأمن في المخلاف وقطعت السبل وأخيراً « صبح » مدينة أبي عريش وأحرقها ، فخرج أهلها وتشتوا في النواحي الآتية :

١ — رحل أكثرهم إلى حلي ابن يعقوب .

٢- رحل بعضهم إلى الحقار .

٣- رحل بعضهم إلى طشة .

وتخلف الفقراء والمعوزون لعجزهم فخرج بهم أبو القاسم بن محمد الحكمي وكان من العباد وذوي التقوى إلى « جورا » ولم يعودوا إلى المدينة في نهاية العام .

في أول عام ٩٥٩ وصل الاغا (طاشفين التركي) مدير آ للمخلاف وجعل مركزه مدينة أبي عريش ، وفي جمادى الآخرة غزا الأمير عيسى بن المهدي بندر جازان .

غزو عيسى بن المهدي بندر جازان :

هاجم مدينة جازان الساحلية وكانت تعرف في ذلك التاريخ باسم « بندر جازان » تميزاً لها عن جازان الأعلى المدينة المشهورة بدرب النجاء ، وارتكب في البندر من القتل والسلب والنهب ما يفوق الوصف ، ودخل إلى محل الوجيه عقيل بن أحمد الزيلعي وانتهب أمواله وبعد كل ذلك أحرق البندر وانسحب مثقلاً بالغنيمة الحرام إلى قرية « الباحر » وأقام بها خمسة عشر يوماً ، والمدير طاشفين قابلاً في أبي عريش قد بث جواسيسه حول الأمير ترصد حركة خروجه من قرية « الباحر » وعندما وافته بنجر تحركه قام على رأس قوة من رجاله :

تحرك الأمير عيسى من الباحر قاصداً معقله « بالدحن » بالدال المهملة المكسورة بعدها حاء مهملة ونون موحدة ، سالكا طريق الحازة حتى إذا وصل إلى موضع يسمى « محيدل » باغته « طاشفين » على غرة فهزمه شر هزيمة وقتل عدداً من أصحابه وغنم أكثر خيله واسترجع الأموال المنهوبة لأهل (البندر) ونجا الأمير برأسه إلى « الدحن » عاد المدير إلى أبي عريش ورفع بالواقع إلى الوالي (ازدمر) بزييد وبدلاً من أن يقترح اتخاذ ما يكفل وضع حد لمثل هذا الاعتداء الفظيع في المستقبل ، اقترح العمل على استمالة عيسى ابن المهدي وطلب العفو عنه .

ورده مرسوم العفو مرفقاً بكتاب من الأمير المطهر بن شرف الدين — الذي يظهر أنه الدافع للأمير عيسى بن المهدي في كل ما ارتكبه — ويتضمن كتاب المطهر : انه قدم تم الصلح بينه وبين ازدمر وينصح الأمير عيسى بالدخول في طاعة الاتراك ، وهكذا كانت الأمة مسرحاً لتمثيل المطامع الشخصية تهدر دماؤها وتباح أرواحها في سبيل الغايات الفردية .

وبالطبع أن الأمير عيسى لم يبق لديه ما يمنعه عن قبول الاستسلام وانتهى الأمر بتقرير راتب له وسكن مدينة أبي عريش .

تعين في عام ٩٦١ (محمد يوسف التركي) مديراً للمخلاف ، وفي عام ٩٦٢ وصل مصطفى باشا النشار والياً لليمن للمرة الثانية وأقام في أبي عريش أسبوعاً وفي أثناء إقامته أمر بشتق الشيخ محمد بن معبد وعين الأغا ابراهيم كرد مديراً للمخلاف ، وفيها توفي العلامة أحمد بن مقبول الاسدي ، وكان قد ألف تاريخاً للمخلاف ابتداءً من عام ٩٠١ وانتهى فيه إلى عام ٩٦٠ غالبه في وقائع وحوادث المخلاف على وجه الإيجاز والاختصار ، وقد شهر هذا العلامة بين معاصريه بحسن الخط ، وله ترسل فائق وأشعار رائقة سنوردها في الجزء الخاص بالتاريخ الأدبي للمخلاف .

في سنة ٩٦٤ عين الأغا (شاغلي التركي) مديراً للمخلاف ويسجل التاريخ سيرة سيئة لهذا المدير الظالم الذي تفنن في ابتزاز الأموال وأخذ الأبرياء بالظنة والعسف ففر أكثر التجار وأرباب المصالح من بندر جازان إلى صبيا ، ونتيجة لذلك انتقلت الحركة الاقتصادية إلى صبيا ، وأخذت في النمو والازدهار .

وفيها توفي رئيس صبيا دريب بن مهارش الخواجي وخلفه في الرئاسة ابن عمه دريب بن عيسى ، وفيها توفي العلامة أبو الحسن صالح بن صديق الهمازي ، ومن مؤلفاته :

١ — منظومة دينية سماها الانوار الساطعة وله عليها شرح مفيد جمع فيه عقائد أهل السنة .

٢ - كتاب الأحاديث القدسية .

٣ - شرح على ألفية ابن مالك .

في سنة ٩٦٦ وقعت فتنة بين المعافين من قبائل وادي ضمد فانفصل عنهم العلامة أحمد بن علي المعافا وانتقل إلى صلهبة وسكن بين الحوازمة ، وقد سجل ذلك في قطعة شعرية بعثها إلى علامة ضمد في عصره محمد بن علي الضمدي منها :

اطمأنت بآل حازم داري وأسأت بنو المعافا جوارى
فإلى الله أشكر الحسن البر وأشكو إساءة الاشرار
وهي طويلة سنوردها بحول الله تعالى كاملة في التاريخ الأدبي مع جواب
العلامة الضمدي .

في عام ٩٦٨ وصل الوالي التركي الجديد « رضوان باشا » إلى جازان في طريقه إلى اليمن ، وبعد وصوله وردته الأوامر السلطانية بتقسيم ولاية اليمن إلى قسمين :

١ - القسم الأول من جازان إلى نقييل سمارة .

٢ - القسم الثاني من النقييل إلى أقاصي بلاد الشام من جهة الحرجة إلى جهات الحفار من العر وما يليه .

ويقول صاحب العقيق : إنه كنتيجة لذلك التقسيم الإداري استقال رضوان باشا .

الحجاة المشهورة بأمر العظام :

في عام ٩٧٣ اجتاحت الخلاف السلياني مجاعة ضارية فتكت بالأغلب الأعم من سكانه وعزت الأقوات بل لم يجد الناس ما يقتاتون به فاضطر الأغلب من سكان البوادي إلى سحق العظام وسفّها وقلي الدم وأكلت الميتة والأطفال وتشتهر الحجاة في الخلاف بسنة أم العظام .

إستئناف الفتنة بين الأمير عيسى بن المهدي والأتراك :

مكث عيسى بن المهدي وقتاً في مدينة أبي عريش انتقل بعدها إلى البداح بباء معجمة بعدها دال مهملة فألف وحاء ، من عام ٩٥٩ حتى استأنف نشاطه الحربي في عام ٩٧٤ — ونلاحظ هنا أن تحركه وقع في الوقت الذي قام فيه المطهر بن شرف الدين بالتجهيزات على الأتراك واستيلائه على الأطراف وضربه نطاق الحصار على أكثر المدن الجبلية — راجع أخبار ولاية الأتراك في اليمن — أما الأسباب الظاهرة فتتخصر فيما نوضحه أدناه .

وقع خلاف بين رجل من أتباع الأمير وآخر من الجنود الأتراك التابعين لمدير الإقليم الأغا سنان طهمان أدى إلى قتل الجندي التابع للأمير فقام الأمير مطالباً بالقصاص الشرعي فرغب المدير في إنفاذ القصاص فهب الانتهازيون ممن تحاك بهم الدسائس وتثار بسعايتهم الفتن النائمة يشيرون على المدير بعدم قتل الجندي التركي برجل من أهل البادية ، وهنا أخذ المدير في التسويف والماطلة والأمير في التشديد والمطالبة بالتنفيذ ، وأخذ دعاة التفرقة في توسيع الحرق وتأريث نار الفتنة ، وعلى أثر ذلك جمع الأمير جموعه وسار لمهاجمة أبي عريش فتلقاه الأتراك خارج المدينة فعادوا مهزومين ، وشعر الأمير بعدم قدرته على الاستيلاء على المدينة فعاد إلى البداح ، وكان للأمير أخ يقيم في المدينة فارتحل عقب الواقعة ، فأشاع الناس أن رحيله كان بإيعاز من أخيه لأنه سيصبح المدينة — ومدينة أبي عريش قد قاست الويلات من ظلم هذا الأمير ونزقه — فارتجت المدينة وشاع في جوانبها الخوف ، فلم يسع تلك الحامية الهزيلة من الأتراك ومديرها الرعديد إلا المبادرة بالرحيل إلى اليمن ناجين بأنفسهم .

علم الأمير برحيل الأتراك فسارع بدخول المدينة يوم الخميس ١٧ رجب ٩٧٤ في جموع حاشدة من رجال صبيا والخلاف فاستعرض رجاله في يوم الجمعة وأقام في المدينة شهرين في هدوء نسبي حتى توافدت الأخبار بتحريك الأتراك من اليمن إلى الخلاف بقيادة الأمير علي التركي ولم يمض أسبوع إلا وهي على مسافة يسيرة من أبي عريش وبدلاً من أن يتقدم لقتالهم على حدود الخلاف

أو يفأوضهم في الصلح ليحقتن الدماء ويوفر السلامة للوادعين ، خرج إلى التحصن في قلعة وادى جازان الأعلى .

أما الحملة التركية فقد والت تقدمها بدون قتال إلى أن خيمت شرقي المدينة ونادت بالأمان فتوافد عليها أعيان المدينة فلم يتعرض لهم القائد التركي بسوء .

في اليوم الثاني على وصولهم ساروا إلى قلعة « جازان » الأعلى فخرج إليهم الأمير عيسى واستمر القتال من الضحى إلى الظهر وعاد كل منها إلى جهته ، وبعد يومين استأنف الأتراك هجومهم على القلعة والتحم القتال حامياً وقتل في المعركة الأمير العادل بن المهدي فانهزم الأمير وانتهب الأتراك قرية البداح وعادوا إلى مخيمهم ظافرين .

أما الأمير فطلع إلى « الحقار » من ليلته ومنه طلع إلى المطهر بن شرف الدين فأمره بالإقامة في « المحرق » فأقام به أشهراً ولم يطيب له المكان فعاد أدراجه إلى السلب وأقام به إلى أن أدركته الوفاة .

حملة المطهر شرف الدين على الأتراك في الخلاف :

في عام ٩٧٥ سبر المطهر حملة إلى الخلاف بقيادة سراج الدين عثمان فحاصر الحامية التركية بقلعة جازان أياماً حتى استسلمت فأطلق الحامية وقائدها « سنان طهماز » وأخرب القلعة ، وقد بقيت خراباً إلى أن عمرها الأمير أحمد ابن غالب في أول القرن الثاني عشر ، وبعد هدمه القلعة عاد إلى الجبال وعادت البلاد إلى سلطة الأتراك ، وفي تلك السنة ورد إلى أهل إقليم جازان خطاب من الوالي التركي يتضمن نصه :

إلى كافة أهالي جازان :

بلغنا خراب البلاد وتشنت أحوال العباد وتفرقهم عن أوطانهم من كثرة المال الثقيل عليهم وهو كان أولاً ثلاثة عشر ألف ذهباً فلما اتصل بعلمنا ضعف البلاد رفعنا من ذلك أربعة آلاف وخمسمائة من الذهب فعليهم أن يتفرقوا المال

السلطاني على هذا القدر من غير زيادة ولا نقصان ولا ظلم ولا عدوان - إلى آخر ما في هذا المعنى وبهذا الأسلوب المهيفض - وعممه إلى سائر البلاد اليمنية .

في عام ٩٨٢ وصل الأغا جعفر أحمد كخيا مديراً لجازان وعزل في عام ٩٨٤ بالأغا محمد بيلانجي وعزل الأخير عام ٩٨٥ بالأغا حسين التركي ، وفي سنة ٩٨٦ عزل هذا بالمدير جعفر أحمد كخيا الذي لم تطل مدته عن عام وعزل في عام ٩٨٧ بالمدير « مراد التركي » :

حجر أرض قرعا ونخيلان :

في عام ٩٨٧ حجر القاضي العلامة محمد بن علي بن عمر الضملي أرض قرعا ونخيلان في وادي ضمد وقد توفي القاضي في تلك السنة نفسها فاختلف الناس في تفسير أسباب الحجر وقد علله البعض بأن القاضي من المعمرين وأنه بحكم مركزه ومعرفته الطويلة يعلم أن لتلك الأراضي ملاكاً قد هلكوا بعد تفرقهم في البلاد في المجاعة المشهورة « بسنة العظام » وقال البعض : إنما حجرها لأنها مرتفق للاحتطاب والمرعى لأهل قرية ضمد الأسفل والذي نرجحه أن سنة أم العظام هي في عام ٩٧٣ وأن أربعة عشر عاماً لا تكفي لطمس معالم ملكية الأرض وعدم معرفة ملاكها وأن الأسباب الأخيرة أوجه وأقرب إلى معقولية الحجر ردعاً لطمع الطامعين لا سيما وهي مرعى ومحتطب .

في عام ٩٨٦ كان جعفر أحمد كخيا مديراً لجازان وتحسنت الزراعة تحسناً ملموساً فاغتم المدير من وراء ذلك مغنياً لا يترأز أموال الرعية بمضاعفة الأموال الحكومية المقررة فجمع رؤساء العشائر وأزمهم باستحصال العوائد مضاعفة فامتنعوا فرج بهم في السجن حتى ضمنوا له ذلك وعند حصول الثمرة خرج بنفسه للاستحصال إلى جهة المسارحة فاسترحموه في التخفيف لأن المحصول لا يفي بما يطالبهم بدفعه فلم يصغ لاسترحامهم فهجموه ليلاً وأضرموه النار في المسكن النازل به وقتلوا من تمكنوا من قتله من أصحابه فلم ينج إلا الفرار إلى أبي عريش .

خشى المتسبيون من الجزاء المنتظر فالتجأوا إلى الأمير أحمد بن عيسى

المهدي في الحقار وكان الأمير قد ربط علاقته بعد وفاة والده بصاحب صعدة أحمد بن الحسين المؤيد .

خرج المدير جعفر يترصد لعودة المتسبين فلما وصل إلى جهة « عيَّاش » وقع التصادم المسلح بينه وبين الأمير أحمد فعاد المدير مهزوماً إلى أبي عريش وتعبه الأمير إلى قرية الحرجة وأقام فيها أياماً معلناً أنه سيهاجم أبي عريش فخشى من مهاجمته وطلب من آل الحكمي التوسط بينه وبين الأمير في الصلح فاشترط الأمير كترضية لرجوعه عن مهاجمة أبي عريش إطلاق جميع المساجين الذين في سجن المدير التركي وهي شهامة عربية نراها تستحق الثناء والتقدير ولم يتم من الحرجة حتى أطلق آخر مسجون .

الأمير أحمد بن عيسى المهدي القطبي :

رفعت هذه القضية منزلة الأمير في نظر أهل المخلاف وأعادت إلى أسرة القطبي شيئاً من أمجادها السالفة فرحلت أكثر القبائل من الخبت إلى السلب موطن الأمير بيد أنه لم تمض عشرة أيام حتى تلقى أمراً من « صعدة » بمهاجمة مدينة أبي عريش فتحرك صوب المدينة وإنما انتهى الأمر بالصلح بينه وبين المدير التركي على دفع مبلغ من المال ، بيد أنه بعد ذلك هاجم المدينة وحاصر الحامية التركية حتى استسلمت فأرسل قائدتها المدير أصلاً إلى صعدة ورحل الجنود إلى اليمن وأخرب القلعة الكائنة في مدينة أبي عريش ، وفي أثناء ذلك وصلت القوات التركية عن طريق الحجاز فخفف الأمير راجعاً إلى (الحقار) .

خيم الأتراك بظاهر مدينة أبي عريش وصحبهم المدير السابق جعفر أحمد كخيا ، وكان جميع سكان وادي جازان قد غادروه خشية من معرة الجيش التركي إلى صيبيا فأرسل القائد التركي المدير (مراد) وآل الحكمي إلى الأمير دريب بن عيسى الخواجي لإقناع سكان الوادي بالعودة إلى أوطانهم فعاد جميع الموجودين في وادي صيبيا .

القتال بين الخواجين :

نشبت القتال بينهم بجهة الظبية وجرح جماعة من الفريقين ، وكانت السبب للافتراق بين آل مهارش وآل عيسى ، وبعدها قتل علي بن حسين ابن عيسى مفيد بن عيسى بن دريب فتحول آل مهارش من الغجارية^(١) إلى منامة .

في عام ٩٩١ صدرت أوامر والي زبيد بتعيين مراد مديراً للمخلاف بدلا عن جعفر أحمد كخيا الذي وجد مقتولا في خيمته بأبي عريش ووصلت سفينة إلى بندر جازان تحمل مواد البناء والمعماريين لعمارة قلعة أبي عريش .

وفي عام ٩٩٤ عزل المدير مراد بحسين بربر وعزل في نفس السنة الأخير بالمدير إبراهيم التركي ، وفي عام ٩٩٦ صدرت الأوامر بارتباط جازان بوالي (صعدة) فأرسل من لديه مديراً لجازان يدعى موسى عوض ، وعزل هذا في نفس العام بالمدير رضوان .

تجدد الفتنة بين الخواجية :

في سنة ١٠٠٠ تجددت الفتنة بين الخواجين بصيبيا ، ونشبت القتال بين الرئيس عبد الوهاب الخواجي وأبناء أخيه دريب بن عيسى الذي تخلى عن الإمارة لكبر سنه وضعف بصره ، وحصل في صيبيا من انتهاك الحرمات وفظائع الأمور ما تنفطر له القلوب وأحرقت المدينة ، وخرج أبناء دريب ابن عيسى إلى صلهية والجمالة وأبي عريش ، وهذا أول خراب لصيبيا منذ تأسست . واتصلت الأخبار بوالي صعدة حسين الضحاك فأرسل مندوباً من قبله وأمره أن يستصحب مدير أبي عريش على البارحي إلى صيبيا فوصل إلى أبي عريش ومنها إلى صيبيا يرافقه المدير على البارحي والقاضي أحمد أبي الفضائل الأسدي وآل الحكمي وهناك عقدوا صلحاً بين المتحاربين يتضمن :

(١) غرب قرية صلهية نحو ميلين .

- ١ - شرط عدم تقلد السلاح من الطرفين المتحاربين .
- ٢ - تخطيط جديد في المدينة لكل فريق لا يتعداه الآخر .
- ٣ - إخراج الفقيه عبد العليم شافع الذي يتهم بتأريث الفتنة بين الطرفين .
- ٤ - تستمر هذه الشروط سارية المفعول لمدة أربعة أعوام .

وقد استأنف القتال بين الطرفين في عام ١٠٠٦ بتوجه شمس الدين ابن دريب بن عيسى إلى الحجاز وإنابته عنه أخاه مصاص الذي اغتم غياب أخيه وأعادها جذعة .

نشبت القتال بين مصاص وعمه فدارت عليه الدائرة وأصيب بجراحات خطيرة في يديه عاش على أثرها باقي حياته أعضب اليدين وخرج مهزوماً من صيبا إلى صلهية .

وفي عام ١٠٢٦ توفي الشاعر البليغ عيسى الطفاري العريشي وكانت له أشعار رائقة في مدح ملوك الشحر وأمراء الأتراك وأشراف مكة وسنورد بعض مما عثرنا عليه من أشعاره في التاريخ الأدبي للمخلاف .

وفي عام ١٠٢٨ توفي الرئيس أحمد بن حسين بن عيسى الخواجي وخلف على رئاسة صيبا ابنه الحسن بن أحمد .

وفي عام ١٠٣٥ توفي رئيس قبائل بني شعبة سيار بن هزاع .

وفي عام ١٠٣٦ انتقض الصلح المبرم بين إمام الزيدية المؤيد بن محمد ابن القاسم والوالي التركي حيدر باشا ، وعلى أثر ذلك كتب الإمام إلى رؤساء صيبا الخواجيين بالتخلي عن طاعة الأتراك وأنه مقابل ذلك يقرهم على ما هم عليه فأجابوه بالقبول وبعد ذلك نزل إلى المخلاف الأمير الهادي الديلمي لإبرام الاتفاقية .

وفي شهر ربيع الأول من تلك السنة نزلت إلى المخلاف الجنود

الإمامية ، وحاصرت المدير التركي في قلعة جازان حتى استسلم بعد عشرة أيام وبذلك تم لها الاستيلاء على المخلاف .

وفي أواخر العام وقعت مجاعة في المخلاف فتكت بنصف سكانه .

وفي سنة ١٠٤٦ وقع غلاء في المخلاف ومجاعة ضارية ، وعدمت الحبوب ، ولم يوجد منها شيء إلا عند التاجر الصبياني المنسكي وشخصين آخرين فقط ، فاشتطوا في بيع ما لديهم بأغلا الأثمان مخلوطاً بالأتربة وغيرها .

في سنة ١٠٦٠ عصفت الرياح الجنوبية بشدة وزاد مد البحر في بندر جازان وأغرق الفرضة ودخل المسجد وسوق العطارين وسائر الأحواش وطم على السبخة وأحرق بجبل جازان من كل ناحية وكاد أن يغرق أهلها

وفي ١٠٦٢ توفي مفتي صبيا أحمد علم الدين شافع وكان شافعي المذهب :



الفصل التاسع

المذهب الزيدي ودعائه

الإمام زيد بن علي :

صاحب المذهب المنسوب إليه : قال ابن أبي الدم في الفرق الإسلامية : كان زيد قد أثر علم الأصول فتتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وكان أخوه محمد الباقر يعيب عليه كونه قرأ علي واصل وتلمذ له وقبس منه ، مع كونه يجوز الخطأ على جده الإمام علي بسبب خروجه إلى حرب الجمل ولأن واصل كان يتكلم في القضاء والقدر .

كان زيد من كبار علماء الإسلام روى عن أبيه وأخيه محمد بن علي وأبان ابن عثمان ، وروى عنه جعفر بن محمد ذكره جعفر بن محمد ، فقال : رحم الله عمي كان والله سيداً والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثله .

قال الزبير بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال دخل زيد مسجد رسول الله ﷺ في يوم حار من باب الشرق ، فرأى سعد ابن إبراهيم في جماعة من قریش قد حان قيامه ، فقاموا فأشار إليهم وقال : ما هذا يا قوم أنتم أضعف من أهل الحرة قالوا لا قال : إنا شهدنا أن يزيد ليس شراً من هشام فما لكم ، فقال سعد لأصحابه مدة قصيرة فلم يلبث أن خرج فقتل .

وفد على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فرأى منه جفوة فكانت سبباً لخروجه على بني أمية ومطالبته بالخلافة .

سار إلى الكوفة فانضمت إليه الشيعة ، فقاتل يوسف بن عمر الثقفي أحد قواد هشام فقتله وصلبه ثم أحرقه عام ١٢٣ وله من العمر ٤٤ عاماً . كان يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل للمصلحة .

لما قتل زيد في خلافة هشام قام بدعوته ابنه يحيى بن زيد ، فاجتمع عليه خلق كثير وبايعوه ووعدوه بالقيام معه ومقاتلة أعدائه ، فبلغ ذلك جعفر ابن محمد فكتب إليه ينهاه عن ذلك فلم يسمع له حتى جرد الأمويون عليه الجيوش وقتل بأذربيجان : وقد تفرقت الزيدية إلى ثلاثة فرق .

١ - جارودية . ٢ - سليمانية . ٣ - بترية .

الزيدية

جاء في كتاب « ضحى الإسلام » لأحمد أمين بعنوان « الزيدية » في صحيفة ٢٧ ج ٣ من الفصل الثاني المختص بالشيعه ما نصه :

الزيدية فرقة كبيرة من فرق الشيعة تتبع (زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب) مثل هو وهشام ثانية دور (الحسين) و (يزيد بن معاوية) كان زيد طموحاً إلى الخلافة نافراً مما يناله وقومه من ظلم الأمويين وذهب إلى العراق - إذ كان قد ادعى عليه خالد بن عبد الله القسري زوراً وديعة ستمائة درهم ، فألح عليه أهل الكوفة أن يخرج على الأمويين ووعده بالنصرة وكان هشام يخشى جانبه ، فأمر عامله على (العراق) يوسف بن عمر الثقفي ألا يدعه طويلاً بالعراق فأمره يوسف بالرحيل فخرج ، ثم عاد وبث دعائه وعزم على الخروج على بني أمية .

كان زيد من قديم يرشح نفسه للخلافة ويكره الذل ، ويرى أنه أحق بالأمر من هشام قال مرة (والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل) فبلغت هشاماً - وقال له هشام مرة : لقد بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمية - وكانت أمه سنديّة - قال يا أمير المؤمنين : لقد كان إسحق ابن حرة وإسماعيل ابن أمية فاخصص الله ولد إسماعيل فجعل منهم العرب فما زال ذلك ينمي حتى كان منهم رسول الله .

فلما كان في العراق عام ١٢١ نفذ خطته ونصحه كثيرون ألا يفعل ، نصحه سلمة بن كهيل فقال ناشدتك الله كم بايعك ؟ قال زيد : أربعون ألفاً ، قال فكم بايع جدك الحسن ؟ قال ثمانون ألفاً ، قال فكم حصل معه ؟ قال ثلثائة ، قال أنت خير أم جدك ؟ قال جدي ، قال أقرنك الذي خرجت فيه أم القرن الذي خرج فيهم جدك ؟ قال بل القرن الذي فيه جدي ، قال أفتطمع أن يوفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك ؟ قال قد بايعوني ووجبت البيعة في عني وأعناقهم .

وكتب عبد الله بن الحسن إلى زيد يقول : يا عم ، إن أهل الكوفة نفخ
العلانية خور السريرة هرج في الرخا جزع في اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا
تشايهم قلوبهم لا يبيتون بعدة في الأحداث ولا ينثون بدولة مرجوة ولقد
تواترت كتبهم إليّ بدعوتهم فصمت عن ندائهم ، وألبست قلبي غشاء عن
ذكرهم بأساً منهم واطراحاً لهم وما لهم إلا ما قال علي بن أبي طالب : إن
أهملتم خصم وإن حوربتم خرتم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن
أجبتهم إلى مشاقة نكصتم .

لم تفده النصائح شيئاً وبعث الدعاة إلى أهل (السواد) وأهل (الموصل)
وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس (إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ)
وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين قسم هذا الفيء
بين أهله بالسواء ورد المظالم وإقفال المسجونين ونصرنا أهل البيت على من نصب
لنا وجهل حقنا ، أتبايعون على ذلك ؟ فإذا قالوا نعم ، وضع يده على أيديهم .

ولبت على ذلك بضعة عشر شهراً ، ثم أمر أصحابه بالخروج قبل الموعد
المحدود لما أحس أن يوسف بن عمر يطلبه هو وأصحابه ، فلما جد الجد تفرق
عنه أكثر من بايعه إلا ثلثائة أو أقل وكانت بينهم وبين يوسف ابن عمر
ملحمة ثبت فيها (زيد) حتى إذا جنح الليل رمى زيد بسهم فأصاب جانب
جبهته اليسرى فلما انتزع منه قضى . فأخذ رأسه وبعث به إلى هشام فأمر به
فنصب على باب دمشق ثم أرسل إلى المدينة ومكث البدن مصلوباً ، ثم أمر
الوليد فأنزل وكان قتل زيد سنة ١٢٢ .

كان زيد واسع العلم بالدين قوي الحجة ، وصفه خصمه هشام
ابن عبد الملك فقال (رأيته رجلاً جدلاً لسناً خليقاً يتمويه الكلام وصوغه ،
واجترار الرجال بحلاوة لسانه وبكثرة مخارج حججه ، وما يدلي به عند لدد
الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج .. إن أعاره الرجال
أسماعهم حشاها من لين لفظه وحلاوة منطقته مع ما يدلي به من القرابة برسول
الله ﷺ وجدهم ميلاً إليه غير مثقلة قلوبهم ، ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة
عندهم أديانهم) .

وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان وصار إلى (بلخ) وأقام بها متوارياً
بيث الدعاة وينهياً للثورة ، ثم خرج على الوليد بن يزيد ، فأصيب بنشابة
أصابته جبهته ، فكتب الوليد إلى يوسف بن عمر أن انظر عجل العراق -يعنى
يحيى - وأحرقه بالنار ، واجعله في قوصرة ثم اجعله في سفينة ثم ذره في
الفرات ، وكان ذلك في سنة ١٢٥ .

وقد كان قتل زيد وابنه يحيى على النحو الذى رويناه سبباً من أسباب
زيادة البغض للأمويين والاستعداد للثورة عليهم .

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين أن أبا حنيفة كان
ينصر زيداً وأنه أرسل إليه يقول : إن عندي معونة وقوة على الجهاد لعلوك
فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح وبعث إلى زيد بمال فقبله منه .

ولم يجتمع حوله الشيعة كلهم لنصرته لما ذكرنا عن أهل الكوفة ، ولأن
كثيراً من الشيعة كانوا يقولون بإمامة أخيه محمد الباقر ، ثم لابنه جعفر الصادق
ولأنه كان معتدلاً في تشييعه اعتدالاً لا يرضي الغلاة ، اجتمع إليه جماعة منهم
فقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد رحمهما الله وغفر
لهما ، ما سمعت أحداً من أهل هذا البيت يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ،
قالوا فلم تطالب بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبنا على سلطانكم فزعاه من
أيديكم ؟ فقال لهم زيد إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان
رسول الله ﷺ من الناس أجمعين ، وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه
ولم يبلغ ذلك عندنا لهم كفرأ قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بكتاب الله
وسنة رسوله ﷺ ، قالوا فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم
تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ؟ فقال إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن
هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم ، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه
ﷺ وإلى السنن أن تحيياً وإلى البدع أن تطفأ فإن أنتم أحببتمونا سعدتم وإن
أبئتم فليست عليكم بوكيل ، ففارقوه ونكثوا بيعته ، وقالوا جعفر إمامنا اليوم
بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ، ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام فسامهم
زيد الرافضة .

تعاليمه :

قال الشهرستاني : أتباع زيد بن علي ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم أي كمحمد بن الحنفية إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج للإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين . . وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ لواصل بن عطاء - رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل أن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب « الجمل » وأصحاب الشام - ما كان علي يقين من الصواب ، وإن أحد الفريقين منهما كان علي الخطأ لا يعينه ، فاقبّس منه الاعتزال ، وصارت أصحابه كلها معتزلة ، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل ، ومن أجل هذا صحح إمامة أبي بكر وعمر ، ولما سمعت شيعة بالكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة ، وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن كان يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والناكثين ، ومن يتكلم في القدر على غير مذهب أهل البيت ، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً حتى قال على قضية مذهبه والدك ليس بإمام يعني علياً زين العابدين ، لأنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج ، انتهى ما نقل عن الشهرستاني .

إلى أن قال - ومن أهم ما بين أيدينا من كتبهم كتاب (المجموع) جمعت فيه الأحاديث التي رويت عن الإمام زيد وفتاويه ، مرتبة ترتيباً فقهيّاً وقد ذكروا أنه أول كتاب جمع في الفقه على مذهب زيد ، والروايات فيه كلها عن زيد عن آبائه من الأئمة ، فيقول مثلاً حدثني عن زيد عن أبيه عن جده علي ، وأكثره على هذا النمط وبعضه فتاوى سئل فيها زيد ، مثل سألت زيداً عن الرجل يكون له أقل من خمسين درهماً ، قال ليس عليه صدقة الفطر ، وهكذا في كل أبواب الفقه - وبعض ما روي في هذا الكتاب

عن زيد عن أبيه علي زين العابدين عن جده الحسين عن علي ، يخالف مايرويه الإمامية عن الإمام الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن جده علي ، ويعلل الزيدية ذلك بأن الرواة عن زيد عدول الزيدية الذين لا مطعن عليهم ، والرواة عن الباقر الإمامية لم تثبت لنا عدالتهم .

وهذا الكتاب يطلعنا على ناحيتين هامتين أحدهما الأحاديث المروية عن أهل البيت من زيد إلى علي مرتبة ترتيباً فقهياً ، وذلك يمكن من الاطلاع على أصولهم التي بنوا عليها الأحكام ، والثانية ترينا تشدد أهل البيت جميعاً في عدم أخذ شيء من الأحكام ولا رواية الأحاديث إلا عن الأئمة فلا تكاد تجد حديثاً في المجموع الكبير إلا ومرجعه الأخير زيد أو علي ، ولا شيء عن أبي بكر أو عمر أو ابن مسعود أو غيرهم من الصحابة .

انتهى ما ورد في « ضحى الإسلام » للدكتور أحمد أمين المصري تحت عنوان « الزيدية » .

الزيدية في اليمن :

قال نشوان الحميري في كتابه « الحور العين » أول من دعا باليمن إلى مذهب الزيدية يحيى بن الحسين الرّسّبي ، فنزل من خولان وغلب على صعدة فخرج أحمد بن عبد الله الأكيلي ، من اليمن إلى العراق وافتدأ على المعتضد العباسي في آخر أيامه يستنجد به على يحيى بن الحسين فوصل إلى العراق وقد بويع للمكتني فأمدّه المكتني بالجيوش في أثناء ذلك ورد كتاب والي الحرمين بأن يحيى بن الحسين قد خرج من صنعاء ، فعدّل المكتني عن بعث الجيوش .

وقال المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » تحت عنوان (ظهور الزيدية في اليمن) ما نصه : ولئن كان في استطاعة حكومة بغداد أن تفتح مصر من جديد بعد أن استقلت عنها زهاء أربعين عاماً لقد فقدت بالكلية ، في الوقت نفسه تقريباً سلطانها على بلاد العرب الجنوبية ذلك الإقليم النائي من الإمبراطورية ، عجز الإسلام عن تعديل

الأحوال الاجتماعية والسياسية تعديلاً جوهرياً كاملاً ذلك أن الحكام الأرستقراطيين ظلوا يحتفظون بقلاعهم ويفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم كما كانوا يفعلون في عهد (سبأ وحمير) من غير أن يجدوا معارضة من ممثل الخليفة في صنعاء ، ما داموا يؤدون نصيبهم من الخراج في شيء من الإطراد . ولقد ترك لنا أحد هؤلاء المحليين وهو الحسن الهمداني ، الذي توفي عام ٩٤٥ م ٣٥٢ هـ بعد اشتباكات متلاحقة مع القوى السياسية المسيطرة على طبقة الأرستقراطية ، صورة من موطنه المستغرق في الفخر بأجاده الثقافية القديمة التي ليس لأي من الأقاليم الإسلامية ما يضارعها ، وذلك في كتابيه الإكليل ، وصفة جزيرة العرب ، والحق أن الحكومة العباسية قد رأت من الخير ، فترة من الزمن ، أن تشجع نشوء القوى المحلية إلى جانب عملها الرسمي يدل على ذلك أن المأمون بعد أن أخفقت سياسته العلوية وجه إلى بلاد العرب الجنوبية قوة (خراسانية) تحت قيادة جندي مجرب اسمه محمد بن زياد ، وكان يدعى النسب إلى زياد بن أبيه أخي معاوية لأبيه فوفق محمد هذا إلى إخضاع المقاطعات الساحلية حتى الشحر في حضرموت وشارف البلاد لسلطانه في حين ظلت الأراضي الجبلية خاضعة للحاكين في صنعاء ، ومن مقره في زبيد استطاع هو وأعقاباه أن يحتفظوا بسلطانهم في البلاد طوال مائة وخمسين سنة وإن لم يستقر لهم الأمر دواماً ومهما يكن من شيء فقد كبحت سلطة خلفه الثاني كبحاً شديداً على يد (يعفر بن عبد الرحمن) أحد الأشراف المحليين الذين شقوا عصا الطاعة على عمال المعتصم ، ولقد استطاع يعفر من مقره في شبام أن يبسط سلطته في تجاه الجنوب في حين وفق ابنه إلى حمل الحكومة المركزية على الاعتراف به أميراً على صنعاء ، ولم يلبث العلويون أن أدلوا دلوهم بين الدلاء ، فقد ظهر دعاة القرامطة وسيأتي ذكرهم في المنطقة الجبلية النائية ولكنهم عجزوا عن الاحتفاظ بمركزهم طويلاً وإن لم ينقطعوا عن بث دعايتهم الدينية والسياسية هذا من ناحية ومن الناحية الثانية ، فقد نجح أحد أعقاب «زيد بن علي» في أن ينشئ لأسرته سلطة هناك استطاعت أن تصمد لعادية الأجيال ولا تزال إلى اليوم عنصراً قوياً في تاريخ العرب فبعد

المغامرة التي نهض زيد بعثها في العراق على سلطة الخليفة الأموي هشام انسحب أعقابه إلى المقاطعات الواقعة في أطراف الامبراطورية واتفق أن كان أشراف طبرستان ومازندران على الساحل الجنوبي من بحر قزوين يلتمسون زعيما يستنلون إليه تخلصاً من جور الأمراء آل طاهر ، فوضع الحسن بن زيد - أحد حفدة زيد - نفسه في خدمتهم . وكان ينزل في مدينة الري ويمتاز عن أجداده بقوة العزم وبراعة السياسة . ولقد وفق هو وأعقابه أن يثبتوا هناك مدة تزيد على نصف قرن (٨٦٤ - ٩٢٨) حفلت بالحروب المتطاولة . كذلك ظهر أعقاب زيد - يحيى بن الحسين المعروف بالرسى ، وعلقت عليه الآمال بسبب علمه وورعه في أن يبعث أثناء إمامته أمجاد البيت العلوي حتى إذا تبين له بعد زيارة قام بها لأبناء عمومته في (طبرستان) أن من المتعذر عليه أن يمكن لنفسه هناك وجه أنظاره إلى بلاد العرب الجنوبية حيث كانت الفوضى ضاربة أطنابها ، وكان خبر هذه الفوضى معروفاً في المدينة وفي ١٦ آذار سنة ٨٩٧ ظهر مع خمسين رجلاً ليس غير - أمام أبواب (صعدة) وهي الموقف الرئيسي القائم على طريق الحاج بين مكة وصنعاء ، ومن هناك دعا الناس إلى طاعته وقد وفق إلى عدد من الأنصار بسبب من الحكومة التي أصلح بها بين المسلمين والنصارى (هكذا) في أسقفية نجران القديمة أولاً وما بين القبائل الضاربة في تلك المنطقة ، فيما بعد . ولكن سلطته ظلت مقتصرة على صعدة وما جاورها ، لأن القرامطة ورجال الدولة اليعفرية في الجنوب كانوا ينازعونه نفوذه هناك ، ومهما يكن من أمر ، فقد ترك الهادي لأبنائه بعد أن توفي في ١٨ آب سنة ٩١١ مركزاً مكيناً لم يلبثوا أن انطلقوا منه وبسطوا سلطانهم . انتهى

يحيى بن الحسين :

لما تفاقم أمر القرامطة باليمن توجه رؤساء بني فطيمة من صحار بن خولان إلى جبل الرس قرب المدينة المنورة إلى يحيى بن الحسين العلوي المشهور بالرسى وقدموا به إلى اليمن ، وهناك بايعوه بالإمامة وتلقب بالإمام الهادي وبعد أن وطنه حكمه في جهات صعدة وخولان سار لمحاربة (اليعفرين) ملوك

صنعاء ، فلم يتمكن من الاستيلاء على المدينة فعاد إلى خولان وفي عام ٢٨٤ استولى على مدينة صعدة وجعلها قاعدة حكمه ، وفي نفس العام استولى على مدينة صنعاء عنوة فأنحاز اليعفرىون إلى بلدة شبام ، ومنها أعدوا العدة وتحركوا لاستخلاص صنعاء ، واستعادوها وانسحب الهادي إلى صعدة وفي سنة ٢٩٣ استولى القرامطة على صنعاء بعد أن طردوا منها (اليعفرىين) فتقدم الهادي وأخرجهم منها بعد معارك دامية وإنما لم تطل عليها ولايته فقد تقدم أسعد بن يعفر فى عام ٢٩٤ واستولى عليها بعد أن طرد منها قوات الهادي فكر القرامطة واستولوا على صنعاء وبقيت فى حوزتهم إلى عام ٢٩٨ فاستدعى أهل صنعاء الإمام الهادي فتقدم على المدينة وأخرج القرامطة بيد أنه فى نفس العام أخرجه القرامطة ثانية فعاد إلى قاعدته صعدة وتوفى بها فى تلك السنة أى فى عام ٢٩٨ .



الحالة الاجتماعية والوضع السياسي في اليمن الأعلى

كان جنوب الجزيرة في سرار القرن الثالث ومستهل القرن الرابع في حالة من الاضطراب والفوضى تتنازع شتى النزعات والمذاهب والميول السياسية في تبارات متعاكسة ، وقد مر بك طرف من وصف حالته العامة على وجه الإجمال في ما نقلناه عن المستشرق الألماني (كارل بركلمان) وزيادة في الإيضاح فكانت الإقطاعيات وزعامة الأسر لها المقام الأول وكل زعامة من تلك لها من العصبية والاتباع والأشياء ما يجعلها في شبه عزلة تضطرب في محيطها القبلي ، في مدرج من التفاوت الطبقي الموروث والذي لا يزال رسيس من بقايا يدب في ثنايا العرف العشائري إلى ذلك التاريخ ، وفي أعلا ذلك المدرج تحتل أسرة الزعامة القمة ، وفي ذلك المضطرب وجدت لها الاسماعيلية أوالقرامطة حقلاً خصباً للتفريخ والنمو وشعرت بنخسوبة ذلك الحقل وصلاحه للتجارب فهرعت إليه المطامع وبذرت في تربته شتى المذاهب والنزعات ، وعلى ضوء ذلك وكنتيجة لتلك المقدمات توزعت السلطة في اليمن إلى دويلات وإمارات عديدة أشهرها نتيينه من الوضع السياسي في ذلك التاريخ وهو كالآتي :

- ١ - تهامة وتعر وما يليها تحت السلطة الزيدانية .
- ٢ - صعدة وخولان ونجران تحت سلطة الهادي بن الحسين العلوي .
- ٣ - صنعاء وشبام وما يليها لليعفرين في الأغلب .
- ٤ - منطقة حجة - حالياً - وغرباً إلى مناخة - حالياً - وما تجانف إلى إب وجنوباً إلى يافع للقرامطة .
- ٥ - إقطاعيات آلت إليها الزعامة بالتوارث في قبائل عديدة ضمن المناطق المذكورة أعلاه وخارجها ، وأشهر تلك الإقطاعيات :
(أ) إقطاعية آل الكرندي ملوك « المعافر » .
(ب) إقطاعية آل أبي الفتوح .

- (ج) إقطاعية آل المناخي في جهة المذيخرة .
(د) إقطاعية آل النبّعي أصحاب « حصن الشعر » .
(هـ) إقطاعية آل الزواحي أصحاب « حصن كوكبان » .
(و) الدعام الحمداني .

وقد ظلت هذه الإقطاعيات محتفظة بسلطانها المتوارث وزعامتها المحلية ونفوذها القوي إلى أن أزالها « علي بن محمد الصليحي » في القرن الخامس الهجري وبعد وفاته مقتولا استأنف الكثير منهم سلطته واستعاد سلطانه ونفوذته توفي الهادي كما مر بك آنفاً بعد أن وطد حكمه في القسم الشمالي وقد ساعده في تثبيت مركزه ما يتسم به من التقى والصلاح وميول قبيلة خولان إلى العلويين ، وكانت من أشهر قبائل اليمن وهي إحدى الثلاث القبائل المشهورة في اليمن الأعلا وهي :

١ - حمير - المشهورة المكناة في التاريخ - والتي منها الحكام اليعفريون في الإسلام .

٢ - خولان وهي قبيلة قوية معروفة المكناة في التاريخ في الجاهلية والإسلام وحاضرتها مدينة صعدة ، وقد كانت لها اليد الطولى في تدعيم حكم الإمام الهادي ، وهي التي استدعى بعض عشائرها الهادي .

٣ - همدان وتنقسم إلى جذمين عظيمين : حاشد ، وبكيل .

وهمدان هذه هي التي انضمت إلى جانب الإمام علي في حروبه مع معاوية بن أبي سفيان ، وفيها يقول الإمام علي :

تيممت (همدان) الذين هم هم	إذا ناب أمرٌ جنّتي وسهامي
وناديت فيهم ، دعوة فأجابني	فوارس من همدان غير لثام
فوارس ليسو في العجاج بعزل	غداة الوغا من شاكر وشيام
ومن أرحب الشم المعاطس بالقنا	ونسهم ، وأحياء السبيع ويام

وقد ظلت تلك القبيلة على ولائها المعروف للعلويين .

تمكن الإمام الهادي من تدعيم حكمه وتأسيس إمارته ، ونشر مذهبه في ذلك القسم من اليمن ، وتختلف الرواية في سنة دخوله إلى اليمن ، ففي رواية أنه دخله في عام ٢٧٠ — وتقدم لفتح صنعاء فلم يظفر فعاد إلى جهته ثم استأنف الكرة عام ٢٨٤ واحتل مدينة (صعدة) ومنها نشر سلطانه فعلى الرواية الأخيرة يكون أمد حكمه ١٤ عاماً تقريباً ، وقد استطاع بعد حروب ومعارك دامية بينه وبين القرامطة من جهة وبين الأمراء المحليين من جهة أخرى استطاع أن يرسي قواعد حكمه ويثبت دعائم سلطته الروحية ، ويقال : إنه اشتبك مع القرامطة في زهاء سبعين وقعة ، وقد أسر ابنه في أحد المعارك التي دارت بينه وبين سيد همدان محمد بن الضحاك وذلك في يوم (أتوه)^(١) وبرغم تلك الحروب والمعارضات فقد تغلب على جميع الصعاب .

كانت عاصمته مدينة صعدة ، وقد نقش على اسمه السكة وتلقب كما سبقت الإشارة بالهادي إلى الحق ، وبعد وفاته ببيع ابنه محمد بن يحيى . خلف محمد بن يحيى والده وامتد حكمه على همدان ونجران وأخيراً تنازل لأخيه الناصر أحمد بن يحيى سنة ٣٠١ .

أحمد بن يحيى الملقب بالناصر :

تولى الإمامة بعد تنازل أخيه محمد ، واشتبك في قتال عنيف مع الباطنية في أثناء رئاسة (عبد الحميد المسوري) — أنظر أخبار القرامطة — وقد عاصر الناصر على بن الفضل ، ثم منصور بن الحسين — من القرامطة كما التحم في قتال مع اليعفرين في عام ٣٢٢ فهزموه واحتلوا عاصمته صعدة مدة أربعة أشهر .

واستمرت الحال بينه وبين مناوئيه بين مد وجزر حتى توفي .

وبعد وفاته وقع الاختلاف بين إخوته وبني عمه وأخيراً تمكن ابنه يحيى ابن أحمد من أخذ البيعة لنفسه .

(١) إتوه من مساقط وادي محصم في بلاد همدان — الاكلیل الجزء العاشر .

المنصور يحيى بن أحمد بن يحيى :

تولى السلطة كما قدمنا فخالفه أخوه القاسم الملقب بالمختار ونشب بينهما القتال ، وأخيراً استطاع أن يستولي على صنعاء فاصطدم مع أحد الأمراء من أشراف حاشد المسمى الضحاك ، فأسره الضحاك ثم قتله في عام ٣٤٥ .

المنصور بن يحيى بن أحمد :

اتفق مع قيس بن الضحاك السابق ذكره وتمكن بمساعدته من قتل والده الضحاك في أحد المعارك التي دارت رحاها بينهما توفي في سنة ٣٦٧ .

الهادي الثاني يوسف بن يحيى :

قام بدعوته في القسم الشمالى فنازعه القاسم بن علي العياني الوافد من الحجاز وكانت الاختلافات والمنافسة وبوادر الشقاق قد دبّت في جماعتهم ، وأخيراً تمكن العياني من التغلب على الجهات التي تحت يدهم .

القاسم بن علي العياني العلوي :

وفد من الحجاز وتمكن من التغلب على ما تحت سلطة الهادي الثاني وبعد ذلك استطاع الاستيلاء على صنعاء وعلى ذمار بيد أنه اضطر إلى التراجع بعد ذلك إلى جهة وداعة ومنها إلى عيان - بين خيوان وصعدة - واستقر بها إلى أن توفي عام ٣٩٣ .

الحسين بن القاسم العياني :

بويغ بعد وفاة والده فنازعه محمد بن القاسم ، ويظهر أن سلطته كانت تقتصر على الهان وصعدة في فترة من الوقت ، لأن من عام ٣٩١ إلى نصف العقد الأول من القرن الخامس قد استعادت الدولة الزيدية الكثير من سلطتها على يد أحد أوصيائها الحسين بن سلامة في أغلب الأقسام الجبلية ، وإذا رجعنا إلى آثار الحسين بن سلامة العمرانية في القسم الأعلى ترجح أن تلك الأقسام ومن ضمنها مدينة صعدة كانت خاضعة له - راجع أخبار الدولة الزيدية

وإذا كانت هناك إمارات محلية قائمة ، فهي خاضعة لسلطة زبيد السياسية التي تستمد نفوذها السياسي والروحي من خلافة بغداد ، وعلى كل فقد تكون سلطة الحسين بن علي العياني في القسم الشرقي الشمالي ، فقد ذكر أنه قتل في حروبه مع الأمراء المحليين من آل الضحاك وآل حماد من أشراف حاشد . وبقتله خلفه على مكانه أخوه جعفر بن القاسم فلم يتم له شيء من الأمر ، وقد فت في عضده وصول أبي هاشم يحيى بن الحسين بن عبد الرحمن العلوي مع ابنه حمزة وعلى ، وقد دعى أبو هاشم هذا لنفسه بناعط وتلقب بالمعيد لدين الله ، وهب لمساعدته الأشراف من رؤساء همدان ، واستمر على دعوته إلى أن توفي عام ٤٢٦ ، وبعد وفاة أبي هاشم هب جعفر ثانية لاستعادة ما سلب منه فلم يسعفه الحظ .

أبو الفتح بن الناصر :

ونلاحظ أن المنافسة العائلية والمعارضات المحلية التي تنحصر في بعض الأسر الحاكمة قضت على الحكم العلوي ، أما النفوذ الروحي فلا يزال يكمُن نفوس الكثير من سكان خولان وهمدان وإنما يفتقر ذلك النفوذ إلى زعامة قوية توري أواره ، وقد وجدت أسرتان أو أكثر بعد أسرة الهادي وتلاشي نفوذها في تيارات الاختلافات والمنافسات العائلية أو خمدت جذوة سلطتها في مهب المعارضات من سراة الزعامات المحلية ، ولا شك أنه اتصلت أخبار ركود الدعوة الروحية للزيدية في اليمن بمن في الديلم ، فتحفز أبو الفتح إلى النهوض إلى اليمن فوافاه في عام ٤٣٠ ودعى لنفسه ، فاستجاب لدعوته الكثير من الشيعة فاختط حصن ظفار وتغلب على تلك المنطقة بيد أن قوة الصليحي ونفوذه المتأجج قضى على كل نجاح وأمل لأبي الفتح فظل مطارداً من قبل قوات الصليحي حتى قتل عام ٤٤٤ ببلاد عنس .

الحسين بن عبد الرحمن بن يحيى :

حاول بعد قتل أبي الفتح أن يقود حركة المقاومة والتصدي لرد تقدم قوات الصليحي عن القسم الشمالي ، فقتل على يد أحد قادة الصليحي عامر ابن سليمان الزواحي أخي السيدة بنت أحمد لأمها في عام ٤٥٩ بناعط .

الشريف الفاضل - وذو الشرفين :

خرج على الدولة الصليحية فقتل غيلة بناحية الجوف عام ٤٦٨ فقاد الحركة أخوه ذو الشرفين ولم يعاود الغارة على أطراف الدولة الصليحية ، وكان يغذي حركته ويعضد مقاومته جيش بن نجاح خصم الصليحيين اللدود ، ويبيث له شهرياً بألف دينار .

انقضت فترة لم تكن ذات بال في تأريخ العلويين اليمنيين فإن الدولة الصليحية في عهد الصليحي وخلفائه استطاعت بنشاط دعائها وقوة مركزها ومعرفة الصليحيين وهم من عرب اليمن الخللص بالأحوال السياسية في اليمن استطاعت في عهد المؤسس الأول لتلك الدولة القضاء على أغلب الإقطاعيات وحكومات الأسر واستبدلهم بمن ينتمون إليه بالمصاهرة أو الرحم ، فساعده ذلك على خفوت نشاط المذاهب والدعوات أو الحد من نشاط دعائها - ومع أن الصليحي نفسه داعية من دعاة العبيديين المعروفين ببدعتهم الباطنية - إلا أن حزمه ومنهجه السياسي قرباه كثيراً إلى قلوب مواطنيه .

ونرى أول نشاط يستأنف للعلويين في اليمن أو بالأحرى « للزيدية » في عام ٥٣٢ وهي السنة التي توفيت فيها (السيدة بنت أحمد) التي بموتها تقوضت دعائم تلك الدولة الصليحية ، وفي نفس تلك السنة نلاحظ قيام دعوة الإمام أحمد ابن سليمان المعروف بالمتوكل .

أحمد بن سليمان المتوكل :

بويج بالإمامة في عام ٥٣٢ وحكم صعدة والجوف ونجران ، ونشب القتال بينه وبين سلطان همدان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي - أنظر أخبار الهمدانيين - وكتب إليه « حاتم » من جملة ما دار بينهما من المحادثات الكتابية :

أبا لورق الطلحي تأخذ أرضنا ولم تشتجر فيها قنا ورماح
وتأخذ صنعاً وهي كرسي ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاح

ويقال : إنه استطاع أن يستولى على صنعاء مرتين ويستعيدها من حاتم الهمداني .

وفي عام ٥٤٥ انعقد مجلس من العلماء تولى مناقشته لمعرفة مدى صلاحيته للإمامة .

وقد أغار على زبيد في أواخر عهد الدولة النجاشية ، ولم نر في تاريخ (الديبع) إشارة إلى استيلائه عليها وحارب القرامطة وانتصر عليهم وفي آخر عمره كف بصره وثار عليه « فليته بن القاسم » ووقع الإمام أسيراً في يده وأخيراً أطلق سراحه وتوفي بجيدان عام ٥٦٦ .

وبعد وفاته بثلاثة أعوام تقريباً كان تغلب الدولة الأيوبية على اليمن بقيادة توران شاه ، ويقول صاحب (قلائد الجمن) كان لشمس الدولة أكثر بلاد اليمن سهلة وجبله — راجع أخبار الدولة الأيوبية بهذا الجزء .

المنصور عبد الله بن حمزة :

أعلن دعوته في عام ٥٩٣ وحارب المطرفية — فرقة من المعتزلة — واستولى على ذمار ودخل صنعاء ، وبعد أمد قصير اضطر إلى الانسحاب أمام قوات الأيوبيين وتوفي بحصن كوكبان عام ٦١٤ هـ .

ومن بعد وفاته يلوح أن صولة الدولة الأيوبية واستتباب الأمور لها قضى على كل حركة ذات بال لأئمة الزيدية .

عز الدين محمد بن الناصر :

بويع بالإمامة فنازعه آل المنصور وأدى النزاع إلى امتشاق الحسام وتوفي عام ٦٢٣ بظفار .

أحمد بن المنصور الملقب بالمتوكل :

دعى لنفسه في عام ٦٢٤^(١) ثم بايع أحمد بن الحسين بن القاسم الآتي ذكره وكان شاعراً مجيداً ، ومن شعره القصيدة التي مدح بها الملك المظفر الأول الرسولي وهي :

(١) يلاحظ أنه يقوم امامان أو أكثر في وقت واحد كل منهم في جهة .

لعل الليالي الماضية تعود
عنى منزل ما بين نعمان واللوى
وكانت به العين الغواني أو انساً
مجر أنابيب الرماح ، ومبتنى
كان غصون الدَّوح فوق عراسها
فيادرانا بين العبيسة والحمى
فكيف بمن أمسى ظفار محله
وإن فتى تبقى موثيق عهده
ولما سرى البرق الشامي هاج لي
فهل لجنوب الريح أن تلثم الثرى
على أربع بين الصعيد وصعدة
مشاعر حج الطالبين فلا الأذى

ومنها فى المدح :

ولما قصدت الملك ذا التاج يوسفًا
دعوت ، فلباني فتى لا مقصر
ومالي لا أزجى الركاب إلى ذرى
علمت بأن الهم ليس يعود
ملول ولا واهى اليدين بليد
بها الشهب شهب والصعيد صعيد

هذا ما عثرنا عليه من هذه القصيدة فى « مطالع البدور » .

أحمد بن الحسين الملقب بالمهدى :

قام بدعوته عام ٦٢٦ فى مستهل دولة عمر بن علي الرسولي الملقب بالمنصور
الذي يذكر الديبع أنه ملك من حضرموت إلى مكة ، وأمر الخطباء أن
يخطبوا له على سائر منابر اليمن ، ولم نستطع التوفيق بين منظوق تاريخ
القسم الأعلا الذي يشيد بتاريخ الأئمة الزيدية وبين تاريخ الديبع الذي يشيد
بملوك آل رسول — وأقرب ما نستنتجه أن دعوته كانت محصورة فى هذا
التاريخ فى بعض الأماكن القصية ، وقد ورد أنه نازعه أبناء المنصور عبد الله
ابن حمزة وقاومه أحد الرؤساء المحليين المدعو أحمد الرصاص وأنه طالبت

إمامته أو مقاومته لمناوئيه حتى أدرك أيام المظفر الأول الرسولي فاستعدى عليه أبناء عمومته الملك المظفر فأمدهم بالجيش حتى قتل بموضع يسمى « شوابه » عام ٦٥٦ ، وبقتله قام أحد أسرة المنصور ودعى لنفسه وتلقب بالمنصور في عام ٦٥٧ وتوفي المنصور هذا في هجرة رغانة عام ٦٧٠ .

المهدي إبراهيم بن تاج الدين :

أشرنا إلى وفاة المنصور : ونجد في عام ٦٧١ قيام المهدي إبراهيم بدعوته ، ويظهر أنه لم يكن مرتبطاً بصداقة الرسولين ، أو بالأحرى بالمظفر الرسولي الذي بلغت دولة الرسولين أوج عظمتها في عهده .

لذلك نرى المظفر يسر الجيوش للقضاء على دعوته وقد أسرته جيوش المظفر غربي دمار وقادته أسيراً إلى زبيد وبقي في الأسر إلى أن توفي في عام ٦٨٣ ويلوح أن الملك المظفر قد عامل أسيره بكرم وعطف قابلها المهدي على كل حال بالتقدير والشكر ، وانطقت شاعريته الخصبية بعدة قصائد خالدة نورد منها البعض :

نواب الدهر في أفعالنا عجب	والحرب لفظ ومعنى لفظها الحرب
والدهر إن سر يوماً في تصرفه	فعن قليل إذا ما سر ينقلب
وقد رميت صروف الدهر عن كذب	بأسهم ماضيات عندها العطب
فلم تجدني جباناً حين تطرقي	ولا جزوعاً لدى البأساء انتحب

إلى أن يقول بعد وصفه لأسره :

وبعد ذلك جاءوا بي إلى « ملك »	له المفاخر والعلواء والحسب
أبو « الهزبر » نبي العرض من دنس	وباذل المال لا زور ولا كذب
فكان منه من الإحسان ما شهدت	بفضله فيه عجم الناس والعرب

ومن قصيدة أخرى بعثها إلى أسرته :

ولاني إليكم للمظفر شاكر عنى وحباني بعدها بالمواهب

الإمام السراجي :

قام عام ٦٧٤ فسير المظفر جيشاً - للقضاء على حركته - بقيادة الشعبي
سنجر فأسره ثم سمل عينيه وهي بربرية ووحشية تبرأ منها الشرائع .

المظهر ابن يحيى المرتضى :

قام بدعوته والدولة الرسولية في عنفوان قوتها - وكان نائب الدولة
الرسولية على صنعاء المؤيد بن المظفر - فاشتبك في قتال معه قرب « تنعيم »
من جبال اللوز فانتصر عليه المؤيد واستولى على تنعيم وأخربها ، توفي المظهر
عام ٦٩٠ :

المهدي محمد بن المظهر بن يحيى :

بويع بالإمامة بعد وفاة والده في سنة ٦٩٠ ، كان واسع العلم وهو مؤلف
(المنهاج الجلي في فقه زيد بن علي) ، ويقال : إن أكثر شيعته في الجبال لم
يعترفوا بإمامته ويقول صاحب البدر الطالع ، ورد في كاشف الغمة : اعلم
وفقك الله أن علماء الظاهر تحاملوا عليه وأنكروا فضله حتى يقال : إن بعض
أفاضلهم كان يقول لا فرق بينه وبين صاحب ظفار معناه في الظلم كذا ،
وأن مقعداً ركب دابة وجيء به إليه فسح عليه فشفاه الله ، فقال أهل الظاهر
هذه علة تزول بالهزيمة فلما ركب المقعد الدابة زالت العلة وهو الذي مدحه
الشاعر المشهور القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي يقصيده السائرة .

إذا جئت الغضا ولك السلامة فطارح بالتحية ريم رامه

وقل للوائلية هل لسقمي وما أتلقت من جسدي غرامة

حللت (تهامة) وحللت «نجداً» فأين ، وأين «نجد» من تهامة؟

واشتبك مع قوات الملك المظفر الرسولي في معارك حامية وتوفي عام ٧٢٨

في حصن ذي مرمر :

الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد :

دعا لنفسه بعد وفاة والده المطهر بن محمد عام ٧٢٨ واستولى على مدينة صنعاء عام ٧٢٩ ثم عارضه المهدي علي بن محمد ، فتنازل الواثق له عن الإمامة أو بالأحرى اضطر إلى التنازل واستمر مكباً على العلم حتى أدركته الوفاة عام () .

الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور :

ولد عام ٧٠٥ في هجرة الهان ، ثم دعا لنفسه في عام ٧٥٠ في مدينة ثلا ، واجتمع على بيعته أكثر علماء الزيدية وتنازل المتقدم ذكره وعارضه شمس الدين من أسرة أبي الفتح الديلمي ، وقد استقرت الأمور للمهدي واستولى على صنعاء وذمار وصعدة واستمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ٧٧٣ ، فخلفه ابنه محمد بن علي الملقب بالناصر الآتي ذكره .

الإمام المؤيد يحيى بن حمزة :

ولد بمدينة صنعاء عام ٦٦٩ وتلقى بها العلوم حتى بلغ درجة الاجتهاد وألف المؤلفات العديدة في الأصول وفي فقه الزيدية وعلوم البلاغة الذي ألف فيه مؤلفه المشهور « الطراز » .

دعا لنفسه بعد وفاة الإمام المهدي - السابق ذكره - وكانت دعوته في عام ٧٠١ وعارضه المطهر بن محمد وغيره ، ولم تطل مدته ، فقد توفي في عام ٧٠٥ .

الناصر محمد بن علي بن يحيى المشهور بصلاح الدين :

ولد في ليلة الجمعة ١٧ صفر ٧٣٩ وطلب العلم واشتغل به إلى أن بلغ درجة الاجتهاد وبويع بالإمامة من علماء الزيدية بعد وفاة والده عام ٧٧٣ ، واتسعت سلطة إمامته وملك صنعاء واستقر بها وحارب الاسماعيليين في جبال اليمن واستباح أموالهم ، وكان يشن الغارات على أطراف الدولة الرسولية

ونستنتج من قصيدة البسامة ^(١) التي تشيد بمفاخر أئمة الزيدية وتنوه بآثارهم ووقائعهم بأن تلك الغارات عجلة الراكب الماضي إلى السفر أو أن حظ صلاح من الإمارة كذلك إذ يقول :

وكان حظ صلاح من إمارتها عجلة الراكب الماضي إلى السفر
لكنها غرة في الدهر شائخة بيضاء واضحة التحجيل والغرر
عج الرسولي منها في ممالكه عجيج حامة وقرأ على دبر
وقد عارضه في دعوته يحيى بن حمزة المعروف بالمؤيد ، كما عارضه
أيضاً أحمد بن يحيى المرتضى ، وقد تمكن الناصر من القضاء على مقاومة
الأخير والقبض عليه وسجنه .

وقال العلامة الزحيف في « شرح البسامة » ما نلخص منه بتصريف القصة
الآتية — شكى بعض فقهاء اليمن من رعايا الدولة الرسولية في عهد الملك
الأفضل الرسولي إلى الإمام الناصر ما يلاقه من جفوة الأفضل ، وضمن
شكواه في قصيدة — وبالطبع إن المخافة بين الإمام والملك الأفضل ، أو
بالأحرى بين المملكة أو رعايا المملكة الرسولية التي تقلد الإمام الشافعي
وبين رعايا القسم الشمالي الأعلى الأمامي الذي يقلد الإمام زيداً — جعل من
تلك الشكوى معركة « قلمية » جال في ميدانها الشعر السياسي ، هذه الجولة .

وبورود تلك القصيدة إلى الإمام الناصر ، أمر أحد أسرته المقربين
المطهر بن الواثق بالإجابة على ذلك الشاكي بقصيدة على لسانه يعد الشاكي
بالتدخل لإنصافه ويتوعد الدولة الرسولية ويعرض بالملك الأفضل .

تناقل الناس القصيدة وجوابها حتى بلغت البلاط الرسولي . وكان للرسولين
غرام بالآداب وعطف وتشجيع للشعراء والأدباء ، فهب أحد المقربين من
الأفضل المدعو ابن الداعي للإجابة على قصيدة المطهر بالقصيدة الآتية :

(١) البسامة قصيدة لصارم الدين إبراهيم بن محمد الوزيري عارض بها قصيدة ابن عبدون

ففي قبل التفرق يا أماما
فلي شوق إليك ولي فؤاد
أكلفه الصبر والتعزي
عدمت الصبر عنك فلا سلوا
ومما أضرم الأحشاء آت
كلاماً من اجل الفكر فيه
لمعتوه تخيل من «أصاب»
فلم يحظ بما قد قال شيئاً
تبصر في أمورك واختبرها
فأما من سألت ، فغير شيء ،
اتسأل سائلاً . أبداً ملحاً
وكيف يجود من عضت «عصاه»
لعمرك ما حذوت على مثال
وأعجب منك أن حركت شخصاً
تخر له بعثمة أو أصاب
وكيف يطيق ، أم من ذاك يقوى
وفي أقطارها ملك كريم
على الأقصى يحامي بالمواضي
وقلت : الشافعين اقتطعهم
أبي الرحمن إلا أن ترانا
نولى من أردناه بخير
وأرضك ، قلت قد شردت عنها
وانك ترتجى بهم انتصاراً
وقال مطهر^(١) ، لما أتاه
وما عنا ، بنصرك صاهلات

نطارحك التحية والسلاما
مذاب قد غدا بك مستهاما
وليس يزيده إلا غراما
ولا وصل لها يروي الأواما
حكى لي عن أخي حمق كلاما
رآه عند رؤيته حراما
أراد بدينه يعطي الخطاما
ولم يسلم بما فعل الأثاما
وسل ان شئت ، وارتقد الكراما
أمام الجوع لم يشبع طعاماً
ولا فضل لديه ولا احتشاماً
كلاب الحي أو يعطي المراما
وقد احزرت في الدارين ذاما
يريد لنفسه منا الذماما
تبلغه أمانيكم بهاما
يمس بكفه منا خطاماً
حماها أن تنال وأن تضاما
ومن قد رام عنه لا يحاما
وأوسعهم ذماماً واختراماً
لأهل الملة الغرا سناما
وفينا الله قد وهب الإماما
ودمع العين ينسجم انسجاما
لقد ايقظت امواتاً رماما
جواب بالكلام جزى كلاما
وعن مضمون شرحك قد تعاما

(١) مطهر بن الوائلي الذي تولى الجواب على صاحب القصيدة الأولى .

نفخت فكان نفخك في رماد
 ألم تر أن في ثعبان^(١) ملكا
 رسولي له في الملك أصل
 حمى الدنيا وأهلك معتديها
 فنحن بملكه في خير حال
 رجونا فاولانا جميلا
 وهبنا ، من مواهبه مئينا
 ومن مدح «الملوك» ينال عزا
 وما كالأفضل العباس تلقى
 وكل متوج وعظيم قوم
 تراهم عند ساحته وقوفا
 فقل لي للإمام (...) قولا
 «عدمنا خيلنا إن لم تروها»
 عليها الصيد ، لابس دلاصا
 تسير أمام ملك شافعي
 ينقط بالرماح السمر صلدا
 وكل جلوده لكم استباحوا

غررت به ولم تنفخ ضراما
 لصرح الشافعية قد أقاما
 أصيل ، لا يرام ولا يساما
 وأمن أهلها يمنا وشاما
 نود له على الدنيا اللواما
 واحسانا وانعاما تؤاما
 وأغنينا الأرامل واليتاما
 ويلقي الذل من مدح الاماما
 مليكا لا وراء ولا أماما
 يود بأن يكون له غلاما
 يرومون السلامة والذماما
 يكون وراءه «الغضب» الحساما
 على أبواب «صعدتكم» قياما
 تعانق في الهياج ولا ترامي
 يقود الخيل والحيش اللهماما
 ويشكل بالمواضي البيض هاما
 وسوف يكون في هذا لزاما

وقد أجاب على قصيدة ابن الداعي ، عن لسان حال الإمام الناصر ، يحيى
 ابن حسن العرشي :

أت تهدي إلى البدر الملاما
 مثلمة الجوانب خط فيها
 تدل على وضاعة مبتديها
 وتحمل نحونا منه خطابا
 منائرة الفصول كتبت فيها
 وتستدعي من البحر الخصاما
 جنون كان في ظني مناما
 وتكشف عن حماقة اللثاما
 يقول لسان قارئه سلاما
 خبالا مثل عقلك لانظاما

(١) ثعبان منتره شرقى جبل صبر كانت على ربوته الغناء قصور ملوك آل رسول .

نمى المستحيل بها ضللا
وما نفع الكلام لقائليه
متى سار الثراء إلى الثريا
متى أتت الرياح إلى ثبير
متى أبصرت كلباً أو حماراً
متى اشبهت يابن « حمار » طي
وتنهض أن تساميه جنوناً
هو « البدر » المنير بلا محاق
هو الملك المحكم في البرايا
هو الجبل المنيع بنا أماناً
هو الختف المباح على الاعادي
هو المعطي إذا الأنواء ضنت
فتى فاق الورى فضلاً وفخراً
له فضل يقربه الاعادي
فيابن التركمان بأي فضل
ويا ترب السقالة والحازي
تفاخرني وباعك في المعالي
أنا تاج المعالي وهي رأس
أنا السيف المهند قد علمتم
أنا بدر الظلام إذا تعاما
أنا للمجد والعلياء فخرى
أنا الداعي إلى التقوى احتسابا
لقد أمعنت في « الأحلام » حتى
جهلت حقيقي فسعيت نحوي
وما « للشمس » في العميان ذنب
بفيك الترب ، كيف طمعت فينا

وتكذب لاحياء ولا احتشاما
إذا لم يتبع الفعل الكلاما
متى قد سامت الخف السناما ؟
فناالت منه أو هزت شماما ؟
أنخاف بصوته البدر التماما ؟
بفسقك أو حماقتك الاماما ؟
يجل وحقه من أن يساما
إذا ماكنت ياغمر الظلاما
إذا ما كنت للاهوا غلاما
لمن قد حل ذروته اعتصاما
فلن يجدي لما صدع الثماما
كأن يبطن راحته الغماما
وسادهم وما بلغ الفطاما
وود لا يرون به انكتاما
تحوز الفضل خلفاً أو اماما
متى امسكت للعليا زماما
قصير ما بلغت به مراما
ومضربها إذا كانت حساما
إذا طاح الظلال إلي هامام
أنا بحر العلوم إذا تطاما
إذا ما كان مفخر الحطاما
براني الله للتقوى إماما .
إذا استيقظت أمعنت اهتراما
كما جهل « الطلى » الليث الهماما
إذا ما أبصر « الدنيا » ظلاما
ويأبى مجدنا من أن يراما

ونحن الضاربون الهام شعناً
 وكنا فوق هام المجد « تاجاً »
 وقلتم نرتجي « الزكوات » منكم
 عن الزكوات نزهنا فكانت
 وبالتشييع تنبزنا انتقاصا
 فهبوا للقاء ولا تحيدوا
 سنصبحكم بها شعث النواصي
 فكم من وقعة دارت عليكم
 فكنتم بين أيدينا ظهوراً
 ويوم « زبيد » خيمنا عليها
 دعوا هذا التجلد واستعدوا
 وخذها تحمل الاعذار ، منا
 وموج الحرب يلتطم النظاما
 وكنا في محياه ابتساما
 فلا فعلا صدقت ولا كلاما
 على حتى موالينا حراما
 ولم نعلم بهذا الاسم ذاما
 فإن لنا بلقياسكم غراما
 معودة فوارسها الصداما
 تركنا « الحصنات » بها أياما
 وكنا نحن خلفكم سهاما
 وأعقدنا معاقلها القتاما
 نراكم عن مقاصدنا نياما
 إليكم لا التحية والسلاما

وهكذا كانت الحصومة المذهبية تصدع الوحدة العربية وتفرق الجامعة الإسلامية بين أبناء هذه الأمة الكريمة ، فعسى أن يكون في الماضي ، عبرة وعظة ، ونحن بحمد الله تعالى في عصر نضج فيه الوعي وارتقت المدارك واتحدت الغايات وتوحدت الميول ، وقد أصبح شعار أبناء هذه الأمة الكريمة الوحدة العربية والأخوة الإسلامية فوق الجميع .

توفي الإمام الناصر عام ٧٩٣ في حصن ذي مرمر .

المنصور علي بن محمد الناصر صلاح الدين :

ولد عام ٧٧٥ وبويع بعد وفاة والده الناصر عام ٧٧٣ ، ويقال إنها اتسعت رقعة إمامته وكثرت أجناده واستمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ٨٤٠ .

المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان :

دعا لنفسه بعد وفاة المنصور المقدم ذكره ، في عام ٨٤٠ واستولى على كحلان ثم دمار وأخيراً أسر وسجن ، ثم بعد ذلك أطلق سراحه ومازالت أحواله بين القوة والضعف إلى أن أدركته الوفاة عام ٨٧٩ بدمار .

الحالة السياسية والاجتماعية في اليمن الأعلى والاسفل وتهماته

شرحنا قبل - أحوال وتاريخ أئمة الزيدية في اليمن منذ امامة الهادي يحيى ابن الحسين العلوي إلى نهاية امامة المتوكل المطهر ، وتاريخ جنوب الجزيرة مرتبط بالوشائج ببعضه وقد تصرف المؤرخون كل حسب ميوله ونزعاته ، وقد تقلبت على اليمن دول وحكومات وامارات محلية وطارئة اضطبغت وتبلورت في المحيط المحلي بعد أن أثرت وتأثرت بالمحيط أو احتفظت ببعض خصائصها أو خلقت من الرواسب ما زال راكداً في نفسية الشعب .

وقد عاصرت الامامة الزيدية منذ نشأتها الأولى إلى هذا التاريخ من الامارات المحلية الذين ينحدرون من سلاسل الحميريّين «الملوك والاذواء» السابقين - ذوي الحضارات العريقة والمجد الاثيل - وان يكن قد تقلص ظلال تلك الحضارات وطواها الزمان في سجل طياته ، وإن لم يصل إلى من أشرنا شيء من تلك المدنية الزاهرة ، فلاشك أنهم ورثوا من خصائص الاسلاف وتقاليدهم الموروثة الكثير ، ومن ذلك :

١ - ان نظام الحكم في الدولة الحميرية وراثي محصور في أسرة واحدة لها آلهتها ومعبداتها .

٢ - نظام الطبقات المعروف .

٣ - انه كان يطلق على المدينة اسم هجرة وتنسب تلك الهجرة إلى رؤساء لهم من العصبية والمكانة ما يجعلهم في تجلّة يقصر دونها التطاول ، ويمنعها من الاختلاط بمن عداها وان ساكنها ينسب إلى ولائها لا إلى تلك الاسرة أو القبيلة ، فيقال « آدم » بني فلان ، كأدم « جدن » أي اتباع أو خول جدن ، وادم بني مرثد ، وهكذا .

٤ - ان للدولة أو الإمارة التي تتمثل في رئاسة الأسرة مطلق التصرف في وضع التشريع الكفيل بتثبيت مركز وبقاء نفوذها لا في مصلحة سواد وجمهور الامة .

ومن سلالة الحميريين في الإسلام الامراء آل يعفر كما أن هناك الامراء
الهمدانيين وغيرهم .

ومن اشهر تلك الأسر التي حافظت على سلطتها المحلية إلى القرن الخامس
الهجري حتى قضى على نفوذهم على بن محمد الصليحي .

١- آل الكرندي ملوك المعافر ، وهم من أبناء الأبيض بن حمال ، الذي
يقال : إنه أقطعه رسول الله ﷺ ، جبل الملح ثم استقاله منه وكان اليهم
سلطان مخالفهم .

٢- آل الضحاك سلاطين همدان واليهم كان أمر صنعاء .

٣- آل أبي الفتوح سلاطين خولان .

٤- آل معن .

٥- آل النبعي ، أصحاب حصن الشعر .

راجع تاريخ الدولة الصليحية - بهذا الجزء - وهناك غير هؤلاء من
الأسر - راجع أخبار القرامطة بهذا الجزء - وأخبار الامراء وعدا تلك
الاسر فقد عاصرت الزيدية في اليمن الاعلا الدول الآتية :

١ - الدولة الزيدية من عهد إبراهيم بن محمد في عهد مؤسسها الأول
يحيى بن الحسين العلوي .

٢ - الدولة اليعفرية التي تدين بالولاء السياسي للعباسيين ، وعدا اليعفرين
فهناك دعوة القرامطة وتغلبها على أغلب اليمن الاعلا واعتناق الكثير من
الاسر الكبيرة لدعوتهم أو بدعتهم .

٣ - الدولة الصليحية التي شملت سلطتها أغلب البلاد اليمنية واستطاعت
التغلب أو كبت سائر الدعوات في اليمن سهله وجبله وقد حاول اثنان من
الأئمة المتقاومة فلاقيا حتفهما على يد قادة الصليحي - راجع تاريخ الزيدية في
تاريخ أبي الفتح الحسين بن عبد الرحمن .

٤- عاصرت الدولة النجاشية في عصرها الأول والثاني ، وكانت دعوتها روحية .

٥ - نلاحظ أن الإمارات المحلية ظلت ذات نفوذ في الجبال بعد انقضاء عهد الدولة الصليحية ، كإمارة آل المغلس الهمداني التي استمرت من عام ٦٠٢ إلى ٦٣٢ هـ وضُمَّت في آخر عهدها في عهد الأمير جماس إلى حكمها بلادجنب .

(ب) وفي إمارة اليامين التي انبثقت عن الدولة والإمارة الهمدانية فنجد أنها احتفظت بسلطتها إلى أواخر القرن السابع الهجري في كامل إمارتهم ، ثم تقلصت سلطتهم بتغلب الزيديين عليهم واحتفظوا بسلطتهم في معقلهم الشهير ذي مرمر حتى غلبهم عليه مؤخرأ الإمام صلاح في القرن الثامن .

٦ - في عهد الدولة الأيوبية التي استطاعت الاستيلاء على صنعاء وغيرها انسحب الإمام عبد الله بن حمزة إلى كوكبان وقد بسطت الدولة الأيوبية نفوذها على أغلب البلاد ولم يبق لغيرها سلطة تذكر .

٧ - في عهد الدولة الرسولية الذي استمر زهاء قرنين ونصف على وجه التقريب أي من عام ٦٢٥ إلى ٨٥٩ هـ - راجع ماسبق من تاريخ الدولة الرسولية بهذا الجزء .

والآن وقد وصلنا إلى هذا استأنف تأريخ الأئمة في عهد دولة جديدة قامت في اليمن في النصف الأخير من القرن التاسع وهي الدولة الطاهرية والتحم تأريخها وحوادث عصرها بتاريخ الأئمة الزيديين - وقد ولى منهم الإمامة هداة أعلام تقرأ تواريخهم وتأليفهم مفرقة في ثنايا هذه الصفحات وكان المؤسس الأول منهم يحيى بن الحسين على أكبر جانب من التقوى والصلاح بعيداً عن غلو المتأخرين ، كما روى العلامة المحقق محمد بن إسماعيل الأمير في كتابه المشهور « سبل السلام » وأنه زوج بناته من الطبريين ، والطبريون ليسوا من الهاشميين كما يشيران الغلو نشأ من أيام الإمام أحمد بن سليمان في القرن السادس .

الإمام الناصر بن محمد :

دعا لنفسه في عام ٨٤١ فنشب الحرب بينه وبين ملوك آل طاهر الذين في ذلك التاريخ قد أخذوا في الاستيلاء على أملاك الدولة الرسولية وقد تمكن الطاهريون من أسر الإمام الناصر في رجب عام ٨٦٥ بواسطة أهل عرقب من بلاد الحيمة وقد خرج من ذلك الأسر فحبسه الإمام المطهر بن محمد بن سليمان في كوكبان حتى أدركته الوفاة عام ٨٦٧ :

وقد قام بعده الهادي عز الدين بن الحسن وتولى الامامة على بلاد الزيدية ما عدا حاشد وتوفي في قلعه من أعمال صعدة عام ٩٠٠ .

المنصور بن علي المعروف بالسراجي :

دعا للامامة عام ٩٠٠ وبايعه جماعة من علماء الزيدية وكثير من الرعية والتحم القتال بينه وبين السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري فأمرته القوات الطاهرية في عام ٩١٠ وأطلق السلطان عامر سراحه بعد ثلاثة أشهر وتوفي في نفس تلك السنة .

الإمام الناصر الحسن :

يقال : في عهد امامته اكتشفت شجرة البن القهوة ، في اليمن . وذلك في عام ٩١٤^(١) واستعمل الناس غلي ثمرتها ويقال : إن شجرة القات والتبغ

(١) (القات) لمحة تاريخية ، جاء في بحث هذا العنوان للأستاذ عبد الرحيم لقمان نشر في مجلة « فتاة الجزيرة » العذنية — استقاه من دائرة المعارف الإسلامية ورسالة القات للأستاذ المؤرخ عبد الله يعقوب خان نورده هنا لأنه أوفى بحث عثرنا عليه .
لم يحاول احد من المؤرخين أن يستقصى البحث عن هذه الشجرة ومنابتها الأول حتى أن كثيراً من المراجع الرئيسية كدائرة المعارف البريطانية لم تذكر شيئاً مطلقاً في هذا الشأن ، والسبب كما أرى في اغفال هذا الكشف القيم للقات هو الغموض الذي أحاط بكلتا البلديتين ، اليمن والحبيشة سنين عديدة ، غير أن جماعة من الرحالة الغربيين ساحوا في البلاد اليمنية في سنة ١٧٦٢ تحت رئاسة بيتر niebhur وكان من بينهم عالم سويدي مختص بالنبات اسمه « بيتر فورسكال » الذي مات وقبر في يريم في ١١ يوليو ١٧٦٣ .

اكتشف هذا العالم هذه النبتة فكتب أول تقرير عنها حتى اطلق عليها اللفظ اللاتيني « كاتا ايدولس سكال » نسبة إليه لكن هذا العالم لم يقل لنا أن اليمن هي موطن القات الأول ، وإنما تكلم عنهما من الوجهة الطبيعية والعلمية فقط وبقي أصلها مطموراً في صحراء الجهل لم يحاول أحد =

= أن يكشف عنه ويستقصيه ، ومن ياترى يستطيع أن يقول ذلك أو يقرره والأدلة قليلة والشواهد لاتكفى .

تقول دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة قات ان « الامهارا » يسمون القات كاتو وكلفا ، وان الملك « عمدا سيون » قال سنة ١٣٣٢ لسوف أجمل من قصر جبر الدين ، مراضه ، قصرألى وازرع فيه القات .

ويقول عبد القادر الجزائري بأن على بن عمر الشاذلى ادخل « البن » من بلاد الفتنة عام ٨٢٧ فاستعاض به الناس عن القات ، ويظن بعض الناس أن القات أدخل إلى « اليمن » من « الحبشة » ويقولون انه نقل إليها عام ١٤٣٠ م ، وأن الذى جاء به متصوف حضرى اسمه إبراهيم أبو زرين ، وقد يكون هذا حقاً ، غير انى أظن انه إما يكون نباتاً طبيعياً لم يأت به أحد أو أنه ادخل منذ عهد بعيد ، أى منذ الفتح الحبشى .

زراعته : ولقد كان الناس يظنون أن القات لا يزرع الا حيث يزرع البن ولكن وجود « البن » فى أراضى بعيدة أبطل هذا الزعم وقد رأيت فى « العراق » فى الحديقة الحكومية التجريبية فى الزعفرانية التى تبعد بضعة أميال عن بغداد محاولة الاستاذ المختص بادارتها ، فقد جرب أن يزرع القات فى أقفاص زجاجية فى جو بعيد عن البحر مشبع بالرطوبة دوماً ، وقد ذقناه ولكن لم أدر فيما بعد انجحت التجربة أم لم تنجح .

والقات والبن نبتتان صعبتا المراس لاتلينان لكل غارس ولا تستطيان الا أجواء خاصة ، فان نقلت من موطنها رفعت عقيرتها واعلنت ثورتها بتغير حجمها ولونها وطعمها ، فهى شجرة مرهقة الحس رقيقة الشعور ، وكأنى بجميع الأشجار التى تستقطر منها المنبهات كذلك . وقد روى لنا الدكتور زكى مبارك ، فى الجزء الأول من التصوف الإسلامى قصة اكتشاف الحشيش وحساسية هذه النبتة فى الكلام عن الشيخ « حيدر الصوفى الذى كان يقيم فى نشاور من خراسان .

والقات لا يزرع إلا على علو يتراوح بين ٣٠٠٠ و ٦٠٠٠ قدم وليست البرودة أو الحرارة شرطاً لازماً فقد يزرع فى مناطق شديدة البرودة كاديس أبابا وصنعاء ، أو حارة كوجو إلا أن طعمه يختلف باختلاف الأجواء ، وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية انه يزرع فى مدينة « الكاب » حتى منطقة بحيرة « تانا » . والقات هو من فصيلة « اربتوس سيلاستراشيا » وليس له زهر ولا بذر ، وهذا دليل انحطاطه فى سلم التطور الحيوى وأكبر سبب فى عدم انتشاره وتكاثره لأن النبات الذى لا يستطيع أن يحتكر أكبر رقعة من الأرض نبات ضعيف ولا بد أن القات سينقرض لولا عناية الناس به لأن الزهر أعظم وسائل التكاثر والانتشار وهو فوق ذلك نبات شره ظالم ، فإذا اريد زراعته قطفت أعواده ثم عملت اخاديد فى الأرض تسقى بماء غزير خلو من الرمل أو المواد الضارة ، ثم تغذى التربة بكية وفيرة من السماد وتغرس الأعواد وتترك بينها مسافات تتراوح بين ٤ و ٦ أقدام فتنمو تلك الأعواد إلى أشجار تبلغ طولها من ١٥ إلى ٢٠ قدماً لاتزيد ، وفى السنة الرابعة تقطف الأوراق وتبقى الشجرة تغل طيلة العام إذا زرعت بعناية ، وقد أخبرنى الأستاذ إبراهيم راسم : أنه لا يمكن قطف أوراق القات فى حرر اللهم إلا ٤٠ يوماً عند غروب الثريا وهو يزرع فى كل مقاطعات الحبشة تقريباً ، كما يزرع فى اليمن ، والأحباش =

=يقدمونه، وتختلف أنواع القات اختلافاً بيناً، ولا يعود هذا إلى إخصاب هيجنى أو إلى وسائل التلطيح، لأن القات لا زهر له ولا تطلع أغصانه، وإنما يعود إلى التربة والماء والبيئة على وجه العموم، فإذا ما انتزع الإنسان من مدينة ما فسيلا من فسانله وحاول زرعها في مدينة أخرى لتغير طعمها، وإذا ما زرع في سفح الجبل اختلف طعمه عما لو زرع في وسطه أو في قته وقات الجو البارد أجود من قات الجو الحار، كما هو الحال في قات صنعاء وأديس أبابا، وهنا عوامل أخرى تعين طعم الشجر فالغصن الأوسط أحلى ورقاً من غيره والشجر الطويل أجود منتوجاً من القصير، وتعيش شجرة القات ١٦ عاماً ثم يقطع رأسها وتعيد سيرتها الأولى.

أنواع القات : والقات أنواع والحشيش منه ينقسم إلى الجراجي، والبستاني، والهواشي وقات بلبلتي، وموجو، ووليسو، وهذا هو قات أديس أبابا، والهرري.

والقات اليميني وأجود ما يزرع في صنعاء وهو أيضاً على أنواع ومنه : الوادي والعصري، والحلدي، والروضي، والعفشي، والاحلسي وغيره، ثم قات تعز ومنه، النيداني والصناحي والمشرعي والمقراضى والادودي، وقات صبر، ومن أنواعه : الشرو والمبرج والمثاني (١). أرقام : لا يعرف أحد ما تنتجه اليمين أو الحيشة من القات في كل عام، وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أن اليمين والحيشة أصدرتا في أحد السنين ٣٠,٠٠٠ طناً من القات، وجاء في العدد ٥٢ من فتاة الجزيرة أن عدن تصرف ما يقرب ٣٥٠٠ روبية (٢) يومياً في القات، ومعنى هذا أن عدن تصرف في القات كل سنة أكثر من مليون وربع مليون روبية وهي قيمة ثلاثين فراسلة من القات يومياً فقط.

(١) هذه الأنواع المعروفة في عدن، وهنا أصناف ترد من الجبال الشمالية إلى ميدي ومقاطعة جازان - قبل المنع طبعاً - وأشهرها الحجل الشريفي، النظيري، ابن الخاسية، سلامي، زهري، دهواني، عيباني.

(٢) هذا التقدير قبل ربع قرن، أما الآن فقد تضاعف المبلغ أضعافاً. تصرف في القات كل سنة أكثر من مليون وربع مليون روبية وهي قيمة ثلاثين فراسلة من القات يومياً فقط.

مفعول القات وآراء بعض العلماء : ولكن ما هو السر في ولع الناس بهذه الأعشاب، وما هي تلك العصابة الخضراء المرة المذاق الحلوة المستساغ لقد دلت أبحاث البرت بيتر من جامعة ستراسبورغ أن القات يحتوى على بلورات قلووية حادة الطعم عديمة الرائحة، وقيل أنه استخلص منها : اسيتات القاتين وسلفات القاتين، بروميد القاتين، وساليسلات القاتين، كما وجد فيه كمية من الزيت وحامض الثيك وسكر المن.

ولفظه قاتين مشتقة من لفظة قات وهي من عائلة plirin القلووية وتتألف من الكربون والهيدروجين والنتروجين، ومن أمثالها الاستركنين والكافاين « القهوة » والنيكوتين (السجارة) والكوكائين.

ومن أضرار هذه المخدرات التي تختلف قوة وضعفاً اختلال الدورة الدموية وسوء الهضم وجفاف البول وازياد خفقان القلب وتأثير شديد على الأعصاب.

وجاء في تقرير الكولونيل نيسن لعدن لعام ١٩٣٣ م في صفحة ١١ ما يفيد أن الملايا والقات هما أسباب تحجر الكبد وتضخم الطحال، كما أن تشارلس. موزر القنصل الأمريكي أشار

اكتشفت وإستعملت في اليمن بعد أن اكتشف البن وذلك حوالي عام ٩٥٠ .
توفي الناصر عام ٩٢٩ .

الإمام الوشلي :

دعا لنفسه بعد وفاة الناصر وهو الذي هزم السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري قرب صنعاء — راجع تاريخ الدولة الطاهرية — وتفصيل الحادث أن ابن الناصر كان محصوراً في داخل صنعاء وقد شدد عليه السلطان عامر نطاق الحصار فقام الوشلي من خارج صنعاء ، بحركة التفاف على الجيش الطاهري أدت إلى الهزيمة الماحقة وتوفي في أثناء ذلك ابن الناصر فخلفه أخوه أحمد ابن الناصر ، فأعاد السلطان عامر الكرة على صنعاء وأسر الوشلي بعد أن استولى على المدينة واقتاد أحمد بن الناصر أسيراً إلى تعز .

المتوكل شرف الدين :

دعا لنفسه في ١٠ جمادى الأولى عام ٩١٢ في « ثلا » وهي غرب صنعاء بمسافة يوم ومكث فيها إلى أن دعاه أهل صنعاء للهجوم على الحامية الجركسية — راجع أخبار الجراكسة في اليمن — التي بقيت في صنعاء بعد سفر قائدها الاسكنلر .

وفي عام ٩٢٩ توفي منافسه الناصر الحسين بن عز الدين . فانفسح أمامه المجال وتوفق من القضاء على الحامية الجركسية والاستيلاء على صنعاء ، وقد مهد له قبل ذلك اكتساح الجراكسة لأملاك الدولة الطاهرية وإبادة جيشها ، والحقيقة أن قتل السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري ، وسع المجال للإمام شرف الدين ، وأخيراً باستئصال القائد التركي سليمان باشا للبقية الباقية من الطاهريين — الذين تمكنوا من إقامة إمارة هزيلة في عدن ، خلى له الميدان من كل منافس وبانفساح المجال أمامه بإزاحة الدولة الطاهرية التي كانت من عظم القوة وسعة المملكة بحيث تشكل خطراً على إمامته ، فقد أدرك ببعد نظره ورجاحة عقله أنه مني بعدو دخيل أشد خطراً وأعظم شراً وهم الأتراك .

= إلى تأثيره على النسل ولم يهمل ذكره الكاتب العربي الكبير أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب ، انتهى .

وبسقوط زبيد في يد القائد التركي سليمان باشا ، وتغلبه على الجراكسة الذين كانوا يتولون أمر تهامة أخذ القائد التركي في الزحف شمالاً وشرقاً ، وقد أدرك بطبيعة المحارب المرن أن خطر المقاومة يتمثل في شخص الإمام شرف الدين الذي قد أخذ نفوذه يعم أكثر الجهات اليمنية بسرعة مذهشة ، وتعليل ذلك ميسور فإن جنوب الجزيرة - إذا استثنينا القسم الأعلى الشمالي أي من صعدة شمالاً إلى ذمار ورداع جنوباً ، التي تدين بمذهب الإمام زيد - جميع سكانها شوافع وبينهم وبين إخوانهم من التباين المذهبي ما هو معلوم وتلك الأقسام أي التي أهلها - شوافع كانت مستقر حكومات قوية سيطرت على أغلب الأقسام الجنوبية من عصر الدولة الزيادية إلى عهد الدولة الطاهرية وشمل سلطانها في كثير من أدوار التاريخ القسم الذي يدين بسلطان الأئمة الزيدية ، أما الآن وقد غزى البلاد عنصر أجنبي الجنس واللغة ، وإن كان يدين بالإسلام فإن الحال ينطبق عليها المثل القائل « أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب » وبذلك التف اليمن جميعه حول راية الإمام شرف الدين ، وكان لعلنه الواسع وحنكته السياسية العامل الأول في توحيد الصفوف واتلاف القلوب ، ويقول صاحب العقيق اليمني كان الإمام شرف الدين مجاملاً للوالى التركي اسكندر موز في الظاهر اتقاء لشره محارباً له في الباطن فترصد للوثوب انتظاراً للفرصة المواتية .

بالطبع إنه لم يخف ذلك على القادة الأتراك فرأوا والحالة هذه أن من أنجع الوسائل لاستيلائهم على اليمن كلياً ، زعزعة أركان ذلك السد المنيع وإثارة الفتن في ذلك القسم السليم الملتف حول ذلك الإمام الحازم الذي له من السلطة الروحية والمكانة الدينية ما يكفل التفاف اليمن بأسره حول رايته ، رأوا أن أنجع الوسائل الفعالة لاستيلائهم على اليمن هي استعمال المكر وسياسة التفريق التي قد يبلغون بها مبلغاً لا تحققة قواتهم الهزيلة أو على الأقل يهيئون بها الفرص لبيئنا تصل وتتوارد إليهم الإمدادات الكافية لتحقيق أغراضهم الحربية ، لذلك بعثوا حسن البهلوان إلى الإمام شرف الدين ، وقد استطاع ذلك الماكر أن يمثل دوره بغاية المهارة واستعمل من الدهاء والمكر ما تمكن به من

لأحداث النفاق والفتنة بين الإمام شرف الدين وابنه المطهر^(١) كما سنفصله في السطور الآتية : —

(١) نعتد في هذه الرواية على ما أورده الواسع في كتابه « تاريخ اليمن » ص بصحيفة ٢١٢ . أما رواية صاحب « العقيق اليماني » فهي مخالفة لذلك — انظر أخبار ولاية الأتراك والذي نراه للتوفيق بين الروایتين ، أن حسن البهلوان كان متفقاً مع حيدر باشا والى زبيد على تمثيل الدور الممار ذكره ، وإنما كان البهلوان متأجج المطامع طموحاً مغامراً لا يحجم عن التوصل إلى غايته بأدنى الوسائل ، فلما قتل أويس كان يمتنى نفسه بولاية اليمن فلما رأى منافسه ازدمر قد تغلب عليه رحل إلى الإمام ومثل ذلك الدور — وحينما شعر بمنافسه للمرة الثانية سوف يتقدم إلى صنعاء عمل ما عمله طمعاً في الاستيلاء على تهامة ، لأن الدولة التركية دائماً تقرر المتغلب من ولايتها على ما يتغلب عليه كما مر بك في تاريخها — وتوضيحاً للامر نورد ما يأتي :

وصل أويس باشا إلى اليمن في أول شهر القعدة سنة ٩٥٢ ، وكانت الفتنة قد نجمت بين المطهر ووالده الذي ول ولاية عهده ابنه (على) فنقم المطهر على أبيه لهذا التصرف ، واتصل بأويس يحثه على أخذ القسم الجبلي ، ووعده بالمعون الأدي والحربي .

اغتنم أويس نداء مطهر وتقدم من زبيد في أول شهر ذي الحجة من السنة نفسها فاستولى على (تعز) ، وسار منها إلى جهة صنعاء ، واستمر في القتال مع قوات الإمام شرف الدين إلى أن وصل إلى وادي (خبان) في أواخر ربيع الآخر سنة ٩٥٤ .

وكان في قواته جماعة من (اللوند) تحت قيادة شخص منهم اسمه (حسن البهلوان) فاتفق مع جماعته الذين قد ناههم التذمر من مفارقتهم للسلطة وانفراد الأتراك العثمانيون بها واستبداد أويس وإهماله لهم فتم الاتفاق — كما أشرنا — على قتل أويس ، والاستيلاء على الأحوال وتوزيعها على جنود معسكره حتى يستميلوهم ثم يتولى حسن البهلوان الأمر .

نفذ حسن البهلوان المؤامرة وقتل أويس ، فانبرى له ازدمر ونصب العلم السلطاني ونادى في الجيش من كان سامعاً مطيعاً فليستظل بعلم السلطان ومن كان عاصياً مع البهلوان فليبق فانحاز المعسكر إلى العلم السلطاني ، ولم يبق مع البهلوان الا جماعته من اللوند ففر إلى الإمام ومثل الدور الذي اشار إليه صاحب كتاب العقيق .

وإنما أزدمر لم يمهله طويلاً فبعد أن نظم أمره ورتب أمور الجيش تقدم إلى صنعاء ، وشعر حسن البهلوان بحراجة موقفه فخرج من صنعاء كما خرج منها الإمام بعده فدخلها المطهر كما مر بك وفي خروج البهلوان قاصداً « زبيد » إلى زميله « حيدر » قتل في الطريق من قبل عربان الجبال . وفي شهر العقدة من تلك السنة نفسها وصل فرهاد باشا الوالي الجديد إلى مدينة « زبيد » وتولى أمر الولاية .

ان صاحب العقيق اليماني وهو من رجال القرن الحادي عشر ومن عايش الأحداث عن كتب ، نيس من المعقول أن يسجل ما لم يكن قد حدث فعلاً .

ولنعد الآن إلى ما بلغه الإمام من اتساع الرقعة وعظم المكانة وقوة السلطان بعد أن خلى له الميدان من كل منافس وبالأخص بعد سحق الأتراك لقوات الدولة الطاهرية فنجد في عام ٩٣٩ أن القوات الإمامية استولت على صعدة وتعز وجبله وإب وما يتصل بتلك الجهات . وأخيراً ضم إلى تلك البلاد المخلاف السليمانى وعندما دانت له تلك الأقطار أخذ في تقسيم البلاد أو توزيع إداراتها على أبنائه على الوجه الآتى :

- ١ — خص ابنه المطهر بأعمال ثلا وما يليها .
- ٢ — خص ابنه شمس الدين بأعمال بلاد كوكبان وما يتبعها .
- ٣ — خص ابنه عز الدين بصعدة وأعمالها .

أشرنا إلى توجه حسن البهلوان في مهمة إلى الإمام شرف الدين وتشير رواية الواسعي أنه بعد وصوله تمكن من إحداث الشقاق والفتنة بين الإمام وابنه المطهر والذي تطور إلى قتال مروع وحرب مدمرة كاد أن يأتي على قوة الطرفين واشغالهما الوقت الكافي لتوطيد دعائم الحكم التركي في اليمن ، ولو لم يتيقظ العقلاء إلى لم الشعث وإصلاح ذات البين بين الإمام وابنه لأدت تلك الحروب باليمن إلى الدمار الحقيق ، وانتهى الصلح بتنازل الإمام عن الحكم لابنه المطهر وبذلك استغل الأتراك الموقف واستولوا على الكثير من البلاد وصار من تعز إلى جازان للأتراك ، ومن تعز إلى صعدة للإمام المطهر الجديد .

المطهر بن شرف الدين :

كان المطهر في إمامة أبيه يتتلمذ أكبر المناصب ، تولى أعمال « ثلا » كما مر بك كإقطاعية خاصة به تأزمّت الأمور بينه وبين أبيه — وقد تزايدت بينهما الوحشة أولاً حتى هم والده بإلقاء القبض عليه بعد صلاة إحدى الجمع في مدينة القابل ، فاتصل به الخبر وهو في الجامع مع والده في انتظار الصلاة فحالاً أخذ للأمر عدته وبعث من مكانه في المسجد من استدعا رؤساء رجاله وحرسه الخاص فوافوه على أكل أهبة وأتم استعداد فأكملت الصلاة إلا وقد

حضرُوا بالسلاح فخرج من المسجد عقب التسليم مباشرة إلى الجبل ، فتوسط أخوه للصلح بينهما ولم تسفر تلك الوساطة عن نتيجة ، وعلى أثرها توجه المطهر إلى حصن « ثلا » مغاضباً ورجع والده إلى الجراف ، ومن ثم نشب القتال بينهما ، وكان قائد جيوش الإمام ابنه الثاني شمس الدين .

غزا المطهر الجراف محاولاً إلقاء القبض على والده فلم يتمكن من غايته ، ووالى الحرب على والده وتحت ضغطه المتزايد وتفوقه القاهر اضطر والده إلى التنازل والتسليم له فبسط سلطانه على البلاد .

وقد عاصر المطهر الولاية الآتية أسماؤهم من الأتراك :

- ١ - ازدمر واشتبك معه في قتال مرير في خلال عامي ولايته .
 - ٢ - في ولاية - مصطفى باشا - كانت المناوشات بينهما موضعية وأقرب إلى المواجهة والمصالحة .
 - ٣ - في ولاية محمود باشا تقدمت القوات التركية وجدت في قتاله وأحرزت تقدماً ملموساً .
 - ٤ - في ولاية رضوان باشا جردت الحملات لمحاربة المطهر .
 - ٥ - في ولاية مراد باشا نشطت قوات المطهر وتمكن من هزيمة مراد والقضاء على حملته وزحف رجال العروبة الأبطال على مدينة صنعاء ، وتم الاستيلاء عليها ، وبعد سقوط صنعاء شدد عليهم الحملات حتى أرغمهم على الانسحاب من الأقسام الجبلية فاضطروا إلى المرابطة في زييد وسهول تهامة .
 - ٦ - تمكن المطهر برجال العروبة الأبطال من الوقوف في وجه الأتراك إلى أن قدم سنان باشا بجيوشه الجرارة وعتاده الجهنمي وقضى على تلك الجهود المبرورة بالسيف والنار إلا القليل - راجع تاريخ ولاية الأتراك .
 - ٧ - في ولاية بهرام أو برهام نشب القتال بينهما سجالاً .
- وتوفي المطهر سنة ٩٨٠ وبوفاته قام أبناؤه بحفظ معاقله حتى قبض عليهم حسن باشا وأرسلهم إلى الأستانة .

الحسن بن المؤيد :

قام بدعوته عام ٩٧٤ والأترك في عنفوان قوتهم فتمكنوا من دحره ،
ثم محاصرته في حصن الصباب بجبل الأهنوم إلى أن ألقوا القبض عليه أسيراً
سنة ٩٩٣ وأرسل إلى الأستانة يرافقه أبناء المطهر عام ٩٩٤ .

المنصور القاسم بن محمد :

ولد عام ٩٦٧ وتلقى العلم عن شيوخ وقته حتى أتم التحصيل فتنفرغ
للتأليف ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب الأساس في الأصول ، وقد اعترض عليه
فيه العلامة المكي الكردي بكتاب أسماه التبراس .

دعا لنفسه في المحرم عام ١٠٠٦ في جبل قارة ، وكانت دعوته روحية
لعدم استقرار الأحوال ، ثم نشب القتال بينه وبين الأترك في ولاية حسن
باشا ، وأسر في تلك الوقائع عم الإمام فأمر حسن باشا بسلخ جلده ، وهي
وحشية وهمجية تقشعر لها الأبدان ، ففقدت اليمن في شخصه مناظلاً عربياً
كريمياً ، وحوصر المنصور بشهارة وأسر ابنه محمد وجميع أهله وسجنهم
الأترك بحصن كوكبان .

وطارده سنان باشا وضيق عليه الخناق .

وفي عهد الوالي جعفر باشا استولت القوات التركية على معاقله وطارده
مطاردة شديدة وكادوا أن يقبضوا عليه وأسر ابنه الحسن ، بيد أن المنصور
بعد ذلك بقليل استعاد شيئاً من نشاطه بانتصاره في موقعة غارب ثلاً .

وانتهت ولاية جعفر باشا ثم ولاية إبراهيم باشا على تلك الحال من الحرب
حتى قدم الوالي محمد باشا فاستطاع بحنكته ودهائه أن يضع حداً لتلك المجازر
البشرية فعرض على الباب العالي ما يراه من المصلحة في إبرام صلح مع
المنصور بأن تقره الدولة على ما تحت يده لمدة عشر سنوات بعد اعترافه
بسلطة الخلافة العثمانية يكف القتال في خلالها بين الطرفين فوردته الموافقة وتم
إبرام الصلح ، وبعد مدة وجيزة من إبرامه توفي المنصور فخلفه ابنه المؤيد
محمد بن القاسم .

المؤيد محمد بن القاسم :

ولد عام ٩٩٠ ، وأخذ العلم عن شيوخ زمانه .

بويج بالإمامة بعد وفاة والده في عام ١٠٢٩ فأمضى عقد الصلح المبرم بين والده والأتراك واستمر على العمل بشروطه حتى عزل الوالي محمد باشا وفي المحرم من عام ١٠٣٦ بعث جيشاً إلى الحيمة بقيادة أخيه الحسن وتابع لإرسال السرايا لشن الغارات على الأتراك حتى استولت قواته على البلاد الآتية : ريمة - عتمة - أصاب - حفاش - ملحان - بلاد خولان .

وكان أخوه الحسين في جهة صعدة يقاوم القوات التركية هناك ، فبعد انقضاء مهنته الحربية في الشمال انتقل إلى الجنوب وحاصر مدينة صنعاء وأخذ في تضيق الخناق على حاميتها .

أما الحسن فبعد أن انتهى من مهمة الاستيلاء على ما سبق توضيحه سار على رأس جيشه فاستولى على حصن كوكبان وبلاد ثلاث ثم إب ، وبذلك انتظم الأمر للدؤيد من محمية عدن جنوباً إلى صعدة شمالاً ، وفي عام ١٠٤٥ تم له الاستيلاء على جميع البلاد اليمنية والتهامية ، وهو أول من يمتد سلطانه على تلك الأصقاع .

توفي المؤيد عام ١٠٥٢ في شهارة ، وخلفه أخوه أحمد بن القاسم ، ثم تنازل عن الإمامة لأخيه إسماعيل عام ١٠٥٤ .

المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد :

ولد عام ١٩١٩ وتلقى على يد علماء عصره الفقه وسائر العلوم الدينية واللغوية والبلاغية وألف عدة كتب .

دعا لنفسه عام ١٠٥٤ ، وقد كان أخوه أحمد قد دعا إلى نفسه لأنه كان حاضراً وفاته المؤيد في شهارة ، أما إسماعيل فقد كان في حضوران ، فعند ذلك أخذ في تهيئة أسباب دعوته حتى أعلنها في عام ١٠٥٤ لأنه يعتبر أخاه أحمد غير جامع لشروط الإمامة المعبرة في مذهبهم .

أعلن إسماعيل بن القاسم دعوته وأقبل أكثر أهل الجبال لمبايعته وأخذ أمر أحمد في الضعف وأمر إسماعيل في الظهور والقوة ونشب القتال بين الأخوين فارتحل أحمد بن القاسم إلى عمران ؛ ثم إلى ثلا وأحاطت به قوات إسماعيل فتقدم جماعة للصلح بينهما ومهد له لعقد اجتماع بين الأخوين وانتهى ذلك الاجتماع بتنازل أحمد لأخيه إسماعيل عن الإمامة ؛ وعلى أثر ذلك استقرت الأمور للإمام المتوكل إسماعيل فاستولت جيوشه على يافع وحضرموت ثم غزت جيوشه لحج وأبين عدن وشمل سلطانه كثيرًا من تهامة والخلاف السليماني وكان عهده من أزهر عهود الإمامة الزيدية في اليمن .

قال صاحب بغية المريد: إن الإمام إسماعيل مات ومعه من أنواع الطيب ما قيمته مائة ألف أوقية فضة ما عدا ما خلفه من النقد والعروض التي لا يأتي عليها الحصر ، توفي في ليلة الجمعة ٥ جمادى الآخرة عام ١٠٨٧ .

المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم :

تولى الإمامة بعد موت عمه المتوكل إسماعيل وعارضه قاسم بن المؤيد فتغلب المهدي عليه واستمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ١٠٩٢ .

المؤيد محمد بن إسماعيل المتوكل :

ولد عام ١٠٤٤ بويج بالإمامة بعد وفاة المهدي أحمد بن الحسن المتقدم ذكره عام ١٠٩٢ وبوجه الإجمال كانت البلاد في عهده أشبه بإقطاعات موزعة بين :

- ١ - علي بن المتوكل إسماعيل
- ٢ - محمد بن أحمد بن الحسن .
- ٣ - ابن الحسين بن الحسن .
- ٤ - القاسم بن المؤيد .

كل منهم يتولى جهة ويتصرف في شئونها وإيراداتها وليس للمؤيد غير الخطبة ويقول صاحب البدر الطالع عنه ما يأتي : كان كثير العبادة دائم الحشية لا يأكل إلا من النذور ، تصل إليه بعد أن يعلم أنها من جهة تحل له . هكذا .

توفي ليلة الجمعة ٣ جمادى الآخرة عام ١٠٩٧ .

محمد بن أحمد المعروف بصاحب المواهب :

ولد عام ١٠٤٧ تولى الإمامة بعد موت المؤيد المتقدم ذكره ويقول عنه صاحب البدر الطالع : إنه ملك من أكابر الملوك كان يأخذ المال من الرعية بلا تقدير وينفقه بلا تقدير وكانت اليمن بعد خروج الأتراك منها إلى أن ملكها هذا مصونة عن الجور وأخذ مال إلا ما يسوغه الشرع فلما قام هذا أخذ المال من حله وغير حله فعظمت دولته وجلت هيئته وتمكنت سطوته وصار بالملوك أشبه منه بالخلفاء ومع ذلك فهو يتزهد في ملبسه وكان يسمى صاحب السجدة لأنه كان إذا خرج من موكبه ورأى ما بين يديه من الأجناد ترجل عن جواده وسجد شكرًا لله ومرغ وجهه بالأرض وكان سفاكاً للدماء بمجرد الظن والشك وقد قتل عالماً بذلك إلى أن قال : وكان يميل إلى أهل العلم ويجالسهم ويتشبه بهم وربما قرأوا عليه ولم يكن عالماً ولكن كان يحب التظاهر بالعلم فيساعده على ذلك علماء حضرته رعباً ورهباً وله تصنيف سماه الشمس المنيرة في مجلد لطيف وقفت عليه وفيه نقل مسائل من مؤلفات جد أبيه الإمام القاسم بن محمد ولكنها غير مرتبة ولا منقولة على أسلوب بل لا يدرى المطلع على ذلك الكتاب ما موضوعه ولا ما غرضه ومع ذلك فكان يقرأه عليه جماعة من أكابر العلماء وليس في موسوعهم نصحه وتعريفه بالحقيقة لما جبل عليه من الطيش وتعجيل العقوبة ، وأنه إذا أراد الإيقاع بوزير من وزرائه أو أمير أمر جنده بانتهاب ماله ولا يأخذ منه شيئاً .

استمر على تلك الحال في إمامته إلى عام ١١٢٨ فثار عليه القاسم بن الحسين الذي لقب بالمتوكل ونجح في ثورته حتى اضطره إلى التنازل وخلع نفسه في عام ١١٢٩ أي في العام نفسه واستمر المتوكل على الإمامة إلى عام ١١٣٩ وفي عهد هذا الإمام كان وصول خليل باشا إلى اليمن وانتزاع تهامة من أحمد ابن حمود وتسليم قسم منها لهذا الإمام .

شملت إمامته أغلب الأقطار التي امتد إليها سلطان المتوكل إسماعيل وقد توفي عام ١٠٣٠ مغلوعاً .

المنصور الحسين بن المتوكل :

بويج بالإمامة بعد وفاة والده عام ١١٣٩ وتغلب على منافسه محمد ابن إسحاق المهدي بعد أن أسر ابنه وقرابته ورؤساء أجناده وغلب على أكثر الأقطار اليمنية ولم يبق له منافس إلا أخوه أحمد بن المتوكل الذي استقل ببلاد تعز والحجرية وتوابعهما ونشب القتال المروع بين الأخوين وقاسى اليمن الويلات والدمار المدمر من جراء مطامعهما ، وخربت مدن وأمصار وكور وأقطار وبلى العالم اليمني منهما بما يشيب له الأطفال في حروبهما وفيها يقول شاعر العصر أحمد بن الحسين الركيحي موريا :

صنوان قد سقيا بماء واحد والفضل خال من كلا الإثنين
جرحا قلوب العالمين فما لها من مرهم إلا دم الأخوين
توفي عام ١١٦١ م

المهدي العباس بن الحسين :

بويج له بعد وفاة والده وصاحبه عمه أحمد بن المتوكل وبإيعه ، وبذلك حسم الخلاف واتحدت مملكة اليمن المنقسمة واستمرت إمامته على أغلب البلاد اليمنية إلى أن أدركته الوفاة عام ١١٨٨ .
ومن آثاره مسجد التقوى والنور بصنعاء .

المنصور على :

تولى الإمامة عام ١١٨٨ بعد وفاة المهدي وكان عصره عصر ضعف بتغلب أمراء النواحي والأطراف — راجع تاريخ آل خيرات في الخلاف السلطاني — وتوفي في ١٥ رمضان عام ١٢٢٤ وفي عهده كان امتداد الدعوة الإصلاحية الوهابية إلى الأقطار التهامية .

المتوكل أحمد بن المنصور :

تولى إمارة الجند في إمامة والده ثم ولاية صنعاء وبعد وفاة والده بويج بالإمامة ليلة ١٥ رمضان ١٢٢٤ .

وقد استمر على إمامته إلى أن أدركته الوفاة عام ١٢٣١ وكان عهده في

أثناء قوة الدعوة الإصلاحية الوهابية فتقلص ظلال نفوذه عن المخلاف وكثير من الأقطار الهامية ، وقد تغلب عليه وزيره حسن بن حسن عثمان وساءت الأحوال وانقطعت السبل ومات كثير من المجاعة في البلاد التي تشملها إمامته .

المهدي عبد الله :

كان معروفاً بالميل إلى اللهو والتغافل عن الجد فأُخِيفَتْ في عهده السبل وانتهبت الأموال وقد قام ضده أحمد بن علي السراجي وحاصر مدينة صنعاء وكان عهد المهدي هذا آخر عهد الضعف والتلاشي لسلطة الأئمة الزيدية توفي عام ١٢٥١ .

المنصور علي بن المهدي ، للمرة الأولى :

تولى الإمامة بعد وفاة والده عام ١٢٥١ فنازعه الحسين بن المؤيد من صعدة في نفس العام وبعد انتهاء العام الأول من إمامته ثار عليه الجند وخلعوه ونصبوا بدلا عنه عبد الله بن الحسن .

الناصر عبد الله بن الحسن :

تولى الإمامة في عام ١٢٥٢ وقتلته قبيلة همدان المشهورة في إحدى نزاهاته عام ١٢٥٦ .

الهادي محمد بن المتوكل :

تولى الأمر عام ١٢٥٢ في جهة غير الجهة التي قام بها الناصر وتوفي عام ١٢٥٦ .

المنصور علي بن المهدي ، للمرة الثانية :

ستمر بحوادث هذه الشخصية وكأنها إحدى شخصيات الأساطير وسيتردد عليك اسمه مرة ومرات وستقابلك أنباء إماماته المتكررة وحوادث توليته وعزله وإن لم ترعك بأحداثها المثيرة فسوف على الأقل تطرفك بأنبائها المستظرفة فبعد وفاة الهادي عام ١٢٥٩ أعيد المنصور علي بن المهدي إلى الإمامة فثار عليه قريبه محمد بن يحيى بن المنصور فتمكن علي بن المهدي من التغلب على الثائر وطرده .

محمد بن يحيى بن المنصور :

أشرنا في أخبار الحسين بن علي بن حيدر إلى التجاء محمد بن يحيى إلى ساحته وما قام به الحسين من مساعدة فعالة لاستعادة محمد بن يحيى لإمامته في الجبال وكنتيجة لتلك المساعدة الحربية تم لمحمد بن يحيى التقدم إلى الجبال والتغلب على علي بن المهدي وذلك في عام ١٢٦١ وفي مقابل تلك المساعدة تنازل محمد بن يحيى للحسين بن علي عن تغز وجهاتها ، واستقر محمد بن يحيى في القسم الجبلي إلى عام ١٢٦٤ وتوترت العلاقات بين حليفي الأمس ونشب القتال ونزل محمد بن يحيى على رأس جيشه إلى تهامة وتم له الاستيلاء على « باجل » وبيت الفقيه ثم الهجوم على القطيع وحصار الحسين بن علي في القطيع نفسها كما مر بك مفصلاً .

كما أشرنا قبل إلى تخليص الحسين بن علي من الأسر واستدعائه للأثرak للوصول إلى اليمن ليسلم لهم البلاد التي تحت يده . وقد وصل بعد ذلك القائد توفيق باشا ، وبرفقته أمير مكة محمد بن عون فاستولى على جميع تهامة .

علم محمد بن يحيى باستدعاء خصمه الحسين بن علي للأثرak ثم استلامهم تهامة وكان خصمه الثاني علي بن المهدي قد اغتتم فرصة اشتباكه مع الحسين فأخذ في تأليب القبائل والاستعداد للوثوب وشجعه عودة محمد بن يحيى غير ظافر من غزوته لتهامة بشيء وقد تَضَعَضَتْ قواته وتكبد الخسائر الفادحة في الرجال والعتاد مما هون أمره عليه ، وزاد القبائل جرأة على مناوئته ، فهب علي بن المهدي لمناوئته ، وخشى محمد بن يحيى أن يخرض الحسين عليه الأثرak ، فيصبح بين نارين ، لذلك سارع إلى استدعاء القائد التركي توفيق باشا طالباً منه التقدم إلى القسم الجبلي ليسلمه البلاد ، بل لم يكتف بتلك الدعوة فقط ، بل سارع بنفسه إلى ملاقاته إلى أطراف مملكته وانتظر قدومهم حتى وافوه فاستصحبهم إلى صنعاء .

وصل بالقوة التركية إلى صنعاء يوم الجمعة ٦ رمضان ١٢٦٥ وسلمهم المدينة وهنا اغتتم الفرصة خصمه علي بن المهدي ، وأخذ في تأريث نار الثورة

ضده بين القبائل مذيعاً أن محمد بن يحيى باعكم وباع البلاد من الأتراك الدخلاء الأجانب فانهمرت سيول القبائل على مدينة صنعاء من كل جانب وضاعف حماسها المغانم التي تنتظرها داخل صنعاء فاكتمست تحصينات الدفاع وأبادت أكثر رجال الحملة التركية ، ولم يبق منها على قيد الحياة إلا من تحصن في القصر الحكومي أو في بستان السلطان ، وبعد كل جهد تمكن محمد بن يحيى من إنقاذ من سلم منهم وإعادتهم إلى تهامة تحت الحفظ والحراسة .

أما الثوار فقد هاجموا بيت الإرياني ناظر الأوقاف ، ونهبوا داره وكتبه الثينة منها ألف كتاب من الكتب المخطوطة النادرة ثم بعد ذلك استأنفوا هجومهم على قصر محمد بن يحيى حتى اقتادوه أسيراً إلى علي بن المهدي الذي أمر بقطع رقبته بالسيف وتم الأمر بعد ذلك لعلي بن المهدي .

علي بن المهدي للمرة الثالثة :

إن علي بن المهدي كما أشرنا شخصية سوف ترورك أو تطرفك أخبارها وها هو يتولى الإمامة للمرة الثالثة بعد أن طوح برأس خصمه .

إن علي بن المهدي بعد أن تغلب محمد بن يحيى عليه بمساعدة الحسين ابن علي لم يستكن للهزيمة ، بل انسحب إلى حيث يمكنه العمل وأخذ في شن حرب العصابات على خصمه ، وبعد نشوب الحرب بين حليفي الأمس محمد ابن يحيى والحسين بن علي ظل يتربص منتظراً ، وعند عودة محمد بن يحيى من تهامة منهوك القوى مفلول الحد من جراء ما مني به نشط علي بن المهدي نشاطاً أخرج مركز خصمه ، فلم ير محمد بن يحيى حيلة أنجح من استدعاء الأتراك ليقطع الأمل على خصمه الأول الحسين بن علي بن حيدر في الاستعانة بهم ضده من جهة ومن الأخرى ليخرج بهم مركز خصمه الثاني علي بن المهدي ويقضي عليه بقوة الأتراك حلفائه الجدد وعلى ذلك الأساس خف لاستدعائهم بل وسارع إلى ملاقاتهم إلى قرب باجل ، بيد أن علي بن المهدي استغل الموقف خير استغلال فأثار حمية وحاسة رجال القبائل للجهاد ومحاربة خصمه الذي جر إلى البلاد الأتراك الأجانب واستدعاهم لتملك بلادهم ، وسرعان ما وجدت

دعايته الاستجابة الملتبة ، وهب رجال القبائل العربية الباسلة - التي تفر بطبعها العربي الأصيل من كل تدخل أجنبي - هبت إلى المسارعة تحت لوائه وتقدمت إلى صنعاء وإبادة أغلب الحملة التركية وحملت حملتها الصادقة على قصر محمد بن يحيى ، واقتادته أسيراً بين يدي علي بن المهدي الذي أمر بسجنه أولاً ثم قطع رأسه .

وبعد ذلك بايعت علي بن المهدي البيعة العامة وتسمى بعد ذلك النصر بالهادي - ويظهر أنه رغب في تغيير لقبه الأول الذي لم يصادفه النجاح في إمامته السابقتين - غير أن الاسم لا يقدم ولا يؤخر والله در المتنبى القائل :
وقد تستوي الأسماء في الناس والكنى جميعاً ولكن فرقوا في الخلائق

وبالرغم من تغيير لقبه فلم يكن حظه في هذه المرة بخير من سابقتها ، فلم تمض مدة وجيزة حتى سادت الفوضى واختل الأمن وثار عليه ثائر جديد اسمه أحمد بن هاشم كما سيأتي :

المنصور أحمد بن هاشم :

في أواخر عام ١٢٦٥ قام أحمد بن هاشم وتزعم الثورة ضد علي بن المهدي فالتفت حوله رجال القبائل وتقدم بهم لحصار علي بن المهدي في صنعاء ، وبعث من يثير أهل المدينة ضده من الداخل أو على الأقل يبلبل الخواطر ويشبط الهمم ، وعلى كل فقد ثار أهل صنعاء ضد علي بن المهدي ، بايعوا إماماً جديداً هو العباس بن عبد الرحمن فاستدعى ذلك من أحمد بن هاشم تشديده الحصار وموالاته الهجمات حتى تمكنت بعض قواته من الدخول إلى بستان المتوكل ، فاضطر العباس بن عبد الرحمن إلى الانتقال من مقره في بستان السلطان إلى التحصن في القصر الحكومي ، ودارت رحا المعركة في قلب مدينة صنعاء ، وانتهت بتنازل العباس وحزبه لأحمد بن هاشم وذلك في عام ١٢٦٦ هـ

وفي عام ١٢٦٧ قبض أحمد بن هاشم على سلفه العباس بن عبد الرحمن وزج به في السجن فتخوف الإمام الأسبق علي بن المهدي الذي ظل في صنعاء منذ خلعه ، وفر من صنعاء وتبعه رؤساء حزبه ومنهم العلامة الجليل أحمد

ابن محمد الشوكاني والعلامة عبد الرحمن العمري وغيرهما إلى جهة الوادي على بعد ثلاث ساعات شمال غرب صنعاء وهناك بايعوا علي بن المهدي للمرة الرابعة .

اتصلت أخبارهم بأحمد بن هاشم فنارت ثائثرته وأمر بمصادرة دورهم بصنعاء فلم يفت ذلك في عضدهم أو يقلل من نشاطهم ورجحت كفة علي ابن المهدي وكان الوضع السياسي في اليمن في ذلك التاريخ على الوجه الآتي :

- ١ - تهامة وبعض الجبال تحت سلطة الأتراك .
- ٢ - حراز وأعمالها للمكرمي صاحب نجران .
- ٣ - قسم من الجبال تسيطر عليه قبائل بكيل .
- ٤ - صنعاء وأعمالها تتأرجح بين سلطات الأئمة الزيدية .

تقدم علي بن المهدي على رأس أنصاره وضرب نطاق الحصار على صنعاء وتسامعت القبائل - الطامعة في السلب والنهب - فأقبلت جموعهم تترى لمعاونته فشدد بهم الهجوم على المدينة البائسة حتى انهارت خطوط الدفاع ودخلتها القوات المهاجمة وأتت على كل ما في المدينة نهياً وسلباً مع ما يتتبع ذلك من إهدار الدماء وإزهاق الأرواح وكشف العورات ، أما أحمد بن هاشم فقد فر إلى بلاد أرحب شمال صنعاء بمسافة يوم واحد .

لم تقف الأمور عند هذا الحد بل زاد الحالة تخرجاً وسوءاً خروج ناثر جديد وهو غالب بن محمد بن يحيى داعياً لإمامة نفسه وتسمى بالهادي وهلك في عام ١٢٦٧ فانقطعت السبل وأُخيفت السابلة وتأججت نار الفتنة وكثر القتل والنهب .

وأخيراً تمكن غالب من دخول صنعاء وبسط سلطته عليها .

حلَّ عام ١٢٦٨ والحالة تمور في بركان من النار وبحر من الدماء ، فأراد غالب أن يعزز مركزه بغزوة ظافرة وبدلاً من أن يكر على الأتراك المتربصين بالجميع ، غزى المكرمي في حراز على مسافة يومين عن صنعاء ، وأتاب عنه على إدارة صنعاء أحمد بن عبد الله بن أبي طالب .

تقدم غالب على رأس قواته فاستولى على مناخة ، فكر عليه المكرمي بهجوم مضاد واسترد منه مناخة في الحال ، فرحل غالب إلى حفاش ، وظل الموقف في تيار من الفتن الجارفة كالآتي :

١ - رحل غالب بعد هزيمته من مناخة إلى حفاش على مسافة أربعة أيام في الجهة الغربية من صنعاء يدعو الناس إلى الدخول في طاعته .

٢ - وعلى الجانب الآخر من صنعاء على المسافة نفسها أقام علي بن المهدي في يريم يدعو الناس هو الآخر إلى طاعته .

٣ - وكان العباس بن المتوكل على مسافة يوم من صنعاء نائراً على الخصمين - غالب - و علي بن المهدي - وأخيراً اغتم اشتغال كل منهما بالآخر فانقض على صنعاء واستولى عليها ، وفي قلب صنعاء افترق الناس فرقتين ، إحداهما تؤيد غالب بن محمد وتساعد نائبه أحمد بن عبد الله بن أبي طالب ، والأخرى تؤيد العباس بن المتوكل ، ودارت رحا المعركة في داخل صنعاء بين الفريقين وانقسمت المدينة إلى معسكرين وانحصر الموادعون في بيوتهم وأقفرت الشوارع إلا من أزيز الرصاص وعطلت المساجد والجامع الكبير من العبادة نحو شهرين .

عاد غالب بعد شهرين ، ودخل صنعاء عنوة فخرج منها العباس بن المتوكل وانحصر أمر غالب في مادون أسوار المدينة ، وسادة القوضى وتغلب كل من أحس من نفسه القوة ومن عصبيته بأساً على جهته .

وأغرب من كل ما مضى أن في نفس مدينة صنعاء - التي ينحصر أمر غالب فيما دون سورها - استطارت نار الفتنة بين غالب ونائبه على المدينة أحمد بن عبد الله بن أبي طالب ، وذلك في عام ١٢٦٩ .

وامتشق الحسام وأطلق الرصاص بين غالب ونائبه ، فتغلب أحمد بن عبد الله على غالب فبايعه أهل المدينة إماماً وتسمى بالمهدي ، وذلك في عام ١٢٧٠ .

بيد أن الأمور ازدادت سوءاً وتخرج الموقف وساءت الحالة في صنعاء فخرج جماعة من أعيانها إلى العلامة محمد بن عبد الله الوزير في قرية السر شمال شرق صنعاء ، وبايعوه إماماً .

المنصور محمد بن عبد الله الوزير :

من أفاضل عصره ، حجة في العلوم الدينية ، قبل البيعة التي تقدم بها إليه علماء صنعاء ، وبعث معهم أحد أقربائه علي بن محمد الوزير حاكماً ونائباً عنه على المدينة ولقبه بسيف الخلافة .

دخل الحاكم الوزيري إلى صنعاء ورتب إدارتها ، فهدأت الأمور وأمنت السبل ، وفي ٧ صفر من تلك السنة دخل الإمام المنصور الوزير إلى مدينة صنعاء - وصعد منبر الجامع خطيباً وحث على الطاعة والاتحاد ، ثم خرج من الجامع إلى القصر وأخذ لنفسه البيعة العامة ، وبعد ذلك خرج إلى جهة الحيمة وطرده القبائل المتغلبة عليها ، وفي عام ١٢٧١ تقدم إلى جهة سناح بمسافة ساعتين عن صنعاء ، وفي أثناء خروجه دخل إلى الروضة حسين بن المتوكل ، واجتمع عليه بعض قبائل أرحب وبايعوه إماماً وتسمى بالمتوكل .

حسين بن المتوكل :

أقبلت إليه القبائل الطامعة في السلب والنهب من كل صوب ، وقطعوا الطرق وأخافوا السبل - متظاهرين بالطبع بمساعدته وشد أزره - وأخيراً هاجم بهم المدينة - التي دائماً تخف القبائل لنصرة كل قائم طمعاً في نهبها قبل كل شيء - نشب القتال بين المهاجمين وبين أنصار الوزيري ، وفي النهاية اتفق مؤيدو الطرفين على خلع المنصور الوزيري - والمتوكل حسين ، وأن يرشح للإمامة محسن بن أحمد الشهاري ، فنهض وفد من الطرفين إلى الشهاري لأخذ رأيه فوافقهم .

الإمام محسن بن أحمد الشهاري :

بعد مبايعة القبائل له رحل إلى كحلان - على مسافة يومين من صنعاء - ومن هناك أخذ في دعوة أهل حجة ، ثم أقام في سناح .

أما الهادي غالب فقد بقيت صنعاء وما حولها في حوزته وأخيراً اختلف مع وزيره أحمد الحيمي - الذي قد اصطلح معه بعد الاختلاف السابق - فنزل أحمد الحيمي إلى تهامة يستدعي الأتراك للطلوع إلى الجبال ووضع حد لتلك الفوضى .

الهادي حسين بن أحمد :

في عام ١٢٧٥ قام حسين بن أحمد بدعوته في صنعاء ، فالتفت حوله القبائل وضرب اسمه على النقود .

وفي عام ١٢٧٦ ثارت عليه أهل صنعاء وضربوا على قصره الحصار فتمكن من فك الحصار وخرج من صنعاء ، وعلى أثر خروجه استدعوا الإمام محسن بن أحمد الشهاري ، فتقدم إلى قرب المدينة بثلاث ساعات وأقام هناك .

أما الهادي حسين بن أحمد ، فبعد خروجه من المدينة أخذ في جمع القبائل حتى تجمع له جموع كثيرة فهاجم بهم صنعاء فلم يظفر بطائل ، فانسحب عائداً من حيث أتى .

نشاط جماعة الاسماعيلية :

في سنة ١٢٧٧ نشط جماعة الاسماعيلية واستولوا على الخيمة فهب العلامة أحمد بن محمد الكبسي يستنهض القبائل لقتالهم ويهيب بهم إلى نصب إمام يرتضونه ليقودهم للحرب ، فاتفق الرأي على الإمام محسن الشهاري ، فتقدم وفد منهم إلى محل إقامته بنى مرمر ، فخرج معهم ودخل صنعاء ، فأعانه أهلها بالمال ، ومنها تقدم على مدينة الخيمة واستولى عليها .

وفي عام ١٢٧٨ بلغ الإمام محسن الشهاري أن رئيس الباطنية الاسماعيلية قد استمال قبيلة بكيل ، فخاف على نفسه منهم ، ورحل إلى صنعاء ، ومنها صعد إلى ذي مرمر وأقام بها .

على أثر ذلك ثار الحصار بين الكبسي حاكم صنعاء من قبل الإمام محسن

وبين رئيسها محسن معيـض فأرسل محسن معيـض للحسين بن المتوكل وسلمه المدينة فتحرك الإمام محسن الشـهاري من ذي مرمر ، وضرب الحصار على صنعاء وأخيراً تم الصلح بين رئيس صنعاء محسن معيـض وبين الإمام محسن الشـهاري على أن يقوم الأول بإخراج حسين بن المتوكل من المدينة وتقام له الخطبة على أن يكون حاكم المدينة وقاضياً من أهلها ، وتم ذلك إلى سنة ١٢٨٥ ظلت الاختلافات والمنازعات بين أولئك الأئمة إلى سنة ١٢٨٩ فتقدم القائد أحمد مختار - انظر أخبار ولاية الأتراك في اليمن - واحتل صنعاء فخفت دعوة الأئمة ، ودخل أكثر القسم الجبلي تحت سلطة الأتراك ، كما أوضحنا ذلك في تاريخهم - أي في تاريخ ولاية الأتراك في اليمن - إلى عام ١٢٩٥ . لم يرق ذلك القرار للمنصور الوزير فخرج مغاضباً إلى قريته السر .

الإمام المتوكل محسن بن أحمد الشـهاري :

بويـع بالإمامة كما مر بك ، وبعد البيعة ظل في حدة على مسافة ساعة ونصف من صنعاء من الجهة الجنوبية الغربية .

إمام جديد أو امامة غالب ، للمرة الثانية :

على أثر تطور تلك الأحداث اجتمع غالب بن محمد بن يحيى والعباس ابن المتوكل وأحمد بن عبد الله بن أبي طالب - الثلاثة الأئمة السابقون - وقرروا بعد المداولة نصب أحدهم إماماً وتعاملوا على معاونته ومعاوضته ، واتفقوا على تنصيب غالب ، فبايعه رفاقه ، وأنصارهما وتسمى بالهادي - لقبه الأول - وبعد انتهاء مراسم البيعة تحرك من الروضة على رأس أشياعه إلى بلاد حضور التي لا تبعد أكثر من مسافة أربع ساعات عن صنعاء ، ومن حضور تحرك إلى الحيمة وأدب بعض المتمردين ، وعاد أدراجه إلى صنعاء ، وذلك في عام ١٢٧٣ .

اختلاف بين وزيرين :

في نفس تلك السنة وقع الاختلاف ثم القتال بين أحمد الحيمي وزير الهادي غالب ، وبين أحمد الشامي وزير المتوكل محسن بن أحمد الشـهاري ،

ودام القتال بينهما ، وظلت الأمور تتأرجح في تيارات ذلك البحر المضطرب من الفتن والحوادث إلى عام ١٢٧٤ ، ثم وقع الخلاف بين الإمام الهادي غالب ووزيره أحمد الحيمي ، فاتصل الوزير بعلي بن المهدي الإمام الأسبق ، الذي كان يقيم على مسافة ساعة من صنعاء ، وتعهد له بمساعدته في ارتقاء الإمامة وتسليمه مدينة صنعاء ، فأعلن علي بن المهدي دعوته ودخل صنعاء في صفر عام ١٢٧٤ .

إمامة علي بن المهدي ، للمرة الخامسة :

تلقَّبَ هذه المرة بالمهدي وتمت له البيعة بصنعاء ، فعلم الهادي غالب المقيم بالروضة فجمع القبائل وهاجم بهم صنعاء فأقفلت أبوابها وصدته فضرب عليها نطاق الحصار مدة - ولم يظفر بفتحها - فرحل إلى بلاد خولان لجمع القبائل وحشد الأنصار ، وعلى أثر رحيله خرج علي بن المهدي من المدينة إلى الحيمة واستمرت الفتنة قائمة إلى شهر ربيع الآخر ١٢٧٤ وتم الصلح على خلع علي بن المهدي وبقاء غالب في الإمامة .

وبالرغم من تنازل علي بن المهدي لغالب عن الإمامة فإن الأمور لم تستقر لغالب لأنه لم يتمكن من إرضاء القبائل لذلك تركوه ، أو بالأحرى تخلوا عنه واتجهوا نحو الإمام الأسبق محسن بن أحمد الشهاري ونصبوه إماماً فولى غالب إلى مدينة صنعاء وتحصن بها .

شرف الدين الهادي محمد :

قام بدعوته في جبل الأهنوم في عام ١٢٩٥ وفي السنة التي بعدها انتقل إلى هجرة صعدة ومن هناك قام بحركة المقاومة وجهاز قواته إلى حصن الظفير وحجة ونوفي في عام ١٣٠٧ .

الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين :

على أثر وفاة شرف الدين الهادي أعلن دعوته ، وذلك في عام ١٣٠٧ . وفي عام ١٣٠٨ بعث جيوشه فضربت الحصار على حصن الظفير ومسور

والشرف وبريم وحفاش وملحان والروضة وغيرها من جهات صنعاء ، ثم ضرب الحصار على صنعاء كما حاصرت قواته تعز .

وفي تلك السنة - في ولاية إسماعيل حقي - كانت كل تلك الحركات الحربية ، فقام الوالي بتجريد حملة لإخماد الحركة المباركة ، فباءت بالفشل ، وعلى أثر ذلك توفي الوالي إسماعيل حقي في نفس تلك السنة ، فازداد نشاط الإمام وقطعت الأسلاك الهاتفية ، وتحصنت الحاميات التركية في داخل صنعاء وذلك في عام ١٣٠٩ واشتد الحصار على صنعاء ، وهدمت الأقوات ، وفي ٦ المحرم ١٣٠٩ التحم القتال بشدة بين رجال القبائل المناصرة للإمام ، وبين الأتراك المحصورين واشتد الحصار وأحكمت حلقاته ، فهدمت الأقوات داخل المدينة ، واضطر كثير من الضعفاء إلى مغادرتها وفي ١٦ من الشهر نفسه دارت معركة الحرداء على مسافة ساعة ونصف من صنعاء ، واستولت قوات الإمام على أسلحة وكتبوا الأتراك خسائر جسيمة ، ومن أشهر تلك المعارك التي دارت رحاها معركة الحرف .

معركة الحرف :

الحرف موضع على مسافة ساعة من صنعاء ، وفيه نشبت معركة عنيفة بين الإمام والأتراك سالت الدماء فيها أنهاراً .

أهل صنعاء :

كان أشد الناس بلاءً ومحنة في تلك الحروب أهل صنعاء ، فالأتراك يتهمونهم بمالأة الإمام والقبائل والإمام يتهمونهم بمساعدة الأتراك ، ومن خرج من المدينة ناجياً بنفسه وأهله من مجاعة الحصار وغنت الأتراك وقع في قبضة رجال الإمام يجردونه من كل ما معه من سقط المتاع ومن مانع أو قاوم قتل ، وسيل رجال القبائل الطامعة في السلب والنهب لا ينقطع حتى غصت النواحي والأطراف المصاغبة للمدينة بجموعهم الزاخرة يمعنون قتلاً وسلباً وانتهاكاً للأعراض وتعدياً على الحرمات ، والإمام غير قادر على كبح جماحهم ووضع حد لتعدياتهم .

تقدم أحمد فيضي :

دام الحصار شهرين ونصف وبعد ذلك تقدم القائد أحمد فيضي ، وبعد معارك دامية دخل صنعاء — راجع تاريخ ولاية الأتراك في اليمن — وعند ذلك ارتفع الإمام إلى معقل القفلة بجهة حاشد ، فتقدم أحمد فيضي إلى جهة حاشد فارتفع منها إلى جهة أخرى إلى أن عاد أحمد فيضي ثم رجع إليها .
توفي الإمام المنصور في ربيع الأول عام ١٣٢٢ .

الإمام يحيى بن محمد حميد الدين :

تولى الإمامة بعد وفاة والده بإجماع العلماء الموجودين في القفلة من صنعاء وذمار وصعدة ، وأعلن أمر دعوته في ١٩ ربيع الأول من السنة نفسها ، ثم وصلت إليه بيعة علماء حوث وشهارة ، وضرب اسمه على السكة (عصمتي بالله المتوكل) وجمع القبائل وهاجم أغلب مدن اليمن الأعلا وضرب عليها نطاق الحصار ، ووجه الهجوم الرئيسي على صنعاء ، وشدد عليها الحصار فنال تلك المدينة المنكودة الحظ ما تنفتت له القلوب والأكباد وهدمت الأقوات فخرج أهلها مع أطفالهم وأسراهم في حالة يرثى لها .

وكان من نتيجة ذلك الحصار المضروب على المدن الجبلية تعطيل المواصلات وانقطاع السابلة وصادف الحصار جفاف وقلة أمطار فارتفعت الأسعار إلى أرقام خيالية . ثم عزت الأقوات وهدمت المؤن ، واجتاحت المجاعة الضارية البلاد ووقع بأسبابها الموت المريع حتى أخليت قرى وأقفرت مدن من أهلها ، ويقول الواسعي في تاريخه :

١ — مما أقفرت من سكانها الذين ماتوا جوعاً فيما مساحته يومين بلاد وادعة ٥

٢ — وفي آنس وتعز وإب الذين ماتوا من الجوع واحد وستون ألفاً .

٣ — وفي جبلة وما حولها مات جوعاً ثلاثة وعشرون ألفاً .

٤ — وفي بلاد خولان اضطر الناس إلى أكل التبن :

- ٥ - وفي بادية صنعاء بلغ بأحدهم الجوع إلى أكل طفله .
- ٦ - مات في قرية القابل خارج صنعاء ألف وسبعمائة شخص غير من مات في سائر القرايا حولها .
- ٧ - مات من أهل صنعاء الذين رحلوا إلى كوكبان والمحويت خمسة آلاف شخص .
- وفي داخل صنعاء أمر الوالي التركي الشرطة بمهاجمة بيوت التجار وذوي اليسار والاستيلاء على كل ما وجد لديهم من الأقوات وأكل الأتراك القنطريون والكلاب ، وبلغ قيمة الصاع من الحنطة سبعمائة ريال ، ويقدر الذين هلكوا من أهل صنعاء جوعاً بمقدار النصف .
- وعندما تفاقم الأمر بعث الأتراك الذين في صنعاء وفداً إلى الإمام في كوكبان يرافقهم العلامة عبد الله بن علي بن عبد القادر للمفاوضة في التسليم .
- سلم الأتراك صنعاء للمنوب الإمام - الذي بعثه لاستلامها - أحمد ابن قاسم حميد الدين ، فتسلم المدينة وما بها من معدات وعتاد وأسلحة وذخائر وبعد ذلك نزل الإمام إلى موضع يبعد ثلاث ساعات عن المدينة .
- وفي عام ١٣٢٣ دخل الإمام صنعاء بعد أن غادرتها الحامية التركية إلى مناخة حتى تصدق المعاهدة من الباب العالي .
- كانت صنعاء خراباً ينشق البوم على أطلالها خالية من السكان غير القليل الذين لم يستطيعوا الرحيل ممن ليس معهم ما يخافون عليه ، وقد تفرق أهلها في البلاد ولم يعودوا إليها إلا بعد دخول أحمد فيضي :
- نفخ ريح النصر في أنوف القبائل وامتلات جيوبهم بالغنائم ، فقامت كل قبيلة تطالب بامتيازات لنفسها وإقطاعيات ، وتعذر كبح جماح المطامع على القائمين بالأمر ، وفي تلك الأثناء وصلت القوات التركية بقيادة أحمد فيضي ، وبعد معارك طاحنة انسحب الإمام من صنعاء ، ودخلها أحمد فيضي وأصدر عفواً عاماً ، فعاد أهل صنعاء إلى مدينتهم .

وفي عام ١٣٢٤ وصل وفد من تركيا للمفاوضة مع الإمام يحيى ووضع شروط الصلح ، ثم تعاقب الولاة - راجع أخبار ولاية الأتراك - إلى أن وصل عزة باشا كما نوضحه أدناه .

وفي عام ١٣٢٩ تم توقيع معاهدة الصلح بين الوالي عزة باشا وبين جلالة الإمام يحيى واجتمعا في ودعان ، وبموجب بنود تلك المعاهدة عين الإمام محاكم شرعية وموظفين للأوقاف ، وبعد ذلك عاد عزة باشا إلى الأستانة وخلفه في ولاية اليمن محمود نديم واستمر والياً على اليمن إلى أن صدرت الأوامر بتسليم اليمن للإمام يحيى إنفاذاً لما اقتضته شروط الصلح بين الحلفاء وتركيا وانسحب الأتراك من اليمن عام ١٣٣٦ ، وبذلك بدأ عهد الدولة المتوكلية بإمامة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ، تغمده الله برحمته .



الفصل العاشر

المخلاف السليماني وامارة احمد بن غالب

في جمادى الأولى من عام ١٠٩٩ توفي أمير مكة أحمد بن زيد فاجتمع ذوو الرأي وكبار العسكر والأعيان على تنصيب سعيد بن سعد ، ورفعوا حسب العادة المتبعة إلى الخليفة العثماني يرجونه الموافقة .

وكان هناك من يترقب سنوح هذه الفرصة بفارغ الصبر وهو أحمد ابن غالب البركاتي المقيم في ذلك التاريخ في ينبع - فبادر بالكتابة إلى والي مصر يبذل له الرغائب ويتعهد له بدفع مبالغ طائلة من المال إن هو ساعده وعمل على توليته الإمارة في الحجاز ، فكتب والي مصر إلى حاكم جدة بموافقته على تولية أحمد بن غالب شرافة مكة .

صدع حاكم جدة بالأمر ونادى بأحمد بن غالب أميراً على مكة .

بلغ الأمير سعيد بن سعد ، فقال : دون مكة السيف ما لم يصدر أمر سلطاني فتجهز حاكم جدة يرافقه أحمد بن غالب نفسه على رأس حملة إلى مكة المكرمة وبعد مكاتبات ومساعي لم يكتب لها النجاح غادر الأمير سعيد ابن سعد مكة إلى الطائف ، فدخلها حاكم جدة والأمير الجديد أحمد ابن غالب ، وذلك في شوال ١٠٩٩ .

حلَّ عام ١١٠١ فشب الخلاف بين الأمير أحمد بن غالب أمير مكة المكرمة ، وبقية الأشراف وراح كل فريق يرشح زعيمه ، وخرج ذوو زيد إلى ينبع وجماعة من العبادلة إلى القنفذة ، وقام ذوو الحارث وغيرهم من الأشراف ضد أحمد بن غالب فاضطرب الأمن وسادت الفوضى وتفاقم الشر فصلرت الأوامر بالموافقة على تعيين محمد بن الحسين بن زيد فأرسل رسالة من قبله إلى الأمير أحمد بن غالب قبل أثرها أن يغادر مكة ، وخرج إلى

اليمن ليستنجد بإمام الزيدية الناصر لدين الله محمد ، وصل مدينة صبيا في أواخر شهر شعبان ، وبعد أن استجم وإلى سيره فوصل إلى رداع العريش في النصف من شهر رمضان ، فدخل على الإمام ورجاه مساعدته في استعادة إمارة مكة ممناً للإمام بملك الحجاز وغيره مسهلاً عليه أمر التغلب على تلك الأقطار — وكان الإمام على جانب من بعد النظر وتقدير الأمور — فوعده ببعض ما يطيب خاطره وجعله أميراً على الخلاف السلياني فوصل مدينة أبي عريش في نصف شهر صفر عام ١١٠٢ .

نجم في صعدة ناثراً جديداً هو أحمد بن المتوكل ، وأخذ في الدعوة لنفسه ووردت كتبه إلى الأمير أحمد بن غالب وبعض رؤساء الخلاف يدعوه إلى الدخول في طاعته فلم يجبه الأمير .

توجه أحمد بن علي المتوكل على رأس أنصاره من صعدة إلى اليمن الأعلا بعد أن أناب عنه :

١ — على صعدة والياً من قرابته .

٢ — على جبل رازح ابنه القاسم بن علي .

وفي طريقه إلى اليمن الأعلا دخل مدينة الهجر وقبض على أميرها من قبل الناصر — وأرسله أسيراً إلى صعدة ، واستولى على شهارة وأقام ابنه الحسن بن علي نائباً عليها فدخلت في طاعته البلاد الآتية :

١ — السودة . ٢ — بلاد الشَّرَفَيْن .

٣ — كوكبان . ٤ — بلاد حَجَّة .

٥ — كحلان . ٦ — عمران .

وسار لمحاصرة صنعاء ، ثم كر راجعاً إلى صعدة بدون أن يتوفق . أدرك أهل شهارة رجوعه خائباً ، وخشوا من عقاب الإمام الناصر فاحتالوا على عاملهم الحسن بن علي وقبضوا عليه وأرسلوه إلى الإمام الناصر . في أثناء خروج علي بن أحمد المتوكل إلى اليمن الأعلا اغتَمَّ الأمير أحمد

ابن غالب فرصة تغيبه فأخذ في الإغارة على أطراف البلاد الداخلة في طاعته - بصفته أحد الأمراء التابعين للإمام الناصر الذي قام هذا التأثير ضده - ومن جملة تلك الغارات سرية بعثها إلى الممّعتنّ بقيادة أخيه حسن بن غالب ، وكان أمير الممّعتن هو الأمير عز الدين القطبي من أمراء المخلاف السلياني السابقين - فتمكن أمير الممّعتن من هزيمة السرية وطردها .

رد الفعل :

لم يهن على الأمير عز الدين القطبي غزو الأمير أحمد بن غالب للممّعتن الذي هو موثل آل القطبي فاستصرخ بعامل جبل رازح القاسم بن علي مستنجداً واستدعى أكثر القبائل القريبة فأقبلت مسرعة لداعيه وسار بها إلى تهامة ضرب الأمير عز الدين القطبي خيام معسكره في أرض شقر على مسافة أربعة فراسخ من أبي عريش ، فخرج الأمير أحمد بن غالب إليه في غرة رمضان ، فكانت الدائرة عليه وكان أحمد بن غالب في المؤخرة على بعد من الميدان فعلم بالهزيمة من فلول جيشه فعاد مسرعاً إلى أبي عريش فوجدها خاوية على عرشها (١) فجمع فلول جيشه وتحصن في قلعة المدينة ولو تقدم الجيش المهاجم لاستولى على المدينة بدون مقاومة تذكر ، بيد أن القاسم بن علي قائد الجيش المهاجم انسحب عائداً إلى « البار » اسم موضع ، وهناك اتصل به خبر عودة أبيه إلى صعدة على الصفة التي مرت فعاد إلى رازح .

تلك الحركة الحربية والمقاومة من أحمد بن غالب رفعت منزلته في نظر الإمام الناصر .

الوضع الإداري للمخلاف في أول إمارة أحمد بن غالب :

في هذا التاريخ كان الوضع الإداري والسياسي في المخلاف على الصورة الآتية :

١ - إمارة أحمد بن غالب أو ما يشملها نفوذه وهي من شرق مدينة أبي عريش إلى ساحل البحر غرباً ، ومن بادية أبي عريش شمالاً إلى حرص جنوباً .

(١) وكان هذا أول خروج من المدينة في عهد هذا الأمير .

- ٢- إمارة آل القطبي وتشتمل على الحرث والمعنق وما يليها .
٣- إمارة صبيا ويتبعها ضمد والشقيري وينوب عليها الأمير محمد ابن أبي طالب الخواجي ، ويتبعها خلاف بيش .

في ذلك الحيز الضيق تشتمل الإمارة التي أنيطت بالأمر أحمد بن غالب وهو صاحب مطامع وآمال واسعة دفعته إلى الرغبة في التوسع على حساب جيرانه شرقاً وشمالاً وكخطوة أولى لتحقيق مطامعه .

أخذ أولاً في العمل على زرع بذور الخلاف والشقاق بين جيرانه الشماليين الخواجية ، وكنيجة لذلك بطش عامل الشقيري وهجرة ضمد حسين بن مطاعن الخواجي ببعض العابثين بالأمن في منطقته ، وكان هذا العابث قد دخل إلى قرية الشقيري في جوار أحد أبناء عم العامل - ولا يبعد هذا أن يكون أداة لأحمد بن غالب دبر معه هذه الخطة - أودع عامل الشقيري المحرم في السجن فأصبح السجين ميتاً ، فقام الذي أجاره باتهام العامل بقتله غيلة مدعياً أن العامل خاس بدمته ووصلت المرافعة بينهما إلى أمير صبيا - وكلاهما من قرابته - فتوسط بينهما على تسليم مبالغ من المال دية وترضية لأهل المقتول ، فتظاهر المطالب بالقبول والرضا . وبعد مدة وجيزة عدا ليلاً على العامل واغتاله وهو نائم في بيته وفر .

وصل خبر الحادث إلى أمير صبيا فخرج يوم ٨ شعبان عام ١١٠٣ إلى الشقيري وألقى القبض على قرابة القاتل ومن حامت الشبهة على مساعدته ، بيد أن المتهم الأول في التحريض ، وهو مطاعن بن أبي طالب بن دريب الخواجي فر ملتجئاً إلى الأمير أحمد بن غالب ، وبذلك تمكن من إحداث ثغرة في صفوف جيرانه الشماليين .

الاتجاه إلى الناحية الشرقية :

وهناك وجه اهتمامه إلى الناحية الشرقية فعمل على استمالة قبائل جبل رازح بالرغائب حتى دخلوا في طاعته فأرسل من قبله عاملاً وقوة تركزت في الجبل وبذلك أصبح خصمه الأول عز الدين القطبي بن شقي الرحا وأضحى

منقطعاً عن الاتصال بمرجعه في صعدة ، بيد أن أمير صعدة لم يترك الاستمتاع بهذا النصر لخصمه ، فهب مسرعاً واستعاد جبل رازح واقتاد العامل أسيراً إلى صعدة .

العودة إلى حركة التوسع في الشمال :

اتخذ أحمد بن غالب من قضية الشقيري سبباً وذريعة إلى موالاة الرفع للإمام في الاذن له بضم إمارة صبيا إليه وراح من جهة أخرى يعمل جاهداً في استمالة أهل صبيا بشتى وسائل الإغراء والتقدم بالرفع إلى الإمام بأن مخالف صبيا يمكن منه تجنيد خمسة آلاف مقاتل ومن السهل بهم التغلب على أمير صعدة وهي أمنية طالما طمح الإمام إلى تحقيقها — فحالاً أوفد الإمام النقيب محمد ابن سعلون إلى الأمير محمد بن أبي طالب الخواجي يطالبه بتجنيد خمسة آلاف مقاتل وإن بدا منه أقل اعتذار فعلى النقيب إبلاغه بإسناد إمارة صبيا إلى أحمد بن غالب وفعلاً اعتذر عامل صبيا — لأن مثل ذلك غير مستطاع — فأسندت إمارة صبيا إلى الأمير أحمد بن غالب وقام حالاً بفرض بدل نقدي على أهل المخلاف وصبيا قنصره خمسة آلاف أحرر — عملة متداولة في ذلك العهد — مقابل الخمسة آلاف المقاتل ووزعها على الجهات الميينة أدناه :

١ — على هجرة ضمد والشقيري والقرى التابعة لها ألف وأربعمائة .

٢ — صبيا وقرى المخلاف الشامي ثلاثة آلاف وسبعمائة .

وكتب إلى الإمام بأن أهل صبيا ومخلافها اختاروا تسليم بدل نقدي وأنه قرر عليهم مقابل الخمسة آلاف مقاتل خمسة آلاف أحرر فورده الجواب من الإمام بأن يبعث له أربعة آلاف أحرر وما زاد فهو له .

ولم يكتف بذلك بل استصدر من الإمام أمراً على أهل صبيا ومخلافها وسكان كافة المخلاف السلياني بما يأتي :

١ — إلزامهم بضيافة الجنود ورجال الحكومة في مرورهم بجهاتهم .

٢ — تقرير خرص المزارع .

وأناب عنه على عمالة صبيا وزيره سنبل .

اختطاط أحمد بن غالب قرية البَدَوِي :

في شهر شوال من عام ١١٠٣ صُلح إليه أمر الإمام بالنهوض من أبي عريش إلى وادي خلب - ويظهر أن الإمام شعر بحركة أمير صعدة إلى اليمن الأسفل فرغب أن يعسكر أحمد بن غالب على ضفة وادي خلب استعداداً للطوارئ - فقام بفرض التجنيد على أهل المقاطعة ومن جملتهم أهل صبيا الذين قد دفعوا البذل النقدي - فرض عليهم ثلاثمائة مقاتل - وعندما توارد إليه المحندون نهض إلى وادي خلب وضرب خيامه على عدوة الوادي وبعد أن استقر ألزم مشايخ تلك الجهة بإحضار مواد البناء وبناء البيوت ومع طول إقامته استدعى التجار من صبيا وغيرها وأمرهم بأن يؤسسوا سوقاً أسبوعياً بالقرب منه ويرجع أنه من تلك التاريخ تأسس سوق الأحد في المسارحة - وأسس جامعاً في قرية البلوي وفي تلك الأيام ورده أمر الإمام بإسناد أمر ولاية الجهات الآتية إليه .

- ١ - بلاد الشرفين
- ٢ - المحرق .
- ٣ - اللج .
- ٤ - المعرس .
- ٥ - بلاد عاهم وضاعن .
- ٦ - مور .
- ٧ - الضحى .

وبذلك اتسعت رقعة إمارته ودائرة نفوذه .

وفي مستهل عام ١١٠٤ جهز حملة لتأديب قبائل المير وقبيلة بني شعبة فلم تظفر بأحد منهم وبعد ذلك عزل سنبل عن عمالة صبيا .

وفي جمادى الأولى من تلك السنة قام بعض قبائل بني شعبة بقيادة الرئيس علي بن محمد الموكل فhezهم أهل الحسيني واقتادوا رئيسهم أسيراً وسلموه إلى عامل صبيا وكان قبل ذلك قد ألقى الأمير القبض على أحد رؤساء بني شعبة أيضاً المدعو (علي بن جابر الرزيقي) وأخذ أهل الحسيني في الحرص والسهرة خوفاً من بني شعبة الذين تحفروا لأخذ الثأر وفي ليلة الخميس ٢٦ رجب ١١٠٤

هجد الشعيون الحسيني وقتلوا ثمانية وعشرين شخصاً وأحرقوا القرية وطمخوا الآبار وكانت هذه أول سطوة لبني شعبة .

غزو الأمير علي بن أحمد المتوكل للمخلاف :

كان أمير صعدة - قبل هذا التاريخ بقليل - قد انتصر انتصاراً ساحقاً على جيش إمام صنعاء - الذي غزا مدينة صعدة - وقتل قائده إسماعيل ابن الإمام الناصر فاشتد ساعد الأمير الصعدي وأخذ في استمالة الأمير أحمد ابن غالب للدخول في طاعته فلم يستجب لاستمالاته فجرد حملة قوية لغزو المخلاف السليماني فرحل الأمير أحمد بن غالب من قرية البدوي للتحصين والاعتصام في قلعة أبي عريش ولحقه الوزير سنبل بحرمه وأمتعته إلى أبي عريش في اليوم الثاني وأذن الأمير لمن يرغب الخروج من أهل المدينة فغادرها (١) أكثر سكانها .

المعركة :

قام الأمير أحمد بن غالب من ساعة وصوله إلى أبي عريش في العمل على إقامة التحصينات وبناء الاستحكامات في الأماكن الاستراتيجية وتوزيع الجنود في المراكز الهامة :

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب ١١٠٤ هاجمت القوات الصعدية المدينة وتقدمت فرقة إلى داخل المدينة فجاء طريقها شمال القلعة فأصلتها حامية الاستحكامات بنيران بنادقها وصدتهم عن التقدم نحو القلعة وتقدمت فرقة أخرى لنهب السوق فأمر الأمير أحمد بن غالب بإحراق البيوت القريبة من السوق فأحرقت النار بعضهم لجهلهم بمعرفة طرق المدينة وفر البعض إلى خارج المدينة وقاومهم من في القلعة والاستحكامات فاضطروا بعد خمسة أيام من بدء الهجوم إلى التراجع والانسحاب .

نال أهل مدينة أبي عريش من الخسائر المادية في هذا الهجوم ما يفوق التقدير لأنهم لم يستطيعوا تحميل أموالهم لعدم وجود الجمال فبقيت أموالهم

(١) وهذا هو الخروج الثاني لأهل مدينة أبي عريش في عهد أحمد بن غالب .

داخل المدينة فأنت الحرائق التي أمر الأمير أحمد بن غالب بشبها عندما تقدمت
الفرقة وهاجمت السوق - على الكثير من الأموال وعلاوة على ذلك فإنه بعد
انسحاب المهاجمين خرج الجيش المدافع إلى المتاجر والبيوت للنهب والسلب
على مرأى ومسمع من أحمد بن غالب ويروى أن المنهوبات من سوق
البانين^(١) خاصة بلغ ما قيمته ثمانية آلاف قرش (أي ريال) وهو مبلغ
جسيم بحسب قيمة الشراء في ذلك العهد ويستدل مما سبق أن مدينة أبي عريش
كانت مركزاً تجارياً ممتازاً وبه جالية هندية من البانين لهم سوق مخصوص
بتجارتهم .

بنو شُعْبَة :

تسكن قبائل بني شعبة قرية اللرب المنسوبة إليهم باسم دَرَب بني شعبة
وكان سابقاً بل في القرن الحادي عشر يعرف أيضاً باسم درب مُلُوح وقد
ورد باسم درب ابن مُلُوح في مغازي إمام الزيدية المتوكل إسماعيل المتوفي
عام ١٠٧٨ ويذكر صاحب « ذيل نفح العود » أن هذا الاسم كان يطلق عليه
قبل أن يسكنه بنو شعبة الذين كانت مساكنهم قبله بلاد شهران وبلاد بيشة
وأنهم نسبوا إلى محل هناك يسمى شعبة وأن بني شعبة يزعمون أنهم من تغلب
وليس لديهم على ذلك دليل وأنه فهم من رؤسائهم أنهم من (أكلب) ثم
(من خثعم) .

ونحن نلاحظ عليه ما يأتي :

١ - ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ١٢٠ ما نصه : ثم
مخلاف عثر . وعثر ساحل جليل ومدينة بيش وحصبة ابرق وفيه من الأودية :

(أ) الأمان . (ب) بيش .

(ج) عثود . (د) بيش .

(هـ) ريم وعمرم . (و) زنيف .

(ز) العمود .

(١) هذا يدل أنه كان في أبي عريش جالية هندية لها سوق خاص .

وهو لخولان وكنانة والأزد الخ وقرية الدرب هي على وادي عتود .
٢ - جاء في العقيق اليماني في حوادث عام ١٠٢٧ ذكر قبيلة بني شعبة ضمن قبائل حلي ضمن من جهزهم أمير مكة لإخضاع أحد المتمردين عليه في بيش - وهذا يوضح لنا أن بني شعبة كانوا يسكنون الدرب من قبل غزوة المتوكل لإسماعيل بواحد وستين عاماً .

٣ - وجاء في حوادث عام ١٠٣٥ ذكر وفاة الفارس البطل شار بن هيازع صاحب الدرب ونعته بأن لا يوجد مثله في عصره فروسية وشجاعة وكرما وورد في حوادث عام ١٠٣٥ ذكر وفاة ابنه علي بن شار باسم كبير بني شعبة وأنه كان رئيس بلده بعد أبيه .

وبذلك يكون شهرة الدرب في أواخر القرن الحادي عشر (بدرب بني ملوح) لا يعنى أن بني شعبة لم تسكنه إلا بعد ذلك التاريخ ، بل يكون كما يلوح أنه كان يطلق هذا الاسم عليه وبنو شعبة سكانه .

تتفق أقوال مؤرخي المخلاف أن بني شعبة قوم أهل فروسية ونجدة . اتخذوا الغزو والسلب والنهب مهنة نحو مائة عام - أي من عهد الأمير أحمد ابن غالب في المخلاف ١١٠١ إلى دخول عرار بن شار في طاعة آل سعود عام ١٢١٣ .

أدرك منهم في أول الأمر الأمير أحمد بن غالب عدم الانقياد والطاعة وقاومهم بالسطو والنهب في جهاتهم ففكر في تأديبهم فجهز حملة في محرم ١١٠٤ بقيادة أخيه حسن بن غالب فسارت من أبي عريش إلى ضمد ومنه إلى قرية صلوبة ومنها إلى قرية الصنيللي - قرية شرقي الملحا - وفي خارج تلك القرية عسكرت الحملة ولم يتخذ قائدها الحيلة والحذر رائده فغط العسكر في النوم العميق - ويظهر أن بني شعبة قد علموا بخروج الحملة فتقدمت سرية من الفرسان إلى جهة الملحا تستطلع الأخبار فعلمت من حالة الحملة وعدم حزم قائدها ما أطمعها في مباغتتها - فهجدوها فأشاعوا الرعب والهلع في رجالها وقتلوا منهم ١٣ شخصاً وغنموا الكثير من معداتها وأصيب حسن ابن غالب برصاصة في يده وعاد مهزوماً إلى صبيا .

أكسبهم ذلك النصر شيئاً من الضراوة وعدم الهيبة والخشية من الإمارة المحلية فتمادوا في السطو والنهب ووسعوا رقعة نشاطهم إلى أبعد من حدهم القبلي ودفعتهم الجرأة إلى غزو الحسيني ففشلت طليعتهم الأولى وأسرقائدها - كما أشرنا إليه قبل هذا واقتيد أسيراً إلى صيبيا فجددوا الغارة وهجموا على قرية الحسيني وقتلوا ١٨ شخصاً وأحرقوا البيوت وطموا الآبار وكانت هذه الغزوة أول غزو علي منهم على المخلاف وبذلك اشتدت دولتهم واغتمتوا اشتغال الأمير أحمد بن غالب بصد هجوم (صاحب صعدة) فتجولوا في قرى المخلاف وفرضوا ضيافتهم على سكان القرى وهما بمهاجمة مدينة صيبيا نفسها.

عودة مع أحمد بن غالب :

بعد انتهاء معركة « أبي عريش » أخذ بطريقة التشنّي والانتقام يبطش بكل من توهم أنه مالأً صاحب صعدة ففرض الغرامات وزج بجماعة في السجن - منهم الأمير خيرات بن الحسن القطبي وصادر أمواله وسير وزيره (سنبل) إلى قرية ضمد والشقيري - بحجة أنهم تقاعدوا عن مساعدته إبان الحصار - وقد عزم على اصطفاء أموال أهل القريتين فرجح له البعض فرض الغرامات التدرجية حتى يأتي على جميع أموالهم بدون ضجة ؟ لذلك بعث وزيره سنبل بفرض الغرامات وقرر النكالات على كل فرد .

تعمير قلعة جازان الأعلى :

في شهر شعبان عام ١١٠٤ ابتدأ في تعمير قلعة جازان ، تلك القلعة الحصينة التي تسمى (الثريا) معقل الأمراء آل القطبي ويقول صاحب العقد المفصل : إنه يظن أن أول من عمرها هو الأمير خالد بن قطب الدين لأنه لم ير فيما قرأه إشارة إلى عمارتها قبله مع أن « الديبع » ذكر آثار ملوك زبيد - الذين المخلاف كان تابعاً لسلطانهم كعمارة البرك وهي أقل منها شأنًا أما الأحداث التي تعاقبت عليها والحرب الذي قد حاق بها فهو :

١ - الحراب الأول في إمارة أحمد أبي الغوائر القطبي - انظر أخبار الدولة القطبية .

٢ - الخراب الثاني في إمارة عامر بن يوسف القطبي .

٣ - الخراب الثالث في حملة الأمير عز الدين شرف الدين .

كانت القلعة أطلالا دارسة ورسوماً طامسة قد نبتت على عرصتها الأشجار
وسُرت ما بقي من مندرتها الأعشاب فأمر بأن تقطع الأشجار وتجرف عن
وجهها الأتربة والآكام وأن تمسح مساحتها فبلغت .

١ - ثلاثة معاود إلا ثمن معاد وقيراط .

٢ - ذرع أساسها القديم من الجانب الغربي فيبلغ سبعة أذرع ونصفا
وكان بذلك الموضع باب فأمر بسده .

ومن ثم شعر وبذل غاية اهتمامه في إعادة بنائها وتصميم تشييدها في غاية
الإتقان والإحكام وضرب خيمته في تلك الجهة وأشرف بنفسه على البناء وأمر
بإحياء المزارع التي كانت حولها وصرف إليها المياه فأقبل الناس على سكنى
تلك الجهة فعمرت في وقت قصير بعد أن كانت قفراً .

غزو الوزير سنبل :

وفي نصف شهر شعبان أصلد أمره إلى سنبل بغزو قبيلة النحوس وقبيلة
بني شعبة - وكانتا متجمعتين بناحية (بيش) وأمر حاكم صلياً بأن يهب
لمساعدته كما كتب إلى النقيب قاسم غاضب الذي يقوم بعمل الحاكم في الحملة
بأن يتحرك لمساعدتهما .

اجتمع الثلاثة وبعد التشاور تقدمت طليعة من الخيل لاستطلاع موقع
القبيلتين فاستدلت الطليعة على مرعى نعمهم فاستاقت منها ما يقارب ألف
رأس وعادة إلى المعسكر .

وصل الصريخ إلى مضارب القبيلة فأغاروا يتحرقون غيظاً حتى أقبلوا
على المعسكر فهاجموا وقتلوا من رجاله خمسين رجلاً وغنموا قسماً من
أسلحته ومعداته واستاقوا نعمهم بعد أن شتوا شمله وفرقوا جمعه فعاد سنبل
إلى (الشقيرى) يجر أذيال الهزيمة .

كان هذا الانتصار إيذاناً بإشعال روح المقاومة في المخلاف على حكم الأمير أحمد بن غالب فهبت قبائل المخلاف وساء ظن الأمير وتوترت أعصابه فراح يأخذ البريء بجرم المذنب وانضم إلى بني شعبة غيرهم من الموتورين وقاموا لمهاجمة القرى وفي شهر رمضان ١١٠٤ هـ أصبحت القرى الآتية .
القوز ، الدهنا ، العدايا ، الأثلة ، ييش .

كل هذا والأمير أحمد بن غالب صار فاقاً كل اهتمامه إلى عمارة القلعة والوزير سنبل دائماً على الظلم والتكيل ومن أمثلة نواذر حكمه القصة الآتية :
وقع غلام في بئر فأخرج سليماً فاتخذ سنبل من الحادثة وسيلة لابتزاز المال بطريقة فرض الجزاء على الصورة الآتية .

١ - فرض على جيران البئر مبلغاً من المال .

فرض على أم الصبي جزاء باهظاً .

توترت الحالة وشعر الأمير بالخطر فاجرى بعض التعديلات في العمل عسى أن يخفف ذلك .

١ - نقل عامل صبيا إلى الزيدية وعين في محله علي بن خضير .

٢ - عين أخاه الحسن بن غالب على قرية صلهبة وقبائل الحسيني ليكون في خط الدفاع الأول أمام بني شعبة وحلفائهم .
عزز حامية الشقيري بقيادة سنبل .

هجوم بني شعبة :

وقبل غروب شمس يوم ٢٢ ذي القعدة ١١٠٤ حملت فرسان بني شعبة حملة صادقة على الشقيري فلم يقو الوزير سنبل على الوقوف في وجهها وتحصن في داره تحميه ذوو الحفاظ والنجدة وتمكن بعض المهاجرين من دخول جانب الحرم في داره فذهبوا كل ما وجدوه وعادوا ظافرين وارتحل سنبل إلى الأمير في قلعة جازان الأعلى وبذلك الهجوم تصدع خط الدفاع وانسحب حسن ابن غالب إلى صبيا بعد أن هدد أهل صلهبة بأشد العقاب أن مآلاً لبني شعبة

فارتحلوا عن قريتهم خوفاً من وعيده وتقدمت غزاة بني شعبة إلى أطراف مدينة صبييا وعادت مثقلة بالغنائم وهكذا أضحت البلاد مسرحاً للفوضى .

تحرك الأمير أحمد بن غالب :

في شهر محرم ١١٠٥ هـ الأمير أحمد بن غالب لرد عادية بني شعبة ، وتجهز نحوهم في .

٦٠٠ من حملة البنادق .

٦٠٠ من حملة السلاح الأبيض .

وسار من قلعة جازان . بطريق (الحازة) . واستطاع أن يبطش بقوم منهم فخافت سطوته القبائل الموالية لهم وفي أثناء ما لاح له الظفر وافته الأنخبار بأن خصمه السابق (عز الدين بن الحسن القطبي) قد نزل يحمل أمراً إمامياً بتولييه أمر الخلاف بدلا عنه وأن قاسم بن حسن المهدي — أحد قواد الإمام — وصل إلى بلاد الشرفين يقود جيشاً لتنفيذ الأمر الإمامي .

عاد الأمير أحمد بن غالب مسرعاً إلى قلعة جازان وأخذ على وجه السرعة في إتمام ما بقي من تعمیرها وأدار عليها سوراً خارجياً وشحنها بالآقوات والمؤن والمقاتلة ومن جهة أخرى أخذ في ترجي واسترضاء الإمام في إبقائه على الإمارة فلم يظفر منه بموافقة .

الاستعداد :

أخذ في الاستعداد للساعة الحاسمة فأرسل

١ — أخاه حسن بن غالب على رأس قوة لتعزيز حامية أبي عريش وأمره بطم الآبار وإقامة المتاريس حول المدينة .

٢ — بعث قوة للحماية بنذر جازان .

الأمير عز الدين :

وصل الأمير عز الدين إلى حرض ومنه توجه إلى البدوي وكتب إلى بني شعبة يطلب وصولهم لمساعدته فأقبلت مسرعة لتلييته ، وعندما شعر عامل

صبييا بتحركها كتب لأحمد بن غالب فأمره بالانسحاب والوصول إليه .
دخلت بنو شعبة مدينة صبييا ، وهناك قابلها عامل من قبل الأمير عز الدين
فتسلم المدينة وأمرها بمقابلته في قرية القرقي ، ومن القرقي سار بهم لحصار
قلعة جازان الأعلى ، وظل الحرب سجالا حتى اليوم الرابع والأربعين على بدء
الحصار فخرج إليهم أحمد بن غالب وتمكن من إلحاق الهزيمة بالمهاجمين ،
وعلى أثر ذلك انسحبت قبائل بني شعبة إلى صبييا وعاد الأمير عز الدين إلى
حرض .

النشاط الأخير :

على أثر ذلك الانتصار نشط الأمير أحمد بن غالب ، وأرسل سرية إلى
حرض لمطاردة الأمير عز الدين وأخرى إلى سامطة فرابطت السرية الأولى
في وادي ليسة ، وكان الأمير عز الدين قد وافته الإمدادات فهجم على الجيش
الم رابط في لية وصحقه ، ففرت السرية الم رابطة في سامطة ، وبذلك قضيا على
على كل مقاومة وأدرك الأمير أحمد بن غالب اليأس ففكر في الرحيل ناجياً
بنفسه وأهله ، وفي تلك الغمرة وصله مندوب من قبل الإمام يحمل أمراً
بترحيله ، فجهزه بما يحتاجه ، وفي يوم الثلاثاء الموافق ١١ رجب ١١٠٥ ،
ارتحل من أبي عريش إلى الحجاز ، وكانت مدة إقامته في الخلاف ثلاث
سنوات ونحو عشرة أشهر ،

ويقول صاحب «العقد المفصل» : إن يوم خروجه من الخلاف كان من
الأعياد .

الأمير عز الدين :

في أول شعبان دخل إلى مدينة أبي عريش ، ثم والى سيره إلى صبييا وأقام
بها إلى نهاية شهر شوال ، فكر راجعاً إلى أبي عريش ، إلى شهر ذي الحجة
عام ١١٠٥ .

كان بعيداً عن الحزم فاضطرب الأمن في الخلاف واضطرت القبائل
إلى عقد ذم بينها ، حتى أرسل الإمام من ينوب على الجهة .

المخلاف السليماني وإمارة آل خيرات

بعد قيام الدولة القاسمية وعلى وجه التحديد في عهد الإمام المؤيد في النصف الأول من القرن الحادي عشر - بعد أن تمكنت من طرد الأتراك من جنوب الجزيرة امتدت سلطتها على جميع تلك الأصقاع ، واستمرت على ذلك حتى قيام الدولة السعودية الأولى التي بدورها شمل سلطانها بقيادة حمود أبي مسمار تهامة إلى باب المندب واستمرت تحت سلطته إلى سنة ١٢٣٣ ثم عاد إلى سلطان الأتراك عند وصول خليل باشا (١) .

وقد وضعنا في أخبار إمارة المخلاف في عهد أحمد بن غالب حالة المخلاف السياسية والإدارية إلى عام ١١٠٥ .

أما الوضع بعد ذلك التاريخ لغاية إسناد عمالة المخلاف إلى آل خيرات فهي على الوجه الآتي :

١ - وادي ضمد ووادي صبيا مع المخلاف الشامي إلى يدش فيقوم بعمالته الخوارجية .

٢ - من جنوب حرض إلى جنوب وادي ضمد ، فيتولى عمالته عامل من المنطقة أو من رجال الإمام ، ومع ذلك فالأمن غير مستقر ، ونار الفتن متأججة الأوار بين القبائل .

في أواخر القرن الحادي عشر وصل من الحجاز إلى المخلاف السليماني الشريف خيرات بن شبير من ذوي زيد، ويختلف المؤرخون في أسباب نزوحه والذي يرجح لنا أنه لأسباب الحوادث التي جرت في إمارة بركات بن محمد البركاتي ، ونستدل على ذلك بما يأتي :

ورد في تاريخ مكة للسباعي صحيفة ٢٦٤ : وهكذا انتهت إمارة سعد

(١) راجع الدور الثاني لحكم الأتراك .

ابن زيد قبل نهاية ١٠١٣ بعد أن حكم مكة خمسة سنوات أناب أخوه أحمد عنه في سنتين منها ، وبذلك خرجت الإمارة من ذوي زيد لتعود إلى ذوي بركات ، وانقسم الأشراف في شأن ولاية بركات فحبذها أشياخ بركات ولم يرضها ذوو زيد فارتحل بعضهم إلى نواحي الطائف وابتعد آخرون إلى أطراف مكة وبعضهم إلى خارج البلاد .

وصل خيرات إلى مدينة أبي عريش في عهد الإمام المتوكل إسماعيل ، فأبقى أسرته هناك وتابع سيره إلى صنعاء فأكرم الإمام وفادته ، وقرر له مخصصاً من فريضة جازان يقوم بأوده .

فعاد إلى أبي عريش واتخذها دار إقامة ، وكانت له مشاركة في الأدب وتضلع في العربية فانتفع بالتعليم على يده جماعة من أهل المدينة حتى أدركته الوفاة ولم تشر المصادر التي تحت أيدينا إلى سنة وفاته .

كان خيرات يتوق إلى تأسيس إمارة لنفسه في الخف ، فأخذ في التمهيد لنفسه بالتقرب إلى وجهاء المخلاف بيد أن غرسه لم يثمر إلا في عهد حفيده محمد بن أحمد .

الأمير محمد بن أحمد بن خيرات :

هو الشخص الأول — في أسرة خيرات — الذي استحق أن يطلق عليه لقب الإمارة بعد أربعين سنة ونيف من استيطان جده للمخلاف السليماني وبذره البذرة الأولى لغرس نواة هذه الإمارة في نطاق العمل المستمر ، والدعاية في قبائل الخف والتقرب والتودد من الإمام ورجاله ونوابه ، ومناهضة سيادة الأمراء القطبية^(١) والرؤساء الخواجين الأسرتين المشهورتين في المخلاف والمعروفين والناس بطبعهم مفطورون على تقديس الماضي — والنظر إلى ذوي السابقة والمجد في الإمارة والزعامة بعين التقدير وهم أقرب إلى التسليم لهم والانقياد إلى أوامرهم والالتفاف حولهم — ولا يقبلون على الجديد أو الحديث حتى يثبت لهم صلاحيته التي تكفل له البقاء وما هي قد مرت على هذه الأسرة جيلان وهي جادة في محاولتها .

(١) نسبة إلى مؤسس إمارتهم (خالد بن قطب الدين) .

في عام ١١٤١ كان عامل الإمام المنصور على اللحية عبده جوهر وترتبط بعاملته كل من : الزيدية ومور والخلاف السليمانى - ماعدا صبيا ومخلافها .

ولاتساع نطاق هذه الجهات وعدم مرونة الجهاز الإداري ولبعد المخلاف نسبياً عن المركز الرئيسي للإدارة كثيراً ما يضطرب حبل الأمن في هذه الجهة وتحصل الفتن بين قبائل المخلاف الشديدى الشكيمة ، وإذا استثنينا - القسم الشمالى من المخلاف وهو من وادي ضمد إلى بيش ، المناطة عمالته بالخواجين فالقسم الجنوبي يتكون من :

- ١- وادي جازان ، وأشهر مدنه : أبو عريش ، وبندر جازان .
- ٢- وادي خُلب ، وهو يمر في بلاد أكبر قبائل المخلاف المسارحة .
- ٣- وادي تَعَشُرْ وغيره من الأودية التي تسقى أرض قبيلة بني شيبيل .
- ٤- مدينة حررض .

فكان قبل هذا التاريخ يقوم على إمارته أمير من الأمراء القطبية المحليين أو بصلة عامل من عمالهم ومع ذلك فالأمن غير مستتب ، وهنا سنحت الفرصة لحفيد ذلك الوافد فأخذ في العمل على إتمام التمهيد لنفسه لمركز الإمارة ونتيجة لذلك تقدم أعيان وتجار الجهة بالرفع إلى الأمير عبده جوهر بالتماس السعي في إسناد عمالة هذا القسم من المخلاف إلى أحمد بن محمد الخيراتي وعولوا في قبول التماسهم ونجاح مسعاهم على أحد زعماء المخلاف العلامة علي سيد النعبي .

حظى ملتسمهم بالقبول وتكامل مسعاهم بالنجاح فورد الأمر بالموافقة على إسناد العمالة إلى أحمد بن محمد المذكور على أثر ذلك توجه الأمير أحمد إلى الأمير عبده جوهر لشكره والتفاهم معه حول ما يجب لتنظيم الإدارة ، ومن هناك جند سرية من أهل الشحر وحضرموت ، وعاد إلى أبي عريش وكان الأمير رغب في بسط عمالته على القسم الشمالى فاصطدم بالخواجين .

غزوة صيبا :

سار على رأس سريره المؤلفة من الشحارية والحضارم وبعض أهل أبي عريش وقبيلة سفيان وفي أطراف مدينة صيبا نشبت المعركة الأولى - بين الحزبين الخواجية وآل خيرات - وهي في الحقيقة إعلان لذلك الصراع الذي استمر وقتاً على سيادة الخلاف بين الأسرتين والذي أعرب عن نفسه في هذه المرحلة النهائية بشكل الغزو المسلح .

لم تستمر المعركة طويلاً فقد انتهت بهزيمة الرئيس حسين بن محسن الخواجي وأهل صيبا وإجلالهم عن المدينة ولم يكتف الأمير أحمد بالوقوف عند هذا الانتصار ، بل أمر بنهب المدينة وإحراقها ، وبعد أن أقام أياماً كر راجعاً إلى أبي عريش .

لم يسع أهل صيبا لإزاء كل ما وقع إلا رفع شكواهم إلى الإمام الذي بالطبع لم يستسغ أو يرضى بمثل ذلك وبوصول شكواهم استدعى الأمير أحمد والأمير عبده جوهر وبوصلهما صرف عبده جوهر إلى عمله وأبقى الأمير أحمد لديه وأرسل بدلا عنه عاملاً على الخلاف ، أما إمارة صيبا فقد أسندها إلى أحد الخواجيين .

العامل الجديد :

وصل العامل الجديد محمد المرتضى واستقر في أبي عريش وبعث أخاه إلى بندر جازان ، وصادف وصوله قيام نادر من آل حبيب يسمى المخلدي - وقد تكون هذه الثورة موعزاً بها كرد فعل على عزل الأمير - واشتدت شوكة هذا الناصر وعاث في قرى الخلاف وأخيراً تقدم إلى بندر جازان فخرج إليه عاملها الحسين المرتضى ونشب بينهما القتال وانتهى بقتل المخلدي وانتهت حركته إلى الفشل .

وتتخذ تلك الحادثة وسيلة ويتقدم علماء وأعيان الخلاف بالتماس إلى الإمام بإعادة الأمير أحمد ويستهل عام ١١٤٣ وتصدر موافقة الإمام ويعود إلى أبي عريش وتستقر الأمور ، وفي عام ١١٤٥ يتوجه الأمير إلى صنعاء وينيب

على العمالة ابنه محمداً ، ويعود الأمير في عام ١١٤٦ إلى الخلاف ويقوم بغزو قبيلة من عبس في موضع يسمى جبيرة ، بضم الجيم المعجمة من بعد ياء تحتية مفتوحة وياء ساكنة وآخرها هاء فلم يظفر بطائل .

ولم يزل على القيام بعماله حتى أدركته الوفاة يوم الأربعاء الرابع من شهر ذي القعدة عام ١١٥٤ بموضع يسمى الحقلية من بلاد الواعظات ونقل جثمانه إلى حرص وورى فيه .

الأمير محمد بن أحمد آل خيرات وإمارته في الخلاف السليماني

رفع ب وفاة والده إلى الإمام ملتتمساً إقراره إلى ما كان عليه والده فوردته الموافقة ؛ فاستمرت الأمور في مجراها الطبيعي . بيد أنه نجم تنافس بين أفراد تلك الأسرة وهو يعد الشرارة الأولى في الخلافات التي استمرت فيما بعد وهذا التنافس أو الخلاف الناجم هو نزوع حوذان بن محمد بن خيرات بطلب العمالة لنفسه بصفته الأكبر في إخوان الأمير الراحل ، إنما حزم الأمير الشاب والتمهيد الذي مهله والده بتولييه مهام المنصب في حياته قد وطد مركزه ، ونلاحظ أن نزوع عمه إلى طلب العمالة لم يكن في هذه المرة بالمخاهرة السافرة بل نزوع الرجل الذي يرى أحقيته ويطلبها بإعمال الرأي واستخدام الحجة ، فمضى اتضح له عدم انقياد الناس وموافقة المرجع جنح إلى التسليم بالواقع انتظاراً لفرصة موالية ووقت ملائم .

في عام ١١٥٤ وصل الأمير الجديد إلى أبي عريش فتوافد عليه رؤساء وأعيان الخلاف معزين ومهنيين وأخذ في العمل بأن يكون منهجه استمراراً لسياسة والده .

عقم خريم :

كان الأمير محمد يشعر شعوراً قوياً بمنافسة (آل القطبي) وعلى رأسهم أحمد بن خيرات القطبي الذي لا يزال له عصبية قوية ونفوذ في قبائل الحرث وتنبين من الحادث الآتي وضوح هذه المنافسة .

العمق ينطق في تهامة على السد الذي يقام لحجز مياه السيول وتنظيم تصرفها إلى جهة ما ، وكان لآل القطبي أرض زراعية في الشريج المعروف أعلا وادي جازان قد خرب عقمها وتعطل مسقاها ، فاستأذن رئيس القطبة المذكور في إقامة العمق فأذن له فقام بمباشرة التعمير حتى أشرف على القيام .

وحقاً شعر الأمير - أو نبه - بأن في إقامة العمق انتعاشاً لحالة تلك الأسرة فأصدر أمره بمنع إتمام العمق بحجة أنه يصرف الماء عن أسفله كأهل العقدة^(١) وغيرهم .

احتج القطبي فلم يسمع لاحتجاجه ، فطلب من الأمير إخراج هيئة من أهل الخبرة بشئون الزراعة لتقرير وقوع الضرر أو نفيه ، فعين الأمير هيئة للنظر وفي اليوم المقرر لخروجها خرج الأمير بنفسه في كوكبة من فرسانه ، وقد علمت الهيئة المقصود من وراء خروج الأمير بنفسه فقررت نسف العمق - ليقول مؤلف خلاصة المسجد: وأكثر الناس ممن حضر يقولون : إن ذلك ، أي تقرير نسف العمق ، لم يكن منهم إلا مطابقاً لرغبة الأمير وللخوف منه وبمجرد نطقهم بقرار النسف كانت الضمائد (بقر الحرث) حاضرة فأمر بنسف العمق فوراً في التو والساعة .

لم يسع الرئيس القطبي إلا الانسحاب من الموقف إلى المعنق موثلهم ومأوى عصبيتهم وأخذ في استثارة قبائل الحرث وأشعلها حرباً على الأمير بعد أن رفع إلى الإمام بالواقع ، وقد أرسل الإمام من قبله من ينظر في الأمر فلم يتوفق فكث يشاهد الحالة عن كثب .

قاد الأمير بنفسه قوة لتأديبهم ، ولسوء الحظ لم يكن لديه من القوة ما يكفي لإنهاء ثورتهم - إلا السرية المؤلفة من أهل الشحر وحضرموت فكادت الهزيمة أن تطوح بتلك السرية إلى الهاوية .

أول تدخل لقبائل يام :

في أثناء تسلل إمام صنعاء الإمامة صادف معارضة مسلحة من أهل بيته

(١) العقدة قرية ومحراث على عدوة وادي جازان .

كادت أن تحرمه من الارتقاء إلى مركز الإمامة ، وكان من أقوى الأسباب إلى رجحان كفته وتقوية مركزه استنصاره بقبائل يام بواسطة رؤسائهم المكرمي وتقدير آلموقفهم أقطعتهم بلاد حراز وبعد استتباب الأمن واستقرار الأمور استعاد ما استقطعتهم فنارت ثائرتهم ونشب بينهم وبينه القتال ، وعلى أثر ذلك نزلوا إلى تهامة التي هي تابعة لسلطانه وعاثوا في أرجائها سلباً ونهباً وانصرفوا بعد أن أثقلت عيائهم بالغنائم وعند وصولهم إلى مور والأمير محمد قد لزه الأمر وكادت الحرث والقطبة أن تستأصل قواته ، علم بعودتهم ، فأرسل من يستدعيهم فلبوا دعوته وسارعوا إلى نصرته فذك بهم قبائل الحرث واصطفي أموالهم ومواشيهم وأتى على كل ما يملكون ثم قصد بهم المعتق ففتك بالقطبة فتكاً ذريعاً وأجلاهم عنه وهدم قلعته .

توجه القطبة إلى الإمام متظلمين مما حاق بهم ، وصادف أن الإمام لم يرق له اتصال الأمير محمد بيام الذين يناصبونه العداء ، على القطبة الموالين له والمحسوبين عليه .

بوادر الخلاف :

إن تصرف الأمير في قضية عقم خريم كان دعاية سيئة لسمعته فبدأ التذمر والاستنكار - ولآل القطبي مكانتهم - فكان لما حاق بهم مع وضوح الأسباب في موضوع العقم موجة من الاستياء والاستنكار ، وبعد عودته من الحرث شعر أن النعامية - وهم من سلف لأحد رؤسائهم جميل على والده في تسنمه مركز العمالة - بدأوا بالمجاهرة في انتقاد تصرفاته ، وكان لهم نفوذ في جهة بيش ، فقام بدوره بالحد من نفوذهم ، وعندما رفعوا عقيرتهم بالاحتجاج زج برؤسائهم في سجن أبي عريش ولم يطلقهم إلا بضمان وتعهد على حسن انقيادهم .

أضف إلى ذلك أن الحال بينه وبين قبائل بني شعبة أسوأ مما بينه وبين النعامية ، وقد أخذ في تشجيع أهل الحقو المعادين لهم ومدهم بالسلاح ومظاهرتهم على الشعبيين علناً .

أخذ الإستياء والتذمر يظهر في شكل من الغليان ينذر بالشرا المستطير والانفجار المروع واستغل الموقف خصومه من الخواجين والنعامية والقطة في إثارة الرأي العام ، وقام العلماء والأعيان في الخلاف السلماي برفع استصراخهم وشكواهم إلى الإمام بصنعاء (١) واضطرم عليه الخلاف ناراً .

اغتم الفرصة عمه حوزان وتم الاتصال بينه وبينهم ، وعندما لمس نجاح الثورة توجه إلى اليمن إلى صديقه الأمير عبد الرحمن الماس الذي تناط به إدارة المنطقة الجنوبية من تهامة أي من « الحما » إلى « الزيدية » وكان هذا يحرص على إسناد العمالة إلى حوزان من ساعة وفاة الأمير وبالطبع أن عدم توفيق مسعاه يعتبره هزيمة أدبية أمام نجاح زميله عبده جوهر أمير المنطقة الشمالية - صديق الأمير الشاب والآن وهو من أعلم الناس بسياسة الإمام ، وقد علم غضبه على الأمير بسبب اتصاله بياهم وعدم الرعاية من الأمير حرمة آل القطبي أمراء الخلاف السابقين ومحسوبي الإمام حالياً ولفهمه أن السياسة التقليدية للإمام تقضي بالإبقاء على العمال الأقوياء حتى تتأزم عليهم الأمور وتاتاث الأحوال فيكون العامل حينذاك عون الإمام على عزل نفسه ، كما سيمر بك في حالة الأئمة مع هذه الأسرة ، وهنا تقدم وهو واثق من نجاح مسعاه ، وكان الإمام قد رأى الوقت مناسباً ، فحالاً استجاب لمسعاه وأعطى حوزان بن محمد أمراً بعمالة الخلاف ، أو بالأحرى تفويضاً بأن يتصرف في إزالة ابن أخيه عن عمالة الخلاف .

عاد الأمير حوزان من اليمن إلى أبي عريش في أول عام ١١٥٧ يحمل الأمر السري بعمالته على الخلاف ومكث يوالى الاتصالات ويرتب الأمور ويشجع رجال المقاومة وعناصر المعارضة حتى تم كل شيء ، وعند ذلك استأذن ابن أخيه في الخروج إلى مزارعه ولم يتوقف إلا في صبيا .

(١) جاء في كتاب خلاصة العسجد : أكثر الرفع من أكابر الخلاف السلماي وعلماؤه إلى الحضرة الإمامية بأن الأمير أهلك الرعية وسلك غير المسالك الشرعية وتعدى وظلم وتجبر وغشم . ولم يقبل نصائح النصحاء ولا راعى جناب الأفاضل والعلماء إلى غير ذلك الخ .

الأمير حوذان في صيبا :

أدلى ليلًا ، فلم يلح صباح يوم غرة جمادى الأولى عام ١١٥٧ إلا في مدينة صيبا فألقى القبض على عاملها وكبله بالحديد وأعلن أمر الإمام بعماله على الخلاف فأقبلت إليه كافة أعيان ورؤساء صيبا ومخلافها ، وفي مقدمتهم الخواجية والنعامية . وبنو شعبة وكان بعض جموع بني شعبة قد وصل إلى قرية السلامة ومعهم حلفاؤهم من أهل صلب وبني جونة فاشتد بهم أزره وقويت شوكته .

وصلت الأخبار إلى ابن أخيه فكانت مباغته غير منتظرة وإنما ادَّرع بالحرم وتجهز من وقته إلى صيبا فتقدم لملاقاته أحد أعمامه وأوقفه في هجرة ضمد بغية السعي في الصلح وانتهى السعي بأن يعود الأمير محمد إلى أبي عريش لمدة ثمانية أيام عسى تتمكن الوسائط السلمية إلى اتفاق .

انتهت الأيام الثمانية بدون الوصول إلى اتفاق ، وفي ليلة السبت الموافق ١٧ جمادى الأولى ١١٥٧ تقدم الأمير حوذان على رأس جموع أهل صيبا ومخلافها وبني شعبة ومن معهم التي هبت لمناصرته إعراباً عن استيائها ومنتظها ضد سياسة ابن أخيه إلى أن وصل إلى قرية البديع ، وهنا وافاه الخصم الأول لابن أخيه وهو الأمير أحمد بن خيرات القطبي ، وانضم على رأس أنصاره إلى الجموع المهاجمة وبعد مناوشات وقاتل انتهى بمعركة دارت رحاها قرب قرية العقدة انهزم الأمير محمد إلى أبي عريش التي حصنت واستعدت للحصار فتقدم الجيش المهاجم وضرب نطاق الحصار على المدينة إلى ١٠ شعبان عام ١١٥٧ وتم التسليم على الشروط الآتية :

١- أن تسلم البلاد إلى أمير الإمام .

٢- أن يخرج الأمير محمد إلى حيث أراد .

وفي يوم ١٥ شعبان خرج الأمير محمد من أبي عريش قاصداً نجران .

امارة الأمير حوذان :

رفع النتيجة إلى الإمام فوصلته الموافقة والخلعة التقليدية ، وصفه صاحب

خلاصة العسجد البهكلي وصفاً موجزاً نستشف منه ملاك أخلاقه ومنهاج سياسته - وإن كان المغلوب تلقى على كاهله التبعات ويزج في سيرته بما يرضي الغالب - قال : كان سلس القياد سريع الانقياد ، فهل كان ذلك هذا ما ستوضحه سيرته ، تولى زمام الأمر في الخلاف فهدأت الأمور نسبياً ورأي الشعب في هلوته ولينه وتواضعه ما حببه إلى الناس ، بيد أن النفوس قد ألفت الشدة والاستبداد فطمعت في أكثر مما حصلت عليه وهب أنصاره بالأمس يطالبون بقسط من السلطة والنفوذ إن لم يتولوه بأنفسهم :

استقر في أبي عريش إلى انتهاء شهر شعبان وفي مستهل شهر رمضان نهض إلى جهات صبيا وضمد وعاد قبل هلال شوال ١١٥٧ ، وفي شوال خرج إلى قرية البلوي ومكث بها إلى انسلاخ الحجة ١١٥٧ .

كان بنو شعبة قد شرطوا عليه أن يعينهم على صباح قرية الحقو - وقد ألمعنا قبل إلى العداء بين أهل الحقو وبني شعبة ومناصرة الأمير محمد لأهل الحقو ضد بني شعبة - فعاد من قرية البلوي إلى أبي عريش ومنها تجهز إلى الحقو والتقى ببني شعبة في قرية السلامة وسار بهم إلى الحقو .

علم أهل الحقو بالغزو الموجه ضدهم وأدركوا عدم قدرتهم على المقاومة فجلوا عن ديارهم فدخلت القوات المهاجمة على رأس الأمير فهدموا الدور ولم يبقوا على شيء منها حتى مسجد القرية ، وفي سلخ محرم عاد إلى أبي عريش وفي شهر ربيع الأول عام ١١٥٨ وافته الأخبار بنزول ابن أخيه الأمير محمد ابن أحمد على رأس قوة من يام لاستعادة إمارة الخلاف .

القتال :

أخذ الأمير حوذان في الاستعداد والتأهب وحشد أنصاره وأخذ أهل القرى البمانية - من شمال حرض إلى خببت المسرحي في النزوح عن قراهم ونزح سكان بندر جازان إلى فرسان ، وفي آخر ربيع الأول تواردت الأخبار بوصول الأمير محمد إلى حرض ، وبعد محاصرته المدينة حرض ثمانية أيام سلمت المدينة حاميتها ودخل المدينة .

خرج الأمير حوذان من أبي عريش على رأس حشوده حتى خيم في قرية الدامغ ، أما الأمير محمد فعند ما علم بنزول عمه في الدامغ خرج من حرض واحتل قرية البدوي ، وكانت منه حركة بارعة أوقعت الاضطراب في خطة دفاع عمه واضطره إلى الرحيل من قرية الدامغ والرجوع غرباً لصدّ تقدمه حتى عسكر قبالتة في قرية جحا ، وهكذا ظل كل منهما متهيّباً المهجوم على معسكر الآخر .

وفي عصر السبت الموافق ٣ جمادى الأولى ١١٥٨ هـ ابتداء الأمير حوذان بالهجوم وسرعان ما تراجع مهزوماً وتفرق أصحابه ، وتقدم جيش ابن أخيه واستحل مخيمه ونهب خيمته وامتعتة ، أما هو فعاد إلى أبي عريش وتحصن في القلعة ومكث ثمانية أيام واصل في خلالها ابن أخيه تقدمه إلى مقاب ، وعندها طلب حوذان الأمان لنفسه فأمنه ورحل إلى اليمن وكتب للإمام يرجوه امداده بقوة فلامه الإمام على خروجه بمثل تلك السرعة ونسب أسباب هزيمته إلى ضعف همته وقلة عنائه فيئس حوذان من نصره وصالح ابن أخيه ، وعاد إليه ، وبخروجه دخل الأمير محمد بن أحمد مدينة أبي عريش ، وأخذ في استمالة الناس واستدعائهم للعودة إلى مساكنهم ورفع للإمام بالواقع وطلب منه التأييد على إمارة المخلاف فوردته الموافقة ولسان حاله ينشد :

فكلكم عندي عدو ومن يعيش صديق ومن لي بالهلاك لكم معاً

أما صبيا ومخلافها فقد اشترط الإمام على الأمير أن تعود تحت عمالة (الخواجية) .

١ - الانتقام :

استأنف الأمير سياسته السابقة — بعد صمت وهدوء موقت اقتضته الظروف — وفي عام ١١٥٩ أي في العام الثاني على عودته لعمالته أو بالاحرى في هذه المرة إلى إمارة المخلاف — بل في شهر شوال على وجه التحقيق نهض إلى غزو مدينة صبيا وعسكر في قرية صنبة فقابله أهل صبيا بدورهم للدفاع

إلى قرية الظبية ، وفي الظبية يوافيهم رسل الأمير بمطالبه التي تنحصر في دفع نصف متحصل الجباية فرفض أهل صبيا طلبه محتجين بأن الجهتين يعود أمرهما إلى الإمام الذي أناب الخواجية على صبيا مثل ما أنابه على الأخرى ، والتحم القتال فانهزم أهل صبيا وبانهزامهم تحرك الأمير إلى هجرة ضمد ونهب دورها وأحرق مساكنها ففرق أهلها ، وبعد إحراق المدينة أمر بأن يوضع له سرير يمانى القرية هجرة ضمد استراح عليه قليلا وشاهد نتيجة تلك العملية المحزنة ، وبينما هو يسرح طرفه في تلك الاطلاع وصله الخبر بأن جماعة من أهل صبيا لقوا عمه مبارك بن محمد — وقد أغار من قرية الريان اشفاقاً على أبنائه المشتركين مع الأمير عند ما علم بالمعركة — فقتلوه فهض لتعقبهم فلم يدرهم فحمل جثمان عمه وعاد إلى أبي عريش واكتفى في تلك الرحلة بضم ضمد .

ويلوح لنا أن الأمير استعمل دهاءه في تصديع جبهة أهل صبيا ومخلافها حتى استطاع إحداث ثغرة بين الخواجين والنعامية فرى أحد رؤساء النعامية يعلن براءته من أهل صبيا ويهتبل الأمير هذه الفرصة ويقتحم على صبيا .

تجهز الأمير على رأس قواته في حركة خاطفة فما شعر أهل صبيا إلا بدوي رصاص بنادق أصحابه في قرية « الغرا » وبعد ذلك بقليل وصلهم رسول من الأمير يعرض عليهم الشرط الأول أي قبول دفع نصف الحاصلات فرفضوا ثم ساروا إلى « الغرا » لقتاله والتحم القتال فسارع من كان من أهل المخلاف مع أهل صبيا إلى الانهزام وثبت أهل صبيا ثباتاً رائعاً ضرب به المثل ببطولتهم وشجاعتهم في المخلاف السليمانى وتغلبت القوة والكثرة على الشجاعة فانهزموا وعاد السالم منهم فأخذ أهله وخرج بهم بعضهم إلى قرى بيش والبعض إلى صلهبة أما الرئيس أبو طالب الخواجي فقد توجه إلى بني شعبة ، وفي صبح تلك الليلة — التي دارت فيها المعركة — دخل الأمير محمد بن أحمد صبيا واستقر في قلعة المدينة ثم أمر :

١ — بنهب المدينة والاستيلاء على ما وجد فيها .

٢ — باخراب قلعة صبيا .

٣- بهدم بيت حسين بن محمد الخواجي وكان وثيق البنيان شامخ الأركان من آثار الخواجية الأولين فسوى بالأرض .

٤- بإحراق المدينة فأحرقت يوم خروجه عائداً إلى أبي عريش .
وبذلك ضم صيبا إلى ولايته .

بالطبع ان عمله هذا لا يرضاه الإمام وقد هم فعلا بارسال قوة لمساعدة أهل صيبا ، بيد أن وفاته أنهت كل شيء وخلفه ابنه الإمام المهدي فقاومه عمه وغيره من أهل بيتهم فاغتنم الفرصة الأمير السياسي وأخذ البيعة للمهدي في الخلاف وأعلن أنه من أول المؤيدين له وهكذا أصبح ممن ساهم في بناء الحكم الجديد فكافأه الإمام الجديد بضم مور إلى عمالة الخلاف .

٢- الانتقام :

والآن بقي دور النعامية ودور بني شعبة فترى الأمير في أواخر شعبان من عام ١١٦٣ يتجهز من أبي عريش يرافقه عمه حوذان في فرسان الحملة فأقام الأمير أباما ، في وادي صيبا متظاهراً بقصد غزو بني شعبة ومنه يوالي سيره إلى وادي بيش حتى عسكر بموضع يسمى الدحل - بضم الدال المهملة وسكون الحاء الحلقية وبعدها لام - قريباً من قرية السلامة فأقام أياماً ، ثم عزم على ما نهض من أجله وهو القبض على رؤساء النعامية - الذين ساعدوا عمه حوذان مع الخواجيين وبني شعبة - فشعر كبير النعامية الرئيس الحسن ابن إبراهيم فنجأ بنفسه إلى درب بني شعبة - وحالاً قام الأمير بالتنفيذات الآتية :

١- إرسال سرية بقيادة ابن عمه ظافر بن الحسين إلى قرية الدهننا ، ساقط أعيان النعامية مكبلين إلى سجن أبي عريش ونهبت جميع ما في القرية وأحرقها .

٢- ارسل سرية إلى المحلة فساقط من بها من أعيان النعامية ، وفعلت فيها عين ما فعل في الدهننا ، وذلك في شهر رمضان عام ١١٦٢ .

٣ - الانتقام :

أشرنا قبل هذا أن الأمير حوذان كان ضمن فرسان الحملة وهنا عندما تم تنفيذ العقاب على النعمانية أدرك أنه السبب المباشر وأنه لاشك آت دوره فشد الرحال ليلا ولم يصبح في محله .

ارتاع الأمير لفرار عمه ظاناً أنه لحق بخصومه الآخرين بني شعبة . فشدد وراءه الطلب فلم يدركه وأخيراً تحقق له أنه لحق بالمروة — بآلة التعريف بعدها ميم مفتوحه وراء ساكنه وواو بعدها هاء — من بلاد الحرث ، عاد الأمير إلى أبي عريش وافرغ اهتمامه بشأن عمه حوذان الذي قام من المروة يشن الغارات على أطراف المخلاف الجنوبية فشكى المسارحة على الأمير من تعدياته فتبرأ منه وقال لهم قد أبحث لكم دمه فاقتلوه فقالوا للأمير إن له أهلاً غيرك فإذا تبرأ من دمه جميع أقربائه قتلناه فأرغم الأمير جميع (آل خيرات) على البراءة منه .

اضطر الأمير حوذان تحت هذا الارهاب إلى الرحيل إلى نجران والالتجاء إلى المكارمة فآكرمه رئيسهم القاضي (إسماعيل المكرمي) واخذ في مكتبة الأمير محمد ساعياً في الصلح بينهما حتى توفق إلى ذلك وأخذ العهد والمواثيق على الأمير لعمه وبعثه مع وفد من رؤساء (يام) فاستقبلهم استقبالا حسناً وظهر لهم استعداداه بالوفاء وقيامه بالعهد الذي قطعه للمكرمي بالعفو عن عمه وكان قد صمم على غير ذلك واستعد بقوم من أهل الجوف لقتل عمه غيلة .

التنفيذ :

أخذ بعد مغادرة الوفد يدبر المكائد للتخلص من عمه ومن جملة ما دبّرهُ انه أوعز إلى بعض صناعته أن يقوموا بغارة ليلية قرب الحي الذي يسكنه عمه ورتب كميناً من أهل « الجوف » حتى إذا خرج عمه فازعاً يغتالونه فلم تفلح تلك المكيدة ، وبعد ذلك بأيام دخل عمه عليه كعادته مسلماً وكان قد دبّر الأمر مع الجوفيين وبعد أن سلم واستقر به المجلس قرب الأمير ، أشار الأمير إلى أحد الجوفيين لإشارة خفية فتقدم الجوفي مورباً انه يريد السلام على الأمير

حودان وتناول يده وانكب على إبهامه بغمه حتى أبانها أو كادت ثم دفعه إلى الحائط فدفعه الأمير حودان وهب واقفاً وهم أن ينتضي سيفه فلم تمكنه يمينه الدامية فانتضاه بيسراه وطعن الجوفي والثفت قاصداً ابن أخيه فضربه هذا بحد سيفه على أم رأسه فخر مغشياً عليه ثم طعنه آخر حتى فاضت نفسه وبهذه الطريقة الغادرة الممقوتة قضى على « عمه » في مجلسه ، ثم تولى أحد أقربائه إخراج جثثانه من الدار وتجهيزه ومواراته تغشاه الله برحمته وذلك في ١٠ رمضان ١١٦٣ :

الناثر :

علم المكرمي بقتل الأمير لعنه وكان هو المتعهد لحودان والضامن له على وفاء الأمير فنزل على رأس يام إلى الخلاف السلياني وأنها لفرصة طيبة لمثله في أن يظهر بمظهر الوفاء ويملاً وطابه من الغنائم — وصل المكرمي مدينة حرص وقتل عاملها علي بن أحمد أخا الأمير محمد ومثل به أشنع تمثيل ثم والى تقدمه صوب أبي عريش وفي طريقه إليها كتب إلى رؤساء الخلاف بأن الإمام قد عزل الأمير فاستبشر الجميع وسارعوا إلى تقديم الأطعمة والذبائح للمكرمي وقومه وأقبلوا إلى الترحيب به ومقابلته ووفد عليه فارس بن أحمد القطبي صاحب المعتق بالضيافة وسار صحبتهم إلى أبي عريش وذلك في شهر رمضان عام ١١٦٣ :

ومر المكرمي من شرق مدينة أبي عريش في حملته وقد فر أكثر أهلها إلى جهة صبيا وغيرها . أما الأمير فقد تحصن في القلعة .

عسكر المكرمي قبلي مدينة أبي عريش بين أبي عريش والعقدة وغادوه وراوحوه بالغارات وأقاموا على حصاره إلى شهر القعدة وتم الصلح بينه وبين المكرمي على .

١ — أن يصدر الأمير عفواً عن جميع أهالي الخلاف الذين أعانوا المكرمي

٢ — أن يدفع للمكرمي مبلغاً من المال .

٣ — أن يقرر راتباً شهرياً لأبناء عمه المقتول .

وبعد ذلك عاد المكرمي إلى نجران .

ظهور أبي علامة :

في رجب عام ١١٦٤ ظهر أبو علامة في قرية (الشجعة) من بلاد نهم — بضم النون — وهو رجل مغربي الأصل يتظاهر بالورع لاسمالة قلوب العامة ودعى الناس لطاعته وكان صاحب شعوذة ودجل غرر بالعامة وادعى المهلوية أي أنه المهدي ففتن الناس به وتبادروا إلى الدخول في طاعته فتزعزع من صولته أمر إمام صنعاء وسلطان عدن ولحج وابتث سراياه تحتل المواقع والحصون ولم تهزم له راية واستولت سراياه على .

١ — أكثر بلاد حاشد وخربت حصونهم ومعاقلهم .

٢ — على تهامة إلى بيت الفقيه .

في شوال أرسل أبو علامة سرية إلى المخلاف فوصلت إلى قرية الدامغ فطردها الرئيس أحمد القطبي وبعد ذلك تجهز الأمير لمحاربته والتقى بجيشه في مور وهزمه وأرسل برؤوس القتلى إلى إمام صنعاء فصدر أمر الإمام إلى الأمير بالعودة إلى أبي عريش لأنه بلغه أنه يطمع في الاستيلاء على مدينة الحجة فعاد حالاً إلى أبي عريش في شهر محرم ١١٦٥ .

نهاية أبي علامة :

استدعى أبو علامة قبائل قحطان فأقبل إليه منهم زهاء سبعة آلاف طمعاً في المال وعندما وصلوا إليه شاهدوا درويشاً رأس ماله الشعوذة والدجل فطالبوه بالمال فاعتذر فطلبوا منه أن يقودهم إلى حيث ما أراد فامتنع أن يقودهم بنفسه للقتال — وكان قد اتخذ لنفسه عكفة غرفة لا يخرج منها أبداً ولا يقابل أحداً إلا من كوة في تلك الغرفة وعندما يثسوا منه أخرجوه قسراً من الكوة وقتلوه وأرسلوا برأسه إلى إمام صنعاء وأخذوا منه جوائزهم وعادوا إلى وطنهم .

في عام ١١٦٩ تجهز الأمير لقتال قبيلة بني شعبة واستعان بقبائل يام الذين هم عمدته في حروبه مع أهل المخلاف فوافوه ، وفي نصف محرم سار إلى

الدرب على الطريق العليا إلى أن هزمهم ودخل مدينتهم وكان لانتصارهم هيبة في أرجاء المخلاف .

وفي عام ١١٧١ كانت الحجة المشهورة في المخلاف بلكة وراح ضحيتها أكثر السكان .

في عام ١١٧٢ اختط الأمير قلعة في أبي النورة وأحيا بجانبها أرضا زراعية وبتعميرها عمرت تلك الجهة وساد بها الأمن .

وفي عام ١١٧٣ عزل ابن عمه ظافر بن الحسين عن عمالة صبيا وأسندها إلى ابنه أحمد بن محمد .

غزو جبال فيفا :

استدعى الأمير قبائل يام وسار بهم لغزو قبيلة بني شعبة وفي عودته ترجع غزو جبل فيفا ، وعندما وصل إلى قاعدة الجبل الاشم وصله رسل شيخ جبل فيفا قاسم بن أحمد الملقب بالمعكوي راجيا منه المسالمة موضحاً انه لم يحصل من سكان الجبل ما يستدعى الغزو والتأديب فلم يلتفت الأمير إلى رجائه وقام بالتعبئة الحربية وقسم الجند ثلاث فرق على الوجه الآتي :

١ - القسم الأول وطلع من الجانب الغربي .

٢ - القسم الثاني وطلع من الجانب القبلي .

٣ - القسم الثالث وطلع من الجانب الجنوبي .

على أن يكون الاجتماع في رأس الجبلي .

وصف حال أهل الجبل :

كان أهل الجبل في حال من البداوة والتوحش والضرارة فوق الوصف ، سلاحهم أعواد الشجر المبرية المحددة الأطراف بما يفوق حدّ وذلافة الرماح ويستعملون سلاحاً بدائياً آخر وهو الوصف بالحجارة ، فلا تكاد تخطىء وضفة أحدهم الغرض ، ويقال انه يعلق لأحدهم حلقة في دورة السوارفيرمها

بالمضيضة فينفذ الحجر من وسطها ولهم ثقة واعتقاد في شيخهم قاسم المعكوي الذي يمارس ضربا من التنجيم أو الزجر على عادة العرب في جاهليتهم الأولى .

تقدم قوات الأمير :

صعدت قوات الأمير على الترتيب السابق واستطاعت الفرقتان الغريبة والشمالية في المرحلة الأولى التغلب على قوة أهل الجبل المقابلة لهما ، وبعد أن لاحت لهما بوادر النصر تجمع أهل الجبل عليهما من كل جهة بتلك الحراب الخشبية التي من طعن بها انكسرت في جسمه فإن لم تورده حياض المنون أبقتة في عذاب أليم وألم مستطير حتى يدركه التسمم والموت البطيء ، بعد أن رموهم بالوصف التي تفلق الرؤوس وتدنّي الأحياء من الرموس فانهزمت كل فرقة من جهتها ولم يسلم منهما إلا الأقل ، وأما الفرقة الجنوبية فقتل دليلها فضلت وأطبق عليها أهل الجبل من كل جانب فن سلم من القتل تردى في مهاوي مزالت ذلك الجبل الاشم إلى مهاوي الهلاك ، وغم الفيفيون جميع أسلحة الجيش تقريباً فلم يسع الأمير إلا الرحيل عائداً إلى أبي عريش .

في عام ١١٧٥ نزل القاضي إسماعيل المكرمي على رأس جموع يام للأخذ بثأر أصحابهم من أهل جبل فيفا فخيم قرب مدينة أبي عريش فخرج إليه الأمير محمد لاستقباله والترحيب بمقدمه ، وكان كل منهما على احتراس من الآخر وطلب المكرمي من الأمير الخروج معهم لقتال أهل فيفا ووافقه الأمير مكرهاً ، وبعد وصولهم إلى الجبل وصعودهم منوا بهزيمة منكرة أشد هولا وخسارة في الأرواح من الأولى .

في عام ١١٧٧ عزل الأمير محمد ابنه أحمد عن عمالة صيبا وولاها الرئيس مطاعن بن أبي طالب الخواجي ، وفي ربيع الأول عزله وبجته ، بعد الغزل في قلعة أبي عريش وصادر جميع ما يملكه ، وأعاد عمالة صيبا إلى ابنه .

الاستعانة بقبائل قحطان :

وفي تلك السنة بعث رسله لاستدعاء قبائل قحطان ليستعين بهم بدلا عن يام فتواردت إليه أخبارهم بأن سيوافيه منهم سبعة آلاف ، ويقول صاحب

خلاصة العسجد : رغبة منه في الاستعداد لاستقبالهم بالميرة والأرزاق بطش بالرية بطشاً عظيماً ، وأخذ منهم ما يصعب حصره ويعظم قدره واستخرج المدافن من الحبوب وجمع حبوباً كثيرة هي أكثر ما في أيدي الناس .

عادت رسله من قحطان وليس معهم سوى ألف وخمسمائة رجل فخرج بهم لتأديب قبيلة عبس فلم يظفر بهم فعتد معهم صلحاً ورجع إلى أبي عريش .

إحياء شريح البيض :

الشريح هو أرض شجراء ، وقد قام الأمير في عام ١١٧٨ بإحياء ذلك الشريح وقطع أشجاره التي لا نفع فيها إلا أعوادها التي تستعمل في البناء ، وأقام له عقماً لتحويل ماء السيل لسقيه ، ثم بنا فيه قرية اختارها لسكناء بدلاً عن أبي عريش ، وأطلق عليها اسم الزهراء (١) .

وفي السنة نفسها اسند عمالة وادي ضمد إلى ابنه علي بن محمد فسكن قرية الشقيري ، وعمر به حصناً وأحيا أرضاً واسعة على جانب الوادي في طرف الجهو .

الخازوق :

في عام ١١٨٢ أمر الأمير محمد بن أحمد الخيراتي بصنع (خازوق) لمعاقبة من يريد معاقبته ، ووصف بأنه من الحديد والخشب ، وأن طوله قريب من طول قامة الرجل ، وطرفه في غاية الحد فيقعده عليه من أراد معاقبته فينفذ من الدبر إلى أعلى فإذا نزع من الشخص مات .

وقد فعل ذلك ببعض عبيده ، ثم برجلين آخرين فاتا .

الحرب بين يام والأمير :

كتب الحسن بن هبة الله المكرمي إلى الأمير محمد بوفاة أخيه إسماعيل ابن هبة الله طالباً منه تجديد العلاقات واستمرار الصداقة القليدية ، فرد عليه

(١) وتعرف الآن بالبيض .

امعزياً ومواسياً ، ولم يشر في جوابه إلى ما يشم منه رائحة الرغبة في تجديد العلاقات واستمرار الصداقة ، فحز ذلك في نفس المكرمي وأخذ في تأليب يام وحشد جموعهم لغز المخلاف ليرى لهذا الأمير الذي استهان بطلبه انه أشد خطراً من اسلافه الذين تعلقت عواطفهم الأمراء آل الخيرات ، ومن جعلتهم هذا الأمير نفسه .

كان آل خيرات كما مر بك جل اعتمادهم في تركيز نفوذهم وتثبيت سلطتهم على أهل الشجر والحضارم في أول إمارتهم ، ومن بعدها على يام ولم يستعينوا بأهل المخلاف الذين هم أهل البلاد إلا في النادر ومع غيرهم - لهذا عندما تواردت الأخبار بنزول يام بعث رسله لاستدعاء قبائل بكيل ، وفي أول عام ١١٨٤ بدأت جموعهم تتوافد لتلبية ندائه حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف مقاتل .

وفي ربيع ١١٨٤ نزلت يام بقيادة الحسن بن هبة الله المكرمي إلى حرص وعاثوا في البلاد سلباً ونهباً وقتلاً ، واستاقوا المواشي ونهبوا الأموال واعتدوا على النساء وانداحوا في سهول تهامة ، ففر السكان من حرص إلى أبي عريش والأمير في أبي عريش متردد في الخروج حتى وافته القبائل التي استدعاها علاوة على بكيل وهي :

١ - وداعة وعبيدة .

٢ - صحار وواثلة .

٣ - قحطان هـ

ونهبهم وبقبائل بكيل من أبي عريش إلى موضع يسمى حرف إبراهيم وفي أثناء ذلك تقدم قوم من يام كطليعة ، فبلغ الأمير فظن أن قبيلة يام قاصدة مخالفته إلى أبي عريش فانتدب جماعة من الفرسان بعضهم من النعاميين ومن غيرهم ليعلموه خبرهم ووجهة سيرهم ، وعند طرف قرية البدوي فاجأتهم طليعة يام ، وهي لاتتعدى الخمسة عشر فارساً ومعهم عدد من الركائب وخيل الأمير في مثل عددهم ، فتنشب بينهما القتال فانهزم أصحاب الأمير وأسر

بعضهم ، عند ذلك نهض الأمير من حرف إبراهيم إلى الملح ، بضم الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة ، فوق وادي تعشر . ومنه عزم على أن يعسكر في المحصام ، بكسر الميم وسكون الحاء المهملة بعدها صاد وألف وميم . فيقطع عليهم خط الرجعة إلى نجران ، فتنبه المكرمي فعبأ رجاله قبل أن ينفذ الأمير خطته .

التعبئة :

عبأ المكرمي رجاله جناحين وقلب كالأتي :

١ - قبيلة مواجد .

٢ - قبيلة جشم .

٣ - قبيلة آل فاطمة .

وسارت شمال مدينة حرض حتى جاوزت مسيل الوادي .

وعبأ الأمير رجاله على الوجه الآتي :

١ - وداعة وعبيدة في مقابل مواجد بقيادة ابنه أحمد بن محمد .

٢ - بكيل في مقابل جشم بقيادة أخيه الحسن بن أحمد .

٣ - سحار ووائل ومن في طبقتهم في مقابل آل فاطمة بقيادة ابنه

حيدر .

يلاحظ انه لم يكن في جند الأمير أحد من أهل الخلاف مع أنهم من أشجع رجال تهامة بسالة ونجدة إذا استثنينا بعض الفرسان الذين ورد ذكرهم أعلاه .

دارت رحا المعركة فانهزمت مواجد وكثر فيها القتل وأصيب الحسن المكرمي برصاصة في ركبته ، وكذلك تراجعت جشم ، أما آل فاطمة فقد هزمت من أمامها من سحار ووائل وطاردتهم إلى وراء نخيم الأمير محمد - الذي انسحب منه قبل ذلك بدقائق - ونهت آل فاطمة جميع ما في نخيم الأمير ، وبعد ذلك عادت بكيل ووداعة فشاهدت نخيم الأمير محمد

خالياً فاستنقذوا ما أمكنهم إنقاذه ، ولم تغرب شمس ذلك اليوم الخميس الموافق ٢٧ جمادى الأولى إلا وبعض المهزمين في ساحة أبي عريش وقد قدر عدد القتلى من الفريقين بـ ٥٠٠ قتيل .

ودخل الأمير نفسه مدينة أبي عريش يوم السبت الموافق ٢٩ جمادى الأولى ، ومما يدل دلالة واضحة أن كفة يام هي الراجحة ما يأتي :

١ — أن الحسن بن أحمد قائد بكيل ويام ، قد أسر في المعركة .

٢ — أن شمس يوم الخميس لم تغرب — يوم المعركة — إلا وبعض المهزمين في ساحة أبي عريش .

٣ — وصول الأمير في صباح اليوم الثاني للمعركة إلى أبي عريش .

٤ — بقاء المكرمي في مدينة حرض إلى أواخر شهر رجب في تلك السنة .

وبعد عودة الأمير إلى أبي عريش ظل يتردد بين البيض وأبي عريش حتى وافته المنية في يوم الجمعة ٢٧ ذي الحجة عام ١١٨٤ ، وكادت بوفاته تنجم الفتنة بين أولاده من الساعة الأولى لدفنه بأسباب وصيته باستخلاف ابنه حيدر وأخيراً تم الرأي بينهم على أن يخلفه ابنه الأكبر أحمد بن محمد ورفع بالخبر إلى الإمام ورجوه الموافقة على إنابة الأمير الجديد .

آل خيرات :

توفي الأمير (محمد بن أحمد الخيراتي) وأوصى بأن يخلفه ابنه حيدر ولم يتم العمل بتلك الوصية — كما مربك — وخلفه ابنه الأكبر أحمد بن محمد ورفع إلى صنعاء بخبر الوفاة والتماس الموافقة فوردت الموافقة مصحوبة ببعض التحفظات والتوصية على استخدام (يام) كجنود مرتزقة .

ومن جهة أخرى فقد غدا يتوسع في الأعطية والمقرارات على اخوته وأبناء عمه عليه بذلك يستأصل سخطهم ويسكن نائرة منافستهم فلم تهدأ الأمور وأخذ كل منهم في طلب الاستزادة وكان تنقصه قوة الارادة فقلت هيئته وبدلاً من أن يستعمل الحزم إزاء مطامع ذويه أخذ في المداراة والتلق لعواطفهم

وتماذى في ذلك حتى وزع الرعية بينهم فاستولى كل واحد منهم على محصول الرعية المناط به أمرهم أي أن الخلاف أصبح إقطاعيات موزعة بين اخوته يسومون الرعية حسب أهوائهم ورغباتهم فتلاشت السلطة المركزية وقضبت موارد الايرادات الأميرية وتأخرت أعطية من لم يكن لهم إقطاعيات فاعلنوا الخلاف وخرجوا ساخطين أو نائرين إلى جهة يبش .

وعملاً بتوصية صنعاء اضطر إلى استدعاء قبيلة يام لاستخدامهم وعندما وافته الاخبار بدنوهم من الخلاف تخوف منهم وانتابته عقدة نفسية وانهار عصبي حتى انه استدعى أخاه حيدر ، الذي سبق أن سيره إلى جهة الواعظات في مهمة ، وعندما وافاه على جناح السرعة كطلبه تنازل له عن الإمارة ودفع له مبلغاً من المال لسد نفقة اليامين ثم انسحب إلى بيته .

الأمير حيدر بن محمد :

تسلم زمام الأمر ورفع بالواقع لصنعاء ، فوردته الموافقة ثم توجه على رأس (يام) إلى حرص ومنه وزع عليهم الأعطية وجهزهم للعودة إلى بلادهم وعاد إلى أبي عريش في أواخر ١١٨٦ هـ .

الندم :

وبعودة « يام » إلى بلادهم زالت العقدة النفسية عن الأمير أحمد واستعاد حالته الطبيعية وبدأت عليه دلائل الندم والأسف على تنازله عن الإمارة واخيراً تحصن في داره واخذ في الاستعداد للوثوب فشعر أخوه بخطرته ف ضرب عليه نطاق الحصار ومنع عنه الأقوات وانتهى الأمر بينهما بخروجه من أبي عريش إلى اليمن وفي طريقه إليه اتفق بعمه « الحسن بن أحمد » الذي هو بدوره قد خرج مغاضباً لابن أخيه الآخر الأمير حيدر فاتفقاً على العمل ضد علوهما أو خصمهما المشترك فوالى الأول سفره إلى اليمن وانتظر الآخر في قرية البلوي .

وصل الأمير أحمد إلى الإمام بصنعاء وبثه شكواه فكتب الإمام إلى الأمير حيدر بشكوى أخيه وأنه يرى من الخير لهما المصالحة فلم يسفر الكتاب

عن نتيجة ونزل الأمير أحمد إلى مدينة الزيدية يتحين الفرصة المناسبة للوثوب ثم لحق به عمه الحسن بن أحمد .

تخوف الأمير حيدر من هذه المناورة واستدعى « ياما » فاقبل إليه منهم ماينوف على ثلاثة آلاف مقاتل وكرد على مالمسه في ميل الإمام مع أخيه وعمه سار « بيام » إلى بلاد الإمام الشرقية غازياً إلى أن وصل إلى عاهم وضاعن وبالطبع أن مثل ذلك العدد من الجيش يحتاج إلى المال فلم يتورع عن الحصول عليه من أموال الرعية ويقول صاحب النزهة في ذلك مانصه (واستباح من أموال الرعية الظواهر والخفايا) ومع كل ما اقترفه لم يظفر فعاد إلى حرض وصرف نصف « يام » إلى بلدهم وذلك في عام ١١٨٨ وأبقى لديه نصفهم .

أما الإمام فكان رده على هذه المظاهرة الحربية أن أعطاهم الأمير الحسن بن أحمد أمراً بعزل ابن أخيه وتوليته على الخلاف فبعث هذا بالأمر إلى ابن أخيه فقبل التنازل مكرهاً واشترط بأن يتحمل عمه عنه الأعطية المستحقة لنصف « يام » الباقي في الخدمة فقبل عمه شرطه .

هبت جموع أهل الخلاف لاستقبال الأمير الجديد إلى حرض نظراً لما قاسوه من الحن والظلم في عهد حيدر .

الأمير الحسن بن أحمد :

في شهر ذي القعدة ١١٨٨ استلم زمام السلطة في الخلاف وأقام في حرض بعد أن بعث إلى أبي عريش للنيابة عنه من تستلم الإدارة من الأمير حيدر .

الاختلاف بين الشريكين :

أوضحنا — فيما تقدم — أن العمل كان مشتركاً بين الأمير أحمد وعمه الحسن بن أحمد ضد خصمهما المشترك الأمير « حيدر » والآن وقد تولى زمام الإمارة الحسن ، فقد قام شريكه يطالب بقسطه فلم يف له الشريك بكلمات عليه بينهما الاتفاق لذلك اغتم إقامة عمه في حرض ، وسارع بالتوجه إلى أبي عريش وفي طرف المدينة قابله أخوه الأمير السابق حيدر خصم

الأمس وصديق اليوم وقد وحد بينهما الحرمان من الإمارة وتفاهما على العمل ضد عمهما ٥

في محرم ١١٨٩ توجه الأمير الحسن بن أحمد من حرص إلى قرية (البدوي) وهناك استقبله من أسرته من لم يسبق له الاتفاسق في حرص ومنهم ابن أخيه ناصر بن محمد الذي عطف عليه عمه واسند إليه منصب عامل صيبا ٥

وفاة الإمام المهدي :

في رجب عام ١١٨٩ توفي إمام (صنعاء) المهدي فأخذ القلق والخوف يساور قلب الأمير الحسن خشية أن يعرض الإمام الجديد ابني أخيه أحمد وحيدر بيد أنه تشجع وأخذ له البيعة وبعث له بأوراق البيعة مع المقرر السنوي من الخيل فوصله التأييد على عمالة الخلاف وهنا أدرك خصما الأمير بأنه قد اسقط في يديهما وأن من الأفضل لهما الاستعانة بقبائل (يام) لادراك قصدهما بالقوة فإن تم ذلك فوافقة الإمام مضمونة على الاعتراف بالواقع .

نزول قبيلة يام :

في شهر القعدة ١١٨٩ نزل من يام خمسمائة محارب فأخذ الأمير في الاستعداد والحذر ظناً منه بأنهم سيعلنونه العداء من الساعة الأولى لنزولهم تأييداً لابني أخيه اللذين استدعوهما وفاته أن (يام) بغاة مغرم ونجاع مصلحة ، وفعلاً أنهم أخذوا في التروي وعدم الاستعجال حتى يستبين لهم سبيل المصلحة وكان لدى الأمير بعض المتجندين من (يام) فطلب الأمير منهم نصيحة رفقاؤهم الجدد وإقناعهم بالعودة إلى (نجران) فكان جوابهم : (إننا نقنع بما يحصل وقد طلبونا أبناء أخيه ، ومنعنا أن نزل إلا إليه فإن قبلنا للخدمة حسب العادة وإلا سِرْنَا إلى من دعانا) وهي إجابة مرنة تحتاج إلى التروي وأعمال الفكر ، بيدان الأمير لم تسعفه البصيرة بالاستفادة منهم فقد كان شديد الريية منهم وصمم على عدم استخدامهم أو إعطائهم ما يصرفهم راضين من حيث أتوا وهم يفاوضونه وزحفوا إلى الإمام حتى عسكروا في زبارة

(أم الغلف) وقضوا بقية يومهم وأمسوا وفي الصباح عندما يشوا من بره مروا من أطراف مدينة أبي عريش في شبه استعراض حربي ووجهتهم إلى قرية البيض التي ينتظرهم بها الأمير السابق حيدر بن محمد وبوصلهم إلى البيض استدعوه ، وبعد المفاهمة ، أرسل إلى عمه يعرض وساطته بينه وبين يام ومن البديهي أن الأمير الذي قد صمم على ما صمم عليه ، لاشك أنه يعلم ما وراء تلك الوساطة فرفضها وعند ذلك خرج حيدر وضرب خيمته في معسكر يام كما أرسل الأمير أحمد ابنه حيدر بن أحمد وضربوا الحصار على أبي عريش ومنعوا عنها مواد التموين .

الأمير الحسن وحصار أبي عريش :

كتب الأمير الحسن إلى الإمام بالواقع مستنجدا وظل منتظرا حتى وافاه جواب الإمام وبرفقه كتاب أو بالاحرى أمر إلى أهل الخلاف السلياني يحضهم على الوقوف بجانبه والقتال في صفه .

هب أهل الخلاف لمساعدته ، وأكبر عامل لسرعة إجابتهم تخوفهم من عودة الإمارة إلى حيدر الذي ذاقوا أنواع الظلم في مدته ، وأقبلت كتائبهم تترى إلى أبي عريش للقتال في جانبه .

القتال :

نشبت القتال بين يام المؤيدين للأمير حيدر وأهل أبي عريش ومن معهم من أهل الخلاف المؤيدين للأمير الحسن ففي يوم ١٣ ذو الحجة ١١٨٩ تقدمت (يام) بقيادة الأمير حيدر لمهاجمة المدينة فخرج إليهم المدافعون وهزمهم ، في أول الأمر ثم استعادوا معنويتهم بتشجيع الأمير حيدر وأعادوا الكرة على أهل المدينة وأنصارهم حزب الحسين فازالوهم عن أماكهم ثم هزمهم شر هزيمة وكان عدا الجيش المهاجم يوجد في المدينة ما يسمى في الوقت الحاضر الطابور الخامس يتولى قيادته الأمير أحمد قد ساهم بنصيب تحطيم معنوية المدافعين وشل حركتهم كما كان على اتصال بخاصة الأمير الحسن ومستشاريه ليشيروا عليه بآراء واستشارات خاطئة ويقللون في نظره غناء المدافعين وأنهم

غير مخلصين في الدفاع مما حدا بالأمير بأن يصرح في مجالسه بضعف دفاعهم وقلت غنائهم مما حز في نفوس المدافعين وافقدهم الثقة بأنفسهم وقد حبس الأمير نفسه في القلعة الأمامية داخل المدينة لما قد التى في روعه من أنه محاط بالمرصدين لاغتياله وأخيراً ترك المدينة وانسحب إلى اليمن في شهر صفر عام ١١٩٠ .

وبخروج الأمير الحسن من المدينة اختلف الأخوان في من يتولى الإمارة منهما فحيدر يرى أنه هو الذي امتشق الحسام وصال وجال في الميدان وأحمد يدعى أنه أحبط وسائل الدفاع وغل يد الأمير عن كل تصرف وتركه مسلوب الحول والطول وكادت المنافسة بين الأخوين أن تؤدي إلى القتال وأخيراً رجحت كفة الأمير أحمد ، لأن الناس قد قاست من سوء إدارة الأمير حيدر في عهد إمارته ما نفر القلوب من عودته حتى أن أهل أبي عريش صمموا أنه إن عاد إلى الإمارة أرحلوا بأجمعهم عن المدينة ، ومع ذلك فإنهم لم يرضوا بإمارة الأمير أحمد حتى جعل لهم على نفسه ضمناً من وجوه يام من الظلم والجور والعسف الذي اتسم به في عهده الأول .

الأمير أحمد بن محمد للمرة الثانية :

تولى للمرة الثانية وعلى أثر ذلك دخل الياميون على رأس الأمير حيدر مدينة أبي عريش فوزعهم الأمير على أهل المدينة كما جرت العادة منذ بلي بهم الخلاف وكانوا عبئاً ثقيلاً على سكان المدينة وبعد أيام معلودة توفي الأمير حيدر بن محمد أي في شهر ربيع الأول ١١٩٠ ففقدت يام بموته جل ما كانت تؤمله من المغنم والفائدة .

رفع الأمير أحمد لصنعاء نبأ قبضه على زمام الأمور في الخلاف وطلب الموافقة على إقراره فورده مراسيم التقليد وعلى أثر ذلك نشطت يام في المطالبة بأعطيتهم وتجهيزهم للعودة إلى نجران ، فأخذ الأمير يعتذر لقلّة الواردات ويام تشتد في الطلب وتحت المطالبة منهم والاعتذار من الأمير تأمروا على نهب المدينة .

يام نهب مدينة أبي عريش :

وفي يوم الأربعاء الموافق ١١ ربيع الآخر ١١٩٠ قرر الياميون نهب السوق والمدينة وفي ضحوة النهار وقد اكتض السوق بالمسوقين من أرجاء المخلاف لم يشعر الناس إلا بهجوم اليامين في أطراف السوق وقيامهم بالسلب والسطو وسرعان ما تأهب أهل الحوانيت في حزم بضاعتهم والقيام للدفاع .

شعر الياميون بفشل خطتهم ولم يكن قد تحصلوا إلا على بعض المواشي ، فكفوا وأعادوها وتقدم رؤساؤهم بالاعتذار من أعيان المدينة ووجهائها بأن ما وقع هو بلون اطلاع أو علم منهم وأنه من بعض سفهائهم وأعادوا المنهوب فسكنت النفوس وساد الاطمئنان وفتحت الحوانيت والمتاجر وأخذت حركة السوق في مجراها الطبيعي وأقبل المسوقون من أهل البوادي في قضاء حاجاتهم ومغادرة السوق فما راعهم إلا شوب النار في البيوت القريبة من السوق وهجوم اليامين على المتاجر والحوانيت مصحوباً بإطلاق الرصاص وإشهار السلاح الأبيض والناس على غير أهبة ولا سابق إستعداد بعد أن اطمئنوا إلى تعهدات رؤساء القوم واستمر السطو والسلب والنهب من بعد العصر إلى نصف الليل وقد شوهد أحمد بن إسماعيل المكرمي بنفسه يباشر أعمال السلب والنهب مع غيره من رؤساء يام وقد كانت صدمة شديدة على أهل المدينة أفقدتهم روح المقاومة وقادة الرأي من الأشراف قابعون في دورهم لم يحرك أحداً منهم ساكناً يشاهدون الحرائق والسلب والنهب .

ويقول صاحب « نزهة الظريف » تعليقاً على موقفهم في ذلك الحادث ما نصّه : (وجميع من عليه المعول من أولاد الشريف ، كل منهم جالس يشاهد الحريق في المدينة ، ويرون النهب الفظيع ، وكشف الخدّرات ، ووقوع كل أمر شنيع ، فلم يصدر من أحد منهم ما يجلي غمه أو يكشف مهمه)

الدفاع عن النفس :

استفاق أهل المدينة من غشية تلك الصدمة الجارفة عند منتصف الليل وتلفتوا نحو قادتهم فلم يروا أحداً فقرروا الدفاع عن أنفسهم ومدينتهم وسرعان

ما هبوا في استماتة وحملاوا على اليامين حملة صادقة أرغمت القسم الأكبر من المعتدين على الاعتصام (بالجامع الكبير) وارتقى قسم من الأهالي إلى البيوت الحجر القريبة من الجامع وأصلوهم بنيران البنادق وحصروهم في داخل الجامع والقسم الآخر قصد القلعة الأمامية التي تحصن بها قسم من (اليامين) وأرغموهم على الخروج صاغرين من القلعة بعد أن كبدهم خسائر في الأرواح وطاردهم حتى الجؤهم إلى الدخول مع أصحابهم في (الجامع) .

وهنا تدخل أحد الأمراء (علي بن محمد) ومعه ابنه يحيى بن علي وأمن اليامين في وجهه وخرج بهم إلى (شعب الأملح) وقد استشهد صاحب الزهرة في هذا التدخل لحمايتهم بهذا البيت المطابق لمقتضى الحال :

على كل حال أنت عندي حبيبة وعنرك مقبول وذنبك مغفور

استقر (اليامين في شعب الأملح) حتى أفرخ روعهم وأرسلوا إلى الأمير (أحمد بن محمد) معتذرين وطالبن إعادتهم إلى خدمتهم السابقة فلم يعرهم التفاتاً وصمم على طردهم فهب إخوانه في جانب (يام) حتى وافق على الاستعانة بهم في الخدمة كالعادة وأعادهم إلى المدينة ووزعهم في بيوت إخوانه وذويه .

رد الفعل :

ذلك الحادث المروع نبه الشعب إلى واجبه نحو أنفسهم وحفزهم للإستعداد والتيقظ للذود عن حوزتهم وعدم الركون على القادة ، الذين سبق أن أماتوا فيهم روح المقاومة وطبعوهم بطابع الرعية الخانعة ثم مع الزمن تخلو عن حمايتهم لذلك أخذ الشعب في التأهب والاستعداد للطوارئ ومن جهة أخرى فإن تلك الفوضى قد أطارت بهيبة أولئك الأمراء ، وطوحت بما لهم من نفوذ فلم يبق لجنودهم من (يام) بأس القوة أو صولة الدولة فلم يجرؤ أي فرد من جند الإمارة إلى الخروج بدون سلاح .

وكنتيجة لذلك ساءت الأحوال وضعفت سلطة الأمير أحمد^(١) وقلت إيرادات الإمارة فعزم الأمير على التوجه إلى وادي ضمد ، الذي تحسنت

(١) عامل صيا

زراعته في خريف ١١٩١ وأقام بقرية خضيرة ، للارتفاق والانتعاش أو بالأحرى للإرتفاق من ثمرة تلك الزراعة وتكليف الرعية بكفايته وكفاية جنده فوقع منه على أهل الوادي ما أباد خضراءهم ففر أكثر أهله وأكبر من ذلك أنه هم باستباحة أموالهم وإنما رأى أن يبدأ أولاً بصيبا وعزم على الرحيل ثم بدا له أولاً أن يستدعي أخاه ناصر بن محمد ، للتشاور معه بيد أن هذا الأمير يتميز بالتفكير الرصين وبصفته عامل صيبا ، فقد دفعه واجبه الإنساني وشهامته العربية لمقاومة هذه الفكرة الطائشة وتقييحها لأخيه فصرفه وقد عزم على عزله وتولية علي بن مطاعن الخواجي الذي يمكنه أن يعتمد عليه في تنفيذ رغبته إلا أن ورود الأخبار بنزول الحسن بن علي المكرمي على رأس يام صرفته موقتا عن تنفيذ رغبته وتحقيق نواياه .

بمجرد أن علم الأمير بأخبار نزول (يام) سارع بالعودة إلى أبي عريش ، ومكث بها بادي القلق مشوب الاهتمام وفي أثناء ذلك اصطدم بعض جنوده من الياميين الدائمي الإقامة مع بعض أهالي المدينة فقتل أحد الياميين فكظم رفقائهم غيظهم انتظارا للفرصة المواتية .

وصول المكرمى :

وصل المكرمي حسن بن علي وعسكر في شعب مشرف ، ثم انتقل إلى قرية العقدة ، ومنها قام بالغارات والسلب والسطو على قرى جازان ووادي ضمد حتى اضطر الأمير إلى استرضائهم بشيء من المال فأخذوه وانصرفوا إلى جهة اليمن للسلب والنهب .

التنازل الثاني :

عاودت الأمير بنزول (يام) — كما يظهر — الحالة النفسية ويظهر أنه بعد انصرافهم إلى اليمن ظل متخوف الجانب من عودتهم ونتج عن قلقه اضطراب الأمن وتأزم الأمور وشغب من لديه من الجند وإلحاحهم في المطالبة بأرزاقهم المنكسرة والمتأخرة فزاد به القلق والاضطراب وفي يوم (عيد الفطر)

١١٩١ خرج أهل المدينة إلى صلاة العيد وظلوا ينتظرون موكب الأمير فلم يخرج من دار الإمارة فيئسوا من خروجه فصلوا وانصرفوا .

بعد انصراف الناس من الصلاة خرج من داره حافياً فاتبعه حارسان من حراسه وهما لا يعلمان أين يقصد فاتبعاه حتى دخل « المقبرة » وجثى بين قبري والديه وأخيه حيدر ، ثم التفت حوله فرأى الحارسين فقال لهما : تروني تنازلت عن الإمارة لمن يريد لها من إخواني فهم أحد الحارسين بالإشارة له بالترث فحاول الأمير البطش به ثم اعترته نوبة عصبية حمل على أثرها إلى داره في هيئة المريض المدنف ، فاجتمع إخوانه واتفقوا على إنابة أخيه على بن محمد والرفع لصنعا بالواقع .

الأمير على بن محمد الخيراتي :

تولى شئون الإمارة على بن محمد وأخذ في العمل على محاولة تهدئة الأمور ثم خرج إلى الواعظات — وكانت تابعة للإمارة المناطة بهم — وعاد منها إلى (حرض) وهناك قابله جماعة من يام فاصطحبهم إلى أبي عريش ثم إلى بيش فائمن وأخيراً عاد إلى أبي عريش في عام ١١٩٢ .

القتال بين أهل أبي عريش ويام :

في جمادى الآخرة ١١٩٢ نجمت الفتنة بين يام — حاشية الأمير وجنده — وبين أهل أبي عريش — قام يام وقد أنسوا من أنفسهم القوة بمطالبة الأمير بتمكينهم من القود بشخص زعموا أنه هو الذي قتل رفيقهم اليامي في عهد الأمير أحمد ونزولا عند إرادتهم زج الأمير بالمتهم في السجن وتعهد لهم بتسليمه إذا لم يرض أهل المدينة في دم رفيقهم فضجت المدينة وأرسلوا من يراجع الأمير في غلظته فقال عليهم بمرضاة يام فاضطر الأهالي إلى بذل أكثر من الدية ليام فاشتطوا هؤلاء في الطلب وطالبوا بتعويض غير مستطاع ولا معقول فرفض أهل أبي عريش طلبهم .

وعند ذلك طلب الياميون من الأمير تسليمهم المتهم للقود به ونزولا على إرادتهم أمر الأمير بتسليمهم الرجل المتهم .

استلم الياميون المتهم وقادوه للقود منه بدون محاكمة ولا إثبات شرعي فأسرع وجهاء المدينة إلى الأمير راجين إرجاء التنفيذ فأمر بسجنهم ، عندما تجمهر أهل المدينة وساروا في شبه مظاهرة صاخبة ورابطوا قريباً من الجامع بحيث يشرفون على ساحة التنفيذ وما راعهم إلا إقبال يام بالرجل وإيقافه في وسط الساحة وتنفيذ رغبتهم ، فطوح السيف برأسه فأطلق المتظاهرون النار ونشب القتال .

المعركة :

ابتدأت المعركة من أول النهار إلى بعد صلاة الظهر واضطر أهل المدينة إلى التحصن في البيوت الحجر ومنها أصلوا اليامين ناراً حامية فأراد الياميون لما نالهم من حرارة الشمس والعطش الدخول إلى بيوت الأمراء (آل خيرات) فظن هؤلاء أنهم يريدون الهجوم على بيوتهم فأصلوا شواظاً من رصاص البنادق فوقعوا بين نارين وتخرج موقفهم فانسحبوا إلى خارج المدينة فخرج أهل المدينة لمطاردتهم ، وقد بلغ عدد القتلى من يام في تلك المعركة ٤٠ قتيلاً ورحلوا من يومهم إلى نجران .

أهل المدينة والأمير أحمد بن محمد :

رفع هذا الانتصار من معنوية أهل المدينة وشعروا بالعزة والكرامة ، وشعر آل خيرات أن في المدينة قوة لا يمكن إسقاطها من الحساب بعد الآن أو الاستعانة على امتنانهم بالمستأجرين ، وأدرك الأمير أحمد بن محمد الذي أخذ قلبه يرف إلى مركز الإمارة للمرة الثالثة والذي ير في يام الشبح المرعب والحلم المنزع مما أوجبه إلى التنازل عن الإمارة مرتين ، رأى أن في أهل المدينة قوة يمكنه بعد الآن الاعتماد عليها ، وأن من الخير له أن يتفق معهم ضد أخيه الذي قد صمم أهل المدينة على تنحيته عن الإمارة نظراً لموقفه في قضية الرجل الذي اقتاد به الياميون ظلاماً ، بيد أنه رأى كخطوة أولى لتحقيق رغبته حتى لا يظهر بمظهر المهالك — الاتفاق مع أهل المدينة على أن يتولى الإمارة أخوه الآخر يحيى بن محمد بدلا عن الأمير علي بن محمد .

الأمير يحيى بن محمد :

اتفق أهل المدينة على الرضا به بدلا عن علي بن محمد إلا أن الأمور قد تطورت في المدينة تطورا خطيرا ، وأخذ أهل المدينة خاصة وأهل المخلاف على وجه العموم في مقاومة نفوذ آل خيرات مقاومة تتميزها واضحة في الأمور الآتية :

١ - بالطبع كان لتلك الأسرة المكانة التي وطدتها لنفسها والسياسة التي رسمتها من احتكار السلطة في أبنائها ومناوأة كل من عارض خطتها وطبعت نفسها بالطابع الارستقراطي واعتمدت على الجنود المرتزقة من غير أهل المخلاف كما مر بالقارئ الكريم في الصفحات الماضية ، وكان لا يجرؤ أحد على التظاهر بغير الطاعة والإذعان والخضوع والاستسلام ، أما الآن فقد أخذ الشعب يبدي رغبته نوعاً ، ويعلن تدمره وتمرده أخرى .

وقع تصادم مسلح بين بعض (سفيان) التابعين لخدمة آل خيرات وبعض أهل المدينة فأغار بعض الأمراء كالمدافع فقبول من أهل المدينة بالرد القاسي والكلام الجارح .

٢ - ان شريح خريم وشريح البيض اللذين أحياهما الأمير محمد بن أحمد وأصبحا ملكاً لورثته كانا من المزارع الخاصة التي تحوطها هيئة الإمارة وصولة الحكم ترمقها العيون خائفة وتتجاف عنها القلوب واجفة فأصبحت الآن مسرحاً للتعديات ومرتاداً لمن يمتن السطو على الثروات من جهال أهل المدينة بلون أن يقوى ملاكهما عن رفع عادية التعدي فنتج عن ذلك نضوب أكبر لإيراد زراعي لتلك الأسرة تقوم عليه أحوالهم بعد الأعطية ومع تلاشي السلطة واضمحلال النفوذ نضبت منابع الإيرادات الأميرية التي منها توزع الأعطية التي هي بوجه العموم موزعة على تلك الأسرة بعد أعطية الجنود المرتزقة من (يام) .

٣ - اهتبل الخواحيون هذه الفرصة فقاموا بتأليب أهل صبيا ومخلافها ضد عاملهم ناصر بن محمد واتصلوا بأهل أبي عريش لتوحيد موقف المدينتين من إمارة آل خيرات .

٤ - تكونت في مدينة أبي عريش مجالس محلية من رؤساء المدينة ينوب كل عضو عن جماعة يتولى في نفس الوقت فصل المشاكل وحسم القضايا ضمن دائرة مرشحية ويدافع عن قضاياهم في المحاكم .

بذلك تلاشت السلطة المركزية وتقلص نفوذ الأمير محمد وانتهت سنة ١١٩٢ على تلك الحالة .

نزول يام بقيادة المكرمي :

في ابتداء عام ١١٩٣ نزل المكرمي متذرعاً بقصد إبرام صلح بين أهل مدينة أبي عريش ويام وإن كان المقصد الحقيقي هو الأخذ بثأر أصحابه وإعادة مكانة اليامين وسلطتهم ونفوذهم ، وقد اتخذ المكرمي من قرية البدوي قاعدة لشن غارة مزعجة على أبي عريش بعد أن استولى على المحصول الزراعي لعموم خبت المسرحي .

استنجاد أهل أبي عريش بأهل المخلاف :

شدد الياميون الغارات الإرهابية على المدينة فاضطر أهلها تحت إرهابهم إلى الاستنجاد بأهل صيبا وضمد فوصلهم أهل صيبا على رأس عاملهم ناصر ابن محمد كما وافاهم أهل ضمد ، وشعر المكرمي بهذا التجمع فتأخر موقتا عن مهاجمة المدينة وشغل أصحابه بإكمال ما تبقى من غلال خبت المسرحي حتى اجتمعت لهم تلال من الحبوب في حين أن النجيدات التي وصلت إلى أبي عريش أرهقت أهلها بنفقة إقامتهم فاضطر أهل المدينة للسماح لكثير من تلك النجيدات بالعودة إلى أوطانهم ، وعند ذلك سنحت الفرصة للمكرمي فتقدم صوب المدينة .

هجوم المكرمي :

تقدم المكرمي إلى أن عسكر في زبارة أم الغلف التي تشرف على المدينة ، وفي يوم ١٧ محرم ١١٩٣ تقدم أهل المدينة على معسكر اليامين على الترتيب الآتي :

١ — الأمير يحيى بن محمد على رأس جماعة من قبيلة بكيل في الميمنة

٢ — أهل صبيا الذين سارعوا إلى مساعدة رفقائهم في القلب .

٣ — أهل أبي عريش في الميسرة .

ويظهر أن الأمير لم يخرج إلى المعركة من باب المحاملة لأهل المدينة الذين تولى بمساعدتهم كما مر بك الإمارة ، وإلا فهو على اتصال باليامين ، فإننا نلاحظ أن ياما وجهت قوتها إلى الميسرة والقلب ، فأما الميسرة التي تتكون من أهل المدينة ، فقد انهارت تحت وطأة شدة الهجوم وثبت أهل صبيا ثباتاً مشهوداً حتى هزمت أيضاً ، وأما الميمنة فقد تراجعت بدون خسارة ، ويقول صاحب النزهة تعليقاً على الموقف — وكان القصد إليهم يسير — أي أصحاب الميمنة وتأثر الياميون المنهزمين من أهل صبيا وأبي عريش وأثنخوا فيهم القتل ، وقد بلغ القتلى من أهل المدينتين ٨٠ قتيلًا ، ونصف ذلك العدد أسرى .

أما موقف الأمير يحيى بن محمد بعد التراجع فإنه تفسير صريح لموقفه الغامض نوعاً فقد تم الاتفاق بينه وبين اليامين على تحقيق كل ما يرجونه من مطالب تنحصر في :

١ — أن يستخدمهم كجنود مرتزقة حسبما كانوا عليه قبل الفتنة بينهم وبين العريشين .

٢ — أن يشتري منهم الحبوب التي تحصلوا عليها بالتهب من مزارع خبث المسرحى وغيره ، وأن يرصدها لمؤنتهم .

بعد أن تم الصلح وأبرم الاتفاق طالبوه في أعطيته المنكسرة من عهد أخيه الأمير علي بن محمد ، وكان هذا قد تعهد لهم بالوفاء بتسديدها — أما الآن فقد أحالهم إلى غريمهم الأول وتساهلوا معه على كثرة لجاجتهم نظراً لامتنانهم من موقفه معهم وقاموا بالتشديد في مطالبة أخيه حتى اضطروه إلى الفرار منهم إلى أخيه عامل صبيا .

وبالرغم من موقف الأمير في جانبهم — فإنهم يشعرون بالتخوف من

جانب أهل أبي عريش ويرغبون في زيادة التحفظات في سلامة مركزهم في المستقبل بإضعاف حالة أهل المدينة ، وهذا ما يتفق عليه يام ، والأمير نفسه لأنه مهما بلغ من تثبيت سلطتهم ، فإن ذلك تثبيت لمركزه ، وعلى ذلك فإن ياما بقيت في معسكرها بزيارة أم الغلف ، ولم يدخل منهم إلى المدينة إلا البعض بصورة مؤقتة وعادوا بالثاني ، ورغبة من الأمير في زيادة ترضيتهم ونزولا على رأي الأكثرية من أسرته ، فقد خرج الأمير إلى معسكرهم يرافقه الأمير أحمد بن محمد - والذي على عظم نفوره من يام ، فإنه يشارك أسرته في استحسان الاستعانة بهم ضد أهل المدينة ، بل وضد سكان المخلاف جميعه - وبعد اجتماع الأمير وأخيه بالمكرمي اشترط المكرمي كضمان نهائي لسلامة يام وإعادتهم إلى سابق خدمتهم ومساعدتهم للأمير وأسرته أن يقوم الأمير بما يأتي :

١ - هدم جميع المعاقل والحصون في مدينة أبي عريش .

٢ - اعتقال عدة أشخاص من أعيان المدينة يتهمهم المكرمي وتغريمهم مبالغ من المال .

ففنذ الأمير الشرطين ومن ثم طلب المكرمي منه مرافقته إلى صيدا فرافقه وهناك فرضت غرامة تماثلة على أهل صيدا .

الرحلة إلى اليمن ونكبة الأمير يحيى :

انتهى الياميون من تنفيذ رغباتهم على غاية ما يريدون بمساعدة الأمير ومعاونته ، وبعد انتهائهم من استحصال الغرامة التي فرضوها بمساعدة الأمير على صيدا طلبوا من الأمير مرافقتهم إلى اليمن فاستصحب معه عمه الحسن ابن أحمد وسار معهم ، وبالرغم عن كل ما بذله في سبيل الحصول على رضاهم وتضحيته بإخلاص الشعب التهامي وأمواله وأرواحه في الحصول على إخلاصهم فقد اشتطوا في طلب المزيد واستغلوا ضعفه وقاموا بمطالبته بأعطيتهم في حال أنه هو الذي قدم لهم الخدمات وسهل لهم سبيل الوصول إلى أغراضهم وعندما شددوا وألحوا عليه في الطلب احتال على الفرار منهم تاركاً مخيامة

أوخيله وعبيده وخدمه بين أيديهم ، وشعر عمه أن القوم سوف يؤاخذونه على فرار ابن أخيه ، فسارع إلى المكرمي متنصلاً معتذراً مؤكداً أن ذلك بلون علم أو سابق اطلاع منه فقبل المكرمي الماكر عذره وعرض عليه تولى الإمارة في مكان ابن أخيه فقبل على شرط أن يؤجل طلبهم في دفع الأعطية إلى وصول الموافقة على توليته من صنعاء ، فقبل ، وعلى أثر ذلك انتقل من خيمته إلى خيام الأمير ، وفي ظهر ذلك اليوم وثبوا عليه ونهبوا كل ما في خيامه من متاع وخيل وعبيد ولم يخلص بنفسه إلا بعد كل جهد فأركبوه على حمار ورحلوا به معهم إلى حرص في طريقهم إلى نجران ، وفي حرص أعاد له المكرمي بعض ما أخذ عليه وسرجه إلى اللحية ، أما الأمير يحيى ابن محمد فعاد بعد رحيلهم إلى أبي عريش وتنازل عن الإمارة لأخيه الأمير السابق أحمد بن محمد .

الأمير أحمد بن محمد ، للمرة الثالثة :

تولى الإمارة للمرة الثالثة وكان همه الأول الرفع لصنعاء . وفي شهر رمضان من تلك السنة ١١٩٣ استدعى جنوداً مرتزقة من وداعة وسنحان وقحطان للاستعانة بهم في تثبيت مركزه بيد أن الأحوال لم تستقر ، وقد زاد الحالة سوءاً نهوض أخيه الأمير السابق يحيى بن محمد لاستعادة الإمارة مستعيناً ببيام الذين وافاه منهم ألف مقاتل — وهنا نشب القتال بين أهل أبي عريش المؤيدين للأمير أحمد وبين يام أنصار الأمير يحيى ، وعندما شعر الأمير يحيى بالحاجة إلى المال أرسل بعض قرابته على رأس سرية إلى بننر جازان فاستباح أموال أهله وأوصلوها إليه ، واضطربت أحوال المخلاف في حالة من الفوضى إلى عام ١١٩٥ ، وفيها خرج إخوان الأمير أحمد وهم حمود بن محمد ومنصور بن محمد وبشير بن محمد وابن أخيهما محمد بن حيدر ثائرين بأسباب تأخر أعطيهم فعاثوا في الطرقات واستباحوا لأنفسهم السلب والنهب وقتل السابلة وأخيراً اعترضوا قافلة لأهل صبيا وأبي عريش ونهبوا ما تحمله فاضطر الأمير إلى استرضائهم ومصالحتهم واحتمل لمن يخشى بأسه من أهل الأموال ما نهب عليه .

وفي شهر ربيع الأول ١١٩٢ ازداد تفاقم الفتنة بين الأمير أحمد وأخيه الأمير يحيى بن محمد في وسط مدينة أبي عريش ، شعر الأول بأن أكثر أسرته تؤيد أخاه يحيى فأحرق حيمهم المسمى (الديرة) وبعد ذلك وردت الأوامر من صنعاء بتولية الأمير يحيى فسلم إليه الأمير أحمد مهام الإمارة .

الأمير يحيى بن محمد ، للمرة الثانية :

بعد استلام مهام الوزارة سار على رأس (يام) لاستحصال زكوات صيبا ، وفرض غرامات عليهم للتخلص بها من طلبات (يام) الذين قاموا يتقاضون ثمن النصر ، وأخيراً اكتفى باستحصال الزكوات من أهل صيبا وفرض الغرامة على خلافها أما أهل المدينة فقد تمنعوا عن دفع أي غرامة ولقوة شوكتهم ومعاوضة عاملهم ووقوفه في جانبهم فقد انصرف عنهم الأمير ويام ، وفيها توفي الأمير أحمد بن محمد ، فقطع أخوه مقرراته فغضب أبناؤه وخرج أحدهم المسمى أبو طالب ، إلى بلاد (وداعة) وطلب تأييدهم فنزل معه جماعة منهم فبادر عمه إلى مقابلتهم في بلاد سفيان واسترضى ابن أخيه واستلم قيادة تلك الجماعة وسار بهم إلى أبي عريش وفي أثناء الطريق بلغه أن أخاه الأمير علي بن محمد ، قد اتفق مع أهل المدينة على الثورة ضده فتوقف في قلعة (جازان) العليا وأرسل إلى وجهاء أهل أبي عريش للتشاور واسترضاهم متظاهراً بالرغبة في التفاهم معهم فوافاه عدد منهم فاحتجزوا لديه منهم خمسة عشر شخصاً وبعدها تصالح مع أخيه .

الفتنة بين أهل الحلة وأهل الدهنا :

في عام ١٢٠٢ وقعت الفتنة المروعة التي من جرائها أزهقت الأرواح وأحرقت القرى وكانت كارثة على الخلاف الشامي واستمرت وقتاً طويلاً أما السبب المباشر لتلك الفتنة فهو نزوع النعامية أهل الدهنا على فرض السيادة والنفوذ على أهل تلك القرى القريبة منهم وأخيراً عقب ذلك الصراع الصامت هذه الحرب القبلية .

كان بين قبيلة (عبس) وأهل (الحلة) ثارات ودماء فقام أحد النعامية

وأرفق رجلا من عبس ومضى به إلى قريب من قرية المحلة فاعترضه أهل المحلة وقتلوا العبسي بحجة أنه ليس لأهل الدهنا ولا غيرهم حق إجارة علوهم والمرور به في حماهم .

عاد النعمى إلى قريته صارخاً في عشيرته بأن أهل المحلة أخفروا جواره فاجتمع النعامية وأرسلوا إلى أهل المحلة طالبين الرضوية الآتية :

١ — تحريق قرية (المحلة) زاعمين أن في تسويد القرية تبييضاً لوجوههم عند قبيلة المقتول .

٢ — الرضوية مقابل دية القتل .

بالطبع إن أهل المحلة رفضوا الطلبين ، اتصل الخبر من الجانبين بعامل (صبيا) الأمير ناصر بن محمد الخيراتي فكلف أهل المحلة بإحضار أربعة أشخاص كرهائن وأودعهم السجن — كضمان في دم القتل حتى يحضر الجاني — بيد أن النعامية لم يروا في ذلك الإجراء الرضوية الكافية واشتروا أن يسلم لهم الأربعة الأشخاص الرهائن ليتولوا هم سجنهم في قرية الدهنا ودارت المكاتبة بينهم وبين عامل صبيا ولم تؤد إلى نتيجة .

وكنتيجة لعدم تسليم عامل صبيا لهم الأربعة الأشخاص الرهائن توجه بعض رؤسائهم مستنجداً بقبيلة بني شعبة لإعانتهم على تحريق قرية المحلة .

وهنا تخوف أهل المحلة وأدركوا أن تدخل طرف ثالث معناه النصر المحقق لخصومهم فاستصرخوا بعامل (صبيا) فخرج لمساعدتهم قسم من أهالي (صبيا) وقسم من جنود العامل وظل الفريقان في تأهب لحوض المعركة وخشية من النتائج الوخيمة تقدم عقلاء الفريقين إلى العلامة (أحمد بن حسن البهكلي) للتوسط بينهما لبي ذلك العالم الطلب وسارع بالتوجه إلى الدهنا للتفاهم وللوقوف على وجهة نظرهم وبعد اجتماع رؤسائهم والتفاوض معهم اشتروا كأساس للصلح :

١ — أن يسلم لهم القاتل .

٢ — أن يسلم لهم من يطلبون إحضاره من المحلة .

وهما شرطان يمليهما منطق القوة بعد النصر لا الوساطة المتبرعة في إصلاح ذات البين بالطبع أنها قوبلت بالرفض من أهل المحلة برغبة من ذلك العالم الفاضل في الوصول إلى صلح تحقق به الدماء وتصان الحرمات أعاد الكرة مع أهل الدهنا وأخذ في استمالتهم وأمام الحاحه تظاهروا له بقبول إحضار ثلاثة أشخاص كرهائن من وجوه أهل المحلة على سبيل الاعتراف والترضية والتعهد بالحق يقيمون عندهم ثلاثة أيام حتى يعلم أهل المخلاف أن أهل المحلة قاموا بالاعتذار والترضية وبعدها يودعون سجن عامل صيبا كرهائن لا يطلقون إلا بعد قيام أصحابهم بما يترتب عليهم بالوجه الشرعي أو العرف القبلي والخيار لأهل الدهنا في أحد الوجهين .

على ذلك الاتفاق وبعد وثوق العلامة الفاضل توجه إلى المحلة وعرض عليهم ما توصل إليه ورجاهم مساعدته في إتمام مسعاه وكنتيجة لإلحاح العالم الجليل وتحامله عليهم بجاهه وافقوا وسلموه ثلاثة أشخاص على مضمون الشرط فتهللت أساريه حوراً وطفحت صفحته بشراً وظن أنه توصل إلى الصلح المنشود والغاية المرجوة وسار بالثلاثة الأشخاص إلى الدهنا .

استقبله أهل الدهنا بوجوه ينطق التشفي من قسماتها وبمجرد استلامهم للثلاثة الأشخاص كبلوهم بالحديد وقالوا للعالم الجليل: انصرف راشداً فقد نلنا بعض ما نريده ، عندما أسقط في يد الشيخ وراح يذكركم بما يجب عليهم من حقوق الوفاء وواجب الرعاية لما اتفق معهم عليه ، فلم يجد منهم أذناً صاغية فانصرف يحمل من الحسرة والغم بين جنبيه ما الله عالم به إلى قرية الملحا وأقام بها أياماً يراجعهم ويكاتبهم ويناشدهم مرة ويلومهم أخرى ، فلم يقف منهم على طائل ، وفي أثناء ذلك تفرق المجتمعون من أهل صيبا إلى جهتهم .

قام رئيس أهل المحلة قاسم بن مهدي باتصالات ومراجعات إلى عامل صيبا وإلى أمير اللجنة العام الأمير يحيى بن محمد راجياً اتخاذ ما يكفل إقرار الحق وحقن الدماء فلم تسفر اتصالاته عن نتيجة فرجع إلى قريته ورأى أن

يجرب الاتصالات المباشرة بأهل الدهنا على يصل إلى نتيجة تحقق الدماء وتسد باب الفتنة فأخفق ، بعد ذلك خرج أحد أبناء أهل الدهنا في حاجة إلى بعض القرابا التي تمر طريقها بالقرب من المحلة ، فشر المحليون بخروجه فاعترضوا سبيله وقادوه أسيراً إلى قريتهم كرهينة في أصحابهم فعظم الأمر على أهل الدهنا الذين كانوا يطالبون بدم جار أجاره أحدهم فكيف الآن وقد أصبح أحدهم أسيراً .

الحرب :

في يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ رجب من عام ١٢٠٢ جمع أهل الدهنا جموعهم وساروا لمهاجمة قرية المحلة وأمام قرية المحلة توقفوا لحظة ينتظرون حركة المدافعين فلم يروا أحداً وهنا اقتحمت خيالتهم القرية من الجهتين الشمالية والغربية وركضت في شوارع القرية فانطلقت عليها نيران البنادق من داخل زروب البيوت من كل جانب فولت الخيل الأدبار بعد أن بلغت خسارتها عشرين قتيلاً وعشرين أسيراً .

الوساطة :

عظمت الخسائر على أهل الدهنا فتقدم بعض أهل (الملحا) في السعي والوساطة بينهم وبين خصومهم وانتهى المسعى إلى إلزام أهل (المحلة) بالتحويل عن قريتهم إلى الملحا وغيرها من القرى ليتقدم أهل (الدهنا) بتحريق (المحلة) ليكون بذلك سداً للفتنة ورتقاً للفتق ورضي أهل المحلة بذلك وتحولوا عن قريتهم .

١ - قسم تحول إلى قرية الملحا .

٢ - قسم تحول إلى قرية البادية .

تقدم أهل الدهنا لتنفيذ عملية تحريق (المحلة) واكتظ أهل القرى للذهب وفي أثناء ذلك وقع اعتداء على (امرأة) من أهل المحلة فاستصرخت بأهل (الملحا) فهبوا لنجدها والتحم القتال بينهم وبين أهل (الدهنا) فسارع (المحليون) إلى القتال في صفوف أهل (الملحا) ولذلك كثر عددهم وقويت

شوكتهم ودارت الدائرة على أهل (الدهنا) وانهزم جميعهم وكانت المصيبة عليهم أكبر بقتل رئيسهم في قلب المعركة .

في عام ١٢٠٣ توجه اثنان من رؤساء أهل الدهنا إلى الحجاز مستنجدين ببعض قبائله على أهالي الملحا والحلة فلم يسعفهم الحظ ببغيثهم وفي عودتهم عرجوا على قبيلة (بني شعبة) ورجوهم مساعدتهم فقبل بنو شعبة رجاءهم وساروا معهم وعسكروا في قرية السلامة .

تحرك عامل صيبا :

علم عامل صيبا بتحرك بني شعبة ، مع أهل الدهنا فسارع بالتوجه إلى البيض للاستنجد بأمر المقاطعة أخيه الأمير يحيى بن محمد فأمدّه بما لديه من جنود وتقدم بهم لصد غارة بني شعبة وحلفائهم أهل الدهنا وعندما شعر الشعبيون وحلفاؤهم بدنوهم انسحبوا ووالى هو تقدمه إلى أن عسكر في قرية (السلامة) ووجه كتاباً بإحالة قضية أهل الدهنا وخصوصهم إلى الشرع وإن ما قضاه بينهما الشرع أمضاه فلم يوافقوا ورحل من بقي من النعامية في قريتي (ناعس) و (الدهنا) إلى الشام بأطفالهم وحرّمهم فأصبحت القريتان خاليتين فأذن الأمير ناصر بن محمد أو تغاضى عن أهل الملحا والحلة فقاموا بإحراق القريتين وبعد أيام عقد الأمير ناصر حلفاً بين أهالي قرى المخلاف الشامي للتكتل والدفاع ضد الشعبيين وحلفائهم وعاد إلى صيبا .

وبرجوعه اغتتم الشعبيون وحلفاؤهم الفرصة وفي يوم الأحد الموافق ربيع الأول ١٢٠٣ هاجموا قرية الملحا فخرج أهلها ومعهم أهل (الحلة) وصيبا لصد المهاجمين فهزموا وقتل من أهل صيبا ثمانية عشر شخصاً ومن أهل الملحا اثنين ومن الجاره واحد وأحرق المهاجمون قرايا الملحا والجاره والعشة .

كان الأمير ناصر بن محمد غائباً في قرية (البيض) فوصل مسرعاً على رأس قوته وعندما وصل إلى قرية « العدايا » قابله رسل أهل قرية السلامة طالبن الأمان ومعلنين براءتهم من بني شعبة وحلفائهم أهل « الدهنا » الذين سارعوا إلى الرجوع والعودة إلى الدرب .

الرئيس علي بن مطاعن الخواجي :

أشرنا في حوادث عام ١١٩١ إلى خروج الأمير أحمد بن محمد إلى وادي ضمد وعزمه على النهوض إلى « صبيا » لاستباحة أموال أهلها وأن أخاه ناصر بن محمد عامل صبيا لم يوافق على خطته وأن الأمير استدعى علي ابن مطاعن الخواجي ، ووعد به بأن يسند إليه عمالة صبيا ولم يشته عن تنفيذ عزمه إلا توارد الأخبار بنزول (المكرمي) وتعاقبت الحوادث بعد ذلك ضد سياسة الأمير أحمد وظل علي بن مطاعن يتطلع إلى عمالة صبيا بكرة وعشيا .

ثورة أهل صبيا ضد عاملهم :

في شهر رمضان ١١٩٤ تزعزع مركز آل خيرات وتقلص نفوذهم وكثر الخلاف بينهم على مركز الإمارة فاغتنم تلك الفرصة (علي بن مطاعن الخواجي) وراح يؤلب أهل صبيا ضد عاملهم وكنتيجة لذلك اجتمع أهل صبيا وأقاموا عليهم أحد الخواجيين ثم توجه جماعة منهم إلى أبي عريش لتوحيد حركة المقاومة - كما سبق توضيحه - وتم فعلا الاتفاق بين أهل المدينتين وأن تكون عمالة صبيا إلى الخواجيين وبذلك قوى عزم أهل صبيا على منع عاملهم من مباشرة سلطته - وكان من مظاهر الإمارة ضرب التسمية وهي قرع الطبل بعد صلاة العشاء إيداناً بمنع الخروج وعلى أثرها يخرج الدورية أو حرس الأمن ومن وجد عدت عليه مخالفة وقبض عليه ، فنام أهل صبيا بأبطالها وكان ناصر بن محمد من أحسن آل خيرات سيرة كما تشهد كتب تاريخ ، فاضطر إزاء ذلك التحدي والمقاومة السافرة إلى إعلان الحرب على أهل صبيا من قصر الإمارة في يوم عيد الفطر ، وأطلق الرصاص فارتاع أهل المدينة وطلبوا منه إيقاف إطلاق النار ، فعلم الأمير أحمد بموقف أهل صبيا من أخيه فسار على رأس قوته إلى صبيا وبعد مناوشات انهزم أهل المدينة وأباحها الأمير لجنوده وأحرق بعضها وقام عاملها ناصر بن محمد بإخراب بعض المعاقل التي يخشى تحصن أهل صبيا بها في المستقبل ثم توسط في كف النهب وعدم إحراق المدينة .

بعد ذلك الحادث شعر علي بن مطاعن بفشل خطته فخرج من مدينة صبيا

إلى موضع « المسيال » واستمال جماعة من أهل المخلاف لمساكنته واتخذ من ذلك الموقع وكرأ للمقاومة ضد عامل المدينة .

ومن وكره الجديد قام في تدبير مؤامرة تتلخص في .

١ - ان يتجه من وكره إلى قرية الحسيني برفقة جماعة من الفدائيين - لأن وكره تحت مراقبة عيون العامل - وقد خرج موريا لقضاء بعض لوازمه وتسلسل رفاقه ليلة التنفيذ منفردين .

٢ - يقوم بعض قرابته في صبييا بدعوة العامل للقهوة ليلا .

٣ - في تلك الساعة - بالطبع يكون قصر الإمارة - تقريباً خالياً من الحرس لاستصحاب العامل لأكثرهم لاسيما وهو قاصد إلى دار قوم لا يأمن جانبهم .

٤ - يتقدم علي بن مطاعن على رأس جماعته بهجوم خاطف فيستولى على القصر .

سارت الأمور طبقاً للخطة المرسومة وفي ليلة التنفيذ استدعى العامل لتناول القهوة وأجاب الدعوة بيد أن حركة علي بن مطاعن السرية وتجمع رجاله في قرية الحسيني فسرت في تلك الليلة في صبييا بأن جماعة من البدو يتجمعون قرب الحسيني لنهب المدينة فاحتاط أهلها وأعدوا جماعة من شبابهم للمرابطة بين صلهبه وصبييا ، وفي أثناء ذلك والعامل في بيوت الخواجيين تقدم علي ابن مطاعن على رأس جماعته فأطلق المرابطون عليهم النار وأصيب من أصيب وفر الباقون وبقتل ما صاح على مطاعن معرفا المرابطين بنفسه لم يجد في كف إطلاق النار وسمع أهل المدينة إطلاق النار فهبوا ثائرين وتعالى الضججة والجلبة إلى أن طرقت مسامع الأمير فخرج على رأس حرسه وقد شاع الخبر بأن علي ابن مطاعن قتل فخرج الخواجيون إلى صلهبه فوجدوا علي بن مطاعن سليماً ، ودخلوا به إلى بيته الذي في المدينة وكاد الخبر أن يتوارى ويقف عند هذا الحد ولكن في الصباح اتصل بعلم العامل أن دعوة الخواجية له ماهي إلا شركاً لتنفيذ خطة المؤامرة .

وسرعان ما بلغ الغيظ والغضب بالعامل إلى الكتابة إلى أخيه الأمير أحمد وسائر إخوانه وقومه شارحاً لهم خطورة ما كاد أن يحيط به طالباً منهم المسارعة بالحضور ، وعلم ابن مطاعن ففر وأقبل آل خيرات وهدموا دار ابن مطاعن وانتهكوا حرماته وكشفوا عوراتهم وأخرج العامل جميع الخواجين من صبيا وحرّض أهل صبيا على مقاطعتهم والاجتماع على عداوتهم فتفرق الخواجيون في قرى بيش ، ثم بعد ذلك صدر أمر الأمير أحمد على أخيه بالسماح لهم بالعودة إلى صبيا .

أما علي بن مطاعن فإنه أخذ يشن الغارات على صبيا أياماً ثم ارتحل بعدها إلى جهة وداعة في الجبال ولم يعد إلى صبيا ، وقد تقلبت به الأحوال إلى أن أدركته الوفاة في بلاد الجرابح في أعلا الضحي عام ١٢٠٢ .

الفصل الحادي عشر

السعوديون والدعوة الإصلاحية في المخلاف السليماني وتهامة واليمن

أشرنا فيما سبق إلى إمارة الأمير يحيى بن محمد الخيراني ، إلى عام ١٢٠٤ ونقول هكذا ظلت إمارة المخلاف في تجاذب بين هذا الأمير و اخوانه ، فتارة يجتمع رأيهم على تولي أحدهم وأخرى يختلفون ، وهم بين اختلاف ونزاع وقتال ، قاسى أهل المخلاف من جرائمه أشد الأهوال حتى اجتمع رأي كبار تلك الأسرة على تولي الأمير علي بن حيدر بن محمد الخيراني .

الحالة العامة في المخلاف السليماني :

نحن في عام ١٢١٣ وأمير المخلاف الأمير علي بن حيدر ، والحال في المخلاف بوجه عام في موجة من القوضى والاضطراب والأمراء آل الخيرات قد انهكت قواهم الاختلافات والمنازعات العائلية على الإمارة والشعب يلتمس الخلاص وهو في ديجور من الحيرة ، وعامل صبيبا ناصر بن محمد الخيراني - على حصافة رأيه وبعد نظره مسلوب الحول لتعطل الجهاز الإداري العام - ولا يعلو دوره في صبيبا ، مع وجود المنافسة القوية له من الخواجيين ، دور المدارة ومقاربة الأمور ، وقد أدركته الشيخوخة فتحنى عن مركزه لابنه الشاب الأمير منصور بن ناصر ، وراح من بعد يشرف على توجيهه ويمحضه اختبارات وتجارب ، ونفس آل خيرات ينفسون على قريبهم هذا تفردوا واستقراره في إمارة مهما بلغ ضيق نطاقها لأنها - في نظرهم - خير من لاشيء .

أما مخلاف صبيبا فننازعات أهل المحلة وأهل الدهنا ، قد أحالته إلى جحيم وقبائل بني شعبة الذين امتهنوا الغزو والغارات وقتاً ليس بالقصير ، فصبرت

القبائل المجاورة مدة - وهي تحت وطأة آل خيرات الذين أماتوا فيهم روح المقاومة - ولما لم يجد الصبر استفاقت من غشيتها وهبت للدفاع عن النفس حتى إذا تمكنت من الدفاع أخذت بدورها في التحفز للغزو مما جعل حركات بني شعبة - التي كانت سهلة في أول الأمر - محفوفة بالخطورة والغرم ، لذلك سأم الشعبيون مهنة الغارات والغزو ، وراحوا يتطلعون إلى مستقبل يفضي بهم إلى الأمن والخير .

أضف إلى ذلك قبيلة يام الذين اتخذوا من اجتياح الخلاف وقتاً بعد آخر ، يساعدهم أو يسهل مهمتهم احتياج آل خيرات إلى مساعدتهم الحربية في توطيد مركز إمارتهم وتدعيم نفوذهم ومكانتهم ، والياميون يقومون بأدوار من البربرية والسلب والقتل وفرض غرامات يباشر استحصالها - في بعض الأدوار - أحد الأمراء الخيراتيين انقسم كما وقع في الغرامات المفروضة على أهل صيبا وعلى أهل أبي عريش وغيرهم .

وفوق كل ذلك فقد شجع سطو يام القبائل الأخرى التي يحتاج إلى عونهم الحربي آل خيرات ، كسبحان وقحطان ووداعة على التسلط وإبزاز خيرات الخلاف فأصبح والحالة هذه يتطلع إلى بارقة أمل تنير سبيله المظلم .

أثناء ذلك كانت أشعة الدعوة الإصلاحية السلفية قد تسلت بوهج أضوائها على سماء عسير الحالككة في الجهالة ، بيد أن غلظة وصفاقة تلك الجهالة كانت بحيث تحتم الضرورة الإصلاحية إحداث صدوع في سجون غياها المترادفة لتتسرب أشعة النور متدفقة بقوة ، وعملية البتر في جسم الفرد أو المجموع قد تكون ضرورية تستدعيها سنن البقاء ودايات الحياة .

كلمة عن الدعوة الإصلاحية :

قد يتهنأ البعض بالمبالغة عما أوردناه من أثر هذه الدعوة وما يترتب عليها من بعث الروح الإسلامية اليقظة القومية ، فنكتفي بالرد على ذلك بإبراز بعض ما كتبه أساطين العلم في العالم الغربي .

جاء في كتاب « حاضر العالم الإسلامي » تأليف « لوثرروب ستودارد

الأمريكي « في الفصل الأول بعنوان « اليقظة الإسلامية في القرن الثامن عشر ما نصه :

كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ، ومن التخلي والانحطاط أعمق دركه فأربده جوه وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرق الإسلام في اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم والفضيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، إلى أن قال :

وأما « الدين » فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوجدانية التي عليها صاحب الرسالة الناس سحفاً من الخرافات وقشور الصوفية دخلت المساجد من أبواب الصلوات وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التآثم والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالمبطل والشبهات ويرغبون في حج القبور ، قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل « القرآن » فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت الحرمات على غير حشمة ولا استحياء ، ونال « مكة المكرمة » و« المدينة » المنورة ، مانال غيرها في سائر مدن الإسلام ، فصار « الحج » المقدس ضرباً من المستهزئات ، وعلى الجحمة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان دهم الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبداء الأوثان .

أوفيا الإسلام مستغرق في هجمته ومدلج في ظلمته إذا بصوت قد بدا يدوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور (محمد بن عبد الوهاب) الذي أشعل نار الدعوة فاشتعلت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ،

ثم أخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد فنبدت تابشير الإصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في العالم الإسلامي .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد حوالي سنة ١٧٠٠ ، وكانت نجد في ذلك العصر - على انحطاط الإسلام وتدليه - انقى البلدان إسلاماً ، وقد عرفنا فيما سلف من الكلام كيف كانت تنقل الخلافة من دور الشورى إلى دور الاستبداد الشرقي ، وأخذ على أثر ذلك العرب الأحرار أباة الضيم يعودون أدراجهم إلى الصحراء حيث يتمتعون بحريتهم في حريز بلادهم وموطنهم ، وصلوا عنها كل حامل عليهم فلا خليفة ولا سلطان غرر بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحارى الرملية المحرقة والتوغل في فيافها المهلكة حيث الموت الكريه كامن على الدوام لكل طامع غريب دخيل ، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم بل دأبهم دواماً الحل والترحال وارتياح المتجعجات في مختلف الواحات في قلب الصحراء ، وفي هذا الحصن المنيع استطاع العرب منذ القديم الاحتفاظ بنقاء نبلهم العربي لايشوبه شائبة ورابطتهم السياسية لا تنفخ في بنائها ريح ، أما البلو الرحل فالزعامة فيهم لشيخوهم الذين يتولون القيام على أحكامهم وتدبير شؤونهم ، وأما الحضرة في الواحات فالزعامة لشيخوهم الاسر العليا منزلة ومكانة ، بيد أن مبلغ ما في يد هؤلاء الشيوخ في السلطة والطاعة إنما هي صورة واهنة لا تقوى على الدوام على الوقوف في وجه تيار العادات القومية المعروفة ، وجل ما استطاع « الترك » اخضاعه في بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر ، أما نجد البلاد الداخلية ، فقد ظلت حرة مستقلة ، وما برح عرب الصحراء فيها يغالون في الاحتفاظ بما تحلر إليهم من آباءهم وأجدادهم من فضائل الدين ووحدة السياسة وعروة الجماعة .

هكذا كانت حالة « نجد » لما ولد فيها ابن عبد الوهاب ، وإذا كان منذ نشأته شديد الميل إلى الاطلاع والفقه في الدين سرعان ما اشتهر ذكره وذاع اسمه فعرف بعلم وافر قواماً على التقوى ، فحج في أول عمره وطلب

العلم في المدينة المنورة ، وساح إلى كثير من البلاد المجاورة حتى فارس ، ثم عاد إلى نجد مشتتلا غضبا دينيا لما يراه بأم عينه من سوء الحالة الإسلامية فصحت عزيمته على القيام بدعوة الإصلاح ، قضى سنين عديدة راحلا من بلاد إلى بلاد في شبه الجزيرة فبشر بالدعوة موقظا النفوس حتى استطاع بعد جهاد طويل أن يجعل محمد بن سعود وهو أكبر أمراء نجد وأعلى زعمائها كعبا وشأننا يقبل الدعوة ، ويدخل فيها فاكسب ابن عبد الوهاب بذلك مكانة أدبية عالية ومنزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يستهان بها ، فاستفاد من ذلك استفادة جليلة قد مكنته بلوغ غايته فكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التي أنشأها صاحب الرسالة ، وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبد الوهاب ليشبه شبا كبيرا ذلك النهج الذي نهجه الخلفاء الراشدون كابي بكر وعمر ، ولما مات سنة ١٧٨٧ م خلفه ابن سعود ، فكان خير خليفة للمصلح الإسلامي الكبير ، واقتنى الوهابيون آثار خلافة الراشدين وعلى ما كان في يد ابن سعود من القوى الحربية العظيمة ، فإن ذلك ما كان ليعرضه أن يكون على الدوام نازلا على رأي الجماعة ودستورها فلم يتمن حرية أتباعه وبني قومه . وكانت حكومته على عنفها مكيئة عادلة فانقطع التعدي وأمن الناس السرقات وانتشر الأمن وسادت الطمأنينة والراحة وعكف على العلم والتهديب ، وكان في كل واحة مدرسة وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين .

وجاء في كتاب « العقيدة والشرعة في الإسلام » للمستشرق « أجناس جولد تسيهر » ترجمة الدكتور حسين عبد القادر مدير المركز الثقافي بلندن ورفيقه ص ٢٣٧ مانصه :

من أهم الحركات الدينية الحربية التي قامت بها الأمة العربية تلك التي أثارها في الأزمنة الحديثة في أوسط بلاد العرب محمد بن عبد الوهاب المتوفي ١٧٨٧ ، فبعد أن درس مؤلفات ابن تيمية ، وقد أقبل عليها بشغف زائد أثار في مواطنيه حركة دينية وسرعان ما عظم أثرها وكثر أشباعها وأنصارها ودفعت بالأمة العربية المفطورة على الحرب إلى خوض غمار القتال فأحرزت

عدة انتصارات حربية باهرة نشرت من نفوذها حتى تجاوزت شبه الجزيرة إلى بلاد العراق .

وقد أفضت هذه الحركة إلى تأسيس دولة لاتزال مع ما مر عليها من التقلبات الكثيرة والمنافسات والمنازعات الداخلية التي أضعفها قائمة في أوسط بلاد العرب وتعد عاملاً ذا أثر قوى في سياسة شبه الجزيرة - إلى أن قال :

والحركة الوهابية ، هي التحقيق العملي لانتقادات ابن تيمية واحتجاجاته الحنبلية على البدع المخالفة للسنة التي أقرها الاجماع ، وعلى الصيغ التي تقررت خلال التطور التاريخي الإسلامي ، وعلى البدع المستحدثه في الحياة اليومية .

إلى أن قال : وقد أتى الوهابيون هذه الأعمال كلها باسم السنة والعمل على إحيائها وإعادتها وهم في جهادهم هذا يمثلون بالسلف الصالح ، على أنه فيما يتعلق بقبر النبي نرى أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي قد سبقهم في هذا المضمار فقد عمل استمساكاً بالسنة على توجيه قبر النبي عندما أمر بعمارة وجهه غير الوجهة الأصلية للقبلة خوفاً من أن يجعل الناس في هذا الأثر موضعاً للعبادة ، وهذا ما أراد منعه عندما جعل اتجاه موضع الضريح مخالفاً لاتجاهات المتبعة في المساجد ، انتهى .

وجاء في كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية » تأليف (كارل بروكلمان) تحت عنوان « الحركة الوهابية » : لم يحالف التوفيق محمد علي - والي مصر - في شبه الجزيرة العربية بقلدر ماحلقه في مصر وسوريا ، فهناك اصطدم سلطانه بحركة انبعاث وطنية كبرى ، وتفصيل ذلك أنه ولد في نجد قلب الجزيرة العربية ، محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم فنشأ محبا للعلم واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة .

إلى أن قال : فلما آب إلى بلده سعى أول ماسعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلامية صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق ، وفي سنة ١٨٤٠ التجأ

إلى محمد بن سعود ، وهناك لقي حفاوة وترحيباً حتى إذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصاراً ومريدين ، ولقد شجبت تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صورته - وكان قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليد النصرانية وبعض الطقوس الدينية الأخرى - رامياً بالشرك أولئك المسلمين الذين يشاركون في التقديس أو الذين يقضى القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم أو يبادوا ، وأخذ محمد واتباعه باداء صلاة الجماعة في صرامة الخ .

وقال المستشرق السويسري (بركهات) : (ما الوهابية إذا جئنا نصفها غير الإسلام في طهارته الأولى) .

وهي شهادة قوم من علماء الغرب الأجانب اتصفوا بالنزاهة العلمية والأمانة التاريخية بعيدين عن الأغراض والتميز المذهبي .

أما في الشرق العربي فبالرغم عن الدعايات المغرضة ، فقد انصفه غير واحد ومنهم العلامة الجليل محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني الذي كتب إليه قصيدة طويلاً منها :

سلام ، على نجد ومن حل في نجد	وان كان نسابمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد الربيع في السرى	الا يا صبا نجد متى هجت من نجد
قفي واستلي عن عالم حل سوحها	به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد	فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

عسير :

وقد تقدمت السرية الأولى من السعوديين إلى عسير ، فكانت النتيجة الحتمية دخولها في الطاعة وجعلها قاعدة النفوذ لنشر الدعوة (السلفية) الوهابية في جنوب الجزيرة العربية ، ومن عسير تسربت إلى قبائل بني شعبة ثم إلى المخلاف كما سير بك مفصلاً .

فقبلها أهل المخلاف - كما سيأتي موضعاً - ورأوا في الاستجابة لتقبلها إذكاءاً للروح الإسلامية وإحياءاً لمعالم الشريعة السمحة وتحقيقاً عملياً للعدل

والمساواة ورفع الحواجز الاجتماعية والفروق الطبقية - التي تسربت قبل هذا العهد بنحو قرن - وهم عرب صديميون من أبرز صفاتهم الشمم والإباء والحرص على تمشي روح المساواة بين أفراد المجتمع .

الداعية الأول أحمد بن حسين الفلتي :

هو من أهل صديا بهره نجاح الدعوة الوهابية واستهوته أخبار توفيقها في قبائل عسير وبني شعبة ، وقارن بين ما سمع وما يراه من حالة أهل الخلاف ، وما يسود أرجاءه من الاضطراب والفتن ، فخف مهاجراً إلى الدرعية ليتلقى الدعوة من منبعها الصافي وموئلها العتيد .

وبعد وصوله إلى الدرعية وتحصيله مبادئها اتصل بالإمام عبد العزيز بن سعود ، ورجاه انتدابه لنشر الدعوة في الخلاف السلياني ، فاستجاب له وأرفقه بالكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل الخلاف السلياني خصوصاً الأمراء أبناء محمد بن أحمد وحمود وناصر ويحيى وسائر إخوانهم وآل النعمي وكافة أهل تهامة وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق وجنبنا وإياهم طريق الشرك والغواية ، أما بعد فالموجب لهذه الرسالة أن أحمد بن حسين الفلتي قدم إلينا فرأى مانحن عليه وتحقق صحة ذلك فالتمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه .

فاعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ على فترة من الرسل بالدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكده ، وزيدته إخلاص العباد لله تعالى لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الخلق لأجله ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ، وإخلاص الدين هو إخلاص العباد لله تعالى وصرف جميع العباد لله تعالى وحده لا شريك له وذلك بأن لا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يذبح إلا لله ولا يخشى إلا الله ولا يرجى سواه ولا يرهب ولا يرغب

إلا فيما لديه ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه وأن كل ما كان لله تعالى لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبي مرسل وهذا بعينه توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم دون الكافر وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

فلما آمن الله علينا بمعرفة ذلك وعلمنا أنه دين الرسل اتبعناه ودعونا الناس إليه وإلا فنحن كنا قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستعانة بهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب المحرمات وترك الصلوات وترك شعائر الإسلام حتى أظهر الله الحق بعد خفائه وأجابه أثره بعد اندثاره على يد الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) أحسن الله له في آخرته المآب ، فابرز لنا جهة الحق ووجهة الصواب من كتاب الله المجيد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فبين لنا أن الذي نحن عليه وهو دين غالب الناس من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب إليهم والنذر لهم والاستعانة بهم في الشدائد وطلب الحاجات منهم أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك) ، وقال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ، وقال تعالى (والذين يدعون من دون الله ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) .

فحين كشف الله لنا الإسلام وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله وكلام أئمة الاعلام الذين أجمعت الأمة على روايتهم عرفنا ما نحن عليه وما كنا ندن به أولا أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وحذر ، وإن الله أول ما أمرنا به أن ندعوه وحده وذلك كما قال تعالى : (وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) . وقال تعالى (ومن أظلم ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب

له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) ، إذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله أن الدين الذي ندين لله تعالى به هو إخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك وإقامة الصلاة جماعة وغير ذلك من أركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا يخفى على ذوي البصائر والأفهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به رسول الله ﷺ قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فمن قبل هذا ولزم العمل فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظ الإسلام ومن أبي غير ذلك واستكبر فلن يقبل منه قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

وقصدنا بهذه النصيحة إليكم والقيام بالواجب ، قال الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وصلى الله على محمد ، والسلام .

وصل الفلقي بالكتاب ، وكان يحمل معه مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وبعد ذلك استوطن أسفل وادي بيش عند قبائل الجعافرة ، وقام بالوعظ والإرشاد فالتف الناس حوله واجتمعت القلوب عليه وفشت الدعوة بين المحاورين لتلك القبيلة .

كان الفلقي يقوم بلور المعلم والمرشد والزعيم الديني فيرسل الدعوة ويفصل في القضايا ، وسرعان ما سرت دعوته إلى كثير من قرى الخلاف واجتمعت القلوب بعد الفرقة فأنس القوم من نفوسهم قوة ومن الدعوة سنداً ومن الوازع الديني سلطاناً فأجمع رأيهم على التخلص من سلطة أمير صبيا الذي سلطته اسمية بالنسبة إلى قرى الجهة الشمالية من الخلاف — وقد مر بك في حادث قريني المحلة والدعوى الدليل الكافي على عدم وجود القوى الفعلية أو السلطان النافذ لتلك الإمارة وأصبح القوم يرون أن لاسلطان عليهم لمن لم يعتنق الدعوة بل يرون واجب الخروج عن طاعة من خالفها وأخذ أهل صبيا أنفسهم يتصلون بالفلقي

ويعربون له عن رغبتهم في الاستجابة للدخول في الدعوة لولا خوفهم من أميرهم ناصر بن منصور الذي يرتبط ادارياً بسلطة ابن عمه علي بن حيدر أمير المخلاف العام .

شعر أمير صيبيا بالخطر يزحف نحو منطقته في تؤدة وثبات فسارع إلى الاتصال والاستنجد بمرجعه فورده الرد بالتريث ، وفي تلك الاثناء حان وقت خروج خراص المزارع فبعث أمير المخلاف العام الخواص إلى الجعافرة فمنعهم عن مباشرة الحرص ، فعادوا إدراجهم ، عند ذلك تأكد للأمير مخالفتهم فتحنف لغزوهم .

التجهيز :

جمع الأمير ابن حيدر جموعه من يام وغيرهم وكتب إلى عمه حمود بن محمد الذي كان متغيباً في مزارعه بوادي تعشر يحثه على الاسراع للإشتراك في الحملة وكان لديه عدد من الخيل ، فوصل على أهبة الاستعداد على رأس مقبنة ومن أبي عريش سارت الحملة إلى غربي وادي صيبيا وعسكرت بموضع يسمى الحجرين وهناك قابلهم أمير صيبيا على رأس من استعد بهم للإشتراك في الحملة .

شعر الجعافرة بهذا الغزو الذي يهدد كيانهم ويقضى على الدعوة التي تشربوا مبادئها ، فصمموا على الدفاع ، واقبل أهل الجهة الشمالية من المخلاف لمساعدتهم وبعد أن تم تجمعهم في قرية الجارة نهضوا إلى قرية البطيخ ، ومنها تقدموا لمهاجمة الحملة العسكرية في الحجرين .

المعركة :

بالطبع انه لم يكن لدى الجعافرة وحلفائهم الاستعداد الكافي لصد القوة المهاجمة والتي يقودها أمير المخلاف السلياني العام نفسه والتي هي على كامل الأهبة والاستعداد لمعركة يترتب على نتيجتها بقاء سلطته ونفوذه ، وقد اشترك في تلك الحملة كافة آل خبرات نخيلهم واتباعهم لعلهم أنها معركة الحياة

أو الموت بالنسبة إلى نفوذهم العائلي وسلطتهم المحلية ، لذلك فالنتيجة معروفة من المقدمة ، فقد انتهت المعركة بهزيمة الجعافرة وحلفائهم .

وبعد انتهاء المعركة عاد الأمير إلى معسكره بالحجرين ظافراً وأقام به زهاء شهر حتى اطمأن إلى استقرار الأحوال ثم انصرف عائداً إلى أبي عريش .

الخلاف بين الأمير علي بن حيدر وعمه حمود بن محمد :

لم تمض إلا أيام قلائل على عودة الأمير حتى نشب الخلاف بينه وبين عمه حمود بن محمد على الإمارة ، وتطور الخلاف إلى قتال استمر نحو ثمانية أشهر

عرار بن شار الشعبي :

قد مر بالقارئ الكريم في ثنايا الصفحات الماضية الكثير من حوادث وَاخْبار قبيلة بني شعبة واتخاذها الغارات والسطو مرتزقاً فشبت أجيال منهم على الغزو وروح الفروسية والكفاح وقد أصابت وأصيبت من جراء ذلك بما يصاب ويتعرض له أمثالها من الغرم والغم ، وكانت روح الفروسية والنزعة الحربية المشبوبة في أفرادها بالطبع لا تهدف إلى سلطان أو غاية سامية من مذهب ديني أو مبدأ سياسي مما يرتقي بتلك الروح إلى ما يصبو إليه أصحاب المبادئ القويمة أو الغايات السامية ، ومن البديهي أن مثل تلك الروح مهما تأججت جنونها واشتدت قوى نزعتها تحور إلى الحمود والتلاشي ، لهذا قابلت القبائل الأخرى تلك النزعة العدائية بمثلها حتى أصبحت مهمة الأولى تخفها الصعوبة والمخاطر فجئحت إلى تلمس سبل الخلاص وأخذ نفر من أفرادها يفكر في منهج وغاية تصرف إليها قوة طاقتها الكفاحية ونزعتها الحربية .

وفي تلك الأثناء كانت تبشير الدعوة الوهابية قد سرت تياراتها إلى قبائل شهران ، وامتد نفوذها إلى عسير فدفعت بعرار بن شار بصيرته النفاذة وروحه المتعطشة إلى اليقين أو السيادة إلى إعتناق الدعوة — وبالطبع أنه علم بهجرة الكثير ممن نالوا التوفيق والحظوة كآل المتحمي وغيرهم — لذلك اتصل بأمير بيشة وعاهده على اعتناق الدعوة والقيام على بثها في قبائل بني شعبة وانتهى ذلك الاتصال بعودته إلى قومه داعية من دعاة الدعوة الوهابية ، فأطاعه ذووه

الادنون والبعض من قبائله ووقف الآخرون ضد ما يدعو إليه فتوقف ورفع بالواقع فوصله الأمر بالانتظار ، وصدرت أوامر الشرعية إلى حزام بن عامر العجماني بالتحرك إلى الجنوب على رأس مائة فارس وخمسمائة « ذلول » .

وصلت سرية حزام إلى درب بني شعبة فالتقاها عرار وسار بهم إلى المتخلفين فصبحهم واستولى على دورهم وأرغمهم على الدخول في الطاعة وبذلك استوثق له الأمر وأصبح الزعيم المطاع وشملت منطقة نفوذه بلاد آل موسى وأهل قنا وبني زيد وغيرهم من أهل سافلة الحجاز إلى الشقيق وعتود .

تقدم حزام إلى الخلاف :

وفي الدرب وافاه الداعية الثاني (أحمد بن حسين الفلقي) وصحبه إلى الخلاف وفي خبّة السيد ، اشتبكت السرية في قتال مع أهل الخبت فهزمتهم ووالت تقدمها .

السرية السعودية في الخلاف :

هرع سكان الخلاف إلى أمير صبيا منصور بن ناصر يطلبون منه مصالحة حزام بن عامر تجنباً لإراقة الدماء وصوتاً للحرمان فجمع الأمير كافة أعيان المنطقة وأخذ معهم في استعراض الموقف والتشاور في الأمر ، وفي أثناء إجتماعهم وصل الفلقي يحمل إنذاراً من حزام فاجمع رأي المؤتمرين إلى إرسال وفد إلى الأمير العام للمخلاف السليمانى لعرض الانذار وتلقى أمره النهائي حيال الموقف ، وفي أبي عريش تقرر أن يرسل من يمثل جهات المخلاف ليقابل حزاماً وفعلاً تألف الوفد من :

١ - الأمير يحيى بن محمد الخيراني عن منطقة أبي عريش .

٢ - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله الضمدي عن منطقة ضمد .

٣ - الأمير منصور بن ناصر بن محمد عن منطقة صبيا .

وصل الوفد إلى معسكر حزام في الحجرين ، وبعد المقابلة تم الاتفاق بينه

ويعينهم على الدخول في الطاعة وأعطوه العهد والبيعة للإمام عبد العزيز بن سعود
فأناهم على جهانهم كالآتي :

- ١ - يقوم الأمير يحيى بالإمارة والدعوة في منطقة أبي عريش .
- ٢ - يقوم الأمير منصور بالإمارة والدعوة في منطقة صبيا ، عدا منطقة
بيش والجعافرة التي داعيتها الفلتي .
- ٣ - يكون شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله مرجعاً لكل منهما في الأمور
الدينية .

وبذلك اعتبر حزام أن مهمته انتهت فقوض خيامه عائداً إلى نجد .

الاتفاق بين الأميرين علي بن حيدر وحمود بن محمد :

بعد رحيل حزام لم تستقر الأمور لأن المنازعة بين الأميرين استؤنفت على
أشد مما كانت وأخيراً تنازل علي بن حيدر لعمه عن الإمارة ، ورفع بتنازل
الأول وتولية حمود إلى إمام صنعاء فوردت الموافقة .

إمارة الشريف حمود بن محمد

تولى الإمارة كما مربك آنفاً — على أثر الصلح الذي تم بتنازل ابن أخيه علي بن حيدر — وكان الوضع السياسي في المخلاف السلياني كالاتي .

١ — من وادي ضمد وجنوباً تحت سلطة حمود .

٢ — وادي صيبا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر .

٣ — من صيبا شمالاً وغرباً إلى بيش تحت سلطة أحمد بن حسين الفلقي ما عدا قرية الملحا فانها عائدة لصيبا .

٤ — من بيش شمالاً إلى رجال المع تحت سلطة عرار بن شار .

أول سرية يبعثها الأمير حمود :

استصرخ أهل (الملحا) حمودا على الفلقي الذي اتفق مع عرار على غزو قريتهم فبعث سرية بقيادة ابن أخيه يحيى بن علي ووزيره حسن بن خالد الحازمي فتقدمت السرية إلى أن شارفت مدينة صيبا وطلبت من أميرها (منصور) الاشتراك في القتال فاعتذر فوالت سيرها حتى عسكرت في قرية السلامة السفلى فتحرك الفلقي — الذي كان يقوم بنشاط تجمعته في قرية (أم الخشب) — لمقابلتهم وعسكر في موضع يسمى (مشرف) غربي (قرية السلامة العليا) ونشب القتال فانهزم الفلقي متقهقراً إلى « أم الخشب »

حركة عرار بن شار :

علم « عرار » بهزيمة الفلقي فسارع على رأس جموعه نحوه ، وهنا سنحت الفرصة للأمير صيبا — الذي كان على غير وفاق مع عمه حمود — فتظاهر بالرغبة في انقاذ الموقف فكتب إلى كل من عرار وقائده حمود يرجوهما التوقف عن القتال حتى يصل إليها لتسوية الموقف ، فاستجابوا لرجائه .

وفي يوم ١٥ ذي القعدة عام ١٢١٦ خرج منصور من صيبا في زهاء ألف مقاتل وضرب خيامه بين المعسكرين وقام بالاتصالات والتوسط بين الفريقين

حتى تمكن من عقد هدنة بينهما تقضي برجع كل فريق إلى جهته ، وعلا بمقتضاها ، عادت سرية حمود إلى أبي عريش .

أما عرار فبدلاً من أن يعود إلى الدرب تقدم على رأس كوكبة من فرسانه واحتل حصن السلامة السفلى وهناك اجتمع به منصور بن ناصر وتم بينهما في هذا الاجتماع العهود والمواثيق وتقبل الأخير الدعوة الوهابية والبيعة السعودية وتعهد بأن يقوم بالدعوة لها في المحاورين لمنطقته وعلى أثر ذلك عاد كل منهما إلى جهته .

الأمير منصور بن ناصر :

عاد إلى صبيا بعد اجتماعه بعرار معلناً انضمامه إلى الإمام عبد العزيز ابن سعود ونادى بمنع تعاطي التبغ وكان قبل ذلك من أكبر متعاطيه فصمم على تركه وقال : قبيح بنا أن نؤدب الناس على تعاطي التبغ ونحن نتعاطاه .

الخلاف بين الأمير منصور وعمه الأمير حمود :

علم حمود أبو مسمار بموقف ابن أخيه فثارت ثائرتة وعزم على مبادأة القتال فأشار عليه اخوانه بالتريث ، قائلين له أنه ابن أخيك ، فعليك أولاً بقتال القلي وعرار فإن تم لك التغلب عليهما فتحن نضمن لك طاعته .

استعداد منصور :

اتصلت الأنباء بمنصور فأخذ في الاستعداد والاهبة وأجرى القليمة على أهل منطقته أي عملية احصاء حملة السلاح فبلغ عددهم ثلاثة آلاف محارب واستدعى أهل الخيل فاجتمع له ما يريد فأمر بالتعبئة وانتظر على قدم الاستعداد وكتب لحليفه عرار مستنجداً فتحرك نحوه على رأس جموعه ورابط في بيش .

تقدم حمود :

تقدم من أبي عريش على رأس خمسمائة محارب وسبعين من الفرسان في آخر شهر ذي الحجة عام ١٢١٦ وفي أثناء الطريق بعث بعض اخوانه إلى

(منصور) يطلب منه أن يلزم الحياذ ولا يتدخل فيما بينه وبين عرار والفلقى ووالى تقدمه حتى عسكر (بالدُّحْل) بضم الدال المشددة وسكون الحاء المهملة بعدها لام ساكنة موضع بين قريتي السلامتين العليا والسفلى .

المعركة :

وبمجرد أن علم عرار بوصوله الدحل تقدم لمهاجمته ونشب القتال وانتهت المعركة بهزيمة عرار إلى حصن السلامة السفلى وعاد حمود إلى معسكره أما عرار فقد رحل من حصن السلامة عائداً إلى الدرب .

أقام حمود عشرين يوماً في معسكره السابق ، ثم رحل عائداً وعسكر في قرية البحر ومنها قام بمناورة حربية لقصد التأثير على منصور وإرهابه بيد أن هذا قد استعد لما هو أكبر من مناورة ، فلم تسفر عن التأثير المطلوب ، وبعد واسطة ومساعي من قرابة الطرفين اتفق منصور بعمه في قرية البحر وهو في أهبة وحذر ولم تسفر المواجهة عن نتيجة وارتحل حمود إلى أبي عريش في محرم ١٢١٧ .

السرايا السعودية في المخلاف :

على أثر تلك الحركة التي قام بها حمود في شهر ربيع الأول من تلك السنة تحركت عدة سرايا إلى المخلاف بقيادة حزام بن عامر العجماني وزبران القحطاني وكان وجهتها قبائل الحسيني وضمد الموالية لحمود وعسكرت أولاً في قرية الحجرين ، واستدعى قائدها كل من عرار والفلقى ومنصور بن ناصر فاقبل كل منهم على رأس أهل طاعته على غاية الاستعداد وهناك عقد مؤتمر لتوحيد وتنسيق خطة الهجوم وتحديد الهدف فاتفق الرأي على مهاجمة ضمد بصفته في نظرهم مركز النشاط الروحي والعلمي للزيدية في ذلك التاريخ .

زحفت القوات على ضمد وبرغم المقاومة الشديدة من أهله والجنود الذين بعثهم حمود فقد لحقت بهم الهزيمة الماحقة والقتل المروع وأحرقت المدينة وانتهبت الأموال .

عادت القوات السعودية إلى صييا وهناك تجدد العهد بين كل من عرار ومنصور والقلبي واتحدوا على تأليف جبهة مشتركة ضد حمود والموالين له وانصرفت سرايا عائدة إلى نجد .

كتب حمود إلى إمام صنعاء مستنجداً بعد أن وضح له كل ماوقع وما يتخوف منه مستقبلاً فلم يظفر بسوى المواعيد ورفعت الجبهة المشتركة إلى الدرعية عما علموه عن اتصالاته بصنعاء وما يخشونه من وصول الإمدادات إليه فصدرت أوامرها إلى عبد الوهاب بن عامر بالتحرك لإخضاع حمود فاستنفر جميع قبائل عسير وشهران وقحطان كما صدرت الأوامر إلى منصور والقلبي وعرار بالتأهب والاستعداد والتقدم إلى أبي عريش تحت قيادة عبد الوهاب الذي وصل صييا في ١٢ رمضان في عشرين ألف مقاتل غير من انضم إليه من أصحاب الزعماء الثلاثة .

ومن صييا تقدم إلى أبي عريش حتى عسكر قبلها بنحو ميلين وامتد عسكره من غرب المدينة إلى الجبل المعروف (بالجرد) .

استعدادات الدفاع :

استعد الأمير حمود للدفاع فرتب الحصون وأقام الاستحكامات وحشد المقاتلة في الخطوط الأمامية بخارج المدينة وفي أطرافها الشمالية ، وعبأ فرقة من الفرسان رابطت في غرب المدينة لصدد غارة الخيل المهاجمة عن اقتحام (محلة الديرة) حي الأمير وأسرت من آل خيرات وأناط قيادتها بـابن أخيه (علي بن حيدر) .

خطة الهجوم :

أراد عبد الوهاب أن يوجه الهجوم الرئيسي على محلة (الديرة) فإن استطت فأمر الاستيلاء على المدينة مضمون واتفق معه على هذا الرأي عرار ابن شار الذي قد اتصل به شخصياً رؤساء تلك المدينة موضحين له أنهم مرغمين على القتال وكان قد بلغ حمود خبر هذا الاتصال فقبض على أولئك الرؤساء وزج بهم في السجون ، بلغ منصور بن ناصر خطة الهجوم فادركته

عاطفة القرابة ودفعه الاشفاق على عمه وذويه ، فسارع إلى (عبد الوهاب) وما زال به حتى تمكن من حمله على تعديل خطته وتوجيه الهجوم على المدينة وتعهد له في حال تسليمها انه يضمن خضوع عمه وبقيّة أسرته ، وهكذا اصطلى أهل المدينة بسعير نار المعركة الساحقة وكانوا دريئة للسيف ووقاية للعنصر الارستقراطي المتحكم .

الهجوم :

عباً عبد الوهاب جيشه وقسمه إلى ميمنة وميسرة وقلب وجعل الخيل في الطليعة في مقابلة خيل حمود وجعل من وراء الخطوط رجالا تسوق الفرق المهاجمة وتحثهم على التقدم بل تدفعهم إلى الهجوم الخاطف .

وقبل فجر يوم الجمعة الموافق ١٥ رمضان عام ١٢١٧ لعلت أصوات المؤذنين في ذلك المعسكر المترامي الأطراف فدوت أصواتهم تردد صداها الروابي والآكام ثم صلوا الفجر جماعات وتقدموا صوب المدينة تلوى أصواتهم بالتكبير وتردد شعار الهجوم : (يامالك يوم الدين إياك نعبد وبك نستعين) فاكتمت الخطوط الأمامية واندفعوا نحو (الحصون) واحتدمت المعركة وسالت الدماء جداول ، واستبسل المدافعون استبسالاً يفوق الوصف بيد أن إقدام المهاجمين وارتقاءهم إلى الحصون على جثث القتلى سهل كل صعب فسقطت في أيديهم حصناً حصناً ونجاً من نجاً من المدافعين إلى (الديرة) ففت ذلك في عضد المتحصنين داخلها وقاموا على حمود يرجونه طلب الأمان والتسليم فامتنع وعده منهم ضعفاً ، عند ذلك أرسل علي بن حيدر وأبو طالب ابن أحمد وغيرهم مندوباً يطلب لهم الأمان فأرسل لهم عبد الوهاب رجلاً من أصحابه ليتولى حمايتهم ويؤمّنهم ، وبوصوله صاح بأعلى صوته : (أخبركم وأنا فلان أن علي بن حيدر قد دخل مع المسلمين) فكفوا الحرب عن داره .

اسقط في يد حمود وساوره الوهم بأنه ربما يكون تسليم علي بن حيدر مما يهيء له تولية الإمارة فسارع بإرسال مندوب يطلب الأمان فاعطى له ، وبذلك انتهت المعركة بالتسليم والخضوع .

في يوم الأحد الموافق ١٧ من ذلك الشهر سار حمود من بيته إلى المعسكر السعودي ودخل على عبد الوهاب فلم يحفل به في بادئ الأمر فكاد أن يعود من حيث أتى بيد أنه تمالك نفسه ومد يده للمعاينة (على دين الإسلام والتبري من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز بن سعود ، وموالة من والاه ومعاداة من عاداه والقيام بالدعوة) فبعد ذلك أقبل عليه عبد الوهاب وتلطف معه في الحديث ، وانصرف حمود عائداً إلى بيته .

الرجل وإنابة من يقوم بالامارة :

أخذ كل من القادة المرافقين لعبد الوهاب يتقدم باقتراحه حول من يتوب على إمارة الخلاف فكان رأي منصور أن يتولاها (علي بن حيدر) وعرار والفليقي يقترحان إعادتها إلى (حمود) وبعضهم أشار بتولية (يحيى بن محمد) الذي سبق أن أعطى العهد (لحزام بن عامر العجماني) وأخير ترجح لعبد الوهاب أن يعيدها (لحمود) صاحبها الأول فاستدعاه إلى المعسكر وبحضور القادة وكبار أسرة (آل خيرات) استدعاه وطلب منه العهد على القيام بأمر الإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل من وراءه من أهل اليمن ومباينة إمام (صنعاء) وقال له : إن شرط تثبيت إمارته يتوقف نهائياً على موافقة الإمام (عبد العزيز ابن سعود ، وطلب من الحضور السمع والطاعة له واعتباره أميراً عليهم ، وفي يوم الخميس ٢٩ شوال ١٢١٧ ارتحل من أبي عريش عائداً فر بالدرب ومنه تقدم إلى الحجاز .

الأمير حمود بن محمد :

بعد رحيل القائد السعودي خرج في حركة تأديبية لجهة بني الحرث فأخذ منهم الرهائن وبعد تجوله في تلك الأنحاء سير (سرية) من الخيل بقيادة ابن أخيه علي بن حيدر إلى اليمن ، وكان حمود وهو المحارب المعروف المحرب والشجاع المشهور قد استفاد من أساليب وتكتيك وخطط الدعوة الوهابية وحركاتها الهجومية ما سهل له سبيل الاستيلاء على الكثير من أنحاء اليمن

باسم الإمام عبد العزيز بن سعود^(١) .

كانت هيئة السعوديين قد سرت في أرجاء اليمن بل الجزيرة العربية وهيئت النفوس لتقبل الدخول في طاعتها وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة تقدمت تلك السرية إلى الجهات الجنوبية تعرض على الناس الدخول في الطاعة فمن قبل أخذ منه العهد ومن أبي وامتنع أعلنته الحرب وما وراءه من غارات السرايا السعودية وبتلك السرية التي قوامها ثلاثون فارساً دخل بنو مروان على قوة شوكتهم في الطاعة فأخذ منها العهد ومقاتلة من وراءهم ثم أمرت عليهم شخصاً منهم يسمى علي بن أحمد معوز واستصحب مجاهديهم وتقدمت تلك السرية صوب الجنوب فأقبلت إليها قبائل بني حسن وعبس تعلن الطاعة فولت عليهم شخصاً من آل ثواب ووالت تقدمها .

وهنا ملاحظة يجب الإشارة إليها ، وهي أن قبول تلك الدعوة تجعل القبيلة تشعر بأهمية مكانتها ومشاركتها الفعلية في الحكم فأمرها منها وعليها أن تقوم بإحياء رسوم الدين عملياً من أداء الفروض جماعة وتأديب المتواني والمتخلف فتذب بذلك طابعها وتلين بالتقوى قلوبها وتتوحد عقيدتها وتتقارب ميولها وتتجه إلى خالقها في الشدة والرخا غير متوسلة بواسطة فالنافع والضار هو المولى تعالى فتزول الفوارق الطبقية ويصبح لافضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ويصبح الفرد لبنة في البناء القومي والصرح الاجتماعي وتقرأ عليهم مبادئ التوحيد في المساجد بصورة سهلة مبسطة وبمشاركته في الجهاد تنبيه فيه العزة ومعاني الكرامة — وقد اعتادت الإمارات السابقة أن تستعين بمترقين لتوطيد سلطانها كما مر بك — لأنها لاتعول أو لا تثق بأبناء إمارتها .

(١) بعد رحيل عبد الوهاب الذي علق أمر تثبيت إمارة حمود بموافقة ابن سعود ظل حمود متخوفاً واخيراً بعث وفداً إلى الدرعية برئاسة الحسن بن بشير وأحبه بكتاب يتضمن قبوله للدعوة وإخلاصه في الطاعة وأن الله قد شرح صدره لتقبل الدعوة الخ ، وأوعز إلى رسوله بأنه إذا رأى الفرصة سانحة أن يرجو الإمام فصل إمارته عن عبد الوهاب وربطه بالدرعية مباشرة ، وقد عاد رسوله يحمل رسالة شفوية من الإمام تتضمن الثقة به والتعويل عليه وعلى أثرها شمر واجتهد في غزو اليمن لينال الخطوة لدى الإمام .

وهكذا تم لتلك السرية ضم تلك البلاد وادخالها في الطاعة إلى أن بلغت الواعظات وبعدها أخذ قائدها في العمل على دعوة قبائل وادي مور ، حتى إذا اطمان إلى صدق استجابتهم ، كتب إلى عاملهم يطلب منه التسليم - وشعر العامل بحرجة موقفه ، فليس لديه القوة الكافية للمقاومة وقد لمس جنوح القبائل إلى الدعوة ومرجه في صنعاء في شغل شاغل عنه ، فاضطر إلى مغادرة مركزه إلى عامل اللحية الأمير صالح بن عبد الملك ، وبذلك انضم وادي مور إلى حمود كما أن اللحية نفسه غادرها عاملها ناجياً إلى الحديدة فكتب الأهالي إلى قائد السرية بالواقع ويطلبونه ارسال من ينوب عليها من طرفه .

وصلت البشائر إلى الأمير حمود بدخول وادي مور في الطاعة وقبول الدعوة فسارع بالتحرك وفي اليوم الذي وصل فيه مور وصل كتاب أهل اللحية بفرار عاملها وطلب إرسال نائب لاستلامها فتقدم بنفسه ودخلها وطالب تجارها أموالاً جزيلة بحجة إرسالها للإمام عبد العزيز بن سعود فاضطروا إلى دفعها له مرغمين ، وبعد أن أقام بها اسبوعاً أسند إمارتها إلى محمد بن قيراط ورحل عائداً إلى مور ومنها بعث ابن أخيه يحيى بن حيلس غازياً إلى جهة الحديدة في آخر الحجة ١٢١٧ ، أقبلت إليه رؤساء عشائر تهامة من (صليل) إلى القحيرية معاهدين على دين الإسلام والتبري من كل دين سواه وعلى السمع والطاعة للإمام عبد العزيز وهكذا أصبح أمر تلك الجهات عائداً إليه إلى بيت الفقيه وبعد أن انتهى من ضمها وذلك في أول المحرم ١٢١٨ عاد إلى أبي عريش ومنها خرج إلى قرية الجنة من قرى وادي خلب كان اختطها عمه الحسن ابن أحمد وبنى بها معقلاً منيعاً ، وفي أثناء إقامته بها تواردت عليه سرايا السعودية من قحطان والدواسر والعجمان وشهران يطلبون منه مصاحبته لغزو اليمن .

الغزو :

سار حمود على رأس السرايا السعودية لليمن وكانت الأمنية التي تداعب فؤاده هي الاستيلاء على مدينة الحديدة فوالى تقدمه حتى خيم على أطرافها وكتب إلى عاملها صالح بن يحيى العلي وقاضيه محمد بن أحمد مشحماً

يدعوها إلى الدخول في الدعوة والخضوع للطاعة فعاد الرسول إليه بلون
جواب .

وعلى الأثر خرج العامل لقتاله فقابلته على رأس السعودين فولى العامل
مهزوماً والتجأ إلى قلعة (الصديقية) أعظم معقل المدينة المجهز بالمدافع وحالا
صبت نيران مدافعها على المهاجمين فأرغمتهم على التراجع واصيب حمود
بمسار قذيفة في صفحة عنقه فطلبت منه السرايا العودة والاتجاه إلى جهة أخرى
فتقدم بهم عن طريق الساحل إلى (غلافقة) ثم إلى (المحيلس) إلى أن بلغوا
قرية (التحتيا) من قرى زييد فانتهبوا مواشيها وعاد بهم إلى الخلاف السلياني
بالطريق العليا .

المطالبة بالانفصال عن إدارة عسير :

كان حمود كما مر بك غير راض عن ارتباطه بعبد الوهاب بن عامر وكانت
ترد إليه رسل ابن عامر وتقابلته بشيء من الاعتداد وعدم الخضوع الذي قد
ألفه منذ إمارته الأولى من أهل جهته وكان عدا ذلك واسع المطامع يرى في هذا
الارتباط ما يحد من آماله ويقف في سبيل أغراضه فاستدعى ابن أخيه منصور
ابن ناصر أمير صيدا ، فوصل إليه وهناك تبادل معه الرأي حول رغبته في
مراجعة الإمام عبد العزيز بن سعود ، في فصل الخلاف عن عسير وحبد له
أن يسعى في المراجعة لنفسه هو أيضاً في الفصل من عسير وإن يرتبطا سوياً
بالدرعية مباشرة وبعد المشاورة تم الاتفاق على بعث وفد مؤلف من الوزير
الحسن بن خالد ، وأحمد بن حيلر ، يرافقهما منصور عن نفسه للسعي في
المطالبة في الانفصال عن عسير أو بالأحرى عن عبد الوهاب وفي تلك الأثناء
وردت الأنباء بوفاة الإمام وتولى ابنه سعود فتقرر أن يكون مهمة الوفد
التعزية في الإمام الراحل وتهنئة الإمام الجديد في الظاهر ثم السعي بعد ذلك
في المهمة الحقيقية ورافقهم بجليل الهدايا ونفيس التحف ، ومما أوصى به وفده .

١ - درس الحالة ومعرفة حقيقة الوضع في العهد الجديد وما يجب عمله
للتقرب من سياسة الدرعية .

٢- السعي في فصله عن إدارة عبد الوهاب وارتباطه مباشرة بالإمام وأن يتعهد بإسمه مقابل ذلك .

(أ) بدفع الخراج المعتاد السنوى .

(ب) بجهد اليمن وبشر الدعوة بربوعه .

واحتياطاً لئلا ينسرب الشك إلى قلب عبد الوهاب ، في الحقيقة السرية لمهمة الوفد فيعمل على تأخيرها أو إحباط خطته كتب إليه مقدماً يحيطه بأنه عازم على إرسال وفد إلى الدرعية للتعزية وتجديد البيعة وبالطبع لم يسع عبد الوهاب إلا السماح له .

وصل الوفد إلى الدرعية فاستقبله الإمام استقبالا حسناً وبعد تقديم التعزية وتجديد البيعة أخذ في العمل حول مهمته الرئيسية واتصل بأبناء الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وهم حسين وعبد الله وعلي ، وتقدم إليهم بما يحمله من الهدايا باسمهم وشرح لهم موقف حمود من مناصرة الدعوة والعمل على تفانيه في نشرها مستلراً بذلك عطفهم وراجياً مساعدتهم في فصله عن عبد الوهاب وارتباطه بالدرعية وسعى الوفد السعي الحثيث إلى أن تمكن من موافقة الإمام على الفصل كالاتى .

١- فصل إمارة المخلاف عن عبد الوهاب وربطها بالدرعية مباشرة .

٢ فصل إمارة صبيا عن عبد الوهاب وربطها إدارياً بالدرعية ماعداً أمر الجهاد فهو مرتبط بعبد الوهاب .

عاد الوفد إلى حمود يحمل الموافقة بالانفصال عن عبد الوهاب والارتباط بالدرعية فكان ذلك صلعة لعبد الوهاب ومن تلك الساعة أخذت المنافسة تحتدم وتتحول إلى مؤامرة ودسائس وتشكل من الحرب الباردة اجتذاب الأنصار وحشد القوى استعداداً للساعة الحاسمة .

وفي شهر رمضان ١٢١٧ حشد الجيوش لغزو قبيلة « بني حريص »^(١)

(١) قبيلة في شرق العارضة معروفة إلى الآن بهذا الاسم لاقبيلة حريص اعثر القى في جهة « هروب » .

وجعل مركز التجمع بأعلا وادي جازان واسند القيادة إلى ابن أخيه علي ابن ناصر وبعد أن استكمل الحشد تقدمت الجنود إلى جهة تلك القبيلة ووقعت مناوشات وصل على أثرها عرفاء تلك القبيلة مستسلمين وانتهى الأمر بدخولهم في الطاعة .

وصلت الأخبار إلى حمود باستيلاء عامل الحديدة صالح بن يحيى العلني على قلعة الزيدية فأرسل في الحال قوة لاستخلاصها بقيادة ابن أخيه علي ابن حيدر ثم سار بنفسه في عام ١٢١٩ وتمكن من هزيمة واستخلاص قلعة (الزيدية) منه وعقد بينهما صلح تقرر بموجبه أن يكون من (سهام) وشمالا تحت سلطة حمود ومنه وجنوباً تحت سلطة (إمام صنعاء) وبذلك عاد صالح ابن يحيى إلى مركزه في (الحديدة) وعاد الآخر إلى أبي عريش .

في عام ١٢٢٠ صدرت الأوامر من الإمام سعود على أمير صبيا منصور ابن ناصر ، وعرار بن إشار أمير بني شعبة بالنفير إلى الحجاز ، مع عبد الوهاب ابن عامر فسار منصور على رأس مجاهديه وبعث عرار أخاه عيسى بن شار على مجاهدي بني شعبة ولم يلحق الأخير بعبد الوهاب إلا بعد وصوله إلى الليث وكان عبد الوهاب قد شعر بميل عرار إلى صف خصمه أو منافسه حمود فاتخذ من تأخرهم هذا حجة للنكاية بعرار فوبخ عيسى بن شار ورؤساء أصحابه وقد توفق في هذه الغزوة ضد أمير مكة وعندما بلغ حلي في عودته أخذ خيل بني شعبة عقاباً لهم على ذلك التأخر وكان عمله هذا من أقوى الأسباب إلى ما وقع بينه وبين عرار كما سنوضحه .

عاد مجاهدو بني شعبة بعد أن أخذت خيلهم فأنف عرار مما صار على عشائره ويظهر أن حموداً قد شجعه على الانفصال عن عبد الوهاب وتعهد له بالمساعدة وأوضح له أنه لا يقل أهمية في نظر الإمام عن عبد الوهاب وحثه على العمل لذلك ، وقد دفع حمود إلى هذا أنه لا يأمن من تغلب عبد الوهاب عليه لمكانته وسابق مواقفه وإخلاصه وما ناله مؤخراً من النصر في غزوة الحجاز مما قد يجعل الإمام سعوداً يرى في إعادة ربط الخلاف به مكافأة لإخلاصه وتمكيناً لضمان طاعة حمود الذي فيما سبق كان من حزب إمام صنعاء

لهذا نرى عراراً بجاهر بانفته من الارتباط بعبد الوهاب وعلى أثر ذلك توترت العلاقات بينهما ويظهر أن أخذ عبد الوهاب لخليل مجاهدي بني شعبه عدا ما فيه من النيل والاهانة الموجهة لعرار كان أيضاً يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو الاستيلاء على معدات عرار الحربية مقدما .

وعلى كل حال فقد اتصل عرار برؤساء قبائل رجال المع واتفق معهم على الثورة ضد عبد الوهاب خاصة وكان المقصد من وراء تلك الحركة أن يناوىء سلطته حتى تصل الأخبار بسعود فيرسل من ينظر في الأمر وهناك تسنح الفرصة في رفع استصراخهم وتظلمهم من عبد الوهاب وطلب رفعه عنهم أو على الأقل فصلهم عنه وجعل عرار أميراً منفصلاً على رجاله وبني شعبه مرتبطاً بالدرعية أسوة بحمود .

وكان واسطة الاتصال بين عرار وحمود أمير صبيا منصور بن ناصر وقد سرا بهذه الخطوة من عرار بيد أن عراراً ظل متخوفاً من الخطوة الثانية ، فتوجه إلى أبي عريش لمعرفة مدى المعاونة والمساعدة من حمود فطمنه هذا وعاهده على المعاونة والمقاومة وتأليف جبهة موحدة تقف في وجه عبد الوهاب إن حزب الأمر ، فعاد عرار إلى جهته ولديه بعض الاطمئنان .

لم تخف هذه المحادثات والمؤامرات على عبد الوهاب فرفع بالواقع للدرعية وسار بعد ذلك لمهاجمة رجال المع التي سارعت في الكتابة لعرار تستعجله الوصول لنجدتها .

سارع عرار إلى رجال المع على رأس من اطاعه من بني شعبة بعد أن كتب إلى حليفه حمود يستمده حسب الاتفاقية ورفع إلى الدرعية راجياً إرسال وفد للنظر والتحقيق في مايدعيه من تعديات عبد الوهاب وكان يؤمل أن في استطاعته المقاومة إلى أن يصل الوفد وبوصوله إلى رجال المع تقدم منها إلى الشعبين فلم يصل إلى أطرافها إلا وقد قبض رجال عبد الوهاب على زمام الأمر فيها وقام المطاوعة والفقهاء في الأسواق منددين بعرار معلنين أنه ممن يسعى في الأرض فساداً ، فعاد إلى رجال المع فوجد أن الدعاية قد سبقته

والرعب قد عم أهلها فانسحب عابداً إلى الدرب بصحبته بعض رؤساء رجال
المع ممن يخاف على نفسه من المؤاخذة والعقاب .

علم عبد الوهاب بفشل عرار وانسحابه فتقدم إليه على رأس عشرة آلاف
مقاتل سالكاً طريق عقبة مناظر ووالى تقدمه حتى انتهى إلى مسيل وادي
عتود فسار في مجراه إلى أن وصل إلى موضع يسمى الجنين ثنية جنب وجعل
جبل عكاد على يساره وطرح في الجنين المار ذكرها .

عرار ينسحب من الدرب :

أدرك عرار أن لاطاقة له بالمقاومة فارتحل بأهله وحاشيته وخيله وما
استطاع حملة وبرفته خمسمائة من أهل رجال المع قاصداً حليفه حموداً ،
وتقدمت طلائع عبد الوهاب على قرية الدرب فالفها خالية وعلى أثر ذلك
دخلها الجيش فهدم الحصون واحرق الدور واستولى على كل ما وجدته وأقبل
إليه قبائل بني شعبه والشقيق وعتود فأخذ منهم السلاح وأمنهم وجعل عليهم
أميراً من قبله .

عزم عبد الوهاب على غزو الخلف السلياني ثانية :

عزم على غزو إمارة حمود فبدأ بتجهيز السفن من الشقيق لغزو الحجة
وفي أثناء ذلك أقبل وفد من الدرعية للنظر في الخلاف فتوقف .

الوفد :

وصل الوفد واتفق أولاً بعبد الوهاب وسلمه أمر الإمام سعود وأمره
حالاً بالرحيل إلى عسير وتسريح الجند والتوجه إلى الدرعية فصدع بالأمر
وعاد إلى عسير ومنه تأهب للرحيل إلى الدرعية .

ووالى الوفد سيره إلى أن وصل صبيها فقابل أميرها منصور بن ناصر -
الذي تلقاه بغاية الحفاوة والتكريم ، فسلموه أمر سعود بمثل ما صدر إلى
عبد الوهاب فتلقى الأمر بالامثال والقبول وسار الوفد إلى أبي عريش .

الوفد في أبي عريش :

وصل الوفد فقبله حمود بالحفاوة والاكرام - وكان سخياً بالمال في تلك
المواقف فغمر الوفد بالاكرام وحسن المقابلة وجميل الانعام ، ثم تخابر مع
الوفد بشأن مهمته فسلموه الأمر الذي يقضى بتوجهه إلى الدرعية ومعه عرار
ابن شار ، فلم يسعه إلا التظاهر بالامتثال والقبول - وقد عظم عليه الأمر
وتخرج الموقف - وراح يعدل جاهداً على استمالة الوفد بشتى الطرق محاولاً
إقناعه بضرورة بقائه متعللاً باضطراب الأمور والتخوف من استرجاع إمام
صنعاء للبلاد الجنوبية التي استولى عليها منه باسم الإمام سعود ومظهراً له
استعداده ببعث ابنه أحمد مع عرار ، بدلاً عنه إلى الدرعية فوافقه الوفد
فتنفس نسيماً .

سفر الوفد :

استصحب الوفد أحمد بن حمود والوزير حسن بن خالد وعرار بن شار
وسار إلى صبيا واستصحب أميرها وتوجه إلى الدرعية .

المحاكمة :

وصل الوفد ومن برفقته إلى الدرعية ، فأمر الإمام سعود بانزال أحمد
ابن حمود وحسن بن خالد ومنصور بن ناصر في دار الضيافة وأمر باكرامهم
وكان هناك ينتظرهم عبد الوهاب للمحاكمة .

بدأت المحاكمة بين عبد الوهاب من جهة وعرار وأحمد بن حمود ومنصور
ابن ناصر من جهة أخرى ، فاتهم الأول عراراً بإثارة الفتنة واتهم الآخرين
بمؤازرته وتحريضه ، وأيد دعواه بإبراز وثائق خطية صادرة من حمود
ومنصور بن ناصر إلى عرار ، وانتهت القضية بإدانة عرار في الدرجة الأولى
فاكتفى الإمام بإبقاء عرار لديه والعفو عن الآخرين والسماح لهما بابقائهما على
إمارتهما على أن يرسل معهم عمال من قبله يشرفون على الإدارة في منطقة
حمود وأن يتولى أولئك العمال استحصال الخراج وأن يسلموا منه مبلغاً معيناً
لحمود ويرسل الباقي إلى الدرعية واشترط على وفد حمود .

١ — عدم استخدام رجال همدان إلا إذا دخلوا في الدعوة واستعدوا باجابه داعي الجهاد .

٢ — أن لا يصالح عمال إمام صنعاء ولا يعقد لهم هدنة .

٣ — أن يصرف لأمر صبيها مبلغاً من خراج الحجة .

أما منصور فقد أعاده لإمارة صبيها كعادته على أن يرتبط في شئون الجهاد بعبد الوهاب كما كان سابقاً بيد أن عمه حمود لم يف له بالشرط الأخير مما أوجب الخصومة بينهما كما ستقرأها مفصلاً .

حمود بعد رحيل الوفد :

بعد رحيل الوفد — كما مر بك قبله — توجه حمود إلى اليمن وكان عامله على حجة قد ألح عليه في إرسال النجدة ، موضحاً أن الإمام قد جرد جيشاً قوياً لاستعادتها فسار إلى مور ومنه سير قوة إلى الصلبة موضع قريب من حجه — فتمكنت من شق الطريق لعامله المحصور فانسحب من حجة على رأس الحامية بسلام .

وفي عام ١٢٢٠ ابتداءً في إقامة الخلود الشرعية — ونرى أن في إقامتها من قطع يد السارق وقتل القاتل وجلد الزاني المحصن ، ما يشعرونا برغبة في التقرب من السعوديين الحريصين على إقامتها ، كما يوضح لنا أن تسجيل مؤرخي ذلك العهد لها دليل على عدم إقامتها قبل ذلك التاريخ ، وكان لإقامتها هبة قطعت دابر الفساد ووطدت دعائم الأمن في أنحاء إمارته ، وبعد أن استنفذ عامله عاد إلى قلعة مور ينتظر ما تسفر عنه نتيجة مهمة وفده إلى الدرعية .

في أثناء تلك المدة انتهى أمد الهدنة المعقودة بينه وبين عامل الحديدة صالح بن يحيى العلني الذي استدعى جماعة من يام كجنود مرتزقة فوصلته الكتب من الشيخ علي بن حميدة رئيس قبائل القحرية بأن صالحاً عازم على مهاجمة معقل القحرية فبعث إليه بقوة من رجاله ووعد بالوصول بنفسه بعد ذلك .

الحرب بينه وبين صالح العلفي :

ولى صالح ابن أخيه قيادة الجنود المرتزقة من يام وسيرهم لمهاجمة معقل الرئيس على حميدة وفي أثناء تسيير تلك الحملة توفي علي حميدة فصار الأمير حمود بنفسه من مور إلى القحرية في أوائل شهر رمضان من تلك السنة .

المعركة :

وبالقرب من مدينة باجل التحمت المعركة بينه وبين جند عامل الحديد صالح وقبائل من يام - فانهزمت يام بيد أن فريقاً منهم لم يشترك في المعركة أغار على ساقه حمود واستولى على خزائنه وجميع الذخيرة والمؤن والريق .

الخداع :

كان الأمير حمود يرسل اليامين المتجندين مع صالح - عاملاً على استمالتهم لجانبه ، وكان صالح يبلوره يعمل جاهداً على استمالة جند حمود - الذين هم من قبائل بكيل - وأخيراً تمكن صالح من استمالة بكيل وفعلاً انضموا إلى معسكره .

وقامت يام كنتيجة لمساعي الأمير حمود بالشغب على صالح والإلحاح في مطالبته بأعطيتهم ، وأخيراً اتفق معهم على أن يسلمهم أعطيتهم على أن يتوسطوا بينه وبين الأمير حمود على هدنة لعام واحد ، فقاموا بذلك وأعادوا إليه ابن أخيه واستلموا أعطيتهم وتوجهوا إلى نجران .

تعمير حصن باجل :

أقام الأمير حمود في باجل إلى أن تم تعمير حصن باجل ورتب أمورها ، وفي أثناء ذلك وصله الوفد الذي بعثه إلى اللرية لقضية المحاكمة يرافقه نواب الإمام سعود الذي بعثهم للاشراف على الإدارة واستحصال الخراج .

عمال الإمام سعود في تهامة اليمن :

استقبلهم الأمير حمود أحسن استقبال وأظهر استعداداً لانفاذ كافة أوامر سعود ووزع العمال وأموري الخراج في اللحية وغيرها وبعث جماعة

لاستحصال زكوات المواشي ، وعدا ذلك فقد أجزل لهم الصلات مما دفعهم إلى الرفع لسعود بصدق ولائه وقيامه بانفاذ الأوامر ووفائه بكافة الشروط التي اشترطها وتعهد بتنفيذها نيابة عنه وفده مقابل اقراره على الامارة ، وعند اطلاعه على مرفوعات الوفد اطمأن وأخذ في العمل على توسيع رقعة إمارته ضاربا بالصلح المبرم بينه وبين صالح العلفي عرض الحائط ، وبعد أن وصل إلى تحقيق بعض رغباته في التوسع جدد الصلح مع صالح وعاد راجعاً إلى أبي عريش بعد أن أناط أمر القبائل برؤسائهم المحليين كالآتي :

١ — على إمارة القحرية ابن علي بن حميدة .

٢ — على إمارة العبوس محمد جماعي .

٣ — على إمارة الرماة علي بن محمد الرامي .

وبعد وصوله مور رغب في الإقامة واستصلح مساحة واسعة من الأرض وساق إليها المياه ، وفي نفس تلك السنة أي ١٢٢٠ اختط مدينة الزهرة وأمر الناس بسكنائها وشيد بها معقلا حصينا .

صالح العلفي عامل الحديدة :

في المحرم عام ١٢٢١ وصله كتاب من غالب أمير مكة — ويظهر أنه على صلة صداقة به قبل ذلك — يذكر له دخوله في طاعة السعوديين ويلدح له أنه يرى من مصلحته أن ينضم إلى السعوديين ويشير عليه أن يتصل بعبد الوهاب ابن عامر — وكان صالح في تلك الأثناء قد شعر بسخط إمام صنعاء عليه وعزمه على مصادرة أمواله — فكتب صالح لمرجهه بأن مهام مركزه تحتم عليه الخروج من الحديدة إلى بيت الفقيه لتفقد أحواله واصلاح أمور قبائلها — وكان غالباً كان على اتفاق مع عبد الوهاب فيما كتبه صالح ، فما وصل هذا إلى بيت الفقيه حتى وردته كتب عبد الوهاب يطالبه بالدخول في الطاعة كما دخل أمير مكة ويحذره وينذره من التواني والتخلف ، وأنه قد أمر عمال الإمام سعود في اللحية بالوصول إليه كما أمر السرايا السعودية أن تتصل به وتتبع أوامره ، عند ذلك سارع إلى الدخول في الطاعة وكتب بذلك .

لعبد الوهاب وألحقه بآخر يستمده لغزو الحديدة — لأن رجال إمام صنعاء عند ما علموا باتفاقه مع عبد الوهاب حجزوا أمواله وأولاده بها — وكان قد وصله مشايخ بادية زبيد يطلبون منه إرسال عمال إلى جهتهم باسم الإمام سعود وتعهّدوا بقبض عامل إمام صنعاء وتسليمه للسعوديين فأرسل معهم من لديه من الجنود السعوديين .

علم أهل مدينة زبيد بالواقع وتقدم السرية السعودية إليهم فأنحازوا إلى القلعة وتركوا المدينة فاستولى عليها السعوديون ونهبوا ما وجلوه وعادوا إلى صالح — بعد أن ابقوا حامية في قرية التحيتا .

رفع صالح بالواقع لعبد الوهاب واستمده بارسال الجنود فصادف اشتغاله بغزو نجران الذي عاد منه بالهزيمة فوعده بارسال الجنود ، وذلك في شهر رجب عام ١٢٢١ .

الأمير حمود بن محمد الحيراني :

أما حمود فكان مشغولا في حرب شيخ قبيلة صليل الكلفود ، وكان الوضع السياسي في تهامة :

١ — من أبي عريش إلى بلاد صليل تحت إمارة حمود بن محمد .

٢ — بيت الفقيه إلى التحيتا تحت إدارة صالح بن يحيى العلني .

٣ — الحديدة إلى باجل تحت طاعة إمام صنعاء .

اغتم الأمير حمود الفرصة — وكانت المنافسة بينه وبين صالح بن يحيى العلني على أشدها — فأرسل سرية للاستيلاء على الحديدة — وكانت ضمن المنطقة التي صلّرت الأوامر السعودية باناطة أمر الدعوة في أرجائها إلى صالح بن يحيى العلني — فاستنكر ذلك عامل سعود ، فأجابه حمود أن المسلمين يد على سواهم وأنه هو وصالح في طاعة الإمام سعود .

نظر صالح إلى هذا التصرف من حمود بعين الريية — لأن الحديدة ضمن المنطقة التي خصصت لعمله حسب الاتفاق المبرم بينه وبين عبد الوهاب الذي

بموجه تخلى عن طاعة إمام صنعاء وانضوى على أساسها تحت الراية السعودية .
في ذلك التاريخ وصل وفد من عبد الوهاب إلى صالح يحمل كتاباً وهدية
ومهمته الحقيقية التعرف على أحواله ومعرفة مدى إخلاصه وصدق ولائه ،
مر الوفد بحكم اتجاه سيره على حدود ، فتلقاه بالحفاوة والتكريم والصلوات
الجزيلة واستعرض لهم مقام به من الأعمال في نشر الدعوة وما ضمه من البلاد
إلى طاعة الإمام سعود وما يزمع على عمله في مستقبله ، ومن ضمن ذلك أنه
بعث سرية إلى الحديدة لإنقاذ أموال وابناء صالح بن يحيى العلفي والاستيلاء
عليها ، وانه عند الاستيلاء عليها سوف يرفع للإمام فإن أناط أمرها به أو
بصالح فالأمر له وبالنسبة انه منطلق عليه مسحة من الاقتناع فلم ير الوفد في عمله
ما يوجب الانتقاد ، وكاظهر لما هو عليه من القوة والاخلاص بعث في
الوقت نفسه وتحت أنظار الوفد سرية بطريق البحر لمساعدة صالح وحماية
حصن الدريهمي من أى قوة لإمام صنعاء تحاول مهاجمة صالح في بيت
الفقيه - قبل وصول الإمدادات إليه من عبد الوهاب - إلا أنه بعد ذلك
وصلت الامدادات من عبد الوهاب لصالح فاستتب له الأمر نسبياً .

الاستيلاء على مدينة الحديدة :

انتهى حبود من إخضاع قبيلة صليل ، وقام ببناء حصن في القناوص
وترك به حامية وسار إلى أن عسكر في ظاهر قرية القطيع من الشرق - ليقطع
إمدادات إمام صنعاء عن حاميته في مدينة الحديدة المحاصرة من قبل سريته
الأولى - وكتب من معسكره إلى عمال الإمام سعود يستحثهم في الوصول
بجميع من في تهامة من غزاة النواصر وقحطان ، ورجا منهم أن يطلبوا من
الجنود العسيرين المرابطين في الدريهمي الانضمام إلى قواته فاستجاب الجميع
لندائه ، وبذلك اشتد زنده وقويت شوكته ، وكان جواسيسه يوافونه أولاً
بأول عن تحركات قوات إمام صنعاء القادمة لنجدة حامية الحديدة ، فلم تدن
إلى تهامة إلا وهو على غاية الأبهة للاقائها والدراسة التامة والمعلومات الوافية
بكل ما يهدده عنها من الوجهة الحربية ، فهزمها شر هزيمة وأعادها مدحورة على
الأعتاب ، وهناك تفرغ لأمر الاستيلاء على الحديدة ، فبعث أغلب الجنود

لشد أزر القوات المحاصرة لها وتضييق الخناق على حاميتها المحصورة حتى أرغمت على التسليم فاستلم المدينة قائده يحيى بن حيدر ، وبعدها دخلها الأمير حمود في موكب حافل وظهر شعار الدعوة السعودية واستدعى عمال الإمام سعود لحصر الأموال وأعلن أنه استولى عليها باسم الإمام سعود .

ومن ثم أخذ في العمل الجاد في ضم ما هو داخل بعهد صالح بن يحيى العلي و انفاذاً لخطته تلك بعث أحد اقربائه محمد بن علي فارس على قوة من أهل نجد والدواسر - وأمره بأن يتظاهر بأنه مدد ونجدة لمساعدة صالح العلي على أهل زبيد - وزوده بكتب إلى مشائخ الزرانيق والقرشيين وأهل التريسة يطلب منهم أن يعاهدوا قائده على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية وتعهد لهم بأن يولى كل شيخ منهم على إمارة جهته - في حال أن القوم قد عاهدوا صالحاً على السمع والطاعة والدخول في الدعوة السعودية - فمنهم من استجاب لقائد حمود ، ومنهم من تردد ، علم صالح فتقدم على رأس من لديه من عسير وقحطان مسرعاً للاستيلاء على زبيد قبل أن تسبقه عليها قوات حمود فلم يصل إلى ضواحيها إلا وقائد منافسه يباريه من الجهة الأخرى فسارع بالهجوم على قلعة زبيد الذي تحصن بها عامل إمام صنعاء ، فاتصل هذا العامل بقائد حمود وفاوضه في أمر تسليمه القلعة على شرط أن يحتفظ بأمواله والأموال الحكومية فرفع القائد إلى حمود فورده الموافقة مع مدد من الجنود لطرده صالح وإرغامه على الانسحاب من الميدان ، فصعد القائد بالأمر واستعد بالهجوم على قوات صالح ومباشرة طردها فحجز عمال الإمام سعود بين الطرفين وأشاروا على صالح بالرجوع والرفع إلى عبد الوهاب فرجع إلى بيت الفقيه .

وصلت رفايعات صالح إلى عبد الوهاب بن عامر ، وصادفت عزمه للحج وبعد أن أتم نسكه عرضها على الإمام سعود وأدلى برأيه للإمام نحو ما يراه من ضرورة تأييد صالح ليكون في ذلك حفظ لكفة التوازن في تهامة بخلق منافس لحمود حتى لا يخلو له الميدان موضعاً ما يخشاه من مطامع حمود وما

يلمسه من عدم إخلاصه ، فأمر الإمام بإرسال طامي بن شعيب على رأس وفد إلى اليمن للدراسة الموقف وتسوية الخلاف .

اتصل ذلك بعلم الأمير حمود فسارع بالتقدم إلى زبيد لادخال القبائل التي لم تدخل في طاعته إذا وصل طامي لم يبق لصالح إلا بيت الفقيه .

وصول طامي بن شعيب :

وصل طامي إلى الدريهمي ، وهي تحت سلطة صالح ، وكتب له في الوصول لمقابلته فوصله صالح وتفاوض معه حول ما انتدب له ، وكان صالح في ضيق من الحال لم تمكنه من إضفاء كرم الضيافة ، ويظهر انه رجل يعتمد على إخلاصه وصدق ولائه ، وليس هذا كل شيء في عرف طامي ، ويقال أن طامي صرح بعد تلك المواجهة قائلا : كنا نظن صالحاً أحد رجلين ، إما صاحب دين فيصبر على البلى والغرابيل حتى يصل إلى ما يطلبه ، وإما طالب ملك فيسمح للجنود بما عنده من مال حتى يتوفر له إخلاصهم ونصرتهم . ولم يكن أحد الرجلين . فالدين هو عنه بمنزل — وأما الملك فما قام بحقه ، وهذا حمود يستميل الناس إلى طاعته باظهار العدل وبذل المال ونشر الدين فما يتخلف أحد عن إجابته ..

ويقال أن أحد خواص صالح أشار عليه إذا كان لديه شيء من المال يتألف به طامياً ورؤساء عسير الذين برفقته وأن يقوم بكفائتهم وواجب ضيافتهم ليكونوا في جانب حقه الواضح فلم يصنع إلى مشورته .

اتصل طامي بالأمير حمود فوجد لديه كل ما تصبو إليه نفسه . وقال له كلنا تابعون لسعود ، وما تقدمنا إلى الحديدة وزبيد إلا لما نعرفه من ضعف همة صالح وخشية من تمادى يد قوات الإمام الزيدي وهي الآن بتدبير الله ، ثم تدبير الإمام سعود ، وشفع ذلك بكرم الضيافة وضافي البر وعرض استعداده بكل ما يلزم لطامي ورفقته من مال وزهاب وركائب وغير ذلك . فلم يكن همه بعد ذلك إلا الطلب من حمود في عدم التعرض لما بقي تحت يد صالح في الوقت الحاضر — حتى يعرض لسعود ما لديه — ثم رتب منطقة صالح ورحل مثقلاً بوافر العطاء وجزيل الصلات .

وكانت النتيجة لمهمته وصول الأوامر بتأييد الأمير حمود على الحديدة وزبيد وكل ما استولى عليه فلم يسع صالح إزاء ذلك إلا الانضمام إليه والرضوخ لمصالحته على أن يقره على إمارة بيت الفقيه فقط .

بذلك استتبثت الأمور لحمود فأناوب ابنه أحمد بن حمود على زبيد بعد أن عمر سورها وعاد إلى أبي عريش وقد امتدت إمارته من زبيد جنوباً إلى اللرب شمالاً ، وذلك في عام ١٢٢٢ هـ .

في أواخر تلك السنة توجه الأميران منصور بن ناصر وعلي بن حيلر للحج والشكوى على سعود من قريبهما الأمير حمود فأرسل معهما محمد ابن دهمان على رأس ثلاثة آلاف رجل فخيم بظاهر مدينة الزهرة ، واصلح بينهما وبين الأمير حمود وأخذ على كل منهما العهد ، ثم سار بهم إلى غزو قبيلة قيس ، وعاد الأمير منصور إلى إمارته في صييا في صفر عام ١٢٢٣ .

بواخر الخلاف :

في عام ١٢٢٣ بدأ حمود يسفر عن صفحته ويفصح عن مقاصده في أمر استقلاله بتهامة عن السعوديين وصرح لرسلم بما يفهم منه الخلاف ، واتصل الخبر بعبد الوهاب بن عامر ، فسر بذلك آملاً أن تسنح له الفرصة في حمود الذي لا يزال في ريب من إخلاصه منذ أخذ في محاولة التخلص من ربطة بادرته .

وصلت الأخبار إلى اللرية بخلافه ، فصلرت الأوامر إلى عبد الوهاب بغزوه ومضى عام ٢٣ في الاستعداد والتأهب من الجانبين ، وفي عام ١٢٢٤ تقدم عبد الوهاب بن عامر على رأس حشوده المتكاثرة صوب الخلاف وخرج حمود من الزهرة للملاقاته على غاية الأهبة والاستعداد ، فوصل أبا عريش ، ومنها نهض لصدده وملاقاته .

المعركة :

التقى الجمعان في وادي بيش وكانت معركة من أشد المعارك هولا — ولا يقل المشتركون فيها عن أربعين ألفاً — وبين الخصمين من العداوة والبغضاء

ما جعل كلاً منهما يفرغ جهده ويستعد لهذه المعركة بكل ما أوتيته من قوة واقتدار — ودارت رحا القتال كأشد ما يكون هولا وانتهت بعد ما حقلت الدماء غلرانا وملأت الأشلاء رحاب ذلك الوادي الحصب انتت المعركة المهولة بهزيمة حمود وانسحابه إلى صبيا بعد أن تمزق شمل جيشه ، وفي مساء ذلك اليوم جرى إلى الأمير منصور بن ناصر — الذي كان مشتركاً مع عمه — بسلب نفيس وفرس كريم ادعا حامله انه قتل صاحبه فعرف في الحال أن الفرس فرس عبد الوهاب والسلاح سلاحه فأخبر منصور عمه حمود ، فخفف ذلك لديه مرارة الهزيمة ، وكان له بذلك أكبر العزاء فيما أصاب جيشه ، وسارع حمود إلى أبي عريش ليحصنها ويستعد فيها للمقاومة ، وبقي منصور في صبيا .

اجتمع رأي قادة الجيش السعودي بعد قتل قائده على إقامة من ينوب عنه ورفع الخبر إلى الدرعية ، ووالوا الزحف لتعقب فلول الجيش المنهزم واستولوا على صبيا فوالاهم منصور بن ناصر ، بيد أن اتفاقه معهم لم يطل ، فقد التجأ بعده إلى عمه حمود في أبي عريش فترك الجيش السعودي حامية في صبيا وعاد إلى السراة .

الحالة بعد معركة :

بعدها ظل الخلاف مسرحاً ومراحاً للغارات السعودية إلى عام ١٢٢٥ الذي تقدمت فيه القوات السعودية بقيادة عثمان المضايقي إلى تهامة إلى أن بلغت العبسية محتاجة كل ما أمامها وعادت مثقلة بالأسلاب والغنائم ، كما غزى طامي بن شعيب اللحية ونهب أموال أهلها نهباً فادحاً وارتركب من القسوة واهدار الأرواح البريئة ما أورث الرعب في تهامة بأسرها ، وقد اعترض الأمير حمود له في أثناء قفوله والتقى به في موضع يسمى بربر ، بواء موحدة بعدها راء مهملة فباء موحدة وراء مهملة على وزن جعفر غرب جنوب أبي عريش ، فلم يظفر وعاد مهزوماً ، وواصل طامي سيره ، وفي طريق عودته لاقاه مجاهلو رجال المع — الذين تأخر خروجهم معه — فخيرهم بين غزو قلعة ضمد أو قلعة بندر جازان ، فاخترأوا الأخيرة وتقدموا فاستأصلوا حاميتها .

وفي تلك السنة أيضاً عاود طامي بن شعيب غزو اللحية ، ثم تقدم فغزا الحديدة ، كما وصلت قوة أخرى بقيادة محمد بن أحمد الرفيدي واستباحت قرية الشقيري .

الوضع السياسي في تهامة :

في عام ١٢٢٥ كان الوضع السياسي كالآتي :

- ١ — من صبيا وشمالاً تحت السلطة السعودية .
 - ٢ — من أبي عريش وجنوباً إلى زبيد تحت سلطة حمود — تراوحو وتغاديه الغارات السعودية .
 - ٣ — القسم الأعلى تحت سلطة الأئمة الزيديين .
- وكان الأمر غير مستقر في القسم الثاني نظراً للغارات السعودية المتكررة وقد شعر الأمير حمود بخطر الموقف فتدخل بالوساطة أمير صعدة — الذي كان موالياً للسعوديين — بين الإمام سعود والأمير حمود بأن يتنازل الأخير عن صبيا وبيش ويدفع خراجاً سنوياً للإمام سعود عن ما يملكه من أبي عريش إلى زبيد .

وكنتيجة لتلك الاتفاقية استقرت الأمور في وضعها الطبيعي ، فالتفت حمود إلى إصلاح ما أفسدته الحرب ، وتفقذ مزارعه الواسعة وأملاكه الشاسعة وتعمير المعامل والحصون — أما الشعب في تلك العهود فليس له حظ في الإصلاح ولا نصيب في دخل الدولة ، أو بالأحرى في إيرادات الإمارات — وحسبه الأمن والاستقرار .

اشتغل السعوديون من ابتداء عام ١٢٢٦ بحروب محمد علي — الذي انتدبه تركيا للقضاء على تلك النهضة العربية ، فبعث ابنه طوسن ، اشتغلت الدولة السعودية بذلك طبعاً عن حمود وما هو أهم من ذلك .

وفي عام ١٢٢٨ اختط حمود قرية مختارة في بلاد الشرف ، وبني قلعته بها واختارها لسكنائه ، وفي عام ١٢٢٨ توفي الإمام سعود ، فخلفه ابنه عبد الله بن سعود .

غزو جيوش إمام صنعاء :

لم ينس إمام صنعاء ما أسلفه حمود ، فاغتنم فرصة انفراده بالحكم ومباينته للسعوديين ، وبعث جيشاً قوياً لمهاجمته في مقره بقرية مختارة ، فواصل الجيش تقدمه حتى أشرف على القرية فبرز إليه حمود ، والتحم القتال فني جيشه بخسائر جسيمة ، وجرح الأمير نفسه وحجز بينهم الليل ، فعاد كل فريق إلى معسكره ، وشعر حمود بأن الجيش اليمني سوف يباكره القتال فاستعمل دهاءه المعروف — الذي طالما أسعفه في أخرج المواقف — فلدس إليهم تحت جناح الظلام من تمكن من إيصال الرشاوي الجزيلة فلم تشرق الشمس إلا وقد سوى الأمر وتمت الصفقة ، وبعد أيام معلودة قوض الجيش المهاجم خيامه وعاد من حيث أقبل .

التنافر والشحناء بين الأمير وقرابته :

بالرغم عن الصلح المبرم بين الأمير وابني أخيه علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر على يد القائد السعودي محمد بن دهمان ، فإن الصفاء لم يسد علاقاتهم ، ففي عام ١٢٣٠ لمس الأمير من ابن أخيه الآخر يحيى بن حيدر ما أوجب الزج به في السجن فغضب الأميران علي ومنصور ، ورحلا إلى مكة المكرمة ، وهناك اتصلا برجل محمد علي ونائبه على الحجاز حسن باشا ، وبثاه شكواهما من الأمير حمود وشرحا له أن الظلم لا يزول عن اليمن إلا بالقضاء عليه ، فمنيانه ضم البلاد إلى دولته إذا ساعدهما ضده وطلبا منه امدادهما بجيش ليستوليا على اليمن باسم دولته ، فوعدهما باجابة طلبهما متى انتهت حربهم مع السعوديين وخبرهما في الإقامة تحت رعايته في أي محل يختارانه من الحجاز ، فاختارا الإقامة في حلي ، فأجرى عليهما المقررات من حاصلات القنفذة ، فكثا هناك إلى أن سار سنان باشا ، إلى عسير على رأس حملته المعروفة ، فراقباه ، وبعد دنو الحملة من عسير رجع علي بن حيدر إلى حلي وبقي منصور مع الحملة فقتل .

مع سنان — كما سيمر مفصلاً في أخبار عسير — وقد ظل علي بن حيدر في حلي إلى أن سار بعد ذلك مع خليل باشا إلى اليمن ، كما سيأتي مفصلاً .

وفي عام ١٢٣٠ توجه الأمير حمود من مختارة إلى القسم الشمالي ، ولم يدخل مدينة أبي عريش بل عسكر في قرية الجربة في طريقه لغزو جبل سلا .

فرار طامي بن شعيب إلى المخلاف السلياني :

وصل طامي فاراً من قوات محمد علي — راجع أخبار عسير — وصل إلى قرية « مسلية » ومنها فر إلى قرية الحقو ، ثم نزل إلى قرية الدهنا ، عند العلامة يحيى بن حسن النعبي — وكان من ذوي المكانة العلمية والجاه المكين في المخلاف فبثه ما قاساه من الشدائد وطلب رأيه في القلوم والالتجاء إلى حمود فأشار عليه بعدم الركون إليه ونصحه بأن يختفي في الجبال الشرقية ، فلم يصنع لنصيحته ويمم قاصداً حموداً في مختاره ، وكان النائب على المخلاف وزيره العلامة حسن بن خالد مقبياً في حصن ضمد ، فاتصل به خبر وصول طامي إلى المخلاف فسارع على رأس قوته واحتل صبيبا ، وبعث من مكانه سرية إلى الدهناء للقبض عليه فالتقت به السرية ، صحبة صديقه النعبي فاقناده أمامهم إلى صبيبا ، وبمجرد وصولهم به إلى الوزير أمر بتكيله بالحديد ، وبعد ساعات قلائل وصلت سرية من فرسان محمد علي انتدبت لمطاردته — ساعة فراره من السراة — فدخلت صبيبا فسلمه لها حسن بن خالد ، فعادوا به إلى عسير .

حمود بن محمد :

بعد هذا التاريخ عظم أمر حمود وأصبح ملكاً مطلق التصرف مرهوب المكانة ، وقد اتسعت رقعة مملكته حتى امتدت حدودها من زبيد جنوباً إلى أقصى جبال السراة شمالاً .

اتصالاته بمحمد علي :

إن انتصارات محمد علي قضت على الملك حمود بالاتصال به وإنشاء العلاقات الودية — وكان بالطبع بداية تلك العلاقات تسليمه طامي بن شعيب

لرجال محمد علي - بدون مساومة ولا تردد - وبعدها بأيام قلائل كتب لمحمد علي ، ثم شفع ذلك باهدائه أربعة رؤس من كرائم الخيل مع كتاب لم نظفر بنصه وإنما نستشف مضمونه من نص جواب محمد علي باشا الذي نقل لك نصه :

وبعد فقد وصلت إلينا كتبك الثلاثة مشعرة باستقامتك مسفرة عن سلامتك وشهامتك منبئة عن طلب جزيرة فرسان ، وعن حال رجال المع ، وأهل الدرب ، ومن قدمناه على بني شعبة وبالأخص (هكذا) عن مسلية وأم الحشب والسلامة ، وأن المذكورات كانوا بأجمعهم لأمرك منقادين واحلت معرفة ذلك جميعه على الحاضرين والبادين ، فليكن في علمك أنه قد بلغنا ظلمك في الرعية مركباً من الراحة عرية والظلم مرتعه وخيم وهو إن دام دمر كما أخبر به النبي الكريم ، ونحن ما بلغنا من تلك الأراضي المبالغ وطوعنا منهم العاصي فلا فرق بين الشيخ والبالغ إلا طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى باستمache أهلها من النصب والوصب وتسبياً لابتهاج ولي نعمتنا الذي أفاض الله علينا بملاحظته بفيوض الفتوح وصب ، وقد استشعرنا من الواردين علينا أنك ما حملك على ما حمل واركبك الوعر بظلم من قل وجل إلا توارد الوهابية إلى جهاتك وطلبهم من الدنيا الدنية ما لم يكن مقلوداً لك ولا لمن بمواجهتك فعذرناك فيما سلف من الأمور وأدرجناه في خبر زيد لعسرو ، وبعد اليوم أن ان استرعيت رعتك بالرفق والشفقة وهم أهل بلدك الذين قلوبهم على محبتك متفقة غير مفترقة وسمعنا من الصادر والوارد استعذبوا منك ما اجن من الموارد ، نترجى لك عند حضرة ولي نعمتنا في استرعائك على من اخبرت أنهم من سابق رعاياك وانه لم يخرجهم من طاعتك إلا من مانعك من الوهابية وعايك فلعله لا يرد طائر رجائنا مهيض الجناح ، وعساه أن يداوي مريض آلامك بمرهم النجاح ، فإن مولانا السلطان نصره الله هو مالك زمام حلنا وعقدنا ومرجعنا في كل الأمور إليه ولا نستطيع نحدث أمراً من عندنا ، فكن رعاك الله من الرعية الذين راعوا من استرعاهم وما راعوا بالخالفه من رعوه ورعاهم ، ونطلب سلامة العقبى بدعاء الفقير لك ، إياك وإياك أن

تهلك باقحام الأخطار فيمن هلك ، فإن شمس العدالة بها تنزاح ظلم الظلم وتنجاب واحذر دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين الله حجاب ، فلا يبلغنا عنك صلور ما يوغر الصلور ظاهراً وباطناً ويستثير ما كان في الافئدة كامناً فالحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من أولاد الحسين أسوأ واخشن ، والمأمول هو الله سبحانه أن نجد هذه النصيحة لك كافية » فإن العصا تقرر للحليم والحكيم من شاهد الأمور قبل وقوعها كما هي .

هذا وقد وصلنا كتابك الرابع متضمناً لارسال هديتك ذات الحسن الرائع وهي الأربع الخيول التي لها من الحسن غرر وحجول ، فقد حلت عندنا محلاً بالقبول على ما اظرفها من هدية جميلة مقدمة عندنا على كافة الهدايا الجزيلة .

وما أحسن الشيء النفيس إذا أتى إلى أهله من أهله في محله

وفيما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا كما هو المعهود من شيمتك البهية ، وفقك الله لكل محمده سنيه بمنه وكرمه ، وذكرت لنا حفظك الله تعالى أنا لا نسمع فيك كلام الحساد الذين يسعون في الأرض فساد ، فنحن ما أصغينا سمعاً قبل ذلك ونكره ذلك طبعاً غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات مفصلاً عندنا من قبل ست سنوات ولو كشف الغطاء ما زدت على علمي يقيناً والسلام ، انتهى .

غزو محمد بن أحمد المتحمي :

في عام ١٢٣١ تحرك محمد بن أحمد المتحمي لغزو الخلاف ليثار من الملك حمود بقريه طامي بن شعيب الذي سلمه الأخير لرجال محمد علي باشا .

اتصل خبر هذا الغزو بعلم الملك حمود فأخذ في الاستعداد وتقدم إلى جهة الدرب للملاقاته ، وهناك في يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب ١٢٣١ دارت رحا المعركة وانتهت بهزيمة المتحمي وعودته إلى عسير .

عاد حمود تحقق على رأسه ألوية النصر فتفرغ لشئون مملكته ، وأطلق يد

وزيره الحسن بن خالد في تدبير أمورها وإدارة شئونها فشمر هذا عن ساعد الجدد والف رسالة في التوحيد ونشرها في البلاد ، وألف هيئات تتجول للإرشاد والحث على إقامة الشعائر الدينية .

وفيها غزى الجبال اليمنية واستولى على جبل كحلان ، وعاد إلى المختارة ظافراً واستمر على إدارة البلاد إلى عام ١٢٣٢ ، وفي تلك السنة بلغه أن محمد أحمد المتحمي يقوم بحركة تجمع لغزوه فتقدم حدود إلى وادي بيش وأقام بها زهاء شهرين وعندما اطمأن من عدم نزوله عن قبيلة بيش المعروفة في شرق الخلاف السليمانى .

وفي عام ١٢٣٢ كان غزو حسني باشا لبلاد عسير - راجع أخبار عسير - وبعد استيلائه عليها عاد إلى الحجاز فوقع الخلاف بين العسيرين وتحزب أكثرهم مع الحامية التركية ضد رئيسهم محمد بن أحمد المتحمي وعلي ابن مجتل فاتفق الرئيسان على الاستعانة بحمود واستدعائه لتولي أمر عسير ، وصادف هذا رغبة جارفة في نفسه وأمنية طالما خفق لها قلبه الطموح فسارع إلى بعث جيش لنجدتهما بقيادة الوزير الحسن بن خالد الحازمي .

تقدم الحسن بن خالد إلى عسير :

سار ذلك الجيش بقيادة الوزير تتقدمه طليعة من الفرسان برئاسة القاضي حسن بن عطيف الحكمي حتى استقرت الطليعة في رجال المع والحسن بن خالد في الحمة ، وهناك علم أن قوة من الجيش التركي بقيادة جمعة باشا يرافقها الأميران منصور بن ناصر وعلي بن حيدر تزحف إلى عسير فلاقاهم واشتبك معهم في معركة أودت بهزيمتهم ، وتقدم إلى عسير تتقدمه طليعته بقيادة حسن ابن عطيف الحكمي حتى إذا توسط في جبال السراة شعر بما يتهدد جيشه من العسيرين ، وتخرج موقفه فلم يستطع التقدم ولم يقلر على الانسحاب ، فاستنجد حمود فسار بنفسه على رأس جيش قوي لنجدته وتمكن من إخضاع عسير لأمره .

وفي عام ١٢٣٣ إنهالت عليه قبائل جبال السراة وتظاهروا بالانتظام في

سلك طاعته ، ويقول صاحب الديباج الحسرواني الحسن بن أحمد العاكشي ، أن قبائل السراة أظهروا الانضمام في سلك طاعته مع أن قلوبهم مريضة ويعتقلون أن قتاله مع القلرة فريضة .

وبينما هو يؤلف القلوب ويوطد الأمور ، وافته الأخبار بتحريك سنان باشا على رأس حملة قوية وبرفقه خصماه الأميران علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر — وقد شاءت الأقدار أن يتأخر علي بن حيدر ، ويعود من أثناء الطريق ويبقي منصور في صحبة الحملة .

زحف الجيش الجرار صاعداً قم السراة فاستعد حدود لمواجهته ، وكان قد ألم به المرض ، ومع ذلك فلم يهن ولم يتضعضع وجابه الواقع بما ينبغي من البسالة والحزم .

المعركة :

التقى الجمعان ودارت رحا المعركة واستعمل السلاح الأبيض فولى الجيش التركي الأدبار ، وكان أهل السراة متربصين بالفريقين في رؤوس الجبال وفي مضائق الأودية وأطراف الشعاب — ينتظرون بفارغ الصبر لمن تكون الغلبة — لينقضوا على المهزم قتلاً وسلباً ، فلما اتضح لهم انهزام الأتراك انقضوا عليهم وتعقبوا فلولهم المذعورة ، ومن جملتهم فريق من الحملة على رأس سنان باشا ومنصور بن ناصر لحقهم العسيريون في العقبة المسماة (تسيّة) فقبضوا عليهم قضاء مبرما بما فيهم سنان ومنصور .

بعد المعركة :

عاد الملك حدود إلى معسكره ظافراً وقد تزايدت عليه علة المرض فلزم الفراش حتى أدرسته الوفاة في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول عام ١٢٣٣ فدفن في موضع يسمى الملاحة من بلاد بني مالك في السراة — تغمدته الله برحمته .

الملك حمود :

ان سيرته الشخصية سلسلة من البطولة والبطولة الفائقة استطاع كأمير
وكمملك أن يقف في القمة من أحداث زمنه وسياسة عصره ، وهو ألمع
شخصية في أسرة آل خيرات .

اختط مدناً وضرب اسمه على السكة - ولم يسبق لأحد من أسلافه
ذلك كان سكة نقوده عليها اسم أبي عريش ، ثم ضرب السكة الثانية في
عام ١٢٢٨ في مختارة ، وثالثة ضربت في مدينة الزهرة ، ورابعة باسم زبيد ،
أيام عمالة ابنه أحمد بن حمود عليها .

ومن آثاره :

١ - اختطاط مدينة الزهرة في وادي مور سنة ١٢٢٠ هـ .

٢ - اختطاط مدينة مختارة في بلاد قيس عام ١٢٢٧ .

٣ - عمر قلعة بندر جازان التي الآن في قسم منها مركز اللاسلكي وعمرانها
الحالي على يد الأتراك الذين جددوا عمرانها بشكلها الحاضر .

٤ - جدد عمارة سور مدينة زبيد .

٥ - عمر سور مدينة الحديدة .

أنشأ جامعاً في باطن سور الديرة على القباب وأتم بناءه على شكله الباقي
إلى حال تاريخه الأمير الحسين بن علي بن حيدر - ولا يزال محتفظاً بشكله
إلى هذا التاريخ في الجنوب الغربي من مدينة أبي عريش .

٧ - وقف خمسمائة معاد على الثمانية الأصناف ووقف على العلماء والمعلمين

ولد عام ١١٧٠ وتوفي عام ١٢٣٣ .

وثيقة تاريخية عن العهد السعودي الأول في المخلاف^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسن بن خالد إلى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل سعود (..).
وإياه بالباقيات الصالحات سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فوجب
الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن حالكم وأحوال الله على الجميع كل مكروه
وحسن شداد وصل والخطوط التي صحبته وصلت والحمد لله على عافيتكم
كان وصول الخطوط بعد أن اختار الله للشريف ما عنده وانتقل من هذه
الدار الفانية إلى الدار الباقية على حسن حال (. . .) وكان وفاته لعشر مضي
من شهر ربيعي الأخرى فالله المستول أن يرحمه وأن يكرم نزلته فلقد مات
مجاهداً في ذات الله وكانت وفاته بعد أن جمع الله بيننا وبين أعداء الله من
الترك وغيرهم لأربع وعشرين مضي من شهر ربيع الأولى وأخذ أعداء الله
من الأروام واستولى على كل ما جروه من المدافع والقنبر ، وقتل مقدمهم
سنان وأغا وقتل منصور بن ناصر ومن لا يحصى من أهل الفجور وأخذهم الله
كما أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقتل من الترك أكثر من ألف
قتيل فالحمد لله وحده صدق وعده ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده ،
وتوفاه الله بعد أن أخذ الله الجنود الفاجرة على يديه وبعد ذلك من كان من
العساكر من الجنود الذين جمعهم من أهل الدينار والدرهم ، رجعوا إلى
بلادهم وأخذهم الله كما أخذ الترك ومن بعد نفوذهم أعاننا الله على جمع
شمل المسلمين وعاهد الجميع من عسير وغيرهم على العمل بكتاب الله وسنة
رسول الله والمولاة والمعادة والسمع والطاعة وموالة المسلمين ومعادة
علوهم وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر ومن بعد ذلك وجهنا المسلمين

(١) راجع كتابنا « محاضرات في الجامعات ومؤتمرات السعودية » ص ٩ بعنوان الدولة
السعودية الأولى ففيها نوضح فعوى هذه الرسالة التاريخية .

إلى من تمنن من أهل وادي شهران من أهل تندحة ودمر الله جملة قرى في وادي تندحة وشهران وبلاد عسير وحال نخط الخط والسجن ملآن من أشرار أهل الردة وباشات الترك والخيل التي بأيدي كل من وإلى الترك صارت بأيدينا وأخذنا حلقة من رأينا أخذ حلقتة ، وتاريخه وقد عاهدنا (عبيدة) و (رفيدة) اليمن بعد أن أخذنا ديار من أراد الله ، وعاهد جميع شهران وبني شهر وعاهد جميع بني بشر وبالأحمر والأسمر وصار حد المسلمين إلى شريف وسنحان وهم يكتبون إلينا ورجال ألمع عاهد الجميع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله كما قد ذكرنا لكم وتاريخه والمناخ الذي نحن منه قد اجتمع فيه من المسلمين أكثر من عشرة آلاف وصدرت ونحن مستعينون بالله ومستنصرون ومؤدونه لجهاد أعداء الله نسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأن ينصر دينه وكتابه وما النصر إلا من عند الله وقد بلغنا استيلاء هذه الطائفة الكفرية على الوشم والقصيم وسديرود خوهم واضطراب العارض وهذه ثمرات الذنوب نسأل الله جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ويثبت أقدامنا وينصرنا على القوم الكافرين والعبد المسلم لا يستوحش في طريق الهدى لقلة سلاكه والاعتصام بالله والتمسك بحبل الله هو رأس النجاة ولا ينبغي للمسلم أن يفتقر إلى غير ربه نسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم جواباتك صحة محمد الحوبك وصلت بعد وفاة الشريف وأرسلنا الخط الذي منكم إليه إلى الولد أحمد ابن حمود وصلر إليكم جوابه وهو معكم إنشاء الله وقائم على المهمة في جهاد أعداء الله نسأل الله أن يثبتته ويسدده وأن يأخذ بناصيته إلى ما فيه الخير والولد شبيب وصل إلينا بعد الحرب (نحو عشر كلمات غير مفهومة لتأكل الورقة) انتهى .

[illegible]

الحالة العامة في اليمن وتهامة

الدور الثاني لحكم الأتراك

تقلص ظل الحكم التركي عن جنوب الجزيرة العربية ، كما مر بك .
ومن عام ١٠٤٥ بسط الأئمة الزيديون حكمهم على أغلب الأقسام
الجنوبية مباشرة أو بالوساطة بين الاستقرار والقوة والاضطراب والضعف
كما تقتضيه نوااميس الوجود .

توفي المؤيد عام ١٠٥٢ الذي باغت به سلطتهم النروة وتمكن بمهارته
وقوته ودهائه وحنكته من إجلاء الأتراك من اليمن ، وقد شمل سلطانه أوسع
رقعة استظلت تحت رعاية حكمهم من أول تاريخهم إلى الآن ، فكانت حدود
مملكته من صعدة شمالاً إلى عدن ولحج جنوباً - وإذا استثنينا عهد المتوكل
إسماعيل الذي أخضع بلاد يافع وحضرموت لسلطته - وقد خلف المؤيد
عام ١٠٥٢ أخوه أحمد بن القاسم تقريب عامين كانت في خلالها الأمور غير
مستقرة حتى تنازل لأخيه الآخر إسماعيل المتوكل عام ١٠٥٤ ، وفي عهد
إسماعيل هذا تأثلت سلطة الإمامة وارتعت خزائنه بالأموال ووسع على مركز
الإمامة في النفقات الخاصة - راجع أخباره - وفي عهدي المؤيد وإسماعيل
كان الخلاف السليماني ، تحت سلطتهما المباشرة وانقضت مدة المهدي أحمد
التي لم تتعد الخمسة الأعوام ، ومدة المؤيد محمد بن إسماعيل ، التي هي بدورها
لم تتجاوز الخمسة الأعوام أيضاً ، والأمور على استقرارها النسبي بالرغم مما
شاب عهدهما من الاضطراب والخلافات ، ففي عهد الأول هب قاسم
ابن المؤيد لمعارضته ولم يتغلب على تلك المعارضة المسلحة إلا بقتال عنيف ،
وأما في عهد المؤيد محمد بن إسماعيل قد تقسمت البلاد إلى إقطاعيات بين
أسرته ، وكان ليس له غير الخطبة ، وبوفاة الأخير تولى الإمامة صاحب
المواهب الذي ساد في عهده الإرهاب وحكم القوة . فقد أناب على الخلاف
السليماني أحمد بن غالب البركاتي - راجع أخبار الخلاف السليماني لعهد أحمد
ابن غالب - كما انفصلت صعدة وأكثر القسم الشمالي من الجبال تحت سلطة

علي بن غالب - وخلف صاحب المواهب في الإمامة الثائر عليه المتوكل القاسم ابن الحسين الذي استمر عهد إمامته من ١١٢٩ إلى ١١٣٩ وقد ثار عليه هو أيضاً جماعة من أسرته منهم محمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ومحسن بن المؤيد ، وكان سبب ثورتهم عليه كما ذكره صاحب البدر الطالع أن بعض عماله المسمى الشجني أراد التسوية بين السادة وغيرهم من الشعب في الضرائب الحكومية .

خلف المتوكل في الإمامة ابنه المنصور الحسين بن أحمد عام ١١٣٩ فنازعه أخوه أحمد ، الأمر وظل الشقاق والخلاف والحرب مشوب الأوار بينهما إلى أن توفي الأول عام ١١٦١ ، وكان اليمن في عهدهما قسمين ، أما الخلاف فقد تولاه بالنيابة عن المنصور هذا ، من عام ١١٤١ أحمد ابن محمد الخيراتي ، ثم أسرته الذين ظلوا يتوارثون إمارته بعد ذلك ويسيطرون على أموره ومقدراته ، وليس للأئمة إلا الاسم في الخطبة أو التأييد الروحي لأحد أفراد تلك الأسر على الآخر ممن يشعرون بتحويله عن تلك التبعية إلى سنة ١٢١٥ ، وهي السنة التي امتد فيها نفوذ الدعوة الإصلاحية الوهابية على الخلاف السليماني ثم انضوى تحت لوائها بعد معركة أبي عريش في يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٢١٧ التي انتهت بانتصار قائد الجيش السعودي وإناطة حكم الخلاف بالدرعية وإيقائه على حمود بن محمد في إمارة الخلاف كما كان قبل ذلك على أن يحارب البلاد الخاضعة لحكم إمام صنعاء بعد أخذ العهد عليه بالسمع والطاعة ، وقد ظل حمود على ولائه حتى شعر بغزو محمد علي ، وقدم جحافله إلى الدرعية فاستقل بأمر الخلاف - راجع أخباره بهذا الجزء - وبعد وفاة حمود وتولى ابنه أحمد بن حمود كان وصول توفيق باشا وابتداء الدور الثاني لحكم الأتراك لليمن .

الدور الثاني لحكم الأتراك في اليمن :

إن هذا الدور يعتبر في الحقيقة من عام ١٢٣٤ وهو العام الذي انتزع خليل باشا إمارة تهامة من أحمد بن حمود الخيراتي - راجع الفصل الخاص بهذا الأمير ، والفصل الخاص بالأمير علي بن حيدر - وبعد استلام خليل باشا للبلاد كما ستقف عليه مفصلاً - سلم قسماً إلى إمام صنعاء مقابل اشتراط دفع

اليسير من الخراج ، وقسم إلى الأمير علي بن حيدر ، ثم عاد خليل على رأس قواته إلى الحجاز ، وقد ظل أمر علي بن حيدر منوطاً في المهم بوالي الحجاز ، واستمرت الحالة على ذلك المتوال مع ما يتخللها من غزو العسيرين — كما سيأتى بعده — إلى عام ١٢٥٠ أى العام الذى استنجد فيه الأمير المذكور بوالي الحجاز أحمد باشا الذى سير حملة قوية إلى تهامة وأرفقها بكتاب إلى الأمير بأن يرسل معها ابنه إلى اليمن لمناجزة القوات العسيرية المتغلبة عليه وفعلاً تم لتلك الحملة الاستيلاء على سهول تهامة بقيادة محمد أمين ، ثم خلفه أحد أقرباء محمد علي المسمى إبراهيم باشا ، وصل بحراً على رأس حملة أخرى من مصر فجعل هذا في مدينة الحديدية مركزاً لولايته واستمر على ولاية اليمن إلى عام ١٢٥٦ ، فصلرت إليه الأوامر بتسليم البلاد إلى الأمير الحسين بن علي ابن حيدر كنتيجة لتنفيذ قرارات مؤتمر (لندرة) القاضية بانسحاب قوات محمد علي من البلاد العائدة لتبعية الدولة العثمانية .

وبعد ذلك ظل أمر تهامة بيد الأمير الحسين بن علي إلى عام ١٢٦٤ وهو العام الذى وصل فيه توفيق باشا واستلم تهامة من الأمير الحسين — راجع أخبار هذا الأمير .

توفيق باشا :

وصل توفيق باشا يرافقه محمد بن عون أمير مكة إلى اليمن في عام ١٢٦٤ فاستلم تهامة من الأمير ، وعلى أثر ذلك اتصل به الإمام محمد بن يحيى ، ثم قابله في أطراف القسم الجبلي وسار بتلك الحملة إلى صنعاء واستولى الأتراك على مدينة صنعاء بيد أنه كر عليهم الإمام علي بن المهدي — المناوئ لمحمد ابن يحيى وأرغمهم على الانسحاب إلى تهامة بعد أن اقتحم المدينة وأباد أكثرهم وقبض على خصمه الإمام محمد بن يحيى وقطع رأسه — راجع أخبار أئمة صنعاء — وبعودة الحملة إلى الحديدية عاد محمد بن عون ، وظل توفيق باشا على ولاية البلاد إلى أن أدركته الوفاة فوصل سري باشا خلفاً له .

بعد انتهاء جحافل الأتراك من القضاء على إمارة آل عائض حول قائدها

أحمد مختار أعماله الحربية إلى جنوب الجزيرة وأخذ في التقدم والرحف الوئيد إلى أن وصل مناخة فأرسل إليه الإمام علي بن المهدي وفداً لاستقباله مؤلفاً من السادة أحمد بن محمد الكبسي وحسين غمضان وزيد أحمد الكبسي .

وصل الوفد الإمامي إلى مناخة وشاهد الفياق الجرارة وما هي عليه من الاستعداد والعدد ؛ فقابلوا القائد أحمد مختار وأبلغوه تحيات الإمام وتقديمه فروض الطاعة واستعداده بتسليم صنعاء ؛ وكان أحمد مختار يحمل أوامر سلطانية بالتقدم إلى صنعاء وتأييد المتمردين وإقرار الأمن وجعلها مقراً للولاة العثمانيين في اليمن وأشار إليه الوفد في تلك المقابلة برغبة الإمام عند استقرار الأحوال في تفويض أمر البلاد إليه تحت الرعاية السلطانية فلم يزد أن هز رأسه وغمغم بكلمات تركية — لم يفهم الوفد معناها .

والت القوات التركية تقدمها إلى أن وصلت (نقيل عصر) غرب صنعاء بمسافة ساعة ونصف ؛ فخرج إلى ملاقاته كل من الإمامين علي بن المهدي وغالب بن محمد وحسين بن المتوكل وغيرهم من الرؤساء والعلماء فقابلهم أحمد مختار ؛ ثم طلب من الإمام علي بن المهدي بواسطة رئيس مدينة صنعاء محسن معيض إخلاء المعازل والقلاع المحيطة بالمدينة وقصر نمدان .

وفي ١٦ صفر ١٢٨٩ دخلت القوات التركية مدينة صنعاء واحتلت المعازل والحصون .

أحمد مختار في صنعاء :

تمركز في عاصمة اليمن وأخذ على العمل في توطيد الأمن والقضاء على الخلافات وطلب من الإمام علي بن المهدي السجلات والوثائق الحكومية وبدأ في تنفيذ برنامج سياسته التي تتلخص في .

١ — استرضاء الرأي العام والتقرب من عامة الشعب دون الخاصة من الأسر الحاكمة ورجال العهد السابق .

٢ — حصر نفوذ الأئمة ورجال دعوتهم وجعلهم في شبه عزلة تحول دون اتصالهم المباشر بالشعب ورؤساء القبائل .

٣ — منع دفع عوائد الزكاة التي تدفع للإمام ؛ وتقرير ثلاثة آلاف ريال راتباً شهرياً للإمام وأسرتة .

٤ — إقصاء الموظفين الوطنيين وإشغالها بالموظفين الأتراك .

٥ — استحصال الضرائب المتأخرة بدون إهمال .

٦ — تشكيل إدارة مدنية في جميع أنحاء اليمن تكون ولايتها بصنعاء .

وهي سياسة استعمارية تفضي إلى تترك اليمن : وبعد أربعة أشهر جرد حملة بقيادة موسى كاظم يعاونه فضلي باشا إلى كوكبان التي لا تزال سلطة أحمد بن شرف الدين عليها .

شعر أمير كوكبان بتحريك تلك الحملة فقام بتحسين ذلك الجبل الأشم وسد ثنياته ولصابه ونصب العوائق وإغلاق المنافذ في وجه الحملة التركية واشتبك معهم في معارك حامية اضطرت في نهايتها إلى التسليم .

ولاية أحمد أيوب باشا :

تسلم إدارة البلاد من سلفه أحمد مختار باشا الذي تحرك للعزم إلى تركيا ، وذلك في عام ١٢٩٠ وفيها وقع زلزال في بلاد الحيرة شقق الجبال وغيض الأنهار ، وقد استمر هذا الوالي على ولايته إلى عام ١٢٩٣ وعزل به بمصطفى باشا .

ولاية مصطفى باشا :

وصل صنعاء في عام ١٢٩٣ وتسلم الإدارة من سلفه في جمادى الآخرة من تلك السنة ، ولم يكن في عهده أحداث جسام وجل ما وقع ثورات محلية تمكن من القضاء عليها ، وفي عام ١٢٩٥ وقع زلزال شديد في ذمار ، وامتد إلى يريم ومخاليفها وفيها عزل مصطفى باشا .

ولاية إسماعيل حقي :

في عام ١٢٩٥ وصل إلى صنعاء الوالي الجديد وكان من أول أعماله :
١ — نشر العدالة وقطع دابر المظالم .

٢ - الضرب على أيدي الموظفين من الارتشاء .

٣ - تأسيس مجالس إدارية .

٥ - تشكيل أربع كتائب من أبناء اليمن أطلق عليها اسم (حميدية) كحرس وطني أسند إليها مهمة المحافظة على الأمن الداخلي ، فقامت بمهمتها خير قيام ، وقد شجعه نشاطهم وما تجلى فيهم من البسالة وسرعة الإلمام لما يتلقونه من التدريب إلى تأليف فرقة كاملة منهم فرفع تقريراً للباب العالي الذي تخوف من نتائج ذلك وأصدر أمره بحل الأربع الكتائب وعزل الوالي .

الوالي محمد عزة باشا :

وصل إلى اليمن في عام ١٢٩٩ ولم تطل مدته فقد توفي في عام ١٣٠٢ .

ولاية أحمد فيضي :

وصل إلى صنعاء في عام ١٣٠٢ وكان عهده عهد جفاف وقحط وسوء إدارة حتى تجرأ الجنود على ابتزاز أقوات الأهالي وتفشت الرشوة فضج الشعب بالرفع إلى السلطان وانتهى الأمر بعزله عام ١٣٠٣ .

عزيز باشا :

تسلم الإدارة من سلفه عام ١٣٠٣ فأخذ على العمل في نشر لواء العدالة وإزالة المظالم المتفشية والضرب على يد الموظفين المرتشين ، وتلقى الأوامر بالهجوم على شرف الدين إمام صعدة ، فأرسل حملة بقيادة حسين خيرى ففئت بالهزيمة وأرغمت على التراجع إلى عمران ، وعلى أثرها عزل في عام ١٣٠٥ .

ولاية عثمان باشا :

وصل إلى اليمن في عام ١٣٠٥ فاستجدت الرشوة واستؤنفت المظالم أشد مما كانت في عهد أحمد فيضي الأسبق ، وعزل في ١٣٠٧ .

عثمان نوري باشا :

خلف سميّه في ولاية اليمن ، وكان من خيرة الولاة الأتراك مكارم أخلاق وحسن إدارة حتى شهر في أنه لم يكن له ضريع في جميع ولاية الأتراك

باليمن وقد لقب بالفقيه لتدينه وكثرة صدقاته ، فلم يرق عمله لبقية رجال الدولة ورأوا فيه القضاء المحقق على مآربهم ومصالحهم الخاصة فرفعوا مضبطة إلى الباب العالي بأنه ضعيف الإرادة سيء الإدارة لا يصلح لولاية اليمن ، وفي عهده نشط الإمام شرف الدين الهادي وملك الظفير وحجة وغيرها ، وكان ذلك من الأسباب التي أيدت ما رفع فيه ، وكان عزله في عام ١٣٠٧ وهي التي توفي فيها شرف الدين الهادي - راجع أخبار الأئمة . -

إسماعيل حتى باشا للمرة الثانية :

وصل إلى صنعاء في عام ١٣٠٧ وهي السنة التي نصب فيها الإمام المنصور محمد خلفاً لسلفه شرف الدين ، وقد استطاع هذا الإمام الحازم أن يضررها عليه حرباً لا هوادة فيها حتى فل سلطته وتركه مشلول الحركة في صنعاء - راجع أخبار أئمة اليمن - توفي في عام ١٣٠٩ ونطاق الحصار مضروب على صنعاء .

أحمد فيضي باشا :

تقدم إلى صنعاء في أوائل عام ١٣٠٩ على رأس قوة عظيمة من الأتراك ووالى تقدمه إلى (مفحق) ، فالتحم القتال بينه وبين قوات الإمام المنصور وبعد معارك طاحنة دارت رحاها في سوق الخميس ، تقدم ودخل مدينة صنعاء وفور دخوله أصلر أمره بالعفو العام ، فهدأت الأمور واستقرت الأحوال .

وفي آخر رجب من تلك السنة تجهز لقييلة (حاشد) ومحاولة القبض على الإمام إن أمكنه فدخل بلاد حاشد وكان الإمام في (القفلة) فارتفع عنها إلى موقع حصين آخر فاكتفى أحمد فيضي بتأديبهم وعاد إلى صنعاء وأمر بإقامة الاستحكامات والتحصينات فوق المرتفعات المحيطة بالمدينة .

وفي عام ١٣١٠ قبض على خمسين عالماً ورئيساً من قادة الرأي في اليمن الأعلام منهم سعد الدين الزيري ويحيى الكبسي ومن آل الإرياني ومن آل الحرازي وغيرهم بتهمة اتصالاتهم بالإمام وأرسلهم تحت الحراسة إلى الحديدة

ومنها إلى (تركيا) وفي شهر شوال قام برحلة تفتيشية ورجع في شهر الحجة من السنة نفسها .

وفي عام ١٣١١ أخذت المقاومة للحكم التركي الغاشم شكلاً جديداً وهي نسف بيوت المأمورين « بالدنميت » والموظفين الأتراك الذين يسيئون استعمال سلطتهم ، وفي عام ١٣١٥ وصل الأمر بغزل أحمد فيضي وتعين خلفه (حسن حلمي باشا) ؟

الوالى حسين حلمي باشا :

قدم إلى صنعاء في عام ١٣١٥ وكان من الولاة الأكفاء ، متضلعا من المعارف والعلوم ، مشجعاً للعلم ، حذباً على ذويه ، وعلى أثر وصوله قام بتوزيع الصدقات التي حملها من السلطان ، ومن أعماله الماثورة .

١ - الضرب على يد موظفي الدولة المرتشين .

٢ - استقبال الشكاوي وإزالة المظالم .

٣ - تقدمت إليه الشكاوي ، يياور الوالى السابق محمد هاشم فأمر بسجنه ثم أقاله من وظيفته ورحله إلى سورية كما فعل كذلك بموظف آخر يدعى (مرزاح) .

٤ - أسس إدارة مستقلة للمعارف وعمل على إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية ومكتب الصناعات .

٥ - وأخذ في تقريب وتقديم أهل العلم والفضل .

كان لذلك الوالى مجلس استشاري يرأسه (حسني بك) الذي شهر عنه أنه على جانب من العلم والتضلع في الشؤون الإدارية وقد بلغ من شغفه باقتناء الكتب أنه جمع مكتبة نفيسة من المخطوطات واستنسخ من الكتب التي تعذر عليه شراؤها الشيء الكثير .

وما يلاحظ أن سياسة الحكومة في هذه المرحلة كانت سياسة التقرب لاسمالة عواطف الشعب فقد صدر أمر الباب العالي على الوالى والمجلس

الاستشاري والموظفين الملكيين بلبس (العمام) عرباً كانوا أم أتراكاً ،
تقرباً للشعب ومراعاة لشعوره الوطني .

عزل (حسن حلمي باشا) عام ١٨ وتوجه إلى تركيا ترافقه اللجنة
الاستشارية وتسلم أعمال الولاية خلفه المشير عبد الله باشا .

الوالي عبد الله باشا :

تولى كما مر بك آنفاً ومن أعماله تنسيق بعض شوارع صنعاء ومدد الهاتف
السلكي إلى عدة جهات في اليمن الأعلى وعزل في عام ١٣٢٠ وأسباب عزله
تساهله وموقفه غير الحازم تجاه تعدي الإنكليز على المظالم .

توفيق باشا :

خلف سلفه السابق على ولاية اليمن في عام ١٣٢٠ واستمر على ولايته حتى
توفي الإمام المنصور وتولى بعده ابنه الإمام يحيى في عام ١٣٢٢ فالتحم القتال
و ضرب الأخير الحصار على مدن اليمن الأعلى فاقتتل الأمن وسادت الفوضى
- راجع أخبار الإمام في محله من هذا الكتاب - فأرسلت الدولة التركية
(أحمد فيضي) للمرة الثالثة على رأس حملة عسكرية قوية فوصل الحديدة
في عام ١٣٢٣ ومنها والى تقدمه إلى الجبال وبعد معارك دامية ودماء جارية
انسحب الإمام من (صنعاء) فدخلها أحمد فيضي وأعلن العفو العام فرجع
أهل صنعاء المنتشون إلى مدينتهم فانتعشت نسبياً واستمر الهدوء إلى عام ١٣٢٦
وهي السنة التي عزل فيها أحمد فيضي بحسن باشا .

حسن باشا :

وصل إلى صنعاء في عام ١٣٢٦ ، وكان متصفاً بالتعقل ، فسكنت في
عهده الفتن ، واتفق مع الإمام يحيى على عقد هدنة ، وعدم تعدّي وسمح
لمن يرغب في زيارة الإمام في كوكبان وأنشأ علاقات ودية مع الإمام ورخص
لمن يرغب في التقاضي لديه مما رغّب الإمام في إقامة محاكم شرعية في نفس
البلاد التي يسيطر عليها الأتراك كالحديدة وصنعاء وفي عام ١٣٢٨ عزل بكامل
بك الذي وصل صنعاء في ١٧ صفر وعزل في جمادى الأولى بمحمد علي باشا .

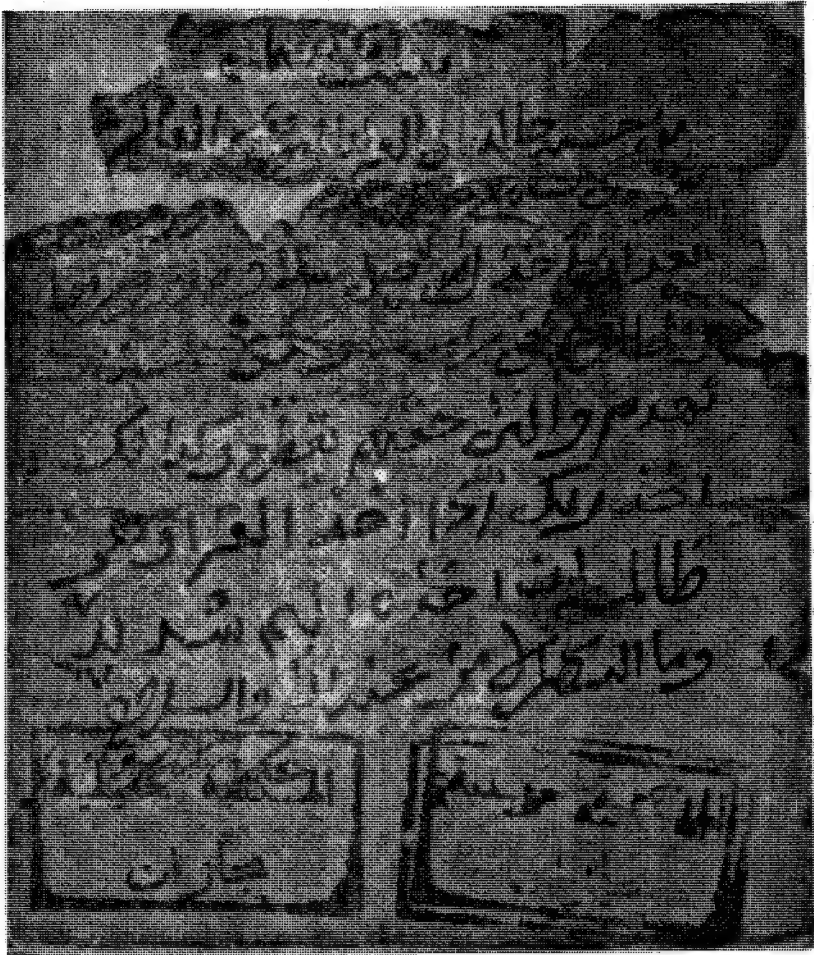
الوالي محمد علي باشا :

وصل إلى اليمن عام ١٣٢٨ ، وصف بأنه متعجرف شرس ، وأن سياسته تتسم بالقسوة والجبروت فنفر القلوب فهب الإمام يحيى لمناهضته واستدعى القبائل النافرة من غطرسه وتعجرفه فأقبلت من كل صوب وضرب الحصار على صنعاء وبقية مدن اليمن الأعلى - راجع تأريخ الإمام يحيى في هذا الكتاب ودام الحصار إلى آخر شهر الحجة وانتهى بدخول عزة باشا لصنعاء في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٩ .

أحمد عزة باشا :

دخل (صنعاء) كما مر بك آنفاً في ربيع الأول عام ١٢٢٩ وبعد أن استقرت الأمور اتصل بالإمام (يحيى) لإبرام الصلح على يد الحسين العمري والقاسم بن حسين ثم اتفق بالإمام واستمرت المفاوضات إلى غرة شهر القعدة سنة ١٣٢٩ وعادت مسودة الصلح بالموافقة من الإمام وتقرر الاجتماع النهائي في (دعان) وفي الموعد المقرر اجتمع (عزة باشا) بالإمام ووقعت المعاهدة من جلالة الإمام نفسه ومن عزة .

وفي عام ١٣٣٠ قرر الأتراك رواتب شهرية لرؤساء قبائل حاشد وأرحب وللعلماء من أهل صنعاء وفي شهر الحجة من تلك السنة توجه (عزة باشا) إلى تركيا وسلم إدارة اليمن إلى (محمد علي) وفي رجب من عام ١٣٣١ توجه هذا إلى تركيا وأصاب عنه رئيس مكتبه وفي شهر القعدة صدرت الأوامر السلطانية بتعيين (محمود نديم) والياً على اليمن وقد استمر على ولايته إلى أن صدرت الأوامر بانسحاب الأتراك من البلاد عام ١٣٣٦ .



صورة وثيقة تاريخية من عهد حسن بن خالد
وزير أحمد حمود الحيزاني أمير المخلاف سنة ١٢٣٣ هـ

الأمير أحمد بن حمود

بعد وفاة الملك (حمود) في السراة اختلفت كلمة الجيش وتفرقت أراء قادته وبقلر ما حاول وزيره الحسن بن خالد الحازمي لم الشعب وجمع الشمل وتوحيد الصفوف ودعوتهم إلى البيعة لابنه الأمير أحمد بن حمود ولم يستطع السيطرة على الموقف ، وقد أشيع في المعسكر بأن الوزير يحاول البيعة لنفسه واشتعلت نار الفتنة وساد الاضطراب وكثر الشعب فانهز الوزير عنهم إلى ناحية أخرى مع من ظل على وفائه له من الجيش فقوض الجيش خيامه ونزل إلى (أبي عريش) .

وبوصول الجيش إلى أبي عريش تقدم رؤساؤه وقادته بإعطاء البيعة للأمير وكان قد سبق وصولهم لإعلان توليه خلفاً لوالده فاستمرت الأمور على ما كانت عليه في أقطار (تهامة) .

الوزير الحسن بن خالد :

بعد رحيل الجيش من عسير - على الصفة المتقدمة - تخرج موقفه في عسير فنزل إلى تهامة واستقر في موطنه (ضمد) وكتب للأمير بنبأ وصوله وأنه على عهده لأبيه وعلى الاستعداد لمبايعته - إن أحسن الظن به وعاهده على الوفاء - فسعت بينهما الوسائط وتقرر أن يجتمعا في موضع ما بين وادي (بلاج) (١) و (جازان) .

الاجتماع :

وفي اليوم المقرر للاجتماع خرج الأمير من أبي عريش على رأس قوة من الجيش تتقدمه سرية من الفرسان وخرج الوزير من قرية (ضمد) يرافقه من ظل على وفائه من رجال الجيش - وكاد المتطرفون من الفريقين أن يشعلوا نار الحرب لولا أن الأمير أشار على المهجرين من فرسانه بالتوقف والإخلاء إلى السكينة ، فوقف الفريقان على مرأى العين ثم عقد الاجتماع

(١) راجع الفصل الخاص بأودية الخلاف في (المعجم الجغرافي) لبلاد جازان .

وتقابلا منفردين تحت ظل شجرة باسقة وتعاهدا ثم اتحد الموكبان في موكب واحد يتقدمه الأمير والوزير إلى مدينة أبي عريش فاستقبلت المدينة الموكب استقبالا حافلا وضربت المدافع إيذاناً بالتصافي والوثام .

الحالة السياسية في تهامة :

في أول عهد الأمير أحمد - القصير - سارت الأمور في مجراها الطبيعي وكان على جانب من الطيبة واللين قربناه من القلوب ، وكان في ذلك التاريخ قد أشرف جيش (محمد علي) على انتهاء مهمته الحربية في (نجد) وقد أمسى سقوط (الدرعية) في حكم الواقع فنشطت حركة عملائهم في أنحاء الجزيرة العربية وبالأخص في الجنوب كتمهيد لأمر الاستيلاء عليه ، وقد اتصل بعض أولئك العملاء بالأمير أحمد بن حمود وروج له الاتصال بقيادة محمد علي في الحجاز مقدماً - ملوحيين له في نفس الوقت أن قريبه الأمير علي بن حيدر - الخصم الأول له ولأبيه من قبله - لا زال يطالب القادة الأتراك بوعدها بتوليته أمر المخلاف السلياني فتأثر الأمير برأيهم ورغب في الاتصال بهم لا سيما وأن أولئك العملاء قد طعنوه مقدماً ، وأن الأتراك سيقنعون منه بالطاعة الإسمية ، وكان لوزيره الحسن بن خالد من الخبرة والتجربة والحنكة السياسية ، ما لم يكن للأمير بالطبع ، فنصح به بعدم الإصغاء إلى تلك الترويجات مخذراً له من التورط في مثل تلك العلاقات حاثاً له على الابتعاد والتأهب في نفس الوقت لساعة الخطر بقدر الإمكان ، فلم يعر رأيه شيئاً من العناية .

غزو الأمير أحمد لقبائل الحميسين :

في خلال ذلك أناب على البلاد الوزير حسن بن خالد ، وتحرك لقتال قبائل الحميسين ، الذين قتلوا جنده وقائدهم القاضي حسن بن عطيف الحَكَمي ، توفى الأمير في تلك الغزوة فأخضع القبائل العاصية ، وازدهاه النصر فتوغل في غزو القسم الجبلي إلى أن بلغ تقدمه جبل كحلان ، وقبيل ذلك ببسير وافته الأخبار بسقوط الدرعية ، وبالطبع بعد سقوطها لم يبق للجيش التركي إلا التوسع في جنوب الجزيرة .

استهل عام ١٣٣٤ وبدأت العمليات الحربية تتحول من الميدان النجدي إلى الجنوب وتحرك خليل باشا من الحجاز إلى اليمن .

خليل باشا :

تلقى الوزير حسن بن خالد بدهشة بالغة نبأ تحرك حملة خليل باشا إلى تهامة ، بسبب أنه وهو الرجل المحرب ، لم يهظه هول الصدمة أو يشل حركته عن العمل للدفاع الواجب بقدر المستطاع فبعث بالخبر حالاً إلى الأمير في جهة كحلان ، يستحثه على الإسراع في العودة ويحيطه علماً بما سوف يتخذه من الاستعداد للمقاومة ، وقد باشر الوزير بالفعل حشد الجنود ، ونشر البنود ، وتقدم لملاقاتهم إلى السراة ليرابط في أطواها المنيعه ويجعلها خط الدفاع الأول وبينما هو يعد العدة في السراة ، وافته الأخبار بأن الجيش التركي عدل عن الطريق وتقدم إلى أبي عريش في حركة خاطفة فأسقط في يده إلا أنه لم يهن فقد بادر إلى الإسراع في تعقبه مؤملاً الاشتباك معه ولو للتعويق وتأخير تقدمه الوقت الكافي على الأقل لاستعداد الأمير ، إلا أن جيشه قد دب إليه الفشل والوهن فكان كلما وصل إلى مرحلة انخرل فريق منه فلم يصل إلى وادي « بيض » إلا وقد تفرق أكثر جيشه مما عاقه عن المبادء ، وهناك وقع في علة التردد بين أن يسبق الجيش التركي إلى قلعة ضمد ويركز بها خط دفاعه ويقود منها حركته المقاومة أو يعود إلى بلاد السراة ، وكان في جنده جماعة من بني « مغيد » على رأس « سعد بن مسلط » وأخيه لأمه علي ابن مجثل فرجحوا له أمر العودة إلى السراة واستعدوا أن يعقدوا له البيعة ويعاھلوه على الدفاع عنه إلى النفس الأخير ، وهنا وافته الفرصة للإبانة عن أمنية تداعب قلبه وطالما تاق إليها فاتخذ من تلك الفرصة نواة لتأسيس إمارة فرجع معهم إلى عسير السراة ، وظل هناك يعمل لتوطيد مركزه فلم يتوفق فرأى أن يعزز مركزه بغزوة ظافرة تعلي مكانته فجمع جموعاً من عسير وغزا بهم إلى قرب الطائف فاستفزت حركته وإلى الحجاز فجرد له حملة قضت عليه في تلك الغزوة .

نهاية الحسن بن خالد :

بوصول الحسن بن خالد إلى عسير أخذ لنفسه البيعة من العسيرين ومن حولهم وكان مع علمه وفضله إدارياً حكيماً وقائداً شجاعاً قد تبرز في إدارة ما كان يسنده إليه حمود ، والحكم فن ودراية ، وتميز في عملي فإذا أخذ الإنسان أموره عملياً على يد ملك موفق أو أمير ناجح أو شك أن يكون النجاح حليفه .

فكيف به (حسن بن خالد) الذي تدرب مع حمود ما يقارب ١٩ سنة فهو بحكم خبرته وتجاربه السياسية والإدارية والحربية يكاد أن يكون الثاني بعد حمود .

لهذا لما تولى الأمر في عسير فلم يكن عليه بغريب ، وكان يغير حمود في الناحية العلمية والدينية فلقد شغف بخطة الإصلاح الديني في الدعوة السلفية فاحتذاها ، في بعض نهجه واستفاد من تكتيكها ، ولو أنه رحمه الله من غير مدرستها .

وبينما هو في مهمته الإصلاحية يؤلف النافر ويتألف الشارد ويشيد البنيان والظروف غير مؤاتية ، والأسباب غير مناسبة ، والأمور مضطربة ، ومطامع محمد علي وتطلعاته لبسط سلطانه على الجزيرة وذلك السور الذي كان يحيط الجزيرة من المطامع قد أنهد ، وشرافة مكة رأت في السير في زخم محمد علي ومواكبة جحافله ما يحقق لها آمالها ولو بالتبعية ، وقد رأت في سقوط الدرعية ، ثم من بعد ذلك موت حمود وقبض خليل باشا على خليفته أحمد ابن حمود ، وتأمير علي بن حيدر ابن عمه تحت التبعية لمحمد علي ما يطمشها على لعب دورها بمساعدة محمد علي ، فإذا حسن بن خالد يستولى على عسير ويقع هناك إمارته ، ولم يكتف بذلك بل قام بغزوة موقعة على جهة « بيشة » قرب جنوب الطائف ، فاتفق محمد بن عون مع والي محمد علي على تسير حملة إلى عسير تجهض تلك الحركة الناشئة قبل أن يستفحل أمرها لاسيما وحسن بن خالد يهجم نهج النهضة الإصلاحية التي يفرقون من عودتها إلى

الحياة وكان على رأس الحملة القائد التركي سليمان سنجق تحت إمرة محمد ابن عون نفسه وكانت تتألف من :

١ - الأتراك .

٢ - عربان الحجاز .

٣ - عربان بيشة برئاسة فهد بن سالم بن شكبان البيشي .

تحركت الحملة من مكة إلى الطائف ومنها إلى بيشة فضمت إليها ابن شكبان - كما قدمنا ، ومن بيشة تقدمت إلى عسير ووالت تقدمها حتى وصلت إلى جبل (شكر) .

وشعر الحسن بن خالد فهب يتصدى لمقاومتها فجمع من استطاع من قبائل عسير ، والتحم معهم في موقعة فهزمها وبقى جيب متحصنا في بعض الشعاب يترقب الليل ليلسحب ويلحق ببقايا المنسحبين . وبينما الحسن بن خالد يتفقد ميدان الموقعة على جواده عرفه من عرفه في ذلك الجيب فاطلق عليه طلقاً نارياً أوداه قتيلاً رحمه الله . وبقتله اختل نظام جنده وتفرق جنده وعاد كل منهم إلى قريته .



رسالة من حسن بن خالد

سمع الله عنكم السار ووقفنا وإياكم
عافيتكم ووصول خطوطكم يوم الأحد
من تهامة واستيلاء المسلمين على جمع
.....
..... وصلوا من تهامة كتبوا إلى
..... ويكن وجههم إلينا والطائفة
..... وأصله من مصر وكفى الله المسلمين

وأما جمعه ومن معه فقد أنهزم بسماعه هزيمة أصله وقصتهم هذه
أشبه بقصة الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم أخذ الله الأضل
وبقى الذين ظاهروهم وهم الطائفة المشرقية فنظر ما ذكر الله لرسوله في قصة
الأحزاب وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم إلى آخر
الآية وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب الآن فنحن
ننتظر ما رتب الله لرسوله من النصر علا قصة الأحزاب فإن سنة الله في
السابقين واللاحقين واحدة كما قال تعالى سنة الله التي قد خلت من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا وما في المستقبل إلا وجدت مثله في الماضي وإنما
أسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة علا الرشد والهداية إلى الصراط المستقيم
فبذلك ينال ما رتب الله عليها من الصفات العاجلة والآجلة وما حققتم من
حال رجال حاشد والقاعدة الواصلة منهم فنسأل الله الثبات لنا ولهم في الأمر
الذي يرضاه والعزيمة على الرشد وقد كتبنا إليهم خطوط صحيحة الأخ أحمد
الشرفي وإلى كافة همدان وصدور تسويد خط حاشد وكلية المراد الاستجابة لله
ولرسوله ففيها الفوز في الآخرة والعز في الدنيا فإن العز في طاعة الله والذل
في معصيته والدنيا إنما هي تبع لطاعة الله وأمر الدنيا فأمرها هين ونحن
فإن فتح الله اليمن كما هو المأمول في الله جل وعلا فال الله البذل فيه ما هو
إلا للمجاهدين منهم ومن غيرهم ولهم فضيلة سبق في هذا المقام ومن بادر
إلى الله جل وعلا في الاجابة بادر الله إليه بالاتباع في الدنيا والآخرة

قال تعالى: (لنبلوهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر) وصلورها وطوائف المسلمين في نشاط الله به عليم نسأل الله جل وعلا أن يشرح صدورنا وصلوهم للحق وأن يجعل رغبتنا فيما عند الله فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وجعل الثمن في ذلك الجنة وجعله وعدا عليه في التوراة والإنجيل والقرآن فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم نسأل الله الاخلاص في العمل وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثلاثا في هذه الدنيا ولأجر الآخرة أكبر فقال: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) ومحط الفائدة العبادة ولا تكبر في صلتك هذه الحوادث فلا بد لمدعي الدين من بلوى يتبين منها الصادق من الكاذب والمجاهد من القاعد والقرآن مملؤ من هذا وتأمل قصص الأنبياء وقد أخرج الرسول ﷺ من مكة ثاني اثنين واجتمع اليهود على قتل عيسى فرفعه الله وخرج موسى من مصر خائفاً يترقب وقول قومه له من بعد أن بعثه الله (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) واستحضر سر بخت نصر المجوسي لدانيال النبي وقد جعل الله العاقبة للمتقين وللتقوى وأخبرانه مع الذين اتقوا نسأل الله أن يرزقنا تقواه وتأمل بقا النبي ﷺ ثلاث عشر سنة يدعو الخلق إلى الله وبالمدينة عشرا لم يفتح الله عليه مكة إلا في الثامنة منها لاحدى وعشرين سنة من بعثته وما جرا عليه بمكة والطائف حتى كان سفهاء أهل الطائف يقيمونه ويرضخون رجله بالحجارة كما ذكر موسى بن عقبة وغيره ولم يزل ربه يسليه ويذكر له قصص الأنبياء كما في قوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) أي لا ناقض لحكمها وقد حكم بنصر أنبيائه ولقد جاءك نبا المرسلين ونباهم كما قال الله (فانجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) وقال في آخر هود (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ولاتباع الرسل من هذه الوراثة بقلر الاتباع من بلوى ونصر وعاقبة ونسأل الله جل وعلا أن يعافينا في الدنيا والآخرة فإن عافيته أوسع لنا

وما ذكرتم من جهة أيام بقاءكم في أبي عريش ووصول أحمد إليكم وما جرى في ضمد وغيره فهذه أمور رجفت بها الأقلام وطويت عليها الصحف وأنت فمأثرتك جهداً ولا أبقيت وسعاً ولا أنت عنده وعند كل من يعقل إلا محمود مشكور ولا يلحقك لائمة في شيء من هذا ولا كنت أظن أنه يدخل في نفسك أني أنقذ عليه في أمر ضمد والشرهة على من كان فيه كونهم لم يتسبوا الأسباب التي أمر الله بها وما قد أعد فيه من القوة لقتال العدو ومع هذا فهم لا يدفعون قدراً إنما سبقك الأقدار ليس فيها عذراً للمكلفين ولو كان سبق القدر عذراً لما بعث الله رسولا ولا أنزل كتاباً ولا فرض جهاداً ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض وأنت فقد فعلت الذي يلزمك في أبو عريش حتى جاء من إليه الأمر فيه وكان ما كان وما يشرح صدري كونك هدمت بيت علي بن حيدر من غير إذن من أحد من الأشراف وهذه الطائفة التركية فمن أسباب وصولها إلى مصر دفع أيدي الأشراف عن اليمن ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وكذلك الأخ علي محمد فلا عليه منقود وبعد خروج جميع من في البيت والأمر قريب في جميع ذلك والدنيا فما خلقها الله إلا ليخربها وفي كل شيء عوض غير الله فليس فيه عوض والمراد نصر هذا الدين وقد تكفل الله بنصره على يد من شاء من خلقه والحقيقة إليكم إنشاء الله بعد الوصول إلى بيته راشه ونرجو الله يأخذ من فيها من عداه وصلى خط إلى حاشد كما تراه وخط إلى الأخ يحيى إسماعيل وخط إلى الأخ أحمد بن يحيى الأغطب وخط إلى الأخ أحمد بن زيد كما تراها .

في أول رجب ١٣٣٤ أو ١٣٣٥

ويظهر أنه كتبها قبل مقتله بشهر لأنه قتل في شهر شعبان سنة ١٣٣٤ أو ١٣٣٥ على اختلاف في تحديد العام .

تحليل وتعريف :

الرسالة مرسله من حسن بن خالد وزير حمود بن محمد أبي مسمار
المصورة بهذه مقطوع من أولها ما يأتي :

١ - اسم المرسل إليه .

٢ - ومقطوع منها نتيجة تأكل الورق وتهرثها سبعة أسطر .

٣ - أنها رسالة جوابية بدليل بقية السطر الثالث وورد فيه (ووصو
خطوطكم يوم الأحد) .

وأول القسم السليم من الرسالة يبدأ : بـ (وأما جمعه ومن معه فقد
أنهزم بسماعه بهزيمة أصله) و (جمعه) هذا هو جمعة باشا أحد قادة محمد
علي والي مصر ومن رؤساء قاداته في الحجاز ، ومعلوم أن توجه يقود حملة
إلى عسير يرافقه (علي بن حيدر) و (منصور بن ناصر) أبنا أخوى حمود
الملتجئين إلى حاكم مكة من قبل محمد علي واشتبك مع جيش حمود الذي
أرسله إلى عسير بقيادة حسن بن خالد في (الحمة) من بلاد رجال ألمع .
وكانه عاد يقود حملة أخرى في هذا التاريخ .

ثم يذكر في الرسالة وقعة الأحزاب . . ويورد الآيات القرآنية وبعد ذلك
يشير إلى ما جاء في الرسالة التي يجيب عليها : (وحققتم من حال حاشد والقاعدة
الواصلة منهم ، - والقاعدة هنا أظن أنها الجماعة أو الطائفة الواصلة منهم - ،
ومعلوم أن حمود أبا مسمار كان يستعين بجنود مرتزقة من حاشد وهمدان
كما يستعين بغيرهم .

ثم يذكر أنه كتب لتلك الطائفة خطوط - رسائل - مع أحمد الشرفي ،
وإلى كافة همدان ، ثم أرفق صورة من رسالته إلى (حاشد) .

ثم يمضي يرشد إلى عز الطاعة وذل المعصية . . الخ ولا يطيل كثيراً
فيقول بعد ذلك مباشرة : ونحن فإن فتح الله اليمن كما هو المأمول (كلمة
غير مفهومة) قد تكون (فقال الله الذي فيه ما هو الا للمجاهدين منهم ولم

فضل السبق) - وكان الضمير يعود إلى مرتزقة حاشد وهمدان - والمعروف في التاريخ أن حسن بن خالد في توجهه إلى عسير عام ١٣٣٢ يقود جيش حمود لم يعود إلى وطنه إلا بعد موت حمود أي في عهد ابنه أحمد بن حمود - راجع ص ٨٦ وما بعدها ج ١ من كتابنا أضواء على الأدب والأدباء .

وجاء في الرسالة (وصدورها وطوائف المسلمين في نشاط الله به عليم ؟ ، ويمضي ينوه بفضيلة الجهاد ويدلل على ذلك بالآيات القرآنية وقصص الأنبياء ويورد قصة دانيال عليه السلام مع نبخت نصر) وجهاد الرسول ﷺ ثلاثة عشر سنة بمكة وعشر سنين في المدينة الخ .

ثم يوجه الخطاب إلى المرسل إليه الرسالة يقول : وما ذكرتم من جهة أيام بقاءكم في أبي عريش ، ووصول أحمد - ولانعلم من هو أحمد - « هذا » - إليكم في ضمد وغيره فهذه أمور جفت بها الأقلام وطويت الصحف وانه يعذره ويشكره ، وانه لا ينتقده في أمر ضمد ، وان الانتقاد على من كان في ضمد الذين لم يدافعوا عنه ولم يستعدوا بالقوة اللازمة للدفاع ، وانه أي المخاطب قد قام بما يجب عليه في أبي عريش حتى جاء من إليه الأمر الخ . .

وانه كان مما يشرح صدره لو أن المخاطب هدم بيت (علي بن حيدر) الخ . . . وان وصول جيش محمد علي ما هو إلا خلخاع الآمراء آل خيرات من إمارة المنطقة - إلى أن يقول والحقيقة إليكم بعد الوصول إلى (بيشة راشه) ولا نعلم أنه وصل إلى تلك الجهة إلا بعد توجهه الثاني إلى عسير عندما علم بتحرك خليل باشا إلى المخلاف السلياني فسار على رأس جيش لصدده في (السراه) ظناً منه أن خليل سيكون طريقه على عسير بينما خليل وصل بطريق الساحل .

وعندها تفرق أصحاب حسن بن خالد وتوجه هو إلى عسير وأقام هناك بحركة المقاومة التي انتهت بقتله في شعبان سنة ١٢٣٤ .

والخلاصة ما يأتي :

- ١ - ان الرسالة من حسن بن خالد وبقلمه .
- ٢ - ونقلر أنها موجهة إلى أحمد بن حمود لأنه هو الذي يستطيع - لو أراد - هدم بيت علي بن حيدر ابن عمه .
- ٣ - ان لهجة الرسالة ومضمونها يدل أن حسن بن خالد كتبها قبيل غزوته الأخيرة إلى بيشة هذا ما يبلو لنا حالياً حتى يظهر لنا أو غيرنا ما يوضح الحقيقة .

موقف الأمير أحمد :

أما الأمير أحمد فبحال ورود كتاب الوزير إليه سارع بالنزول إلى تهامة فوصل أبا عريش بعد تحرك الجيش التركي من قرية أم الخشب ، وقبل أن يستقر في المدينة وصلته حامية قلعة ضمد التي فرت من القلعة قبل وصول الجيش إليها بل بمجرد علمهم بوصوله إلى صيبا .

وكان قد تخمر في عقل الأمير من الترويجات والدعايات السالفة أن مقصد خليل باشا هو فرض السيادة العثمانية على البلاد ، وأما هو فسيظل الأمير الفعلي مما هون عليه عدم الجدد والأخذ بالحزم في أمر المقاومة وأخبره عن واجب الأهبة والتحفز للدفاع ، وإلا فلديه جيش من رجال همدان وغيرهم من الجنود المرتزقة يستطيع بهم المقاومة على الأقل حتى يحصل على صاحب شريف ، بيد أن ضعف إرادته جعلته ينجح إلى الخضوع والاستكانة والركون إلى السلامة والدعة فتحرك الجيش من صيبا فاستولى على قلعة ضمد ومنها بعث إليه رسالة يرفق راجح بن عون الشنبري الذي كان نفعي المسلك فما لمس من الأمير الرغبة الأكيدة وتحقيق بأن جل ما يطلبه من القائد خليل هو الوعد ولوشفهاً بأبقائه على مركز الإمارة حتى طمأنه وأقنعه بأنه متى وصل معه إلى القائد سوف يحصل على كلما يرجوه وبينما الناس تنظر ما تسفر عنه المواجهة بين الأمير ورسول القائد فمراهم إلا خروج الأمير بنفسه صحبه الرسول ، فشعر عند ذلك كل من له قليل من الإدراك بالنهاية المحتمة لإمارة الأمير وحياته المنتهيتين ؟ .

الأمير علي بن حيدر :

أشرنا في آخر الكلام على دولة حمود إلى حملة سنان باشا التي تقدمت من الحجاز إلى عسير ، وأنه كان يرافقهما الأميران علي بن حيدر ومنصور ابن ناصر كما سبق الإشارة قبله إلى خروجهما من اليمن مغاضبين لعمهما الملك حمود . وألطنا إلى تأخر الأمير علي بن حيدر عن الحملة في آخر من طلوع نجم السراة ، وأنه عاد إلى حلي بن يعقوب ومنه توجه إلى الحجاز وظل يعمل جاهداً حتى أسعده الحظ فرافق حملة خليل باشا .

خليل باشا :

وصل خليل على رأس حملته القوية يرافقه علي بن حيدر - إلى أبي عريش ولم يكن الأمير أحمد في بسالة أبيه ومركزه الحربي ، وبمجرد أن وصل مندوب خليل باشا - الذي بعثه من معسكره بضمد - كما سبق الإشارة إلى ذلك - سار معه إلى معسكر الباشا وقدم خضوعه واستسلم مستكيناً فأمره خليل بالعودة إلى أبي عريش رفق مأمور يتولى إدارتها من قبله ، وفي صباح اليوم الثاني بعد أن دخل خليل باشا مدينة أبي عريش أخرج المدافع من حصونها وضرب خيامه قبلي المدينة ثم أمر الأمير بأن يكتب إلى كافة عماله وحامياته في المدن والمعقل بالتسليم فصعد بالأمر وبعث خليل رجاله لاستلام البلاد من أبي عريش إلى زبيد ، وظل الأمير أحمد على مواصلة القائد في الأصائل والبعور وطلبات خليل ترى وتجدد للخليل والسلاح الذي في حوزته حتى أتت على جميع مالهيه .

وبعد استلام رجاله المدن ومعقل تهامة بعث رسولا إلى إمام صنعاء يحمل كتاباً منه ويعطيه خطاب من محمد علي باشا مضمونه : أنه حسب الأوامر الشاهانية قد جهز الجنود لانتزاع البلاد من ورثة الملك حمود وفيه الوعد بتسليمها إليه ، وأما مضمون خطاب خليل فهو طلب إيفاد مندوبين لمقابلته للتفاوض معهم .

بعث إمام صنعاء وفداً يرافقه وفد من الأتراك برئاسة يوسف أغا فتفاوض مع الإمام حول شروط التسليم التي تنحصر في طلب الاتفاق على دفع مبلغ من الخراج سنوياً فوافق الإمام وعلى أثر ذلك بعث الإمام عماله لاستلام البلاد باستثناء البلاد العائدة لإدارة أبي عريش التي اشترط الوفد أن يكون تسليمها لعلي بن حيدر ، وبعودة الوفد ألقى خليل باشا القبض على الأمير أحمد وأرسله أسيراً إلى مصر .

إمارة علي بن حيدر :

بعد أن سلم خليل البلاد اليمنية لنواب « إمام صنعاء » والقسم النهامي

الشامي لعلي بن حيدر جمع جنوده وتحرك عائداً في شهر القعدة عام ١٢٣٤ إلى الحجاز فشيعة الأمير علي بن حيدر إلى قرب الشقيق .

تفرغ الأمير لإدارة شئون إمارته وفي عام ١٢٣٥ وصلت الأخبار بوفاة الأمير أحمد بن حمود بمصر .

في تلك السنة ثار عليه ابن عمه محمد بن منصور بن ناصر في قرية الحسيني فسار الأمير على رأس قوة لتأديبه ، ففر الناصر إلى بلاد الحساب ، وفي عام ١٢٣٦ أسند الأمير عمالة صيبا إلى ابن عمه زيد بن ناصر وأشرك معه إخوانه في حاصلات البلاد — لأن الأموال الحكومية في ذلك التاريخ الهزيل كانت حقاً من حقوق الأمير ، وقد ثار هذا العامل على الأمير محاولا الاستقلال بإمارة صيبا فتمكن الأمير من إخضاعه ثم عزله وأسند العمالة إلى غيره ثم أسندها إلى ابنه الحسين بن علي في عام ١٢٣٨ .

وفي عام ١٢٤٠ ثار أهل صيبا على عاملهم الحسين بن علي وحاصروه في قلعتها ، وكان الأمير غائبا في جهة الشقيق فعاد في أثناء الحصار فشرع أهل صيبا بحراجة موقفهم ، وإنما أدركوا أن لا فائدة من التردد فصمموا على قتاله فرأى الأمير أن السياسة تقضى بالعمل على ترضيتهم بعزل ابنه ، فقبل أهل صيبا وفاءوا إلى السكنينة وبعد ذلك بعث رسله لاستدعاء (يام) مبيحا لهم غزو صيبا ومخلافها .

غزو يام :

خف الياميون لاستجابتهم ، وهم من عرفت فيما مر بك في تاريخ هذه الأسرة — فلم يشعر أهل صيبا إلا بنزولهم عن طريق بيش — وهم على غير أهبة ولا سابق استعداد — فهبوا على تلك الحال للدفاع عن أنفسهم ، فلم تجد مقاومتهم فوطئهم الياميون وقتلوا الكثير منهم وانتهبوا أموالهم وذلك في صفر عام ١٢٤٠ ولم يكتف الأمير بما وقع بل ضاعف عليهم الخراج نكالا وعقوبة على ما أسلفوه من الثورة على ابنه .

في تلك السنة امتدت سلطة أمير السراة على مجتل على قسم من المخلاف

ولم يكن في وسع الأمير علي بن حيدر مقاومته فعقد معه صلحاً تنازل بموجبه عن صيبيا ومخلافها على أن تبقى في قلعة صيبيا حامية الأمير إلى مدة معرفة يرفع في خلاها إلى مرجعه في الحجاز أحمد باشا فإن وصلته نجدة فالصلح نافذ المفعول وتنسحب الحامية من القلعة . بيد أنه قبل انتهاء المدة وصلت سرية من الأتراك مؤلفة من سبعمائة جندي . فاشتد بهم أزر الأمير وتعزز مركزه وتقدم بهم إلى ضمد لتأديب الحوازمة الذين كانوا ممالئين علي بن مجثل ففر رؤساؤهم إلى السراة .

نزول علي بن مجثل :

على اثر ذلك نزل الأمير علي بن مجثل إلى صيبيا وحاصر حاميتها حتى استسلمت فأطلق سراحهم وأبقى بها حامية من قبله وعاد إلى بلاده .

وصول نجدة تركية :

أدرك الأمير أن السرية التركية التي لديه غير كافية لاستعادة صيبيا فأرسل يستنجد بوالي الحجاز أحمد باشا فأمدّه بسرية أخرى عن طريق البحر وبوصوها قادها الأمير لاستعادة صيبيا وضرب قلعتها بالمدافع حتى أرغم الحامية العسيرة على الاستسلام فاستلم المدينة وقلعتها وجعل بها حامية وعاد إلى أبي عريش .

الحملة العسيرة الثانية :

لم يهن علي ابن مجثل أمر استعادة صيبيا فتقدم لغزو أبي عريش وضرب عليها الحصار حتى رضخ الأمير علي بن حيدر وتنازل له عن صيبيا ومخلافها وذلك في عام ١٢٤٣ .

غزوة ابن مجثل الثالثة :

وفي عام ١٢٤٦ غزا ابن مجثل تهامة اتين واجتاح المخلاف السليمانى إلى أن وصل بلاد صليل وحاصر قلعة الكلفود المسماة ودعان شرقي القناوص حتى استسلم أصحابها فاصطفى أموالهم وسلاحهم وأخرب القلعة وعاد إلى عسير .

حملة ابن مجتل الرابعة :

وقع اختلاف بين نائب ابن مجتل على مور وصليل وبين عامل الزهرة — من قبل علي بن حيدر ابنه الحسين بن علي أدى إلى امتشاق الحسام ، قتل فيه أحد رجال ابن مجتل .

فتقدم ابن مجتل وحاصر مدينة أبي عريش ، وكان الأمير علي بن حيدر قد استعد لذلك وحصن المدينة ودارت المعارك سجالاً وإنما ساعد ابن مجتل في احراز النصر — وصول الألبان الفارين من الحجاز على رأس (تركجة بلماز) الذين حين علم ابن مجتل بدنوهم من أبي عريش أرسل من يستطلع خبرهم فأخبر رئيسهم أنهم مستعدون لمساعدة ابن مجتل فعقد معهم حلفاً — انظر اخبار عسير — فانضم الألبانيون إلى جيشه وتم له احتلال المدينة صلحاً على الشروط الآتية :

١ — أن تحتل مدينة أبي عريش عسكرياً بحامية عسكرية عسيرة في قلعتها المسماة دار النصر .

٢ — ان يرحل الأمير علي بن حيدر الجنود الأتراك إلى الحجاز .

٣ — ان يبقى علي بن حيدر في الإمارة كنائب .

ويقال أن ابن مجتل لم يف للأمير بالشرط الثالث بل استولى على البلاد كلياً إلى أن توفي ابن مجتل في عام ١٢٤٩ — راجع أخبار عسير .

وبوفاته استعاد الأمير سلطته على الإمارة فوصلته رسل الأمير (عائض) — الذي خلف بن مجتل في الإمارة — لأخذ العهد وتجديد البيعة فامتنع .

غزو الأمير عائض للمخلاف السليمانى :

عاد رسول عائض وأخبره بتمنع الأمير عن بيعته فتجهز لغزوه ، وفي شهر ذوي القعدة ١٢٤٩ وصل على رأس قواته (صيبيا) ومنها تقدم حتى عسكر بساحة أبي عريش ودارت المعارك بنه وبين الأمير فلم يظفر بطائل فانسحب عائداً من حيث جاء بعد أن ترك في صيبيا جنداً لحمايتها .

وصول الامدادات من وإلى الحجاز :

كان الأمير قد رفع لأحمد باشا وإلى الحجاز يستمده في إرسال النجيدات فوصلته بعد إنسحاب الأمير عائض فتقدم بهم إلى الحامية العسيرية بصبيا في حال أن عمال عائض أو بالأحرى عمال علي بن مجثل الذين آل أمرهم إلى عائض يبسطون سلطانهم من الزيدية إلى المخا .

وفي عام ١٢٥٠ وصلت حملة تركية بقيادة قائد يسمى محمد أمين يحمل كتاباً إلى الأمير علي بن حيدر يقضي بإرسال ابنه الحسين بن علي مع الحملة إلى اليمن لاستخلاصه من العسيريين .

سارت الحملة يرافقتها ابن الأمير ووالته تقدمها حتى عسكرت على ماء الحديدية وشددت الهجوم على الحامية العسيرية إلى أن سلمت المدينة ، فرحل حاكمها العسيري ابن مفرح عائداً إلى عسير ومن ثم تم للحملة الاستيلاء على كافة تلك الأقطار إلى المخا في تلك السنة نفسها .

دانت تهامة للقائد محمد أمين فرفع إلى مرجعه وإلى مصر محمد علي باشا فأرسل أحد أقربائه المسمى إبراهيم باشا - ويقال انه ابن أخت محمد علي باشا - والياً لليمن فوصل إلى الحديدية عن طريق البحر وجعلها مركزاً لحكمه ومقرراً لإدارته فأذن هذا للأمير الحسين بن علي بن حيدر ، فاستقر الأمير الحسين بمدينة الزهرة واتخذها داراً لإقامته وذلك بأمر محمد علي الذي قرر له راتباً شهرياً من حاصلات الحجية فتفرغ الأمير في تلك الغزلة للدرس والمذاكرة وترويد نفسه وفكره بالمعارف الأدبية .

أما والده فظل على إمارة أبي عريش من قبل وإلى الحديدية إلى توفي في عام ١٢٥٤ كما سنوضحه بعد هذا .

تحرك يام لغزو تهامة :

في أثناء ذلك الاستقرار النسبي الذي ساد البلاد التهامية في عهد الوالي إبراهيم باشا لم يشعر إلا وقد وافته الأخبار بتحرك يام لغزو تهامة - عن طريق بيش ، فانتدب الأمير الحسين بن علي مع قوة من الألبان الأتراك لصددهم

فتقدم الأمير بتلك القوة إلى أبي عريش وهناك قابل والده ثم تقدم إلى صيبا والياميون قد عسكروا في قرية العدايا ومنها خرج لقتالهم فلم يشعروا إلا بهجومه بتلك القوة المجهزة بالأسلحة الحديثة - في ذلك العصر - من المدافع والرشاشات والبنادق فولوا الأدبار وتشتت جمعهم أشتاتاً بعد أن حصده منهم الكثير عاد الأمير الشاب ظافراً إلى أبي عريش فرفع هذا النصر شأنه لدى إبراهيم باشا وبعد أيام قلائل رحل إلى الحديدة بحملته واستأذن ثم انصرف إلى الكاملية وابتنى بها قلعة حصينة واستقر بها إلى عام ١٢٥٤ وهي السنة التي توفي فيها والده فاستدعاه الوالي إبراهيم باشا واسند إليه إمارة أبي عريش خلفاً لوالده فسار إليها وأقام بواجب تلك الإمارة على الوجه المرغوب .

الخلاف :

استقر الأمير الحسين بن علي في إمارة أبي عريش وأخذ في توطيد مركزه وتقوية نفوذه مما جعل إبراهيم باشا ينظر إلى تصرفه بعين القلق والإرتاب ، وكنتيجة لذلك توترت العلاقات بينهما ثم آلت إلى العداء السافر ، وكان الخلاف الذي وقع بين والي الحجاز المصري وشريف مكة الأمير محمد بن عون قد أفسح المجال أمام الأمير عائض بالاضافة إلى اشتغال والي مصر بالأعمال الحربية في سوريا وفلسطين - فشجع كل ذلك الأمير الحسين إلى التحفز والمقاومة والوقوف ضد سياسية والي تهامة التركي إبراهيم باشا الذي أخذ بدوره في الاستعداد لتجهيز حملة لإخضاعه وتأديبه .

علم الحسين بذلك وشعر بحاجة مركزه فاتصل بالأمير عائض واتفق معه على محاربة الأتراك في تهامة فكان لصدى هذا الاتفاق وقع شديد لدى الوالي بيد أن الأمير عائضاً تخوف من مغبة التسرع من جهة ومن الجهة الأخرى فإن الطرفين لم يتوصلا إلى الاتفاق في تحديد المبلغ الذي تقرر بموجب الاتفاقية دفعه سنوياً للأمير عائض الذي اتخذ من ذلك وسيلة ومبرراً لريثه ، فرأى الأمير الحسين خطورة الموقف وما يتطلبه من العمل السريع فبعث بابنه محمد بن الحسين إلى عائض ليكون لديه كرهينة على صدق نواياه وبرهان وفائه .

في أثناء تلك الأحداث كانت قد أسفرت بعض الحقائق لنتيجة مؤتمر
لندرة المنعقد عام ١٨٤٠ م الذي انتهت قراراته باعتبار محمد علي تابعاً للدولة
العثمانية وتعهده المؤتمر بتنفيذ قراراته بالقوة في حال عدم رضوخ محمد علي .

وبالطبع أن الأخبار ترد إلى اليمن متأخرة لعدم انتظام المواصلات في
ذلك التاريخ ، فحفزت تلك الأخبار الأمير عائضاً فأرسل حملة بقيادة محمد
ابن مفرح للاشتراك مع الأمير الحسين في طرد الأتراك من اليمن .

وقبل وصول الجيش العسيري بأيام وبينما الأمير الحسين في غاية
الاضطراب والقلق وهو ينتظر هجوم الأتراك في شروق كل يوم وغروبه -
كانت الدولة البريطانية قد أخذت على عاتقها ، خدمة لمصالحها الإستعمارية
البعيدة الأمد ، القيام بتنفيذ قرارات المؤتمر بالقوة ، فأرسلت بعض القطع
من أسطولها وجيوشها إلى صيدا فتقهقر إبراهيم باشا بن محمد علي إلى الجليل
فضرب الأسطول البريطاني بيروت ثم احتلها كما هو معلوم - ثم تقدم
(الأميرال ناييه) على رأس ست قطع حربية إلى الإسكندرية وعرض على
محمد علي شروط مقررات المؤتمر فلم يسعه إلا قبولها ، ومن المعلوم أن من
ضمن تلك المقررات رفع سلطته عن جميع ما امتدت إليه يده من الأملاك
العثمانية وإنفاذاً لذلك أصدر محمد علي أوامره على قائده في اليمن بتسليم البلاد
للأمير الحسين بن علي باسم الدولة العثمانية .

إمارة الحسين بن علي بن حيدر :

بعد أن بعث الأمير حسين ابنه إلى الأمير عائض أخذ في حشد الجنود ،
ثم وصلته القوات العسيرية فضمها على حشده وتقدم إلى الحديدة ، فوصلت
الأوامر للقائد إبراهيم باشا والي اليمن بالتسليم فسلم له الحديدة وتوجه عن
طريق البحر ، فرتب الأمير أمرها وتقدم نحو الخا وضمها إلى إمارته فأصبحت
إمارته تمتد حدودها من الخلاف السليمانى شمالاً إلى الخا جنوباً .

ومن الخا تحرك صوب زبيد وحيس وضمهما إلى إمارته ، وهم بغزو عدن
ثم عدل عن ذلك لما بلغه عصيان رئيس قبيلة القحرية على حميدة ، الذي رفع

شكواها من الأمير إلى الأمير عافض فبعث هذا من يتوسط للصالح فلم تسفر الوساطة عن نتيجة ، فتقدم الأمير من زبيد لحرب الرئيس وعندما دق من باجل جنح الرئيس للمسالمة وطلب الأمان وانتهى الأمر بالعفو عنه وذلك في شهر ربيع الأول عام ١٢٥٦ فعاد الأمير إلى الحديدية ومنها إلى الزهرة ووالى سيره عائداً إلى مدينة أبي عريش ، وكانت العلاقات بينه وبين الأمير قد ران عليها شيء من التوتر والفتور ، فاتصلا ببعضهما وتقرر الاجتماع في وادي بيش - وهناك جددوا المعاهدة وسويا للخلاف وعاد كل منهما إلى جهته .

بناء قلعة نجران :

في شهر رمضان من تلك السنة ابتدأ في بناء قلعته المعروفة باسم نجران في مدينة أبي عريش ، وقد وصفت بأنها من أمنع المعاقل في تهامة وأنها تشتمل على أربعين بيتاً على أحسن نسق بلغه فن العمارة في عصره في تهامة وحصنه بثلاثة أبراج مجهزة بالمدافع الحربية التي أهداها إليه سعيد بن سلطان ونقل إليه محاسن وذخائر ثمينة ومكتبة تحتوي على ثلاثمائة مجلد ، ووصفه صاحب التاريخ الموسوم « بالذهب المسبوك » بقوله - ابتدأ في بنائه في شهر رمضان قبلي مدينة أبي عريش إلى أن قال : لم يكن مثله في هذه المدينة في سالف الزمان ، وهذا العقل حصن حصين وعلم شامخ العرين نسيم أعاليه سجع ومصباح أعاليه من قناديل الحجر تسرج له لون يدعو الأرواح إلى الأفراح - انتهى ولا تزال أطلال هذا القصر ماثلة في مدينة أبي عريش وقد وصف ذلك القصر أدباء ذلك العصر ومنهم العلامة الحسن بن أحمد عاكش والعلامة المكي أبو بكر بن عبد الوهاب الزرعة :

في عام ١٢٥٨ غزا قبيلة أسلم وأخضعها لطاعته وبعدها أقام في مدينة الزهرة وفيها ورده التأييد السلطاني من السلطان عبد الحميد بواسطة محافظ جدة وأمير مكة على أن يخطب له على المنابر فتلقاه الأمير بالقبول والامتنال .

إحياء الشريح الذي شرق وادى ضمد :

في عام ١٢٥٩ قام بإحياء تلك الأرض ، وكان قد سبق أن استأذن من حكام وأعيان الجهة وصلقه من والده قبل وفاته - ولم يباشر إحياءه إلا في

هذا العام وصرف لإصلاحه مبالغ جزیلة وبني به قلعته المعروفة بالحمى ومن ذلك التاريخ تأسست قرية الحمى المعروفة بهذا الاسم إلى هذا التاريخ ، وفيها عاد من القسم الجنوبي إلى أبي عريش واستقر في قصر نجران لأول مرة بعد انتهاء بنائه ..

قدوم محمد بن يحيى بن المنصور :

في عام ١٢٦٢ قدم إلى أبي عريش محمد بن يحيى فاستقبله الأمير بالإكرام وكان الأول قد ثار في جهة صنعاء على الإمام المهدي وهزم فخرج من الجبال إلى مصر وغيرها راجياً النجدة ، فلم يظفر بما يؤمله فعاد إلى اليمن ونزل ضيفاً على الأمير طالباً مساعدته ويظهر أن الأمير كان على خلاف مع خصمه فرأى في الاستجابة له ما تقتضيه سياسة التوسع .

غزو القسم الجبلى :

اتفق الأمير مع ضيفه على شروط المساعدة ، ومن ثم أخذ في الحشد والتجهيز والاستعداد حتى استكملت أهبته وتم استعداده فسار يقود جيشه إلى زبيد ومنها عقد لواءاً لمحمد بن يحيى على قسم من الجيش تقدم به إلى جهة ريمة فاستولى عليها .

أما الأمير الحسين فقد انتظر على رأس القسم الآخر لما تسفر عنه حركة القسم الأول ، وعندما وصلته البشائر باحتلال جبل ريمة تحفز للهوض .

وفي مستهل شهر الحجة ١٢٦٢ عقد الألوية لأقربائه وسار هو في المؤخرة التي يتألف جنودها من يام فاستولى على حيس وقضى بها أيام عيد الأضحى ثم تقدم صاعداً مشارف الجبال فأقبل أهلها للانضمام إلى جيشه فوالى تقدمه حتى عسكر على نعر التي كان بها حامية لإمام صنعاء المهدي - معتصمة بقلعتها فضرها بالمدافع حتى أرغمها على التسليم واستولى على المدينة ، وفي عام ١٢٦٣ ضم إليه مخلاف نعر والجند إلى حدود (إب) ومن ثم أخذ في تنظيم شئونها وتعيين العمال على إدارتها ثم أخذ في التفرغ لشأن حليفه الذي

يؤمل في انتصاره على قوة مقاومة إمام صنعاء تقرير الوضع النهائي للموقف في الجبال .

كان الهدف الرئيسي للجيش الذي يقوده محمد بن يحيى هو احتلال صنعاء وقد أصبحت تحت طائلة الحصار فأسند الأمير الحسين القيادة العامة لحليفه ، وعاد إلى تهامة ، وكان لا يزال يراود فكره غزو عدن بيد أنه لم ير في جيشه الكفاية لأداء تلك الغزوة المحفوفة بالخطورة فعدل عنها .

استقر الأمير في مدينة زبيد وهناك وافته البشائر باحتلال حليفه لصنعاء وبعد ذلك وصلته الهدايا من حليفه ومن ضمنها خزانة كتب تشتمل على مخطوطات كانت في حوزة آل الإمام — وكان الأمير شغوقاً بالكتب النادرة فضمها إلى مجموعته الثينة .

بوادر الخلاف بين الأميرين الحسين وعائض :

في عام ١٢٦٣ تأخر الحسين عن بعث المبلغ الذي يدفعه لخزينة الأمير عائض بأسباب ما يهظه من نفقات الحرب في القسم الجبلي — ولم نر أحداً من مؤرخي عهده أشار إلى اشتراك العسيرين في حملة الأمير على الجبال مع أن عائضاً في أوج قوته في ذلك التاريخ ، وكلما قام به في تلك الأثناء هو غزو باقم العائدة لإمام صنعاء وإخضاع قبائل بني جماعة . وأخذ في تشديد الطلب على الأمير الحسين في المال المقرر ، مما يظهر أنه لم ينظر بعين الرضا إلى حركة التوسع الذي قام بها الأمير .

ونرى الأمير الحسين من الجانب الآخر يترك أنه أصبح على جانب من القوة ويستند في نفس الوقت إلى حليفه الجديد محمد بن يحيى ، فأخذ بلوره في الماطلة والتسويق لتلك الطلبات ، بيد أن الحلف الجديد الذي استند إليه مبدئياً لم يدم ، فقد لمس الأمير من الحليف الجديد بوادر العداء والخطر الحق فاجفل ناظراً إلى ورائه فإذا عائض مكشراً الأنياب متحفزاً للوثوب ، فلم ير من حسن التدبير أن يجعل نفسه بين شقي الرجا ، وترجع له أن مصادقات عائض أجدى فائدة وآمن غائلة من الحليف الجديد ، فبعث

ابن أخيه الحسن بن محمد إلى عسير فعمل ما وسعه حتى تمكن من إعادة حسن العلاقات وعقد معاهدة دفاعية تعهد الأمير عائض بموجبها من دفع كل اعتداء على بلاد الأمير .

الخلاف بين الخليفين الحسين بن علي ومحمد بن يحيى :

باستيلاء محمد بن يحيى ، على صنعاء واستتباب الأمر له في الجبال أخذ في العمل على ضم القسم الجنوبي كتعز والجند وغيرهما ، مما استولى عليه الأمير وعين له العمال وأناط إدارته العامة أو الإشراف عليه لحليفه ظناً منه أن ذلك الحليف سيكون على الأقل يدين له بالولاء الاسمي ، لأن ما استولى عليه ذلك الحليف في القسم الجبلي الشمالى لم يكن إلا بمساعدته واشترائه جيشه ، أما القسم الجبلي الجنوبي فقد فتحه الأمير أو بالأحرى استولى عليه بنفسه فله حق الفتح وبذلك تكون إمارة محمد بن يحيى مؤلفة من قسمين ، قسم ساعد الأمير حليفه بالمال والرجال في الاستيلاء عليه وقسم استولى عليه بنفسه ، بيد أن محمد بن يحيى لم ير إلا أنه صاحب الحق الشرعي اضطرت له الأحوال وأرغمته الظروف إلى الاستعانة بأمر كان أسلافه تابعين لأئمة الجبال ، وأنه قد قابل جميل الأمير بالمثل عندما بعث له الهدية النفيسة التي سبقت الإشارة إليها ، وعلى الأمير بعد ذلك سحب جنوده من القسم الجنوبي وإعادته إليه وهكذا اختلفت النظريتان ، وأخذ كل منهما ينظر إلى الحق بعين مصلحته ورغبته أو أطماعه السياسية .

وكنتيجة لتلك المقدمة توترت العلاقات بين الخليفين واستشعر الأمير بخطر ذلك الحليف يهدد إمارته فبعث قوة وعاملاً جديداً ليتركز في تلك الأحياء ، أما محمد بن يحيى فقد والى اتصالاته بالعناصر المناوئة لحكم الأمير في تهامة - وكان أقواهم وأشدهم كراهية للأمير هو رئيس قبيلة القحري علي حميدة - الذي مر بك بعض مخالفاته وعصيانه - واتفق معه على النزول إلى تهامة عن طريق باجل ، التي هي تحت طائلته وسيطرة قبيلته .

الهجوم :

أشرنا قبله إلى إعادة العلاقات الودية بين الأمير الحسين والأمير عافض وإلى عقد معاهدة دفاعية تعهد بموجبها الأخير بحماية إمارة الأول من كل اعتداء ، وقد رأى الأمير الحسين أن في ذلك الضمان الكافي من أي هجوم خارجي فركن إلى الدعة وسرح من لديه من الجنود المرتزقة من بآم وهمدان - لأنه احتذى سياسة أسلافه من الاستعانة في توطيد مركزهم بغير سكان المخلاف - وأقام في الحديدية في دعة وخفض غير حاسب أي حساب لخصمه وبقيت لديه بقية من الجنود المرتزقة الهمدانيين بمثابة حرس خاص له وهم بالطبع يدينون بالولاء الديني والروحي للإمام الزيدى خصمه الأول ، وعلى تلك الحالة فاجأه خصمه محمد بن يحيى بهجوم خاطف لم يفق منه إلا على ورود الأخبار المزعجة من فلول حامياته الهزيمة التي اجتاحت مراكزها على الحدود الجيش المهاجم في باجل بمساعدة الرئيس بن حميدة ، فلم يسعه إلا المبادرة بالتحفز ، وهو مضطرب الفكر متوتر الأعصاب وعلى تلك الصورة تقدم على رأس حرسه ومن تمكن من حشد هم محاولا صد المهاجمين وكتب إلى عامله على « بيت الفقيه » بأن يلاقيه مع من لديه في قرية الخليفة .

أخرج الأمير من الحديدية مسرعاً - وكل غايته أن يلقى بالجيش المهاجم قبل تمر كزه في باجل بيد أنه لم يصل إلى قرية شجينة إلا وقد لمس الحياة تلب في جيشه الصغير - الذي جله من همدان - وبالرغم عما لمسه فقد أراد ألا يتسرع بسوء الظن أو بالأحرى فاته الأخذ بالحزم ، فتقدم من شجينة ليلاً فتعمد الهمدانيون تضليل اتجاه سيره حتى لا يصل باجل إلا في وقت متأخر يكون محمد بن يحيى فيه قد انتهى من أمر باجل وتحصينها وفعلاً كان ذلك

إعلم الأمير أن الجيش المهاجم قد سبقه إلى أهدافه فقصده أن يركز خط دفاعه قرب قرية الغانمية فلم يبلغ أطرافها إلا والعدو قد احتلها فانسحب متراجعاً وعسكر قبل قرية القطيع فتعقبه محمد بن يحيى وتم الاتفاق بينهم وبينه على إشارة مخصوصة متى ما أطلقت انسحبوا من الميدان •

المعركة :

عباً الأمير جيشه ورتب كتائبه وزحف على جيش محمد بن يحيى في يوم السبت الموافق ١١ محرم ١٢٦٤ ، وعندما تراءى الجيشان شعر الأمير بحقيقة خيانة جيشه فهجم مستعيناً بكل ما واثته شجاعته فأطلقت الإشارة المتفق عليها بين الهمدانيين ومحمد بن يحيى فانسحب من انسحب من الهمدانيين وبقى قسم منهم مع الأمير وبعد ساعة من الهجوم أصيب الأمير برصاصة في ركبته انسحب على أثرها من الميدان إلى مخيمه في حراسة من بقي معه من الهمدانيين وتشتت جمع جيشه فاضطر إلى الانسحاب من الخيم إلى قلعة القطيع فيمن بقي على وفائه له .

الحصار :

وبالتجائه إلى القلعة ضرب عليه محمد بن يحيى نطاق الحصار ثم شدد الهجوم كما استمات الأمير وصحبه في المقاومة والدفاع وأخيراً ضاق الحال بالأمير وصحبه من شدة وطأة الحصار ونفاد المؤن وبدا التخاذل في أصحابه فاضطر إلى قبول شروط التسليم والتي تتلخص في تنازله عن البلاد التهامية لقاء سلامته وإطلاق سراحه وكتب وثيقة التنازل وأصدر أمره إلى ابنه محمد ابن الحسين المقيم في الحديدة ، وإلى ابني أخيه الحسن بن محمد عامل المخا وحيدر عامل أبي عريش بتسليم ما تحت أيديهم ، وكان عامل المخا قد وصل إلى الحديدة كما وصلها حيدر ، وبعد درس الموقف أجمع رأيهم على إجابة محمد بن يحيى باستعدادهم لإنفاذ أمر الأمير بتسليم البلاد بعد إطلاق سراحه ، ووصوله إليهم سالماً إلى مدينة الزهرة ، وانصرفوا بعد بعث الجواب إلى الاستعداد والتأهب للدفاع وأخذ البيعة من الجند ، وصرفوا بعض أعطيهم المتأخرة فاستقرت الحالة في الحديدة بعد الاضطراب والفوضى ، واتفق الثلاثة على أن يتولى مهمة الدفاع عن الحديدة الحسين بن محمد ، وأن يتوجه الأمير محمد بن الحسين إلى مدينة الزهرة وأن تناط بحيدر بن محمد مهمة أمر منطقة أبي عريش .

علم محمد بن يحيى بتلك الاجراءات وتحصين مدينة الحديدة ، فاكتفى بما تم

له من الاستيلاء على الضحى والزيدية واقتاد الأمير أسير أبين يديه وتحرك على رأس جيشه إلى جهة زبيد فاستولى عليها وعلى حيس ، وابقى أسيره الأمير الحسين تحت الحراسة في إحدى قرى زبيد المسماة البشيشية وتقدم فاستولى على مدينة المخا وبذلك امتد سلطانه في تهامة من المخا جنوباً إلى الزيدية شمالاً .

الحالة في القسم الشمالي من تهامة :

بعد أسر الأمير ظل القسم الشمالي تحت إدارة ابنه الأمير محمد بن الحسين ولم يكن في مقلوره أثناء تلك الأحداث أكثر من المحافظة على البلاد والتحضر للدفاع وبالطبع انه لم يهن على الابن بقاء أبيه في الأسر ، وراى انه لابد من القيام بعمل سريع ، وانما اعوزه كل شيء للقيام بذلك العمل ، واذن ، فليس للدوقف إلا حليفهم الأمير عائض الذي قد تعهد بحمايتهم من كل اعتداء خارجي مقابل الخراج السنوي الذي يدفعونه لخزنته فقم الراي بين الأمير وأبناء عمه على ارسال عامل اللحية علي بن محمد إلى الأمير عائض ، وفعلا توجه إليه ومكث لديه برهة من الوقت ، فلم يظفر بنتيجة فاستأذنه في السماح له بالتوجه إلى نجران للاستعانة بيام في تخلص الأمير من الأسر فلم يأذن له إلا بالعودة إلى تهامة فقط ، فعاد إلى أبي عريش وفي شهر صفر ١٢٦٤ توجه إلى نجران بطريق حرص .

الاستعانة بقبائل يام :

وصل علي بن محمد إلى نجران وطلب من يام — بواسطة رؤسائهم المكارمة النزول معه إلى تهامة لاستخلاص الأمير ، فلبوا داعيه وسار معه منهم جيش كامل العدة إلى أن وصل بهم إلى الأمير محمد بن الحسين في مدينة الزيدية فعقد له الأمير لواء القيادة عليهم وتقدم بهم إلى زبيد كما تقدم عامل الحديدية الحسين بن محمد بمن لديه من الجنود والتقى بأخيه واتخذ الجيشان وزحفا على مدينة زبيد وتم الاستيلاء على المدينة ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى ١٢٦٤ ومن ثم أخذوا في مفاوضة الحراس الذين في حراستهم الأمير الأسير والعمل على استمالهم على تسليمه مقابل مبلغ من المال ، وفي يوم الثلاثاء الموافق ٨ جمادى

عاجل ليدعنا

محمد بن محمد

في هذا يوم من الأيام
 وكم يوم من الأيام
 الا صبح يوم جمعة
 املا له الكمال ما كان
 مستبى البلاء لا ليدعنا
 حبا نعرفه سابق رضى
 الى الله تعالى



البرهان
 على ان
 البرهان
 على ان
 البرهان
 على ان

رسالة من محمد بن إسماعيل المكرمى الرئيس الروحى للتجزيانيين إلى أحد أمراء آل خيرات

الحمد لله وحده

من أحمد بن إسماعيل المكرمي إلى الأخ الأجل الأكل الأكرم المكرم
حيدر بن علي حرسه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صلت للسلام كتابكم وصل وعرفنا
به ونحن ما أمكن لنا الخروج إلا صباح يوم الجمعة نحن ومن سايرنا من الجبل
وأما الغير فما لهم أمل لذلك مما كان أملهم إلا سداه وقد أعذرناهم ونحن
إنشاء الله ما نمسي الليلة إلا لديكم فقد أنت تلزم من ذكرت يلقونا إلا هنالك
في (مقاب) حسبما عرفته سابق وغدا ونحن انشاء الله في الساق يكون معلوم
والله يجملنا والسلام . والجمال الذي يرافقنا والأولاد يسلمون عليك تاريخ
يوم الجمعة ١٩ شهر القعدة سنة ١٢٨٤ .

الختم

الأولى خرج الأمير من معتقله ، فاستقبله أبناء أخيه بجفاوة بالغة واستقر في مخيم الجيش المنقذ له وتولى قيادته واستولى على المخا في آخر شهر شعبان ١٢٦٤ .

غزو الأمير عائض تهامة :

اغتم الأمير عائض فرصة أسر الأمير الحسين وأخذ في إعداد العدة لضم تهامة نهائياً إلى عسير وعندما وصله على بن محمد طالباً باسم ابن عمه النجدة إنفاذاً للمعاهدة صرفه - كما مر بك - معتذراً وبعد انصراف الرسول جد في استكمال الأهبة - وعندما علم بنزول يام اعتقد أنهم لا يستطيعون استخلاص الأمير من الأسر ولم يشك في أنهم سيعودون مهزومين ، لذلك تقدم إلى تهامة بعد أن اتفق مع أحد اخوان الأمير المسمى حمود بن علي بن حيدر ، بيد أن الأخبار باستخلاص الأمير من الأسر قد وافته وهو معسكر في قرية مسلية فتوقف في مكانه وصرح أنه لم يعلم أن الأمير على قيد الحياة وأخيراً تم الاتفاق بينه وبين الأمير الحسين على أساس الاتفاقية المعقودة بينهما سابقاً .

المرحلة الأخيرة :

إن ذلك الحادث أثر على نفسية الأمير ورأى أنه قاسي من الشدائد ما زهده في كل مجد ، أضف إلى ذلك ما لاقاه من جحود محمد بن يحيى ، وعدم وفاء الأمير عائض وخيانة جيشه ، فعلف كل ذلك لديه عقدة نفسية وصدمة عصبية أثرت أبلغ التأثير في مجرى حياته وأسدت على فكره حجراً قائمة من اليأس ودفعته إلى تحقيق المثل القائل : (وعلى أعدائي يارب ..) يضاف إلى كل ذلك سعى الانكليز الحثيث لدى السلطة بازاحتها عن الحكم لما سبق من تجهيزه لغزو مستعمرة عدن .

عودة العثمانيين إلى اليمن :

قابل البلاط الهمايوني الطلب بالارتياح وأصدر أمره إلى والي الحجاز توفيق باشا وأمير مكة محمد بن عون بالتحرك إلى اليمن مع قوة الجيش فوصلوا إلى اللحية ومنها إلى الحديدة فقابلهم بها الأمير مرحباً . . وبلغ خبر دخولهم الحديدة إمام صنعاء محمد بن يحيى فلم يحب أن ينفرد خصمه بالترلف من

الأثر الك ، فسارع بدوره إلى الاتصال بهم مرجباً بل استقبالهم في أطراف القسم الجبلي وصعد بهم إلى صنعاء التي سبق أن استولى عليها منافسه الإمام علي ابن المهدي - في تلك الأثناء - فأدخلهم إليها عنوة - راجع أخبار أئمة صنعاء

النهاية :

بعد استلام الأثر الك لتهامة أرسله القائد توفيق باشا على رأس حملة لإخضاع قبيلة (اسلم) وبعد انتهائه لتلك المهمة توجه إلى وطنه الأول مدينة أبي عريش وأقام بقصره المسدسي نجران إلى أن صدرت الأوامر من الآستانة بترحيله إليها وبعد وصوله إلى الآستانة قرر له راتب شهري وخير في الإقامة في أي محل أراده من البلاد العثمانية فاختار الإقامة بمكة وأقام بها إلى أن أدركته الوفاة عام ١٢٩٣ تغمده الله برحمته :

إمارته :

كانت مدة إمارته نيابة وانفراداً ثمانية وعشرين عاماً ، وكان مشجعاً للآدب مقرباً لذويه فانتشر ذكره في البلاد المجاورة فتقدم إليه بالمدائح غير واحد من الحجاز واليمن والأعلا ومن مدحه بالمراسلة العلامة المكي أبو بكر الزرعة مدحه بقصيدة رائعة عورضت من شعراء عصره - سننشرها مع المعارضات في التاريخ الأدبي - وقد ازدهرت الآداب نسيباً في عهده والتف حوله جماعة من أدباء الوقت ومدح بغرر المدائح ، وكان يقلد الصاحب ابن عباد في اقتراح وصف ما يروق لخاطره ويجعل من اقتراحه حلبة أدبية تجري في ميدانها القرائح وتجول في مضمارها الأقلام - مع الفارق بين العهدين بالطبع - وكان إبان إقامته بزييد يخرج في موكبه إلى الزهة في بساتين النخيل وقد اقترح على الأدباء وصفاً لنزهته تكون على غرار المقامات الحريية والبديعية وقد دونت تلك المقامات في كتاب مخطوط وسنورد بعضها في التأريخ الأدبي كأنموذج لفن المقامات في تهامة في القرن الثالث عشر .

المخلاف السليماني في العهد الثاني للأتراك

بعد استلام الأتراك للبلاد التهامية على يد القائد توفيق باشا كما سبق توضيحه ، وترحيلهم الحسين بن علي بن حيدر إلى تركيا ، ضربت الفوضى أطنابها في المخلاف السليماني ثم نشب الخلاف في مدينة أبي عريش بين الأمير بن الحسن بن حسين وابن عمه الحسين بن محمد بن علي بن حيدر وانقسم أهل المدينة إلى فئتين كل فئة مع أمير منهما وبذلك انقسمت إلى معسكرين فاتخذ الأول قصر والده المسمى نجران معقلاً يطلق منه المدافع على خصمه المتحصن في قصره المسمى الشامخ الذي بدوره يطلق منه قذائف مدافعه على قصر نجران ، وكانت قذائف الفريقين تتساقط وسط المدينة تحصد الأبرياء ، واخيراً أرسل الحسين بن محمد جماعة من رجاله اغتالوا الحسن بن الحسين في قصره وبذلك أمكنه التفرد بحكم المدينة والأتراك في شغل شاغل بتوطيد سلطانهم عن كل ما هو جار في أبي عريش .

استقر حكم الحسين بن محمد بن علي في أبي عريش ، فضج أهلها من ظلمه وجبروته ، ورفعوا استصراخهم إلى الوالي التركي في الحديدة فاستدعاه فتوجه إليه وعندما بلغ منتصف الطريق وصلته قصيدة من الشاعر المعروف بالابّي ، فتقدم رسول الشاعر وقرأ القصيدة بين يديه حتى وصل منها إلى هذا البيت .

كأنما الردف منها وهي تحمله غوائل الروم أوسر هُنَاكَ خَفِي
فقال الحسين للمنشد : حسبك ، وصرف ركبته عائداً إلى أبي عريش

ظل الحسين يحكم المدينة وكان سيء السير ظالماً ، استصرخ الأهالي من ظلمه إلى الوالي التركي - كما مر بك آنفاً - فلم تكن النتيجة بعد قطع رحلته من نصف الطريق وعودته إلا أسوأ من قبل ، فاضطر رئيس مدينسة أبي عريش أحمد بن حسن الحمزي إلى استدعاء الأمير محمد بن عائض وتعهد له

باسم أهل المدينة بالتمهيد والمساعدة ، ومن الجهة الأخرى فقد اطمع ابن عائض وأغراه بسرعة الاستجابة اشتغال الأتراك بتسكين الفتن المتأججة عليهم في اليمن فتقدم صوب أبي عريش ، فأدرك الأمير نخلى أهل المدينة عن الوقوف في جانبه فتحصن داخل حصنه المسمى الشامخ فاقتحمه الجيش العسيري ففر الأمير الحسين إلى اليمن وبفراره استولى ابن عائض على المدينة وهدم قصر الشامخ وذلك في جمادى الأولى عام ١٢٨٠ .

تقدم الأتراك لاستعادة سلطتهم على أبي عريش :

في عام ١٢٨١ تقدم الأتراك بقيادة أحمد باشا السلياني لاستخلاص أبي عريش وتمكنوا من طرد الحامية العسيرية منه ثم من بندر جازان وجميع أنحاء الخلاف السلياني واقاموا محمد بن حسين بن علي بن حيدر باسم قائم مقام ، وقد استمر هذا على عمله إلى أن عزل في عام ١٢٨٤ بأخيه زيد ابن حسين ثم عزل الأخير بحاكم تركي ، فاتصل آل خيرات بقبائل يام وحثوهم على غزو الخلاف فنزلت تعبث في أرجائه فساداً واقترفت من السطو والسلب والقتل ما يفوق الوصف وكان معسكرهم الرئيسي في سامطة فبعث الأتراك قوة تولت طردهم .

غزوة الأمير محمد بن عائض :

في سنة ١٢٨٨ غزا محمد بن عائض تهامة فاستولى أولاً على الخلاف السلياني وطرد منه الحاميات التركية ورحلها بحراً - إلى الحديدة وتقدم إلى تهامة اليمن يبعث في أرجائها سلباً ونهباً وقتلاً واستولى على مدينة الحديدة - ويقال أن طلائعه وصلت إلى المخا - وارتكب جنده من الفظائع ما تقشعر له الأبدان ، وإنما كر عليهم الأتراك وهزموهم فارتد منهزماً وارتكب في أثناء تراجعهم من السوابق والفظائع والمنكرات ما يعف القلم عن تسجيله إلى أن وصل ابن عائض مدينة أبي عريش فأناوب به أحد رجاله المسمى لاحق وانكفا عائداً إلى عسيرة .

وصلت أخبار غارته البربرية إلى الآستانة فجدت الجيوش لقتاله — في نفس تلك السنة — بقيادة رديف وأحمد مختار — راجع التفاصيل في الفصل الخاص بأخبار عسير — واسترد الأتراك سلطتهم على المخلاف السليمانى ففر نائبه المسمى لاحق إلى عسير ومن ذلك التاريخ انيطت إدارة المخلاف السليمانى بالأتراك إلى قيام الدولة الإدريسية .

الحالة العامة في المخلاف السليمانى :

استعاد الأتراك سلطتهم على المخلاف — كما مر بك آنفاً — فضربت القوضى أطناها ، وكانت سلطة المدير التركي لاتتعدى بناية المركز الحكومى — في الأغلب الأعم — والقبائل تشن الغارات على بعضها وشبت الحروب القبلية تتأجج نيرانها ، ونشب القتال بين أهل أبى عريش وأهل ضمد إلى سنة ١٣١٠ ثم بين المسارحة وأهل أبى عريش ومن الجانب الشرقى بين الحرث والمسارحة وفي الجنوب بين بنى شليل والمسارحة وفي الجنوب الغربى بين الحكامية والحرم وفي الشمال بين أهل صيبا والجعافرة وظلت الفتن والحروب في طول المخلاف وعرضه بين كل قبيلة والقبيلة المصابقة لها وزاد الفتنة والحروب ضراوة وقسوة ترخيص فرنسا ببيع الأسلحة في مستعمرتها ميناء جيبوتي فنشطت تجارة الأسلحة في تهامة وزادت مقاومتهم للأتراك وفي عام ١٣١٩ وقع حرب طرابلس الغرب فضرب الأسطول الايطالى مواني البحر الأحمر العريضة ، واستمرت القوضى والفتن إلى عام ١٣٢٧ الذى فيه قام الإمام محمد بن علي الادريسي — كما سنأتى على تفصيل ذلك في الجزء الثانى بحوله تعالى .



موجز تاريخ بلاد عسير

عسير . لم يكن واضح معالم التاريخ في العصر الجاهلي ولا في صدر الإسلام وكل ما عثرنا عليه عن ذلك الإقليم العربي العزيز ، هو ما ذكره الهمداني في كتابه المشهور « صفة جزيرة العرب » قال : ثم يُوَاطن حزيمة من شاميها ، قبائل من عنز ، وعسير بمانية تنزرت ودخلت في عنز ، فأوطان عسير إلى رأس تيه ، عقبه من أشراف تهامة وهي :

- | | |
|---------------|--------------|
| ١ - أبها . | ٢ - الدارة . |
| ٣ - الفتيجا . | ٤ - اللصبة . |
| ٥ - الملحة . | ٦ - طيب . |
| ٧ - أناة . | ٨ - عبل . |
| ٩ - المغوث . | ١٠ - جرش . |
| ١١ - الحدة . | |

هذه أودية عسير .

وفي نجدها أوطان .

١ - الرفيد بلد حصون وزروع .

٢ - وادي سعياء ويسكنه البشريون من الأزدي ، ويقال : إنهم من بني الحارث .

٣ - عنقة ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز .

٤ - تندحة ، وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار يسكنها بنو أسامة من الأزدي .

٥ - العسبا ، بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز ويلها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز .

٦ - القرعا لشيبة ، من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد يقال لها المسقى .

٧- تمنية ، ويسكنها بنو مالك من عنز .

٨- طب .

وتسمى هذه أرض الطود .

غورها - وأما غورها إلى ناحية أم جحدم فهي .

١- الذيبنة .

٢- الساقة - لبني حائرة من شبة .

٣- رأس العقبة ، عقبة ضلع . وهي لبني النعمان .

وورد في الكتاب بعنوان أرض السراة .

١- سراة بني علي وفهم .

٢- سراة بجيلة .

٢- سراة الأزدي بن سلامان بن مفرج .

٤- سراة ألمع .

٥- سراة بارق .

٦- سراة دوس .

٧- سراة غامد .

إلى أن قال فأول بلاد الحجر من يمانها جبل واد فيه الجبل ساكنه بنو مالك ابن شهر الخ .

وبالرغم من هذه المعلومات التي ننقلها عن الهمداني والتي مضى عليها ١٠٤١ عاماً فلا زالت أكثر تلك القرى تحتفظ بأسمائها .

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في تحديد جبال الحجاز الجنوبية عن الطود حكاية أو رواية عن الأصمعي : الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى « صنعاء » يقال له السراة وإنما سمي بذلك لعلوه وسراة كل شيء ظهره ، يقال سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان . ثم سراة الأزدي ، وحدد جبال الحجاز من الجنوب ببلاد مذبح ووادي تثليث .

وعلى كل فمفسر قسم من البلاد العربية التي تشتمل عليها جزيرتها ، وقد شملها أمر الخلافة منذ سطعت أنوار الهداية الحمدية ، وظل كبقية أقسام الجزيرة في خلافة الراشدين والعصر الأموي ثم العصر العباسي إلى أن ضعفت سلطة بغداد وتقلص ظل نفوذها فتولى أمره رؤساء عشائره ولم تنساقط عليه أضواء التاريخ بأنوارها الساطعة إلا بعد النهضة السعودية الأولى .

في عهد الدولة السعودية الأولى

محمد بن عامر من سنة ١٢١٥ إلى ١٢١٧ :

في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - كانت بلاد عسير - كما يظهر تحكم برؤساء عشائرها المحليين وعندما اندفع تيار الدعوة الوهابية إلى الجنوب ، هاجر إلى الدرعية محمد بن عامر المعروف بأبي نقطة وأخوه عبد الوهاب بن عامر - من آل المتحمي ، من قبيلة ، ربيعة رفيدة - طلباً للعلم ورغبة في الدعوة وفوزاً بالزلفى في أخذ مبادئها - التي عدا الهداية والمثوبة ، تتيح لمريدها السيادة والمجد ، وهما في قبيلتهما محل الرئاسة والرجاء . وما هي إلا مدة يسيرة حتى كان الطالبان في مقدمة الناجحين من زملائهم من الطلبة .

جهز الإمام عبد العزيز سرية لإخضاع عسير بقيادة ربيع بن زيد وسير برفقته ، محمد وعبد الوهاب ابني عامر وكتب لتلك السرية النصر فلم ينتصف عام ١٢١٥ إلا وقد تم إخضاع عسير ؛ فكان منها نقطة الانطلاق لنشر الدعوة السلفية الوهابية في القبائل المجاورة لها وبالتالي إلى الخلاف السلياني وتهماته أيمن وبتوطيد دعائم الحكم السعودي وانتشار الدعوة بين قبائل عسير والقبائل المجاورة لها أسند الإمام إمارتها إلى عبد الوهاب أبي نقطة ، وكان من أعماله إخضاع قبائل رجال ألمع ، ومن ثم رحل إلى الدرعية لقضاء بعض مهام مركزه : وفي عودته توفي على أثر إصابته بالجلدي في عام ١٢١٧ ومدة إمارته سنتان تقريباً .

عبد الوهاب بن عامر من ١٢١٧ - ١٢٢٤ :

على أثر وفاة أخيه أسند إليه إمارة عسير وصدرت إليه الأوامر بغزو أبي عريش - راجع الفصل الخاص بإمارة حمود - وأهم أعماله الحربية .
١ - غزو إمارة أبي عريش التي يحكمها الأمير حمود بن محمد تحت سيادة إمام صنعاء .

٢- غزو الحجاز ومشاركته الحربية في ثلاثة عشر هجوماً على قوات أمير مكة (غالب بن مساعد) كان له في جميعها النصر .

توفي قتيلاً في غزوته الثانية للمخلاف السلياني في جهة وادي بيش كما فصلناه في تاريخ إمارة حمود بن محمد .

إمارة طامي بن شعيب ١٢٢٥ - ١٢٣٠

بعد قتل عبد الوهاب صدر أمر الدرعية بإقامة طامي بن شعيب أميراً على عسير ، ومن أشهر غزواته .

١- غزوته التي تم له فيها استرجاع القنفذة من قوات محمد علي باشا وإبادة غالب رجالها واستيلائه على ذخائرها وعددها الحربية ومن جعلتها خمسمائة رأس من الخيل في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٩ .

٢- هزيمته لجيش محمد علي باشا ، والي بلاد غامد هزيمة ساحقة واستيلائه على جميع معداتها .

٣- اشتراكه مع عثمان المضايبي لغزو تهامة واشتباههما مع حمود ابن محمد في وقعة (بربر) التي انتهت بهزيمة الأخير ، وقد قتل في تلك الموقعة سعيد المضايبي أخو عثمان المضايبي - راجع تاريخ إمارة حمود .

نهايته :

في سنة ١٢٣٠ تحرك من مصر محمد علي باشا نفسه - بعد فشل ابنه طوسن وهزيمته - فوصل الحجاز ومنه تقدم يقود جيشه صوب عسير ، وفيما بين الطائف وترية التقى بالقوات السعودية بقيادة فيصل بن سعود وطامي بن شعيب ، وبعد معركة ضارية انهزم السعوديون ، على أثرها عاد طامي بن شعيب إلى عسير ، فجمع من استطاع حشده من قبائله ، وتقدم لصد القوات الزاحفة فلم يغن تصديده شيئاً ووالى تلك القوات تقدمها حتى وصلت قرية طبب مقر طامي وعشيرته آل المتحمي ، ففر طامي بمفرده إلى حصن مسلية ، ولا تزال آثار الحصن ماثلة إلى هذا التاريخ ، ثم تحول منه محاولاً الالتجاء إلى الأمير

حمود بن محمد — أمير أبي عريش ونهامة — وفي طريقه إليه نزل ضيقاً على صديقه يحيى بن محسن النعمي ، وفانحه مستشيراً بقصده فأشار إليه بأن يختفي في الجبال الشرقية إلى الوقت المناسب مذكراً له بما سبق بينه وبين حمود فأصر على رأيه وطلب من ذلك الصديق مرافقته إلى صيبا — التي لا تزال بها حاميته العسيرة — بيد أنه في تلك الأثناء قد وصلت الأخبار إلى الخلاف باستيلاء القوات المصرية على عسير ، فتقدم نائب الأمير حمود ووزيره الحسن بن خالد على رأس قوة من قلعة ضد ، فطرد الحامية العسيرة من قلعة صيبا ، واستولى على المدينة وبعث قوة من رجاله إلى قرية الدهنا — الذي بلغه أن طامياً بها فلاقت تلك القوة في الطريق فألقت عليه القبض وقادته إلى الوزير حسن بن خالد فأمر حالاً بتكيله بالحديد .

كانت القوات التركية التي احتلت طيب قد بعثت كوكبة من الخيل لمطاردته واقتصاص أثره والقبض عليه فوصلت صيبا — بعد الوصول به وتكيله بقليل — فسلمه لها الوزير حسن بن خالد بدون شرط ولا قيد ، فعادت به في تلك الكوكبة إلى محمد علي باشا الذي أمر بإرساله إلى مصر ، فسجن بها مدة ثم أرسل إلى الأستانة وهناك طوف به في شوارعها ثم حز رأسه بالسيف ، بدون رعاية لمركزه ولا تقدير لبطولته العريية .

وباحتلال طيب والقبض على طامى بعد ذلك أبقى القائد التركي حامية بها وعاد على رأس جيشه إلى الحجاز .

محمد بن أحمد المتحمي ١٢٣٠ — ١٢٣٣ :

في شهر رمضان ١٢٣٠ تولى إمارة عسير محمد بن أحمد المتحمي ، وبعد أيام قليلة من توليه هجم على الحامية التركية في طيب فأبادهها عن آخرها فاشتد بذلك ساعده وقويت شوكة فأعاد للإمارة شيئاً من صولتها ، وكأنه أراد أن يشفع ذلك الانتصار بآخر يعزز مركزه ، وكان يضطغن على أهل محائل موالاتهم لجيش محمد علي فغزاهم ونهب أموالهم وأحرق قريتهم ، ثم عاد إلى معقله وأخذ في الأهبة والحشد لأخذ الثأر من الأمير حمود الذي يعتبره الغريم

والمستول الأول عما أصاب ابن عمه طامي بن شعيب الذى فرط في حرمنه ولم يراع في شخصه واجب الجوار ، وحق الوفاء لمن التجأ به ، وفي عام ١٢٣١ تقدم لغزوه وعلى مقربة من درب بني شعبة التقي بحمود الذى تقدم من أبي عريش لملاقاته - ودارت رحا المعركة عنيفة بين الجيشين وانتهت بهزيمة الجيش العسرى وعودته إلى قواعده . .

اتصلت أخبار استئصاله لحامية طيب وهجومه على محائل برجال محمد على في الحجاز فاستفزتهم حركته فأخذوا في تدبير الأمر وتبادل الرأي للقضاء عليه قبل استفحال أمره وإنما أخرجهم قليلاً تهبهم من عدم الجزم بفوز القوات التي لديها نظراً لقلتها - وكانت غالب القوات إلى ذلك التأريخ في نجد بيد أن هزيمته أمام جيش حمود في المعركة الآتفة الذكر شجعهم على المبادرة ووضعت حداً لتهبهم وأعطتهم فكرة واضحة عن حقيقته ومدى قوته فقرروا إرسال حملتهم إليه بقيادة حسني باشا .

حملة حسني باشا :

تقدم حسني باشا بحملته عن طريق بيشة ، ووالى تقدمه إلى أن دخل قرية طيب - معقل الأمير - ففر إلى جهة غير معلومة ، وبفراره رأى ذلك القائد أن مهمته قد انتهت فأبقى حامية في تلك القرية وبعد أخذ العهود والمواثيق من رؤساء عسير عاد إلى الحجاز .

ظهور محمد بن أحمد المتحمي :

اختفى الأمير محمد بن أحمد المتحمي - كما مر بك - بعد استيلاء حسني باشا على معقل طيب ، وظل مختفياً إلى أن عاد حسني فاستدعاه من بقي على ولائه وتحرك للهجوم على الحامية التي في طيب ، إلا أن أغلب رؤساء عسير تخلوا عن مساعدته وامتنعوا عن الاستجابة لمشاركته فدفعه نكوصهم وتخليهم عنه للتشاور مع علي بن مجثل على الاستعانة بملك تهامة حمود بن محمد ضد قبيلتهما المتخلفة عن طاعتها ، فوافق على ذلك وكانت النتيجة استجابة حمود لدعوتها وإرساله جيشاً إلى عسير بقيادة وزيره حسن بن خالد - راجع

التفصيل في الفصل الخاص بتاريخ حمود - وكان تقدمه بعد ذلك بنفسه واستيلائه على عسير وبذلك طويت صحيفة آل المتحمي ، أما محمد بن أحمد فقد أسره الأتراك بعد موت حمود وقتلوه .

إمارة سعيد بن مسلط المغيرة ١٢٣٩ - ١٢٤٢ :

بعد قتل الأمير محمد بن أحمد المتحمي توالى غارات قوات والي مصر بمساعدة أمير مكة محمد بن عون واستمرت أحوال عسير في فوضى واضطراب بين فتن قبلية وغارات متكررة من جانب قوات والي مصر والأتراك وأمير مكة إلى سنة ١٢٣٨ التي فيها غزا أمير مكة وادي الدواسر ، وقد جند لهذه الغزوة رجال القبائل ومن جعلتهم قبائل عسير الذين قبل ذلك قد فاءوا إلى الخضوع - وكان على رأس عسير في تلك الغزوة سعيد بن مسلط نفسه وفي أثناء تلك الغزوة لحق بسعيد بن مسلط بعض إهانة من قائد الحملة العام أمير مكة فرجع ابن مسلط مغاضباً ، وبصحبه قبيلته ورجال ألمع وبعض قبيلة علكم وهجم بمن معه على حامية أمير مكة في طب و أميرها المسمى هزاع وطردهم وأحرق المركز ، فأسرع أمير مكة من وادي الدواسر إلى عسير ، فعندما وصل إلى خميس مشيط التقى سعيد بن مسلط وهزمه كما هزمه بعد ذلك في معركة أخرى في وادي عتود ، فرضي أمير مكة من الغنيمة بالإياب وعاد راجعاً إلى الحجاز ، وبهذين الانتصارين ارتفع قدر سعيد بن مسلط ، وعلت مكانته في نظر قومه العسيريين فأمروه عليهم .

وبالطبع لم تهن على أمير مكة الهزيمة فأخذ في العمل على تجسيم خطر سعيد بن مسلط في نظر والي الحجاز حتى استجاب لإغرائه - خشية المسؤولية ، وخوفاً مما يجره خطر التهاون في المستقبل فرفع بدوره لمرجعه ، ثم تقدم الوالي نفسه يقود حملة تأديبية . - كما سنوضحه في الملمسة التحليلية بعد . -

محمد بن عون وسعيد بن مسلط :

بقتل حسن بن خالد وتشتيت جيشه لم يبق أمام الحملة ما يعوق تحقيق النصر والاستيلاء على بلاد عسير برمتها ، وبما أن القيادة الفعلية لتلك الحملة

لمحمد بن عون بحكم مركزه الاجتماعي ومكانة أسرته ومعرفة القبائل شخصيته فقد كان المتصدر للأمور السياسية والإدارية في قيادة تلك الحملة التي من مصلحتها التواري وراء شخصيته .

لهذا فقد طلب محمد بن عون البيعة من العسيرين فأعطوها — وليس لهم خيار فضرب معسكره في بلدة (طب) قاعدة بلاد عسير في ذلك التاريخ . كان أبرز العسيرين آنذاك محمد بن أحمد المتحمي الذي سبق له الاشتراك في الوقائع في العهد السعودي الأول ، وهو من أسرة المتحمي التي كان منها القادة في عسير للدولة السعودية ، تبدأ من محمد بن عامر ثم تلاه عبد الوهاب وغيره ، فشرع محمد بن عون بتطلعاته وتحركاته للقيام بحركة ضد تلك الحملة فيما إذا انسحبت قوات تلك الحملة .

اتفق مع القائد سليمان سنجق ، الذي يشاركه توجساته من نوايا محمد ابن أحمد المتحمي ، على القبض عليه ثم ترحيله إلى الحجاز ومن هناك نُفسي إلى مصر مع ابنه المسمى « مُدَاوي » .

وبعد أن اطمأنت الحملة إلى نجاح مهمتها بخضوع أهل عسير أبقت حامية مع محمد بن عبد المعين بن عون ، لتوطيد سياستها في عسير وما حولها وذلك في ابتداء سنة ١٢٣٦ وأناط الأمور الإدارية بأخيه هزّاع بن عبد المعين ابن عون ، ليتفرغ لإدارة الأمور السياسية ، واستقطاب القبائل التي تتاخم عسير ، وأراد أن يوسع دائرة نفوذه لناحية وادي الدواسر ، فجند قبائل عسير وشهران وغيرها لغزو وادي الدواسر ، فبلغ في وجهته تلك إلى (السَّائِل) ففقد شوكة بني مُغَيْد ، فوجد الكثير منهم قد تأخر عن الجيش ما عدا رئيسها سعيد بن مسلط مع عدد قليل من قومه فاستدعاه وأنبه واشتد في توبيخه أمام الغزاة فنار لكرامته وانسحب خفية وعندما وصل إلى السقا أعلن الثورة عليه ، فالتفت حوله قبيلته فهاجم بهم الحامية التي في بلده (طب) واستولى على البلدة .

ثورة سعيد بن مسلط :

نجحت ثورة ابن سليلط فنصب نفسه أميراً على عسير ، ومضى (ابن عون) إلى وجهته نحو وادي الدواسر ، وعندما وصلته الأخبار باستيلاء (ابن مسلط) على (طب) وإخراج حاميته منها بعث بحملة لقتاله فوصلت إلى أخيه هزاع والحامية التي أخرجت ، فقادها لمحاربة (سعيد بن مسلط) ، ودارت معركة بينهم وبين (ابن مسلط) في وادي عتود انتهت بهزيمة الحملة وقتل هزاع ابن عبد المعين وذلك في شهر رجب من سنة ١٢٣٨ .

عزز ذلك النصر مكانة سعيد بن مسلط فتوطدت إمارته في عسير واتخذ من قريته بلدة (السقاء) مقراً لإمارته واتسعت إمارته على بلاد عسير وما جاورها من حدود بلاد وادعة جنوباً إلى بلاد الحجر شمالاً .

لم يهن علي (محمد بن عون) هزيمة حملته وقتل أخيه ، فأخذ في تجسيم خطر الإمارة الجديدة ، لدى حاكم الحجاز — من قبل محمد علي — أحمد باشا وأن هذه الإمارة الجديدة هي بعث جديد لهزيمة آل سعود ، فرفع أحمد باشا إلى مصر كما رفع محمد بن عون بلدوره مبالغاً في خطر تلك الثورة ، فصدر الأمر من محمد علي بتجهيز حملة قوية يقودها (محمد بن عون) .

وفي منتصف سنة ١٢٣٩ تحركت نحو عسير ، وتسانفت الحملة عقبه شعار فتصدى لها سعيد بن مسلط على مسافة نحو ثلاثين كيلاً — تقريباً — من بلدة (طب) واشتبكت معها في موقعة ، وبعد قتال مرير مع حملة مزودة بأسلحة حديثة — بالنسبة إلى ذلك التاريخ . انسحب سعيد بن مسلط منهزماً ، إلى الداخل وأخذ في تنظيم صفوفه واستعداده للمقاومة الطويلة .

بهزيمة سعيد بن مسلط تقدم محمد بن عون بقوة من الحملة واستولى على بلدة (طب) ، وأخذ سعيد بن مسلط من موقعه الجديد يقاتل الحملة حتى تمكن في شهر شعبان سنة ١٢٣٩ من استعادة مدينة (طب) ودحر الحملة ومضايقتها وإلحاق الخسائر بها وشل مجهودها الحربي ، وإصلاحها بالغارات المزعجة ، فلم يسع محمد بن عون إلا الانسحاب من عسير صلحاً صيانة ،

لما الوجه وإبقاء على سمعة الجيش وعاد بالحملة إلى الحجاز انتظاراً لفرصة أخرى .

وفي أوائل سنة ١٢٤٠ تقدم محمد بن عون على عسير ، وإنما في هذه المرة أصبح سعيد بن مسلط قد توطدت مكانته وقوى جانبه ، وعندما بلغه دنو الحملة من عسير خرج للملاقاة في بلاد شهران وهزمها ، فنكصت على أعقابها عائدة إلى الحجاز .

ورفع ذلك الانتصار من مكانته الحربية والسياسية فتفرع لإدارة عسير حتى وافته المنية في عام ١٢٤٢ .

الأمير علي بن مجثل ١٢٤٣ - ١٢٤٩ :

هو ابن عم سعيد بن مسلط تولى الإمارة إبان اشتغال والي مصر بحملته على سورية وكان ابن مجثل متشبعاً بالدعوة الإصلاحية السلفية فأخذ بالعمل على غرار آل سعود من التقدير لرجال العلم وقد خص علماء الحفاظية بالمكان الأول في إمارته ، وأول عمل حربي له غزوة قبيلة عيس في عام ١٢٤٣ وشاطرهم أموالهم ثم غزى في نفس العام صدياً وأخرج الحامية التركية منها ، ومن صدياً تقدم لغزو أبي عريش فخرج لقتاله أميرها علي بن حيدر فتوسطت بينهما الوسائط بالصلح وعاد إلى عسير .

وفي عام ١٢٤٥ غزى قبيلة وداعة وأخضعهم لطاعته وفي عام ١٢٤٦ غزى تهامة اليمن واستولى على بلاد صليل وما يجاورها وهدم قلعة رئيسها الكلفود المسماة « دوعان » وأزال ما بتلك البلاد من القباب والمزارات وعين في جهاتها أمراء من قبله وجعل الشيخ عبد الرحمن الحفظي مرشداً ومرجعاً للأمور الدينية وفي عام ١٢٤٧ غزا (حباطة ببش) فاستولى على :

١ - قبيلة الصهايل .

٢ - قبيلة الريث وجبلهم المسمى القهر .

وفي سنة ١٢٤٨ تقدم لغزو إمارة أبي عريش ، فاستولى عليها صلحاً وقد

ساعده على استسلامها الجنود الألبان ^(١) فبنى بها القلعة المعروفة بدار النصر ورتب بها حامية كما اتفق مع الجنود الألبان على غزو اليمن باسمه مقابل أن يمدهم بما يلزم من المؤن والعدد ، وعاد إلى عسير وقد تم للألبان الاستيلاء على تهامة اليمن ، ثم أخذوا في الاستبداد والظلم والتمرد فنزل لمحاربتهم وتم له القضاء عليهم وتمزيق شملهم وطردهم كلياً ، وبعد أن تم له النصر أناب محمد ابن مفرج على البلاد وجعل مقره مدينة الحديدة وعاد وقد علفت به العلة التي توفي بها ، فحمل على محفة على أعناق الرجال وبعد شهرين من عودته إلى عسير أدركته الوفاة .

(١) هم جماعة من الجنود « الألبان » الذين قدم بهم محمد على باشا إلى الحجاز أثناء وصوله لحرب السعوديين . وقد ظلوا هناك إلى عام ١٢٤٧ وفيها ثاروا على وإلى الحجاز وسطوا على ما أمكنهم أخذه من المؤن والذخيرة واغتصبوا بعض السفن الشراعية وابتعدوا إلى سواحل اليمن يعيشون فساداً ، وفي أثناء حصار « ابن مجتل لمدينة أبي عريش » كان وصولهم إلى جازان فعرض قائدهم « تركجة الماز » المساعدة والمعاونة لابن مجتل فقبل مساعدتهم ، وكان له بذلك استلام مدينة أبي عريش وخضوع أميرها علي بن حيدر ثم عقد معهم اتفاقية على أن يدخلوا في دعوته ويقوموا بغزو تهامة اليمن وقد قام هؤلاء الألبان في تلك الغزوة بالاستيلاء على الحديدة - المحا - زبيد وأعمالها ، وبذلك بسطوا سلطانهم على مدن تهامة كافة ، وقد أغرامهم هذا الظفر بارتكاب فظائع في البلاد وأخيراً نفضوا أيديهم مما اتفقوا به مع ابن مجتل فسار لقتالهم فاستولى على الحديدة صلحاً ، والمحا . وزبيد بعد معارك حامية وتعقب فلولهم قتل وأسراً ، أما رئيسهم « تركجة الماز » فقد تمكن من الفرار بجزراً .

دراسة وتحليل

الأحداث تخدم الرجال ومن حسن حظ علي بن مجتل فقد شغل محمد علي بحروبه مع الدولة بغزوه لسوريا ، واشتغال أشراف مكة بخلافاتهم وعلى رأسهم الرجل النشيط صاحب المطامع محمد بن عون الذي كان أبرز أبناء أمراء مكة ، من ذوي زيد والذي يرشح نفسه للإمارة ، فقد تربع كرسي الإمارة واشتغل بها عن الاشتراك في الغزو مع قوات (محمد علي) ولو إلى حين .

أتاحت تلك الفترة من الهدوء لعلي بن مجتل توطيد قوته في إمارة عسير واستغلها بعد تثبيت أمره في عسير إلى التوسع جنوباً في (الخلاف السليمانى) وبعده في تهامة اليمن .

وفي الخلاف السليمانى كانت إمارة علي بن حيدر ، التابع سياسياً لإمارة مكة التابعة بدورها لمحمد علي والى مصر ، وله حاميات تركية في صبيا ومدينة جازان وفي عاصمة أبي عريش ، وكان علي بن حيدر ، لا يهتم بأمور قبائل البوادي التابعة لإمارة قبيلة عبس القوية - آنذاك - والممتد مجالها القبلى من شمال الحقو إلى شمال وادي ضمد ، فأخذت تلك القبيلة تعبت بالأمن ، وكان الخلاف السليمانى سوقاً لتصريف منتجات تهامة عسير مثل الأدم والسمن والعسل والحنطة وبالأخص سوق صبيا الأسبوعي وموقع تلك القبيلة يشرف ويسامت في غير بعد طريق عسير صبيا ، والعداء قديم بين تلك القبيلة وقبيلة بني شعبة - راجع كتابنا الأدب الشعبي ٥ ج ٢ .

فاتخذ من قطعهم الطريق وسيلة للتوسع وسبر غور لدى قوة جاره تمهيداً لتوسع آخر في تهامة اليمن كما سيأتى :

فجمع جموعه وغزا قبيلة عبس ، وبالطبع أن قبيلة بني شعبة العدو

«التقليبي لقبيلة عبس من القبائل الذي شملها أمر علي بن مجتل بالاشتراك ،
وهي أمنية طالما تمنوها .

ومن المعروف أن قبيلة واحدة مهما كانت قوتها فلا تستطيع مقاومة إمارة
جندت لهم عدد من القبائل ، وعلى كل فقد انتهت الغزوة بإخضاع قبيلة عبس
ونهب أموالها وقتل أبطالها ودخولها في الطاعة ، ولم يحرك أمير الخلاف
السلجاني ساكناً .

وبذلك أمكن لعلي بن مجتل الزحف على مدينة صيبا واحتلالها وإخراج
الحامية الألبانية فانسحبت إلى أبي عريش ، وذلك في النصف الأول من عام
١٢٤٢ وأبقى حامية في قلعة صيبا من قومه .

استعادة أمير أبي عريش نصيبا :

لم يهن علي «علي بن حيدر» أخذ مدينة صيبا ورفع إلى أحمد باشا بمكة
بالواقع وطلب منه المدد فبعث إليه بقوة بحراً ، يصحبها مدفعية تضم عليها
من ما لديه من قوة من الألبان في مدينة جازان وفي (أبي عريش) وتقدم
بنفسه وهاجم الحامية العسيرية في قلعة صيبا فقاومته برهة ، فأخذت مدفعية
في قصف القلعة قصفاً شديداً أرغم الحامية لطلب الصلح والانسحاب فاستجاب
لهم فغادروا صيبا إلى عسير ، وبمغادرتهم صيبا دخلها جيشه فأبقى بها حامية
وعاد إلى أبي عريش .

ساد منطقة الخلاف السلجاني الهدوء بقية عام ١٢٤٢ وشهور معلودة من
سنة ١٢٤٣ ثم تقدم (علي بن مجتل) يقود قواته لغزو المنطقة فاحتل مدينة
صيبا وتقدم منها إلى مدينة أبي عريش .

الاستعداد :

استعد الأمير علي بن حيدر ، وشحن الحصون بالمقاتلة وانتظر لقتاله
وصلده وبدنو (علي بن مجتل) خرج لقتاله وتقابل الجيشان فتقدمت واسطة
خيرة للتوسط في الصلح ، وكان لبعض رجال (علي بن مجتل) السعي الخيث
في المبادرة للوساطة ، وبطبيعة الحال لولا رغبة (علي بن مجتل) في صلح

مشرف لما تقدم أولئك الرجال ، أما الأمير (علي بن حيدر) فبطبيعة الحال أنه برجوع جيش خصمه عن القتال اعتبره فوزاً ولو مؤقتاً ، وكان الصلح ينص على :

١ - تنازل الأمير علي بن حيدر عن مدينة صبيا .

٢ - عودة علي بن مجثل بجيشه إلى عسير .

وعاد علي بن مجثل بعد أن أتاب على إمارة صبيا محمد بن علي بن خالد الحازمي الضمدي ، وأبقى معه حامية عسيرة في صبيا .

علي بن مجثل بعد عودته من الخلاف السلياني :

من سنة ١٢٤٣ كانت الحالة المضطربة في الحجاز لا تسمح بالتفات محمد علي أن يتحرك لا لعسير أو غيرها من جنوب الجزيرة ، فقد وقع الخلاف بين أمير مكة الجديد عبد المطلب ، وقائد حامية محمد علي ، في مكة ، وأسبابها أن محمد علي لم يوافق على تنصيب عبد المطلب ، ورغب في تعيين محمد بن عبد المعين بن عون ، فأبلغ قائد الحامية عبد المطلب بذلك فأعلن الحرب على الحامية الألبانية ونادى بالجهاد فهبت البادية لندائه ، واستدعى (يحيى بن سرور) وطلب منه توحيد جهودها لإخراج الجيش المصري من الحجاز فوافقه ، وتواعد على مهاجمة مكة في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٤٣ .

وفي أثناء الإعداد للهجوم على مكة وصل محمد بن عبد المعين بن عون من مصر بأمر محمد علي . فكان لوصوله الأثر في إحباط خطط الهجوم والمهاجمين وإرباكهم ، وفي نفس الوقت قوي موقف الجيش المصري ورفع معنوتهم للمقاومة .

وفعلا انسحب عبد المطلب من (ميني) إلى الطائف وتراجع يحيى ابن سرور من وادي فاطمة إلى البادية البعيدة .

نادى محمد بن عون بنفسه أميراً لمكة وأبرز أمر محمد علي بذلك ،

فأقبل عليه الناس ، ورفع محمد علي بفك الحصار عن جيشه وتسلمه مركز الإمارة ، وطلب منه إرسال نجدات سريعة لمطاردة خصمه ، وبوصول النجدة من مصر جمع ما استطاع جمعه من عربان البادية ، وسار مع القوة التي لديه من الجيش المصري إلى الطائف ، فتحصن عبد المطلب في الطائف ، فهاجمه حتى اضطره إلى التسليم .

ثم وقع وباء جارف في مكة والحجاز فشغله عن كل تحرك وذلك في سنة ١٢٤٦ وما انحسرت موجة الوباء في سنة ١٢٤٧ حتى ثارت أقوى فرقة في جيش محمد علي بقيادة « بلماز » وفر محافظ مكة « خورشيد » إلى جدة ناجياً بنفسه من بطشهم ، وحاول محمد بن عون تسكين فتنة الفرقة الثائرة فأعياه ونزح إلى الطائف ، فقام الثائرون بحصار بقية الجيش الذي لم يشترك معهم ويقاوم فنتهم وذلك في سنة ١٢٤٨ .

وأخيراً انسحب الثائرون إلى جدة ، ونهبوا الأموال الحكومية وخزينة الدولة وركبوا أحد السفن العائدة لمحمد علي وحملوها بغنائمهم الحرام وساروا إلى جازان ثم اتفقوا مع علي بن مجثل كما سبق توضيحه .

انشغال محمد علي :

وأما محمد علي والي مصر فإنه باستيلائه على مكة سنة ١٢٢٨ — بعد حرب ضروس خاض غمارها سنتين فلم ير أن يعيد إليها حكم الأشراف المطلق بل جعل إدارة الحجاز تحت سلطة مصر التابعة للسلطة العثمانية على الوجه الآتي :

١ — قيد أمر الشخص الذي يتولى الأمر بموافقته ، وحصر نفوذه بأمر العربان والشئون الداخلية .

٢ — يناط أمر الدفاع والسياسة بقائد حاميته في الحجاز الذي يطلق عليه تواضعاً أو سياسياً اسم المحافظ .

لقد انتهى من حربه مع السعوديين بسقوط الدرعية سنة ١٢٣٣ فلم يبق له ما يشغله آنذاك ، فراح يعد نظره إلى أمجاد وتطلعات جديدة — جعل

شبه جزيرة العرب - أمراً لا يحظى بجل اهتماماته ، وبعودته إلى مصر أخذ في :

١ - الاشتغال بأمر تجهيز حملة حربية لغزو السودان وضمه إلى مصر بقيادة ابنه إسماعيل وذلك في سنة ١٢٣٥ - ١٨٢٠ .

٢ - بتجهيز ابنه إبراهيم إلى (الموره) من بلاد اليونان في الأسطول المصري فتألبت أساطيل الدول الأوروبية على الأسطول المصري كما هو معروف وذلك في سنة ١٢٣٩ م .

٣ - من سنة ١٢٤٠ اشتغل بالإعداد والتجهيز لحربه مع الدولة العثمانية في سوريا وعندما استكمل أهبطه سير ابنه إبراهيم على رأس جيشه إلى (غزة) ثم (عكا) فدمشق وحلب وحمص وذلك سنة ١٢٤٧ - ١٨٣١ والتي انتهت باتفاقية (كوتاهية) سنة ١٢٤٩ - ١٨٣٣ .

٤ - ثم شبت الفن في سوريا وفلسطين فاضطر محمد علي إلى التوجه بنفسه لتسكن ثائرة الثائرين ثم معركة (زيب) بين جيشه والجيش العثماني التي انتهت بهزيمة الأتراك ، ثم تألب الدول الأوروبية خدمة لمصالحها على (محمد علي) ، وعقد مؤتمر لندره سنة ١٢٥٦ - ١٨٤٠ الذي أرغم محمد علي بصفته تابعاً للدولة العثمانية بالترجع وحصر أمر ولايته في مصر فقط هذه الأحداث سواء ما كان منها على مستوى الحجاز أو على المستوى الدولي هي التي هيأت الفرصة لنجاح ثورة العسيرين باشتغال محمد علي مؤقتاً بما هو أهم .

وسعيد بن مسلط - ثار وامتدت إمارته على عسير من ١٢٣٩ - ١٢٤٣

وعلي بن مجثل خلف سابقه من سنة ١٢٤٣ - ١٢٤٩ .

الأمير عائض بن مرعى المغيلدى ١٢٥٠ - ١٢٧٣ :

عهد إليه سلفه بالإمارة وهي المرة الأولى منذ تأسست الإمارة في عسير بعد أن كان يتعين الأمير بأمر من الأمير القائم من آل سعود - كما في عهدها الأول - أو يختار من قبل ذوي الرأي كما كان يجري في العهد الأخير .

والأمير عائض هو المؤسس الأول لأسرة آل عائض .

لم يستقر على كرسي الإمارة - حتى عادت إليه رسله الذين بعثهم لأخذ البيعة - بنجر تمنع الأمير علي بن حيدر صاحب أبي عريش ، فتقدم على رأس جيشه لفك الحصار عن حاميته المحصورة في قلعة دار النصر ، فلم يوفق في هذه الغزوة وعاد مهزوماً ، وقد اضطرت حاميته بعد عودته إلى التسليم وشجع هذا الانتصار الأمير علي بن حيدر على غزو صبيا وطرود الحامية العسيرية من قلعتها .

تقدم الأتراك على عسير :

أزعج الأتراك أو بالأحرى جيش والي مصر التفاف قبائل عسير حول أميرهم الجديد عائض بن مرعي ، فرأوا أنه من الحزم وخدمة مصالحهم وأد هذه الحركة في مهدها قبل استفحال خطرها - وهم الحريصون على إخماد كل حركة عربية - وقد شجعهم حليفهم التقليدي أمير مكة - الذي يترأى له في كل حركة تحريرية خطر النهضة الوهابية - فبذل من جانبه القيام بدعوة مرتزقة القبائل للتجنيد وقيادتهم ، وفي عام ١٢٥٠ تقدمت الحملة مؤلفة من الأتراك والمرتزقة على رأس أمير مكة وسلكت طريق بيشة إلى بلاد شهران واشتبكت في معركة هائلة مع الأمير عائض في أعلى وادي عتود - بين أبها وخميس مشيط - فكانت الدائرة على العسيرين فانسحبوا إلى أمسقا فتقدم الأتراك واحتلوا أبها وخيمت قوات المرتزقة الذين بقيادة أمير مكة في طيب ، وبأنهزام عائض إلى أمسقا نظم صفوف رجاله واستثنى المتخلفين والمتوانين من قبائل عسير وهاجم بهم القوات الغازية في أبها وطيب ، وأرغمها على الانسحاب فانسحبت إلى باحة تنومة - من بلاد شهران - ورابطت بها .

وفي خلال ذلك تقدمت حملة أخرى من الحجاز إلى تهامة اليمن أرغمت محمد بن مفرح نائبه على تلك الجهة ، على الخروج منها بموجب صلح - يخوله الانسحاب مما تحت يده من مال وسلاح .

وفي أواخر تلك السنة زحفت الجحافل التركية على عسير من جهات عديدة .

- ١ - من بلاد شَهْرَان .
- ٢ - طريق القحمة .
- ٣ - من طريق درب بني شعبة .
- ٤ - من طريق الحجاز على رأس محمد بن عون أمير مكة إلى السقا .
- ٥ - من طريق الشعبين .

واستهل عام ١٢٥١ والحرب مشبوبة الأوار وفي شهر صفر بدأ الأمير عائض في تنفيذ خطط الدفاع على الوجه الآتي .

١ - بعث جيشاً للهجوم على معسكر الأتراك في السقا فحالفه التوفيق وقضى على قوات ذلك المعسكر قتلاً وأسرأ - وكانت تلك الموقعة استهلالاً للانتصارات المتتابعة بعده .

٢ - أصدر أوامره على قبائل رجال ألمع بالاغارة على منازل قبيلة ربيعة وفيدة - المواليين للأتراك ، وعلى الحامية التركية المعسكرة لديهم فنجحت في مهمتها وانحنت قتلاً فيهم وفي الحامية .

وحفز الانتصاران ، قبائل عسير فقامت توالي الغارات الموفقة على معسكرات الأتراك ومراكز حامياتهم بشكل أوقع الاضطراب والهلع في معسكراتهم العديدة ، وقطع عليهم خطوط التموين فاضطروا إلى الانسحاب إلى خارج حدود عسير ، متقهقرين تحت ضغط غارات العصابات وهجماتها الخاطفة .

وإذا دققنا النظر واستقرينا الأسباب وعللنا الأمور بمسبباتها أرجعنا انهيار تلك القوات والجحافل الزاحفة من كل صوب ، أمام قبيلة من القبائل العربية الباسلة حصرت من كل جهة وفقدت كل معين إلا إيمانها وثقتها بالله ثم بقائدها وشجاعته العربية الأصيلة ، ثم ترجع تلك الجحافل متقهقرة ، لوجدنا أن خلاطراً على جهاز القيادة العليا ، وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية نجد أنه ورد في كتاب (قلب الجزيرة) نقلاً عن هو غارث أن خلافاً نشب بين رديف

باشا القائد التركي المعروف وبين الأمير محمد بن عون وأحمد باشا والي الحجاز من قبل محمد علي باشا ، لأسباب رغبة الأمير محمد بن عون في بسط نفوذه على قبائل عسير ، وانه على أثر ذلك صدر أمر محمد علي على الأخيرين بالتوجه إليه بمصر وفعلا وصلا إليه في عام ١٢٥٢ .

ونتيجة عن ذلك الاختلاف تأخر الحملات التركية عن عسير ثلاثة أعوام أي من عام ١٢٥١ إلى عام ١٢٥٤ تفرغ خلالها الأمير عائض لتنظيم شئون إمارته وإجراء بعض الإصلاحات المحلية من التشجيع على التفقه في الدين على يد العلماء الحفظاية وقام بالغزوات الآتية :

١ - غزوته لبيشة النخل وإخضاعها لطاعته .

٢ - ارسال سرية إلى درب بني شعبة للمحافظة عليها من غارات قبائل يام التي انحدرت إلى تهامة للسلب .

٣ - غزا بنفسه غامد وزهران واخضعها لطاعته ، وقد استردها عقب ذلك والي الحجاز أحمد باشا .

٤ - تقدم يقود عشرين ألف مقاتل لاسترداد غامد وزهران فني بهزيمة منكرة فني فيها أغلب جيشه وتشتهر هذه المعركة بمعركة رغدان .

٥ - غزا قبيلة الجهرة من قبائل شرقي وادي بيش تم هجم على أهل الحقو واثن فيهم قتلا في الرجال والنساء بحجة أنهم آووا قبيلة الجهرة .

وعلى أثر انسحاب قوات محمد علي من الحجاز - كنتيجة لنصوص معاهدة (لنصرة) ورجوع أمر أمير مكة محمد بن عون إلى الأتراك عقد بينه وبين الأمير عائض صلحاً يقضي باحترام كل من المتعاقدين لسلطة الآخر ، وقد أطلق الأمير محمد بن عون جميع أسرى عسير ، الذين أسروا في وقعة رغدان ، وهكذا ابتسم الحظ للأمير عائض فوطد أركان إمارته وامتدت سلطته على كثير من البلاد .

وفي عام ١٢٥٦ اتفق مع الأمير الحسين بن علي بن حيدر أمير أبي عريش على محاربة قوات محمد علي في تهامة اليمن ، وعملاً بذلك أرسل جيشاً بقيادة

محمد بن مفرح فاشترك في حصار الحديدة ، إلا أنه في أثناء الحصار وصلت الأوامر لوالي تهامة إبراهيم باشا بالانسحاب وتسليم البلاد لأهلها - راجع الفصل الخاص بأخبار الأمير الحسين بن علي .

٦ - وفي عام ١٢٥٧ غزا المقاطرة جنوب وادي بيشش ، ومنها انحدر إلى أبي عريش لتأكيد ما بينهما من المعاهدة .

٧ - وبعد اتفاه بأمر أبي عريش غزا قبائل عبس ونهب أموالهم .

٨ - وفي سنة ١٢٥٨ غزا بالاشتراك مع أبي عريش قبائل (الحُرث) وفي رجوعه غزا صذر وادي بيشش حتى بلغ جبل القههر .

٩ - وفي سنة ١٢٥٩ أخضع قبيلة وداعة لطاعته .

وفي سنة ١٢٦٠ بدأت تتداعى بنود الصلح المعقود بينه وبين أمير مكة ، فبعث سرية لغزوبيشة ، ثم تقدم بنفسه إلى بلاد غامد وبلاسمير وبلقرون ، فأخضعهم لطاعته ، ولم يحرك أمير مكة ساكناً لضعف قوته أو بالأصح لأسباب الخلاف الواقع بينه وبين الوالي التركي .

١٠ - وفي عام ١٢٦٣ غزا باقم .

وفيهما جدد إحياء مزارع مُسَلِّية التي أنشأها طامي بن شعيب .

١١ - غزا صيبا ومنها غزا الحُرث ، واستاق أكثر نعمهم .

١٢ - وفي عام ١٢٦٥ بعث محمد بن مفرح للاتفاق بالأمير عبد الله ابن محمد بن عون ، في بيشة ، لتجديد الصلح وتحديد الحدود ، إلا أن عائضاً نقض الصلح في العام الذي بعده بغارته على بيشة ، ومنها تقدم إلى بلقرون ، وسراة تهامة فصالحوه على ما يريد بلون قتال ومن تلك الجهات غزا تشليث .

١٣ - وفي عام ١٢٦٨ جدد غارته على بلاد غامد وزهران وضمها إلى إمارته وأقام عليها ابنه محمد بن عائض .

وفي عام ١٢٦٩ وقع الوباء الجارف في عسير ، وامتد إلى عام ١٢٧٣ ،

وتوفي به الأمير عائض عام ١٢٧٣ وكانت قد بلغت حلود إمارته من تَقْلِيْنِث في الشرق والجنوب ، إلى بيشة وغامد وزهران شمالاً وجنوباً إلى الخلاف السلطاني .

محمد بن عائض ١٢٧٣ - ١٢٨٩ :

هو أول أمير عسيري تؤول إليه الإمارة بالوراثة من والده ، وقد كانت قبل ذلك تؤول إلى الأرشد من القرابة ، أولاً في آل المَسَحْمِي من قبيلة ربيعة ورُفَيْدَة ثم في بني ناجح من قبيلة بني مُغَيْد .

وإنما انتصارات والده عائض بصد هجمات الأتراك على عسير ، أكسبته مجداً في قومه ، توظف في مصلحة ابنه الذي ترشح بعد وفاة والده مباشرة بتولى الإمارة فبايعه أولاً قومه الأدنُون ثم بقية شيوخ عسير .

كان حزم عائض قد وطد الأمور ، وسكن الأحوال ، في إمارته التي ظلت قوية متينة بالنسبة إلى ما حولها من الإمارات اخلية ، فكان ذلك لابنه الاستقرار والامتداد جنوباً .

فانصرف من بداية توليه إلى القيام في التوسع الزراعي ، وإنشاء مزارع جديدة خاصة بشخصه ، وإشادة بعض القصور ، إشباعاً لحب المظهر وإظهاراً لآلأبته .

كانت بلاد غامد وزهران ضيعة الحجاز الزراعية ، وحقل المسيرة ملكة المكرمة ، بمحصولاتها الزراعية الوفيرة ، التي ليس لها سوق لتصريف مُنتَجَاتِهَا - آنذاك إلا الحجاز ، يضاف إلى ذلك اشتغال أهلها بالأعمال في الحجاز ، وبالأخص في مكة المكرمة ، وجُدَّة في خلال السنة عامة ، وفي موسم الحج خاصة ، وكانت حاصلاتهم الزراعية من الحنطة والشعير ، والسمن والعسل واللوز والفاكهة هي عماد ما يسد الحجاز طيلة السنة .

لقد ضم عائض بلاد غامد وزهران إلى عسير ، وبوفاته رأى الأتراك ، أمير مكة أن الوقت قد يكون مناسباً للاستيلاء عليها ، والأتراك ومحمد

على وأمراء مكة قد مر بالقارىء الكريم وصف موقفهم ضد كل إمارة عربية ، ومن إمارة عسير في ذلك التاريخ خاصة قبل عائض وفي عهده .
لذلك فقد أرسل الأتراك قوة بقيادة أمير مكة للاستيلاء على بلاد غامد وزهران وبعلم محمد بن عائض بتحريكها تقدم على رأس قواته وتقابل الجيشان في (المخواه) وإنما شعر من الساعة الأولى بضعف قوته أمام الحملة ولكون تلك التجربة — قبل ذلك — لم تمر به عملياً فقد رأى الجنوح إلى السلم أقرب إلى مصلحته فتقدمت الوسائط للصلح الذي انتهى بتنازل محمد ابن عايض عن بلاد غامد وزهران ، وبابرام الصلح صار أمير مكة إلى بلاد غامد وزهران لترتيب إدارتها وتعيين من يقوم بشئونها ثم نزل إلى مكة .

أما محمد بن عائض فقد عاد مباشرة إلى عسير وذلك في سنة ١٢٨١ . ظل الأمير محمد بن عائض بعد القضاء على ثورة رجال ألمع التي دبرها الأتراك وأمير مكة — كما سيأتي — يحول ما بين السراة وتوابعها ، ويتجاول حريباً وسياسياً مع أمراء المخلاف ، ويتوقى بحذر دسائس الأتراك من الجنوب كما سيمر بالقارىء الكريم بذلك مفصلاً في الفصل المعنون (العلاقات بين عسير والمخلاف السلياني) .

إن الأتراك قد أحاطوا بإمارته من الشمال والجنوب ويتحينون الفرصة المناسبة لسحق تلك الإمارة العربية ولم يكن الأمير في مرونة والده فشغل نفسه بالأتراك في تهامة بصورة استفزتهم للتحفز للقضاء عليه .

وكان لهزيمة من تحت أسوار مدينة (الحديدة) مع ما ارتكبه جنده المهزوم في تهامة عامة وفي بلدة « الزيدية » خاصة من ارتكاب أشنع المنكرات وهتك الأعراض وكشف الأستار ونهب الأموال مما تقشعر له الأبدان وتتفطر لهوله الألباد وذلك في شوال عام ١٢٨٨ فتحفز الأتراك بدورهم مجددين في استئصال شأفته والقضاء على إمارته وتقدمت جحافلهم كما سيأتي :

الزحف التركي على عسير :

وصلت القوات التركية إلى القنفذة بقيادة محمد رديف باشا وأحمد

مختار باشا في حملة قوامها عشرون ألف جندي وتقدم الأول من ميناء القنفذة صوب حلي كما تقدم أحمد مختار من ميناء (الشقيق) .

احتل رديف باشا بلدة (حلي بن يعقوب) أول مركز للحلود العاضية ثم والى زحفه إلى (محائل) فاحتلها يوم ١٠ ذو الحجة سنة ١٢٨٨ ، عندها تحرك ابن عائض بحشوده من القبائل ورابط في (باحة شعار) وأخذ في إقامة التحصينات وتهيئة خط الدفاع الأول ، ظناً منه أن الأتراك سيتقدمون من تلك الجهة .

وسبق أن استنهض ابن عائض قبائل رجال ألمع وتهامة عسير كافة ورابطوا في جهة حلي بن يعقوب فلم يغنوا شيئاً في صد الزحف التركي وولوا منهزمين .

أما رديف فبعد الحاقه الهزيمة بالالمعين والى زحفه حتى وصل وادي العوص ومنه تسلقت قواته العقبة الصعبة ونصبت خيامها في سطح تهلل ، فأسقط في يد الأمير واختل ميزان حسابه وارتبكت خطة دفاعه فاضطر إلى الانسحاب من خطوطه والقيام بحركة سريعة لمباداه الأتراك بالهجوم ، فلم يسفر هجومه عن نجاح ، وظل القتال سجالاً حتى أرغم على الانسحاب من ذلك الميدان فتقدم رديف واحتل السقا .

أما الأمير ابن عائض ، فقد انسحب متراجعاً إلى الحفير - قرية غرب السقا فضيق عليه الأتراك الخناق فالتجأ إلى قرية ريده وتحصن بها .

رَيْدَة :

تحصن الأمير في ريده ولحصانها ومنعتها الطبيعية وما أعده فيها من وسائل الدفاع لم يظفر الأتراك من هجماتهم المتكررة عليها بطائل ، فأصدر القائد رديف أمره على قسم من الجيش الاحتياطي المرابط في ميناء القنفذة بأن تبحر إلى الشقيق بقيادة أحمد مختار وتزحف إلى ريده من جهة الغرب .

تقدم أحمد مختار :

تقدم من ميناء الشقيق ووالى زحفه إلى أن عسكر غرب ريدة وبذلك أمست بين شقي الرحا .

شدّد الجيشان - من الشرق بقيادة رديف ، ومن الغرب مختار - الهجوم واستمر خمسة أيام متوالية فزلزل بهوله قلوب رجال المقاومة ، فدب اليأس والفشل في نفوسهم وأخذت الخيانة تعمل عملها في أقارب الأمير فخرج منهم من كان في حصن شهران ثم استسلم آل مفرح ، ولم يبق الا القصر الذي تحصن به الأمير ، فتضعضت معنوية حرسه الخاص ورجاله المقربين ، ولم يجد منهم الشجاعة للمثابرة على المقاومة والدفاع ، ولم يجد في رفع معنويتهم المهيضة رجاء الأمير واستنهاضه لهمهمهم ، وقد أحاط الأتراك بالقصر من كل جانب فطلب أكثرهم الأمان وانحازوا إلى الأتراك فلم يبق مع الأمير غير مواليه فاضطر حينئذ إلى طلب الأمان من أحمد مختار على شروط منها الأمان لنفسه وأهله فتعهد له بالقبول .

وبموافقة أحمد مختار وتعهد به بقبول شروط التسليم ، سلم الأمير نفسه ودخل الأتراك إلى القصر ، وبالرغم عن تعهد أحمد مختار بسلامة الأمير وأهله ومواليه وعدم أخذ سلاحهم ، فقد القوا القبض على جميع من معه وجردوهم من سلاحهم وأودعوهم السجن .

نزل رديف من السقا ودخل ريدة في اليوم الذي دخلها أحمد مختار ، وعندما شاهد محمد بن عائض قاعداً بجوار أحمد مختار أمر حالاً بالقبض عليه وإيداعه السجن غير مراعاة لما قطع له من العهود من قبل زميله، وفي مساء تلك الليلة أمر بقتله مع خمسة وثلاثين شخصاً من رؤساء رجاله وذلك في صفر عام ١٢٨٩ .

فطويت بقتله صفحة تلك الإمارة العربية واستولى الأتراك مباشرة على إدارة عسير ، وكان حكمهم لعسير من نوع حكمهم للجزيرة العربية ضرباً من القوضى وعدم الأمن والاستقرار ، إذا استثنينا عهد الوالي محيي الدين الذي

امتد من عام ١٣٣١ - ١٣٣٧ والذي اتسم نسبياً بشيء من الإصلاح وإقامة بعض المنشآت العمرانية ، مما سوف نتعرض له بالتفصيل في الجزء الثاني ، بحوله تعالى .

دراسة وتحليل

إن الأتراك قد ضاقوا ذرعاً بتلك الإمارة العربية في عسير فأخذوا يخططون للقضاء عليها مبكراً منذ عهد محمد علي وإنما لم تمكنهم الفرص من القضاء عليها ، وبقتل ما حاولوا في عهد (سعيد بن مسلط) ثم في عهد (علي بن مجثل) ثم في عهد (عائض) - وقد مر بك ذلك أيها القارئ الكريم فلم تسفر محاولتهم عن فوز يذكر ! .

وجاء عهد محمد بن عائض فأخذوا في تدابير جديدة فبدلاً من المواجهة المباشرة أخذوا في التدابير السياسية وإثارة الحركات غير المباشرة وحياسة المؤامرات وبث الدسائس ، ومن ذلك ما كان يحاك بين أمراء المخلاف السلياني وابن عائض فأصبح والي الحديدة هو بؤرة المؤامرة في الجنوب وأمير مكة المحرك في الشمال - مع الوالي التركي بالطبع .

وفي سنة ١٢٨٠ أصبح لدى الأتراك في تهامة اليمن قوة تمكنها من المطالبة ببعض مطاعمها ، ويشعر محمد بن عائض بذلك ضمناً فيستجيب لبعض مطالب والي الحديدة التركي ، ويتنازل له عن ما كان له من سلطة في تهامة اليمن وهو من شمال صليل إلى (حرص) ولم تكف الأتراك بذلك بل طلبوا منه التنازل عن النصف الجنوبي من المخلاف السلياني أي من شمال حرص إلى جنوب وادي ضمد . ولم يقف الحال عند ذلك أيضاً بل أرسلوا قوة محمولة بحراً إلى جازان فاحتلت المدينة فأرسل محمد بن عائض قوة فأخرجتها .

وبطبيعة الحال أنه احتسب ذلك لدى الأتراك عليه للوقت المناسب .

وفي سنة ١٢٨٥ حركوا أمير مكة بأن يدير حركة فتنة على ابن عائض في قلب منطقته أي في بلاد رجال ألمع وهي الجناح الثاني لعسير ، فأخذ

أمير مكة في مباشرة التحريض والتأريث لا في رجال ألمع فقط بل وفي النصف الشمالي لمنطقة الخلاف .

وتحرك أهل رجال ألمع ونصبوا لهم اماما يقاتلون تحت رايته ، مما يدل أن الثورة مدبرة بتدبير - راجع ص ٢٩ ج ٢ من كتابنا الادب الشعبي في الجنوب .

وتحرك أمير مكة نفسه على رأس قوة إلى بلدة (القنفذة) ينتظر الفرصة فيما لو صمدت ثورة رجال ألمع ليزحف هو بدوره وإنما عدم تماسك ثورة رجال ألمع ثم انهيارها أمام قوة ابن عائض جعلته يقف عن التحرك وإنما ظل على تحفزه ومناورته ، وكان لانتصار ابن عائض على ثورة رجال ألمع عامل مهم في احتواء خلفيات تلك الثورة - ولو مؤقتاً - هذا عند أمير مكة .

أما عند الدولة العثمانية فهي تدابير خفية ناجحة في عمق إمارة بن عائض يمكن توظيف مثلها في المستقبل واستثمار مردودها في صورة أتقن وممرسات أجدى ، ومنطلقات أمضى .

وإنما ابن عائض نفسه شعر بمعاناة تلك الثورة وما كلفته من مغارم وما أحدثته من تمزقات داخلية وما أفرزته بالنسبة إليه من اختبارات ، وأسفرت عنه من تصورات ، وطروحات جديدة ، ومن أهمها توظيف انفجارات لثورة جديدة وقيام الدولة العثمانية بتمتين ارتباطات في عمق داخلية مع قبيلة أوقبائل أخرى تقوم بتحديات قد تنجح فيما فشلت فيه ثورة رجال ألمع .

لهذا ترى ابن عائض يبادر بإجراء مفاوضات مع أمير مكة بغية تجميد تحركه وقد قدم مع مبادرته تنازلات في الحدود من جهة غامد وبيشة ووعود أكيدة .

فترى أمير مكة يطلب عفواً عاماً عن متولي أمر ثورة رجال ألمع فيجيب مع علم ابن عائض بتدبير ابن عون لتلك الثورة وتحركه إلى القنفذة لمساعدتهم .

وكل ما قلعه ما كان إلا نتيجة ضغوط ، شعر بعدم قدرته على تحملها أو تفادياً لتوقعات مستقبلية يرغب في عدم حصولها حالياً أو إرجائها إلى وقت يكون أقدر فيه على مجابهتها .

وفي نفس السنة جردوا حملة إلى المخلاف السلياني طردت الحامية العسكرية الرمزية من أبي عريش .

كل تلك العوامل كانت فعالة في نفسية ابن عائض وذات تأثير عميق على معنويات العسيرين ، ومقدمات وطلائع أدبية وسياسية قبل الطلائع الحربية .

وفي نفس الوقت كانت الاستعدادات جارية والحشود العثمانية تساق ولم يكن يخفى ذلك على ابن عائض ويظهر أنه أخذ في الاتصالات مع والي مكة ومع باشا اليمن في الأكثر ، بغية تلطيف الجو وتهيئة المجال لمفاوضة صلح تبقى له ولو على إمارة عسير ، ولم نقف على تفاصيل تلك الاتصالات ، إلا أن صاحب (الدر الثمين) يقول : وفي يوم الخميس عاشر شوال سنة سبع وثمانين ألف وصل محمد بن بعق من اسماعيل باشا بما لم يطلع عليه من مكاتبات وكاتبه بما لا يعلم أنه أشرف عليه قريب أو بعيد .

رسائل من أمراء عسير :

عثرنا على رسائل من أمراء عسير موجّهة بعضها إلى (الحوازمة) وإلى الأمير علي بن حيدر وآخرها عهد إلى رئيس جزيرة (دهلك) وإيصال باستلام جباية .

وتلك الرسائل كانت لدى إحدى الحوازمة وقد وصل بها إلى جازان من قرية ضمد ليعرضها على معالي الأمير تركي السديري . أمير منطقة جازان يقصد من ورائها أن لأسلافه ماض واتصالات بأمراء عسير ويرجو التوسط له لدى الحكومة في مقرر ، وقد طلب مني الرأي حول تلك الرسائل التي يحرص شخصياً عليها ويرى أنها تراث تاريخي بالنسبة لأسرته فأشرت عليه بأن يأخذ لها صوراً طبق الأصل وأن يعطي الأصل لمعالي الأمير مع معروض يطلبه فرجاني بأن أنتسخ له صوراً طبق الأصل منها فوافقته على ذلك على

شريطة أن يسمح له بأخذ صورة منها ، فوافق وفعلاً نسختها على صورتين صورة احتفظت بها لدي والثانية بيده . أما الأصل لتلك الرسائل فقد سلمها لمعالي الأمير تركي السديري وقد رفعها معاليه إلى الجهات العليا . وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٧٧ .

وقد نشرت الرسالة الموجهة إلى رئيس دهلك مع التعليق عليها في صحيفة الإمامة الغراء صحيفة ١١٥ في ٣ رمضان سنة ٧٨ وأشرت إلى مصدر تلك الرسائل .

إن لهذه الرسائل قيمتها التاريخية فهي تعطينا صورة واضحة لطريق الترسيل في دواوين الأمراء العسيرين إذا حق لنا مجازاً أن نطلق اسم ديوان الرسائل لما يصدر منهم من مكاتبات وإلا فالحقيقة أن الإمارات العسيرية برغم الدور النابه الذي قامت به في جنوب شبه الجزيرة - عسير . والخلاف السلياني . وتهامة اليمن ، حقبة من الزمن ، كان له أهميته بالنسبة إلى تلك الأقطار في الناحيتين الحربية والسياسية . إلا أنه كان من ناحية التنظيم والإدارة يمثل السداجة الفطرية للبدواة القبلية ، وهم وإن كانوا يتمسكون بالدعوة السلفية تمسك المقلد لا الأصيل فإنه يعوزهم الكثير مما اشتملت عليه حركة تلك الدعوة الإصلاحية .

وتجد في هذه الرسائل نمطاً تلمس منه منهج سياستهم وطريق مكاتبتهم وملامح نفسياتهم .

أما من الوجهة البيانية فنهج تلك الرسائل إلى العامة أقرب منها إلى العربية الفصحى والوجهة الشخصية إبراز من السمات الرسمية ويغلب على طابعها سداجة البادية والصراحة الفطرية وإن لاح في ثنايا بعضها لوامع الدهاء العشائري في مجال لا يعدو الغزو والتسلط ، وعلى كل فإن الظفر بمثل تلك الرسائل يلقي ضوءاً يتطلبه التاريخ . وصاحب هذا الكتاب هو أول من نشرها

وقد نقلناها طبق الأصل محافظة على الأمانة التاريخية والاحتفاظ بصورة صادقة واضحة من النمط الرسلي لأولئك الأمراء وتشتمل على ما يأتي :

١ - خمس رسائل من الأمير عائض .

٢ - أربع رسائل من علي بن مجتل .

٣ - رسالة من سعيد بن مسلط .

٤ - رسالة من محمد بن عائض .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعيد بن مسلط إلى حضرة الحبيب الهام محمد بن حسن بن خالده .
سلمه الله من آفاه ، وآمنه من كل ما يخافه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطابكم الكريم وصل وصلكم الله رضوانه . وما ذكرت صار للينة
معلوم : ومن جهة حجكم نسأله أن يجعله حج مبرور . والحمد لله بسلامتك .
وأما ما جرى فالأمور مقلرها الله وسببها الذنوب . نسأل الله أن يتوب علينا .
وأما العدو فقد أوقع الله به ما لم يصب به غيره والحمد لله الذي هو أهله .

ولا يخفاكم أن إخوانكم تابعين مغربلين وودنا بتسديد الأمور . وقد
كتبنا إلى الأمير علي بن حيدر خطوط وذكرنا له إن كان رد عليكم ما بقا
من مالكم وأرضاكم ويؤمر من ترضون ولا يؤخذ من المخاليف الزكاة .

وأنت الله يسلمك . إن كان وصل الخط ومعه حصل بعض القبول .
فلا تكره ، وإن كان لم يحصل شيء فما قدر بنا يكون .

حيث أن إخوانكم قد تعبوا تعب عظيم وبعضهم ستة أشهر لم ير أهله . ()
ما عادهم على ما تعهده . والله ما بقي معنا من سمات أهل السراة . من بلاد
بالسمر إلى عريعر . في بلاد وادعة . إلا تسعين أو ثمانين . إلا بني مغيد .
فدل حين مرادنا لإصلاح ذات البين . وبعد المخرج إن شاء الله يحصل .
أما صلح أهل الشام فلا نعمل عليه . ونعرف أن الله سبحانه وتعالى . أوقع
بهم الخزي . والذي لم يصيب غيرهم بحول الله وقوته ترون ما يسركم عن
قريب . وأنتم ألزموا أنفسكم . وترون إن شاء الله ما نفعل . والقلب مشغول

معكم كما يعلم الله ، وإذا رأينا أن معنا تحرك في اليمن فلا نغفل إن شاء الله
يكون لديكم معلوم . وسلم لنا على ابن محسن ومن يعز عليكم ونسأل الله العظيم
يجمع الشمل على ما يحب ويرضاه () وإذا طابت النفس وركدت
البلاد فالجهاد فريضة ولا منه عذر إلا من عذر الله في محكم كتابه وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وكذلك فاقرأ جمع () من رأس محمد
بن ناصر وسلموا على أحمد بن حسين وكافة الجماعة .

الحتم
سعيد بن مسلط
١٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن مجثل إلى حضرة الشريف المهام محمد بن حسن بن خالد سلمه
الله وعافاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد الحمد لله . فإنه وصل خطك الكريم وصلك الله إلى رضوانه .
وما ذكرت صار لدينا معلوم والله المستوثق أن يكتب الاجتماع على خبر
وتمكن وزوال المفسدين من القرييين والبعيدن آمين .

وذكرت من أحوال تهامة وفسادها وفساد ولائها فهو عندنا معلوم .
ولا أخرج أخيك من أمثال التوجه إليها إلا ما ابتلا الله به من تحت أيدينا من
القحط وشدة المؤنة . وذلك بسبب الذنوب نسأل الله غفرناها في رعايانا .

وإلا فليكن لديك معلوم إنا حريصين على صلاحها ونزع الفساد منها .
كما لو أنه في رعايانا .

ولكن لله في كل ساعة شأن . ويوم يجيء لنا إن شاء الله نزول أو حركة
إلى تلك الجهات المذكورة بحيثكم نبئنا معجل ولا يقع لنا إن شاء الله ممشا
إلا وتعريفنا أول واصل إليكم . ونسأل الله العظيم أن يرحم البلاد والعباد
ويزيل الفساد بحوله وقوته . وأيضاً ما ذكرت من جهة المركوب فاعلم أن
والله ما عند أخيك إلا أربع من الخيل .

ونحن إن شاء الله ننتظر لبعض النواب الطيبة أو لبعض الحصن الجياد
وتصل إليك . وإنا والله الحمد حريص عليك ولا نرضى بك . فطب نفس .
لكن حال التاريخ . ما نجدها في الحال . هذا وسلم لنا على أحمد الحسين
وعلى الحسن وكافة الأولاد وأنت سالم والسلام ختام . وحال التاريخ وحسين
ابن محمد الجوفي في صلب مزوج وأحواله طيبة وخطابكم أرسلناه إليه
وإن شاء الله جوابه يصل والسلام .

الحق

يامن عليه التوكل - هذا عبدك

على بن مجتل - ١٢٤٢

وبأعلا الورقة الأصل الحاشية الآتية :

الولد الشهم الهام العزي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صلر إليك الجواب صحبة السائق له . إذا رأيتم له شيء حق نصف
أو ما رأيتم حيث والرجل لم يحصل شيء . وإذا رأيتم بعد أيام أنكم تذكرون
له هو يمشي إلى هناك حيث وهو حجة وتركون عليه في الذي من عليكم
والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن مجتل إلى حضرة المحترم المكرم محمد بن حسن سلمه الله تعالى
سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد وصل الخط . وصل الله الجميع رضاه . وما ذكرته صار لدينا
معلوم . كذلك خط على حميدة وصل . وأصبت بإبقاء المكتب لديكم
ولإرسال بالخط . وأما جوابه الذي ذكر . فجوبنا عليه . وهذا خطه تشرف
عليه . وبعد ما تشرف عليه تختمه . وأرجعنا خطوطه التي لدينا صحبة مكتبك .
حتى تشرف عليها وتشرف على جوابنا له . وتجوب له بعد ما نعرفك بحقائق

ما نحن عازمين عليه إن شاء الله . قد أنت تراه في الملحق . وقد ذكرنا له أن كل حقيقة . في خطكم .

وأما ما ذكرت من جهة المعيشة والرحمة التي جعلها الله على بلاد المسلمين فالحمد لله رب العالمين والله المستول أن يوزعنا شكر نعمته ويكفينا صروف نقمته . وكذلك جميع بلاد المسلمين الرحمة عليها . ما والله نعلم بوادي منها إلا ما سأل في حد ما وصلنا علمه من بلاد همدان إلى بلاد بني شهر . وتاريخه قد لنا إثنا عشر نهاراً ما نخرج من البيوت كذلك ما ذكرت من جهة خوض الشريف حسن بشير من جهة بندر الحية . فأنت عارف . أن هذا أمر لا يستحمله عاقل . ولا لنا فيه قدرة . ولا والله يحصلون منا ربة واحدة . إلا إن كان تم الخوض بيننا وبينهم . فلا نحن غادرين . ولا يحصل منا شيء حتى ننبد إليهم . إذا لم يتحرون ما اشترطناه عليهم . وإن صار في الأمر انتقاض فلله في ذلك حكمه . وأرجو أن الله يمد يد المسلمين عليها وعلى غيرها . والشرط فلا شرطنا عليهم شيء في القاعدة من أمر الدنيا . إلا إنا قيدناه بشرط الاستقامة على ما يرضي الله والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وتعلم أن هذا الأمر ما هو حاصل منهم . فأما جواب الشريف حسن جزاه الله خير فقد ما يسدهم من التعب من غير أن تزيد سبع عشر مائة . ومقرر سنوي خمسة آلاف نتحملها . فهذا أمر لا تلقي له بال . والشريف أذكر له لا عاد يفتح في هذا باب . أردنا تعريفكم .

وهذا الملحق لا يشرف فيه أحد إلا أنت ... لأن لنا مراد إذا فيه مدايرة ويعود جوابه . ومن لدينا الولد عائض ومحمد يسلمون عليكم والسلام .

الحتم
الله الملك - وعلى عبده

١٢٤٥

الواصل بيد محمد بن حسن بن خالد معاونة إلى أخينا الأمير علي بن مجثل عشرة آلاف ريال . ألفين منها رسالة في البرك تصل إن شاء الله يوم الخميس

وثمانية آلاف ريال . محولة ستة آلاف في المحا . وألفين في الحديدية على نظر
أخينا يوسف يسلم ذلك إلى الأمير يعلم ذلك تاريخه خمسة وعشرين ذي القعدة
سنة ١٢٤٨ .

الختم
الله الملك
وعلى عبده

الحمد لله

إلى حبش بن موسى وكافة أهل جزيرة دهلك .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ونخطكم إلى الأخ محمد بن حسن وصل ذكرتم قصدكم الدخول في الإسلام
والانحياز إلى دعوة أهل الإسلام فلا بأس هذا من أحب ما إلينا . والصاير
إليكم عمالنا مفرح والقاضي عبد الله لأخذ العهد على دين الله ورسوله والسمع
والطاعة لله ثم لنا . وهذا خط لكم منا بأيديكم لجناب تركي بلباس إن قد
حالكم حال المسلمين . وأيضاً يكون بأيديكم شاهد من التعرض لكم فإن
كلفتم به أحد من طرفكم في طريق البحر وإلا فقد ألزمنا الأخ إبراهيم سيفين
يكلف به وقد جعلنا نظركم إلى الأخ محمد بن حسن . فأنتم اسمعوا له وأطيعوا
فيما أمركم به من أمر الله وأمر رسوله وهذا لعمالنا ينتزعون فريضة الزكاة من
القرش والعروض والله يهدينا صراطه المستقيم والسلام ختام .

الختم
الله الملك
وعلى عبده

شاهد

هذا خطابنا بيد حبش بن موسى وكافة أهل دهلك سلمهم الله . بأن
عاهدونا على الإسلام والعمل بكتاب الله وسنة رسوله وإقامة ما أمر الله به
وترك ما نهى عنه . يعلم ذلك كل واقف على خططنا تاريخه غرة شهر رمضان
عام ١٢٤٨ .

الختم
الله الملك
وعلى عبده

صور من رسائل أمراء عسير :

نقلها بنصها الحرفي ورسمها الخطي بما فيها من خطي نحوي وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

من عائض بن مرعي إلى جناب الأخ في الله والمحبة فيه حسن محمد
ابن حسن بن خالد الحازمي سلمه الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد حمداً لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه .
خطكم المكرم وصل وما في طيه من الملاحيق تحققناها جميع . وكذا خط
والدك على حسن فهمناه وما ذكرت من توجهه إلى بيت الله الحرام وأنه
يطلب المسامح منا فإله يبلغه المراد ويصحبه السلامة . وهو مسامح ومعفى عنه
ظاهر وباطن . ونحن وأنتم غير الناس . والحال واحد والمنزلة صافية .
وأما الفرس فهي وصلت بيد الأخ حسن أحمد وقد حقق لنا من رأسه بما
أوصيته به . فأما الفرس فهي عندنا على الذي بيننا وبينك فيها . كل على
حصته فيها . هذا والحال واحد . وسلم لنا على كافة من لدينا يسلمون عليكم
والله يرعاكم والسلام .

الختم
الله الملك
١٢٦٤

من عائض بن مرعي إلى الشريف المكرم على بن حيدر .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد صدورها يوم الأحد لعله رابع وعشرين في شهر جماد أول بعد
أن انفصل الصلح بيني وبين أحمد باشا والشريف ابن عون يوم الجمعة
٢٣ في الشهر بعد الحروب العظيمة في مناظر وانتقل أحمد باشا بمطرحة وعاد
من حيث جاء معه أحد عشري صحيب من عسير يحفظونه لا أحد يخالف على
أصحابه وكان في شرط الصلح أن لنا من صيبا إلى وادي حلي وبارق والمخلود
داخل في الحد إلينا والحوازمة ومن يعلق بهم إلينا وجميع أراضيهم باليمن
داخلة في الصلح بأيديهم وفي ذلك قاعدة بأيدينا ورشومهم عليها وما حدث

من تاريخ الصلح منك في المخلود لنا فترانا لازمينك به وقد شرطنا على أحمد
باشا ذلك وأعطونا فيه فلا يكون عليك الحال يعتبر هذا تصرفك والسلام .

الحتم
الله الملك
وعائض عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عائض إلى جناب الأخ المحترم المكرم حيدر علي سلمه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

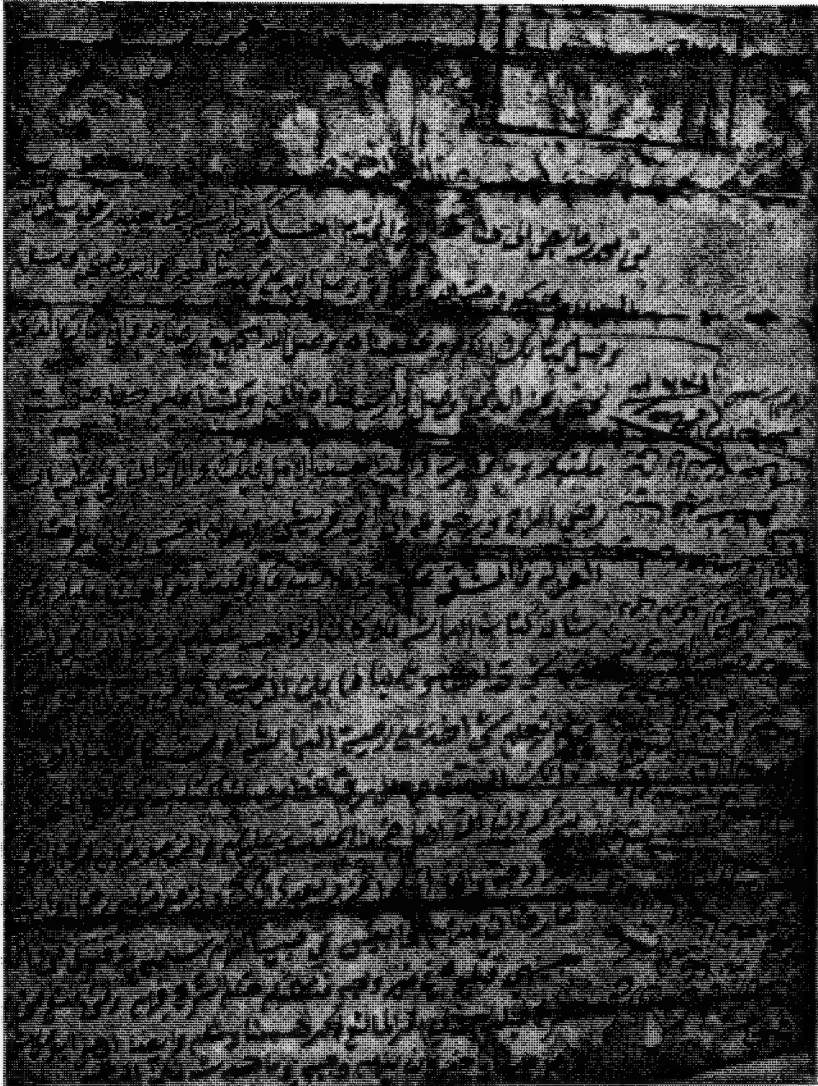
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وصل كتابك المكرم
وتحققناه وصل الله الجميع رضاه والأمانة الذي لحسن بن عز الدين وصل
وأرسلناه إليه وكتبنا عليه خط صحبة مكتبك وما قصرت وهذا حسب الأمل
فيك والأمان في طيه أن رضى المراح ورجوعه إلى أبي عريش فهو له أحسن
وإن اختار الغربة فالمشقة عليه وأما أنت فأوفيت بواجبنا عليك وعن شأن
كتاب الباشا فلا كان الواجب عليكم رفع الشكية إليه في شيء قد أبطأ وثانياً
فما بين الرعية أهم من دراهم علي عقيلي ولم نعلم شيء أخذ على رعية الباشا
أو شكنا علينا أحداً ذلك الوقت وحال رقم الخط وصلنا كتاب في أهل الملحا
يذكرون أهل ضمد اعتدوا عليهم ولزموا منهم رجل في غير وجه وأهل
الملحا غزوا بعد ذلك ولزموا منهم رجل وأنت عارف أن منهم محابيس في
صبيها لهم سنة في قتل قتل من أهل صبيها قتلوه في غير وجه فنطلبكم حكم
الشرع فيهم ومن منع في الشرع فيلزم ولي أمر المانع لإكراهه منا ومنكم
وأيضاً أهل أبو عريش وأهل صبيها يأخذون بينهم وجهه وما حدث بين
الرعية فالأمر يكفي ولا يجب عليكم الرضا بذلك وأما الباشا فنحن مجوبين عليه
حيث والمكتب استعجل والآن نرسل جوابه إليكم إن شاء الله وإن وجدنا
ثقة أرسلناه به وسلام منا على من لديكم ومن لدى الإخوان المسلمون عليكم
والأخبار بيننا غير منقطعة إن شاء الله تعالى والسلام جواب الباشا صلر إليكم .

رجب الحرام

١٢٨٣

الحتم

(صورة للأصل المحفوظ لدينا)



الموتى من غير انفسهم

1890

[illegible]

بعض الحقائق التي لا يمكن إنكارها في الفصل الرابع

الشيخ الشريف ابو محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد المحسن بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

تبرکات و عباد من حسن فاء مداح احمد محمد حبیب

... و ان عمر بن الخطاب ...

بسم الله الرحمن الرحيم



ولاية الأتراك في عسير

رديف من ١٢٨٩ - ١١٨٩ (تسعة شهور فقط)

بعد قتل محمد بن عائض و ٣٥ رجلا من رؤساء عسير صبراً ، ويقتل تلك النخبة العربية لم يبق من رفع عقيرته للمقاومة في بلاد عسير .

فأخذ قائد القوات التركية (رديف باشا) ينظم إدارتها ويثبت دعائم السلطة التركية في ربوعها وإنما في شدة وتغطرس وجبروت .

فقتل كل من توسم - ولو بالظن - أنه سيقف في وجه سياسته الغاشمة ، ونفى إلى تركيا ستمائة شخص منهم من رؤساء وشيوخ ووجهاء عسير .

وجعل أبها مقر إدارته بدلا من السقاء أو طيب ، وضم مدينة صبيا إلى إدارته ، وإنما سياسته المتطرفة أثارت سخط الناس فأخذوا في إثارة القلاقل في وجهه ورفع الشكاوي ضده .

وصدر الأمر إلى أحمد مختار باشا بالتقدم مع أغلب الجيش علاوة على الفرق التي وصلت إلى الحديدة بالزحف بالجميع إلى صنعاء - راجع أخبار ولاية الأتراك في اليمن - ووالى تقدمه حتى دخل مدينة صنعاء في أوائل سنة ١٢٨٩ هـ .

وظل رديف باشا علي حكم بلاد عسير حتى أزيح بأحمد مختار باشا .

أحمد مختار ١٢٨٩ - ١٢٩١ :

وفي شهر رمضان ١٢٨٩ سلم أحمد مختار ولاية صنعاء لخلفه (أيوب باشا) وتوجه إلى عسير لاستلام إدارتها من رديف باشا ، فساد الهدوء ربوع عسير نسبياً ورأوا في سياسته الشبه الناعمة بعد بطش وشدة رديف ما خفف من شدة سلفه وإن لم يكن هناك فارق يذكر واستمر على حكم عسير إلى نهاية سنة ١٢٩١ فأبدل بعمان بك .

عنان بك ١٢٩١ - ١٢٩١ :

تسلم من سلفه الإدارة وقد ستم العسيريون من حكم الأتراك الاستبدادي ،
الأجنبي الذي يباينهم لغة وأخلاقاً وطبعاً ، وبعداً عن روح الدين وقلسيته
التي فطر عليها العربي وتمسك بواجباتها الدينية ، وعایشها سلوكاً وعبادة
وتعاملاً ، فشبت الفتن في أغلب أنحاء عسير تفصح عن ضيقها ، وتعرب عن
تبرمها بذلك الحكم الدخيل ، والضرائب المفروضة على الناس وكان أبرزها
ثورة قامت بها بلاد ألمع ، وعلى أثر سوء تصرفه وضعف إدارته صدر الأمر
بفصله وتعيين حيدر بك محله .

حيدر بك (١٢٩٢ - ١٢٩٤) :

لم يكن هناك من يدون تاريخ المتصرفيات ويسجل يومياتها ،
والمؤرخون لا يعتنون إلا بأخبار وحوادث الامبراطورية العثمانية وصلاتها
وعلاقتها بالنول حرباً وسلماً أو الأحداث التي على المستوى العام ، والصحافة
العثمانية لا تهتم إلا بتغطية أخبار الثورات - إن وجدت - في أطراف
الامبراطورية الواسعة . وإبراز الجانب المضيء .

وكل ما وقفنا عليه من متصرفية عسير في عهده أنه وصل إلى عسير
خلفاً لعنان بك وظل فيها إلى عام ١٢٩٤ .

أحمد فيضي باشا (١٢٩٤ - ١٢٩٧) :

من بشاوات الأتراك البارزين شهر عهده في عسير بالجور والعسف ،
وأخذ الأهالي بالشدة في دفع الضرائب ، وتسليم العوائد الحكومية .

وفي عهده ثار الأمير علي بن محمد بن عائض ، وكان من أشد من أصلي
بنارها وقده زنادها عسير نهامة قبائل رجال ألمع بالمشاركة مع قبيلة ربيعة
ورفيدة ، فهب أحمد فيضي على رأس الجيش التركي المربط في أبها ومضى
المقاومة بقسوة ، وكانت ملته كعهده من سبقه من متصرفي عسير ، وعزل
ب (تحسن باشا) .

تحسين باشا (١٢٩٨ - ١٣٠٠) :

عهدده انتقضى بين الفتن واضطرب جبل الأمن ، وغارات على معسكرات الدولة في أطراف قاعدته المتصرفية مدينة أبها واستمر على تلك الحالة ثلاث سنوات ونقل به (رفعت باشا) .

رفعت باشا (١٣٠٠ - ١٣٠٥) :

لم يكن عهدده خيراً من عهد أسلافه ومع ذلك فقد استمر في المتصرفية خمسة سنوات وخلفه (محمد أمين باشا) .

محمد أمين باشا (١٣٠٥ - ١٣١٠) :

استلم أعمال المتصرفية من سلفه وظل على رأس الحكم خمسة سنوات .

يوسف باشا (١٣١٠ - ١٣١٦) :

يتسم عهدده بالهدوء وخمود نار الفتن وعزل به (موسى كاظم) .

موسى كاظم (١٣١٨ - ١٣١٩) :

لم تطل مدته عن سنة واحدة وخلفه على المتصرفية إسماعيل حقي باشا .

إسماعيل حقي (١٢١٩ - ١٣٠٠) :

من القلائل الذين ظفروا بحسن الثناء فقد حملت سيرته ومع ذلك فقد استضعفه أهل عسير وثاروا مع علي بن محمد بن عائض الذي استنهضه الإمام يحيى في أن يثور على الأتراك في عسير بغية إشغال الأتراك بشورة جانبية في عسير وتخفيف الضغط عليه .

فتمكن المتصرف إسماعيل حقي من مجابهة الموقف بحزم وروية وعزم وأرغم علي بن عائض على فك الحصار عن أبها واستمر على متصرفيته نحو خمسة سنوات .

كاظم باشا :

استلم من سلفه الإدارة في أوائل سنة ١٣٢٥ وانتهت مدته باستلام سليمان شفيق باشا .

حيدر بك (١٣٣١ - ١٣٣٢) :

في شهر صفر سنة ١٣٣١ أقبل (سليمان شفيق كمالى باشا) من وظيفته كمتصرف عسير وملئ منصبه بـ « حيدر بك » ، وكان ذلك في قوة زخم الثورة الإدريسية ، واستقطبها لجل قبائل عسير ، وتوظيفها نفوذها في القبائل المتاخمة لعسير من بلاد غامد وزهران إلى حلود وادعة فلم يستطع الوقوف في وجه تيار تلك الثورة العارمة وشعرت الدولة بضعف موقفه فأبدلته بـ (محي الدين باشا) .

محي الدين باشا (١٣٣٢) :

وصل والأحوال ليس في غير صالحه بل وفي غير صالح الدولة العثمانية نفسها وذلك بأسباب الحرب العظمى التي قد وضح ابتداء انهيار جهات دول الائتلاف ألمانيا وتركيا والنمسا ، وتصدعت جهات القتال التابعة لهم في غير ميدان ، وفي الجنوب بل وتحيط بعسير ثورة الإدريسي من جميع النواحي وتراوحه وتغاديه بالغارات ، ونصف قبائل عسير أو بالأخص عسير تهامة مع الإدريسي وفي الشمال الغربي ثورة الحسين بن علي شريف مكة التي قطعت بقيامها كل اتصال بين تركيا والحجاز وعسير بل وجنوب الجزيرة برمتها ، ومع أن (محي الدين) من أبرز الكفاءات التركية إلا أن الوقت والظروف ضد تحركاته .

ولا يجديه مع كل تلك الظروف المعاكسة إلا محاولة الصمود والمقاومة .

ولإذا لم يكن من الموت بـد فن العجز أن تموت جباناً

فجهز قواته واستعان بمجندين وطنيين وجعل قيادتها تآلفاً لقلوب العسيريين في أحد « آل عايض » وهاجم مركز الشعبين القوي في بلاد رجال ألمع واستطاع احتلاله ، وبنا بعض القلاع في أعاليه وإنما كل ذلك لم يجد نفعاً فجعل فائدة تلك الحركة هي تأخير القضاء عليه فقط إلى وقت محيود

يضاف إلى ذلك نشاط ثورة شريف مكة ، وهو كعربي وله علاقاته العائلية التاريخية بعسير ، فقد استقطب ثورة أنصار محليين أخذوا يقومون بالدعاية لصالحه وضد الأتراك والإدريسي وتبنى حركة انقلاب في قلب العاصمة تعمل لصالحه كما أن هناك جماعة تعمل في نفس العاصمة لصالح الإدريسي .

فكان يقاتل القوات الإدريسية ، ويقاوم المؤامرات في الداخل التي تعمل لصالح الإدريسي والأخرى التي تعمل لصالح شريف مكة ، حتى صدر الأمر إليه بالتسليم .



العلاقات بين عسير والمخلاف السليماني

بتولي عايش بن مرعي إمارة عسير خلفاً لعلی بن مجتل بلغه أن الأمير علي بن حيدر أعلن إلغاء الاتفاق المبرم بينه وبين سلفه ، فبعث وفداً إلى علي بن حيدر لتجديد ذلك الاتفاق ، وبوصول الوفد وعرض مهمته رفض علي بن حيدر بحجة أن ذلك الاتفاق أرغمته الظروف على إبرامه ، وأن المخلاف السليماني منطقة لم تكن في يوم من الأيام تابعة لعسير وأن ابن عمه حمود أبا مسمار بالرغم أن عبد الوهاب أبا نقطة قاد الحملة السعودية لإخضاعه وانتصر عليه ، فقد رفض حمود ارتباطه بعبد الوهاب ، ورفع للدرعية فصلر أمر الإمام سعود إلى عبد الوهاب بارتباط حمود بالدرعية مثله مثل عبد الوهاب وابن شكبان ورئيس وادي اللوأسر ، فعاد وفد عايش .

فاتخذ عايش من رفض تجديد الاتفاقية ذريعة لغزو المخلاف السليماني وفي شهر القعدة سنة ١٢٤٩ تقدم (عايش) على رأس جيشه ووالى تقدمه حتى أطراف مدينة أبي عريش وبعد قتال (١) دام شهراً تقريباً عاد بجيشه إلى عسير مهزوماً .

وبانسحاب عايش بجيشه قام (علي بن حيدر) بالإجراءات الآتية :

- ١ - طرد السرية المرابطة في قلعة دار النصر من عهد علي بن مجتل .
- ٢ - استعادة مدينة صيبا وترحيل الحامية الموجودة في قلعتها .
- ٣ - استعادة النصف الشمالي من المخلاف السليماني - أي من شمال صيبا إلى درب بني شعبة .

وظلت الحالة على ذلك إلى أن توفي « علي بن حيدر » ، أما في عهد إمارة الحسين بن علي بن حيدر - فراجع الفصل الخاص بالحسين بن علي - وفي سنة ١٢٧٢ توفي الحسين بن علي بن حيدر فوقع التنازع على

(١) كانت لدى علي بن حيدر قوة من الأتراك من طريق حاكم مكة .

الإمارة بين ابنه (الحسن بن الحسين) وابن عمه (الحسن بن محمد) ومحصن كل منهما في حصنه وانحاز إليه جماعة من أهل مدينة أبي عريش وتبادلا القتال وأفقرت المدينة من الحركة والأخذ والعطاء والداخل والخارج إلا في أضيق نطاق وفي الليل .

وكل منهما أخذ يتسلق الأمير عائض ويطلب تأييده (وعائض) يتربص بهما الدوائر ويتحين فرصة ضعفهما حتى تأتي الحرب على ما لهما من سلاح ومال ومعنويات . ، واستمرت الحالة نحو ثلاثة أشهر ، وعندما شعر عائض بالفرصة المناسبة نزل من طود السراة يقود قوة من جيشه حتى خيم في ساحة مدينة صيبا ومنها بعث بإنذاره مع رسله إلى (الحسن بن الحسين) و (الحسن بن محمد) وذلك في يوم الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٢هـ . وفي اليوم الثالث وصلا إليه مدعنين باذلين البيعة فاشترط عليهما إخلاء الحصون والقلاع التي يتقنانلان منها في مدينة أبي عريش وهي :

٢ - نجران

١ - حصن الشامخ

٤ - الحام

٣ - دار النصر

فوافقا فتحرك بجيشه إلى (الخضرا) ومنها أرسل ستمائة جندي للتمركز في القلاع المذكورة ثم استصحب المذكورين وبعض أقاربهما إلى تهامة اليمن وكان الوالي التركي محمود باشا مقبلا في مدينة الحديدة فارتاحت تهامة لتحركه ، وأقبل إليه الناس رغبة ورهبة ، وضرب مخيمه في (الزهر) واستولى على قلعتها وأقام فيها حامية قوية ، ثم سار إلى « الحديدة » ، حتى وصل إلى قرية « الجبانة » على مسافة خمسة أكيال - تقريبا - من مدينة الحديدة ، فأخلى السكان المدينة ناجين بأنفسهم وظل فيها الوالي محمود باشا متحصناً بها بعد أن أحرق ما حول المدينة من بيوت القش وكان عائض يغادي ويرواح المدينة بالحرب ، وبعد أيام تفشى في جنده الوباء الجارف ، ويقال : إن محمود باشا أمر بتلويث الآبار بمكروب الطاعون . ، وقد هلك أغلب عسكره ، فأشار إليه رؤساء أصحابه بإنقاذ البقية الباقية بالانسحاب .

ووصل إلى مدينة أبي عريش يوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٢٧٢ وأقام بها ثلاثة أيام ثم أمر بأسر كبار أمراء أبي عريش .

١ - حيدر بن علي . ٢ - الحسن بن محمد

٣ - أحمد بن الحسين - أخذه بدلاً عن أخيه الأمير الحسن بن الحسين (١) وبوصوله إلى عسير أبقي أولئك الأمراء تحت الإقامة الجبرية .

في يوم الأربعاء ٢٣ من شعبان أدرسته الوفاة في بلدة السقا من أعمال عسير بعد أن تأمر نحو ٢٣ سنة .

وفي يوم وفاته بايع عشيرته الأقربون ابنه محمد بن عائض .

إمارة محمد بن عائض

كان أول إجراء قام به - بعد أخذ البيعة وترتيب أمور الإمارة - أمره بإطلاق أمراء أبي عريش بعد التشاور مع رؤساء إمارته - على أن يجعل كل أمير منهم رهينة وأن يوافقوا على هدم قلاع المدينة وحصونها ، ما عدا (دار النصر) الذي هو مقر الحامية العسيرة .

ونزل الأمير على رأس جيشه ويرافقه الأمراء المذكورون وذلك في يوم ٢٧ القعدة سنة ١٣٧٢ فوصل إلى أبي عريش في ١٥ الحجة سنة ١٢٧٢ وفي يوم السبت ١٦ الحجة بدأ بهدم حصن (نجران) ثم أتبعه ببقية الحصون ما عدا حصن دار النصر وأتاب على إمارة أبي عريش (الحسن بن محمد ابن علي بن حيدر) من حدود وادي مور إلى حدود وادي ضمد ، كما أسند إمارة صلبا ومخلافها إلى الأمير (الحسن بن أحمد بن حمود أبي مسمار) ثم عاد إلى عسير .

أما الأمير الشرعي (الحسن بن الحسين) فقد ظل متوالياً حتى قفل الأمير محمد بن عائض إلى عسير فتوجه إلى نجران يطلب مساعدة قبائله اليامين على استعادة إمارة أبي عريش .

(١) يقول صاحب « الدر الثمين » : وكان يرجى وصول « الحسن بن الحسين » ولكن تعلل بمعاذير فاخذ أخاه أحمد بن الحسين بدله .

علم خلفه (الحسن بن محمد) بتوجهه إلى نجران فرغب أن يلعب دوراً سياسياً لعله يجد فرصة يتمكن فيها من استقطاب اليامين والتخلص من ابن عمه ومنافسه فكتب للنجرانيين يستحثهم على الوصل ويلدح لهم برغبته في امتناعهم وتوظيفهم ، كما كتب للحسن بن الحسين أنه بوصوله مع يام سوف يسلمه المدينة ، كما كتب أيضاً للأمير ابن عائض بأنه بوصول الحسن ابن الحسين سوف يقبض عليه ويرسله — تحذيراً له ومخادعة منه للأمير .

فكتب الأمير محمد بن عائض إلى الحسن بن محمد جواباً على رسالته بما يأتي :

ويقتضي أن تكون يقطاً ومستعداً لمقاومته وعندما تعلم بنزوله مع قبائل نجران إلى تهامة فارفع إليّ وسوف نوافيك بالنجدة والقوة التي نقضي عليه .
إلا أن الحسن بن محمد قد ركن إلى اتفاقه مع يام — كما سبق — ولم يوفق بالرفع إلى الأمير محمد بن عائض ، ولما لم تلمس منه الحامية العسيرية الإخلاص في المقاومة ، انكشفت لهم حقيقة أمره .

فوصل الحسن بن الحسين إلى أطراف مدينة أبي عريش يرافقه بعض قبائل نجران ، ليس في استطاعتهم التغلب على من في مدينة أبي عريش إلا أن الحسن بن محمد ركوناً على ما علم به من قبائل نجران لم يباشر الاستعداد للقتال .

وكتب الحسن بن الحسين من معسكره في خارج أبي عريش إلى رؤساء المدينة يطلب منهم الطاعة فأجابوه بالقبول ، ما عدا من كانت مساكنهم حول حصن الشامخ مقر الحسن بن محمد .

أما رئيس الحامية العسيرية ورجاله المقيم في حصن دار النصر فقد عرف مخادعة الحسن بن محمد وميول أهل المدينة إلى أميرهم الشرعي الحسن ابن الحسين .

وفي ليلة السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٣ وصل الحسن ابن الحسين وجنده من النجرانيين إلى طرف المدينة ، فسهط في يد الحسن

ابن محمد فلا هو على إخلاصه لابن عائض فيضم إليه الحامية وينهض برجاله القليلين والحامية العسيرة للمقاومة ، ولا أهل المدينة معه فيشدون أزره ، فقد انضموا إلى أميرهم الحسن بن الحسين .

فلم ير له سبيلا إلا أن يكتب للحسن بن الحسين ويطلب إليه بعث ثلاثة من رؤساء النجرانيين للتفاهم ظناً منه أنه سيتمكن من استمالتهم إليه فيبعث إليه الحسن بثلاثة من رؤساء النجرانيين تحت جنح الظلام فوصلوا إلى تحت حصنه (الشامخ) المتحصن فيه ، ونزل إليهم وأخذ في التفاهم معهم ومحاولة استمالتهم ، وذكرهم بوعدهم أنهم متى وصلوا إلى أبي عريش تخلّفوا عن الحسن بن الحسين وولوه ، وأوعدهم بجزيل العطاء ، فلم يصغوا إلى إغرائه ، ورفضوا الانضمام إليه ، وأفهموه أنهم لا يتخلّون بمن وصل إليهم ونزلوا معه بديلا ، ففارقهم وصعد إلى حصنه .

فلا أهل المدينة معه ولا الحامية العسيرة في صفه ، ولا أهل نجران أجابوه ، ودخل الحسن بن الحسين المدينة من غربها ، وعلمت الحامية العسيرة فأطلقوا ثلاثة قذائف من مدفع لديهم ثم توقفوا .

وأوعز الحسن بن الحسين إلى رئيس المرتزقة النجرانيين « علي بن الحسن » المكرمي بأن يتصل به (الحسن بن محمد) ويستميله للدخول في الطاعة ، فلم تنجح المحاولة وبفشلها ، اعتصم الحسن بن محمد في حصنه الشامخ مع حاشيته وبدأ في إطلاق النيران على الحسن بن الحسين وجيشه النجرانيين .

ورأى الحسن بن الحسين أن خير وسيلة لمضايقته ، وإخضاعه ، هو الاستيلاء على البئر الحاذية لحصن الشامخ والتي هي المورد للحصن ومن فيه ، والتي لم يجعل عليها الحماية الكافية ، وبينما هو معتر بمناعة حصنه وما استعد به من المؤن والذخيرة التي يعتقد أنه اعتماداً عليها يمكنه الصمود أياماً حتى يرغم خصمه على الانسحاب من المدينة ، وبينما هو محلق في سماء أمّله فإذا هو يسمع منادياً من أهل المدينة يحذره قائلاً بأن سرية من معسكر النجرانيين متقدمة للاستيلاء على البئر ، فحالاً أمر بإغلاق أبواب الحصن وأمر بأخذ مواقع الدفاع حوله .

زحف مرتزقة النجرانيين نحو البئر والحصن فاقربوا منه حتى تصدى لهم جيران الحصن من أهل المدينة ، وقتل جندي من رجال المكرمي وحز رأسه ورفع على عمود فساء ذلك (المكرمي) وأغاضه فأمر جماعته بالتراجع قليلا عن مرمى النيران ، وعندما دجى الظلام استولى ليلا على البيوت والمساجد القريبة من حصن الشامخ ، ولم يشعر الحسن بن محمد في الصباح إلا والنار تطلق على الحصن من كل جانب وأحكم عليه الحصار حتى لم يتمكن واردهم من ورود البئر .

وعندما اشتد عليه الضيق ، أخذ في مكاتبة الحسن بن الحسين في طلب الأمان فاشترط عليه ما يأتي :

١ - الدخول في الطاعة .

٢ - أن يقوم بإخراج الحامية العسيرية من حصن دار النصر .

٣ - أن يقدم اثنين من إخوانه رهناً يبقون في معسكر الحسن بن الحسين إلى أن يقوم بإخراج الحامية .

أخذ الحسن بن محمد في تدبير الخيل مع رئيس الحامية العسيرية (سعيد بن مرضي حتى تمكن من إقناعه بالخروج من الحصن والتوجه إلى صيبا في طريقه إلى عسير ، وبخروجه دخل الحسن بن الحسين حصن (دار النصر) .

علم الأمير محمد بن عائض بمخادعة (الحسن بن محمد) وما دبره من الخيل وفشله ، وعمله على إخراج الحامية العسيرية ، فقدم كوكبة من الخيل تتقدمه وأخذ هو في الاستعداد بالنزول إلى أبي عريش على رأس جيشه .

وصلت الكوكبة إلى صيبا فإذا الحامية المطرودة تقابله في صيبا فأنب قائدها سعيد بن مرضي وجنوده وانتظر قدوم الأمير محمد بن عائض .

وفي يوم ٢٤ الحجة سنة ١٣٧٢ وصل إلى صيبا وعلم بما تم مفصلا فرأى سره فوصل إلى ضواحي مدينة أبي عريش السادس والعشرين من شهر

ذي الحجة وضرب معسكره حول المدينة وأخذ يدير أوجه الرأي فإذا
الوضع :

١ - المدينة تحت سلطة الحسن بن الحسين وقد حصنها تحصيناً لا يمكن
أخذها إلا بتضحية .

٢ - إن أهل المدينة ملتفتون حول أميرهم .

٣ - الحسن بن محمد الذي كان أسند إليه الأمر قد مال إلى النجرائين
طمعاً في أن يقوه فأنخدع ، كما خلدع هو ابن عايض نفسه وهو الآن تحت
طائلة الحصار .

٤ - حاميته قد أخرجت من الحصن الذي كانت تتمركز فيه .

كل ذلك جعله يميل إلى الحل الأوسط ، وهو إبرام الصلح مع (الحسن
ابن الحسين) على ما يأتي :

١ - أن يقر الحسن بن الحسين على إمارته حسب ما كان عليه سابقاً .

٢ - أن يدفع إلى الحسن بن الحسين مبلغاً سنوياً من المال .

٣ - أن يظل الحسن بن أحمد بن حمود على إمارة صيبا وتوابعها تابعاً
للأمير ابن عائض وتوجه عائداً إلى عسير يوم ٢٧ الحجة سنة ١٢٧٤ .

انتظر الأمير عائض وصول الخراج ، فلم يصل وكتب فكان الجواب
من الحسن بن الحسين الماطلة ، فأرسل من لديه على هادي بن أصلين للمطالبة
بالعائدات الحكومية فلم يجد من الحسن بن الحسين إلا المعاذير ، وأن حاصلات
فرضة جازان والزكوات لا تفي برواتب جنده فضلاً عما يصرف للحامية
العسيرية المقيمة في جازان ، وكان مما تم عليه الصلح أن يصرف من حاصلات
فرضة جازان راتب عامل صيبا الحسن بن أحمد بن حمود علاوة على
رواتب الحامية العسيرية كما أشرنا قبله .

عاد رسول ابن عائض (بخفي حنين) فأشار بعض المقربين من الحسن
ابن الحسين أنه يرجوع رسول الأمير بلون المبلغ المتفق عليه سيكون له

خلفيات ومروءة عكسي في غير صالحه ، وأنه من الأجدي والأففع أن يتدبر في جمع مبلغ ويلحق به رسول الأمير بن عائض في الطريق ففعل على مضض .

بعد ذلك أخذ ابن عائض في إعمال الرأي وإحكام التدبير ضد الحسن ابن الحسين وإزاحته عن الإمارة بحجة سوء سيرته وعدم القيام بواجب الإمارة وما يسود المنطقة من الفوضى وعدم الأمن .

ورأى أنه من الأنسب أن يصطاد الحسن بن الحسين بقريه أمير صبيا الحسن بن أحمد بن حمود . الذي يلمن إلى إخلاصه له ومنافسته للحسن ابن الحسين فاستدعاه إلى عسير ، وتفاهم معه بأن يستميل مشايخ القبائل ووجهاء البلاد ويفضي إليهم بأنه بلغ الأمير ما يعانون من ظلم واستبداد الحسن بن الحسين وإرهاقهم بمطالب الأمير وما يعانونه من ظلمه وبطشه ، ولهذا فإن الأمير — ابن عائض — قد عزم على إقصائه عن الإمارة ، وأن الجنود على أثره للتنفيذ .

أما الحسن بن الحسين فإنه بعد انصراف رسول ابن عائض فكأنه قد أرضى نفسه بما ألحق به رسول ابن عائض من بعض النقود ، فتوجه إلى بلدة (الزهرا) من بلاد وادي مور — وأتاب عنه في مدينة أبي عريش من يدير شئونها ، وكانت « الزهرا » تابعة لإمارته فأقام هناك ، وذلك في أول سنة ١٢٧٥ .

وبعد تحرك الحسن بن الحسين إلى بلدة (الزهرا) — كما أسلفنا — وصلت طلائع جيش ابن عائض إلى صبيا فاستقبلها عامل (صبيا) الحسن ابن أحمد بن حمود فقوم بهم ظهور المعارضين وتخوف نائب الحسن ابن الحسين أو استميل ، فكتب إلى ابن عائض ، واستعد بدفع بعض الخراج المقرر على المنطقة ، وفعلا أرسل ابن عائض رسولا يستلم ما تقرر دفعه .

وما عاد الحسن بن الحسين من بلدة الزهرا إلى أبي عريش في يوم

التاسع عشر من جمادى الأولى . واستقر في حصنه المسمى (نجران) — وقد سبق أن أشرنا أن الأمير محمد بن عائض باشر هدم حصون أبي عريش وابتدأ بهدم حصن نجران — ويظهر أنه بعد ذلك رمم ذلك الحصن — ومعه سرية من مرتزقة يام أهل نجران ، وباستقراره في المدينة أخذ في مصادرة أموال التجار ، ليصرف بها رواتب المرتزقة من اليايين ، وسرح من سرح منهم وأبقى جماعة منهم ليجعلهم حامية لقلعة (دار النصر) بدلا من المجندين من أهل المدينة ، فأثار تصرفه هذا سخطهم مع ما سبق من غضب التجار الذين صادر أموالهم .

استغل كل ذلك خصمه وابن عمه (الحسن بن محمد) فتحرك للعمل واستماله الساخطين واستقطب نحوه حامية دار النصر من أهل المدينة الذين يريد الحسن بن الحسين إبداهم بالياميين ، والحسن بن الحسين غير متيقظ لما يدبر له من المكائد ولا صاغي إلى من يلبي له بالنصيحة ، قد اتخذ له « مبرزاً^(١) » من القشاش في بعض حى (الديرة) حى الأسرة (آل خيرات) جعله مكاناً خاصاً لراحته .

ووصل إلى علم (الحسن بن محمد) بأن الحسن بن الحسين يتحين الفرصة لقتله ، فأخذ بدوره يترصد حركته ويتتبع أثره بعيون من خاصته تمهيداً لسبقه في إلقاء القبض عليه أو قتله قبل أن يباشر هو ذلك به .

وفي يوم الثلاثاء ٢١ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ ارتفع صوت صريخ بطلب غارة في أبي عريش ، فركب الحسن بن الحسين في كوكبة من الخيل يرافقه رؤساء المدينة إلى أن وصلوا قرب ساحل جازان ، وعادوا إلى المدينة ليلة الأربعاء .

وفي يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ رفع إليه أن حامية

(١) المبرز : بفتح الميم والراء واخره زى . يبنى من القش أو من الحجر ، مكان للجلبوس ، فإذا كان من الحجر فيكون من غرفة واحدة ، وإذا كان من القش فهو كناية عن عريش .

قلعة (دار النصر) قد استميت وإنهم يسامون على تسليم القلعة للحسن ابن محمد ومعناه أن من استلم القلعة فقد استولى على المدينة .

فحالاً ألقى القبض على رئيس حامية القلعة ومساعديه وزج بهم في السجن وبعث جماعة من رجال أسرته لاستلام القلعة وحفظها .

وهنا اكتفى بإيراد عبارة مؤلف الدر الثمين الحرفية قال : (وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم خرج إلى ذلك المبرز القشاش ، حسب العادة ، وانفرد في ذلك المكان ، واختلى بابن عمه أبوطالب بن حيدر ، وطرد عنه عبيده والأعوان ، فما شعر بعد صلاة المغرب إلا وجماعة من عبيد الحسن ابن محمد قد هجموا عليه في ذلك (المبرز القشاش) وأمسكوه باليدين ، فما وجد حيلة يلوذ بها ، غير أنه مع خروجه من المكان تمسك بعصا دقي باب البيت البراني ومنع من مطاوعة العبيد خشية من شتماء الأعداء والشواني ؟ ، وهم في أثناء إمساكه يقولون : امش معنا إلى الحسن بن محمد ولك السلامة ، ولم يستعد وضرب الصوت ؟ في الأماكن فبادره بعض العبيد فطعنه في خاصرته طعنة وفي ظهره أخرى فطاح في الأرض وقد أثختته الجراح ، فأما أبو طالب فرمى ببندق من وراء البيت فأصابته رصاصة كان فيها إزهاق روحه وخلاصه ، وأما الحسن بن الحسين فبقى ساعة يعالج سكرات الموت وقضى نحبه ، وحمل إلى قلعة (نجران) ودفن في جانب من البيت وذلك في ثالث وعشرين جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ .

وبقضاء الحسن بن محمد على خصمه وابن عمه بتلك الصورة الشائنة طاب من الناس مبايعته فبايعوه ، ورفع للأمير ابن عائض بذلك الواقع ، فلامه الأمير على فعله ، ولم يزل يوالي رسائله إلى الأمير ملتسماً رضاه وراجياً موافقته ومساعدته على حسب العادة المتبعة من الانتفاء ، وكان عمله ومؤامراته على ابن عمه بتلك الصورة فساء عمله وساءت ظنونه بالناس ونفر الناس منه ، ومع علمهم بعدم موافقة ابن عائض على إمارته ، تنكر عامة الرعية لإمرته وظهرت المخالفة عليه ، وقام الخُرَّاب بقطع الطرقات وفسدت الأحوال

واضطربت الأمور ، وأخيراً احتجب في حصنه (الشامخ) وأتاب في
تصريف الأمور الشيخ أحمد بن حسن - أحمد شيوخ المدينة ونفس
أحمد بن حسن شارك الناس تبرمهم ومللهم ونفورهم ، فرفع الشيخ أحمد
ابن حسن ، بالواقع إلى الأمير محمد بن عائض وكاشفه بالحقيقة والحال التي
آلت إليه الأمور ، وظل يكتبه سرّاً .

وكان الحسن بن محمد ^(١) قد عرضت له عوارض نفسية جعلت اليأس
يتسرب إلى نفسه كالتيار ، وقد يكون ذلك نتيجة تأنيب الضمير فقلص
من إقامته في أبي عريش وأطالها في قرية « المحمص » ، بين مزارعه يباشر
عمل الحراثة .

وعندما علم الأمير محمد بن عائض بحقيقة الواقع في المنطقة ، وأن الناس
ضد الأمير ما عدا قرابته الأدنون أو بعض ضائعة في المدينة وعدد من
مرتزقة قبيلة (سحار) ليسوا مؤهلين لخوض معركة ولا صمود لطائفة حصار .

تقدم على رأس جيشه مطمئناً حتى ضرب معسكره في غرب المدينة
فأقبل عليه أهل مدينة أبي عريش للسلام وتقديم السمع والطاعة ، فكتب
من معسكره إلى الحسن بن محمد يدعو للسمع والطاعة والحسن بن محمد
ينوع المعاذير ويماطل في المواعيد فطلب حامية حصن نجران حصن الأمير
المفتال الأمان ، وفضل الموقف على حاميتي (دار النصر) وقصر الشامخ .

فأمر الأمير بالهجوم على (دار النصر) فاستسلمت حاميته ، وعندما
أمر بإطلاق قذائف مدافع (دار النصر) على قصر الشامخ وضرب حوله
نطاق الحصار فاستسلمت الحامية ، وبقي الحسن بن محمد في قصر له ملحق
بالحصن حتى إذا جن الليل خرج متسللاً مع بعض مواليه في غفلة وغرة من
المحاصرين ونفذ إلى الجبال ، وفي الصباح اقتحم الجند قلعة الشامخ وغنموا

(١) ظفرنا برسالة خطية مرسله من هذا الأمير إلى علامة المنطقة « الحسن بن أحمد بن عبدالله »
ترفق صورتها في آخر هذا الفصل .

جميع ما فيها وبعدها أمر الأمير بهدم القلعة ، ورحل إلى تهامة اليمن ، وأمر من يهدم (دار النصر) وقصر نجران .

التقدم إلى تهامة اليمن :

وصل في وجهته تلك إلى بلدة « الزهرا » وهناك بعث الوالي التركي المقيم في مدينة الحديدة وفدأ إلى الزهرا وتم الاتفاق بأن تكون « الزهرا » ووادي مور وغيرها إلى محمد بن عائض وما كان منها وشمالا إلى الأتراك وانتهى الصلح على ذلك ، ورتب عليها « عُمَالاً » وعاد راجعاً فوصل إلى مدينة أبي عريش يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ .

وبعد أن أقام ثلاثة أيام سار إلى مدينة جازان ، وتوقف في قرية الواصلي وكان في مدينة جازان حامية قليلة من الترك وعندما علم رئيسها بتحركه إليهم وصل إليه مستسلماً في قرية (الواصلي) فهىء له وسائل الرحيل وبعث قوة من رجاله لاستلام المدينة والتمركز في قلعة جازان ، وسار إلى صبيا في طريقه إلى عسير ، وبعد أن أناب على حكم مدينة أبي عريش وجميع المنطقة الشيخ أحمد بن حسن .

وفي شهر شعبان من سنة ٧٧ بعث باشا اليمن سفينة حربية للاستيلاء على ميناء جازان فأسرع الشيخ أحمد حسن من أبي عريش لصددهم فهزم وعاد إلى أبي عريش ، وقد توفي في آخر تلك السنة فتولى أخوه مكانه ورفع للأمير بالواقع فوصلت قوة أجلت الأتراك عن جازان وحلت محلهم وسار إلى أبي عريش وبقي بها .

رأى محمد بن عائض تطلعات الأتراك إلى الخلاف السلياني وما يتولى أمره من تهامة اليمن وما يقومون به من تحركات ، وجلب قوات فتم الصلح بينه وبين باشا اليمن على ما يأتي :

١ - أن يعيد إلى الأتراك أمر تولى السلطة فيما تحت يده من تهامة اليمن ونصف (الخلاف السلياني) أي من جهة ضمد جنوباً إلى الدولة العثمانية

٢ - من جنوب صبيا وشمالا إلى ابن عائض .

وفي أول سنة ١٢٨١ أوعز أمير مكة إلى بعض قبائل رجال ألمع بالخلاف وشجعهم على ذلك ، ثم وصل إلى القنفذة على رأس قواته وشعر ابن عائض بالأمر ، وجرت المفاوضات في الصلح ، فطلب أمير مكة العفو عن المخالفين من أهل رجال ألمع وسوى الأمر بينهما :

على أن قبيلة الريث قد غزاها قباة (علي بن مجثل) وأذعنّت بعض الوقت وقامت كما هي عاداتها بالإغارة والغزو على من حولها ، فغزاها محمد بن عائض في جبلها القهر وأجبرها على الإذعان بعد أن حز رؤس جماعة من كبارهم . وبعدها نجحت الفتنة أهل رجال ألمع ونصبوا لهم إماماً وأعطوه البيعة وانتشرت الفتنة وتمادى العصيان إلى أهل الدرب ووصل إلى النصف الشمالي من الخلاف السلیماني فزحف عليهم جيشه بقيادة سعيد ^(١) بن عائض فأخذ فتنهم ، ثم تقدم الجيش إلى درب بني شعبة فاستباحها وأحرقها ثم فعل ذلك بقرية أم الحشب .

ظل محمد بن عائض على إمارة عسير وقد شمل سلطانه من منتهى غامد وزهران وبيشة إلى صيدا جنوباً وحلي بن يعقوب غرباً .

وفي سنة ١٢٨٧ انقطعت المفاوضات بينه وبين الأتراك وتصدعت الخلافات فتقدم بجيشه إلى مدينة (الحديدة) وضرب معسكره حياها ، فبعث الوالي التركي من الحديدة كتاباً إلى (الحسن بن أحمد عاكش) عالم الخلاف السلیماني وآخر إلى علامة تهامة اليمن محمد بن عبد الباري ، وثالث للشيخ فائز يطلب منهم إقناع الأمير محمد بن عائض بالرجوع إلى عسير ورفع الحصار عن الحديدة ، وكف الحرب مع الدولة العثمانية ، فلم يصغ الأمير إلى ذلك .

وأخذ من يومه في الأمر على طلائع جيشه بتشديد الغارات والحملات ، والتضييق على الأتراك في مدينة الحديدة ليجبرهم على الاستسلام ، فخرج الجيش العثماني وهزمه شر هزيمة .

(١) راجع ص ٢٥ ج ١ من كتابنا الأدب الشعبي .

وتقدم العلامة محمد عيد الباري ، للصلح بين الطرفين على انسحاب
محمد بن عائض إلى عسير بدون أن يتعقبه الجيش العثماني ، وفي أثناء انسحابه
ارتكب جيشه من المفاسد والسلب والنهب وانتهاك الأعراض ما يندى له
جبين الإنسانية .

ورفع للأستانة بالواقع فأمرت بإرسال حملة قوية لغزو عسير والقضاء
عليه — راجع الفصل الخاص به — محمد بن عائض —



من رسالة الحسن بن محمد بن عايض
إلى الشيخ حسن بن أحمد (عاكش)

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسن بن محمد . . إلى القاضي العلامة الفهامة شرف الإسلام
حسن بن أحمد بن عبد الله سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد حمد لله حق حمده ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله
وصحبه . صدرت للسلام والتهاني وتأكيد الوداد عن أحوال والرسالة
العظمى وصلت وبجبل المودة اتصلت أن الخط الأول
وما فيه فهو على الغرض ولقد أفدت جزاك الله خير الجزاء وكفاكم كل
ضير وأخيك إلا أنه على الغرض عن
تعرض على مثل هذا التي هي الترياق داء الجهل وما لحت
إليه لم نطلب منكم لإنجاز الوعد على الوجه الذي افترقنا عليه ،
فأنا والله حاذرت أمور عظمى في جانبك فاني لسهام
الألسن وعسى الله يقدر الاتفاق على أحسن وقاف وإن كنت
مانحتاج نعم أدام الله النعم وأزال النقم وهذا بيد الأخ أحمد
على عواجي وييده النصف الأخير من القاموس أو هو أقل من النصف دخل
عائنا قاموس جزئي الأول إلى باب العين في الباب بفصل
السين لآخر تمامه وفيه أكل أرضه في أوله تمام الباب ومن آخره كما ترو
وأرجو أن يصادف وصوله وأنتم كما تراه يليق وكل الفصل
في احتمال المشقة وتفضلوا عجوا بد المتطوع به أن سيد الجميع
أدام الله علاه لاعنر القاموس عرفته النسخة ومانحتاج من
تصايح وهو مانعه وساعد المذكور كونه لم يحضر النسخة حقنا لأجل المقابلة
وتفضلوا عجوا لنا ذلك الحسنی وصدرت ربع شدة بياض من
الموجود — — — والبياض قليل وعلى كل حال هذا وسلم لنا
على من حواه مقامكم الشريف سيما الأخ الجمالي والأخ المغربي وشريف
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
الحسن

فهرس هذا البحر

الصفحة

٥	تقاريط واردة للمؤلف
٣٣	مقدمة الطبعة الثانية
٣٩	مقدمة الطبعة الأولى — مقدمة الناشر
٤١	مقدمة الطبع
٤٥	(الفصل الأول)
٤٥	جنوب الجزيرة
٤٧	أشهر الحكومات في العهد القديم
٥٠	ملكة قتيان
٥٠	اللولة السبئية
٥١	الحالة الاجتماعية
٥٢	الحضارة
٥٢	غزو الحبشة
٥٤	الحالة عند ظهور الإسلام
٥٥	في خلافة أبي بكر الصديق
٥٥	في خلافة الفاروق
٥٦	في خلافة عثمان بن عفان
٥٦	في خلافة علي بن أبي طالب
٥٦	في خلافة معاوية
٥٦	في خلافة يزيد بن معاوية
٥٧	في خلافة عبد الله بن الزبير
٥٧	في خلافة عبد الملك بن مروان
٥٧	في خلافة سليمان بن عبد الملك
٥٧	في خلافة عمر بن عبد العزيز
٥٧	في خلافة يزيد بن عبد الملك

الصفحة

٥٨	في خلافة هشام
٥٨	في خلافة الوليد بن يزيد
٥٨	في خلافة يزيد بن الوليد
٥٨	في خلافة مروان بن محمد
٥٩	العهد العباسي
٥٩	في خلافة المنصور
٥٩	في خلافة المهدي
٦٠	في خلافة هارون الرشيد
٦٠	في خلافة المأمون
٦١	في خلافة المعتصم
٦١	في خلافة المتوكل
٦١	في خلافة المنتصر
٦١	في خلافة الواثق
٦٥	تهامة
٦٣	تهامة في التاريخ القديم
٦٤	الطرق التاريخية إلى جنوب الجزيرة
٦٧	(الفصل الثاني)
٦٧	تهامة في التاريخ الإسلامي
٦٧	أشهر قبائل تهامة عند ظهور الإسلام
٦٨	أشهر مدن تهامة التاريخية
٦٨	قبائل تهامة وقرائها في القرن الرابع
٧١	(الفصل الثالث)
٧١	المخلاف السليمانى
٧١	سليمان بن طرف الحكمى
٧٣	قبائل المخلاف السليمانى
٨٣	تقدير السكان والمساحة

الصفحة	
٨٣	لهجات بعض قبائل الخلاف
٨٥	لهجات بعض قبائل اليمن
٩١	(الفصل الرابع)
٩١	تمهيد
٩٢	الدولة الزيادية
٩٣	ابن زياد
٩٤	إبراهيم بن محمد
٩٤	زياد بن إبراهيم
٩٤	إسماعيل بن إبراهيم
٩٥	ابن أبي الجيش
٩٥	الحسين بن سلامة
٩٩	عبد الله بن زياد
١٠٠	جدول بمدة الأمراء الزياديين
١٠١	الدولة النجاشية
١٠١	سعد الأحول بن نجاح
١٠٦	هزيمة سعيد الأحول
١٠٨	جياش بن نجاح
١٠٨	عودة جياش بن نجاح إلى زييد
١١٢	اختلاف أبناء جياش
١١٣	إمارة الفاتك بن محمد بن منصور
١١٣	الجدول الزمني للأمراء النجاشيين
١١٤	الحالة العامة في العهد الزيادي والنجاشي
١٢١	موازنة الإمارة النجاشية
١٢٢	القرامطة
١٢٣	علي بن الفضل
١٢٥	منصور بن فرج بن حوشب

الصفحة

١٢٨	الحواليون
١٢٩	الدولة اليعفرية باليمن
١٣١	على وردان
١٣١	عبد الله بن قحطان اليعفرى
١٣١	أسعد اليعفرى
١٣٢	المفضل بن أبي البركات
١٣٣	آل الضحاك
١٣٤	بنو المكرم وبنو الزريع
١٣٧	إمارة آل المغلس الحمداني
١٣٩	على بن مهدي الحميري
١٤٢	الدولة الصليحية
١٤٥	أحمد المكرم بن على الصليحي
١٤٦	مدينة ذى جبلة
١٤٧	سبأ بن أحمد الصليحي
١٤٨	الجلول الزمى لمدة حكم الصليحيين
١٤٩	الحالة العامة فى العهد الصليحي
١٥٣	أشهر المعارك الصليحية
١٥٤	التقدم الصليحي للحجاز
١٥٨	تفصيل المعركة بين النجاشيين والصليحيين
١٦٣	المعركة
١٦٥	عودة أحمد المكرم إلى صنعاء
١٦٦	الاستيلاء على تهامة
١٦٨	توحيد العملة
١٦٨	السيدة أروى بنت أحمد
١٧٤	معركة الكظائم
١٧٢	الوزير الفضل بن أبي البركات

الصفحة

١٧٢	وزارة سعد بن أبي الفتوح
١٧٤	الدولة الأيوبية في جنوب الجزيرة
١٧٥	أيوب الأيوبي
١٧٦	سيف الإسلام طغتكين
١٧٨	المعز بن طغتكين
١٧٩	الأتابك غازي بن جبريل
١٨٠	أم الناصر
١٨٠	سليمان تقي الدين
١٨١	الملك المسعود
١٨٢	الجدول الزمني لحكم الأيوبيين
	الحالة العامة للعهد الأيوبي ، زبيد ، والعادات والتقاليد (النخيل) ،
	السبوت ، خراج النخل ، اللباس ، المعايير ، الموازين ، العملة ،
	المنسوجات ، معمل الدباغة ، الضرائب ، حلى النساء ، اللباس ،
١٨٣	الطعام
١٩٣	ميناء عدن
١٩٦	الآثار العمرانية الأيوبية
١٩٨	(الفصل الخامس)
١٩٩	الخلاف السلجوقي من القرن الخامس إلى القرن السابع
٢٠٣	إمارة السلجوقيين في الخلاف السلجوقي
٢٠٦	الأمراء الغوانم في الخلاف السلجوقي
٢٠٨	القوات الأيوبية في الخلاف السلجوقي
٢١٠	الدولة الرسولية
٢١٠	عمر بن علي الرسولي
٢١٢	المظفر الرسولي
٢١٥	الملك الأشرف الأول
٢١٦	المؤيد الأول

الصفحة

٢١٦	الملك المجاهد
٢٢٠	القوات المصرية ووصولها وعودتها
٢٢٠	الملك المجاهد بعد رحيل القوات المصرية
٢٢١	نهاية الظاهر
٢٢٢	الأمير على بن محمد
٢٢٣	الأفضل بن المجاهد
٢٢٥	الملك الأشرف الثاني
٢٢٧	الملك الناصر
٢٢٨	خروجه إلى حلي
٢٢٨	وفادة أبناء سعد الدين الحبشي
٢٢٩	وصول وفد الصين
٢٣٠	المنصور الثاني
٢٣٠	الملك الأشرف الثالث
٢٣١	الملك الظاهر
٢٣٢	الملك الأشرف الرابع
٢٣٢	المظفر الثاني
٢٣٣	الملك المسعود
٢٣٤	الجدول الزمني للرسولين
٢٣٥	نظرة عامة في تاريخ الملوك الرسولين
٢٣٥	آثارهم
٢٣٦	نظام دولتهم
٢٣٦	الجيش
٢٣٦	عادات البلاط والتقاليد
٢٣٧	الموائد الملكية
٢٣٧	المهرجانات
٢٣٨	صنع الحلوى

الصفحة	
٢٣٩	إحتفالات القصر
٢٣٩	الهدايا
٢٤٠	الإستعراضات
٢٤٠	السياط الملكي
٢٤٠	الحفل
٢٤١	الصيد والقنص
٢٤٢	التفوذ السياسى
٢٤٣	العلاقات السياسية
٢٤٤	خضرموت والشحر وظفار
٢٤٥	الدولة الرسولية والإمامية الزيدية
٢٤٨	معارف وعلوم وأشعار بعض ملوكهم
٢٥٢	الدولة الطاهرية
٢٥٣	غزو الملك المظفر لصنعاء
٢٥٣	غزوته لبلاد الشحر
٢٥٤	ابن الناصر والدولة الطاهرية
٢٥٤	دخول صنعاء
٢٥٥	قتل الملك المظفر
٢٥٦	وفادة أبناء مجاهد الحبشى
٢٥٦	الملك عبد الوهاب
٢٥٧	الملك الظافر الثانى
٢٥٨	ثورة الشيخ عبد الله بن عامر
٢٦١	(الفصل السادس)
٢٦١	الإمارة القطبية الأولى فى المخلاف السليماني
٢٦١	دريب بن خالد
٢٦٢	أحمد بن دريب
٢٦٣	المهتدى بن أحمد

الصفحة

٢٦٨	غارة أمير حلى على جازان
٢٦٩	العلاقة السياسية بين المخلاف والدولة الطاهرية
٢٧٠	نهاية الأمير المهدي
٢٧٠	قتل الأمير المهدي
٢٧١	الأمير عز الدين بن أحمد
٢٧١	غارة الجيش المصرى على جازان
٢٧١	مقتل الأمير عز الدين
٢٧٢	الأمير محمد بن يحيى القطبي
٢٧٢	وفاة الشيخ شيخ الإسلام فى تهامة
٢٧٤	أحمد بن المهدي ٥٥٥
٢٧٥	الإمارة القطبية الثانية
٢٧٥	عامر بن يوسف العزيز
٢٧٥	هجوم أمير حلى على المخلاف السليماني
٢٧٦	غزو أمير حلى الثانية للمخلاف السليماني
٢٧٦	غارة أمير مكة على المخلاف السليماني
٢٧٧	عودة الأمير من رحلته إلى وطنه المخلاف السليماني
٢٧٨	الجراكسة المصريون ٥٥٥
٢٧٩	الحالة السياسية ٥٥٥
٢٧٩	حسين الكردي والحملة الجركسية المصرية
٢٨١	برسبای أمير آفى زبيد
٢٨١	الأمير اسكندر الخضر
٢٨٢	ولاية كمال الرومى
٢٨٢	الأمير حسين الرومى
٢٨٣	قتل اسكندر الخضر
٢٨٤	عودة سليمان الرئيس للمرة الثانية
٢٨٥	وفاة حسين الرومى

الصفحة

٢٨٥	وصول سادمان الرئيس للمرة الثالثة
٢٨٦	الحرب
٢٨٧	المخلاف السليمانى وسلمان الرئيس
٢٨٧	سلمان وخير الدين
٢٨٧	المؤامرة
٢٨٨	تحرك مصطفى بيرم من جيزان
٢٨٨	القتال
٢٨٩	نيابة على الرومى
٢٨٩	الاسكندر موز
٢٩٠	ولاية الناخوذة أحمد بالوصاية
٢٩١	(الفصل السابع)
٢٩١	العهد الأول للأتراك في جنوب الجزيرة
٢٩٢	الوالى مصطفى غزه (النشار)
٢٩٤	أويس باشا
٢٩٥	أزدمر
٢٩٦	مصطفى النشار للمرة الثانية
٢٩٦	محمود باشا
٢٩٦	رضوان باشا
٢٩٦	مراد باشا
٢٩٧	سنان باشا
٢٩٧	برهان باشا
٢٩٧	حسن باشا
٢٩٨	جعفر باشا
٢٩٨	محمد باشا
٢٩٨	فضلى باشا
٢٩٨	حيدر باشا

الصفحة

٢٩٩	(الفصل الثامن)
٢٩٩	المخلاف السليماني في العهد الأول لولاية الأتراك
٣٠٠	الأمراء الخواجيون
٣٠٠	الغارة الثانية للأمير عز الدين على جازان
٣٠٢	وقعة حنتر (بين الأتراك والمخلاف)
٣٠٢	الأمير عبد الوهاب القطبي
٣٠٢	وقعة المحجاة
٣٠٣	قتل المدير التركي في المنطقة
٣٠٤	وقعة الأربعاء بين الأتراك وأهل المخلاف السليماني
٣٠٥	الأمير عيسى بن المهدي
٣٠٦	غزو عيسى بن المهدي بندر جازان
٣٠٨	المحاجة المشهورة بأم العظام
٣٠٩	الفتنة بين الأمير عيسى بن المهدي والأتراك
٣١٠	حملة المطهر على الأتراك في المخلاف السليماني
٣١١	حجر أرض قرعى ونخيلا
٣١٢	الأمير أحمد بن عيسى المهدي
٣١٣	القتال بين الخواجيين
٣١٣	تجديد الفتنة بين الخواجيين
٣١٧	(الفصل التاسع)
٣١٧	المذهب الزيدي ودعائه
٣١٨	الزيدية
٣٢١	تعالم المذهب الزيدي
٣٢٢	الزيدية في اليمن
٣٢٤	يحيى بن الحسين
٣٢٦	الحالة الاجتماعية والوضع السياسي في اليمن الأعلى
٣٢٨	أحمد بن يحيى الناصر

الصفحة	
٣٢٩	المنصور يحيى بن أحمد
٣٢٩	المنصور بن يحيى
٣٢٩	المهادى الثانى
٣٢٩	القاسم العيافى
٣٢٩	الحسين بن القاسم
٣٣٠	الحسين بن عبد الرحمن
٣٣٠	أبو الفتح بن ناصر
٣٣١	ذو الشرفين والفاضل
٣٣١	أحمد بن سليمان
٣٣٢	المنصور عبد الله بن حمزة
٣٣٢	محمد بن ناصر
٣٣٢	أحمد بن منصور
٣٣٣	أحمد بن الحسين
٣٣٤	إبراهيم بن تاج الدين
٣٣٥	الإمام السراجى
٣٣٥	المطهر بن يحيى
٣٣٥	المهدى بن المطهر
٣٣٦	الوائق
٣٣٦	المهدى على
٣٣٦	المؤيد يحيى
٣٣٦	الناصر محمد
٣٤١	المنصور بن على بن محمد
٣٤١	المتوكل المطهر بن محمد
٣٤٢	الحالة السياسية والاجتماعية فى اليمن الأعلى
٣٤٥	الإمام الناصر بن محمد
٣٤٥	المنصور المعروف بالسراجى

الصفحة

٣٤٥	الناصر الحسن
٣٤٥	الإمام الوشلى
٣٤٨	الإمام شرف الدين وحروبه مع الأتراك
٣٥١	المطهر بن شرف الدين
٣٥٣	الحسن بن المؤيد
٣٥٣	القاسم بن محمد
٣٥٤	المؤيد بن القاسم
٣٥٤	المتوكل بن القاسم
٣٥٥	المهدى أحمد
٣٥٥	المؤيد محمد بن إسماعيل المتوكل
٣٥٦	صاحب المواهب
٣٥٧	المنصور المتوكل
٣٥٧	المهدى العباسى
٣٥٧	المنصور على
٣٥٧	المتوكل أحمد
٣٥٨	المهدى عبد الله
٣٥٨	المنصور على للمرة الأولى
٣٥٨	الناصر عبد الله
٣٥٨	الهادى محمد
٣٥٨	المنصور على للمرة الثانية
٣٥٩	محمد بن يحيى
٣٦٠	على بن المهدى للمرة الثالثة
٣٦١	المنصور أحمد بن هاشم
٣٦٤	المنصور الوزير
٣٦٤	حسين المتوكل
٣٦٤	محسن الشهارى

الصفحة

٣٦٥	المهادى حسين
٣٦٥	نشاط جماعة الإسماعيلية
٣٦٦	المتوكل محسن
٣٦٦	إمام جديد
٣٦٦	إختلاف بين وزيرين
٣٦٧	إمامة على بن المهدي للمرة الخامسة
٣٦٧	شرف الدين المهادى
٣٦٧	المنصور بن محمد بن يحيى
٣٦٨	معركة الحرف
٣٦٨	أهل صنعاء
٣٦٩	تقدم أحمد فيضى
٣٦٩	الإمام يحيى بن حميد الدين
٣٧٣	(الفصل العاشر)
٣٧٣	المخلاف السليمانى وإمارة أحمد بن غالب
٣٧٥	ردود الفعل
٣٧٥	الوضع الإدارى للمخلاف السليمانى
٣٧٦	الاتجاه للناحية الشرقية
٣٧٧	العودة إلى حركة التوسع فى الشمال
٣٧٨	اختطاط أحمد بن غالب قرية البدوى
٣٧٩	غزوة أمير صعدة للمخلاف السليمانى
٣٧٩	المعركة
٣٨٠	بنو شعبة
٣٨٢	عودة مع أحمد بن غالب
٣٨٢	تعمير قلعة جيزان الأعلى
٣٨٣	غزوة الوزير سنبل
٣٨٤	هجوم بنى شعبة
٣٨٥	تحرك الأمير أحمد بن غالب

الصفحة

٣٨٥	الاستعداد
٣٨٥	الأمير عز الدين
٣٨٦	النشاط الأخير
٣٨٦	الأمير عز الدين
٣٨٧	المخلاف السليماني وإمارة آل خيرات
٣٨٨	الأمير محمد بن أحمد بن خيرات
٣٩٠	غزوة صيبا
٣٩٠	العامل الجديد
٣٩١	الأمير محمد بن أحمد آل خيرات
٣٩١	عقم خريم
٣٩٢	أول تدخل لقبائل يام
٣٩٣	بوادر الخلف
٣٩٥	الأمير حوذان في صيبا
٣٩٥	إمارة حوذان
٣٩٦	القتال
٣٩٧	الانتقام رقم (١)
٣٩٩	الانتقام رقم (٢)
٤٠٠	الانتقام رقم (٣)
٤٠٠	التنفيذ
٤٠١	التأثر
٤٠٢	ظهور أبي علامة
٤٠٢	نهاية أبي علامة
٤٠٣	غزو جبال فيفاء
٤٠٣	وصف أهالي فيفاء
٤٠٤	تقدم قوات الأمير
٤٠٤	الاستعانة بقبائل قحطان
٤٠٥	أحياء شريح البيض

الصفحة	
٤٠٥	الخازوق
٤٠٥	الحرب بين يام والأمير
٤٠٧	التعبئة
٤٠٨	آل خيرات
٤٠٩	الأمير حيدر
٤٠٩	الندم
٤٢٠	الأمير الحسن بن أحمد
٤١٠	الاختلاف بين الشريكين
٤١١	وفاة الإمام المهدي
٤١١	نزول يام
٤١٢	الأمير الحسن وحصار أبي عريش
٤١٢	القتال
٤١٣	الأمير أحمد بن محمد للمرة الثانية
٤١٤	يام تهب مدينة أبي عريش
٤١٤	الدفاع عن النفس
٤١٥	رد الفعل
٤١٦	وصول المكرمي
٤١٦	التنازل الثاني
٤١٧	الأمير علي بن محمد الخيراني
٤١٧	القتال بين أهل أبي عريش ويام
٤١٨	المعركة
٤١٨	أهل المدينة والأمير أحمد بن محمد
٤١٩	الأمير يحيى بن محمد
٤٢٠	نزول يام بقيادة المكرمي
٤٢٠	استنجد أهل أبي عريش بأهل المخلاف
٤٢٠	هجوم المكرمي

الصفحة

٤٢٢ الرحلة إلى اليمن ونكبة الأمير يحيى
٤٢٣ الأمير أحمد بن محمد
٤٢٤ الأمير يحيى بن محمد للمرة الثانية
٤٢٤ الفتنة بين أهل المحلة وأهل الدهناء
٤٢٧ الحرب
٤٢٧ الوساطة
٤٢٨ تحرك عامل صيبا
٤٢٩ الرئيس على بن مطاعن الخواجي
٤٢٩ ثورة أهل صيبا
٤٣٣ (الفصل الحادى عشر)
٤٣٣ السعوديون والدعوة الإصلاحية فى الخلاف السليمانى وتهامة اليمن
٤٣٣ الحالة العامة فى الخلاف السليمانى
٤٣٤ كلمة عن الدعوة الإصلاحية
٤٣٩ عسير
٤٤٠ الداعية الأول أحمد بن حسين الفلقى
٤٤٣ التجهيز
٤٤٣ المعركة
٤٤٤ الخلاف بين الأمير محمد وعمه حمود بن محمد
٤٤٤ عرار بن شار
٤٤٥ تقدم حزام إلى الخلاف السليمانى
٤٤٥ سرية سعودية فى الخلاف
٤٤٦ الاتفاق بين الأمير على بن حيدر وحمود بن محمد
٤٤٧ إمارة الشريف حمود بن محمد
٤٤٧ أول سرية يبعثها حمود
٤٤٧ حركة عرار بن شار
٤٤٨ الأمير منصور بن ناصر

صفحة	
٤٤٨	الخلاف بين منصور وعمه
٤٤٨	إستعداد منصور
٤٤٨	تقدم حمود
٤٤٩	المعركة
٤٤٩	السرائيا السعودية في الخلاف
٤٥٠	إستعدادات الدفاع
٤٥٠	خطة الهجوم
٤٥١	الهجوم على أبي عريش
٤٥٢	الرحيل واناثة من يقوم بالإمارة
٤٥٢	الأمير حمود بن محمد
٤٥٤	الغزو
٤٥٥	المطالبة بالانفصال
٤٥٩	عرار ينسحب
٤٥٩	عزم عبد الوهاب على غزو الخلاف السلیمانی
٤٥٩	الوفد
٤٦٠	الوفد في أبي عريش
٤٦٠	سفر الوفد
٤٦٠	المحاكمة
٤٦١	حمود بعد رحيل الوفد
٤٦٢	الحرب بين حمود وصالح العلقی
٤٦٢	المعركة
٤٦٢	الخداع
٤٦٢	تعمير حصن باجل
٤٦٢	عمال الإمام سعود في اليمن
٤٦٣	صالح العلقی عامل الحديدة
٤٦٤	حمود بن محمد

الصفحة

٤٦٥ الاستيلاء على مدينة الحديدة
٤٦٧ وصول طامي بن شعيب
٤٦٨ بوادر الخلاف
٤٦٨ المعركة
٤٦٩ الحالة بعد المعركة
٤٧٠ الوضع السياسي في تهامة
٤٧١ غزو جيوش إمام صنعاء
٤٧١ التنافر والشحناء بين حمود وقرابته
٤٧٢ فرار طامي بن شعيب
٤٧٢ حمود بن محمد واتصالاته
٤٧٤ غزو محمد بن أحمد المتحمي
٤٧٥ تقدم الحسن بن خالد إلى عسير
٤٧٦ المعركة
٤٧٧ حمود وسيرته الشخصية
٤٨١ الحالة العامة في اليمن وتهامة والدور الثاني لحكم الأتراك
٤٨٢ الدور الثاني لحكم الأتراك
٤٨٣ توفيق باشا
٤٨٤ أحمد مختار في صنعاء
٤٨٥ ولاية أحمد باشا
٤٨٥ ولاية مصطفى باشا
٤٨٥ إسماعيل حتى
٤٨٦ محمد عزة
٤٨٦ أحمد فيضي
٤٨٦ عزيز باشا
٤٨٦ عثمان باشا
٤٨٦ عثمان نوري

الصفحة

٤٨٧	إسماعيل حتى للمرة الثانية
٤٨٧	أحمد فيضى
٤٨٨	حسين حلمى
٤٨٩	عبد الله باشا
٤٨٩	توفيق باشا
٤٨٩	حسن باشا
٤٩٠	محمد على باشا
٤٩٠	أحمد عزة
٤٩٢	الأمير أحمد بن حمود
٤٩٢	الوزير الحسن بن خالد
٤٩٢	الاجتماع
٤٩٣	الحالة السياسية فى تهامة
٤٩٣	غزوة الأمير أحمد قبائل الحميسين
٤٩٤	خليل باشا
٤٩٥	نهاية الحسن بن خالد
٥٠٤	موقف الأمير أحمد بن حمود
٥٠٤	الأمير على بن حيدر
٥٠٥	خليل باشا
٥٠٥	إمارة على بن حيدر
٥٠٦	غزو يام
٥٠٧	نزول على بن مجتل
٥٠٧	وصول نجدة تركية
٥٠٧	الحملة العسيرة الثانية
٥٠٧	غزوة ابن مجتل الثالثة
٥٠٨	حملة مجتل الرابعة
٥٠٨	غزوة الأمير عايض المخلاف السليماني

الصفحة

٥٠٩	وصول الإمدادات من الحجاز
٥٠٩	تحرك يام لغزو تهامة
٥١٠	الخلاف بين عايض والحسين
٥١١	إمارة الحسين بن علي بن حيدر
٥١٢	بناء قلعة نحران
٥١٢	إحياء مزرعة شرق وادي ضمد
٥١٣	قلوم محمد بن يحيى بن المنصور
٥١٣	غزوة الحسين للقسم الجبلي
٥١٤	بوادر الخلاف بين الحسين وعايض
٥١٥	الخلاف بين الخليفتين
٥١٦	الهجوم
٥١٧	المعركة
٥١٧	الحصار
٥١٨	الحالة في القسم الشمالي من تهامة
٥١٨	الاستعانة بقبائل يام
٥٢١	غزو الأمير عائض تهامة
٥٢١	المرحلة الأخيرة
٥٢١	عودة العثمانيين إلى اليمن
٥٢٢	النهاية
٥٢٢	إمارته
٥٢٣	الخلاف السليماني في العهد العثماني الثاني
٥٢٤	تقدم الأتراك على أبي عريش

الصفحة

٥٢٤	غزوة الأمير محمد بن عايض
٥٢٥	الحالة العامة للمخلاف السليمانى
٥٢٦	موجز تاريخ عسير
٥٢٨	محمد بن عامر
٥٢٨	عبد الوهاب بن عامر
٥٢٩	طامى بن شعيب
٥٣٠	محمد بن أحمد المتحمى
٥٣١	حملة حسنى باشا
٥٣١	ظهور محمد بن أحمد المتحمى
٥٣٢	إمارة سعيد بن مسلط
٥٣٢	محمد بن عون وسعيد بن مسلط
٥٣٤	ثورة سعيد بن مسلط
٥٣٥	الأمير على بن مجثل
٥٣٧	دراسة وتحليل
٥٣٨	استعادة أمير أبى عريش صديا
٥٣٨	الاستعداد
٥٣٩	على بن مجثل بعد عودته من غزو المخلاف السليمانى
٥٤٠	إنشغال محمد على والى مصر
٥٤١	الأمير عائض بن مرعى
٥٤٢	تقدم الأتراك على عسير
٥٤٦	الأمير محمد بن عائض
٥٤٧	الزحف التركى على عسير
٥٤٨	ريدة

صفحة	
٥٤٩	تقديم أحمد مختار
٥٥٠	دراسة وتحليل
٥٥٢	رسائل من أمراء عسير
٥٥٣	ولاية الأثرالك في عسير
٦٦٨	العلاقات بين عسير والمخلاف السلبياني
٥٧٠	إمارة محمد بن عائض
٥٧٩	التقدم إلى نهامة اليمن

وثائق تاريخية في هذا الجزء

يحتوي هذا الجزء على نحو ١٧ وثيقة أوردنا نصوصها في محلها من هذا الكتاب ، مما لا نرى القارئ بحاجة إلى ذكر مواضعها . وكنا نود إبراز صورها كلها غير أنها لم تتضح بعد التصوير وأصولها محفوظة في مكتبتنا .

١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	١١٣	١١٤	١١٥	١١٦	١١٧	١١٨	١١٩	١٢٠	١٢١	١٢٢	١٢٣	١٢٤	١٢٥	١٢٦	١٢٧	١٢٨	١٢٩	١٣٠	١٣١	١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥	١٣٦	١٣٧	١٣٨	١٣٩	١٤٠	١٤١	١٤٢	١٤٣	١٤٤	١٤٥	١٤٦	١٤٧	١٤٨	١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣	١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩	١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣	١٦٤	١٦٥	١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١	١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧	١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣	١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩	١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣	١٩٤	١٩٥	١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----

مطبعة نهضة مصر

القجالة — القاهرة

تاريخ
الخلفاء السليمان

تأليف
محمد بن أحمد العقيلي

الجزء الثاني

راجع وأشرف على طبعه
حمد الجاسر

الطبعة الثانية
مزيـدة
بفصول جديدة
وتنقيحات ووثائق

تاريخ
الخلفاء السليمان

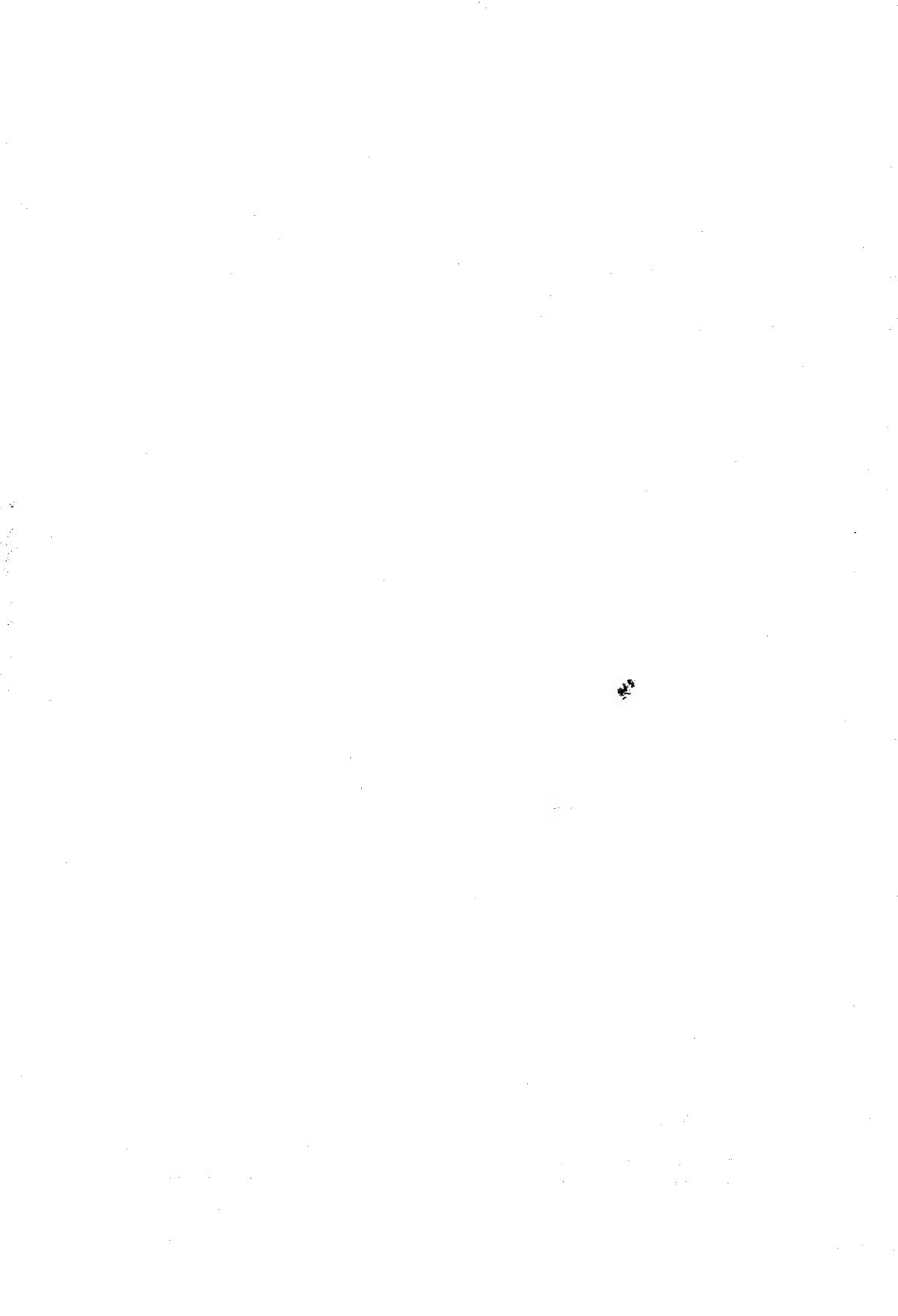
تأليف
محمد بن أحمد العقيلي

الجزء الثاني

راجعاً وأشرف على طبعه
حمد الجاسر

الطبعة الثانية
مزيّدة
بفصول جديدة
وتنقيحات ووثائق

من منشورات دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن اتبع سنته ووالاه .

أما بعد فهذه هي الطبعة الثانية من الجزء الثاني من كتابنا « المخلاف السليماني » أو « الجنوب في التاريخ » الذي طبع قبل عشرين عاماً - تقريباً - في القاهرة في مطابع دار الكتاب العربي ، وقد نفذت تلك الطبعة قبل مدة طويلة وأصبح غير موجود في المكتبات أو غيرها .

وقد أشار الكثير بإعادة طبعه وإنما لم تساعد الظروف والأحوال على إعادة طبعه .

وأخيراً استعنت بالله سبحانه وتعالى على القيام بدراسته من جديد وتنقيحه وإضافة ما اجتمع لدي من استدراكات وتعقيبات ووثائق ومنشورات استحصلت عليها بعد الطبعة الأولى ، منها :

١ - مذكرات الشيخ تركي بن محمد الماضي أحسن الله مثوبته ، وأسبغ عليه وابل رحمته ، الذي تفضل مشكوراً فبعثها إليّ لنسخها والاستفادة منها في الطبعة الثانية لهذا الكتاب .

٢ - مذكرات متصرف عسير سليمان شفيق كمال باشا ، التي أسدى علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر يداً على التاريخ بنشر ما وجد منها في مجلة « العرب » الغراء .

٣ - « الرحلة البمانية » للبركاني عن فك حصار أثينا ، والمعارك التي دارت بين جيش الإدريسي والجيش المتقدم لفك الحصار .

٤ - « الدر الثمين في مناقب أمير المسلمين » لعلامة منطقة جازان في القرن الثالث عشر الشيخ الحسن بن أحمد (عاكش) .

٥ - وثائق تحصلت عليها بصعده تاريخ بعضها إلى ما يقارب المئتي سنة والبعض إلى مئة سنة ، والبعض إلى ستين سنة من تاريخنا الحاضر .

٦ - الكتاب الأخضر الذي أصدرته وزارة الخارجية العربية السعودية في سنة ١٣٥٢ هـ .

وقد استدعى الأمر كتابة فصول جديدة ، وإعادة وكتابة كثير من الفصول السابقة بما أدرج تقدير الجهود الذي قمت به إلى القارئ الكريم .

وقد زاد الجزء الثاني بعض الإضافات الجديدة والاستلزمات الكثيرة والفصول المستجدة ، والوثائق الملحقة نحو الثلث عمّا كان عليه في الطبعة الأولى .

وختاماً أشكر لأستاذنا الجليل علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر عنايته وتفضله بالقيام بطبع هذا الكتاب ، كما قد سلف له أن قام بطبع الجزء الأول منه وأسأل الله أن يجعل هذا الكتاب من العلم النافع كما أسأله التوفيق في جميع الأعمال ، والإعانة والسداد .

جازان : محمد بن أحمد العقيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابي « الجنوب العربي في التاريخ » أقدمه لإخواني أبناء العروبة الأجداد شاكرًا لهم ما جبوني به من تقدير وتشجيع متمثلاً فيما استقبل به الجزء الأول من المنصفين وحملة مشاعر الفكر .

وقد بدأت في هذا الجزء من حيث توقفت في سابقه ألا وهو أواخر العهد التركي الذي بُلي باستعمار الوطن العربي ، زهاء أربعة قرون .

وبما أن انقشاع ضباب ذلك العهد مسبقه أشعة صحو هذه النهضة وتعقبه تخمر الوعي العربي واليقظة القومية الصاعدة فإن ذلك يعتبر نهاية عهد مضى واستقبال عصر أضاء . بدأ بالكفاح التحرري من نيسر الأتراك وتكوين تلك الإمارات في عسير ونهامة وغيرها وانتهى بقيام (المملكة العربية السعودية) العتيقة التي انتظمت تلك الإمارات في سلك وحدتها ووحدت في ظل رايها أغلب أجزاء شبه الجزيرة كنتيجة للكفاح البطولي والنضال التحرري بقيادة المؤسس الأول جلالة المغفور له (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود) تغمده الله برحمته .

وبطبيعة الحال إن أحداث الحاضر مهما تحققت غاياتها وقويت نتائجها واشتد مداه وارتفعت أمواجها تعتبر تيارات مندفعة من خضم الماضي البعيد تجمعت روافدها في شتى مراحل الكفاح البطولي لأمتنا العربية الكريمة حتى كونت هذا الوعي الزاخر والبعث الصاعد في شتى أجزاء الوطن العربي .

إن مهمة التاريخ كشف حوادث الماضي وعرض اختبارات واستخلاص تجاربه ورسم خطوطه في إطار من الحقائق تنبض بهوامل المجد وحوافر التقدم في مشاهد توحى العبرة وتلهم القوة وتحقق أهداف الوحدة وتواكب الإنسانية

وتبعث في روع الأجيال نشوة الاعتزاز بالماضي وروعة التطلع إلى آمال المستقبل المرموق .

ولست أدعي لنفسني بلوغ تلك الغاية ، وإنما في حدودها - أحاول السير وعلى ضوءها أستنير - في نطاق جهودي المتواضعة ولكل مجتهد نصيب .

لقد بذلت من الجهد والوقت والمادة في الحصول على الكثير من مصادر هذا الجزء بما لا يقل عما بذلته في تأليف وجمع مصادر الجزء الأول فالله أسأل أن يجعل هذا المجهود المتواضع نافعا وللحقيقة والخير حاويا .

إن هذا الجزء قد استوعبه بكامله تاريخ (المخلاف السليمانى) - مقاطعة جازان حالياً - وعسير وتهامة من سِرار العهد العثماني وما ملأ القراغ بعد زواله من إمارات في تلك المناطق من منشأها إلى اضمحلالها واندماجها في المملكة العربية السعودية العتيقة .

وبحوله تعالى سيكون الجزء الثالث خاصاً بتاريخ اليمن والمحنيات (عدن) والسلطنات التابعة لها وحضرموت وعمان كما سيكون الجزء الرابع خاصاً بالتاريخ الأدبي لتهامة عامة .

وختاماً يسرني أن أشيد بفضل إرشاد وتشجيع الكاتب الكبير والباحث الشهير الأستاذ حمد الجاسر وأن أتقدم بخالص الشكر والامتنان للشيخ العلامة (عبد الله بن علي العمودي) على تفضله بإعارتي الجزء الثاني من تاريخه المخطوط اللامع اليمني مصحوباً بإذن خطي (١) .

كما أسدي خالص الشكر والتقدير إلى أولئك الأفاضل الذين أمدوني

(١) هذا نصه : حضرة ولدنا الممام الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيل .
تشجيعاً وتقديراً لما تقومون به من مجهود على بارك الله فيكم نيمت لكم رفقة الجزء الثاني من كتابنا التاريخي اللامع اليمني المشتمل على سيرة الادارة وقد سمحنا لكم بطيب خاطر أن تأخذوا منه ما لم يصل إلينا علمكم وأن يكون من المصادر التي تشيرون إليها تنويعاً بالكتاب وإشارة إليه وسجلنا هذا إذناً لكم رقم في ٧٨/٤/١٣٠٢ هـ
التوقيع
والدكم عبد الله بن علي العمودي

برسائل بخط أيديهم - وهم ممن شهدوا العهد الإدريسي وخبروا أحواله
وتمرسوا بأعماله - وقد أوردت أسماءهم في قائمة المصادر المذيلة بهذا الجزء .
ولتماماً للفائدة فقد ذيلت هذا الجزء بقوائم المصادر المخطوطة والمطبوعة
التي استقيت منها معلومات مواد الجزء من كالاتي :

- ١ - قائمة بأسماء المصادر المخطوطة للجزء الأول .
- ٢ - قائمة بأسماء المصادر المطبوعة للجزء الأول .
- ٣ - قائمة بأسماء المصادر المخطوطة للجزء الثاني .
- ٤ - قائمة بأسماء المصادر المطبوعة للجزء الثاني .

هذا عدا ما أشرت إليه في المتن والهوامش للجزء الثاني من أسماء رواة
أفادوني بما وعته ذاكرتهم وإني أرحب بالنقد النزيه والتوجيه البناء من كل
ناقد وموجه والله أسأل أن يجعل العمل خالصاً لوجهه تعالى ؟

جازان في ١١/١/٧٩ هـ

محمد بن أحمد عيسى العقيلي

the 1990s, the number of people in the world who are under 15 years of age is expected to increase from 1.1 billion to 1.5 billion. The number of people aged 65 and over is expected to increase from 250 million to 450 million. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion. The number of people aged 15 and over is expected to increase from 3.5 billion to 4.5 billion.

الفصل الأول

الحالة العامة في المخلاف السليماني

من ١٢٤٥ - ١٣٢٦

وصل الأستاذ الجليل أحمد بن إدريس كما أسلفنا - إلى ضييا عام ١٢٤٥ في إمارة علي بن مجثل - راجع الفصل الخاص بتاريخ عسير - والفصل الخاص بإمارة علي بن حيدر - الجزء الأول - فاحترم (ابن مجثل) وفادته وقرر له راتباً من مملحة جازان .

كانت - في ذلك العهد تنازع الخلاف تيارات وعوامل دينية سياسية .

فهناك الدعوة السلفية الوهابية التي فقدت في ذلك قوة تدفق التاريخ ينبوع معينها الصافي ، من بعد قضاء محمد علي باشا على (آل سعود) النصير الحقيقي لتلك الدعوة ، وبقى الأمراء العسيريون محتفظين بتعاليمها على طريقة (المقلد) الذي يرى في الاحتفاظ بمنهجها ، النجاح الحربي والسياسي ، فقط لاعن إخلاص في حقيقة مبدإها وجوهر عقيدتها .

وكانت هناك أيضاً الزيدية التي يعضدها (آل خيرات) - أمراء المخلاف حينذاك - لاعن عقيدة كائمة (صنعاء) بل شأنهم شأن العسيرين من حيث التقليد السياسي فقط وهم يتمسكون بالاحتفاظ بمنهجها الظاهري أو السياسي لأنها تجعل الأفضلية في تولى الأمر للعلوين - راجع الجزء الأول - وكان من وراءهما حكومة (محمد علي باشا) التي تستند إلى القوة والسيطرة وعلى تلك الطريقة تناصر أحد الأمراء على الآخر .

وبين تلك العوامل مجتمعة وجدت (الطريقة الصوفية الأحمدية) وشيخها الطريق ممهداً لمدى سيادتها الروحية إلى نفسية الشعب - الذي قد فاته كل شيء - فوجد في العزلة والتبتل الصوفي والاشتغال بتلاوة الأذكار والركون

إلى المغيبات والأمل فيما ينتظر من الكرامات المزعومة - خير عزاء وأكبر سلوى في محنته ، فأصبحت (جلييا) محط الرجال ، ومنتجع القصاد لبغات التبرك والابتغال الصوفي .

السيد أحمد بن إدريس المغربي :

هو الجلد الأول للأسرة الإدريسية بتهامة ترجم له تلميذه العلامة حسن ابن أحمد عاكش في مؤلفه الموسوم بـ « حداثق الزهر » ، في ذكر أشياخ أعيان الدهر ، بما تلخصه :

(ولد في بلدة « العرائش » من أعمال القيروان ، وأخذ العلم عن شيوخ وقته وأكبر شيوخه عبد الوهاب التازي ، ثم توجه من وطنه بطريق البحر إلى مكة المكرمة سنة ١٢١٤ ولم يزل متفرداً للعبادة جاعلاً همه الاشتغال بالتفسير عن لطائف الكتاب العزيز ثم التفت إلى السنة النبوية) .

إلى أن قال ما نأتي على تلخيصه :

(وكان مدة إقامته بـ « مكة » تجري بينه وبين علمائها المناظرة وكان ملحوظاً بعين الاحترام من أمرائها وبحيا حياة طيبة من سعة العيش وانثيال الأرزاق عليه مما يأتيه من الفتوح) هكذا ؟ ؟ .

إلى أن قال : (وسمعتة عنلما جرى الحديث في مثل هذه المادة قال : نحن ضيوف الله في أرضه ، والضيوف بوجه مضيفهم ، ومن حمل الزاد إلى منزل الكريم أو سأل شيئاً منه وهو في منزله عدو لؤماً) .

وهذه النزعة الصوفية لا تنطبق وجوهر الدين الإسلامي ، الذي يبحث على الكسب المشروع والعمل المثمر .

(خرج في آخر مدته - رحمه الله تعالى من مكة المكرمة ، إلى اليمن وكان سفره من (الليث) ونزل في بنلو (جازان) في طريقه إلى (الحُدَيْدَة) وكان منتهى سيره إلى (زبيد) فلقاه عالمها الحافظ (عبد الرحمن الأهدل)

بالتجلة والإكرام ومكث في زبيد متجرداً للوعظ والإرشاد والإفادة إلى عام ١٢٤٥ وكان يخرج إلى بوادي ونواحي زبيد وإلى الخا و موزع) .

ثم ارتحل إلى مدينة (صبيا) وكان وصوله إليها في شهر رمضان من العام المذكور فأقام بها للهداية والإرشاد إلى أن أدركته الوفاة ليلة السبت ٢١ رجب عام ٢٥٣ تغمده الله برحمته ورضوانه ، وبعد موته تفرق أصحابه في الجهات وكان عقبى ذلك الجمع المبارك الشتات) انتهى .

وقد ترجم له المؤرخ الوشلي في الجزء الثاني من تاريخه الموسوم بـ « نشر الثناء الحسن » بقوله :

(كان خروجه من وطنه إلى صعيد مصر فأقام هناك وتزوج وولد له أولاد ثم خرج إلى (مكة) ثم إلى اليمن ناشرًا ما منحه الله من العلوم الدينية والمعارف الربانية وقد ترجم له جهابذة من علماء عصره كتلميذه العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل في كتابه « النفس الباني » فقال : وفد شيخنا الإدريسي إلى مدينة زبيد عام ١٢٤٤ ناشرًا ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسنة كاشفًا إشارتهما الباهرة ولطائفهما الزاهرة وقد أملى من تلك الرقائق والحقائق ما استنارت به قلوب سليمة وتداوت به من جراحات غفلاتها نفوس أئمة .

وكانت مدة إقامته أولاً عشرين يوماً ثم بدأ له التوجه إلى (الخا) ثم إلى جهة (موزع) فانتفع بإرشاده خلق كثير ولما وصل إلى تلك الجهة أتى منه كتاب لي ولسائر الإخوان مديلاً بالأبيات الآتية .

عظيم وإني لا أزال على العهد	فيا أهل (زبيد) جبكم وودادكم
وفيه أمور زايدات على الحد	لقد حال مني القلب شوقاً إليكم
تقربنا قريباً يزيد على العهد	ونسأل من المولى الكريم عناية
على بسط الأنس المنزه عن ضد	ويجمع مني الشمل بيني وبينكم

ولم يورد الوشلي نص الرسالة لنستشف من ديباجتها ، مفهوم ألفاظها منهج ذلك الخبر في فن الرسل ومنهج البيان .

أما الأبيات فيتبادر إلى ذهن المطلع أنها من نظم علماء الصوفية وسطاً من الجودة والرداءة) وقد أجبناه على الرسالة وأجاب على الأبيات العلامة الشاعر عبد الكريم بن حسين العتيمي بهذه الأبيات الفريدة :

نسيم يحيق المسك أم عاتق الند	أم الروض فاحت منه رائحة الورد
نظام أني في غاية اللطف ناشراً	لطي الثنا من حضرة العلم الفرد
صفى الهدى بحر المعارف شيخنا	خليف الرضا في القرب مناً في البعد
يقول وقد زادت به مدة البقاء	بأرض (الخا) قولاً يصرح بالوعد
فيا أهل زبيد حبكم وودادكم	عظيم وإني في الوصال على الوعد
لعمرك إن الشوق منا لرائد	يهيج إذا مرت عليه صبا نجد
وأهملت ما في القلب إذ قلت سيدي	(وفيه أمور زائدات على الحلد)
وما أحسن الإبهام هذا وإنما	سررنا به إذ كان من خالص الود

ثم عاد إلى زبيد فأقبل عليه الخاص والعام ، ولم تزل الأيام والليالي زاهرة رياضها بلطائف العلوم ، معمورة أوقاتها بالعبادة ، والأقلام تكتب من إملائه من الفرائد والشوارد ما ملئت منه الدفاتر .

ولما أوف الوداع برحيله إلى (صبيا) اجتمع خلق كثير لتشيعه وأنشد العلامة الشاعر عبد الكريم العتيمي هذه القصيدة :

أما آن أن يستوقف الركب منشداً	وينجد ملهوف الشكاية منجداً
على رسلكم لا تعملوها فإنما	مواطنها أحشاء قوم وأكبداً
خنوا من ترى آثارها قبضة لنا	فطيب ثراها للنواظر إثمداً
ألم تعلموا أن العقيق تشعبت	مجاربه في خد الحزين تخلدداً
ذخرت دموع العين قبل فراقكم	لما بعده فالיום للأمس مسعداً
ألا فاذكرونا طول الله عمركم	فقد قال مخوم الصباغ هداً
على أننا لا نعرف الحب إنما	بنا ما بنا مما يقيم ويقعداً
ونحن وإن كنا شيوخاً فإنما	لأحلامنا مهد الأصاغر تمهداً
وقد رضعت من حافل الفيض عنكم	لأن هداً يروي الغليل ويرشد

وقد تعلموا أن الرضاع لمدة وما كملت فاستكملوها وأسعدوا
أبي الله أن ينأى بنا طلب العلى على كيف ما كنا وأحمد أحمد
نزلتم بنا لا بلل نزلنا لأننا وردنا حياضاً لم تكن قبل تورده
كأنك حوض المزن طائراً رأسه فيا حبذا منكم شهود ومشهد

وكان توجهه إلى بندر (الحديدية) فتلقيه أهلها بالإعزاز والإكرام ،
وامتدحه أديارها ثم سار إلى (صيبا) فتلقيه أهلها بالإجلال والتكريم ،
فازدهرت ربوعها بسيادته مما أنطق الشاعر العلامة محسن بن عبد الكريم فقال :
شرفت (صيبا) بكم فغدت مورداً للعلم والسنزل
ليت شعري ما الذي فعلت فعلمت قدراً على (زحل)

إن القارئ الكريم ليرى فيما أوردناه عن عاكش والوشلي ثناء عاطراً
وإشادة فواحة ، وإنما يعوز الباحث المدقق أشياء وأشياء عن حياة ذلك
الأستاذ الجليل عن حياته العامة والخاصة وإن يكن فيما أوردناه عنهما أشياء
عن حياته العامة فهو من الشهرة بالتق والصلاح بالحل الأرفع وإنما يتطلب
البحث العلمي إبراز صفحة ناصعة وافية عن كيف كان يحيى وكيف يقضي
يومه وكيف يلقي دروسه وتعاليمه على مريديه وينشر فوائده على المستفيدين
ومنهج تعاليمه وطريقة إرشاداته ومواقف وعظه ومقامات مناظراته ومدى
تأثيره في الحياة العامة في عصره وبعده ، وغير ذلك مما يتطلبه منهج البحث
والدراسة لحياة أمثاله من صلحاء الرجال .

وجاء في كتاب « ملوك العرب » للريحاني بعنوان (أحمد بن إدريس)
والتصوف ، بعض ما يتطلبه البحث فقال :

(إن في العالم الإسلامي موردين للصوفية هما (إيران) وبلاد المغرب
وفي الثاني ولد ونشأ أحمد بن إدريس ثم ذكر شيوخه في التصوف وهما
(التازي) (والحيلري) الخ . .

إلى أن قال (وقد سمي طريقته (أحمدية) نسبة إلى اسمه وهي تدعى
كذلك في تهامة وعسير أما عنوانها فيكون الطريقة الشاذلية لأن اتباعها

يسلكون بالتهليل والأدعية مسلك الشاذلين) وجاء في المصلي نفسه بعنوان
(الأكراسة في عسير)

(إن الرجل الذي توفي في صلبا سنة ١٨٣٧ وشيع إلى قبره وليا لم يبلغ
السيادة على أحد من الناس ولم يكن على ما أظن يحلم بملك إدريسي في البلاد
العربية أو خارجها) .

إلى أن قال : يموت الرجل الصالح ولم يرغب في غير العبودية لله الخالصة
المجردة من الربوبية على أحد من خلق الله فيرفع إلى مقام الأولياء ويؤخذ
من ضريحه حجر الزاوية للملك عربي جديد .

كانت (تهامة) و (عسير) يوم توفي الإدريسي الأول في حكم
مضطرب لا ثركباً يعرف ولا مضرباً ، ومع أن البلاد من القنفذة إلى الحما
كانت تحت حوزة إبراهيم بن محمد علي الكبير الذي احتلها باسم الباب العالي
العثماني فالأهالي ظلوا تافرين منه تافرين عليه . . الخ ؟ انتهى .

وفي ذلك المضطرب السياسي وجد السبيل مهاداً أحمد بن إدريس ،
لنشر طريقته وتثبيت مركزه الروحي ، وإنما بعد موته تفريق جل أصحابه
ومريديه ، ولم يكن ابنه الذي خلفه في قوة شخصية والده فهاش على حساب
ذلك التراث الصوفي الموروث ، ونلاحظ أن المدة التي عاشها أحمد بن إدريس
من حياته الأخيرة في صلبا لم تكن المدة الكافية لرسوخ طريقته جنورها في
نفسية الشعب جميعه : فكان جل تأثيرها القوي في مدينة (صلبا) وضواحيها
ولم يكن تأثيرها بقوة إيمان في نفوس مريديه ، وإنما عن اعتقاد في صلاح
وتقوى شخصيته ، وفرق واضح بين العقيدة والاعتقاد .

ونلاحظ أن ابنه محمد بن أحمد وخليفته في طريقته قد توجه إلى
(الحديدة) وأقام بها ولم يعد إلى (صلبا) إلا قبل وفاته بثانية أيام وفي
مغادرته المركز الروحي ونزوحه إلى الحديدة ما يوضح ما أشرنا إليه .

ويقول المؤرخ الوشلي : (ثم إنه توجه إلى بنبر الحديدة ، وأقام به

مدة مديدة مع الخمول والصلاح والإقبال على الله بالكلية إلى قرب أجله
فسار إلى صبييا قبل وفاته بثمانية أيام وتوفي بها يوم الثلاثاء ٢٣ رجب
عام ١٣٠٦ هـ .

على بن محمد بن أحمد بن إدريس :

أدرك جده وطلب العلم على شيوخ وقته وخلف والده في مركزه
الروحي وكان قليل الاختلاط بالناس يختفي عن المقابلة نحو العامين ، ويظهر
لمقابلتهم نحو الشهر ويعود لعزلته حتى أدركته المنية في ١٧ الحجة عام ١٣٢٤
بعد عودة ابنه (محمد) من مصر والسودان وخلف أبناء أربعة وهم :
محمد و الحسن وأحمد والحسين .

وقد توفي الأخيران في أول حركة أخيهما .

الفصل الثاني

الإمام محمد بن علي بن إدريس

ولد بصيبيا عام ١٢٩٣ ترجم له المؤرخ الوشلي وقد عاصره فقال :
(نشأ في حجر والده على أحسن الأحوال ثم حفظ (القرآن) غيباً ثم أخذ
في فنون العلوم الدينية واللغوية على يد العلامة سالم بن عبد الرحمن باصهي
بـ (صيبيا) ثم خرج إلى مدينة (أبي عريش) فقرأ بها على العلامة (إسماعيل
ابن حسن عاكش) وتزوج هناك ثم رجع إلى (صيبيا) فكتب بها مدة ثم
قصد الديار المصرية طالباً للتوسع في العلم فكتب بالجامع (الأزهر) مدة
طويلة حتى برع وتفضل من منطوقها والمفهوم فرحل إلى السودان وتزوج
هناك وولد له ، وقد اطلعت على (ثبته) الذي جمع فيه ما من الله به عليه
فرايته حاوياً لفنون شتى من الأصول والفروع والآلات وعلوم الحديث
والتفسير والشريعة والحقيقة جامعاً لإجازات له من مشايخ جليلهم من علماء
المغرب والجامع الأزهر من الديار المصرية وكذا بعض علماء اليمن وقد أخذت
ذلك (الثبت) عنه بطريق المكاتب والإجازة - لكوني وقت رقم هذا لم يتفق
لي لقيه - وقد أسمعني بنقله بعضه بخط يده وبعضه بنقل غيره بأمره ،
ثم أرسله إليّ وهو بمصر (ميسري) إلى أن قال ما ننقله بلفظه مختصراً :

(وكان رجوعه إلى صيبيا والبلاد قد ملئت جوراً وظلماً وقتلاً وغيره ،
ولما استقر بصيبيا قام يدعو الناس إلى الله وإقامة الشريعة فأنجذبت إليه قلوب
الخلق من كل بلد ، وكان يرد إليه كل يوم نحو أربعة أو خمسة آلاف نفر ،
ثم إذا صلوا معه المغرب والعشاء قعد معهم في محل واسع ، فأخذ يعظهم
ويذكرهم ويعلمهم الأمور الدينية إلى أن يمضي من الليل أكثره ، وكفاية
هؤلاء الوافدين ^(١) عليه وإن كثروا ولا يلتفت إلى ما يصلون به من الصلوات

(١) ومثل هذا العدد الضخم يحتاج في كفايته إلى معين من المساعدات المالية مع ما يتعمم
من الصلوات للوفود بالطبع .

ولا من زكاة أموالهم وإن كثّر بل يقبضه وكلاء من طرفه . . . إلخ) .
نقل هذا من تاريخ المؤرخ الوشلي المعاصر للمترجم ، لنبرز للقارئ
صورة من تصور ذلك المؤرخ لقيام الإدريسي في نظره وهذا مع الاختصار
وتركنا من الأصل ما يمت إلى المبالغة أو المغالاة .

وجاء في « اللامع الثماني » للعلامة عبد الله بن علي العمودي - وهو
من رجال العهد الإدريسي ما يأتي :

كان بعد أبيه دأبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والشعب في غاية
الهمجية لعدم الضغط من الحكومة التركية وأمرهم مقصور على المراكز البحرية
وبطور السراة والأراضي النازلة التي أيديهم عليها وسطوتهم تنالها ، في شهر
الحجة عام ١٣٢٦ كان قيام الدولة الإدريسية فدعا بهذه السهال بمدينة صبيا
لما كثّر الدُّعار وتمادوا في الفساد جهاراً وانتهكت الحرمات وغطت البليات ،
والقوى يقتل الضعيف وصارت العشائر والشعب همجية فتجرد للأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر وصادف سبب الدعوة أنه جرى حرب ما بين أهل صبيا
والجعافرة فتوسط بالصلح على هدنة بينهما فاقتضى الحال إن أناساً من
الجعافرة أرادوا السوق بصبيا عملاً بالصلح من السيد محمد المذكور فاعترضهم
بعض سفهاء أهل صبيا خارج المدينة وصالوا عليهم وأرادوا قتلهم فاستسلموا
فأخذوا منهم السلاح وحضرهم السيد في وجاهته فلما علم بذلك جمّع أهل
مراكز صبيا ووعظهم وثبّهم وقال : من يبايعني على الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وجرّد سيفه وقصد أهل الفساد فخلّطهم الله فوصلوا بهم إليه فأمر
بتعزيرهم وبإياعه باقي أهل صبيا والمخلاف .

العلاقات الإدريسية الإيطالية :

قبّل عودة (الإدريسي) إلى وطنه ومسقط رأسه صبيا كان على
اتصال به (محمد علي علوي) مترجم السفارة الإيطالية بـ (القاهرة) - الذي
كان على صلة صداقة به قبل ذلك .

ويقال أن ذلك الاتصال السياسي كان في عام ١٣٢٣ - ١٩٠٥ وإيطاليا

تعد العدة لغزو (طرابلس الغرب — ليبيا) ، فقد أرادت إيطاليا أن تشغل تركيا بإشغال نار حرب في جهة من الجهات التابعة لها مقدماً .

كان على وزارة إيطاليا آنذاك (السنيور جوليتي) السياسي الإيطالي المعروف ومن المعلوم أن لإيطاليا مستعمرة (الإريتريا) وقاعدتها مدينة مصوع على الضفة الغربية من البحر الأحمر ، مقابلة (لهامة) والحكومة الإيطالية على معلومات تامة ودراية كاملة بأحوال منطقة (المخلاف السليمانى) وما للأداسة فيها من النفوذ الروحي آنذاك أضف إلى ذلك أن الإدريسي نفسه في رحلته إلى مصر مهاجراً لطلب العلم كان بدأ رحلته إلى مصوع بحراً ومنها قصد (الحجاز) لأداء فريضة (الحج) وذلك في عام ١٣١٣ ومن الحجاز سار إلى مصر .

وسيادة الإدريسي على أكبر جانب من قوة الشخصية وسمة المدارك والتحصيل العلمي وقد ساعده ذكاؤه الخارق إلى الاستفادة من رحلته إلى مصر واستكمال دراسته في كلية الأزهر وإطلاعه على مجريات السياسة اللولية مما تسامى بدائرة تفكيره عن نطاق دائرة أسرته الموروث في نطاق مجال التصوف بين حلقات الطريقة ونفحات التبرك ، وقد ألهمته مشاهدته في (السودان) وما خلفته ثورة (مهديها) من شهرة ملوية وقبل المهدي (محمد علي الكبير) وما أحرزه من نجاح وأنه لولا تأمر الدول على خضد شوكته خوفاً على مصالحها الاستعمارية لتقدمت جيوشه واحتلت (الآستانة) وبالرغم من كل ذلك فقد أبقى لأسرته مسلكاً موروثاً وإراثاً ضخماً من الجد .

فدفعه طموحه الملهب وارتقت به همته المشبوبة إلى محاولة ما يعتلج في عقله الباطن وأهله لموع اسم أسرته في المخلاف وبرز شخصيته وما يتحلى به من العلم والتقوى — وهو الخبير العارف بأحوال مسقط رأسه ، وبطباع قبائل المخلاف السليمانى ، دفعه كل ذلك إلى تحقيق أهدافه يضاف إلى ذلك اتفاقه مع إيطاليا وإهمال الحكومة التركية لأكثر داخلية البلاد العربية عامة والمخلاف السليمانى خاصة حتى شاعت الفتن بين قبائله وانعدم الأمن وسادت الفوضى .

وقد وجد الآن ما يغذي^(١) طموحه ويحقق حلماً يتراعى في ضباب أحلامه إذاً فليقبل العرض الإيطالي والعون الحربي وضمانها لمساعدة ثورته مادياً وحربياً .

توجه إلى اليمن ونزل بمدينة (الحديدة) في طريقه إلى صيبا ويقال أن الحكومة التركية قد خامرها بعض الشك حول اتصالاته بحكومة (إيطاليا) فجعلت عيونها ترصده من ساعة وصوله بيد أن الرجل من حصافة الرأي وبعد النظر بحيث استطاع أن يضلل عيونهم ويبدد ما يحوم حوله فنزل في مسجد جده المعروف في أطراف (الحديدة) وانصرف إلى العبادة والاشتغال بالعبادة عن كل أمر حتى أثبت لهم بحسن سلوكه وانصرافه بشؤون العبادة والزهد عن كل أمر وقرر حماس ترصدهم لحركاته ، فانصرف من الحديدة عائداً إلى صيبا للعودة إلى والده وأهله وبوصوله كانت الاتصالات بينه وبين الحكومة الإيطالية بواسطة (محمد سالم المصوعي وطاهر الشنيتي) التاجر المعروف والذي له اتصالات ومعاملات تجارية بكثير من أهل الجهة وذلك عن طريق مرسى (قوز الجعافرة) الذي لا يبعد عن صيبا إلا بمسافة ثلاث ساعات سيراً على البهائم .

الإدريسي في صيبا :

إن وصوله إلى وطنه بعد (١١) عاماً وهو في أسرته وشخصيته ومراسلاته لوالده من (مصر) وقصائده الفرائد التي أرسلها لوالده في الحين إلى الوطن وكانت لاشك تقرأ في حلقات (المريدين) ووفود الزائرين وتتناقلها الدعاية من المحبين والمتقربين مع شيء من المبالغة بما بلغه من سمو العلم والصلاح - أحاط شخصيته بهالة من التقدير وهياً النفوس بحرارة الشوق ودفء الحماس لارتقاب عودته ومع احتفال أهله بقدومه لما بلغه من النجاح العلمي سرت

(١) أخبرني بعض خواص خدمه وهولانزال عل قيد الحياة إلى الآن وقد سافر هذا الخادم مع أحد أقربائه إلى مصر ووصل إلى قرية الزينية في الصعيد ، أن سيادة الإدريسي قام في أحد قرى الصعيد بنوع من هذه المحاولة ففشل وكاد أن يقيض عليه من الحاكم المحلي فشفع في الإفراج عنه وأشاروا عليه بالسفر حالاً إلى السودان وقد ورد في بعض قصائده المنشورة في هذا الكتاب وهي التي أرسلها إلى والده من مصر ما يشير إشارة خفية إلى هذا الحادث .

علوى الاستبشار إلى المريدين والمقربين ومنهم إلى غيرهم وهكذا وبالطبع أن النبيل الغائب ترتقب أوبته وتنهال وفود المهنيين عليه فكيف الحال بقدم من هياً نفسه لأمر عظيم وصمم أن يلج التاريخ من أوسع أبوابه ، استقبل المهنيين بكرم الخلق وجميل المقابلة مع الاعتداد وفرض الشخصية وكرم الضيافة وجزيل البر ، والناس مفطورون بطبعهم على التعلق بالمثاليات وجعلها مضرب المثل وتعظيم المتصفين بها والإدريسي على أوفر جانب منها فخلب أبواب الأصدقاء والمريدين وفاز باعجاب المعتدلين وحير أفكار المعارضين .

الدور الأول :

تسامع (المخلاف) بمقدمه وما هو عليه وما يقابل به زواره من كرم الضيافة والبر وما يقوم به في مجالسه من الوعظ والإرشاد ، فأحب السامع أن يكون مخبراً والغائب أن يكون شاهداً فانهالت وفود المهنيين على صبيا ، وضافت بهم داره ، فأشير على الجيران القرييين ، بأن يتسعوا في دورهم للضيوف ، للاستراحة والإقامة الموقته ، أما تناول الطعام وكفاية الضيوف ففي داره وعلى حسابه فانتعش سوق (صبيا) وازدهرت تجارتها نسبياً ومع تزايد الوافدين وضيق المجلس بهم جميعاً فكان يخرج إلى الوادي النباني فتنكفئ الجموع وراعه من بعد العصر أو المغرب ويأتم بالناس في المفروضات ويقوم في تلك الجموع واعظاً ومرشداً ومحدثاً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فيخلب ألباب الجماهير ببلاغة لفظه وسحر بيانه وقوة منطقته ونبرات صوته الجمهوري والجماهير أشد تأثراً وأسرع انقياداً فيخلق بهم في أجواء فسيحة وأرجاء بعيدة وروادع زاجرة ونواه مانعة ويظوف بهم في آفاق وآفاق من النعيم الأبدي والثواب السرمدي ويرغبهم فيما أعد للمحسن من المثوبة العاجلة والنعيم الآجل وكان في ثنايا مواقفهم يشير ويلمح بما يجب من إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فانسالت عليه الوفود من البلاد المجاورة وأخذوا يروجون له في ظهور الكرامات ووقوع المعجزات في عهد سادت فيه الجهالة وراجت البدع ونظر الناس إلى الدين من خلال شخصيات لها من الصلاح بزعم ماروج لها بين العامة

بسم الله الرحمن الرحيم
 وبعد فان العلامة محمد بن محمد بن ابراهيم بن يحيى بن كرى كفلا للشرى فحمد
 على الحسى على القاصى حسن ابي اصر فيما يحدث عنه من الامور المغادر على
 المدله يعلم ذلك بتاريخ ٣ شهر الحجة الحرام ١٢٨٤
 كسب احمد بن محمد
 المصنف المصنف
 محمد بن محمد
 ابن ابراهيم



وثيقة كفل بخط العلامة أحمد بن محمد السعوى لحاكم أبي عريش

الجد

أما بعد حفلة بنا أحمد متفق بعد ان مثلاً صلح بين بني شيبان والمخارضة وشاير فقه احمد على
 متعرج وبن الصالح بينهم سنة كاملة اولها شمس ربيع اول وكان الصلح بين محمد بن علي وعلوان بن
 وعبيد لا امره اهل المعنق فالمنكر بن وبني شيبان بينهم صلح سنة اولها شمس ربيع اول
 وكان الوسيط على العلوان وعبيد لمع على جيلاني وسيط منفق على علوان وعبيد لا امره
 والمخارضة جعل احمد مفرم الوسايط عند موسى المحاسن ما فيها مخرج وسيط فيها
 على أموي ومنفق وحسن بن عابده وسيط ومنفق على اهل الملقط ومي حار
 فيها جابر وقدر يعلم ذلك سلكه غيث زبناور ناصر احمد
 وقفه ١٢ ١٣

وليقة هنة صلح بين قبيلتي بني شيبان والمخارضة

وامتحكّم في عقول بعض الخاصة في كثير من البلاد من قدرة التصرف واحداث المعجزات ماشاءت لهم أو هامهم أن تخلقه في دنياهم التي بعدت حينذاك عن حقيقة الدين ومفهوم اليقين وسبيل العلوم ، فاستغل الذكاء الوراق والعقل النير سداجة الميول واستخدمها في مهمته التاريخية .

الحالة العامة في المخلاف السليمانى :

أشرنا في آخر الجزء الأول إلى ما بلغته الحالة العامة في المخلاف لغاية عام ١٣٢٧ مجملا وهنا نتناولها بشيء من التفصيل قبل ثورة (الإدريسي) .
في ذلك التاريخ فصل المخلاف السليمانى - إدارياً - عن الحديدة وربط (بمصرفية عسير) إلا أن الحالة لم تزداد إلا سوءاً وماج المخلاف في تيارات من الحروب القبلية كالآتي :

- ١ - نشبت الفتنة بين قبائل الشَّقِيقِ والسُّنَجِجَةِ .
- ٢ - بين قبائل بني شعبة وعبس .
- ٢ - بين أهل بيش والسادة .
- ٤ - بين الجعافرة وأهل صبيا .
- ٥ - بين أهل أبى عريش وأهل ضَمْنَه ثم بين أهل أبى عريش والمسارحة .
- ٦ - بين أهل الحسيني وعبس .
- ٧ - بين النُحَكَامِيَّة والحرم .
- ٨ - بين سفيان والحُرْث .
- ٩ - بين المسارحة وبين بني شليل وبين المسارحة والحُرْث .

وكانت القبائل تعقد مع بعضها صلح هدنة مؤقتة بضمانه أشخاص لهم اعتبار قبيلى (راجع نموذج من تلك المعاهدات في هذا الفصل) وهكذا أصبح المخلاف ناراً تتأجج بالفتنة وتموج أرضه بالدماء وانعدام الأمن وسادته الفوضى والأثرارك في مركز (جازان) لا يتعدى حكمهم أول السبخة بل القبائل

تغزو جازان ذاتها وتستاق جمال المساء بين فينة وأخرى وكان قبل ذلك لم حاكم ضروري في صبييا قابلاً في قلعها (١) لا يتعدى نفوذ حكمه أسوارها ، ثم رفع واكتفى بمركز جازان التي إذا غربت الشمس مسك الأتراك النوب والقلاع ومن خرج لاقى حتفه في صبييا نفسها عدا الفتنة بين قبائلها وقبائل الجعافرة فالعداء واقع بين عشائرها بالذات فلقد تقدم شيخ المركز الأعلى المدعو (علي ابن أحمد شافع) إلى بيت شيخ المركز الشامي (يحيى بن شيخين) ودعاه فخرج إليه فبادره الأول برصاصة أردته قتيلاً وانصرف القاتل إلى بيته في المركز الأعلى وهما هنا في مدينة واحدة — التي هي صبييا ولم تستطع عشيرة الشيخ المقتول مقاضاته لعدم وجود سلطة حاكمة فعولت على أخذ الثأر ، وفي يوم من أيام السوق الثلاثاء تسلسل ابن أخت الشيخ المقتول واسمه (يحيى جوبجي) إلى (حانوت) الشيخ علي بن أحمد شافع وأطلق عليه طلقة نارياً خر على أثره يتشحط في دمه قتيلاً وفر القاتل فأنثرته عشيرة القتييل فأطلق عليهم الرصاص وقابلوه بالمثل إلا أنه استطاع الفرار منهم سالماً والتجأ إلى (دار أحمد شريف الخواجي) فنعته حتى جن الليل فأخرجته إلى حيث يأمن من شر مطارديه وهذا الحادث — في حد ذاته — واحد من عشرات مثله .

وفي جازان قتل جندي من الأتراك أحد أفراد قبيلة (المقارية) هو خال شيخ المقارية المعمر إلى هذا التاريخ (٢) وقد روى لي الرواية — وهي معروفة — ذلك الشيخ نفسه فقال :

كان خالي فقير الحال يتصل بالأتراك وينتفع معهم وفي ذات يوم أطلق عليه أحد الجنود الأتراك النار — وأظن أنه قال أطلق بندق أحد الجنود فأرداه قتيلاً — فحمل المقتول إلى قرية المقارية التي تبعد عن جازان بساعة ونصف سيراً على الأقدام تقريباً ، قال محلي : كنت في يافعا في أول أدوار الشباب شهرت بين أهل القرية بالدعة والحصول لاهم لي إلا القعود في الدار والعناية

(١) قلعة صبييا هدمت في سنة ١٣٧٧ وبني في مكانها المدرسة الابتدائية ومتوسط .

(٢) هو علي بن جده مقرئ : توفي سنة ١٣٨٣

بترجيل شعر رأسي حتى أن أهل الحي كانوا ينظرون إليّ مزدرين وكان خالي عطوفاً علي بعد أن فقدت والدي وأنا طفل ، فكان قتله ووصولهم به محمولاً على جمل جثة هادمة أثار بين جوانحي من الأسى والحسرة ما أفلقني الصواب وإنما سرعان ما عاودني الصبر فكتمت ما بقلبي وانصرفت إلى تجهيزه حتى انتهى كل شيء فحملناه إلى القبر وقبل مواراته التراب انتزعت نصلي - أي الخنجر - وقطعت جديلة من شعري ودسستها مع الجثمان قائلاً هذا ميثارك^(١) يا خالي اني انجزى بك - أي آخذ بثارك ، فنظر إليّ المشيعون بنظرات كلها سخرية وازدراء لما يعرفونه من حالتي السابقة ، فلم أبال بتلك النظرات وانصرفت .

كان أول هي اني جززت رأسي - أي شعر رأسه - ومن ثم أخذت نفسي في الخروج وراء إيلي والتغيب عن الحي والتعود على حياة الشظف والحرمان حتى تعودت على ما أريده .

وفي ذات يوم وصلت إلى الحي حاملاً بندقيتي وطلبت من مولى لنسا أن يصاحبني وأخبرته بعزمي وشرطت عليه شرطاً وهو أن يكون دريئة ليحيي ظهري فقط .

وبت أرقب الفجر حتى إذا شعشت في الأفق لوائح أنواره نهبت المولى وبكرنا صوب (جازان) فوصلنا السبخة والشمس قد ظهرت في الأفق فوجدنا صاحب حطب يسوق جملة فكننت أمشي مستندياً بالجمال أحادث صاحبه حتى لا يسترى في قصدي حتى قاربنا النوبة الوسطى^(٢) فخرج أحد الجنود الأتراك ليأخذ حزمة الحطب من الجمال - كما هي العادة - فطلع الجمال وفتح الحزمة التي استعد بها حسب العادة ، وناولها للجندي فرفع الجندي يديه لِيَتَنَاوَلَ الحزمة فاقتحمت عليه بالخنجر وأرديته

(١) الميثار رهن رمزي - راجع من ١٠٩ ج ٢ من كتابنا « الأدب الشعبي » .
(٢) لاتزال آثار هذه النوبة موجودة حول المطار - لأن الأتراك بنوا ثلاثة أبراج ويطلق عليها اسم (نوبة) لحماية الجمال التي تجلب الماء من (الحفائر) الأولى فوق (المطلع) ولا تزال باقية هامة والثانية موقعها وراء المستشفى القديم ، والثالثة موقعها حول المطار ، ولاتزال الأخيرتان باقيتين ، أما القلعة التي في موقع (الحفائر) فقد بنيت في العهد السعودي سنة ١٣٥٢ هـ .

قتيلا وأطلقت ساقى للريح. وانطلقت على نيران بنادق الأتراك من التوبة وبعضهم خرج وإنما المولى استطاع أن يشغلهم عن تبعمي حتى بعدت ونجوت ثم نجا الرجل بنفسه ، وفر إلى (المسارحة) على بعد خمس ساعات عن (جازان) ولم تستطع الحكومة القبض عليه وقد ظل طليقاً حتى قام الإدريسي فانضم إليه.

هذه قصة نرويه كصورة من غيرها التي تتكرر بين حين وآخر عن عدم استقرار الأمن وضعف الحكومة التركية عن تركيز سلطتها فإذا كان هذا عن فرد من قبيلة أو عشيرة على الأصح على مسافة ساعة ونصف عن مركز الدولة فكيف يكون الحال مع قبيلة ذات عدد وبأس في داخل المقاطعة ؟

الدور الثاني :

مضى الدور الأول في التمهيدات الأولى ، والاختبارات وسبر غور نفسية الشعب ومعرفة مدى قابليته والطريق الأيسر والأسهل لمعرفة مدى سرعة انقياده - وإن كان كما أشرنا قبل هذا أنه على معرفة بطباع قبائل المخلاف - إلا أن معرفة التخمين والحدس شيء والتطبيق العملي شيء آخر والانقياد اعتقاداً في زهد الرجل وصلاحه الذي لا تتجاوز التماس البركات أو إجزال النور والتماس القبور غير الانقياد للتغلب وخوض الأخطار واقتحام الأحوال ، وقد ساعده ذكاؤه ونفعه العون الإيطالي الذي كما يقال كان هو المال الوفير ولا شيء غيره في هذه المرحلة التجريبية الأولى .

وقد استغرق الدور الأول عاماً كاملاً أي طيلة عام (١٣٢٦) وجاء الدور الثاني دور التطبيق والتجربة العملية فأخذ أولاً في الجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحض الناس على ختان السنة - كانت قبائل المخلاف تسليخ جلد القضيب ومنابت الشعر - واقترح كاقتراح على العقلاء - وقد أدرك قوة تأثيره عليهم أن ختان أبنائهم ومن يلود بهم في داره خير طريقة لقطع دابر تلك العادة السابقة وبذلك يكون تطبيق ختان السنة عملياً ويؤمن شر المخالفة فاستجاب الخاصة واتبعهم العامة .

وقبلها كان أمر أو نصح على الأصح بقتل الكلاب المنسمة — أي الكلاب السود التي على أجفانها بقعة من الشعر بيضاء — فأفنى ذلك النوع في أقل وقت وهناك لمس أن سلطانه قد تغلغل في النفوس — نوعاً — وأن جذوره قد أخذت في التثبث بتربة الحياة وإنما هنالك نقطة حيوية بالنسبة إلى مشروعه ، الطريق الحيوي المباشر لاتصاله بالخليفة (إيطاليا) في مصوع — عبر البحر الأحمر — وهو (قوز الجعافرة) المرسى الطبيعي لـ (صيبا) وإلى تاريخنا هذا وما يردده إما نقود وهي شيء من العملة الغالية الثمن الخفيفة المحمل أو مثل ذلك من العملة الفضية ، في إمكان الجعافرة غض الطرف عن مرورها إكراماً لخاطره .

أما هذه المرحلة وهي مرحلة التمهيد العملي للمرحلة الثالثة التنفيذية والعمل لإعلان الثورة لابد من الاستعداد قبل إعلانها بورود مؤن وعناد عن طريق مفتوحة ، له السلطان المباشر عليها وبطبيعة الحال فنزول المؤن (من قوز الجعافرة) وترحيلها إلى (صيبا) — على ما بين أهل صيبا والجعافرة من الفتنة والقتال — عملية محفوفة بالخطورة — لأن الجعافرة سيرون أن السلاح الذي ينزل في ساحلهم يرحل إلى أعدائهم أهل صيبا .

إن الإدريسي من حصافة الرأي وبعد النظر كما أسلفنا بحيث يعرف كيف ومتى يصل إلى ما يريد ، والآن جاءت المرحلة (العملية) أو قرب وقتها .

فهل يبادر (الجعافرة) مباشرة في واسطة الصلح بينهم وبين أهل (صيبا) ، فقد يشتط الجعافرة وقد يفسر من أهل (صيبا) بما يأتي بعكس النتيجة ، وهناك (أحمد شريف الخواجي) الذي قد عيل صبره وقطع جبل الصمت وأصبح يصرح بانتقاد حركاته .

إذاً فالأمر يحتاج إلى الروية والتفكير .

بدأت هذه الحرب القبلية بين الجعافرة وأهل صيبا عام (١٣٢٠ هـ)

و (الإدريسي) نفسه ينسب تأريث شرارات نارها إلى (أحمد شريف) (١)،
فاتخذ في سبيل التمهيد للصلح منبر وعظه في الجماهير الزاخرة في إغلاق باب
الفتنة كما ورد في الأثر (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) والترغيب في الإصلاح
بين الناس بعبارات أشد قوة وأبلغ تأثيراً وهكذا دأب أياماً حتى هيا النفوس
لقبول ما سوف يقوم بالعمل في سبيله .

ثم بدأ في الاتصالات غير المباشرة برؤساء الطرفين حتى إذا شعر أن
النفوس من القبيلتين قد تهيأت ترك الفكرة تتخمر أياماً .

رغب في أن يكون السعي في الإصلاح بين القبيلتين بواسطة أناس بعيدين
عن الجانبين ليكون أضمن لحسن السعي وأبعد عن كل قصد ، وفوق ذلك
فليستفد من الصلح بضم طرف ثالث يكون واسطة ضمان حربي ضد من يخل
بالشروط ويعيث بالصلح ، يصبح في يده سلاحاً يجرده على المخالف إذا لزم
الأمر وإن لم يحزب من الأمر ما يوجب ذلك فيكفيه أن ذلك الطرف أصبح
ضمن منطقة نفوذه .

هنالك الخلاف الشامي من شمال صيبا إلى (بيش) وشيخ شمله (مفرح
ابن حسن القبي) وهنالك غرب الخلاف (قبيلة السادة) وشيخ شملهم
(محمد بن عرار) وكلاهما من ذوي المكانة والجاه ، فاستدعى الشيخين ووجوه
قبائلهما وفاتحتهما برغبته في سعيهما بالصلح بين الطرفين المتحاربين ، وقال لهم
لن يسد باب هذه الفتنة إلا أمثالكم ووضع لهما ما يراه ويتلخص فيما يأتي :

١ - السعي الجدي في ما يصلح ذات البين ويطفيء نار الفتنة .

٢ - أن تتكافأ الدماء بين الطرفين وما يزيله أو ينكره الطرف الآخر
فإما نستوهبه أو أضمن أنا دينه عن كل طرف منهما .

٣ - يضمنون لكم رؤساء الجعافرة على جميع قبائلهم وتأخذون منهم
المواثيق بعدم التعدي وإذا وقع ما يخل بذلك فأنتم المزمون عنهم لأهل صيبا

فإن وقع مخالفة أو تعدي أو إخلال بشرط من الشروط فأطالبتكم أنا عن أهل (صيبيا) وأنتم تطالبون الجعافرة بإعادة المنهوب وتسليم القاتل مثلاً وتأديب المعتدي فإن وفى الجعافر عند ذلك بتعهدهم فيها ونعمت وإن أخلوا بالعهد وخاسوا بمواثيقهم وخضروا ذمتهم فأنتم وأنا وأهل صيبيا يد واحدة عليهم حتى يفيثوا للحق .

٤ - يضمنون لي رؤساء ووجوه صيبيا على عشائهم ويتعهدون بمواثيق^(١) ووجوه في كل خلل ونقض للصلح ومن كل اعتداء أو مخالفة من صغير أو كبير منهم على الجعافرة وأنا بلوري أضمن عليهم أمامكم للجعافرة فإن حصل من أحد منهم أو من جماعة أو فرد تعدي على (الجعافرة) فالجعافرة يصلون إلي أنا ، وأنا المسؤول والمتعهد بررد المستلوب وتأديب وردع المعتدي بمثل ما الجعافرة ضمنت لكم وأعود في ذلك إلى ضمانه ووجوه عشائ (صيبيا) المتعهدين والضمان لي على أصحابهم فإن قاموا بالتزاماتهم فوراً والوفاء بعهودهم فيها ونعمت ومن تخلف أو خاس أكون أنا وأنتم والوفي من صيبيا عليه حتى يفيء للحق ويدعن .

سعى أولئك الرؤساء وتكلم مساعهم - والذي هو في الحقيقة مسعاه - بالنجاح وعقد الصلح بين القبيلتين ، وبذلك امتدت سيادته لا على (صيبيا) . كما كان قبل الصلح مع وجود المعارضين . بل على صيبيا والمخلاف والجعافرة وحلفائهم الطمحة فأصبح نفوذه يمتد من بيش شمالاً . إلى سبخة بندر (جازان) وافتتحت طريق مواصلته بحراً مع (مصوع) وذابت وتلاشت أصوات المعارض في خضم المصوع ، بهذا النجاح وباتساع النفوذ تبددت أصوات (المعارضة) القليلة في صيبيا واستطاع أن يوفق كل التوفيق في إبرام ذلك الصلح ويجعله مرناً مضمون النجاح يضم طرفاً ثالث أصبح كجيش احتياطي عند الحاجة ، وقد وفق ورضى به وأعطاه اليهود والمواثيق جميع رؤساء (صيبيا) ليكون هو الضامن الرئيسي عليهم ، ماعدا (أحمد)

(١) المواثيق : بالمصطلح المحلى هو وضع الرجل شيئاً من سلاحه أو مقتنياته الشخصية كرمه على وقائه .

شريف) وعدد لاخطر منه فأصبح بذلك المعارض الأول خارج الدائرة ، وظن (أحمد شريف) أن ذلك الصلح هزؤ وبخيرية . ما دام لم يُسْتَشَرْ ولم يشترك فيه . إلا أن العمل الجماعي دائماً يتغلب على كل نزعة فردية (والبقاء للأصلح) على أن (أحمد شريف) لم يكن مطاع الكلمة في قبائل صيبيا ، بل إنه غير محبوب من الأكثرية وهو يعتمد في معارضته على شجاعته وعلى أفراد معلودين ، لهم الجرأة الكافية . قبل وقتنا هذا . يستعين بهم على مناوأة من يقاوم رغبته من أفراد أو عشيرة محدودة العدد ، أو ما كان له من صلات بالأتراك قبل هذا (التاريخ) ، أيضاً — والآن قد تقلص ظل الأتراك . لا عن صيبيا ، بل من بيش إلى تحت جبل بنلر (جازان) ، أضف إلى ذلك أن (الإدريسي) قد استمال قبائل (الحسيني) حتى أصبحوا أطوع له من بنائه ، رغبة منه أن يجعل من قرية (الحسينية) خط الدفاع الثاني فيما لو خرب الأمر وغلب على (صيبيا) .

وهنا نرى خمسة من شباب ^(١) (صيبيا) يعتلون في ساحة المدينة على نسوة وأحداث من (الجعافرة) مسوقين للسوق ، ويسلبون حلى النسوة ويسومونهم الخسف ، وذلك اليوم يوم سوق مدينة (صيبيا) . وكفيل قبل هذا العهد أقل من هذا الاعتداء أن يعيد الحرب جذعة .

وهذا ما كان مرتقباً ليطوح بذلك الصلح ويحتمه ومن أبرمه في حساب (المعارضين) وفاتهم أن الجو قد تغير والحال قد تبدل وأن الثقة في تلك الشخصية وقوة مركزها قد أصبح ذا سلطان فرأى أولئك الأحداث المرافقين للنسوة ألا لزوم للتسرع فأعطوا المعتدين ما معهم من سلاح ومضوا ترافقهم النسوة إلى (الإدريسي) وقد لقي الشبان المعتدين من ينكر عليهم تعديهم في نفس الموقف ويحذرهم من مغبة ما ارتكبوه ، فانسحبوا بما معهم إلى المركز الشامي ، ينتظرون ما يكون .

(١) وهم أحمد زمري ، أحمد بن علي شيعاني ، إبراهيم شوشو ، عوض الشهري ، حسين كباس حلي .

الدور الثالث :

أشرنا في الدور الثاني إلى إبرام الصلح بين الجعافرة وصنينا والنتيجة المترتبة لإبرامه كفتح مرسى (القوز) أمام سيادته وضمان سلامة مواصلاته وتأمين طريق إمداده وقد كان من وراء الكسب المادي كسبا أدبيا وكسب سياسيا فقد ضم الخلاف الشامي كجيش احتياطي وأثر على خاصيتهم وعامتهم ، كما ضم الجعافرة إلى دائرة سيادته . أما الكسب الأدبي قد رأى أهل صنينا في نفوذ كلمته واتساع سيادته ما طأطأ له كل رأس ما عدا (أحمد شريف) ، أو أفراد على عدد الأصابع ، وغدا القوم على يقين أن له أنصارا وكلمة مسموعة عند مثلهم وأكثر منهم عددا وعدة ، وفوق ذلك فقد سارع واستمال قبائل (الحسيني) فأصبحوا بين عشية وضحاها أطوع له من بنانه وقد اتخذ البعض من تلك القبيلة كحرس بين يديه ، ووزع ماله من السلاح إلى الحسينية ، كما أنه وسع دائرة نفوذه . شرقاً — لجهة جبال (هروب) واشترى أرضاً زراعية ، ليكون له خط دفاع ثالث إذا اقتضى الحال .

التجاء الجعافرة إلى الإدريسي :

وصلت النسوة صارخات ، برفق الأحداث المسلوبي السلاح ، وعددهم جميعاً سبعة ، فاستقبلهم فشكوا إليه ، وقالوا : نحن وجميع الجعافرة نسوق حسب الصلح المبرم على ضمانك والآن وقع التعدي علينا في ساحة صنينا فترد الأمر إليك فيما تأخذ لنا الحق أو نرجع إلى أصحابنا وهم يطالبون ضمناهم .

أدرك الإدريسي ما يراد من وراء ذلك الخرق للاتفاق ، وهو البعيد النظر ، وشعر أنه من القوة بحيث يستطيع أن يجابه الواقع بما ينبغي من الحزم ويتخذ منه وسيلة إن أمكن لما هو أكبر من رد ما أخذ على المعتدى عليهم ، فحالا أخذ للموقف أهبة ، واستبقى المستجبرين به لديه . وقام بما يأتي :

استدعى رؤساء صنينا ، الضمنا له وهم :

١ — عبده بن أحمد مسعود ٢ — ناصر مريع

- ٣ - علي شامي شافيع
٤ - حسن قاسخ
٥ - رشيد بن ناصر سهل
٦ - محمد يحيى باصهي
٧ - عيسى سرخان
٨ - يحيى زكري
٩ - علي إبراهيم مفرح
١٠ - يوسف بن علي بن حسن عقيلي
١١ - حسن عابدين
١٢ - جبريل إسحاق
١٣ - أحمد بن ناصر خواجي
١٤ - محمد طاهر رضوان
١٥ - حمود بن محمد سرداب
١٦ - رشيد الصم
وغيرهم من ذوى العصية والمكانة في المجتمع .

وسمع الناس فاكثت الجموع ، وهناك احتد وقابلهم بالتأييب والملام وقال لهم : أنتم ضمناء لي على أهل صيبا على الوفاء وعدم التعدي في الصلح الذي أبرمناه بينكم وبين الجعافرة ، والآن وقع الخرق والتعدي منكم فلما تخبروني أنكم مالكم (وجوه) ولا (وفاء) والآن أرحل إلى (الحسيني) وأعلن للناس أنكم مالكم عهد ولا ذمة أو تقولوا : انكم رجال عند كلمتكم و (وجوهكم) وتحضرون المعتدين واحتد وانفعل ، ووعظ وحذر ، فاعتذر المحصور بأن ما وقع من سفهاء لا يعتد بهم ، وبلدون اطلاع أو رضا أحد منا ، والمعتلون شعروا بما يدبر ، فجمعوا في المركز الشامي ، متأهبين للدفاع فوصلهم رسل الإدريسي فنبعوا ، وعندها اشتد حماسه وقال له الجميع : نحن جميعاً تحت أمرك فاستل حسامه ، وخرج من داره يتقدم القوم وسارت (صيبا) كلها تقريباً وراءه بأسلحتهم حتى أشرف على المركز الشامي من المرتفع الذي وراء السوق بقرب الجامع وهناك أسرع بعض القوم إلى (المعتدين) وقال : انظروا هذه (صيبا) بأسرها أقبلت نحوكم ، فنظروا فإذا هم يرون ما لم يكن يدور بخلدكم من الجمع الحاشد الشاكي السلاح فأسقط في أيديهم ، وخارت معنيتهم فاختراروا الاستسلام ، وأقبلوا يسعون جواً على الركب ، وأقسم : أنه لا بد من قطع رؤوسهم ، نكالا بما اقترفوه ، وعبرة لغيرهم ، وأخذ الناس في استرضائه واستعطافه وتقدم محمد بن عيسى

قاضي النعمي منه ، قائلا : إنك أقسمت أن تقطع رءوسهم ، وهامم أقبلوا إليك طائعين قبل أن تغدر عليهم ، فجز نواصيهم ، برأ يمينك وأوهبهم عفوك ، فرضى ، وجزت شعورهم ، في الموقف أمام ذلك الجمع واقتبلوا بين يديه ، وعندها قرعت الطبول وأطلق الرصاص استبشاراً وعاد إلى داره ظافراً تحف به الجماهير بين مظاهر الإكبار والإجلال .

وفي عودته عاهده الجميع على السمع والطاعة وأعلن دعوته وذلك يوافق ٣٠ القعدة عام ١٣٢٦هـ ونفّر أهل الجهات القريبة والبعيدة ممن حضروا يوم السوق الأسبوعي بـ (صبيا) يروون الحادث في تهويل ومبالغة .

الثورة :

رفعت تلك القضية شأنه ، وعرف هو ما بلغه من القوة والنفوذ ، فأخذ البيعة لنفسه من أهل (صبيا) وبعث رسله إلى قبائل المخلاف وقد سبقهم (الخبر) فلم تشرق شمس اليوم الثاني الموافق ١ ذي الحجة ١٣٢٦ إلا وقد أقبلت قبائل (الحسيني) في حشودهم تتقدمهم الطبول وطلقات الأعيرة النارية وفي مقدمتهم رؤسائهم .

- | | |
|---------------------|---------------------------|
| ١ — عبده حسن النروي | ٤ — إبراهيم بن عبد الرحمن |
| ٢ — حمود النروي | ٥ — محمد بن محسن السبعي |
| ٣ — حسين أبو طالب | ٦ — عبد الله هياشي |

يرافقهم وجهاء وعرفاء قبائلهم ، فأمر باستقبالهم واستضافتهم وأخذ منهم (البيعة) وأجزل لهم الصلات ثم أبقى الرؤساء لديه وأذن للباقيين .

وبعدهم وصلت قبائل (المخلاف الشامي) يتقدمهم رؤساؤهم :

- | | |
|---------------------------------------|---------------------|
| ١ — أحمد بن مفرح شيخ شمل المخلاف | |
| ٢ — محمد حيدر القبي | ٣ — حسن بن مصادم |
| ٤ — محمد بن عرار شيخ شمل قبيلة السادة | |
| ٥ — يحيى بن عرار | ٦ — أحمد بن غميض |
| ٧ — عبد الرحمن بن ظافر | ٨ — إبراهيم بن عطيف |

مع وجهائهم وعرائف قبائلهم ، فأحسن استقبالهم وأخذ منهم البيعة وأكرم وفادتهم وأبقى لديه الرؤساء وأذن للباقيين .

وتلاهم قبائل (الجعافرة) يتقدمهم شيخ شملهم علي بن محمد الأخرش ، ووجوه قبيلته فعمل معهم نفس ما تقدم وأبقى الرؤساء لديه .

واقفاهم قبائل وادي (ضمد) يتقدمهم شيخ شملهم (أبو حليلة) وعلي بن أحمد الشبيلي الحازمي وابن عمه حمود بن حسن وعبد الرحمن الحفاف وعلي بن حسن أبو زنبيل وغيرهم فعمل معهم كما عمل مع من تقدمهم وأبقى لديه الرؤساء ، وقد تخلف من عرايف (ضمد) شخص يدعى (أحمد الهوداني) وتظاهر وهزأ من وفد فاستدعاه الإدريسي فامتنع .

الناهب لضمد :

رأى الإدريسي أن في تخلف أحمد الهوداني ، نشوزاً ومخالفة قد تجرئ غيره وتجعل للمعارضة صوتاً مرفوعاً فأمر بالتهيؤ للسير إلى (ضمد) فطلب من رؤساء القبائل الذين أبقاهم لديه كحرس شرف باستدعاء قبائلهم مع أهل (صبيا) ، وسار بالجميع إلى (ضمد) وهو أول جيش يقوده لإخضاع مخالف ومع الجيش (مدفع) صغير أمدته به (إيطاليا) وما أن أشرف الجيش على قرية (ضمد) حتى أقبل أهل القرية بالهوداني يقاد صاغراً (بجبل) فدخل القرية ثم عاد إلى (صبيا) ظافراً .

تشكيل الحكومة :

أصبح قوة لها من مظاهر السلطان ومؤهلات النفوذ الحربي ما يحسب حسابه كل من تسول له نفسه المخالفة أو النكوص عن المبادرة عن تقديم فروض الطاعة من قبائل المخلاف ، وكما أصبح لديه من الرؤساء والوجهاء الذين أبقاهم كضمان على طاعة أصحابهم وأداة قوة يحركهم بها متى أراد ، وعدا ذلك فيتألف من مجموعهم كتبية من حرس الشرف تحف بموكبه حيث سار ويكلفها بمهام الأمور فأصبح وجودهم لديه مظهراً من مظاهر القوة والسلطان فإذا كان أحمد شريف المعارض والمجاهر الوحيد برأيه هو من

رؤساء المركز الأسفل وذو مكانة في (صبيا) فهام رؤساء (صبيا) ووجهائها بل وشيوخ شمل ورؤساء قبائل الخلاف وذوو العصبية والمنعة تأتمر بأمره سامعة مطيعة تسير بين يديه وتمشي في ركابه فلم يبق لمعارضة أحمد شريف من صوت مسموع ، أو مكانة ذات خطر يؤثر على مجرى سياسته لا في مدينة (صبيا) فقط ، حيث اعتداده بنفسه بل في الخلاف السلطاني بأسره ، التي مدينة (صبيا) واحدة من مدنه وأهلها قبيلة من قبائله العديدة .

بعد عودته من تلك (الغزوة) بل في أواخر شهر ذي الحجة عام ١٣٢٦ شكل حكومته وجعل له وزراء من السادة الآتية أسماؤهم .

١ - حمود بن محمد سرداب الحازمي ٢ - محمد يحيى باصهي

٣ - يحيى زكري حكمي ٤ - محمد طاهر رضوان

كما أقام محكمة شرعية عليا مؤلفة من القضاة الشرعيين السادة :

١ - محمد حيدر التقي ٢ - إبراهيم بن عطيف النعمي

٣ - علي بن حسن أبو زنبيل ٤ - عبد الرحمن الحفاف

٥ - محمد عبد الله مبجر السمان .

لتنظر في القضايا وتبت في الخصومات وتقرر الأحكام بالوجه الشرعي . وعلى أثر ذلك انثالت عليه وفود القبائل من (رجال أنع) و (حلي بن يعقوب) وشهران وبني شهر وغامد ، وزهران و (قنا والبحر) و (القحمة) و (الشقيق) وتهامة النين وغيرها معاهدة ومقدمة طاعتها .

أحمد شريف الخواجي :

مرّ بالقارئ الكريم (في القسم الثاني من الجزء الأول) تاريخ امراء (صبيا) من الخواجين وأن مؤسس مدينة (صبيا) الحالية هو الأمير دريب ابن مهارش الخواجي ، كما وضحنا كيفية تلاشي إماراتهم على يد الأمراء (آل خيرات) وأشرنا إلى آخر شخصية منهم برز اسمها في حوادث (صبيا) عام ١١٩٦ وهي شخصية علي بن مطاعن الخواجي .

ومن بعد ذلك التاريخ لم نعر على شخصية منهم ذات شأن في حوادث

صبيًا ، وأن بقوا كعشيرة من عشائرها المملوذة المعروفة - حتى هذا العصر الذي نؤرخ له - الذي برز فيه (أحمد شريف) بروزاً أهله له شجاعته وشخصيته القوية وأبرزته ظروفه مع الإدريسي .

مولده ونشأته :

ليس لدينا المعلومات الدقيقة عن سنة مولده ^(١) وكيفية نشأته على وجه الدقة والتحقيق وكل ما توصلنا إليه ، ممن بقي على قيد الحياة من أدرك حياته ، أنه مات والده وهو صبي فتزوجت أمه (شرف) بأحد أقاربها وأنجبت منه أبناء آخرين ولا يزال بعض إخوانه من أمه على قيد الحياة .

نشأ (أحمد شريف) يتيمًا - كما مربك - وإنما عرف كيف يشق طريقه

معلوماته :

كان ^(٢) قد تعلم الكتابة والقراءة ، ومن المعروف ممن عرفه أنه كان يلذ له مطالعة كتب الأدب والشعر وكان لديه دواوين بعض الشعراء كـ (البحري) و (أبي تمام) و (المتنبي) واقتناؤها يدلنا أن للرجل ذوقاً أدبياً . وقد برزت شخصيته واتصل برجال الأتراك ، ووقع عليه الاختيار ليمثل (صيبيا) في (مجلس المبعوثان العثماني) فكان أحد ثلاثة أشخاص وقع عليهم الاختيار ليمثلوا (الخلاف السلجوقي في الأستانة) وهم .

١ - أحمد شريف الخواجي ، عن صيبيا .

٢ - منصور الصعلدي عن أبي عريش .

٣ - علي سويد الأنصاري عن جازان .

وقد مكثوا هناك إلى انفضاض المجلس وإلغائه فعاد مع رفقائه ، عاد وقد انطبعت في نفسيته عظمة تركيا وخلافتها .

(١) أفادنا غير واحد بأنه في نفس سن ياصبي والإدريسي .

(٢) استقيناه هذه المعلومات من محسن مشاري في الدرجة الأولى ومن محمد بن أحمد شريف وعدد من الأحياء .

حياته العملية بعد العودة :

أمضه النجاح التجاري الذي أحرزه منافسه — في ملعب الطفولة ومزاحمه في مدارج الشباب ودنيا الرجولة — محمد يحيى باصهي ، ونظر إليه وقد أصبح تاجراً قد توسعت تجارته وتأثلت حالته واكتسب أضعاف الضياع على ما ورثه من والده وقد جعل له أنصاراً وأعواناً وأخذاناً ومواليً وخدماً فهد له سبيل الشهرة ومكن له المال كأحسن ما تمهد قوة العصبية والقدرة ، فرغبه كل ذلك بأن يختصر الطريق لبلوغ أمنيته وتحقيق غايته عن طريق المال الذي هو عصب الحياة ، فرحل إلى (مصوع) ثم إلى (عدن) وعقد صفقات تجارية مع أشهر بيوتها التجارية وقد مهد له الحصول على تلك الصفقات ، اسمه كمضو سابق في (مجلس المبعوثان) ، ثم عاد إلى صبيا مشغلاً بالتجارة وعزم على بناء قصر في الأكمة التي غرب داره شمال (حارة الموابلة) ، غير أنه لم يحالفه التوفيق في الأعمال التجارية فتوقف أصحاب الأموال عن موالة إمداده بالبضائع ، وقد يكون لمنافسه يد في ذلك ، فتوجه إلى (الحديدة) وقام بنفس ما أجراه مع تجار عدن ومصوع ، وعاد ثانية إلى (صبيا) فلم تنتعش حالته ، فتوقف عن مواصلتهم ومعاملتهم على ما عنده ، وهذا هو حقيقة ما ورد في حاشية كتاب السيد الإدريسي الذي أشار إليه بقوله : إنه يأخذ أموال رعايا الأجانب . . الخ .

إن أحمد شريف والإدريسي وباصهي قد ولدوا ونشأوا في (حي) واحد من أحياء مدينة (صبيا) ونحال أن بذرة التنافس بينهم كانت في مدارج الطفولة ومراتع الصبا ، وكان الأول — برغم كل شيء من المركز الروحي للإدريسي والتجليل والتجلة لأسرته ، والمركز المالي لباصهي ، ونظرة الاعتبار لأسرته يراهما — بالنسبة إليه — حضريين غربيين — ليسا بقبيليين مثله ، نظرة بدوية ضيقة المجال ، وهما ينظران إليه أنه من أسرة متوسطة الحال ، تعيش على حساب الماضي البعيد ، واستجرار ذكرياته ، والمنافسة تذكي شعور كل منهم للتفوق بقدر سمو همته ، وبذور الوراثة الدفينة في أعماق عقله الباطن ، ولندع التفسير لمحوادث المستقبل ولترك الحكم للتاريخ .

محمد يحيى باصهي :

هو من أسرة باصهي المعروفة المكانة التجارية بـ (صبيا) وصل جده عوض بن محمد باصهي ، من بلدة شَبَّام بحضرموت ، فازدهرت تجارته فاتخذها دار مقام ، وولد له بها يحيى بن عوض ، فسار على نهج والده .

وولد محمد يحيى في صبيا في سنة ١٢٩٤ فقرأ مبادئ الفقه على قريبه العالم سالم بن عبد الرحمن باصهي ، بعد أن تعلم القراءة والكتابة وطالع بعض الكتب الأدبية والدينية والتاريخية ثم اشتغل بعمله التجاري ، وأقبل عليه بروج الشباب المتطلع .

نشأته :

ترعرع ويفع في ظروف وأحوال (ذلك المجتمع) في صبيا - من القوضى وعدم الأمن - فرأى أن حالته كتاجر مسالم تدفعه إلى المصانعة والماملة لكل قوي من ذوي العصبية في صبيا ، أضف إلى ذلك أن والده عاش كتاجر بعيداً عن المشاركة الفعلية في حوادث الوطن الذي ولد به .

لم ترق لذلك الشباب المتطلع الطموح أن يقف موفقاً سليماً من أحوال مجتمعه وشؤون بلده فأضاف إلى صنائع والده ممن كان يستعين بهم في عمله التجاري عناصر جديدة يمكنه الركون إليهم والاعتداد بهم وبدلاً من أن يستخدمهم فقط في عمل التجارة اتخذ منهم حلماً سلاح واقتنى العبيد الشجعان ليسد بهم نقص العصبية ونهج في عمله نهج التاجر الشجاع الذي يسعى إلى أغراضه ويباشر أعماله محمي العرض مأمون الجانب ، وكان جده ووالده قد اشتريا الأراضي الزراعية ، فمع نشاطه وازدهار تجارته أضاف إليها مثلها إلى ذلك التاريخ - قبل قيام الإدريسي .

والمشاركة الفعلية في ذلك المجتمع - المضطرب - مثله ومن في مكانته تقضي بالاشتراك الفعلي في الحروب القبلية ، وقد نشبت الحرب بين أهل (صبيا) و (الجعافرة) .



الشيخ محمد يحيى باصمى

حياته :

وليبرهن لمواطنيه أنه لا يقل عن الرؤساء ذوي العصبية ، اشترك فعلا معهم في الغارات والاشتباكات مع الجعافرة ، فإذا خرج رؤساء صبيا في إخوانهم وبني عمومهم وذويهم ، خرج هو على فرسه بين صنائعه ومواليه واشترك في المعركة كغيره .

كان بينه وبين (أحمد شريف) من المنافسة شيء معروف بين معاصريهما ، وقد أشرنا إلى ذلك في حياة الأول ، وبالطبع أن المنافس يحلوه أن ينز منافسه بما يترآى له فيه من نقط الضعف أو النقص ، ومجتمعهما - ما مربك من المجتمع القبلي - فكان الأول ينفس عليه نجاحه المالي ، أما الآن فإن اشتراكه في أمور وأحوال المجتمع مالياً وحرياً قد أوجع نار المنافسة فراح ينز به بأنه (صاحب بيع وشراء) وأنه حضري شأن القبيلي الذي ينز الحضري بأنه ليس رجل حرب وطعان - وتارة يقول له : ما أنت من أهل (صبيا) لأنه يرى أن أسرة باصهي وافدة ليس لها مكانة قديمة ، وهي نظرة ضيقة يملها الطبع العشائري لاتعيش في الأفق العربي الفسيح بله الأفق الإنساني الأوسع .

كانا يحضران للصلاة في مسجد (آل باصهي) القريب من داريهما فيحصل بينهما التنازع والتلاحي ويظهر أن اختيار أحمد شريف لعضوية (مجلس المبعوثان) لم ترق لمنافسه ، وبقلد ما تقرب الأول من الأتراك وحصل على ثقتهم نرى الثاني بعيداً عن أي حظوة لديهم .

وكان (باصهي) على صلة حسنة بالأدارسة ، وفي عصر كل يوم جمعة يحضر مع زميل صباه محمد حيدر القبلي ، الذي يزوره في ذلك اليوم من قريته (الملحاح) ويحضر معهم غيرهم من شباب صبيا مثل يحيى زكري وحمود سرداب وغيره لمزاورة علي بن محمد الإدريسي ، ويتناولون طعام العشاء معه

(١) استقينا جل هذه المعلومات من علي بن عطية قنش وأخيه محمد بن عطية ومن محسن مشاري رحمهم الله تعالى .

تشرفاً بمركزه الديني والروحي في ذلك العصر - وقد يتحفظهم باصهي ،
ببعض الهدايا نظراً لما تجلبه تجارته من الطرف ، ولا نعتقد أن ذلك منه على
سبيل - التبرك - فقد كان رجلاً عملياً في نزعة الدينية ، وإنما بحكم مآقتضيه
الظروف والسلوك التقليدي في عرف مجتمعهم .

أما أحمد شريف فكان بعيداً عن مجاملتهم ، بعكس منافسه .

فضية أحمد شريف :

لم يكن (أحمد شريف) يظن أن مساعي الإدريسي تبلغ ذلك المجال
الذي بلغته من النجاح .

بيد أن ظهور (الإدريسي) ونجاح سياسته وتغلبه على كل معارضة خفية
أو علنية وتوقفه في الصلح أولاً بين الجعافرة وصبيا ، وثانية في تغلبه على
تلك المحاولة التي أريد بها نقض ذلك الصلح أو بالأحرى القضاء على خطة
رئيسية من خططه واتخاذها مما دبر لهدم مشروعه مرقاة بل منفذاً للفوز والنصر
ثم لإعلان ثورته وإشهار أمره وتثبيت سلطانه .

ويقال إن بعض وجهاء صبيا اتصل بأحمد شريف مستشيرين ، رغبة منهم
في الوقوف على رأيه حول طلب الإدريسي لإحضار الخمسة الأشخاص
المعتدين على (الجعافرة) وأنه يهدد بالرحيل إلى الحسينية ويرجون منه
معاونتهم على القبض على أولئك الأشخاص ، فقال : هذا رجل غريب
ما هو من أهل صبيا اتركوه يرحل ما يضركم منه .

لم يكن أحمد شريف صاحب فكرة اجتماعية أو مبدأ سياسي أو دعوة
دينية أو حتى سيادة قبلية قوية ، على الأقل من الخطورة والقوة بحيث تفرض
وجودها أو تملي إرادتها على مدينة (صبيا) بأسرها فضلاً عن الخلاف ،
وتصرفاته الجريئة مستمدة من شجاعته قبل كل شيء واستعانت بحاشية تسيرهم
إرادته القوية في الإيعاز الخفي بما يريد ثم مكانته عند الأتراك ثم عشيرته
التي مثل غيرها من عشائر (صبيا) المعروفة المكانة ، والتي وإن لم تكن

تشاركه ما يراه أو تهالك على الانقياد أو الانتثار بأمره ، ولم تتغير حالة عشائر صيبيا حتى الآن تغير أجوهرياً عما كانوا عليه في أثناء قيام الإدريسي .

فعندما ظهر الإدريسي ذلك الظهور وانتصر أدبيا وسياسيا وحربيا أسقط في يد أحمد شريف وظهرت له الحقيقة المرة وأنه أضعف من أن يقاوم تلك الشخصية الخارقة ، وليس له من الحول والقوة ما يمكنه من أن يعلن الخلاف المسلح أو يبدي الاعتراض العلني عملياً ، فلزم بيته حانقاً متفوهاً بعبارات هي إلى الشتم أقرب كقوله : يا أهل (صيبيا) أنتم خيريلان ، مثل هذا العبد يقاوم الدولة العثمانية كأني بالدولة قد قادته مكثوفاً وحرقوا بيوتكم وشردوا عيالكم .

وهبات فالمبدأ إذا كتب له الانتشار لاتستطيع قوة مقاومة تياره ، والانكار في هذه المرحلة المتأخرة ليس على الإدريسي بل على الجمهور ، الذي قد اعتنق مبدأه وسلم له زمام قيادته .

كان الإدريسي قد أخذ لنفسه البيعة كما أسلفنا ، وأصبح ذا سلطان شرعي وقد خلب الباب الجماهير ، وأصبح لهم من الاعتقاد في شخصيته ما يفوق كل وصف .

ليس في صيبيا إلا الإدريسي والجماهير الموالية له اعتماديا وعاطفيا يرون فيه (المهدي) بتعبير العامة في ذلك العهد ، وإلا أحمد شريف الذي أصبح تقريباً منفرداً ليس له قوة في التظاهر ضد الرأي العام .

وأحمد شريف الآن لا يعيش إلا على حساب جرأته السالفة وقد أصبح مشلول التصرف ما عدا الكلام ، أمام رجل عمل المستحيل بالنسبة لعصره وسياسة عهده ومحيطه .

وتطلع الناس لصمت الإدريسي ، أمام شخص لا يزال على معارضته ، ومجاهرته بالخلاف ، ولم يدخل فيما دخل فيه عامة سكان الخلاف ، من تقديم الطاعة وإعطاء العهد وهو بصمته يستدر عواطف الجماهير ، وهنا بدأ الإدريسي يصرح أن أحمد شريف ممن يسمعون في الأرض فساداً ، وأنه

جاسوس للأتراك المشركين ومثل ذلك ، فتحاماه الكثير ، وأصبحت حركاته وسكنااته تلاحظ بكل دقة ، ونفسر شترنفسير .

إن الإدريسي الآن أصبح صاحب السلطان ، وقد بايعه الجمهور وشكل حكومته وعين وزراءه ، ونصب (محكمة عليا شرعية) وبعث نوابه على البلاد ، وفوق كل ذلك فقد اعترفت به ضمناً الحكومة التركية - كما سيمر بك - بموجب معاهدة (الحناثر) .

القبض على أحمد شريف ومحامته الصورية :

ظلت تطرق مسامع الإدريسي أنباء أحمد شريف وتفوهاته ، وهو الشخص الوحيد - من الشخصيات البارزة الذي لم يبايعه - وهناك منافسه الأخير محمد يحيى باصهي - الذي قد أصبح وزيراً للإدريسي وصديق باصهي محمد حيدر القبي ، الذي أصبح رئيس المحكمة العليا الإدريسية .

كان أحمد شريف يتاجر في الرقيق ، فدخلت في حوزته (أمة ^(١)) يقال إنها من (يام) الساكنين في جهة العارضة وقبل هذا التاريخ لا يستطيع شخص أن يتدخل في تصرفاته - والآن تغيرت ظروفه بطبيعة الحال ، فوصل أخو (الأمة) - أو بالأحرى استدعي - وقدم شكوى إلى (الإدريسي) مفادها أن له أخت حرة استولى عليها أحمد شريف وباعها من أحد التجار الموجودين في صيبيا .

في الحال أمر الإدريسي ، على التاجر بإيذاء الجارية عند (باصهي) حتى يصلر أمر الفصل في القضية ، استدعت المحكمة التاجر وأقام صاحب الدعوى ادعاءه على التاجر فدافع التاجر بأنه اشترى من أحمد شريف وطلب تكليف أحمد شريف برد القيمة إليه ، بالطبع أن أحمد شريف ليس تحت طائل المحكمة ، وكخطوة أولى أوعز إلى التاجر أو قام التاجر بطلب القيمة منه أو مقابلته لدى الشرع فقال أعد إلي ما بيعته منك وأنا أدبر لك القيمة .

(١) إن زوج الأمة لا زال على قيد الحياة ويدعى أمان بارزيق نسبة إلى مولى أعتقه التاجر أحمد محمد بارزيق وقد استفدت منه كثيراً من التفاصيل الواردة بهذا الفصل .

فتشعب الموضوع فأخ يطلب بأخت حرة سرقته وبيعت ويريد إعادة أخته ومعاقبة من سرقها أو استرقها ، وتاجر بدوره يتنصل من كل تبعة ويحيل ذلك إلى من باعها منه وهو أحمد شريف ، وأحمد شريف لا يرى بدوره إلا أن جارية دخلت في حوزته وباعها ، فعلى المشتري إذا لم يرغب الجارية بأن يعيدها إليه ، وهو يدبر له أمر القيمة ، ولا يعترف لا بالمحكمة وحكمها ولا بالإدرسي نفسه .

فعاد التاجر إلى المحكمة فاستدعت أحمد شريف ، فامتنع^(١) ، وأخذت الدعاية تروج للخطوة الثانية لدى الرأي العام بأن أحمد شريف لا يريد الإذعان للشرع ، وأن هذا تعطيل لحكم الشريعة إذا لم يكلف وينفذ عليه مثل غيره ، وعصيان منه ومخالفة وأشيع بأنه سيقبض عليه قسراً وكثر تردد الرسل فامتنع في داره ، واستعد للمقاومة وهو من الشجاعة بحيث لا يستطيع من يقصره أو يدخل داره إلا جثة هامدة .

فكان امتناعه في داره نقطة تحول ضده فجعلت الأرصاد حول الدار تراقب حركاته وسكناته ومن يتصل به ، فأصبح شبه محصور ، وأحكم التطويق على داره حتى تعذر عليه الخروج .

ولازال الضغط يشتد والإدرسي يهيج الرأي العام ، ويلهب الشعور ، والناس بطبيعتها تستعجل النتيجة مهما كانت وإزاء إصراره ، رأى الإدرسي - وقد أدرك ما أحدثه على نفسه ضغط الحصار - رأى أن يتصيد بأقرب ذويه فإن انقاد ، فلا يصبح الملام على أحد غيرهم ولا يأنفون من الغير أنه هجم أو اقتاد ابن عمهم وإن امتنع كانوا شهوداً على عصيانه وحز في أنفسهم مخالفتهم فأصبحوا عون الإدرسي عليه فبعث إليه .

١ - حمود سرداب ، والخواجية أخواله ويعتبر كواحد من وجوههم في ذلك التاريخ .

(١) رواية محسن مشارى وعبد الله بشيرى وأحمد طامى ومحمد أحمد شريف وأمان بارزى

٢ - أحمد بن ناصر الخواجي ، وهو من رؤساء الخواجية في المركز الأعلى .

٣ - محسن بن علي خواجي من أبناء عمومته الأدين .

٤ - محمد إبراهيم ، مع غيرهم ممن تربطهم به وشائج القرى .

تقدموا إلى داره ، ونادوه فعرفهم ، فقالوا : نريد مقابلتك ، ومن المعلوم أن الرجل مهما كانت قوة إرادته ، فإنه يوهن في عضده ويستط في يده ، متى عرف أن أقرب الناس إليه ، يقفون منه الموقف السلبى ، أو يؤيدون أدياً جانب خصمه .

أذن للقوم فدخلوا عليه ، وبعد التحية والمجاملة ، قال حمود ما معناه : يا أحمد ، نحن أقرب الناس إليك ، والبلاد كلها عليك وأنت محصور في دارك ، فرجو منك - وأنت من نعرفه سداد رأي - أن تساعدنا فيما يصلح الموقف ، ويعيننا لمصلحتك تقوم معنا إلى (الإمام) وأنت في وجوهنا من كل أمر ومتى وصلت إليه وقابلته انتهى كل شيء وعدت بعد ذلك إلى بيتك ، مرفوع المكانة مرموق المقام ، ولا زالوا به حتى وافقهم .

فكان ذلك أول وهن تسرب إلى نفسيته القوية .

سار معهم ويده سيفه يرافقه أخ له من أمه ، حتى وصلوا به إلى باب الإدريسي ، وهنا تختلف الرواية .

فالرواية الأولى تقول : إنهم أوقفوه على الباب ودخلوا يطلبون له الإذن فلم يسمح له الإدريسي بمقابلته وقال : يسجن أولاً ومتى دخل السجن صفحتنا عن مخالفته ونظرنا في أمره .

والرواية الثانية : تذكر أنهم دخلوا به على الإدريسي فوقف أمامه بلون أن يسلم فابتلره الإدريسي قائلاً : سبحان الله عليك يا أحمد ، الناس جميعهم عاهدوا ودخلوا في دعوتنا إلا أنت فمن تكون ، ومع ذلك لا تسلمنا من شتمك وثلبك وتقول : أنا عبد حبشي أشعوذ على الناس ، وتجاهر

بالمخالفة ولا تذعن للشرع الشريف ، ليس لدينا بعد ذلك إلا ما يقرره الشرع في أمرك ، خلوه للسجن فلم يجبه بشيء ، وانصرفوا به من حضرته .

وتتفق الروايتان ، على خروجه من باب الإدريسي باسم السجن ، فالتفت فإذا وراءه ما ينوف عن خمسين مئة شخص قد أحلقوا به من كل جانب ، وقد ظن أنه متى فارق باب الإدريسي سار إلى بيته ولا يستطيع أحد منعه ، وهبأت .

وعندما توسط الساحة التي بين بيت الإدريسي وبيت باصبي ، وتسمى (المجلبة) والتي تتفرع منها عدة طرق وكانت وجهة الجماهير المحققين به طريق بيت باصبي الذي السجن خلفه (في بيت الحباس عيسى أبي فايع) فأراد هو مخالفتهم والانصراف إلى الطريق المؤدية إلى داره ، فحيل بينه وبين ذلك ، فانتضى سيفه فتفرق المحققون به يمنة ويسرة ، وكان فيهم ذوو النجدة والشجاعة ، فشعروا أنه من العار عليهم أن يتحدّى رجولتهم ، وفيهم حمود سرداب ورفقاؤه وجلّ وجوه صبيا وغيرهم وانتضى أخوه جنبيته فأطار ما بقي من صبرهم على هذا التحدي ، وخرج الموقف عن حدود الاعتبار إلا من رجلين يتحديان الجمهور أو الجماعة فانتضيت السيوف واتخذ حمود وأهل البسالة من أرديتهم تروساً ودرقاً ، وحملوا عليهما وتسلل رجل من الخلف واحتضن أحمد شريف بقوة فأسرع إليه الآخرون واختطفوا السيف من يده وأوثقوه بردائه ، وانزعوا السلاح من أخيه ، وقادوه إلى السجن وقيدت رجلاه بالحديد .

أشرف الإدريسي من بيته مبتسماً وقد قيد الخصم العنيد صاغراً بعد فشله الفشل التام في جولته الأخيرة فأمر حالا باستدعاء قضاة المحكمة ووزرائه وذوي الرأي من رجاله وأمر بإحضار سيف أحمد شريف ، وهنا وجه سؤاله إلى قضاة محكمته قائلاً : ماذا تقولون في صولة أحمد شريف وإشهار سلاحه فأجاب محمد حيدر القبي : (يُكْسَرُ السَّيْفُ وَتُقَطَّعُ يَدَاهُ شَرْعاً)

التفصيل :

قضى بقية يومه في السجن وفي الليل استحيط بزيادة الحراسة عليه من أهل الحسيني وغيرهم وفي الصباح حضر القضاة والوزراء ووجهاء صبياء ورؤساء (قبائل المخلاف) في بيت (باصهتي) الملاصق للسجن وأحيطت الدار بحراسة شديدة وأغلى الزيت ، وأحضر القطاع ، ثم اقتيد أحمد شريف إلى بيت (باصهي) ، وعندما شاهد الجمع الشاكي السلاح والقضاة والوزراء والرؤساء التفت إلى وجوه صبياء وهم شاكو السلاح قائلاً لهم : نقائصكم عند الجعافرة ما هي عند أحمد شريف .

تم بلغ أن الشرع حكم عليه بقطع يديه ، فقال : أمهلوني أصلي ركعتين ، فصلي ثم أفرش له بساط وتناول القطاع يده اليمنى ، فأبانها من الرسغ ، وقرب منه الزيت المغلي ، فأدلى هو يمناه ، وقال للقطاع : دونك !! فتناول اليسرى فأبانها من الرسغ أيضاً ، فرفع معصمه الأيمن من الزيت وأدلى الأيسر .

وعندها سمح له بالخروج إلى بيته فحمله أحد مواليه ، وذلك في أوائل عام ١٣٢٧ وكان لقطع يديه وقع شديد من الرعب ، حسم كل معارضة أو خلاف .

إن الصبر على النوائب وتحمل الآلام والتجلد للشدائد يرفع الإنسان إلى أوج الشرف وعلياء السؤدد ، والإقبال على التضحية المحتمة بهلواء الصابر وورزانة المتجمل ، قينة بكل تبجيل وإجلال ، والاتخاذ من بطولة صاحبها مضرب المثل .

والناس شغفون بفطرتهم بالمثاليات في مواقف التضحية والصبر والشجاعة ومن استطاع اجتياز اختبارات الشدائد وتحمل آلام التضحية أصبح مثلاً من أمثلة البطولة ، فأصبح أحمد شريف بعد ذلك أنه ذكراً وأبعد صبيئاً . وهكذا يدخل التاريخ البعض بما يسديه إلى الإنسانية والبعض بما يحرزه من انتصار والبعض بما يبذله من تضحية والبعض بما يتحملة من آلام .

في الميدان الشرقي^(١)

إن الإدريسي شعر أن سهول تهامة سهلة الاكتساح متى اتجهت إليها قوة الأتراك وقد أشرنا قبل أنه تطلع بنظره إلى جبال هروب في الناحية الشمالية الشرقية من صيبا وأخذ في شراء بعض الأراضي الزراعية كما أسس حصناً هناك وإنما جبال المنطقة الشمالية للمخلاف ليست من المناعة ولا الحصوبة بحيث تصلح للاعتصام في حرب قد يطول مداها .

إذاً فليتجه بنظره إلى جبال الناحية الشرقية الجنوبية وهي من بني مالك إلى الظاهر فإنها من المناعة والحصوبة وكثرة السكان والسداجة الفطرية وتخلي الأتراك عنها وبعدها عن النفوذ الروحي للإمام يحيى آنذاك بحيث يمكنه — بعد فشل دعوة (القاسمي صاحب أم ليلي) الذي من بقى لديه له بعض الولاء أغرته دعوة الإدريسي إلى التخلي عنه نهائياً — أن يعمل على تغلغل نفوذه فيها أولاً ثم إلحاقها بما ينويه من إمارة فبعث دعائه وإغراءاته فانتالت عليه وفودها ترى وذلك في عام ١٣٢٧ وشجعه نجاح الخطوة الأولى في الاستجابة والوفادة إلى طلب دخولهم في الطاعة فبدلوا رغبين وقدم البعض رهائهم كما هي العادة في القسم الجبلي واستعدوا بأداء الزكاة فشكرهم وأرسل معهم من يستلمها مع التساهل في عدم الاستقصاء وأن يوزع نصفها على المؤلفة قلوبهم بالنسبة لسياسته وذوي النفوذ والحاجة فيهم .

وبعد معاهدة الحفائر مباشرة التي أرسل عماله بموجها إلى الجهات — كما أشرنا سابقاً — عرار بن ناصر إلى الجبال الشرقية — بني جماعة — كما أناط الأعمال في شذا والعر والنظير إلى السابقين في الاستجابة ندعوته من بيوت الرئاسة والشرف من أهلها فما انتهى عام ١٣٢٧ إلا وقد شمل نفوذه أغلب ما يطلق على اسم (ساق الغراب) وهو من الظاهر تقريباً إلى مشارف عسير متغلغلاً إلى هجرة (فله) .

(١) استفدت الكثير من معلومات هذا الفصل من الصديق الأستاذ الأديب اللامع محسن بن أحمد بن حسن أبو طالب من أسرة الأئمة القاسمية الكريمة باليمن وهو أديب ضليح متحرر الفكر واسع الثقافة .

وفي عام ١٣٢٨ بالأنحص عندما شعر أن الأتراك جادة في التجهيز لاستئصال شأفته ، ثم تمكن قوتهم بمعاودة أمير مكة من الزحف إلى قم السراة لفلك حصار « أبها » أخذ يتطلع إلى ميدان جديد ومنطقة غير منطقة « عسير » يعمق بها خط دفاعه شرقاً لتقف في وجه الأتراك فيما لو حاولوا غزو المخلاف السليماني .

وكان على علم بما يسود تلك الجبال من الناحية المذهبية إلا أنه يفهم أنها لم تكن متغلغلة في النفوس إلى الدرجة التي عليها قبائل المشرق الداخلية كحاشد وبكيل وهمدان ، وهؤلاء وإن كانوا من قبائل خولان إلا أنهم يعرفون في التاريخ بخولان السافلة وكقمة للمعمل الجاد في تلك المنطقة استدعى كبار رؤساء قبائلها وزعماء الأسر ذات المكانة من أهلها فوفد إليه أغلب شيوخ رازح : ومنهم الرؤساء .

آل غلفان . و آل فرح . و آل مناع . والسادة : الحسين بن علي ابن أحمد القاسم و محمد بن علي أبو طالب . وأحمد بن حسن أبو طالب وعبد الله بن حسن نجم الدين .

وبعد أن استوثق منهم وكلف من لم يقدم الرهائن بتقديمها أسند عمالة تلك الجهات :

عبد الله بن حسين نجم الدين عاملاً { لرازح ومركزه النصير .
علي بن الحسين الحولي قاضياً
مطهر بن عبد الله عاملاً لشذا

ومن ثم أخذ في الاستعداد للقيام بجولة إلى تلك المنطقة يوضح بها الشرفه النهائية لصرح نفوذه وسلطانه .

وفي جمادى الأولى عام ١٣٢٨ تحرك في حشد حاشد صوبها يرافقه محمد حيدر القبي ومحمد إبراهيم مبجر السمان وغيرهم من أعيان رجال حركته .

الإكرسي في شذا :

وصل موكبه إلى سفح جبل شذا وكانت قد تقاطرت وفود المستقبلين من كافة رازح للقياء واستقباله في مظاهرة رائعة وخماسة ملتهبة .

وارتقى الجبل في مقدمة الموكب بقامته الفارعة وبنيته الوثيقة فأثار كوامن الإعجاب في نفوس جموع القبائل التي سبقته إلى قلوبها الدعاية الخلابية .

ووالى صعوده إلى أن استقر في قرية « تاهر همدان » قرية في مكان مقسع من جبل شذا وبها مسجد جامع أسسه « علي بن طاهر » الرجل الخير الذي كانت له أعمال خيرية في الجبال من بناء المساجد وشق الطرقات وبناء الاستراحات للمسافرين ابتغاء وجه الله وبعد استراحته في القرية المذكورة قام بجولة في أرجاء الجبل الأشم الذي يحكم وضعه الطبيعي يتحكم في موقع استراتيجي هام يسيطر على الطرق والمنافذ نحو أغلب الجبال الشرقية وفي جولته في الجبل شاهد أطلال حصن (كحلان) في قمة جبل شذا فأمر بإعادة بنائه كما أمر بحفر ثلاثة صهاريج لتكفي حاجة الحصن من الماء إذا استدعى الأمر إلى حصاره فبنى الحصن على أحسن وضع من المناعة والقوة بالنسبة لذلك العهد ، ثم عاد إلى القرية المذكورة ووقف الجموع في الحاشدة التي أنهالت للسلام عليه من جميع جبال رازح ووداعة وغيرها واعظاً ومرشداً فخلب الألباب وأخذ بمجامع القلوب .

ثم انحدر من الجبل في موكبه الرائع قاصداً جبل النظير ومر موكبه على « بيت الصوفي » وكان به ضريح يقصده العوام ، على ما كان معروفاً في ذلك العهد من التوسل بالقبور بدعة وشركاً فأمر بهدمه ومنع الناس من قصده ثم والى سيره إلى الضيعة .

الضيعة :

أقبل موكبه على قرية الضيعة وكانت في غاية الأبهة والابتهاج بمقدمه فتلقاه

رئيس قبائلها محمد بن غفلان ومن صاحبه من بقية رؤساء وزعماء النظر
ورازح فدخلها في استقبال رائع وقضى يومه وليلته .
وغصت السفوح والساحات والطرق بمجموع المستقبلين وكان قرع
الطبول ودوي الرصاص يصم الأذان .

إلى النظر :

وفي صباح اليوم الثاني غادر الضيعة إلى « النظر » يشق موكبه الكتل
البشرية المتراحمة والمجموع الحاشدة واطلع معه مدفعين كبيرين جعلها في
قلعة النظر .

واستقبله جبل النظر بمظاهر الولاء والابتهاج وأوقدت النيران ليلا في
كل مرتفع وثنية في الجبل فأمسى الجبل يتوهج في حلة من النيران .
فأغدق الصلوات واستمال القلوب وسهل بمقدمه كل صعب وبعد أن
أقام بالنظر نحو أسبوع انحدر إلى تهامة .

رد الفعل :

انتقلت أخبار تلك الجولة الإدريسية ومظاهر الولاء التي قوبل بها بشقي
المبالغات والتهويلات ، والإمام يحيى يعتبر المنطقة الجبلية مجال نفوذه الروحي
وقابلها الأتراك بالغضب والتحفظ .

واتفقت جهود الطرفين على الأخذ بالحزم ومقاومة ذلك النفوذ بما ينبغي
من الحزم والمقاومة المسلحة :

وأتيحت الفرصة للإمام يحيى في أن يخضع شوكة النفوذ الجديد في تلك
الجهة قبل أن تثبت جذوره بتربة الحياة وأن ينكل بالموالين له كما سرى .

وقد بلغ النفوذ الإدريسي في المنطقة الجبلية إلى حدود « فله عنبر » شرقاً
ومن الظاهر جنوباً إلى بلاد سحر شمالاً فبعث الإمام يحيى بقوة من رجال قبائل
حاشد وهمدان بقيادة « محمد الهادي أبو نيب » للتككيل بقبائل خولان التي
والت الإدريسي ورضخت لطاعته .

القتال :

التحم القتال بين الإدريسي المتمثل في قبائل خولان وصحار وبني جماعة ومن معهم من المخلاف وبين قواد الإمام يحيى وكادت ترجح الكفة الإدريسية لولا إصرار الإمام يحيى بإرسال مدد بقيادة عمه « أحمد بن قاسم حميد الدين » ووالى الإمام إرسال الإمدادات إلى صعلة ونواحيها وبذلك استطاع الإمام يحيى إيقاف الزحف الإدريسي الصاعد الذي كاد أن يستولى على صعلة وغيرها موئل الأئمة الزيدية ومركز نفوذهم الروحي .

وبقى القتال مشبوب الأوار في قطاعات محلية على حدود الجبهتين وقد توقف الإدريسي في غير موقعة دفاعية بلون أن يحرز أي تقدم جديد ما عدا الحفاظ على ما يليه نفوذه السابق .

منبه - الهر - فيفا - بنى مالك - رازح

وفي عام ٣٢ استطاعت قوات الإمام يحيى احتلال جبل (حُرم) الموقع الهام في أطراف رازح وأنزل القائد المتوكل بعض قواته إلى غرب الجبل المذكور في الوادي المسمى عمق لاحتلال قرية (غمار) المعروف .

الموقعة :

وفي الوادي اصطدم بالقوات الإدريسية بقيادة علي بن أحمد الحازمي وعبد الله بن حسين وكان القتال مريراً انتهى بتراجع الجيش المتوكلي إلى قواعده بعد أن تكبد خسارة فادحة تفقد بخمس مئة قتيل ولو استطاع الجيش الإدريسي التقدم على أثر تلك الهزيمة لقضى على القوة الفعالة للجيش المتوكلي في تلك المنطقة ، وتغير الموقف تغيراً قلب الوضع في الجهة :

بقيت الحدود الإدريسية على الوضع المبين قبله ، إلا أنه في أول عام ١٣٤١ احتل الجيش المتوكلي جبل النظير وقد أدركت الإدريسي الوفاة ، في شعبان عام ١٣٤١ وهو يحاول استعادته ، ولم تفلح المحاولة بعد مماته في عهد الإمام الجديد كما ستقرأ ذلك مفصلاً في تاريخ الإمام الابن .

الفصل الثالث

الدولة العثمانية والإدريسي

الموقف الأول :

لم يدر بخلد ولاية (الأتراك) أن الإدريسي يحصل على ما حصل له من النجاح ، وبرغم ما اتصل بقلم استعلاماتهم عن اتصاله بحكومة إيطاليا ووضعه تحت الرقابة في الحلبدة ، واستطاعته بمسلكه الديني وعزلته الصوفية وتبديده للإشاعات والشائعات بما أثبتته في تفرد بهمسجده للعبادة والعزلة وبعده عن كل ما يمت إلى السياسة بسبب ، حتى إذا ما فتر حماس ترصد لهم ، وتبددت شكوكهم انصرف إلى صيبا - كما مر بك آنفاً - وفي صيبا قام بدوره كاملاً - كما قرأته مفصلاً - .

ورجال تركيا آنذاك في معارك حزبية بين حزب (الاتحاد والترقي) و (حزب الائتلاف) وتنافس على كراسي الحكم ، كما هو معروف في تاريخ تركيا ، ولم تكن عندهم (تهامة) عامة أو (المخلاف السليماني) خاصة من الأهمية مما يشغل بالهم في ذلك الحين .

أول وفد تركي إلى الإدريسي :

وعندما ظهر أمر الإدريسي ، وكثرت الرفعات عن نشاطه المتزايد ، حينذاك استفاقت الحكومة ، وتمخضت كل إجراءاتها عن إرسال وفد إلى جازان ترافقه قوة - إذا لزم الأمر أن تباشر أعمالها ، إذا رأى الوفد ذلك ، أما مهمة الوفد فهي :

١ - درس الحالة في المخلاف السليماني .

٢ - استطلاع أمر الإدريسي ، ومعرفة حقيقة مقاصده والوقوف على

نواياه .

وكان الوفد برئاسة سعيد باشا وعضوية توفيق الأرنؤوطي شيخ الطريقة

(الأحمدية) في (الآستانة) ، وصل الوفد إلى جازان في أول عام ١٣٢٨

ومنها بعث إلى الإدريسي وفداً فرعياً برئاسة توفيق الأرنؤوطي ، لاستطلاع
جلية أمر الإدريسي ودرس الحالة في مستقرها .

وصل الوفد الفرعي صبيها فقابله الإدريسي بخنكته السياسية ودهائه
المعروف ، وقال لهم : إني رجل من رعايا الدولة وليس لي مطعم لا في إمارة
ولا ملك ، ولم يدفعني إلى ما قمت به إلا الغيرة الدينية ورائدي الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، وأسرقي معروفة بمباشرتها ذلك منذ وصل جدي الأول
أحمد بن إدريس ، والدولة أهملت هذا القطر إهمالاً نجم عنه الفن والحروب
بين القبائل فتبرعت قاصداً وجه الله للإصلاح بينهم وإرشادهم لحقيقة الدين ،
وخدمت دولتي بإقرار الأمن واستلال الضغائن والأحقاد وإحياء معالم الدين ،
وكان تأثيره على رئيس الوفد الفرعي بالغاً ، وهو من قد عرفت - شيخ
(الطريقة الأحمدية الإدريسية) في الآستانة فزار الضريح ، وتبرك ، وسار
من لديه عائدلاً إلى (سعيد باشا) مقتنعاً راضياً ، يمهّد السبيل للاجتماع المقبل
بين الإدريسي و (سعيد باشا) .

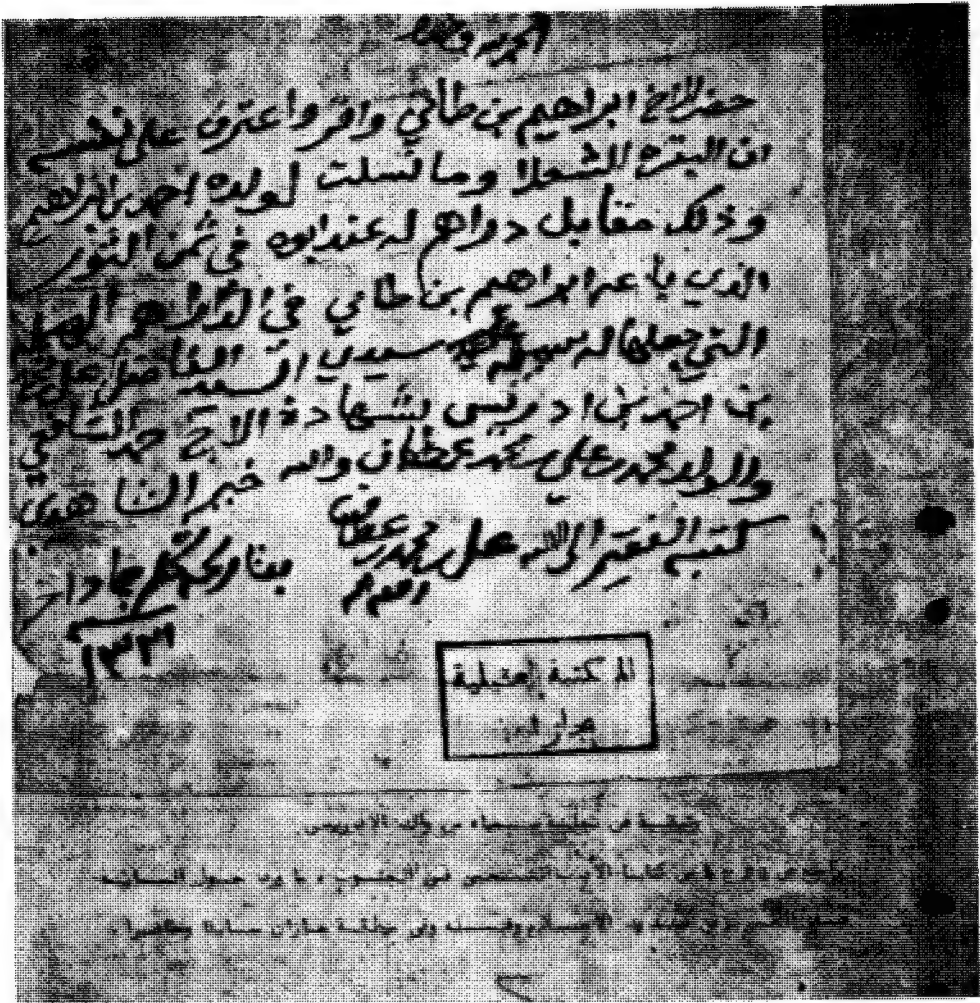
تقرر موعد الاجتماع ، ومكانه بأن يكون قرب (الحفائر) ، وخبر
الإدريسي بالوقت المحدد فبعث إلى عموم رؤساء المخلاف بأن تكون على مقربة
من المكان زيادة في الحيلة وأخذاً بالحزم ثم سار وأبلغ سعيد باشا فخرج من
جازان ونصب خيامه في (الحفائر) بالذات ومعه بعض القوات .

أول معاهدة :

وتحت المقابلة فأعاد الإدريسي ، على مسامحه ما قاله للوفد ، وتمكن
بلباقته من إقناع (الباشا) بحسن نواياه ، وانتهت المفاوضة بما يأتي :

- ١ - أن يعترف بالتبعية العثمانية وشرعيتها على المخلاف السلياني .
- ٢ - أن يمنح رتبة قائم مقام ويقوم كموظف عثماني بشؤون صبيها وما يتبعها
أي من سامطة جنوباً إلى حلي شمالاً .

٣ - يتعهد بمد السلك (التلغراف) عبر (المخلاف السلياني) بين اليمن



الحمد لله وحده

حضر الأخ إبراهيم بن طامي وأقر واعترف على نفسه أن البقرة الشعلا
وما نسلت لولده أحمد بن إبراهيم وذلك مقابل دراهم له عند أبوه في ثمن
الثور الذي باعه إبراهيم بن طامي في الدراهم السامية التي جعلها له سمية سيدي
الفاضل السيد علي بن محمد بن أحمد بن إدريس بشهادة الأخ حمد الشافعي
والولد محمد وعلي بن محمد عطفان والله خير الشاهدين .

كتبه الفقير إلى الله علي بن محمد بن عطف - رحمه الله -

بتاريخ شهر جماد آخر ١٣٢١ هـ

(وثيقة من عهد الإدريسي)

٤ — أن يسمح للدولة بمراكز (جمركية في موالي الخلاف) وبعث مأمورين لها من لديها .

٥ — تتعهد الحكومة بإلغاء الضرائب — بناء على اقتراحه — وأن تكتفي بحاصلات الزكاة الشرعية للحبوب والمواشي ، وأن ينوب هو عنها في الاستحصال مقابل أن يكون له الثلث ، لنفقاته ونفقات جيش وطني لإقرار الأمن الذي تعهد باستقراره في الخلاف .

وسياتي بيان استحصال الزكاة في أول عهد الإدريسي ، فيما بعد .

وهي اتفاقية مرنة في صالح الإدريسي ، قبل كل شيء ، وبموجبها اعترفت الدولة به ضمياً وخولته السلطان وأثبتت شرعية سلطته ، الغير المعترف بها قبل ذلك ، وفوضته في تأليف جيش وطني وأبرمت الاتفاقية وعاد الإدريسي إلى صيدا ، وبعث (سعيد باشا) في طلب حضور (متصرف عسير) وإعطاءه نسخة من الاتفاقية وألزمه التمشي على ضوئها كما أفهمه — حسب الاتفاقية — بأن تكون رجال ألمع عائدة لمنطقة الإدريسي .

وهكذا تم للإدريسي السيطرة بموجب تلك الاتفاقية على منطقة تمتد من حدود (حلي بن يعقوب) شمالاً إلى سامطة جنوباً ، ما عدا مدينة (جازان) .

وفي حال كان المعارضون والمتشائمون ينتظرون ، كنتيجة للدراسة الوفاء للحالة بأن تتقدم القوات المرافقة له لخصد شوكة الإدريسي إن لم تستأصل شأفته ، فإذا هويعود معترفاً به مؤيداً على المنطقة بأجمعها بما في ذلك رجال ألمع .

وعملاً ببنود تلك الاتفاقية ، عمل من ساعة عودته على الترتيبات الآتية :

بعث نوابه إلى الجهات الآتية :

١ — محمد بن خرشان ، على (يَبَّةَ وحَلِّي) .

٢ — يحيى بن عرار النعمي (محائل) و (بارق) بني الأسمر وما يليهم .

٣ — مصطفى النعمي والشوكاني (القنا والبحر) والمجاردة وغامد وزهران

٤ — القصال (المخواه) .

٥- محمد بن عرار (لرجال ألمع) .

٦- عرار بن ناصر إلى (جماعة) و (العمر وسحار وفيفا) وهجرة
ضحيان لينوبوا عن سيادته في إدارة تلك الجهات واستحصال (الزكاة) .
رأى متصرف (عسير) أن الإدريسي غدا - بعد الاتفاقية - أشد خطراً
وأكثر قوة وأثبت مركزاً ، بصفته معترفاً به من الدولة عن ذي قبل فأخذ في
الرفع ولفت النظر .

أما الموظفون الذين أرسلتهم الدولة للمراكز الجمركية - وهي ترمي من
وراء ذلك أن تحجزه في داخلية البلاد وتقطع وصول المؤن والإمدادات إليه
من إيطاليا فقد أعادهم بكل سهولة من حيث أتوا بعد أن أثار عليهم رجال
القبائل وجعلهم في شبه عزلة فاضطر بعضهم إلى الإحتماء بنوابه فأعادوهم ،
والبعض رجع فاراً ناجياً بنفسه ، وقد كتب للدولة إنهم أرسلوا مأمورين
لا يتمسكون بالدين ويجاهرون بالمعاصي فنفر منهم الناس وثاروا على سلوكهم
السيئ .

محاولة متصرف عسير :

شعر متصرف عسير بقوة مركز الإدريسي وتبخر تلك الاتفاقية المائعة
على حرارة الدهاء الإدريسي ، وأن مرفوعاته لم تأتِ بالنتيجة ، فنزل من
(السراة) إلى اليمن ماراً بصيبيا للدرس الحالة والوقوف على مجريات الأمور
فشاهد ما أدهشه حقاً من تثبيت دعائم الحكم الإدريسي للدولة وأن الرجل
يشيد ملكاً ومن ورائه إمكانيات تنهال لمساعدته وشده أزره ، فسلم واستأذن في
موالاة سيره إلى (جازان) ومنه إلى (كمران) ومنها اتصل بالآستانه عن
طريق (التلغراف) البحري ، ثم يعود إلى (عسير) بطريق (صيبيا) ، ويباشر
المفاهمة مع الإدريسي حول السماح للدولة بإقامة (معسكر) في (أبي عريش)
وهي محاولة مكشوفة لا تعزب عن دهاء (الإدريسي) فيجيبه الإجابة الحازمة
المرنة ، بقوله : (إن هذا يخالف نصوص الاتفاقية ، ولم يكن داعياً
هناك لما يوجب ذلك ، فقد أمنا المقاطعة وتعهدنا باستحصال الزكاة وتوريدها

للدولة ومد السلك وكشفنا الدولة أمر سوق العسكر والخسارة في الأموال والأرواح ، ولا نسمح بإحداث أي شيء . والتبعة على من أخل بتعهدة) .

فأسقط في يد الوالي وعاد إلى عسير وفي نفسه أشياء وأشياء ، وكأنه بعد ذلك رغب في أن يجرب اللعب بآخر ورقة في يديه بطريقة أخرى أسير لغرضه وأمن عاقبة إن لم يحالفه النجاح ! فانزل كتيبة من الجيش العثماني من (السراة) باسم بدل غيار لحماية (بندر جازان) ويقال إن مهمتها الحقيقية الدخول إلى صيبيا بتلك الصورة وعلى حين غفلة والقبض على الإدريسي بصورة خاطفة ، وتسترأ لتلك الغاية ولما وقف عليه أثناء مروره بصيبيا من عدم وجود مخافر ثابتة ومعسكر نظامي وحرس مدرب مع الإدريسي لا يبعد أنه رأى يسر وسهولة تلك المحاولة - وهيات - نزلت الكتيبة ويقال : إنها تتألف مما يقارب خمس مئة جندي ، ليس معها من السلاح إلا (الحراب) والمسدسات ، ومعها الأعلام ، ولم يشعر الإدريسي أو نوابه عن نزولها ، ووالت سيرها حتى أصبحت قرب قرية (الملحا) على مسافة ساعتين من (صيبيا) وهناك علم بهم أهل القرى القريبة من الطريق ، فأشعروا شيخ شمل المخلاف الشامي الذي استصرخ بأهل الملحا وقرأها ، وبعث الصريخ إلى المحلة وغيرها فضربت عليهم القبائل نطاقاً من الحصار وأوقفوا تقدمهم وكتب للإدريسي بالواقع وطلب التدبير ، ففهم (الإدريسي) كل شيء وأمر بإرسال من يستطلع خبرهم ويقف على حقيقة ما يريدون فأجابوا أنهم بدل غيار لحماية (جازان) فارسل قوات ترافقهم وبلغ قبائل المخلاف بفك الحصار عنهم وساروا تحت الحراسة والرقابة إلى أن وصلو سبخة (جازان) .

عودة إلى أحمد شريف :

أشرنا فيما تقدم قبله إلى قطع يدي أحمد شريف ، - إلى أن حمل إلى بيته بعد القطع وظل في داره إلى أن شفي من جروحه ، فأخذ في مكتبة الأتراك حتى وافته الفرصة فسرى ليلاً من (صيبيا) إلى عائلته الثانية (بأي عريش) ومنها إلى (حرص) ثم إلى (اللحية) فأقله (طراد) عثماني منها إلى الحديدة فاستقبل بها استقبالا حافلا وبعد أن مكث وقتاً أبحر إلى (استنبول) .

وهناك أدلى بما لديه وشكا ما أصابه موضحاً أن ما ناله كل ذلك لإخلاصه وأبان لرجال الدولة ما بلغه أمر الإدريسي وتفصيل علاقته بايطاليا إلى غير ذلك فصدرت الأوامر بطلب حضور الإدريسي إلى (استنبول) بصفته موظفاً من موظفي الدولة للتحقيق معه في قضية (أحمد شريف) ومحاكمته .

امتنع الإدريسي عن تلبية الأمر فهو يعلم ما وراءه ، فقد أصبح من القوة بحيث يستطيع أن يقاوم الحكومة ولو إلى وقت ما ثم ينسحب إلى الجبال وهناك يمكنه المقاومة إلى أن يحصل على الأقل على صلح يحقق ولو بعض ما يريد إلى أمد .

بالطبع لم تكن الدولة من الغفلة بحيث أنها تظن أنه سوف يسارع إلى تلبية داعيها ، وإنما أرادت أنه في حال الرفض تقيم عليه الحجة وتعلن عصيانه الذي يبرر تجريد حملة لإرغامه ، ويعتقد الكثير أن الدولة مع جزمها بعدم إجابته إلا أنها لا تعتقد أنه أصبح من القوة بقدر ما بلغه .

الحملة التركية :

جردت الدولة حملة قوية بقيادة (محمد راغب) وخولته أولاً : مكاتبة ومفاوضة الإدريسي عسى أن تلين قناته تحت تأثير تجريد الحملة ، فإن لم يُفِدهُ ذلك شيئاً فلنر حف على صيبا .

وصلت الحملة إلى جازان وأخذ قائدها في مراسلة الإدريسي فوجد أمامه شخصية تفوت على الدهاء وتستغلب على الشجاعة ، ويقول البعض ممن أدركوا ذلك العهد : إن الإدريسي استطاع أن يشتري ضمير ذلك القائد ، الذي بعد الهزيمة فر إليه .

أخذ القائد في مفاوضة ومكاتبة الإدريسي ، الذي كان على علم تام بالحملة ومهمة قائدها فما أخذت في النزول حتى أصدر أوامره لاستدعاء رجال القبائل من حلي إلى (بني شبيب) ، كما استدعى قائده في المنطقة (الشمالية) (حمود سرداب) في العودة مع أغلب قواته فوافقه القبائل ،

إلى (الحفائر) فأحدثت (مجازان) في شبه نصف دائرة من (تل المنجارية)
إلى رأس السويس من الجنوب على الترتيب الآتي :

١ - بني شبيل والمسارحة والحكامية من طرف رأس السويس إلى قرية
الكربوس في الجنوب الشرقي .

٢ - قبائل وادي جازان الأعلا والأسفل من الكربوس إلى الحفائر .

٣ - ضمد وصيبا والمخلاف من الحفائر إلى رأس المنجارية في
ساحل البحر .

وخرج بنفسه من صيبا ورابط بجيش احتياطي في قرية (الغراء) وأناط
قيادة الميدان بـ (محمد طاهر رضوان) أحد رجاله من أهل صيبا .

المعركة :

وعند فشل المراسلة ، صدرت الأوامر على القائد التركي بالزحف ،
فأخذ في الاستعداد للزحف على كرهه ، وأخذ الجيش الإدريسي في تشديد
نطاق الحصار ومنع (الماء) عن (جازان) وكل ما يرد إليها ، فتضايق
الجيش التركي واشتد عليه وقع الحصار ومنع الماء فأخذت البواخر التركية
في تزويده بالماء من (جزيرة فرسان) ورحل السكان إلى (فرسان) وغيرها
بحراً ، وفي فجر يوم الاثنين الموافق ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٢٩ زحف
للهجوم تحميهِ نيران المدافع من القلاع والبواخر التركية .

التعبية :

تقدم الجيش التركي - كما قدمنا - تحت حماية نيران المدفعية في ثلاثة
اتجاهات .

١ - الجناح الأيمن ووجهته طريق (المضايا) في الناحية الجنوبية .

٢ - القلب واتجاهه (الحفائر) - آبار الماء .

٣ - الجناح الأيسر واتجاهه (المنجاره) ، طريق صيبا .

تقدم الأتراك تحت غبشة الفجر ، فأنحسر الظلام إلا وقد وصلت مقدماتهم إلى أواخر السباح التي هي أرض مكشوفة لا شجر ولا آكام يتواري وراءه ، فأطلقوا نيران رشاشاتهم وبنادقهم متقدمين في بسالة المستميت ، على الجيش الإدريسي الآخذ مواقعه في الآكام والروابي وشجر الحمظ المشرف على السباح المكشوفة .

وقد أصدر القائد الإدريسي أمره بواسطة منادين على الخيل والبغال تنادى في صفوف الجيش من أول الفجر بعدم إطلاق الرصاص حتى يصبحون منكم على (معاد) . مقاس تحلّي معروف في المنطقة .

زاد في جراءة الأتراك ، توقف الجيش الإدريسي فوالوا تقدمهم - وكان القلب أسرع الفرق تقدماً - يتقدمه ضابط تلقبه القبائل باسم (مَشْرَم) - فكان يسير أمام الجيش بكل بسالة ، حتى أضحو على ستين متراً تقريباً ، فأطلق أحد رجال القبائل الأشاوس عليه رصاصة خر على أثرها صريعاً ، وانطلقت عليهم النيران في شدة لا تخطيء الرصاصة هدفها ، وانهزم الأتراك ، ويقال : إنه صدر أمر القائد لهم بالراجع (بالنفير) وعندها حملت عليهم رجال القبائل بالسلاح الأبيض واختل نظام تراجعهم (فالنفير) يبلغهم أمر التراجع السريع وطرق التراجع مكشوفة والقبائل أخذتها نشوة النصر فاندفعت تتعقب فلولهم في ضراوة وإقدام فتغطت السباح بجثثهم ويقدر عدد القتلى من الأتراك ألفين وخمس مئة قتيل وتحت حماية نيران مدفعية القلاع والبواخر تمكن الجيش من الدخول إلى (جازان) والتحصن في جبالها واستحكاماتها وعزز بمدد من طريق البحر ، وبقي الجيش الإدريسي في مراكزه يوالي الغارات الليلية على مراكزهم .

بعد وصول عزت باشا إلى اليمن واتفاقه مع الإمام ، وكان عزت باشا قد عُيّن قائد عام القوات في جنوب الجزيرة العربية ، فأصدر أمره بإرسال حملة إلى « المخلاف السلياني » منطقة جازان بقيادة « أميرالاي راغب بك » قوامها أربعة آلاف جندي نظامي ، مجهزة تجهيزاً حديثاً ، بالمدافع والرشاشات

تحركت بحراً من ميناء الحُدَيْدَة في البواخر ، وكان المقرر أن تكون تحت قيادة محمد علي باشا الذي وصل على رأس قوة من الأستانة لقمع حركة الإدريسي ، إلا أنه لم يتم استعداداته ، فكأن القائد العام عزت باشا رأى أن المهلة تنتهي بذلك العدد من الجيش بقيادة الأمير لاي راغب بك .

وبوصولها إلى جازان ، أصدر الإدريسي أمره باستنفار قبائل المنطقة لضرب نطاق الحصار وقطع الماء عن المدينة ، والجيش القادم إليها .

وتحت ضغط الحصار المحكم اضطر الجيش إلى استعمال المياه الاحتياطية في البواخر حتى استنفذوها ولم يبق أمامهم خيار إلا ركوب البواخر والعودة إلى الحديدية ، أو الخروج لطرد القبائل والاستيلاء على مورد المياه المسمى « الحفائر » على مسافة خمسة أكيال عن المدينة .

وقد وصفنا المعركة ، وصفاً عيانياً عن المعمرين الذين اشتركوا فيها من رجال القبائل إلا أن الخبر أو الوصف من جانب دون الجانب الآخر لا يكون كافياً .

وقد ظفرنا بمصدر من الجانب التركي ، وهو مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير يستند فيه إلى بلاغ ورد إليه من القائد العام عزت باشا ، خلاصته ما لخصناه أعلاه ثم يورد مانصه : وقعت هناك معركة شديدة انكسرت فيها الحملة انكساراً مدهشاً وأنه قد قتل في خلال ثلاث ساعات ألفان وخمس مئة من جنود الحملة ، فرجع باقي الحملة إلى جازان ، وقد مات الكثير منهم عطشاً .

وبسبب فقدان الماء أُلقيت بغال الحملة في البحر ، فاختنقت فيه ، وأنه ازداد الإدريسي بسبب هذا الانكسار نفوذاً جديداً ، وقوة على قوته ، وتجدد نشاط الثورة في تهامة وعسير ، وازداد جرأة .

وعدد قتلى المعركة يزيد على تقديرنا الذين اعتمدنا فيه على قول الشاعر الشعبي عبد الله السلامي الذي وصف المعركة في قصيدة شعبية رائعة ، أما الإدريسي نفسه فيقدر قتلى تلك المعركة بما يزيد على ألفي قتيل ، وعلى كل

فالبلاغ التركي هو من القيادة العامة التي حصرت قتلى جيشها ، لاعلى التقدير والتخمين كما قال الشاعر أو ذكره الإدريسي .

ولم يطل أمر حصار (جازان) فقد وصلت أوامر الحكومة التركية لحملة (جازان) بالجلء إلى (القنفذة) بناء على قيام الأسطول الإيطالي بحصار وضرب المراكز الساحلية — وبقاء القوات التركية في (جازان) المحصورة بالجيش الإدريسي — مع ضرب الأسطول الإيطالي عليها بحراً معناه إبادةها فرحلت الحملة بحراً ، وأخذت ما خف من الذخيرة والعتاد والمؤن وأبقت الكثير منها واضرمت النار في البعض عند طلوع آخر دفعة ، فشرع الجيش الإدريسي بالدخان يتصاعد ، وعلى الأثر وصله الخبر اليقين بالجلء فدخل المدينة واستولى على كل ما وجدته ، ودخلها الإدريسي نفسه بعد ذلك .

وصلت (القلع الحربية الإيطالية) فعلمت بالانسحاب ، ودخول الجيش الإدريسي فسارت مسرعة إلى (القنفذة) وضربها وحطمت ثلاثة طرادات تركية راسية في (الميناء) وغيرها من وسائل النقل البحري .

وكانت القوات الإدريسية التي في جهات (حلي بن يعقوب) على أهبة الاستعداد لأن تنسيق الحركات قد تم قبل ذلك كما سيمر بك بين القيادة الإيطالية في البحر الأحمر والإدريسي — وعلى ذلك فقد ضربت إيطاليا ميناء القنفذة والقوات الإدريسية تهاجمها برّاً .

العمليات الحربية في الشمال :

أشرنا قبل هذا ، أنه بعد توقيع الاتفاقية المبرمة بين سعيد باشا والإدريسي أن الأخير بعث نوابه إلى الجهات (الشمالية) والجبال (الشرقية) وذلك أول عام ١٣٢٨ ، فظل نواب الجهة الشمالية في (مراكزهم) وعندما أعلنت إيطاليا الحرب على (تركيا) والإدريسي حليفها وعملاً بخطة تنسيق المجهود الحربي المشترك ، فقد هب مجدداً لقتال الأتراك في (عسير) .

القتال :

- أصدر الإدريسي أوامره بمهاجمة الأتراك فتحركت على الوجه الآتي :
- ١ - تقدم (القائد أحمد الأشهل) بطريق (عقبة شعار) وهاجم معاقلها الحصينة .
 - ٢ - تقدم القائد مصطفى النعمي بقبائل (رجال) وقناو (البرك) و (المنجحة) بطريق (عقبة أمسودة) وعقبة بتدر امعوص لقطع المواصلات بين مركز (أبها) و (عقبة شعار) .
 - ٣ - أصدر أمره على مشايخ بني شهر بقطع المواصلات في عقبة (التماس) و (عقبة ساقين) .
 - ٤ - أصدر أمره على قائده عبد الرحمن بن ظافر ، بالإشتراك مع شيخ قحطان بمناوشة الأتراك من جهتهم وضرب نطاق الحصار .
- وبذلك تم تطويق (أبها) وجبل (عسير) تطويقاً كاملاً وذلك في شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ هـ واستمر مدة اشتد فيها وطأة الحصار على الأتراك حتى اضطرتهم المجاعة إلى أكل القطط ، وقد استسلمت في خلال ذلك حامية عقبة (شعار) ، واستلم قادة (الإدريسي) المدافع والمؤن الموجودة في ذلك المركز الممتاز .

وصول النجدة التركية إلى القنفذة :

- بعث الدولة القوات بحراً إلى القنفذة . لنجدة حاميتها المحصورة في (عسير) ووالد الامدادات وظلت تلك القوات مرابطة تنتظر البقية التي في طريقها بحراً ، من جهة ومن الأخرى ترتجي تحرك زحف أمير (مكة) الحسين بن علي ، الذي قد عرض اشتراكه - كما سنوضحه .
- كان ابن خرشان - نائب الإدريسي في (يَبَنَة) وقائد جيوشه المرابطة في قرية (مخشوش) للطوارئ وترقب الزحف المنتظر - قد شعر بخطورة الموقف وأهمية القوات التركية التي وصلت ميناء (القنفذة) فأناوب على (قيادته) من يثق به وسار ، مسرعاً إلى (صبيا) .

وصول ابن خرشان :

وصل ابن خرشان وأحاط (الإدريسي) بكل ما يهمه حول الميدان الشمالي والنجدات التركية التي وصلت ميناء القنفذة وعما وصل إلى علمه عن تحركات (الشريف حسين) وعدد القوات المرافقة له ولأبنائه .

اهتمام الإدريسي بالموقف :

استمع لتقرير ابن خرشان الشفهي . بكل اهتمام ورأى أن الموقف يستدعي التصرف السريع بكل قوة وحزم . وأن المارك ستدار رحاها في داخلية البلاد لا على الشواطئ . . . فحالا أصدر أوامره بالاجراءات الآتية :

أصدر أوامره بالنفير العام على القبائل :

(أ) على المسارحة وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسين بن أحمد الدوشي المسرحي .

(ب) على أهل صبيا وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسن فاسخ ومحسن ابن علي خواجي .

(ج) على قبائل الجعافرة وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسين راعي الوادي .

(د) على قبائل الحسيني وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : حسين بن مغاوي .

(هـ) على قبائل الحقو وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : ابن غرامه ومحمد أبي شرين .

(و) على قبائل عتود وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : يحيى الشرفي العتودي .

(ز) على قبائل الشقيق وسيرهم إلى الجبهة بقيادة : علي بن مبهي .

وانتخب للقيادة العامة الوزير حمود سرداب ، يعاونه يحيى بن عرار النعمي ، ومحمد طاهر رضوان ، وإبراهيم الشوكاني ، وعقد له اللواء وأمره بتكليف قبائل (بني شعبة) وغيرهم من القبائل الذين في طريقهم ووالى الجيش تقدمه حتى خيم في (قوز أبي العيثر) .

العسيريين الأتراك والإدريسي

من بعد استيلاء الدولة العثمانية في سنة ١٢٨٩ هـ على عسير وقتلهم أميرها محمد بن عايض وجل رجاله صبراً اعتبروها كتصرفيه يناط أمرها بمتصرف يقيم في مدينة أبها^(١) ، ولديه حامية في معسكراتها لا ترحها إلا في بعض التحركات الاضطرابية في أضيق نطاق في مثل مرافقة جباية الزكاة أو القيام بمأمورية ، كانت الصلة بين الحاكم والمحكوم شبه مفقودة والثقة شبه معدومة واللغة حاجز سميك تجعل الفاصل بعيداً ، والتفاهم عسيراً .

وفي خارج أبها لا حكومة موجودة ، ولا أمن ولا استقرار شأنها شأن البوادي العربية التي لا حكم للدولة التركية في ربوعها ، ولا سلطة فوق ترابها .

والناس في فراغ ومتربة وفاقة ، وقلة أمن ، وعزلة تامة ، وفتنة بين كل قبيلة وأخرى ، ونار العداوة مستعرة والفن متأججة .

وقد مر بك قيام الإدريسي بثورته المعروفة في ربوع تهامة عسير وتوافد الناس ورؤساء القبائل ، وإقبالهم عليه من غامد وزهران وبني شهر وشهران وقحطان والحجاز وإلى جهة زبيد جنوباً .

وشعرت الدولة العثمانية بما يهدد نفوذها ويهز وجودها في جنوب الجزيرة فأخذت ترسل الوفود تلو الوفد وتغير في حكام الأقاليم على ذلك بوقف المد المتدفق والتيار الغامر .

سليمان شفيق متصرفاً لعسير :

وأخيراً ومن بعد ذلك بعثت (متصرفاً) لعسير هو سليمان شفيق كالي ، وكان من قادة الجيش العثماني ومن يلم باللغة العربية ، وكان لقيام ثورة الإدريسي في عسير دوافع لاختيار مثله .

(١) راجع الفصل الخاص بولاية الأتراك في عسير في آخر الجزء الأول .

وقبل مغادرته الأستانة قابل رئيس الوزراء ، ووزير الحربية ، ووزير الداخلية واطلع في وزارتهما على الملفات المختصة بالإدريسي ، والمعلومات المدونة حول ثورته وشخصيته .

ومن تلك المعلومات ما روجته الدعاية من أن الإدريسي يطلي وجهه بالفوسفور ويخرج على زواره ليلا ليهرم بتألق وجهه . أو أن يستعمل سلكاً كهربياً ملفوفاً^(١) على حبل يمدّه لأولئك الأشخاص المعاهدين لكثرتهم فيهرم هذا ، فيبدو لهم بأنه صاحب كرامة ومعجزة^(٢) ، مما كان له رواج في ذلك العصر . .

سليمان شفيق والإدريسي :

وزودته الدولة باستكمال المعدات العسكرية للفرقة الموجودة في عسير كما أرفقته بكتيبة من سلاح الرشاشات الثقيلة في حال أن القوات التركية الموجودة في عسير بأبها ٢٠٠٠ جندي .

وصل إلى ميناء القنفذة في باخرة خاصة مع « كتيبة الرشاش » ، وباشر التحقيق وجمع المعلومات عن الإدريسي وحركته وشخصيته وخرج من افادات من استخبرهم بأنه رجل مرشد يدعو الناس إلى الخير احتساباً لوجه الله ويسعى بالصلح بين القبائل المتحاربة ، ويحل مشاكل الناس بحكم الشرع .

وأنه أقبلت إليه القبائل من كل جهة تباعه وتعاهده على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣) ، وكانت حركة الإدريسي قد شملت قبائل عسير وبواديها ، ويوجد بينهم كثير من الدعاة والمرشدين . وصل المتصرف الجديد وباشر الاستلام من سلفه وبعد ذلك قام بتصريف أمور إدارته وفي أثناء ذلك وافته الأخبار بتحريك القوات الإدريسية ، ثم

(١) والسلك موصل بمولد كهربائي في محل نائي

(٢) هذا ما سجله « سليمان شفيق » في مذكراته .

(٣) راجع ص ١٧٠ من منشور الإدريسي الذي يتبرأ فيه من هذه الدعاية ضده .

وصول أوامر الإدريسي إلى القبائل بالثورة المسلحة وضرب نطاق الحصار على مدينة^(١) أبها وحاميتها .

وتقدم قائد الإدريسي مصطفى النعمي فاحتل بلدة محائل ذات الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى عسير واتصالاته بمينائه البحري في بلدة القنفذة .

كما أسر الحامية التركية وبعث بها إلى صبيا واستولى على مخزون المؤن والذخائر .

ونهض القادة الآخرون الذين كانوا يقومون بأعمال الإرشاد والتوجيه في قبائل عسير وشهران وقحطان وبالأحمر وبالأسمر ، وبني شهر وبالقرن باعلان الثورة وتقديم جماعتهم لحصار أبها - كما أوردناه قبل هذا .

وعلى أثر هجوم الجيش الإدريسي على محائل كتب سليمان شفيق مذكرة احتجاج شديدة اللهجة ، وطلب انسحاب المهاجمين وإعادة الأسراء والمهوبات .

فأجابه الإدريسي بما يأتي :

(إن حادثة محائل وقعت على دون علم مني أو دراية ، وإن القبائل لما علمت بخبر وصولكم بكتيبة (المدافع الرشاشة) ظنت أن نيتكم استعمال ذلك في قتالهم فحركتها الغيرة الجاهلية ، وحدث ما حدث بسبب ذلك) .

ولما بلغني الأمر كتبت إلى تلك القبائل الثائرة أنصحهم بالاخلاد إلى السكينة وأدعوا للنصيحة وسيعاد لكم الأسرى ، وكل ما أخذ من المستودعات

(وقد فهمت أن « الحرية » التي هي من لوازم الدستور ، ستحدث فوضى في علاقات الزوجات بأزواجهن ، وتزيل أحكام الشرع ، وإن جنوداً من الأجانب سيدخلون سواحل عسير بدعوى أنهم جنود عمانيون ، وأن الدولة ستقضي على سلطة المشايخ ، وهؤلاء لبساطتهم يصدقون ما يقال من هذا القبيل ، ولعل ذلك من أسباب هياج الناس وثورتهم) .

(١) راجع الفصل الخاص بـ - رسائل ومنشورات الإدريسي - في هذا الجزء .

مقدمات حصار مدينة أبها وامتداد الثورة إلى أرجاء عسير :

ظل سليمان شفيق مترقباً متوجساً فأحب أن يكتب للإدريسي مستظلاً فجعل من موضوع حادث (محائل) وسيلة فكتب إليه راجياً إعادة الأسراء والمنهوبات .

فأجاب الإدريسي :

(أما الأسرى فانهم ممنعون عن العودة إليكم لأنهم يخافون أن يقعوا تحت طائلة العقاب ، لأنهم استسلموا للثوار ، دون استبسال في الدفاع عن أمراكزهم ، وأما الذخائر والمؤن فقد وقع الكثير منها بيد الكثير من الغوغاء والفقراء ممن لا يعرفوا حتى تستعاد منهم) .

طلب نجدة :

رفع سليمان شفيق إلى الأستانة طالباً بعث فرقة عسكرية تعزز موقعه وتقوي مركزه وتؤيد تفوقه ، وأن يكون نزولهم في ميناء جازان القريب من إصبيا مركز حركة الإدريسي فبعثت الأستانة فرقة قوامها ثلاثة آلاف جندي وتم انزالها بميناء القنفذة .

وصول مفوضين من الأستانة :

أشرنا إلى وصول وفد من الأستانة برئاسة سعيد باشا ، ومعروف الأرنووطي شيخ الطريقة الأحمدية الإدريسية في الأستانة ، وما تم بينهم وبينه من الاتفاق حول إدارة بلاد عسير وتهامتها وتلك الانفاقية قد عززت موقف الإدريسي وأضفت الشرعية على حركته .

إلا أن رفايات متصرف أبها الساخنة وتحذيراته الملهية أوجبت الحيلة بارسال الفرقة المشار إليها .

وكانت الأستانة بعثت مع الفرقة وفداً جديداً يتفاوض مع الإدريسي من مركز قوة ممثلة في تلك الفرقة ، وصدر أمر من وزارة الداخلية إلى سليمان شفيق مضبوطه :

إن قائد الفرقة ومعه مسؤولين متدربين ليتباحث مع الإدريسي وعليه مرافقتهم والاشتراك معهم .

وصل سليمان شفيق إلى صبيا فوجد الوفد بما فيهم قائد الفرقة قد سبقوه إلى صبيا ، وقد أخذ معهم الإدريسي في المحادثة ، واستطاع اقناعهم بسلامة موقفه من الدعوة وأنه لا مقصد له إلا هداية الناس وإرشادهم وخدمة الدولة في تهذيب الأحوال والإصلاح بين القبائل وتوفير سوق الجحافل العثمانية على الدولة ، وأن لا حاجة إلى وجود الفرقة الجديدة إلا تهيج القبائل ونفورهم واستفزازهم ، في حال ضرورة الحاجة إليها في أماكن وميادين أخرى وأنه في هذه المنطقة ، باستطاعته استدعاء رجال القبائل الذين قد طوعهم وأرشدهم وأحيا بينهم معالم الدين لتوطيد الأمن ، وفعلا استدعى يوم وصولهم ما يفوق على ستة آلاف مسلح ، وكرره يوم وصول سليمان شفيق ليؤكد لهم أنه لم يسبق التحضير لحضور تلك الجموع لاستقبالهم بل أن الاستجابة من القبائل لديه سريعة في أي وقت .

وبعد وصول سليمان شفيق توالى الجلسات ودارت المفاوضات ، وانتهت بما يأتي :

١ - أن يظل الإدريسي على ما تم الاتفاق بينه وبين سعيد باشا من القيام بشؤون المنطقة على الطريقة الموضحة في الاتفاقية ومن ضمنها بلاد رجال ألمع .

٢ - أن يرافق المرشدين الذين يبعثهم الإدريسي إلى القبائل موظف من قبل متصرف أبها .

٣ - توزيع منشور بتوقيعه وتوقيع متصرف عسير إلى القبائل للإخلاق إلى الطاعة والتزام الهدوء والسكينة .

٤ - الاتفاق على عدم الحاجة لبقاء الفرقة الجديدة في جهة القنفذة أو غيرها وضرورة إرجاعها إلى الأستانة .

وبتوقيع الاتفاقية إنتهت مهمة اللجنة وعاد الوفد إلى القنفذة لمرافقة الفرقة في العودة إلى الأستانة وعاد متصرف أبها إلى مركزه .

ومن دراسة بنود الاتفاقية يظهر أن الإدريسي هو المستفيد من تلك الاتفاقية أكثر من الجانب الآخر فقد :

تعزز مركزه ، وتأييد موقفه وتأكدت الشرعية لقيامه ووثقت الاتفاقية الأولى مع سعيد باشا وجددت الاعتراف بسلطته الزمنية والروحية على المنطقة ، ثم نجاحه في اقناع الوفد بضرورة إعادة الفرقة العسكرية التي ما جلبت إلا تهديده والقضاء على ثورته .

وعادت اللجنة وهو أقوى مركزاً واثبتت سلطته ، وأمتن مكانة ، وفث في عضد المناوئين القليلين الذين أشرنا إليهم قبل والذين كانوا ينتظرون عند قدوم سعيد باشا ترقب القضاء عليه فإذا هم يرون سعيد باشا وقد منحه الشرعية وخوله السلطة من رجال ألمع إلى حدود حرص ومن سواحل البحر إلى جبال فيفا وبني مالك وجبال رازخ . ثم يرون اللجنة الثانية تؤيد الاتفاقية الأولى .

وإذا كانت الدولة التركية وكبار موظفيها في الأستانة ينظرون إليه كثائر على الدولة وتنسب إليه السحر والشعوذة والتدجيل وغير ذلك مما مر بك قبل ، فإن العامة والخاصة في عسير وتهامة وغيرهم ينظرون إليه بعكس ذلك ولا نجد أحسن دليل على ما أوردناه غير خطاب صادر من مفتي وفقه بني مالك من قبائل عسير إلى متصرف عسير سليمان شفيق نفسه .

لقد كان من جملة من زار الإدريسي من رجالات عسير وشيوخها الفقيه الزاهد الشيخ محمد بن عبد الله بن خضره وبعد عودة الشيخ من صبيا كتب هذا الخطاب إلى المتصرف يعرب فيه عن انطباعاته وما شاهده من ميل الناس وتعلقهم بالإدريسي وتوافد الناس إليه ، وإقبالهم نحوه ، وقد وصله الخطاب يوم ٢٤ تشرين أول سنة ١٣٢٥ عثمانية .

الحمد لله وحده ، من محمد بن عبد الله إلى حضرة من أصلح الله سيرته ، ونور بصيرته وحمد سيرته سليمان باشا ، وفقه الله للحق والعدل وحرسه من جلساء السوء .

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — توجهنا إلى زيارة سيدنا وسيد الجميع محمد بن علي بن إدريس عمر الله به الإسلام ونصر به سنة سيد الأنام . وهو داع إلى ما يسكن الفتن ، وإقامة الحق والسنن . هاد للرعية إلى الطريقة المحمدية . ويحضتهم على طاعة الله ورسوله وطاعة الخليفة السلطان سلطان الإسلام . فلو عرفت نيته ، وما دعى إليه لتوجهت إليه حبواً .

وقد صارت فيك مذاكرة حميدة بأنك محب للعلماء ، وأنك مجتهد في إقامة الشريعة وإزالة الباطل . وقد وفد إليه أهل الإسلام ، وتألفت قلوب العباد ، فوقع الأمان وظهر الإيمان . فالحمد لله على ذلك ، أحببنا نعرفك بذلك لما نرى فيك من الصلاح ولو كان غيرك ما كتبنا إليه حرفاً واحداً وما قط كاتبنا أحداً قبلك بل نحن أهل عزلة عن الخلق . وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه الله والسلام .

فإذا كان هذا هو رأي فقيه من علماء عسير وزهادها ، فكيف بآراء العامة الذين خلب الإدريسي ألبابهم واستهوى أفئدتهم واستولى على عقولهم ، وجعلهم ينظرون إليه بعين التقديس ، ويعتقدون فيه الكرامات والمعجزات — ظلماً وشركاً —

الاجتماع الثاني بين سليمان شفيق ، والإدريسي :

بعث الإدريسي بمنشورات إلى عسير السراة الذين معسكر الجيش التركي في قاعدة بلادهم (أبها) يعلمهم فيها الحرب على الأتراك ويحضهم على الاستعداد بالمال والسلاح — على ما تقدم — وعلم سليمان شفيق بذلك واعتقد أن الإدريسي ينوي غزو الحجاز في حال أن الحقيقة أنه يدفعهم لمحاصرة أبها ، وإن كان المفهوم أن دعااته موجودون في نفس الحجاز يعملون لانبساط نفوذه ، وقد استعجل سليمان شفيق فرفع للأستانة بأنه يستعد لغزو مكة ،

وطلب إمداده بقوة وسفن الحفارة الشواطئ منعاً من دخول الأسلحة إلى الإدريسي بحراً ، فوردته الإجابة ، بأن الدولة مشغولة بثورة حوران في سوريا ، وأنه ليس في استطاعتها في الوقت الحاضر إرسال أية قوة إلى عسير ، وأن عليه أن يذهب إلى صبيا لمقابلة الإدريسي لإيجاد طريقة بالتفاهم لتجميد حركته ولو إلى حين .

وعلى أثر ذلك توجه لزيارة الإدريسي — وأبرق بتوجهه إلى الأستانة التي كانت برقياته لاتصلها إلا بعد شهر ، فكان يرسل برقياته برأ بواسطة العدائين إلى القنفذة التي ترسلها بدورها بواسطة السفن الشراعية إلى جدة ، ومن جدة تطير على أسلاك البرق إلى الأستانة .

ويذكر سليمان شفيق أن رحلته لزيارة الإدريسي كانت في موسم القيظ وأن من عادة الإدريسي أن ينتقل في هذا الموسم من صبيا إلى النظير من جبال رازح التي تبعد عن صبيا مسافة خمسين أو ستين كيلا والحقيقة أن النظير تبعد عن صبيا مسافة ١٣٥ كيلا لأن من جازان إلى « الجابري » و « الخوبة » مسافة ٩٥ ومن الجابري إلى النظير نحو ٢٥ كيلا وصبيا هي شمال جازان بـ ٣٢ كيلا ، ثم أن الإدريسي لم يصل إلى النظير إلا مرة واحدة في مبدأ أمره — على ما تقدم ٢ وما عدا ذلك فكان يخرج في تلك الأثناء من صبيا مساء إلى قرية (الحسينية ^(١)) التي تبعد من صبيا بخمسة عشر كيلا والتي قد رحل أهلها إليها خوفاً من الأتراك الذين في جازان ينام هناك وفي الصباح يعود إلى صبيا ، وإنما الأخبار كانت تنم على المتصرف سليمان أو اتصاله خاطئة وقد احتاط أيضاً ببناء مساكن لأسرته في جبل هروب ليجعلها خطاً دفاعياً ثالثاً فيما لو غلب على صبيا ثم الحسينية ، وإنما لم يحتاج إلى ذلك .

أما كيفية رحلته إلى صبيا فقد استأذن الإدريسي في الوصول إليه وطلب

(١) من المعروف بين من عاصر العهد الإدريسي أن له لم يصيف قط في جبل النظير ، ولم يطلع إليه إلا مرة واحدة فقط — كما سبق توضيحه — أما خروجه كل مساء إلى قرية « الحسينية » فهو شائع ومتواتر الخبر ، وقد أورده المؤرخ الوشلي .

منه أن يرسل له ثلاثة أشخاص يرافقه في سيره فبعث له بثلاثة أشخاص من أهل الخلاف السلياني منطقة جازان وقد سلك سليمان — يرافقه مع رجال الإدريسي عشرة فرسان وطبيين وصيدي وشيخ قبيلة عليكم — سلك طريق شعاف ثم عقبه (الحموض) — وادي ركان — فالتقى وادي ركان بوادي بيش ووالوا سيرهم إلى أن وصلوا قرية مسلية ثم منها إلى أم الخشب — صبيا .

بوصوله إلى صبيا استقبل بما يليق وبعد الاستراحة اجتمع بالإدريسي وأطلعته على خريطة رسمها لطريق شعاف وخط سيره وجرى أثر ذلك الحوار الآتي :

سليمان شفيق : إذا شئتم فلأني على استعداد لإعطائكم صورة من الخريطة الإدريسي : أشكركم ، ولكن لماذا أتعبتم أنفسكم بهذا العمل ، وما هي الفائدة التي تتوقعونها منه ؟

سليمان : إن بلاداً تظل أحوالها الجغرافية مجهولة لا يمكن القيام بإعداد وسائل إعمارها وإصلاحها وهذه البلاد مجهولة من الناس جميعاً ومن أهلها أنفسهم .

الإدريسي : نعم — نعم ، وقطع الحديث . وأداره إلى الناحية الآتية .

الإدريسي : إن السفن التي تسافر من سواحل عسير إلى مصوع وعدن لنقل حاجات الأهالي وبضائع التجار تعترضها سفن الخفر التركية بحجة تفتيشها فيلحق أصحابها من جراء ذلك أضرار جسيمة والتجار يلقون من ذلك مصاعب يشكون منها فليتنا نجد لذلك طريقة مرضية .

سليمان : أرى أن تحل هذه المسألة فيما يتعلق بالثغور التي ليس للحكومة فيها موظفون مثل (القوز — الشقيق — الوسم — البرك) بأن تجعل مشايخ هذه الثغور موظفين رسميين من جانب الحكومة بوظيفة مديري لها ويخصص لهم رواتب من خزينة الدولة ، ونجعل عندهم ختماً رسمياً باسم الحكومة فالسفن

التي تقلع من أحد تلك الثغور يفتشها الشخص المعين ويعطي صاحبها ورقة رسمية مختومة كشهادة بأنها فتشت فإذا قابل المركب إحدى سفن الخفر أبرزت السفينة الشهادة فيخلو سبيلها ، ثم نضع في كل واحد من تلك الثغور عساكر وطنيين ونزودهم بالسلاح الحكومي يستعملونه في إقرار الأمن وإذا أنا فعلت ذلك يكون للمشايخ منفعة ذاتية من الرواتب فيصبرون أنصاراً للحكومة ، ومع ذلك ففي إمكانهم أيضاً الاستفادة من تهريب السلاح كما كانوا يفعلون .

الإدريسي : منفعلا ! : ماذا تريد مني يا سليمان ؟ أنا لا أرضى قط بأن يصبح مشايخ السواحل من رجال الحكومة ، وتبعاً لأوامرها . إنني مدرك ما تريد . أنت تريد من هذه المقدمة أن تلتجئ قليلاً نحو الساحل ، وأن تضع جنوداً في الثغور ، أنا لا ثقة لي باللولة ولا أوافق قط على مثل هذه المساعي . اجلس أنت في الجبل ولكن لا تمتد أصبعك إلى السواحل أبداً .

ويلحق سليمان شفيق على كلام الإدريسي بقوله : (قال لي ذلك في هذا اليوم ، وفي العام الماضي قال لي : أمسكوا السواحل ، ولا شأن لكم بالجبال .

سليمان : ولكن للحكومة في ثغر جيزان ، وهو على مقربة من صيبا موظفون وجنود فأني ضرر رأيتموه من ذلك ؟

الإدريسي : وهذا أيضاً لا أريده . لقد وقع مرة فيما مضى ، ولا أريده أن يتكرر ، وفضلاً عن ذلك فإن جيزان على مقربة مني ، ولي فيها رجال ، يطبرون إلي في الحال الخبر عن كل ما تعملون ضدي فأستعد للدرء الخطر ، أما ثغور الشقيق - والوسم - والبرك وأمثالها فإنها في مواقع مترامية لا يصلني خبرها في حينه .

سليمان : لكنكم يا حضرة السيد تضطربون بلا موجب ، وإنما قدمت هذا الاقتراح على أن فيه تسهيلاً لأموركم ، وما دمت لا توافقون على ذلك فأنا أحب اقتراحي ، وأريد أن أقول لكم من جهة أخرى : إن الدولة تريد أن تعمر ملكها ، وليس في إمكانها أن تدع السواحل فارغة وخراباً .. الخ .

الإدريسي : حسن وتعال نفكر بجد . إن الإمام يحيى كتب إلي رسالة يدعوني فيها للاتفاق معاً على الدولة ، ولاني لم أجاربه بعد على رسالته . فأعطني مدفعين إذا شئت وأنا أكتب إلى الإمام أدعوه إلى العدول عن فكرته ، فإذا لم يرجع عنها فأنا مستعد للزحف إليه وتأديبه — وعلق سليمان بما لا نرى داعي إلى إيراده لاسيما وأن العداء أثبتت الأيام وقوعه بين الإمامين ، وعلق سليمان على هذه المناقشة — أيضاً يقول — من ذلك اليوم فهم كل منا صاحبه تمام الفهم وكنا كالجهازين يلعبان على حبل واحد ، هو يعمل لأجل نفسه ؟ وأنا أعمل لما أنه مصلحة عامة . ؟

وفي اليوم التالي لهذه المناقشة غادر سليمان صبييا إلى جيزان ، وطير برقية — يظهر أنها من إحدى بواخر الخضر إلى الأستاذة ذكر فيه كل ما دار بينه وبين الإدريسي ، وأنه يرى أنه على أبواب ثورة قريبة الوقوع في عسير سوف تصل نارها إلى اليمن والحجاز ، وأنه عزم على القيام برحلة بحرية على إحدى سفن خضر السواحل ثم العودة إلى مركز أبها وكان هذا في شهر أغسطس ١٩١٠م - ١٣٢٨هـ ، عاد من رحلته إلى جيزان ومنها إلى صبييا ومعه عشرة آلاف جنيه ذهباً فاجتمع بالإدريسي فرأى على محياه دلائل الاهتمام وعلامة الجد وإصرار العزيمة على التحرك والتحدي على غير ما قد رآه قبل ذلك .

وبعد المجاملة الكلامية استأذنه وفي اليوم الثاني استأذن عليه مودعاً فقال له : كنت أخبرني أمس حتى أصعبك بمن يرافقك ويرشدك في الطريق فشكرهم

واقترح أن يلحقه بهم ورحل من ساعته في عجل وقطع المسافة بين صيبا وأبها في ثلاثة أيام في حال أن العادة تقطع في خمسة أيام .

الاستعدادات :

وبوصول سليمان شفيق إلى أبها أخذ من ساعته يجمع الأقوات ويدخر المؤن والحبوب والخطب ثم بعد ذلك أحضر مشايخ المنطقة وأخبرهم بصلور أمر الأستانة بانتخاب ثلاثة أعضاء منهم لمجلس المبعوثان ، ولمح إلى موقف الإدريسي وما يستشفه من تحريض القبائل للقيام بحصار أبها وسألهم مستفسراً عن رأيهم .

فأما موضوع الانتخابات فقد انتهت النتيجة عن فوز :

١ - عبد الله بن أحمد بن مجثل .

٢ - عبد العزيز بن مشيط .

٣ - فراج بن سعيد العسيلي عن بني شهر .

وبعث الثلاثة إلى القنفذة عن طريق (النماص) ومنها إلى الأستانة ، وعندما وصلوا إلى النماص رأوا بوادر تأجج نار الثورة فعاد ابن مجثل وابن مشيط واما فراج فقد تمكن سراً من الوصول إلى القنفذة ومنها اتجه إلى الأستانة .

مقدمات الحركة :

شاهد سليمان بوادر الثورة تنذر بالغليان وتبرق بلمعان شرار الحرب فاستدعى المشايخ وبعد استكمال عقد الاجتماع كاشفهم بما يشعر به وما يراه من بوادر الثورة وطلب منهم أن يعاھلوه ويقسموا يمين الولاء على المصحف بأن يقفوا إلى جانبه مخلصين للدولة ، فلاذوا بالصمت ولم يجيبه أحد ، فعلم عدم استجابتهم .

فأذن لهم بالقيام إلى اليوم التالي وفي المساء حضر إليه بعض من يثق بهم وأفادوا بالحقيقة وهي :

١ - أولاً أن المشائخ الذين حضروا الاجتماع لا يبلغ عددهم عشر مشائخ عسير ، والباقون غيبوا عن الحضور عمداً .

٢ - إن الاستعداد للثورة عم جميع أنحاء عسير مشائخ وأفراداً .

٣ - إذا تأخر المشائخ الذين حضروا عن الانضمام إلى أكثر المشائخ وقبائلهم ولم يشتركوا في الثورة فقلوا مكانتهم ، وأمر الإدريسي بنهب أموالهم ومصادرة ممتلكاتهم .

لذلك تمنعوا عن القسم الذي كلفهم بأدائه . فتدبر أمرك ! ولم يسعه في اليوم الثاني إلا أن أذن للمجتمعين بالانصراف إلى قبائلهم وجهاتهم .

الثورة :

إن منشورات الإدريسي إلى القبائل بالاستعداد والتحرك للثورة على الأتراك تذاع تبعاً عن طريق قواده ودعائه الموجودين بين القبائل وجميع مشائخ عسير وغيرهم وفدوا على الإدريسي وعاهدوه على السمع والطاعة والجهاد كما أنه قد أصدر أوامره إلى القبائل التي حول عسير بقطع المواصلات عن عسير والاشتراك بشوكاتهم مع العسيرين .

ومن جملة الدعايات التي روج لها بين الجموع بأن رصاص الأتراك لا يصيب أحداً وأن جميع ما لدى الأتراك من مؤن وسلاح وذخائر هو غنيمة لهم من الله ، وأن الأتراك لن يصلحهم مدد وليس لهم مساعدة من أي جهة ، وأن سليمان شفيق متصرف أبها ضحية سيئ الضحى بها في عيد الأضحى وكانت الدعايات قد كثفت وروج لها بين الخاصة والعامة كأنها حقائق وذلك في شهر القعدة سنة ١٣٢٨ هـ .

وفي أواخر شهر القعدة ١٣٢٨ تدفقت الجموع كالسيول الجارفة والتيارات المتدفقة حول المنطقة القريبة من أبها ، وقادة الإدريسي يدفعون الجموع ويحرضون العامة ويشجعون الخاصة ويعدونهم بالنصر ويعدونهم الفوز والغنائم ويدبرون معهم أوجه الرأي في سلوك أيسر الطرق وأضعف النقط وأسهل السبل لأنهم أهل البلاد الأدرى والأعرف ببلادهم .

وفي ليلة من تلك الليالي بلغ المتصرف سليمان شفيق بأن :

١ - حمود أحد مشائخ رفيدة .

٢ - عبد الله بن مرعي مفتي القبيلة .

موجودان حول أبها يحرضان الناس ويبلغانهم أوامر الإدريسي ويحثان على الإسراع في مهاجمة أبها فأرسل بعض رجاله ليلاً وتمكنوا من إلقاء القبض عليهما وساقوهما إلى السجن .

أبها :

كانت بلدة أبها التي تقع في رأس وادي ضلع متوالية بين الهضاب والآكام على ارتفاع ألفين ومئة وتسعين متراً وتتألف من ثلاث أحياء منفصلة عن بعضها تراوح منازل كل حي منها بين ٧٠ و ٨٠ بيتاً ، وهي واقعة عند بداية وادي شهران وكان لا يحيط بها سور ما عدا أبراج حجرية يسع كل منها عشرة إلى خمسة عشر جندي .

والمتصرف سليمان شفيق قائد عسكري فقد تصرف بحكم خبرته العسكرية فحفر بين الأبراج المحيطة بالبلدة خنادق دفاعية ، وأقام الجدران والسدود في المنافذ والطرق المؤدية إلى داخل البلدة فأصبحت البلدة بذلك قلعة في غاية التحصين .

وبعد استكمال ذلك أخذ في الترقب والترصد لانتظار الهجوم المرتقب .

الهجوم :

وفي صبيحة يوم وسليمان شفيق يتفقد خطوط الدفاع ويتطلع بمنظاره نحو الأفق المحيط بأبها فإذا به يشاهد جموعاً حاشدة يقدر أعدادها بين عشرة وعشرين ألفاً ، على مسافة خمسة أو ستة أكيال من أبها تتقدمهم الرايات واليارق قد اكتسحوا الجبال القريبة وهم سائرون نحو البلدة .

فأمر بتقديم بطاريات المدافع وفتح نيرانها عليهم صباً بسرعة وتركيز ربيع ساعة فتفرقت الجموع وتراجعت إلى الخلف من الجبال الغربية .

وفي اليوم الثاني تقدموا وأحاطوا بأبها من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم وكلما قاموا بحركات هجومية تصدوا لهم بحركات دفاعية جادة ترددهم إلى أماكنهم ، وهكذا ظل الموقف بين شد وجذب وهجوم ودفاع والمدينة محصورة من جميع جهاتها .

وكانت اتصالاته بمرجعه بواسطة السعاة السريين وهي أن يكتب رسالة بطريق الخط والنقطة والإشارة السلوكية ويخاط عليها في مئزر الساعي الذي هو من القبائل ويساعده بعض شيوخهم ، ويتسرب في خفية وخفة ، متوارياً بين القبائل كأنه واحد منهم حتى يصل القنفذة فيسلم ويستلم الجواب من حاكم القنفذة ويعود بنفس الطريقة ، وكان الإدريسي يبعث منشورات لجيشه المحاصر ، بأن اليمن ثائرة ، وتارة بأن ابن سليمان شفيق مخالف على الدولة وأن الدولة عزلته عن أبها ، فيصاح بذلك ليسمعه المحصورون فيفتت ذلك في عضدهم ويحطم معنوياتهم وقد شحت الأقوات داخل أبها حتى أشرفت على العدم ودامت الحالة على ذلك سبعة أشهر وأياما ، وفي الشهر السادس من الحصار سقط موقع (شهار) وهو مركز عسكري مهم على قمة عقبة (تيه) واستسلمت الكتيبة التي به مع مدفعين .

وكان قادة الإدريسي المشتركين في الحصار وعلى رأسهم مصطفى النعمي مهرة في الدعاية المؤثرة في خفض نفسية المحاصرين وقائدهم - كما سبق أكثر وأبلغ من ذلك ليألبوا الجند على قائدهم بأن الدولة عزلته ، وأن الدولة لا ترغب في بلاد العرب وأنها لن ترسل إمدادات أو مؤن للمحاصرين وأن طريق البحر مسدود ، ينادون بذلك ليسمع الجند .

وقد دام الحصار سبعة أشهر وأياما حتى وصل شريف مكة بنجدته ودخل أبها كما سيأتي ذلك مفصلا .

لقد أشرنا قبل إلى الخطاب الذي وصل إلى الإدريسي من الإمام يحيى - وأن الإدريسي قال لسليمان شفيق - متصرف أبها - أثناء اجتماعه به في صيبا - أنه وصلته رسالة من الإمام يحيى يدعوه للاتفاق معه على الدولة الخ ..

وأنه طلب منه مدفعين مقابل أن يكتب للإمام يحيى بالعلول عن فكرته ، وإنما سليمان شفيق لم يصدق الإدريسي واعتبر قول الإدريسي أنه من باب الخداع للحصول على المدفعين ثم يكتب للإمام بأن الدولة أعطته مدفعين لمحاربته وأنه استلم المدفعين ولم يوافق على حربه .

والحقيقة أن العداء كان مستحكماً بين الإمام يحيى والإدريسي - راجع الفصل المعنون بين الإدريسي والإمام يحيى - ويظهر أن قول الإدريسي أقرب إلى الحقيقة ، لأن الأحداث أثبتت أن الإمام يحيى بعد ذلك قام بثورته - كما هو معروف - فاضطرت الدولة إلى إرسال الفريق عزت باشا لإبرام صلح مع الإمام وتمت الاتفاقية المعروفة باتفاقية (دوعان) ثم اتفق مع الأتراك ضد الإدريسي ، بل واشترك معهم في حربه - كما سيأتي .

حملة شريف مكة لفك حصار أبا :

كان الحسين بن علي صاحب مطاعم سياسية أخذ في محاولة تحقيقها من عالم الفكر إلى عالم الواقع منذ عاد من الأستانة أميراً على الحجاز ، فجهز حملة إلى نجد قادها بنفسه وبذل الأموال الجزيلة ، وإنما اضطر إلى العودة - كما هو معروف وذلك في سنة ١٩٠٩ الموافق أول سنة ١٣٢٨ هـ بعد ما حقق بعض ما ظنه فوزاً .

ومطامع الإنسان إذا بدأ في محاولة تحقيقها ، لا تقف عند حد ، فقد راح يحاول مد نفوذه في عسير إلا أنه اصطدم بصلف المتصرف الجديد « سليمان شفيق » الذي كان بحكم تركيبته المغالية لا يحب بروز أي شخصية عربية ، وفي نظره أنه إذا اصطفت الدولة شخصاً عربياً وولته ولاية فعليه أن يحصر فكره وتفكيره ونشاطه في منطقته ، وأن يكون تركيزه الميول والسياسة .

وقامت ثورة الإدريسي في تهامة عسير وتمادى نشاطه السياسي إلى بوادي الحجاز إلى قرب الليث بل وبعض الدعاة وصل إلى مكة ، فقد أخبرنا الشيخ السلفي محمد حسين نصيف في أحد زياراتي له في جدة أن رجال

الحسين قبضوا على المبشرين بثورة الإدريسي في بوادي مكة وتم سجنهم ثم أبعدهم ، كما أن بعض دعااته وصل إلى جهة غامد وزهران ووفد إليه منهم وفد عاهدوه على السمع والطاعة - على ما تقدم ذكره في هذا الكتاب .

وعندما قوي نفوذ الإدريسي ووفد إليه مشايخ تلك الجهات ومنهم شيوخ بني شهر ومنهم سعيد بن فايز العسيلي ، وشبيلي وشيوخ الخوارة وبوادي « حلي بن يعقوب » وقبائل بوادي القنفذة ، وفي القسم الجبلي زاره وعاهده أيضاً مع بني شهر مشايخ بالأحمر وبالأسمر وبالقرن وقحطان وشهران وجميع مشايخ عسير فضلاً عن شيوخ تهامة ، وهنا شعر الحسين بن علي بما يهدد نفوذه ويهدد طموحه ويحد من مطامعه بل وشعر بتطلع الإدريسي لغزو الحجاز نفسه .

وجاء حصار أبها القشة التي قصمت ظهر البعير ، فغنمها الحسين فرفع للدولة يعرض عليها خدمته في فك حصار أبها ، وهو في ذلك يحقق عدة أهداف خاصة منها :

١ - البروز على قمة الأحداث في المجالين التركي والعربي ، وبروزه كبطل فك الحصار المضروب منذ سبعة أشهر على مدينة أبها وحمايتها التركية وتحرير عسير عامة من النفوذ الإدريسي .

٢ - نجاحه كزعيم يعترف به عسير علاوة على زعامته التقليدية في الحجاز

٣ - الاستفادة من الأموال والذخائر التي ستصله من الدولة لتحقيق طموحاته المرتقبة .

٤ - القضاء على الإدريسي الذي أصبح المنافس البارز له في عسير والحجاز الأعلى .

١ - ظهوره على صفحات الجرائد التركية والامبراطورية العثمانية التي تغطي أخبار تلك الحملة في شيء من الحماس والتباهي الذي يستلزمه انتصار الحملة على أحد الخارجين على الدولة مع كثير من التهويل والمبالغة .

٢ - ما يؤمله من نقل صدى تلك الأخبار إلى الصحف الأوروبية المهتمة بأحداث الدولة العثمانية خاصة وما تتطلع إليه من أخبار البلاد العربية على وجه العموم وشبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص لتحقيق مطامعها الاستعمارية المبيتة .

تقدم الحسين بجيشه من مكة المكرمة فوصل يوم الخميس الموافق جمادى الأولى سنة ١٣٢٩ هـ وضرب معسكره في موضع يسمى (أم الجرم) على مسافة ساعة من بلدة القنفذة وبعد خمسة أيام من وصوله بل على وجه التحقيق في مساء الثلاثاء الموافق ١٠ جمادى الأولى بعث بسرية قوامها ثلاث مئة فارس وألف « هجان » فهاجمت القرية التي يقيم بها القائد الإدريسي (محمد ابن خرشان) وعادت إلى معسكرها .

وفي ليلة ١٨ جمادى الأولى تقدمت سرية من معسكر (أم الجرم) إلى وادي (ييه) وقبل أن تصل إلى هدفها قابلتها طليعة الجيش الإدريسي في وادي عجلان وبعد خسائر من الجانبين انتهت المعركة وعادت قوات أمير مكة إلى معسكرها .

إن تلك الغزوات كانت استطلاعية كما تقدم وتلاها غيرها استعداداً للمعركة الفاصلة .

كان الإدريسي - كما سبق أن أشرنا - قد استنھض قبائل المخلاف السليمانى من صامطة إلى البرك كما استنھض قبائل وادي حلي وقنا والبحر وجل من كان محاصراً أبها وكتب لقادة ومجاهدي القبائل المحاصرين لأبها بأن المحاصرين في داخل (أبها) هم في حكم الأموات فإن رأوا أن في الهجوم عليهم مشقة بأسباب تحصنهم فأبقوا عليهم مقدار ألفين لتعزيز الحصار ويكون عليهم عبد الرحمن بن ظافر ، ويكون ممن يثق بهم كربيعة رفيدة ، وبني هيف ... ثم إنكم وجيوش المسلمين تنزلون إلى محائل في جيش عظيم . الخ مما هو موضح في موضعه .

أخذ الطرفان يستعدان للمعركة الرئيسة ويتبادلان الغزوات الاستطلاعية لمعرفة مدى قوتها وقلة سلاحهما وقوة معنوياتهما .

وفي يوم الإثنين الموافق ٣٠ جمادى الأولى ١١٢٩ صلب الأمر من الحسين بن علي بالاستعداد للهجوم على الجيش الإدريسي في مركزه الرئيسي وكان الجيش يتمثل في القوات الآتية :

عدد

٢٧٠٠ الجيش النظامي التركي ومعه مدافع جبلية ٨ ومتروليوز ٢ .
٢٥٠٠ هجانة من البلوان العرب ومعهم عدد من الفرسان .
أما سليمان شفيق متصرف أبها فيقول بناء على إفادة قائم مقام القنفذة أن عدد الجيش :

١ - من الجنود النظامية سبع أوط ٢ - بطاريتان من المدافع وقوة من البلو .

وبعد سير مضني نزل ليلة الثلاثاء غرة جمادى الآخرة على بئر تسمى (أم الدبا) وقضى ليله ويومه ليث عيونه ويدرس الوضع وعند عودة عيونه اجتمع لديه المعلومات الآتية .

١ - أن الجيش الإدريسي لا يقل تعداده عن عشرة آلاف جندي .
٢ - إنه منتشر من أعلى الوادي وحوله بين أشجار الأثل والسمر والمرخ وهي مواقع حصينة نسبياً .

أمرت المدفعية التركية بإطلاق حممها في سرعة وتركيز ، حتى ظن أنهم مسحوا الغابة مسحاً ، فراجع الجيش الإدريسي إلى وادي (يبه) وهو يقاتل فتعقبهم الفرسان والهجانة ، حتى رابطوا في خطوطهم الجديدة في وادي يبه في غابة من حراج الأثل والأرك تمتد من أعلى الوادي إلى البحر .

سارت قوات أمير مكة على الترتيب التالي :

- | | |
|----------------|-------------------------------|
| { في الميمنة . | ١ - سار الطابور الأول . |
| | ٢ - سار الطابور الثاني . |
| | ٣ - الأتقال والمؤن والذخيرة . |
| | ٤ - الطابور الثالث . |

٥ - القوات المؤلفة من العربان في الميسرة .

٦ - قوة الهجانة والفرسان في الطليعة .

وكان الوقت بعد الزوال من يوم الأربعاء الموافق ٢ جمادى الآخرة وما هي إلا ساعة والجيش يوالي سيره إلا وقد عادت الطليعة منهزمة إلى ناحية البحر ويقتفيها جحيم من النيران المكثفة كأنما انشقت عنها الجحيم في لحظة ومصدرها خطوط الجيش الإدريسي المتخذ مواقعه في الحراج .

والتحم الجيشان في قتال ضار ، وتمكن الجيش التركي تحت حماية المدفعية من القيام بهجوم لاقتحام خطوط الجيش الإدريسي فقابلها بدوره بهجوم مضاد ردتهم إلى خلف مواقعهم الأولى . بينما انهزمت القوة المعاونة وظلت القوات النظامية في موقف حرج جداً قد أحدثت بها القوات الإدريسية تقريباً من كل جانب وبعد محاولة يائسة انتهت المعركة بإبادة الثلاثة الطوابير التركية ما عدا سبعين جندياً فقط نجحوا في الفرار .

ووصلت قوات نظامية على جناح السرعة من اليمن والحجاز - وكانت قد خرجت من الجهتين قبل ذلك . وانضمت إلى فلول القوات السابقة فألفت جميعها :

١ - ثلاثة طوابير نظامية قوام كل طابور ٨٥٠ جندي عن ٢٥٥٠ بقيادة زكي بك .

٢ - ثلاثة طوابير رديف ومجملها ١٢٠٠ بقيادة إسماعيل بك .

٣ - طابور يعرف باسم طابور اليمن بقيادة ضياء الدين بك .

٤ - القوات المعاونة من الخيالة والهجانة فهي نفسها - تقريباً -

وبعد أيام من الهزيمة السابقة تحركت القوات التركية والمعاونة من معسكرها في (أم الدبا) متقدمة على مواقع الجيش الإدريسي في وادي يبه - خطوطه الأولى - فأصلوهم ببوابل من النيران أوقفت تقدمهم واغتنم الجيش الإدريسي ، توقف الهجوم فقاموا بدورهم بهجوم مضاد جارف استمر ثلاث

ساعات فصمد لهم الجيش التركي بالرغم عما أصيب به من خسائر فادحة
وتضحيات جسيمة ٥

فحول الجيش الإدريسي هجومه على الميمنة التي لم تتمكن من إيقافه
إلا بعد كل جهد وتكبيده خسائر فادحة ٥

فحول هجومه على طابور اليمن الذي لم يستطع صد الهجوم إلا بعد أن
أمد ببعض القوات من الاحتياطي العام ، وكانت ليلة لم يذق الفريقان النوم
إلا غراراً ، وكان التفوق للجيش الإدريسي بقيادة حمود سرداب وابن خرشان
ومحمد طاهر .

وفي الصباح الباكر بعد أن أدى كل فريق صلاة الخائف فتح الجيش
التركي أفواه مدافعه على الحراج - التي يتركز بها الجيش الإدريسي في
شدة وتركيز حتى خُيِّلَ لهم أنهم مسحوا الحراج والغابة مسحاً بنيران المدفعية .
وبالرغم من حجم تلك النيران ، وإذا هم يشاهدون ميسرة الجيش
الإدريسي تتقدم تحت أعلامها الخفاقة بقيادة الشيخ بيطري (١) ، وبعد
خروجها من الغابة إلى أرض براح هاجمتها من ناحية البحر وركزت عليها
المدفعية بنيرانها فانهزمت متراجعة إلى الحراج وتقدم وراءها الأمير لاي زكي
بك وورائهما الجيش والهجانة حتى وصلوهم أطراف الحراج ٥

وهناك هب الجيش الإدريسي الاحتياطي الرابض وراء الآكام والحراج
ليس عليهم إلا المآزر يتمنطقون عليها بأحزمة الفشلك وفي أوسطهم الخناجر
الطويلة وأطلقوا دفعة واحدة نيران بنادقهم ثم استلوا خناجرهم واندفعوا
على عدوهم بالسلاح الأبيض ولم يتراجع إلا بعد تفهقر عدوهم مسافة كبيرة
وركزت عليهم المدافع نيرانها فراجعوا إلى خطوطهم ، ورابطوا فيها .

وتقدمت الميمنة والقلب من الحراج والآكام في هجوم ضار أحدث
فجوة في ميمنة الأتراك والقلب والميسرة فاضطربت صفوف الجيش التركي
وبعد كل جهد وتضحية سدت الفجوة فحول الجيش الإدريسي هجومه

(١) من مشايخ قبائل « حل بن يعقوب الكنانين » ومن انصار الإدريسي المخلصين .

على بقية القوات النظامية والهجانة فكانت ملحمة من أفزع ما شهدتها تلك الحرب وفيها هم على قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة الحقيقية فإذا بالمؤخرة وطابور اليمن يسرعان لنجدتهم وينتشرون على طول الميدان ثم صاح صائحه بالهجوم فسعرت حمية الباقين واستمرت المعركة إلى العصر فانسحب الجيش الإدريسي متراجماً بعد أن مني الجيش التركي من الخسائر بأربعة آلاف وتسعمائة وعشرين قتيلًا يضاف إليهم ضحايا وباء الكوليرا ٣٧٣ فيكون المجموع ٥٣٠٠ .

ولم يبق من الجيش التركي الذي اشترك في المعركة الأخيرة والبالغ مجموعه سبعة آلاف ، إلا ألف وسبعمائة جندي ، فرأى أمير مكة وقائد الحملة أن شق الطريق إلى صيبا يحتاج إلى حملة أكبر وجيش واستعدادات أعظم وأكثر عشر أضعاف حملته ، فإذا كان ضحايا معركة جانبية أولية بلغ خسائرها من الأتراك نحو خمسة آلاف وثلاثمائة ولنفرض أنه قتل من الهجانة والفرسان والرجالة ٥٠٠ فكيف ولم تكون خسائر المعارك الضارية في الموطن العتيد للثورة والغيل الأشب للحركة والذي يبعد ثمان مراحل عن القوز (١) .

ولهذا رأي أن يصرف النظر ويعدل نهائياً عن التحرك لصيبا ويصعد نحو الجبال من عسير فضم إلى الألف والسبعمائة الناجين من الجيش التركي من الاحتياطي وما وصله من الإمدادات ما يكمل أربعة آلاف وثمانمائة مع ألفين - تقريباً - من العربان وذلك يوم ١٠/٦/١٣٢٩ .

ومع ذلك فقد ظلت المعارك تلور بينهم وبين أنصار الإدريسي وتعترض سبيلهم في وادي مشرف وفي (ربع الحجاية) و (سهول) وغيرها وهو يشق طريقه شقاً في بلاد لا تزال تائرة على الأتراك حتى وصل .

وفي وادي (بارق) التحم القتال بينهم وبين قبائل تلك الجهة حتى تمكنوا

(١) اسم « القوز » بالقاف وسكون الواو ، وآخره زاي هو في جهة القنفذة وحل ، ويطلق عليه - أيضاً - اسم « قوز أبي العير » وهو غير « القوز » الذي يضاف إلى « الجعافرة » فيقال له « قوز الجعافرة » .

من شق طريقهم إلى عقبة بيحان فصادفوا ابن دليم بعد انسحابه من عقبة (دهما) مرابطاً لهم فيها واشتبك معهم في قتال دام عشر ساعات .

وفي (عقبة صبح) دار القتال ساعتين وشق طريقه إلى عقبة الدرجة فاعترضته قوات من القبائل بقيادة عبد الرحمن بن ظافر ومحمد بن دليم وشيخ شهران (من مشيط) وشيوخ رجال ألمع وبعد معركة حامية انهزم المدافعون .

وعندما علم مصطفى النعمي بوصولهم «شعار» عرف أن لا فائدة من المقاومة فانسحبت بقية قواته عن حصار أبها إلى جهة تهامة فوصل الحسين إلى أبها يوم السبت الموافق ١٩ رجب ١٣٢٩ هـ .

كانت تلغرافات سليمان شفيق إلى الأستانة تحث على الإسراع إلى نجدة بفلك الحصار عنه وعن الحامية التركية في أبها .

وكان يقترح أن ترسل قوة إلى جازان لتضرب الإدريسي في قاعدة ثورته صبيبا نفسها في حال أن الدولة تعرف أكثر من صعوبة لتحقيق ذلك :

١ — أولاً لمشاغل الدولة بمشاكل أهم — في نظرها — عن قضية الإدريسي

٢ — أن القضاء على حركته تحتاج إلى قوات كبيرة لا تتأني للدولة في ذلك الوقت .

كان متصرف عسير يرى أن تكون الحملة التي يقترح إرسالها إلى جازان مزودة بما يأتي :

١ — آلة تقطير للمياه — لأن جازان تبعد عن مورد مياهها بخمسة أكيال وهي احساء يمكن ردمها من قبل المغير بسهولة .

٢ — أن تكون المستشفيات ومستودعات المؤن محمولة على السفن .

٣ — لما كانت المسافة بين صبيبا وجازان ٣٥ كيلا في أرض بين

سبخة^(١) ملساء ورممل متساوية ومسطحة فإنه يقترح أن تكون الحملة مزودة بسيارات مدرعة وحاملة جنود لفرقة كاملة .

وفاته أن الموضوع هو ليس شخص الإدريسي نفسه بل القبائل التي عرف كيف يستولى على قلوبها ويتغلغل في وجدانها وهي مستعدة للقتال في سبيله على كل شبر من المنطقة من حرض جنوبا إلى حلي شمالا هذا في منطقة جازان ، أما في تهامة عسير نفسها فالقبائل هناك يساوون القبائل هنا في الولاء ويفوقون في حب الإدريسي وموالاته .

إعلان إيطاليا الحرب :

أعلنت إيطاليا الحرب الطرابلسية التركية وذلك في ٢٩ سبتمبر ١٩١١ م سنة ١٣٢٩ هـ فأحضر متصرف عسير مشايخ جبال عسير وقام فيهم خطيبا ومما قاله لهم :

(إن الإيطاليين أعلنوا الحرب على الدولة ، واعتدوا على مقاطعة طرابلس الغرب التي هي من البلاد العربية ، وتعلمون أن لإيطاليا تجاه بلاد عسير ميناء اسمها مصوع ، لهذا ينبغي أن نستعد نحن هنا للدفع غارات الإيطاليين فهل تعاهدوني بأن نشترك في الدفاع ونكون يداً واحدة فأجابوا : نعم ثم استأنف خطبته .

تعلمون أنكم جزء قليل من مشايخ عسير ، وليس بينكم أحد من مشايخ تهامة وأن قبائل (آل موسى) وقنا والبحر ، ورجال الملع ، وصبيا ، وأبي عريش لايزالون معادين للدولة ، وموالين للإدريسي ، فاذاً التهاميون خارج ميثاقنا فلا فائدة من هذا البناء الذي نزمع اتخاذه للدفاع . وأرى — إذا وافقتم — أن أكتب للإدريسي بما تم بيننا ، وأدعوه أن تتناسى الخلاف

(١) كانت طريق جازان — صبيا هي غير الطريق الحالية فهي تتجه من جازان شمالا في السبخة إلى « المنجارية » ثم حرال « البيبان — في السبخة أيضاً » إلى قرب كتيان « هاله » والحمص — فالسلام ، سلام الطمحة ، فروان الطمحة — فشرق قرية الباطنه ، ف « الغراء — ف — عقم يعلول ، متحف آخر العروج اليمانية القريبة من صبيا على مسيل الوادي ف — صبيا — راجع كتابنا المعجم الجغرافي الطبعة الثانية ص ٢٤١ .

الذي بيننا وأن نكون يداً واحدة في الدفاع للإيطاليين ، وماذا ترون لو رفض الإدريسي فأجابوا : إنه لا يرفض .

فأمر بتحرير رسالة بما قد جرى للإدريسي وما تم في الجلسة ورفع بالواقع إلى وزارة الحرية والداخلية وطلب الإذن بالاتفاق بالإدريسي .

بعد عشرين يوماً تلقى رد الإدريسي كتابياً ، معرباً عن سروره بالاقترح وأنه أرسل وفداً إليه مؤلفاً من محمد يحيى باضهي ، وأشخاص آخرين .

وقد وصل وفد الإدريسي إلى رجال ألمع وكتب رئيس الوفد سليمان شفيق يشعره باستعداده للتفاهم في أمر الصلح ، وأنه وصل الشعبين بأمر الإدريسي لهذه المهمة مع زملائه .

وبدلاً من أن يحضر سليمان شفيق للمفاوضة إلى الشعبين القريبة من أبها أو لإرسال مندوبين عنه للتفاوض ، بعث شخصاً إلى الشعبين ليستدعى الوفد الإدريسي للحضور إليه في أبها .

والموضوع في رأي سليمان شفيق أنه يمثل الحكومة التركية ، وأن الإدريسي لا يعد واحداً من رعايا الدولة وأصبح ثائراً فعليه أن يعرب أن قبوله اقترح سليمان بأن يرسل وفده إليه في أبها كبرهان على الطاعة واعترافاً بمركز الحكومة .

والإدريسي يرى بدوره أنه رجل قد اعترفت به الدولة التركية نفسها كزعيم مستقل إدارياً في تهامة عسير وقد كسب جولات في ميداني السياسة والحرب ، ووفودها تصل إليه من الأستانة لمفاوضته وأنه استجاب لاقتراح متصرف عسير كبرهان منه على حسن النية في هذا الوقت فأرسل وفداً إلى بلاد الشعبين ، قطع مسافات خمسة أيام تقريباً ، وليس بين أبها والشعبين إلا أقل من يوم واحد فكان الأجدر به أن يقابل الوفد أو يرسل وفداً من قبله للتفاوض مع وفد الإدريسي .

عاد الشخص إلى سليمان شفيق يحمل جواباً كتابياً من مندوب الإدريسي

يعتذر من الوصول إلى أبها بأسباب انحراف صحته وعدم قدرته على تحمل برد « أبها » ، لذلك يرجو منه أن يتفضل بالنزول إلى « الشعبين » ، أو مكان وسط بين (أبها) والشعبين .

فأجابه سليمان شفيق بعدم استطاعته مفارقة مركز الحكومة ، يرجوه أن يحضر هو إلى « أبها » فاعتذر مندوب الإدريسي عن الطلوع إلى أبها .

وعلق سليمان شفيق على هذا الأخذ والرد بينه وبين مندوب الإدريسي بما يأتي

(فلما عاد رسولي إلى « أبها » تأكدت منه أن مندوب الإدريسي ليس مريضاً ولكنه يتحاشى الوصول إلى جبال عسير ، لئلا يظن الأهالي ، أن الإدريسي طلب الدخلة من الحكومة - أي الالتجاء إليها - وفي الواقع أنا أيضاً امتنعت عن النزول إلى رجال ألمع لئلا يكون في ذلك زيادة نفوذ للإدريسي في نظر الأهالي) .

في تلك الأثناء وصل جواب وزارة الحربية عن مارفعه قبلاً .

(ج) نؤكد لكم ما كتبناه سابقاً وهو ينبغي لكم أن تستفيدوا من النفوذ الأدبي والشخصي للدولة أمير مكة للتعويض عن بعض معاونته التي لا يمكن انفاذها الآن بسبب المشكلات الحاضرة ، وأن تحسنوا المحافظة على الحالة الحاضرة في بلاد عسير إلى أن يحل الوقت المناسب .

ان الوزارة تعترف بخدمتكم وبمساعيكم للمحافظة على السيادة العثمانية والشرف العسكري بحمية . ولما كان من الضروري أيضاً الاستفادة من نفوذ دولة أمير مكة في هذا الباب .

أما توقيف أمير مكة لبعض أشخاص من أهالي (رجال ألمع) وحجزه إياهم في مكة بصفة رهينة ، فان الباب العالي استصوب ما أوجبه الحال في ذلك .

أما تجهيز الحملة على صيبيا فتوقف على فتح طريق البحر ، ومادام

أسطول العدو نشيطاً كما هي الحال الآن فسوق القوات العسكرية إليكم
لاتؤمن من مغبته .

ومع ذلك فإن عزت باشا يقوم بمساعي سرية للدعوة الإدريسي إلى
الاستانة وبما أن هذه الحالة هي من نتائج الموقف الحاضر الناشئ عن الحرب
الإيطالية فإن الأمل برؤيتكم أن تحسنوا المحافظة على الموقف الحاضر ، مع
انتهاز الفرص إلى أن تنتهي الحرب .

وزير الخريسة

ويقول سليمان شفيق معترداً لنفسه عن موقفه من وفد الإدريسي أنه فهم
من (تلغراف) الوزارة أنها تحيطه بشأن التدابير المتخذة لاستدعاء الإدريسي
إلى الاستانة ، وأن من هو في مثل مركزه لا يخول له بحسب قوانين الدولة
أن يفاوض بلا استئذان رجلاً مثل الإدريسي يتولى زعامة ثورة على الدولة
لهذا اتخذ ذريعة من تمنع مندوب الإدريسي إلى أبها وكتب له أنه إذا لم
يخضر إلى أبها فلا سبيل إلى إجراء المفاوضة وعلى أثر ذلك عاد مندوب
الإدريسي إلى صيبيا . وأنه في نفس الوقت استفاد من تلك الفرصة من الهدوء
والهدنة فجلب المؤن والعتاد من ميناء القنفذة إلى (أبها) .

خطاب من الإدريسي إلى الإمام يحيى منشور في جريدة « الأهرام » :
من محمد بن علي بن إدريس إلى الإمام يحيى . . « وان مسألة الاتفاق
مع الحكومة لم تكن نحن غير راغبين فيها ولا كنا كلما اقتربنا نحو الاتفاق ،
تعتمد الحكومة إليه تفسده . لقد بدأنا المذاكرة معهم أربع مرات وفي كل
مرة نبدي نحن الملاينة ، والميل إلى الوفاق ، فلا يةابلوننا إلا بالكبرياء
والجبروت والتحقير .

كانت مطالبنا منهم في غاية البساطة ، والذي يسمع تفصيل هذه المطالب
لايتالك من الضحك لبساطتها ، حتى أنها لانتحق أن تسمى مطالب على
أي وجه قلبناها .

١ - في المرة الأولى جاءنا الخواجة^(١) توفيق ، فكانت مطالبنا منه في غاية البساطة ويومئذ لم نطلب منهم استقلالاً ، ولا شيئاً من هذا القبيل ، وإنما قلنا لهم أن الأراضي تكون للحكومة وجميع الواردات تعطي للحكومة ورواتب الموظفين تصرف من قبل الحكومة وغاية ما طلبناه هو :

١ - أن يكون لي الحق في دعوة الأهالي إلى أحكام الشرع .

٢ - أن أقوم بوظيفة تبليغ الناس أوامر ربهم .

٣ - أن يبقى التعامل في جازان على ما كان عليه من قبل .

٤ - أن تكف يد أمير مكة ، وصالح بن حسن عن التدخل في شؤون حجاج عسير .

٥ - أن لا تزداد القوة هنا عن مقدارها المعتاد .

ووعدناهم فوق ذلك بالسعي لعقد اتفاق بينهم وبينكم .

وإنما كانت مطالبنا يومئذ بسيطة إلى هذا الحد لأنه لم يكن حتى ذلك الحين قد سفكت بيننا الدماء ، ولكنها بالرغم من بساطة مطالبنا قابلونا بالشدة والجبروت فساقوا علينا الحملات العسكرية الكبرى بقيادة محمد علي باشا ، ومحمد راغب بك ، فامتلاً جازان بألوف العساكر ، وأعلن :

١ - أن حجاج عسير تابعون للشريف حسين بن عون .

٢ - القوا القبض على رجال بلاد عسير وأودعهم السجون .

٣ - طالبوا الحجاج الذين عندنا ليسجنوهم .

ولما وصلت القوات العمومية كلها أمرونا بأن نفتح لهم الطريق التي يصلون بها إلى بلادنا . إننا لم نحتمل كل هذا فقررنا أن ندافع عن أنفسنا ، وقد انتهت أعمالهم أخيراً بانتصارنا المعلوم .

(١) هو : توفيق الأرثوذكسي شيخ الطريقة الأحمدية الإدرسية في « الأستانة » راجع ما تقدم عنه .

وفي المرة الثانية أنتم توسطتم بيننا فقلنا حسناً جداً ووافقنا على اقتراحكم ولكننا وصلنا إلى النقطة التي يستحيل تنفيذها ، وهي أنهم علّقوا الاتفاق على سفرنا إلى الأستانة .

وقد فهمت يومئذ أن عملهم كان محاولة فقط ، والدليل على ذلك أنكم استأنفتم السعي وكررتم المراجعة بعد رجوع عزيز بك إلى مصر ، فكنتم تحاولون عبثاً .

وبعد ذلك جهزوا علينا حملة مؤلفة من تسعة وثلاثين (أورطة) عسكرية وساروا علينا بها فكنا مظهرًا لعون الباري والصون الصمداني .

وفي المرة الثالثة توسط بيننا وبينهم الشراعي^(١) باشا وبعض الاخوان فوافقنا على توسطهم بيننا ولكن الدولة قابلت ذلك بالسكوت .

وفي المرة الرابعة اقترح علينا المفاوضة في الصلح سليمان باشا متصرف عسير .

وذلك أنه لما وقع الاعتداء الإيطالي كتب إلينا يدعونا فيه إلى الاتفاق وترك الشقاق وأن نكون يدًا واحدة كالاخوان ، فقلت على الرأس والعين ، وأوفدنا من يجتمع به ويفاوضه ووصل الرجل الذي اعتمدناه ، إلى مكان قريب من معسكرهم ودعي سليمان باشا للاجتماع والمفاوضة معه ، فكان سليمان باشا يماطل في الأمر أياما ، اختلس فيها الوقت لتوريد المؤن والنقود إليه فانقذ نفسه وقوته العسكرية من الحالة السيئة التي وصل إليها .

وبعد أن استغنى بما استورده قلب لنا ظهر المحن ، وتظاهر بالعظمة وأجاب رسولنا جواباً لا يليق به ، وأخذ يجهز الأورط العسكرية التي معه . فلما شاهد معتمدنا هذه الأحوال لم يجد أمامه ما يفعله إلا الرجوع إلينا ، من ذلك كله فإننا لما علمنا بما يفعله الإيطاليون من البطش والشد توقفنا عن كل عمل ، ولم نشأ أن نقوم بأية حركة ، وكتبنا إلى كتيتهم الموجودة في (ميدي) نقول لهم إذا كنتم في حاجة إلى شيء فاخبرونا .

(١) « الشراعي » هو الزعيم أحمد الشراعي باشا من زعماء تهامة اليمن وحاكم مدينة الحديدة .

وبينما نحن كذلك مر محمد علي باشا من القنفذة ، وباليته حصر أعماله في شؤنه العسكرية بل بادر هو إلى إحراق جميع^(١) منازل السادة والعلماء التي مر بها . ولما وصل إلى جازان لم يجد مكاناً يختاره ليكون مستشفى غير المسجد إن هذه الأعمال قد حملتنا على أن نجهز لهم قوات عظيمة سقناها إلى هناك لقد حاولنا في كل مرة أن نعقد اتفاقاً ، ولكننا لم نجد من يمد لنا يد الاتفاق .



الحملة الثانية إلى جازان :

إن فشل الحملة الأولى والهزيمة الساحقة التي منيت بها في طريقها لمورد الماء لمدينة جازان (الحفائر) أفقدت الحكومة التركية هيبتها بين القبائل في المنطقة ورفعت معنوياتهم القتالية واشتد تعلقهم بالإدريسي الذي لأول مرة منذ احتلوا الأتراك المنطقة تمكنوا بفضل الله ثم بفضل حكمة قيادته بالانتصار الخارق على الجيش التركي .

فأرادت الدولة أن تستعيد مكانتها وترفع سمعتها وتوطد مركزها فصدر الأمر إلى قائد القوات اللواء محمد علي باشا - الذي كان قد عين والياً لليمن وقائداً لجيش لمحاربة الإمام يحيى ثم عدل عن ذلك قبل أن يتسلم مركز الولاية وظل في الحديدة مع قواته التي بعث منها قسماً بقيادة محمد راغب بك وهزمت وصحقت ولما تم الاتفاق بين عزت باشا المفاوض والقائد العام في اليمن بقي ولا مهمة لتلك القوات إلا انتظار الموافقة والتصديق من الأستانة على تلك الاتفاقية ثم الأمر بما تراه حول وجهتها .

فصدر إليه الأمر بقيادة قوات الحملة بنفسه وحملت قواته معه بحراً من ميناء الحديدة إلى ميناء جازان على :

١ - النقالة العثمانية الكبرى (البحر الأبيض) .

٢ - عدد من البواخر التركية وغيرها .

(١) يشير إلى اشتراك بعض قوات محمد علي باشا مع قوة فيصل بن الحسين في إحراق بيت مصطفى النعمي وغيره في بلدة « قنا البحر » - راجع ص ١١٥ من هذا الجزء .

مزودين بمقادير عظيمة من الذخائر والمؤن والمعدات الحربية ، وصلت جازان وأنزلت تلك القوات الهائلة وأخذت مواقعها واستنفر الإدريسي القبائل فأحذقت بجازان إحداق السوار بالمعصم وظل يستقي وجيشه الماء من آلة التقطير بالبواخر .

ظل محمد علي باشا في جازان وفي أواخر عام ١٩١١ وصلته الأخبار بأن الأسطول الإيطالي مر حول مضيق جزيرة كمران في طريقه إلى جازان .

فحالاً انسحب بقواته وسفنه من جازان إلى فرسان ، على فكرة محاولة العودة إلى تهامة اليمن والمرابطة في إحدى موانئها حتى يتلقى أوامر وزارة الحربية . علم متصرف عسير بنجر انسحاب محمد علي وما عزم عليه فكتب له كتاباً مستعجلاً كالآتي :

ان القيادة العامة في اليمن — بعد اتفاقها الأخير مع الإمام يحيى لم تعد في حاجة إلى قوات أخرى تلحق بجيشها ، أما حامية القنفذة فإنها ضعيفة فيستحسن مجيئه مع قواته وسفنه إلى القنفذة لأن بقاءه في فرسان أو مسيره إلى تهامة اليمن مع وجود الأسطول الإيطالي يعرضه للأسر . وكان قد قام باحراق جميع الذخائر والمؤن والمعدات الثقيلة لأن انسحابه كان على عجل وشبت النيران فأحالت أفق جازان وما حولها إلى نهار ضاحٍ وظلت النيران ملتهبة من الضحى إلى قرب نصف الليل ، والإدريسي ورجاله وجيشه لا يعلمون ما هنالك حتى تسلل بعض القبائل مستطلعاً فوجدوا المعدات والمؤن قد أتت النار على أغلبها والجيش قد انسحب فاندفعت القبائل تنهب ماحول النيران فأرسل الإدريسي من رجاله من يجمع ما تبقى من الذخائر .

وصل محمد علي باشا وقواته وسفنه إلى القنفذة وتعبه الأسطول الإيطالي وضربها ضرباً مروعاً ودمر السفن جميعها ما عدا السفينة الكبيرة (البحر الأبيض) وسفينة صغيرة أخرى وكانت قد غادرت ميناء القنفذة .

وكان الجيش الإدريسي يهاجم القوات التركية برأ — كما سبق الإشارة إلى

ذلك - فيما تقدم - ومن ناحية أخرى بعث قاداته ودعائه إلى قبائل عسير وما ورائها .

وعندما علم متصرف عسير بوصوله إلى القنفذة أرسل قوة من لديه لاحتلال بلدة محائل الموقع الاستراتيجي بين عسير وميناء القنفذة وباحتلالها وضعت الترتيبات لتأمين المواصلات وأرسل إلى محمد علي باشا الذي قد وصلته الأوامر من مراجعه بالبقاء في عسير مع قواته العسكرية فتوجه إلى « محائل » يرافقه :

١ - خمسة أوط مشاه .

٢ - بطارية مدفعية جبلية .

٣ - أربعة مدافع رشاشة .

٤ - مدفعين صحراويين .

٥ - كمية كبيرة من الذخيرة .

وقد وصل محمد علي إلى محائل وأقام فيها مع قواته .

خطة الإدريسية لاسترداد محائل :

انسحبت القوات الإدريسية من محائل وتمركزت في (قنا البحر) ورفع بالواقع وصدر الأمر على قائده مصطفى النعمي بتجميع قواته في « قنا البحر » واستدعاء جميع رجال القبائل للحضور إليه ، كما أصدر أمره إلى كل من عرار النعمي في جهة بلاد قحطان وباقي القادة والدعاة في بني شهر وشهران وبارق والحواة وبالقرن وبلاسمر وبالأحمر بتكثيف نشاطهم وموالاته جهودهم .

كما بعث قائده الآخر محمد طاهر رضوان بأن يربط في جهة (حلي) انتظاراً لوصول الأسطول الإيطالي إلى مياه القنفذة حسب خطة التنسيق بين الإدريسي وإيطاليا . ثم تقدم إلى جهة القنفذة حسب خطة التنسيق ووصلت الأخبار إلى أنها بحركة التجمع في قنا البحر فأصدر أمره لقواته في محائل بالانسحاب الفوري إلى أباها .

إن الإدريسي متفق — كما وضعنا — مع إيطاليا على القيام بثورته في تلك الجهة على تركيا لتخفيف الضغط على جبهتها في طرابلس الغرب .

والآن وقد أعلنت الحرب على تركيا وضرب أسطولها المواني التركية وبالأخص ما كان على شواطئ البحر الأحمر وضربت نطاق الحصار عليها فقد تنفس الإدريسي الصعداء وأمكنه استقبال السلاح والذخيرة بدون مضايقة من الأتراك ، وبذلك زاد نشاطه السياسي والحربي وامتد إلى الجبال الشرقية إلى قرب (هجرة فلله) وجهات صعدة كما رفع نشاطه في تهامة اليمن .

كان لتحركات الأسطول الإيطالي ونشاطه الحربي خطره على المواني العثمانية في البحر الأحمر وضربه لمدينها الساحلية — كما وضعنا قبله ، وكان ضربه للقنفذة في ١٩١٢/٣/٠٠ وسببه وتلاه ضرب بقية المواني وفرضه الحصار البحري ما عدا المواني الإدريسية .

وعلى أثر ذلك رفع متصرف عسير البرقية الآتية إلى وزارتي الحربية والداخلية بتاريخ ١٩١٢/٥/٢٢ .

(علمت بأن بوادر الثورة ظهرت في « تمنية » و « قحطان » ، وأن الثوار أخذوا يتجمعون فصحبت قوة نظامية مؤلفة من ست أوط تآلف من ألفين ، ومعها قوة مساعدة من قبائل عسير الذين حول « أبها » مع شيوخهم ، فوصلت إلى « شعف » ومنها إلى عقبة تمنية المشرفة على وادي (ركان) ويصعد إليها من وسط مضيق ، وهي ترتفع عن سطح البحر ألفان وأربعمائة متر ، فسرت جنوباً إلى بني مالك بين غابة وصخور صماء في جبال شاذة ، ونشبت بيننا وبينهم في الصباح حرب دامت أربع ساعات إلى أن تغلبنا عليهم بمساعدة القبائل المنضمة إلينا فاحتلينا القرى ، وفي اليوم الثاني نشبت معركة أخرى بيننا وبين الثوار في سفوح تهامة فشتتناهم) .

(ورجائي عظيم أننا متى انتهينا من هذه الجهة ستمكن بمساعدة القبائل التي يتوالى انضمامها من تدمير المتمردين الموجودين في عبيدة وشهران ،

والقوز ، وبذلك نظمنا على مصير « أبها » ، ونملاً مخازننا بالمون من أموال الزكاة ثم نقصد (بلحمر) لنمتد منها إلى (بني شهر) تأميناً للمواصلات مع القنفذة و (الحجاز) من طريقي تهامة والجبيل .

إن من الواجب مكافأة الأشخاص الذين ما برحوا يخدمونا أحسن خدمة في الحرب التي استمرت منذ سنتين إلى الآن ، وقد قدمت للوزارة في العام الماضي عريضة مع سجل بأسمائهم فلم يردني جواب مما يدل على أنها ضاعت في الطريق . لهذا بادرت الآن بتقديم سجل آخر مع البريد راجياً تحقيق ما طلبته .

كنت اقترحت في السابق إبقاء أورطين أو ثلاث فقط في القنفذة ، وأن يأتينا ست أورط ومدافع ومهمات ، وملبوسات والتسعون ألف جنيه ، التي وعدتمونا بها ، فإذا جاءت من طريق الجبل فإن مصير عسير سيكون في طمانينة ، ولا نحتاج إلى معونة أحد ، ويمنع ذلك سريان روح الثورة نحو الشمال ، وإذا لم يحدث حادث جديد يبدل موقفنا الحاضر فإنه بوصول القوة التي ستحضر إلينا يمكننا أن نحل مسألة صيبا ، بشرط أن لا يكون جنود كل أورطة أقل من ثمانمائة جندي .

واني لأسباب كثيرة أقول : ان قيام الأمير فيصل بن الحسين بالإصلاحات التي هو قائم بها في القنفذة وضواحيها هو عمل لا بأس به (متصرف عسير وقائدها .

وفي أثناء رحلته التفقدية تلقى وهو في بلدة خميس مشيط رسالتان :

١ - إحداهما من عزت باشا القائد العام لجيوش اليمن .

٢ - والأخرى من قيادة فرقة الحجاز .

فأجاب على الرسالة بما نصه :

إلى القيادة العامة لجيوش اليمن في ١٧/٦/١٩١٢ - ١٠/١٣٣٠/١٣
منذ أيام أمركم المؤرخ ١٢/٤/١٩١٢ وقد تأخر وصوله إلى يدي حتى الآن بسبب بقائي مدة شهرين في أرض قحطان بمناسبة الحركة الأخيرة .

على كل حال ما عرضته على أنظاركم أولاً وآخر ألا زيادة فيه ولا نقصان وهو الحقيقة بعينها لم نقم بحركة ما على رجال ألمع في شهر فبراير ، ولم يهرب أهالي رجال ألمع من بلادهم ولا حدثت أية فوضى أو اختلال في نظام الجنود وطاعتهم .

والذي حدث يومئذ هو أن محمد علي باشا ، الذي كان موجوداً في محائل قام بحركة على (قنا) التي تبعد ست ساعات عن محائل ، وأخذ معه :

١ - الأمير لاي حيدر بك .

٢ - البكباشي زكي بك الشركسي .

٣ - البكباشي زكي بك الكردي .

وخمسة من جنود المشاة ، وبعض المدافع الرشاشة والرشاشات ، وقد أمضى ذلك دون أخذ رأي ، ولما اقترب من قرية « قنا » مركز القائد الإدريسي (مصطفى النعمي) وصار منها على مرمى المدفع ، هاجمه الثوار بمظاهرة بالسلح الأبيض ، فخاف منهم ، وقرر الرجوع بلا حرب فقال القواد الذين معه : إن الرجوع سيزيد الثائرين ضراوة وعتواً وجراً ، بحيث لا يستطيع الجيش البقاء في محائل نفسها ، فلم يصغ إلى نصائحهم ، وانسحب راجعاً إلى محائل تحت جناح الظلام ، ومن ذلك اليوم أصبح مصطفى النعمي ذا قوة وبأس وسطوة ، وزحف بالثوار إلى الأمام حتى نزل أمام بلدة محائل .

وسرت العلوى إلى قبائل رجال ألمع ، فثاروا بلسورهم ، وانقطعت الطرق وصار الثوار يغزون محائل ليلاً ..

(الأمر الذي أنا آسف له هو أن الحجاز تحاول مخادعة العاصمة قاتلة : إنها أمسكت رهائن من زعماء رجال ألمع ، وحلّفتهم بيمين الطاعة للدولة حتى صاروا مواليين لها .

ومن جهة ثانية تذهب الأخبار بأن قوة صغيرة استولت على رجال ألمع وهرب أهلها وأن الانتصار كاد يتم لولا عصيان الجند ، ويراد بهذه الأساطير

تصغير مسألة رجال ألمع وتأويل صراخنا بأنه ناشئ عن الجبن والوهم ، منعاً لقيام الدولة باستعداد جريء .

إن مسألة عسير ما برحت هكذا بخالط أمور الجدد فيها أعمال كاذبة فتخفي الحقائق عن الأنظار وبينما دولة أمير مكة ، عاجز عن إيصال البريد إلى عسير ينتحل لنفسه نفوذاً مادياً وأدبياً ليستفيد من وراء ذلك ، ويرسل العشرات من الرجال أمثال : . . . فيظهر بمظهر الموظفين ليسعى بواسطتهم إلى استمالة القبائل نحوه ، ونحن نتلقى الأوامر بأن نساعد هؤلاء المتشردين لأن هؤلاء الموظفين ، في أي منطقة استطاعوا أن يستميلوا أهلها ، أو يستطيعوا أن يستميلوهم .

هذه مناطق غامد - زهران - بني شهر - القنفذة . كل هذه المناطق في حالة ثورة لا يمكن مرور البريد في أراضيها ، وهذه مناطق محائل وصبيا ورجال ألمع كلها في أيدي الثائرين ، أما قاعدة البلاد التي نحن فيها فالذي نتصرف فيه منها لا يتجاوز مرمى مدافعنا ، وبناذقنا ، وعلى ذلك ينبغي القضاء على مثل تلك السفاسف والألاعيب .

(إن قسم الجبال في عسير هو روح عسير فما دامت الدولة موجودة فيه فعسير في يد الدولة وإذا أريد حركة مؤثرة على صبيا فأصلح مركز لها هو القسم الجبلي الذي ما دام هو في يدنا فإن ثورة الجنوب لا تسري في الشمال) انتهى .

أما رسالة قيادة الحجاز فقد جاء فيها :

(إنها لا يمكنها إرسال حبة واحدة إلى أبها عن طريق الجبال وتعهد متصرف عسير بفتح خط تموين بين القنفذة وأبها عبر محائل) .

وعلى أثر ذلك رفع متصرف عسير إلى وزارتي الحربية والداخلية الرسالة الآتية :

(لقد عرضت لكم أخيراً بالتفصيل أن الاستيلاء على « محائل » سهل ويمكن في كل وقت بالقوات الموجودة عندنا ، غير أنه من المستحيل

البقاء فيها ، وتأسيس خط تموين مع المحافظة في الوقت نفسه على القسم الجبلي من عسير .

إلى أن قال (إن شؤون عسير صار يتدخل فيها كل من شاء حتى أصبحت العوبة صبيان والأخبار التي تنشر عن وقوع انتصارات في « القوز » وغيرها كلها أكاذيب ، فالثوار الذين هاجموا القنفذة قد تفرقوا بوجه الصدفة بقوة « الرديف » « وقرعة ١٣٢٢ » اللتين ذهبتا إلى القنفذة متمردتين .

ومن ذلك اليوم انتقلت قوة الثائرين التي في جوار « القنفذة » إلى أنحاء « محائل » ، وجوار ألمع والقوة التي يقودها فيصل بك في القوز إذا كانت غير قادرة على ضرب رجال ألمع فلماذا هي هناك ولماذا أصبحت قواتنا الجديدة التي هناك معطلة عن العمل كما هي سائر قواتنا .

(إن من الواجب في الحالة الراهنة أن نحافظ على القنفذة فقط ، أما سائر القوات المهمة فيجب أن تأتي إلى (النماص) لأن المستقبل مظلم ، والنتيجة مشكوك فيها فلا مناص من الاجتماع في الجبل) .

إلى أن قال :

وإذا انتهت هذه الحركة بالنجاح - إن شاء الله - ووصلت إلينا الجنود والتقود فإن سلطة الدولة في عسير تبقى ونكون حائلين دون اتساع سلطة الإدريسي إلى الشمال - (الحجاز) -

(ومحاولة الاتفاق مع الإدريسي لا معنى لها غير توسيع دائرة الثورة إلى العراق وسوريا فهي سم قاتل ، وإن كان هناك ضرورة لتسليفي الأمر فلا أقل من التزام خطة التريث مع موافاتي بالمعلومات عن ذلك) انتهى .

الفصل الرابع

وصول فيصل بن الحسين

منذ أن طلع الحسين بن علي مشارف الجبال الشرقية عن القنفذة وهو يشق طريقه شاقاً بين جيش الإدريسي وقبائل تلك الجهات الموالية له ، راجع منشور الإدريسي فيما يأتي - ، أما بالنسبة إلى حلي فقد عاد الجيش الإدريسي واحتل مراكزه السابقة في تلك الجهات بعد رحيل الحسين مباشرة لذلك فإن الحسين بن علي بعد وصوله إليها لم يستطع الرجوع من الطريق نفسها إلى الحجاز وهي الأسهل ، فعاد مضطراً عن طريق بيشه الأصعب والأبعد .

(والقوز) بالنسبة إلى ذلك العهد موقع استراتيجي على طريق صيبا والحجاز والنفوذ الإدريسي قد امتد وانتشرت دعوته روحياً وسياسياً بين القبائل لا قبائل وادي فقط بل وقبائل القنفذة ودوقة والليث .

والإدريسي نفسه كان يطمح في القنفذة ليجعلها مركز انطلاق إلى ما بعدها لولا الحماية التركية المتمركزة والظرف الغير موافق ، حينئذ والحسين يعرف ذلك واعلان إيطاليا الحرب كثف نشاط الإدريسي الحربي حول القنفذة أولاً ثم يستأنف بعد ذلك نشاطه الروحي في الليث يتلوه نشاطه الحربي ، وصادف أنه بعد إعلان إيطاليا الحرب وضرب أسطولها في القنفذة رفع متصرف عسير إلى وزارة الحربية أن ترسل أورطين فصدر أمر الوزارة إلى قيادة الحجاز بإرسال تلك الأورطين فاغتنم الحسين أمير مكة الفرصة ورفع بأنه يرى بأن يرافق الأورطين قوة من العربان وأن يكون ذلك بقيادة ابنه فيصل بن الحسين ليتصدى للقوات الإدريسية .

فصدرت الموافقة ، وتقدم فيصل إلى القنفذة ، فوصلها ترافقه قوة مشتركة من النظام والعربان وأخذ في مكاتبة شيوخ بوادي القنفذة وحلي

وغيرها يستميلهم بالمهبات والعطايا والأمانى والوعود ، وفعلوا استطاع أن يستميل بعض شيوخ تلك القبائل مما أحدث شرخاً في جدار الدفاع الإدريسي ، تلاه بعض التصدع في الجبهة فتسلل منها إلى قوز بالعير الذين بعض رجال قبائله استلهم الإغراء الهاشمي وشعر الجيش الإدريسي بالخيانة من أهل القوز فدافع على حذر وهو يتراجع جنوباً ليكون خطوطه في أرض ثابتة وقبائل مخلصين .

ومن القوز كتب إلى متصرف أبها الرسالة الآتية :

من فيصل بن الحسين إلى جناب سعادة متصرف عسير .

(تلقيت بيد الاحترام والتكريم كتابكم المؤرخ ٢٢ نيسان سنة ١٣٢٨ الموافق ٥ مايو سنة ١٩١٢ المؤشر عليه بأنه كتاب خاص ، واني أشكر لكم على ما أعربتم عنه نحوي من المحبة والإخلاص في الشية .

(ولما علمت إمارة مكة المكرمة ، وقيادة الحجاز أن الأشقياء والإيطاليين سيقومون بحركة مشتركة على القنفذة أبلغت ذلك إلى وزارة الحربية ، وجعلت تحت قيادتي قوة لحماية القنفذة والدفاع عنها عند اللزوم ، ثم للاتحاد مع القوات النظامية متى ترد عن طريق الشام على عزم التقدم بها نحو الهدف المقصود بعد المداولة مع قيادتكم والاتفاق على خطة بشأن الحركات التي ينبغي القيام بها .

وإني أحمد الله تعالى على ما وفق إليه من دفع الأشقياء أولاً إلى منطقة « القنع » على أثر الهمم المتوالية التي أبرزها كل من أوسط الرديف والاستبدال القادم من محائل ، والقوات الموجودة في القنفذة ، وثانياً في المعارك الصغيرة المتعددة التي اشترك فيها داعيكم في أنحاء (حلي) و (الكفيرة) و (عمق) و (البرق) تشتت بذلك شمل الأشقياء وتطهر منهم كل الجهات المذكورة .

ورأى هذا العاجز فيما يتعلق بالتدابير التي ينبغي أن نتخاها لتقريرها هو ما يأتي :

إن الأمر المعلوم الذي تفضلتم ببيانه هو أن الخائن الإدريسي ؟
حصر آماله وبني خطته على انتهاء فرصة الحرب الإيطالية ليعسط سلطانه
على جميع سواحل عسير ، ويكون على صلة بالخارج حتى يعترف له العالم
بكيانه ، فإذا احتل القنفذة تمكن من الزحف إلى الحجاز ، وعلى ذلك فإن
من المستحيل أن أجلو عن موقع « القوز » لأهميتها العسكرية من جهة ،
ولأنها ملتقى الطرق الآتية إلى القنفذة :

من محائل ، ومن الجهة الجنوبية . وإن جلائي عن الموقع مخالف
للتعليمات التي تلقيناها من مكة .

(أما القيام بحركات متقابلة مع دولة عزت باشا لإنهاء مسألة صبيا
فهو ليس بالأمر العسير كما تظنون ، بل يمكن بعون الباري وعنايته أن يتم
هذا الأمر بقليل من الهممة .

وإذا تأخرت هذه الحركة الآن ، أو إذا لم تنته بالنجاح المأمول فإن من
الضرورى جداً - مهما كانت الحال - فتح الطريق بين أبها والقنفذة -
الذى يتم بالرجوع إلى احتلال محائل لأن به تتعطل الحركات الإدريسية نحو
الشمال ، وتعود المواصلات بين أبها والقنفذة وجدة .

أما مسألة تأمين المواصلات بين عسير والحجاز من طريق الجبال
الذى يمر بأبها وتنومة وبني شهر - شمران - بالحارث - غامد وزهران -
بني مالك - فهو طريق غير صالح لسير القوافل وفضلاً عن ذلك فإن القبائل
التي تسكن تلك المنطقة لم يكن لها علاقة قط بالحكومة منذ خمسة عشر عاماً ،
وما برحت في حالة من العصيان .

إن حمل هذه القبائل على الرضوخ للطاعة تأميناً لذلك الطريق لا يكون
إلا بعد زمن طويل باستخدام قوات عظيمة . زد على ذلك أن جمالة الحجاز
عاجزة عن نقل الأثقال في تلك الحزون الصعبة المسالك . وكل ما يمكن
لإمارة مكة وولاية الحجاز أن تفعله ، هو اتصال المؤن والمهمات إلى
عقيق غامد فقط ، فتضطر حكومة عسير إلى تدبير الجمال من جهتها لنقل
هذه الأشياء من عقيق غامد إلى أبها .

أنا على يقين من أن التدابير التي تقومون بها جنابكم في شؤون عسير تكون مصيبة كل الإصابة بالنظر إلى ما أنتم عليه من فرط الذكاء المسلم به والكفاءة المعلومة ، يضاف إلى ذلك تجارب أربع سنوات في هذه البقاع ، ومع ذلك فإن لكل إنسان فكراً مستقلاً واجتهاداً ينفرد به .

من هذا القبيل الآراء التي شعرت بالحاجة إلى بيانها آنفاً .

لا بد أنكم قدرتم درجة المخاطر ، وعظيم المهالك التي تحملناها في إيصال المبالغ التي أرسلت في الطريق الشرقي إلى أبها ، وأن والذي أخذ على عاتقه المسؤولية بحذافيرها وأرسل ألوف الجنيات إلى أبها ، فاجتازت قبائل مختلفة المشارب وهو لم يفعل ذلك لغرض أو في مقابل فائدة ، بل لمجرد الصداقة والإخلاص للدولة .

وعمله هذا دليل على أنه لم يصنع بأذنه إلى أي تسويل مبني على الغرض وكان في إمكان والذي أن يقتصر على الاشتغال بشؤون الحجاز التي هو مسؤول عنها ولكن لحميته الدينية والمالية نحو الإسلام ، والجامعة العثمانية مد يد العون لعسير .

وأي رجل من رجال الحكومة يأخذ على عاتقه عبئاً ثقيلاً كنقل عشرات الألوف من الجنيات بين قبائل مختلفة متوحشة إلى محل بعيد مسيرة خمسة عشر يوماً ، فأبي ضمير شريف يقول بأن رجلاً يقوم بهذه المهمة يكون في قلبه حب الخصومة للأشخاص الذين يساعدهم .

تقولون : أنكم تلقيتم من والذي جواباً قاسياً على كتاب أرسلتموه إليه وعلى ذلك قررتم قطع المخابرة معه ، ومما يبعث على العجب والحيرة أن رجلاً مثلكم من أصحاب الرأي يبدي رأياً يبين الواقع .

يا حضرة الباشا ، لو أن والذي يشعر نحوكم بالخصومة — كما تقولون — لكان لا ينبغي له أن يفكر في بلاد ليست مسؤولة منه ، ولا هي داخلة في دائرة وظيفته ولا يتحمل مسؤولية في اسعافها بالأموال اللازمة لها ، وأن عمله هذا برهان على أنه يسعى لخدمة هذه المملكة ولو لخدمة صغيرة

غير ناظر إلى شيء من الأمور الشخصية ، وفي سبيل الحصول على هذه الأمانة لا يمكن لأمرتنا أن ننسى الوظيفة المقدسة لأجل خدمة الآخرين وميولهم .

وصفوة القول : إنني أؤكد لكم بصورة قطعية أن والذي لم يكن في وقت مساء منكم .

وتقولون في كتابكم الكريم : إن الحكومة أمرتكم بأن تعملوا بالاتفاق مع والذي وأن ضميركم يعترف بأن والذي لما كان في أبها كان حريصاً - قبل كل شيء - على العمل معكم باتفاق . غير أن الاقتراحات التي كان يقترحها في هذا الباب كان يحملكم الوهم على تلقيها تلقياً سيئاً ، وكان ديدنكم دائماً القول بأن القوائد المستقل في حكومتنا الدستورية لا يتنازل عن شرفه ومكانته وكنتم بقولكم هذا تناقضون ما تأمر به الحكومة المركزية من العمل باتفاق ، وكان ذلك سبباً لتأخير مشاكل عسير سنة أخرى بعد أن كان ممكناً حلها في السنة الماضية ، فأدى ذلك إلى تضحية عدد عظيم من أبناء الأمة العثمانية وخسارات مقادير من المال ، ومواجهتنا للمشاكل العسكرية .

ان الأورط المنتظرة مجيئها لم نعلم من أي فيلق هي ، واني أعرض ذلك ملتسماً قبول فائق احتراماتي .

نجل أمير مكة : فيصل

أخذ فيصل كما أسلفت يستميل القبائل التابعة للإدريسي رغبة في التغلغل في أراضي القبائل التابعة للإدريسي ، وأن يغزو معقل ومركز القائد الإدريسي (مصطفى النعمي) في « قنا والبحر » فقدم إلى مركز محائل حيث معسكر محمد علي باشا والتي تبعد عن (قنا والبحر) بـ ٣٥ كيلا وفعلا تقدم جيشه مع بعض جنود محمد علي وهاجموا على حين غرة بلدة قنا والبحر وأحرقوا بيت مصطفى النعمي ، إلا أنهم اضطروا تحت وطأة هجوم مضاد إلى الانسحاب السريع والقبائل تطاردتهم إلى أن احتموا ببلدة محائل ،

ويظهر أن الدرس الذي تلقاه كان صعباً فانسحب من محائل إلى جهة القنع والقوز .

رحلة سليمان شفيق التفقدية :

أشرنا قبلُ - إلى البرقية التي رفعها سليمان شفيق إلى وزارتي الحربية والداخلية ، المتضمنة قيامه بتلك الرحلة أو بالأصح الحملة والقوات التي ترافقه من الجيش النظامي ومن القوات المساعدة .

وما قام به من مناوشات وقاتل في تمنية وقحطان وفي أثناء تلك الجولة وصلته رسالة من محمد علي باشا سوف نوردها .

لقد وصل إلى (تَمَنِيَّة) في (شعاف) وانتهت حركته بالاستيلاء على القرية ومنها صار إلى (آل مجزع) ونزل في قريتهم وكتب منها رسالة إلى شيخ مشايخ (تمنية) حمود وطلب مقابلته فاعتذر .

وفي صباح الليلة التالية لوصوله إلى (آل مجزع) استولى على (المضيق) وقد بقي في (تمنية) أكثر من عشرين يوماً يكتب القبائل ثم رحل منها إلى (آل أمينفع) وبعد أن لبث فيهم ثلاثة أيام توجه بعدها إلى (ربيعة اليمن) وفي أثناء وجوده في ربيعة وصلته رسالة من محمد علي باشا الموجود في أنها بأنه وصل إلى علمه بأن قبائل رجال ألمع يقصدون السير من طريق (محائل) إلى وادي تَيَّْة متجهين إلى « شعار » بالهجوم على أنها ويطلب عودته إليها بسرعة فاجابه يخبره بخط سيره وأنه سيكون في شعار بعد خمس أيام أو ستة ۞

وصار من وقته إلى (زعي) ومنها قصد (شهران) فوصل إلى خيس مشيط ومنه صار إلى أنها .

وإذا كان يصف نتائج تلك الحملة بالنسبة إلى سياسته في (عسير) وأن القبائل أخلدوا إلى السكينة والأمن إلا أنه يقول في آخر مقطع من وصف رحلته أو حملته (استغرقت رحلتنا هذه نحو خمسة وخمسين يوماً ، ولم أنم

فيها باطمئنان إلا عندما دخلت منزل عبد العزيز بن مشيط في قرية ذهبان
(على بعد نحو ثلاثين كيلاً) من «أبها» .

محمد علي باشا :

عين محمد علي باشا قائداً لقوات اليمن تحت رئاسة القائد العام عزت باشا
الذي أبقاه مع قواته في جهات الحديدة وتوجه إلى صنعاء محاولاً التوصل مع
الإمام الذي هو بدوره قد قام بثورة في الجبال ضد الدولة - وعندما توصل
معه إلى الصلح و أبرم معه معاهدة (دوعان) المعروفة أصبح الأمر لا يحتاج
إلى تلك القوات ، وبما أن المفاوضة أخذت وقتاً ورفعها للتصديق يحتاج
إلى وقت والترقب لإعلان إيطاليا الحرب قائم ، وموضوع الإدريسي وثورته
ضمن الاهتمامات الحاضرة فقد ظل الجيش في معسكراته .

ورأى عزت باشا في آخر اتصالاته القريبة من النجاح الاتصال
بالإدريسي فاستمزج في ذلك رأي الإمام يحيى ، وكان التنافس بين الإمام
يحيى والإدريسي قد استحال إلى عدااء مبطن بالتربص - راجع الفصل
الثامن بين الإمامين يحيى بن حميد الدين والإدريسي - وأحب الإمام يحيى
أن يرى لعزت باشا أنه صاحب نفوذ أدبي على الإدريسي فكتب
للإدريسي الرسالة التي أوردنا جواب الإدريسي عليها فيما تقدم - ومن
فحواها تعرف أن الإدريسي كان يجب من موقع القوة . ويعتبر نفسه ندّاً
قوياً للإمام يحيى .

بينما يقال : إن الإمام يحيى كان متفقاً مع عزت باشا على استدراج
الإدريسي للإستجابة لزيارة الاستانة حتى إذا وصل إلى هناك معروف
مضبره .

ولمّا أسقط في يد الاثنين فالإدريسي كان أفطن وأبعد نظراً من أن يستدرج
لمثل تلك الخديعة فأحب عزت في أثناء مراسلته مع الإدريسي أن يحوز
ولو على نصر موقت يعينه على تليين موقف الإدريسي ، فاصلد أمره
على قائد الجيش محمد علي بأن يرسل فرقة مؤلفة من أربعة آلاف وخمسمائة

جندي بقيادة محمد راغب بك إلى جازان لمهاجمة الإدريسي فكانت وقعة « الحفائر » التي أبيدت فيها أكثرية تلك الفرقة وهزمت شر هزيمة .

وعندما بلغ ذلك عزت باشا ورئيس من استجابة الإدريسي أمر محمد علي بالتقدم بجيشه إلى جازان لمحاربة الإدريسي فوصلها كما وضحناه فيما تقدم .

فعاجلهم إعلان إيطاليا الحرب ودخول أسطولها إلى البحر الأحمر فاضطر القائد محمد علي باشا وجيشه وسفنه إلى الانسحاب من جازان إلى جزيرة فرسان ، فيخشى الأسر أو الحصار إن بقي في جزيرة فرسان والتدمير والهلاك إن عاد إلى معسكره في جهات الحديدة ، فانسحب إلى القنفذة فتبعه الأسطول الإيطالي ودمر سفنه ، وهاجمه الجيش الإدريسي بحراً — كما سبق التوضيح .

ولمّا استطاع الاحتفاظ بمركزه في القنفذة بعد انسحاب الأسطول الإيطالي وانسحاب الجيش الإدريسي إلى قاعدته في قوز أبي العير — ثم بعد ذلك أبقى من أبقاه من جيشه في القنفذة وسار ببقيته إلى محائل وظل بين أبا ومحائل وتعاون مع فيصل على في غزو « قفا والبحر » حتى صدر له الأمر بالعودة ..

الفصل الخامس

حملة جديدة على الإدريسي

في ١٩١٢/٣/٧ - وصلت رسالة سرية من عزت باشا القائد العام للقوات التركية في جنوب الجزيرة العربية بطريق الجبال بواسطة الإمام يحيى على يد بعض مشائخ صعدة إلى سليمان شفيق ومضمون الرسالة .

(تقرر تسيير حملة عسكرية على الإدريسي في صبيا ، وأن القيادة العامة قد حشدت عشرة آلاف جندي من المشاة والفرسان والمدفعية في بلدة (الزهرة) على مسافة خمسة وثلاثين كيلا شرق ثغر (المحبة) وعلى مسافة ما بين سبعين وثمانين كيلا من صبيا^(١) . وستزحف إليها من طريق البر والبحر وأن الإمام يحيى بدوره سيزحف بالقبائل الزيدية من طريق الجبال جاعلا هدفه جبل النظير الذي يبعد عن صبيا بسبعين كيلا - والصحة أن جبال النظير تبعد عن صبيا بمائة وعشرين كيلا لا سبعين كيلا - وسيكون على صلة وتنسيق بالجيش الزاحف من الزهرة حتى تصل القوات صبيا في آن واحد ، وأن على متصرف عسير وقواته الاستعداد للتقدم من الشمال نحو صبيا مع الاستعداد بالمؤن والذخيرة ، وأن يعهد بتصريف إدارة بلاد عسير لـ (محمد علي باشا) الموجود معسكره على مقربة منه في بلدة محائل . انتهى .

باستلام متصرف عسير للأمر السري أخذ في الاستعداد والتهيؤ واتصل بمحمد علي بواسطة آلة المخابرة بالأنوار طالبا سرعة وصوله إلى أباها .

وكتب إلى عزت باشا الجواب الآتي :

(بعد التمهيد والإفادة بما تم من الاستعداد من نقل الجند والأرزاق والمهمات الحربية عن طريق البحر غير ممكن بسبب الحرب مع إيطاليا ،

(١) المسافة بين « صبيا » و « الزهرة » نحو مائتين وخسين كيلا .

وعلى ذلك فإن الاعتماد في هذه الحملة بحيث أن يكون عن طريق البر فقط . ومعلوم حضر تكمن أن جو « تهامة » حار جداً في كل الأوقات .

والجند لا يستطيع أن يجتاز في اليوم الواحد أكثر من عشرين كيلا ، فضلا عن ذلك فإن جميع القبائل من (الزهرة) إلى صبيا كلهم من التابعين للمذهب الشافعي ، وجميعهم من أنصار الإدريسي ، فالجند يسير من (الزهرة) إلى صبيا ، وهو يقاتل قتالا متواصلا بلا انقطاع شاء أو أبى .

ثم إن آبار الماء التي على الطريق واقعة تحت ظلال أشجار السنامكي - الذي نعرفه أن من حدودنا مع اليمن إلى صبيا لا وجود لأشجار السنامكي على الطريق وإن كان يوجد نادراً في بعض المحلات البعيدة عن الطريق نسبياً - ولذلك فإن مياهها مسهلة ، وسينال الجند من شربها ضرراً بليغاً ، وبصرف النظر عن ضررها ، فإن في استطاعة القبائل أن تردم هذه الآبار كلها فلا يجد الجند الماء للشرب .

وعدا ذلك فإن الجناح الأيسر لهذه الحملة لن يكون محمياً بسفن حربية في البحر بسبب الحرب الإبطالية .

لذلك أرى هذه الحملة لا تقوى على إجراء مثل هذه الحركة العسكرية الخطرة في أرض تهامة وإذا فرضنا المستحيل ، وتمكنت هذه الحملة من الوصول إلى صبيا منتصرة وناجحة ، فإن هناك مشكلة ، وهو أمر إعاشة هذه القوات الكثيرة المجتمعة في مكان واحد وإعداد المؤن الكافية لها مع انسداد باب البحر .

ولا ريب أن الطريق الذي تشقه الحملة تمر منه إلى الأمام سيقطع عليها من ورائها بعد مرورها منه لأن القبائل ستعود إلى احتلال جميع المواضع التي مر الجنود منها ، فيصبح من المستحيل مجيء المؤن والذخائر ، والمهمات الحربية ، من الحديد إلى معسكر الحملة حيثما وجدت .

على أنه إذا حضرت القوات النظامية الموجودة في (الزهرة) واقتربت من الجبال مع قوات الإمام يحيى ، وتولى الإمام إحضار المؤن والذخائر

اللازمة للجيش فأرجو عندما تصل القوات إلى « النظر » وتتحول إلى الغرب للسير إلى صيبا، أن تأمروا بإخباري في الحال لأعين يوم حركتي أنا أيضاً .
وان في استطاعتي أن أسير بألف جندي من المشاة ، وأربعة مدافع رشاش وبطارية جبلية بسرعة عظيمة من الطرق التي اختارها أنا بحسب الحال .
(ويمكن حينئذ أن أصل صيبا في أربعة أيام ، أما إذا وصلت صيبا ولم تكن القوات التي ذكرتموها هناك ، ولم أتمكن من الانضمام إليها ، فتأكلوا أنني في تلك الحالة أقع في الهلاك الذي لا ريب فيه) . انتهى .

في ذلك الحين تمردت أربع أوط من الرديف طالبين الرجوع إلى بلادهم فأذن لهم بالسفر إلى القنفذة ، وفيما هم سائرون على بعد مرحلتين من محائل التقوا بقوة من الجيش الإدريسي بقيادة « محمد طاهر رضوان » . ومعه مدفعان إيطاليان فحاصرهما ، في تلك الأثناء بلغ جند « أبها » أن القائد العام عزت باشا سمح لجنود قرعة سنة ١٣٢٥ و ١٣٢٦ بالرجوع إلى تركيا ، فثار من كان في معسكر « أبها » منهم وهم نحو أوطتين ، ورأى سليمان شفيق أن الوقت لا يسمح بأخذ إجراءات قاسية نحوهم فسمح لهم بالتوجه إلى القنفذة — بعد إنقاذ إخوانهم المحاصرين من الجيش الإدريسي في الطريق — فوافقوا على ذلك ، وأنقلوا إخوانهم فعلا وساروا جميعاً إلى أن وصلوا « القنفذة » .

العمليات الحربية في الجنوب :

إن العمليات الحربية في الجنوب ، بدأت في الثلث الأخير من عام ١٣٢٨ فقد استطاع الإدريسي بدهائه وسياسته استمالة بعض قبائل في اليمن لقتال عبس ، وكبني (نشر) وغيرهم ، وكان يمدهم بالمال وبعض العتاد ، واكتفى من غيرهم بمجاملات ولائية ، ومعاهدات سرية ومن جملتهم (هادي هيج) شيخ مشايخ قبائل الواعظات وهو على قوة نفوذه القبلي ، سياسي مرن ، فأدرك بحاسته السياسية وبوقوفه على مجريات الحوادث وما وصل إليه وما استفاد من معلومات ، أنه لا بد من مجاملة الإدريسي وإظهار الولاء

له سرّاً ، فاتصل به بالمكاتبة مظهراً له التأييد ، وموضحاً أنه بحكم مركزه وما للأتراك من قوة لا يستطيع شيئاً وإنما سيعمل سرّاً على تجنب كل موقف عدائي ضد دعوته وسيؤيده في حدود ذلك بكل مجهوداته ، إلا أنه بعدها اتصل بعلم الإدريسي من القبائل الموالية كـ (بني نشر) بأنه سمح للأتراك ببناء معقل يهدد سلامتهم ، وعملاً بمقتضى تنسيق المجهود الحربي المشترك مع حليفته ، فقد اغتنم ذريعة من تلك الشكوى فبعث أول غزوة إلى اليمن بقيادة « يحيى ابن عرار » فوصلت السرية إلى أهدافها وعززها بسرية أخرى بقيادة « محمد ابن أحمد الحسين » وتمكن قائد السرية الأخرى من التفاهم مع « هادي هيج » على بعث أخيه رهينة ، ويقال بل إن أخيه أسر ، وعلى كل فقد تمكنت السريتين من تعصيد (بني نشر) ضد الواعظات الموالية (للأتراك) وعادت معها — بعد أن أبقت قوة منها هناك — بعبد هيج فسجن في قلعة صيبا .

وفد تركي :

إن الأتراك أدركوا — بعد فشل الحملات السابقة فشلهم في القضاء على الإدريسي — فرغبت قيادتهم في محاولة الاتصالات السلمية فبعثت وفداً وكتبت للإدريسي تطلب موافقته في محل يحدد للاتفاق فوافق أن يكون الاجتماع في (ميدي) وفي الموعد المحدد وصل الوفد إليها وهو يتألف من أحمد الشراعي وعبد الباري وغيرهما وكان الإدريسي قد وصل إلى قرية (جحفا) في طريقه إليهم ثم ترجع له أن يعتذر عن الوصول إلى ميدي ويطلب أن يحضر وفدهم إلى (المضايا) فوافقوه وقابله الوفد هناك ولم تسفر مهمة الوفد عن نتيجة فعاد إلى اليمن ، ولم نجد على وجه التحقيق المصادر التي تسجل مهمة الوفد وتحدد الغاية التي يهدف إليها الأتراك من وراء إرساله ، ويقول البعض : إن مهمة الوفد إقناع الإدريسي بالعدول عن محالفته مع (إيطاليا) والرضوخ بتمركز القوات التركية في المخلاف مقابل أن يكون نائباً لها على (صيبا وجهاتها) ويقرر له راتباً شهرياً ، وهبات .

من أطاق التماس شيء غلابا واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

وكنتيجة لزعوف الأتراك - المار ذكرها في الفصل السابق - ورغبة في التوسع وعملا بمخالفته مع إيطاليا فقد اهتبل الفرصة المواتية وتقدمت جيوشه إلى الجنوب .

الاستيلاء على ميناء ميدي :

أشرنا قبل إلى ضرب الأسطول الإيطالي موانيء البحر الأحمر ومنها ميناء (ميدي) وبعده تقدم الجيش الإدريسي وضرب الحصار براً عليها وإنذار الأتراك بوجوب التسليم فامتنعت حاميتهم فاكتفى بإصدار أمره بتشديد الحصار - وهو العارف بالنتيجة - ولم يمض أكثر من سبعة وعشرين يوماً حتى وصل (الأسطول الإيطالي) وصب نيران قذائفه على الاستحكامات والمواقع الحربية فتقدم الجيش الإدريسي واحتل المدينة .

احتلال مدينة حرص :

وصلت البشائر إلى صبيا باحتلال (ميدي) فتقدم الإدريسي بنفسه يقود جيشاً آخرأ ماراً بالطريق الوسطى وعلى مقدمته القائد محمد طاهر رضوان فاحتل (حرص) ودخلها ، ثم أناب عليها القاضي إبراهيم بن عطيف النعمي وسار هو إلى (ميدي) بعد أن بعث قوة بطريق البحر بقيادة محمد طاهر رضوان يساعده إبراهيم بن فتح الدين لقتال الحامية التركية بجزيرة (فرسان)

احتلال جزيرة فرسان :

سارت الحملة من حرص إلى ميدي ومنها أبجرت إلى جزيرة (فرسان) فاستولت عليها وعاد محمد طاهر إلى (ميدي) بعد أن أناب رفيقه ومساعدته في الحملة على الجزيرة .

قلوم الإدريسي ميدي :

في شعبان عام ١٣٣٠ وصل الإدريسي ميدي وأقام بها يدير المعركة في الجنوب وكانت جيوشه قد تقدمت من حرص إلى (اليمن) وتمركزت في (كدف البتري) والبعض بطريق الساحل بين ميدي والحجة وبعودة قائده

محمد طاهر رضوان من غزو (فرسان) سيره على جيش قوى لفتح جبهة على الأتراك في (دُرَيْسَة) من بلاد (عبس) وفي حدود الواعظات ، وكان زعيم قبيلتها (هادي هيج) مع الأتراك كما كان زعيم قبائل (عبس) (يحيى علي ثواب) مع الإدريسي . والزعمان المذكوران هما قطبا الرحي في تهامة اليمن .

القتال :

ظل القتال دائر الرحي بين الإدريسي والأتراك وفي أواخر عام ١٣٣٠ هـ عاد الإدريسي من (ميدي) إلى (صبيا) ومن ميدي بعث بمنشوره إلى أهل (الجبال) كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الخاص بعنوان (الإمام يحيى والإدريسي) وظل القتال بين كر وفر طيلة عام ١٣٣١ .

مخالفة يحيى على ثواب :

أشرنا إلى انضمام رئيس مشايخ (عبس) مع الإدريسي ، إلا أن القائد التركي استطاع استمالته إلى جانبه فسمح للأتراك بالدخول إلى بلاد عبس ، فما شعر عامل الإدريسي إلا ونفير الأتراك يضرب في القرية فاتصل بالرئيس مستظلاً رأيه ، فقال له : تحول عنا بسلام ، فتحول العامل المذكور إبراهيم الشوكاني إلى بلاد (بني حسن) في نفس بلاد عبس وساق الإدريسي الجيوش إلى بلاد عبس وغيرها للقائد محمد طاهر إلا أن الأتراك استطاعوا إيقاف كل تقدم لجيوش الإدريسي في عبس وغيرها فظل كل فريق محتفظاً بمواقعه تقريباً إلى عام ١٣٣٤ .

الإدريسي والحرب العظمى الأولى :

جاء في « ملوك العرب للريحاني » ص ٢٩٨ ج ١ - : ولكن نجم الإدريسي لم يعمل ويتلألاً إلا خلال حربين بين الدولة العثمانية ودول الإفرنج ، أي حرب الأتراك سنة ١٩١٢ مع إيطاليا ثم في اشتراكه مع بريطانيا وحلفائها : الحرب العظمى الأولى فقد كان في الحربين خصم الأتراك اللدود والحليف الذي لا يتنقض العهد . أخذ من الإيطاليين سلاحاً فاستخدمه ناراً وسياسة على

عدوها وعدوه ، وأخذ من الإنكليز مالا وسلاحاً فخدم الحلفاء في الجزيرة خدمة ، وإن صغرت لا تشوبها الأطماع ولا يفسدها الخداع . وكان لا يزال له غير الأتراك عدو فحارب به هذا العدو . ولكن انتصاره على الزيود في ذلك الحين كان يعد انتصاراً على تركيا .

إن من فضائله ثباته منذ بدء أمره على مبدأ واحد . فقد كان عربياً صميماً جسوراً فيما يبغيه يخالف أي دولة كانت على أعدائه الترك ومن حالفهم من أمراء العرب .

حارب الأتراك وحليفهم (الحسين) وصديقهم الإمام (يحيى) . فكان في الغالب منتصراً ، ودائماً عزيزاً لا ننكر أن الأحوال كانت حليفته ولكنة سلاحها من لدنه بالعزم والمضاء .

ومما يجمله الإفرنج والعرب أنه كان أول من انضم إلى الحلفاء من أمراء العرب وأول من حمل السلاح في البلاد العربية على دولة الأتراك حليفة (ألمانيا) فقد عقد (الإنكليز) بواسطة حكومتهم في (عدن) المعاهدة الأولى نيسان عام ١٩١٥ التي بموجبها تعهدوا له بالسلاح والمال وأن يحموا سواحل بلاده من الاعتداءات الخارجية فباشر في الشهر التالي القتال فتقدم ابن عمه (مصطفى الإدريسي) يقود اثني عشر ألف مقاتل على الأتراك فدحروهم دحرات متوالية وصلت جنود الإدريسي إلى قرب (صعدة) شرقاً . وإلى القنفذة شمالاً — في تهامة — ولكن الإدريسي بعد أن استولى عليها في ١٠ تموز عام ١٩١٦ أخلاها للملك حسين إكراماً لأصدقائه الإنكليز الذين عقدوا معه معاهدة ثانية في كانون سنة ١٩١٧ تتعلق بجزيرة (فرسان) الخ . انتهى .

القتال في جانب الحلفاء :

في شهر شعبان عام ١٣٣٦ - ١٩١٥ وكنتيجة لاتفاقيته مع بريطانيا لدخوله الحرب في جانب الحلفاء ضد تركيا تقدمت الجيوش الإدريسية بقيادة مصطفى بن عبد المتعال الإدريسي إلى الحجة على الترتيب الآتي .

١ - القسم الأول بطريق الساحل ووجهته عطن الحية بقيادة أحمد الحازمي .

٢ - الطريق الثاني بطريق الخبت الساحل ووجهته دير حسين بقيادة الحسن بن أحمد بن أبي مسمار .

وصلت القوتين إلى هدفيهما واستولى الجيش الأول على مدينة الحية بمساعدة الأسطول البريطاني الذي مهد لدخولها بضرب المواقع الحربية ، واتخذها مصطفى مركزاً للقيادة العامة فنارت حفاظ الأتراك على الإدريسي الذي بالأمس يقاتلهم في صف إيطاليا والآن يقاتلهم للمرة الثانية - في صف بريطانيا وحلفائها ، وكان على قيادتهم في تلك الجهة (غالب بك) فقام بحركات تجمع في (الواعظات) وبذل الرغائب لقبائل وادي مور والواعظات وجندهم وتقدم إلى المعسكر الإدريسي في (دير حسين) واستولى على جميع ما فيه من ذخائر ومؤن وأسلحة بعد معركة هزم فيها الجيش الإدريسي .

الهزيمة :

كانت بعض قطع الأسطول (البريطاني) في ميناء مدينة الحية لا تزال لمساعدة الجيش الإدريسي ف وقعت معركة (دير حسين) التي أسفرت عن الهزيمة والاستيلاء على المعسكر وما به من مؤن وعتاد ولم يستطع الجيش الثاني الذي في العطن القيام بالاشتراك في المعركة لأن في طريقه إلى (دير حسين) مدفعية قوية للأتراك في جبل الملح ، فبقى محتفظاً بمركزه منتظراً دوره في الهجوم من الأتراك وما هي إلا أيام حتى باغته الجيش التركي بهجوم فانسحبت فلوله إلى داخل مدينة الحية ، واتصل قائد الجيش بالقائد العام مصطفى الإدريسي للدرس الموقف واتخاذ خطة سريعة في المقاومة أو بالانسحاب فأمر بالانسحاب عن طريق الساحل إلى (مسيدي) .

استولى الأتراك على معسكر (العطن) وما به من عتاد ومؤن فاشتد ساعد الجيش التركي بما غنمه وظل متخوفاً من الهجوم على المدينة خشية أن يكون الجيش المنسحب قد تحصن في قلاعها واستحكاماتها نظراً لأن الأسطول

يحمي ظهره من البحر ، إلا أن جواسيسه أعلموه أن المدينة خالية فتقدم واحتلها .

أما القائد العام فقد التجأ إلى الأسطول البريطاني ، وبقية من بقى طلع في السفن إلى ميدي وبدخول الأتراك إلى المدينة والتجاء القائد إلى بعض قطع الأسطول صب نيران مدافعه على المدينة فاضطر الأتراك إلى إخلائها والانسحاب بعيداً عن طائلة مرمى المدافع إلى المراكز الآتية :

١ - إلى مدينة الزهرة . ٢ - جبل الملح . ٣ - الواعظات .

أما الميدان الشرقي الجنوبي في جهتي (البتري) وبلاد بني نشر فقد احتفظ الجيش الإدريسي فيها بمراكزه .

قوات جديدة :

رأى الإدريسي أن العبء قد ثقل على عاتق رجال قبائل المخلاف السلياني وهم عماد قوته ودعامة حركته فأحب أن يدخر شيئاً من قواهم لما يسفر عنه المستقبل لا سيما ولديه من المادة ما يمكنه من تجنيد مرتزقة من (يام) وقبيلتي حاشد وبكيل فاستدعوا ، فأقبلت حشودهم فبعثهم إلى (وادي مور) تحت قيادة قائدين من رجال المخلاف الأول منصور بن حمود أبو مسمار والثاني أحمد عبد الله بن بكري المرواني ووظف جنوداً مرتزقة من الصومال وجعل منهم حرسه الخاص إلا أنهم لم ينسجموا مع الأهالي ففرقهم في المراكز .

تقدم القوات :

تقدمت القوات على الأتراك في وادي (مَور) فلم يكن نصيبها بأحسن من الجيش السابق فقد منيت بالهزيمة فشجع ذلك الانتصار قبائل وادي (مَور) وعبس إلى الانضمام مع الأتراك علاوة على قبائل الواعظات التي لم تحد عن ولائها للأتراك عملاً بمصانعة زعيمها (هادي هيج) معهم .

الإنكليز وتشديد الحصار على الأتراك وضرب الموانيء :

رأى الإنكليز في نشاط الأتراك في تهامة على ضآلته جزءاً من نشاط دول الإثتلاف - وكان الجنرال (اللبي) قد زحف زحفه المعروف على

الرك في فلسطين فكان ضرب المواني التي تحت سلطة تركيا آنذاك وقبله وتشديد الحصار جزء من خطة الهجوم العام لحملة (النبي) ف ضرب الأسطول البريطاني (الحديدية) و (المحا) و (الصليف) و (اللحية) وبعث بمزيد من الأرزاق والعتاد إلى الإدريسي وطالبه بسرعة الهجوم براً وفي تلك الأثناء انهارت خطوط الإئتلاف في جميع الميادين ودخلت جيوش بريطانيا وفرنسا استنبول فصلرت الأوامر من خليفة الأتراك الجديد بواسطة الوزارة الجديدة للقوات التركية في البلاد العربية بالاستسلام والرحيل بوسائل النقل البريطانية ، وعملاً بذلك استلم الإدريسي كغيره من أمراء العرب ما يليه من البلاد وذلك في عام ١٣٣٧ .

استلم الإدريسي ميناء اللحية وبلدة الصليف وغيرها من البلاد ما عدا مدينة الحديدية — التي سبق أن احتلها الإنكليز .

وخلى الميدان للجيش الإدريسي بانسحاب الأتراك في جهة بلاد قيس والحميسين وحجور ، فانطلقت في توسعها إلى قرب (حجة) وهنا اصطدمت بمقاومة الإمام يحيى وجهاً لوجه واستطاعت القوات الإدريسية أن تدعم مراكزها في تلك الجهات بالقوة .

الإحتلال البريطاني لمدينة الحديدية :

احتل الإنكليز مدينة (الحديدية) وكان ينوي أن يوطد قدمه في المدينة وضواحيها ويتخذ منها نقطة البدء في الانطلاق لتأسيس مستعمرة جديدة تتصل براً بمستعمرة المحميات وعدن مع الزمن ، وتمهيداً للعمل ضرب نطاقاً من الأسلاك الشائكة على المدينة وأخذ في استمالة شيوخ الضواحي .

ومن ثم بعث وفداً إلى (صنعا) فاعتقلته قبيلة (القهري) وبالرغم عما هددت به بريطانيا وما بذلت في سبيل إطلاقه فلم تستطع شيئاً حتى توسط الإدريسي وأطلق سراحه .

أضف إلى ذلك أن القبائل هاجمت الإنكليز في نفس (الحديدية) وفي خلال السنة التي قضاها محتلاً للمدينة غير ثلاثة قناصل ولم يتوفق واحد منهم

في تهدئة الحالة فضلاً عن التمكين لسياسة بريطانيا ، مما اضطرها أخيراً لتسليم المدينة للإدريسي ، بعد استفتاء أهلها في الانضمام إلى الحكومة التي يرغبونها فتمسك أكثرهم إما بعودة تركيا أو الانضمام إلى الحكومة المصرية ، ولما عيل صبر الإنكليز ما شعروا إلا وقد أوعز المعتمد البريطاني للجيش الإدريسي فدخل المدينة وباشر إدارتها وعلى أثرها انسحب الإنكليز بجرأ وبعد ذلك تقدم القائد (محمد طاهر رضوان) إلى باجل وجعلها المركز الرئيسي للإدارات والجيش في الجنوب والشرق الجنوبي وذلك في سنة ١٣٣٨ .

وفي عام ١٣٣٨ أمر بتأسيس (صيبا الجديدة) عندما هدد السيل سكان مدينة (صيبا) وأطلق على المدينة الجديدة اسم (صيبا الإدريسية) وفي عام ١٣٣٩ سار على رأس قوة كبيرة في رحلة تفقدية إلى اليمن ودخل مدينتي الحجة والحديدة وغيرهما وعاد إلى جازان ومنها إلى صيبا .

أما علاقته بالحكومة السعودية فراجعته في الفصل الخاص بعنوان (ابن سعود والإدريسي) . وكذا شئون عسير في الفصل الخاص بعنوان (عسير) وفي شعبان عام ١٣٤١ توفي الإمام محمد بن علي الإدريسي تغمده الله برحمته ورضوانه .

المعاهدة الإدريسية البريطانية

بتاريخ شهر إبريل سنة ١٩١٥ :

- ١ - إن الأهداف الرئيسية لهذه المعاهدة هي شن الحرب ضد الأتراك وتعزيز ميثاق الصداقة بين السيد الإدريسي ورجال قبائله وبريطانيا .
- ٢ - يوافق السيد الإدريسي أن يشن الهجوم ويحاول طرد الأتراك من قواعدهم في اليمن وأن يضايق القوات التركية في اليمن بأقصى قوته ومن ثم يوسع رقعة إمارته على حساب الأتراك .
- ٣ - إن هدف السيد الإدريسي الأول ضد الأتراك فحسب ولا يمس ما يثير الخصومة والعداء مع الإمام يحيى الذي لم يمد يده فعلا للأتراك .
- ٤ - تلتزم الحكومة البريطانية بحماية إمارة السيد الإدريسي ضد أي هجوم بحري يشنه أي عدو لضمان الاستقلال بإمارته تتعهد بريطانيا بأن تتخذ جميع الوسائل الدبلوماسية للنظر في المشاكل التي تنشأ بين السيد الإدريسي والإمام يحيى وبين أي منافس .
- ٥ - ليست لدى حكومة بريطانيا أي رغبة في توسيع حدودها في غرب الجزيرة العربية ولكنها لا ترغب إلا أن ترى مختلف حكام العرب يعيشون معاً في سلام ، كل في نطاق إمارته وكلهم يحتفظون بصداقة الحكومة البريطانية .
- ٦ - إن الحكومة كدليل منها على تقدير العمل الذي سيقوم به السيد الإدريسي أمدته بالمال والمعدات الحربية وستستمر في تقديم العون له في الحرب طيلة مدة اشتراكها بقدر النشاط الذي يقوم به السيد الإدريسي .

٧- أنه في الوقت الذي تفرض فيه بريطانيا الحصار على الملاحة في جميع الموانئ التركية في البحر الأحمر منذ عدة أشهر فقد أعطت السيد الإدريسي الحرية الكاملة في الملاحة والتعامل التجاري بين موانئه وعدن وأن بريطانيا إذ تقدم هذا الامتياز رمزاً للصداقة القائمة بينهما تتعهد بأن هذا الامتياز سيستمر ولن يتعرض للتوقف .

٩- تعلن هذه الاتفاقية حتى يصادق عليها من الحكومة الهندية وتصبح سارية المفعول (١) .

(١) نقلا عن جريدة عكاظ الغراء التي نشرت هذا الملخص للماهدة في العدد ٣ بتاريخ ٧٩/١٢/٢٤ .

الفصل الثاني

بلاد عسير

أشرنا قبلُ - في الفصل الأخير من الجزء الأول إلى أحوال عسير السياسية إلى غاية إستيلاء القوات التركية عليها بقيادة (رديف باشا) و (مختار باشا) في عام ١٢٨٩ هـ ومن ذلك التاريخ ظلت تحكم من قبل تركيا باسم متصرفية إلى عام ١٣٢٨ .

حصار الإدريسي لأبها :

في شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ قام الإدريسي بحصار « أبها » - كما مر مفصلاً في الفصل الخاص بالإدريسي - في عهد المتصرف (سليمان شفيق) وأحكم نطاق الحصار نحو سبعة أشهر ، فرأى أمير مكة - آنذاك - (الشريف الحسين بن علي) أن الفرصة سنحت لتوسع نفوذه وتوطيد مركزه . وتبديد الشائعات التي بدأت تحوم حول اتصالاته بالإنكليز . فعرض على الدولة العثمانية استعداده للقيام بالمساهمة في فك الحصار عنها .

تقدم على رأس قوة من (العربان) والجيش النظامي حتى فك الحصار - راجع الفصل الخاص بالدولة الإدريسية .

وكان (الأمير حسن بن عائض) ممن مالاً الإدريسي وسهل مهمة جيشه في خطة الحصار فرأى (الحسين بن علي) استمالته إلى جانب (الأتراك) ليحبط مساعي منافسه الإدريسي - الذي بدأ يشعر بخطره - فسعى لدى الأتراك واستصدر أمراً سلطانياً بالعفو عن (ابن عائض) وتعيينه معاوناً للمتصرف وتقرر راتباً شهرياً له .

الحرب العظمى الأولى :

اشترك الأتراك في الحرب في جانب الألمان - كما هو معلوم - وخرجوا منها بالهزيمة والخسائر مع خليفتهم ودخل (الإدريسي) في جانب

(انكلترا) وحلفائها كما دخل بعده (الحسين بن علي) أمير (مكة) وكان من شروط الحلفاء على تركيا . التخلي عن جميع البلاد (العربية) .

كان على متصرفية (عسير) محيي الدين باشا . وفي ربيع الأول عام ١٣٣٧ تلقى أمر حكومته عن طريق (الإنكليز) بواسطة (الإدريسي) باخلاء عسير والرحيل بحراً على الوسائط البحرية الإنكليزية .

ورد الأمر المختوم بواسطة (الإنكليز) إلى الإدريسي فبعثه مع مندوبين من قبله إلى (أبها) فامثل المتصرف التركي (محيي الدين) وسلم البلاد إلى أهلها . ونزل مع الحامية والموظفين الإداريين ، برفق مندوبي الإدريسي إلى ميناء (الشقيق) وهناك استلم منهم الأسلحة الخفيفة التي استصحبوها وأطلعوهم في البواخر الانكليزية التي تنتظرهم ويقدر عددهم بثلاثة آلاف شخص .

من المعروف أن (الإدريسي) الأمير العربي أول من استجاب لدعوة بريطانيا للدخول في جانبها في الحرب ضد (تركيا) - راجع الفصل الخاص (بالإدريسي) - وفي بعث الإنكليز الأمر السلطاني إليه بإعزاز مقصود ودلالة واضحة على رغبتهم في بسط نفوذه على عسير .

وتملك (عسير) بالنسبة إلى (الإدريسي) حلم طالما دأب أمنيته . ومحاولته لذلك لم تكن وليدة الساعة فإنه من بداية حركته . ومساعيه الحربية والسياسية تهدف إلى ضمها إلى حوزته . قبل حصاره لأبها وبعده . وقد مر بك أن الأمير (حسن ابن عائض) قد مالاه في أثناء حصار عسير . وإنما استطاع الدهاء (الهاشمي) أن يقطع تلك العلاقة الناشئة (مؤقتاً) .

وبما أن الدولة الإدريسية واقعة بين (المملكة الهاشمية) - آنذاك - من الشمال (والمملكة المتوكلية) من الجنوب وهو على عداء سافر مع كلا الطرفين قبل جلاء الأتراك وكانتا إلباً عليه والآن قد تم الجلاء ، والتوسع على حسابهما محفوف بالخطورة ، إذأ فقد سنحت الفرصة المواتية في التوسع في الشمال الشرقي - عسير - في رقعة لا تخص أحد الطرفين فلهتبل الفرصة قبل فواتها .

عسير في مضطرب العواصف :

في أثناء انسحاب المتصرف التركي محيي الدين سلم الإدارة في عسير إلى أهلها أو بالأصح إلى معاونه حسن بن عائض وأسرته - اسمياً - وأخذ آل (عائض) يديرون أوجه الرأي حول المستقبل المجهول . وهم يرون المطامع من الإمارات (العربية) المتوثبة تخوم على سماء بلادهم وأهمها أزيز عاصفة النفوذ السعودي تتقدمه طلائع الإصلاح الديني وإذكاء الروح الإسلامية وقد زحف وشيكاً إلى قبائل (قحطان) وأطراف (شهران) . ومن الغرب تيارات السياسة (الهاشمية) ومغريات الوعود والتذكير بالجميل القريب والموقف الشخصي معهم بعد فك حصار أبها . ومن الجنوب السياسة الإدريسية الناعمة ومغريات الدهاء الصوفي المرن الذي تراءى لهم في مغرباته بقاء كيانهم السياسي وسهولة التخلص - إن حاولوا ذلك - وتتمثل تلك التيارات المتعاكسة فيما يلي :

١ - النفوذ السعودي ويرتكز على علاقته التاريخية في عسير وتبعتها السياسية السالفة لآل سعود وتتقدمه الآن تيارات الدعوة السلفية الإصلاحية وسرعة انضمام القبائل لاعتناقها وهي متى مست شعلتها الروح القبليّة تكهربت عواطفها واشتملت بالغيرة الدينية واتجه الشعب بأسره نحو مصدر الدعوة الرئيسي أراد ذلك رؤساؤه أم لم يريدوا .

٢ - الدعاية (الهاشمية) وهي تتضمن فكرة سياسية ، تهضمها الخاصة . ولا تدركها عامة الشعب فضلاً عن القبائل وهي إقامة حكومة عربية ضمن له الانكليز باسم الحلفاء تأسيسها من جبال طوروس إلى (المنذب) في حال أنهم قد عقدوا مع فرنسا معاهدة (سايكس بيكو) على جعل سوريا والعراق منطقتي نفوذ لكل منهما كما أعطت الحكومة الإنكليزية التصريح المعروف بوعده بلفور لليهود . هذا عدا الوعود التي قطعتها الأمراء العرب الآخرين باحترام إماراتهم وحمايتهم من كل اعتداء خارجي وعدم تدخل أحد في شؤون إماراتهم - وتحت تلك الفكرة السابقة تزعم الثورة (الحسين) ضد الأتراك . وراح يتكلم باسم العرب . ويرى أنه يجب على العرب الانضمام

تحت لوائه . في حين أن شبه الجزيرة العربية لم يعترف له أحد من أمرائها
بأحقية تلك الرعامة التي أقام نفسه زعيماً لها .

٣ - الدعوة الإدريسية . وليس لها أهداف واضحة المعالم محددة
الأغراض . وهي وإن جد صاحبها في إذكاء الروح الدينية ، فإن لمنهجها
السياسي أحقية (الإمامة) بمؤهلات العلم والورع والصلاح على المنهج
الصوفي (للطريقة الأحمدية) مع بذل الرغائب والدهاء المرن والشخصية
القوية التي ترى أنها برهنت أنها من خير من اضطلع بمهمة الملك أو الإمامة
وإشادة إمارة عربية حاربت ضد الأتراك الدخلاء .

وهنا أخذت تلك العوامل تتجاذب (آل عائض) ، وأخيراً رأوا أن
مصلحتهم في الاتصال بالناحيتين الأخيرتين فاتفق رأيهم على :

١ - أن يتوجه محمد بن عبد الرحمن بن عائض ، إلى (الملك حسين)
ويتفاوض معه حول عقد اتفاقية تجعل اعتمادهم على ربط عسير بمعاهدة
حماية معه .

٢ - أن يستمر حسن بن محمد بن عائض في المخاطبة والاتصال بالإدريسي
حتى يتضح ما تسفر عنه مهمة الأول بالملك حسين .

وشعر الإدريسي بسفر محمد بن عبد الرحمن ، فاهتم وجد في استمالة
حسن بن محمد وتحت تأثير الوعود المغربية والدبلوماسية الناعمة جنح الأخير
ورؤساء عسير للزول إلى (صيبا) دون انتظار محمد بن عبد الرحمن .

اتفاقية صيبا :

وصل حسن بن محمد إلى صيبا ومعه رؤساء عسير وانتهت الوفادة بالدخول
في الحظيرة الإدريسية ، مقابل مبلغ خمسة آلاف ريال ، كقرر شهري ،
وأن يكون حسن بن عائض نائباً على إمارة عسير عن الدولة الإدريسية .
ويكون لها منسوباً سامياً وأن للإدريسي حق الاستيلاء على مخلفات الأتراك
من السلاح والعتاد الحربي .

وعاد حسن بن محمد إلى أبها وبرفقته المندوب الإدريسي إبراهيم الشوكاني ، استمرت الأمور في مجراها الطبيعي إلى أن انتهت سنة ١٣٣٧ ، وبدأ (حسن بن عائض) يتنمر للسياسة الإدريسية ويبدأء مندوبها بالجفاء والتعريض ثم تلاها ما يأتي :

١ - صارع المندوب الإدريسي المكلف باستلام (زكوات) عسير بواسطته بأنه لن يدفع إليه الزكوات لأن رؤساء عسير يطالبون بصرفها لهم (كقرارات سنوية) فرفع المندوب للإدريسي فورده الأمر بعدم معارضة (حسن بن عائض) فيما يراه في موضوع الزكوات .

٢ - بموجب الاتفاقية أن تكون مخلفات (الأتراك) من الأسلحة والعتاد تسلّم للإدريسي ، وقد أمر المندوب بترحيلها ، وفعلاً رحل قسمًا ، ثم أخذ (ابن عائض) يُبْدي اعتراضه وأخيراً منع المندوب عن ترحيل الباقي .

ووالى المندوب رفعياته موضحاً ما يراه من النوايا المكشوفة حول نقض الاتفاقية من أساسها ، وكأن الإدريسي كان يرى أن سياسة اللين أجدى في هذا الموقف معهم ، فزى المندوب يعتريه ما يشكوه من انحراف الصحة لبرودة جو عسير ويطلب إجازة للنزول إلى محائل ، فيوافقه الإدريسي فينيب عنه أحد أقربائه وينزل في إجازته ، في أثناء ذلك يعود (الأمير محمد ابن عائض) من الحجاز ويعمل من الساعة الأولى على إبطال مفعول الاتفاقية فبرى الثاني أن يكون ابطالها باتخاذ أسباب وذرائع فيبعث وفداً إلى الإدريسي ..

أدرك الإدريسي من الوفد نوايا القوم فاحتجز الوفد لديه وقطع المواصلات مع (عسير) في ذلك الوقت كانت بضائع عسير وحاجاتها الخارجية تردّها من عدن عن طريق ميدي وجازان - فلم يجد الحصار نفعا - لأن ميناء القنفذة أغلّتهم عن الميناءين الإدريسيين السابقين ، وكان من جراء ذلك تقوية اتصالاتهم بالملك حسين أكثر فأكثر .

القتال :

لما لم يجد الحصار نفعاً - كما مر آنفاً - ولعبت السياسة (الهاشمية) في ذلك الجو المتوتر - دورها وشجعت (آل عائض) فنشطوا وأوعزوا إلى - شيخ قحطان محمد بن دليم - بالثورة على الحاكم الإدريسي لديه ، فلم يجلبوا منه الاستجابة فاتصلوا (بسليمان بن محالد) شيخ (محائل) فثار على الحامية الإدريسية فتحصنت بالقلعة فهاجمها - وجلهم من (الصومال) فاستولى على القلعة بعد أن قتل (٢٤) جندياً منهم وجرح (١٢) فاستسلم الباقون .

الحملة الإدريسية :

على أثر ذلك جهز الإدريسي جيشاً بقيادة الوزير حمود سرداب ، إلى عسير ترافقه الكتبية النظامية الإدريسية بقيادة ضابطها سليم بك .

تقدم الجيش الإدريسي من مركز (الشعين) بطريق وادي (العوص) والعقبة (الصماء) وارتقى سطح (تهليل) الأشم وهناك ، وجد (العسيريين) على أهبة اللقاء في انتظاره وعملت السياسة أو المذهب الهاشمي الذي قد وصل (آل عائض) عمله في صفوف الجيش الإدريسي والذي أكثرته من بوادي ألمع وقنا والبحر ومن إليهم وانتهت المعركة بتراجعه إلى قاعدته (الشعين) .

وشالت أنوف (آل عائض) تهاً وصلفاً بما أحرزوه من نصر ؛ ورأوا في حليفهم الجديد الأمل المنشود والظفر الحلو والسودد المرموق فأخذوا الأهبة واستعدوا المصاولة الدعوة السلفية السعودية الزاحفة والتسلط على قمع وخضد العناصر والقبائل الموالية لها دية .

أما الإدريسي فقد أصدر أمره لقواته المتراجعة إلى (الشعين) بالاحتفاظ بعراكرها واتصل حالا (بعظمة سلطان نجد) - آنذاك - عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل السعود .

داعياً إلى الموالاة والصداقة ، ولمحاً عن عسير و (آل عائض) وأنهم بعد الانضمام إليه والعهود والمواثيق قد لعبت برؤوسهم خمرة السياسة (الهاشمية) وقد والوا أشد أعداء الطرفين وصاحب السهمي المعروف في المطالبة بالزعامة

الكبرى على (زعماء) الجزيرة العربية ، مشير إلى ما خلفه الأثرak من السلاح والعتاد في أها . . . الخ .

ولا يفوتنا الإشارة إلى ما أحرزه السعوديون - آنذاك - من النصر المؤزر على الجيش (الهاشمي) في موقعة (تربة) وسحقهم قوته الرئيسية ، ثم ما نجم من الفتنة في وادي السرحان في وجه (آل رشيد) واشتغالهم بإطفاء أوارها ، فكأن الأقدار هيأت الظروف المناسب للسعوديين ،

الرياض وعسير :

ولآل سعود علاقات تاريخية وسياسية كما أسلفنا به (عسير) ودعوتهم قد وجدت لها الطريق - كما أشرنا قبلا - إلى قبائل (قحطان) وأطراف (شهران) آخذة في الانتشار صوب عسير نفسها . والدعوة السلفية الوهابية لإصلاح ديني يتصل بنفسية الشعب مباشرة ، فإذا كانت السياسة تتصل بالخاصة لغيرها فهي تتجه بإصلاحها الديني إلى نفسية الأفراد والاستجابة الجماعية قوة كاسحة تشل بتياراتها وقوة إيمانها نفوذ الزعامة القبلية التي تسخر الجماعة لمصلحتها الخاصة وتناجر بأسمائهم فتصبح زعامة سلبية لا تجد لصوتها صدى في نفسية القبيلة التي باعتناقها تلك الدعوة الروحية تتجه إلى مصدر الدعوة المنبثق عن طريقها الإصلاح الديني وأخذت وهي في زحفها الروحي تتصل (بآل عائض) مذكرة إياهم بالعلاقات السابقة والولاء القديم لعل السياسة تغني عن السيف قناعة منهم بالولاء السياسي وإبقائهم أمراء على إمارة (عسير) إلا أنهم - كما أشرنا - داخلهم غرور الزهو ونشوة النصر فأخذوا جادين في قمع ماتراى لهم من النشاط السعودي متمثلا في أشخاص من العسيرين شكوا أو تحققوا اتصالاتهم بالرياض .

وانقضى النصف الأول من عام ١٣٣٨ في العرض والإغراء والاستمالة فلم تجد نفعا إذا فلا تعدم وسيلة أخرى ، فيتقدم بعض رؤساء القبائل بالتقدم إلى (الرياض) شاكين مانا لهم من ظلم (آل عائض) فيبادر (الرياض) إلى التوسط في إزالة تظلماتهم فيرفض (آل عائض) تلك الوساطة بزعم أنها

تدخل سياسي في شؤونهم الداخلية فيفر المتظلمون - وقد أريد البطش بهم إلى الرياض وفي النصف الأخير من العام نفسه يتحرك جيش قوي من الرياض بقيادة عبد العزيز بن مساعد إلى (عسير) .

تقدم الجيش السعودي إلى (الخضراء) - من بلاد (شهران) التي قد أخذت الدعوة طريقها إليها في أواخر العهد العثماني وأصبح للسعوديين بها السلطان الروحي ، ومنها أخذ في أهبة التهيؤ والاستعداد لحوض المعركة وعسير نفسها قد تسربت إليها الدعوة - وقد مر بك التجاء بعض رؤساء عشائرها إلى الرياض .

شعر آل عائض بتحرك الجيش نحوهم فأرسلت على جناح السرعة جيشاً بقيادة محمد بن عبد الرحمن إلى وادي (حجلة) وأخذت مواقعها استعداداً للدفاع وبعد مضي يومين في التهيؤ تقدمت طلائع الجيش السعودي صوبهم دارت رحا المعركة التي انتهت بهزيمة العسيرين وتفقهقهم .

توقف الجيش السعودي - بعد انتصاره في حجلة - بعض الوقت وأخذ (آل عائض) في الاستعداد لتحصين (أبها) إلا أنهم قد فقدوا معنوية المقاومة فنقلوا جل أغراضهم وذخائرهم إلى خارج أبها - فتسرب الذعر إلى السكان وجيش المقاومة .

تربث السعوديون برهة في (حجلة) مستطلعين حقيقة الوضع في مركز المقاومة - أبها - حتى وقفوا على حقيقة الحال . وانضم إليهم القبائل القريبة التي دائماً تكون في صف المنتصر لا تأييداً بل رغبة في (المغنم) ووالث زحفها واستولت على المدينة عنوة وفر (آل عائض) إلى معقلهم المعروف (حرملة) ثم استسلموا فقابلهم (ابن مساعد) بالإكرام ، ثم طلبوا إلى الرياض وقبولوا بالتكريم وعرض عليهم إمارة (عسير) بالشروط التي كان عليها أسلافهم فاعتزلوا فسمح لهم بالعودة فعادوا وأقاموا به (حرملة) .

أما الإدريسي فقد سر بتلك النتيجة وبعث لابن مساعد بالوفد العسيري الذي احتجزه لديه وبعد أن أسفرت الأمور أناب على إمارة أبها ورحل إلى نجد .

إلا أن الذي أنابه ابن مساعد تقدمت ضده الشكاوي إلى الرياض فعزل
به (فهد العقيلي) ولم تهدأ نائرة المعارضين ولا زالوا به (حسن بن عائض) حتى
استجاب لداعي الثورة وتقدم إلى (أبها) وحاصر بها الأمير والحامية السعودية
فقاومت ما أمكنها المقاومة حتى ضاق بها الحال فاستسلمت على شرط أن
يبقى لها سلاحها وترحل إلى نجد إلا أن العقيلي بعد خروجه من عسير جمع
أنصار السعوديين وأصلحهم نار الغارات في (شهران) وإنما تمكن العسيريون
من إعداد كمين تمكن من أسره وتقدموا إلى (خيس مشيط) مركز المقاومة
وأحرقوه .

وصلت الأخبار إلى الرياض وصادف ذلك عودة ولي العهد ظافراً من
غزوته لحائل وفي ركابه أحد أمراء آل رشيد أسيراً ، فجهز ابن سعود ابنه
الثاني الأمير فيصل بجيش قوي احتل به (أبها) ففر (آل عائض) إلى مكة
إلى (الملك حسين) فأمدهم بقوة من النظام ومسترزقة القبائل تقدمت إلى
قرب أبها وركد نشاطها .

وكان الأمير فيصل قد أناب عليها (ابن عفيصان) فتوفي فأبدل
به (عبد العزيز بن إبراهيم) الذي تمكن من إرغام القوات الهاشمية على التراجع
إلى (محائل) و (القنفذة) .

أما (آل عائض) فقد عادوا إلى حرمله ومنها اتصلوا بالأمير عبد العزيز
ابن إبراهيم ، الذي زارهم في مقرهم في حرمله ثم استزارهم في (أبها)
ومنها رحلهم إلى (الرياض) وأبقوا على الرعاية والتكريم إلى أن وافتهم
المنية .

الفصل السابع

بين الإمامين

يحيى بن محمد حميد الدين ومحمد بن علي الإدرسي

بعد احتلال الجيش الإدرسي لمدينة (ميدي) في عام ١٣٣٠ هـ وصل الإدرسي إليها من (حرص) في شهر شعبان وأقام بها - كما سبق الإشارة إلى ذلك - إلى شهر شوال ومنها حرر رسالته المشهورة التي نشرها وأمر بتوزيعها على القسم الجبلي شارحاً كل ما كان بينه وبين الإمام يحيى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب السموات والأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد فإن ربنا تبارك وتعالى يقول (شرع لكم من الدين) الآية . واعلموا هداانا الله وإياكم أن ابن حميد الدين لم أرأى الدولة التركية بصدده وأخذت تهتم باستئصاله وقصده ، التجأ إلينا بإرسال (أحمد بن يحيى عامر) و (حسين العرشي) للتفاهم معنا .

بأن الدولة التركية لابد بأن تقبض على ابن حميد الدين وعليها ، ويرغب في أن نكون يداً واحدة ، وأن نشايحه في مقاومتهم بالحرب ، فوافقناه على ذلك الصنع مع الشروط المضروبة وقواعد مقررة لا يتخطاها أحد منا ولا منه .

فلما وقعت ما بيننا وبين الأتراك واقعة (الحفائر) استماله الأتراك وجعلوا له ثلاثين ألفاً من الريالات وغير ذلك العشرين والنصابين المكلف

بأدائها الأهالي في جهة (صنعا) وما والاها فوافقهم على ذلك ليكون ضدنا ،
ومع أن تلك المواد مضادة للدين وهي (العشريين والنصابين) ، مع أن هذا
الدين الحق مازال يخفف في مقادير الزكاة حتى أدنى من العشر وإلى ربع العشر

وياليت شعري بماذا يجيب إذا سئل غني وعن أولئك ، لما حركنا
للجهاد حتى ذهب في ذلك الألوف من الرجال في كل موطن من مواطن
الحروب وما لا يحصى من الأموال ، واشتداد العداوة بين العرب والعجم
واستطال الشأن بين الفريقين لولا أن الله قد وعد لينصرن من ينصره ، وقد
قال صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » و « من عمل عملا أظهره
الله عليه » .

وياليت اقتصر على غشه ، ووقف موقف الغاشين فقط ، بل قام في إعانة
العدو علينا ، حتى أخرج في الأيام الماضية أحد نواظره (محمد بن شرف
الدين) بجهة (الشام) أما في الظاهر فيقصد ذلك الرجل المكين (القاسمي ^(١))
في (أم ليلي) وأما في الباطن فليفتح الحرب على أصحابنا في (الشام) في جهة
الجبال مع القواعد المضروبة بيننا وبينه ، آخرها بخط العلامة صني الإسلام
(أحمد بن يحيى عامر) وأنه يجنب ألا يعقد اتفاق ضدنا مع العدو ، كما
بينت تلك الجوابات التي تروح وتجيء بينه وبين الأتراك ، وقد ضبطنا
بعضها والله الحمد ، وحيثما أراد بعضهم الإنكار للاعتداء ألزمنهم بحجة قوية
أن الاعتداء كان منهم في بلادنا ووسط أهل طاعتنا ، خصوصاً حين أن
انضاف إليه محاييس من أهل طاعتنا كصنو (عمير بن مغيث) الموثوق
بالسلاسل ، وقد عرف أنه من أهل طاعتنا .

ولطالما كان يكاثبنا الناظر لنا هناك بالالتفات إليه بإعداد القوة لأنه
كان يرى من جاره الخيانة وإن تظاهر لدينا بالأمانة فما كنا نلتفت إليه ،
لأن المسلم أخو المسلم ولا يجوز أن يستعد له بسلاح ، حتى وقع منهم الواقع
فاجتمع إخوان الحق ، وكان نصر الله والفتح . وكأن (ابن حميد الدين)

(١) هو « القاسمي » الذي دعا الناس لإمامته في جهة « أم ليل » بنواحي صعدة .

وأصحابه لم يتذكروا قريباً . وهم ينادون بتكفير الأتراك ووجوب قتالهم ، كما كانت تنادي بذلك رسائل والده ، الموجودة عندنا . وعند غيرنا . كما كان أئمة الجبال من قبل على ذلك إلى أيام الإمام (القاسم بن محمد) ، ولعل لديكم شيئاً من نصوص تلك الرسائل ؟ .

ومن العجائب أننا وقعنا على جملة من رسائله يكفروننا فيها وينسبون إلينا موالاة النصارى حتى أننا نستبدل (الجمعة) بـ (الأحد) ومن أين لهم هذا مع أن باب التكفير والتفسيق لا بد فيه من البيان والدليل القطعي حتى يتبين الأمر وإلا عاد على مفتريه ، لأن من كفر مسلماً فقد كفر .

إنكم على يقين أننا في العام الماضي نجاهد نحن وابن حميد الدين ، لا للسياسة نصرانية . بل لما ترابطنا عليه من إعلاء كلمة الله ، مع أن في ذلك الوقت كان (الأتراك والانكليز والطلبيان والفرنس) وغيرهم إخواناً لم تحدث بينهم الحوادث إلا بعد أن مضى لنا في الجهاد ثلاثة أعوام .

على أن هذه الأوهام قد جسمنا شبهتها أيام حضر لدينا السادة : محمد الشراعي الحوثي ، وأحمد بن يحيى عامر ورققاوهم الأفاضل ، كل ذلك لو أراد ابن حميد الدين أن نكون يداً واحدة على من سوانا من أعداء الدين . ونقوم بجهادهم إن أرادوا الدخول في هذه الديار الإسلامية سواء كانوا ترك أو طليان أو انكليز أو غيرهم ، ولو يعلم أعداء الدين بهذا الاجتماع لم يظهر منهم أدنى نزاع ، ولا أجراًهم على العمل إلا حين ظهر لهم منا معاشر أهل الدين النزاع والقتال .

فما كان من ابن حميد الدين ، إلا الجواب بإعانة (الأتراك) ونشر تلك الرسائل المشحونة بالهزم واللمز كما هو شأن (. . .) متغاضياً عن الصواب ، كأنه يظن أن شمس الحق يضرها طفل الباطل وهيئات هيئات ، وقد وعد الله بأن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون .

وربما تسألون جميعاً عما بأيدينا من (المدافع) والأسلحة ، فهذه هي

القوة التي أمرنا الله بتحصيلها يقول تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)
وفي الحديث : « ألا أن القوة الرمي » .

على أن مذهب (الزيدية) الذين هو منهم يجوزون أبعد من ذلك بمرآحل ،
وهو الاستعانة بالكفار في الجهاد ، كما حكاه في كتاب « البحر » عن العترة ،
وأبي حنيفة لما صح أن (قزمان) خرج مع أصحاب رسول الله ﷺ يوم
أحد وقتل ثلاثة من بني (عبد الدار) حملة لواء المشركين حتى قال ﷺ
« إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وقد جمع بين هذه الأحاديث وأحاديث المنع من الاستعانة بالمشركين
بأمور منها أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها ، قال ابن حجر : وهذا
أقربها وعليه نص الشافعي .

وليست هذه (كمكينات) ضرب الفلوس و (البقش) التي استجلبها
من (الانكليز) ابن حميد الدين من طريق (عدن) مع أن أي ضرورة في
الدين إلى هذه (المكينات) والتدلل في طلبها .

وقد عاش أئمته على هذه التقود المقصودة ولنا أسوة بالسلف الصالح
وهل كان الرسول والخلفاء الراشدون كذلك اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا
اتباعه والباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . . . إلى آخر ما جاء في ذلك المنشور
المطول .

إن المنشور (الإدريسي) سجل تاريخي ، نشره أثناء إقامته بمدينة (ميدي)
بعد استيلائه عليها من الأتراك في عام ١٣٣٠ ووزع على رؤساء وقادة الرأي
في القسم الجبلي . وضحاً العلاقات بينه وبين الإمام يحيى شارحاً تطورات
الحوادث ، وهو وإن كان كمنشور دعاية من جهة ضد جهة أخرى فيلزمنا
الإنصاف للتأريخ أن نبحث عن وجهة دفاع الجهة الأخرى أما في منشور
ردت به تلك الجهة أو غيره وإذا أعوزنا ذلك وهو (الواقع) فعلى الأقل
وعلى قلة المصادر التي تعنتي بتحري دقائق السياسة في ذلك العهد فلا مناص
من استقرار الحوادث وتببع مجريات الأمور التي تلخصها فيما يأتي :

عاد الإدريسي إلى وطنه ومسقط رأسه في شهر جمادى الأولى عام ١٣٢٤ والإمام كما أشرنا قبله قد انسحب أمام القوات التركية التي احتلت (صنعاء) إلى شاهرة ، ولا زالت المعارك دائرة بينه وبين الأتراك وقد تقدم (أحمد فيضي) إلى شاهرة فني بهزيمة ساحقة وعاد إلى (قواعده) في صنعاء وظل الإمام يحيى في معقله الحصين متربصاً بهم الدوائر إلى أن عزل (أحمد فيضي) في عام ١٣٢٦ هـ بـ (حسن باشا) الذي عقد هدنة مع الإمام استمر مفعولها نسبياً إلى عام ١٣٢٨ أما معاهدة الصلح بين الإمام والأتراك فهي في عام ١٣٢٩

الاتفاق والاختلاف :

فيما بين ١٣٢٤ - ١٣٢٩ هـ وحدث الغاية المشتركة بين الإمامين وهي مقاومة الأتراك ، ونرجح أنه في عام ١٣٢٧ كان وصول وفد الإمام يحيى إلى الإمام الإدريسي وهو الوفد الذي أشار إليه في مستهل منشوره ، أي في عهد الهدنة الموقته بين الإمام يحيى وحسن باشا وقد أعقب تلك الهدنة شوب نار الحرب ولم يطفئها إلا الوالي التركي عزت باشا بعقد معاهدة الصلح مع الإمام وفي تلك السنة نفسها كانت معركة (الحفائر) أي في عام ١٣٢٩ وهزيمة الأتراك الساحقة في (جازان) أمام القوات الإدريسية وقد أشار الإدريسي في منشوره إلى استمالة الأتراك للإمام بما أشار ، وقد أشار أمين الريحاني في ص ١٤٦ ج ١ من كتابه «ملوك العرب» إلى معاهدة الصلح تلك بقوله : (كان يومئذ عزت باشا) والي اليمن وكانت الدولة على أهبة الحرب مع إيطاليا فسعى عزت بما كان له من حنكة وفصاحة وكرم إلى مصالحة الإمام لينمعه على الأقل من محالفة العدو كما فعل بعدئذ الإدريسي .

اتفق إذاً الإمام يحيى مع الأتراك وقد استفحل أمر الإدريسي وأصبح خطراً يهدد كل نفوذه والإمام يحيى صاحب نفوذ روجي مورث في جميع المنطقة الجبلية من ذمار ، إلى صعدة التي تدين بمذهب (الإمام زيد) فترى أنه أوجبت الظروف في أثناء محاربته للأتراك لعقد تلك الاتفاقية بينه وبين الإدريسي التأثير مثله على الأتراك في إبان نشوء دعوة الإدريسي التي لم يكن ينتظر لها أن تلقى ما لقيته من رواج وتوفيق وقد يكون الإمام يحيى كان يؤمل

أن يكون الإدريسي — تابعاً لنفوذه — والسيد الإدريسي من سعة الأفق وبعد المطمح والحنكة السياسية بحيث أثبت وجوده الفعلي مستقلاً بين زعماء العروبة فضلاً عن أن يرضى أن يكون تابعاً^(١) ونرى في عام ١٣٢٧ وبعد اتفاق الوفد (عثماني) على وجه التحقيق الذي كان على رأسه (سعيد باشا) والذي اقترح على الدولة العثمانية — كما أشرنا — على أن يبقى (الإدريسي) كحاكم على الخلف السليماني باسم « قائم مقام » كموظف عثماني تابع للدولة . إن الإدريسي نفسه اعتبر تلك الاتفاقية كاعتراف ضمني من الدولة بنفوذه ، وعلى أثرها بعث نوابه إلى الجهات ومن أولئك النواب (عرار بن ناصر النعمي) الذي بعثه إلى جبل (فيفا) وما يليها من الجبال وكانت قبائل تلك الجبال قد انهمرت عليه وفودها وبايعه شيوخها فجعل — كما أشرنا قبل — القائد الإدريسي من (فيفا) نقطة الانطلاق إلى توسيع دائرة النفوذ الإدريسي فشمّل نفوذه النظير بل جبال رازح جميعها حتى قرب (صعدة) تقريباً وأقبلوا برهائنهم إلى (صيبا) وكان في تلك المنطقة مراكز تركية وبعضها قد ثارت وانضمت مع الإمام في ثورته والبعض خارجون عن كل سلطة أو مع القاسمي فاصطدم النفوذ الإدريسي بالنفوذ الإمامي مباشرة كما اتفقت مصلحة الترك ومصلحة الإمام في صد تيار النفوذ الإدريسي فشب القتال في جهة (رازح) فكانت النتيجة ذلك النصر الذي أشاد به السيد الإدريسي في منشوره — راجع الفصل الخاص بعنوان في الميدان الشرقي .

وأخذ بعد ذلك الانتصار العداء يشتد حتى تم الصلح بين الأتراك والإمام يحيى في عام ١٣٢٩ وهو العام الذي حدثت فيه معركة (الحفائر) وهناك قد

(١) جاء في الفصل ١٦ من تاريخ اليمن للواسمي ، مانصه :

وصل السيد محمد — يقصد الإمام الإدريسي — إلى صيبا وأظهر الصلاح والزهد والورع وأخذ يتقرب بالوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فأصبح رجلاً دينياً — هكذا — جذاباً للنفوس بالكرم والجود وصارت له شهرة عظيمة — إلى أن قال —: وجرت بينه وبين الإمام يحيى المكاتبة والمهادنة . وطلب الإذن من الإمام يحيى — هكذا — ببقائه في تلك الجهات للإرشاد والتعليم ، ولم يعلم الإمام بالغاية فكتب له بالإذن مع كثرة العطاء — هكذا — وأهدى له كتباً . ثم وفدت إليه الوفود من أطراف اليمن فقويت شوكته وعظم شأنه وتفاقم شره وتطاول خطره . ؟ وهذا قول اعتقد أنه لا يتفق مع الواقع بل ينافي الحقيقة .

أصبح الإمام يحيى حليفاً وصديقاً للأتراك ، والإدريسي منافسه بدأ يتقرب إلى الحلفاء كحليف لبريطانيا ضد تركيا وكما كان يرى الأول أن مصلحة الإسلام والقومية العربية التخلّص من سلطان الأتراك بمساعدة أي حليف كان سواء إيطاليا أو بريطانيا ما دام أن التحالف معهما موجه ضد الأتراك وجلاءهم عن البلاد العربية لا يمس استقلال البلاد في المستقبل ، والآن وقد انتهينا من إيراد المنشور والتعليق عليه فعليّنا أن نورد ما سجله أمين الريحاني .

نظرة الإمام الإدريسي الخاصة تجاه الإمام يحيى :

وفي أثناء قدوم الكاتب العربي المشهور أمين الريحاني ، في رحلته المعروفة إلى الإدريسي جرى في إحدى الجلسات هذا الحديث :

قال السيد الإمام الإدريسي في أثناء بحث الريحاني معه في موضوع معاهدة الإخاء والتضامن بينه وبين الملك حسين : (المسألة بيننا وبينه قريبة هو لنا بمثابة الأب ونحن أبناؤه الراشدون ، عندنا حكمة . حكمة في الدين وفي السياسة وعندنا ... قوة القبائل في يدنا ، والله لا تمر أربعة أشهر على المعاهدة إلا نكون أصلحنا بينه وبين ابن سعود) .

الريحاني : إذا أصلحتم بين جلالة الملك وسلطان نجد فهو لا شك يسعى ليصلح بين سيادتكم والإمام يحيى فيتم إذ ذاك الاتفاق الرباعي أو المحالفة الرباعية وهي كما أظن حجر الزاوية في الوحدة العربية .

الإدريسي : هذا كلام حق ولكن الأمر بيننا وبين ذلك الرجل بعيد .
الريحاني : ليس على الله يا مولانا أمر عسير .

الإدريسي : نعم صدقت . وما نحن يا حضرة الأديب بعيدون مما تروم ولكن ذلك الرجل ، أضربنا والله ضرراً جسيماً ، ونحن نفعناه مجرداً عن كل ضرر وغش ، أما ونحن والملك حسين فقد كان الضرر والنفع بيننا منا ومنه ولذلك ترى الأمر قريباً بيننا .. العرب خلدأعون غدارون .. نحن أول من حمل على الأتراك في الحرب الكبرى ، أول من انضم إلى الأحلاف أما هو فاتفق والترك وانسحب إلى (شهارة) وأقام هناك بعيداً عن ساحة

القتال ، أي خير نحن العرب قد جاءنا من الترك ، أية منفعة نفعل بها ؟
نحن حاربناهم قبل الحرب وحاربناهم أثناء الحرب وسحاربهم إذا عادوا
إلى بلادنا .

نحن كنا نحاربهم في (تهامة) لردهم عن ابن حميد الدين أوقفناهم مراراً
في زحفهم عليه ، دفعناهم عنه ، فراح يعقد وإياهم صلحاً من وراء ظهرنا
هذا في أثناء الحرب ، أما قبلها فكنا نحن وإياه متعاهدين - يشير إلى المعاهدة
التي أوردناها في أول الفصل - عقدنا محالفة لمحاربة الأتراك وطردهم من
(اليمن) ولما جاءوا يمرون في بلادنا ليضربوه من جهة الشمال أوقفناهم وقتلنا
لهم : كيف نقبل وبيننا وبينه عهد الله . وصل الترك بعدئذ إلى (صنعاء) فهبوا
يضرّبوننا من وراء الجبال فلم يمنعهم ابن حميد الدين حليفنا طبق عهدنا كأن
العهد عنده قصاصة ورق .

ويقول الريحاني : وفي كتابين اطلعت عليهما الأول من الإمام يحيى
إلى الإدريسي والثاني جوابه من الأخير في كتاب الإمام يحيى وتاريخه
٢٥ جمادى الثاني ١٣٣٩ بعد المقدمة .

(إننا نرحب بسعي كل من يرجو الله في دفع الدسائس الأجنبية وصون
هذه البلاد العربية من تدخل الأجانب ، واعلموا يقيناً أن ليس لنا غرض
ولا مقصد في غير القيام بخدمة الله بالقلب واللسان ، والله لولا أن نرى
تحتم القيام علينا بالدفاع عن عادية الكفار على هذه الأصقاع لما حركنا ساكناً
ولما أظهرنا كامناً ، ونصرح لكم بأنه مع ما بينكم وبين الدول من الروابط
والعلم بما لهم من المقاصد الضارة بالإسلام والمسلمين ، وما يرمون من
التسلط العام والسيطرة الشاملة على كل من قعد وقام وبأنهم لا يدفعون
الأموال والذخائر إلا بمقابل غرض عظيم يعدون الاستفادة منه لدولتهم
وملتهم ولم يحملهم على إظهار عداوتنا إلا عدم المساعدة لهم منا في بعض
البلاد اليمنية ولولا ذلك لما كان بيننا وبينهم ما كان وما سيكون ، قد أنصفتم

سما أوضحتموه (لشرقي) من القيام^(١) بالعدة والتشمير لدفاعهم ومنعهم وحربهم في البر والبحر وذلك هو الغرض المقصود ، ولكن بقي أمر مهم وهو هل لهم من حجة يحتجون بها ويجعلونها ذريعة لهم إلى مقصدهم الخبيث من ادعاء أي جانب في اليمن وهل لكم من فكاك من تلك الروابط يزول به كل وسيلة لهم إلى أي تجاوز ؟ ! . المؤمل من صداقتكم مع كتابنا هذا أن لا تكتموننا شيئاً فإنه لا محباً بعد بوس ولا عطر بعد عروس ، وأنتم أعرف بسياسة الدول ومسالكها إلى الوصول إلى أغراضها بما تبرمه من متلونات الحيل . وهذا إليكم كتاب أخ إلى أخيه للنظر فيما يعز الإسلام والمسلمين ويدفع كيد وضرر الكافرين إلخ .

جواب سيادة الإدريسي على سيادة الإمام يحيى :

بعد حمد الله والسلام يُعلمه بوصول كتابه مع (الشرقي) يؤكد له أن بغيته المقصودة وضالته المنشودة (أن نرى أنفسنا على محكم الإخاء والوفاق مع جميع الأمة فرداً فرداً فضلاً عن هو مثلكم ممن ضمنا وضمه رحم العلم والنسب) ولو نظرنا إلى ما جرى من الحوادث حتى كاد لم يكن رحم توصل ونفوس بين يدي الله تسأل فدعا الأخ أخاه إلى حكم السيف واللسان بل كر عليه بما هو أنكر من وخزات القلم واللسان ، لطال الشرح وتمادى الحال . ولكن حيث أوجب تعالى على الكافة أن يكونوا إخواناً ، وفي الحق أعواناً فلا مخلص لنا ولكم لدى الباري من الحجة ، إلا أن نسلك أوضح طريق هذه الحجة .

أما ما أشرتم إليه فيما بيننا وبين الأجانب فلو راجعتم التاريخ بالنظر لما قد مضى بيننا وبين الطليان وقد أمدونا بما علمتم ثم وقع الصلح بينهم وبين الترك فانكشف الحال عن براءتنا من كل دسيئة بل ظهر للعموم ما أجراه الله على

(١) أي الإنكليز ، وقد علق (الريحاني) في الحاشية على ذلك بما يأتي : (وفي هذه الجملة) اختلاف على ما قيل لي وقصد سيء ، لأن (الشرقي) لم ينطق بهذا الكلام أو بمثله لسيادة الإدريسي ولا أحد من خاصته ومن أين للإدريسي أن يحارب الإنكليز براً وبحراً . فضلاً عن أنه يومئذ صديقهم وحليفهم . أما القصد منها فظاهر . وقد كان الإدريسي يخشى تقرب الإنكليز من الإمام كما كان الإمام يسعى ليعلمهم أي بين الإدريسي والإنكليز ؟ .

يدنا من الخير المعلوم لاتضح لكم الحقيقة الحاضرة وعرفتم المثل السائر :
ما أشبه الليلة بالبارحة . وفي الجملة ما حالنا وحال اليمن إلا كما قال حجة
الإسلام .

غزلت لهم غزلا دقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرتُ مِغْزَلِي

إن الله تبارك وتعالى إذا فتح بالخير فلا رادّ لفضله . وأما ما طلبتم البيان
فيه عن اليمن وما ترمي إليه السياسة الأجنبية فمن المعلوم أنها لما قامت الحرب
الأوربية أعلنت بريطانيا مساعدة العرب إذا أرادوا الاستقلال دون تدخل
في شيء من شؤونهم ولكن مع الأسف أنهم على آراء متفرقة وأهواء مختلفة
ومرت هذه الفرصة وكادت تمر ولم يرفع إليها رأساً . . على ما نشاهده الآن
في الاختلاف وعدم الانتباه ، لما يرفع شأنهم ديناً وسياسة . أثبتوا على أنفسهم
عدم الرشد فاحتقرتهم أعين العالم وصاروا عرضة لانهطاط قوميتهم من بين
سائر الأمم فلا حول ولا قوة إلا بالله . .

ومثالكُم على وفور من العلم والسياسة وبِمَحَلٍّ من المعالي والرياسة ،
فلا يخفى عليكم كيف يكون لِسَمِّ الشَّعْثِ لهذه الأمة ، وما هو الأقوم عند الله
طريقة في زوال هذه الغمة وحسبنا الله ونعم الوكيل في ١٥ شعبان ٣٢٩ ويعلق
(الريحاني) على الكتابين بما يأتي :

(في هذين الكتابين يتضح أمران : أن دعوة الإمام يحيى دينية ظاهراً
وسياسية ضمناً ودعوة سيادة الإدريسي دينية أساساً وسياسية وقومية عملاً) .

الثاني : أن في كتاب إمام صنعاء . غموض مقصود قلما يفيد ، وفي
كتاب إمام جازان صراحة مبررة وتخصيص ليس فيه إبهام .

وبالطبع هذا الرأي الشخصي للريحاني .

باسم الله

من عبد العزيز بن مساعد بن عبد الله بن محمد بن راشد بن السيد مصطفى بن محمد النعمي سلم الله وجهه ابنت
 ورحمة الله وبرحمته وبعد ذلك ان معلومكم ان قطع غير في سابق الامر قبل تغلب الدولة وكذلك غاب اليمن في ملك
 السعود وسيرتهم فيه معلوم من افناء الدين ويشوخي العايف من مقامهم السعود فلما زال ملك الدولة
 ملكنا من حصة الموافقة على دين الله ودين رسوله واسمهم والحق به فلما ردوا ذلك امرى الله عليهم ما ترى
 ونذكر ان الاناس من ضعفاء العقول من قضى محال يزعمون ان ملك السعود ما يستقر في اليمن وهذا زعم في
 حيث انما يستكبر برهم المصنف في سابق الامر وغاية التصدد وساداة القاعة البرهان اجتماع الكلمة فبهذا لبيبة
 صار لهم بعض الالتفات اليكم وهنا انتم انكم ما نلتفت لهم ولا تلتفتهم فان كانا صابرين بعض ما ذكر فيكم معلوم
 ان عبر قبل الرخم تحت يد حسان وسليمان فخرج صار هكته فهو باق على حاله في ولاية من سعود ولا زعن تحت حوز
 نهم ولا تلتفتون لهم كلام ومن صار لكم عليهم اليد قبل الوقت يستحقكم على حاله والنظر بعد ذلك انهم زعموا انهم انكم التفتون

حاشا
 ١٣٣٨
 ١٣٣٨

راجع الفصل الخاص بعنوان ابن مسعود والإدرسي .

رسالة من الأمير عبد العزيز بن مساعد مؤرخة في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٨

من عبد العزيز بن مساعد آل سعود وعبد الله بن محمد راشد إلى السيد مصطفى ابن محمد النعمي سلمه الله تعالى ، وهداه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك من معلومكم أن قطعة عسير في سابق الأمر قبل تغلب الدولة وكذلك غالب اليمن في ملك آل سعود وسيرتهم فيه معلومة من إقامة الدين وشيوخ العائض من مقادير آل سعود فلما زال ملك الدولة طلبنا من حسن الموافقة على دين الله ودين رسوله والسمع والطاعة فلما ردوا بذلك أجرى الله عليهم ما ترى ويذكر لنا أن ناس من ضعفاء العقول من قضى محایل يزعمون أن ملك آل سعود ما يستقر في اليمن وهذا زعم فاسد حيث أنه ما يستنكر سيرتهم المرضية في سابق الأمر وغاية القصد والله الحمد إقامة الدين في اجتماع الكلمة فهذا السبب صار لهم بعض الالتفات إليكم إوحنا نجزم أنك ما تلتفت لهم ولا تلقاهم فإن كان صاير بعض ما ذكر فليكن معلوم أن عسير قبل الواقعة تحت يد حسن وسليمان فمن صار هكذا فهو باق على حاله ولأية ابن مسعود ولا نرضى تعترضونهم ، ولا تلقون لهم كلام ومن صار لكم عليه اليد قبل الواقعة يبقى لكم على حاله والنظر بعد ذلك نرجو من الله لنا ولكم التوفيق والسلام .

٤ ذا القعدة سنة ١٣٣٨

الختم

عبد العزيز بن مساعد بن جلوى

الختم

عبد الله بن محمد بن راشد

الفصل الثامن

ابن سعود والإدريسي

كان الإدريسي على اتصال ومجاملة مع ابن سعود على بعد المسافة بينها ، وبعد وقعة (تربة) في ٢٥ شعبان عام ١٣٣٧ هـ الموافق ٢٥ مايو عام ١٩١٩ التي كان لها الأثر البعيد في أرجاء الجزيرة العربية .

شعر الإدريسي أن هناك قوة ينبغي الركون إليها ووضعها في رأس قائمة الحساب . وبينه وبين الملك حسين من العداء منذ اشتراك (الحسين) في مساعدة الأتراك بفك حصار (أبها) - ما هو معروف - ثم ما وقع بعد ذلك مما أشرنا إليه مفصلاً ، في الفصل الخاص بالدولة الإدريسية .

وقبل وقعت (تربة) بمدة ثلاثة أشهر - تقريباً - تبلغ والي عسير التركي عن طريق الإدريسي بواسطة الدولة البريطانية أمر التسليم والتقاء رجال الإدريسي في حدود (الشَّعْبَيْنِ) ورافقه إلى ميناء الشقيق حيث تنتظرهم البواخر البريطانية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك -

وبالطبع أن الفراغ الذي أحدثته انسحاب الأتراك لابد أن يملأ واختيار الإنكليز لوساطة الإدريسي في تسلم الأمر بالانسحاب تحويل ضمني ملء ذلك الفراغ - وإن كان مضمون الأمر تسليم البلاد إلى أهلها -

وبلاد عسير بموقعها (الاستراتيجي) الهام ومرتفعاتها المظلة على (تهامة) - المملكة الإدريسية آنذاك - ضرورة دفاعية لحماية الحدود الشمالية لدراء خطر أي هجوم على سهول (تهامة) أضف إلى ذلك أن المملكة الإدريسية محصورة بين المملكة اليمنية من الجنوب والمملكة الهاشمية من الشمال الغربي وليس أمامها فرصة للتوسع إلا على حساب أحدهما وهو أمر مخوف بالمخاطرة والصعاب و (عسير) حينذاك ليست لأحد .

والملك حسين في ذلك التاريخ منتشي بخمرة الانتصار على الأتراك الذي

ختم باستلامه المدينة المنورة في ١١ / ٤ / ١٣٣٧ الموافق ١٥ يناير عام ١٩١٩ فأنجحت مطامعه نحو (عسير) .

وقد انتهى أمر عسير بانضمامها إلى الإدريسي - كما وضحناه قبل - وختم ذلك الفصل من تاريخ عسير والإدريسي بثورة آل عائض ونجاحهم في إلحاق الهزيمة بالجيش الإدريسي الصاعد إلى السراة لإخضاعهم .

وشعر الإدريسي بالقوة المحركة وهو الملك حسين فاتصل (بالرياض) - كما ألعنا في الفصل الخاص بعسير - وكانت النتيجة اكتساح الجيوش السعودية لعسير . فكان الحال لا يعدو ما يتمناه من المصير لعسير عامة ولآل عائض خاصة وقد اتصل القائد السعودي لحملة (أبها) عبد العزيز بن مساعد بالإدريسي وتبدلت بينهما المكاتبات والاتصالات الودية وبعث الأخير الوفد المحتجز لديه لابن (مساعد) . كما اتصل بعظمة سلطان نجد نفسه . وقد عثرنا على أحد الرسائل الموجهة من الأمير عبد العزيز بن مساعد ، إلى عامل الإدريسي على رجال ألمع نشرناها في هذا الكتاب للحقيقة والتاريخ . وقبالة صورتها الشمسية . (ص ٧٥٧ و ٧٥٨) .

ويروي أحد من خدام الإدريسي - ولا يزال على قيد الحياة - أنه ولد للإدريسي في عام ١٣٣٨ ابناً فأسماه (عبد العزيز) وكتب للإمام عبد العزيز ابن سعود عن هذه (السماية) ومن ضمن تلك الرسالة ما يأتي :

(إني أجلت النظر في أنحاء أرجاء الجزيرة فلم أجد أهلاً للثقة ورعاية عهود الإخاء سواكم . واعلموا أن ابن آدم رهن المنون . فإذا توفاني الله فأنتم المقلدين بالوصاية على عائتي وأهل بيتي . . . الخ) .

وقد أيد ما ذكره بأن نص الخطاب مسجل في سجل ديوان الإدريسي بصحيفة ١٣ لسنة ١٣٣٨

وبعد أن اكتسحت القوات السعودية عسير ومحائل ، توجه وفد منها إلى الإدريسي بـ (صبيا) برياسة شخص يسمى عبد الله بن راشد ، فاستقبلهم بالحنو والتكريم وتفاهموا معه حول مهمتهم وأشاروا عليه بهدم القباب والأضرحة فحالاً أصدر أمره .

- ١ - بهدم ضريح جدة أحمد بن إدريس والقبب المشادة عليه وبوشر ذلك ليلا فلم تشرق الشمس إلا وقد سوى بالأرض .
 - ٢ - هدمت جميع الأضرحة والمزارات في أغلب المملكة الإدريسية .
 - ٣ - منع نساء البادية من غشيان الأسواق .
- وقد شاهد الوفد مباشرة أغلب هذه الإجراءات وغيرها ثم انصرف عائداً إلى عسير . .

موقف الإدريسي من ثورة عسير :

ثار أهل عسير أو بالأصح ثار (آل عائض) على الحماية السعودية وأميرها وأخرجوها عن حدودهم وأوغزوا إلى رئيس محائل سليمان بن خالد (فتار هو بدوره وطرده من لديه ، وكما مر بك في الفصل الخاص بعسير بعث ابن سعود ابنه الأمير (فيصل) على رأس جيش قوي استعاد عسير ومحائل) .

أما الإدريسي فقد قام بواجبه كصديق لعاهل نجد - آنذاك - نحو ما يستطيع عمله . فعندما بلغه ثورة رئيس (محائل) أصدر أمره فوراً على أميره في رجال ألمع مصطفى النعمي ، بالهجوم على (محائل) أخذاً بثأر حاميته . راجع الفصل الخاص بـ (عسير) . فهاجمتها القوات الإدريسية وأثخن فيهم القتل وأخرقت الدور وهدمت بمدفعها دور سليمان بن خالد ، الذي فر بدوره إلى الملك حسين وانسحبت عائدة إلى قاعدتها .

محاولة آل عائض :

وكان آل عائض بعد اكتساح جيش الأمير فيصل لعسير كتبوا إلى الإدريسي ، مظهرين أسفهم لما سبق أن جرى منهم نحوه ، ملوحين باختيارهم الانضمام تحت لوائه فيما إذا استطاع استعطاف ابن سعود في الإبقاء له على عسير ، فخامرهم الطمع اعتماداً على الصداقة التي بينهما فكتب لابن سعود فأجابه بالكتاب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود . إلى جانب الأجل الأمجد
الأفخم حضرة الأخ السيد محمد بن علي الإدريسي .
بعد إهداء مزيد السلام ورحمة الله وبركاته . . .

قد وردنا كتابكم المكرم المؤرخ غرة الحجة عام ١٣٤٠هـ فأخذناه بيد
التكريم وتلوانه مسرورين بدوام صحتكم غير أنا فهمنا من فحواه ومنطوقه
بعض الأماني الخيالية ، التي لا تؤملها من مثلكم ، كنز أيدينا عن بعض
أملنا التي ورثناها عن آبائنا ، ومؤكدة بالعقود والمواثيق المقررة بالإيمان
والعهود مع جنابكم ، برابطة الصداقة المبنية على تقوية هذه الكلمة المطهرة .
حسب ما اعتقدناه في حسن نواياكم ومحبتكم لذلك ودعواكم لقبوله كما تشهد
به التحريرات الكاثنة بأيدينا وأيديكم . ولم يخطر ببالنا أن يتخيل عندكم
عكس ذلك فضلا عن تصوره . لا ظاهراً ولا باطناً :

اللهم إلا أنه قد كان استغفركم ما أحدثه هؤلاء الأشقياء من (عسير)
ومحركهم بقول أو فعل أو رضا . كما لا نعلده لدينا إلا استحكام عقوبة
عليهم ، وإظهاراً لما في بواطن كل منافق . كما هي عادة الحوادث في كشفها
الغطاء وترجمتها عما في قلب العدو أو الصديق كما قيل :

جزى الله النوائب كل خير وإن كانت تُغَصِّصُنِي بريقي
وما شكرى لها حباً ولكن عرفتُ بها عدوِّي من صديقي

ثم تعود الحال على ما كتبه الله من كونه مع جنده . كما قال تعالى :
(وإن جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) ولا شك أن جنده هم التائبون بأمره . ومع هذا
الاحتمال يلزمنا شرعاً صرفه إلى ما هو أحسن عملاً بقول أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا تحمل كلمة تخرج من أخيك على سوء
وأنت تجد لها محمل خير ومحبة) . رجا بذلك المصلحة العامة .

ولم نشك أن الأمر سوء تفاهم فقط . ليس لاختلاف فيه ، ولكن أخني

حفظك الله الواجب على حضرتكم مراعاة الحقوق ، والثبات على الاتفاق والمعاهدة ، وعدم التغير في الأوقات الحرجة ، لأن الأحوال غير مأمونة . ودائماً الأسباب تظهر على غير ما يؤمله الناس . كما جرى بالأمس على أهالي (عسير) الطائفة الخارجة عن الطاعة صاروا سبباً لهلاكهم . وخراباً على محركيهم والمشوقين لهم لذلك .

فَالآن أبين لحضرتكم أننا ما نأخذ الصاحب على أول زلّة بل إن شاء الله مستقيمون على ما سبق بيننا وبينكم . اللهم إلا أن يكون وضعية على غير فكرنا . أو غرض غير غرضنا . فبينوا لنا ذلك ، والخير في الواقع . فإن كان الأمر باق على موجب رأينا فكن واثقاً بالله أننا لا نجعل الأمر القاتل على البال . بل أجريناه على مجرى حسن ورجونا أن الماضي معلم المستقبل . فلا توهم ما أشرنا إليه من العبارات المؤذية بالعتاب زيادة ولا نقصان كما قيل (ويبقى الود ما بقى العتاب) .

ولابد من مراجعة بينكم وبين الإبن فيصل ، ونحن عرفناه بما فيه الكفاية هذا ما لزم تعريفة والسلام على الأولاد الكرام ومنا الأولاد يسلمون عليكم ودمتم محروسين في ٢٥ صفر ١٣٤١ . — (الختم)

وفي عام ١٣٤٤ عند قيام الحسن الإدريسي على ابن أخيه بعث جلالة الملك عبد العزيز وفداً مؤلفاً من ابن عسكر ومحمد بن دليم ومصطفى النعمي وعبد الرحمن بن ظافر النعمي وعبد الوهاب أبو ملححة للإشراف على الحالة والتوفيق ذات البين ، إن أمكن إلا أن كفّة السيد الحسن رجحت وأزاح ابن أخيه وتبوأ مركز الإمامة وباستقرار الأحوال عاد الوفد إلى أمها . وبعد توجه الوفد رأى الحسن الإدريسي أن مطامع إيطاليا تحوم حوله ، وقد استولى الإمام يحيى في عهد ابن أخيه على أكثر من نصف المملكة وفي عهده استولى على جبلي (مُنَبَّه) . وكان قد وصل لزيارته الزعيم الإسلامي أحمد الشريف السنوسي ، فأشار عليه أن من الخير له أن يرتبط بمعاهدة صداقة وحماية مع ابن سعود ، فرجع الحسن ذلك ، وانتدبه لتلك المهمة فتوجه إلى الحجاز وتم بواسطته إبرام معاهدة (مكة) المعروفة التي بموجبها دخل في الحماية السعودية .

معاهدة مكة المكرمة

الحمد لله وحده :

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وبين الإمام السيد الحسن ابن علي الإدريسي .

« رغبة في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وتقوية للرابطة بين أمراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية :

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر عام ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي ، والتي كانت خاضعة للأدارة في ذلك التاريخ ، هي تحت سيادة جلالته ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية : لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة ، وكذا لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة : لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب وإبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارة وأهل الحل والعقد التابعين لإمامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة

بلاد عسير الداخلية ، والنظر في شئون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعدي داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير الميمنة في المادة الأولى . وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين .

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ م .

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود (الختم الملكي)

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف خدام الإسلام أحمد الشريف السنوسي . الختم

إمام عسير

الحسن بن علي الإدريسي

الختم

الفصل التاسع

من رسائل الإمام محمد بن علي بن إدريس « في عهده الأول »

إن الرسائل صورة من نفسية المرء العملية يستشف منها منحاه واتجاهاته ومنهج سياسته وقد تحصلنا على عدد لا بأس به من رسالته فاخترنا منها :

١ - رسالة تعد من أقدم رسائله تتضمن منهج حركته الأولى والطريقة التي سلكها لمبررات حركته ولها ملحق عن مبرراته أو ما يراه من المبررات بقطعه يدي أحمد شريف الخواجي وهو جواب على رسالة استفسارية وردته من والد المؤلف ، والرسالة مؤرخة في جمادى الأولى سنة ١٣٢٧ وقد أخذنا لها صورة فوتوغرافية وأوردناه تحت رقم (١) .

٢ - صورة منشور طبعه الإدريسي في الخارج بمبررات ثورته على الأتراك وهو سجل يحتوي في مضمونه على أدوار من حركته وتطورات قضيته مع الأتراك .

٣ - نص منشور موجه إلى سكان القسم الجبلي وبجده القاريء الكريم في الفصل (بين الإمام يحيى والإدريسي) . راجع هذا الفصل .

٤ - رسالة صادرة منه إلى أحد قاداته في الجهة الشمالية مصطفى النعمي بتاريخ ٢٦ ربيع أول ١٣٢٨ تحت رقم (٤) .

٥ - رسالة صادرة منه إلى أحد قاداته في المنطقة الشمالية بتاريخ ربيع آخر سنة ١٣٢٨ . رقم (٥) .

٦ - بيان بتحقيق زكاة قبيلة بني حمّد بتاريخ ١٣٢٨ . رقم (٦) .

٧ - رسالة إلى عامله مصطفى النعمي جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ . رقم (٧) .

- ٨ - صورة من أمره الصادر إلى مشايخ بني شيبيل تحت رقم (٥) بتاريخ ٢٧ القعدة ١٣٢٨ . رقم (٨) .
- ٩ - منشور إلى أهل سراة عسير بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٣٢٨ . رقم (٩) .
- ١٠ - رسالة صادرة منه إلى عامله في سامطة ناصر بن حيدر الحسني ٨ محرم سنة ١٣٢٩ . رقم (١٠) .
- ١١ - إيصال إدريسي بتاريخ ١٣٢٩ . رقم (١١) .
- ١٢ - صورة رسالة صادرة إلى عامله وأحد قادته في الجبهة الشمالية مصطفى النعمي وبرفقها ملحق كتعليقات سرية والرسالة والملحق بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ . رقم (١٢) .
- ١٣ - خطاب من الإدريسي بتاريخ ربيع الأول ١٣٢٩ إلى قاضيه في حبل . رقم (١٣) .
- ١٤ - رسالة إلى عامله مصطفى النعمي ٢٦ شعبان سنة ١٣٢٩ .
- ١٥ - صورة من أمره الصادر إلى مشايخ بني حمّد بتاريخ ٢١ الحجة ١٣٢٩ .
- ١٦ - صورة من أمره الصادر إلى مشايخ بني شيبيل بتاريخ ٢٤ الحجة ١٣٢٩ .
- ١٧ - رسالة إلى عامله في رجال ألمع ربيع الأول سنة ١٣٤١ .
- ١٨ - خطاب إلى مصطفى النعمي عامله في بلاد رجال ألمع بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٤١ .
- ١٩ - خطاب من الإدريسي إلى محمد طاهر رضوان بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤١ .
- ٢٠ - رسالة من الإدريسي إلى محمد طاهر رضوان بتاريخ ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس لطف الله بهم
إلى من هو بمكارم الأخلاق متخلق وبكل وصف جميل متحقق
الفاضل أحمد بن عيسى العقيلي لا زال محفوظاً ملحوظاً بعناية الملك العلي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

صدرت للسلام والتحية والإكرام كتابكم الكريم وصل ، وما شرحته
اتصل ، وكتاب الفاضل الإمام الثوري أحمد بن أبي طالب الغبيري لما فتحنا
طياته لاحت لنا صالح طوياته ، والله الحمد حيث كان ممن شملته طريقة
سيدي الجد فإن سيدي ومولاي إمام أهل التقديس الأستاذ الأعظم سيدي
أحمد بن إدريس يقول بشرني جدي يعني النبي صلى الله عليه وسلم أن من
انتمى إليك لا أكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته أنا وليه وكفيله ، فقد
تكفل صلى الله عليه وسلم بأهل طريقه وهذه بشرى عظيمة وقد عمت جميع
الأقطار بحكم الفيض الإلهي المدرار ، ولا زالت أوراده تنشرها الأفاضل
وتعني بضبطها وإتحافها للمريدين لا سيما بدار السعادة على يد الأكمل الممنوح
بالأسرار الحاج مختار بك الآخذ عن الشيخ الإمام إسماعيل النواب رحمه الله
وما أظهره الله الآن من الأمن والإيمان فهو لا شك أنه من بركات سيدي
أحمد وما بقى أكثر وكم دعا رضي الله عنه في حياته إلى العمل بقوله تعالى
﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به
إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ ولازلنا بحمد الله
ندعو إلى ذلك وفي الحقيقة أن الناس في تفرقهم إلى جمعية أحرار واتحاد
وعلمية ومحمدية وغير ذلك لو علموا الحقيقة لرأوا أن الشريعة متكفلة بكل
مكارم الأخلاق التي يحاولونها ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ ما كان حديثاً
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون ﴿ فالاتحاد ليس روح الدين سواء ، قال عز وجل ﴿ واعتصموا
بحبل الله جميعاً ﴾ والحرية التي هي عصمة الدم والمال والعرض إلا بحق جاء

به القانون الإلهي هي من النواميس الذي جاء هذا الدين بها للبرية قال عليه السلام : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق» والعلمية هي الدائرة التي بها رفع الرتب ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ والمحمدية هي الجامعة لكل مع جملة مكارم الأخلاق كما قال ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فما أدري ما هذا الاختلاف ومن أين جاء إلا أن يكون الهوى والتكالب على الدنيا قد استولى حكمهما على القلب فإنه حينئذ تأتي السبل التي قال فيها تعالى : ﴿ولاتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وما كنا نريد لأهل الملة ونحب لهم لاسيما لأولي الدولة الذين هم القلوة لنا في المكارم والفلاح إلا التمسك بالسبيل الأقوى الذي قال فيه المولى ﴿وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ وقال تحذيرا مما يصد عنه ﴿ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ وواشوقاه إلى شمل أهل الإسلام لاسيما فيما بين الدولة والرعية فإنه طال بينهم النزاع وذاع ما لا يحمد وشاع وقد رضىنا لأنفسنا بشماتة الأوروبيين المخالفين لديننا ومكناهم الفرص منا فما لهذه العقول لا تفكر وما بال هذه القلوب لا تتدبر والله لن نكون بالعقل على الماسم حتى تجلى مرآة أفكارنا باتباع سيد الأنام ، فإن ما نحن فيه من أول يوم مربوط بأنوار النبوة فلا يمكن من غيره مقصود فما أحسن ولا أكمل من الدعوة إلى هذا السبيل حتى يرجع الإسلام بتحكيم قوانينه واتحاد الدولة والرعية بأحسن حال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل نعم الملك الجليل والسلام التام لكم ولمن حواه المقام ورحمة الله وبركاته .

١١ جمادى الأولى ١٣٢٧ هـ

ومن شأن الشريف أحمد الخواجي فهو لا زال يعقله نار الفن بين القبائل ، ويرتكب في الهوى إلى فساد ذات البين وقد طالت فتنه بين قبائله أهل صبيا وبين قبيلة مجاورة لهم تسمى الجعافرة واستمرت نحو ست سنوات بسببه ولا يزداد إلا اعتوا وصدأ عن سبيل الله فلما حصلت الدعوة إلى إجماع المسلمين وتجاوزهم في الدين كبر عليه الأمر وعزم بزيادة على سفك الدماء

بحيث لا يتخلص من شره إلا بإحدى خصلتين إما اعدامه أو قطع يديه لتأمين
الناس من شره إذ قد كان لا فرق بينه وبين الجوارح المؤذية ولما كان
الضرر ينتفي بقطع يديه استغنى بها عن اعدامه وفي الحقيقة أن ضرره عام
للرعية وللدولة إذ هو يأخذ أموال رعايا الدول الأجنبية وهم لا يغادرون
في رعاياهم فيحصل الضرر على الدولة من مطالبة الأجانب وهو لما رأى
الدولة لم تساعده قد انخلع منها زماناً وخرج من (الحديدية) شاردأ حيث
طلب بالحقوق ولا يدخل البنادر ، وكم له من مفسد كالاستيلاء على
استرقاق الأحرار جهاراً والآن قد أظهر التوبة بعد أن قطع يده وتعب
ونرجو الله لنا وله خيراً وما زلنا نرشد إلى مواساته كما هو اللائق بمحاسن
الشريعة .

رقم « ٢ »

منشور إدريسي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداً ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين الذي اصطفاه الله من خيرة العرب فأرسله إلى الناس كافة ﴿ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ وأنزل عليه في كتابه العزيز ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وأبان له من أحوال الأمم السابقة ما فيه مزدجر لقوم يعقلون فقال ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وحدد له الحدود وبين له الأحكام وقال ﴿ من يتعد حدود الله لقد ظلم نفسه ﴾ وقال ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون - فأولئك هم الكافرون - فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ وقال ﷺ « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وقد علمت أن بعضاً ممن نطلب لهم الهداية من الله ولا أزيد قد نقلوا عني ما الله يعلم أنني منه براء ونسبوا لي ما لا يصدر إلا عن المفسدين وشوهوا كثيراً من الروايات التي يروونها عني بإلباسها لباس التغرير والتقوية وكذبوا على أولئك العرب المخلصين الذي قد روى عن رسول الله ﷺ في أمرهم ما يفتخرون به فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « أئني لأشتم ريح الإيمان في جهة اليمن

(١) تلقيت الأصل هدية من الصديق الكريم الأستاذ محسن بن أحمد أبي طالب القاسمي الحسني وهو منشور سبقه عدد من منشورات كما يفهم من السياق . ونرجح أن هذا المنشور نشر بتبرير أليسيامه .

أو كما قال وروى عنه عليه السلام أنه قال : « العلم يمان والحكمة يمانية » وفي رواية « الإيمان يمان والحكمة يمانية » وإذا كان ذلك كذلك كان حقاً على أن أذكر مجمل الحقيقة لتطمئن به نفوس إخواني المسلمين في غير جزيرة العرب والله على ما أقول وكيل ونحن بحمد الله مؤمنون من أهل السنة والجماعة نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونعمل على ما يوافق الشريعة المطهرة مبلغ علمنا وطاقتنا نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ونجتهد في إزالة البدع الضارة بالدين وأهل الدين غير مرآتين ولا مداجين ولا ماكرين ولا مخادعين لا ندعى شيئاً من الدعاوي العريضة التي يموه بها ذو الأوهام على عقول العوام فلا نتحل المهذية كما يزعمون ولا نشعوذ كما يفترون ، ولا نزع كشافاً ولا شيئاً من علم الغيب كما يشيعون ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ بل لا نتصور شيئاً يحاوله ذو البطالة العاجزون ولا نريد خلافة ولا ملكاً كما يتوهمون ولا نطلب جاهاً ولا مالا ولا شيئاً من الأغراض الدنيوية الفانية التي يتهالك عليها الطامعون ، اللهم إلا ما يكون بلاغاً إلى الدار الآخرة ووسيلة لمصلحة الإسلام والمسلمين من طريق شرعي نتحرى فيه ما استطعنا وسواء علينا في طلب الخير ظهرت النتيجة على يدينا أو على أيدي واحد من العاملين المسلمين فإننا علم الله نطلب الخير للخير وتباعد ما استطعنا عن الشر وكل ما نهم به هو الإصلاح والإصلاح ﴿ وماتوفيني إلابالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ولقد كان لي من سلفي الطاهر أسوة حسنة وفي طريق تربيتي وما يعرف العارفون بي من الأخلاق التي أنا عليها وسيري وسريري ومنذ نشأتني أكبر برهان على ما ذكرته بحمد الله سيقول القراء إذاً فما تلك الضجة التي شغلت كثيراً من الآفاق وما هو السبب في هذا الذي يزعمون من البغي والخروج والتشويش على الدولة في الوقت الذي أصبحت فيه على شفا جرف هاو من الانهيار بسبب اختلاف أحزابها وتغير أطوارها وعدم تماسك رجالها وإلقاء زمامها بيد أغرارها وتغلب أشرارها على أخيارها مع ما انتابها من اعتداء المعتدين وما تخشاه من أيدي الطامعين فقد خلق هذا للدولة موظفوها وبعض ضباطها المارقون أولئك الذين ملأت الدولة الآن بهم جوف المناصب وتركهم على غلواتهم وصلفهم وكبرياتهم يعيشون في الأرض بلا خشية ولا حياء

فراهم يستبيحون الحرام وينتهكون الأعراض ويتجاهرون بالمعاصي والخروج عن الحدود التي حد الله ورسوله غير مباليين ولا متأدبين فلا الصلاة يؤدون ولا الشهر يصومون ولا هم في حكمهم يعدلون ولا لأصاغرهم بله أنفسهم عن الايغال في أرزاق الرعية يزجرون ، وناهيك بالرشوة وعكوفهم عليها مع عبثهم في أموال الرعية واحتقارهم للأمة العربية واللغة العربية وإهمال جميع المصالح العامة وإهانة رجال الدين إلى غير ذلك مما لا يصدر إلا عن القوم الظالمين الغادرين ، كل هذا مع رغبة أولئك العجم الذين لا اخلاق لهم في إيجاد القلاقل وإثارة الفتن ليتمكنوا من حمل الدولة فوق ما تتحمله من الأثقال التي تنوء بها الدولة ذات القوة على جمع الجنود وتجهيز الجيوش حتى تكون لهم مندوحة للاشتراك مع المتعهدين سرّاً في تلك التعهدات الكبيرة التي تكال فيها أموال الدولة جزافاً فيملأون من هذه النار بطونهم وبطون شركائهم ولا يهمهم بعد ذلك عمرت الدولة أم خربت صلحت أحوال الناس أو فسدت ، ليت شعري إذا كان هذا عمل الحاكمين في جزيرة العرب منبع النبوة ومهبط الوحي بين ظهراني عرب البادية السذج الخالص وعلى مرأى ومسمع منهم بل قد ينال أهل البادية أنفسهم ماتن منه أهل الحاضرة أترى أنه مع هذا يمكن للعربي أن يصدق أن حكامه مسلمون مهما حاولت اقناعه ومهما أطلت في إيراد الحجج عليه بالطرق المختلفة في حين أن بلاغة العمل فوق كل بلاغة ، وبيانه فوق كل بيان كلا لا جرم أنه قد أصبح من البدء يسيطر على أعمال الدولة الأحداث الأغرار الذين يشيرون عليها الفتن ويقيمون عليها القلاقل وسواء علينا كان ذلك بعلم المراجع العليا كما يعبرون بحيث يكون سكوتهم عن ذلك لأي مقصد من المقاصد أو بغير علم منهم ولقد نمت إلينا في المدة الأخيرة أن أمثال هؤلاء الشبان قد أصبحوا يبيعون البلدان ولا سيما العربية بأبخس الأثمان وبعد فقد عرف القراء مما نشر قبل الآن في بعض الجرائد المصرية أننا لما عدنا من طلب العلم بالديار المصرية وغيرها إلى بلاد اليمن حيث المهدي الأول لنا وجدنا الناس على أسوأ مما تركناهم عليه من شدة النفرة بينهم وبين رجال الحكومة كما وصفناها آنفاً وجدناهم كذلك على ما هم عليه في الامتناع عن دفع الأعشار ، والمحاكمة إلى الطواغيت واختلال الأمن في

جميع الأنحاء بسبب المطالبات بالثأر وترك الحكومة جبل الناس على غارهم ذلك الأمر الذي أوقف جميع الأعمال والحركات سواء التجارية أو الزراعية وغيرها إلى حد كان الرجل معه لا يمكنه أن يخرج من محله قيد شبر إلا إذا كان معه من عشيرته من يجبرونه ومن الأسلحة ما يدفع به الغائلة وما أكثرها ولو رأيت إذ ذاك لرأيت ما يفتت الأكباد ويمنع الرقاد ويطليل السهاد ، نعم لو رأيت لرأيت المساجد معطلة والشراعية مهملة والأرض قاحلة والمصائب متواصلة فلا يمكن لرجل أن يخرج إلى بلده إلا حاملاً لسلاحه مصاحباً رفقته لتتولى حراسته بل لو رأيت لرأيت من السلب والنهب وقتل الأرواح البريئة ما تزعج منه النفوس الثابتة وتلين له القلوب القاسية ، بل رأيت من الحروب الأهلية الدائمة بين القبائل والعشائر والأفخاذ ما يذهب بالأموال ويُؤَيِّمُ النساء ويُميت الأطفال ويقطع النسل ويقلل الذرية كل ذلك تراه إذ ذاك حاصلًا على مرأى وسمع من الحكومة ورجالها دون أن تحرك ساكناً أو تعمل عملاً لإيقاف سبيل هذا البلاء الجارف وقد لا تجد لأحد من الحكام والموظفين اهتماماً بأمر من هذه الأمور إلا ما يكون من ورائه ربح له على انفراده أو بالإشتراك مع بعض أعوانه ولقد وصلت الحال بالحكومة نفسها إلى أنها لا يمكنها أن تستقي من مواقع المساء حتى تعد العدة وتجيش الجيوش وتحتمي بالجار فكيف هذا العار لا ريب مع هذا أن اشتد الضيق بالكافة وصار العقلاء يبحثون عن مخرج من هذه الحالة ولا يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلا لَوَلَّوْا إليه وهم يجمحون . لما اشتدت الأزمة وأراد الله أن يفرجها جعل لنا من ذلك مخرجاً إذ وفقني للدخول بين قبيلتين عظيمتين للصلح والصلح خير فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه وما كان ليم ذلك ، ولولا إرادة الله وقوته الآلهية على اسقاط الدماء السابقة واحتلال التحاكم إلى الشريعة المطهرة محل التحاكم إلى الطواغيت وإقامة الحدود الشرعية على حسب ما أنزل الله في كتابه وما بينته سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما أرشد إليه هدي السلف الصالح والأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين بذلك استتب الأمن في أرض هاتين القبيلتين وسارت التجارة وصلحت الزراعة وأمن الناس على أنفسهم والأموال وهلوء البال وحفظت الذراري والأطفال وأقيمت الصلاة

بين الأفراد والجماعات وحفوظ على حدود الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه هناك اشرأت أعناق القبائل الأخرى للانتظام في هذا السلك ومالت نفوسهم إلى الراحة النفسية وترك المعنى الحاصل بسبب التنافر والتخاصم والتخاذل ومن المعلوم أن أنفة العرب وشهامتهم تمنعان كل قبيلة من البدء بطلب الصلح فتباعت إليّ رسلهم سرّاً فوق الله هذا الضعيف إلى الدخول بين عدة قبائل فتم الصلح بينهم ببركة الإخلاص ففازوا بمثل ما فاز به إخوانهم السابقون فكان ذلك قذى في أعين بعض المأمورين ولو أخلصوا لحكومتهم وأمتهم لكان ذلك من أكبر أمانيتهم لعدم الأمن وسهولة أدائهم لمأموريهم نعم كان ذلك قذى في أعين البعض وفرصة للبعض الآخر إذ جعلوا هذا الأمر متكأً يتكئون عليه لحمل الدولة على إنفاق النفقات الباهظة فيما لا طائل تحته وبذلك يكون لهم ولشركائهم من المتعهدين ما يشاؤون من الأرباح لهذا أخذ الذين في قلوبهم مرض يشيعون الاشاعات ويخلقون التُّرَّهات ويذيعون الأباطل والمفتريات ويلهبون نيران الثورة من الجانبين فاجتهدت في إطفاء تلك الجذوة في أول اشتعالها بالحكمة والموعظة الحسنة مع حسن المعاملة وكثرة المجاملة وطلب التفاهم حتى يزول ما علق بالنفوس من سيئة فلم أفلح إذ غلبت غواية الغاوين على رشد الراشدين ، ووجدت عبارات الظالمين أذناً صاغية عند ذوي الحل والعقد من رجال الدولة البعيدين عن مشاهدة الحالة والاملاء عليها بالقسط فصدرت الأوامر بتجهيز الجيوش وإرسالها لمقاتلة هذا الضعيف الذي لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك بسبب ما ظهر على يديه من الإصلاح الذي لم يرق في أعين الحكام مع ظهور فائدته فلما رأى العرب ذلك داخلهم في حكماتهم الريب وأخذت نفوسهم تفكر حتى ثبت لديهم - وبعيد أن تقنع البدوي بضد ما يظهره له العيان - أن هؤلاء العمال إنما هم على غير الملة الإسلامية وظنوا وبعض الظن إثم أن هذه الجيوش إنما أرسلت لمقاتلتهم حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا فتأهبوا للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم وعن راحتهم وأمنهم ودبت فيهم الحمية العربية والغيرة الإسلامية فأخذت الطف من حديثهم لأعيدهم إلى الحكمة والسكون حتى أقنعتهم بأن يقفوا موقف المدافعين عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم مع القيام بواجب

الدين فوقفوا هذا الموقف حتى حضر سعيد باشا إلى اليمن بجيشه الجرار والرجل على ما يظهر من العقلاء المتبصرين عندئذ لم يرد سعادته أن يقتحم ذلك الصعب حتى يراود الأمر بنفسه فعمد وعمدت إلى التلاقي فلما خبرنا وعرف الحق وظهر له كذب تلك الاشاعات ظهور الشمس لذي عينين اتفق معنا على أن نبقى على ما نحن عليه وأن الحكومة تقبل أن تكون الأحكام في هذه القطعة العربية على حسب الشريعة الإسلامية فلما تم هذا الاتفاق بيننا أجهدت نفسي في مساعدة الدولة حسبة لله تعالى وساعدتها على مد (التلغراف) ولم تكن قد تمكنت في عهد وجودها باليمن من ذلك على ما كان فيها من كثرة النفقات التي كانت تذهب أدراج الرياح وقد أعنتها بعشرة آلاف عود من القوائم اللازمة لذلك وكانت قبل ذلك تدفع في العود الواحد ليرة ثم لاتكاد تضع ما تبتاعه من الأعواد حتى تتخطفه أيدي البدو الذين لاتصل إليهم أيدي الحكومة كل ذلك عملته وأقنعت العرب بدفع ما تيسر من الأعشار باسم الزكاة ولم يكونوا يدفعون للحكومة شيئاً وعملت غير ذلك من المساعدات التي لا أرى سعة في الوقت لشرحها كنت أظن أني بهذا العمل قد خدمت الحكومة أجل خدمة ، وأن رجالها سيحفظون لي ذلك ويعرفون لي اخلاصي للولتي وماتي وديني وقومي فيصادقون على هذا الاتفاق ويدعون هذه البقعة التي لم تختلط بالأجنبي تقام فيها حدود الله ويتركونني أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر مرتاح الضمير من غير تشويش ولا تكدير ولكن ساء مثل القوم فأظهروا من الحوادث ما أظهر أن ذلك الاتفاق لم يكن إلا خدعة يراد بها تخدير أعصاب العرب إلى أن يدخل أولئك الماكرون في أحشاء الأمة فيقطعون أوصالها ويبتطلون أعمالها وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

لم يرع العرب بعد ذلك إلا ما فاجأهم الموظفون من أن المراجع العالية— كما يعبرون — لم تصدق على الصلح بهذه الطريقة ثم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في الدين وأظهروا الرضا بعدم إقامة الحدود وأخذوا يشنعون على إقامة الحدود وترك الحق لولي الدم وقالوا: إن المدنية تأتي ذلك ثم أظهروا لنا منشورات نشرتها الدولة حرروا فيها بأنهم تفضلوا على المسلمين في هذه

البلاد أو منحوهم من عند أنفسهم منحة العمل بالشرعية في المدينيات دون
الجنايات وشنعوا بمن يتشدد في طلب ذلك في الجنايات إلى غير ذلك مما
يخالف مقاصدهم وتأباه أغراضهم ودستورهم الحديث علمنا بذلك فقلنا
لأحول وقوة إلا بالله العلي العظيم بالله وبهذا الخذلان متى كانت الشرعية
تقام دون أن تقام حدودها وما الذي يمنع ذلك في بلاد العرب خلوم كل
الأجانب عن الدين فإذا فرضنا أن الدولة تجده صعوبة في تنفيذ الشرعية كما هي
في غير بلاد العرب فما هي الصعوبة في تنفيذها هنا مع رضا الأهالي بذلك
وسرورهم به وظهور نتائجهم وتشددهم في طلبه ثم ما هي تلك المدينيات التي
منحونا الحكم منها على مقتضى الشرعية ولا ثروة عندنا ولا تجارة ولا تراحم
في البلاد ليقضي منازعات مدنية لا يحصل التراضي بحكم المحكمين أترأهم
توهموا أنهم عملوا إصلاحاً في البلاد فأوجدوا فيها تجارة لن تبور وصناعات
رائجة وزراعات مشمراة إلى غير ذلك فظنوا أن المنازعات المدنية شيء
كبير يعد من الحنة لهؤلاء المتمسكين بدينهم أن يتفضل عليهم بأن يكون الحكم
فيها على حسب الشرعية الإسلامية أعوذ بالله من محاربة الله والعمل على سخط
الله لقد كنت أسمع قبل الآن أن تلك المفاصل التي رأيتها ورأها كل من وطئت
قدمه الحرمين الشريفين تلك المفاصل التي تقشع منها أبدان الشرعية المطهرة
وتنهار بها أبنيتها وذلك الخوف الذي يلزم حجاج بيت الله الحرام الذي
جعله الله حرماً آمناً مع فشو السلبه وقطاع الطريق وقتلة الأنفس الطاهرة
البريئة كل ذلك كنت أسمع أن بعض رجال الدولة القائمين بالأمر يقصدون
إلى وجوده ويساعدون عليه لمآرب يريدونها وحاجات في أنفسهم يقضونها
وأنه لولا هذه المآرب وتلك الحاجات لعملت الدولة وما هي بالضعيفة
العاجزة عن إيجاد الأمن في هذه القطعة الطاهرة على محوه تأميناً للمسلمين
الذين تدفعهم الحمية الإسلامية والقصد لتأدية الواجب الشرعي أن يتركوا
آباءهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأوطانهم وكافة مصالحهم الدنيوية
﴿ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم
ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ كنت
أسمع فلا آلو جهداً في الدفاع عن الدولة ورجالها . أما الآن وقد رأيت ورأى

العرب وقوف أولئك العمال في سبيل إقامة الحدود الشرعية وتجهيز الجيوش لمحاربتنا على ذلك مع صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وحبس الذاهبين من اليمن لأداء الفريضة فقد كان يداخلني الريب ولا أحظى إذا قلت أن ذوي الرأي من العرب أصبحوا بحيث لا يمكن اقناعهم بغير ذلك ومع ما أنا عليه من الإرشاد إلى السلم والعمل عليه ودعوت العرب إليه وإلى أن يقفوا في موقف المدافع ولم تلبث الحكومة أن أشاعت أنها جيشت لرجال اليمن جيوشاً لا قبل لهم بها وأنها أغدقت عليهم من وافر المؤن والذخائر ما يكفي لاستئصالنا وأباحت لهم تحريق المنازل كما هي عاداتها في العرب المسلمين من رعاياها دون غيرهم ، كما أباحت لهم التمثيل والتنكيل والضرب على أيدي رعيها بما لا قبل لهم به ذلك الأمر الذي حضرته على نفسها قبل أعدائها الخلف ونشرت المنشورات في شأنه خاصة على حسن المعاملة وإظهار المحاملة في بدء حربها معهم لما سمعنا بذلك تأهبنا مكرهين للدفاع عن أنفسنا وانتظرنا قضاء الله وإذا بهم قد صرفهم صارف من الحوادث الأخرى ففضلوا العودة إلى تلك الخديعة الأولى خديعة الكلام في الصلح ريثما تزول الموانع وتتوفر لديهم الأسباب لإتمام مقاصدهم عندئذ أرسلوا لنا رسولهم الشيخ توفيق ليخاطبنا في ذلك فعرضنا إليه المقابلة مع سعيد باشا فأخبرونا بأنه مفوض إليه في الأمر وأن فيه الكفاية فقلنا: مرحباً بحسن الدماء على أساسنا الأول ألا وهو أن تكون الأحكام في ديارنا على حسب الشريعة الإسلامية لا فرق بين مدنها وجنائها وغير ذلك وأن يعرف لنا بصفة رسمية ذلك الحق الطبيعي الإسلامي ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يكون لأحد من المأمورين الفضولين ذوي الغايات سبيل علينا إذا نحن قننا بما علينا من واجب أودعت الحال لأن نقوم بالتوفيق بين القبائل ذلك مع بقاء الحال على ما هي عليه للدولة فتركنا وانتظرنا إجابة الدولة فأهلونا ساخرين منا سخر الله منهم وجهزوا لنا الجيوش ثانياً وأعدوا لنا حملتين عظيمتين ذاتي بأس شديد كما أشاعوا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً حملتان هما في آن واحد إحداها من الشمال وهي مؤلفة من عدد عظيم من الجيش العامل بعدده المستوفاة والآلة النارية ومدافعه السريعة وغيرها والبعيدة المرمى وعدد كبير جداً كما أذاعوا بتشهير في الجرائد السيارة

من اتباع الشريف حسين بن علي تحت قيادته وقيادة صاحبي السعادة ولديه
المحروسين وقد لا يخفى على أحد ما نشر في ذلك الحين من أن هذا الجيش
المشترك قد زودته الدولة بالمؤن والذخائر الكافية لتدمير جميع البلاد
العربية وثانها من الجنوب في جيزان وهذه الحملة القوية كلها من الجيش
العامل ذي الحول والطول وأذاعوا أن هاتين الحملتين ستقضيان على جميع
العباد والبلاد التي في طريقها فاعتمدنا على الله الذي لا حول لنا ولا قوة
إلا به وفوضنا أمرنا إليه سبحانه وقلنا ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين﴾ ولقد ساعدتنا والحق يقال معونة الله وله الشكر
بشهادة العرب وعدم وصول شيء من هذه الأخبار الكبيرة والتهويلات
الكثيرة التي لا يعرف أمثالها أعراب البادية ما المقصد منها لما أعيتنا الحيل
ولم نتمكن من الوصول إلى حل سلمي تحفظ معه حدود الله وشريعته اضطربنا
إلى الدفاع عن أنفسنا ووقفت العرب موقف المدافع حتى إذا وقعت الواقعة
مع كل من الجيش جيش الشمال وجيش الجنوب ظهر أن تلك الوعود والبرق
جمعجة بلاطحن وأن تلك الإشاعات ليست إلا كفارغ البندق إذ زلزل
ذالك الجيشان عند الزلزال شديداً ونصرنا الله عليهم وأعد لهم عذاباً عظيماً
ذلك أن جيش الشمال المشترك قد ناله من الخذلان ما أوقع كثيراً من أدوته
ومؤنه وذخائره ومهماته في أيدي العرب فاضطر جناب الشريف هداه الله
إلى أن يتبع خطة أخرى هي خطة توسيط الرحم وبعض المؤثرات التي لا تخفى
تارة أخرى حتى تتمكن من أن يسير إلى جهة أبها من طريق وعرة غير مسلوكة
تبتعد عن الطريق المعتادة الموصلة بينها وبين القنفذة تلك الطريق التي مرابطة
عرب اليمن فيها وقد فضله على طوله ووعورته لكيلا يعود مخذولاً إلا بعد أن
يدخل أبها كأنما مأموريته إنما كانت دخول أبها فكان ذلك من غير أن يلتقي
بالعرب اليمنية مرة أخرى ولم يلبث أن خرج منها مع البازي عليه سواد وسار
في طريقه الثالث الذي هو أشد منه وعورة مما جاء خائفاً منه يترقب وقد
فضل هذا الطريق الثالث الشديد الوعورة الطويل المسافات المشتمل على
أصعب العقبات القليل الميـاه طريق بيـشة ذلك الطريق الذي يسير إلى شرقي
الطائف جهة نجد لأنه طريق القرادين المخدولين المشردين. وقد بلغني أنهم

زورا الحقائق وأخلوا يزعمون أن دخولهم أباها كان بمالهم من الغلبة ولكننا نحن العرب العارفين لا يهتنا كلام المتكلمين إذا ما خلوا بأرض بعيدة فنحن رجال الأعمال لا اعتماد لنا إلا على الله وهو حسبنا ونعم الوكيل أما جيش الجنوب فقد انتهى أمره بواقعة الحفائر تلك الواقعة التي وقف فيها العرب موقف المدافعين على مياه الحفائر على بعد ثلاثة أرباع الساعة من جيزان وقد تمركز جيش الحكومة المنظم بجيزان وجبالها وتمكنوا في قلاعهم وطوابيعهم وثبتوا مدافعهم الفخمة على الجبال والآكام المجاورة للبحر وأمدتهم مراكزهم الحربية بالمساعدة وأخلوا يزعمون العرب بإطلاق المدافع من البر والبحر والعرب صابرون مستسلمون لقضاء الله وقدره حتى إذا كان يوم الإثنين منتصف جمادى الثانية سنة ١٣٢٩ خرجت قوة الجيش المنظم هاجمة ومعها المدافع سريعة الطلقات تحت حماية المدافع التي فوق الأكتاف والتي في المراكب البحرية والتي في القلاع وعملوا من حيلهم العسكرية ما شاء الله أن يعملوا كل ذلك ولا حول للعرب ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الذي ألقى عليهم الصبر فثبتوا وذكروا الله كثيراً فصدقهم الله وعده للصابرين ﴿وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ نعم صبر العرب ودافعوا عن إقامة حدود الدين فدارت رحا الحرب على ذلك الجيش العرمم حتى هلك كله إلا النزر اليسير الذين نجوا الفرار ولم تعد الجراح وقد وقع في أيدي العرب من البنادق والدخائر والمهمات والمدافع السريعة الطلقات والمكنات ما جعل لهم قوة فوق قوتهم ونشطهم نشاطاً يقدره قدره من يعرف الحالة ثم عادت البقية الباقية من الجيش إلى جيزان فسلط الله عليها ومن جاءوا من المدد إليها ريحاً وجنوداً جوية وأمراضاً وبائية ذهبت بالباقي وبالمدد إلا نزرأ يسيراً اضطر أخيراً إلى الجلاء عن جيزان فاستراح وراح والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء قدير . بعد هذا كله لم يلبث أن جاءنا من والى عسير كتاب ينجح فيه للسلم تاريخه يرجع إلى ما بعد الحوادث الأخيرة مع الطليان فصدقنا بأمر الله وجنحنا معه متوكلين على الله وأرسلنا إلى سعادته رسولا من كبار العرب ليخاطبه في ذلك حسبنا طلب وزودنا ذلك الرسول في طريقه وهو على مقربة من (أباها) أن سعادة الوالي إنما يريد بنا خدعة وأنه قد

نصب لنا شراك حباله فوقف خارج المدينة حيث مأمنه وأرسل إليه الكتاب وأعلمه بأنه قد جاء ملبياً داعي السلم وأنه يريد المخابرة في ذلك ليعلم ما ينتهي إليه الأمر والله الموفق . فما كان جوابه إلا أن أرسل إليه مكتوباً طويلاً الذبول مملوءاً بالعظمة والعلو والكبرياء لا تخلو كلمة من التهديد والوعيد ورفض الاتفاق : وهاكم شيئاً مما جاء فيه بالحرف الواحد : (قد أخذت كتاباً من حسين أفندي ، وفيه يذكر أنكم سأتموه عن بيان الشرط ومع الحكومة وكيفيتها فعمجت في هذا الطلب فهذه الحال تصير الشبهة ممكنة وأن الحادث الذي هو الآن واقع مع الكفار مناسب لأفكاركم فلا حاجة للشرط فهل تسير شروط بين الحكومة والرعية فما وظائف الرعية إلا الطاعة للحكومة وأوامرها وقد عزمنا متوكلين على الله أن نرسل حملة عسكرية لتربية العاصين المخالفين بشدة والعفو عن المطيعين وإعطائهم الأمان ولم يكن طلبنا اتحاد عسير عن عجز منا واستعانة بهم وأن القوة التي تزيد عن الخمسين طابور المنحشدة في الزيدية والزهرة والحمة والتي عندنا مقدار سبعة عشر طابوراً هي كافية لكل عدو في اليمن وعسير في الداخل وفي الخارج وأنتم تعلمون بذلك وأيضاً تقدرون عاقبة البغي والفساد) .. الخ وصلنا هذا المكتوب ووصلتنا مكاتيب أخرى أرسلت من بعض عمال الحكومة إلى العرب وفيها أكثر من ذلك فما أظن القارئ يخفى عليه شدة أسفنا على أن رجال الدولة الآن على هذا النمط وأنهم هم الذين يخلقون الفتن ويثيرونها كلما قربت من الانتهاء إنهم دائماً واقفون حجر عثرة في سبيل إطفاء الفتن على نحو ما سبق بيانه ولا سيما في سبيل هذه الظروف والأوقات الحرجة . هداهم الله .

(١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى جناب السيد الجليل بركة الأنام مصطفى
ابن محمد النعمي سلمه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . صدرت للسلام والتحية والمعاهدة
بأخلاقكم الرضية والسؤال عنكم لا يعد، والشوق إليكم لا يُحَدّ، وإن تفضلتم
بالسؤال عنا وعن من لدينا فله الحمد والمنة على أياديه المتواصلة ومنته
المراسلة . كتابكم الكريم وصل وبه الانشراح حصل وحمدنا الذي لا يحمد
سواه أن بارك في ممشاكم وجعل فيه الأمن والإيمان وقد أحسنتم بمعاودة القبائل
من بني مالك ومن حوالي الليث وهكذا فليكن همكم الدعوة إلى الله في
الحديث « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » البنادق
وما معها قد وصلا الجميع كما ذكرتم وقد أحسنتم وكذلك (المرأة) (١)
وصلت وتقبل الله منا ومنك والله الحمد من حيث مكنكم من قبض (مله) (٢)
ومن ذكرتم من أهل الفساد وأرجو الله أن النواب القاضي عبد العزيز
ابن محمد وعبد الرازق النهاري وعبد الله بن أحمد أنتم وهم على أحسن
ما يرام وانشروا في فضلهم ومن فضل القاضي المذكور حتى يقبلوا الناس
عليهم ويثقوا بهم لأنهم معهم وقد ذكر لي أحمد بن خرشان إجابته لطلبكم
في الجيش فجزاه الله خيراً وكونوا أنتم وهو عضد وساعد وجاءني كتاب من
سعيد بن فايز يذكر فيه أنه يريد الممشا إلى صراة بني شهر وكذلك نجب
هناك وفي صراة بلسمر وبلحدر ونحوهم أن يستوي السهل والجبل فيما تفضل
به الباري عز وجل لكن أراكم قد بعدتم عن تلك الصراة فامضوا على ما أنتم
عليه متوجهون وعلى الله فتوكلوا ومسألة أهل الصراة يمكن بعد قضاة هذه

(١) هكذا في الأصل بالتاء المربوطة ولعل الغلط من أحد كتاب الإمام الإدريسي لأن الخط
ضعيف ليس خط الإدريسي نفسه بل أمل ولم يراجع ويترجح أنه يقصد « المرات » جمع « مرت »
وهو اسم نوع من البنادق المعروفة وسيلاحظ القارئ بعده لبعض الأغلاط الإملائية .
(٢) كما هو في الأصل ويظهر أنه اسم رجل من الخارجين عن الطاعة .

المهمات ورجوعكم إلى (قنا) أن تعزموا على طلوع الصرارة بجيوش من رجال ألمع وبني ثوعة ونحوهم فقد عاتبناهم في التأخر عنكم ونرى أن أحوالهم تحسنت ومن شأن أولادكم وعائلتكم فقد كلفنا أحنينا يحيى زكري بنظر في مصالحهم . هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم مني ومن إخواني الأشقاء وإخواني أهل المجلس وعموم الإخوان ودمتم سالمين وصدرت ورقتين مما حرر في الصلح بيني وبين سعيد باشا فواحدة تبتى بطرفكم لتقرأ وواحدة تعطونها النائب عبد العزيز بن محمد يقوم بها في جهته والسلام ختام عليكم ومن حواه المقام ٢٦ ربيع الأول ٢٨ .

كذلك ضرب البنادق في العروض ممنوع ، وإن أردتم تزيين العرضة فالباروت ببندق الفتيل والحسك والله يوفقنا وإياكم .



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشريف الجليل النبيه النبيل ناصر
ابن حيدر بن علي الحسيني سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صلرت للسلام والتحية والمعاهدة
بأخلاقكم الرضية لا يخفاكم أن لنا عزم على التوجه إلى جهة اليمن فيكون
بعلمكم قدكم تنهون على عموم المسلمين بالاستعداد بالبنادق والمعاير وأصناف
السلاح والمعاهدة عليكم في جمع المشايخ والأعيان لهذه المسألة لأجل لا يحصل
التراخي في ذلك والسلام عليكم ورحمة الله . القصد والإصلاح فقد كثرت
الشكاية من أهل الفساد وربما يلزم جهاد أهل الفساد والسلام (١) .

كذلك (٢) بني شبيل تفضلوا تلاحظون أمور الزكاة معهم فإن الجهاد
يحتاج إلى المال لأجل المعابر بالخصوص والحقير (٣) في همة في الاستعداد .
وأما نفسي فبحمد الله في غنى من الله .

* * *

من محمد بن علي بن إدريس إلى إكليل المفاخر العلوية ضياء الإسلام
الهمام المقدام ناصر بن حيدر بن علي بن حيدر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتابكم الكريم وصل وقد صرنا
والمسلمين شاكرين لشريف مساعيكم التي قوت بها كل عين وانكشف بها
كل فتنة بين الطائفتين والرهينة التي بأيديكم احفظوا عليها جداً وإن أردتم
الرواح إلى القفل وجعل الرهينة فيه مع المحافظة عليه وإذا وصلكم هادي
ابن أحمد فتوجهوا إلينا جميعاً هذا ودمتم سالمين والسلام ٨ محرم ١٣٢٩
وباقى رهائن الواعظات أرسل إلى محمد بن أحمد ويحيى بن عرار ومحمد
ابن علي يتوجهون بهم إلينا .

(١) بلون تاريخ ونرجح أنه في الحجة سنة ١٣٢٩

(٢) نلاحظ كثرت الاستطراد والحواشي في رسائله لتوارد الخواطر عليه ولما هو فيه من
الاهتمام في أول حركته .

(٣) (الحقير) كثيراً ما يكتفى عن نفسه بكلمة (الحقير) في مكاتباته ورسائله .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس : إلى السيد الجليل الفاضل النبيل مصطفى
ابن محمد النعمي سلمه الله آمن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صلرت
للسلام والتحية والمعاهدة بأخلاقكم الراهنة كتابكم الكريم وصل وأحسنتم
بالتوجه إلى بني شهر ومن جهة رجال ألمع فجاءني خط من طرفهم من عند
السيد يحيى بن عرار وذكر حضروا ألفين ولكن أنتم استعجلتم فلا شك
أنكم استعجلتم وهم ما يخلوا من كسل ولكن ينبغي لكم بعد هذه المرة إذا
عزمت على مكان تنتظرون حتى تجتمع الناس عن آخرهم وتبحثوا غاية في
حضورهم واستعدادهم للمسافة التي تحتاجونها للجهاد شهرين أو أكثر
ويحضرون جميع زادهم هذه المسافة حتى لا يخلأ زادهم ويتعلمون ويرجعون .
هذا نقص في الجيش وما هو بنظام وكيف لو هو حرب فلا تأخذون الانتفاة
شيئهم لا يفرون دونكم وترتيب الجهاد مع الأمراء يعرفونه وسنعرف
في هذه الساعة للسيد يحيى ونلومه بهذا التأخر وأنت لا تمشي بالجيش إلا معه
زاد بكفايته من حين يخرج إلى حين يدخل فلو وقع قتال ينكسرون بالجوع
وأنتم لا تعجلون على العداية وصبيهاً وقد خرجنا منها إلى جهة الجبال وأنتم في
مشيكم هذا بعد بني شهر توجهوا إلى بني غمرة ومن بعدهم من أهل الحجاز من
خثعم السراه وغيرها وصفوا الحجاز من بلحمر إلى غامد فهذه بيضة الإسلام
وانظروا لنا مكان طيب يصلح نجلس فيه لزيارة إخواننا أهل الحجاز فإن
تهامة قد أخذت قسمها وإليكم الوجه قريباً إن شاء الله ويكون أهله في غاية
من المحبة ومأواه كثير وجباله باردة ، ومن شأن الشيخ سعيد بن فايز وشيبي
ناصح في الدين وسعيد تعرف حاله واكنم هذا الخطاب فأنت أعرف كل
قبيلة من ابن شهر بشيخها حتى تجدهم عند الجهاد ولا تتكل على شيوخ
الشمّل وفيه شيخ ناصح يسمى عبد الرحمن بن دعيش خذ رأيه وانظر فيما
يصلح وورقة شيبي على قبائل معروفين فإن رضوا به فلا خير في الشقاق
وأصلح الكلام لسعيد فيما يحجر خاطره ويكفي شره وإن صعب أمرهم
فأرسلهم إلينا مع بعض الأعيان وينزلون معك إذا نزلت إلينا والمسائل التي

يمكن فصلها فافصلوها وعلي بن فايح سنعرفه ونلومه والرتبة إلى غامد
وزهران عرفنا ابن خرشان بعد رجوعه من الشام يتوجه إليهم واحضر باطناً
من سعيد جهديك فإن له تعلق بهؤلاء الترك وهم في الحقيقة صلحهم خداع
وباطناً حذر المشايخ والأعيان من الدخول عليهم وقد مسكوا أناس من اليمن
لما دخلوا عندهم في أمن هذا الصلح وأما الظاهر فحسن ما داموا يحاسنون
وقهر الله عليهم هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم منا ومن لدينا والسلام
في ربيع الآخر سنة ١٣٢٨ وقد ألزمتنا السيد يحيى عرار ومن منه الخير من
عسير يتوجه إليك جنداً لكم ودمتم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على مولانا محمد وعلى آله وصحبه

من محمد بن علي بن إدريس .

إلى السيد الأجل رفيع القدر والحل مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله تعالى ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... صدرت للسلام والمعاهدة بأخلاقكم الكرام كتابكم الكريم وصل والحمد لله الذي أوصلكم غامد بالسلامة وابعد أولئكم المنسبين لإمارة مكة وذكرتم بقاءكم في غامد فقد أحسنتم ونجب أن يكون محل مركزكم بلاد غامد وزهران فإنها بلاد تليق بمهمتكم الشريفة ووقت ما تحبون زيارة أجهاتنا وفي وقت اطمئنان الخاطر فنعم ذلك ولا يهملك حال شريف مكة الغاشم ، فتثبتوا واثبتوا والله معنا والسيد يحيى ابن عرار ذكرتم يبق برغدان فنظركم أحسن نظر وما رأيتم فيه صلاح فدبروه به ويلزمه الامتثال فإن الله قد أجرى على يديكم مصالح الإسلام عمرته وقد عرفناكم في مادت ببشة وإنكم تتوجهون إليها الآن والنظر إليكم وإن رأيتم التوجه أنتم والسيد يحيى جميعاً إلى ببشة أو أحدكم يتوجه والثاني يخلفه في المكان إلى أن يصل إليه صاحبه من ببشة () وعرفناكم بأن توجهكم إلى ببشة لإصلاح خلل البلاد واستلام مال بيت المال وهو النصف والنصف الآخر بين شيوخ ومطاوعة . . ومستحقين ومحمد مله إن تحققتم من نكث العهد فخذوه تحت الجبس هذا ما تحرر لكم والسلام عليكم وعلا من لديكم منا ومن لدينا ورحمة الله وبركاته والسلام التام الكامل للفقهاء النبيه سعد ابن حميدان بن صقر ونهنا على إعطائه شيء من قسم المستحقين كما قد عرفنا كيفية الزكوة هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم وخطكم إلى أهلكم قبضناه الشيخ إبراهيم بن محمد الشوكاني حيث كان معنا والسلام تاريخه جماد آخر سنة ١٢٢٨ هـ .

كذلك إن رأيتم في توجيهكم إلى ببشة يرفقكم النائب عبد العزيز بالجملة الشاهد يرى مالا يراه الغائب ..

(الختم)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى إخواننا عسير السراة بني مغيد وعلكم وبني مالك وربيعة ورفيدة تولاهم الله وهدانا وهداهم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد بإخواننا فتعلمون ما كنتم فيه من دون سائر المسلمين من ظلم الأتراك لكم في النفس والأموال جعلوا عليكم سبة أقلام ما أنزل الله بها من سلطان مع أنهم لم يؤمنوا خوفكم أو الصلح بينكم . وقنا عليهم حتى رجعوا لأخذ الزكاة فقط منكم وصرتم أحراراً كالمسلمين بعد أن كنتم أرقاء لظلم الظالمين . ولما كانت الأتراك آلات الفساد والظلم والجور نقضوا ما بيننا وبينهم من الصلح مما فيه صلاحكم . فما سعى (الحقيق) إلا من أجل منافعكم أيها المسلمين والله المطلع على ذلك ويعلم المفسد من المصلح وقد تعدى الأتراك بحبس رجال من المسلمين ومخالفة رب العالمين فما بيننا وبينهم إلا السيف حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

وقد بلغنا أنهم يبذلون لكم الذهب لتوالوهم ويزخرفون لكم القول لتبعوهم وتثبطوا عن جهادهم فيا عجباً لكم أن وافقتوهم وهم بالأمس أعداؤكم ولا أعتقكم منهم إلا دعوة الإسلام وهم الآن لو آمنوا لم يظلموا أحد غيركم ولم يمتنعوا أحداً سواكم . لأن كل من المسلمين قد طردهم من بلادهم . وأنتم هذا وقت الفرصة فاغتنموها فالله الله جاهدوا بأموالكم وأنفسكم من يريد حكماً غير الله واذكروا عهد الله الذي احتملتموه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً . ولا يغركم الذهب فما بذلوه لكم عن حب ولو كانوا يحبونكم لسلموكم من الظلم قبل دعوة الإسلام أما الآن فإيمانهم كإيمان فرعون : ﴿ فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ فالله . يتولى هدايتنا وهدايتكم والسلام ٤٩ الحجة ٣٢٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى المشايخ الكرام أحمد مظاعن ومحمد
ابن زيد مدخلي ومهدي أم عقيل سهل وقسم حسن وأحمد مساوي أم دش
وأحمد محمد عيسى وحسين محمد بجوى وأبو طالب بن علي منيفة وحسين
حسن صميلي وإدريس عبده وهادي محمد جردي وعرائف العراشية وطاهر
مجرني وكافة عقال بني شليل سلمهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كثر الخلاف في مخالفكم
واضطربت آراء أهل جهنكم فبعضهم يقول نختار فلان وبعضهم يقول نختار
فلان فاستخرنا الله وولينا أموركم ضياء الإسلام ناصر بن حيدر لعلمنا أن
بني حمد أصحابه في نهاية الاستقامة فقد أقننا المذكور مقامنا يرتب أحوالكم
وعرائفكم وأموركم بنظره وبعد ذلك يصل إلينا وأنتم رفقته كبيراً وصغيراً
لتعرضوا عددكم وعددكم علينا كما فعل المسارحة لإخوانكم ودمتم سالمين
٢٧ القعدة سنة ١٣٢٨ .

ولازم عليكم من الاستعداد بالمعابر ولوازم الجهاد .

اعتراف

انشاء من استوفى الهم فخير السلام
ما عر صدر حسن ثمانيه وثلاثه
و ثمانين ١٨٤٤ مرفوف

المنازل التي على بني شيبيل وخرها
بيل السلام
فهم مد كفتي
ما شين و ثمانيه
دار نفق ٢٤٨
رفع بصدا دادا
الغذمانه وراحد دلا
حيدر باغ دانه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى السيد الجليل مصطفى بن محمد النعمي
سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . صدرت للسلام والتحية والإكرام
كتابكم الكريم وصل وبصحبته البنادق والمعاير وصلت وجزاكم الله خيراً
وبتأريخه وصل نجاب من حمود بجوابات صدرت إليكم لتردوها
ولا يخفكم قد حققنا لكم الواقع يوم الإثنين وما حصل من النصر الرباني وبعد
ذلك وصل إلينا قومندان العسكر الخارجة هارباً خائفاً من الأحوال لأن هذا
القتال الحاصل كان من العجائب لأنه في مسافة قليلة حصل النصر وهلك من
الأتراك زيادة على ألفين وبلغت المجاريح خمسمائة والحاصل كما أخبرنا
هذا القومندان أنه لما كسر الشريف من القنفذة كتب للترك : إني إذا روت
مكسور أخذ السيد الحرمين فحصل التجهيز من جهتين من القنفذة ومن جيزان
فالوالي صاحب صنعا ومعه ستة آلاف وقد حصلت في جيزان قرب خمسة
آلاف ووقع عليها بطش الله وما نجى منها إلا قليل وما بقي في جيزان إلا
مالا يذكر والعرب داخلة خارجة يأخذون البغال وغيرها ولا فيهم قدرة
على المدافعة أما الذي عن طريق القنفذة فأقل من الذي عين لجيزان مع تركي
يسمى نشأت باشا وأخبرنا القومندان هذه التجهيزات الحاصلة من ضعف
من الحكومة وعساكر جيزان من اليمن مأخوذة ولا تقدر الحكومة تأخذ من اليمن
الآن زيادة وأن تحب تجهز فن اصطنبول وهم مشغولين في بلادهم ولو جهزوا
فبعد مدة . وأخبرنا القومندان بأن وقعة جيزان مخوفة للحكومة جداً . أعلمناكم
بهذا . وتعرفون جهة جيزان صارت صعبة على الترك والتجهيز الذي كانوا
يقدرونه شتته الله وأعظم مشقة الآن جهة القنفذة مع الفساد الحاصل من تهامة
جهتكم فأهل حلي أمرهم مفهوم .

وصلر كتاب حمود ، انظروه وكذلك جواب من يحيى بن عرار وهم
يشكون من أهل قنا وعلى ما نرى من الأخبار أن الناس بعد توجهكم للمحاصرة
حصل خلل كبير فيهم ونقضوا العهد وتقربوا من أعداء الله الذين عاد بينهم

من أجل هؤلاء القبائل وراحتهم وأما زهران وغامد العريضة فلا أخالهم إلا جهلوا الترك وهذا نفاق مع أن الترك خرجوا من القنفذة أقل من ترك جازان والنصر بحمد الله قائم ولكن المنافقين لا يفقهون . والحاصل ارفع لنا عن حقيقة الصراة ورجالها ومن في قلبه مرض وتفقد أهل تهامة وترى الرهائن إن أمكن ففيها الصلحة ولما رأينا فتور (بني مروان وبني شبيب) أخذنا من بعضهم رهائن والآن الهمة في أخذ رهائن الباقي وبحمد الله قتال جيزان كان أهله المسارحة ومن هم شام وهم من أحسن رجال الله . وأهل الصراة تجمع شوكتهم لأجل إذا لم تحصل نتيجة من أهل تهامة تكونون أنتم وأهل الصراة تقابلون على العقبات والأودية كـ (تيه) وترون الترك كلما حرّ عليهم المكان فهو أحسن وبحمد الله في كل مرة يخذلون ويولون الأدبار ولكن لعب الناس الذهب والريال .

وتحرر هذا والله يحفظنا ويحفظكم ويكون لنا ولكم وأبشركم أن هذه دعوة منصوره .

بشرى معشر الإسلام إن لنا من العناية ركناً غير منهم
ودتم سالمين ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٢٩ .



بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق مشفوع بالرسالة المتقدمة (١)

الحمد لله كافي المهمات . . .

لا يخفاكم أن هذه دعوة منصوره بالله تعالى وهؤلاء الأتراك مخفولون وقد شغلهم الله في فتن في بلادهم فهم بكل مشقة جهزوا تجهيزتين واحدة من القنفذة وواحدة من جيزان وقد حالوا ومالوا من مراكر الأمن بحيث أن هذه الجهة وما ثمة إذا ما ذهبت انقطع دابرهم . واسطنبول الذي يمدهم في الحال مشغول ولو أمدهم فبعد أشهر عديدة يبدى الله فيها ويعيد والرك على كسر شوكتهم هذه وقد كانت أعظم الشوكة بجيزان لأنها جيوش والى صنعاء وفيها القوة الكبيرة والمدافع التي أعلوها لخراب بيوت عسير فكفى الله فيها وشتت شملها ولم ينج منهم إلا القليل والموت فيها فله الحمد وبحمد الله أهل جهتنا في همة ومعنا الأتراك التي في جهة القنفذة وهم أقل من أصحاب جيزان ولو يجلون صدمة كصدمة جيزان سكنت الفتنة وبحمد الله أن النصر قد قام ولكن الناس يرون آيات الله ويتغافلون عنها ولو رأيت بطشه الحق بالترك الخارجية من جيزان لرأيت عجباً من الحفائر إلى المطمع ومن المنجارية إلى الجبل قتيل بقتيل وما أخفوه من الأموات شيء مهول وياليت أهل تهامتكم يشعرون فيرون من عجائب نصر الله نصراً عظيماً . وقد تشوش قلبي من أهل تهامتكم مثل (قنا وآل موسى والریش وأهل بارق) وربما لا يثق بهم والله خرق العادة ولكن النصر مع الصبر ومع توجهكم للمحاصرة برد الأمر قليل فيهم ولا () (٢) فإن هؤلاء الذين في أبهى منزلة الأموات فإذا رأيتم في الدخول عليهم بعض مشقة بأسباب تحصنهم () فإن رأيتم جعل مقدار ألفين أو أكثر لحفظ المحاصرة ويجعل عليهم عبد الرحمن

(١) وجد مربوطاً بالخطاب السابق وكأنه بمثابة تعليمات سرية إذا أراد القائد اخلاص أحد على الخطاب فصل هذه الصفحة أو أخفاها .

(٢) ما وضع على بياض قد أتمنى أو تأكل موضعه من الأصل .

ابن ظافر ويكون () من يثق بهم كربيعة ربيعة وبني هيف ويكون هؤلاء الرجال فيهم من الصادقين () ألمع ولا يخفكم ترتيب الأحوال إذا استحسنت هذا الرأي ثم إنكم وجيوش المسلمين ومعكم () عسير خصوصاً من يتهم بخيانة تنزلون إلى محائل في جيش عظيم وقوة عظيمة ترهبون بها عدو الله وعلوكم وتثبتون بها قلوب أهل تهامتكم وتستخرجون رجالهم ثم تمكثون في جهة () أنتم وجيوش السراة وتلزمون أهل تهامتكم من آل موسى والريش وبارق () وجميع أهل العرضية وهم عدد ربنا يبارك فينا وفيهم وتلزمونهم بمصادمة الترك وأخبروهم أن الترك ماشين لأخذ بيوتهم وأموالهم وأعلموهم أن من رجع أخذ ماله وداره وحظوا أهل تهامتكم يشعرون ويثبتون وتكونون معهم بمنزل الزباط ويتقطع دابر... من محائل وغيرها ويحصل إرهاب الترك أما يحيى بن عرار وجيشه (.....) وما قلناه لا بطريق الإلزام بل هو من طريق المشورة والشاهد يرى ما لا يراه الغائب والله بحفظه وعزيز نصره يتولانا وإياكم واعلم أن النصر قد قام والفتح منتشرة أعلامه ولكن يريد مصابرة قليلة وعماً قليل يذهب الترك من بلادنا ونقرأ: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ٢٥ جماد ١٣٢٩هـ

خطاب من الإدريسي إلى قاضيه في جبل النظير

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن إدريس إلى القاضي العلامة
قدوة أهل الفضل والاستقامة ، نور الظلام السيد مظهر بن عبد الله حفظه الله
وتولاه وبعين رعايته رعاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد حمد
تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ومن والاه فقد وصلت إلينا
كتبكم الكريمة وتعطرت الأرجاء من معانيها الرائقة الفخيمة ، وآخرها وصل
بمعية السيد عبد الله بن حسين نجم الدين ^(١) وتحقق لنا ما أشار إليه سيف
الإسلام ونور حلقة الكرام ، ومع ذلك طلب الشرح عما بيننا وبين أولئك
الأعجام ، ونخامل ذلك أي هؤلاء الناس لما رأوا في بلادنا من إقامة الدين كان
سعيهم من وراء الأستار لإطفائه ، وإن ﴿ الله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾
فأزالوا هم وأعوانهم يكسبون فيما هو بضد سعيها ، إلى أن وصل ما يستمونه
القوة إلى بندر جزر أن لإزالة نفوذنا كما يزعمون وفي أثناء وصولهم وصل إلينا
محمد توفيق كما رأيتم وسعيد باشا قومندان القوة السيارة وصلوا أولاً وتقابلنا
نحن وهم وأخبرناهم إنا نقول ربنا الله فإذا يتقمون منا وهم بحمد الله أرحمنا
خالية منهم ولا نتعرض لهم في بحارهم وبنادرهم التي في الشواطئ والمراكز
التي في عسير لا تقبل الزيادة عليه لأن الزيادة تؤذن باستعداد القتال فإن
مسك البحر عنا عساكرهم وقنعوا بما قد قنعوا به هذه المدة الطويلة فنعمنا ذلك
وأن أبوا إلا أن تخرج العساكر وتنقل في بلادنا فالجهاد بيننا وبينهم فاعجب
أولئك الحاضرون وتوجهوا لمخابرة اسطنبول وفي كمران بالتلغراف ومكثوا
أياماً وحضروا يدعون أكاذيب ويزعمون أنهم سيخرجون لأن من عادتهم
إرهاب الناس وإن وجدوا المسلك أهلكوا العباد فلم نرَ بدءاً من إعلان
الجهاد والناس بحمد الله في شوق إلى لقاءهم ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى
الحسينين ونحن نرَبص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ ونحن

(١) هذه الرسالة أهداها إلى الأستاذ الجليل محسن بن أحمد أبو طالب القاسمي ، وهي رسالة
جوابيه من الإدريسي إلى « قاضيه » في جبل « النظير » .

بحمد الله لدينا أبطال الرجال الذي كل واحد منهم بقييلته على انفرادهم قد
طردهم من بلاده ولدينا المعادل الحصينة والجبال الشاخنة اذ ساق الغراب من
بلدكم هذا « رازح » الى « الطائف » والأغر على الأعاجم ، مع أن تهامة
تكويهم بالحرارة التي تناقض الأعجام وسيقفون موقفاً عظيماً إن شاء الله
تعالى ، وبالله الاستعانة ولا شك بنصر الله تعالى وهذه دعوة لم تقم بالنفس
ولا بالهوى ولا كانت فجة طائشة وثبور بل لإقامة الحق ليرحم به العامة
والخاصة من الخلق ، فله الحمد والمنة فلما رأى أولئك الأعجام الحماسة وأن
خطابنا الأول لا عن ذل ، بل من حسن السياسة فرجعوا إلينا مرة ثانية
وأخلاقهم بلطائف الكلام جارية ، وقنعوا بما كان قد قنعوا به فيما سبق
وأن عساكرهم سترفع إلى الأستانة ، وهي اسطنبول وفي الخطاب الآخر
طلبوا منا مد السلك على شاطئ البحر من الحجة إلى مكة المشرفة أعزها الله
فأجبتناهم إلى ذلك وتأمينه من العرب لأنهم كانوا يقطعونه كلما ملوه وهذا
لا ضرر به علينا بل به نفع لأنهم إذا مدوه لأجل المنفعة بقوا يدارونا إلى
غاية لأنهم يخافون عند أدنا تشويش تجعله القبائل قطعاً قطعاً فهو بمنزلة
الرهينة لدينا فهذا حاصل ما اتفق وهو شيء أوجب عليكم حكم الوقت
وما أشغلهم عنا الله به من الفتن في بلادهم التي يسوقون بها العساكر من
كل جانب ولو وجدوا الفرصة وثبوا وهامم يتلونون (كما تتلون الحرباء)
وبحسب الباطن لا يمكن الاتفاق أبداً لتناقض الدعوتين وأما الإمام ^(١) حفظه
الله ، فالاتفاق بيننا وبينه حاصل باتحاد الدعوة ويكون عدونا واحد ولا سيما
في مقاتلة هؤلاء الأعجام وقد وجب أن يكون رأينا واحد إن سلماً أو حرباً
ولا أضر عليهم من هذا وما قدرهم بإذن الله في نار عربية تتلظى عليهم من
قرب « صنعا » إلى « مكة » والخطابات فيما بيننا وبين الإمام دائرة بهذا
وسينعقد الاتفاق قريباً إن شاء الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

(١) هذه الرسالة حوت قبل الخلاف ونشوب القتال بين الإدرسي والإمام يحيى .

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها .

وبحمد الله نحب المدافعة عن الإمام كما نحب لأنفسنا لأن الإمام عربي أدخل عليهم الرعب من السطوة العربية وأقر بذلك عيون إخوانه في الدين ولا عبره بأهل النفاق ، فإنهم في غرة وشقاق ﴿ فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ﴾ وقد هالنا الحرب القائمة بين « سحار » وبين ابن الإمام شرف الدين محمد بن الهادي أبقاه الله لا سيما في مثل هذا الوقت الذي يخشى فيه وثبات الأعداء وهامهم يدبرون الحيل علمنا أم لم نعلم ولا شك أنهم يريدون هذه الحرب من ظفرهم الذي لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب ، ولا بذلوا المال للإمام السيد الحسن يحيى القاسمي إلا من أجل هذا الغرض ولولا الحيلولة بنا لبذل لهم الأعجام بطلبهم أم بغير طلبهم لكن بقينا في العين ، قذى وفي القلب شجى ، ومع الحوادث المهولة استخرنا الله تعالى وعزمنا على الطلوع لنتنظر في الأحوال ولعل الله بذلك يجمع الشمل فإنه أكرم مسؤول وحرر شهر ربيع أول سنة ١٣٢٩ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس

إلى السيد الجليل مصطفى بن محمد النعمي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والتحية والإكرام
كتابك الكريم وصل وقد حققنا مع السيد علي بن محمد النعمي بكل حقيقة
واتباع ما قلناه هو الصواب إن شاء الله فلا معنى لخروجكم إلى الجحف
إلا الفضل وعدم الناموس والحاصل أخبرناك أن القبائل تشتتت وهم الآن في
اجتماع فوظيفتكم تأليف الناس ومرابطتها ولا يصح تجييش الآن إلا كل قبيلة
ناصحة تمنع الطالع في جهتها وإذا احتاجت المدة فمن بجوارها يمدونها وأخبرناكم
بأن القرار في قنا وإذا صلحوا رجال الميع فنعم المركز والآن قد جاءني
مكاتيبهم حتى أحمد بن إبراهيم كاتبنا مرتين ووفد إلينا الشيخ أحمد بن سعيد
وهم متمسكون بالدعوة يريدون وصولك إليهم لأجل إصلاحات وإرهاب
للأعداء وقطع الطلع إلى أبا وقد كتبنا معهم خط إليكم وكلمناهم يتوجه به
جماعة إليكم ولا بد عند ذلك تتوجهون إليهم سريعا ولا يخفك أن الصبر على
الأذى والتجاوز عن المفوات من أخلاق الكمال والخلق صفتهم العياء من قديم
ولكن الرجل كل الرجل من يصبر عليهم حتى يسوسهم ويقوم معوجهم
وخصوصاً ما نحن عليه فإنه أمر لا يقبل الفضاضة والغلاظة ومجازاة أهل
الإساءة بالإساءة وقد كان عليه السلام إذا سئل في أهل النفاق أن تضرب أعناقهم
فيمنع ويقول : « لا أحب أن يتحدث الناس بأني أقتل أصحابي » فأنتم الله في
حسن الأخلاق خصوصاً مع شيوخ رجال الميع ولا بد من طلب المسلمين بعد
العيد إن شاء الله وتحصل المذاكرة من الرأس وقد جاءنا كتاب من القاضي
صقر وربيعة ورفيدة وهم على العهد ومع وصولكم إلى بلد رجال الميع تربطوا
بينهما وبين رجال الميع حتى يكونوا تحت داع واحد وأبشركم أن الترك
قد بطش بهم الحق وشغلهم عنا بفتن فبعد أن كانوا مضايقنا في جيزان سكتوا
ووسايطهم بالصلح إلينا فنسأل الله أن يطفىء الفتن مظهر منها وما بطن

ولا يخفك أن الترك إذا رأوا التراخي طمعوا وتكبروا وإذا أرو المضايقة
جنحوا إلى المسألة هذا والسلام عليكم وعلى من لديكم منا ومن لدينا والسلام .

٢٦ شعبان ١٣٢٩ .

كذلك القبائل الذي من أهل بارق والذي من أهل الستم أرسلوها مع
المحافظة إلينا أما قاتل الشهارية أن لزمهم وجاءوا به إليك فأرسله إلينا وإن لم
يفعلوا فلا تكلف نفسك فإن تركهم لينوقوا بعض مرارة الجاهلية والجليل
وصل وإذا وجدتم صناديق مونة نبوت صنوقين أو أكثر خنوها لنا
وكذلك لعل تحصل لكم خيم وترسلوها لنا فإن الحاجة داعية على ذلك
وكذلك حصلت هذه من إبراهيم فالح والسادة آل عسلة آل النعمي فأنتم
مع توجبكم أصلحوها وأن رأيتم مفاوته بينهم أجلبوا الحصين لطرفنا
والسلام .



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشريف الهمام ناصر بن حيدر سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والتحية والإكرام وقد
رأينا تأخر جميع الدعاوي في الحال لأن الجهاد قائم بجازان لزيادة ثلة من
الترك فيه لا طائل تحيتها بحول الله فلتسرع « المسلمين » - هكذا - من جانب
ويفتتحون كما اغتتم أهل (حلي) فحظ على بني حُمَـد وبني شيبيل ومن بجواركم
ومن القبائل ولتخرجوا بسرعة ، الحذر من كل تأخير العجل العجل ودمتم
سالمين والسلام ٢٨ جمادى الأولى سنة ٢٩ .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى المشايخ الكرام عبده أم يحيى وجماح
وكافة عرايف بني حُمَـد وعقاهم سلمهم الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدره للسلام لا يخفاكم صلورها
بيد ناصر بن حيدر قد أمرناه بنوبتكم في الجهاد يحضرها فإن الجيش خارج
لأجل لا يصل إلا وأنتم حاضرين مستعدين فالله الله في الهدية والجهاد ومن تأخر
فقد وجب ضبطه لأن الجيش الخارج مع وصوله لديكم لا يتركهم هملا يكون
لديكم معلوم ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى المشايخ الكرام أحمد مساوي وأحمد
امطاعن وعلي امطاعن وعلي بن حسن ومحمد زيد وهادي محمد وحسن قهار
وأبو طالب منيفه محنشي وحسن أم حسين وعريبي وكافة عقال بني شيبيل
وعرائقهم سلمهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لا يخفاكم صدورها بيد ناصر بن حيدر
قد أمرناه بنوبتكم للجهاد ويحضرها فإن الجيش خارج لأجل لا يصل إلا وأنتم
حاضرين مستعدين فالله الله في الهمة والاجتهاد ومن تتردد فقد وجب ضبطه
لأن الجيش الخارج مع وصوله لا يتركهم هملا يكون لديكم معلوم ٢٤ ذي
الحجة سنة ١٣٢٩ (١)



(١) لقد أخذ ولي عهد اليمن وقائد القوات الزاحفة على نجران بعد أن اعطا والده الإمام يحيى
إشارة البدء للإدريسي والتحرك في القسم الجبل من منطقة جازان ، قام هو بدوره بالاتصال
بشيوخ « بني مالك » واستمال بعضهم بشئ وسائل الإغراء وعندما لم يستجيب له كبار المشايخ
مثل حابر امتانجه أكبر شيوخ آل خالده وغيره أخذ يستميل العرفاء والمتنفذين ، والفوغائية
فاضطر جابر امتانجه وأمثاله إلى النزول إلى أمير المنطقة حمد الشويمر وإطلاعه على تدخل
الإمام ونجده في شئون « بني مالك » ، ثم عقب ذلك زحفت القوات المتوكلية واحتلت جبال
بني مالك وارغمت المشايخ على تقديم رهائن من أبنائهم ، وفي أثناء تلك الأحداث قال الشاعر
الشعبي شريف بن يحيى الأحمدي الخالدي قصيدة شعبية أوردنا بعضها في الجزء الثاني من كتابنا
« الأدب الشعبي في الجنوب » ، وهي تمد وثيقة أدبية وسياسية بالنسبة لأحداث تلك الفترة -
راجع ص ٢٥٩ من الكتاب المذكور- قال :

يامن سيوري ياصل ابن سعود بالسلام	ويخبره أنا على عهده وطاعته
ولا يخبر في طريقه يحترك هم	حشد الإمام لازم تروينا معيته
بلادنا متواصله بدولة الإمام	أحمد حميد الدين وصلتنا حكومته
نطلب « ابن سعود » بالقوات والنظام	احنا بنى مالك ، رعية من رعيته
حكومة (ابن سعود) تنق الظلم والظلام	ويهرب المدوان خوفاً من شجاعته
احنا نعاخذ « ملكنا » وتساعد دوا	أموالنا والنفس رهن لإشارته
وبعدا تم الصلح بين الماهلين وانسحبت	القوات المتوكلية من جبالنا وأعيدت الرهائن
إلى أهلهم وساد الوثام بن الحكومتين الشقيقتين .	

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الإدريسي

إلى السيد المهام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي
لا إله إلا هو مصلياً مسلماً على خاتم أنبيائه وآله وصحبه قد سبق إليكم جواب
قبل هذا ومن خصوص حسن فإن كنتم قد ظفرت به أو سلمتوه إلى الأمير
فيصل فذاك وإلا فقد كثرت الأخبار أنه في بلاد بني زيد فاجعلوا رجال
يفتشون عنه في بني زيد وفي عموم رجال ألمع فإن ظفرت به فسلموه
للسيد محمد بن هادي يصل به إلينا مع رجال وعرفوا الأمير فيصل أننا
قد ظفرنا به وأرسلناه إلى أماننا وإذا كان لكم فيه طلب فراجعوه ويفيدهم
وإن لم تجدوه فعرفوا إلى المذكور أننا بعد البحث والتفتيش لم نقف لهذا
الشخص على خبر ومتوجه إليكم قاسم بن إبراهيم ويحيى العجلان مع جيش
لأجل إجراء التفتيش على المذكور فإن لم يوجد كانوا عوناً لكم إلى أن
تستقر الأحوال .

وإذا رأيتم أن يكون أحد المذكورين في قنا والآخر في البحر فذلك
أحسن واستوصوا بهما وبالسيد محمد بن هادي خيراً ودمتم سالمين .

في ربيع أول سنة ١٣٤١ .

[illegible]

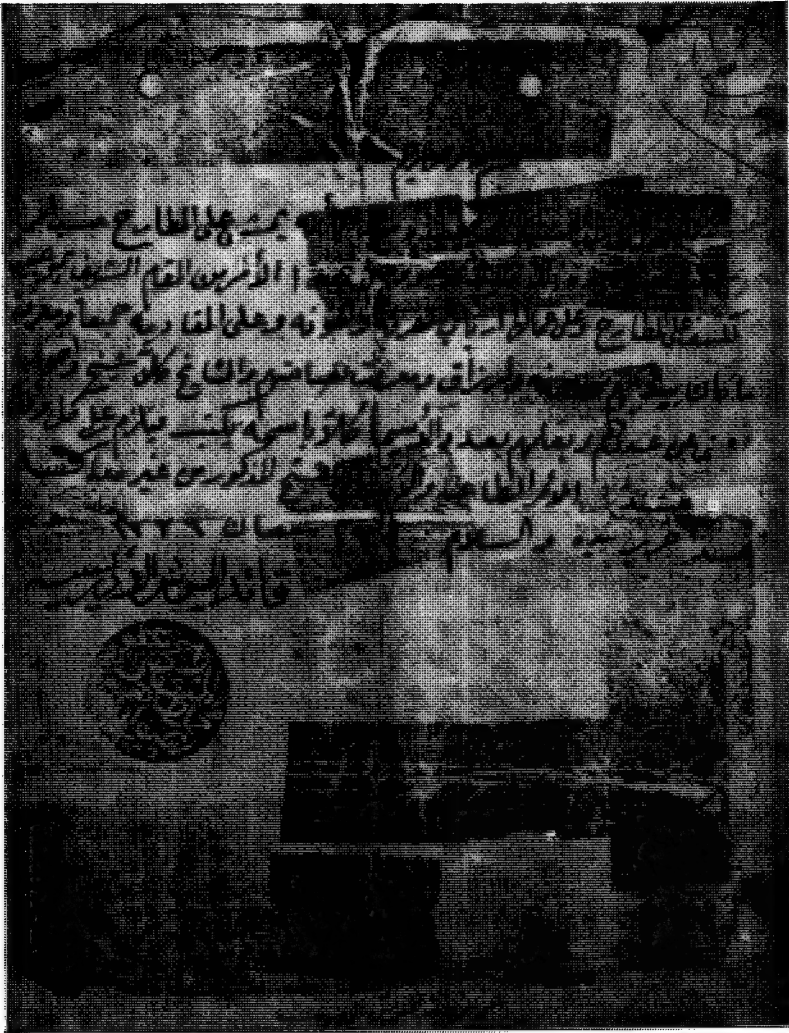
بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيده الشيخ محمد عبده مزيد بأنه يمشي على المطارح حسب أمر
سيدنا أيده الله حيث وهو وصل بهذا الأمر من المقام الشريف بموجب
الكشف على المطارح وعلى عمالها أرباب الصرفه والمونه وعلى المقادمة جميعاً
ومعرفة ما كان بيديهم من مونة وأرزاق ومعرفة نصاحتهم والمشائخ كل
شيخ وأصحابه عددهم ويقلمهم بعدد الأسماء كلا باسمه يكتب فيلزم على كل
واقف هذا الأمر الطاعة والامتثال للشيخ المذكور من غير معاكسة هذا
حرر بيده والسلام في ٢٣ شعبان ١٣٣٩ .

قائد الجيوش الإدريسية

محمد طاهر رضوان

(ختم)



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشيخ الهمام عز الإسلام محمد طاهر
رضوان . . . سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله
إلا هو مصلياً ومسلماً على خاتم أنبيائه وآله وصحبه ، كتابكم الكريم وصل
أما مسألة ملحان فرأيكم فيها صواب ومحمد عنده مزيد
وإلا فرتبوا أحوالكم وعرفوه بالوصول إلينا والمونة قد صدرت إليكم خمسون
صندوق منها خمسة وأربعون أصلي وخمسة من المصلح الجديد الجيد
ولا يخفكم غرة المونة الأصلية فبقدر جهدكم دافعوا من هذا المرسل حتى
تجيكم إن شاء الله جملة من المصلح الجديد فأنا الآن في مهمة الانتباه وترتيب
الأمر اللازمة لتصلح المؤن إن شاء الله والعسكر قد صدرت إليكم حملة
من ميدي وهم على توارد وشوكة المسارحة متوجهة إليكم أولها في ميدي
ومسألة « البغوي » فتلطفوا في علاجها ببصيرة وأحمد هريسه عرف إلينا
السيد العربي انه بعد هربه أرجع إلى الجيش وأحمد هريسه من أعيان الناس
فإذا رأيتم ضبطه برهينه وإطلاقه فنظركم لأنكم على معرفة بالجهة وأهلها
والزرائق ماداموا كما ذكرتم يجارون الأمور فجاروهم على ذلك حتى يأتي
الله بالفرج . . . قريباً إن شاء الله والنصر قادم والعلو مخنول بعون الله تعالى
وخنوا بالكم من أمور الحديدة
٢٣ ربيع ثاني ١٣٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن إدريس إلى الشيخ الهمام عز الإسلام محمد طاهر
سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فأحمد إليك الله الذي لا إله
إلا هو مصلياً على خاتم أنبيائه ، كتابكم الكريم وصل والنصر إن شاء الله
قريب والعلو مخنول وقد سبق إليكم ما يغني ولا يخفاكم إن الأشياء التي
نحتاج إلى إجابة خاطر وأعمال فكر تشق علينا فأنتم لا ترسلوا إلا في المهمات
وبقية الأمور سدّدوا وقاربوا والتوفيق معكم إن شاء الله

ومثل مسألة الجبالية يمكنكم
.....

في ٢٨ ربيع ثان سنة ١٣٤١ هـ



الفصل العاشر

ثقافة الإدريسي

الإمام الإدريسي عالم ديني يحمل شهادة الأزهر العلمية وإجازات من كبار علماء المنطقة - وهذا أمر معروف لا يحتاج إلى توضيح علاوة على أنه من رجالات العرب البارزين في السياسة والقيادة والحرب والنهضة التحررية ضد الأتراك - ومن هوفي مثل مركزه العلمي والاجتماعي والقيادي لايزيده أن يكون شاعراً ولا ينقصه إن لم يكنه وللإدريسي شعر جيد قاله في أيام الصبا وأرسل جله من مصر أيام طلبه للعلم في الأزهر ، وهو يعد في نظري من الشعر الحسن أو الوسط وإن كان يغلب عليه النمط التصوفي والفقهى وتنخلله مصطلحاتهما .

فثلا في قصيدة (ولى الزمان ومالي نحوكم سبب) .

نرى أنها موشاه بالمصطلحات الصوفية كقوله :

مستنشقا نفحة لو أن حظيت بها قدماً لما مستني لغو ولا عطب

وقوله :

للدقائق من آي الحقائق أقـ مارفا لفؤادي بعدها حجب

وقوله :

بدر تجلى على أهل الكمال كما بدر تجلى وفي أرجائه الشهب

وكقوله :

منى إليه تحيات فوانحها كما خواتمها الأنوار والقرب

وفي قصيدته التي بعثها إلى شيخه سالم بن عبد الرحمن باصهي وهي قصيدة وقع في نسخها بعض الاضطراب يحتمل أن نحيل تبعثها على الناسخ

الأول وفي القصيدة كثير من مصطلحات الصوفية ككلمة (التجلي) في البيت الثالث وكلمة (الزوايا) في البيت التاسع وكلمة (حضرة القدس) في البيت الرابع عشر •

وفي القصيدة الثالثة من المصطلحات الفقهية كقوله (راو له نقل) ومن مصطلحات التصوف والتبرك .

فأصبحت مصروع الغرام وليس لي من الوجد راق أرتجيه إذن قتل وهذه المامة مستعجلة أوردناها للتنويه وإلا فالأمر يحتاج إلى دراسة مسهبة نوضح الملامح المشار إليها في شعره والمسار الأدبي لمنحاه وسيكون ذلك — بحول الله تعالى — في كتابنا التاريخ الأدبي للمنطقة .



قصائده التي بعثها من (مصر) إلى والده في (صبيا)

ولى الزمان ومالي نحوكم سبب
وإن يعقني الهوى عن أن أسير إلى
مستنشقا نفحة لو أن حظيت بها
فلن يزال جميل الظن بمنحني .
وللدقائق من آي الحقائق أقف
حيث سار قضي الرحمن ، لا برحت
ولا يزال بقلبي مابقيت من الذ
فما لأهل الحمى أن يرفقوا بفتى
وفي التخلف عنهم قد أقاموا له
ولم يكن في الوري من غيرهم أبداً
يهوى أحاديثهم . وهي الشفاء بل ال
تهدي وحسبك . في روض مناظره
قد فاق حسناً فناجتنا بلابله
كأنما تدري ماذا في حديث جما
بدر تجلى على أهل الكمال كما
كأنه القطر عم الناس مرحمة
أستغفر الله . إذ قد جاد مبتسما
مني إليه تحيات فواتحها
تهدي إليك بألوان منزهة

وليس لي في سواكم سادنى أرب
حي^١ إليه بديع الحسن ينتسب
قدماً لما مسني لغو ولا نصب
بروضة يجتني من روضها الطلب
سار فما لفؤادي بعدها حجب
نفسى اشتياقاً إلى مرآه تضطرب
كرى مراسم مملود لها طنب
روح له بذلت في الوصل لانشب
العتي عليه . فهل لا تنفع العتب
له بديل ولا مجد ولا حسب
راح الذي لا بها غول ولا عطب
زبرجد وحصاه الدر والذهب
على منابر أغصان لها خطب
ل الدين . فهي لها التغريد والطرب
بدر تجلى وفي أرجائه الشهب
فهام سيان فيه العجم والعرب
وبالصواعق دوماً تقرن السحب
كما خواتمها الأنوار والقرب
فالدر عند محياها لمخشب

بعثها من مصر إلى شيخه

« سالم بن عبد الرحمن باصهي » بـ « صبيا »

ربيع عهدناه بالأحباب معموراً
فما لقلبي وللسلوان عادله
ياساكني السفح من (صبيا) على أكم
إني بغريبه صدقا أحدثكم
وقلت للنفس أننى بعد بعدهم
لا بارك الله في الدنيا وزهرتها
وإن سلوت هواه لا أعيش ومن
ياشيخنا العلم المولى الذي اجتمعت
يا بهجة الدين يا محيى معالمه
بمن براك إماماً لا اعوجاج به
لأنت حجتة العظمى وآيته
منذ تدفق عيوناً . سيدي انبجست
وأشرقت شمس أفق أنت مطلعها
سبحان منشيك بلساً للكمال له
ياسيدي (سالم) المولى الذي ابتهج
جدلي إمام التقي منكم بنظرة
وهاك أزكي سلاماً من جوانبه

قلبي جعلت على مغناه مقصوراً
وفي طريق الهوى قد راح مسحوراً
بكم غدا لتجلي الهدى طورا
يوم الوداع جعلت القلب منحورا
يطيب عيشي والى بعد مسرورا
إن لم أنادم من صبياني مشكورا
يسلوه أسمى يضل الحق مشورا
فيه الفضائل حقاً ليس تقديراً
وعامراً من (زوايا) العلم مدثوراً
حبراً تلاً من أكوانه نوراً
بالعصر ترشد من قد كان مغروراً
فطاب للناس شرباً كان مبروراً
للعلم قد لاح نور جل تنويراً
في حضرة القدس ذكر كان مشهوراً
به المعارف تكبيراً وتقديراً
تجلى فؤاد امرئ بالغى مسعوراً
مسك يفوح غداً في الكون متثوراً

• • •

وبعث بالقصيدة الآتية إلى والده من مصر

ألا إن قلبي لا ينهنه العذل
فكنا عنولي بالملام فإنني
ولا ترمياني بالجنون فليس بي
ونفسي غدت عن تحب فلا تسلو
أصم ولي فيما عنيت به شغل
جنون. ولكن في الهوى يؤسر العقل (١)

(١) راجع الحاشية التي أشرنا فيها إلى محاولته القيام بحركة في صعيد مصر فإن راوى القصة الأولى أن من المبررات التي استعطف بها أقاربه مدير المنطقة أنه مصاب بالجنون أو مرض عقل .

ألا مالم قلبي سلوة عن معاهد
بها القلب في دين الهوى قد جعلته
فأصبحت مصروع الغرام وليس لي
أنوح إذا البرق اليماني لمحتنه
ندأماي في تلك المعاهد هل لنا
وهل لي رجوع للحمي ورياضه
بشرق (الغرا) حيث المكارم والنبل
شعوباً . ودمع العين راوله نقل
من الوجدر اراق أرتجيه إذن قتل
كما أن سرت ريح الجنوب لها رسل
ذنو وهل يصفو الزمان وهل يحلو
ومشر به العذب الزلال له نهل

• • •

وله أيضاً :
اتلك بزوق ما أراها لوامعا
أم النور من (صبيا) سرى متألقاً
ونفحة ود ما بدت بأريجها
فهمنها بها شوقاً نؤم رحابها
وتنعمش أرواحاً كما بجديشكم
أحبنا من ساكني السفح انني
وعن عهدكم ماقط أصبحت ساليا
تضيء بدوراً أم شمساً طوالها
فحيا فؤاداً كان بالحب والما
تفوح عبر نور الكون ساطعاً
لعل بها
تشنف من أهل الوداد مسامعاً
على حكم الفيت قلبي مطاوعاً
وتبا لمن يسلو اللوى والمربعاً

• • •

الفضل الحارثي عشر

مقدمة دراسة عامة

لنطقة اخلاف السلياني من قبل الهجرة إلى نهاية العهد الإدريسي
وفي العهد الإدريسي سياسياً واجتماعياً وادارياً

إذا توغلنا في دراسة حالة ما يطلق عليه اسم الخلاف السلياني - قبل الإسلام لا نجد في الكتب الكلاسيكية مادة مستقلة أو معلومات خاصة يستنبطها الدارس إلى إجملاء ما درس من تاريخه الموهل في القدم وإنما كل ما ورد في تلك المصادر عن جنوب الجزيرة منقول عن رواد من المغامرين الذين لا تعدو إرتيادهم للشواطئ فلو نت أسماء مدن وقبائل لم يتوصل العلماء - إلى حال التاريخ - لمعرفة تحقيق تلك المسميات وراح كل منهم يفسرها على ضوء ما ترجح لديه على الظن والتخمين لا على وجه التحقيق واليقين .

وإذا رجعنا إلى موضع شبه الجزيرة وقبائلها ومدنها في خارطة الكتب الكلاسيكية أو خريطة بطليموس نجد أن سهول الشاطئ الغربي يمثل فيه نفس انتضاريس والرءوس والخلجان المرسومة في خرائط القرن العشرين . إلا أن أسماء المدن والقبائل الملوثة على الخارطتين المذكورتين - كما أشرنا قبل - غير مفهومة ولعل ذلك ناتج من تحريف في نطق الرواد وتسجيل علماء ذلك العهد البعيد بلغتهم وبطبيعة الحال فقد أشرنا إلى ذلك في الفصل (تهامة) من الجزء الأول .

وكل ما عثرنا عليه من كشف الرواد المستشرقين ، للنقوش الأثرية هو ما سجل في النقش الأثري المرسوم GIS 10 والذي يشير في سنة ٢٧٦ قبل الميلاد إلى اسم وادي ضمد وموضع (العكوتين) - راجع بحثنا المنشور في « البمامة » ع ١١٧ سنة ١٣٧٧ .

وعدا ذلك فنجد أن من جملة الوفود التي وفدت إلى الرسول ﷺ معلنة إسلامها عبد الجدد الحكمي ، رئيس قبيلة حَكَم .

ويضاف إلى كل ذلك أن الطريق (السكة الرومانية) التي أنشأها (طرايانوس قيصر) - راجع الفصل الخاص بعنوان تهامة في الجزء الأول من هذا الكتاب - كانت تمر في قلب المخلاف السليماني ، وعلى ضوء ماسلف في الجزء الأول بالعنوان السالف وتحت العناوين الآتية :

- ١ - قبائل تهامة في القرن الرابع .
 - ٢ - تهامة في التاريخ الإسلامي .
 - ٣ - أشهر مدنها التاريخية .
 - ٤ - المخلاف السليماني ونسبته ، سليمان بن طرف الحكمي .
 - ٥ - المخلاف السليماني من القرن الخامس إلى القرن السابع .
 - ٦ - الأمراء الغوانم .
 - ٧ - الأمراء آل القطبي .
 - ٨ - ما ورد في القسم الثاني من الجزء الأول حول الأحوال السياسية والإدارية في المخلاف السليماني .
- ونخرج من كل ما سبق أن المخلاف السليماني - يعتبر أول حدث تاريخي هام في ربوعه هو إمارة سليمان بن طرف الحكمي ، والذي يعد نقطة تحول سياسي بالنسبة لتاريخه البعيد ، فقد كان قبل ذلك يتألف - من قسمين :
- ١ - بلاد حَكَم وهي من عبس جنوباً إلى صَبيا شمالاً - تقريباً .
 - ٢ - مخلاف عثر وهو - تقريباً - من شمال صَبيا وغربها إلى حمضة - التخممة حالياً .
- ومحكم التقاليد القبلية تكون الرياسة في أقوى الأسر وعملاً بذلك كانت رياسة بلاد حكم ، في أسرة آل عبد الجدد الحكمي^(١) ، وظلت محتفظة بمركزها إلى ما بعد النصف الأول من القرن الخامس .

(١) عبد الجدد الحكمي أحد رؤساء الوفود الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم عام الوفود في السنة العاشرة وهم الأبيض بن حمال - الحارث بن عبد كلال - إبراهيم بن شرحبيل - وائل بن حجر - أحمد عبد الله البجلي - عبد الحميد الحكمي .

أما «مخلاف» (١) فلم يكن يؤلف قبيلة واحدة بل يضم خليطاً من خولان وكنانة والأزد - وغيرهم وبطبيعة الحال قتل ذلك الخليط لم يتفق على رئاسة موحدة ، شأن المجتمع القبلي المنتمي إلى جنم واحد .

فترى أنه في القرن الثالث كانت رياسته - أي مخلاف عثر - إلى قوم من بني مخزوم ، أو مواليهم ، وهذا إن دل على شيء فيدل على تلاشي وضعف قوى العصبية بحيث استطاع أن يرقى إلى رياسته طاريء بمخلاف مخلاف حكم الذي لم يدعن لطاريء من خارج نطاقه القبلي ومحيطه المحلي .

استمر الحال بتفرد كل قسم برئاسة مستقلة عن القسم الآخر - وإن تكن في نفس الوقت كلا الجهتين مرتبطتين إدارياً من أول القرن الثالث بإمارة زبيد التابعة للخلافة العباسية إلى عام ٣٧٤ .

في عام ٣٧٤ - وكان على رأس قبيلة حكم سليمان بن طرف الحكمي - من آل عبد الجدد فصمت كثير من المقاطعات التابعة لزبيد عرا ارتباطها السياسي ، نظراً لما بلغت إليه الإمارة الزيدانية في عهد أبي الجيش من الضعف فاهتبل الفرصة سليمان بن طرف واستقل بجهته ولم يقف طموح ذلك الأمير عند ذلك الحد بل عمل جاهداً حتى ضم مخلاف (عثر) ووحد المخلافيين تحت إمارته باسم (المخلاف السليمانى) واتخذ مدينة عثر عاصمة للإمارة الموحدة . وضرب سكة باسم الإمارة الجديدة نقش عليها اسمه عرفت بالدينار (العثري) أو العملة العثرية . التي كانت في الجنوب ذات اعتبار مالي ومركز اقتصادي تمثل - الاسترليني أو الدولار في هذا العصر مع الفارق في رواج الأخيرتين في أسواق العالم بأسره والأولى منحصرة في الحجاز واليمن وحضرموت إلى عمان . وبلغ دخل تلك الإمارة خمسمائة ألف دينار عثري وهو مبلغ له

(١) ورد في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني : وبالساعد اشراف حكم بنوعبد الجدد الحكمي وفيه ثم بلاد حكم وهي مسير خمسة أيام وملوكه من «حكم» آل عبد الجدد وفي ص ٥٤ ثم ييش وساحله عثر وهو سوق عظيم وفيه ثم مخلاف عثر وهو لـ «كنانة» و«خولان» و«الأزد» وملوكه من بني «مخزوم» وقيل من عبيدها وفيه : ثم ييش وبه موالي قريش .

ضخامته المالية وقيمته الشرائية في اقتصاد ذلك العصر هذا عدا ما تنقاضه الإمارة من العوائد العينية والعروض .

وقد ظلت إمارة سليمان بن طرف الحكمي وأبنائه من بعده ^(١) ٤٥٠ وإن ما أشارت إليه تواريخ المخلاف السليماني - بعد ذلك - بأن الإمارة آلت إلى (العلويين) في عام ٣٩٣ بجانب الحقيقة .

وقد وقفنا نحن في هذا الخطأ اعتماداً على تلك المصادر . وذلك - بالطبع قبل وقوفنا على المصادر التي تبرهن على ما نقول ومنها تاريخ الصليحيين .

أما كيف سجل مؤرخو المقاطعة أن إمارة المخلاف آلت إلى العلويين ، بعد سليمان بن طرف أي في عام ٣٩٣ فقد يكون من باب أو طريقة تسخير التاريخ لخدمة الأسر وخدمة المؤرخين للأسر الحاكمة فيما سبق ، أما من ناحية التقرب أو التماس الخطوة أو من ناحية العقيدة أو التشيع شيء معروف .

ویرجع لدينا أنه بعد وقعة الزرائب وانحيار نفوذ أسرة سليمان بن طرف كنتيجة حتمية لما ترتب على الهزيمة الساحقة عليهم وعلى دولة النجاشيين التي وقفوا بجانبها تمكن العلويون من إمارة المخلاف راجع الفصل الخاص (إمارة السليمانيين في المخلاف الجزء الأول) وقد بقيت على إمارة المخلاف في العهد الثاني للنجاشيين تحت تبعيتهم السياسية إلى أن قامت دولة علي بن مهدي

(١) جاء في « تاريخ اليمن » « تأليف عمارة » مانصه : ومن أخبار الصليحي أنه في سنة خمسين وربعمائة بلغه أن ابن طرف الحكمي قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة وأخلاط السودان عشرون ألفاً فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس فالتقوا بـ « الزرائب » من أعمال ابن طرف - وهو الوطن الذي ولدت فيه وبها أهل - فاستمر القتل أول يوم بالعرب ثم كانت الدائرة على السودان فلم يبق منهم إلا ألف احتازهم جدي أحمد بن محمد في حصنه بـ « عكوة » والمكوتان جبلان منيعان لا يطمع أحد في حصارهما الخ فابن طرف هنا هو كما نرجح حفيد سليمان بن طرف ونعته بابن طرف هو من باب تغليب الشهرة على المسمى كما يقال في عصرنا ابن سعود وابن حميد الدين لجلالتي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن فيصل والإمام يحيى بن محمد . ويوجد شرقي مدينة « صيبا » جبلان يسميان العكوتين ، وإنما لا تنطبق عليهما المواصفات اعلاه ، وقد عثرنا مؤخراً على ضلعين في جبل « معيده » سامقين في بلاد بني الغازي وبينهما قرية تسمى (الزرائب) ينطبق عليهما الوصف .

وعصفت بالنجاحيين ونكلت بأمراء المخلاف من أسرة وهاس العلويين ، فالتجأ بعضهم إلى صلاح الدين الذي بعث أخاه (توران) فاستولى على اليمن وأعاد لأسرة وهاس الإمارة على المخلاف السليمانى على شيء من التقيد السياسي وإنما اضمحل نفوذ تلك الأسرة كما يظهر فنرى ابن المحاور الرحالة المعروف يفيدنا أنه في سنة ٦٢٦ قد تلاشى نفوذها كلياً فيقول : فبقيت الأعمال في أيدي القوم إلى سنة ٦١٥* فضعف القوم يعني العلويين ودخلت عليهم يد (الغز) فخرجت البلاد من أيديهم وصارت في حوزة (الغز) إلى أن قال (ولم يبق لهم في البلاد خبر) انتهى باختصار وهذا لا ينطبق في الواقع فإننا نجد بقية نفوذ لأسرهم ، يتولون إقطاعيات متفرقة ، وأبرز من تولاه في ذلك العهد هم أسرة آل القطبي - راجع الفصل الخاص بأمراء آل القطبي في الجزء الأول حتى استولى الجراكسة المصريون قال أمره إليهم ثم إلى الأتراك العثمانيين في عهدهم الأول راجع أخبار الجراكسة في القسم الثاني من الجزء الأول وأخبار الأئمة الزيديين ومنهم ارتبط أمره بأئمة الزيدية في القرن الحادي عشر . وكان قبلهم رياسة (صيبا ومخلافها) إلى الأمراء الخواجيين فاستألمهم إمام (صنعاء) في صفه وباستألمهم تغلب على الحامية التركية الهزيلة في (جازان العليا) .

وقد تمخضت تلك التبعية الجديدة عن إقامة إقطاعية ^(١) (علوية) في قلب (المخلاف السليمانى) لتكون ركيزة لمذهب الدولة في جعل الأفضلية في الحكم (للعلويين) وعلى ذلك تم الاتفاق بين المركز الرئيسي في صنعاء وبين علويي المخلاف بتحديد تلك الإقطاعية التي شملت من حدود المسارحة إلى صيبا .

إلا أن قبائل المخلاف الشديدي الشكيمة والتي بطبيعتها العربية الأصلية لا تهضم قبول أي خطة سياسية أو مذهبية ترمي إلى احتكار السلطة والخضوع

(١) جاء في « العقيق النبانى » ص ٢٤٦ مانصه وفي ٣ رجب عام ١٠٣٦ وصل إلى صيبا العلامة المجتهد أحمد بن محمد الشرق بتقرير مجالس بين الإمام والاشراف - العلويين - جعل لهم الأمام ولاية من حدود المسارحة من جهة اليمن إلى وساع وتقررت لهم بأسرها .

لأسرة ما رقصتها ، فتلاشت بعد وقت قصير جداً تلك الإقطاعية ولم يبق لها أي بقاء أو نفوذ ، ما عدا إمارة صبيا نفسها التي يناط أمر إمارتها بالخواجيين من قبل ذلك ، والخواجيون تعتبر سلطتهم قبلية اجتماعية ، لا روحية وهم في نفس الوقت حينذاك من العشائر القوية في (صبيا) . فاضطرت إمارة صنعاء إلى تناسي تلك الخطة السياسية في أمر تلك الإقطاعية وبعثت (عاملاً) من قبلها لمنطقة (جازان) و (المسارحة) .

واستمر هذا المركز يملأ بأحد رجالهم أو يعين له أحد أسرة (القطبي) في جازان أو من الخواجيين في صبيا حتى أنيطت إمارة ذلك المركز بأحمد بن محمد آل خيرات راجع الفصل الخاص بأمرآء آل خيرات وبقى أمر إمارة (المخلاف) متوارثاً في تلك الأسرة إلى أن دخل تحت سلطة السعوديين عام ١٢١٧ فأقرت على إمارته أميرها السابق حمود بن محمد آل خيرات ، الذي ظل تحت ولائه إلى عام ١٢٢٧ فتحل محل طاعتهم واستقل بأمر المخلاف وغيره إلى أن توفي في عام ١٢٣٣ فخلفه ابنه أحمد حمود قرب عامين فوصل خليل باشا ، ونحاه وجعل في محله علي بن حيدر الخيراتي ، وبعد رجوع خليل باشا إلى الحجاز ظل أمر المخلاف يتأرجح بين علي بن حيدر و (العسيرين) راجع الفصل الخاص بإمارة علي بن حيدر والفصل الخاص بأمرآء عسير في القسم الثاني من الجزء الأول وكان أمر الحجاز تابعاً لـ (محمد علي) بصفته تابع للدولة - إلا أنه بعد تفاقم الأمر بينه وبينها كما هو معروف في التاريخ جرد حملته على سوريا . كما بعث قوة إلى اليمن عن طريق الحجاز للاستيلاء عليه باسمه وكتب (للأمير علي بن حيدر) بأن يرسل ابنه مع الحملة إلى اليمن .

استولت قوة محمد علي على اليمن حتى صدر قرار مؤتمر (لنصرة) فسلم قائده البلاد للحسين بن علي بن حيدر باسم الدولة العثمانية فبقي على إمارتها إلى أن وصل (توفيق باشا) واستلمها منه في عام ١٢٨١ هـ .

من هذا الاستعراض الموجز نخرج بالنتيجة الآتية :
إن المخلاف السليمانى قامت في ربوعه ثلاث إمارات لها أهميتها التاريخية بالنسبة إلى تاريخ الجنوب خاصة .

١ - إمارة سليمان بن طرف الحكيمى الذي وحد مخلافي (حكم) و (عثر) في ظل إمارة قوية موحدة - وكان قبله لكل مخلاف كيانه أو إمارته الخاصة .

٢ - إمارة حمود بن محمد والذي تمكن وهو تحت التبعية السعودية من التوسع في جنوب تهامة إلى أن بلغت سلطته (زبيد) وبعد تحلله من الارتباط بالدرعية بل وفي العام الأخير من حكمه تمكن من ضم عسير إلى مملكته .

٣ - الحكومة الإدريسية في عهد مؤسسها فقط التي مهدنا لدراستها بهذه المقدمة الموجزة وقد مر بالقارئ الكريم تاريخها مفصلاً ونحاول الآن دراسة عامة للحالة العامة في عهدها .

أما بعد ذلك فقد أصبح المخلاف السليمانى جزءاً من المملكة العربية السعودية التي وحد شملها وجدد للأمة العربية وحدتها في شبه الجزيرة العربية المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود .

الفصل الثاني عشر

دراسة عامة عن الدولة الإدريسية

الناحية السياسية :

ألمعنا في الفصول الخاصة بالدولة الإدريسية عن نشأة مؤسسها الأول وأسرته واتصالاته السياسية وحروبه وهنا نعقد هذا الفصل للدراسة عامة للنواحي السياسية والإدارية والاجتماعية والأدبية ولنبدأ بالناحية السياسية .

قامت الدولة الإدريسية في ربوع الخلاف السليمانى أولاً ، فمرت بالأدوار الطبيعية التي تمر بها كل دولة ناشئة فمن دعوة يتذرع بها إلى وسيلة يرمي من ورائها إلى غاية حتى بلغت دولة يشمل حدودها :

١ - من قرب صعدة شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً .

٢ - من (حلي بن يعقوب) شمالاً إلى شمال مدينة بيت الفقيه جنوباً .

٣ - وفي القسم الأعلى الجنوبي شمل سلطانها جبل (كحلان) وما سامته جنوباً إلى (ريمة) و (عبال) واستطاع أن يشيد تلك الحكومة التي شمل أيضاً سلطانها بعض الوقت أبها وشهران وإن تقاصر بعد ذلك حكمه إلى (الشعبين) ورجال (ألمع) إلى وفاته .

دولة وقفت شامخة العرنين بين أقوى أسرتين حاكمتين وهما (إمامة صنعاء) وشرافة مكة واستطاعت . ألا تحمي نفسها من منافستها وأطاعهما . فقط بل توسعت على حسابهما في غير ميدان .

أما أنها قد حالفت دولتين أجنبيتين - كما وصمها خصومها آنذاك - فنعم وإنما محالفة تبادل المصالح والمساعدة الحربية ، فقد أخذ منهما (ملا) و (سلاحاً) وقاتل به عدويه وعدوهما - الأتراك - وحقق به لنفسه ملكاً ونصراً لحليفه ولا شيء غير ذلك .

حالف (إيطاليا) أولاً إلى أن انتهت الغاية لإيطاليا من وراء ما ترمي إليه . فلم تنل إيطاليا أي مغنم مادي أو كسب أي امتياز سياسي أو اقتصادي ، وانطوت صحيفة الحساب في حقلي الأخذ والعطاء . سلاح ومال . يقابله مجهود حربي ، ولا شيء غير ذلك ، ومثلهم الإنكليز .

الإدريسي كزعيم عربي يعزّز بعرويته ويفخر بقوميته . ويكره الشعوبية عقيدة وطبعاً . ولم نلمس في سيرته طائفية مذهبية « سعى جاهداً » في إشادة ملك وبناء دولة في منهج من الإصلاح الديني والسلوك الصوفي ، وذلك بحكم بيئته وتنشئته . — وللوراثة عامل قوي لا يمكن تناسيه وإسقاطه من الحساب وجده الأول — من قد عرفت — قطب التصوف في عصره . وإنما استطاع (الإمام الإدريسي) بحكم اتساع معارفه الدينية التي بلغ بها رتبة الاجتهاد — تقريباً — وتسامي ثقافته وتفكيره . أن يرتفع بطموحه المتوثب عالياً عن محيط دائرة أسرته إلى محيط الإصلاح ودائرة القومية العربية كأمثاله من كبار زعماء عصره .

وهو شافعي ^(١) المذهب ، سُنيُّ العقيدة من كبار علماء الدين في عصره . خرج (الإدريسي) من مسقط رأسه طالباً للعلم فنال مبتغاه وعاد طالباً للملك فتحققت أمنيته ، قام بمحاولة في وقت تعتبر فيه (الخلافة العبّاسية) . ظل الله على أرضه . وقد مضت أجيال وأجيال ، خدمتها فيها العقول وسخرت لصالحها الأقلام وأقرت شريعتها علماء الدين — آنذاك — فوصم كل داعية إسلامي أو مصلح عربي بالمرقوق من حظيرة الدين والانحراف عن هديه القويم . فكان من جراء ذلك القضاء على كل إصلاح ديني أو نهضة عربية — وليس أمر القضاء على الحركة الإسلامية السلفية في نجد وقتل زعيمها (الإمام عبد الله بن سعود) تغمده الله برحمته ببعيد — فنضب الفكر وجذبت العقول وتلاشت الهمم وشرد الأحرار ، ولم يكتفِ الأتراك بإخماد الروح العربية حتى عزموا على تترك العرب ودمجهم في العنصر الطوراني .

(١) في حوزتي نسخة فريده لعدد من الرسائل والمتون بخط الإدريسي نفسه في صباه موقعه أحدها باسمه : محمد بن علي بن أحمد بن إدريس الحسني الشافعي .

هذا في البلاد العربية على وجه العموم . أما في المخلاف السليماني فحدث عن ما بلغه من الردي في مهاوي الجهل والفوضى واضطراب جبل الأمن . ولا حرج .

كان في أي قطر من أقطار العروبة — المتقدمة نسبياً عن المخلاف السليماني يكفي لإخماد أي حركة صلور مرسوم سلطاني وفتوى من مشيخة الإسلام في القسطنطينية بأن الثائر خارج عن حظيرة الدين حتى ينفذ من حوله الأنصار وتتألب عليه العامة ولو ذلك المرسوم والفتوى في صالح الاستعمار واحتلال دولة أجنبية . وفي إخماد ثورة (أحمد عرابي) ما يغني عن الإطالة يضاف إلى ذلك قتل زعماء التحرير الدعاة بعد التشهير ، والتطواف بهم في شوارع الأستانة وبعد ذلك نصب المشانق في دمشق و (بيروت) وحبسهم الشباب الواعي العربي العريق حبساً .

إن الإيمان القوي والروح العصامية تتحدى الأخطار وتهزأ بالمصائب وتتخطى الصعاب . فلم يآبَهُ بتلك الحشود الزاخرة ولا القوى الضاربة ولا دعاية التشهير والتكفير . فارتبط مع حكومة إيطاليا التي من مصلحتها آنذاك تأريث الفتن وإشعال الثورة على تركيا — فاتفق معها .

فأحكم التدبير وأحسن السياسة وتذرع بوسائل التأثير على النفوس والعقول فاستل السخائم وألف بين القبائل المتعادية — والأغلبية الساحقة في جهالة عمياء بل المخلاف السليماني بأجمعه يطفو في بحيرة من الدماء والحروب القبلية ولا هم للأكثر الأعم إلا الحصول على ما يسد الرمق والدفاع عن النفس . وكان شريعة الغاب قد طبقت بحذافيرها في محيطه ، فكان لدعوته صداها ولسياسته تأثيرها ولإرشادته طريقها إلى النفوس والعقول . وبالطبع أن حركته — أو بالأصح ثورته — لم تكن دعوة الإصلاح الديني الشامل أو اليقظة القومية الواعية . وإنما هي دعوة العالم الديني المتطلع إلى الحكم وإقرار الأمن واستئصال الفتن في المجتمع القبلي — الذي أهملت شأنه الحكومة . فانقلبت إلى فوضى وحروب قبلية ، فكان هم الأول تسكين تلك الفتن

كوسيلة إلى غاية انتدب نفسه لتحقيقها وهي إشغال الأتراك بثورة لتحويل أنظارها عن الميدان الرئيسي إلى ميدان فرعي والغاية الخاصة لشخصه تحقيق ملك وإشادة إمارة فعل — كما أشرنا — ثم بعد العمل التمهيدي ، انصرف — مجداً — إلى تحويل تلك الطاقة الكفاحية المبددة إلى غرض وهدف ، وإذا قسنا ما تبدد من تلك الطاقة — في الحروب القبلية من قتل بعضها — إلى الغاية والهدف التي وجهت إليه وجدنا الفارق البعيد . فضلاً عما ساد من الأمن وشمل الانتعاش الاقتصادي والرخاء المعاشي من وراء انثيال المساعدة الخارجية — التي بغض النظر — عن مصلحتها قد عادت بصفة غير مباشرة على البلاد السلمانية بالرخاء المادي بالنسبة إلى ما كانت عليه قبلاً .

كان الفرد عاطلاً ، أو يقوم بعمل شاق بأزهد الأجور في محيط مضطرب تزهق النفس في أرجائه لأنفقه الأسباب ، فأصبح جندياً يؤدي ضريبة المجد ويقوم بواجب الدفاع عن الوطن تدفعه إرادة قوية وتسيره عزيمة حازمة حكيمة وترفده إمكانيات متوفرة الموارد منتظمة الإيراد — وإذا كان الفرد — لا يعلم من أين جاءت ولماذا تصرف فليس من الضروري أن يكون الرجل المريض على علم ودراية بعناصر اللواء الذي يشعر من جراء تعاطيه بدبيب الشفاء ودفع الحياة يشع في أعضائه .

أصبح من رجال المخلاف السلطاني الوزراء والقادة والقضاة وحكام الجهات وقد كان — قبل ذلك — لا شيء وكان علماء الدين لا معين لهم للارتزاق — وقد انحسر نفوذ الأتراك وانكمش في بندر (جازان) — إلا كتابة وثائق مبيعات الأراضي على نزر بيعها أو قسمة فريضة ميراث في القرية . أما عدا ذلك فالحكم للمساعد القوي والقلب الجريء .

أصبح منهم قادة الجيوش الذين أداروا رحى المعارك بنجاح ضد قادة الجيش العثماني وانتزع منهم أكاليل النصر في غير معركة ، ومنهم الوزراء الذين انتدبوا للتفاوض مع إيطاليا ورجال اللولة التركية والبريطانيين فكانوا

على قدم التكافؤ مع كل فريق في غير موقف ، وبرر منهم القضاة والحكام الإداريين .

فأي روح تلك التي أيقظت المشاعر الغافية وأشعلت تلك الفطن الطافئة ، أنها ولا شك روح قوية وشخصية عصامية شاءت القلعة الإلهية وجودها . وإنما قوة تلك الشخصية ومصدر إشعاعها محدود المدى محصور الغاية وفي حياتها فقط ، ومن الإشعاعات الروحية والقوى الشخصية ما يكون محدود الأمد بحياة مصدره ومدة حياة صاحبه فإذا مات انطفأ وتلاشت قوته ومنها ما يظل إلى أمد محدد ومنها ما يتخطى الأجيال ويطاول الآماد .

إننا لا نقصد من وراء هذه الدراسة الوجيزة التجني على شخصية الإدريسي فهو رجل قد أصبح في ذمة التاريخ هو والحكومة التي شاد بديانها وأقام أركانها ، ولا نريد أن نخلع على شخصيته من الثناء أكثر مما يوجبه الحق للتاريخ — فلن ينفعه الثناء الزائف كما لا يضره النقد القادح ، وشخصيته الكبيرة سيحتفظ التاريخ بذكرها بين زعماء الرجال من أبناء هذه الأمة العربية النبيلة التي أنجبت الزعماء والعظماء على مسرح التاريخ وعلى المؤرخ تبعته فيما يحليه أو يغمطه من الحقائق وعليه واجبه نحو الأجيال المستقبلية لينير لها السبيل ويمهد لناشئها الطريق لتسير على هدي التجارب واختبارات الماضي في مهيع لاجب ومنهج واضح من دراسة التاريخ يشحذ المهمل ويتنكب بها عثر الزلل . فعظماء الرجال هم أفراد من أفراد كل أمة سمت بهم مداركهم وتعالى همهم إلى معالي الأمور فساعدتهم الأقدار ببلوغ مآربهم أو حالت دون إدراكها ، والتاريخ سجل حافل بالأحداث والاختبارات والتجارب ، فمن الخطأ أن لا يتناول المدرس العميق والنقد الزيه حياة الشخصيات الهامة ، وقد قيل (التاريخ لا يرحم) ، وأعتقد أن هذا القول ينطبق على مفاهيم الأمم الواعية التي تتخذ من تاريخها سجل نهضة وثبت حقائق يشيد بالأعمال ويقيد الأخطاء وينوه بكل مآثره وينبه ويشير عند كل انحراف أو زلل أو وقوع تبعة ، فالأعمال العظيمة وحوادث التاريخ لا يكون فخرها

لأنه بالأصح نفعها للشخص نفسه أو ضررها عليه ، بل للأمة وعليها وقد يكون لأعمال الشخصية من قوى التأثير في التاريخ ما يتجاوز دائرة محيط الأمة الواحدة إلى المحيط الإنساني العام .

إن الإدريسي قام بحركة ناجحة ، تفوقت بأسلوبها المرن في التفوق والتغلب على كل من وقف في سبيل تحقيقها فبرز بها من عالم الأماني والخيال إلى عالم الحقيقة والواقع — في نفس المخلاف السليماني أولاً ثم عسير ثانياً ثم في الجنوب ثالثاً وساجلهم وساجلوه فكان المتفوق دائماً ، وأحسن ما نسجله هنا شهادة كاتب عربي معروف هو الأستاذ (أمين الريحاني) في كتابه المشهور « ملوك العرب » .

(إن من فضائل الإدريسي ثباته منذ بدء أمره على مبدأ واحد فقد كان عربياً صمياً جسوراً في سبيل غايته ، يخالف أية دولة على أعدائه الترك ومن كان هو حالفهم من أمراء العرب عليه . فما تذبذب في مبدئه ولا تحول عن ذلك ، حارب الأتراك وحليفهم الملك حسين وصديقهم الإمام يحيى . فكان في الغالب منتصراً ودائماً عزيزاً ، لا ننكر أن الأحوال كانت حليفته ولكنه سلحها من لدنه بالعزم والمضاء) . انتهى .

وهو يعتبر — بحق — حجة في العلوم الدينية . وعدا ذلك فله من سياحته بين مصوع والحجاز ومصر والسودان ، ما جعله يقف على مجريات السياسة ونظم الحكم في تلك الأقطار آنذاك ، ومصر قد غزتها الحضارة الأوربية نسبياً وكانت حينئذ تحت التبعية العثمانية الاسمية والحماية البريطانية الفعلية وتحصيله العلم في جامعة (الأزهر) كل ذلك وسع آفاق مداركه وصقل عقله وشحذ همته وتسامى بمواهبه ودرب فكره تدريجاً عملياً ، فكان من كل ما سلف مضافاً إلى تراثه الروحي والصوفي ، منهج سياسته التي هي في نظرنا تلخص في كونها ، إسلامية المنهج صوفية النزعة عربية المبدأ إقليمية النظرية .

أما من الناحية السياسية الخارجية فهي حصيفة دقيقة تعرف كيف تستفيد

من ظرف المعترك الدولي مع التحاشي من الوقوع في أحابيلها ، أو التفريط في استقلالها الداخلي ، وقد رأى بنظره الثاقب وهو بين حكومتين عريبتين وهي :

١ - حكومة الملك حسين في الشمال .

٢ - حكومة الإمام يحيى في الجنوب .

وكلا الحكومتين تستند إلى تراث موروث^(١) ، والاعتماد على المساعدة الخارجية انتهى بانتهاء الحرب العظمى وقد أصبح أمراء العرب مرتبطين مثله بمعاهدة صداقة مع بريطانيا ، فلا بد من سند صداقة عربية من مستوى عالٍ يعتمد عليها في موقفه مع الحكومتين السالفتين فارتبط مع عظمة (سلطان نجد) - حينذاك - بمعاهدة صداقة وإخاء تطور إلى وصاية فيما بعد - كما مر بك مفصلاً .

السياسة الداخلية :

مر بالقارئ الكريم - دراسة مفصلة عن حالة الخلاف السلياني عند قيام الإدريسي ، وعن سياسته الداخلية إبان قيامه - والآن نستعرض السياسة الداخلية للعهد الإدريسي .

إن سياسته الداخلية في جوهرها مزيج من الدهاء الإداري والمنهج الشرعي والروحية الصوفية تدرج في إبراز معالمها في عقلية الشعب حتى سحره بقوة التأثير لما ندب نفسه من غاية مستعينةً بالعون الخارجي ، وهو في مثل ظروفه ضرورة اقتصادية وجل الحركات الثورية تستعين بالعون الخارجي - في الشرق والغرب - فالثورة الأمريكية الكبرى كانت تتمتع بالعطف والعون الفرنسي ، الذي له غاية من وراء ذلك هو إقصاء إنجلترا عن القارة الأمريكية ، كما هو معروف من التنافس السياسي بين الدولتين حينذاك ،

(١) كان الإدريسي في نظر كل من الملك حسين والإمام يحيى غريباً ساعدته الظروف ومكنت له الأسباب وأنه ليس له ما لهما من التراث التالذ والمجد الموروث .

وكذا الثورة الإيطالية كانت تحظى بالمعطف من بعض الدول وثورة البلقان ضد تركيا حظيت بعون غير دولة لما لهم من المآرب السياسية .

نجحت سياسته الداخلية - كما مر بك مفصلاً - فخضعت لطاعته الجماهير وتغلب على كل معارضة داخلية ^(١) وبعد ذلك كان أول نجاح سياسي أحرزه هو معاهدة (الحفائر) التي بموجبها اعترفت تركيا بسلطته الشرعية على (الخلاف السلیماني) وبعد قطعه يدي (أحمد شريف الخواجي) تذلت كل عقبة داخلية وأذعن كل معارض فانصرف إلى بعث العمال والجبابة إلى الجهات وإرسال القضاة وإقامة الحاود فتوطد الأمن واستقرت الأمور واتخذ لنفسه حرساً من الصومال بلغ عددهم نحو الخمسمائة ثم فرقهم كحمايات في محایل وبعض مراكز تهامة ومناجم الملح .

السياسة الإدارية :

كان الإدريسي نفسه مصدر كل سلطة ترد إليه المخبرات والمعاملات وتصدر منه الأوامر والتوجيهات إلى كل من له سلطة أو ينوب في إدارة أو يقود الجيوش أو يتولى الجبابة ، لقد أشرنا إلى تعيين وزراء ثلاثة وإنما وزاراتهم اسمية ليس لها اختصاصات أو وزارات معروفة ، وجل أعمالهم الانتداب للمهمات أو التنفيذ لما يصلره من الأوامر . كان في مبتدأ أمره يتولى بنفسه فض الرسائل والمخبرات والإجابة عليها بقلمه ثم استعان بالفقيه على القناعي الصبياني ككاتب ، ثم وفد إليه الأستاذ (عبد الرحمن المعلمي) فاتخذه كاتباً للإنشاء . وبعد جلاء الأتراك أصبح لديه ديوان يشكله زمرة من موظفي الدولة السالفة يرأسه (كامل أفندي) أحد كتاب ديوان ولاية (صنعاء) القديرين في العهد العثماني .

(١) كان تقريباً في كل مدينة أناس تنظر إلى حركته من الساعة الأولى بعين الارتياح وبالأخص من الموالين للأتراك وأبرزهم :

١ - أحمد شريف الخواجي في صبيا ٢ - منصور الصميدى في أبي عريش .

٣ - علي سويد الأنصاري في جازان ٤ - عبد الله سهيل في فرسان .

فقط يدي الأول . ونفى الثاني إلى شهران وسجن الثالث في جيل النظر أما الرابع فقد فر أولاً إلى اليمن ثم عاد مؤخراً فقبض عليه وسجنه مدة ثم عفى عنه .

الجهاز الإدارى العام :

يتمثل الجهاز العام في العاصمة من :

١ — شخصية الإدريسي نفسه الذي هو مصدر كل سلطة مقيدة بالشريعة الإسلامية طبعاً — فهو المصدر الرئيسي والمرجع العام للسلطات التشريعية والسياسية والتنفيذية .

٢ — يعاونه الوزراء الثلاثة وهم :

حمود سرداب الذى يتولى أمر شؤون القبائل وتجنيد الشوكات وما يتعلق بذلك فيتلقى الإرشادات والأوامر التوجيهية شفويّاً وينفذ ما يؤمر وما جدد، يتصل بشخص الإدريسي مباشرة ويعمل في حدود ما يتلقاه .

٣ — الوزيران (محمد يحيى باصهي) و (يحيى زكري الحكمي) فيما عدا ذلك في حدود ما يوجههم .

٤ — محكمة عليا ورئيسها (محمد حيدر القبي) ويشاركه عدد من القضاة .

٥ — محتسب (مدير شرطة) لمراقبة السوق ومراقبة الأخلاق العامة والتنبيه للصلاة وغير ذلك .

أجهزة الإدارة في المدن :

في كل مدينة جهاز إداري يتألف في الغالب من :

١ — عامل — أي حاكم إداري .

٢ — قاضي شرعي .

٣ — مأمور بيت مال .

٤ — حامية — تسمى رتباً — من الجنود المرتزقة لهم عريف .

٥ — رئيس بلدية في أمهات المدن .

٦ — دائرة رسوم جمركي في المدن الرئيسية الساحلية تتقاضى رسماً

معرفةً على الواردات الخارجية والصادرات .

المرجع الرئيسي لكل الجهات الإمام الإدريسي نفسه وكان ينوب عنه في الجهات الجنوبية (ابن عمه مصطفى بن عبد المتعال الإدريسي) .

أما كيفية الاتصالات فغالباً ما تكون بواسطة المكاتبات العادية ، بدون رقم ولا تسجيل وتصدر منه الأوامر بالطريقة نفسها في الأمور الداخلية والإدارية والمالية . أما المهم من الأوامر والمكاتبات الخارجية فيبعد تشكيل الديوان الإدريسي برئاسة كامل أفندي فأصبح له سجلات رسمية .

الرهائن :

كان الإدريسي يأخذ من غير أهل الخلف السليماني رهائن وبالأخص من أهل تهامة اليمن والجبال والرهائن أن يأخذ ابن كل رئيس قبيلة رهينة لديه ضماناً لطاعة ذلك الرئيس من المخالفة .

المواصلات :

لم تكن في ذلك العهد مواصلات منتظمة تربط أجزاء المملكة أو وسائل مواصلات حديثة إلا الحيوانات ما عدا عدد محدود من (السيارات) لا يتجاوز الأربع لتنتقلات الإدريسي نفسه أو ترل في الحالات الطارئة أو لنقل كبار الضيوف أو أقربائه أو كبار رجال دولته إذا استدعى أمر مهم لذلك .

أما البريد الحكومي : أو بأصح تعبير مكاتبات (العمال) فترسل بواسطة (عدائين) يطلق عليهم اسم (نجابين) واحده (نجاب) فيقطعون المسافات البعيدة عدواً وربما استعمل غيرهم الدواب الفارحة .

الإيرادات الحكومية :

١ — منابع الإيرادات في أول الأمر العون الخارجي ، أو الزكاة الشرعية على الحبوب والمواشي ، وبعد التوسع في الجنوب والشمال وانقطاع العون الخارجي بنهاية الحرب العظمى الأولى ، تركزت على :

١ — واردات زكاة المواشي والحبوب .

٢ — واردات المالح .

٣ - الرسوم الجمركية .

الأوامر :

تنفذ الأوامر الإدارية فور صدورها ، فإذا ما أمر على أحد وزرائه أو رجال الدولة بادر حالا وأبلغ من يلزم بتنفيذه فوراً ومع ذلك فتلك الأوامر المرتجلة لا تخرج عما تقتضيه المصلحة .

محاولة تنظيم جهاز الدولة :

المفهوم من رجال متنورين عاصروا ذلك العهد أن الإدرسي أراد أن يشكل جهاز الدولة على النظام الحديث وأن تنظم للدولة موازنة للإيرادات والمنصرفات ووزارات ذات اختصاصات ، وأنه اعتمد على أحد الاختصاصيين في وضع شبه دستور أساسي ، وعرض على سيادته فعدل في مواده بما يتلاءم مع المنهج الشرعي وحالة البلاد ومقتضيات الزمان وأشار فيه إلى أسماء الأشخاص الذين سيمثلون مراكز الوزارة :

١ - مصطفى الإدرسي لرياسة الوزارة .

٢ - محمد يحيى باصْهَيَّيَّ للخارجية .

٣ - يحيى زكري للداخلية .

٤ - حمود سرداب للحربية .

٥ - محمد حيلر القبي للعدل .

كما نص فيه إلى إنشاء جيش نظامي تكون كتيبة (سليم بك) نواة له وإنما حالت وفاته المبكرة دون إتمام وتنفيذ ذلك .

مآثره الحكومية :

لم يكن له مآثر خالدة أو أنه قام بإنشاء مرافق عامة إنما أنشأ بعض البنيات وأحيا بعض أراضي زراعية لنفسه نوردها خدمة للحقيقة والتاريخ .

١ - في عام ٣٨ أحيا أرض « الرزنة » على عدوة وادي ببش اليمنى .

٢ - في عام ٣٩ أحيا أرض الخبضية في شمال صبيا ،

٣ - في عام ٣٧ بنى قلعة في شرق مدينة ميدي .

٤ - في عام ٣٨ أسس مدينة صبيا الجديدة وأطلق عليها اسم الإدريسية بنى بيت الحكومة أو بالأحرى داره الخاصة في جازان عند الميدان .
بنى بيت المال بالمضايا - الذى هو الآن مستودع المالية .

الترشيحات ومؤهلات العمال :

ترشيح العمال - يكون غالباً من قبل (الإمام) ويختارهم من ذوي السابقة في الاستجابة لحركته أو من ذوي الأسر المعروفة المكانة ، وليس هناك مؤهلات خاصة أكثر من الثقة واعتقاد الإخلاص في شخصية المرشح .

السجون :

السجن العام في قلعة (صبيا) وكان غاصاً بالحجر من والقتلة وقطاع الطرق وينفذ فيه الحكم الشرعي متى تمت الإجراءات وفي بقية الجهات يدخل السجن من يقتضي نظر العامل لأسباب موجبة - يأمر بسجنه القاضي أو شيخ البلدة وغالباً ما يكون الإيداع للسجن لأسباب تعديات أو مخالفات تستوجب ذلك وتكون موقته ينتهي السجن بانتهائها .

الناحية العلمية :

إن الأتراك أهملوا شأن المخلاف السليمانى ، إهمالاً كلياً ، من أول عهدهم إلى آخره وبالرغم أنهم أنشأوا عدداً من المدارس الابتدائية في عسير والقسم الجنوبي في تهامة وفي القسم الجبلي . إلا أن المخلاف لم يحظ بإنشاء أى مدرسة ، ومع أنه قد أنجب شعراء مشهورين وعلماء لا تزال آثارهم العلمية مخطوطة - إلى هذا التاريخ ستقرأ تراجمهم بحول الله تعالى في القسم الأدبي - إلا أنه في عهد الأتراك قد تلاشى - تقريباً - كل نشاط علمي أو أدبي وقد دفع الطموح بعض أبنائه للسفر إلى صعدة أو غيرها للحصول ونجح وإنما العبرة ليس بعدد لا يتجاوز أصابع اليد بل بشيوع المعرفة فقام الإدريسي والحالة كما شرحناها من الفوضى وشيوع الجهالة واضطراب الأمن وانعدام الوازع الديني ، فكان لمقاماته المعروفة من مواقف الوعظ والإرشاد مدرسة عامة



الإمام محمد بن علي الإدريسي

أرشدت العامة وحضت الخاصة إلى شعائر الدين والسير في هديه القويم .
ثم انتدب غير واحد من علماء ذلك العهد للتفرغ للتعليم على طريقة تعليم المتون
حسب المنهج القديم . أما فتح مدارس على المنهج الحديث . فلم يكن منه
شيء في عهده وقد كان بحكم نشأته وتوسعه في المعارف محباً للعلماء والأدباء
والشعراء مشجعاً لهم حذباً عليهم باراً بهم فاجتمع لديه عدد منهم من نفس
أهل الخلاف السليمانى ومن تهامة اليمن ومن القسم الجبلى ومن الشناقطة ،
فكان له مجالس خاصة للإفادة والاستفادة والمناقشة والمخاطبة بل وحلقات
للتعليم .

كما كان يعجب بالشعر الجيد ويثيب عليه ، وقد مدح بغرر القصائد
وأشهر شعراء عهده :

- ١ - محمد إبراهيم الحشيري .
- ٢ - عبد الرحمن المعلمي .
- ٣ - محمد الأمين الشنقيطي .
- ٤ - علي بن محمد السنوسي .

الطريقة الأحمدية والإمام محمد الإدريسي

إن الطريقة (الأحمدية) هي الإرث الروحي للأسرة الإدريسية والدعامة التي شاد على بنائها صرح دعوته في محاولته الأولى - راجع نص خطابه بخط يده في أول هذا التاريخ - فستراه يستغل تراثها الروحي ويشيد بمنابها ويضفي عليها من القداسة - ما تقرأه في خطابه آنف الذكر . ومع بلوغ الرجل درجة الاجتهاد في علوم الدين . فإن للورثة عاملها القوي وهو شخصياً خليفة لوالده في طريقهم قبل أن يكون ملكاً . ومع كل ذلك في ما عدا ما تقتضيه سياسة العامة متحرراً سني العقيدة .

وقد أراد على ما يظهر قبل اتصاله (بسultan نجد) الاتصال المباشر أن يمهد لنشر تلك الطريقة بطريقة رسمية ويجعل من منهجها سلطاناً روحياً يرفد سلطته الزمنية والسياسية ، وفعلاً بعد انسحاب الأتراك ووصوله إلى مدينة (الحجة) شكل مشيخات للطريقة على الوجه الآتي :

١ - في مدينة الحديدة رجل يسمى (القندي) .

٢ - في مدينة الحجة رجل يسمى (جندس) .

٣ - في مدينة (مَيْلَى) رجل يسمى (محمد جندس) .

٤ - طلب من أعيان الحجة البحث عن رجل ذي صفات معينة ليعثه إلى مصوع كداعية للطريقة فأحضر له شخص يسمى عيسى أمين فقرر له راتباً ورحلة إلى مصوع وزوده بالتعليمات وخوله أن يأخذ البيعة من المريدين ويحيزهم ، وكان على اتصال به دائماً .

وعدا ذلك فكان يقام حفل سنوي لذكرى المؤسس الأول للطريقة الأستاذ الكبير أحمد بن إدريس ، في صبيا يحضره الإمام نفسه ولا يبقى شخصية معروفة في المملكة الإدريسية إلا ويرحل من بلده إلى صبيا لحضور

الحفل ويسمى (الحول) ويقام عادة في حوالي الساعة السادسة ليلاً ويروى أنه تجري فيه المراسيم التقليدية للطريقة من :

- ١ - قراءة سيرة الأستاذ الكبير ومناقبه .
- ٢ - تنشد بعض الأشعار كالبردة والهمزية بصوت منغم .
- ٣ - تمد موائد الطعام وتوزع الحلويات والمرطبات .

وغير ذلك مما كان سائداً في ذلك العهد إلا أنه بعد استيلاء (السعوديين) على (أبها) وعسير ومحائل ووصول الوفد منهم إلى صيدا برياسة عبد الله ابن راشد هدم الإدريسي ضريح (جدّه) وسائر القبب والمزارات وشدد على العامة بترك تلك البدع - كما سبقت الإشارة قبله - أما الحول السنوي فيذكر أنه بقي يحتفل به بلون المبالغة في التقليد السابق .

أشهر أفراد الأسرة الإدريسية في عهده وهم السادة الأمراء :

الأمير الحسن بن علي الإدريسي أخو الإمام وعلي وعبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الرحيم ومحمد الحسن أبناء الإمام نفسه ^(١) .

- ١ - الأمير مصطفى بن عبد المتعال - وهو من مواليد (مصر) ^(٢) .
- ٢ - الأمير محمد العربي بن عبد المتعال - وهو من مواليد (مصر) .
- ٣ - الأمير محمد السنوسي بن عبد المتعال - وهو من مواليد (مصر) .
- ٤ - الأمير محمد زين العابدين محمد السنوسي بن عبد المتعال .

الديوان الإدريسي :

في مبتدأ أمره كان يتولى الإجابة على الرسائل التي ترده بيده ثم اتخذ علي بن محمد القناعي كاتباً خاصاً وبعد احتلال اليمن وفد إليه الأديب الشاعر عبد الرحمن المعلمي العنمي ، فاتخذته كاتب الإنشاء في ديوانه

وبعد انسحاب الأتراك أسس ديواناً تولى إدارته (كامل أفندي) أحد

(١) قد توفوا جميعهم رحمهم الله ولم يبق على قيد الحياة إلا الأخير « محمد الحسن » يتمتع برعاية وعطف حكومة جلالة الملك ويقيم في الطائف .

(٢) الأمراء مصطفى وأخوه العربي والسنوسي صاروا إلى رحمة الله والباقي على قيد الحياة العابد الإدريسي مقياً في الطائف في رعاية الحكومة أيدها الله .

كتاب ديوان والي صنعاء ومعه جملة من موظفي الأتراك القديريين منهم عمر حلمي .

أشرنا في أول الفصل الخاص بقيام الإدريسي أنه ألف له مجلس وزراء .
ومحكمة عليا وهنا نورد أسماء أشهر رجال ذلك العهد مكتفين بأسماء ورتب أولئك الرجال .

١ - الوزراء :

- (١) محمد يحيى باصهي .
- (٢) يحيى زكري الحلمي .
- (٣) حمود بن عبد الله سرداب الحازمي .

٢ - كبار رجال القضاء في مجلس الإدريسي

- (١) محمد حيدر القبي .
- (٢) محمد أمين الشنقيطي .
- (٣) علي بن حسن الضمدي .
- (٤) علي بن إبراهيم بن عطيف (١) .
- (٥) محمد عبد الله بن عطيف
- (٦) عبد الله العمودي .
- (٧) علي بن محمد السنوسي .
- (٨) محمد نوري المارديني .

٣ - رؤساء قادة الجيوش :

- (١) محمد طاهر رضوان .
- (٢) مصطفى بن محمد النعيمي . . . ثم أنيط به إمارة بلاد رجال ألمع .
- (٣) يحيى بن عرار النعيمي .

(١) تلمذ على يد الإمام الإدريسي وكانت تناط به مهمة تدقيق الأحكام بالاشتراك مع عبد الرحمن المعلمي العتي كما روى لنا ذلك حسن بن عبد الرحمن بن ظافر .

- (٤) محمد بن عرار النعمي .
- (٥) عرار بن ناصر النعمي .
- (٦) ابن غميض .
- (٧) ابن خرشان .
- (٨) حسين الدوشي .
- (٩) الكلاس .
- (١٠) أحمد علي حكيم .
- (١١) علي بن محمد شبيلي الحازمي .
- (١٢) منصور بن حمود أبو مسمار .
- (١٣) محمد عبد الله بن بكري المرواني .
- (١٤) محمد الشوكاني العدواوي .

٤ - أشهر عمال الجهات :

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) عمر بن محمد البار . | عامل وادي مور . |
| (٢) حسين بن علي مصادم | عامل جبل ملحان . |
| (٣) محمد عبد الله مبجر | عامل الزهرة قاضي وادي مور . |
| (٤) حسن بن عبد عطيف | عامل جبل عبال . |
| (٥) أحمد الحازمي | عامل بني نشر . |
| (٦) أحمد بن الحسين بن زيد . | عامل الزيدية . |
| (٧) الدائلي | عامل ريمة |
| (٨) عثمان مرعي | عامل الوجعة . |
| (٩) عرار بن ناصر النعمي | عامل جماعة . |
| (١٠) محمد بن مرعي | عامل خولان |
| (١١) محمد شار سرداب | عامل في جبل برع . |

(١٢) محمد عبده مزيد حكيم عامل حازة صليل .

(١٣) حسين بن يحيى رفا عي عامل النظير .

٥- رجال في شتى الأعمال

(١) محمد بن أحمد العامري أمين الخزينة الخاصة .

(٢) صالح إبراهيم زيدان مدير جمر ك جيزان

(٣) أحمد زمري من رؤساء الحرس الخاص .

(٤) إبراهيم بن فتح الدين من المرافقين الخاصين .

كيف يقضى يومه :

يستيقظ الساعة العاشرة ليلاً فيتغسل ويتجهّد إلى أن يحين الفجر فيصلي به جماعة في مسجد داره وينصرف لتلاوة القرآن إلى قرب الشروق فيتناول كوباً صغيراً من عصير الليمون محلي بالسكر وينام إلى الساعة ٩ صباحاً . يستيقظ ويأشرك الغتسال ويتوضأ ويصلي الضحى ويتناول طعام الفطور ويتألف من :

(١) خبز الخنطة المقمر .

(٢) اللبن .

(٣) ملح وفلفل .

ويقدم له بعد الفطور إبريق من قهوة القشر بالزبيب والسكر .

ثم يدخل إلى مجلسه ويأذن للوزراء والكتاب بالدخول ويأشرك النظر في الرسائل الواردة وتصريف الأمور بنفسه ، وبعد أن ينهي المهم يأذن لكبار الزائرين إلى وقت صلاة الظهر فيصلي جماعة ويستأنف الجلسة إلى العصر فيصلي ويأمر بالغداء فتعد الموائل للوزراء وكبار الزوار أما هو فيتناول غداءه عفرده داخل داره .

ويتألف غالباً من :

١ - خبز النرة المفتوت بالمرق .

٢ - الأرز .

٣ - الدجاج .

٤ - صحن من (الإدام) مطبوخ على الطريقة المغربية يسمى الدمعة .

٥ - صحن حيلبة .

ويختصر في داره مع أهله إلى الساعة الخامسة مساءً تقريباً فيخرج إلى شرفة الدار أو السطوح ويياشر النظر في الأمور ، وتارة يخرج للتمشية في موكبه إلى أن يحين المغرب فيصليه ثم يقرأ ورده .

فإذا حان وقت صلاة العشاء صلى جماعة ودخل مجلسه وأذن للوزراء وكبار رجال دولته وبقوا في حضرته إلى وقت من الليل .

الحلود :

بلغت حلود البلاد التي يحكمها الإدريسي في عام ١٣٤٠ .

١ - شمالاً ، الحد الفاصل بين قبائل البرك وحلي ابن يعقوب وهو « أبو مشته » .

٢ - وغرباً البحر الأحمر في خط يمتد من شمال البرك إلى ساحل بلاد الزرائق .

٣ - في الناحية الشرقية الشمالية آخر حلود الشعبين من بلاد رجال ألمع ، ويمتد منها جنوباً شرقاً إلى بلاد جماعة ويشتمل على بلاد بني مالك وجبل (متبّه) و (ورازح) وجبل العرو والنظير ويمتد إلى بلاد قيس وجبال حجور ويمتد في الجنوب الشرقي إلى جبل (برع) .

ويبلغ طول حلوده الساحلية نحو سبع مئة كيل ، في عرض يقلر على وجه التقريب مئة وثلاثين كيلاً - تقريباً .

الدخل الحكومي :

كان يعتمد على المساعدة الحربية والمالية التي ترده من إيطاليا للمجهود الحربي الذي يقوم به ضد الأتراك وبعد نضوب ذلك العون وافاه العون

البريطاني للغاية نفسها وعند انتهاء الحرب اعتمد على المحصول الجمركي من موانيء جازان وميدي والحجة والحديدة ومن معادن الملح في كل من جازان وجبل الملح بوادي مور ، و (القمة) في صليل ويقدر حاصلات تلك الجمارك بمئتين وخمسين ألف ريال يضاف عليها حاصلات الممالح وعشورات الحبوب والمواشي ويبلغ مجموع حاصلات الدولة من عمومها ثلاث مئة ألف ريال شهرياً على وجه التقريب .

الجيش :

اعتمد الإدريسي على شوكات القبائل — وهي أن تستنفر القبائل لداعي القتال بنسبة معروفة من كل قبيلة حسب تعدادها التقريبي وفي أخريات الحرب العظمى استعان بمرتزقة من يام مرة واحدة وبقبيلتي حاشد وبكيل وهو يرمي من وراء الاستعانة بهم لتخفيف عبء القتال عن قبائل المخلاف وإلى غرض سياسي في التوسع مستقبلاً على حساب تلك الصلة ، أما بعد إنتهاء الحرب فيقدر الجند الدائم بألفي جندي .

وكان لديه كتيبة من الجيش النظامي بقيادة سليم بك ، مركزها (الشعيبين) .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

قام الإدريسي والمخلاف السليمانى تسود أرجاء نزعات العصبية القبلية ويكاد أن يكون لكل قبيلة مجتمع منعزل في حدوده يتساجل القتال مع القبيلة المجاورة — راجع الفصل الخاص بحالة المخلاف قبل العهد الإدريسي — فأصلح ذات البين وألف القلوب واستل الضغائن ، فساد الأمن وتحسنت الأحوال المعيشية ولانت بعد الحشونة العادات والتقاليد .

وأقيمت الحدود الشرعية ، من قتل القاتل وقطع يد السارق وحد الزاني ورجم المحصن .

وكان الأمن سائداً في كافة أنحاء إمارته ، والتنبيه على أوقات الصلاة جارياً .

وكانت المساواة بين الناس سائدة في ذلك المجتمع لافرق في انفاذ الحدود والواجبات بين شريف ووضيع .

وكانت جميع القبائل يُفرض على القادرين منها الجهاد فيستجيون بدون تأخير .

وكان المجتمع يتألف من سكان المدن والبلدان ، وسكان البادية . وأغلب حرف المجتمع الزراعة ، والأهل منهم أصحاب أنعام ، يرعونها حول قراهم أو يقوم أبناءهم بالرعي ، وينتجعون بها الخزون والجبال ، في أوقات الجفاف .

أما في البلدان والمدن فالزراعة هي أولى الحرف ، وأصحاب الأملاك الكبيرة تؤجر بالنصف ، أما الأكثر فأصحاب ملكيات صغيرة يباشرون حراثتها بأنفسهم وكانت الملكيات الصغيرة تكاد أن تكون ٨٠ ٪ فقل أن لاتجد مزرعة لفرد من الأفراد لأن الحبوب عماد مادة القوت كالذرة والدخن والسمسم الذي يعصر ويصبغ به الطعام ، يستأدم به ، وكل ذلك من المحصول الزراعي المحلي ، الذي يغطي حاجة البلاد ، ويصدر الفائض إلى الحجاز وعدن ومصوع .

أما الدقيق ففي البادية لا يتعاطونه إلا في الأعياد أو في ولائم الزواج أو الختان .

وأما الأرز فلا تقبل عليه البادية ، فقط يستعمل بقلة في المدن ، فالأقوات الضرورية من محصول المنطقة نفسها فالاكتفاء الذاتي موجود ، سواء في القوت أو البناء فواد البناء كانت من الطوب المحرق ، فهو مصنوع محلي ويسقف بجذوع اللوم وإن كان من القش فهو من الخيش وفروع الأشجار .

والثروة الحيوانية تكفي المنطقة ذبائح وسمناً ويصدر الفائض بجزراً إلى الحجاز وعدن ومصوع .

وكان من الصادرات الرئيسية للمنطقة بعد الحبوب والسمن والحيوانات

الادم (الجلود) والأنعام المنبوحة تصدر بكميات وفيرة من جلود الأغنام بكثرة ومن جلود الأبقار بقلّة .

وكان محصول الفرد من مزرعته يكاد يكفيه طول السنة ويغطي احتياجاته البسيطة فالحليب من بقرته أو غنماته واللّنة من محصوله يقتات منه ويشترى ما يلزمه كقهوته ومثل ذلك أما إذا احتاج إلى كسوة فيبيع ما يغطي قيمة الكسوة .

كانت المجتمعات في البادية في الفصل الرئيسي للزراعة يقوم الفرد بعمل حرث الأرض وتنظيفها وإقامة السلود الرئيسة وتتوزع تكلفة إصلاحها على المزارعين كل بحسب سعة أرضه وجودتها .

أما السلود الفرعية والخواجز فعلى صاحب الأرض إصلاحها ، فإذا جادت السماء بالأمطار وفاضت السيول وسقت الأرض اشتغل الجميع بالحرث والأيدي العاملة موجودة من أهل القرية من البادية أنفسهم وقليل يأتون من الجنوب أو الشمال القرييين من الحدود .

ويقضون النهار بطوله في أعمال الزراعة في الحقول إلا فترات الأكل والراحة والصلاة فإذا جنهم الليل خرج الفتيان إلى لعبهم ولهوهم البرىء ، أو تحلقوا حلقات حول (مِطَرَق) منشداً إلى هزيع من الليل .

أما الرجال فيجتمعون في ساحة القرية حلقات يتحدثون في الأحداث الدائرة في مجتمعهم أو ما حولهم أو أخبار المجاهدين في الشمال أو الجنوب في الجيش الإدريسي .

وكانت لا تخلو قرية من مجاهدين من أبنائها ومدة شوكات المجاهدين في الأغلب ثلاثة أشهر إلا إذا استدعى الأمر البقاء أكثر ، فإذا رجع جماعة إلى القرية احتفلت القرية بهم أياماً ويكون الحديث في مجتمعهم له طرافته وجديته حول ما خاضوه من معركة أو قاسوه من مشاق السفر أو أخبار البلاد والمجتمعات التي كانوا فيها .

أما بعد انتهاء الزراعة فقرى البادية يقوم فيها الشخص دائماً مبكراً فيصلي الصبح في مسجد القرية ، ثم يتناول القهوة وما سهل من طعام يسير ، ثم يأخذ مسحاته ويسير إلى حقله (يحرب) أي ينظف أرضه القليلة أو يشتغل مع أحد رفقاته أو جيرانه ، وغالباً ما تكون مساعدة مجانية فإذا حُمى النهار عاد إلى بيته يقضي القيلولة ، وبعد العصر إما في ساحة القرية أو حول بئرها وإن كان صاحب أرض في أراضية .

والليل لا يعلو الليالي السالفة ، والحالة السابقة ، مجتمع بسيط نقي جاد ، بعيد عن التبذل والفحش حتى في القول .

أما أجمل مواسم الاحتفالات فهو إحتفالات (الختان) وقد تحدثنا عنه بتفصيل راجع كتاب « الأدب الشعبي في الجنوب » .

وفي المدن والبلدان فالحال أحسن وأخف بالحياة فالعاصمة (صيبا) ويلها أبو عريش وجازان وسامطة وبيش وغيرها .

فلنجعل من العاصمة صيبا النمط التقريبي لغيرها ، فالجتماع هناك مجتمع زراعي تجاري ، وحركة المجالين هي القيمة في ذلك التاريخ ، وكان أشهر بيتين تجارة وزراعة باصهي ، والزكري .

وأنعش الحركة التجارية كثرة الوفود على الإدريسي وكان من الوفود الزعماء والعلماء والوجهاء وشيوخ القبائل من الجنوب والشمال ومنهم من يرافقه الجماعة ومنهم من يرافقه الشخصان أو الثلاثة ، ولو قلنا: إن متوسط الوفود خمسمائة على مدى الأيام لكان متوسط الوافدين يومياً ألني شخص وبالطبع إنهم ضيوف الإدريسي وإنما كفايتهم ولوازمهم تنعش السوق التجاري وتزيد من سيولته يضاف إلى ذلك ما يشترون كهدايا تذكارية .

ومن الناحية الأدبية فإن وصول مثل تلك الشخصيات ثروة معنوية وأدبية في تلقيح وتناول الأفكار ، فإنهم وإن كانت تجذبهم مغناطيسية الإدريسي وتأثيره الروحي وقوته الأدبية والمعنوية فإنهم باختلاطهم بمن

دونَه يكون التبادل الفكري بينهم وبين الخاصة الذين بلورهم يؤثرو-
في العامة .

كان الناس ييكرُون إلى السوق أو إلى الحقول وكبار الحاشية إلى دار
الإدريسي أو إلى عمل الصباغة — التي كان لها حركة رائجة — أو إلى
محل باصهي أو محل الزكري فكان مكتبهما من المحلات التي تغطي سواء
للمشتريات أو للحدِيث والمخالسة .

أما في العصر فهنا مجالس معروفة يجتمع فيها الخمسة والعشرة أو
الأكثر أو الأقل ، وهناك من يخرجون إلى (المعجار) مكان يبيع العلف
أو يَمَكِّث في داره .

وفي الليل يجتمعون في بيوت بعضهم ، كما أن هناك هواية رياضية
يمارسها البعض من الرجال والشباب في الليالي المقمرة للعب « المسجر »
الصولجان ، أو لعبة تسمى « الساري » — راجع كتابنا « الأدب الشعبي
في الجنوب » الجزء الأول فصل العادات والتقاليد الشعبية .

أما الأطفال فيسورو الحال يدخلون أبناءهم إلى كتاتيب لتحفيظ
القرآن وغيرهم إما يساعد أباه أو يرتع ويلعب .

وكان لسفن الغوص والمواصلات البحرية انشطتها في جازان وفرسان
وغيرها فأصحاب سفن الغوص أو من يعمون الغواصين أساليبهم فهو يصرف
للغواصين أرزاق وما يسد حاجته في سفرته ، وما يؤمن حالة أهله في
غيابه ويسجله عليه بثمن مرتفع ويشتري محصول الغوص بثمن منخفض
ولهذا يصبح البحار في رق الدَيْن ، ولصاحب السفينة غوص اليوم
الخامس — أي محصول غوص أربعة أيام للغايص ويوم لصاحب السفينة .

أما أصحاب سفن المواصلات فإنه للمالك نصف أجرة السفينة والنصف
الآخر للبحارة بعد خصم النفقات للسفرة الواحدة .

الشعر في العهد الإدريسي

للعلامة محمد إبراهيم الحشيري

في مدح الإمام محمد الإدريسي

من منصني من بديع الحسن مذاق
أضنى فؤداي بسهم من لواظله
أضحى كليماً لموسى هجره جنفا
وهذه غرة بلرية شرقت
علت على غصن بان بان منبته
للدن نظم بندي ظلم ظلمت به
قد صار ذو الصد صبا في صبابته
من جاء باليمن والإيمان بعد خني
محمد فرع إدريس ونجل علي
أحيا به الدين بعد الموت وانتشرت
تبارك الله ما أزكاه من بشر
لله يغضب أو يرضا وليس له
وهية الملك قد ذلت لهيئته
يعفو ويصفح والعافون يكرمهم
وهاب أعناق أقوام يجود بها
وواعظ بكتاب الله منطقته
أوجزت للفخر عن إحصاء مكارمه
مستغنياً عن تفاصيل بأيسره
مولاي اني لوأذ بمجودكم
وجد عليه مما يغنيه عن طمع

جان جنى وجنات بين أحداق
فصير الجسم مضنا ماله راق
وصار بالباس داود واسحاق
والشمس قد سرقت عنها لاشراق
فوق الكتيب الصني الأبيض الناق
عنى الظلم ظلوم كل عشاق
باليته ذاق من بعض الذي لاق
هادي العباد مهديهم باطلاق
به ادّراس دجا شك باشراف
آياته الغر إذ قامت بأفاق
للروة العز والعلواء سباق
للفس شيء وفي الأقوال مصداق
ذو جودة ووفاء عهد وميثاق
علو شمائله من حسن أخلاق
وفي حمى الدين فتاك بأعناق
وبالحديث بالطفاف واشفاق
إذ ليس نحصى بأقلام وأوراق
أنموذج مجمل في بعض أنساق
فانفح لقلبي بمرضيات خلاق
وانظر بعين صفاء نحو إملاق

وله أيضاً :

أبدر أفق بدا في الليل إذ بهما
وذا هلال يبدر زاد جوهره
أم بارق قد سرى من نحو بارقة
وقد تنسمت نشرأ للحمى فحما
قد شق جسمي وأضناه وطال جفا
يسبي العقول بسحر المقلتين فما
يرمي بها غرةً ظلما فيأسرها
محمد القايم الداعي بشريعة من
من جاء باليمن والإيمان وانتشرت
هذا الذي في صلاح الخلق مجتهد
هذا الذي جاءنا والأرض قد ملئت
فعاد يملأها عدلا كما ملئت
هذا الذي عم جوداً فضله فسرى
هذا الذي من يزره خالصاً فكما
هذا معاليه لا تحصى ظواهرها
عليك بالميم ياذا اللب فابتغيه
ياسيدي ياصني الدين خذ بيدي
محمد نجل إبراهيم خادكم
إني عليكم محسوب فأحسبكم

أم الحيا بدا في مرسل فحما
أم ابتسامة ذي ظلم به ابتسما
وماء عيني به قد صار مندسما
عيني كراها أدكارى للذي صرما
بوصله وجوى قلبي وقد كلما
جازت رميته إلا وقد هضما
كأسر ذي العدل فتكاً بالذي ظلما
كانت له أمة قد فاقت الأما
آياته لم تفت عرباً ولا عجماء
في أمره ماوئى عنه ولا سئما
جوراً وقد صار ليل الظلم منهما
جوراً فحمداً لمن أولى به النعما
كالبحر حين طما والغيث حين هما
سعى وطاف ومس الركن واستلما^(١)
كيف الخفايا وذكرى بعض ما بهما
فإن بالميم للشيطان قد رجما
وأولني منك ما أملتته كرما
يرجو
لاتهملوني فأنتم خير من رحما^(٢)

(١) نورد هذين البيتين كشاهد على الغلو والمبالغة في نظرة الشاعر المعبرة عما كان سائداً من الغلو في شخصية الإدريسي ولا شك أن هذا من الغلو المحرم . ونحن نحكي تاريخ عصر مضى يجب أن نتخذ منه العبرة ، ونحمد الله سبحانه على زوال الغلو واتباع منهج الشرع الشريف في صفاء العقيدة .

وقال العلامة المؤرخ إسماعيل الوشلي

في مدح الإمام محمد الإدريسي

ألا قل لحادي العيس جدت رواحله
كليم بطور القلب أمسى مكلمه
وقد شاقه نشر التسم ولطفه
حداه إلى تلك المعاهد والربي
فيا أيها الحادي المجد ترفقا
يبيت سمر النجم سهران منشداً
تذكرت عهداً بالحمى ومواقفاً
فيا ليت شعري هل بذنب قرفته
ترى تسعف الأيام بالوصل واللقا
فإن لم أنل وصلاً فإني معرج
ولو لم يكن إلا معرج ساعة
هو السيد البدر المنير محمد
خضم علوم إن طما متموجاً
له كرم يزري بمعن وحاتم
(فلو لم يكن في كفه غير نفسه
بيميناه قد طالت يد المجد والعلا
وذو عمود الحق بعد أفوله
إمام لشرع الله قد جاء ناصراً
وكان ظلام الجهل أسود حالكاً
وحكم طاغوت وابلis والهوى
فاهزمها واستأصل البغي والردي
فأصبح وجه الشرع أبيض مشرقاً

فرقنا بمضني لم تفده زوامله
وآنس منه نار وجد تقابله
إلى نفحات اللصبا ومناهله
حمامات بان المنحنى وبلابله
بصب له جسم من البين ناحله
وقد بليت بالزمهرير غلائله
فهل عودة هيات حالت فواصله
أم اختار عهداً للقطيعة فاعله
فإني على قطع المودة آمله
إلى بحر علم ليس يعرف ساحله
قليلاً فإني نافع لي قلائله
سليل علي من لإدريس واصله
(فليجته العرفان والجود نائله)
وينحجل وبل المزن إن جاد وابله
لجاد بها فليتنق الله سائله)
وقامت قناة الدين واشتد كاهله
فها هو في برد من العزرافله
وقد طلعت أحكامه ودلائله
ومن غربة الإسلام ييكيه ثاكله
ومدت لهم أشراكه وحبائله
وجرد سيف العزم من ذا يقابله
معامله قد وطدت ومعاقله

فطوبى لمن أضحي له الشرع منهجاً يقاتل عنه من بغى ويناضله
وإن تكن الأخرى فتأثيه عاجلاً (دويهة تصفر منها أنامله)
هنيئاً لأقوام تولوا لنصره وإني على بعد المسافة سائله
متى تجمع الأيام بيني وبينه فدمع عيني فوق خدي سائله
ونروي أحاديث الوصال لجمعنا وتطوى أحاديث النوى ورسائله

* * *

من قصيدة العلامة القاضي عبد العزيز بن محمد الغامدي
في الإمام محمد بن علي الإدريسي

ياحادي الركاب بتهجير وتغليس رفقاً هواك الذي مشاك بالعيس
وراعها وارعها وحدا الركاب وسل لمشية بين إرحال وتعريسي
من كل عبرانة تسبق محاذيها من دجنة يعتليها كل عتريس
إن ريضوها على ذكر الحبيب لها تكاد تستل من تحت الكرايس
وشوقوها وقالوا قد رحلت إلى مجدد الدين مولانا ابن إدريس
محمد بن علي من سما شرفاً بنصرة الدين من أبساء تدريس
دانت له الخلق من شام إلى يمن لدعوة شرفت عن كل تدنيس

وقال العلامة الضليع الأستاذ عبد الرحمن العتمي

مهنتاً الإدريسي باحتلال مدينة الحجة

وطائر النصر في دوح العلا صدحا
فلاح نور كنور البدر متصحا
لما غدا قلبه نشوان منشرحا
بفوزك اهتزت السبع العلا مرحا
بالنصر حتماً وخالف من نهى ولحا
تتابعت مثاماً قد ينظم السبحا
أيدي العباد وقد أعطى وقد منحا
نشر الجهاد فإن الله قد سما
صار واطرد كذوباً خاف وافتصحا
فإنهم (سمك) في (مائه) نزحاً
قاموا بعزم ولكن قل من نصحا
إذ ليس يوجد فيهم غير من طلحا
لا تحسب الحق إلا كلما قبحا
وأخذ أبنائهم حزماً قد اتصحا
مقدم الكون بدر التم شمس ضحى
بل امتثال لأمر الحق إذ نفحا
تبث يدا كل من في شأنه قدحاً
له تأول قوم في الذي فتحاً
نعم أعانوه خوفاً منه إذ سنحا
إذ شاهدوا أسداً كاليد قد وضحا

باب الفتوح بإسم القاهرة انفتحا
وكوكب السعد في برج الفلاح بدا
وأصبح الدين مسروراً بغرته
قد قلت للأرض تيهي نشوة ولقد
هذي « الحجة » لحينها قبضت فتق
إن الفتوح إذا ما كان أولها
بشارك فالله قد أعلا يدك على
فالخ أرفع من أن يعتلي فأدم
واستخلص المخلصين التابعين لأد
دع « حاشداً »^(١) إنهم خانوا ولوجهوا
أما « بكيل »^(٢) فلولا أنهم مكروا
وإن ربي عنهم حاز نصرته
وكيف يبذل كل الجسد رافضة
لكن في جذبهم لا شك مصلحة
يا أيها الناس هذا بين أظهركم
يدعو إلى الله إخلاصاً بملته
موههم الزور في تكذيب دعوته
لما رأيتم كنوز الأرض قد منحت
قلتم أعانته أحزاب الضلال نعم
الله أنزل رعباً في قلوبهم

(٢٤١) « حاشد » و « بكيل » القيلتان المعروفتان في اليمن جند الإدريسي مرتزقة منهم

في محاربته للأتراك .

فأصبحوا يبذلون المال لا طمعاً
وكيف يطمعهم بيض الأنوق وهم
هذا الإمام الذي فاضت أنامله
هذا هو الكف والناس الجميع عصى
أقامه الله روحاً للعباد كما
وقد نطق بحق سوف ينكره
والله يعلم اني لم أقل كذباً
هذا جواب عليهم قبل قولهم

يلدري بهذا كل من نحو الهدى جنحها
مميزون ولكن جل من منحها
جوداً عميماً كموج البحر ما برحا
هذا هو القطب والكون البديع رحا
قلوبهم ردها المولى له شبحا
قوم يقولون هذا المعتدي شطحا
فقبح الله من في كذبه سبحا
لا فاز كذابنا قولاً ولا برحا



الفصل الثالث عشر

الإمام علي بن محمد الإدريسي

توفي والده الإمام محمد بن علي يوم ٦ شعبان سنة ١٣٤١ هـ - كما مر بك -
على أثر مرض حاد ألم به خر على أثره صريع المنون .

مولده ونشأته :

ولد في (دنقلة) من (السودان) عام ١٩٠٥ م - ١٣٢٤ هـ وأمه مريم
بنت هارون الطويل وظل في (السودان) عند جده لأمه ثمان سنوات وفي
عام ١٣٣٢ بعث والده من وصل به مع أمه إلى صبيا فربي في كنف والده
وتعلم بها القراءة والكتابة ومختصرات في الفقه واللغة ومن شيوخه الذين قرأ
عليهم محمد صالح عبد الحق ومحمد الأمين الشنقيطي وعلي بن محمد السنوسي
ولم يبايع له والده في حياته بولاية العهد - وإن كان من المعروف أنه الوريث
الشرعي لوالده بصفته الابن الأكبر .

بطبيعة الحال إن موت الإمام الراحل المفاجيء كان صدمة أذهلت رجال
دولته خاصة والشعب عامة فانصرف رجال الدولة مبهوري الأنفاس إلى
إلى تجهيز أمر دفنه وأخذ ما ينبغي لتهدئة الأمور •

ومع أن الوفاة كانت يوم الثلاثاء الموافق ٦ شعبان فقد أرجىء دفنه إلى
يوم الخميس الموافق ٩ من الشهر فوضع في تابوت خشبي وحمل من صبيا
الإدرسية إلى صبيا القديمة ودفن في مقبرة أسرته وأبرق إلى ابن عمه مصطفى
الإدرسي المتغيب في مصر للحضور سريعا •

اجتماع قوى الرأى :

حضر رجال المخلاف السليمانى إلى صبيا وعقد اجتماع عام في طليعته
الأميران الحسن الإدريسي وعلي والوزراء وبقية الأسرة الإدريسية •

- ١ - يحيى زكري .
 - ٢ - محمد يحيى باصهي .
 - ٤ - محمد حيدر .
 - ٣ - حمود سرداب .
 - ٥ - كافة رجال الدولة وذوي الرأي .
- وبعد المداولة والأخذ والرد اتفقوا على مبايعة الابن الأكبر للإمام الراحل سمو الأمير علي بن محمد .

البيعة :

- ومن مجلس الاجتماع بايع الحضور واتخذت الإجراءات الآتية :
- ١ - استدعاء من لم يحضر الاجتماع .
 - ٢ - الإعلان عن الوفاة ومبايعة الابن الأكبر .
 - ٣ - انتداب الوزير محمد يحيى باصهي إلى الجهة الجنوبية لتهدئة الحالة وأخذ البيعة .

وجرت الأمور في مجراها الطبيعي في تلك الأيام التي تلت الوفاة .
وفي يوم ٢٣ شعبان وصل صبيا سمو الأمير مصطفى الإدريسي - عائداً من مصر - مستصحباً ابنه (الهادي) و (المهتدي) الذين لم يريا المخلاف قبل هذه المرة .

وبصفته عميد الأسرة الإدريسية فقد اعتلجت في صدره الأمانى وإنما رأى من حسن السياسة أن ينمها فتظاهر بموافقتهم .

بل بايع هو شخصياً ، ثم أخذ في إعمال رأى لما ارتآه .

البادرة الأولى :

لام القوم على استعجالهم في إعطاء البيعة قبل التروي وانتظار وصوله ولاموه بدورهم على استعجاله هو في إعطاء بيعته فقال لهم : فلندع ما مضى هـ ولنكون أبناء الساعة .

اقترح على الأسرة والمجلس أن الإمام صغير السن ولم يتحصل إلا على مبادئ العلوم العربية ومن المصلحة أن ينوب عنه أحد أفراد الأسرة ويرسل إلى مصر ليلتحق بالأزهر .

محاولة مهما اكتنفها من سمو الغاية ونبل القصد ، فهي لا تخلو من غاية فالشخص الذي سوف ينوب عن الإمام الجديد لن يكون إلا (مصطفى) وإن كان غيره فسوف يطويه تحت جناحه وصادف هذا الرأي هوى في نفوس جماعة من الوزراء ورجال الدولة وبالأخص الذين كان مضغوطين عليهم في زمن الإمام الراحل وبعض زعماء جنوب تهامة الذين كان مصطفى الإدريسي له السلطة في جهتهم .

أما زعماء المخلاف السلياني وقبائله فهم لا يعرفون (مصطفى) إلا بقرابته الإمام المتوفي لأنه من سكان مصر ووصل في عام ١٣٢٧ إلى المخلاف مع أخويه زائراً على أثر نجاح الخطوة الأولى لقريبه . ورحلوا جميعاً عائدين إلى مصر ثم عاد في عام ٣٠ واستعان به الإمام في كثير من مهام الأمور وقيادة الجيش .

وهنا تشعبت الآراء .

١ - الفريق الأول وهو يشايح (مصطفى) في رأيه متظاهراً بالحرص على مصلحة وصالح ومستقبل الإمام الجديد ويرى إن تمت نيابة (مصطفى) فستكون حاجته عليهم أكثر ومكانته عليهم أخف وإزاحته أهون - لما سبق . وفي مقدمتهم محمد يحيى باصهي ومحمد حيدر القبي ومحمد طاهر رضوان .

٢ - الفريق الثاني وهم أكثرية زعماء المخلاف ورؤساء القبائل وجمهور السكان يرون أن الوارث الشرعي هو الإمام الجديد ولا يعدله لديهم لا مصطفى ولا غيره لأنه الابن الأكبر للمؤسس الأول .

وفي مقدمتهم يحيى زكري وعلي بن محمد الضمدي وعلي بن إبراهيم بن عفيف ومكي بن أحمد القبي ومفرح بن أحمد شيخ شمل المخلاف وعموم زعماء عشائر المسارحة ومحمد جبريل شيخ شمل أبي عريش وأبو حليلة شيخ

شمل ضمد وأحمد علي حكي شيخ الحكامية وشيخ شمل الحسيني وغيرهم .
٣- الفريق الثالث زعماء المنطقة الجنوبية وهم إلى (مصطفى) أميل لأن إمارته وتدبير أمر تلك المنطقة موكل إليه منذ جلاء الأتراك عنها والتحاقها بالإدريسي .

وفي مقدمتهم شيخ شمل قبائل الواعظات هادي هيچ وأحمد باشا شيخ الجامعي وشيخ مشايخ قبائل عبس وكافة رؤساء المنطقة الجنوبية .

٤- وفريق رابع مع إخلاصه للمؤسس الأول وولائه للإمام الجديد يفضل وصاية عمه (الحسن بن علي) ويراها خير من يحفظ الحق لابن أخيه وفيه من الحنكة ما يفوق ذلك الشاب الذي هو في حاجة إلى استكمال علومه وأن يتولى مصطفى ما كان يضطلع به في حياة الإمام السابق (١) .

وبالرغم من هبوب تلك الزوابع الخفيفة فقد استطاع (الإمام الشاب) القبض على زمام الأمور والصمود للموقف وظلت المعارضة يومض شرارها الفينة بعد الفينة .

مضى شهران تقريباً والإمام الجديد لم يغادر عاصمته (صبيا) وغيوم العاصفة تتجمع في أفق السياسة الإدريسية وفي ٨ شوال نهض متوجهاً إلى الجنوب - وكان الأمير مصطفى الإدريسي قد انسحب من صبيا إلى (جازان) ومنها إلى (ميدي) ومنها أخذ في ما عزم عليه في حنر .

وفي يوم ١٣ شوال وصل (الإمام) مدينة (ميدي) في موكب حافل وجمع حاشد فخرجت المدينة لاستقباله . وقد سبقه الأمير (مصطفى الإدريسي) إلى العمل في استمالة بعض رجالها وتقديم بعض المتطرفين في جفاء واستهزاء قائلين مرحباً بـ (علي اليتيم) مظهرين استصغاره فكتم غيظه ورجع عائداً .

(١) زعماء قبائل صبيا وحمود سرداب ومصطفى النعمي . وعرار بن ناصر النعمي .

العودة :

عاد الإمام إلى صبيا وهو أشد ارتياباً من نوايا (مصطفى الإدريسي) الذي لم يكفه ما أثاره في العاصمة من ساعة عودته وما يحوكة من مؤامرة مستورة - إلى قبل هذا الوقت - حتى يسبقه إلى ميدي ويثير الشعور ضده .

إلا أن (مصطفى) اضطر إلى مغادرة (ميدي) عائداً إلى (جازان) لما تفشى فيها من (وباء الجلدري) وأبقى ابنه في جازان وظل ينتقل بين جازان والحجة .

بعودة الإمام من ميدي بقي في عاصمته صبيا وهو على حذر يخامره الشك.

١ - في وزراء أبيه الذين أصبحوا وزراء ويرى أنهم غير مخلصين يحاول بعضهم إقامة عمه كما أسلفنا وصياً عليه والبعض يرجح وصاية (مصطفى) الإدريسي .

٢ - في عمه (الحسن بن علي الإدريسي) ويرى أنه بنفس عليه مركز الإمامة ويرى أنه أحق بها .

٣ - في قريب أبيه (مصطفى) ويرى فيه منافساً متجاهراً في حال أن عمه الحقيقي لم يجاهر بل يعلن رغبته في نصيحة ابن أخيه ويتظاهر بالحرص على مصلحته .

وانطوى عام ١٣٤١ هـ والأفق متلبد بالغيوم والآراء مختلفة والغايات متباينة واستهل عام ١٣٤٢ فكان في استهلاله مدد لتلك الاختلافات بين الخاصة والتحزبات والتجمهرات بين العامة .

وسيرة الإمام الشاب موضع استياء من الأسرة وانتقاد من الوزراء ورجال الدولة واستحسان من رجال القبائل فقط لأنه أجزل لهم الصلات ووزع عليهم الأسلحة فالأسرة التي كانت تراه فتاهاً المدلل ولم يكن والده سبق أن فرضه عليهم فرضاً كولي عهد وأخذ له منهم خاصة ومن الشعب عامة البيعة فيشعرون بأحقية ويسرون كخطوة أولى في معرفة وجوب حقه

وأسبقيته ولا يأنفون من تقدمه ومن ثم تبعيته . ويتلرب عملياً على مباشرة الأمور وتصريف الشئون والإشراف على أحوال الأسرة واصطفاء فريق منهم بالأعطية الجزيلة والحباء الجم وأخزين بدنو المكانة وسمو المنزلة وهكذا ، مما يوجهه عرف وسياسة وقهم .

والوزراء اعتادوا هيئة مسيرة وشخصية قوية موجهة وإرادة حازمة مرنة وعلماء واسعاً يقفون من كل ذلك موقف التلميذ من أستاذه والضابط من قائده فهم صنائع ثورته وتدريب عمليته فألقوا أنفسهم في عشية وضحاها أمام شاب غر ، إن ابتده لم يحسن البديهة وإن أراد التروي أعجله طيش الشباب وغرارة الحداثة وقلة العلم وإن أراد الاستشارة نأت به عزرة الملك المشوبة بجنون الصبا ونزعة الترفع ومركب النقص ، فتصرف على دون هدى وسار على غير بصيرة فتجرت آراؤهم مبدئياً تغمرهم هيئة الماضي وجلال الراحل ثم أدركوا أنهم في غير ما عهلوا ومع غير من عرفوا . وأنه ابن من أبنائهم فأحب كل منهم أن يستأثر به دون الآخرين مع الحيلة لنفسه من (عمه) و (مصطفى الإدريسي) فأخذ يتقرب من (الإمام) الشاب معرضاً له بكفائته مهوناً من شأن غيره مظهراً ما يراه يطمئنه إلى حسن الثقة فيه والاعتماد عليه دون غيره وقد سبقه غيره بنفس الطريقة مع اختلاف وجهات النظر مبيناً له أن الأول هو من حزب (عمه) أو من حزب قريبه مصطفى ومن وراء أولئك بطانة من المقربين السذج الذين يرون في كل من عداهم الشر وإثارة الفتنة ويشيرون عليه في حلود مفاهيمهم البسيطة وعقولهم الساذجة بما يأنس له ويتفق مع ميوله فضاع صوابه المبتسر وتخط في دياجير شكوكه المفتعلة فأساء الظن بكل رجال دولته وساءت به ظنونهم .

وليعوض ما فاته من ولاء أقبل على رجال القبائل بالسخاء والسلاح فكان في ما يترأى له من التفاهم حوله ، بعض العزاء لنفسيته المريضة واجتازت الشهور للنصف الأول من عام ١٣٤٢ بطيئة متناقلة عما تنوء به من أحداث وما تنطوي عليه من اختلافات ومؤامرات خفية تحبك وتحاك في الظلام . وشعر أكثر رجال دولته بشكوكه منهم وارتياحه فيهم فاتجه

بعضهم إلى مصطفى ، يستحثونه ويخوفونه من مغبة التباطؤ كما اتصل بعضهم بـ (عمه) موضحين له مبلغ الخطر الذي يهدد سلامة الدولة من جراء تصرفات ابن أخيه الخاطئة .

مؤامرة :

إن الإمام الجلديد في تلك المدة اليسيرة قد قبض على زمام الموقف وهو يتمتع بشعبية قوية ويظفر بعطف زعماء القبائل وتحت تصرفه موارد الدولة فإذا ما جُهر بالعداء والمخالفة من أحد زعميي الأسرة أو كليهما هب في ثورة الشّاب الجامح وساعدته القبائل التي يتمتع بشعبيتها في القضاء على كل محاولة ولا يجزم أحد منهما بالظفر والتغلب ولو فرض جدلا بالتغلب فلن يكون إلا بعد حرب أهلية مريرة .

إذاً فلنختصر الطريق والغاية معروفة وهي القبض على الإمام ومن ثم التصرف باسمه وهو تحت طائلة الأسر العائلي .

فاتفق أكثر رجال الدولة بوجوب المبادرة بالعمل تحت رأي رجلي الأسرة في إنفاذ إلقاء القبض عليه في حركة خاطفة وفي مناسبة سارة تكون تغطية للتنفيذ وهي مناسبة الاحتفال « بالحول » - ذكرى وفاة زعيم الطريقة الإدريسية ومؤسسها الأستاذ الكبير (أحمد بن إدريس) وتتلخص في .

١ - أثناء الاحتفال يتقدم شخص قوي فيحتضن (الإمام) بقوة ويكون آخر مستعداً بسلسلة وقفل فتوثق يديه ويكون ثالث في نفس اللحظة الأولى مستعداً لاختطاف السيف من يده بسرعة .

٢ - يتقدم رجلا الأسرة وأفرادها من مجالسهم القرية منه في الحفل ومعهم حرسهم الشاكي السلاح لأخذه ومن ثم ينصرف الوزراء ورجال الدولة لتهئية الموقف الذي يعتقد تسويته بيسر ما دام هناك اتفاق عام بين (الأسرة) والوزراء ورجال الدولة .

٣ - يحجز الإمام في القصر تحت الحراسة ويتاح له الوقت ويُهَيَّأ الجو لاستكمال علومه ومواصلة تعليمه .

٤ — يتولى الوصاية باسمه عمه الحسن بن علي .

٥ — يكون مصطفى نائباً — كالسابق — على المنطقة الجنوبية .

وهي كما يلاحظ خطة يتحري من ورائها — ظاهرياً — مصلحة الإمام والمصلحة العامة لوتمت وتحري في تطبيقها حسن القصد ونبل الغاية والصالح العام قبل كل شيء .

الإخفاق :

إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل ، فقد علم (الإمام) بالأمر قبل خروجه إلى مكان الاحتفال فاستعد للموقف بزيادة حرس يعتمد عليهم وأخذ للأمر أهيته ودخل إلى محل الحفل في غاية الحذر والاستعداد وقبل ساعة (الصفر) التي تقرر فيها التنفيذ غادر محل الاحتفال وقد أحضرت له سيارته فركبها قاصداً (جازان) .

وفي (جازان) استدعى سليم بك وكتيبته النظامية وأمره أن يعسكر في (الحفائر) وحصن المدينة وأتاب عليها من يثق بإخلاصه وسار إلى (المضاي) وهناك استدعى شيخ شمل الحكامية أحمد علي حكمي وشيخ شمل المسارحة وأمرهم بجمع الرجال من قبائلهما وسوقهم إلى مركز تجمعاته (الواصلي) كما استدعى قبائل أبي عريش وغيرهم للتجمع .

كانت الذخائر والمؤن في مستودعات (جازان) فكان الترحيل منها على قدم وساق صوب مركز التجمع وسلح كل من وصله وأمرهم بالاستعداد لمهاجمة (صبيا) .

الحالة في صبيا :

شعر المتآمرون بخروج (الإمام) من الحفل في خفة وحذر بدون أن ينتظر انتهاء المراسيم المعتادة ، فأسقط في أيديهم وكانت حركة بارعة أحبطت كل آمالهم وأتت على خططهم من أساسها ، فلم يكن في وسعهم أكثر من إظهار عدم المبالاة بخروجه ، أو كأن لا علم لهم بما استدعى قيامه

المباغت . فتاب (عمه) في شهود وحضور الحفل وتفرق القوم في دوامة من الخيبة المريرة والإخفاق النريع وتيقنوا أن الإمام قاصد (جازان) وبها مستودعات المؤن والذخيرة وسوف يستصرخ قبائل (المسارحة) أكبر قبائل المخلاف عدداً وأقوام شوكة وأشدهم ميولا نحوه ويلهم بنو شليل ويهاجم بهم (صبيا) .

نهاية المؤامرة :

كان كل ما توقعه القوم ، فالإمام بعد أن حصن (جازان) وأتاب خاله محمد هارون عليها وجعل السكتية النظامية في الحفاثر يساندها جيش من القبائل وخرج — كما أسلفنا إلى (المضايا) واستدعى رؤساء القبائل — توجه وعسكر في الواصلي وهناك أقبلت إليه جموع المسارحة وجميع من استدعاهم ومن هناك عزم على مهاجمة (صبيا) .

إن المبادرة الحازمة أسرع لحسم الداء والوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية . من التريث البطيء مهما اكتنفه التروي ، والأمور لا تمشي مع منطق التؤدة والراخي والتردد فقد تكون ضربة سريعة قوية وتصرف حازم من مجنون في الرأي يودي بخطط أكبر الساسة المحترفين وتؤدة السياسة بقدر ما يكون نفعها محققاً في الأحوال الدبلوماسية ذات الروتين إلا أنها عديمة الجلوى في المحيط المضطرب المهدد بنثر العاصفة الهوجاء والزلازل الانقلابي الخيف .

كان لخروج (الإمام) المفاجيء — قبل ساعة الصفر — أقوى عامل ، بل العامل الرئيسي في فشل المؤامرة في ليلة الاحتفال ، فعلاوة على نجاته من الوقوع في الشرك المنسوب لاقتناصه فقد ترتب كنتيجة حتمية لنجاحه تفكك أجزاء جهازها العامل .

نجح في الخروج في الوقت المناسب وكشف أوراق اللعبة المستورة ومن وراء ذلك استلر عواطف العامة وكسب شعور زعماء القبائل بصفته معتدى عليه يراد تنحيته حسداً واستثارة الجمهور بطبيعته قليل التعق ينصاع لما يظفرو على السطح وهو إلى نداء العاطفة أسرع منه إلى نداء صوت العقل .

تداعي صفوف المؤامرة الأولى :

بدأ الفشل يدب في صفوف المتآمرين وكل ينحى باللائمة على الآخر -
فن قاتل : إنه قد نصح بأن الخطة غير عملية وآخر يقول لماذا لم يقبض
عليه ساعة خروجه وثالث يقول أمر خروجه لم يكن في حساب الخطة -
وهكذا يقال إن كل واحد منهم أخذ في إلقاء التبعة على الآخر .

حتى أن بعضهم وصل إلى معسكر (الإمام) به (الواصلي) متنصلاً
ومعتذراً . ممن وصل إلى معسكر الواصلي محمد حيدر القبي وعلي بن عطيف
النعمي ويحيى زكري وصل قبلهما . ووقف الأكثر من رجال الدولة في
صف عمه (الحسن) وبطبيعة الحال إن حشده في معسكر (الواصلي)
أحدث رد فعل في الجانب الآخر فأخذت الحمية قبائل المنطقة الشمالية وقد
جلب عليهم بقبائل المنطقة الجنوبية فأخذوا في الاستعداد والوقوف في جانب
(عمه) الذي أصبح هو الهدف الحقيقي لمهاجمة الإمام ، إلا أن جميع المؤمنين
والذخائر في (جازان) تحت حوزة (الإمام) وليس عند الطرف الآخر ،
ومن هنا رؤي عدم تكافؤ الكفتين أضف إلى ذلك أنه باستجابة قبائل القسم
الجنوبي من الخلاف جعل الطرف الآخر في عزلة وانفصال تام عن أكثر
من نصف المملكة الذي هو من ميدي وجنوباً إلى (باجل) وهم الذين
يعول (الأمير مصطفى) على نصرهم وولائهم لشخصه - فأصبحت تحت
حكم (الإمام) المباشر وليس لخصومه إلا من صيبا وشمالا وهو مشكوك
في مدى إخلاصه لهم - ما عدا صيبا وضمد وبعض الخلاف الشامي بل وفي
هؤلاء من يميل آنذاك إلى صف (الإمام) .

الواسطة :

رأى الطرف الثاني أن في الصلح خير فتقدم أناس لهم التقدير من الجانبين
وركب الأميران (الحسن ومصطفى) في جموع أهل صيبا والخلاف
و (ضمد) وفي الواصلي اتفقا به (الإمام) وعقد اجتماع حافل شهده أمراء
الأسرة ووزراء الدولة ورجال (الخلاف السلياني) وبعد مداولات تم
الاتفاق والوثام :

١ - تجديد الاعتراف والمعاهدة من عمه و مصطفى .

٢ - الغفر عن الماضي .

٣ - أن ينب مصطفى على المنطقة الجنوبية ويصدر أمره كتابياً بذلك .

وفعلا استلم (مصطفى) أمر النيابة على (المنطقة الجنوبية) وسار لمباشرة عمله ورجع الأمير (الحسن) إلى (صيبا) وصرف (الإمام) الحشود المحتمة وعاد إلى (جازان) واتخذها مقراً لإقامته .

بعد الصلح :

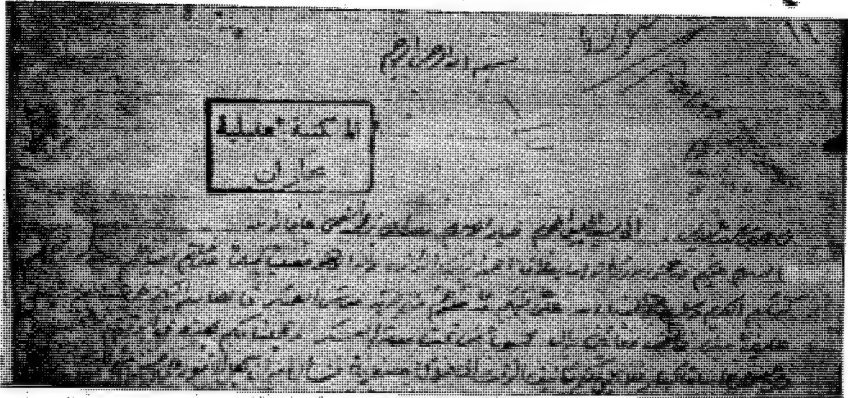
رأى مصطفى ومن يشايه أن في ذلك الصلح فوزاً سياسياً مبدئياً كفيل الوقت بتحقيق الباقي وأنه متى تمكن (مصطفى) من الاستقرار في المنطقة الجنوبية أخذ في الاستعداد ثم أعلن الاستقلال وزحف على المنطقة الشمالية ، وكثير من رجال الدولة على اتفاق معه ، لأنهم مالأوا (الحسن) و مصطفى وهم بعد ذلك الصلح - الذي اقتضته الظروف لا الإخلاص - خائفون مما ينتظرون وبالنسبة مما قد سبق فقد أخلوا فكرة من التجربة الأولى وهي أن تنحية (الإمام) أو الحجر عليه ليس بالأمر اليسير وقد أثبت لهم الواقع :

١ - أن الإمام يتمتع بشعبية قوية تتمثل في ولاء قبائل المخلاف السلياني بنسبة كبيرة جداً واعتقادها في أحقيته في إرث الإمامة من والده وغير ذلك مما كان له رواج التأثير في ذلك الوقت .

٢ - إن تحت يده من الذخائر والمؤن ما ليس لدى الاثنين .

٣ - إن له من عزيمة الشباب وجرأة المبادرة ما عرفوه .

وعلى أساس ذلك كانت تصرفاتهم في غاية الحيلة والحذر وفي خشية وخوف من الإمام من مؤاخذتهم على الماضي القريب والإمام نفسه غير مطمئن من ناحيتهم ولا واثق من إخلاصهم .



بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن محمد بن إدريس إلى السيد الجليل الهمام ضياء الإسلام
مصطفى بن محمد النعمي عافاه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً ومسلماً على
خاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه . كتابكم الكريم وصل وحمدنا الله على عافيتكم
وما شرحتم من جهة معاش العسكر فالصادر إليكم طي هذا حوالة على الشيخ
علي بن ياسين في ألف ومائتين ريال محسوباً من تحت معاش العسكر وعجلنا
لكم بهذه في الوقت الحاضر وعن خصوص مواساة الكبار فلا يخفى عليكم
تكاليف الوقت الحاضر وكثرة منصرفه فنسأل الله أن يجعل الأمور على
أحسن منوال^(١) ودمتم سالمين .

(١) كلمة غير مفهومة .

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن محمد لإدريس إلى السيد المهام ضياء الإسلام مصطفى بن محمد
النعمي عافاه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أما بعد . . . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو مصلياً ومسلماً على
خاتم أنبيائه وآله وصحبه . كتابكم الكريم وصل واحسنتم بما شرحتم والحمد لله
على وصولكم بالسلامة وأحسنتم بجعل الزمة بين ربيعة وآل وائلة ، وأما
الشيخ حسن بن إبراهيم فأحسنتم بأخذ العهد عليه وصدر إليكم ورقة الأمان له
وذكرتم أن نزوله بدون مشيخة يوجب تكليف فلا بأس شيخوه وينزل
هو والأعيان وأما الشيخ ناصر بن إبراهيم حيث كان شيخاً على بني
ظالم في زمن سيدي الوالد قدس الله سره فقد ينزل إلينا ويكون قطع جوابه
من عندنا وكذلك الشيخ قاسم بن يحيى حيث قد عاهدنا فيتوجه إلينا ونحمد الله
على سكون الأحوال وأما مسألة الزكاة الذي يذكر العبدلي أنه سلمها بيد
الشريف حمود فقد أخبرنا الشريف حمود بأن سلم له الذي أخذه من القبائل
وبقي شيء لم يأخذ فقدكم تستحصلون بموجب البيان الذي بيده وارفعوا لنا
بيان ذلك وصلر إليكم (١) مع النجاب وصلر إليكم ورقة الحوالة لعلي
ابن ياسين ودمتم سالمين . في جماد الثانية سنة ١٣٤٢ .

الأمير مصطفى في المنطقة الجنوبية :

في مستهل عام ٤٣ سار إلى (المنطقة الجنوبية) يحمل أمر نيابته عليها ، وأخذ من الساعة الأولى ، يصرح أن المنطقة منحت له من (الإمام) ويعمل عمل المستقل ويمهد للوثوب في حيلة وحذر .

وتواترت الأخبار لدى (الإمام) بكل ما يقوم به فرغب بأن يبدد تلك الإشاعة ويقضي على تلك المزاعم بحركة عملية سياسية فتقدم بنفسه للمنطقة الجنوبية وقصد مدينة (الحية) المركز الإداري (لمصطفى) — ليظهر للناس بأن ما يذيعه مصطفى عن منحه الاستقلال لتلك المنطقة لا صحة له .

الرحلة :

سار من (جازان) إلى (ميدي) ومنها إلى الحية فاستقبله (مصطفى) — كتابع في حفاوة وإجلال وأظهر من ضروب الولاء وبر الطاعة ومجاملة الانقياد وتلبية لإنفاذ أوامره ما بدد شكوكه . وبعد ذلك تفاهم معه بأن كثيراً من زعماء المنطقة لا يزال عالقا بأذهانهم بأن الإمام غير مطمئن من ناحيته في حال أنه قد مضى وانتهى كل سوء تفاهم وأن ليس لديه إلا الإخلاص وإزالة ما علق بأذهان تلك الفئة وتمشياً مع ما تقتضيه مصلحة الأسرة خاصة ومصلحة الدولة عامة بأن يمنحه صلاحية حسن التصرف ليعلم ذلك للعموم وأن يتفضل بتصريح في مجلس عام يحضره زعماء المنطقة بما يفهم منه ثقته واعتماده عليه .

ويقال : إن الأمر كان مدبراً بين مصطفى ومستشاري ووزراء (الإمام) فصبوا رأيه فحرر أمراً بذلك وقُرئ على كل زعماء المنطقة .

وعلى أثر ذلك تقريباً زال الكثير مما قد طرق مسامعه ووجد من حسن الاستقبال وبر الانقياد وهذوء الحالة ما جعله أقرب إلى الاطمئنان فأمر ببعض إجراءات ثانوية كتبديل بعض عمال في نواحي المنطقة وعاد إلى (جازان) .

الجديد في الموقف :

وبعودة (الإمام) تنفس مصطفى الصعداء وأخذ في العمل الجاد .
واتصلت الأخبار (بالإمام) فبقى بين الشك واليقين وأخذت الشكوك
تدافعه من جهات شتى .

١ - فهو على غير وفاق حقيقي مع عمه الحسن في (صبيا) والتي
هجرها أو تركها وفيها أسرته وعلى رأسها عمه واتخذ من مدينة (جازان)
مقر دائماً له .

٢ - غير مطمئن من إخلاص الوزراء القدامى ورجال الدولة فهو على
ريبة منهم وهم على خوف منه .

٣ - المنطقة الجنوبية قد تواترت لديه الأخبار بميلها إلى مصطفى واستجابة
زعماؤها لثورته .

٤ - أصبحت تصرفاته تفسر سرّاً من الوزراء بالطيش وعدم التروي
لأسباب عدم استشارتهم أو الاعتماد على آرائهم لما ساوره من الشك وعدم
الثقة في إخلاصهم .

٥ - أصبح اعتماده في حل أمور الدولة على خاله محمد هارون وهو
رجل لم يكن له أي صفة في عهد والده إلا أنه فرد من الحاشية الخاصة
وقد رأى أن يسلك طريقة التروي والحكمة في موقف مصطفى فبعث خاله
محمد هارون إلى المنطقة الجنوبية يحمل رسالة إلى مصطفى بشأن حاصلات
جنزك الحديدية وما يجب صرفه لقائد حاميات الحدود محمد طاهر رضوان
وبعث الباقي لجازن .

أما المهمة الحقيقية فهي تحري الأحوال ومعرفة نوايا الأمير مصطفى
وما جد من الإشاعة عن تحفزه للثورة .

وصل محمد هارون إلى الحديدية وصادف وجود الأمير مصطفى بها
وتفاهم معه في ظاهر المهمة وقد شاهد من نشاطه السياسي واهتمامه في
الاستعداد ما أكد الشك في موقفه فعاد وبلغ الإمام .

الاستعداد والبحث عن معين :

فكر الأمير مصطفى في الوثبة وما ينبغي لها من عدة وعتاد وقد أخذ درساً من المحاولة الأولى ، والعتاد والمؤن في مستودع (الإمام) في جيزان - إذأ لا بد من الحصول على العتاد والمال ، وانكثرتا تعتبر جنوب المنطقة مجال نفوذها وهي تراقب كل حركة وتلدس أنفها في كل نشاط ، وبقلر ما تؤمله من كسب مادي وسياسي يكون الترجيح في كفة ميزانها للطرف السخي . ولا تسمح لطرف آخر من الدول بأي تدخل في الجنوب فهو منطقة نفوذها - آنذاك - فليتقدم وهناك (معدن ملح الصليف) وقد استغلته شركة ألمانية في أواخر العهد العثماني . وضرب الإنكليز منشآتها . فليجعله موضع المساومة وعربون الصداقة والمفاهمة .

كان على معدن الصليف حرس من مرتزقة الصومال ، - من عهد الإمام السابق وكخطوة أولى فصلهم وجعل له حراساً ممن يثق بهم ويخلصون له .

واتصل بالمعتمد أو بالأصح حاكم كمران ، وأسفرت اتصالاته عن التفاهم مع شركة انكليزية على منحها امتياز استغلال منجم (ملح الصليف) مقابل إمداده ببعض العتاد والمال وطلبت الشركة وثيقة تفويض في أمر عقد الاتفاقية فبعث لها صورة من أمر نيابته على اليمن .

إجراءات تبطل الاتفاقية :

علم (الإمام) بما يدار - في الخفاء - بشأن الاتفاقية المزمع عقدها بين نائبه والحكومة أو الشركة الإنجليزية عن طريق حاكم جزيرة (كمران) فبعث رسولا خاصاً يحمل خطاب احتجاج للحكومة البريطانية وبرقية خاصة للملك (جورج الخامس) .

ويتضمن الاحتجاج إنذاراً بأن أي اتفاقية تعقد بشأن (الصليف) أو غيره من المناطق (الإدريسية) مع أي شخص سواه يعتبر تصرفاً غير مشروع لا يتقيد به ولا يعد نفسه مسؤولاً عنه . أما البرقية الخاصة . فتتضمن

الإشارة إلى الصداقة السابقة بين والده والحكومة البريطانية قبلا والتصرف الواقع الذي يخالف ما توجيهه الصداقة .

وقد رأت الدبلوماسية البريطانية بحكم قوة حاستها السياسية التي دائماً ترجح بها أقوى الخصمين أن كفة (الإمام) أرجح . فأجابته مطمئنة بأنه لم يتم شيء مثل هذا ومن الناحية الأخرى أخذت في تجميد الانفاقية انتظاراً لما يسفر عنه الموقف .

إن الأمير مصطفى قد أسفر عن صفحته وكان واثقاً من الحصول على تلك الصفقة التي هي الغذاء الرئيسي لثورته ، والتأخر معناه الفشل والقضاء على آماله العراض وأمانه الفساح وقد يكون على حياته واتصل بمؤيديه في الخفاء من رجال الدولة الذين أصبح موقفهم مع (الإمام) غير محمود النتيجة ولا مأمون العاقبة . وهم على رغبتهم الأكيدة في استبدال (الإمام) بغيره — من الأسرة طبعاً — قد مرت بهم من التجربة الأولى دروس قاسية فأشاروا عليه بسرعة القيام وإنهم سيحتفظون بموقفهم الظاهري في جانب الإمام ويكون بذلك موقفهم أنفع وأجدى على ثورته حتى إذا نجحت في القسم الجنوبي كانوا طلائع التمهيدها في القسم الشمالي .

الثورة :

أخذ مصطفى في الاستعداد والترتيب فاستوثق من زعماء قبائل الجنوب وعماله وقائده الحدود محمد طاهر رضوان ومحمد إبراهيم مبجر عامل وقاضي وادي مور ، وهادي هيج زعيم قبائل (الواعظات) المشهور بقوة النفوذ والدهاء كما استمال قائدي مرتزقة أهل المخا عبد الله وعلى عثمان المخاوين ، فانفصلا بجندهما من ميدي وانضما إليه ومن ثم أخرج منشوراً يندد بالإمام ويصمه بالجهل وعدم الكفاءة وقلة الدراية وسوء التدبير وأنه إزاء ما بلغته سوء الحالة وضياح الأمور اضطر إلى القيام حفظاً لكيان الدولة وشرف الأسرة وعلى أثر ذلك .

٢- أمر مرتزقة (الحنا) بأن تعسكر في مدينة (الزهره) .

٣- سير قوته الرئيسية بقيادة ابنه (المهتدي) لتعسكر في جبل (الملح) ليكون منه مركز الانطلاق للزحف على المنطقة (الشمالية) وتكون طلائعها في مركز أبي حلق وأخذ في العمل على استمالة قبائل المنطقة الشمالية .

الإمام والثورة :

وصلت منشورات (مصطفى) مؤذنة بثورته وتلتها توارد الأخبار مجسمة خطر الزحف وخطورة الانتفاض ، فهزت الإمام هزاً إلا أنه جابه الموقف بما ينبغي من الإجراءات السريعة الحازمة فاستدعى قبائل المخلاف السليمانى فأقبلت شوكتهم - متجندتهم - ترى . ففتح مستودعات الأسلحة والمؤن وبذل المال حتى إذا استكمل الحشد قسمهم إلى جيشين :

١- عقد لواءه لـ (مكي بن أحمد القبي) وأمر بأن يكون خط سيره الطريق الساحلي .

٢- عقد لواءه لـ (قاسم بن إبراهيم عكفي) وأمر بأن خط سيره الطريق الوسطي (حرض) .

٣- عقد لواء القيادة العامة - على الجيشين لحاله عبد المطلب بن هارون .

تقدم الجيش الأول إلى (أبي حلق) المعسكرة به طلائع جيش مصطفى فهزمها ووالى سيره وفي أول حلود مور التقي بالجيش الثاني وقصد القوة الرئيسية في جبل (الملح) التي قاومت أياماً ثم فر أغلبها فبقى المهتدي مع من بقي فتحصن بقلعة الجبل .

أما الأمير مصطفى فعلى أثر انهزام طلائعهم في أبي حلق غادر (الحية) إلى مدينة (الزبدية) إلا أن تغلب جيش الإمام على قوته الرئيسية في (جبل الملح) وإرغامه لمن بقي منها على التحصن بقلعة الجبل فت في عضده وضعضع معنويته وأكثر ما أشغل فكره حصار ابنه في قلعة جبل (الملح) فحصر فكره في أمر خروج ابنه من نطاق الحصار ، واتصل سرّاً بهادي هيج زعيم قبائل

الواعظات — الذي قد انضم بدوره إلى (الإمام علي) في عمل الحيلة وتدبير وسيلة لخروجه من نطاق الحصار — والزعيم (الهيج) من الدهاء وحصافة التدبير بحيث يدبر للمحصور سبيل الخروج ليلاً — وكان (الهيج) قد انضم بقبائله مع جيش الإمام علي واشترك في عملية الحصار بعدما عرف أن حركة (مصطفى) لا تستطيع الصمود .

لحق المهتدي بأبيه في الزيدية فاستولى جيش الإمام علي على جبل الملح فاحتل مدينة (الزهرة) .

ظل الأمير مصطفى الإدريسي ، يدير أمره ويحيل أوجه الرأي في مدينة (الزيدية) وهو خائر القوى منهار النفس ولم يتأقن له جمع جيش آخر يتصدى به لوقف جيش الإمام سوى شراذم همها الحصول على ما بقي معه من صُبابة مال قد ضاع جلّه في تلك الحركة الفاشلة وتقدمت طلائع جيش الإمام علي فغادر (الزيدية) إلى مدينة الحديدة فاحتلها الجيش وأقبلت قبائل (صليل) معتذرة متبرئة من (مصطفى) فتقدم الجيش مطمئناً إلى مدينة (الحديدة) ففر (مصطفى) إلى (منظر) يصحبه بعض (مناصب) المراوعة ، فتعقبه الجيش فالتجأ إلى شيخ مشايخ الزرانيق (أحمد فتيني) الذي جرده من كل ما بقي معه ثم سمح له بالطلوع بجرأاً إلى جزيرة (كمران) . على أثر دخول الجيش مدينة الحديدة توجه الإمام إليها وكان ينوي أن يهاجم بلاد (الزرانيق) للقبض على الأمير مصطفى إلا أن مسارعة مصطفى بالتوجه إلى (كمران) هون عزمه فأجرى الترتيبات الآتية وعاد إلى جازان :

١ — خاله عبد المطلب نائباً على المنطقة الجنوبية ويكون مقره مدينة الحديدة .

٢ — صهره (عمر بن محمد البار) عاملاً على وادي مور بدلاً عن العامل الأول (محمد إبراهيم مبجر) الذي مალأ (مصطفى) في الثورة .

٣ — أحمد مجلي العريشي في بلاد بني نشر .

٤ — قاسم إبراهيم عكني في الزيدية .

- ٥ - محمد عبده مزيد حكيم في باجل .
- ٦ - محمد عبده أمصم في بلاد عبس .
- ٧ - عبده جراد في مدينة (ميدي) .

وقبل مغادرته للحديدة أمر باعتقال جميع الوزراء ورجال الدولة والذين وصلوا إلى (الحديدة) ومعهم (محمد طاهر رضوان) قائد الحلوود الجنوبية تحت الحفظ والحراسة وبعد عودته إلى جازان أمر على (الأمير محمد العابد) الإدريسي بالتوجه إلى الحديدة وأرفقه بأمر إلى خاله ونائبه ليشارك معه في إبعادهم إلى (عدن) وهم :

- ١ - حمود بن عبد الله الحازمي . ٢ - محمد يحيى باصهي .
- ٣ - يحيى زكريا حكيم . ٤ - محمد حيدر القبي .
- ٥ - محمد أمين الشنقيطي . ٦ - علي بن إبراهيم بن عطيف النعمي .
- ٦ - علي بن محمد الحازمي .
- ٧ - محمد عبد الله بن إبراهيم بن عطيف النعمي .
- ٨ - عبد الرحمن العنمي . ٩ - محمد المغربي .
- ١٠ - محمد طاهر رضوان . ١١ - علي بن محمد شبيلي الحازمي .
- ١٢ - محمد نور المارديني قاضي مركز الحديدة .

وغيرهم من ذوي الأقدار والسابقة في دولتهم من ذوي الدربة السياسية والخبرة الحربية والإدارية الذين مارسوا الأمور وتمرسوا بالحروب وخبروا الأحوال منذ أول حركة والده .

كما نفى غيرهم إلى جزيرة (فرسان) فأقفرت البلاد من الكفاءات وأملقت من الخبرة والتجارب وراح يستعين بعناصر تعوزها الخبرة وينقصها الحزم والدربة العملية وبعضهم من حداثة السن وغرارات الصبا في مثل حاله فالتبست عليه الأمور وفقدت الدولة كل مقومات عناصر الحزم والسياسة والقوة في أجهزتها السياسية والحربية والإدارية ويقال : إنه أصيب بصلمة

نفسية واضطراب عقلي من ليلة محاولة القبض عليه - في ليلة الحفل السنوي المار ذكره - ولم يزل يتزايد أثره قليلاً ومع ثورة مصطفى وما لمسه علاوة على تمآلؤهم مع عمه ومصطفى في المحاولة الأولى زاد به سوء الظن نحوهم فظل مضطرب الفكر متفزز الأعصاب . مما جعله لا يثق بأحد من رجال دولته الأولين . فحصر كل شيء من الأمور في شخصه يساعده خاله محمد هارون ، وعبد جراد و عمر صالح هاشم - وزراء . ويحيى بن خميس صوري مستشاراً ومندوباً خاصاً في المهمات وعلي بن محمد السنوسي قاضياً شرعياً لجازان وإبراهيم جراد حاجباً . وقد هم بأن ينشئ مع المنفيين (زعيم الواعظات هادي هيج) وعامله في رجال ألمع (مصطفى بن محمد النعيمي) فجاء عزمه متأخراً عن سابقه . فاحتاط الرجلان . ف (الهيج) أخذ في الماطلة حينما استدعاه واستعد للمقاومة فيما لوبوغت وراح يعمل للتخلص من حكمه كما ستقرأه . والثاني اعتذر عن القلوم إليه بلباقة وأخذ يعمل في سبيل تخاشيه من الوقوع في شرك النني بشتى الوسائل فأصبح أمر رجال ألمع معلق المصير بكفة القلر في حد وسط بين الطاعة والعصيان وليس عند الإمام المنهار القوى ما يرغم به العامل وأخيراً التجأ العامل إلى إمارة أبها السعودية .

أضف إلى ذلك أن عمه (الحسن) غير راضٍ عن تصرفاته الطائشة وتؤيده منطقة صبيا وغيرها من القسم الشمالي الذين أظهرت لهم الأيام وبرهنت لهم الأحداث ما في سياسة ذلك الإمام من الخرق والطيش . فأصبح الذين يؤيدونه سابقاً ضده بعد ذلك . وكان نفي تلك الشخصيات من رجال الدولة السابقين والذين جلهم من القسم الشمالي والذين لهم من المكانة والتقدير في نفسية الشعب عامة والمنطقة الشمالية خاصة آخر ما فقد به الولاء الصادق في المنطقة المذكورة فأصبحوا زاهدين في ولائه، ملتفين حول عمه (الحسن) كما أنه هو أصبح بلوره يائساً من إخلاصهم وصدق ولائهم وطاعتهم .

وبذلك ظل القسم الشمالي من ضمد إلى رجال ألمع ليس له فيه إلا الإمامة الاسمية وكنتيجة لما أسفر عنه الموقف في البلاد التي من ضمد وشمالها فإن الإمام عول على القسم الأوسط فتقربت إليه قبائله من جنوب وادي ضمد

إلى نهاية بني شيبيل — القسم الجنوبي من المخلّاف السليمانى — فراح يغلق لهم الصلّات ويوزع عليهم الأسلحة استمالة في زيادة ولائهم وإغاظة لقبائل القسم الآخر فأفسر الحال عن فراغ مشدود السلاح ونضوب المال .

الحالة في القسم الجنوبي من المملكة الإدريسية :

١ — (محمد طاهر رضوان) قائد المنطقة الإدريسية الجنوبية .

مر من أخبار هذه الشخصية — في الفصل الأول الخاص بالدولة الإدريسية — ما يلقي الضوء على دورها وقد تقدم على رأس الجيش الإدريسي المتقدم في الجنوب إلى أن احتل مدينة (باجل) .

ومدينة باجل آنذاك مركز الثقل في الحدود الجنوبية وقد أثنى الكاتب العربي الكبير (أمين الريحاني) ^(١) على حصافته ودربته العملية وتفهمه لسياسة وقته وكيف عرف أن يستعين بقبائل الحدود الخارجة عن طاعة الإدريسي على بعضها ويشغلها بإثارة بعضها على بعض بل يسخرها في صالح عمله مع غنائه وحزمه في حماية الحدود من ناحية (اليمن) فكان في إقصائه عن عمله وإبعاده ثغرة في سياسة الدولة الدفاعية .

٢ — والحدود الجنوبية :

الحدود بين الإمامين السابقين المتوكل والإدريسي ، كانت مشكلة المشاكل فليس بين الطرفين معاهدة (حسن جوار) بالمعنى المتعارف عليه دولياً ، ولا حدود مخططة تدعمها اتفاقية يعترف بشرعيتها ، والحدود في مناطق جبلية وعرة تتقارب جداً في بعض الجهات وتتباعد نسبياً في أخرى وقد تفصلها قبيلة أو شقة حرام كما كان الوضع بين (الحجيلة) و (عبال) قضى بمثل ذلك

(١) وود في كتاب « ملوك العرب » للريحاني ما يأتي :

بعد الظاهر جاء يزورنا الشيخ محمد طاهر رضوان عامل « باجل » وقائد الماسكر الإدريسية فيها ، فسلم واعتذر ثم سألنا عن السياسة الأوربية وعن الانكليز وعن مصر والهند سؤالات دلت على عقل وعلم فيه لا يفتقران — بخلاف العبادة العامة — إلى شيء من الحكمة والذوق فقد كان يسأل مستخبراً مستفيداً . دون رأى خاص له يديه ولكنه فيما يختص ببلاده كان مفيداً مفضلاً ، فلملنا من حديثه أن قبيلة (القعرة) يسكنون تلك الجهة بين واديين سردد وسهام الخ

الوضع الضرورة لا الرضى والاتفاق والمنطقة الجبلية استولى الإدريسي ،
على قسم من شمالها في العهد العثماني ، - راجع الفصل الخاص بعنوان
ابن حميد الدين والإدريسي - والقسم الجنوبي أثناء انسحاب الأتراك .

والإمام (يحيى) يرى أنها منطقة جبلية تابعة له بحكم وضعها الطبيعي
وشمول حكم أئمة الزيدية عليها في وقت ما ، والإدريسي يرى أنها كانت
تابعة للأتراك ، وقد استولى عليها عنوة واقتداراً كما استولى عليها من هو قبله
والدنيا ليست ملكاً لأحد ولا حق لغيره في حكمها وهو يطمع في أكثر منها
وحذود على تلك الوضع موضع خلاف دائم ونهزة لاهتبال الفرصة السانحة
لكل طرف منهما ، ورجال (الإمامين) متحفزون كل منهما على حدوده
والمواقع (الاستراتيجية) محصنة بأوكار المدافع تتبادل القذائف لأقل
الأسباب وأتفه المخالفات .

ومن وراء ذلك السياسة وأساليبها من استمالة وإغراء وترغيب وترهيب -
من الجانبين - لزعماء ورجال قبائل الحدود . وكان الجانب الإدريسي أكثر
توفقاً لسياسته الناعمة وسفائه الوافر وإغرائه بإعفائهم من (العوائد) - راجع
المنشور الإدريسي - فكانت (الدبلوماسية) الإدريسية ناجحة السعي موفورة
النشاط في الكسب السلمي والدعاية السياسية وبالأخص في الجهات الجبلية
السائد في أرجائها (المذهب الشافعي) كـ (ريمة) - (برع) - (الحنجيلة)
وغيرها ، ويضاف إلى ذلك أن عدداً غير يسير من قبيلتي (حاشد) و (بكيل)
كان يستخدمهما (الإدريسي) كجنود مرتزقة ويجدون من وفرة المادة -
مالا يجلبونه لدى حكومتهم مع ما يناله رؤساؤهم من الإكراميات والأعطية
والكساي والخلع ، وكان زعيم قبيلة (حاشد) (ناصر مبخوت) على
رأس مرتزقة (قبيلته) ويقال : إن الإدريسي كان يرمي إلى غاية بعيدة من
وراء استخدامهم ، وقد كان لذلك أثره - وإنما تأخر عن الوقت المناسب -
فقد ثارت قبيلة (حاشد) على الإمام المتوكل فكانت ثورتها مع وفاة
الإدريسي ، فوجدت من حزم ولي عهد (اليمن) - آنذاك - وسرعة
نهضته ما أخذ ثورتها ففر زعيمها (ناصر بن ناصر مبخوت) - الذي خلف

والده في الزعامة — إلى الأدارسة فوجد من خلف الإمام الراحل — الإدريسي ما أياسه من نصرتهم وزهده في جانبهم فعاد وعُفي عنه من حكومته ثم فرّ بعد ذلك كنتيجة لتخوفه من جريرته الأولى إلى (عسير) كما أن أحد كبار شيوخ ريمة (محمد أمين الريمي) بل شيخ مشايخ (ريمة) محمد الأمين الجبي فرّ ملتجئاً إلى الإمام الإدريسي طالباً منه التقدم إلى جهته إلا أن الإدريسي لم يستسغ تلك الخطوة السافرة والهجوم العلني فأخذ في التهيؤ من حماس ذلك الزعيم، وأبقاه لديه مكرماً رهين الانتظار فأساء الظن وأحب أن يؤمن لنفسه خط الرجعة لدى الإمام (يحيى) فكتب لجلالته كتاباً حمل فيه على الإدريسي وحشاه بالتجريح والقذح وانتحل لنفسه ما شاء من المبررات في قصده للإدريسي — خلافاً للحقيقة طبعاً — إلا أن الإدريسي كان من اليقظة بحيث استطاع أن يقبض على تلك الرسالة فأحضر (الزعيم) في مجلسه وباغته بالاتهام فأنكر فأبرز الرسالة فأسقط في يده فقرعه وأمر بسجنه وظل في السجن حتى أطلق في عهد الإمام اللاحق بعد تبدل الحال واستيلاء الإمام (يحيى) على القسم الجنوبي .

وعلى تلك الصفة التي كانت تنصف بها السياسة الإدريسية — في حياة مؤسسها — من النشاط ودبلوماسية اسمالة وإغراء قبائل الحلود وغيرهم كان في وفاته الفجائي متنفس استنشقت منه الحكومة (المتوكلية) نسيم السلامة وأطلت على رحاب الأمل الرحب لتحقيق آمالها الواسعة .

وبعد انطفاء تلك الجنوة — بموت ذلك الإمام الإدريسي — لم يبق أو يخلفه في مركزه من يماثل شخصية الإمام يحيى فانقلب الوضع وشالت كفة الميزان وانقطع ذلك التيار المتدفق الذي كان يمد النفوس المتعطلة داخل وعبر الحلود الإدريسية الإمامية بقوة الدفع وإشعاع الرجاء والتقدير البالغ على الإخلاص .

فالآن لا شيء للإمام الإدريسي ، الجديد إنه مشغول الفكر بمعارضيه على الحكم — عمه الحسن وابن عم أبيه مصطفى وعماله على الحدود —

الذين كانوا تحت إحياء تلك الروح القوية موفوري النشاط السياسي في التطلع لما وراء الحدود والعمل الدائب في سياسة التوسع — أصبحوا تتجاذبهم القوى الداخلية المتعاكسة التيارات المتعارضة الغايات المختلفة المقاصد بين الحسن والإمام الجديد ومصطفى وأنصار كل منهم ، حسب الحصف من أولئك (العمال) أن يكون دقيقاً في تحديد صلاته متطلعاً إلى ما يجد في أفق ذلك الجو المتبلد الغيوم . وكفاهم المحافظة على الحدود وتحسين صلاتهم مع كل الأطراف حتى بما وراء الحدود .

فانقطع رجاء المتطلعين والطامعين من زعماء قبائل (الجبال) — كلياً — ونضب معين المقررات والصلات لأنصار المستقبل فالجهاز العام الإدريسي مشغول ومثقل الكاهل بتكاليف كسب الأنصار في الداخل .

تنفس الجانب اليميني الصعداء واسترخت أعصابه المتوترة وتطلع بدوره بعين الواثق المطمئن فرأى المعرض السابق من أصحابه مقبلاً والطامع في غيره أضحى قانعاً به فترى برهة تريت الحرب الحبير وبعد فترة اختبار أخذ في بدء التجربة الأولى ، تجديد الصلاة بالأصدقاء المنسيين — في الجانب الإدريسي — ثم تلاها تشجيع الأنصار المتوارين — سابقاً — وكل هذا فيما يلي الحدود الإدريسية المباشرة — والحدود هي الدرع الواقي والسياس المانع — والخطوة الأولى قد تكون من أصعب الخطوات — وكنتيجة للعمل الدائب والسعي الحثيث أخذ النفوذ الإدريسي في الضمور والنضوب التدريجي ثم في التقلص والانكماش على الحدود المباشرة ، وكل فراغ لا بد أن يملأ ، فما ينحسر النفوذ (الإدريسي) في جهة من الحدود إلا وينسدل عليه النفوذ (اليميني المتوكلي) والإدريسي مشغول بمعارضيه وما نجم من الخلاف العائلي عن ما عداه ولم تسو مسألة الخلاف تلك التسوية المموهة — كما ألمعنا إلى ذلك في صلح (الواصلي) — إلا والنفوذ (المتوكلي) قد نفذ برنامج سياسته التمهيدية وأخذ في تهيئة الجو للمرحلة الثانية ، حتى إذا امتشق الحسام بين (الإمام) وقرية (مصطفى) أخذ في الانتظار الموقت انتظاراً لنتيجة المعركة

التي سوف تسفر عن تتطاحن القوى (الإدريسية) وخروج الفائز من الحلبة
منهار القوى مضعضع البنيان .

أسفرت المعركة عن فوز الإمام (علي الإدريسي) - كما تقدم -
وتلاها نفي رجال الدولة ذوي التجارب الحربية والمران السياسي . بما فيهم
قائد وعامل الحدود فأقفرت البلاد من الكفاءات والتجارب وحل محل
النائب الأول - الثائر - النائب الجديد (عبد المطلب) وهو رجل لم يسبق
له المران في الإدارة ، ولا الاشتراك في الحروب ، خال من العلم والمعرفة ،
غريب وفد من السودان مع أخته (أم) الإمام علي الإدريسي وشغلت
مراكز الحدود بمن لم يكن في كفاءة قائدها السابق ومعاونيه .

أضف إلى كل ما سبق أن الحكومة الإدريسية خرجت من المعركة
مشحنة بالجراح حسبها في موقفها آنذاك تضميد الرضوض والجروح وتجبير
الكسور ، فأتيحت الفرصة المرتجاة (لليمن المتوكلية) فغدت تعمل على
ضم المواقع الاستراتيجية في الحدود ونهيء الجو لاستلراج القبائل المناخمة
واستماله من هو أبعد مسافة نسبياً .

الزعيم هادي هيج شيخ مشايخ قبائل الواعظات :

شخصية تتمتع بمركز ممتاز ومكانة مرموقة ، ونفوذ قوي لا في قبائل
الواعظات فقط بل في وادي (مور) بكامله وتنسم بالدهاء والحصافة وقد
مر بالقارىء نبذ من سيرتها في تاريخ الدولة الإدريسية عند تقدمها إلى
(الجنوب) والدور المهم في حوادث تلك الفترة وقد ظفر بتقدير (الأثر)
ثم بتقدير الإدريسي - بعد جلائهم ، وبعد وفاة (الإدريسي) واضطلاع
ابنه (الإمام علي) بالأمر ظل في مكانته المحترمة ومركزه المرموق . حتى
قيام ثورة الأمير مصطفى الإدريسي فشايعه مشايعة السياسي المجامل الخنر
فوافقه سرّاً وانحاز في معقله ينتظر ما يسفر عنه الموقف فلاح له - وهو
الحرب الخبير - أن موقف (مصطفى) آيل إلى الفشل وإنما ذلك حدس ،
فهل محققه الواقع فلينتظر قليلاً - وقد انتظر ، وتحقق ظنه .

أقبل جيش (الإمام علي) فوافته عيونه بعدده وعدته ومغنويته وإمكانياته. فقارنه بقوات (مصطفى) وهو المطلع على دقيق حركته وجليلها . ففهم كل شيء . وبهزيمة طلائع (مصطفى) التي تعسكر في مركز (أبي حلق) كتب له القائد العام (عبد المطلب) يستفهم عن موقفه ويطلب منه (المقابلة) فأجابه بأنه لا يزال على الطاعة وأنه سيقابلهم برجاله على مركز (جبل الملح) وفعلا اشترك برجاله في الحصار وكان (مصطفى) قد غادر اللخية وبوصوله الزيدية وشعوره بحرج مركز ابنه (المهتدي) الذي ضرب عليه نطاق الحصار - كتب إلى هادي هيج راجياً منه العمل على مساعدة ابنه في الخروج فدبر الأمر بكل دهاء وتسلل (المهتدي) ليلاً فنجى . وكان (هادي هيج) ورجاله في طليعة المقتحمين مركز جبل الملح وهكذا مكنته دهاؤه من إرضاء (الطرفين) وهو عزيز الجانب لم يضطره الحال إلى التزلف أو الاعتذار . فالرجل سياسي عملي يتوقف في الظرف الحرج توقف السياسي القدير - مع احتفاظه لنفسه بحرية العمل في الوقت المناسب - فإذا حانت الساعة أو الفرصة الملائمة أثبت وجوده الفعلي في جانب الكفة الراجحة ، وأصبح قد شارك في الفوز وله أدبياً حق المحارب وامتياز حملة السلاح في المعركة الناجحة فيمحو تبعة تردده السابق وتهمة موقفه الغابر بحقيقة عمل المساهمة في الحاضر فهو لا يستجدي العفو ولا يطلبه بل يقدم البرهان العملي على أهليته له وجدارته به .

فهو عندما شعر بانثيال الناس إلى طاعة (الإدريسي الأول) ولمس قوة حركته - راجع الفصل الخاص بحركة الإدريسي في الجنوب - تقدم يعرض استعدادده لاستجابته - ويتعهد له ببذل كل مساعدة ومساهمة لحركته في حلود إمكانياته ونطاق نفوذه . ويشترط أن يكون هذا سراً ، لأن الأتراك حينذاك متركزون في (وادي مور) و(الواعظات) والرجل يحكم مرونته ودهائه وغناه يطلع على أغلب الأخبار فعلم بسوق الجيش التركي والألماني لمهاجمة القناة - السويس - وتفوق الألمان في الميدان الغربي أضف إلى استمالة (الإدريسي) لخصمه (زعيم قبائل عبس) الزعيم (يحيى على ثواب) واستقباله للجيش الإدريسي .

و (هادي هيج) لا يرضى بأن يتقدم عليه منافسه في الأسبقية السياسية ، فتخلى عن اتفاقته السرية مع (الإدريسي) ووالي الأتراك لا سيما عندما لمس تحسن موقفهم الحربي وصددهم تقدم الجيوش الإدريسية فعلى الفور اشترك بقبائل الواعظات مع الجيش التركي ، بل ودفع قبائل وادي مور للاشتراك واستشاط الإدريسي غضباً ، وأصدر أمره لسراياه بمهاجمته وأنصاره وباغتياله وهبته ، فالرجل — أحذر من غراب وتغرز موقف القائد التركي (غالب بك) بنفوذه القبلي ومركزه الاجتماعي ، وقد تمكنت أحد السرايا (الإدريسية) من أسر أخيه (عبده هيج) فقادته إلى (صبيا) فسجنه الإدريسي في قلعتها .

لم يهن ذلك من عزم (هادي هيج) . وكان غالب بك في أوج انتصاراته ومدينة الحية في قبضته فاتفق معه ودبر الأمر على استخلاص أخيه .

جيلة الانقاذ :

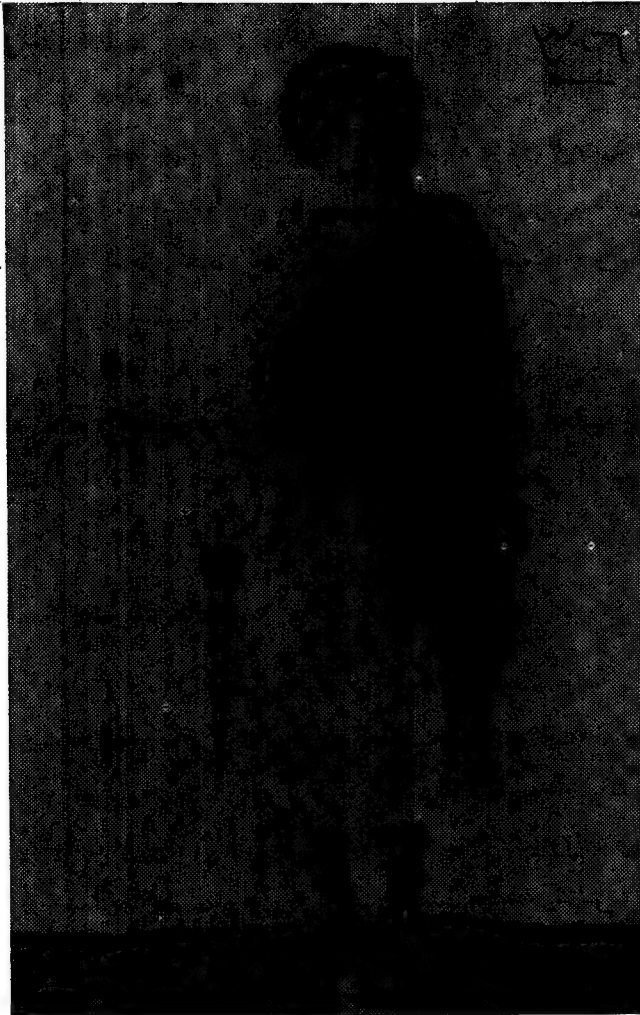
أرسلت سفينة شراعية يسير دفتها فدائيون من البحارة وعلى رأسهم شخص يدعى (محمد غانم) فأرست في جهة من مرسى (القوز) ونزل رئيسها مع أحد مرافقيه إلى صبيا وتمكن سرّاً من الاتصال بالأسير ودبر معه الأمر — ويقال : إنه تمكن من رشوة بعض حرس القلعة . كان موضع سجن الأسير في البرج اليماني الغربي من القلعة وليس له سوى باب واحد من الشمال والحراسة مشددة على الباب ليلاً ونهاراً وعمارة القلعة قديمة من الطوب المحرق والحجر الأسود والطين .

فدبر الأمر بأن يحدث الأسير ثقباً في حائط البرج الذي يطل على ساحة خالية وسبيل عام وكل ما تمكن من إخراج طوبة أو حجر من المماسك بالطين أعاده في وضعه صورياً وحاول العملية في غيره سراً من الاكتشاف ودأب الأسير أياماً حتى انتهى من إحداث الثقب المطلوب فأشعر منقذه الذي كان على اتصال به — فحدد الوقت وأحضر المنقذ (حماراً) أبقاه بمقربة من البرج وعند أذان المغرب — وحرس القلعة مشغولون بتأدية المفروضة

انزع الأسير الطوب والأحجار - الموضوعه صورياً - وأخرج نفسه بكل جهد من الثقب فتلقفته يد المنقذ ومرافقه وأركبوه (الحمار) المعد . ودثروه برداء وأخذ أحدهم بعصده الأيمن والآخر بالأسير كأنه مريض دنف لا يستطيع أن يحتفظ بنفسه على ظهر الحمار ومن ثم ساروا في غبشة الظلام في تودة وكل ما صادفهم رجل من المارة - نباه قائلين أبعد لا تحرق معنا مجدور ، فيجفل المار راجعاً على عقبيه لأن مرض الجلدري في ذلك العهد كان يقع بشكل وباء ممحق مخيف تفقر القرى من وبائه المميت - وبذلك الصورة أمكنهم إيصاله إلى السفينة وأقلعت في التو، وفي الصباح اكتشف الأمر فبشت الأرصاد والعيون وسار الطلب الحثيث إلى كل جهة وخرجت سفن من (جازان) لتعقب السفينة في اليوم الثاني . ففاتتها ووصلت السفينة إلى (الحجية) فاستقبلت من الأتراك وأخيه بالابتهاج ، وكان استخلاص الأسير على تلك الصورة - فوزاً معنوياً لـ (هيج) و (غالب بك) القائد التركي .

رجلا جنوب تهامة :

يؤثر عن الإمام الإدريسي أنه قال : رجلا جنوب تهامة : يحيى علي ثواب ، وهادي هيج - وكلا الرجلين سيد قومه وزعيم جهته وقبيله . محترم المكانة نافذ القول مطاع الرأي . ويتسم الأول بالشجاعة والشهامة والثاني بالدهاء والسياسة وبينهما تنافس قوي ككل زعيمين يتجاوران ويتعاصران . وقد أشرنا أن الأول قد انضم إلى الإدريسي وسهل لجيشه الدخول إلى (عبس) ونرى بعد ذلك كما سبق في الفصل الخاص بالعمليات الحربية في الجنوب - أن الزعيم يحيى علي ثواب يشير على القائد الإدريسي الشوكاني بالانسحاب من مركزه - ويضطر القائد إلى الانسحاب ونفير الأتراك يقرع أذنيه . وبطبيعة الحال أن الأتراك رأوا أن مصلحتهم استماله ذلك الزعيم القوي في الرجوع إلى جانبهم . ويرى بعض من عاصر ذلك العهد أن تلك الخطة التي تمت بإرشاد ومشورة (الهيج) وأنه كان متخوف الجانب من سبق منافسه لاتصاله بالإدريسي ، مما يجعل له الأفضلية والأولوية في النفوذ متى بسط الإدريسي نفوذه على الجنوب واحتلت جيوشه التي مركز قيادتها في بلاد



هادي هيچ

عبس ومشاركة ذلك الزعيم بنفوذه وقبائله في سبيل فوزها — وقد أدرك الآن الهيج من مجريات السياسة وتفوق حلفاء الإدريسي الذي خاض الحرب في جانبهم أن ساعة (الأتراك) قد دنى حينها فأشار بما سبق ليكون موقف منافسه من نمط موقفه ، وعلى كل فقد انسحب الجيش الإدريسي من عند يحيى علي ثواب ودخل الأتراك (الرنف) وأصبح منافسه في صف الأتراك . فاحتدم الإدريسي غيظاً واشتد سخطاً على منافسه . وأصبح هو ومنافسه مشتركين في عدااء الإدريسي .

ساق (الإدريسي) الجيش تلو الجيش على (يحيى علي ثواب) فأمدّه الأتراك بالموّن والعتاد فجذب في المقاومة حتى اضطر الإدريسي أن يبعث إلى بلاد عبس الجيش بعد الجيش بدون فائدة تذكر ولا نصر يتحقق فخفف بذلك الضغط على الأتراك و (هادي هيج) و (قبائل الواعظات) وبذلك أصبح الهيج أهون على الإدريسي من موقف منافسه ، لأنه لم يرحب بالجيش (الإدريسي) أو يدخل تحت طاعته المباشرة كما أشرنا قبله — بل اتفق معه على أن يبذل قصارى جهده سراً في حدود إمكانه لمساعدة ثورته .. الخ .

كان (الإنكليز ^(١)) يستعجلون (حليفهم الإدريسي) في تشديد الهجوم على (الأتراك) وإلحاق الهزيمة الساحقة بهم فطالبهم بالمزيد من العتاد والمساعدات المادية ولمح لهم عن « الهيج » وما يلعبه من دور مع الأتراك بقبائل مورو الواعظات ، وهم على علم ودراية بكل رجالات تهامة وإدارة استخباراتهم في عدن وفرعها في جزيرة كمران حديثاً — حينذاك تُؤاَفى بأدق الحقائق فاتصلت إدارتها به (عدن) وكتبت (للهيج) تستطلع ما وراءه وهل هناك له مطعم في مشيخة كشيخات الحميات وكان استطلاعاً غامضاً . شأن سياستها الاستعمارية (التقليدية) . إلا أنه كان كما يظن — بعيداً عما تعتقده فأجابه بما يفهم منه أن الإدريسي يريد منه محاربة الأتراك في جانبه وليس له القدرة على ذلك والأتراك باسطون نفوذهم على اليمن وأنه رجل لا يستعجل

(١) أفادني ذلك مواطن معمر مطلع على سياسة ذلك العهد .

الأمر وقد رحب بتأييده سراً فلم يرض منه بما يقدر عليه وباشره الحرب والمهجوم على قبائله فابتدرت الأتراك لصدد هجوم جيشه ولم يسعه إلا مساعدة الجيش التركي كما طلب منه ، وفهمت الإدارة الإنكليزية أن الرجل لا يطعم في أكثر من مركز ممتاز المنزلة قانع بزعامته القبلية تحت من يتولى أمر تهامة فطمأنته من جانب الإدريسي وأشارت إليه بالتقرب منه وأنها رجت (الإدريسي) بشأنه — واكتفت بتقديم جميل سياسي قد ينفعها مستقبلاً .

وأفهمت الإدريسي بما ينبغي من استمالته وتم كل شيء ، وصادف ذلك نهاية الحرب وتلاه صدور أوامر الأستانة بالانسحاب عن طريق (الإنكليز) فبادر (الهيج) باستدعاء قائد الجيش الإدريسي المعسكر على مقربة من حدوده وسلمه جهته وحافظ على من في جهته من الأتراك — بحجة الخوف على حياتهم من متخلفة القبائل — وسلمهم لقائد الإدريسي وبذلك أصبح في طليعة أنصار العهد الجديد .

ويقول البعض بأن (الهيج) عندما استألت (الأتراك) (يحيى علي ثواب) عاهده بأن يكونا يداً واحدة في جانب الأتراك ضد الإدريسي وألا يعقد أحدهم صلحاً منفرداً معه بدون إشعار الآخر ، وإطلاعه مقدماً وعندما دخل الأخير مع (الأتراك) وتخلّى عن الإدريسي ترك عبء القتال عليه بصفته أصبح في الخط الأول ، ثم عمل الهيج إلى المصالحة مع الإدريسي كما أشرنا إلى استدعاء قائد الجيش الإدريسي . . الخ .

وعندما علم يحيى علي ثواب بالنهاية أسقط في يده وتفرق عنه أغلب قبائله فاضطر إلى الاختفاء والتوجه إلى (المراوعة) لدى منصبها الذي رجا الأمير مصطفى الإدريسي في الشفاعة له لدى الإمام ثم توجه إلى (صيبا) ففني عنه

لم تفلح شفاعة منصب المراوعة فظل مختفياً — وكان الأتراك قد انسحبوا والإدريسي قد أصلر أمره على قواده بسفك دمه أينما وجد ، وأخيراً توجه سراً إلى صيبا ورابط في ضريح أحمد بن إدريس ، مستجيراً —

كما هي العادة في ذلك العهد ، وبلغ الإدريسي بذلك فأرسل له بالأمان .
والشيء بالشيء يذكر وهذه تذكرني بحادثة أدبية وقعت في العصر
الأموي فقد فرض الحجاج بعثاً للغزو مع القائد المسمى تميم بن زيد ،
وكانت امرأة من العرب لها ابن واحد اسمه (حبيش) جنّد في البعث فجن
جنونها فأشار عليها من أشار أن تقصد قبر غالب والد الفرزدق — وكان
الفرزدق معظماً لقبر أبيه ففعلت المرأة ذلك وأخذت حفنة من تراب القبر
وصلت بها إلى الفرزدق وأخبرته بحالها فكتب الفرزدق الأبيات الآتية إلى
أمير الغزو :

تميم بن زيد لا تؤخر حاجتي	رويداً ، فلن يخفى عليّ جوابها
أنتني فعاتد يا تميم بغالب	وبالحفرة السافي عليها ترابها
فهني حبيشاً واغنم فيه منة	لعبرة أم لا يساغ شرابها
وقد علم الأقوام أنك ماجد	وليث إذا ما الحرب شب شبها

فوصلت الرقعة إلى تميم بن زيد ، وكانت كلمة (حبيش) غير معجمة
فقال لأحد رجاله : انظر في المعسكر من كان اسمه حبيش أو خنيس فأتني
به فوجد ستة بالاسمين فقال تميم بن زيد : ابعثوهم إلى الفرزدق يأخذ منهم
صاحبه واثنوني بالباقيين .

ولأنما لم يترك له الزعامة العامة على (عبس) كالعادة بل على النصف
لأن النصف الآخر شعر بأن الإدريسي يشجعه على الانفصال ففعل وقد
توفي عام ١٣٤١ أي في السنة التي توفي فيها الإدريسي .

وأما (الهيج) فقد ظل في المكانة الأولى بين زعماء القبائل في عهد الإمام
الإدريسي وكذا في الدور الأول من عهد خلفه . وقد لمس ما لمس من ضعفه
وتوسم كما توسم غيره في نجاح أمر (مصطفى الإدريسي) وإنما لم يتسرع
أو يتورط إلى النهاية فاحتفظ كما هي عادته — لنفسه بحرية العمل في الوقت
المناسب وفعلاً ما وصل جيش الإمام على الإدريسي وهزم طليعة (مصطفى)
في أبي حلق واستطلع (القائد) رأيه حتى بادر بالإجابة وانضم إلى كتائبه

واشترك برجاله — كما أشرنا إلى ذلك قبله مفصلاً — وإنما الإمام الجديد عزم أن يجعله في قائمة المنفيين فعاد من الجديدة — التي كان فيها مع القائد الجديد — إلى جهته متعللاً بالمرض . ومن هناك أخذ في المطاولة والاعتذار وهو يتحين الفرص وعندما أدرك جدية الطلب استعد لصد أي هجوم يباغته ، وهو يعلم أن الدولة الإدريسية في حالة احتضار واتصل من الجهة الأخرى بالحكومة المتوكلية وعمل جاهداً لتمهيد سبيل ضم القبائل المجاورة له إلى حظيرتها أما هو فقد طمأنئها بأن الذي يمهّد السبيل في أرض غيره من القبائل لا يفعل ذلك إلا عن إخلاص وولاء وسوف إذا انتهيت من كل من هو حولي استدعيتكم .

وبطبيعة الحال أنها السياسة المرنة فهو يرغب في الإدريسي أكثر إلا أن أمر النفي أرغمه إلى تلك الخطوة وهو كما هي عادته يريد ليرى الإمام الإدريسي أن من حوله من القبائل قد نقض طاعته وهم أقل منه حولا وطولا فإن ظفر من الإدريسي بالترضية ولمس منه القوة على استنقاذ ما ضمنه (المتوكلية) كان معه بطبيعة الحال فإن طريق الجيش عليه ولا بد من تسوية الأمر معه قبل أي تقدم وإذا كان الإدريسي من الضعف بحيث يعجز عن استنقاذ تلك القبائل فهو قد تقدم بمساعيه لدى الدولة المتوكلية وأسلف لديها إخلاصه وسيكون المتقدم باستدعاء جيشها متى انتهى من المشاغل التي أشغلهم بها .

ولتقف هنا من حياته .

النائب الجديد :

دخل الجيش الجديدة في أواخر رجب عام ١٣٤٣ واستلم قائده (عبد المطلب بن هارون) زمام الإدارة كنائب (الإمام) ووصلها الإمام بعد ذلك بأيام وأجرى الترتيبات — التي سبق الإشارة إليها — وبعد أن أبعد الوزراء ورجال الدولة بعث في طلب زعيم قبائل (الواعظات) هادي ميج فاعتذر ثم تكرر الطلب فاطل فكلّف عليه فرفض فبعث (الإمام) قوة لسوقه فقاومها ولم تستطع أداء مهمتها فظلت مرابطة على حدود الواعظات — وكان كما أشرنا — قد اتصل بالحكومة المتوكلية ومهدت اتصالاته ودهاؤه

على استيلائها على البلاد الإدريسية التي حوله وقفت جيوشها على حدود بلاده .

أما في (عبال) و (بني سعد) وما يليها جنوباً وشمالاً فقد أخذ التغلغل السياسي المتوكلي يمتاحها من بعد ثورة (مصطفى) حتى عصف بالنفوذ الإدريسي وضمها وأخذ على العمل في ضم غيرها واستمر الغزو السياسي يتلوه الاحتلال الفعلي ، ولم تمض ستة أشهر على تبوء النائب الجديد إلا وقد تغلغت الجيوش المتوكلية في الداخل على طول خط الحدود بين ٣٠ - ٤٠ كيلاً ، بدون حرب أو قتال وأكسبها هذا الانتصار السهل وعجز الدولة (الإدريسية) وعدم تحركها فوزاً حريباً ومعنوياً في نفسية زعماء القبائل ، دعاهم للارتقاء في أحضانها والتدافع لنيل الزلني فسارع المتأخر وتقدم المتردد فوق ذلك وعمل الاغراء والبذل ما ذلل الصعاب ومهد العقاب وأذعن الرقاب .

ولم ينتصف الشهر السابع إلا ونائب الإمام يرى نفسه في دوامة من حرب الأعصاب ، غرق في خضمها منهار النفس محطم المعنوية وأفقده كل أمل توارد بقية العمال والحاميات إلى الحديدة ، مرجفين بأن الجيش المتوكلي على أثرهم لمهاجمة (الحديدة) فركب سفينة شراعية ناجياً بنفسه من لاشيء إلى (جازان) .

الفراغ :

أصبحت مدينة (الحديدة) بدون حاكم ولا حامية وساد الهرج والمرج فتبرع رجل من (الشطار) يدعى (إدريس) من أهل الحديدة أو من أهل باديتها - تبرع بالقيام بوظيفة محتسب وضرب على يد العابثين فهدأت الحال نسبياً وأفاق رجال الحديدة من الصدمة المفاجئة فساعدوه في مهمته ومن ناحية أخرى فالجيش المتوكلي على مسافة ثلاثين كيلاً ، منهم - وكان قائده (عبد الله بن الوزير) بعيد التقدير حاسباً كل حساب لأمر احتلال الحديدة وما سيقف من عقبات ودفاع ، جاد دون احتلالها بل قد يتعدى إلى استنقاذ الأقسام المحتلة ، فما راعه إلا ورود مندوب أهل الحديدة يرجونه الاسراع لدخول المدينة . فدخلها في اليوم الرابع بعد أن ظلت ثلاثة أيام شاغرة الإدارة

خالية من كل وسائل الدفاع أو من يدير أمر الأمن إلا ذلك (الشخص) .

دخلها (عبد الله الوزير) صباح اليوم الرابع سلماً وأخذ في ترتيب إدارتها فبلغه مايقوم به ذلك الرجل من حسم الخلافات وفض المنازعات في الأسواق فظن أنه من (الأدارسة) فبعث قوة من رجاله اقتادت الرجل وعندما مثل بين يديه سأله أنت إدريسي فقال له الرجل : أنا رجل من أهل البلاد لا من الأدارسة وبعد أن فهم حقيقة أمره أطلق سراحه .

ولي عهد اليمن وابن الوزير :

ولي العهد في حجة يدير حركة احتلال القسم الشمالي وابن الوزير في الجنوب على رأس القوات الزاحفة لاحتلال القسم الجنوبي فسلم ابن الهيج منطقة (وادي مور) إلى (اللحية) لقوات ولي العهد كما احتل ابن الوزير من باجل إلى (الزيدية) فأصبح الشطر الجنوبي من المملكة الإدريسية بأسره تحت راية الدولة المتوكلية وبادر شيوخ عبس فلحقوا بمن سبقهم .

استفاعة المذهول :

تواردت الأخبار على الإمام علي الإدريسي ، وهو غاط في غفلته ، فهزته هزاً عنيفاً فهب كالنائم المدعور ، وقد علم بسقوط (الحديدية) وفرار خاله . فركب سيارته مستصحباً خاله الثاني (محمد هارون) وخادمه الخاص (منصور يامي) قاصداً الالتقاء بخاله في الجنوب أي في (الزهرة) أو (اللحية) فيلومه على الفرار ويأمره بالتوقف في الجهة التي يجده فيها لينبأ بهيئ وسائل الدفاع — كما يتخيل له ، وإلى سيره من جازان إلى (ميلدي) ومنه إلى (اللحية) حتى إذا أضحى على بعد ميل واحد منها — وكان الجيش المتوكلي قد احتلها — استغرب حرس القلاع قلوب السيارة من الناحية الشمالية فضرب لها (النفير) إنذاراً بالتوقف فلم تقف فأعقبه لإطلاق النار وخرج الحرس لمطاردتها عند ذلك تنبه (الإدريسي) قائلاً (الجبالية ^(١) دخلوا اللحية) فأسرع السائق بإدارة دفة السيارة وأطلق السرعة النهائية فكانت نجاته أعجوبة .

(١) نسبة إلى الجبال اسم يطلقه أهل جهتنا على أهل اليمن الأعلى .

العودة إلى ميدي :

لم يتعظ بحماقته تلك فبعودته إلى ميدي أمر حالا باحضار (هوري) قارب صيد الأسماك — وركبه على جناح السرعة مع مرافقيه واثنين من الملاحين قاصداً جزيرة (كمران) — جنوب اللحية — أي أن طريقه سيمر بمياه الموانئ التي احتلت وهي اللحية — الخوبة — ابن عباس — وفي وسع الحاكم المتوكلي في أحدها إركاب ستة جنود في قارب يقضون على حياته أو العودة به موثقاً .

خرج (القارب) من (ميدي) متجهاً جنوباً صوب (جزيرة كمران) وفوق مدينة (اللحية) التي — بالموكب المشؤوم — خاله ونائبه (عبد المطلب) وبعض رجال الحاميات والقادة تنقلهم سفينتان شرعيتان — في طريقهم إلى جازان — فأدنى (القارب) منهم وفهم منهم ما أراد وأمرهم أن يسبقوه إلى (جازان) وتابع سفره .

الإمام على الإدريسي يدخل كمران في قارب الأسماك :

وصل فاستغرب حاكمها الإنكليزي قدومه على تلك الصورة — وإلا فهو على علم بكل شيء — وبعد المقابلة طلب منه السماح له بالاتصال بـ (لندن) برقية وأبرق إلى حكومتها شاكياً طالباً المساعدة فكان الرد فاتراً مقتضباً . ويقال : إن حكومة (لندن) كانت على سابق اتفاق ورضا للوضع الجديد وأنها وافقت على غض النظر لقاء تجميد الوضع في المحميات . فعاد إلى (ميدي) وذلك في شهر الحجة عام ١٣٤٣ هـ .

آخر سهم في الجعبة :

عاد إلى (ميدي) فوجد خاله ينتظره فيها بدلا عن (جازان) كما وجد غيره من فلول الحاميات وعمال الجهات المكتسحة ومنهم :

١ — خاله ونائبه عبد المطلب .

٢ — يحيى الدوشي قائد منطقة (الزيدية) .

- ٣ — عمر البار عامل وادي مورو (الزهرة) " .
٤ — أحمد طاهر زيلع قائد القوات في بلاد بني نشر .
وهناك استقر رأيه على جعل خط دفاع في قرية (جبل) ومركز تجمع
لبذل آخر مجهود لا استعادة مافات .

قرية جبل :

تبعد عن مدينة (ميدي) بثمانية عشر كيلا تقريباً . جنوباً فجعل منها
خط دفاع ومركز تجمع وولى خاله ونائبه (عبد المطلب) القيادة وعاد إلى
(جازان) وأخذ في حشد الرجال وعندما تكون له شبه جيش أمرهم بالتقدم
إلى مركز أبي حلق وكدف (البتري) ، وشعر (الهيج) بتقدم الجيش
الإدريسي إلى (أبي حلق) فخشى أن يكون وراء الرماد وميض نار ،
فاتصل بالجهات العليا المتوكلية — التي قد بعثت قواتٍ رابطة على مقربة من
الجيش الإدريسي — ورغب إليها في الاذن له في جس النبض وطلب وصول
مندوبين إليه من الإدريسي للتفاهم معهم حول :

١ — إقرار الأمر الواقع أو تجريد الأوضاع الراهنة إلى أمد . بعقد هدنة
بين الطرفين وعدم اعتداء موقت .

٢ — يحافظ كل من الطرفين على ماتحت يده . حتى انتهاء المفاوضة .
فأرسل إليه الإدريسي مندوبين ولم تسفر المفاوضة عن نتيجة ، وكان
في تلك الأثناء العمل جارياً من المتوكلية في الحشد من جهة ومن الأخرى في
تبديد الجيش الإدريسي المتجمع بشتى الوسائل ونجحت الطريقة الثانية وتفرق
أكثر الجيش فعاد قاداته ومن بقي إلى (جبل) .

وأخذ الإدريسي في الحشد من جديد وسوق ما أمكنه من المؤن والعتاد
إلى مركز (جبل) وظل يومياً يمتطي سيارته في الساعة التاسعة صباحاً فيصل

(١) أثار هادى هيج موجة من حرب الأعصاب وإثارة القبائل ضد العامل المذكور ثم بعث
إليه رحيمة ابن عمير ينصحه بالخروج ويتولى بزعمه خفارتة من المتربصين إلى قرب ميلى ففعل
ونجحت الخطة .

(حبل) عصر أويتفق به (خاله وقائده)^(١) إلى الساعة ٥ ويعود إلى (جازان) واستمر على ذلك خلال شهري صفر وربيع الأول عام ١٣٤٤ وأيام من ربيع الآخر .

يحيى ثابت حكيم :

هو مدير مالية (ميدي) استدعاه^(٢) الإمام علي إلى (جازان) وأبقاه هناك ، شعر بأنه سجين سياسي فظل أياماً ثم تلطّف في طلب الإذن لمزاورة عائلته به (ميدي) ويعود فسمح له . فتأخّر أكثر من الأيام المسموح له بها فطلبه فاعتذر بالمرض فصدر الأمر على عامل (ميدي) بإشخاصه فهاطل وكأن (الإمام علي) علم عن اتصالات له به (اليمن) فاستخفه الطيش . وفي عشية من عشيات عودته من رحلاته إلى (حبل) — على أثر مازوده خاله من معلومات عن نشاط اتصالاته ، مر بسيارته على بيت (يحيى ثابت) وعند باب الدار أمر عبيده^١ باقتحام الدار والقبض عليه .

كان المذكور قد علم بقصد الإمام فاحتاط للأمر باستثارة حمية ابن أخته علي بن ربيع زيلع الذي يستند إلى مركز أبيه وعصبيته فأخذت الشاب النخوة والحمية فطمأن خاله ورابط من داخل باب الدار مع بعض مواليه ورفقائه وعند توقف السيارة ونزول العبيد لاقتحام الدار بادرهم بإطلاق النار فترجعوا إلى الوراء وتبادلوا معهم الرمي . وعلى أثر دوي الطلقات ارتجت المدينة وأقبل الرئيس ربيع علي الذي كان في داره القريبة — وهو على علم سابق — فازعاً — وأقبل الرئيس الأول أحمد طاهر زيلع ووجهاء المدينة فابتدر (ربيع علي) رامياً بنفسه بين يدي الإمام معتذراً ومستعظفاً بالتوقف وباذلاً نفسه في إخراج (يحيى ثابت) من الدار وفي أثناء تلك (الدراما) التمثيلية أخرج (الشاب خاله) متكرراً من باب خلفي فأخذ ربيع علي العبيد ودخل بهم

(١) كان يوقع على الأوامر خال الإمام ويضع تحت ذلك اسمه ويقال أن أحد مشايخ القبائل — وهو ممن يستنكر أن يكون مثل عبد المطلب على ضعفه وسداجته قائداً ونائب الإمام جعل في أحد الأوامر تاء مربوطة فصارت حالة الإمام .

(٢) استدعاه حين علم بصلته سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى في « حجه » .

إلى الدار فلم يجدوا الرجل فعاد الجميع إلى الإمام المنتظر في السيارة ورجاه (ربيع علي) والحاضرون في إعطائهم الوقت الكافي للبحث عنه وعاد الإمام في ليلته إلى (جازان) ، أما يحيى ثابت فقد خرج — كما أسأفنا — إلى دار أخرى ومنها أرفقه ابن أخته بمن يوصله إلى بلاد بني حسن من عبس — التي قد احتلها الإمام المتوكل وبوصول رجال المتوكلية أشار عليهم بخطة العمل ومهد لهم في الاتصال بسعيد صاحب جبل وبربييع علي وغيره في ميدي ولم يمض شهر حتى تم الاستيلاء على جبل .

الهجوم :

دُبر الأمر مع سعيد بن مسعد ، وسوى كل شيء وفي ليلة الهجوم تقدمت بعض القوات المتوكلية فأدخلها إلى أحد قصوره التي تقابل قصره الذي فيه (عبد المطلب) وفي الصباح الباكر أقبل على جبل قسم من الجيش وتقدم وقد مهده السبيل إلى طرف البلدة ، وأطلق دفعة من الطلقات وضرب النفير فأجابه من قد سبقه إلى القصر بالمثل ، وانبرى السلاح الخامس على جناح السرعة يوزع النصائح ، ويشير على الجيش الذي أفاق مذعوراً بالنجاة ويدله على اللرب الأمين وينفخ المتردد فما شاهد الجيش أوائله تتسلل حتى تبع الآخر الأول ، وفي تلك الأثناء طلع من طلع إلى القائد قائلاً له : انج بنفسك (سعيد) باع القرية و (الجبالية) في قصره من الليل وأصحابهم قد سمعت نفيهم في أطراف القرية فأسرع نازلاً من القصر لنحو الاسطبل الذي سبقه إليه (السائس) ليعده (حصانه) ولم يضع رجله في الركاب حتى أرداه طلق ناري من أحد دور (سعيد) من أحد أبنائه فأطار مصرعه بصواب بقية حرسه وبقية الجيش ولم تمض نصف ساعة إلا ولا يوجد في (جبل) فرد من أفراد الجيش فنزل من رتبوا من الليل ولاقاهم القصادمون واستولوا على ما وجدوه للإدريسي واتخذوا من قصور سعيد حصوناً للدفاع فيما لو هوجموا .

رئيس ميدي الأول أحمد طاهر زيلع :

وصل الخبر إلى ميدي فسارع رئيسها أحمد طاهر زيلع باستصراخ قبيلته ومن استجاب لداعيه متقدماً به إلى (جبل) وهو يعلم أن احتلال جبل الخطوة الأولى لـ (ميدي) أولاً والقسم الباقي من الدولة الإدريسية ثانياً - ورفع للإمام (علي الإدريسي) بالواقع وبما أقدم عليه واستمده الأسلحة والرجال . وسار من يومه وضرب نطاق الحصار على جبل وضيق عليها الخناق أياماً فبعثت الحكومة المتوكلية حملة قوية ففكت نطاق الحصار وعززت موقف القوة الأولى فتخرج موقف (أحمد طاهر) - وكان الإدريسي آنذاك مشغولاً بصدهجمات الجيش المتوكلي من الجهة الشرقية في (الحُرث) و (شذا) وتأزم الموقف بينه وبين عمه أضف إلى ذلك قلة الذخيرة والمؤن وضعف التدبير - وخشى أحمد طاهر من قدوم قوة تقطع عليه خط الرجعة فراجع ورابط في (الكدف) بين (جبل) و (ميدي) .

عودة يحيى ثابت :

في أثناء حصار أحمد طاهر لـ (جبل) خرج ذات يوم من أحد الحصون (يحيى ثابت) وقصد رحيمه ربيع علي زيلعي أو ابنه في المعسكر . وتم الرأي على التقدم إلى أحمد طاهر مستمعيه العفو للمذكور والتوسط لدى الإدريسي في الصفح عما سلف وأن يعود الرجل إلى داره وعائلته وأن في بقاءه عند رجال الإمام المتوكل ما يعود بالضرر على الموقف الحربي بصفته على علم ودراية بكل ما يهم (العدو) إلى غير ذلك .

القصد - معروف من وراء ذلك - فإما السماح له بالعودة إلى داره أو التصميم على القبض عليه وسجنه وهناك ينصدع المعسكر إلى فريقين الفريق المؤيد لأحمد طاهر والفريق المؤيد لربيع علي وربيع علي نفسه مائل في كفة الدولة المتوكلية ، والأمر يكاد أن يكون مجزوماً به بسقوط (ميدي) فقط الموضوع يتوقف على خطة تختصر بها الوقت ويقتصر الأمد ، وهذا هو محور الخطة لعودة يحيى ثابت .

وقد اختار (أحمد طاهر) ما رآه أهون مغبة — في نظره — وإن كان ليس في الأمر خيار فسمح للمذكور بالعودة إلى داره .

الخط الثاني :

بعث الإدريسي بعض المدد فلم يُغْنِ شيئاً وأخيراً أرسل (مدفعاً) قوياً وكان يزوده بالقذائف يومياً في السيارة مع قليل من الذخيرة للمقاتلين . إلا أن عبء القتال أصبح على عاتق أهل (ميدي) ولم يجد المدفع في عدة حصون وهو من المدافع التركية القديمة ودارت في الخط الثاني معركة حامية كان المهاجم من الجانب المتوكلي الذي ارتد بعد خسارة تذكر .

وعملت الخيانة والرشوة في المعسكر الإدريسي ما بدد الجمع وفرق الكلمة ومن وراء ذلك (الطابور الخامس) في ميدي ، وأصبح ذات يوم أحمد طاهر لا يجد في المعسكر إلا اقرباء الأدين فاضطر إلى الانسحاب وسحب المدفع إلى ميدي واستعد للقتال في المدينة . وإنما أكثر أهل المدينة وعلى رأسهم ربيع علي وتجارها وعلى رأسهم (إبراهيم شريف رفاعي) قد اتفقوا على ادخال الجيش المتوكلي . وجرت الترتيبات اللازمة وفي ليلة ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ دخل الجيش المدينة وتلقاه غير واحد خارجها ووزعوه في دورهم وتبادل إطلاق النار مع أحمد طاهر وأنصاره .

أحمد طاهر يقاتل في المدينة :

على أثر عودته استعد في داره وكان معه علي بن أحمد حكيم ، رئيس قبيلة الحكامية وصل لمساعدته ورتب أحمد طاهر أخاه في قصر باصهي المقابل لقصره من الناحية الشرقية وجعل بعض أقاربه في القلعتين الشرقية والغربية وعند دخول الجيش تبادل معهم إطلاق النار من نصف الليل إلى نصف النهار فسلم المدافعون الذين في بيت باصهي وعند الظهر انسحب خارجا من ميدي ومعه علي بن أحمد حكيم فوصل الموسم ومنه قصد الإدريسي في جازان .

وبعد احتلال ميدي مباشرة احتلت مدينة (حرض) .

في الميدان الشرقي :

وفي جميع تلك الأدوار سرى نفس التيار في المنطقة الشرقية الجبلية وفي مرحلة الغزو كان لها نصيبها من الغزو المسلح واقتحم الجيش المتوكلي بقيادة (العوامي) جبل (شذا) وما حوله فثارت ثائرة قبائل المخلاف السليماني على احتلال تلك المرتفعات المطلة على موطنهم ، ومرتاد رعي مواشيهم ، ومنتجع أنعامهم ، فصدر أمر الإدريسي على تلك القبائل بالتقدم لصد المهاجمين وبعث (حسين مصطفى) ليتولى قيادتها وهم :

١ - قبائل أبي عريش بقيادة محمد فتح الله اسحاق وأبي عقار .

٢ - قبائل المسارحة بقيادة علي بن أحمد فقيهي .

٣ - قبائل الحرث .

٤ - قبائل العبادل .

فسار حسين مصطفى وعسكر في (خميعة) و (السلب) ومن معسكره نظم خطة الهجوم على الوجه الآتي :

١ - قبائل (الحرث) من الناحية الجنوبية - الجناح الأيمن .

٢ - قبائل أبي عريش والعبادل في الجناح الأيسر .

٣ - قبائل المسارحة وبني حمّد وبني شليل في القلب .

وتقدم كل من جهته ونشب القتال واستمر ثلاثة أيام وانهزم الجيش المتوكلي ، واستعيد الجبل .

ومضت أيام معلودات وتقدم جيش متوكلي بقيادة شخص يدعى (حميضة) وداهم (بلاد بني الحرث) وبلغ في تقدمه قرية (قوا) وتنادت قبائل (الحرث) و (المسارحة) وتقدمت لصد المغيرين من كل جانب فراجع الجيش المهاجم بعد أن تكبد خسائر في الأرواح وقتل قائده (حميضة) .

نظرة سريعة :

أشرنا قبل أنه بعد محاولة إلقاء القبض على الإدريسي — في ليلة الاحتفال ،
المار ذكرها — أصيب بعقدة نفسية أثرت على مجرى حياته وأخذ أثرها
يتزايد مع مرور الأيام وصادف أنه لمس من بعض مماليكه الاخلاص
والاستعداد للتضحية — إن لزم الأمر — في تلك الليلة . فخطر له من حينها
اقتناء عدداً منهم يكون بمثابة حرسه الخاص فاشترى واستقبل من التجأ إليه
فأراً حتى زاد عددهم على المائة فسلحهم بأحسن ما لديه من سلاح ووسع
عليهم في المصارفات حتى إذا أخذت معينات إيرادات الدولة في النضوب
باقتطاع اليمن ، للقسم الأوسع والأخصب لم يجد ما يقوم بسد ما يعتادون
فأخذوا في انتشار ما تصل إليه أيديهم ثم تبادوا إلى مهاجمة حوانيت الباعة
في (جازان) والسطو العلني .

الخنديق :

وفي أثناء احتلال اليمن شعر من الناحية الأخرى أن عمه يتحضر للوثوب
ومهاجمة (جازان) وابعاده عن إمامته فقام بحفر خندق حول مدينة (جازان)
لحماية نفسه بزعمه — وكأنه قانع من ذلك الملك المتسع بمدينة جازان .

وساق العمال للحفر من الناحية الجنوبية (العشما) مبتدئاً من شاطئ البحر
متجهاً شمالاً ومن الناحية الشمالية ابتداء من الشاطئ الشمالي عن المطلع ولا تزال
آثار ذلك الخندق بقسميه ماثلة إلى هذا التاريخ ٥

الورشة :

وقام بتشيد عمارة في جهة (الجبلي) على الشاطئ ، كمصنع لإصلاح
السلاح وتبديل الخراطيش وتوقف لعجزه المالي وظروفه الحرجة عن
موالة أتمامها وهي على مستوى العقود — وقد ظلت على تلك الصفة حتى
١٣٥٨ فسقفها الحكومة وجعلتها مدرسة ابتدائية وقد جددت بناءها في عام ٧٢
على الصورة الراهنة — وتكاليف حفر ذلك الخندق وعمارة ما أراده مصنعاً
استغرقت ما تبقى من صباية مال .

رجال الدولة المبعدون :

أبعد علي الإدريسي الوزراء ورجال الدولة إلى (عدن) — كما سبق الإشارة إلى ذلك — وقد كان علي يحيى زكري حكي دين تجاري كنتيجة لانهار أسعار (الجلود) بعد الحرب العظمى الأولى . للتاجر العدني محمد بن محسن الصافي ويقال : إن الصافي قطع التعامل مع (الزكري) ولم تستأنف العلاقة التجارية بينهما مما يساعد على انعاش أحوال الأخير المالية والرجل له مركزه في الدولة الإدريسية فظل الصافي يطالب — بطريقة المكاتبه — الفينة بعد الفينة في دينه المنكسر والدين جسم بالنسبة للقيمة الشرائية — الملك العهد — ولا يعينه على الأخذ في سداده إلا استثنائه للنشاط التجاري وليس لديه سوى عقار زراعي هو كسب العمر ومورد لسد وتغطية مصروفاته الكثيرة وما يترتب عليه من واجبات في مجتمعه ، لذلك أخذ في الاعتذار المهذب .

وجاء أمر الابعاد فردد (يحيى زكري) في السفر إلى (عدن) خشية من مطالبة ذلك (الغريم) وكتب للصافي من أراد التوسط ووعده الصافي وعداً يفهم منه أنه لن يقاضي (الزكري) أو ما هو في معنى ذلك من كلام يدل على التطمين بدون وعد قطعي . وتوجه الزكري ، مع رفقائه إلى (عدن) وهناك أثبتت المسئلة لا في محكمة (عدن) وإنما في جو خاص وسوي الموضوع بواسطة رفقاء الزكري لصالح (الصافي) — طبعاً — ظاهراً — حفظ كرامة الرجل والحرص على سمعته — وحقيقتها حجز جميع ممتلكاته ونقلها إلى ملكية الصافي ماعدا ثلاث مئة معاد أوما هو في حدودها تبقى للعائلة ويبقى العقار خلال حياة الزكري تحت يده — وقيل إن لمحمد يحيى باصهي مالا كثيراً الصافي في تلك التسوية وأثر على بقية الرفاق حتى أثروا بدورهم على (الزكري) ورضخ لتلك التسوية ووقع رفقاؤه على الوثيقة بشهادتهم كما وقع هو ومجملت في سجل محكمة (عدن) .

مكث أولئك الرجال في (عدن) بضعة شهور وهم يترقبون أحداث وطنهم ويستشفون مستقبله القائم بعين القلق وتواردت الأخبار الأولى بالتسلل المتوكل الوثيد — أولاً — وبوادر المرحلة الثانية الجارفة ثانياً . ويظهر أنهم

لمسوا من إغضاء الإنكليز مآربهم فارتحلوا إلى المستعمرة (الإيطالية) مصوع ثم (أسمرة) وزاروا الحاكم العام للمستعمرة زيارة مجاملة والحاكم يعلم من هم بالنسبة إلى الدولة الإدريسية وإيطاليا مطامعها الإستعمارية — آنذاك في الضفة الشرقية للبحر الأحمر عامة والخلاف السلياني خاصة ولمس الحاكم السياسي من نزاهتهم ووطنيتهم ما يباعد بينه وبينهم وظلوا في ما بين (مصوع) و (أسمرة) — تقريباً — نفس المدة التي في (عدن) التي عادوا إليها . وهم في طريقهم إلى مستعمرة جزيرة كمران ليكونوا بالقرب من الوطن وبنجوة من أخباره ، في الوقت الذي تغلغل فيه الجيش المتوكلي إلى (حبل) وافترت الآراء ففريق ^(١) بحكم ميله المذهبي أو نزعته السياسية أو مصلحته الخاصة رجح النزول في (اليمن) ومن هناك ومع طلائع الزحف تكون عودته إلى الوطن .

وآخر بحكم نزعته المعتدلة ومذهبه السني وعلى رأسهم ^(٢) وزراء الإمام السابق آثروا النزول في الحدود السعودية — آنذاك — أو على مقربة منها .

الحملة على صامطة :

بعد أن وطدت الحكومة المتوكلية أقدامها في بلدة (حرض) أعدت العدة لأعداد حملة قوية لاحتلال صامطة ومنها إلى (أبي عريش) ف (ضمد) وقد أخذ التهيد لسير تلك الحملة طريقه وكان قائدها (القاضي بن سعيد) يساعده شيخ قبيلة الحميسين محمد علي الحميسي ، يرافقها علي بن أحمد الحازمي وابن منصور : أحمد أبو سمار من كبار أشراف (وعلان) .

وصلت الحملة إلى (صامطة) — وكادت أن تنجح في المرحلة الأولى من خطتها المرسومة — وبعد أن رتبت أمرها في (صامطة) أخذت في موالاة الزحف شمالاً . بيد أنها بعد خروجها من صامطة إلى (الخبت) الشمالي . شعرت بتجمعات القبائل حول طريقها والوقوف في وجهها .

(١) منهم محمد بن حيدر القبي ومحمد طاهر رضوان وهو قد كسب أراضي زراعية في اليمن — وعلى بن أحمد الحازمي وغيرهم .

(٢) ومنهم يحيى زكري وحمود بن عبد الله نرداب ومحمد يحيى عوض باصبي وغيرهم .

المعركة :

وتسامع قبائل جنوب الخلاف السلياني من (المسارحة) و (بني شُبَيْل) و (بني الحرث) بدخول (بلدة صامطة) ومالأة البعض من (بني حُمَد) وبعض (بني شبيل) مع الجيش الزاحف الذي عزم على التقدم شمال فدفعتهم الحمية وغريزة الدفاع عن النفس للوقوف لصدده وتجمعوا في شمالا (صامطة) وكانت (معركة) ضارية ترتبت على نتيجتها ارتداد الجيش المتوكلي مهزوماً إلى صامطة بعد تكبده خسائر جسيمة واحتفى بقلعتها وضرب عليه نطاق الحصار .

أما أحمد بن علي الحازمي فبعد الهزيمة انصرف يريد أخواله من عشيرة القضاة من (بني شبيل) فقتل قرب قرية (الجرادية) تغمده الله برحمته .

واشتد الحصار على المعتصمين بقلعة (صامطة) فأرسلت نجدة قوية من (حرص) وعلى رأسها منصور بن حمود أبو مسمار وهو من الأبطال المغاوير فاعترضها رجال القبائل وشتتوا شملها وأثخنوا في رجالها قتلاً وتمثيلاً وقتل منصور أبو مسمار في المعركة ونجى فلولها بكل جهد إلى حرص . أما المحصورون في القلعة فبعد كل جهد وعناء تمكنوا من الخروج عائدين إلى (حرص) وفي أثناء الحصار قتل سيان شراحيلي^(١) شيخ قبيلة بني شراحيل من بني (الحرث) .

صراع :

كانت معركة صامطة دائرة والصراع على أشده بين الإمام علي وعمه الحسن — ولنسبق ذلك بوقت يسير — لنستعرض آخر مراحل الصراع العائلي بين الإمام وعمه .

بعد سقوط (ميدي) و (حرص) فارغليان المرجل وطفح الصاع بكيله

(١) دفعت غريزة أخذ الثأر ابنه علي سيان شيخ بني شراحيل حالياً في الدخول إلى اليمن في عام ١٣٤٦ متسللاً حتى تمكن من قتل أحد أقارب شيخ الخميسين بثأر والده وكر راجعاً إلى بلده وبينه وبين الخميسين مسافة أربعة أيام للمجد داخل حدود اليمن .

خالف أهل المخلاف حول الحسن الإدريسي وحشوه على النهوض لتلافي البقية الباقية من ذلك المنهار والحق الضائع وشعر هو بأن دور ابن أخيه قد انتهى وأنه أصبح على شفا الهاوية بدوره فأخذ في العمل الجاد .

وصول الزعيم الإسلامي أحمد الشريف السنوسي :

وصل الزعيم المجاهد أحمد شريف السنوسي إلى (جازان) بطريق الحجاز وقد رجا أن يسمى بالوساطة بين الإمام وعمه بغية لتلافي البقية الباقية من المجد الضائع إلا أن جهوده ذهبت هباء إزاء طيش (علي الإدريسي) ويقال إنه في آخر عودة لأحمد الشريف السنوسي من جازان إلى (صيبا) وكان يرافقه عبد الوهاب الإدريسي أطلق عليهما المدفع تخويفاً بعد ساعة ونصف تقريباً من مغادرتهم المدينة .

الوساطة السعودية :

أشرنا فيما تقدم - إلى العلاقات الإدريسية السعودية التي ارتفعت من الصداقة إلى الوصاية - وهنا نلمس لتلك الصداقة القديمة والوصاية بعض ثمارها ونتائجها فنلاحظ أنه بالرغم من ضم اليمن لنصف تلك المملكة وما اعترأها من الضعف والانهيار فإن السعوديين مع ما حازوه من انتصار في (عسير) - أولاً - وفي (الحجاز) ثانياً فإنهم لم يحاولوا التعرض لأحوال الإدارة أو الجهات التابعة لهم - آنذاك - وعند تفاقم الحالة ووقوع النزاع بين الإمام وعمه بعثت الحكومة السعودية وفداً برياسة (محمد بن دليم) ليحاول إصلاح ذات البين ، وفعلوا بدأ الوفد اتصالاته إلا أن تزايد التوتر واشتداد الخلاف أوقف مساعي الوفد فظل يراقب الحالة عن كثب حتى تمكن الحسن من الفوز غادر الوفد البلاد عائداً إلى عسير .

الانقلاب الناجح :

أخذ الحسن الإدريسي في استدعاء الأنصار والأهبة والاستعداد والتحفز الجاد واتصلت أخباره بابن أخيه فحاول وأد الحركة في مهدها وإرسال قوة إلى (صيبا) فلم تمكنه الأحوال فأمر (العبيد) بمهاجمة (صيبا) .

حملة العبيد :

تقدم العبيد وعندما وصلوا (السلام) شعروا بمتخلفة القبائل تحوم حولهم من كل جانب فوالوا سيرهم على حذر واحتراس وبين (الغراء) و (الباهر) اشتبكوا في مناوشة مع أنصار (الحسن) المتربصين لهم فقتل فيها أحد (العبيد) فانهمز الباقيون إلى جازان .

حصار :

بعد ذلك تقدم أنصار الحسن لحصار (جازان) فاستدعى الإمام علي أهالي أبي عريش واستنهضهم لحمايته فأقبلوا إليه وأخرج (العبيد) إلى قرية (المعبوج) لطرد بعض الجيش المعسكر فيها فعادوا مهزومين وعلى أثر تمكن أنصار الحسن في داخل المدينة وعلى رأسهم فتح الدين عقيلي من إقناع محمد جبريل شيخ مشايخ أبي عريش وأصحابه بعدم جدوى القتال بينهم وبين إخوانهم ومواطنيهم فانصرفوا عائدين .

وعلم الحسن بنجاح المسعى وأن المدينة خالية من المدافعين وفرار أكثر (العبيد) فقرر مهاجمة المدينة وعندها ركب علي سفينة شراعية إلى فرسان فدخلها جيش الحسن ، ثم دخلها هو بالذات في اليوم الثاني يرافقه أحمد شريف السنوسي الزعيم الإسلامي المعروف فاتخذ بعض الإجراءات وقبض على بعض رجال ابن أخيه وأقام نائباً عنه في المدينة ثم عاد وبرفقته أحمد الشريف السنوسي إلى صبيا .

الفصل الرابع عشر

الحسن الإدريسي

بايع له بالإمامة كل رجال القبائل الذين دخلوا معه (جازان) وبعد أن مكث بها أياماً عاد إلى (صبيا) وكان الإمام السابق في فرسان فعل بواسطة السنوسي الإدريسي على استمالته للعودة وعاد إلى (جازان) ومنها طلبه إلى (صبيا) وهناك استدعى رؤساء القبائل الذين لم يبايعوه - كرؤساء أبي عريش الذين كان ميلهم مع (علي) وكرؤساء المسارحة وبني شبيل وبني الحرث المشتغلين في أثناء دخول (جازان) بالدفاع عن صامطة .

وبوصولهم إلى صبيا عقد اجتماع عام ضمهم جميعاً مع غيرهم وأجلس ابن أخيه (الإمام السابق) بجانبه وخطب فيهم شارحاً الحال ملمحاً لهم بأن ابن أخيه تنازل عن الأمر وطالباً منهم إعطاء البيعة له . وانتهى الاجتماع بمبايعته وطلب الإمام السابق من عمه الإذن بالتوجه إلى كمران فأذن له ومنها توجه إلى عدن وبعد أن مكث بها مدة قصد رحاب جلالة الملك عبد العزيز سعود .

مطامع إيطاليا^(١) :

إن إيطاليا لها مطامع استعمارية منذ احتلت مستعمرة (مصوع) وقد أشرنا إلى علاقتها بمؤسس الدولة الإدريسية وانتهت تلك العلاقات بدون أن تظهر بمغم . وظلت لها مطامع تحوم حول اليمن عامة والمخلاف السلياني خاصة

(١) كانت رسل إيطاليا تصل إلى صبيا ومنهم شخص يدعى « محمد عمر » من أهل مصوع كما وصل شخص تركي اسمه جمال ، ويقال إنه يعرف باسم جمال الصغير تميزاً له عن جمال باشا جزار سوريا الذي كان معه فيها ، وصل جمال إلى صبيا وانتحل شخصية طبيب تغطية لهمة وجلب أدوية وكان يقوم بالتطبيب والمعالجة ، وبعد وصول المنتوب السعودي - الذي هم بإلقاء القبض عليه فر - ويقال أنه أئذ من أحد أصدقائه بأن أرسل له إشارة صغيرة تتضمن . الآية « إن الملاء » فعلاً غادر صبيا تحت جنح الظلام .

بعد استيلاء (الإمام يحيى) على أكثر البلاد أنشأت علاقات اقتصادية وتقربت كثيراً من جلالاته إلا أنه من بعد النظر وعمق السياسة بحيث عرف كيف يتوخى الاستفادة بدون أن يمكنها من تحقيق غاية من غاياتها وشعرت بموقف الأدارسة المتضعضع فوالت رسلها مذكرة بالصلات القديمة بينهم وبين الإمام الأسبق ملوحة بمد يد المساعدة وغير ذلك مشيرة بأن الصداقة الإيطالية خير ما يكفل لتلك الدولة المتضعضة البقاء ويجدد لكيانها الواهي الحياة من شتى وسائل الإغراء المعروف بسلوكها الاستعماري لوقوع الإمارات في شركه ، وأحاييل استعباده وفي تلك الأثناء بعثت بهدية للحسن سيارة (فيات) وكاد أن يميل لجانب دعائهم إلا أن المجاهد الإسلامي أحمد الشريف السنوسي - الذي كان في زيارته - نصحه وحذره وأشار إليه عندما شكى عليه حالة الضعف وفقر الدولة وعدم وجود السلاح واستيلاء (اليمن) على جبل (شذا^(١)) بأن يطلب الحماية السعودية نظراً لما بين الأسرتين من الصداقة التقليدية فكانت النتيجة بأن طلب منه السفر إلى (الحجاز) وفوضه في عقد معاهدة الحماية وفعلاً توجه وكان الواسطة في عقد اتفاقية الحماية التي عرفت بمعاهدة (مكة) التي تقدم نصّها .

رجوع الوزراء المنفيين :

في عام ١٣٤٥ عاد كل من (محمد يحيى باصهي) و (يحيى زكري) (حمود بن عبد الله سرداب) إلى صيبا ، وقد أشرنا قبل إلى نزولهم في أحد المواني القريبة من الحدود السعودية وبعد تجوالهم في بلاد رجال ألمع عادوا إلى الوطن فاستقبلهم بمظاهر الاحتفاء .

ثورة قبائل بني مروان وعبس :

بعد نجاح ثورة الحسن الإدريسي وتوجه الإمام السابق علي الإدريسي إلى عدن اتصلت رسله من هناك ببعض مشايخ بني مروان والمجاورين لهم وصادف قبل ذلك ببسیر أن بعض أهل ميدي - الذين خرجوا عند احتلالها

(١) استولت الحكومة المتوكلية على جبل شذا في عام ١٣٤٤ .

إلى الموسم بالاشتراك مع قبائل بني شبيب أخذوا في قطع الطريق وتعرض السابلة بين ميدي وحرص . مما أوجب على تجار ميدي إخبار أصحابهم في عدن بالتوقف عن إرسال البضائع .

فتضافرت تلك الأسباب مع ولاء قبائل تلك الجهة وعهدها القريب بالطاعة للأدارة ومصادقة وصول خادم الإمام الإدريسي السابق الخاص إلى ميدي والإشاعة التي راجت بأن الإمام السابق طلب من الإمام يحيى السماح له بالنزول في ميدي - أو اللحية . فثارت قبائل بني مروان وعبس وغيرها على حكومة اليمن ، وتقدمت بعض قبائل ميدي على رأس رئيسها أحمد طاهر إلى قرب ميدي إلا أن « العرشي » تمكن من مهاجمتهم وإرغامهم على العودة من حيث أتوا . أما قبائل بني مروان فقد ساق لها الإمام يحيى قوة أخذت حركتهم في مهدها وقامت قبائل عبس على رأس شيخها محمد الشوكاني إلا أن قوة الإمام قضت على حركته ، فانسحب إلى صبيا ومنها توجه إلى الحجاز والتجأ إلى الحكومة السعودية .

عصيان الحرث :

في عام ١٣٤٥ وقع عصيان من قبائل الحرث ونشب القتال بينهم وبين المسارحة فساق إليهم الإمام الحسن قبائل المسارحة والعراشية والشبالية فاستسلم الحرث وعادوا إلى حظيرة الطاعة وحبس بعض مشائخهم مثل (الكرسي) وأبي عقيلة في سجن صبيا وبعد مكثهم مدة في السجن فر أبو عقيلة وتجدد الخلاف من بني الحرث فبعث الإمام الحسن بجند لإخضاعهم بقيادة (أحمد ابن محمد الحازمي) (١) فعسكر في أم القضب فهجم الحرث مباغته على المعسكر وكان من جملة القتلى علي بن أحمد لإدريس شيخ المسارحة وعاد القائد الحازمي إلى صبيا .

جزيرة زفاف :

في عام ١٣٤٥ عاد مصطفى الإدريسي ، من مصر إلى صبيا لزيارة

(١) هذا ما استفدناه من رواية يحيى بن محمد حسن عفيف شيخ قرية الحصاة .

الإمام الجديد وهذه العودة الأولى بعد مغادرته البلاد عقب ثورته على الإمام على - وكان يحمل معه صورة عقد اتفاقية باستغلال نفط بجزيرة (زفاف) مقابل شروط وهمة لا تحقق ربح من مكاسب الإنتاج ووصل معه بنحو ستين صندوقاً من خراطيش البنادق القديمة وعرف كيف يتمكن من إقناع ابن عمه في الاتفاق مع الشركة الانكليزية وفعلاً باشرت إنزال معدات الحفر وقامت ببناء بعض المساكن للموظفين إلا أن تلك الاتفاقية كانت بعد معاهدة (مكة) وقد تنهت الحكومة إلى ما وراء تلك الاتفاقية من الاستغلال الاقتصادي والضرر السياسي فأشعرت الشركة بعدم شرعية الاتفاقية فطمرت الشركة الآبار المحفورة التي باشرت حفرها متعللة أن كمية النفط غير تجاري وحزمت أمتعتها وغادرت البلاد إلى غير رجعة .

حملة الحقو :

قتل رجلان من أهل الحقو أحمد بن محمد بن أحمد عقيل حكيم في طريق أبي عريش - صيبا ، وفر القاتلان . فبعث (الإمام) رجاله إلى (الحقو) للقبض على القتالين فتمنعاً بمساعدة قبائلهما - بالطبع - فنهض بنفسه واستنهض كافة قبائل (المخلاف) ووالى سيره إلى (أم الخشب) ومنها إلى الحقو التي اقتاد شيخها (غانم بن مفرح) رهينة في القتالين الذين اعتذر الشيخ وقبيلته بفرارهما ومكث (غانم) أياماً في صيبا - محدد الإقامة في بيت باصهي ثم أطلق سراحه .

مجاعة :

وفي تلك السنة وقعت مجاعة ضارية وعدم الطعام - النرة - الذي هو عماد القوت في البلاد وفي البوادي وجلبت الحبوب من الهند عن طريق (عدن) وكان أكبر الموردين لها (محمد يحيى باصهي) وقام بدور إيجابي في تخفيف تلك الضائقة بما كان يبذله من الصدقات كما قام غيره بقليل جهودهم المحدودة لأن تجارة المنطقة كاد أن يتفرد بها باصهي في ذلك التاريخ واستمرت طيلة عام ١٣٤٥ والبعض من عام ١٣٤٦ .

أول مندوب سعودي :

في عام ١٣٤٦ وصل أول مندوب سعودي ^(١) إلى المنطقة وكان وصوله برّاً عن طريق عسير واستقبله رجال الإدريسي خارج المدينة ودخل في موكب يحف به المستقبلون إلى القصر الإدريسي فسلم على الإمام الحسن وأعد له بيت (حسن عابدين) وبعد أن أقام أياماً بصيباً اتخذ (جازان) مركزاً لدائرة الانتداب .

وفد إدريسي :

وفي أول عام ١٣٤٧ ^(٢) توجه وفد إدريسي إلى (الحجاز) مؤلف من محمد يحيى باصهي ومحمد الأمين الشقنيطي وعلى إبراهيم بن عتيق وفي أثناء إقامتهم بالطائف أصيب الأخير بمرض الجدري فانتقل إلى رحمة الله وبعد انتهاء مهمتهم توجه (باصهي) إلى مصر لمعالجة عينيه وعاد الشقنيطي إلى صيبا .

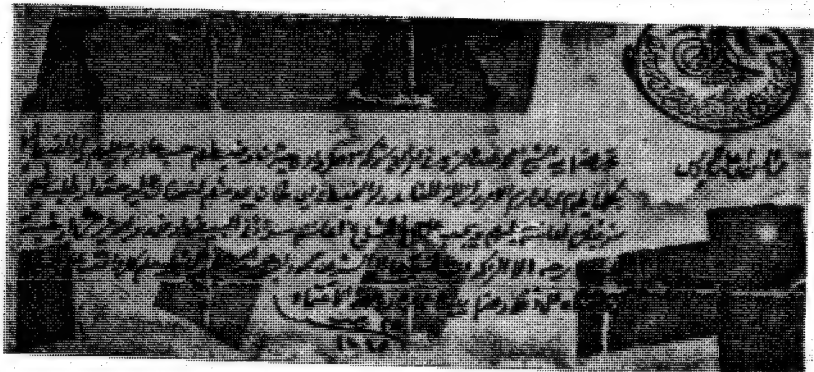
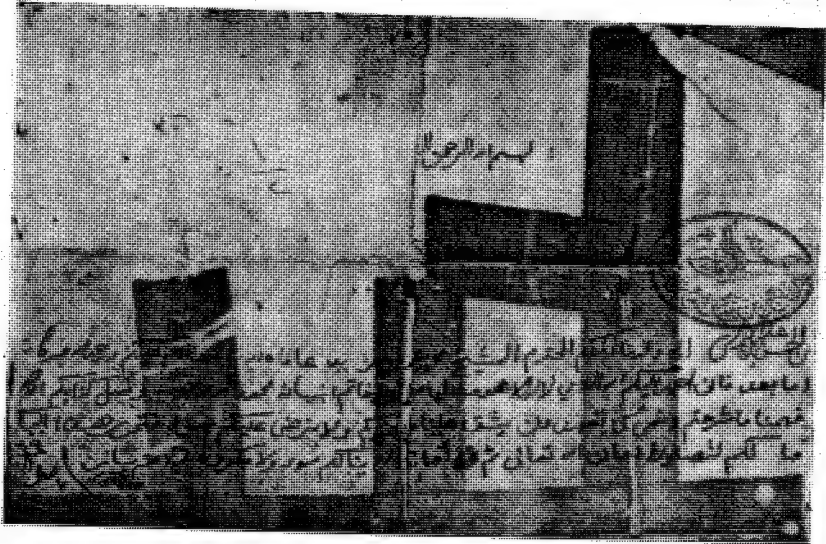
وفي عام ١٣٤٧ وصل عبد الله بن خثلان مندوباً سامياً خلفاً لسلفه صالح بن عبد الواحد وفيها استولت الحكومة اليمنية على جبال منبه والعرى وما جاورهما .

مخالفة أبي عريش :

رأى الإدريسي نقل عامله (عبد الله العنمي) من (قنا والبحر) إلى أبي عريش فنقله وكان قد اختل الأمن في المنطقة الجنوبية فأخذ العامل في تركيز السلطة وتدعيم الأمن وتوسيع دائرة عمله كوسيلة لضمان الاستقرار فاستحصل على صلاحيات من الإدريسي وباشر سلطته فاستدعى رؤساء المسارحة والحكامة وغيرهم وألزمهم بتقديم رهائن فلبى أكثرهم كارهين ثم مجن حسين أمحه شيخ مشايخ المسارحة . ثم على أثر ذلك أخذ في تعقب

(١) هو صالح بن عبد الواحد .

(٢) اعتمدنا في تاريخ سفر هذا الوفد على جواز سفر محمد يحيى باصهي الذي تكرم بإمدادى به الأخ يحيى محمد باصهي .



وثيقتان من عهد الإدريسي

من يبلغه عبثه بالأمن من فتاك المسارحة وغيرهم فليء السجن بمن نخوم حولهم
الظنون واشتد في محاولة تطبيق إجراءات إدارية تضايقت منها العامة وشابهه
عليها الخاصة وكان يعول في اجراءاته على تأييد المعتدلين من رؤساء
أبي عريش (١) فكان لذلك رد فعل لدى الأكثرين وصادف عند اشتداد
الأزمه أنه توجه إلى « صبيا » لبعض مهام مركزه وعندما عاد تجدهم أكثر
أهل المدينة وأنذروه بعدم دخولها فعاد إلى « صبيا » وأخبر الإدريسي
بالواقع وبعد أن أرسل رسولا ينصح الثائرين (٢) ولم يجد النصيح استدعى
شوكات القبائل وسيرهم بقيادة العتمي ثم توجه الإدريسي نفسه إلى (الواصلي)
وانتهى الخلاف بعودة العامل إلى عمله والقبض على رؤساء المعارضة وبجهم
في صبيا .

وفي عام ١٣٤٨ زار المنطقة الرحالة يونس البحري الصحفي العراقي في
طريقه إلى اليمن .

مرت سنة ١٣٤٧ والأحوال في هدوء نسبي والأمن يتخلله نكسات محلية
من تعديات فردية من بعض متشيطنة القبائل فقد قتل شخص في داره
بـ (صبيا) اسمه سالم الحضرمي وقبض على قاتله والأسباب شخصية كما قتل
في صبيا إبراهيم بن فتح الدين من رجال عهد الإمام الأسبق وأتهم به
ابن أخيه وفر المتهم وكان حمل السلاح ضرورة حتمية تقتضيها ضرورة
الدفاع عن النفس للمسافر من بلدة إلى أخرى .

واستهل عام ١٣٤٨ وفي خلالها وصل حشد الشويرع مندوباً سامياً خلفاً
لابن خثلان فاتخذت الحكومة السعودية بموجب معاهدة (الحماية) خطوات
إيجابية اقتضتها ضرورة إقرار الأمن والمساعدة العملية للإدريسي فأناطت
الأمر الإدارية في أغلب المنطقة بأناس من رجال المندوب السامي على أن
يكون مرجعهم الإدريسي نفسه ولإنما بطبيعة الحال أن الرجل المعين من جهة ما ،

(١) جبريل بن محمد بن جبريل شيخ عموم أبي عريش ، وهادي صانع المركز الهادي
وعمر بن علي الخواجي - المشهور بالاقصم .

(٢) وأشهر مترعها على أجنادي بن محمد جبريل ويوسف حرب ومحمد فتح الله محاق .

يعتبر جهة تعينه هي مرجعه الحقيقي وبالرغم عن التوصيات من الحكومة السعودية لرجالها بأخذ خاطر الإدريسي واتباع إرشاداته والسير بالرفق واللين إلا أن الانسجام في تلك المرحلة شأن كل مرحلة في الخطوة الأولى — كان غير كامل وعزل المندوب غير واحد من أولئك العمال وأبدلهم بغيرهم تحرياً للعدل وتمشياً مع سياسة التقرب ونزولا على رغبة الإدريسي .

أضف إلى ذلك أن إيرادات الدولة شبه ناضبة الموارد فليس هنا مورد رئيسي غير (الجمارك) على طريقة عادية من أخذ رسم معروف على الوارد أو الصادر في كل من (جازان — القحمة — المضايا) يسود جبايتها القوضى ويعوزها الرقابة الفعالة والنظام المقتن المفروض من سلطة مرهوبة وحتى على تلك الصورة العادية كثيراً ما يعترض أعمال الجمارك تهريب البضائع من الرسم الضئيل بالتهريب المسلح في كل من (القحمة) لرجال ألمع ومن المضايا لداخل المنطقة فساء الوضع المالي وترتب على ذلك مضايقة . وقد كانت الحكومة السعودية قررت صرف إعانة شهرية للإدريسي لسد العجز فأصبحت بعد تدهور الحالة — كما وضعنا غير كافية — مما استدعى الأمر لبعث لجنة مالية لدرس الوضع وترتيب وتنظيم شئون (الجباية) ثم تلاها مدير للمالية هو حمد العبدلي وانتهى الوضع بتقرير صرف مبلغ شهري للإمام الحسن الإدريسي لمقرراته الخاصة وعوائد من يلودون به .

وفي نفس تلك السنة أخذت المخابرة دورها بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى بشأن جبل (العُرّ) وجبل (مُنَبَّه) التي استولت عليها اليمن وهي من الأرض التي تحت الحماية السعودية ووصل وفد سعودي برياسة فهد بن زعير كما وصل وفد يمنى برياسة (عبد الله العرشي) وتم اجتماع الوفدين (بأبي عريش) ولم يتفق الوفدان على ما يحسم الخلاف فالوفد السعودي الإدريسي يتمسك بحقه في ملكية الجبل بحكم أنه جزء من أراضى الدولة الإدريسية الداخلة تحت الانتداب السعودي وحكومة اليمن تدعى بمثل ذلك ورفع الوفدان كل لمرجعه فحكم الإمام يحيى جلالة الملك (عبد العزيز) في الأمر فرأى جلالته حسماً للخلاف التنازل عنها لليمن وبذلك حسم الأمر .

كما اعترف الإمام يحيى بموجب حسم ذلك الخلاف بـ (فيفا) وبني مالك وغيرها من الجبال السعودية الإدريسية آنذاك .

الكدره :

وفي تلك السنة قام محمد يحيى باصْهَيَّ بإحياء أرض (الكدره) في (بيش) وتقع شمالاً من قرية (أم الخشب) وبصفتها أرض شجراء غير مملوكة وتعد ضمن منطقة قبائل بيش فقد عمل على الإيعاز إليهم باقتسامها بحيث يعرف ما يتفق عليه لكل عشيرة من (مساحة) وأن يعطى - هبة - من عموم أهلها أربعون معاداً قبله في طول الأرض التي تحد بطريق الحاج وبذل لهم الجزيل - أو بالأحرى لوجهاء ورؤساء بيش ومن ثم قام بمشترى ما يخص كل فريق وأخذ الوثائق الشرعية وتقدر مساحتها بحوالي (٤٠٠٠) معاد وبعد أن تمت صفقة أرض الكدره . بعث ^(١) الإمام الحسن لشيخ (بيش) وطلب منهم التأييد على هبة أرض الحصن بصفته داخل ضمن هبة أرض (الرزنة) الملاصقة له من الغرب ونقدم بعض العطاء فوافقوا على ذلك وتحررت الوثيقة اللازمة .

(١) أفادني بذلك شيخ قرية مسليه الشيخ مروعي هملان .

الفضل الخامس عشر

ابن سعود والأدارسة

أشرنا فيما تقدم إلى العلاقات القائمة بين سلطان نجد عبد العزيز ابن عبد الرحمن السعود ، وإمام تهامة عسير محمد بن علي الإدريسي ، في عهده الأخير إلى أن أدركته الوفاة واستمرار رعاية السلطان عبد العزيز لأسرته بعد ذلك .

وما ارتآه الإمام الحسن الإدريسي بعد أن رأى انتقاص إمارته من ناحية جاره الإمام يحيى ، واستيلائه على نصف تلك الإمارة من جبال (عُبال) إلى مدينة (مَيْندي) .

وزيادة على ذلك ، المطامع الإيطالية وما تحوكه من الدسائس ، وما تقدمه من الإغراءات من مستعمرتها الأفريقية الأريترية ومينائها (مصوع) ومنها اهداؤها سيارة (فيات) وبعض الهدايا الأخرى .

في أثناء ذلك والفتنة قائمة بين الحسن وابن أخيه علي ، وكان القائد مصطفى النعمي عاملهم في بلاد رجال ألمع ، قد فصل من عمله بالقاضي عبد الله العتمي فالتجأ إلى إمارة أبها السعودية ، ثم توجه إلى السلطان عبد العزيز ^(١) — الملك عبد العزيز — أثناء حصاره لمدينة جدة ، بصفته من رجال الإمارة الإدريسية ومن زعماء المنطقة البارزين ، وقد هاله وغمه انتقاص الإمام يحيى لنصف الإمارة الإدريسية الجنوبي ، وما يهدد النصف الشمالي الآخر من الموسم إلى البرك .

(١) أشرنا قبل إلى نفي وإبعاد « علي الإدريسي » لرجال دولته ، وانه طلب مصطفى النعمي عامل بلاد « رجال ألمع » فاعتذر وماطل وسوف ، فارسل « الإدريسي » عبد الله العتمي بدلا عنه وأمر بالتسليم فلم مات تحت يده وتوجه إلى « أبها » لأنه يتخوف إن عاد إلى وطنه من الفاء القبض عليه .

فوصل إلى مُعسكر الملك في ضواحي مدينة (جدة) وشرح له
أحوال وطنه الإمارة الإدريسية وما انتقص منها ، وما يهدد باقيها ، وما
عليه المنطقة من الفوضى وقلة الأمن ، ورجا من جلالته عملاً بالصدقة التي
بينه وبين مؤسس الإمارة الإمام محمد بن علي الإدريسي مذكراً لجلالته بعد
ذلك بالوصية من الإمام الراحل لجلالته بتوصيته على إمارته وخلفائه من
بعده ، ويرجوه التدخل لوقف الزحف والقيام بما يراه من التدابير لرد
كيد المطامع وقطع دابر المؤامرات ، والأخذ على يد المفسدين والعابثين
بالأمن في الداخل ، وأشار إلى جلالته بأن ذلك لا يتم إلا بإرسال قوة من
الجيش السعودي . إن رأى جلالته بعد الاتصال بالإدريسي في المنطقة ،
ورجال الجهة كما أعطاه بياناً بأسماء ما يزيد على ستين اسماً من أسماء أعيان
ووجهاء ورجال المنطقة وشيوخ القبائل ليكتب لهم رسائل - جواباً لمن
وصل الملك منه رسالة بطلب التدخل وابتداء بمن لم تصل منه رسالة .
فأمر الملك بكتابة الرسائل وتسليمها إلى مصطفى النعمي ليحملها إلى أمير
أبها ، ويتشاور معه في كيفية إيصالها إلى ذويها . وهذا نص الرسالة الموجهة
إلى أولئك الأعيان والوجهاء والمشايخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأخ الشيخ /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام :

بعد ذلك معلوم أن طول هذه المدة يجيئنا منكم مكاتيب ، ووصايا ولكن
ممتنعين بموجب القرار الذي بيننا وبين الإدريسي .

وبهذه الأيام تبين لنا عدم التفاته من جهتكم ، ويجب تدخلنا في أموركم ،
ونحن نعلم أنكم مدورة عافية ، وسكون حال ، حيننا تعريفكم أننا مقلعين
جند من المسلمين لأجل تأمين الناس ، وإصلاح البلاد ، فالإنسان الذي
راغب في ما الأمر الله يحبيبه ، ويكتب مبايعته وطاعته ، ويرسلها على يد
أميرنا عبد الله بن عسكر ، والإنسان الذي عنده غير ذلك فجلبه إلى السمع
والطاعة سهل ، بتوفيق الله وتيسيره .

ولكن أملنا بالله انكم ازود فيما نظن به ، وحيننا تقديم هذا الكتاب لتكونوا ويكون جندنا على بصيرة ، أرجو الله أن يوفقنا واياكم لما فيه الخير والصلاح هذا ما لزم نعرفكم والسلام .
(الختم)

حمل الرسائل مصطفى النعمي وسلمها لأمير أبها عبد الله بن عسكر مع خطاب خاص لابن عسكر يأمره باستلام الرسائل والاطلاع على مضمونها والتشاور مع مصطفى النعمي في كيفية إيصالها إلى من وجهت إليهم والطريقة الكفيلة بإيصالها ، واختيار الشخص أو الأشخاص مع التوصية برعاية مصطفى النعمي واکرامه والأخذ بمشورته وآرائه .

وبعد الاجتماع والمداولة تسمَّ الاختيار على الشخص المرشح للقيام بتولي المهمة وهو الشيخ تركي بن محمد بن ماضي وكانت المهمة الأساسية .

١ - إيصال الرسائل إلى أصحابها مناولة وأخذ أجوبتها .

٢ - الاتصال بالإدريسي . قبل توزيع الرسائل .

مندوب يحمل رسالة السفر :

سار الشيخ تركي بن ماضي من أبها يرافقه ستة أشخاص على ست من الخيل وذلولين لحمل الزاد والأمتعة وذلك في ١٢/١٣٤٣ - قبل أن تشب الفتنة بين علي الإدريسي وعمه الحسن ، وكان الشيخ تركي بن ماضي المكلف بالمهمة يحمل مع الرسائل الملكية رسالة خطية من أمير أبها عبد الله ابن عسكر إلى علي بن محمد الإدريسي لا تعدو التعريف بالشخص المنتدب ، وأنه سيتفاهم معه شفها في المهمة المكلف بها .

وصل الشيخ تركي بن ماضي (جازان) وأنزل في النزل اللائق ، وبعد أربعة أيام طلب الإذن بالمقابلة وأن تكون مقابلة خاصة لا يحضرها أحد سواهما .

وبعد أن تحدد الوقت في القلعة - المعروفة فيما بعد بقلعة اللاسلكي -

وبعد السلام والمجاملة المعتادة ، سلمه كتاب أمير (أبها) أخذ المنتدب في الحديث :

تركى بن ماضي : لقد لمست في أثناء اجتيازي بلادكم - انتشار القوضى بين القبائل التابعين لسيادتكم ، وما بينهم من نهب الأموال وسفك الدماء ، - ولا يخفاكم - أن هذه القبائل لا يصلح أمورها إلا قوة فعالة وانه - إن ترون طلب مثل هذه القوة من جلالة الملك - فهو لا يضمن بما يصلح أمورك ، وإنما لابد أن يكون عند رجالكم علم بأنكم وجلالته شيء واحد .

الإدريسي : لا مانع لديّ ، وهذا كتابنا بيدكم ، تعرضه على كل من تقابله من رجالنا في سائر بلادنا .

وكتب بيده : (إلى جميع من يراه من رجالنا من بلاد عبّس جنوباً إلى رجال ألمع شمالاً) .

إني وجلالة الملك ابن سعود حال واحد ، وعضو وساعد ، فليكون معلوم) . (الختم)

فودع ورحل مُغَيِّدًا السير ، وكان جيش الإمام يحيى قد استولى على ما استولى عليه من البلاد الإدريسية ، من باجل جنوباً إلى وادي موز شمالاً ، فقط فبدأ الرسول ببلاد عبّس أي إنه بدأ من الجنوب .

وكانت خطته أن يصل إلى الجهة ويقصد رئيسها أو رؤساءها واحداً بعد واحد ، وبعد السلام والمجاملة يعرض عليه أولاً خطاب الإدريسي حتى يطمئن الرجل ومن ثم يسلمه خطاب جلالة الملك ، وبعد التمهيد يأخذ منه العهد بالسمع والطاعة ، وكان يجد منهم السريع الاجابة وهم الأكثر ، ويجد منهم المتوقف أو المتحفظ ، وهم الأقل ، فيعرف كيف يقنعه أو يعتذر بأن سوف يرفع للإدريسي وينتظر أمره .

ومن هؤلاء أمير رجال ألمع الشيخ عبد الله العثمي ، ثم صار التفاهم بينه وبين تركي بن ماضي الرسول المنتدب لهذه المهمة .

وبعد انتهائه من رجال ألمع بارحها عائداً إلى (أبها) وقدم لابن عسكر أمير أبها أوراقه التي أخذها على رؤساء وشيوخ القبائل مع خطاب الإدريسي الموجه إليهم .

لم تطل مدة علي الإدريسي فقد قام عليه عمه الحسن بن علي الإدريسي كما سيأتي إيضاح ذلك .

وبعد أن استقر نسبياً الأمر للحسن الإدريسي ، وغادر ابن أخيه المنطقة إلى عدن ، وجد الحسن نفسه في دوامة من الأحداث المزلزلة والحوادث المتفجرة كالبراكين المحتدمة .

١ - فجيوش الإمام يحيى تتحرك من حرص لتعيد الكرة على صامطة بعد هزيمتها الأولى .

٢ - وجيش الإمام نفسه من الناحية الشرقية تدور المعركة بينه وبين القبائل في جهة الحُرث .

٣ - اختلال الأمن وانفراط الزمام بين قبائل المنطقة ومقاتلة بعضها البعض .

٤ - إغراءات (إيطاليا) ومطامعها التي تلوح على الأفق ونشاط من استمالوهم إلى جانبهم .

٥ - نشاط بعض زعماء المنطقة المنفيين الذين نزلوا في اليمن وأخذوا يعملون لصالح الإمام^(١) .

٦ - مساومة شركة انكليزية على التنقيب عن النفط في جزيرة (فرسان) والحسن تتجاذبه تلك القوى وتحركه تلك المغريات ، وهو يترنح ذات اليمين

(١) أي الإمام يحيى .

تارة وذات اليسار أخرى ، وقد أفادني شخص من رجال ذلك العهد معروف
لا أحب أن أذكر اسمه وكان ممن هم على اتصال دائم بالحسن الإدريسي
القريبين منه ، وكان ذلك الرجل على الفطرة تقريباً لا يعرف أحابيل
السياسة ، وعقائيل المؤامرات قال : دخلت على الحسن ، وكانت قد وصلت
بالخبرة الإيطالية تحمل بعض الهدايا وسيارة (فيات) مع مندوب إيطالي .

قال : دخلت على الحسن الإدريسي فوجدته ساهماً فسلمت ، وانتظرت
مباديته فغاب في أفكاره بعض الوقت ، ثم التفت إلي قائلاً :

ماترى يا شيخ . . . واستأنف كلامه بسرعة .

١ - الإمام يحيى قد انتقص نصف مملكتنا ولم يردعه عن النصف الآخر
إلا إفاقتنا ومقاومة رجال القبائل ، والآن يستميلنا بالاغراءات والمكاتبات
ومعسول القول للانضمام إليه والمخالفة معه .

٢ - وابن سعود بينه وبين المرحوم أخي اتفاقية وتوصية بيننا ، وهو في
الحقيقة لم يعتد على أراضينا ، وفي أثناء قَوْمَتَنَا على « على » أرسل
واسطة خير بيننا في الظاهر ، ومعاونتي أنا خاصة في الباطن ، وأحمد شريف
السنوسي منذ قدومه وهو يرى أن يطلب لنا حماية على ما بقى معنا - أي
حماية ابن سعود - وأنت وجماعة من خاصتنا تميلون لمخالفة (إيطاليا) فما
هو رأيك ونصحك ؟

قال : فقلت له : ياسيدى الذي أراه أن العرب تأكل بعضها فالإمام
يحيى سوف يأكلك ، وكذا ابن سعود ، وأما إيطاليا فهي دولة أجنبية
لا تخاف منها أن تنزعك من ملكك وسوف تستفيد منها أحسن ، وإن رأيت
منها شيئاً تطردها متى شئت . هكذا ؟ فصمت الحسن لحظة مفكراً يجر
ألامه . وسكت .

وفي اليوم التالي قابل ضيفه أحمد شريف السنوسي وبثه أشجانه ومخاوفه
فعزم عليه أن يطلب حماية ابن سعود ، فقال له : توجه أنت إليه في مشروع
معاهدة الحماية وسوف أرسل الوفد بعدك ، فقال : لا مانع . وفعلنا توجه

يحمل التفويض الذي كان من نتيجة معاهدة مكة ، وكان توجهه في أواخر سنة ١٣٤٤ ، وإنما أخرت المفاوضة والمراجعة بين الطرفين برهة إلى أن أبرمت المعاهدة ، المعروفة بمعاهدة مكة في ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ .

لم يكن الحسن في دهاء وعبقريه أخيه محمد ، ولا له جرأة ابن أخيه علي ، كان متدينا ومحبباً من العامة ، وإنما غير مستقل الشخصية فهو محتاج بطبعه إلى شخص أو أشخاص يشيرون عليه بما يعمل ، وهو يتردد بين رأي هذا وذلك وإنما إذا وافق رأي رغبته نفذه بدون تراجع .

وبعد سفر أحمد شريف السنوسي بوقت ، تكثفت الإغراءات المتوكلية وتأجج نشاطات الزعماء الذين نزلوا في اليمن من متفاهم ووجههم الإمام يحيى للعمل لصالحه في المنطقة ومنهم محمد أمين الشنقيطي ، فأخذوا في استئثاره ووافق معهم على إرسال وفد إلى الإمام يحيى ، وفعلاً تألف الوفد من :

١ - محمد أمين الشنقيطي (١) .

٢ - القاضي عبد الرحمن الحفاف (٢) .

٣ - القاضي محمد بن علي الضمدي .

وكان للسعوديين أنصار أيضاً أقوى وأكثر من أنصار الإمام يحيى ورفعوا بسرعة إلى أبها - بعد أن أعياهم صرّفه عما أشار به منافسوه - وطار الخبر من أبها ووصلت التعليقات فانتدب الشيخ تركي بن ماضي فوصل على جناح السرعة ، وتوجه الوفد ، وهو في طريقه من أبها إلى صبيا . والمسافة في ذلك الوقت على وسائل المواصلات تستغرق ثلاثة أيام من صبيا إلى ميدي -

(١) محمد الأمين بن الشيخ محمد زيدان الشنقيطي وفد مع والده وأخيه إلى الإمام محمد بن علي الإدريسي فتوفى أخوه بصيبا ، ورحل والده إلى المدينة المنورة ، وبقي محمد الأمين في صبيا مؤدباً لابن الإدريسي ثم أصبح من رجالهم المقربين - عبد الرحمن الحفاف من الأمراء الشطوط ومن رجال العلم والقضاء وعمر كثيراً وتوفى في سنة ١٣٦٥ - تقريباً

(٢) محمد بن علي بن محمد الصمدي ، من القضاة آل عمر ، ومن رجال القضاء في العهد الإدريسي توفى سنة ١٣٥٥ هجريه على وجه التقريب - راجع كتابنا المطبوع الموسوم باسم

« أضواء على علماء وأدباء منطقة جازان » .

تقريباً - مع الاستراحات ، فوصل تركي بن ماضي واستطاع هو ومحمد يحيى باصهي إقناع الحسن بأن الروابط التي بينه وبين الملك لا تجيز بعث وفد إلى الإمام يحيى ، وفي حال أنكم انتدبتم الزعيم أحمد شريف السنوسي لإبرام مشروع معاهدة صداقة وحماية مع الملك عبيد العزيز ، وإن جلالته مستعد لمساعدتكم بكل ما يلزم ، وأنه إذا لم تستدركون أرجاع الوفد من الطريق قبل اجتياز الحدود فسوف تسوء العلاقات جداً بينكم وبين حكومة جلالته ، فاقنع الحسن وبعث فارسين لإعادة الوفد ، فالتقيا به قبل أن يدخل الحدود وسلماه أمر الرجوع فعاد إلى صيبا .

وكانت نتيجة تلك المراجعة والمفاهمة بعث وفد مؤلف من عبد القادر باصهي والمرغني^(١) وعلي بن عطيف^(٢) لإتمام إبرام معاهدة مكة التي توجه لإبرام المعاهدة التي يسعى فيها أحمد شريف السنوسي ، وذلك بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ وأصبحت نافذة المفعول من بعد ذلك التاريخ .

وبما أن طلب تلك الحماية اتقاء من الزحف المتوكلي ، وحفاظاً على البقية الباقية من الإمارة الإدريسية التي قد امتدت يد الإمام إلى استقطاع نصفها الجنوبي ، فعلى أثر إبرام تلك المعاهدة كتب الملك عبد العزيز إلى الإمام يحيى بما تم للاحاطة ورجاء التوقف عن الزحف على بقية الإمارة الإدريسية ونصوص المكاتبات بينهما موضحة في الفصل الآتي .

(١) المأمون المرغني هو أخو الزعيم السوداني رئيس طائفة « الختمية » وكان يقيم في مصر ، وبينه وبين إدارته صداقة واتصالات ، وقد وصل إلى صيبا لزيارتهم .

(٢) علي بن إبراهيم بن عطيف النعمي قرأ على الإمام محمد بن علي الإدريسي ، وبعد تخرجه تبوأ مركز القضاء وكان أثيراً لدى شيوخه ، ثم نفي إلى عدن مع من نفي من رجال العهد الإدريسي ، وعاد مع زملائه في عهد الحسن ، وانتدب عضواً في وفد المعاهدة المعروفة بمعاهدة « مكة » وعاد إلى وطنه ثم انتدب عضواً في الوفد الإدريسي للمرة الثانية إلى الحجاز سنة ١٣٤٧ وهناك أصيب بمرض الجدري وهو في سن ٣٥ - تقريباً .

الفصل السادس عشر

ماداربين الملك والإمام من المكاتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

إلى حضرة فسيح الرحاب على الجناب ، وفي الذم كريم الشيم الإمام

محبي حميد الدين .

حفظه الرب المعين آمين

بعد أهدى جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع الاستفسار
عن رفاهيتكم لازلم بحال الرفاهية والسرور ، وقد سبق لحضرتكم قبل
هذا كتاب فيه من الافادات ما يلزم ، إن شاء الله وصلكم ، وأشرفتم عليه
مسرورين .

ثم نعرض لحضرتكم أنه كما كررتم على أحيكم بالتحفظ من الأجانب
ودخولهم في هذه الجزيرة وكثرة اشتغال المذكورين في أطراف عسير
والبن ، وعلاوة على ذلك قد ورد إلينا مكاتيب من جميع رؤساء عسير
ومكاتيب من الأدارسة اننا إذا لم ننظر في شئونهم يكونون مجبورين بالالتجاء
إلى أي حكومة كانت فنكون في أحد الحالتين :

إما أن نستلم البلاد ، أو نقبل السيادة عليها واستقرارهم بالحفاظة على
حقوقهم ، وحيث أن الوقت حرج والمشتغلون في هذه الأمور كثيرون فإنه
لم يسعنا إلا المراقبة لأحوالهم ، وقبلنا أن يكونوا تحت سيادتنا على استقلالهم
الداخلي في بلادهم على شرط أن يمشون على حكم الشرع والعدل بين الناس
وأن لا يتدخلون في أمر حرب ، ولا صلح ولا امتياز ولا مفاوضات بدون
مراجعتنا وأخذ رأينا ، وقد أجابوا وأمضوا على ذلك ، وترون نص
المعاهدة مرفقه بهذا .

وبموجب معرفتنا بعلو همتكم ، ونظركم وحرصكم على اتفاق كلمة المسلمين والدفاع عن حوزتهم وراحتهم أحببنا إعلامكم بذلك ، لموجب ثلاثة أمور :

الأول : كما ذكرنا أعلاه .

والثاني : اننا اشترطنا على الأدارسة أن لا يكون منهم أدنى حركة في طرفكم .

والثالث : رجاؤنا بالله ثم بمقاصدكم الحسنة أن تأمروا جميع محسوبيتكم أن لا يتعلوا على أطراف الأدارسة .

فأما من قبل المراجعات فيما يختص بالأحوال بيننا وبينكم فنحن مستعدون بما يريح خاطركم العزيز ويحفظ حقوقكم ، والله المستول أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح لأموال الدين والدنيا ، هذا ما وجب رفعه لمقامكم العالي والله يراكم ويحفظكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخم

في ٢ رجب سنة ١٣٤٥

فأجابه الإمام يحيى بالجواب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السلطان النبيل صاحب المقام الجليل عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل حفظه الله ووفقنا وإياه وأتحفه بالسلام الأسنى ورحمة الله وبركاته ، الكافلة لكل ما يهواه من الخير ويتمناه :

وبعد الاحترام نوضح لجنابكم الجليل أنه بينما نحن في حال جمع الأنصار ، لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الأدارسة على الله والإسلام والمسلمين بادخالهم النصرارى إلى بلاد المسلمين إلى فرسان ، وتمكينهم من ذلك ، مع إهمال شريعة الله ، وإضاعة أحكامها واتباع غير سبيل المؤمنين ، إذا وصلت إلينا كتب وفيها قطع كثيرة من الجرائد الخادمة لأفكار الملل الكفرية ، تكثر الكلام فيما بين نجد واليمن ، وتغرس العدوات وترين الشقاق في مدح وقدح وتشويق ، لقصد التحريض وبذر الفتن الحالقة

لأقوال تحلق الشعر ، ثم وصل إلينا من الشيخ محمد بن دليم كتاب فيه
اتهامة بقبول خداع الأدارسة ، وذلك ما تلقوه من أعداء الإسلام والمسلمين
كما يروونه ويحسبون له كل حساب ، ويأملون به بلوغ مآربهم الخبيثة عند
طغيان الشقاق ، وتصادم الكتائب ، وإسالة الدماء ، وازهاق النفوس
وذهاب الأموال ، وتأجج نار الشرور ، والتوصل في مشاق طويلة الذبول
يتعذر اخمادها ، ويعز انقاذ غريقها ، وينقطع الرجاء معها عن جمع
شئات المسلمين ، ولم شعهم ، واعزاز شريعة الإسلام ، وحماية المسلمين
على أن يَلْتَهُمَهُمْ اعداء الإسلام ، فاستخرنا الله عن ذلك في المضي لما
أردناه وتقديم الإيضاح إليكم لإثارة عاطفتكم الدينية وحفيظتكم لما يرتكبه
الأدارسة من الآثام ، وما يقصده الأجانب من فل حد المسلمين وتفريق
اجتماع الدين والعرب ، ولم يبق لهم اهتمام في غير التشويش بين التين ونجد ،
لما يعتقدونه من أنه إذا كان التطاحن بين الفريقين تم لهم إخضاع المسلمين
وكسر شوكة الإسلام ، وبلغوا من العرب كل مرام .

وقد علم الله أنا نصد ونجتنب ونرد كل كلام ووفود من أية دولة أو بلاد
قديماً وحديثاً في سبيل التفرقة بيننا وبينكم ، لما نعلمه من سوء المغبة على
الإسلام والمسلمين .

فقضت الحيرة بتأخير ما قصدناه فكتبنا إلى عمالنا بتوقيف من طلبنا من
الجيوش لتحرير هذا الحضر تكم .

فنقول قد علمتم أن الأدارسة ليسوا من أهل الديانة^(١) في شيء ولم يكن

(١) إن هذا القول من الإمام عن الإدارة يجانف الحقيقة ، وهم سواء في المغرب أو في
تهامة مشهود لهم بالقوى ، وجدهم الأول - في تهامة عسير - أعرف من أن يعرف ، ولولم يكن
منهم إلا الإمام محمد بن علي الإدريسي المؤسس الأول لمارتهم في تهامة عسير ، والذي كان أول
عربي يثور على الأتراك في جنوب الجزيرة - كما جاء في كتاب ملوك العرب لامين الريحاني -
فقد رجم وقدم دراسة مسهبه عنه وعن جميع ملك العرب ، ومنهم الإمام يحيى نفسه ، ويقول عنه
الريحاني : إن من فضائل الإدريسي ثباته منذ بدأ على مبدأ واحد ، فقد كان عربياً صليماً جسوراً
في سبيل غايته ، يحالف أية دولة على أعدائه الأتراك ، ومن كان هو حالفهم من امراء العرب
عليه ، فما تذبذب في مبدئه ولا تحول عن ذلك .

لهم حماية إسلامية أو عربية لإرادة صالح المسلمين ، واعزاز العرب التي بذلها ذل الإسلام ، وأننى يكون لهم ذلك في مثل أولئك .

مع أنهم ليسوا إلا مغتصبين قطعة من بلاد اليمن من دون مشروعية استحقاق وليت أنهم أقاموا شريعة الله ، وأجروا أحكامه ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وهدموا اليدع وأمنوا البلاد ، وحقنوا الدماء ، وخدموا العرب والإسلام والمسلمين .

ولم يمكنوا الأجانب في شيء من البلاد ، فلو كان منهم ذلك لكان لنا مندوحة في الأعراض ، ولنا حق الأولوية لطردهم وإراحة الإسلام والمسلمين من شرورهم ، وقد عرفتم الخليج علي بن محمد الإدريسي ولعله سيد القوم فهل منهم من يعان لقصدته المشؤوم تعمدًا .

= حارب الأتراك وحليفهم الملك حسين ، وصديقهم الإمام يحيى . فكان في الغالب منتصراً دائماً عزيزاً ، لانكر أن الأحوال كانت حليفته ، ولكنه سلحها من لدنه بالعزم والمضاء .
ان الإدريسي ثار على الأتراك في مسقط رأسه ومسقط رأس أبيه « صبيا » وثار بعده الإمام ، وكلاهما من أبناء الأمة العربية ، كما ثار على الأتراك في الحجاز « الحسين بن علي » فهل من ثار على مغتصب أجنبي يعد بدوره مغتصباً ؟ .

ويظهر أن العداء مزماً بين الزعيمين الكريمين منذ ابتداء أمرهما وكرست الحروب التي دارت بينهما تلك العداء وعمقتها ، ونكتفي هنا بإيراد مقتطفات من منشور للإدريسي وزعه على القسم الجبل سنة ١٣٣٠ وجاء في مقدمة ذلك المنشور .

« واعلموا هدانا الله وإياكم أن ابن حميد الدين لما رأى الدولة التركية بصده ، واخذت تهتم باستصاليه وقصده ، التجأ إلينا بارسال « أحمد بن يحيى عامر » و « حسين العرشي » للتفاهم معنا بأن الدولة التركية لابد أن تقبض على ابن حميد الدين وعلينا .

ويرغب في ان تكون بدأ واحده ، وان نشايه في مقاومتهم بالحرب ، فوافقناه على ذلك الصنع مع الشروط المضروبة ، وقواعد مقرره ، لايتخطاها أحد منا أو منه .

ولما وقعت بيننا وبين الأتراك واقعة « الحفائر » استماله الأتراك ، وجعلوا له ثلاثين ألفاً من الريالات ، وغير ذلك العشرين ، والنصابين المكلف بإدائها الأهالي في جهة صنعاء وماولاهما ، فوافقهم على ذلك ليكون ضدنا ، الخ - راجع المنشور كاملاً فيما تقدم من كتابنا هذا .

وإذا رجعنا إلى الخطاب الموجه من الإمام يحيى إلى سيادة الإدريسي بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٩ - راجع نصه في ١٤٤ ج ٢ في هذا الكتاب نجهه صادراً من الإمام إلى نده ، وحاكم قوام مثله لا إلى مغتصب - كما ينعت الآن .

..... ويجعل أساس للتشاجر والقضا

فإن كان ما بلغ إلينا صحيحاً فهل في وسعنا جميعاً ما فيه تخيب آمال أعداء العرب والإسلام ويصون روثق الدين ، وليس ذلك إلا الانصاف ومعرفة الحقوق وتأثير ما به صلاح الإسلام والمسلمين ، واطرحنا جميع كلام السفهاء الجاهلين الذين هم كالأنعام لا يعرفون إلا المحسوسات ، على أن من الناس من يتقرب بكلام أحلى من العسل وهو مزوج بالسم الزعاف خدمة لأي الملل الكفرية ، فهل يمكن التدارك ؟

إما أرسلتم إلينا معتمداً للحل والعقد ، أو نرسل إليكم كذلك ، فتأملوا هذا بعين الانصاف ، فغبه والله الصلاح ، وقطع لآمال الكافرين ، فإن يصادف لديكم قبولاً فهو المؤمل والمرجو . . هذا والسلام على والدكم وإنجالكم والأمجد ، وشريف السلام ورحمة الله وبركاته في ٤ شعبان ١٣٤٥ .

رد جلالته .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

إلى حضرة جناب المحترم علي المهتم كريم الشيم الأخ المكرم الإمام يحيى حميد الدين . . . الأفخم .

حفظه الله ورعاه

أما بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع الاستفسار عن أحوال رفاهيتكم وانكم لازلتم بكمال السرور ، ودوام النعمة ، وإن سألتكم عن أحوالنا فهي والله مزيد المنة والفضل على غاية ما يرام من جميع الوجوه ولم يستجد عندنا من الأخبار ما يوجب رفعه لحضرتكم ، إلا عموم الخير والراحة ، والإطمئنان ، نسأل المولى جلّ وعلا أن يتابع علينا وعليكم نعمته ويوزعنا شكرها .

سبق منا لحضرتكم كتاب فيه من الافادة ما وجب بوقته ، إن شاء الله تطلعون على الجميع مسرورين الخاطر ،

كذلك يصلحكم إن شاء الله حامل كتابنا هذا مندوبنا لحضرتكم حمد الخطيب وزفقاه والمذكور مفوض من قبلنا ليتفاوض مع حضرتكم بما يجب بخصوص المفاهمة والاتفاق على ما فيه خير وصلاح لنا ولكم ، وحفظ الحقوق للجميع ولنا وطيد الأمل بالله ثم بحضرتكم أن الاتفاق المنشود سيحصل ويتم ولم يبق أثر لسوء التفاهم ، ومحل الخلاف وتكدير الخاطر ، ولا يخفى على حضرتكم ، ما في ذلك الاتفاق المطلوب متى تم من حسن العاقبة للجميع وللإسلام والمسلمين والعرب ، ولا شك أن ذلك مما تأمر به الشريعة الإسلامية وترضاه الشيعة العربية ، ونسأل الله أن يوفق الفريقين لما فيه النجاح لتلك المهمة النافعة وأن يسدد الأفعال والأقوال من الفريقين ، لتكون النتيجة حسنة حسب رغبة الجميع هذا ما وجب رفعه لحضرتكم ، والرجاء إبلاغ تحياتنا للأئجال الكرام ومن لدينا سيدي الوالد الإمام والإخوان والأولاد يهدونكم السلام والله يحفظكم ويرعاكم والسلام ١٤ شوال ١٣٤٥ هـ

ملحق خبر ومرور

أدام الله وجودكم : ثم انه بموجب الوثوق ، وحب المواصلة ، أحببنا تقديم بعض التذكرة مع مندوبنا ، وهي سيفين من سيوفنا القديمة ، وخمسة عشر بشتا من نسج بلادنا ولو أنها قليلة على قدركم العالي ، ولكن بموجب معرفتنا بعقلكم ، وإن حضرتكم تعلمون أن قدركم عندنا أعز من ذلك وغيره تجاسرنا على تقديم ما ذكر ، وأرجو قبوله ونستلکم السماح عن التقصير ودمتم .

تأخر رئيس الوفد حمد الخطيب لمرض ألم به ، فصدر الأمر الملكي بتعيين سعيد بن مشيط وعبد الوهاب أبي ملحمة وتركي بن ماضي وتوجه الوفد من أبها وتهامة في ١٨ القعدة ١٣٤٥ إلى صنعاء يحمل الخطاب والهدايا ، فوصلها بعد خمسة وعشرين يوماً عن طريق البر واستقبل الوفد استقبالا حسناً ، وكان وصولهم يوم ١٣ الحجة ١٣٥٦ وبعد الاستجمام والانتظار في دار الضيافة استقبلهم الإمام وبعد المقابلة وتبادل التحية سلموه كتاب جلالة الملك فانتدب الإمام معهم وفدأ برياسة عبد الله بن الوزير .

استمرت المفاوضات شهراً بدون التوصل إلى نتيجة مما اضطر الوفد السعودي إلى طلب مقابلة الإمام وطلب الاذن بالسفر فأبدى الإمام أسفه لعدم الوصول إلى حل يرضي الطرفين وشاركه الوفد أسفه وثنى أن تتاح فرصة تهيء الوصول إلى نتيجة حسنة وسلمهم جواباً لجلالة الملك .

وظل الموقف متوقفاً بعد وصول الوفد السعودي إلى مكة إلى يوم ٢٠ ربيع الآخر من سنة ١٣٤٦ هـ أمر جلالتة بانتداب وفد مؤلف من الشيخ محمد بن دليم وتركبي بن ماضي وسفرهما إلى صنعاء لاستئناف المباحثة وكتب معهما الخطاب الآتي :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى حضرة جناب عالي
الهمم كريم الشيم حضرة الأخ يحيى بن حميد الدين حفظه الرب المعين بعد
إهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته مع الاستفسار عن
رفاهيتكم لازلتُم بموفور النعم ، وعن محبتكم يشكر الله على مزيد نعمه بخبر ،
ثم إن مشرفكم المؤرخ ٢١ محرم ١٣٤٦ هـ وصل ، وما عرف حضرتكم
كان عند أخيكُم معلوم بخصوص ما أبديتُموه من حسن نواياكم ومحبتكم
لاجتماع الكلمة كلمة العرب فهذا الذي نعهد من بجاياكم الحميدة ، ولا شك
أنكم أهل لذلك ، ثم أدام الله بقاءكم ما هو خافيتكم حالة الزمان وأهله ،
وأخيتكم من أبدى محبة الاتفاق ، والتحذير من دخول الغير فيما بيننا انه
كثير ، ولكن ينبغي أن يكون العمل مقدما على القول فيما أبديتُموه . . .
ولا غرور انه ليس بكثير عليكم لأنه عادتكم كل جميل ويرجى منكم ذلك ،
ولكن مع الأسف أن عدم الاتفاق وعدم المباحثات التي تقرب الاتفاق
وترك ما في النفس لجلب المصلحة ، ما حصل وهذا كثير آسف أخيتكم
ويؤسف كل مسلم عربي ناصح ، ولكن بموجب معرفتنا في غايتكم المحموده ،
وما أبدوه لنا مندوبونا من حرصكم على الاتفاق صرنا مجبورين نكرر عليكم
طلب الاتفاق مرة ثانية ، مع أنه صار بعض الضجر في النفوس التي لاتخفاكم
حالم

ولكن لا يدخل أدنى شك بيننا وبينكم ، واعتمدنا على الله ثم إننا نوفد إليكم محسوبينا الأمير محمد بن دليم ، وتركبي بن ماضي ، لأجل رجائنا في بلوغ أملنا بالله ثم بكم ، والحق النفوس هواها بمحبة التقرب والائتلاف فيما بيننا وبينكم ، وهم مفوضون من قبلنا في جميع المراجعات ، وعرفناهم بما يلزم كما أنهما واقفان على الحقيقة قدماً وحديثاً نرجو الله أن يوفقنا وحضرتكم لما يحب ويرضاه ، ويحقق آمال جميع المسلمين والعرب في الإئتلاف والاتفاق ، وباقي المعلومات من رؤوس المذكورين كفاية مع إبلاغ السلام حضرات الأنجال الكرام ، ومن عندنا الإخوان والأولاد يبلغوكم السلام والله يحفظكم في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦ هـ .

(الختم)

ملحق خبير

أدام الله وجودكم أنجيلكم حال تاريخه متوجهين إلى نجد - إن شاء الله لأجل تغيير الهواء والسلام على الوالد ، والعزم إن شاء الله أن الصيام في مكة المكرمة ومن خصوص مسألة الإدارة معلوم حضرتكم أن الحركة مستحيل يصير حركات من جهتهم ، أو أنه يصير شيء كان وقع في أيام حركات بنى مروان (١) وغيرها ولكن نحن مؤكدين عليهم ، وعلى خادمنا ابن عبد الواحد كونوا مطمئنين الخاطر والأمور إن شاء الله تكون وفق المطلوب ، انتهى .

وصل الوفد إلى صنعاء يوم الأحد الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦ وفي اليوم الثالث - أي في يوم الأربعاء الموافق ٩ منه استقبلهم الإمام في قصر السعادة وبعد التحية والمجاملة سلموه خطاب جلالة الملك وانصرفوا إلى نزلهم بدار الضيافة ، وبعد مضي أيام استقبلهم للمرة الثانية ودار البحث في موضوع مهمتهم وأفادهم بأنه انتدب لمفاوضتهم :

١ - الوزير الأول عبد الله العمري .

(١) راجع هذا الجزء (حول حركة بنى مروان) .

٢ - رئيس الديوان عبد الكريم المطهر .

وفي الموعد المحدد حضر مندوبا الإمام وبدأت الجلسة الأولى وتوالت الجلسات يوماً ولمس الوفد السعودي في الوفد الامامي روحاً ايجابية بخلاف المرات السابقة ولمسوا من الوفد الإمامي حسن التفهم للقضية وجميل التفاهم في المحاوراة والمناقشة ولأول مرة في المفاوضات اعترف الوفد الإمامي بسيادة جلالة الملك على البلاد الإدريسية ، وعموم بلاد عسير ، ورسم شبه خريطة للحدود بين المملكتين ، وكاد أن يتم الاتفاق لولا مسألة نجران وتمسك كل من الفريقين بوجهة نظره والتوقف عند رأيه ، وهنا توقفت الجلسات ، وتم الرأي على مقابلة الإمام يحيى وفي الموعد المحدد اجتمع الوفدان عند الإمام يحيى ، وعرض الموقف على الإمام ، وتكلم الوفد السعودي ، وأبدى للإمام شديد أسفه لعدم التوصل مع وفده إلى نتيجة في موضوع نجران . فقال الإمام : انه أوصى وفده بأن يتساهل ويتنازل عن الكثير ، وانكم لاشك لمستم منهم في المفاوضة معكم العمل بتوصيتي ومادام انه لم يبق إلا مسألة (نجران) فإنه يحكم فيها الملك عبد العزيز نفسه ويأمل أن الملك سيقوم بنحلها بحكمته وكرمه المعهود ، لهذا فسوف يرسل وفداً من قبله إلى مكة للمفاوضة على ضوء المباحثات التي جرت في صنعاء ، وبذلك استأذن الوفد السعودي في السفر إلى بلاده وذلك في يوم ٤ شعبان سنة ١٣٤٦ هـ بحمل الرسالة الآتية من الإمام إلى الملك :

حضرة الملك الكبير والرئيس الأوحد الخطير الملك عبد العزيز
ابن عبد الرحمن الفيصل السعود

رافقته منحة السداد ، وشادت معاليه خطة الرشاد .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صدورها عن أحوال حميدة وآلاء من ربنا جميلة عديدة وثقة برب الملك ، واعتصام بمنشئ الفلك .

بعد أن كانت المراجعة بيننا وبين مندوبكم الكرام رأساً وبين من عيناه للمراجعة معهم ، وكان أول ما أعلمناهم به ، أنا مفوضين لهم في نظر ما يصلح

بين الطرفين ، ويحمد بين الفريقين ، وانه ليس المراد التطاول ، ولا تكبر
فإنما ذلك اتعاب ومشاق « ولم يرح من قضاص رحلته من راحة العالمين
في تعبته » (١) غير الأمر الرباني في نحو قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون
إلى الخير ﴾ الآية هو الذي حدانا إلى تجشم الأهوال واقتحام الصعاب والعقاب
الطوال ولا المراد غير الانصاف ، ومحافضة الحقوق للطرفين بلا اعتساف ،
ولما كان الالتحام على المنتدبين الكرام ، في الإقامة وتوسيع المجال ،
والاسترسال في المراجعات ، بقصد تمحيص ما فيه صلاح للطرفين ، لاح لنا
من غضون المحاورات أن صلاحياتهم محدودة ، وعرفوا منا لحضرتكم خالص
الوداد ومتين الاعتماد ، فطلبوا الاذن بالعودة المحموده ، التي ستكون إن شاء
الله سبباً للحصول على الضالة المنشودة ، والبغية المقصودة ، ليكون منهم
لحضرتكم الإيضاح والإفادة ، بما عرفوه لدينا من خلوص الولاء بإيضاح
فأذنا لهم بالسفر المبلغ إن شاء الله من الخير إلى الوطن ، وليس التفرق
بيننا وبينهم تفرق اعتداء ، بل تفرق سلم محض معزز للخطة التي أثبتتها طول
المدى ، وإننا لنتنظر منكم الإفادة ، واعلموا قطعاً أنه لا يكون منا
عدوان قط ، وإن بعد عنا الانصاف ، ارغماً لمعاطس أعداء العرب
والإسلام ، وطمعاً فيما نرجوه من الاتحاد والالتئام .

ولقد كان بودنا أن يكون ربط الوفاق مؤجلاً ، ولا يحول دون تعجيله
حائل ، مهما أمكن الوصول إلى تحقيق ذلك لو بتضحية نتحملها .

ومع الاعتراف بأننا لا نرضى في شأن تنظيم ما بيننا من العلاقات ، بدون
أحكامها أساساً ، وامتنها اشادة ، فنحن لا نحتاج إلى توضيح ما بين القلوب
من الاتصال ، وعمرانها بالوداد ، وإن انتهاء تأجيل المذكرة الوفاقية لا يكون
داعياً إلى فتور ما بيننا من المناسبات ، ومن اقبال الجميع على ما به صلاح
الإسلام والمسلمين ، ولم شعئهم ، وجمع كلمتهم ، وجبر صدعهم ،
والله المعين ، وافضلوا بابلاغ أنجالكم الأماجد شريف السلام وهو عليكم
في المبدأ والختام .

(١) هذا بيت شعر لأبي تمام ، وقبله .

تلك بنات الخاض راتمة والمود في رجلي وفي قتيه

زيادة خسر :

لعله بلغ حضرتهكم ما كان من الأدارة من الدسائس ، والتشويق ، حتى كان ما كان وهذه بعد مسألة فرسان . انتهى .

وبعد سفر الوفد السعودي مباشرة ألف الإمام وفدًا من رجاله وأمرهم بالتوجه إلى مكة وكتب معهم الخطاب الآتي :

حضرة الملك الخطير المستجمع لجلال الأعظام والتوقير جلالة الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل أتحفه الله بكل مروم من مراضيه وكلل مساعيه بالنجاح الذي يبغيه ، وزانها بمواهب التوفيق وصرف عنه كل تعويق السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صدورها سافرة في إحساس الوداد منطوية على إثثار الإيضاح ، وحسن الإفصاح ، عما يروق به التصريح بحجة الأخ العلامة قاسم حسين بن الإمام ، والولد العلامة محمد ابن زبارة ، والولد العلامة عباس بن أحمد إبراهيم ، ومعهم الشيخ الفخري عبد الله بن علي مناع ، أرسلناهم إلى حضوركم الجليل ليكون منهم كلية الإفصاح عن الوجوه والاسباب القاضية بلزوم تقرير المصير ، فيما بيد المعتصب الإدريسي ؟ ، مع كل ما هو معدود من خولان بن عامر ، أو همدان بن زيد ، وما في ذلك من المحافظة على كرامة الجانبين وبناء الأساس المتين لصفاء القلوب الدائم .

إنه لا دافع إلى مثل هذا التصريح ، أية رغبة في التوسع والحصول على ما يجتنى من وراء ثمرة مادية ، ونعتقد أن الحال لديكم مماثل لما عندنا ولكن في الجبين ما يسمى بالمحافظة على الكرامة ، فيما ينبغي ويؤسس على الاتفاقات الرسمية ، فاللزام في مثلها أن ترعى الحقوق المشروعة للجانبين وإن تخلو عما يهيج وسائل التقولات من رجالنا فضلا عن الأعداء والحساد والمتربصين ، بكل ما لديكم من تفكير وقوة من الحصول على المغامر والمهامز .

ولا يخفى على مثل درايتكم ، انه لا اخلال بالمحافظة على تلك الكرامة

من جهنكم في حالة الحقوق المشروعة بل فيها ما هو أعلى قدراً ، وأصح دلالة ، على وفور رغبتكم في وقاية الإسلام وجزيرة العرب . من كل حادث مرهوب اهتمامكم ؟ ، ستكون الكتلة النافعة فيها للدفع كل طارئ يمنع من نهوض مرغوب ، وأملنا أنه بعد إيقافكم على الحقيقة الجليلة يتضح لكم وضوحاً كاملاً لزوم ما حرصنا به ، وما تم ما يوجب كثرة التردد من الفوائد المادية ، إلا أن مراعاة الحقوق المشتركة لازم ، ولا تخرج عن دائرة الإنصاف في طلب ما هو مشروع معقول بل لا نظن أنكم ترغبون فيما نراه مخلًا في كرامتنا في أنظار أعدائنا وأعدائكم .

وأما الائتلاف والتودد فهما حاصلان مستقران ، ولا سبيل إلى انتفائهما - إن شاء الله - وإن رغمت أنوف أعداء الإسلام والعرب ، وإنما المراد هوماً فوق ذلك ، من المعاهدة والمظاهرة ، والمناصرة والاتحاد من صميم القلب وخلوص الاعتقاد وما إلى ذلك من الآثار الصالحة الجالبة لأطمئنان كل موحد بأن لا سبيل لأعداء الإسلام إلى إنشابه مخابل أطماعهم في الجزيرة العربية والقضاء على الباقية من شوكة الإسلام وأهله ، وهذا غاية ما نرجوه لنا ولكم صلاحاً في الحال وذخراً للمعاد ، وفقنا الله جميعاً لكل عمل صالح يرتفع به شأن الإسلام والمسلمين وتهدم به آمال المضلين والسلام حرر ٣ شعبان سنة ١٣٤٦ هـ .

وبرق هذا قصيدة لجلالتكم :

صدرت للوثام زفرة محرو	ر تؤم الرياض تشقى صاها
تقطع السهل والحزون وتطوى	الييد طى السجل في يمناها
توضح الحالة التي نحن فيها	معشر المسلمين عند انتهاها
فرقنا أيدي العداة فصرنا	فِرْقاً لا تطبق تحمي حماها
وفئات تبتاً لها من فئات	سبحت في شائها (؟) أشباها
هي مثل الحصا عديد ولكن	آثرت من حظوظها أدناها
واستخفت بنفسها وتعامت	عن هداها فهال منها عماها
فَقَدَّتْ وازع الهداية حتى	لم تميز صباحها من مساها

وطمى جهلها المهول فكانت
أي داء أشد داء من الجهل
ولهذا عز الشفاء وظلت
إلى أن قال :

وعليها من الاله موائب
هي تدعو الى الوفاق وتستند
وتنادي يا للشهامة والغير
حكموا رأيكم سداداً وشدوا
وانسجوا منكم درُوع اتحاد
ما الذي يمنع التآزر من إخو
والذي يدفع المخاوف عنها
واقتناع النفوس عن طلب التوسيع للملك في نصيب سواها ؟
وإذا كان للنفس جراح
وبناها من وحدة الرأي سداً
وضح الأمرُ حصص الحق نادى
ولتحقيق ظنتنا كان منا
حملوا هذه « الألوكة » عنا
لمليك متوج من نزارٍ
ورأته شيانها علم الإجماع
ملك مفرد سري همام
ومن العدل وهو خير المزايا
ان ترى عنده مكان اعتبار

ق تلك الجبال ، ان خناها
صر منا حمية تهواها
ة ، أين الحفاظ أين نهاها
عضد الدين ، وادفعو بلواها
ووئام يطول فيكم غناها
ان دين ، يرضي الاله إخواها
ليس إلا وفاقها ووفائها
كان للعقل ردها وهداها
وحصوناً امام من ناواها
السن الصدق هذه رجواها
بعث وفد الرياض من آل طه
ومثام قبولها وجباها
أنجيته زبيعة في ذراها
لال ، بسطامها وقطب رحاها
قلدته سعوها بحلاها
أثرا للنهي ونظم علاها
موصلا للمرام من مسراها

وبتاريخ ١٣٤٦/١١/٢٠ رفع أحد أعضاء الوفد السعودي المنتدب
للمفاوضة الشيخ تركي بن ماضي التقرير الآتي :

جلالة الملك المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، وتقبل الأيدي الكرام
أعرض لجلالنتكم حسب الأمر توجهاً إلى صنعاء اليمن لتجديد المفاوضات

مع الإمام يحيى وزعماء حكومته فبموجب مطالبات خادمتكم حول تلك المفاوضات حيث أن أشرح لكم بعض ما يحسن ذكره .

الإمام يحيى ذو مظامع غريبة ومراميه بعيدة ، كلما تكلمنا معه في النقطة الممكنة لحل المشكلة زاغ عنها ، وإن كان يقول قولاً بأنه يطلب الائتلاف فله مقاصد بعيدة .

فتحقق لخادمتكم أنه متربص للدوائر عن قصد ، وله آمال لا سمح الله بتحقيقها وليس له مقصد في الوقت الحاضر ، ولا يريد حسم الخلاف ولا الاعتراف بالحدود المعلومة له وعليه ، بل يريد مسالة ومكاتبه بغير نتيجة ، ولا يزال يطلب في حل اتفاق مكة .

وكم أوضحنا له ، وأفدناه بأن الإدريسي في قطعة من بلاد عسير وأنه مسلم استجار بأخيه فأجاره سابقاً ولاحقاً ، حتى طالت المحاورات بيننا وبين مندوبيه أربعة وخمسين يوماً ، ونحن مقيمون في صنعاء ، فلم يكن له بد من إرسال مندوبين من قبله إلى جلالته ، ونرجو الله أن ينهي الأمور على ما يرام ، وإن يمين على الإسلام والمسلمين بوجودكم وعزكم ونصركم على رغم حسودكم ، هذا ما وجب رفعه سيدي والله يحفظكم .

وصل الوفد النبي مكة المكرمة ، واستقبل بالحفاوة والتكريم ، وحظي بالسلام على جلالة الملك ، وانتدب وفد سعودي للتباحث معهم ، وقد وقع اختلاف في الرأي بين الوفد النبي نستشفه من البرقية المرفوعة من عضو الوفد قاسم بن حسين إلى جلالة الإمام يحيى .

(رجعنا من المدينة المنورة ، لله الحمد على البلاغ ، تفضل جلالة الملك بالأمر بالسيارات ونلنا من أمير المدينة غاية الاحرام ، الإخوان أتعبونا إلى غاية ، لا يستقر لهم فكر ، بل كثير منهم القلب قولاً وفعلًا ولا يظن لهم عاقبة ، ولا نأمل حسن النتيجة ، بل ملاشاة أفكار بلا مراقبة ولا تجربة ، ولم يحافظوا على حقيقة المسعى كما ينبغي ، وكل هيئة لم يعين رئيسها صراحة فهي فوضى ، نرجوكم الافادة القاطعة الجازمة ، أو فضلاً منكم قبول الاستعفا ومكره أخاك لا بطل والسلام ١٣٤٦/١٢/٢) .

الجواب البرقي من الإمام .

من الإمام يحيى ملك اليمن إلى الصنو قاسم حسين أبو طالب - مكة
سرنا عودتكم بالسلامة من الزيارة إلى مكة ، وساءنا جداً ما اشتمل عليه
اشعاركم من عدم الإئتلاف ، ومع هذا فهل يحسن أن يظهر عليكم مثل
ذلك لو فرض وقوعه ، وإننا نأمركم بعرض هذا على رفقاكم للحفاظ من
القيام على كرامة الوفاة والنيابة عنا ، وليعلم الجميع أنه إذا ظهر لنا من أحد
شقاق ، فإن العقابة غير محمودة والسلام .

الجبـال الشرقـية

أشرنا فيما تقدم بعنوان الميدان الشرقي إلى وصول الحُكْم الإدريسي
إلى « هجرة فله » قرب صعدة وظل سلطانه ممتد على تلك المناطق
إلى سنة ١٣٣٢ هـ عندما وقعت معركة (حرم) بين جيش الإدريسي وجيش
الإمام وبذلك تم استيلاء جيش الإمام على قلعة (حُرْم) فاقتصر حكم
الإدريسي على ما تحت يده من جبال منبه والعر ، وما بينهما « والنظير »
« وشذا » ، وجبال « بني مالك » « وفيفا » وما وراءها وفي أول سنة ١٣٤١
استمال الإمام يحيى مشائخ جبل النظير واستحلته ، فأخذ الإدريسي في حشد
الجيوش لاسترجاعه فعاجلته المنية في شعبان من تلك السنة ، وبوفاته تنفس
الإمام يحيى الصعداء ، واشتغل خلفاء الإدريسي بمصاهم الفادح - ولم يكن
خلفه في قوة شخصية والده وحنكته السياسة ونشاطه الحربي فوطد الإمام قدمه
في « النظير » ، وفي سنة ١٣٤٤ والفتنة مشبوبة الأوار ، بين علي الإدريسي
وعمه الحسن ، اقتحم الجيش المتوكلي جبل « شذا » وما حوله ، وطمع الإمام
يحيى فيما هو أبعد من جبل شذا فأمر جيشه بالزحف على بلاد الحرث
والعبادل ، إلا أن قبائل المنطقة المغاوير تجمعوا للدفاع وهزموا الجيش
الغازي ، واستعادوا ما أخذه من بلاد الحرث وجبال العبادل .

وعندما دخلت البلاد الإدريسية تحت السيادة السعودية بموجب معاهدة
مكة كانت حدودها الشرقية تشتمل على الجبال الآتية :

- ١ - جبل « منبه » وما حوله ٢ - جبال « بنى مالك » .
- ٣ - جبل « العر » وما حوله ٤ - جبال « فيفاء » .
- ٥ - جبال « العبادل » .

إن معاهدة مكة صدت البساب في وجه مطامع الإمام يحيى وحجزت من توسعه على حساب المنطقة الإدريسية ، وفي خطابه الجوابي المؤرخ ٤ شعبان سنة ١٣٤٥ ما يفيد أنه كان يحشد الجيوش ويعد العدة للاستيلاء على البلاد الإدريسية بعد أن استولى على أكثر من نصفها الجنوبي - أي من « عبال » والجبال المتاخمة لها شمالاً غرباً إلى مدينة (ميدي) للاستيلاء على النصف الشمالي فهو يقول في خطابه :

(بينما نحن في حالة جمع الأنصار ، لما حدانا إليه ما بلغكم من جرأة الإدريسي على الله والإسلام والمسلمين بادخالهم النصارى إلى بلاد المسلمين إلى فرسان وتمكينهم من ذلك) .

والحقيقة التي يثبتها التاريخ أنه قبل معاهدة مكة اتفقت الحكومة الإدريسية مع شركة بريطانية للتنقيب عن النفط في جزر (زفاف) من جزر فرسان - فيما تقدم - ليس إلا ، ثم إنه بعد دخول الإدريسي في الحماية السعودية بعد معاهدة مكة رأت الحكومة السعودية إلغاء تلك الاتفاقية فتوقفت الشركة عن التنقيب ورحلت ، وإنما الإمام يحيى أراد أن يمثل قصة الذئب والحمل تبريراً لتدخله واتخاذ من ذلك ذريعة لغزو المنطقة ، ولولا دخولها في الحماية السعودية لكان اتخذ من ذلك مبرراً لغزوها .

إذا لم يبق مجال للغزو المسلح والبلاد أصبحت محمية سعودية وقد أحيط رسمياً ، فأخذ في مباشرة الغزو السلمي بالاغراء وبذل الأموال واستمالة بعض مشايخ الجبال الشرقية للمنطقة ، وفعلاً بعد الاجراءات التمهيدية من الرشاوي والأعطية والدعاية والتحرير تقدمت جيوشه فاحتلت جبال :

« منبّه » وما حولها .

« العر » وما حولها .

واحتجت الحكومة السعودية على هذا التصرف العدائي فبعث الإمام بهذه المذكرة الجوابية الغير مباشرة ، بواسطة عامله على مدينة (ميدي) عن طريق أمير جازان وهذا نصها :

من ملك اليمن الإمام يحيى محمد حميد الدين إلى عامل ميدي القاضي العلامة عبد الله العرشي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سبق الجواب عليكم تلغرافياً انه سيكون الإفادة والإيضاح عن شأن ما كتبه أمير جازان ، وقد أردنا أن نكشف أمر تلك الجهات ، فإنه وصل إلينا من عامل (ساقين) قبل وصول تلغرافهم بخمسة أيام شرح الواقع وتفصيله مع أسباب فيما حرره خلاصته .

إن هؤلاء (بني منبه) وأهل (النعري) ومن إليهم فريق من قبائل خولان ابن عامر وليسوا من « تهامة » ولا من « عسير » ؟ [نلاحظ هنا أن تهامة وعسير خارجة عن مطالبته] .

قد كان منهم التردد على عامل (ساقين) غير مرة وأرسلوا إليه رهائن طالبين أن يرسل معهم إلى تلك الجبال والتي لا يقوم ، ولا يعرف أهلها شيئاً من أركان الإسلام وآدابه ، فلا يصلون ولا يصومون ، ولا يذكر الله ولا يحجون ولا تنطق ألسنتهم بالشهادتين ؟ .

وكان من عامل (ساقين) ارجاعهم من لدنه وعدم قبولهم ، وقبول رهائنهم مرة ومرتين ، وهذه المرة وصلوا يلزمونه الحجة ، ويصفون ما هم عليه من الفوضى والجاهل بكل الشرور .

فتكلف بمساعدتهم طالباً لإصلاح أمة من الناس ، وانقاذهم من ورطة الهلاك .

فأرسل بعض السادة العلماء صحة العقال بعد أن التزموا الطاعة ووضعوا رهائنهم .

وكان لأهل تلك الجهات غاية السرور بوصول السادة العلماء ومن معهم

فالتقوم إلى أطراف البلاد وأضافوهم ذلك اليوم أحسن ضيافة ، ولم يرق في ذلك قطرة دم ، أو أدنى شاذة .

على أنه لم يكن في البلاد ما يرغب أحد فيه حتى أن حاجات السادة والعلماء ومن معهم محمولة من بعده .

وقد اهتم العامل بطلب من يعزم إلى تلك الجهة لتعليم أهلها الإسلام وآدابه الشريفة ؟ .

ولما وقفنا على ذلك الكتاب استحسناً ما كان من (العامل) المشار إليه وشكرنا له ذلك العمل الذي يرضي الله والمسلمين . انتهى .

وفي مقترحات الوفد إلينا من لدن جلالة الملك (تركي بن ماضي) و (محمد بن دليم) أن الحد الفاصل بين البلدين من جهة الشام فهي (خولان) ابن عامر ؟ .

فهل في هذا تحرش أو عدوان على أي أحد أو لإرادة قدح زند بين اليمن ونجد ، وأنا على غاية من التحفظ والمحبة للسلم وبيننا وبين حضرة الملك وحتى أنا تركنا مضايقته بما حكم والتزم من تهدة قومه رغماً على ما نلاقه من أوليائهم من التصديع ، وغاضين الطرف عما زعم ؟ الإدريسي النزول عنه غير آيسين من إلقاء نظرة من حضرة الملك إلى ما يعود به الماء إلى مجاريه .

ونرى من المحال حصول أي شقاق لعلمنا بما في ذلك من الضرر العام على المسلمين والإسلام ، وما نجده من التوادم من الجهتين ، وما نؤمله من روابط الصلات في ذلك .

ولا نخشى من غير الاغترار بمن يقتل على الغارب والكاهل ، ويرى في تطاحن المسلمين ، غاية الرغائب والمآرب .

فيلزمكم لإرسال هذا إلى جيزان ليعجل إرساله إلى حضرة الملك للوقوف على الحقيقة ، والإفادة أوضح وأجمل طريقة ، والسلام ٢٩ ربيع ثاني ١٣٥٠ .

وتبودلت الرسائل والبرقيات بين العاهلين وأخيراً تم الاتفاق على تعيين وفدين يمنيين ، وسعوديين يجتمعان في أبي عريش للتباحث والتفاوض والتحكيم .

بعث جلالة الملك وقدأ برئاسة عبد الله بن معمر ومعه أمير جازان وعدة شخصيات ووصل الوفد الإمامي برئاسة عامل ميدي عبد الله العرشي وعضوية عدد من الشخصيات واستمرت المفاوضات والمباحثات مدة بدون الوصول إلى نتيجة ، وأخيراً رفع كل من الوفدين مرثياتهم إلى مرجعه وبعد تبادل عدد من البرقيات - شملها الكتاب الأخضر - حَكَمَ الإمام جلالة الملك في موضوع جبلي (السُعر) و (منبّه) فتنازل عنهما لجلالته للإمام ، بعد أن اعترف الإمام بدوره بسيادة جلالته على (فيفا) و (بني مالك) وبذلك حُسِمَ الموضوع في الحدود الشرقية ، كما أُشير إلى الحدود الجنوبية في المفاوضات التي جرت بصنعاء بين الوفد السعودي والوفد اليمني في شهر شعبان سنة ١٣٤٦ - كما تقدم جلالة الإمام يحيى في جوابه على عامله في ميدي في رسالته المؤرخة ١٣٥٠/٣/٢٩ يقول : إن خولان بن عامر ليسو من تهامة ولا عسير . . . الخ .

الفضل السابع عشر

بؤادر الحركة الفاشلة

بعد اجتماع جلالة الملك عبد العزيز بأخيه الملك فيصل ملك العراق كاد أن يحصل التصافي بين الأسرتين ، إلا أن الأمير عبد الله بن الحسين — كان غير راضٍ عما تم ، فلم يرق له ذلك الاتفاق ، وقد تكون تلك المعاهدة أراد بها ملك العراق (تكتيكاً) بينما (الاستراتيجية) تكون بيد عبد الله بحيث أن لا تكون الأسرة جميعها في موقف المجابهة ، وإنما الاستراتيجية يحاول الثاني تنفيذها مرحلياً فإن نجحت فالمصلحة للأسرة جميعها ، وإن فشلت في مرحلتها الأولى فلا يلحق فشلها على غير واحد علماً أن العراق والأردن كانتا تحت الانتداب البريطاني وجيش الاحتلال في العراق والأردن ، وليس في وسع أحدهما — بموجب المعاهدة معهما إعلان حرب أو إبرام صلح بدون موافقة الإنكليز ، وعلى كل تلك الأحداث لم يبق إلا ذكر التاريخ ، وقد حل الإخاء والوثام بين الجانبين .

وقد ترسخ في عقلية عبد الله أن لا وسيلة مجدية في حرب ابن سعود ، وأنه من الأجدي والأنجح القيام بمؤامرة متشعبة الأطراف متعمد على تأسيس حزب يسمى حزب الأحرار تكون له خلايا وشعب في الشمال من الحجاز ، ومنطقة جازان في غيرها ، وأن يكون للحزب جمعية عامة وأعضاء عاملين وأعضاء منتسبين وأعضاء سريين .

وأخذ في العمل لتأسيس الحزب والبحث عن الأنصار والتفتيش عن الأعضاء والمؤيدين واتفق بالشاب حسين الدباغ ، واستطاع أن يستهويه ويبعث في روعه كل ما يجول في نفسه .

والدباغ شاب في مقتبل العمر عنده الاستعداد للاندفاع وحب المغامرة إلى حد التضحية بالنفس وكان من أبرز الأعضاء الظاهرين :

- ١ - شاكِر بن زيد .
- ٢ - خالد الغالبي .
- ٣ - عبد الله الحارثي .
- ٤ - حسين الدباغ .
- ٥ - علي الدباغ .
- ٦ - عزيز يماني .
- ٧ - مسعود الدباغ .
- ٨ - محمد أمين الشنقيطي .
- ٩ - مسعود قراره .

وقرر بأن تسند رئاسته في الحجاز إلى رئيس (الحزب الوطني الحجازي)
الذي طالب الملك حسين بالتنازل عن الملك لابنه علي .

وبعث بعض الأعضاء إلى الهند وأندونيسيا ومصر لجمع التبرعات
لإنقاذ الحجاز - بزعمهم - والتفاهم مع الحكومتين البريطانية والإيطالية
بواسطة حكامي مستعمرتهما في عدن ومصوع ، وبغض الطرف مقابل شيء
عند النجاح ، وأخذوا بالعمل وتكوين الخلایا ، والاتصالات بغير جهة
من الجهات وحكومة من الحكومات في جنوب المملكة وغيرها ، ووصل
بعض الأعضاء إلى جزيرة كمران وكونوا خلية بإشراف محمد عبد الهادي
رجب من أهل الحديدة ، والمستوطن جزيرة كمران ، فوصل إلى ضييا
وعقد مع الحسن الإدريسي بواسطة مكّي زكري ومحمد أمين الشنقيطي ،
وتم الاتفاق المبدئي وجعل محمد عبده مزید حكي ومحمد الغال الشنقيطي
صلة اتصال بينهم وبين الإدريسي كما اتصلوا بالإمام يحيى فكان يظهر
التمنع المغربي الذي لا يقصّبهم ولا يدينهم ويجعلهم بين اليأس والرجاء -
في مبدأ الأمر - مع غض الطرف عن نشاطهم في أراضيه وعلى مسمع
ومرأى من رجاله ، وعندما ألحوا أحالهم إلى ابنه ولي العهد أحمد وعامل
الحديدة (البدر) الذي كان أشد اندفاعا ، وسمح لهم باتخاذ مدينة اللّحبة
مركزاً لنشاطهم •

لقد أفادني صديق ثقة لا يحب أن أذكر اسمه ، أنه اتفق بالشيخ مكي ابن يحيى زكري في القاهرة بمصر في سنة ١٣٨٠ فجرى الحديث مطولاً بينهما حتى وصل إلى مسهبات تلك الحركة الفاشلة التي وقعت في منطقتنا سنة ١٣٥١ فقال له : يا شيخ مكي : إن حركتكم كانت ارتجالية ، تحمل بذور فشلها وزخم هزيمتها من ساعتها الأولى ، فركوناً إلى حركة (حزب الأحرار) اندفعتم في زج المنطقة في أتون من الفتنة . فإذا كنتم في حركتكم قتم مستلهمين حركة مؤسس الحكومة الإدريسية فقد أخطأتم الطريق ، وضلتم السبيل فهو لم يَقُمْ بحركته ارتجالاً مثلكم ، بل قام بعد تدبير وتمعن ، وتقدير صحيح ورؤيا أصح :

فهو يعرف مثلاً أن تركيا قد نخر السوس في بنيانها ، وحطمت الشيخوخة كيانها ، حتى أطلق عليها ساسة اسم (الرجل المريض) ، وأن الدولة التي دفعته هي إيطاليا المشتبكة في حرب مع تركيا في طرابلس الغرب ، وتعهدت له بإمداده ومساعدته مادياً ومعنوياً وحربياً ، من مستعمراتها ميناء مصوع المقابل على الضفة الشرقية من أفريقيا لمنطقة (تهامة) عسير وتعهدت لإيطاليا بحمايته بحراً بواسطة أسطولها ، مع معرفته الأكيدة بمشاغل تركيا التي لا حصر لها ، وإن جنودها في اليمن مشغولة بمقاومة حركة الإمام يحيى .

أما في بلاد عسير بأسرها فلا يوجد لديها سوى ألفي جندي ، وهي أضعف من أن تفك حصاراً يضرب عليها - كما برهنت الأحداث بعد ذلك - فضلاً أن تقوم بحركة هجوم .

وفي الحجاز من الخير لقواتها الهزيلة ، لو استطاعت المحافظة على أمن الحجيج ، أو طرق مواصلاته الداخلية .

ولإنها لو استطاعت تجهيز بعض القوات ، لما استطاعت تعزيزها بقوة أخرى وقد دلت الأيام ، وبرهنت الحوادث على دقة تقديره وصحة حده .

فاندفع الشيخ مكي مدافعاً عن حركتهم ، قائلاً : نحن لم نقم بحركتنا ارتجالاً كما تقول - بل اعتماداً على وعود جادة ، وعهود صادقة ، من

الحكومة المتوكلية وأن مكاتبات محمد البدر ابن الإمام وعامل الحُدَيْدَة ،
عندنا حررها نيابة عن الإمام والده وأقسم فيها أنه — بمجرد قيام الحركة —
سيكون في صبيها وتعهد أنه لن يتركنا لتصاريف الأقدار بل سيظل عندنا
حتى النصر أو الموت .

ولأنما في أثناء التحضير النهائي للحركة توفي غرقاً — كما هو معروف —
وكان الوقت أضيق من أن يؤخر التوقيت المحدد .

وإذا كنا ارتبطنا مع حزب (الدباغين) حزب (الأحرار) ، إنما كان
بالنسبة إلى ما تقدم في الدرجة الثانية .

وبعد حادث وفاة محمد البدر ابن إمام ايمن ، لم نجد التدخل الفعال
الذي يترجم وعوده إلى عمل نصالي ومجهود قتالي ، وإنما بعض تحركاتنا
والحاحنا كان الوفاء ببعض المساندة غير المباشرة ، والمساعدة القليلة غير
المجدية والتأييد المعنوي من الإمام وولى عهده — (راجع الفصل المختص
بثورة الجنوب) .

١ — كانت إيرادات الحزب مما يُمدُّه به الأمير عبد الله أولاً .

٢ — من تبرعات بعض الجمعيات والأفراد في الهند الذين غرقوا في
دعاية الحزب ، وأن هذه التبرعات والإعانة لإنقاذ الحجاز — بزعمهم .

أشرنا إلى إسناد رئاسة الحزب إلى تلك الشخصية التي طالبت الحسين
بالتنازل فأبرقوا له بالحضور :

في أثناء ذلك عمد الأمير عبد الله إلى حسين الدباغ — بعد أن زوده
بمبلغ سخي من المال بأن يُجِدَّ في السفر إلى مصر ، ويؤلف فرعاً للحزب
يستقطب بعض الحجازيين فتألف الحزب هناك من بعض الشخصيات ومنهم :

يوسف الزواوي

عبد الرؤوف الصبان

محمد عبد الله صادق

صالح الدباغ

محمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة

حامد بن سالم بن رفادة

وغيرهم :

وكان حامد بن رفاة من مشايخ قبيلة (بلي) فاراً من العدالة وكذا محمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة لاجئين في مصر ، وبعد أن أسس ذلك الفرع في مصر ، توجه إلى عدن ثم إلى اليمن فوافاه هناك طاهر الدباغ الذي كان مقبلاً فترة في (جاوه) كما انضم إليهم أنصار آخرون مثل أحمد أبي النور وشخص يسمى عباس ، ومن اليمن كثفوا نشاطهم مع الأدارسة وبعض رجالهم وأمدوهم ببعض المال ونسقوا معهم الخطة .

كما أخذت الدعاية السرية دورها لاستقطاب بعض شباب الحجاز وضمومهم كما يقال إلى الحزب .

وكانت الخطة مخططاً لها

١ - أن يقوم ابن رفاة وأبو طقيقة بالتسرب إلى شمال الحجاز بثورة هناك .

٢ - في نفس الوقت خُطِّط لاختيال ابن سعود ، والقيام بثورة في الحجاز .

٣ - وفي نفس الوقت تقوم ثورة الإدريسي في الجنوب :

وقد اعتقدوا نجاح مخططهم فأخذوا في العمل ، وحوك الدسائس واستقطاب أنصار جدد .

واتصل الحزب بحكومة إيطاليا بواسطة الوالي الإيطالي ، طلباً لتأييدها المعنوي ومساعدتهم ببيع أسلحة :

والحركة تحتاج إلى المال وما لدى عبد الله بن الحسين من مُدَّخَر أوْشَك على النفاق ، فاضطر إلى تحمل دينٍ على ذمته لم يستطع تسديده ، وشعرت بريطانيا بما تحمله من الديون وهي عالمة - بالطبع - بتصرفاته ، فعيبت موظفاً يشرف على رواتبه ومخصصاته ووجوه إنفاقها في حدود مخصصاته أو ميزانية القصر .

وبين عبد الله والخديوي عباس المنفي في الأسناتة ، صداقة قديمة منذ كان (خديوياً) على مصر ولا تزال صلة الصداقة مستمرة ، والخديوي متعطش إلى الملك في أي جهة كانت ، وبين الأسرتين صداقة تقليدية كما هو

معروف ، والخديوي عباس يعايش نفس مأساة الأمير عبد الله وأسرته ، وإن اختلفت الأسباب فهما يتفقان في المصير التي آلت إليه حالة كل منهما .

وعبد الله يعرف نقطة الضعف في نفس صديقه ، ويعلم مفتاح شخصيته المتطلعة إلى ملك أي جهة ، وبأي ثمن ، ولديه من المال ما لا يضمن ببذله لنيل أمنيته في إشادة مملكة لنفسه ، ولو بنيت على الوهم وشيدت على دعائم من الأمان .

لذلك رأى عبد الله أن يتصل بالخديوي عباس ، باسم الحزب ، ويطلعه على مخططه ، ويشرح له حركته وأهدافه ، ومراميه وغاياته - كما يزعم - من تحرير الحجاز ، وأنه على كامل الاستعداد هو والحزب في موافقته على إمداد الحزب بالمال مقابل أن يأخذ له البيعة من الحجازيين ، ليكون ملكاً على الحجاز ، فصادف هذا العرض هوى في نفس الصديق القديم والملك المخلوع الذي يتعطش إلى الملك ، ويتوق بكل آماله وجماع أمانيه إلى عرش في أية رقعة وفي أي قطعة من الأرض ، فاستجاب لعرضه وتعهد ببذل المال ، ودفع قسطاً سخيّاً وتعهد بموالاته المساعدة بعد ذلك .

وتم الاختيار على حامد بن رفادة على أن ينتدب لإشعال نار الثورة في شمال الحجاز ، وتوجه (حامد باشا الوالي) لقبض المال الذي حوله الخديوي ، وتأمين الذخيرة اللازمة وأن يقوم الأدارسة بثورتهم في الجنوب وينتدب من يقوم باغتيال ابن سعود في الحجاز كما تقدم ، وتقوم على أثر اغتياله ثورة في الحجاز .

وأن يتحدد الوقت لإشعال الثلاث ثورات في وقت واحد ويوم محدد .

ومن المال الذي دفعه الخديوي تَمَوَّلَ الحزب وتغذت الحركة ونشط الحزب .

على أثر ذلك توجه حسين الدباغ إلى مصر ، وباشر العمل مع أعضاء فرع الحزب بمصر ، واستدعى حامد بن رفادة (وأبو طليقة) وعقد الفرع جلسة مستعجلة تقرر فيها بناء على أمر رئيس الحزب أن يتوجه ابن رفادة

وأبو طفيقة وجماعتهما إلى شمال الحجاز عبر شرق الأردن ، للتمهيد للثورة واستمالة شيوخ القبائل .

وتوجه حسين الدباغ بعد لإنهاء المهمة إلى مصوع لتأمين السلاح الذي قد تم التفاهم مع المسؤولين الإيطاليين ، وبعد أن تأمن له مبتغاه وأصبح جاهزاً تحت الطلب توجه إلى عدن ، ومنها إلى « لَحْج » ومنها رفع تقريره بما قام به من نشاط وما أنجزه من مهام إلى شاكر بن زيد - وسيأتي نصه -

أخذت رسلهم وأعضاء حزبهم تتوارد ، وتردد بين (عدن) و (مصوع) و جزيرة كمران ، وكما أسلفنا أن حكومي بريطانيا وإيطاليا على علم بنشاطهم ، فاستخباراتهم لا يفوتها أخفى المؤامرات في غير مستعمرتهما فضلاً عما هو في مستوى تلك الحركة ، وهم يتحركون ويقاولون على أسلحة وأرزاق ومؤن علناً وتباشر نشاطها المريب ولا يكون ذلك بدون استئذان وعلم .

وهذا نص التقرير الحرفي

حضرة الشهم البطل النبيل سمو الأمير شاكر بن زيد .

بعد التحية : كتبت إليكم من مصر ثم وصلت مصوع فوجدت الأمر كما يجب وقد اعتمدنا (اللحية) مركزاً للتحرك ، ولابد أنكم تعلمون قبائلها المتأججة الذي يزيد عددهم عن . . . وفخودهم . . . وبينهم وبين رجال ألمع مصاهرة وحلف ، وسنصل إلى (مصوع) لحمل التعليقات اللازمة . والمقصود أن البوادر تدل على النجاح - إن شاء الله تعالى - وقد أرسلنا ثلاثة رسل مهمين جداً .

١ - واحد لقبائل الجنوب الحجازي .

٢ - والثاني لقبائل الساحل .

٣ - والثالث لعسير .

وسيسافر إلى المسارحة أحد رجال الحزب .

وفيما نجدونه في كتاب سكرتير الهيئة (لحزب الأحرار الحجازي بعمان) التفصيل اللازم .

نحن قد شرعنا في الأمر ، والنتيجة أكثر مما نتصور ، ولكن الدفعة التي اتفقنا على تحويلها برقية لم تصل ، وقد كتبنا إلى حامد باشا في (لوزان) والسكرتير لديكم برقية بالنتيجة التي رأيناها حسب الاصطلاح الذي اتفقنا عليه .

ومضت الأيام لم تناول شيئاً ، ونحن مكتئفون متعطلون جداً أرجوكم أن تحذروا حامد باشا من الإهمال ، وليتدرع بالحزم والهمة .

وأرجو ملاحظة الكتاب الأخير المرسل لكم من هنا ، وملاحظة تنفيذه بالدقة المتناهية .

وإذا كنا نريد الانتظام في الأعمال ، وحركة الشمال يجب أن تكون بعد حركة الجنوب فوراً ، وهيئوها .

وإذا ابتدأت تبرقونا بالعنوان المعروف (الشدي) والإمضاء (سعيد) هذا وقد اختار فرع الجنوب هناك أن نكتب إلى الشريف (شرف) ليحضر إلى (عدن) لحضور المؤتمر الوطني الخطير بلهجة سوف لا تدعه يتأخر ، وتجعله يسرع للحضور ، وأفهمناه الطريقة السرية التي يسافر باسمها ويصلنا .

وسنسحب يوم وصول الكتاب تحويلاً بخمسة عشر ألف أو عشرين ألف جنيه وعند وصوله نفهمه باللائم ، وندعوه لمرافقة الحركة .

هذا رأى فرع الحزب هنا ، وعلى كل سيصل أمر اللجنة المركزية باللائم عن هذا الشأن ، الرجا أن تقبلوا الأمر كما يليق بالحزم والنجاح والسرعة والكمائن .

التوقيع : محمد حسين الدباغ

توجه حسين الدباغ إلى صنعاء ، وقابل الإمام يحيى ، وأطلععه على ما تم فاستمع الإمام يحيى إلى أقواله ، وإنما كان متحفظاً ولم يزل به حتى تمكن من الحصول من الإمام على وعد بأن يُوعِزَ إلى ولي عهده السيف أحمد بما يأتي :

١ - تأييد الحركة .

٢ - مساعدة الإدارة في قيامهم الفعلي بالثورة .

٣ - تسهيل أعمال الحزب ونشاط رجاله ضمن أراضيه .

٤ - السماح لبعض اليمنيين بمساعدتهم .

واتصل بالإدارة وأطلعهم على ما تم مع الإمام هذا علاوة على اتصال الإدارة بـ (البدر) ابن الإمام عامل منطقة الحديدة وبعده بالسيف أحمد ولي العهد .

ابن رفادة وثورة الشمال :

أشرنا إلى توجه ابن رفادة وأبي طفيقة « وأتباعهما » من مصر في طريقهم إلى شمال الحجاز فوصل الجميع إلى (النقب) في أوائل شهر محرم ١٣٥١ وبعد أن مكثوا فيها برهة ساروا إلى (الحضر) ثم منه إلى (درب الولفة) وجعلوا طريقهم وسطاً بين الساحل والجبل حتى وصلوا (طابه) آخر نقطة من الحدود المصرية ، واجتازوا الحدود وتعدوا العقبة إلى موضع يسمى (الشريح) وهناك وافاهم أحد أفراد الحزب مسعود الدباغ بالعتاد والأرزاق .

مكثوا في (الشريح) أياماً يدبرون أمرهم ، ويتصلون ببعض أنصارهم وقبائلهم ، ويستميلون غيرهم من شيوخ القبائل ، ويعدون العدة والاتصال مستمر بينهم وبين المركز الرئيسي في الأردن ، فقاموا ببعض الغزوات السريعة من معسكرهم .

وكانت حكومة جلالة الملك تراقب حركاتهم في بقعة وتبصر واستعداد وقد أصدر جلالة الملك أمره بما يأتي :

١ - تسير جيش بقيادة عبد الله بن عقيل ، سلك طريق تبوك ، ومنها تحرك إلى (حقل) و (البدع) .

٢ - تسير جيش آخر تحمله السيارات بقيادة عبد الله بن حلوان ومحمد ابن سلطان سلك طريق الساحل الشمالي وجهته (ضبا) .

واحتياطاً أودعت بعض الشخصيات الحجازية في السجن الاحتياطي ،
في الرياض ممن يخشى أن تجرّفهم الدّعاية أو أن يكون لهم ضلعٌ فيها .

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| ١ - إبراهيم الدباغ . | ٢ - علي بن منصور الشريف . |
| ٣ - عيسى الدباغ . | ٤ - علي بن حسين الحارثي . |
| ٥ - أمين اسحاق بن عقيل | ٦ - عبد الوهاب آشي . |
| ٧ - حمزة شحاته | ٨ - مرزوق اللحياني . |
| ٩ - حسين بسيوني . | ١٠ - محمد حسن عواد . |
| ١١ - سليمان أبو داود . | ١٢ - عبد العزيز جميل . |
| ١٣ - أحمد باصلوح | |
| وغيرهم . | |

وأصدرت الحكومة بتاريخ ٢٦ صفر سنة ٥١ البلاغ الآتي :

- ١ - لا يجوز لأحد من أهل هذه البلاد أن يقوم بدعاية سياسية لأية جهة من الجهات ، ومن علّم عليه شيء من هذا فإدارة الشرطة مأذونة بمعاقبته .
- ٢ - إن الأحزاب والتحزبات ممنوعة في هذه البلاد وكل من يقوم بها ، أو يعمل فيها فإن إدارة الشرطة مسؤولة عن تعقبه ومنعه من ذلك وتأديبه صيانة لقدسية البلاد ، وحفظاً للأمن فيها فعلى هذا ، فمن أراد العبادة في هذه البلاد ويطلب المعيشة من طريقها المشروع فهو آمن حرام الدّم والمال ، ومن أراد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه .

واحتجت وزارة الخارجية على السعودية لدى الحكومة البريطانية على ما اتصل بعلمها عن تصرفات شرق الأردن ، فأمرت الحكومة البريطانية بمنع تسرب الأرزاق والمهما الحربية إلى ابن رفاة عن طريق شرق الأردن ، كما أمرت دورياتها بوادي عربة بمراقبة الحدود ثم نشر المندوب السامي البريطاني في شرق الأردن بلاغاً رسمياً بمنع كل مساعدة سواء من شرق الأردن ، أو عن طريقها للتأثرين ضد حكومة ابن سعود ، وعند ذلك أخذت الحكومة السعودية تعمل على تضيق الخناق على التأثرين في الشمال لتحصرهم في أضيق نقطة .

وعند استكمال سد جميع المنافذ تيقنت الحكومة أن (ابن رفاة) وجماعته وعددهم نحو أربع مئة مقاتل في جبل شار على مسافة نحو خمسين كيلا من بلدة ضبا .

اتخذت الخطوة بالإيعاز إلى بعض أهالي (ضبا) بالكتابة له بطلب قدومه لتسليمه البلدة ففعلوا وبتبليغه الرسالة نزل مسرعاً لاحتلال البلدة ، وما توسط السهل حتى طوقت القوات المحمولة على السيارات برجالها ورشاشاتها ومدافعها وأطبقت عليهم من جميع الجهات .

وفي صباح يوم السبت الموافق ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ جددته بهجوم خاطف جارف قضى عليه وعلى جميع من معه عن آخرهم ، بما فيهم :

حامد بن سالم بن رفاة زعيم الثورة ، ومحمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة وحاجد بن حامد بن رفاة ، ومسعود الدباغ ، وفالح بن حامد بن رفاة ، وسليمان بن أحمد أبو طقيقة .

وحزَّ الجند رأس ابن رفاة ، وطيف به في بلدة (ضبا) وبذلك انتهت ثورة الشمال ، وكان ذلك الفشل الذي أربك مخطط الحزب وأربك (استراتيجيته) وجعله يمشي على رجل واحدة ولكنها رجل واحدة مشلولة يسحبها سحباً في تحاذل وإعياء فقد كان مخططهم كما ألعنا يهدف إلى قيام الثورة في الشمال والوسط والجنوب ، فتَمَّ اعتقال من كان يعول عليهم في الوسط (الحجاز) فلم يبق من يعولون عليه فيها وقامت حركة الشمال قبل ثورة الجنوب فأخطأوا فيها التوقيت وتم القضاء المبرم على تلك الحركة بصورة كاملة شاملة أخذت كل ثائرة وكانوا كما يعتقدون أن ثورة الشمال إذا لم يحالفها النصر السريع فستظل وقتاً طائلاً مشوبة الأوار متأججة النيران فخدمت في أقصر وقت وفي معركة واحدة .

إذن لم يبق إلا حركة الجنوب فتعزوا عزاء الشكلى بالصبر والأمل ، وأن يكون النصر بالنسبة لهم مشكوك فيه ولكن كما قال الشاعر :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

فلاذوا بالأمل وتعلقوا بالأمانى ، ورأى الإمام بدوره ، أن هزيمتهم في الشمال في صالحه فهم سيكونون أضعف مما يقدرّون فإن قاموا بثورتهم في الجنوب فسيكونون إليه في حاجة أشدّ وضعف أعم ، فإن تحقق لهم النجاح وهو أمر مشكوك فيه - فسوف يكون استيلاؤه على البلاد الإدريسية أضمن مقابل مساعدته لهم وجميله مع الأدارسة ، وإن لم ينجحوا فلن ينتصر ابن سعود إلا وهو - في نظره - مشخن بالجراح ، مفلول السلاح ، بعد مجهوده الحربى في الثورتين ، وسيكون موقفه أفضل من موقف خصمه بكثير - وتقدرّون فتضحك الأقدار - وتحت تلك النظرة لمسوا من الإمام التوسع الزائد لحركاتهم أكثر مما كان سابقاً وبمساعده الجديدة تضاعف نشاطهم وسمح لهم بخزن كميات كبيرة من المؤن وغيرها في «الحية» و «ميدى» وغيرها .

ثورة الجنوب :

أشرنا في آخر الفصل الخاص عن علاقة الأدارسة بابن سعود إلى دخول الأدارسة في الحماية السعودية بموجب معاهدة مكة وما دار بين جلالته والإمام يحيى من المكاتبات والمفاوضات ، إلى أن وصلت المفاوضات إلى شبه اعتراف الإمام ببلاد الأدارسة وعسير للملك عبد العزيز ولم يبق إلا موضع (نجران) ، ثم أشرنا في الفصل الخاص (بوادى الحركة الفاشلة) بمقدمات ثورة (حزب الأحرار) واتصالاته بالأدارسة ثم بالإمام يحيى وإحالاته للحزب للاتصال بولي عهده وأمر رجاله بالسماح لنشاط الحزب في أراضيه ومساعدة الأدارسة ، وما أفاد به الشيخ مكى بن يحيى زكري رحمه الله عن تعهد الأمير البدر بن الإمام لرجال الثورة الإدريسية قبل الثورة والآن نستعرض ملابسات الثورة بإسهاب .

من ابتداء حركة الحزب كما ألمعنا اتصل مبكراً بالأدارسة بواسطة محمد عبد الهادي رجب الذي كان مدير جمرك في مدينة اللّحّية وغيرها في العهد العثماني ، ثم في العهد الإدريسي ، وتقلب في عدة وظائف في سلك الجمارك ، وبعد احتلال حكومة الإمام يحيى للنصف الجنوبي من الإمارة الإدريسية استوطن جزيرة كمران ، واشتغل وكيلاً تجارياً لباصْهَيّ وغيره وكان كما يقال :

يشتغل بالسياسة فقد شارك في ثورة مصطفى الإدريسي وإنما بصورة خفيفة ، لم يظهر له دور رئيسي فلم ينله ما نال غيره من السجن والإبعاد ، وظل في وظيفته حتى استوطن جزيرة كمران — كما أسلفنا .

فوصل إلى صيبيا ، واستطاع إقناع الإدريسي وبعض رجاله المقربين بالانضمام إلى الحزب ، وعاد إلى مقره يحمل الموافقة المبدئية ، وأخذت المفاوضات دورها حتى تم الاتفاق ، وكان هو صلة الوصل بين رجال الحزب والإدريسي ، وانتدب الإدريسي شخصين للاتصال بين صيبيا وكمران وكذا بين صيبيا والحديدة وصنعاء .

١ — محمد عبده مزيد حكيم .

٢ — محمد فال الشنقيطي ، وهو من (موريتانيا) ممن وفدوا على المنطقة وظل في خدمة الأدارسة خادماً خاصاً .

علم الملك عبد العزيز باتصال حسين الدباغ وحزبه بالأدارسة فأبرق إلى الحسن الإدريسي بما بلغه ناصحاً ومخبراً ومنذراً من الغواية ، مذكراً إياه بالصدقة القديمة بينه وبين أخيه الإمام محمد بن علي الإدريسي ، ووصيته لجلالة الملك بأمر إمارته وأسرته ، ثم بما قدمه جلالته للإمارة الإدريسية من المساعدة غير المباشرة في أثناء قيسام الحسن على ابن أخيه ، وأخيراً بالتجاهم إليه للحماية بموجب معاهدة مكة .

في حين كان الحسن الإدريسي قد أخذ في التحضير للثورة من قبل ذلك ، فأخذ يستدعي مشايخ القبائل ، والاجتماعات شبه دورية ، فإذا وصلوا صيبيا أبقاهم في صيبيا القديمة في ضيافته حتى إذا كثر سوادهم ، واحتشدت جموعهم بعث لهم ليلاً من ينبه عليهم بأن الاجتماع هذه الليلة في صيبيا (الإدريسية) في قصره ، وهناك يكون القصر قد غص بالأنصار ، ورجال الحاشية ووجهاء صيبيا والمقربين منهم .

وهناك يقوم الحسن متحدثاً بما يقوم مقام غسل دماغ وتعبئة لكل ما ينفرهم من الحكومة ، ويحفزهم على الثورة ويؤمنهم ويعدهم ويرغبهم

ويرهبهم ، ويعمل كل ما يقدر عليه من إعداد النفوس وتهيئة العقول ، ويحضر تلك الاجتماعات بعض أعضاء الحزب ، فيذكى الحماس وساعد نشاط الحزب والاستجابة الإدريسية ، أن هناك بعض العوامل النفسية والحوافز الشخصية من رجال الحاشية والمقربين إلى الحسن ، الذين يتحرقون لتغيير الحال بما يرونه في المصلحة الخاصة وصالحهم بالذات لا على أساس الصالح العام الذي كان غير بارز السمات ، ولا واضح المعالم — حينذاك — في كثير من الجزيرة العربية ، ففضى ذلك الفريق يهسيء الجو لفكرة الانتفاض ، ويضرب على وتر الحساس لدى كثير من مشايخ القبائل ورجال الإمارة وفي مقدمتهم الذين عاصروا العهد الإدريسي الأول .

وبالأخص الذين شاركوا في انتصاراته على الأتراك وتولوا الأعمال الإدارية والقيادات الحربية في جنوب تهامة وشمالها وفي جهات من المناطق الجبلية وعسير .

وأخذ مروجو الفتنة يمنونهم بالنصر العاجل ، والفوز الوشيك ، على ضوء ما وقر في أذهانهم من دعايات (الحزب) . وبأن الحكومة السعودية ضعيفة ، وأن هناك ثورة في الشمال ، وأخرى في الحجاز ، وثالثة في عسير ، وأنه إذا بقي للحكومة شيء فليس هو غير نجد .

وان نجران متقدمة نحوه جيوش الإمام ، إلى غير ذلك من تعميق الشعور بالغبن وطلب التعجيل بانتفاضة يتغير بها الحال ، من الأراجيف التي تملأها الأغراض وتزينها المطاعم .

واندفعت الإغراءات والتشويقات والميول تتلقى مندفعة في تيارات كالشلالات إلى قلب الحسن الذي هو مركز الثقل وقطب الجاذبية بحث القبائل ويهيئها للثورة الوشيكة وقد انصاع بجماع قلبه ، وانصاع معه الخاصة واتباعهم العامة ولم يبق من يشك في مخالفته لرأيهم إلا أقلية مثل الشيخ محمد يحيى باصهي وبعض الشخصيات — ولنشرح موقف تلك الشخصية .

محمد بن يحيى باصهي والأدارة :

سبق — أن ألعنا عن منشأ كل من الإدريسي ، وباصهي ، وأحمد شريف الخواجي ، ووقفنا مع كل منهم إلى نجاح الثورة الإدريسية ، وبذلك أضحى :

١ — الإدريسي إمام تهامة عسير وبعض تهامة اليمن وقسم من المنطقة الجبلية الشرقية وعسير .

٢ — باصهي وزيراً من وزراء الإدريسي البارزين ومن كبار أغنياء المنطقة .

٣ — أحمد شريف زعيم المعارضة قبل قطع يديه وبعدها احتضنه الأتراك وأرسلوه إلى أبها ثم استرابوا في إخلاصه فقتلوه .
وبتعبير ذلك العصر أحد خدامها المخلصين .

حالة الوزراء :

إن باصهي وزملاءه من الوزراء يتوجون توقيعاتهم — بما يعتبر في ذلك العصر — من ألقاب الشرف ورتب التشريف ، (مملوك الإدريسي) وخادم نعله —

ويقال : إن الشخص كان تتيم له مقابلة الإدريسي ، إذا أقبل على مجلسه — حبواً على الركب وهذه حقائق معروفة لدى من عاصر ذلك العهد نوردها للحقيقة والتاريخ .

وللحقيقة أيضاً نورد أن الإدريسي لم يكن بالمتجبر أو المتكبر بل هو من كبار علماء عصره غير أن مسلك الصوفية الذي ورثه ، يدعو إلى تعظيم شيوخ الطريقة ، ولثم أقدامهم ، والتظاهر بالخشية والاستضعاف أمامهم ولا يمكن لفرد مهما بلغ من قوة شخصيته التخلص السريع من الرواسب الموروثة من العادات والتقاليد ، .

فإذا كانت تلك هي منزلة الوزراء — أي كمنزلة فقراء الصوفية مع

شيخهم بما يسمونه أدب السلوك في مصطلح الصوفية ، وجده إمام التصوف في عصره وهو بصلاحه وتقواه غني عن التعريف .

تلك منزلة الوزراء في ذلك العهد ، وكان أولئك الرجال الذين كانوا على قمة الأمر والنهي ، يقدّمون مثل تلك الفروض التقليدية عن إخلاص ساذج وغلو مؤكد ، في تقوى الإدريسي وصدقه وقدرته حتى من لم يكن مخلصاً لتلك التقاليد ، والمغالات في الطاعة وإظهار ضروب الولاء ، فإنه يتظاهر بذلك ، ويتعوده حتى يصبح له عادة .

ولم يكن باصهي ، من ذلك النمط الساذج ، بل كان مثقفاً ذكياً مطلعاً على كتب التراث من تاريخ وأدب ، ومكتبته عامرة بالكثير منها ، وقد أخذ مبادئ الفقه على قريبه الشيخ سالم باصهي الذي كان من علماء الفقه الشافعي في صيبا .

قلنا إن باصهي كان ذكياً ، والذكاء كثيراً ما يكون جنابة على صاحبه في مثل ذلك المجتمع ، ويكفي ما نعتته به متصرف أنها سليمان شفيق بقوله ، (مفرط الذكاء وصاحب الثروة الطائلة) .

كان متحرر الرأي ، والطاعة العمياء ، هي أنفع ما يتحلى به المقربون — آنذاك — ويشارك باصهي أو يشتركان في هذا التحرر الفكري زميل صباه وصديقه ، محمد حيدر القبي ، من أعضاء المحكمة العليا ، ويختلفان في ما عداه . مذهباً وسياسة .

يروى عن باصهي قال : كنا نعتقد أول الأمر أن قيام الإدريسي وحركته دينية مجردة عن كل غرض سياسي ، أو ارتباط خارجي ، أو عون أجنبي ، وقد استطاع بدعائه الخارق أن يعمي علينا حتى نحن — أي هو ورفقاؤه — حتى كان يوم دخول جازان ذلك اليوم وصلت من مصوع سفينة أو باخرة ، وبعد رسوئها نزل منها رسولٌ يحمل خطاباً وخمس صُررَ مختومة من ذات آلاف الجنيه ومن ذلك اليوم علمنا أن هناك سياسة خارجية تساند قيامه .

ويروى أيضاً أن الإدريسي بعد استقرار أمره ، لم يكن ليطمئن إلى بادئِهِ ، وأنه عزم غير مرة على إلقاء القبض عليه ومجنته أو إعدامه ، إلا أنه كان كل ما همَّ ، كان يشفع له لديه سابق الخدمة ، وواجب الحرمة ، وقد صرح مرة بذلك .

ويذكر أن الإدريسي التفت إلى باصْهِيّ وهو مائل أمامه مع زملائه الوزراء فقال له : يا محمد تقول لماذا قَتَلَ الخليفة هارون الرشيد وزيره (جعفر) فأجاب باصْهِيّ متلعثماً من هول المفاجأة بإلقاء مثل ذلك السؤال عليه : يُقال يا سيدي ، في ذلك أقوال مختلفة . فابتدره معقّباً على إجابته بسرعة لا . . وإنما كان متعاطي^(١) مثلك فقتله ؟ فاصفر لون باصْهِيّ وكاد أن يتوقف نبضه ، ووجم المجلس لهول ذلك .

إن باصهي كان أصيلاً في التجارة ، فهي مسلك عائلته التقليدي ، وبعض منهم كان من علماء الدين ، وإنما في العهد الإدريسي تأثلت تجارته أضعافاً مضاعفة وتلاه زميله الوزير يحيى زكري ، ويقال : إنه كانت ترد عشرات الطرود من البضائع مهمة بدون علامات ، لسرعة التجار في ترحيل بضائعهم من عدن إلى جازان الميناء الوحيد المفتوح من مواني البحر الأحمر الجنوبية والحصار مضروب على بقية المواني التي تحت الأتراك ، ومزاحمة التجار بعضهم البعض لسرعة الشحن يحدث ذلك ، وبوصولها إلى جازان فتفرز البضائع المهمة من العلامات على حده ، حتى يعرف أصحابها - صورياً - وعندما تمضي عليها أيام يتوزعها باصهي ويحيى زكري ، يضاف إلى ذلك المصالح الأخرى الكثيرة .

وأنه بعد تدهور أسعار الجلود (الأدم) عقب الحرب العالمية الأولى نال الزكري خسائر فادحة إلا أنه استطاع تفاديها وأن يخرج من تلك الأزمة سليماً ، وشعر أن الإدريسي قد علم بكل شيء ، فتخوف وأوعز إلى وكيله بعدن محمد محسن الصافي ، بأن يشكوه بصورة خاصة على الإدريسي ويطلبه

(١) تعني في جهتنا : يتدخل فيما لايعنيه ، متجاوز لحدوده .

بديون وطلبات عليه ، وما هو مثل ذلك ، مما يورث له العطف ويعود عليه بالتخفيف من نقمة الإدريسي .

ومن المعروف بين معاصري ذلك العهد أن باصهي كثيراً ما يكون مغضوباً عليه ، ويؤذن للوزراء بالدخول ولا يؤذن له ، ثم يحصل عنه الرضا ، ثم يعود عليه السخط ، وعلى وجه الإجمال كان بين السخط والرضا والخوف والرجاء .

أما في عهد الإمام الابن فقد مر بالقارئ — أحوال الوزراء عامة وباصهي خاصة ، مما انتهى بإبعادهم جميعاً .

في عهد الحسن :

وصل باصهي ، مع زملائه ، من المستفَى فكان بطبيعة الحال تبادل عواطف وإبداء مشاعر واستعراض مجاملات بين إمام جديد ، كانوا ينتظرون إمامته إبان وفاة أخيه ، أو أقله وصايته ، بل كان باصهي من الفريق المحبذ لإمامته على ابن أخيه علي بن محمد ، وقد نالهم بسببه من ابن أخيه ، ما مر بك — آنفاً — ثم بليت المجاملات ، وجمدت العواطف ، وركد ربح الإمارة الإدريسية ، وقلت إيراداتها ، وضعفت أحوال رجالها ، ووجد الحرمان المشترك بينهم ، وشغل الفراغ بالمجاملات الفارغة ، وتساوى الجميع في التعطل من الوظائف ، فساءت الحالة المادية ، إلا باصهي التاجر النشط ، والعمل الجاد ، بحكم منشئه ، وطبيعته الجادة ، فقد التفت إلى تنمية تجارته فوسع مجالها ، ونوع نشاطها ، وساعده تأخر أحوال المنافسين السابقين وأعانه جاهه العريض ، ونفوذه ومكانته الاجتماعية ، وتجاربه الماضية فكان لتجارته روافد ترفدها من الجاه والنفوذ ، وما تصعب مهّد له المال ، وقلّ ما يكون ذلك — والنجاح والنشاط العملي ، يشغلان المرء عن المجاملات في كثير من الحالات — والدنيا دنيا عواطف ومشاعر ، فأصبح المقربون من رجال الإدريسي خاصة ، وغيرهم من وجهاء المجتمع بصورة عامة ينظرون إلى باصهي — أو بالأصح إلى أحوال باصهي — بعين الغيرة ، وعدم

الارتياح ، المبطن بالحسد وبالتالي سرت العدوى إلى الأدارسة أنفسهم ، أضيف إلى ذلك بعض الأمور البسيطة جداً في عصرنا هذا ، كانت في ذلك العهد مما يثير الثائرة وتشعل نار الغيرة والحسد .

كان تردّي الأحوال الاقتصادية لا تمكن المتوسط بلّكه الأغنياء في ذلك المستوى من بناء دار إضافية من الحجر ، أو غيره إلا في أنذر من النادر ، وفي غاية الاقتصاد والاختصار ، وتجارة باصهي التي نمت ، وازدهرت تتطلب بناء مخازن جديدة ، ففعل ، وبيوته احتاجت إلى توسعة ففعل ، وأنشأ بيوتاً من الحجر في صبيا الإدريسية وفي صبيا القديمة ، والناس في أوقات الرخاء والازدهار لا تنظر بعين الغبطة لمن فعل ذلك بل يكاد كل منهم ينشئ ويجدد ويبني ، دائماً وفي أوقات الأزمة والتأخر الاقتصادي والركود يساوي الحرمان ، فإذا سعدت حالة فرد كان شذوذاً في القاعدة ونشازاً في الأداء .

كان الإمام الإدريسي هو الوحيد الذي يستخدم السيارة في تنقلاته ، وقد تكون من شارة الملك - حينذاك - وقد ساوت سوء الحالة الاقتصادية بين الجميع - تقريباً - بحيث لا تتحمل حالة اقتناء مثل ذلك لو أراد أحد اقتناءها ما عدا باصهي لسعة تجارته ، فضلاً عما تلوكه به الألسن وتقذى به الأعين ، فقد وفر في عرف الأكثرين أن ذلك من خصوصيات (الحاكم الإدريسي) .

ولا نذهب بعيداً فقد كان في عهد الملك حسين بن علي ملك الحجاز السابق لا يقدر أحد أن يقتني سيارة ، مع تحسن حالة التجار هناك ، وليس في الحجاز بأسره في عهده سيارة إلا له - فلا لوم على الإدريسي ، إذ أن فقد كانت الأثرة موجودة في غيره .

وفي عام ١٣٤٧ هـ وهي السنة التي توجه فيها الوفد الإدريسي الثاني إلى الحجاز ومن أعضاء الوفد محمد يحيى باصهي ، وبعد انتهاء مهمة الوفد توجه باصهي إلى مصر لمعالجة عينيه ، ومع عودته بطريق (عدن) اشترى سيارتين إحداها لنفسه ، والأخرى للإمام الإدريسي وعلى حسابه

تخصم لباصهي من الرسوم الجمركية ، وكأنه وهو العارف — رأى أنه من غير المستساغ أن يأخذ لنفسه سيارة بدون أن يأخذ للإدريسي أخرى ، وكان جلبُ باصهي لنفسه سيارة مِثَارَ هَمْسٍ وَلَمَزٍ وَغَمَزٍ ، وجاء إحياء باصهي لأرض (الكدرة) في بَيْشْ جاء موضع إثارة حسد من الكثير ، ومحل اضطغان من الإدريسي نفسه ، فإلى ذلك التاريخ لم يَقُمْ أحدٌ بإحياء منطقة شجراء إلا الإمام الإدريسي الأول ، الذي أحيا أرض (الخيصة) ، وتلاها بأرض (الرزنة) في بيش وأثار أصداد باصهي وبالأخص خصومه المقربون من الإدريسي ، بقولهم : ربما باصهي يتأدى لغيرها مثل أرض (الحُضن) القريبة بل الملاصقة للرنزة .

سارع الحسن باستدعاء شيوخ بَيْشْ ، وطلب منهم التأييد على هبة أرض (الحُضن) باعتبارها من ضمن أرض الرزنة ، وأن الرزنة خاصة بأبناء أخيه الإمام الأسبق فيكون (الحُضن) له هو ، وواسى أولئك الرؤساء ورغبهم ورهبهم فوافقوه — كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وفي سنة ١٣٤٩ قام باصُهَيَّ بمحاولة إحياء أرض (أبي الصَّبَر) التي شرق السلامة العليا على واديي (قَرَى) و (بَيْشْ) فاتفق مع رؤساء قبيلة (السادة) وغيرهم باعتبار تلك الأرض مشاعة بينهم ومرفق ومرعى لأنعامهم ، وتمت الصفقة ، بالطريقة التي تم بموجبها مشترى أرض (الكدرة) وهي في قدر مساحة أرض (الكدرة) أو أكبر مساحة ، فتأججت نار الغيرة والحسد من جديد ، في قلوب أصداد باصهي ، فأوعزوا إلى قبيلة (الهتانة) وهي من قبائل (السلامة) بأن تعترض على ذلك ، فهَبَّ الهتانة معارضين ومقاومين وشكوا على الإدريسي ، وشعر باصُهَيَّ فشكى بدوره ، وتفاهم مع الإدريسي خصيصاً فوعده بالنظر في الأمر ، وظن باصهي أن الإدريسي سيقنعهم وأوعز إلى قبيلة السادة بالشكوى أيضاً لتأييد موقفه ، وكان رؤساء قبيلة السادة ممن باع تلك الأرض وقد قبضوا ما يخصهم من القيمة وهي الأكثر ، وهم الأقوى بالنسبة إلى المعارضين ، وإنما المعارضون معهم أصداد باصهي وخصومه من المقربين من الإدريسي

فحضوا (الهتانة) على منع باصهي من مسح الأرض أو تحديدها ، وفي اليوم الذي تواعد باصهي مع رؤساء السادة وبقية قبائل السلامة والمحلة توجه باصهي ، في سيارته للوقوف على الأرض وتسلمها وتحديدها ، وقد نبه رؤساء السادة والمحلة للحضور إلى الأرض ، فبلغه في المساء أن قبيلة الهتانة سوف يمنعون من تحديد الأرض ، فاحتاط وكتب لوكيله على أرضه في بيش بأن يوافيه معه رجال يعتمد عليهم ، فاجتهد وكيه أتي بمئة مسلح من جماعته قبائل بيش وبكر من أم الخشب إلى (أبي الصبر) .

كان خصوم باصهي واعدائه المقربون من الإدريسي على اتصال بوجهاء قبيلة الهتانة ويساندونهم خفية ، بل يحرضونهم على الفتك به إن أمكن ، وإلا فالتهديد الجارح والمنع الصارخ .

بكر باصهي في سيارته ، ومعه صديقه فتح الدين بن قاسم بن صديق شافع ، وخمسة من مواليه قد حملوا السلاح ، ومر على وجهاء قبيلة السادة وأخذهم معه في السيارة الثانية ووصلوا إلى أبي الصبر ، فوجدوا جماعة نحو الخمسين من الهتانة مسلحين ، والشر يتضح في قسما وجوههم ، فاعترضوهم لمنعهم من تحديد الأرض ، ووقعت المجاعة والخصام ، وإذا وكيه البيشي مقبلا بجماعته قد ارتفع عجاجهم فاشتد أزر باصهي وجماعته ، ورجحت كفهم ، وأقبل جماعات من أهل المحلة ، وهم من بائعي الأرض ، وأقبل غيرهم من القرى ، ونصحوا العاقل ولاموا المتسرع والسفيه ، وانتهى الموقف بأن سمح لباصهي بتحديد الأرض وأن الهتانة إذا كان لهم اعتراض فعليهم التقدم إلى الشرع ، أو يرضيهم باصهي بالعطاء .

وعاد باصهي ، ودخل إلى الإدريسي شاكيا ، فوعده مجاملا بأن ينظر في المعتدين واكتفى هو بالوعد ، وقد عرف الحقيقة ، وتوجه إلى مندوب السعودي في جازان وأخبره بالقضية فأرسل للمعتدين وزجرهم من التعدي مرة ثانية .

وبالرغم عن كل ما جرى فقد تمت إجراءات تسجيل ملكية أبي الصبر ،

والحركة الثورية في مراحلها الأخيرة ، وكان المعارضون والخصوم ينتظرون قيام الثورة لتصفية الحساب ، ومحمد يحيى باصهي من معارضيها ، ومن خارج نطاقها فليكن لهم معه ما يريدون مستقبلاً .

وهناك قضية (الزكري) (والصافي) التي سبقت الإشارة إليها - لا تزال طرية الجراح ، وقد عزم الابن الأكبر ، للزكري ، على المصالحة مع (الصافي) وفعلًا سافر إلى عدن ، وأخذ توصية من الشيخ محمد يحيى باصهي ، ويقال : إن التوصية تلاها أو سبقها التحريض والتعقيد ، فكانت النتيجة رجوعه بدون حل للقضية ، بل زاد التنافر والحصام والتهديد من الزكري بقوله للصافي : لن ينفعك باصهي وسترى وسيرى هو مالا يسر .

وباصهي في حياته العامة سرٌّ يتحلى بكل خلق السيادة والزعامة مضافاً متدين إلا أنه يعرف بعمق الرغبة في تحطيم منافسيه ، وعدم التساهل مع كبار مناويته ، وفيما سبق له مع أحمد شريف ، ما يكمل الصورة .

وفي أول عام ١٣٥٠ عزل المندوب السعودي حمد الشويعر ، وخلفه فهد بن زعير مندوباً سامياً في المنطقة .

عود على بدء :

أخذت رسل الفتنة ممن يسمون (حزب الأحرار) - بعد اخفاقهم في حركة الشمال يكثفون نشاطهم في تأريث الفتنة ، وتواصل اغراعاتها وترغيبها واستقطاب الانصار حتى تمكنت من اجتذاب الخاصة الذين أخذوا بدورهم في تهيج العامة ، واعداد النفوس وتهيئة العقول - وساعد دعوتها للفتنة ما كان عليه محمد بن عبد الله الحجازي أمير صبيا الإداري من الفظاظة ، وخشونة الطبع وشدة العسف ، مما لا ترضاه حكومة الملك عبد العزيز - ومن ذلك على سبيل المثال أنه كان في الجامع لصلاة الجمعة وعندما سلم الإمام أمر الجنود أن تخرج إلى خارج الجامع وكل من أقبل بعد انتهاء الصلاة يوقفونه في ساحة المسجد الجامع وبعد ما أخرج أمر بالمتخلفين أن يبطحوا ويضرب كل منه على ظهره عدداً من العصي ، والضرب في منطقتنا على

تلك الصورة أو غيرها يستنكف ويعد من أكبر الاهانات ، فكان لذلك وقع سيء أورث الضغن في القلوب .

وكان أبسر عقوبة لديه (الفَرْش) ومن ذلك أنه والثورة في سبيل الاختيار شكى شخص عليه إبراهيم صهلولي قادري ، وهو من الشجعان المعروفين وكان جالساً في حانوته ، فما شعر إلا بجندي من جنود الأمير الحجازي واقفاً على رأسه يأمره باجابة الأمير ، وكان قد وقع بينه وبين شخص خصومة قبل ساعة فتخلص من الجندي ، وأخذ بندقيته المسندة ورائه معبأة بالرصاص وأسرع إلى بيت باصهي ، وانتظر لحظة فإذا باصهي خارج ليركب سيارته إلى السوق ، فرأى وجه الرجل على غير ما يعهده فإذا الشخص يرمي بنفسه عليه ويقبل رأسه ويقول له : يا أبا يحيى أنا في وجهك من الحجازي ، تخاصمت مع فلان فراح يشكو إليَّ الحجازي ، فأرسل لي جندياً وأعلم إذا وصلت سوف يأمر بضربي وعندها سوف أفرغ رصاص هذا البندق في رأسه ، وستكون فتنة يعلم الله نتيجتها ، فتراني دخيلك ، فطمأنه باصهي وقال : اركب معي وأنت في وجهي ، وركب معه ، وصل به إلى الحجازي وتفاهم معه مفاهمة حاسمة وسوَّى الأمر وخرج إبراهيم صهلولي معه بدون أن يمسه شيء .

اشتدت نقمة الناس واستغل دعاة الفتنة تلك وأمثالها شأن من يستغل أوهى الأسباب لأغراض الدعاية السيئة وبلغ المندوب السعودي فهد بن زعير غلظة الحجازي ، وسوء تصرفه فعزله وأمر جميع أمراء المناطق بأخذ الناس بالرافة .

ولمّا برغم ذلك أخذت الحركة تسير في خطواتها المحمومة ، وهرولتها السريعة ، وقد ملأت المنطقة موجة جارفة من الدعاية الموجهة ضد الحكومة السعودية عامة وباصهي خاصة ، تهيءُ الأفكار للوثبة والقضاء على باصهي ، وبعد ارتباطهم مع (حزب الأحرار) ، وما امدوهم به من مادة متواضعة ، وماتم بينهم وبين الأمير البدر ابن الإمام ، ثم بعد وفاته بينهم وبين ولي عهد اليمن السيف أحمد ، كان مزعمو الثورة فريقين : الأول ومنهم الأدارسة

أنفسهم غرتهم دعاية الحزب ووعدهم باستعادة أمجادهم السابقة ، وطمانهم حسب تعهد (الحزب) بعدم اعتداء الإمام يحيى على بلادهم ، وأن حكومتهم المنتظرة ستكون درعاً لهم ، وأن باصهي هو الضالع مع الحكومة السعودية فينبغي التخلص منه عند سنوح الفرصة .

وأما الفريق الآخر وعلى رأسه مكى زكري ، ومعروف ما بين الزكري وباصهي من المنافسة وجاءت قضية (الصافي) وحجز أملاك الزكري ، فكانت (القشة) التي قصمت ظهر البعير ، واعتبروا أن باصهي هو السبب والمتسبب ، وانضم إلى مكى زكري محمد أمين الشنقيطي مستشار الحسن ، وجرفوا شباب المنطقة الذين ينظرون لتفوق باصهي مالياً واجتماعياً بـعَيْنِ الحسد ، أو من تعامل معه تجارياً وأفلس ، فاضطر إلى بيع أرضه لسداد دينه من الذي لباصهي وهم كثير ، وكان هم هذا الفريق أن يصبح صاحب النفوذ والتفوق ، وإن القضاء على باصهي هو الأول والأهم عندهم .

الاجتماعات :

بدأ الإدريسي بعد اتمام الاتفاق مع الحزب باستدعاء مشايخ القبائل ووجهاء البلدان كل شيخ قبيلة هو والعرفاء والأعيان ، فإذا وصلوا جدد العهد معهم ، وبعدها يلح في الاستفسار عن أحوالهم وشؤونهم ، وكيف أميرهم وإدارته لجهتهم ، وبطبيعة الحال أن الحاكم لن يكون موضع رضا من الجميع وهنا يبدأ الحديث ويعلق الإدريسي بأنه لا يلزم السكوت ، وإننا نتألم لكم ، وسوف ننظر في شؤونكم بأنفسنا ويلمسون هم نغمة العداء فينجذبون تلقائياً إليها ويظهرون التذمر ، والتشكي من استبداد أميرهم ، وظلمه بزعمهم ، وهنا تتاح الفرصة فيظهر لهم عدم رضاه لمعاملة الأمير ، ومشاركته لهم في التألم من الواقع وأنه يرغب إخباره بكل ما يجد ، وأنه سوف يرفع بشأنهم ، ويعمل على إزالة مظالمهم ، ثم يَنْفَعُهُمْ ببعض العطاء ، وهكذا يجدد العهد بهم ، ويؤكد ارتباطهم به وبعد مدة يُعيد

استدعاءهم وبتفاهم معهم بصورة أوضح وأقرب إلى الغرض المنشود ،
والغاية المرجوة ، ومن لم يستجب سجن وفي السجن تكون المساومة حتى
يدعن ، ومن سجن شيخ مشايخ المسارحة وانما في السجن الاحتياطي ،
ولا يعلم — كما بلغني — هل السجن كان للضغط عليه للاستجابة في الإعداد
للثورة ، أو كان سوريا لغرض التعمية والتمويه أو لعملية غسل دماغ ، وتعبئة
بأفكار الحركة ، إلا أنه عندما قامت الثورة كان عضواً فعلاً وتولى قيادة
قطاع وادي جازان ، وكان مركزه على مورد جحلبية .

وبعد أن نجحت الاستدعاءات للمشايخ ، وأصبحوا مهينين لقبول
الاستجابة ، كان يستدعى مشايخ كل جهة وزعماءها وتعقد اجتماعات ليلية
في صييا الإدريسية يفتح الكلام فيها الحسن نفسه ويكاشفهم بما تم ويحفزهم
ويغريهم ، ثم يأخذ عليهم في تجديد العهد ، وينفحهم بالأعطية مما وصله
من الحزب بعد أن يكاشفهم بقرب الحركة ، ويطلب منهم العمل والتهيؤ
في صمت وهدوء .

وسكان المخلاف السليمانى — مقاطعة جازان — كعرب صميمين يتصفون
بالشجاعة والشجاعة ، وكل شعب مهما بلغ من محافظته على القيم تجيده
سريع الاستجابة بحكم العادة وأمور التقاليد لمن يتقلد زمام أمره ، ويتولى
دفة قيادته ، ولولا ذلك ما خدعوا .

رحلة الأمراء :

في تلك الأثناء أشير إلى الأمراء (عبد الوهاب) و (عبد العزيز)
و (عبد الرحيم) أبناء المرحوم الإمام محمد بن علي الإدريسي — مؤسس
الإمارة — بالقيام برحلة إلى مدينة جازان — وهي أول رحلة من بعد دخولهم
في الحماية يقومون بها إلى مدينة جازان مركز إقامة المندوب السعودي ،
وكانما قصد بتلك الزيارة إيقاظ المشاعر وتنبيه الناس لاستقبالهم ثم للسلام
عليهم والاحتفاء بهم ، وقاموا هم بدورات في مرافق المدينة وجولات في
المرتفعات المشرفة عليها ، وتفقدوا أوكار المدافع والاستحكامات ، وزاروا

مستودع السلاح ، وكل ذلك يمثل مغزى له دلالاته ، بعد عزلة طويلة وانزواء أطول .

وزارهم المندوب السعودي بصفتهم ضيوف شرف وأمراء أصدقاء تشملهم حماية الحكومة السعودية ولوالدهم علاقات صداقة بجلالة الملك ، وفوق ذلك وصاية من والدهم لجلالته ، كما سبق الإشارة إلى ذلك .

وبعدها أقام على شرفهم مأدبة حافلة دعا إليها وجهاء المدينة وكبار الموظفين والأميرين الإدريسيين المقيمين في مدينة جازان نفسها محمد العربي ، والعايد بن محمد الإدريسي .

وبعد أن مكثوا نحو أسبوع عادوا إلى صبيها ، مع حاشيتهم ، وفي أثناء إقامتهم في جازان أقبل شيوخ القبائل القريبة من جازان لتحييتهم ومقابلتهم والاحتفاء بهم .

الإدارة الإدريسية في عهد الحسن الإدريسي :

أشرنا في الفصل الثاني عشر إلى الجهاز الحكومي والإدارات المالية والإدارية والديوان الإدريسي في عهد مؤسس الإمارة محمد بن علي الإدريسي إلى حين وفاته .

وبعد وفاته وتولى الأمر ابنه علي الإدريسي ، كان من أول إجراءاته ، نفي وزراء والده وكل رجال الحكومة ، واكتفى بخاله محمد هارون مستشاراً واستوزر من خدم أبيه عبده جراد ، شخصاً عادياً ، وقرب منه بعض الشباب ممن لم يجرب الأمور ، وأبقى من كتاب الديوان شخصاً أو شخصين وكان هو الكل في الكل يتصرف على دون هدى أو تجربة — كما مرَّ بك مفصلاً .

وانتهى عهده بثورة عمه الحسن ، فاستوزر محمد عبد الله باصهي ، الذي رفق حركته بالمال ، ثم أقصاه ، واستوزر عبد القادر باصهي ، وزيراً صورياً يتصرف في حدود ما يقول له ، واستكتب رئيس الديوان في عهد أخيه كامل أفندي ، من أبناء الأتراك المولودين في صنعاء ، ثم

استراب من سلوكه في اتصاله بولي عهد اليمن ، فغضب عليه وظل موقوفاً في بيته ، حتى دبر أمره ليلاً وفر إلى اليمن .

فاستكتب محمد بن أحمد بهكلي من أهل أبي عريش ، وكان المدير لداره والوزير الفعلي شخص من الموالي يسمى بحيص بن سرور ، فهو الأثير عنده والمقدم لديه ، يأمره بقبض ما يصل من الجمارك على قلة ما يرد ويأمر بالصرف على الضيوف أو تأمين ما يلزم .

فلا ديوان ولا محاسبة ولا جهاز حكومة ولا مراقبة ولا إدارة ، وبعد اتصاله بالحزب الحجازي استقدم محمد أمين من جازان ، وجعله مستشاراً سياسياً .

والإدريسي نفسه يتلقى المكاتبات ويأمر بهكلي بالإجابة على ما يرد والشكاوي يفصل فيها قاضي صيبا محمد عبد الله مبجر .

وكان من المقربين إليه صهره عمر البار ومكي زكري ، هذه هي الحالة والاداة فهو مثلاً يعين مأموري الجمارك ، والعمال للمحلات النائية نسبياً كعامل رجال ألمع ، أو قنا والبحر ، أو القحمة ، أما بقية البلاد فشيوخها هم النواب عليها .

التنظيمات السعودية :

كانت مقررات الإدريسي وحاشيته ، ومن لهم رواتب من شيوخ ووجهاء المنطقة ترسل شهرياً من الحجاز^(١) ، ليعتجز إيرادات المنطقة عن الوفاء بشيء من ذلك ، كما كان الأمن غير مستتب .

فأرأت الحكومة السعودية أن تقوم بتنظيمات إدارية ومالية لاستتباب الأمن وتنظيم وضبط حاصلات الجمارك والموارد المالية الأخرى .

(١) هذا بعد (معاهدة مكة) ودخول المنطقة في الحماية ، أما قبل ذلك فكانت تصرف من حاصلات الجمارك إن تواجدت حاصلات فتصرف والا فتؤجل إلى الشهر الآخر لهذا تتأخر الرواتب شهر وشهرين .

وتم تعيين إداريين أمراء في المنطقة ومع كل أمير (أخويا) - جنود -
لأن أغلب بلدان المنطقة يحكم كل بلد شيخها بطريق المصالحة ، ماعدا مدينة
أبي عريش ، فقد عين الإدريسي لها حاكماً هو القاضي عبد الله العتمي ،
وشمل نفوذه المسارحة والحكامة صورياً .

وقد قامت ثورة في أبي عريش ضد العتمي اضطر الإدريسي إلى قيادة
حملة بنفسه للقضاء عليها - كما أسلفنا .

أما الجمارك فهي في جازان والمضاي والشقيق والقحمة - فكانت لاشيء
بذكر فلا تفتيش ولا مراقبة ولا محاسبة .

لهذا رأت الحكومة السعودية أن تقوم بتنظيمات إدارية ومالية -
كما ذكرنا .

وفي صفر عام ١٣٥١ صدر الأمر إلى وزارة المالية بإرسال موظفين
لمنطقة جازان ، كما صدر الأمر إلى الجهات المختصة بإرسال (طوارف)
أمراء جدد للمنطقة كأمراء إداريين على نظر المندوب بعد التشاور مع
الإدريسي ، كما صدر الأمر إلى كل من محمد السليمان التركي مدير مالية
جدة للقيام بالتنظيمات المالية في المنطقة و (تركي بن ماضي) للاستخبارات
وللقيام بتحريرات سرية ، عما ينسب إلى الأدارسة وأعوانهم من حركة
ثورية ، واتصالات بأعضاء الحزب وغيرهم ، واختيار موظفين للمواني
البحرية من أناس يوثق بهم للتدقيق والمراقبة والتفتيش على كل قادم يشبه فيه .
وسافر الجميع من جدة إلى جازان .

كانت الوسائط بين جازان وجدة ، إمّا بحراً بالوسائط الشراعية
أو برّاً بواسطة السيارات الكبيرة ، فتم الاختيار على ترحيلهم بحراً في
سفينة شراعية ، اختير لرئاسة المالية الشيخ عبد الله قاضي ، وللجمارك
حمد الميمان ، ويرافقهم عدد من الموظفين وهذا نص الأمر :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى محمد السليمان التركي وتركي
ابن ماضي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد ذلك من قبل أنتم تمشون من عندنا وأنتم مفتشين للمالية لاغير ، أما تفتيش المالية فهو يختص بمحمد التركي ، ولا حاجة إلى توصية ، يرى الحاضر مالا يراه الغائب — إن شاء الله — وحقائق الأخبار بما يبدو عندنا وعندكم تكون بيننا بالتلغراف .

وأما أنت يا تركي مهمتك الاستخبارات ، والنظر في أمور الرعايا ، واستجلاب قلوب الناس وتعريفنا ويش الذي يرصدهم ويجلبهم ، وعن الذي يضرهم ، وأيضاً تشير على ابن زعير في ذلك .

ومن قبل ها الذي في المرافي يصيرون من جهتك ، ويخبرونك بما يلزم والداخل والخارج والكلام وغيره ، فإذا سمعتم كلام تبحثون عنه حتى توصلونه مقره ، وإذا رأيتم مشتبّه فتمسكونه حتى يعرف من أين مجيئه ومراحه ، ولكن أهل المرافي وغيرهم ، ما يكونون ظاهرين عن طاعة الأمير .

وأنت يا تركي لا تحط امتياز التدخل في الرعية دون الأمير لأن هذا أمر ما نوافق عليه ويصير فيه شقاق ، وملزوم تسعى فيما يوفق بينك وبينه .

وإذا صار أقلّ حال ، تبلغنا ونشوف إن شاء الله ، ان كان الأمر صغير تناسيناه ، وإذا كان كبير رَوَّحْنَا مفتشين ينظرون في المخطيء منكم .

وأما التدخل في أمور الإمارة والحاصلات والأمر فمالك فيه تدخل لا قليل ولا كثير ، إنما أخذ خواطر الناس ، ومعلوماتهم التي عندهم ، وجميع ما عندك تبينه للأمير ابن زعير ، حتى تكون أنت وهو — إن شاء الله — على حالة واحدة والتبيين منك ، والتنفيذ عليه ، وتكونوا مصلحين لا تكونوا مفسدين والإصلاح مطلوب ويرى الحاضر ما لا يراه الغائب .

وبلغونا بكل شيء ، وتقرير أموركم ، واستخباراتكم ، وأمر الرعايا ، وما هم عليه بينوه لنا ، وما اختلفوا فيه أيضاً بينوه ، والتسنييع عند الله ثم عندنا .

ولا يجب لا أنت يا ابن ماضي ، ولا يا ابن تركي ، ولا ابن زعير على

أمر يصير فيه خلل مراعاة لخاطر الثاني ، بل من شاف من رفيقه ينصحه
ان استطاع فالحمد لله ، وإلا فيرفع الأمر إلينا يكون معلوم والسلام في
١١ صفر سنة ١٣٥١ .

وبوصولهم جازان رتبوا الموظفين في أعمالهم الإدارية والمالية وقام
تركبي بن ماضي بتحرياته السريعة فتأكد لديه :

١ - ان حسين وعلي الدباغ في ميناء مصوع المستعمرة الإيطالية يقومان
بنشاطهما واتصالهما بالأدارة والإمام يحيى .

٢ - أن فرعيهم في اللحية وميدى يخزنان المؤن والذخائر ويستأجران
السفن التابعة لرعايا الإمام يحيى ولا يعترض لهما على نشاط بل يجدان
المساعدة ومباركة مسعاهم .

٣ - ان الاتصالات بين حسين الدباغ والأدارة مستمرة ، والتنسيق
حاصل .

٤ - التقارب يكاد يكون شبه تام بين ولي عهد اليمن والأدارة
والدباغين .

٥ - أن النشاط الدعائي والسياسي والحربي بعد إخماد ثورة الشمال أصبح
منصباً على منطقة جازان .

وكانت وجهة كل من المندوب فهد بن زعير ، وتركبي بن ماضي
مختلفتين من حيث أهمية الموقف وتقييم خطورته فكان الأول يميل إلى
التروّي والتحري وعدم التسرع في الرفع ، بينما الآخر لديه شبه قناعة -
كل بحكم مهمته - وباختلاف وجهتي نظريهما وتباين رؤيتهما للقضية ،
رفع تركبي بن ماضي لجلالته بما توصل إليه .

فأبرق جلالته إلى ابن زعير مؤنباً ومستغرباً ، فأجابه بما معناه : بأنه
لا يحب أن يرفع شيئاً بدون أن يقتنع بصحة مضمونه ، فأحال برقيته
إلى تركبي بن ماضي وأمره بالاجتماع بابن زعير ، والتفاهم ، ودراسة

القضية مشتركا ، ورفع تقرير مستعجل عن الحالة ، وعما يريان من مستلزمات دفاعية ، إن كان هناك ما يوجب .

وتم الاجتماع بحضور محمد سليمان التركي - الذي كان يستعد للعودة إلى الحجاز - وعرض تركي بن ماضي مآلديه من أخبار ، من المخبرين السريين من داخل المنطقة وخارجها ، وعرض فهد بن زعير ما لديه من معلومات ، وكان رأي ابن زعير - كما يقول تركي بن ماضي - أن الأخبار التي تصل لتركبي بن ماضي مبالغ فيها ، وتمسك كل برأيه ، ورفع كل بنهاية الجلسة لجلالة الملك ، وطلب تركي بن ماضي في تقرير أرسله قوة للقضاء على الحركة فوصل الجواب بما مضمونه أنه لا يمكن القيام بعمل ضد الإدريسي إلا إذا حصل منه ما يوجب ذلك . كما ورد جواب من نائب جلالة الملك وهذا نصه :

حضرة المكرم تركي بن ماضي .

بالنظر إلى كثرة ما يردنا من الأخبار عن حركات وجواسيس الأعداء المشاغبين وأعمالهم في الجنوب ، فإننا نوضح لكم في ملحق رفقته هذا بعض ما اتصل بعلما لمطالعة بغاية التأمل ، والقيام بما يجب نحو مراقبة سير الأمور والأحوال ، في هذه الناحية ، وعمل التحري التام للوقوف على الحقيقة ، واتخاذ الطرق المفيدة والخطط الحازمة ، مع التيقظ والانتباه لكل ما يحدث ، ورفع النتائج تباعاً إلينا مشتملة على جميع الحقائق دقيقة وجليها ، ولقد أمرنا بتجهز (اللش) وإرساله إليكم ليكون تحت أمركم ، في القيام بتفتيش السفن المشتبه فيها ، ويكون ذلك بغاية الدقة وكمال العناية ولذا حرر .

نائب جلالة الملك فيصل

كان نشاط الحركة قائماً على قدم وساق ، من قبل الإدريسي ، ورجال الحزب تحته على الإسراع ، والتشجيع من رجال الإمام حثيثا ، وفرع الحزب في (الشحيّة) وميدي على اتصال مستمر به من مَصُوع ومن

اللُّحْيَة ومَيْدِي ، وقد استأجر (الحزب) عدداً من السفن وشحنها بالذخائر والمؤن في انتظار قيام الحركة لتنزل حمولتها في جازان والمضاي .

والاجتماعات تعقد ليلاً في صبيا الجديدة يحضرها شيوخ القبائل ورجال المنطقة ، وينصرفون بعد منتصف الليل ، وينصرف من ينصرف للتحضير في جهته ويبقى من يبقى والإدريسي وأنصاره يملأون أدمغتهم بكل ما يحفزهم وبما ينفرهم من الحكومة السعودية ، وأن الحكومة السعودية مقضي عليها ، وأن رجال ألمع سوف تثور ، وأن الحجاز ينتظر قومتهم وحركتهم ليقوم بدوره وانتفاضته وتقوم حكومة هناك تناصرهم وتضرب أي قوة تحرك نحوكم .

وبقيام حركة الحجاز وعسير فلا يمكن للحكومة السعودية أن تصل إلينا ولا علينا إلا القضاء على هذه الشرذمة القليلة عندنا ، وأن الإمام يحيى يؤبدنا ، وسرسل جيوشه لمساعدتنا — إلى غير ذلك ، وأن من تخلف أوخادع مباح المال والدم ، وللسلطة أي سلطة نفوذها ، وسلطانها ، والانتفاذ لمن يتولى أمرها .

وشعر شيوخ القبائل أن من لم يستجب سيكون عرضة للجزاء والتنكيل والسجن ، وقبائلهم قد ملئت أفكارها وشحنت عقولها بدعايات مثيرة ، ضد الحكومة والجماهير إذا عبثت أدمغتها واستثيرت نخوتها بالحق أو الباطل سريعة الاستجابة قوية الاندفاع ، وقد أصبح لديهم شبه قناعة بحكم الدعاية المثيرة بأن الحجاز سوف يثور وكذا (عسير) وأن عليهم ألا يكونوا أضعف من أن يتحركوا مادام أن الناس نائرة في تلك الجهات ، وأن الذخائر والمؤن شحنت من مَصَوِّع ، وأكثر منها في السفن تنتظر تحركهم حتى تنزل شحناتها ، وعلاوة فلاغراءات يصاحبها الأعطية ومشتري الضمائر ، كل ذلك جعل من المنطقة بركاناً يتصاعد دخانه وترتج أركانه استعداداً للانفجار ، وضاع صوت العقل في غوغاء الجهل ، حتى أن بعض مشايخ القبائل المتعقلين ضاعت أصواتهم ، وخنقت أقوالهم لأنهم وصموا بالخيانة والمخادعة فضاء صوت الحق في رهج الباطل .

ابن زعير :

وصلت إلى ابن زعير كتب لطوارف أمراء البلدان ، والعقلاء من المشايخ الذين لم تستهواهم الحركة بما فيها الكفاية ، أو أنهم يقدرّون الموقف حق قدره ، ويعرفون ما سوف تجرّه الفتنة من الشرور والحراب والدمار وسفك الدماء .

وأجال أقداح الرأي ، وخرج بفكره أن يدعو جميع المشايخ ، ويعقد مؤتمراً يستعرض فيه الحالة ، وفعلًا وجه الدعوات ، وحضر أغلبهم ، إلا أن الإدريسي علم بمشروع الدعوة وتفاهم أو أمر المدعوين بما يراه .

وفي اليوم المحدد اجتمع المدعوون وافتتح الجلسة فهد بن زعير نفسه بما معناه : أن الأحداث تسبق الأيام ، وقد بلغني الكثير ، وأنتم أهل البلاد الذين لكم خيرها وعليكم ضررها ، وهنا من يؤرّث الفتن ، وهم أناس قد فشلوا في الشمال وسيفشلون بإذن الله تعالى في الجنوب .

وتعلمون أن ابن سعود لن يترك فتنة تستشري في بلاد هو مسؤول عنها وهي تحت حمايته ، فعليكم المناصحة لنا ، ولالإدريسي فيما يظفيء الفتن .

ولم يسفر الاجتماع إلا عن التنصل وعدم العلم بشيء ، وإن كان هناك من ظل صامتاً ، وانفض الاجتماع على غير نتيجة تذكر .

وتواترت الأخبار عند ابن زعير ببوادر التحركات ، وإلقاء القبض على الطوراف وإرسالهم إلى صيبا ، وأن التجهيز والاستعداد للثورة قد بلغ حده الأقصى .

فأرسل إلى شيخ مشايخ الحكامية الشيخ علي بن أحمد حكيم ، وكان من المشايخ البارزين يرجوه الوصول إليه على وجه السرعة ، وبوصوله اجتمع به ، وتفاهم معه عن الحالة الحاضرة ، وأن جلالة الملك يقدر لكل مخلص موقفه : وتفهم أن ابن سعود لن يترك المنطقة لعبث العابثين ، فإن شاء الله تقف إلى جانبنا مع قبائلك ، عسى أن يكون في ذلك درءاً للفتنة وتطميناً للشر وما هو بمعنى ذلك ، وهو رأي وجيه لو تم ، لأنه بطبيعة

الحال سوف ينضم مع الحُكَّامِيَّةِ غيرهم ، فيكون في ذلك انشقاق وتخلخل في صف الثورة ، ولو مؤقتاً حتى تتوارد القوات الحكومية في خلال ثلاثة أيام أو أربعة أيام من عسير وخلال ستة أو خمسة أيام من الحجاز بالسيارات . أخبرني محمد حسين مغفوري ^(١) ، أحد شيوخ المغاير من الحكامية وقال : وافق الشيخ علي بن أحمد - وكنت حاضراً معه على رأي ابن زعير ، وانصرف عائداً إلى (المضايا) وهنا تفاهم مع من يثق بهم من وجهاء الحُكَّامِيَّةِ وشيوخها وإنما بعد يومين وصلت كتب الإدريسي إلى الشيخ علي بن أحمد يأمره بأن يتقدم بمجاهدي الحكامية إلى (الحفائر) لمقابلة عبد الوهاب الإدريسي والاشتراك في ضرب نطاق الحصار على مدينة جازان .

وبعد ساعات معدودة ، ورده كتاب من فهد بن زعير ، يذكره بالتفاهم الذي تم بينهما ويهيب به إلى المبادرة ، والحضور مع رجال قبيلته إلى جازان .

فإذا الشيخ في المُقْعِدِ المُقْعِمِ ، فاستدعى حالا مشايخ الحكامية وأن يحضر كل منهم رجاله ، وباجتماعهم في تلك الليلة ، عقدَ جلسة معهم وأطلعهم على ما وصله من الإدريسي ، ثم على خطاب ابن زعير ، وأخذ يوضح لهم الموقف حتى استطاع إقناعهم بالتوجه إلى ابن زعير في جازان .

وفي فجر تلك الليلة خرج بقومه من المضايا إلى جازان ماراً بقرية (الكربوس) لضم من بها من رجال المغاير وفعلاً استصحبهم معه في طريقه إلى جازان ، وفي (السبخة) شاهداً فارساً مدججاً يخب به فرسه صوبنا ، وما استقرت أنظارنا عليه إلا وقد قرب منا صائحاً : بالطلاق ترجع يا علي - فحققنا النظر ، فإذا هو الشيخ أحمد علي حكيم ، والد الشيخ علي بن أحمد ، وهو من قادة العهد الإدريسي الأول ، وشيخ مشايخ الحُكَّامِيَّةِ سابقاً ، والذي تنازل عن المشيخة لابنه .

(١) وقد روى الخبر بنصه للأمير تركي السديري أمير منطقة جازان ، كما أخبرني .

وقد كان توجهه من (المرابي) إلى قرية (العقارية) لتفقد مزارعه ، وعند وصول عبد الوهاب الحفائر لحصار جازان علم بوجود الشيخ أحمد علي حكي في قرية العقارية ، فأرسل له ، واستنخاه ، وذكره بمواقفه السابقة مع الأدارسة ، ثم أخبره بموقف ابنه ، ورجاه أن يعترض سبيله ويصل به إليه .

بالطبع هناك من رفع لعبد الوهاب بحركة الشيخ الابن ، واتصالاته بابن زعير وعزمه على السير برجال قبائله إلى جازان ، والمسافة بين المضاياب وجازان ٢٢ كيلا ، والعقارية التي فيها الشيخ الوالد على بعد أربعة أكيال تقريباً أو خمسة من الحفائر ، فاستدعاه واتفق معه على ما ينبغي عمله .

وقف الشيخ الوالد على فرسه يهز حربته نحو نحر ابنه مهدداً بالطلاق ترجع . . : سيدكم عبد الوهاب وقبائل المنطقة على (الحفائر) ، وأنت تريد تحشر الحكامية مع ابن زعير في جازان ، لا يكون ذلك ، ارجع . . .

وأخذ في تسفيه رأي ابنه ، وتأنيب المشايخ الذين معه ، وكان للشيخ أحمد علي مكانته وكلمته المحترمة ، فلم ينصرف عنهم إلا بعد أن تقدم ابنه قبله صوب الحفائر وعبد الوهاب وسار وراءه القوم .

وكذلك اتفق مع محمد بن حسن عطيف^(١) رئيس قبيلة العطفة بأن يصل إلى جازان بمن يقف بجانب ابن زعير فوصل إلى قريته وقد ألم به مرض أسلم على أثره الروح بعد ثلاثة أيام .

الموقف الأخير :

ظل الموقف بتوتره يؤذن بالانفجار في كل لحظة ، والإدريسي ورجاله وأنصاره وعلى رأسهم مكّي زكري ومحمد أمين الشنقيطي ، والاجتماعات تعقد ليلاً في صبيا الإدريسية ، ويستدعى رؤساء القبائل ، ونهاراً في صبيا

(١) روى الخبر ابنه الشيخ يحيى بن محمد ، واكده لي الشيخ حمد السليمان البسام الذي كان من حوصروا في القلعة .

القديمة ، ورسّل الحزب تترى ، ورسله إليهم مستمرة والسفن المشحونة بالأرزاق والذخيرة تصل نحو ثلاث سفن حول جازان والمضايبا .

والأوامر إلى القبائل بالتجهيز تترى ، والتحضير للحرب بقرع^(٢) الطبول ليلاً ونهاراً والناس تنتظر إعلان الثورة والقيام بالحركة في كل لحظة .

في تلك الأثناء وردت برقية من جلالة الملك لتركى بن ماضي وصورتها لفهد بن زعير يأمره بالتوجه إلى صيبا حالا ، ومقابلة الإدريسي ، والوقوف على الحقيقة منه ودرس الحالة وهل هناك ثورة حقيقية واستعداد في صيبا .

ويومها وصلت الأخبار أن أهل أبي عريش ، قد وصل إليهم عمر البار رحيم الإدريسي وهو من سكان أبي عريش ، ومن المقربين جداً وبالاخص في تلك الآونة يحمل أمر الإدريسي بالثورة وسلمهم أعلام الثورة ، والعلم الإدريسي والأمر بالتحرك لحصار جازان .

فأرسل فهد بن زعير إلى الإدريسين المقيمين في مدينة جازان وهما محمد العربي والعايد وتفاهم معهما عن ما يتصل بعلمه من القيام بالثورة والتحركات المريبة وهل حقيقة أن الحسن يتحرك للثورة على الحكومة مع ما بينه وبين ابن سعود من العهود والاتفاقيات ، فأجاباه ، بما معناه أن هذه أراجيف وأكاذيب لا صحة لها ، وأنه لو كان هناك ثورة لما بقينا نحن في جازان نتعرض مع عوائلنا وأموالنا للهلاك ، فبقي في حيرة عمياء ، ورفع بما يجب لجلالته .

ومن ناحية أخرى أخذ بعد التشاور في خزن الماء في قلعة اللاسلكي وبعض الأرزاق استعداداً للطوارئ إذا جاءت الضرورة إلى الاعتصام بالقلعة

ورفع تركى بن ماضي برقية مستعجلة ، بما توفر لديه من معلومات ساخنة وأحداث ملتهبة ، فأبرق جلالته للإدريسي ، ببرقية مضمونها أنه بلغه ما يحضر له من ثورة ويقوم به من حركة هي ضد ما يؤمله فيه ، وينذره

(٢) تفرع الطبول قرعاً خاصاً معروفاً يسمى « التحضير » أى التحضير للحرب .

بأن يترتب على حركته نقض العهد والنكت بالمواثيق ، ويحذره من ذلك وأمر تركي بن ماضي بتوجهه إلى صيبا .

وفي ذلك اليوم بدأت الثورة في صيبا ، فقد اتخذ ذريعة ، من سوء تفاهم بسيط بين خوي من أخويا أمير صيبا وأحد أصحاب الحوانيت تطورت مشادة حامية ، تجمهر الناس نتيجتها ، واعتقلوا الخوي ، وساقوه مكتوفاً إلى الإدريسي فأمر بسجنه واعتقال الأمير وبقية أخوياته في الدار التي هم بها .

وبعد التشاور مع فهد بن زعير حول توجهه إلى صيبا ، اتفق رأيهما على التفاهم مع العابد الإدريسي - والذي ينفي وجود أي حركة أو تحرك بأن يتوجه مع تركي بن ماضي فوافق « العابد » .

الرحلة إلى صيبا :

احضرت سيارة حكومية ومعها (خويّان) خادمان واستقلها تركي ابن ماضي ، والعابد الإدريسي وذلك في مساء ٤ رجب ١٣٥١ ورآى فهد ابن زعير أن يرافقهما كاتبه الخاص .

وصلوا في الساعة العاشرة مدينة صيبا ، وعند باب قصر الإدريسي توقفت السيارة فإذا القصر ، وما حوله يغط في صمت هادئ لا يعكر صفوه أي حركة أو جلبة ، وكأنه لم يكن قصر أمير ، يتحرك للقيام بثورة ، حتى الأنوار مطفأة سوى حارس واحد قد غطّ في سباته تتصاعد أنفاسه بالخير ، فالتفت العابد ليقنع - أو بالأصح ليخدر فكر تركي بن ماضي - قائلاً : حسبنا الله ونعم الوكيل هل هذا قصر من يدبّر حركة ، أو يحضر للثورة ، ضد دولة كبيرة كاللدولة السعودية ، فأجابه تركي بن ماضي متعجباً : إننا نرجو أن لا يكون إلا الخير .

تركي بن ماضي : - إذن أين الإدريسي ؟ .

العابد الإدريسي : - في صيبا الإدريسية ، وسأذهب إليه ، وأخبره وسيأتيكم الخبر ، ونزل العابد من السيارة وأيقظ الحارس الذي قام مذعوراً ، ولما عرف أنه العابد الإدريسي انتفض واقفاً وحياء ، وفتح بوابة القصر ،

وبعد أن استراح أخذ سيارة نقله إلى صيبا^(١) الإدريسية فسلمه تركي بن ماضي بركة الملك ليلسملها للحسن الإدريسي .

وأخذت السيارة الأولى طريقها إلى بيت حسن عابد ، في شمال شرق المدينة حيث تقطن (طارفة) الحكومة ، - أمير صيبا و (أخويه) - خدمه .

وبسماع حركة السيارة خرج من الدار من يستكشف أمرها فنزل تركي ابن ماضي ومن برفقته إلى الداخل ، فوجد (الطارفة) إبراهيم الحماد وبعد السلام والمجاملة التقليدية سأل تركي بن ماضي : هل سمعتم بشيء أو أناكم أحد من قبل الإدريسي ؟ ! .

(الطارفة) إبراهيم الحماد : نعم ، إنه بعد المغرب دخل علينا رجال من أهل صيبا ، وأبلغونا بعدم الخروج من البيت لأن البلاد فيها حركة ويخشى علينا - كما يقولون - من القبائل ونحن تحت الإقامة الجبرية من قبل الظهر .

وما أتم (طارفة) صيبا حديثه ، حتى سمعت حركة غير عادية في طريقها من الطريق إلى داخل الدار ، فأصاحوا الأسماع ، فإذا بعشرة أشخاص مسلحين يتقدمهم واحد منهم فأبلغهم ، أمراً شفهاً من الإدريسي بعدم مغادرة حائط البيت الذي هم فيه ، وأنه قد وضعت عليهم حراسة مشددة خارج الدار تراقبهم .

وما هي إلا لحظات إلا وهم يسمعون أزيز إطلاق الرصاص ، إيذاناً بانفلاق الثورة ، وفي الصباح وصلت جماعة مسلحة سلبتهم أسلحتهم من البنادق والمسدسات والسيوف والخنجر وصادرت السيارة :

(١) يطلق عليها اسم صيبا الإدريسية واسم صيبا الجديدة ، تميزاً لها عن صيبا القديم -

دخول تركي ورفقاؤه على الحسن :

كانت صبييا القديمة غاصة بحشود القبائل التي أقبلت إليها من سائر أنحاء المنطقة وكذا صبييا الجديدة - الإدريسية - وفي صبح يوم الجمعة الموافق ٥ رجب سنة ١٣٥١ أقبل الحسن الإدريسي من صبييا الجديدة في موكب حاشد والطبول تقرع والرايات تحفق والرصاص يطلق والزغاريد تلتلع ، حتى دخل قصره في صبييا القديمة ، وأقبل الناس للسلام عليه .

وبعد أن احتشدت ساحة القصر بالمشايخ والأعيان ووجهاء الناس ، أمر باحضار تركي بن ماضي ومن معه ، مخفوريين ، والناس حولهم في شبه مظاهرة وهياج حتى دخلوا ساحة القصر ، الذي قد ملئت ساحاته بالجموع ومن بينهم محمد يحيى باصهي ومكي زكري ، ومحمد أمين الشنقيطي ، وعبد القادر باصهي وحيدر بن محمد حيدر وغيرهم .

فأدخل تركي بن ماضي ورفقاؤه إلى المجلس فإذا الإدريسي في صدر المحل وعن يمينه ابن أخيه عبد الوهاب الإدريسي ، وعن يساره صهره عمر البار ، وعن يمين عبد الوهاب محمد العربي الإدريسي ، وعبد العزيز الإدريسي والعباد الإدريسي .

فأمروا بالجلوس ، وشرع الحسن في الحديث عن علاقته بابن سعود ، مستعرضاً في حديثه ما سبق من العلاقات الطيبة ، وأنه لازال على ولائه لجلالته إلى أن قال : وإنما لسوء الحظ حصل من القبائل بعض النفور بسبب سوء معاملة أمراء جلالته ، وانه سوف يتوجه إلى جازان للحيلولة دون وقوع أي حادث أو اعتداء على رجال الملك ، وانه سيتصل - برقياً - بجلالته ، ويتخابر معه لتنقية الجو ، وإعادة العلاقات إلى سابق عهدها ، إلى غير ذلك من المحاملات التي لا تنطبق على واقع الحال الحاصل والمشاهد .

فأجابه تركي بن ماضي : العلاقات الطيبة بينكم وبين الملك ، والمعاهدة المبرمة تستدعي التفاهم ، وعدم التسبب فيما يكدر الصفو ، أو يحدث فتنة ، وان عليه أن يرفع لجلالته بكل ما عنده ، وما يطلبه ، والملك يؤيد ذلك . فأجاب : سننظر في الأمر إن شاء الله .

ثم أذن لهم في القيام وانصرفوا ومعهم حراسة إلى المعتقل ، وهناك شددت عليهم الحراسة .

وبخروجهم من القصر خرج الحسن ببقية حشود القبائل إلى قرية (الغراء) التي قد عسكرت بها طلائع حشود الثورة بقيادة عبد الوهاب من قبل أربعة أيام ثم تقدم إلى جازان على رأس جيش من القبائل .

تقدم عبد الوهاب الإدريسي :

تقدم عبد الوهاب الإدريسي من معسكر قرية الغراء يقود نحو خمسمائة مقاتل وعند غروب الشمس كان في (تل المنجارة) على مسافة خمسة أكيال من جازان فصلى المغرب جماعة ثم العشاء وهو يشاهد أنوار المدينة وظل به طول ليله إلى الصباح فتقدم نحو مورد الحفائر وهو قريب من المنجارة .

وعسكر على الحفائر التي تبعد عن المدينة بخمسة أكيال ومنع السقاة من الاستسقاء ، فتأزم الموقف ومدينة جازان مقتلها احتلال موردها الحفائر ، وانهالت القبائل على الحفائر من كل صوب فقد شجعهم وصول عبد الوهاب إليها واحتلالها بدون مقاومة فتشجعوا كثيراً وطمعوا في نهب المدينة .

الفصل الثامن عشر

الحالة في منطقة جازان

الحالة في مدينة جازان :

توجه تركي بن ماضي من جازان حوالي الساعة ٨ مساء ، ومعه العابد الإدريسي و كاتب الإمارة وبعض (الأخويا) وشقت السيارة طريقها في ظلام دامس وسكون متخثر بالكآبة ممتزج بالانقباض النفسي ، والشرود الفكري ، والترقب الخفيف ، والناس في هرج ومرج فن الصباح لم يدخل أحد جازان من أرجاء المنطقة ، وابن زعير غارق في حيرته ، فدهمه الأمر ، وحزبه الحادث ، وهو الرجل الحريص المتجلد ، فاستدعى محمد بن عبد الله الحجازي وأمره بأن يأخذ معه بعض (الأخويا) وعدداً من رجال أحمد فتيني شيخ الزرائق المتحجى إلى الحكومة في جازان هو وأعداد من جماعته ، وبعض جماعة الشوكاني ، ورتب بعضهم في جهة (المطلع) - مدخل المدينة - والبعض على طريق المضايا والباقي يقوم بهم كدورية في المدينة .

وباتت المدينة في حالة نوم اليقظة ، الناس مخدرون لا نيام ، إلى أن أشرقت الشمس ، وأصبح يوم الخميس الموافق ٦ رجب سنة ١٣٥١ فإذا السقاة يعودون بدون ماء ، شاع في المدينة بأن عبد الوهاب معسكر على الحفائر .

فاجتمع ابن زعير بمن يعول عليهم في الرأي ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله القاضي ومحمد الحجازي ، وتم الرأي على تحميل ما يمكن من ذخيرة إلى القلعة ، وتعطيل المدافع التي في الاستحكامات .

وانقضى يوم الخميس بالنسبة إلى ابن زعير وجماعته في الاستعداد والاعداد للتحصن في القلعة في آخر مرحلة .

وارتجت المدينة من أقطارها ، فالماء ممنوع وجيش عبد الوهاب على المورد ، والقبائل على أطراف السباح ، يتحفزون لاحتلال المدينة ونهبها .

وبدأ الأهالي في النزوح إلى ضواحي المدينة أسراباً تتدفق مشياً على الأقدام - الأكثرية - وإنه لمنظر تنفطر له الأكباد ، وتُسقط الدموع .

وانقضى يوم الخميس الموافق ٦ رجب ١٣٥١ والمدينة قد نزع نصف سكانها - تقريباً - وشجع الحسن المقيم في معسكره (بالغراء) نجاح عبد الوهاب في احتلال مورد الماء ، فدفع بقسم آخر من معسكره صوب (الحفائر) لتشديد الحصار على المدينة .

ابن زعير :

كان لدى فهد بن زعير عدد من الجنود النجديين ، لا يتجاوز عددهم ثلاثين رجلاً ، سلاحهم البنادق وجاءه الخبر بأن القبائل تتدفق على معسكر (عبد الوهاب) وينتشرون حول جازان في طرف السباح في نصف دائرة من ساحل البحر في الجنوب إلى ساحل البحر في الشمال ، وليس لديه قوة تستطيع الدفاع ، لو تدفقت تلك الجموع الذين يزيد عددهم على خمسة آلاف محارب .

فبات مساء الخميس بعد أن رتب (أخويه) والزرانيق و (أخويا) الشوكاني من أهل عبس ينتظرون شروق يوم الجمعة بفارغ الصبر ، ومزيد القلق .

الحصار :

وفي صباح يوم الجمعة ٦ رجب وزع ما بقي من ذخيرة قليلة ، ورحل أبناءه وبعض أغراضه في سفينة إلى الحجاز ، وأمر بسد باب القلعة بالحجارة والجبس ، ولما كان وقت صلاة الجمعة اجتمع لديه جماعته والموظفون الحجازيون على رأس عبد الله القاضي ، والنجديون وعددهم نحو الخمسة عشر أو العشرين وصلوا الجمعة في الجامع الذي تحت القلعة وبعد الصلاة مباشرة

ارتقى هو ومن معه من (الأخويا) والموظفين القلعة بالحبال ، وزج من بقى من السكان إلى البادية إلا أقل من القليل .

وبعد المغرب نزل الحجازي وبعض (الأخويا) وتدلوا بالحبال من الناحية الجنوبية ، وانحدروا نحو المطلع ، وما وصلوا هناك إلا وهم يرون طلائع القبائل تتسرب من وراء الجبل الذي شمال المطلع نحو الساحل الشمالي ، من تحت (جبل الصبايا) ، وشعر أنه إن تأخر ربع ساعة حيل بينه وبين الوصول إلى القلعة ، وفي رجوعه من المطلع سمع طلقات الرصاص من الجنوب من جنوب المضربية ، فصاح هو وأصحابه بشعار المهاجمين و(أهادياه) وهم يلوذون بالبيوت ، حتى وصلوا القلعة من الناحية الجنوبية ، فأدلولهم الحبال فارتقى هو وأصحابه إلى القلعة .

وما ارتقى القلعة إلا والنار تطلق على القلعة من منارة الجامع ، ومن بيوت الأدارسة وغيرها ، فأطلق المحصورون النار بدورهم .

وانهمر سيل القبائل على المدينة ، ومستودعات التجار وبيوت الأهالي لنهبها وسلبها ، يحملون جمالهم وحميرهم بالغنيمة الحرام ، والمحاربون يتبادلون إطلاق النار مع المحصورين ، والشوارع مقفرة ، والمدينة يُخيم عليها ظلال الموت وتحوم على أرجائها أشباح الفناء .

وقتل في الشوارع والبيوت المكشوفة للقلعة ما ينوف على العشرين ، ومنهم الشيخ أحمد طاهر زيلع ، رئيس مدينة مَيْدِي ، الملتجئ لدى الحكومة ، وكان في حوش باصقر ، حوش خرب الآن ، وكان في الركن الجنوبي الغربي مكتب له نافذة جنوبية ، فتح جانباً من باب النافذة وماردّه إلا وقد أصابته رصاصة أردته قتيلاً — تغمد الله برحمته .

استمر القتال بتبادل النيران بين المحصورين والمحاصرين ، إلى اليوم العاشر من رجب وفي صبيحة ذلك اليوم دخل على تركي بن ماضي وأصحابه في معتقلهم بـ (صبيا) مكّي زكري ، ومحمد أمين الشنقيطي ، وأحمد الأهدل وأبلغوهم بأن الحسن الإدريسي يريد التقدم من معسكره بالغراء إلى جازان ،

للاتصال بجلالة الملك ، والتخاير معه لاسليكيًا ، وأن الذين في القلعة لا زالوا يطلقون النار ، وأنه يريد منهم الكف حَقْنًا للدماء ، وإلا فإنه سيأمر بتوجيه المدافع على القلعة ، ويدمرها بمن فيها - وكأنهم يريدون إبلاغهم الخبر لتركي بن ماضي ، ليقول لهم : لا لزوم لإطلاق المدافع على القلعة ، وأنه مستعد للتوجه إلى رفقائه لإقناعهم بالتسليم - فقال لهم تركي ابن ماضي : المأسور لا حول له ولا قوة ، فانصرفوا وبالطبع هم مرسلون من الإدريسي نفسه لأن المحصورين طال صمودهم ، والإدريسي يرغب في تسليمهم حتى يتفرغ لما هو أهم عليه ، ومن ناحية أخرى يخشى أن تصلهم نجدة من طريق البحر تفك الحصار وتستخلص مدينة جلايان ، ويكون منها مركز انطلاق للقضاء على الثورة .

وفي الأربعاء الموافق ١١ / ٧ / ١٣٥١ عيل صبر الإدريسي ، وزادت مخاوفه ، فبحثوا في مستودع الذخيرة عن طلقات للمدافع المعطلة التي في استحكام المطلع فوجدوها ، فوجه أحد المدافع صوب القلعة فلم يؤثر التأثير المطلوب ، فوجهوا في اليوم الثاني أكبر مدفع في الاستحكام ، فأول قذيفة مرقت من فوق القلعة فهزتها هزاً ، والثانية صدعت بعض الجدران ، والثالثة أصابت البرج الرئيسي في القلعة فقتلت ثلاثة جنود ، وصادف أن الماء لديهم قد نفذ ، وأن آخر برقية جوافية وصلتهم من جلالة الملك (إذا لم يمكن الصمود فسلموا) لأن آلة اللاسليكي داخل القلعة ، فرفعوا علم التسليم الأبيض ، وفي أثناء رفع أحمد سيف الدين شرواني من أهل مكة من الموظفين العلم صوب برصاصة في كتفه ، وفي نحو الساعة ٩ صباحاً توقف إطلاق النار .

التسليم :

وعلى أثر توقف إطلاق النار وصل إلى القلعة (١) :

١ - العابد الإدريسي ٢ - علي بن أحمد حكيم شيخ الحكامية

(١) هذا ما استفدته من حمد السليمان البسام ، وهو من حوصروا في القلعة ، وذكر الشيخ عبد الله العمودي في تاريخه وصل كتاب من ابن زعير لعبد الوهاب في الحقائق ، فارسله عبد الوهاب معه إلى عمه الحسن موافق عليه ، وإن العمودي اشترك في التسليم .

٣- مكّي زكري ٤- قاسم ناصر أحمد بن شيخ الشرفاء .

٥- حيدر بن محمد حيدر ٦- جبريل بن محمد شيخ أبي عريش

فأدليت الحبال ، فطلع إلى القلعة العابد الإدريسي والشيخ مكّي وعلي ابن أحمد حكّي ، وجبريل بن محمد ، واطر شروط التسليم التي تلتخص في : سلامة المحصورين ، والمحافظة على أرواحهم ، وتسليم موجود القلعة ومنها اللاسلكي سليمة ، وترحيل الحجازيين إلى الحجاز .

وأرسل بالشروط إلى الحسن فوافق عليها .

وهدم البناء الذي يسد باب القلعة ، وأخرج المحصورون ، ورحل الموظفون الحجازيون في سفينة أما النجديون فقد رحل فهد بن زعير والحجازي وحمد الميمان ومعهم جماعة إلى صَبَا ، والباقيون أبقاهم في دار الإدريسي بجازان تحت الحفظ ، وذلك في يوم الخميس الموافق ١٢/٧/١٣٥١ هـ

دخول عبد الوهاب إلى جازان :

وفي يوم الجمعة ١٣ / ٧ دخل عبد الوهاب المدينة يرافقه مكّي زكري ، ومحمد العربي الإدريسي ، والعابد الإدريسي ، ورؤساء القبائل في حشود متكاثرة وموكب حافل فدخل (دارهم) وأمر بأن يصاح بالأمان .

فعاد بعض الأهل الذين في الضواحي ، فوجدوا دُورهم خالية خاوية من كل شيء حتى السرر قد نُهبت .

وفي يوم السبت الموافق ١٤ / ٧ دخل الحسن الإدريسي في بقية الجيش في موكب حافل ، معه رجال المنطقة من الوزراء السابقين ، ومنهم محمد يحيى باصْهَمِي الذي وإن كان يعرف أنه من المغضوب عليهم من الحسن ورجاله ، وإنما الموقف يقتضيه أن لا يتخلف حتى لا يزيد موقفه حرَجاً على حرج وتخلفه في بيته معناه التظاهر بالمخالفة ومعروف ما وراء ذلك .

فاستقبله ابن أخيه عبد الوهاب في المطلع — فدخل مدينة جازان وجميع حشود القبائل التي دخلت مع عبد الوهاب أو توافدت عليه ، وما أكرمهم .

وأطاعت المدافع تحية لقدمه ، وخرج من رجع من أهل المدينة

لاستقباله مع المستقبلين ، والأعلام ترعرع والأعيرة النارية تطلق ، والزغاريد تلعلع .

وفي اليوم الثاني لوصوله قدم إليه من أعضاء الحزب :

علي الدباغ وخالد بن صادق بن عبد المطلب وعزيز يماني .

ووصلت سفينة شراعية بمواد غذائية من الدقيق والأرز ، وقليل من الذخيرة وفي اليوم الذي بعده سافر خالد بن صادق إلى اليمن ، وبقي في جازان علي الدباغ وعزيز يماني .

وفي آخر يوم الإثنين الموافق ١٧ / ٧ غادر الحسن الإدريسي جازان إلى صيبا ، ومعه عبد الوهاب ، وأبقى في جازان نحو مئة مسلح لحماية البلدية بزعمهم وبعث خمسة جنود إلى جزيرة فرسان .

عاد الحسن من جازان فتوقف في (الغراء) وأبقى حشوده في معسكره بقرية (الغراء) على بعد ستة أكيال من صيبا ، ودخل صيبا في المساء ، وأرسل أوامره إلى شيوخ قبائل المنجحة والشُّقِيق بتخريب مضيق (الرقية) - أضيق نقطة في طريق الحجاز - جازان .

كانت الحكومة بناء على البرقيات والتقارير المرفوعة عن ثورة الحسن ، قد جهزت سبعين سيارة تقل خمس مئة جندي مع حمد السليمان الحمدان ، وخالد القُرْقُني ، للتفاهم مع الإدريسي والتحقيق عن مُسبِّبات الحركة لأن توجههم كان قبل قيام الثورة .

كما جهزت اللش (الرياض) يقل مئة وخمسين جنديا من الدواسر بقيادة (ابن درعان) و (ابن نادر) .

وكانت مهمة حمد السليمان ورفقائه - كما أُلْعِنَا - للتحقيق والتباحث مع الإدريسي ، وقبل يومين من توجههم من مكة وصلت البرقيات لجلالة الملك من فهد بن زعير بقيام الثورة ، والتجائه للتحصن في قلعة اللاسلكي ، فالحق بهم محمد بن شُهَيْل ، وأمرُوا بالتوجه على وجه السرعة ومعهم الرسالة الآتية : ١٠١٨ في ٥ / ٧ / ١٣٥١ هـ .

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

سلمه الله . . .

إلى المكرم تركي بن ماضي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فإنّ حاملي كتابنا هذا إليكم الأخ خالد أبو الوليد ، ووكيل وزارة المالية حمد السليان ، وقد توجهوا إليكم ، كلّفوا مهمة ، ومعهم كتب من جلالة الملك ، لابد تتطلعون عليها ، يقتضي إجراء المساعدات التي يطلبونها ، مع ما هو لازم ، يعود بالتسهيل لمهمتهم حرر فيصل .

وصلت الحملة إلى مدينة القنفذة في طريقها إلى جازان ، فالتقت بالسفينة التي فيها الشيخ عبد الله القاضي والموظفون الحجازيون ، فأخبرهم بتفاصيل التسليم ، وإلا فهو على اتصال لاسلكي بالحكومة التي قد أشعرتهم بتسليم ابن زعير وزودتهم بالتعليمات اللازمة .

إن الدعاية التي خدرت الشعب ، وألهبت الجماهير ، من أن الحكومة السعودية في حكم المقضي عليها ، وأنه لم يبق من عمرها إلا أيام معدودة ، وأن الثورة في الحجاز في دور الانفجار ، وأن بلاد عسير ثارت ، وأن قبائل الساحل ثائرة ، إلى غير ذلك من الأراجيف ، وكأن الحسن وأنصاره أخيراً ركنوا إلى عدم اليقظة والحزم بتأثير تلك الدعاية التي كانت تصدر إليهم من الحزب ويصدرونها بدورهم إلى الجماهير .

فبعد رجوعه من جازان مساء يوم الإثنين الموافق ١٧ / ٧ إلى صيبا فبدلاً أن يأخذ الحزم ويأمر ابن أخيه بتقديم بالقوات إلى الشقيق أو يرباط بين الشقيق والدرب ، وتنتشر جنوده وقواته من طريق عسير في جهة درب بني شعبة ، إلى طريق الساحل من الشقيق ويعسكر هو في الخط الثاني في أم الخشب بدلاً عن ذلك مكث هو في داره بصيبا ، وابن أخيه يتردد بين صيبا والغراء ، والقوات العسكرية في الغراء تفرق نصفها ، فليس هناك نظام ولا انضباط ، وانقضى يوم الثلاثاء في الهدوء الذي يسبق العاصفة ، ومع شروق يوم الأربعاء بدأت الأخبار تتناقل همساً .

إن الجيش السعودي أقبل فقد شاهد أهل بيش أدخنة الحرائق وأن أوائل الشاردين من الشقيق قد وصلوا إلى (خبت السيد) .

ومع ضحوة النهار وصلت الأخبار المؤكدة إلى الحسن بوصول حملة السيارات إلى الشقيق وأن سكان ما وراء الشقيق قد نزحوا .

سير الحملة :

وصلت الحملة « البرك » فاستقبلها أميرها ابن علي بن عبده الهلالي ، وأضافها فاستقت منه بعض الأخبار لتسير على بصيرة ، فوصلت القحمة أول الحدود الإدارية للمنطقة فلم تجد أي مقاومة ، وعلمت أن طريق (الرقية) قد خرب ومائيء بالصخور فوصلت إليه وأزالت الصخور المعترضة ووجدت بعض أفراد من القبائل تواروا بمجرد رؤيتهم للسيارات ، فعبروا طريقهم في يقظة واحتراس ، إلى أن وصلوا قرية الشقيق ، فوجدوها خاوية على عروشها ، قد غادرها سكانها ، وانحاز قطعانها إلى ما بين الشقيق والجعافر ، على طريق الساحل وإلى الجهات البعيدة عن الطريق ، ووجدت الحملة في جهة الشقيق وما قبله إبلا لأهل دوقه ، ترعى في تلك الجهات فأنزلوا من يسوقها وراءهم إلى جازان وهم على استعداد لتعويضهم بعد ذلك .

عندما علم الحسن باجتياز الحملة بقرية الشقيق خرج من صبيا إلى (الغراء) فوجد أكثر من في المعسكر قد تفرقوا ، فأمر الباقين بالتقدم نحو قرية (سودة) في خط الساحل .

وقعة سودة :

أهاب الحسن بمن وجده في معسكر (الغراء) بالسير إلى سودة والمرابطة هناك ، لصدة حملة السيارات ، فساروا وليس لديهم سلاح موحد ، ولا ذخيرة كافية ، وليس مع أغلبهم أكثر من عشرين رصاصة ويتقدمهم نحو خمسة عشر فارساً بقيادة مكى زكري وأحمد بن علي الحازمي وسالم ابن عبد القادر باصهي .

ورابطوا غرب قرية سودة ، وأمامهم سبخة منبسطة تخرق أراضيها
السيارات في لمح البصر :

وبعد العصر أقبلت السيارات تتقدمها أربع مصفحات مسلحة ، بعضها
بمدفع سريع الطلقات وبعضها بالرشاشات الخفيفة وجنود مسلحون بسلاح
جديد ونظيف والذخيرة الكافية :

فبوغت الطليعة بإطلاق النيران ، فبعدت عن مرمى البنادق فأصلكتهم
الرشاشات بوابل من النيران ، ونزل بعض الجنود لمشاغلة الجند المعترض .
فقتل جماعة من ذوى الحفاظ من قوات الإدريسي مثل أحمد بن علي
الحازمي وسالم بن عبد القادر باصهي وغيرهم .
فانهارت عزائم من بقي فانسحبوا متفرقين وبعضهم رجع إلى صيا
على رأس مكى زكري .

وبانسحابهم واصلت الطليعة مع أوائل السيارات طريقها ، حتى أن
الحملة مرت وقد انتهت المعركة .

تدلت الشمس تدلف للمغيب ، وتلاحقت أواخر السيارات بأوائلها
وتجمعت في تشكيلات تتقدمها المصفحات والمدفعية الخفيفة في تيقظ وحذر
وفي نحو الساعة السابعة والنصف أو الثامنة كانت بالقرب من كئبان (هالة)
على مسافة نصف ساعة من جازان لسير السيارات .

ومن التغرير والغرور التقدم ليلا على جازان ، وهم على علم بحصانة
موقعها ، وما قد يكون — حسب تقديرهم — استعداد به الإدريسي من
القوات للدفاع عنها .

وهم على علم أن مقتل مدينة جازان — دائماً (الحفائر) مورد الماء وكان
ظنهم أنه قد وضعت لحمايتها قوة تحميها ، وعلى هذا الظن قرروا ما يأتي :

١ — مهاجمة (الحفائر) والاستيلاء عليها بأي ثمن ، والانتظار بوصول
هجمات (رعية) الإبل ، والتدري بأجرامها عند الهجوم على الحفائر
وركوبها لاجتياز الكئبان الرملية التي لا تجتازها السيارات .

٢ - التوقف في كثنان (هالة) إلى طلوع الفجر .

٣ - بعد التمكن من الاستيلاء على الحفائر يبق قسم من الجيش بها والقسم الآخر يهاجم المدينة من ناحية البرّ بينما يهاجمها (اللش) بحراً فباتوا بين الكثنان في (هالة) محرّسين فأطفأوا أنوار السيارات .

اللش :

ما شاهد بعض أهل المدينة أنوار السيارات حتى غمر الناس موجة من الخوف المرعب ، وذاع الخبر فاستشرف الناس من الجبال ومن سطوح المنازل فلم يروا الضوء الذي رآه البعض لأن السيارات أطفأت الأنوار واختلفت الأقوال فمن قائل : إنها نيران الرعيان ، ومنهم من يقول إنها نار مواقد (الحطيم) ، ومنهم من قال إنه خداع البصر وأوهام الخوف إلى غير ذلك . وفي الساعة العاشرة تجددت الإشاعات : إنها سيارات الحملة السعودية ، وأكد ذلك عندما شاهد الناس أمتعة (العربي الإدريسي) ترحل إلى أحد السفن مع عائلته .

وكان العربي قد وصل من صنبيا مع عبد الوهاب الإدريسي ، بعد العصر فدخل داره بصورة مستعجلة ، وأوعز إلى خدمه بأن يرحلوا أهله ليلاً ، بعد أن يهجع الناس ، وأخبرهم أنه متوجه بصحبة عبد الوهاب إلى جهة المسارحة للقدوم بهم لحماية المدينة .

فقامت حركة الزوح من البلدة بطيئة نوعاً ، إلا أنه في نحو الساعة الواحدة صباحاً بالتوقيت الزوالي شوهد نور يومض في البحر ، فعرف أنه مصباح اللش فأطلق الوكر الذي جنوب قلعة البرقية قذيفتين ، فأطفأ اللش أنواره ، ومرق ينساب جنوباً ، فهب المتأخر والمتردد من الناس للرحيل بحراً ، وغصّ الساحل بالأسر ، وامتلأت السفن وأقلعت صوب جزيرة قرّسان ، في نحو الساعة الثالثة صباحاً .

وشعر المئة جندي المؤلفة منهم حامية جازان بحراجة موقفهم ، فلا قيادة توجههم ، ولا ذخيرة ترفد مقاومتهم ، إلى أن تصلهم نجادات ، وماذا تغني مقاومة مئة جندي ، في مدنة بأسرها لهذا اضطروا إلى الانسحاب .

تسلل (اللش) صوب الجنوب في خفة وحذر ، صوب ساحل (العشيا) وفي تَوَدَّةٍ وهُدوءٍ أوقف (محركه) واستعمل بشارته المجاديف إلى أن أرسوه قرب الشاطئ ، بحيث يخوض الجنود الماء وسلاحهم مرفوع على رؤوسهم .

وبعد أن اطمأن من عدم إطلاق النار عليه ، دَنَى من الشاطئ وتلفتوا يمنة ويسرة ، فلم يلاحظوا أي حركة ، أو يسمعوا أي نأمة ، فشجعهم الهدوء ، فانسلوا في غُبْشَةِ الظلام متقدمين صوب الآكام المطلقة على الشاطئ ، فلم يحسوا بأي حركة فتسلقوها في خفة وحذر ، حتى بلغوا أعلاها ، فإذا لا شيء وراءهم ، (كل شيء هادئ في الميدان الغربي)^(١) فهبأ بعضهم مراكز حراسة أمامية وعاد بعضهم يخبر المتظرين على لُحَر من الجمر في (اللش) فقرب (اللش) إلى الشاطئ إلى أدنى نقطة يمكنه الوصول إليها ، وأنزل من فيه بسلام وارتقوا المرتفعات .

نَضَى الظَّلَامُ بَرْقَعَهُ الصَّفِيْقَ على الأفق ، وتسالت أشعة الشمس الأولى ، تمسح بريشتها الذهبية بقايا الغبشة الداكنة ، فتطلع الجند بعيون أذبلها السهر وأعشاها الترقب الخفيف ، فإذا الموقف يغلفه الصمت المطبق ، ويلفه السكون الرهيب ورؤوس الآكام حولهم تراءى كأشباح الرؤى ، وتهاويل الأساطير ، ولا شيء غير ذلك — فأدركوا بحاسة المحارب المحرب والمتعود اليقظان ، أن التقدم ميسور ، فأبقوا نحو خمسة وعشرين في (اللش) وعلى المرتفعات لحماية ظهورهم ، وساروا شمالا غرباً ، حتى قطعوا نصف المسافة بين شاطئ العشيا والمدينة ، وهناك تجمعوا وتبادلوا الرأي وتوافقوا على التفرق جماعات .

١ — الأولى وجهتها البرج الكائن جنوب قلعة البرقية .

٢ — وجهتها قلعة اللاسلكي .

٣ — وجهتها طريق المضربية وهم الأكثر .

سارت الأولى تلوذ بالصخور حتى ارتقوا موقعةً فوجدوه خالياً —

(١) هذا : عنوان رواية مشهورة عالمية عن الحرب العظمى الأولى .

يرحب بهم - فأخر واحد من (الطبقية) رمقهم من بعد ، فأنحدر من
الجهة المعاكسة ونجا بنفسه .

والثانية ، وجدت قلعة اللاسلكي أفرغ من فؤاد أم موسى فأخذ
البعض أمكنتهم في المتاريس ، والآخرون انحدروا صوب بيت العابد
الإدريسي .

والثالثة عندما وصلت (المضربية) - معدن الملح - الحلقة الآن -
رفعوا عقائثرهم مقلدين زفة محلية ، وهم يطلقون الرصاص ، فخرج على
صدى أصواتهم بعض الأهالي المتخلفين ، يحسبونهم من قبيلة المسارحة الذين
ذهب للاستنجد بهم عبد الوهاب و العربي الإدريسي - كما أشرنا إلى ذلك
وكان بعيداً عن الأذهان قدوم النجدة من الخلف ، من الناحية الجنوبية
وما شاهدوا من خرج من الأهالي حتى أطلقوا عليهم الرصاص ظناً منهم
أنهم من جنود الإدريسي ، فانكفأ الناس إلى بيوتهم .

وافترقت الجماعة هذه إلى جماعتين :

إحداها هاجمت بيت الإدريسي . والآخرى قصدت بيت الزكري -
مركز المندوب السعودي ، حيث الأسرى النجدين . في حال أن مجموعهم
جميعاً لا يتجاوز المئة والخمسين .

انتبه العابد الإدريسي على أزيز طلقات البنادق ، فعرف كل شيء ،
فخرج مسرعاً مع بعض خدمه إلى الميناء ، وفي الطريق تساقط عليهم الرصاص
بغزارة من متاريس قلعة اللاسلكي ، فوجد قارباً صغيراً فاستقله إلى آخر
سفينة في الميناء قد رفعت قلعها فلحق بها هو وخدمه .

وقتل على شاطئ الميناء من وصله بعد ذلك بخمس دقائق برصاص من
نزّلوا من برج المدافع الجنوبي ، ومن في قلعة اللاسلكي ، ومنهم علي الدباغ
من أعضاء (الحزب) .

أما المجموعة التي قصدت بيت الزكري الذي فيه الأسرى فقد عرفوا

أن الطلقات من السلاح الحكومي وأن مصدرها النجدة القادمة من الحجاز ، فانفقوا مع حراسهم الأربعة على أن يتسلموا سلاحهم ، ويضمنوا سلامتهم من المهاجمين .

وعندما أقبلت الجماعة لمهاجمة الدار تلقوهم وطمانوهم على سلامتهم فسألوهم عن بيت الإدريسي فدلّوهم عليه ، وهو ملاصق لبيت الزكري وكان به عشرة حراس ، فقتلوا الجدار ، وتبادلوا معهم الطلقات فأصيب من أصيب حتى قضوا عليهم جميعاً :

واتّصل المهاجمون في شوارع المدينة بجوبونها ركضاً فقتلوا من صادفهم في الشوارع من الناس العزّل .

كما قبض على الضابط عزيز يماني ، وهو متحل شخصية طيب ، فأخذوه لمعالجة بعض المصابين ، ثم أخذوه إلى ابن سليمان ورفقائه فعرفوه ، وحالا أحيل على التحقيق وقبض على ما معه من مكاتبات سرية تتعلق بالحركة .

وبذلك تم احتلال المدينة جميعها ، فوجد في اصطبل العربي والعايد بعض الخيل فركبوها لملاقة حملة السيارات لبشارتهم باحتلال المدينة .

وصلت حملة السيارات - كما أسلفنا - إلى كتيان (هالة) - وباتوا محرسين وقبل الفجر وصلت الإبل - المشار إليها قبلاً - فاستبشروا كثيراً لأن الإبل مع كثرتها سيكون منها ستار تمويه للهجوم ، ورعيانها يسوقونها بحيث لا تلفت نظر الحامية على الحفائر .

لقد وصلت الحملة الفجر وتحركت تحركات يقظة وبطيئة ووجهتها الحفائر والرعيان قبلهم بالإبل ، وهي تنوف على سبع مئة ناقة .

وبعض الجند امتطى ظهور الإبل ودّرهم بها بسرعة ، وبعد كل ربع ساعة يتوقفون قليلاً حتى يتقدم المتأخر ثم يستأنفون السير ، حتى قربوا من الحفائر على مرمى البندق ، فتوقفوا فإذا هم لا يشاهدون أي حركة ، فبعثوا من يدنو حتى يقف على مورد الماء نفسه ، وأن يحترس ويشير لهم بالدنو ، إذا لم يجد أحداً .

وفعلا وصل المورد فإذا ليس به أي شخص فأشار لهم فتقدمت الحملة حتى عسكرت على الحفائر .

وبينا بعض السيارات تتحرك في السبخة وإذا هم يشاهدون عشرة من الفرسان يلوحون بأردانهم ، وهم يصيحون : البشرى ! احتلنا المدينة !! وتقدموا إلى قادة الحملة بالبشرى فكتموا صيحة الفرح والابتهاج ، وتقدموا نحو المدينة بعد أن رتبوا (الحفائر) بكتيبة تحميها وأخذوا بقية القوة معهم إلى المدينة ، وبعد دخولهم صاح صائحهم بالأمان ، فخرج من هو موجود من الأهالي على رأس رئيس البلدية حمّد زيلعي ، وسلموا على قادة الحملة فطمأنوهم .

ومن ثم رتبوا من معهم من القوات على المواقع المهمة حول المدينة في الجبال والمرتفعات وقلعة اللاسلكي والاستحكامات .

فرسان :

وصل من فرّ من الأهالي إلى جزيرة فرسان في الصباح وأكثرهم فرّ إلى البادية ، كما وصل العابد الإدريسي ولم ينزل في الجزيرة بل تزود بالماء وما يحتاجه وأقلع إلى جزيرة (كمران) .

وفي اليوم الثاني وصل (اللنش) إلى فرسان بقل نحو خمسين جندياً وصادف أن وجهاء الجزيرة وعلى رأسهم رئيسها الشيخ محمد عمر شعراوي ، قد تشاوروا حول مصير الخمسة الجنود الذين أرسلهم الإدريسي ، وما ينتظرهم من المصير المفجع لو وصل (اللنش) وليس مع كل جندي إلا خمسة عشر طلقة فاتفق رأيهم على ترحيلهم إلى (المضايا) وحالا أحضرت لهم سفينة أقلتهم متوغلة بهم في عرض البحر تحاشياً من ملاقة (اللنش) حتى أوصلاهم المضايا .

وصل (اللنش) إلى فرسان ، ووجد في الميناء بعض السفن مثقلة بأمثلة الأهالي فأخذوها ، وأفرغوها في (اللنش) ومن ثم نزلوا صوب البلدة ،

فالتقاهم الشيخ محمد عمر شعراوي وزميله حسين بن يحيى رفاعي ، وإبراهيم النجدي وغيرهم من الأعيان ، وهم يحملون علماً أبيض وأفهموهم أن الجزيرة ترحب بهم فدخلوها بسلام وأبقوا فيها أميراً وعشرة جنود ، وتزودوا بالماء لإسعاف من في جازان لعدم وفرته هناك ، وأقلعوا إلى جازان ، واقتفاهم أهل الأمتعة التي أخذت من السفن وشكوا على قادة الحملة ، فأمرُوا بإعادتها لهم كاملة .

الموقف في صيبا :

أشرنا إلى خروج الإدريسي إلى (الغراء) وإرساله قواته إلى قرية سودة ، على خط الساحل وهزيمتها وقتل من قتل وعودته إلى صيبا ينتظر ما تسفر عنه المعركة .

لقد كان الثلث الشمالي من المنطقة ليس مع الثورة ولا محركها ، وإن تظاهروا ظاهراً أنهم معهم .

فالبرك - وهي من المنطقة قد فصل رئيسها الحسن بن عبده نفسه من إدارة المنطقة وارتبط بالحكومة من قبل ذلك وجعلته أميراً على قبائل بني هلال .

(وقتنا والبحر) هي أقرب إلى أبها قد جعلت الحكومة بها أميراً ، وهم على معرفة لو سَوَّلَتْ لهم أنفسهم الانتقاض بما ينتظر مصيرهم من قبل أمير أبها ورجال ألمع بها أمير سعودي محنك ، قد تجند مع فرنسا في سوريا قبل امتداد أمر ابن سعود على الحجاز وترفع في الجندية إلى رتبة مشرقة ، ثم عاد إلى وطنه واشتغل في الجندية ثم في السلك المدني ، وعرف كيف يقنع رؤساء رجال ألمع بلباقته ويراقب الحالة ، بالرغم من وصول رسائل وأوامر لهم بالانتقاض ، وإنما يقظته وقرهم من أبها وتنبه أميرها الذي رجال ألمع تابعة لإدارته ، فلم يستطيعوا التحرك .

ورئيس بني شعبة الشيخ محمد بن هادي شعبي ، على اتصال بأمير أبها فلم يحرك ساكناً بل كان في جانب الحكومة من أول ساعة من الحركة .

وشيوخ بيش قاسم بن إبراهيم عكفي ، لم يشترك في تلك الحركة فظل على ولائه كما سيمر بك - إذن فنلت المنطقة لم يشترك في الحركة ، من أول لحظة ، أما القحمة والشقيق ، فقد مر بك أن الحملة اجتازتهما بدون أدنى مقاومة تذكر .

حصار معركة سوادة صيبا :

تلك المدينة التي عاشت زهو انتصاراتها الزاهية المشرقة في الشمال والجنوب على الأتراك قبل ثلاث عشرة سنة غشيتها الكآبة والحزن عندما وصلتها فلول معركة (سوادة) وتلاها نعوش القتلى ، وأعداد الجرحى ، وكان أبرز شخصين في القتلى أحمد بن علي حازمي وسالم بن عبد القادر باصهي أخذ جثمان الأول إلى قريته الظبية ، والثاني إلى دار ابن عم أبيه الشيخ محمد يحي باصهي وسجى الظلام كثيباً موحشاً ، على المدينة الحزينة ، وسادها القلق الخيف ، والترقب الرهيب ، ودارت في الرؤوس دوامات من الأفكار المتلاحقة المتزاحمة ، يدوس بعضها رفات بعض ، وأخذت المناظر القائمة المجللة بالأطر السوداء تتلاحق بسرعة تنطبع وتتلشى على شاشات الأفكار المضطربة الحانقة ، وانطوى الليل على وحشته وهوله ، وأطل الصباح كايماً مبدداً بعض الشيء من سُجُف الضباب الكثيف الذي تختر حالكا مع ظلام المساء الفات ، فبعث الحسن بعض رجاله إلى (معسكر) الغراء لتأخذ الأهبة كطليعة للدفاع ، إذا أقبلت الحملة إلى صيبا ، فوجد المعسكر ينق البوم في أرجائه ، حتى أهل القرية قد نزحوا عنها ، وأمر بأن يخرج مناد ينادي بعدم الخروج من صيبا بعد ما بلغه أن الناس تستعد للرحيل .

وخارج الحاشية والأنصار ، ومؤيدو الحركة ، يثون الثقة ، ويوزعون الثبات المصطنع ، ويخترعون الأقاويل ، بأن خردات السيارات ، ونفاية سلاح ، هو كل ما بقي عند الحكومة ، دفعت به إليكم لصيانة ماء الوجه ، ومحافضة على السمعة ، وكل ذلك غنيمة ساقها الله لكم ، حتى دخلت جازان الدخول الذي لا خروج منه إلى آخر المعزوفة ، وإنما الجمهور يتناقل أخبار

المعركة في شيء من التهويل والتضخم ، وأن عدد السيارات تنوف على مئتي سيارة ، والرشاشات تزيد عن المئة ، والمدافع تربو على الخمسين مدفعا ، وأنهم بعد ترتيب جازان ستقبل تلك القوات لتدمير صيبا و ... وكل ذلك تكهنات والحقيقة معما فإنه لم يصل أحد من جازان ولا علم حتى عندهم لا الإدريسي ولا غيره وكل ما علم أن الحملة توجهت بعد المعركة في طريقها إلى مدينة جازان ، ليس إلا ، والأسواق مقفلة والأعمال متوقفة ، والناس زرافات ، متفرقة في ظلال البيوت والساحات يوشوش بعضها بعضا وتشوش على بعضها .

وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر وصل أحد حراس العابد الإدريسي من جازان يجزر رجليه جراً ، من أثر الجراح البالغ في رأسه ، والشجاج والرضوض في رأسه وجسمه ، وهو من موالي باصهي ، فوصل إلى بيت باصهي ، وأدلى بالخبر اليقين ، والمعلومات الصحيحة التي عايشها ومارسها ، وأن الجرح الذي أصابه ضربة بسلاح من أحد رجال (اللش) .

فشاع الخبر وذاع في أرجاء صيبا في لمح البصر ، مع المبالغة والتهويل والتشويش ، فارتجبت صيبا من أقطارها ، وحسّى الإرجاف ، وبلبلة الخواطر على أشد وأبلغ مما كان .

وما غربت الشمس إلا والناس كما يقول المثل العامي (على كف عفريت) وانفطرت الزمام ولم يبق تقسيّد بأمر ، فأخذ الناس في ترحيل عوائلهم ، فلن تشاهد إلا جمالا تنور محملة ، وأخرى تناخ للتحميل ، هذا عند ذوي اليسار أما ما عداهم فعلى الحميمير أو سيراً على الأقدام ، فالمدينة بأسرها في حركة انزعاج وترحيل ، والناس في أقصى حالة من الترقق والضياح .

محاولة غير ناجحة :

الشيخ محمد يحيى باصهي يشاهد الحال بهتلقب يقطر بالأسى ، ويزفر بشواظ الحسرة ، وأدار الفكر ورأى بصيصاً من نور يخفق خفق قلب

المختصر في قصر الإدريسي ، الذي ليس ببعيد من بيته ، فأدلى بحب الحطّى ومعه عبدان مسلحان إلى القصر ، فوجده :

يَتَنَصَّبُ مِنَ الْكَأَبَةِ أَنْ يَبْ لَعْنَى مُصْبِحٍ أَوْ مُمَسِيٍّ

وعلى الباب عدد من الحرس ، يعرفهم بسيماهم وأسمائهم فقال لرئيسهم استأذن لي على الإمام - وكان في نظر الإدريسي ، ورجاله وحتى حراسه على الباب العدو الأول للقضية والخصم المبين للحركة - وإنما الموقف الآن قد خلا من كل اعتبار ، ولا يتسع لأكثر من العمل السريع .

وكان لدى الإدريسي خصم باصهي اللدود (مكّي زكري) ، مع محمد أمين الشنقيطي ، وغيرهم من الرفاق ، وبعد تبادل الرأي بسرعة ، تواروا وراء الرّواق ، وأذن له .

دخل باصهي والنور الخافت من المصباح الغازي لا يسمح من الرؤيا إلا بالقليل فلم السلام التقليدي ، وانتظر ريثما يسترد أنفاسه من صعود الدرج ثم افتتح الكلام بما يفهم منه : (خالفتني وأطعت الأحداث) ، وأخذ في مواصلة الكلام ، وإسداء النصيح ، وإن كان يشوبه غنة المنتصر لرأيه ، والتلميح بما يشير به مكّي والشنقيطي ثم توقف قليلا متطلعا خفية إلى الإدريسي .

ثم استأنف الحديث : أري ياسيدى ، أنه من الأمل والرأي لسيادتكم التوقف عند هذا الحد من الموقف ، والأمر بإطلاق فهد بن زعير ورفقائه ، ونقلهم من سجنهم الحالي إلى محل لائق والإذن لهم بمقابلتكم والتفاهم معهم في هذه الليلة في أمر ما يصلح الحال ، أو تنيب من تراه للتفاهم معهم ، والتفاوض مع قادة الحملة التي دخلت جازان ، حتى تتصل برقيابا بجلالة الملك ، وتم المصالحة ، وتجديني - بحوله تعالى - ناصحا ومتعهدا إن شاء الله بالمفاهمة مع فهد بن زعير وتركبي بن ماضي ، وإن اقتضى الحال التفاهم مع حمد السلطان ، ورفقائه وحتى الأبراق بجلالة الملك وبرجائه فيما يصلح الأمور ويُهْدَى الأحوال وينهى القضية إلى صلح وسلام إن شاء الله ،

فقال الإدريسي : ما يكون إلا خير ، في الصباح تكون عندنا ويتم الأمر بما أشرت إن شاء الله .

ويقال : إن الذين كانوا متوارين في الرواق ، قد سمعوا كل ما جرى ، والإدريسي لا يمكنه أن يعمل شيئاً إلا برأيهم .

وبمجرد خروجه دخلوا مُتَسِمِينَ وقال مكّي : سمعنا ما قاله ذلك المخادع وما قاله أحبّولةٌ وحيلةٌ لا تنطلي على مثل سيادتكم ، ومثلنا ، ومن الحزم مغادرة صيبا وتعود ظافراً على رغبته ، ويصنق معه الحساب .

وفي الصباح ذهب باصْهَيّ مبكراً إلى القصر ، وفي اعتقاده أنه سيتمكن من اقناعه باطلاق فهد بن زعير ورفقائه ، ومن ثمّ يبدأ مشروع التفاوض حول ما يصلح الموقف ، ويمهد لصلح مشرف ، يتوصل بموجبه لما يعود لمصلحة الطرفين ، إلا أنه وجد القصر خالياً ، وعلم أن الإدريسي قد غادره إلى قرية (الظبية) وأن (عوائله) قد غادرت صيبا الجديدة قبله ليلاً ، وما وصل باصْهَيّ عائداً إلى داره ، حتى جاء من يخبر بأنه شاهد الشنقيطي يقطع الوادي اليماني ركضاً على حصانه ، ومكّي زكري على أثره بحث جواده .

الموقف الملتب :

بعودته إلى داره ، استغرق في تفكير عميق ، وبعد لحظات معدودة أفاق من تيه تفكيره ، فإذا هو يرى فوضى ضاربة أطنابها ، ومدّاً زاحراً من الفتنة لاجزر له ، وعاصفة ربداء جللت الأفق بعيشيرها الداكن ، وسفينة يدأهمها الموج ويدفعها الريح إلى هاوية الفرق والارتطام بالشعاب والصخور ، وموقفاً تتحكم فيه الغريزة العمياء ، لا البصيرة والعقل .

هناك بيت حسن عابدين المعتقل الذي حشر فيه ابن زعير ورفقاؤه ، وعددهم ينوف على الثلاثين شخصاً ، والدار عبارة عن غرفتين وعشة وعريش ، يحوطه سياج من الأغصان والشوك بدون بوابة ، وليس عليه

إلا ثمانية حراس ليس لديهم من السلاح إلا بنادق قديمة ومع كل بندق نحو ثلاثين (فشكه) أو أقل .

والمعتقلون قد جعلت منهم الدعاية قذَى الأعين ، وغُصَصَ الحلق ، وكلُّ يدعى من القبائل بأنه قَتِيلٌ له قَتِيلٌ في الفتنة ، وقد أصبح — بحكم الدعاية انهم أسباب كل تلك المأساة وخشى أن يقوم بعض المتورين ، أو يستخف بعض المتهورين — وما أكثرهم — في كل مجتمع بمهاجمة المعتقل في مثل تلك الساعة ، وما هو إلا صوت يرتفع بالمناداة بمهاجمة ... فيلتف الجمهور الحائق ، ويندفع في ثورة العاطفة ، وعدوى الشعور الجماعي المشترك ، وتكون الواقعة .

والظروف دائماً توحى إلى الرجال بتمثيل دورها في المواقف الهامة ، وتشعر تلقائياً أنه الشخصية التي يتطلبها الموقف بالتصرف — غير متقيدة بالنفوذ الإداريسي الذي يتطلع إليه الشعب قبل هذه اللحظة الخطرة مبهوراً بسحر تراثه القديم ، وأمجاده السالفة ، وتأثير حركته الجديدة المفتعلة ، وتعلق العيون المأخوذة ببريق النصر الموقَّت ، في اقتحام مدينة جازان ، وأسر المندوب ابن زعير .

ثم بين عشية وضحاها أطفئت الأنوار فجعل المسرح الظلام ، فعاد الشعب مشدوها يتلمس طريقه ، في حيرة من غشاوة اليأس .

وباصْهُيَّ بحكم مركزه وتجاربه السابقة ومركزه الاجتماعي كزعيم ، ومكانته القومية على اقتناع تام بخطأ الحركة من مَبْدَئِهَا ، وقد استراب فريق الحركة من موقفه المتحفظ أولاً ثم منتقداً بعد ذلك ، فسجل لديهم أنه عنصر خطر .

وهناك الخصومات الخاصة — التي سبقت الإشارة إليها — بينه وبين مكِّي زكري ، أنحصها قضية الزكري والصافي ، ونظرتها الخاصة بعين الحسد والغبطة والحقد إلى تضخم تجارته ، ونشاطه المالي والعقاري ، مقابل تواضع الحالة المالية وتوقف الحركة التجارية عند منافسيه ، وعلى رأسهم

الزكري ، وانعطاف الجمهور على مركز الأدارسة ، الذي كاد مركز باصهي في الناحية المالية ، أن يحجب بريق لمعانه .

إن التنافس الأدبي والمادي عندما يحتدم بين جهتين يكون له ارتداد وكون وانتشار ، وقد يقصر أو يطول مداه حتى تستكمل أو تنهي الظروف عوامل الظفر لأحدهم .

وقد مرت بباصهي منذ ابتداء نشاط الحركة الجديدة هزات عنيفة ، يتخللها الجفاء المر ، والاهمال الجارح ، واستنكار لسلوكه ضدهم - كما يظنون - مع ما يبلغه عنهم وعن من يخلص لهم من التوعد المزعج ، كل ذلك اختزن في عقله الباطن ، وكلها أمور أثارت في نفسه الآن حوافر الشجاعة الأدبية للعمل - في الوقت الذي ظنه مناسباً - إزاء شخص ترك عاصمة ملكه وقاعدة حكمه ، وهكذا اعتقد باصهي أن كل شيء انتهى بالنسبة للإدريسي - ولم يحسب حساب رد الفعل لا من الإدريسي ، ولا من خصومه ، بل ولا من الجمهور الذي أيد الإدريسي فهو بدوره يعتبر كل تحد أو إساءة للإدريسي - آنذاك تحدياً لمشاعره وإعلاناً لأخطائه .

فقام باصهي بما ظنه تمليه عليه ظروف الموقف الحرج ، ويحتمه الواجب عليه كزعيم في بلدة قد تركتها السلطة الحاكمة شاغرة بدون سلطة تنفيذية ، أو حماية أمينة وإزاء أسرى من رجال حكومة صديقة مجاورة تربطها معها معاهدة صداقة ، ومواثيق حماية وولاء ، وهو أحد من اشترك في عقدها ، وأسهم في إبرامها نيابة عن حكومة الإدريسي نفسه ، ويرآى أنه كان الأولى والأوجب على الإدريسي ألا يترك أسراه معرضين للفتك من غوغاء الجماهير ، وفبتك القبائل ولو كان انسحابه بنظام لكان أمر بترحيل فهد بن زعير ورفقائه إلى مكان حريز حتى يؤمن على حياتهم ، ليجعل منهم موضوع تفاهم للصلح ومادة مساومة للمفاوضة .

إطلاق سراح المعتقلين :

خرج باصهي من تفكيره ، بحصيلة عمل ايجابي ، وهو لا بد من عمل شيء فوراً ، وأمر من ساعته بتحضير سيارته ، وركب إحداهما يرافقه بعض المسلحين من حراسه وقال للسائق : بيت حسن عايدبن ، وأشار إلى السيارة الأخرى بأن تتبعه .

وعند فتحة سياج الدار ، توقفت السيارتان ، ونزل وتبعه المسلحون ، فرمق كبير حراس الدار مُقَطَّباً عابسا ، وقد فهم — بالطبع — ما وراء وصوله ، وإن كان يمزج ذلك بشيء من اللياقة والاحترام لشخصية مثله ، فأفهمه باصهي بكل شيء فبدت على وجه الحارس علامة التمرد والاعتراض ، فقال له : يا بني أصحابك لا يزيد عددهم عن ثمانية ولا أرى منهم إلا أربعة ، فقال الحارس .. أربعة ذهبوا يجيئون بالفطور .

نعم يا بني إن المعتقلين ليسوا جاجاً تغلق عليهم باب الغرفة ، وهم رجال ينوف عددهم على خمسة وثلاثين شخصاً ، ولم يعلموا مغادرة الإمام للمدينة وإلا لكانوا قاموا بما لا تحمد عقباه ، وكأنك بهم إن سمعوا قد هجموا عليكم وبأي وسيلة (الكثرة تغلب الشجاعة) والأحسن أن آخذهم إلى بيتي فهو أحسن وأمن ، ولا مانع لدي أن تكونوا على حراستهم هناك ، وبذلك استمال الحارس ، ففتح الحارس جانباً ودخل باصهي ، فأقبل على المعتقلين وهو يردد البيت المشهور :

لم أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَالِمُ اللَّهِ — — — — — وَإِنِّي بَحَرَّهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَلَمْ يَكُنْ فَهْدُ بْنُ زَعِيرٍ ، وَتَرْكِي بْنُ مَاضِي وَرَفَقَاؤُهُمْ إِلَى تِلْكَ اللَّحْظَةِ
يعلمون أن الإدريسي قد غادر صيبا فأخبرهم بقراره ، وأخذهم إلى بيته ،
وسلحهم بما يوجد لديه من سلاح ، وكان في قلعة صيبا عدد من المساجين
السياسيين من رجال المنطقة منهم .

١ — القاضي عبد الله العتمي حاكم أبي عريش .

٢ — عمر بن علي الأقصم من وجهاء أهل أبي عريش .

٣ - محمد بن علي شيبلي الحازمي .

فأرسل من أطلقهم من مجنهم ، ويأتي بهم إليه ، وهو يعلم أنهم ضد الثورة والثائرين ، وبدخولهم جددوا العهد لفهد بن زعير ، باسم جلالة الملك ، فبعث الأولين إلى أبي عريش ، والأخير إلى بلدة ضَمَدَ لتسكين القتنة ، وأخذ العهد علي من هناك . بعد موافقة « ابن زعير » طبعاً ،

ومع الظهر وصل محمد حيدر القبي ومكي بن أحمد شيخ بلدة الملحا ، يطلبون العفو والأمان وبدخولهما دار باصهي وجه الكلام محمد حيدر إلى صديقه القديم باصهي : اليوم كما قال رسول الله ﷺ « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فعانقه باصهي وقَدَّمَه إلى ابن زعير مع رفيقه ، وكانا مسلحين ببندقين من سلاح الحكومة ومسدَّسين ، فأخذت منهما وحرر لهما أماناً خطياً موقعاً من ابن زعير وتركبي بن ماضي وتم الرأي أن يتوجه « تركبي بن ماضي » إلى جازان ومعه بعض (الأخويا) - الجنود - ويبقى فهد بن زعير مع السابقين في بيت باصهي .

وبعد ذلك وصل كل من :

١ - مصطفى النعمي .

٢ - عبد القادر باصهي .

٣ - فتح الدين بن قاسم شافع .

فعاهدوا وأعطى كُلُّ واحد منهم أمان خطي .

أشرنا إلى توجه تركبي بن ماضي إلى جازان للاتفاق بقيادة الحملة حمد السليمان وخالد القرقي ، ومحمد بن شهيل فاتفق بهم ، وأخبرهم ، وسلموه كتاباً من جلالة الملك هذا نصه : عدد ٦٢٠ في ١٣٥١/٦/٢٦ هـ .

من عبد العزيز الفيصل إلى جناب المكرم تركبي بن ماضي
سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد - فقد أوفدنا إليكم خالد أبو الوليد ، وحمد السليمان ، لأجل بعض

المصالح ، فامثلوا ما يقولون لكم في كل الحالات ، واعتمدوا أوامرهم
يكون معلوم والسلام . (الختم) .

وخطاب آخر من نائب جلالة الملك هذا نصه :

من فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى المكرم تركي بن ماضي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد فإن حاملي كتابنا هذا إليكم
الأخ خالد أبو الوليد ووكيل وزارة المالية حمد السليمان ، قد توجهوا إليكم ،
كلفا بمهمة ، ومعها كتب من جلالة الملك لا بد تطلعون عليها ، فيقتضي
إجراء جميع المساعدات التي يطلبونها ، مع ما هو لازم ويعود بالتسهيل
لمهمتهم حرر .

التوقيع : فيصل

عاد تركي بن ماضي إلى صيبا ومعه ثلاث سيارات كبيرة - حمالة -
فشحنها بما وجده في دار الإدريسي من العتاد ، والمدافع الجبلية الخفيفة
وعادت إلى جازان وظل هو في صيبا .

في نفس ذلك اليوم وصلت الأخبار إلى باصهي بأن الإدريسي يحشد
جموعه لمهاجمة صيبا في آخر النهار .

موقف الإدريسي :

أشرنا إلى خروج الإدريسي من صيبا يوم ١٩/٧/١٣٥١ إلى قرية
(الظبية) وظل بها سحابة يومه ، وتلاحق به أنصاره ورجال حاشيته
(وعوائله) ، ثم منها خرج إلى الحسيني ومكث في غابة (وتيشة) وقد
كادت حركته أن تلفظ أنفاسها ، وهو غير مطمئن يترقب مباغطة حملة من
السيارات صباح مساء فقد رحل (عوائله) من الحسيني إلى حرجة ضمد ،
والموقف حرج جداً بالنسبة إليه ، فالعتمي وعمر الأقصم في أبي عريش
يقومان بنشاط ضد الثورة ومعهما أنصار لهما من أهل أبي عريش أنفسهم .

وفي ضَمَدَ محمد بن علي الحازمي يستميل أهل بلده ، ويدعوهم إلى المسالمة والانفصال عن الثورة .

والدَرْبُ قد أُلْعِنَا إلى موقفهم من الثورة ، وتأيدهم للحكومة سرّاً - وصيبا بها باصْهَيّ وفهد بن زعير وتركبي بن ماضي ورجالهم .

وفي جازان قوات الحملة ، وقد حصنوا المدينة وجبالها ومورد الماء وجعلوا منها قلعة يعزُّ اقتحامها .

إلا أن بعض التعديل في الخطط الناجحة ، يكون في مصلحة الخصم ، وقد يتيح له التنفس من اختناق قد أخذ بمجموعة أنفاسه ، فيُتَّيَّح له بعض النجاح الموقت في حين كان ينتظر الاختناق والهزيمة بين عشية وضحاها .

الجديد في الموقف :

على أثر مفاهمة باصْهَيّ مع فهد بن زعير وتركبي بن ماضي عن تجمعات المهاجمة صيبا ، ثم رأى بن زعير وتركبي وجماعتهما ، أن يأخذ تركبي ابن ماضي خمسة وعشرين جندياً إلى صيبا الجديدة ، ويتمركزون في بيت الإدريسي ، ليكون منهم نقطة حراسة امامية ، ويظل فهد بن زعير والباقون في بيت الإدريسي في صيبا القديمة .

تقدم تركبي بن ماضي في سيارة باصْهَيّ إلى صيبا الجديدة ، وساعة وصوله أخذ في تحصين القصر ، وإحراق ما حوله من المساكن المبنية من القش حتى يكون أمامه براح واسع يُمكنهم من رؤية المتسللين والمهاجمين ووزع على أصحابه الذخيرة الكافية .

ومن أعلى القصر كانوا يشاهدون الإدريسي وحشوده في الحسيني وهم في حركة تأهب للزحف ، وظلوا في موقعهم طيلة يوم ١٣٥١/٧/٢٢ إلى غروب الشمس ، وإذا السيارات تعود إليهم من جازان ، تحمل رسالة مستعجلة من قادة الحملة تفيدهم أن استخباراتهم أعلمتهم بتجمع حشود الإدريسي للزحف على صيبا ، وتأمرهم بالعودة السريعة إلى جازان في تلك السيارات وهذا نص رسالتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

من جازان إلى صبيا في ٢٢ رجب سنة ١٣٥١ هـ

حفظه الله

حضرة المكرم تركي بن ماضي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد نظراً لبعض الملاحظات نفيدكم عنها عند قدومكم ، يقتضي أن ترجعوا هذه الليلة ، أنتم والجنود الذين معكم وتأتون معكم بالمهمات الحربية التي وجدتموها ، محملة معكم في السيارات وإذا أمكن جلب المدفع الصغير معكم يكون أنسب جداً .

وقد كتبنا كتابين واحداً إلى محمد يحيى باصهي وكافة أعيان صبيا ، وآخر لباصهي وحده ، وذكرنا السبب الذي رفعنا من أجله (الأخويا) ، وهو خوفنا من تعدي أحد منهم على أحد من الرعية ، وبذلك يحصل تشويش في الأفكار ولا بد أنكم تطلعون على الكتب قبل إعطائها لهم المقصود لا تتأخروا واقدموا إلينا سريعاً والله يحفظكم .

محمد بن شهيل خالد أبو الوليد حمد السليمان

كان الكتاب الموجه إلى محمد يحيى باصهي - خاصة يتضمن الانذار برجع الإدرسي ويحثه على التوجه إلى جازان .

وبتسلم الكتب ركب تركي السيارات ومر على فهد بن زعير وذلك معهم هو (وأخويه) وقصدوا بيت باصهي ، فسلموا الكتاب الموجه إليه ، وإلى أعيان صبيا وبعد أن قرأه سلموه الكتاب الخاص به ، وهم في عجلة من أمرهم ، وطلبوا منه التوجه معهم إلى جازان .

فأجابهم ، وقد تأثر من هول المفاجأة التي كانت لا تجول بخاطره : إنه لا يمكنه الذهاب معهم ، وترك (عوائله) وأمواله وجماعته :

فحاولوا لفت نظره إلى ما ينتظره من الإدرسي وحشوده وخصومه ، وأن الإدرسي حسب ما لديهم من معلومات أمر بنهب صبيا وإحراقها والقبض عليه فأجابهم أنه يعتقد أن الإدرسي لا يناله بمكره .

فتمحركت سياراتهم إلى جازان بعد أن ودعوه ، وباتت صيبا في ليلة
ليلاء . أشدّ هولا من الليلة التي غادرها فيها الإدريسي ، وليس بها
إلا باصهيّ وخدمه ومواليه وموظفيه وأقل من القليل من أهلها .

التعديل في الخطة :

إن حملة السيارات تتألف في مجموعها من سبعين سيارة (لورى)
منها ثمان مصفحة رشاش ومدفعية خفيفة ، والباقي تقل بين ٥٠٠ - ٦٠٠ مع
الخيام والذخيرة والمؤن والماء ، (واللش) يحمل مئة وخمسين جندياً ،
مع ذخيرتهم والمؤنة ، أي أنهم في مجموعهم الكلي ٧٥٠ ، ومدينة جازان
نفسها تتطلب حمايتها في نطاق الجبال المحيطة بها في شبه نصف دائرة من
(المطلع) إلى (العشما) تتطلب ثلاثة أضعاف هذا العدد ، كما أن مورد
الماء (الحفائر) يحتاج إلى حماية قوية فهو في موقع تسهل مهاجمته من
ثلاث نواحي ، من الشرق ، والجنوب ، والشمال ، ويبعد عن المدينة
خمسة أكيال .

ورأت الحكومة أن تشتت القوات بين (صيبا) و (جازان) يعرضها
لخسائر ويمكن من الجهة الأخرى للعدو من القضاء عليها متفرقة ، وأن من
الصواب تكتيل تلك القوة في جازان ، بينما تصل القوة التي تحركت من (أبها)
بقيادة عمر بن عسكر وعبد الوهاب أبي ملحّة ، وكان يظن أنها لا تستطيع
شق طريق (أبها) - الدرب - بيش - بسهولة لأن الطريق في منتصف
المنطقة بين السهل الساحليّ والجبل خلاف الطريق الساحلي ، الذي يكون
جناح الجيش الغربي محميّاً بالشواطىء ، والذي اجتازته السيارات ، وبالرغم
من معرفة إمارة أبها بموقف قبائل رجال ألمع - الدرب - بيش - الموالي
للحكومة إلا أن الحيلة في الحرب لها حسابها .

لذلك رُوِيَ أن من الصواب تجميع تلك القوة في جازان ، ونتيجة لذلك
صدرت الأوامر إلى فهد بن زعير ورفقائه بالانسحاب من صيبا .

رد الفعل :

أشرنا - فيما تقدم - نظراً إلى ما سبق توضيحه أن المقاومة كادت أن تنهار ، وأن الحشود التي كانت تتجمع في الحسيني هي للدفاع لا للهجوم ، فالإدريسي نفسه قد رحل (عوائله) وثقله من الحسيني إلى (حرجة ضمد) .

وكان للإدريسي عيونه وجواسيسه في صبيا وما حولها ، فوافوه بأخبار انسحاب القوة القليلة الموجودة في صبيا القديمة والجديدة ، فتنفس الصعداء ، ونشطت الدعاية في ثوب فضفاض ، ونسجت الشائعات في صالح الحركة الثائرة وراحت تفسر الانسحاب بما يتفق وصالح أغراضها ، بأن الحملة التي جهزت من الحجاز ودخلت مدينة جازان هي نهاية مالدى الحكومة من قوات ، وأنها سيارات قديمة (خردة) تحصلت عليها الحكومة من شركات السيارات في الحجاز بكل عناء وجهد ، وأنه ليس في استطاعتها تعزيزها بغيرها ، وأن قادة الحملة لمعرفهم بالحقيقة ، رغبوا في أن تجتمع قواتهم في مدينة جازان فسحبوا قوتهم القليلة من صبيا ، حتى يكونوا على مقربة من الإبحار إن لزم الأمر - إلى غير ذلك .

وهي دعاية مقبسة من منهج سياسة الإدريسي الأول ، التي انتهجها ضد الأتراك - راجع رسالة الإدريسي الموجهة إلى قائده في الشمال في الفصل العاشر من هذا الجزء - وفاتهم أنه شتآن بين الموقفين ، فتركيا كان لها اهتماماتها ومشاكلها في (إمبراطوريتها) الواسعة وشعوبها المختلفة الجنسيات المتباينة الميول والديانات ، والموزعة الولاء ، وبُعْدُ (تركيا) عن البلاد العربية ، وصعوبات المواصلات في ذلك العهد ، واشتغالها بحربها مع إيطاليا في طرابلس الغرب ، وبالثورات الداخلية في غير جهة ، وتعهد إيطاليا بإمداد الإدريسي بالسلاح والمال ، وحماية موانئه ، ثم تحالفه مع بريطانيا في ابتداء الحرب الأولى ضد الأتراك ، فتعهدت بإمداده بالسلاح والمال ، وحماية موانئه وإمارته من كل اعتداء مع سيطرة الحلفاء على طرق المواصلات العالمية ، وإمكانياتهم الحربية ، وجيوشهم الجرارة في شتى الميادين .

يضاف إلى ذلك أن الإدريسي الأول كان يحارب الأتراك باسم أنهم أجناب دخلاء على العرب ، وأن دولتهم أصبحت دولة دستورية لا تنقيد بالنصوص الشرعية ، وكانت الجمعيات السرية والعلنية العربية تعمل للانفصال عن تركيا في كل جهة . كغيرها من القوميات في الأمبراطورية العثمانية .

وإن هذا من ذلك فتورة الإدريسي هذه عبارة عن حركة عصيان داخلي ، ليس من ورائه إلا (حزب الأحرار) - اسماً - والذي قد فشلت تجربته الأولى في الشمال في ثورة ابن رِفَادَة ، أو التشجيع الخفي من ابني الإمام يحيى بمباركة والدهما ، طبعاً ، طمعاً في حدوث فراغ في المنطقة ، إن نجحت الثورة فلن يملأه سواه ، كما يعتقد .

لقد جاء انسحاب فهد بن زعير ورجاله وجنوده القليلين ، علامة نصر وشارة فوز في نظر الإدريسي ومن معه ، وغدت الحركة تفسره حسب رغبتها ومع ما يتفق وأمانها ، فأشاعت بين أنصارها ومؤيديها ، أن الانسحاب من صبيا هو أول إجهاض للحملة السعودية ، ومقدمتها للانسحاب الكلي ، بعد تجمعها في جازان ، فاستبشرت القبائل وتقوت المعنويات ، وأكسبتهم نصراً سهلاً فليبدأوا بما هو الأهم فقد أشار على الإدريسي مكّي زكري خصم باصْهَيّ الأول ، بأن العدو اللدود والخصم العنيد هو باصْهَيّ ، فإن القضاء عليه أكبر نصر للثورة تظهر به داخلياً ، وتضرب المثل به لكل مخادع أو مخالف أو متخلف ولا بُدَّ لكل حركة من ضربة مرعبة ينخلع لها قلب الجبان ، وفي إباحة أموال باصْهَيّ أقوى إغراء وأكبر دافع للناس على اقتحام صبيا ، ومن منطلق معطيات هذا النصر سيكون التحدي للعوائق المنبسطة وتنشيط العناصر المترددة - وقفزتها على منصة النصر .

وفعلاً في اليوم الثاني صباح صائح الجهاد بأن الإدريسي قد أباح للناس مهاجمة صبيا ، ونهب أموال باصْهَيّ ، والقبض عليه وغنيمة جميع ما في صبيا ، ولباصْهَيّ مكانته بين قبائل شمال المخلاف ، إلا أقلية لا تذكر ،

فاستعان الإدريسي بغوغاء وموالي من عبس والشقيصري والنجهو ،
وبادية ضَمَد ، وجماعات من المسارحة وغيرهم ، ومضى ذلك اليوم ٢٣ في
تجمع وحشد ، وباصْهِي في انتظار الكارثة .

لقد كان مقيد الخُطَى بأمواله (وعوائله) ، ومثليه وقِيَمِه من
أن يخشي أو يتخفى أو محاولة الفرار ، وما أوسع طرق التخفي والاختفاء
والفرار لمن لا يخشي القالة ولا يحرص على السمعة .

لقد بعث باصْهِي شخصين من صنائعه ، ومن يعيش على احسانه وكانا
ضمن من استخلصهم للوقوف بجانبه ، بعثهم للإستطلاع كل واحد على
حدة ، فلم يعودا إليه فظل في داره مع من أشرنا إلى عددهم من خدمه ومواليه
وموظفيه .

وبذلك النداء الذي نادى به الإدريسي بالهجوم على صيبا وإباحته أموال
باصْهِي والقبض عليه ونهب صيبا تجمعت حشود بغاة السلب والنهب ، وظلوا
ينتظرون الإشارة بالهجوم .

الهجوم على صيبا وبيت باصْهِي :

وفي يوم ٢٤ رجب سنة ١٣٥١ أنهالت تلك الجموع من الناحيتين الشرقية
والجنوبية وقام خصوم باصْهِي وأضداده ، فأججوها ناراَ تنفث حُمَمَهَا
ويلتهب شواظها في قلوب الجماهير الغوغائية ، التي أغراها محتويات مستودعاته
وموجودات داره ومقتنيات خزائنه ، من عروض التجارة والنقود ، والأمتعة
النفيسة وتقدر قيمتها بنحو مليون ريال ، وهو مبلغ ضخم بالنسبة إلى
ذلك العهد .

وليس لدى باصْهِي قوة تستطيع أن توقف المد الزاخر والحشود الكثيرة
ولا حتى دار حصينة تصمد لصد ذلك الهجوم ، فدَّارَه على سعتها مكونة
من طابق أرضي ومتصلة بالبيوت المجاورة اتصالا مباشراً ، وجدرانها يمكن
تسلقها بسهولة من كل جانب ، وماذا يغني خمسة وعشرون أو ثلاثون شخصاً
حتى المتاريس لا توجد في حوائط الدار .

أشهر عليه بأن يترك داره وينتقل إلى بيت الإدريسي بعوائله ليتمكن من معه من الدفاع عنه حتى يتاح فرج من الله ، أو أن يحصل على أمان يحفظ حياته ، فلم يستصوب ذلك .

فأشير عليه أن يأخذ (عائلته) الخاصة في السيارات الثلاث الصغيرة الموجودة في حوزته ويستقلها معهم إلى جازان ، فرأى أنه بعد أمجاده العريضة ، ومواقفه المشهودة لا يليق بمثله الفرار .

رحم الله باصهبي لقد كانت أبواب النجاة مفتوحة لوسلكها قبل الهجوم بثلاثة أيام أو يومين ، وانما بعد ذلك عسيرة جداً ، وقد أباح الإدريسي ماله وأهدر دمه فأصبح الغوغاء يترصدونه ليفوز كل منهم - الآن - بالحظوة والزلي عند الإدريسي ، أو رجاله خصوم باصهبي .

وصدر الأمر بالهجوم فتدفق سيول تلك الجموع إلى صيبا الجديدة في الصباح الباكر من يوم ١٣٥١/٧/٢٤ ، وهي خالية من سكانها ، وقد أخذ الناس الضروري من متاعهم ، وتركوا كل ما بقي في الدور كما هو .

وفي صيبا الجديدة مساكن أسرة باصهبي الذين نقلهم قبل أيام إلى مساكنه في صيبا القديمة ، وباللور جُلُّ أمتعتهم ومحاسنهم ونصدهم ومفروشاتهم وأثاثهم - كما هي - فانهزم المغبرون عليها كالجراد المنتشر فنهبوا كل محتوياتها في دقائق معدودة حتى تركوها قاعاً صفصفاً ، وكان مع المغبرين جمالهم وحمبرهم فحملوها بغنيمتهم الحرام ، وأشار لهم بعض الخدم أن هناك مكان حفر فيه حفرة وضع بها مصاغ وحلي الأسرة فحفروا وأخذوا كل ما وجدوه ، وانداح المتأخرون على بقية بيوت صيبا الجديدة ، فنهبوا كل ما وجدوه ، ولم يتركوا شيئاً يحمل أو يؤكل ، ولا تسمع إلا طلقات البندق تصم الآذان ولا ترى إلا نيران الحرائق .

واندفعت الجموع في حُمى الحماس وشره الطمع ، يندفعون كأنهم السيل على صيبا القديمة ، في تلك الساعة خرج أحد موالي باصهبي إلى جهة سوق المدينة مستطلعاً ، فعاد بعد ربع ساعة إلى البيت مشجوج الرأس مسلوب

السلاح ، قائلا : ترون ما حل بي والقوم لا عَدَدَ لهم ، أولهم في صيبا القديمة وأخـرهم في صيبا الجديدة .

وعندها أشار على باصهي كتابه ورجاله وبعض أصدقائه بأن يركب إلى قرية (العدايا) وألا يعرض نفسه لسفهاء المهاجمين .

وكان قد سبقه قبل نصف ساعة (عوائله) على الجمال إلى تلك القرية فركب حماره الفاره ومشى معه ثلاثة من مواليه المسلحين ، ولم يتوسط المزارع التي غرب المدينة إلا والمهاجمون قد أحاطوا بالدار ، والرصاص بينهم من كل جانب .

وهال الباقون في الدار جَلَبَةُ المهاجمين وكثرتهم ، ومحاولتهم تكسير الباب الرئيسي بالفؤوس ، فأطلقوا طلقات من بنادقهم ، فإذا هم يشاهدون غيرهم يتسلق الجدران من جهة البيوت الملاصقة للدار ، فتقافزوا جدران الناحية الغربية وأطلقوا سيقانهم للريح ناجين بأنفسهم .

وما هي إلا دقائق حتى حطموا الأبواب وتسلقوا الجدران وانهمروا من كل جانب على الدار ، وباشروا النهب وأتوا على كل ما في المستودعات والمخازن من البضائع والعروض والأفشة وكل ما وجدوه حتى الأثاث والنضد والمفروشات وحملوا تلك المنهوبات على جمالهم وحميرهم وظهورهم .

وحطموا الخزائن الحديدية بالفؤوس وأخذوا محتوياتها من النقود ، وفي النهاية أقبل قائد المسيرة على جواده ودفعه إلى ارتقاء درج غرفة المكتب وأجال عينيه متشفيًا ثم أشار عليهم باضرار النار ، فكوموا في وسط المكتب الكراسي والدواليب والصناديق وأشعلوا فيها النيران فالتهمت النوافذ والأبواب وتعالَت ألسنتها إلى السقف الخشبي فانهار .

فانصرف إلى خارج البيت بعد أن أصدر أمره على عدد من المغيرين بأن يسيروا إلى قرية (العدايا) للقبض على (باصهي) واقتياده إلى صيبا أو تصفيته هناك أو في أثناء الطريق .

وتقدم نحو مئة مسلح على رأس حمران محزري ومحوس حامض ،
من المسارحة الذين لا يعرفون باصهي إلا باسمه ومعهم يحيى بن علي شافع ،
من أهل صيبا ومن أرحام باصهي .

وتقدمت الكتبية بطبولها وزفتها وعلمها إلى قرية العدايا تحت السير في
سرعة وتسابق .

في العدايا :

وكان بعض أعيان العدايا ممن تقاضاهم باصهي ديوناً انكسرت له على
آبائهم ولهم في قريتهم مكانتهم ، وتعاطفهم مع الزكري ، وأرحام لبعض رجال
الإدريسي كل تلك العوامل مجتمعة أفرزت نعمتهم بصورة سافرة فقبولت
(عائلته) حين وصولها بالاعراض المزوج بالتشفي المكبوت والشامة
السافرة ، وعندما أقبل هو على القرية أشرفوا يشاهدونه من فوق الزروب
أو في الطرقات ، وهو أخذ طريقه إلى بيت وكيله .

لم يكن وكيله من ذوي العصبية والنفوذ في القرية ، بل كان رجلاً قريباً
إلى التعقل بعيداً عن الشر ، فلم يُغْنِ موقفه شيئاً ، إن لم يكن اكتسح
وانتهكت حرمة فهو باختصار لاعصبية تحميه ولا قوة في شخصيته تعينه
على تخفيف حدة الموقف وحماية موكله .

وبعد دخول الشيخ محمد يحيى باصهي إلى بيت وكيله ، وقد سبقته
الدعاية والأراجيف التي ترززل قلب الحليم ، بأن الإدريسي أمر بقتله
وإهدار دمه ، وأن من يأسره أو يقتله — لأنه من المخالفين والممالئين للسعوديين —
فله الخطوة والزلفى والأجر عند الله ثم عند الإدريسي ، وزاد خصومه من
أهل القرية — الذين أشرنا إليهم — في تأزم الموقف ، ولمس هو ومن يلوذ به
نذر الشر ، وحوام السفهاء حوله ، وترصد لهم لشخصه حول الدار ، والتجمع
هنا وهناك والمجاهرة بقبيح القول ، وكان معه صديقه فتح الدين بن قاسم ،
وابن عمه عبد القادر باصهي ، ووافاهم من بيته في العدايا مصطفى النعمي ،
وهو من كبار قادة العهد الإدريسي ، وإنما الموقف في غير يده الآن ،

والدور غير دوره ، وتزايد المهرج والمرج ، وخشى من معه من إقدام أحد السفهاء أو بعضهم على مالا تُحمد عقباه ، فأشاروا عليه بمغادرة (العدايا) إلى قريتي (الدهنا) أو (العالية) رجاء أن يجد في شهامة قبيلة (السّادة) ما يحميه .

فركب ومعه ثلاثة من مواليه ، وإنما لم يبعد عن القرية بقدر ميلين أو ثلاثة إلا وقد شاهد هو ومن معه بعض المتربصين لقتله ، متوارين بين الأشجار والآكام .

فعاد إلى العدايا قد غمره اليأس ، وضائق عليه سبل النجاة ، وما أصعب مثل ذلك الموقف على الرجل الكريم ، الذي يقف فيه العقلاء عاجزين عن ردّ عادية السفهاء ، الذين يستمدون تسلطهم واعتداءهم من السلطة الحاكمة ، والفوضى الضاربة ، وقد مرت الثورة (الفرنسية) بما قام به الغوغاء والعامّة ضد النبلاء والأشراف والزعماء ، ما يثبت أن الناس هم الناس سواء في الشرق أو الغرب ، وفي كل زمان ومكان ، وأن العامة أسرع الناس للاستجابة في الأزمات لما تصدره دعاة الحركة ، وأن العقلاء يُشَلُّ نفوذهم ، وتذهب ربحهم بل منهم من يخاف أن ينسب إليه ذنب أو تهمة المغضوب عليه ، والعجيب أن الرجل الزعيم تتلاشى معنوياته وتتخدر قواه وتتجمد طاقته لأن النفس البشرية لها طاقة محدودة من الاحتمال ، حتى في عظماء الرجال ، فترى مثلاً في تاريخ المنطقة أن أحمد شريف وهو الرجل الشجاع الجريء ، والذي كان في وسعه بعد أن اعتصم في داره ولم يجرؤ رجال الإدريسي على اقتحامها واعتقاله ، ظل في شبه الحصار المضروب عليه حتى اصطاده الإدريسيّ بعد أن تسرب الوهن وتأسس اليأس في نفسيته القوية ، مع أن أحمد شريف ذو مكانة وعشيرة - آنذاك - وإنما ما قيمة العصبية لعشيرة في بلدة تجمع عشرات مثلها من العشائر ، وأمام شرعية السلطة للإدريسي التي قد طغت على نصف المنطقة آنذاك - راجع الفصل الذي بعنوان (أحمد شريف الخواجي) - في مثل ذلك الموقف تتلاشى العصبية أمام تيار الحركة المتعاضم ، ومدها الثوري المتفاقم فنجد :

١ - سلطة تأمر بعد أن قد أفرغت في عقول الجماهير حقدَها ، وأفرزت بغضها . وضغنها وهيأت العقول وسحرت الأفكار للالتئام بأمرها وتشرب ماتوحي به .

٢ - عامة امتصت كل تلك المعاناة وتعمق في وجدانها كل المتوقعات ، ورسخ في شعورها كل التصورات لتلك الزعامة ، فأصبح عندها القناعات القاطعة والاندفاعات الحافزة لتوظيفها مفهوماتها للانقضاض والفتك بالضحية . والسير في خط الحركة بكل قوة .

٣ - خاصة قليلة مخدّرة المشاعر معطلة النفوذ مفقودة الاستجابة .

٤ - زعماء حركة متطلعون إلى إثبات وجودهم ، وسموّ مخالفهم ، وإفراز أحقادهم وإشباع مطامعهم وإزالة معوقاتهم .

في تلك التطورات وفي ذلك الموقف المتأزم كانت الحال التي يعيشها الشيخ محمد يحيى باصهي .

عاد باصهي إلى دار وكيله قد غامت الدنيا في ناظريه ، واستكانت نفسه القوية أمام غمرة الأحداث ، وما استقر به المقام حتى سمع وسمعت القرية الواجفة المترقبة قرع الطبول وجلبة الجند القادمين من صبيا للقبض عليه .

لقد كان الأمر قد صدر للمغيرين بقتله وشاع ذلك في الجمهور وإنما شخص في مستوى الشيخ محمد يحيى باصهي ، ومكانته الاجتماعية ليس من الهين القضاء عليه بالنسبة إلى غيره ، والإدريسي وخصومه يريدون المهوّر الجريء والطائش غير المسؤول ، الذي لا يتقيد بمسؤولية الضمير ولا بتبعية الأخلاق ولا موانع الدين ولا الزواجر الشرعية في إزهاق روح شخصية ذنبها الوحيد العداء الشخصي والمخالفة السياسية في نظر الحركة ، أو تلك الخصوصيات الشخصية بينه وبعض رجال الحركة التي أشرنا إليهم .

القبض على باصهي :

أقبلت تلك الكتيبة يقودها :

حمران محزري و محوس حامضي من المسارحة .

ويحيى بن علي شامي شافع من صبيا

والأخير من أصهار باصهي - كما أشرنا - قد تزوج أخو باصهي بنت عمه ، ثم رزق منها بنت ، وخلفه عليها أخوه محمد يحيى باصهي ثم طلقها وأبقاها في بيته مع بنتها ، من أخيه ، في قسم من داره مؤسعا عليها في الرزق يجرى عليها ما يجريه على (عائلته) ويواسي والدها وإخوانها ، وقد تعامل هذا مع باصهي تجارياً ثم تأخر عليه دين تقاضاهُ منه باصهي شرعاً فاستخلصه منه فترسب عنده حقد وبغضاء وجد لهما متنفساً الآن .

وأقبلوا على القرية يرقصون على قرع الطبول ، وطلقات الرصاص تصم الأذان ويحيى بن علي شافع يتباهى أمام القوم رافعاً خنجره المصلى ، يحول يمينه ويسرة ، ومضت الكتيبة بزفتها وطلقاتها ، حتى دخلت البيت الذي فيه باصهي واجتمعت القرية بأسرها في شبه مظاهرة غص بها البيت وما حوله ، ثم طلب منه أن يصحبهم إلى صبيا وفي حوالي الساعة الرابعة صباحاً ركب معهم يرافقه مصطفى النعمي وعبد القادر باصهي وفتح الدين بن قاسم ، وقبيل الغروب وصلوا صبيا .

وقرب داره المنكوبة وبقايا الدخان يتصاعد من مكتبه ، والدار في وحشة المقابر ، وكآبة الخرائب ، وأمامها قابلهم مكى زكري وقال له باصهي : يامكى - وأشار إلى لحيته - هذه لحية طالما وقرّها أبوك ، وهذه شعرات منها ، رهناً لديك بالوفاء والتقدير لموقفك إن تناسيت الماضي وعملت بما يساعد على الخلاص - أو ما هو في معنى ذلك - فتناولها مكى بفتور والتفت إلى رجال الكتيبة بأخذ باصهي إلى دار الإدريسي وأن يسمح للذين معه بالرواح إلى دورهم .

أخذ باصهي من موقفه إلى بيت الإدريسي ، وتفرق المغبرون ولم يبق إلا نحو سبعة أشخاص في حراسته ، وحالا أحضر قيد حليدي ، ووضع في ساقيه واقفد إلى غرفة وضع في ركن منها مصباح غازي ضئيل ، وبعد ما أسدل الظلام سدوله دخل أحد خدام الإدريسي الخاصين وغصّ من

ضوء الصباح وقرب من باصهي - ولكمه لكمة قوية في بطنه أن منها أنين المحتضر ثم انصرف عنه وهو يتلوي .

الخروج بباصهي إلى ضمد :

وفي الصباح الباكر خرج به حراسه بعد أن أركب حماراً وهو مقيد الساقين وإذا كان الأمر لديهم بتصفيته ، إلا أنه كما أشرنا لم يوجد المتهور الجريء فإن للشخصية الكبيرة حرمتها المانعة ، وقوتها الأدبية الرادعة ، فم الرأي على أن يقصدون ضمد - حيث يقيم الإدريسي ، لعل وعسى أن يُكتفى بما تم من الإذلال والترويع والتنكيل ، ومُربَّ به من حول قرية الظبية ، وقد رَوَى لي الشيخ إبراهيم علي شاجري قال : خرجت من قرية الظبية أنا وأخي لروية زراعة وقد قاربت ثمرتها التلف من تأخر حصادها ، وبينما نحن مشغولون بجمع محصولها ، والأرض مقفرة فإذا أنا أشاهد شخصاً راكبا حماراً حاسر الرأس ومعه نحو خمسة حراس ، فتطلعت فإذا هو الشيخ محمد يحيى باصهي وهم سائرون في حر الظهيرة فتعجبت من تصارييف الأقدار .

في ضمد :

إن الاجهاز على الضحية خير ألف مرة من تعذيبها ، ولكن الإدريسي لا يملك أو لم يجد من يطلق رصاصة الرحمة على ضحيته ، وبعد عصر ذلك اليوم وصل به إلى بلدة ضمد ، فتجمع جمهور من العامة لمشاهدة تلك الشخصية الكبيرة ، والناس مفطورون بطبيعتهم إلى مشاهدة كل مأساة ، وعند دخولها البلدة قام بعض السفهاء بمحاولة الاعتداء ، فمُنِع ، وسألوا حراسه عن الإدريسي فعلموا أنه حال أن سمع بدنوهم ركب سيارته إلى قرية الحرجة حيث تقيم (عائلته) مؤقتاً ، فظلوا يدورون به في طرقات البلدة حتى مروا من عند بيت شخص من وجهاء ضمد ، كان يتعامل مع باصهي تجارياً فخرج من داره ، وقال لحراسه : تفضلوا عندي على خير حتى الصباح وانصرفوا لأمرهم فدخلوا داره ، فقدم لباصهي سريراً وفرشاً ولهم مثل ذلك وعرض عليه الطعام ، فاعتذر فقدمه لحراسه وطلب ماء فتوضأ وظل

يصلي ويتلو سورة الفجر فإذا وصل إلى آخرها رَجَعَ قوله تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة) . إلى آخرها وعند منتصف الليل أقبل مضيفه وقدم له اناء فيه حليب فأخذ منه اليسير وعاد للتهجد والتلاوة .

واجتمع أهل ضمد وتمَّ رأيهم أنه ليس في وسعهم الاعتراض على قتله ، وإنما عليهم أن ينذروا حراسه بعدم مباشرة قتله في حدود بلدة ضمد ، وبلغوهم ذلك .

وفي الصباح الباكر أخذه حراسه وساروا به على غير هدى ، نعم الأمر عندهم بقتله ، وإنما أين المنفذ ؟ ، وكل من معه يتأثم في مباشرة قتل تلك الشخصية النبيلة ساروا به إلى ناحية أبي عريش ، وفي الطريق شعر بأن حراسه يظهر عليهم التحير والحشية فأخذ معهم في التفاهم ، على أن يصلوا به إلى مدينة أبي عريش ويتعهد لهم بدفع عشرة آلاف ريال من عند وكيله الشيخ أحمد منصور صعدي ، وعندما وصلوا إلى حاكمة أبي عريش التي تبعد عن مدينة أبي عريش بخمسة أكيال .

وكان خصميه الذين أشرنا إليهما راعهما عدم الفتك به وخشياً نجاته وجاءهما من يخبرهما بأن حراسه قد ساروا به إلى أبي عريش .

وفي الحقيقة أن تنفيذ أمر قتل بدون محاكمة ، هو تنفيذ إرادة شخصية قد يقوم بها شخص موعز إليه لا يقدر المسؤولية ولا خوف الله .

أما الجماعة — أي جماعة فهي تشعر بفداحة المسؤولية وإصرار الذنب العظيم لهذا فإن المسافة من ضمد إلى أبي عريش لا تزيد عن أربع ساعات فقد مضى على خروجهم من ضمد إلى أن وصلوا حاكمة أكثر من تسع ساعات .

وكما أشرنا خشى خصمناه من افلاته من القتل فأعطيا رجلا وجدا فيه بغيتهما المرغوبة — بندقية عثمانية ثمينة ، وحزام (فشك) وأوعزا إليه بأن يلحق الركب أينما أدركه ويقضي على باصهي ، ووعداه بالجائزة .

وعندما وصلوا إلى ساحة حاكمة ، أراد حراسه أن يستريحوا قليلا ويستأنفوا السير إلى أبي عريش فطلب باصهي ماء للوضوء وبينما هو يهضم بإقامة الصلاة إذا الرجل المكلف يقف من ورائهم ويطلق طلقاً نارياً على رأسه أرداه قتيلاً تغمده الله برحمته .

وهكذا قضى على تلك الشخصية الكريمة التي كانت من ألمع رجال المنطقة واکرمها لها ماضيها السياسي والاجتماعي ، ومواقفها المشهودة وسيادتها المعروفة في مجتمعها وفي البلاد المجاورة - وفي الرجوع إلى ما سطر عنه في ثنايا هذا الكتاب ما يكفي عن الاطالة .

أما الجموع التي أغارت على صيبا فقد غادرتها في صبح يوم ١٣٥١/٧/٢٦ تفرقوا إلى جهاتهم لأنه وصلهم خبر بأن جيشاً نزل من عسير قد وصل إلى بيش فتركوا صيبا وفي المساء وصل الجيش صيبا فوجدها خالية ليس بها أحد فأحرقوا ما بقى فيها من البيوت خشية من المتسللين .

حملة عسير :

لقد صدر الأمر على أمير أبها بتجهيز حملة سريعة إلى المنطقة فنفذ الأمير الأمر ، وأمر على قبائل عسير بتجهيز شوكتهم ، فتألف منهم على عجل نحو ثلاثة آلاف وخمس مئة محارب ، بقيادة عمر بن عسكر ، وعبد الوهاب أبي ملح ، وتقدموا إلى المنطقة فوصلوا بلدة الدرب فالتقاهم شيخها محمد بن هادي وأضافهم هو وقبائله ، فساروا في طريقهم إلى أن وصلوا قرية أم الخشب فاستقبلهم شيخها قاسم بن إبراهيم عكفي وقدم لهم الضيافة اللازمة .

ومنها تقدموا باحتراس إلى صيبا فلم يجدوا أية مقاومة إلى أن دخلوها في مساء يوم ١٣٥١/٧/٢٦ فوجدوها خالية وقد احترق نصف بيوتها تقريباً ، فأحرقوا الباقي من بيوت القش خوفاً من تسلل المسلحين .

وبعد ذلك أبقوا نحو خمس مئة محارب وتقدم الباقون إلى جازان للانضمام إلى من بها .

عبد الله العتمي وابن علي الأقصم الخواجي :

أشرنا - قبل - إلى توجه العتمي والأقصم إلى أبي عريش لدعوة أهل المدينة للإخلاء إلى السكينة والهدوء ، وبوصولهما أخذنا في مباشرة دعوة المشايخ ووجهاء الأهالي ، موضحين لهم أنها حركة مرتجلة لا نتيجة من رآها إلا الخراب والدمار ، وعرضاً ما بيدهما من أمان للأهالي من فهد بن زعير ، وتركبي بن ماضي ، إلا أن عمر البار وابنه وحزبهما ، قاموا بدور مضاد ، وكادت كفة العتمي أن ترجح ، فقد بعث منادين في البلدة ينادون بالأمان والتحذير من المخالفة ، وهجم أنصارهما على بيت (البار) لمحاولة إلقاء القبض على ابنه محمد عمر البار ، أو قتله الذي كان يقوم بوظيفة الحاكم للمدينة فراجع أنصاره واستطاع بعض رجاله إخفائه ثم تسريه إلى خارج الدار إلى حاكمة .

وجاء إلى أنصار عمر البار خبر سري بالهجوم على صبيا فنشط حزبه واستطاعوا السيطرة على الموقف فتجمع الكثیر من أهل المدينة ضد العتمي والأقصم ، ووالوا الضغط عليهما حتى أرغموهما على الخروج من المدينة في نفس اليوم الذي هاجم الإدريسي صبيا .

خروج العتمي وعمر الأقصم :

فخرجوا من المدينة ناجين بنفسيهما قاصدين (صبيا) وهما لا يعلمان أن فهد بن زعير ورفقائه قد غادراها إلى جازان وبأن ذلك اليوم هجوم الإدريسي على صبيا والقبض على باصهي •

وكان هجوم القوات الإدريسية على صبيا ونهب أموال صبيا وباصهي* قد جدد نشاط الحركة واستقطبت الكثير من القبائل .

وبطبيعة الحال أن ما قاما به في أبي عريش ضد حركة الإدريسي ومهاجمتهما بيت رحيمة عمر البار قد أثار غضبه فأصدر أمراً بالقبض عليهما ، والترصص لهما في الطريق .

خرجوا من أبي عريش بعد العصر قاصدين صبيا ، فلاقاهما عند قرية

العقدة جماعة ممن رتبهم الإدريسي في تلك الجهة ، وهم خليط من القبائل أكثرهم من الشرفاء ومن قبيلة (الحرم) ولعمر الأقصم خؤولة فيم ، وكان العتمي يمتطي صهوة جواده ، وعمر الأقصم على حمار فارِه فاعترضوا طريقهما ويقال : إنه كان في وسع العتمي كفارس أن ينجو ، وإنما حق الرفقة وحرمة الصحبة أوقفته ، وقد رأى رفيقه قد قبض عليه ، فاستسلم هو بدوره .

فأما عمر الأقصم فإن أحوال أخويه من الحرم حالوا دون الاعتداء عليه ، وعادوا به إلى بيته في أبي عريش ، فاستقبله الناس الذين قد استقطبهم عمر البار وابنه لطاعة الإدريسي ، وحرصهم بدوره على المخالفين ، استقبلوه بالسخط والغضب ، وكادوا أن يقتحموا داره ويفتكوا به ، فوصل شيخ قبيلة الحرم الشيخ علي بن أحمد حكيم وجماعة من قبيلته وأخذوه في جوارهم وظل لديهم في مكان حريز .

نجاة عمر الأقصم :

قال الشيخ علي بن أحمد حكيم شيخ قبيلة الحرم (١) : أخذناه أنا وجماعتي من بيته إلى قرية من قرانا اسمها (صِدِّيقَة) وهناك أخفيناه في بيت صغير لا يلفت النظر وجعلت شخصيتن من قرابتي حارسين له ، وصادف في ذلك اليوم وصول أخويه محسن وقاسم خواجي من صبيا ومعهما (عوائلهم) ناجين بأنفسهم مثل غيرهم من الناس والأخير قاسم بن علي خواجي ابن عمتي أخت أبي فطمأناهما على أخيهما عمر بن علي الأقصم الخواجي .

ثم أخذت جماعة من قومي وتوجهت إلى الإدريسي في ضمد ، فقال : أنزلوهم عند شخص يسمى (الصم) وكرموا نزلهم ، وبعد الغداء دخلت على الإدريسي ومعني جملة من جماعتي وكلمته في موضوع عمر الأقصم .

فقال : محمد يحيى كفانا الله أمره وقتلناه أمس ، وبق العتمي والأقصم يقتلون إن شاء الله ، وأنت واصل ترجأني في مفسد من المفسدين في الأرض

والله ما أريد إلا راحتكم منهم ، وأما أنا فما علي خوف لا أنتقل من شمس
إلا إلى ظِلٍّ ولا تراجعني فيه .

فرايت منه العزم على تنفيذ قتل الأقسام ، واعلم أنه لو أمر لنفذ أمره فيه
أو في غيره ، فَدَحَلْتُ تحت سريره ولزمت ركبتيه أقبلهما - كما هي
العادة آنذاك - وأقول : ياسيدي أوهبه لنا ، وهو يقول : لا يمكن ، وأنا
أقول لا أخرج من تحت سريرك حتى تهبه لنا ، وكرر : لا يمكن ، وكررت أنا
الرجاء ، فقال : أخرج من تحت السرير ونحن نحكم الشرع فيه ، وما حكم
به الشرع مشيناه ، فقلت لا أخرج حتى تشفعني وأصحابي فيه ، ولازمت
قدميه حتى دنت الشمس وأدركني الضجر واليأس والتبرم بموقفي فقلت :
يا سيدي لا تخيننا بين القبائل في جوارنا ، والله إذا لم تكرمنا به ، فلا يصل
إليه أحد وأنا وجماعتي أحياء ، عندما قلت ذلك ، تغيرت لهجته ، وقال :
سبحان الله عليك ، إحننا نحب نريحك من المفسدين ، وأنتم تمانعون ،
فقلت : أكرمنا به ، فقال تكرم به ، فقلت اكتب لي ورقة لعبد الوهاب
بالعفو عنه ، فكتب بقلمه فقلت : تفضل ياسيدي اختمه فختمه ، فشكرته
وسلمت عليه وانصرفت أنا وجماعتي لعبد الوهاب بقرية (الزخمية) فأنفذه
وانصرفنا إلى قرية (صديقه) وعندما قربنا من القرية أطلقنا عدة طلقات
فعلم أهل القرية أننا وصلنا بالعفو فأطلقوا الطلقات من لديهم ابتهاجاً بنجاح
مساعينا ، وأخرجناه من مخبئه .

أشرنا إلى أنه رب تعديل في الخطط الناجحة قد يستفيد منه الخصم
استفادة قد تنفذ حركته ولو أياماً أو شهوراً .

فإن انسحاب ابن زعير ورفقائه من صبيا أمد الحركة بيدق من الزخم
وطاقة من النشاط فقد .

- ١ - هاجم الإدريسي صبيا ونهب أموال باصْهَيَّ وقضى على حياته .
- ٢ - رتب خطوط دفاعه فأرسل قوات تهاجم مورد الماء (الحفائر) .
- ٣ - كوّن جبهة بقيادة شيخ المسارحة حسين أمّحّه ، جعل قيادتها في
(جَحَلِيَّة) على بعد خمسة عشر كيلا من جازان من الناحية الشرقية .

٤ - استنهض قبائل الحكامية والمسارحة وبنى شبل وكوّن منهم ما يقرب من ثلاثة آلاف محارب جعل مركزهم المضاي في الجنوب من جازان .

نهاية حياة القاضي عبد الله العتمي :

بقي العتمي في قبضة تلك القبائل ، فأمر الإدريسي بإرساله إلى خصمه اللدود الشيخ حسين أمّحه ، قائد جهة (جَحْلِيّه) وهناك قيّد وعُذّب ، وسنأتي على نهاية مأساته .

أخبرني الشيخ علي بن أحمد حكيم شيخ قبيلة الحرم - وهو لا يزال على قيد الحياة : قال وصلت إلى معسكر (جَحْلِيّه) فرأيت القاضي عبد الله العتمي في (سقيفة) صغيرة مقيدا ، فناداني فدخلت عليه فبني ما يقاسيه من تعدّي العسكر فنصحتهم بعدم التعدّي عليه فقال : اعطني لحافك أنحرم به فألقيته عليه ثم غبت نحو أسبوع ، ثم عدت إلى المعسكر فناداني فجأة فقال : لقد نفعت نصيحتك ولحافك ^(١) وزجرك للعسكر ، وإنما أريد منك المساعدة بالتفاهم مع حسين أمّحه بأن يأخذ مني ثلاث مئة ريال ويسهل سبيل فراري ، فتفاهمت مع حسين أمّحه قائد المعسكر فقال : هل المبلغ حاضر ومعك الآن ، فقلت له : لا ، وإنما أنا كفيك ، فقال : لا يكون ذلك فأرجأت الكلام إلى وقت آخر .

وفي صباح اليوم الثاني للمفاهمة ، وصلت إلى المعسكر ، وتفاهمت مع حسين أمّحه ومعه زميله الشيخ قاسم ناصر شيخ شمل قبائل (الشرفاء) ، فانصرف حسين أمّحه ليوعز إلى بعض القوم بمراقبة جهة من الجهات ، فقلت للشيخ قاسم ناصر : أعنى على الشيخ حسين في موضوع (العتمي) فقال : لا بأس ، هذا الشيخ حسين مقبل فانصرف غير بعيد ، حتى أنفاهم معه ، وفعلا أقبل حسين أمّحه ، وأخذ قاسم ناصر في التفاهم وأنا أشاهدهما ،

(١) الخفاف : الرداء ، وقال الشاعر .

ولم أدر من التى عليه ردائه سوى أنه قد سل عن ماجد محض

ولما انتهت المفاهمة أقبلت نحوهما ، فإذا ذلول مقبلة وعليها رجل من عسكر الإدريسي ، فوقفنا الثلاثة فنزل من على ظهر ذلوله وسلم خطاباً لحسين أمّته ، وأردفه قائلاً : يقول لك الإمام اقتل (العتمي) الآن وأنا أرى حتى أرجع له بالخبر ، فقال : أمر الإمام علي العين والرأس .

فانتحى بي ناحية قريبة وقال : انتهى الأمر ولا يسعني إلا تنفيذه ثم قال لبعض رجاله : استحبوا العتمي من مكانه إلى هنا واقتلوه فأسرعوا يسحبونه إلى مرتفع هناك والمعسكر برمته يشاهد العتمي يقول : لا إله إلا الله ودفعوه إلى أسفل المرتفع ، وانهالوا عليه بوحشية طعنًا بالخنجر ، ودقًا بأعقاب البنادق حتى فارق الحياة - تغمده الله برحمته - فواروه التراب وعاد المنفلون فقال حسين أمّته : أين القيد ؟ فقالوا : دفناه معه فقال : أخرجوا الجثة وفكوا القيد من رجله وادفنوه ففعلوا ، فدعا رسول الإدريسي وقال : أخبر الإمام بأني قتلته وأنت ترى .

حملة خالد بن لؤي

توجه مبكراً من «الخُرْمَة» فقد صدر إليه الأمر بالتحرك إلى منطقة أعلى الحرمة ورأس شوكات تربة ورثية ، من البقوم ووالى سيره عن طريق (أبها) وبوصوله إلى أبها وصل إلى حمد السليمان ورفقائه برقية بتحركه من أبها إلى جازان وأن يقابله تركي بن ماضي في جهة بيش ، ويزوده بالمعلومات اللازمة عن القبائل الموالية للحكومة ، والقبائل المخالفة .

فتحرك تركي بن ماضي من جازان ترافقه ثلاث سيارات وعشرون مسلحاً وذلك في يوم غرة شعبان سنة ١٣٥١ ، ومرّ في طريقه على السريّة المرباطة في صبيا وسألهم عن الطريق الأسهل والأمن فأخبروه ، أن الطريق غير آمن .

وبعد الاستفادة من معلوماتهم تحرك في صباح يوم ٢ شعبان في طريق أبي القعائد - بيش .

وبعد اجتيازهم قرية أبي القعايد إلى مسيل الوادي ، انهال عليهم الرصاص

من جميع الجهات ، وصادف أن في ذلك الصباح هطل مطر غزير وسال الوادي وعند توسطهم في مسيل الوادي توقفت السيارات بعد أن غرزت في الطين فهجمت القبائل على سيارتين من الثلاث السيارات ، وقتلوا أغلب جنودهم، وأسروا اثنين ونجت السيارة الثالثة الصغيرة التي فيها تركي بن ماضي وثلاثة آخرون فقط متراجعة إلى الخلف تحت وابل الرصاص .

وكانت السرية التي في صيبا قد سمعت أزيز الرصاص فعلمت أن المعركة دائرة بين رجال السيارات ورجال القبائل ، فأسرع منهم نحو مئين لنجدتهم ، وبخروج السيارة الصغيرة من الوادي فإذا هم يشاهدونها مقبلة نحوهم ، وتم الرأي على الرجوع إلى صيبا ، ومنها توجه تركي بن ماضي إلى جازان فأبرق قادة الحملة للحكومة بالواقع ، مع المعلومات المطلوبة فأبرق بها من لديها إلى خالد بن لؤي في أبها فوجد أن خالد بن لؤي قد توجه مع حملته فأبرق له من أبها بواسطة (الشنطة) التي ترافقه .

السرية التي في صيبا :

إن السرية التي تمركزت في صيبا ومقدارها نحو خمس مئة جندي اتخذت من سطوح دار باصهي وبيت الإدريسي وقلعة صيبا ومن بعض البيوت الأخرى استحكامات ومواقع للدفاع فأخذوا ما وجد من الصفائح والصناديق وأكياس الخيش وعبؤوها بالتراب ورسوها على سطوح المنازل وجعلوا منها متاريس محكمة وقتلهم من شرور المتسللين ، ومع ذلك فقد شوغلوا بالهجمات المتقطعة نهاراً والمكثفة ليلاً ، واضطروا إلى إحراق البيوت القش ، التي غالب مساكن صيبا منها وبذلك أمكنهم رؤية المتسللين نهاراً ، فكانوا يدخلون في آخر الليل إلى الجامع والمساجد ، وبعض البيوت الخراب ويشغلون الحامية بإطلاق الرصاص فيتبادلون معهم ويصابون أكثر ويصيبون أقل ولم يكف التسلل إلا بعد أن ارتفع الإدريسي من جهة ضمد .

خروج خالد بن لؤي من أبها :

تقدم خالد بن لؤي من أبها وتقول المصادر الحكومية : إنه ما خرج من بلده إلا وهو مريض ، وتقول المصادر الإدريسية : إنه قتل في المعركة

معركة سمرة :

وصل خالد بن لؤي إلى درب بني شعبة ، ثم تقدم في طريقه إلى أم الخشب وفي وادي « سَمرة » وجد جيشاً من القبائل مرابطاً في الوادي ، وتقول رواية القبائل : إن لتلك القبائل طليعة كانت متقدمة أطلق عليه أحدهم رصاصة أودت بحياته ، فانكفاً من فوق ذلوله مُصاباً بتلك الرصاصة القاتلة ، ودارت المعركة بين جيشه والقبائل وكانوا قلة بالنسبة إلى جيش خالد ، فتولى ابنه سعد بن خالد إدارة المعركة ، وأحاط الجيش برجال القبائل فانهمزمت بعد أن قتل منهم عدد من القتلى وتفرق الناجون إلى جهاتهم .

فاستولى جيش خالد على أسلحة القتلى وواصل تقدمه إلى بيش ، فوصل إلى بلدة أم الخشب ، فاستقبلهم شيخها قاسم بن إبراهيم عكفي ، وكانت التعليمات لدى سعد بن خالد بموالاة أهل بيش وشيخهم للحكومة ، وفي صباح الليلة التي وصل فيها إلى (أم الخشب) تقدم في طريقه إلى صبيا ، فمر بقرية الملحا ، فقفضوا على من وجد بها ومنهم محمد حيدر القبي ، ثم وصلوا إلى قرية (أبي القعائد) فقتلوا من وجدوا ثم وصلوا صبيا فاستقبلتهم السرية العسيرة المرابطة بها ، وبعد أن استراح الجيش وإلى سيره إلى جازان

الحالة العامة في المنطقة إبان الثورة :

الفصل الرئيسي في تهامة هو فصل الحريف ، وكانت تلك الحركة في إبان ذلك الفصل ، وقد جادت السماء بالأمطار الغزيرة في أول جمادى الثانية أمطار لم تعهدها ، وفاضت السيول العارمة فسقت الوديان والحبوت حتى السباح فلم يبق في المنطقة شبر واحد إلا وزرع وجادت الزراعة في كل مكان حتى أنك لا تمشي في أرض إلا زراعة ، والطرق غدت من المزارع أشبه بالشوارع في البلدان ، تحفها الخضرة يميناً ويساراً ، وكان في ذلك لطف من الله ووقاية للناس يحتمون بها في أثناء سيرهم فإن شعروا بشيء لاذوا بها واحتموا بين نباتها .

الخططة الإدريسية :

كانت الخططة الإدريسية دفاعية وبعد أن تمكنت حملة السيارات بعد معركة (سَوَادَة) من التقدم نحو جازان وجَدَت أن السرية المحمولة بحراً في (اللنش) الرياض قد دخلتها فدخلت حملة السيارات بدورها ، بعد أن رتبت حماية في مورد الماء (الحفائر) .

ويعلم الإدريسي بذلك فيفر من صبيا - كما سبق توضيحه - إلى قرية الظبية ثم بلغ غابة (وتيشة) في جهة الحسيني مع (عوائله) ، ثم بعثهم إلى (حرجة ضَمَد) بعد مهاجمته صبيا ، ثم لحق بهم وظل ينتقل بين ضَمَد والحرجة :

وكان قد بعث قوات من القبائل لمهاجمة (الحفائر) واشتبكت في عدد من المواقع وأكبر وقعة كانت في عصر يوم ٢٥ رجب أقبل جماعة من ذوى الحفاظ منهم محمد بن أحمد عقيل حكيم من وجهاء قبائل أبي عريش وغيره فاشتبك معهم الجيش الحكومي بقيادة ابن درعان ، وتوالت الوقائع الصغيرة طيلة شهر رجب ، وقد وصلت باخرة من الحجاز تحمل خمس مئة جندي ليلة المعركة التي قتل فيها ابن درعان ، فكان الجند ينزلون من البحر إلى السيارات إلى (الحفائر) للاشتراك في المعركة الدائرة ، ولولا وصول تلك النجدة في الوقت المناسب وفي تلك الليلة بالذات لكان ربما اضطرت حامية الحفائر إلى الانسحاب من مواقعها الأمامية .

وكانت خطة الدفاع في تلك الأثناء كما يأتي :

١ - جموع من القبائل في جهة الخصاوية ودُحِيقَة ، وما قاربها لمواجهة من على الحفائر بقيادة قاسم ناصر ، ومحمد بن أحمد عقيل الذي قتل في معركة الحفائر السالفة .

٢ - جموع من القبائل في مورد جَحَلِيلِيَّة بقيادة حسين أمَّحَة .

٣ - جموع من القبائل في المضاييا بقيادة الكلاس وعلي بن أحمد حكيم .

وأنيطت قيادة تلك القوات بعبد الوهاب الإدريسي في قرية (الزُحْمِيَة)

في شرق جنوب مدينة أبي عريش وبعد وصول الحملة العسيرة وجعل حامية منهم في صيبا ارتحل الإدريسي بعوائله ونفسه من ضمد إلى قرية الزبارة شرق قرية الرخية ، وهناك كان الاتصال بينه وبين (الحزب) عن طريق ابن طبعاً .

وبعد وصول حملة خالد بن لؤي ووصولها إلى جيزان يوم ٤ شعبان تقرر إقامة معسكرها شرق وجنوب معسكر عسير والدواسر ، على مورد الماء فقوي المعسكر الحكومي وأبطل كل مفعول حربي لتجمعات القبائل في جهة الحصاوية فانضم من بقي منهم إلى معسكر حسين أحمه في جَحَلِيلِيَّة .

غزو القبائل الموالية للإدريسي لقرية أم الخشب وأطرافها

أشرنا قبل إلى موقف شيخ بيش وشيخ الدرب ، وكان موقف شيخ بيش قاسم بن إبراهيم عكفي أشد على الإدريسي لقرب بلاده ، وتكرر مواقفه من استقباله للقوات الحكومية ولتسهيل مرورهم وعدم اشتراكه لا هو ولا قبائله في الحركة منذ قيامها ، وقد سَجَّلَهُ في قائمة أعداء حركته مع محمد يحيى باصْهَيَّ ، والعتمي والأقصم ومحمد بن علي الحازمي ومحمد بن هادي شعبي وغيرهم .

وقد انتقم الإدريسي من مكنته الأقدار من تحطيمهم ، وبقي شيخ بيش وقد رأى أن حركته على وشك الانتهاء قبل أن ينتقم منه ، وقبيل غزوه المضايا أرخص لقبائل الجهة الشرقية مثل قبائل الحقو وعبس ، وبعض قبائل الخلاف الشمالي بنهب وإحراق بلدة أم الخشب ، وقتل شيخها إن أمكن ، وجعل على رأس تلك القبائل حيدر بن محمد ومحمد حسن أبا شقارة .

اتصل الخبر بعلم شيخ بيش - وكان قد أخذ درساً من مأساة باصْهَيَّ ، فحال ما بلغه جمع قبائله ، وأخبرهم بما وصل إلى علمه ، وبعد المشاورة وتبادل الرأي تم الاتفاق على :

١ - أن يغادر أهل البلد مساكنهم إلى جهات الكدرة والمطعن والقرى والحلل التي يمكن الدفاع فيها عن (العوائل) .

٢ - أن يجعل له من شباب قبائله جماعة تلازمه لحراسته ، وتسهر على حمايته وظلّ في المدينة على حذر ، حتى إذا علم بدنو القبائل المهاجمة غادر البلدة إلى جهة أمينة بين الكلداء والمطعن .

يضاف إلى ذلك أن تخلّي الناس عن باصهي ، كان غلطة لن تتكرر ، ولأسباب ترويج الإشاعات على العامة بأن الحكومة سحبت حمايتها من صيبا وأنها تمهد لإبحار قواتها وتخليها عن المنطقة ، أما الآن فقد (وضع الصبح لذي عينين) وأصبحت العامة والخاصة على علم وإيمان بقوة الحكومة والقضاء على تلك الحركة التي أصبحت في دور الاحتضار .

تقدم الجموع إلى أن دنوا من بلدة أم الحشب فوجدوها خالية فاضرموا النار في أرجائها ، وفي خلال ذلك قاموا بنهب ما وُجد من سقط المتاع ، مما خلفه أهل القرية ، ثم تفرقوا من حيث جاءوا .

وصول حملة ابن ربيعة :

وصل عرب بن ربيعة يقود جيشاً من الروقة من عتّيبّة وغيرهم وشق طريقه إلى أن وصل إلى جازان ، وبذلك تكثفت القوات وشعر القبائل بأن لاقوة تحميهم فزح الناس إلى الجبال وإلى اليمن .

وقعة المضاي :

تفرقت القوات التي في المضاي شذر ، مذر ، فاضطر قبائل الحكامية كغيرهم من القبائل للزوح إلى ميّدي وضواحيها على رأس شيخ مشايخهم علي بن أحمد علي حكيم ، فصدر أمر الإمام على عاملي ميدي وحرص بتكليف قبائل المنطقة النازحين بالرجوع إلى أوطانهم ، وكان هذا أمر مدبر بين الإمام (والحزب) والإدريسي لإجبار القبائل على قتال الحكومة ، ومن الأساليب التي اتخذت أن العرشي عامل ميّدي أقام وليمة على شرف شيخ مشايخ الحكامية ودعى إليها الكثير ، وفي أثناء ما هم على طعام الغداء التفت العرشي إلى ضيفه الشيخ علي بن أحمد قائلا :

ياشيخ علي إن للأوطان حقاً ومثلك لا يُعرَف ، ومثلكم لا يحسن بهم
أن يكونوا لاجئين .

الشيخ علي بن أحمد : أعرف ذلك وإنما الرعية ليس في استطاعتها
مقاتلة الدولة .

العرشي : أنتم وراءكم دولة فهل قاومتهم وقمت بما يجب للأوطان حتى
ترونها ، أم قد تخلّيتهم عن الرجولة .

علي بن أحمد : مسح يده من الطعام قائلاً : في أمان الله أستودعكم .
وبقدر ما حاول العرشي تلطيف الموقف وإضفاء مسحة المزاح عليه
ورجاء الشيخ بالجلوس للقهوة لم يجبه إلى ذلك .

فخرج علي بن أحمد وخرج من كان معه من مشايخ قومه ووصل إلى
المضاي وأخذ عمال الإمام في التنبيه على مشايخ بني شبيل والمسارحة بالرجوع
إلى بلادهم .

كان الحسن الإدريسي قد نزع من قرية الزبارة إلى جهة العارضة
والاتصالات بينه وبين (الحزب) مستمرة فأشعر بما تمّ ، فحالاً أصدر
أمره إلى قبائل المسارحة وبني شبيل بإرسال شوكتهم إلى معسكر المضاي ،
وكتب لشيخ مشايخ الحكامية يشكره على العودة ويأمره بتجنيد قبائله مع
القبائل التي ستصله من بني شبيل والمسارحة وأنه قد عين الكلاسي قائداً
للمعسكر ، فاجتمع في معسكر المضاي ما ينوف على أربعة آلاف مقاتل ،
ووصلت ثلاث سفن شرعية من قبل (الحزب) تحمل الأرزاق وبعض
الذخيرة وأنزلت حمولتها في ساحل تعسر .

المعركة :

بلغ قادة الجيش في جازان التجمعات التي تحتشد في (المضاي) وبما
أن من القحمة إلى صيبا قد أصبحت منقاداً للطاعة ، وجُلّ ما بقي تابع
لحركته من أعلى الواصلي وشرقا إلى الجبال ، وجنوباً إلى بني حمّد «

فقد رأت الحكومة في تلك التجمعات ما يطيل عمر الثورة ، ويساعد على تدخل بعض الجهات ، يضاف إلى ذلك أن مركز المضاييا فيه مرسى بحري صالح لرسو السفن ، وقد وصلت إليه باخرة إيطالية ، بعد دخول الحملة إلى جازان ، ثم تحركت منه إلى ميناء جازان ورست داخل الميناء ، وطلع إليها بعض قادة الحملة وطلب منها الاقلاع فأقلعت ، وأبرق للحكومة فاتصلت بالسفير الإيطالي في جدة وقدمت إليه احتجاجها .

وعدا أهمية مرسى المضاييا فإن بلدة المضاييا محطة أولى في طريق جازان المسارحة - صامطة - الموسم - اليمن ، ولا تبعد عن مدينة جازان سوى اثنين وعشرين كيلا ومركز كهذا له أهميته الحربية في مثل تلك الظروف . لهذا رأت الحكومة مهاجمته وبعد توفر المعلومات عن عدد القوات المتواجدة به ودراسة الموقع (طبوغرافياً) تشكلت القوات المهاجمة .

وفي ليلة ٣٠ شعبان زحفت القوات على الوجه الآتي :

١- قوات سعد بن خالد بن لؤي محمولة على الخيل والإبل وسلكت طريق الشرق الشمالي من شرق قرية (مزهرة) بطريق الخبت .

٢- قوات عسير بقيادة عمر بن عسكر وعبد الوهاب أبي ملح ووسطاً بين قرية مزهرة والبحر .

٣- قوات حملة السيارات بقيادة حمد السليمان ومحمد بن شهيل وسلكت طريق الساحل ، تقدمت أولاً قوات السيارات ليلاً تقل نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، تتقدمها أربع مصفحات مسلحة بالرشاشات والمدافع الخفيفة ، ووالت تقدمها حتى أخذت مراكزها في الكثبان التي تبعد عن بلدة المضاييا نحو خمسة أكيال .

وبات الجيش الإدريسي في المضاييا يشاهد أنوارها ويسمع أزيزها ودوي محركاتها وبعد نصف الليل أرسلت إنذاراً خطياً إلى شيخ مشايخ الحكامية .

فأخذ الإنذار وسار بنفسه إلى قائد المعسكر في مركز قيادته في بيت

الحكومة الذي يبعد عن البلدة نحو نصف كيل ، وأخذ في التشاور معه وأفهمه أن القوات الحكومية قوة لا يستهان بها ومن الأجْدَى حقن الدماء وصيانة الأرواح ، والاجابة بالتسليم ، وأنه مستعد لإفهام القبائل بالانصراف وأنَّ عليه هو إذا كان لا يرغب في التسليم مبارحة المركز ، فكان جوابه : إنك وقبائلك أهل الديرة ونحن ضيوفكم فإذا كنت لاترغب في الدفاع عن بلدك فسوف نقاوم أنا وبقية القبائل ، حتى تعلم القبائل والإدرسيُّ أنكم تخليتم عن الدفاع عن بلدكم .

فأجابه : لم تبلغ الحالة إلى هذا الحد ، وإنما أشرت عليك بما يحقن الدماء فإنَّ رأيت ذلك ففيه الخير لنا ولك وللقبائل المتواجدة ، وإلا فنحن وأنت مصيرنا الموت المحقق ، وستجد أننا في مقدمة خائضي غمارها فقال : هذا الأمل في شهامتك فانصرف من لديه ليخبر قومه للاستعداد للمعركة ، وكان الوقت قبل الفجر الأول ، وفي تلك الساعة وصل جيش عسير ، وأخذ مواقعه مع قوات السيارات .

واستنفر الشيخ قومه وأخذ الكلاسيُّ في المناداة في القبائل في أخذ مراكزها في الخطوط الأمامية .

بدأت تبشير الصباح تمسح بريشها النورانية صداً الظلام من لوحة الأفق القاتم المتجهّم وخرج الناس إلى مراكزهم في الخط الأمامي الذي تشغله الحراسة الليلية بجماعات منهم طول الليل ، وكان ترتيبهم على الوجه الآتي :

١ — بنو شبيل بقيادة الشيخ محمد بن أحمد مساوي ، ومن معهم من المسارحة بقيادة شيوخهم وعلى الجميع في الجناح الأيمن في الرُدْف (الاراك) الذي في الجنوب الغربي للبلدة .

٢ — الجناح الأيسر وشغله الحكامية والمغاير وغيرهم بقيادة إسماعيل بن أحمد علي حكمي .

٣ — القلب حكامية المضايا وغيرهم من القبائل بقيادة الشيخ علي بن أحمد ، والكلاسي ويحيى مقبول حكمي ، ورجال من ذوي النجدة والحفاظ .

وكانت قيادة الحكومة على معرفة بقوتها ومضاء سلاحها ، وأنّ الدفاع (عملية انتحار) فانتظرت نحو ساعة فلم تر مبادرة من قبل المدافعين .

فتقدمت أحد المصفحات بقيادة سعيد جودت ، ومعها مكبر الصوت حتى أقرب نقطة من المدافعين لاتصلها طلقات البنادق وأخذ سعيد جودت في المناداة بواسطة مكبر الصوت : ياشيخ علي بن أحمد إنك الرجل المتسم بالثقل والتبصر ، والمركة ليست في مصلحتكم فاحقنوا الدماء فالיום ليس يومكم أمامكم قوات حكومية ولكم أمان الله ثم أمان ابن سعود على أنفسكم ودمائكم وأموالكم . ومثل ذلك من التطمينات ،

فلم يجيبه أحد من القوم فعادت المصفحة إلى قيادتها وبعد نحو نصف ساعة أطلقت أول قذيفة مدفع كإرهاب ، وبعد ربع ساعة أطلقت القذيفة الثانية فانفجرت في القرية فأشعلت النار في بيوتها الحالية .

وتقدمت مصفحتين تطلقان رشاشاتها ، تبعها المشاة ورُكّز الهجوم على الجناح الأيمن ، وبعد دفاع استمر نحو ساعة انهزم الجناح الأيمن ، فالت القوات على القلب في هجوم مركز ، واحتدمت المعركة حامية وأوقف تقدم المشاة فتقدمت المصفحتان فأحدثتا ثغرة في القلب ، وتقدم المشاة على مركز القلب ، فانهزم متراجعا نحو المزارع التي جعلت من تلك الأرض المستوية حراجا تغطي القائم .

فانسحب الكلاسي وجماعته نحو بيت المال مركز قيادته وانسحب الشيخ علي بن أحمد إلى الجناح الأيسر الذي قد توالى الضغط عليه ، فأخذ في الانسحاب ، فاستصحب الشيخ أخاه إسماعيل ويحيى مقبول وعدة من شيوخ وأعيان الحكامية ، وساروا شمالا يقصدون قرية مزهرة ، وعلى مورد الماء التقوا مفاجأة بطلائع حملة سعد بن خالد فالتحم القتال بينهم بالسلاح الأبيض فقتل الشيخ علي بن أحمد وأخوه ويحيى مقبول وكل من كان معهم .

أما الكلاسي فقد قتل وهو يُقاتل عند بيت المال هو وجماعة معه وبذلك انتهت معركة (المضاي) وأخذ الجيش في مطاردة القلول حتى قرب

سلام بني إبراهيم وإلى « خَبَّت الزاهين » بالسيارات والحيل ثم عاد وعسكر في طرف قرية المضاي التي قد أتى الحريق على جميع مساكنها .

التقدم إلى جهة أبي عريش :

بعد وقعة المضاي تحركت القوات الحكومية إلى جهة أبي عريش فألفتها خالياً فاستولت على المدينة ، وفي أبي عريش بلغها أن تجمعات للقبائل في حاكمة فتحركت إليها ونشبت بينها وبينهم معركة حامية فشتها .

معركة البيض :

ومن حاكمة تحركت نحو قرية البيض التي جمع فيها عبد الوهاب جموعه فصحبهم ونشبت بينهم معركة حامية ، فهزم عبد الوهاب وجموعه ، وطاردتهم إلى قرب الجبال الشرقية .

وكان الحسن قد ارتفع إلى جهة بلاد بني الحُرث ، وعسكر في قرية « الغاوية » فتقدمت نحوه قوات سعد بن خالد وعمر بن ربيعان فطاردته إلى أن أُلجأته إلى جبال العبادل السعودية .

استدعاء الإدريسي للعابد الإدريسي من جزيرة كمران :

استدعى الإدريسي قريبه العابد الإدريسي الذي التجأ إلى جزيرة كمران فوصل إلى ميدي في آخر شهر شعبان سنة ١٣٥١ فأناط به أمر حماية المُوسَم على الحدود اليمنية فجند بعض المرتزقة كنقطة تجمع لعسكر وهناك وصلت سفينة من قبل الحزب تحمل :

٢٥٠ عدلة تمر و ٢٥٠ كيس رز و ٢٥٠ كيس دقيق . مع مبلغ من النقود وقد سبقها إلى المُوسَم : خالد بن صادق بن عبد المطلب ومرزوق قراره وبعض رفقائهم .

فَنَشَطَّتْ تلك الأرزاق والنقود الحركة قليلاً ثم توجه خالد بن صادق إلى الحسن الإدريسي في جهة العارضة وظل مرزوق قراره ورفقاؤه عند العابد الإدريسي في المُوسَم .

ثم أعاد خالد بن صادق إلى الموسم ، وظل به مع رفقائه عند العابد الإدريسي ومعه بعض المرتزقة ، ووظف شخصاً لنقل البريد بينهم وبين الحسن الإدريسي وقد روى لي قال : حملت أول رسالة منهم إلى الحسن الإدريسي في قرية الزخمية ، ثم عدت إلى الموسم ، فوجدت خالد بن صادق قد غادره إلى (الزخمية) لمقابلة الحسن ، فسلمت الجواب لرفقائه والعابد الإدريسي ، ولا تزال الأرزاق مرصوفة والحراس عليها .

وفي مساء أول يوم من أيام شهر رمضان حملت رسالة من أعضاء (الحزب) إلى الحسن الإدريسي وغادرت قرية الموسم الفجر ، وعندما وصلت تعشر سمعت دوي المدافع ، فوجدت بعض الناس الذين خرجوا من المضاي في تلك الليلة فسألهم فقالوا : الجيش الحكومي يهاجم المضاي فرجعت إلى الموسم ، وأخبرت أهلي والدي بالواقع ، وأن يكونوا على حذر ، وإن شعروا بشيء فعليهم اللجوء إلى مَيِّدِي ، فشر مجموعة المرتزقة بما أخبرت به والدي وأهلي ، وبلغ الخبر العابد الإدريسي فأنبئت بشدة ، وأمرني بالتوجه حالا إلى الزخمية . ووقعت هنا معركة انهزم فيها الإدريسي وأنصاره ، وانسحب ، وتعقبه الجيش .

وسرت عصر ذلك اليوم فعلمت وأنا في طريقي إلى الزخمية أن الإدريسي قد غادرها إلى قرية (عيَّاش) فواليت سيري حتى وصلت قرية (عيَّاش) . فسلمت الرسالة وأخذت جوابها وعدت إلى الموسم ، فألفيته خالياً ، فدخلت مدينة مَيِّدِي ، وهناك علمت أن العابد وبعض رجال (الحزب) في الضواحي الشرقية من مدينة مَيِّدِي ، قرية من المخازن ، فوصلته وسلمته جواب الإدريسي ، وعلمت من بعض حراسه أنهم شاهدوا أضواء نيران ليلاً في جهة تعشر ، فظنوا أنها من معسكر الحكومة ، فانسحبوا إلى داخل حدود اليمن .

قال : وتسلمت البريد ، ومعه بندقية ذات زنادين ، ومعه مئة طلقة ومسدس ، وأربعون طلقة ، ومئة جنيه ذهباً ، وبدلاً من أن أتوجه شرقاً كما يقتضيه خط سيري سرت غرباً إلى مدينة مَيِّدِي ، لأطمئن على حالة أهلي .

وفي مَيْدِي اتفقت بالقاضي عبد الله العمودي الذي بدوره كان على عزم لزيارة الحسن بعد أن أمن أهله في ميدي ، فرافقنا في الطريق إلى حَرَضَ ، وهناك علمنا أن الإدريسي انتقل من قرية (عياش) إلى قرية (الغاوية) من بلاد بني الحُرَثِ .

وعند دخولنا بلدة حرَضَ أخذ الجند مني البندقية والمسدّس ، فاتصلت بالعامل وأخبرته بأنها مرسلة معي للإدريسي فأمر بردها إليّ .

فتوجهت أنا والشيخ العمودي إلى قرية (طيب علي) ونزلنا في ضيافته فرغب في مرافقتنا لزيارة الإدريسي في قرية الغاوية .

وكان سعد بن خالد بن لُؤَيٍّ معسكرا في قرية أبي حجر ، يستعد لمهاجمة قرية الغاوية فسللنا خفية في الظلام ، من شرق معسكره إلى قرية الغاوية ، وسلمته البريد وعدت إلى مَيْدِي . وبعد ذلك تحرك جيش سعد بن خالد ، وهاجم الغاوية ودارت معركة حامية الوطيس وطورد إلى أن التجأ إلى جبل (شذا) اليمنية .

وفي منتصف شهر رمضان وصل الحسن الإدريسي إلى (زهب حجر) من بلاد اليمن شرق حرَضَ ، وأبقى (عوائله) هناك ، ووصله وفدٌ إماميٌّ قدم به إلى مدينة مَيْدِي ، فدخلها في موكب حافل ، تحيط به حامية مدينة مَيْدِي ونزل في بيت المال ، في غرب المدينة ، وهو البيت الذي أنشأه الإدريسي الأول ، وظل يتنقل بين مَيْدِي وأبي حجر .

وبقى عبد الوهاب في الجبال التابعة لمنطقة جازان ، يحرّض قبائل الجبال على الصمود والمقاومة .

وصول حملة عبد العزيز بن مساعد :

خشي جلاله الملك عبد العزيز من تدخل طرف آخر في حركة الإدارة عبر (الحزب) فأمر عبد العزيز بن مساعد أمير حائل - آنذاك بالتجهيز إلى منطقة جازان ، على رأس جيش قوي من الحاضرة والبادية قوامه خمسة

عشر ألف مقاتل ، فتوجه من الرياض ، ولبعد المسافة ، والجيش جميعه محمولاً على (الركائب) وخيوله مجنوبة تقاد فلم يصل إلى منطقة جازان إلا في أواخر شهر رمضان .

وكان طريقه الحزون المتوسطة بين السهول والجبال وهي الجهة التي لم يستقر فيها الأمن ، فسار في تلك الطريق حتى وصل (الحقو) .

معركة الحقو :

جمع عبد الوهاب فلوله واستنخى أهل الحزون ، وسيرهم إلى جهة الحقو بقيادة حيدر بن محمد ، فأرسل ابنُ مساعد من معسكره بعض السرايا إلى تلك التجمعات ودارت معركة انتهت بهزيمة تلك الجموع ، وممن قتل في تلك المعركة محمد بن يحيى العاصمي وغيره من شيوخ الحقو .

فأبقى حامية في قلعة الحقو وتقدم بجيوشه إلى أن خيم في أعلى الحسينية وامتدَّ معسكره من الحسينية إلى قرية الحسيني .

وأُسندت إليه قيادة الجيوش الحكومية فكان يبعث السرايا للقضاء على الجيوب المتبقية في الجبال مثل بني الغازي - فيفاء - بني مالك - العبادل - جبل سلا - وغيرها فقصفت تلك السرايا على تلك الجيوش المتفرقة ، وبعد عيد شوال انتقل بمعسكره إلى المضاياب .

وظل معسكر عمر بن ربيعان ، ومعسكر سعد بن خالد بن لؤي على الحدود في جهتي (أبي حجر) و (الحرث) وفي جهة (بني حُمَـد) على الحدود .

وانتهت المعارك والحروب ، وبقي كثيرون من الأهالي في جهات (مَيْبَدِي) وما حولها .

الوفد :

صدر أمر جلالة الملك إلى تركي بن ماضي و محمد بن شهيل ، بالتوجه إلى مَيْبَدِي لتأمين الأهالي ، والتمهيد لعودتهم إلى أوطانهم ، وأبرق الملك للإمام بذلك فوافق ، وإنما لم يتحدد يوم وصول الوفد .

اعتقد عامل ميسدي أن الوفد عندما يتوجه سوف يتوقف في الموسم ،
ويرسل له خبراً حتى يستقبلهم ، وظن الوفد أن الإمام مادام قد أذن بوصولهم
فالحُدود مفتوحة بين البلدين في أي وقت يصلون فيه .

وعلى ذلك توجه الوفد من جازان في الصباح الباكر ، وبعد صلاة
الظهر كانت سيارتهم عند باب قصر العامل ، وقد اجتازوا المخافر
بدون توقف .

كان العامل في ذلك الوقت قد تخفف من لباسه واستعد لنومة القيلولة
وماراه إلا أبواب السيارات ، وأزيز محركاتها عند باب القصر ، ولغظ
حراسه ومبادرة عريف الحرس بالصعود إلى القصر يخبره في حيرة وارتباك ،
فنزل منزعجاً يرتدي ثوبه ، مسرعاً في النزول ، فإذا هو أمام الوفد وجهاً
لوجه فتصنع الهدوء ، وبعد السلام رافقهم إلى مجلسه (الرسمي) ، ثم
أمر بإعداد نزل لضيافتهم فأعد على وجه السرعة وانتقلوا إليه .

وبخروجهم أصدر أمراً بمجازاة خفر المراكز الذي خارج المدينة لعدم
إيقافهم واحتجاز السيارات حتى يصدر أمره بالإذن لهم بالدخول .

وباستقرار الوفد في نزله أخذ في استدعاء وجهاء أهل المنطقة وتأمينهم
والتفاهم معهم بالعودة إلى أوطانهم وتألفهم ، وإفهامهم أنهم آمنون على
أرواحهم وأموالهم ، وأنه قد صدر أمر الملك بالعفو العام حتى على من
اشتركوا في الحركة ، وبذلت التسهيلات لعودتهم ولم ينته شهر رمضان إلا وقد
عاد نصف الناس وفي النصف الأول من شهر شوال عاد من بقي .

وبعدها عاد الوفد من ميسدي إلى جازان ، وكان لوجود ابن مساعد
عامل فعّال في تهدئة الأمور وتسكين الأحوال ، وتطمين الناس ، فأخذ
الكثير من وجهاء المنطقة وشيوخ القبائل المتخوفين من مؤاخذه الحكومة ،
في مقابلته وأخذ الأمان ، وبصفته من الأسرة المالكة فكانت الثقة به
والاطمئنان إليه أدعى إلى إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي ٥

وبعد استقرار الأمور وهدوء الأحوال ، استدعى ابن مساعد أمير رجال

ألمع الذي أشرنا إليه سابقاً — منصور الشقحا — لاشغال مركز إمارة جازان —
موقتا حتى تعين له الحكومة من تراه ، وتوجه عائداً إلى نجد بطريق أبها وذلك
في شهر القعدة سنة ١٣٥١ .

وظل منصور الشقحا يقوم بأعمال الأمير الإداري لمنطقة جازان ، حتى
صدر الأمر بتعيين حمد الشويعر أميراً للمنطقة وفي ١٣٥٢/٦/٢٥ وصل
إلى جازان وبأشر عمله في شهر شعبان سنة ١٣٥٢ هـ .

حمد الشويعر :

وصل حمد الشويعر إلى مدينة جازان ، وبأشر مهام منصبه ، وقد رأت
الحكومة أن يشغل منصب الإمارة في المنطقة شخصية كبيرة تملأ فراغ ذلك
المركز نظراً لماضيها القريب ، وأهميتها الحاضرة ، وحمد الشويعر (مخضرم) .

من رجال إمارة ابن رشيد قبل انضمام تلك الإمارة إلى ابن سعود .

وبعد وصوله أخذ في تعيين أمراء إداريين ، لأهم مدن المنطقة فأجرى
التعيينات الآتية :

- ١ — عين أخاه على الشويعر أميراً بـ (صبيا) .
- ٢ — قريبه عبد المحسن الشويعر بأبي عريش .
- ٣ — قريبه إبراهيم الشويعر على جزيرة فرسان .
- ٤ — عين لبقية بلدان المنطقة أمراء من رجاله .

الفضل التاسع عشر

الحالة مع الإمام

إن موقف الإمام يحيى من قضية الأدارسة والحزب هما ما مر بك -
آنفا - مما أوردناه مفصلاً وزاد ذلك التجاء الأدارسة إليه واعتذاره عن
تسليمهم مما دارت المخابرات بين الملك والإمام يضاف إلى ذلك موضوع
تحديد الحدود ، كل ذلك اقتضى بين الجهتين ارسال وفد إلى صنعاء ،
لانهاء الخلافات السابقة واللاحقة بين الحكومتين فتألف الوفد السعودي
من حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية وخالد أبو الوليد ،
وتركي بن ماضي .

وهذا هو الأمر الصادر إلى أحد أعضاء الوفد نورد نصه الحرفي :

عدد

١٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى جناب المكرم
تركي بن ماضي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مع السؤال عن صحتكم دتم بخير .
ونحن من فضل الله بآتم الصحة والعافية والأمل تكون معلوماتكم متصلة إلينا
تفيدونا بما يسر ، نحن من فضل الله بخير وعافية ، وأخبار جهتنا من كافة
الوجوه مسرة نحمد الله على ذلك ، ونرجوه دوام النعمة ومزيدها هذا ما لزم
والسلام حرر في ٢٥ الحجة سنة ١٣٥١ هـ (الختم)

ملحق خير وسرور : إن شاء الله لكتاب تركي بن ماضي رقم ١٠١٩ في
١٣٥١/١٢/٢٥ فقد اطلعنا على ما ذكرتم بالتغراف بآرك الله فيكم ، ونسأل
الله أن يذل كل عدو للإسلام والمسلمين ، وأن يذهب من فيه شر ، وأنت

إن شاء الله توكل على الله وتمشي مع الربيع ، حمد وخالد والتعليلات بما يلزم معهم ، إن شاء الله إن اجتهادكم فيه بركة ، ولا بعدكم أسف على شيء (الحتم) .

تعليلات للمندوبين : وهذا نص التعليلات :

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليلات الصادرة للمندوبين والمفاوضين مع جلالة الإمام يحيى

مقدمة :

الذي يظهر من تصرفات الإمام يحيى أنه متردد في اتباع السياسة الصريحة معنا والتي سُدَّها ولُحِمْتْها الاخلاص وحسن النية ، لذلك فإنه في الدرجة الأولى من الأهمية أن يسير الوفد في عمله على قاعدتين أساسيتين .

١ - التعرف على نواياه ، وعمل ما يمكن لا قناعه بحسن نوايا جلالة الملك تجاهه ، وتجاه بلاده .

٢ - تجنب كل أمير يثير شكوكه ، أو يراه ، سواء في الحال أو المستقبل ، ويكون ذلك بإفهامه بالأسباب التي حَدَّتْ بجلالته إلى إرسال الوفد إليه ، وتجنب مشاق السفر وعناء الطريق للضجور إلى صنعاء ، والسبب الأساسي على ما يظهر لنا هو توطيد الصداقة التي تأسست بين الجانبين بعد حوادث جبل (العُرَّ) والاتحاد على مافيه عز العرب والإسلام ، والاتفاق على كل ما من شأنه أن يحفظ جزيرة العرب ، ويؤلف بين أهلها .

٢ - العلاقات :

إنه والله الحمد والمنة ، لا توجد بين البلدين أية أمور توجب الخلاف وأنه ليس لدى الوفد ما يقول ، لأن ما تم بعد حوادث (العُر) ، قد أظهرت الصداقة بين الجانبين بأجلى مظاهرها ، وقد عقدت بين الجانبين معاهدة صداقة بالبرقيات التي تبودلت بينهما ، ثم من جهة أخرى تقدم جلالة الملك إلى الإمام يحيى باقتراح مؤداه تقوية الصداقة والألفة ، والسعي للظهور

بمظهر الاتحاد المتين الذي لا تنفصم عراه ، ومع ذلك فقد أراد جلالته أن يوفد الوفد إلى صنعاء لكي يكون حاضراً بين يدي الإمام ، ويطلع على ماعنده من اقترحات ، خاصة بتقوية العلاقات وتأبيدها ، وأنه مستعد للمفاوضة فيها والبت في كل ما يعود بالفائدة على صداقة الجانبين .

٣- المعاهدة :

إن المعاهدة التي وقع عليها في شعبان سنة ١٣٥٠ والتي أبرمها جلالته وسيادة الإمام معاهدة صالحة ، ولا زالت قائمة ، ونعده نحن بالمحافظة عليها ونأمل أن سيادته يكون حريصاً كذلك على بقائها .

وقد حلت هذه المعاهدة نقطتين أساسيتين يمكن لو لم تكونا منتهيتين ، أن تسبب الخلاف - لاسمح الله - بيننا ، وهما :

- ١ - مسألة الحدود بين عسير السراة وعسير تهامة وبين اليمن .
- ٢ - تسليم المجرمين الذين يرتكبون أعمالاً في بلاد الفريق الواحد ضد الفريق الآخر .

أما مسألة الحدود المشار إليها ، فكما أشرنا أصبحت الآن منتهية لأن المعاهدة أثبتت ذلك ، وجاء قبول سيادة الإمام يحيى بتحكيم جلالته بأن جبل (النعير) للإمام ثم اعترف سيادة الإمام بأن (فيفا) و (بني مالك) تابعان لجلالة الملك ، وجاء قبول سيادته قاطعاً للأمر ، وباتناً فيه ، وقاضياً نهائياً على أي ادعاء كان بإمكان تغيير الحدود ، فالذي تحت يد جلالته الملك بالفعل هو لنا ، والذي تحت يد الإمام هو له ، ولن نطالبه بشيء تحت يده ، كما أنه لن يطالبنا بشيء مما هو تحت يدنا ، إلا أنه منعاً لأسباب النزاع ، وقطعاً لأبواب الاختلاف فإن جلالته رغبة في إدامة حسن التفاهم والصداقة مع الإمام لا يمانع تبديل نصف قبيلة أو قبيلة بقبيلة ، لكي يكون افخاذ القبيلة الواحدة في جهة واحدة .

كما أن جلالته لا يمانع أيضاً في تصحيح خط الحدود مع ذلك كضم شعيب إلى جانب ومسيل إلى جانب آخر .

فلذا كان للإمام رغبة في ذلك ، فإن جلالته يوافق عليها مع الممنونة لأنها ترفع النزاع ، وتمنع الاختلاف ، بين بلاد منقسمة ما بين البلدين .

هذا إذا كان للمندوبين استناد على ما عندهم من المعلومات عن الحدود والقبائل يرون ذلك في مصلحتنا ، وإن كانوا لا يرون ذلك في مصلحتنا فليأخذوا اقتراح يحبي ويرفع لجلالته مع بيان رأيهم في ذلك .

وأما مسألة تسليم المحرّمين التي ثبتت في المعاهدة فإننا نرى الاحتفاظ والتمسك بها تماماً كشرط أساسي لإدامة الثقة والعلاقات الحسنة .

ولذلك فإننا نؤمل أن موقف سيادته في هذا الأمر مثل موقفنا ، وأن نعلمنا بصراحة على ذلك ، لأن موقف سيادته في حوادث الإدريسي كان موقفاً يناقض المعاهدة ، وبناء على ذلك فإننا نطلب منه يعرفنا رأيه بصراحة ويبين لنا أمرين :

١ - هل هو مُصمّمٌ على انفاذ النص كما هو ؟ ! .

٢ - أو أنه لا يريد ذلك ويرى إلغائه ، والسير على الطريقة التي سار عليها في حوادث الأدارسة ، سواء تجاه (الدباغين) واتباعهم ، أو الأدارسة أنفسهم .

٤ - الحدود والاعتراف بها :

ذكرنا فيما سبق كيف أن المعاهدة المعقودة ، وحكم (العُمر) قد حل مسألة الحدود بين عسير واليمن ، وذكرنا رأينا في التعديل الذي يمكن الموافقة عليه .

وأما حدودنا فيما وراء عسير من الداخل - الشرق - فإنها كذلك مبتوت فيها منذ عام ١٣٤٦ حينما زار ابن دليم ، وابن ماضي الإمام ، وأعلمناه بأن أهل (نجران) تابعون لنجد وأنهم لازمون لنجد بموجب الضرورة ، كما بَلَّغْنَاهُ ، وأن سيادة الإمام وافق في ذلك الوقت على أن ما كان من نجران وشمالاً فهو عائد لنا ، وما كان من (وائلة) وجنوباً

فهو عائد له ، حسب النص المشار إليه في المحضر ، وعن إمكان تعديل الحدود تعديلاً بسيطاً ، كشعب أو قبيلة أو ما أشبه ذلك في عسير فإننا لانمانع في إجرائه في نجران .

وعلى كل من الضرورة أن يكون موقف الوفد من هذا الأمر - أي أمر الحدود جلياً واضحاً ، وأن يفهمه الإمام ، وهو أنه من المستحيل أن يتغير موقفنا تجاه الحدود ، بترك بلاد عسير ونجران ، أو أنه إن كان قصد الإمام أن نعيش معنا معيشة الصداقة والتفاهم ، فما عليه إلا الإقلاع عن التفكير بأمور لا يكون منها له نتيجة ، إنَّ ما تحت أيدينا هو لنا لن نتنازل عنه ، كما أننا لا نطالبه بأن يتنازل عما كان تابعاً للأدارة قبل دخول قوات الإمام إلى (السُّحْدَيْدَة) و (مَيْدِي) .

وإن الذي يوافق عليه هو التعديلات البسيطة التي أشرنا إليها ، المقصود من ذلك أنكم تعرفون نواياه ، إن كانت نوايا حسنة ، وقصده على أن تكون الحالة كما هي ، والكلام يصير في وقت آخر ، المقصود لا تُورِّثُهُ شِدَّةُ توجب الكدر والخلاف ، ولا تراخون في أمر يريده وفيه مضرة علينا .

٥ - المعاهدة الجديدة :

قلنا إننا نرى المعاهدة الحالية أداة صالحة ، ولا بأس من بقائها ولكن لا نرى مانعاً من عقد معاهدة أخرى ، في حالة رغبة الإمام يحيى في ذلك ، ومن الموافق أن يترك أمر اختبار ذلك إلى الإمام نفسه ، فإذا كان راغباً في عقد معاهدة جديدة فننصره في الضروري معرفة الشكل

نعرض في هذا الباب حالتين هما :

١ - العصرية التي تسير عليها الحكومات الأوروبية في عقد المعاهدات .

٢ - بقاء المعاهدة القديمة على حالها بعد تثبيتها .

فإن اختار الطريقة الأولى ، وهو ما نرجِّحه ، فاطلبوا منه المشروع الذي يقدمه وعرفونا نصّه برقيماً ، بعد تبديل ترتيب المواد حتى لا تنكشف الشفرة ويمكن حلها ، لكي نرى رأينا فيه ، وقد وضعنا نصّ المشروع

فقدموا هذا له وستكون المخابرة متصلة بيننا لتعديل أو تبديل شيء من المواد .

٦ - الاتحاد والتعاون :

بما أن الذي يظهر لنا من تصرفات الإمام يحيى خلال الوقائع الإدارية لا يشجع كثيراً على الثقة بنوايا المذكور المستقبلية ، فإننا لا نرى بصورة جازمة ما يكون للاتفاق الهجومي الدفاعي ، من قيمة عملية بيننا على فرض دخولنا فيه معه ، ومع ذلك فإننا في حالة الدفاع عن سلامة الجزيرة العربية ، لا نرى مانعاً من قبول التعهد بما يأتي :

- ١ - وضع ذلك في المعاهدة ، أو في مكتابة ملحقة في المعاهدة .
- ٢ - وفي حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل فريق بما يأتي :
 - (أ) الوقوف على الحياد التام .
 - (ب) المعاونة الأدبية والمعنوية .
- وفي حالة الاعتداءات الداخلية يتعهد كل فريق بما يأتي :
 - (أ) اتخاذ التدابير الفعالة لعدم تمكين المعتدي من الاستفادة من أراضيه .
 - (ب) منع التجاء اللاجئين إلى بلاده .
 - (ج) منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو تشجيعهم أو تموينهم .
 - (د) منع الإمدادات والذخائر والمؤن عنهم .
 - (هـ) تسليم من يفر منهم إلى بلاده أو طرده .

٧ - التحكيم :

لا مانع لدينا مطلقاً أن نتفق على إحالة كل خلاف يحصل بين الجانبين على التحكيم الذي يصدر ، ويوضع لذلك نص صريح واضح ، في المعاهدة (كتابة ملحقة) ويمكن الاستعانة بالنصوص الواردة في (بروتوكول) التحكيم المعقود بيننا وبين حكومة العراق ، والموجود في آخر مجموعة المعاهدات التي عندكم منها نسخة من قبل .

٨- المؤتمر العربي في بغداد :

إن على الوفد أن يتخابر مع الإمام يحيى من أجل قضية المؤتمر العربي المنوي عقده في بغداد ، أو أن يفهم ، أنه بالنظر إلى أنه وجلالة الملك هما المستقلان دون غيرهم استقلالاً تاماً صحيحاً ، فإنه من الضروري أن يتبادلا المعلومات في كل الأمور التي لها علاقة بالعرب ومستقبلهم ، ولذلك فإننا نحب أن نعلم موقف الإمام يحيى تجاه المؤتمر العربي ، وإننا نحب وإياه أن نكون يدأ واحدة ، ومن رأي واحد فيما يتعلق بشأنه .

أما المؤتمر فمع أن غرض القائمين به شريف ، إلا أنه بالنظر إلى موقف أكثر البلاد العربية ، وبعض المتزعمين من العرب ، فإننا نخشى أن يكون الغرض منه شيئاً آخر خلاف ما هو معلوم عنه ، أو أن يحاول بعض النفعيين الاستفادة منه على حساب الآخرين .

أما أهل سوريا فلا شك أن قصدهم الاستفادة على مقاومة الفرنسيين مهما كانت الحالة ، ولكننا نعلم أن قوتهم لا تمكنهم من الوقوف في وجه فرنسا بالقوة (.....) ومعلوم الذي يصيبه الضرر من مساع غير وطنية هو سيادة الإمام وجلالة الملك ، ولهذا فإننا نطلب من يحيى أن يبين لنا موقفه لكي نعلم ماذا يجب علينا اتخاذه من تدابير للتفاهم على خطة العمل السليبي والإيجابي .

٩- الاعتراف :

إذا طلب الإمام أن نعرف به بصفته ملكاً على اليمن فإنه لا مانع عندنا من ذلك ، على شرط أن يطلب هو ذلك ، فإن لم يطلبه فلا تفتحوا بابه أما نصه فيكون كما يلي : يعترف حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن بحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية .

ملاحظة مهمة :

إذا تم الاتفاق بينكم وبين يحيى على الحدود ، فمن الضروري تثبيتها في مادة تكون في المعاهدة ، ولا يمكن يعترف ليحيى بملكيته على اليمن قبل

أن يعترف بالحدود ، والحدود هي الموجودة في محضر الأخاديت التي كانت بين ابن ماضي وابن دُليم ، ومندوبي يحيى نراها لا بأس بها ، لتكون أساساً للمادة في المعاهدة .

(مشروع معاهدة بين المملكة العربية السعودية وبين حكومة الإمام يحيى)

الحمد لله نشكره ، ونصلي ونسلم على خير أنبيائه الذي جاء بالهدى ودين الحق ونستفتح بالذي هو خير .

أما بعد فإن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين رغبة منهما في جمع كلمة الأمة العربية الإسلامية ورفع شأنها ، وحفظ كرامتها واستقلالها ، ونظراً لضرورة تثبيت الحدود بين البلدين في شكل عهدي - بعد أن تم القسم الأول من ذلك الاجتماع الذي عقد في صنعاء عام ١٣٤٦ بين مندوبي الفريقين ، وتم القسم الآخر في المراجعات البرقية والتحريرية بتاريخ أيام جرى الاختلاف على مسألة (العُر) .

وبناء على الاتفاقية التي عقدت بين مندوبي الفريقين ، وحازت تصديق الفريقين السامين المتعاقدين ، والمشملة على ثمانية مواد والملحقة بصورتها في صلب هذه المعاهدة ، تهيئةً لمفعولها الدائم ، ونظراً لرغبة الفريقين في إدامة السلام بين بلاديهما ورغبتهما في أن يكونا عضداً واحداً أمام المهمات المفاجئة ، من الداخل والخارج ، ورغبة منهما في سلامة الجزيرة العربية فقد انتدب حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل السعود وانتدب حضرة صاحب السيادة الإمام يحيى حميد الدين مندوبين مفوضين عنهما ، وبعد أن اطلع كل من المندوبين على أوراق المندوبين الآخرين فوجدت مطابقة للأصول ، اتفقا على المواد الآتية :

المادة الأولى :

يسود بين المملكة العربية السعودية ، وبين المملكة اليمنية ، وبين حكومتها ورعاياهما سلم دائم ، وصداقة خالصة ، لا يمكن الإخلال بها . ويتعهد الفريقان المتعاقدان أن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات التي تقع بينهما ، وأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات .

المادة الثانية :

تؤسس بين البلدين علاقات التمثيل السياسي والقنصلي ، ويكون للمثلين في كل من البلدين حقوق الصيانة التي تقضي بها القواعد العربية والإسلامية وتتفق مع الحقوق الدولية .

المادة الثالثة :

يتعهد كل من الفريقين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل استعمال بلاده قاعدة لأي عمل عدائي ، أو الاستعداد له ضد بلاد الآخر ، وكل من يسعى لذلك فإنه إن كان من رعايا الحكومة التي يعمل في أراضيها فحكومة البلد تؤدبه أدباً بيناً ، وتردعه ردعاً شديداً وإن كان من رعايا البلد الآخر فإنه يلقي القبض عليه ويسلم لحكومته التي يعمل ضدها فتجازه به بما تقضي به الأحكام الشرعية ، وعلى الحكومة التي يقع ترتيب العدوان في أراضيها أن تحبر الحكومة الأخرى في الحال عن ذلك ، وأن تجرى المراجعات البرقية والكتابية عند اللزوم لاتخاذ خطة مشتركة رادعة لأعمال أولئك المجرمين .

المادة الرابعة :

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يلجأ إلى التحكيم لأجل أي نزاع يقع بينهما ، وأن يقبلا الحكم الذي يصدره الحكم ، ويوضع للتحكيم ترتيباً مفصلاً يعين كيفية طلبه ، وكيفية حصوله .

المادة الخامسة :

إن الفريقين الساميين اللذين تجمعهما الجامعة الإسلامية العربية أمتهما

واحدة وإنهما لا ينويان بأحد شراً ، وإنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شئون أمتهم في ظل الطمأنينة والسكون ، وإنهما لا ينويان أية نية عدوانية تجاه أي أمة كانت ،

المادة السادسة :

يعقد بين الفريقين الساميين المتعاقدين اتفاق بريدي لتسهيل المواصلات وتزايد الاتصال بين بلديهما .

المادة السابعة :

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل فريق بما يأتي :

١ - الوقوف على الحياد .

٢ - المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

في حالة الاعتداءات الداخلية يتعهد كل فريق :

١ - اتخاذ التدابير الفعالة بعدم تمكين المعتدين من عدم الاستفادة من أراضيهم .

٢ - منع التجاء اللاجئين إلى بلاده .

٣ - منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو تشجيعهم أو تمويلهم .

٤ - منع الإمدادات والذخائر والمؤن عن المعتدي .

٥ - تسليم من يفر منهم إلى بلاده أو طردهم إليها .

المادة الثامنة :

حررت هذه المعاهدة من نسختين وتصبح نافذة من تاريخ إبلاغ الفريقين الساميين المتعاقدين بعضهما برقياً بالاطلاع على مواد هذه المعاهدة والموافقة عليها بحري تبادل قرارات الإبرام بأسرع مدة ممكنة في المكان الذي يتفق عليه الفريقان .

هذا النص الكامل لمشروع المعاهدة التي زود بها الوفد مع التعليمات

السابقة وتوجه الوفد من مدينة (جازان) بتاريخ ١ صفر سنة ١٣٥٢ في طريقه إلى صنعاء .

رحلة الوفد :

توجه الوفد من جازان واجتاز الحدود إلى مدينة ميدي اليمنية وبعد التريث الشيك تحرك ركه إلى مواصلة رحلته ، وشاهد في أثناء طريقه الزينات المنصوبة ، والأعلام المرفوعة والاحتفالات ابتهاجاً بغزو نجران حتى يشاهد الوفد ، ويحاط مسبقاً بالموضوع .

كانت رحلة الوفد من جازان براً على السيارات فواصل سفره إلى مسيدي ، ثم اللحية ، ف (الزيدية) ف (الحديدية) ف (باجل) ومن باجل ارتقى المرتفعات الجبلية إلى (صنعاء) في ٦ صفر سنة ١٣٥٢ .

الاستقبال :

استقبل الوفد استقبالا كريماً وأنزلوا في دار الضيافة ثم تحدد مقابلته الإمام فاستقبلهم في قصره ، وبعد التحية والسلام على جلالته ، قدم الوفد كتاب جلالة الملك فتناوله في سرور ، وأظهر لهم كريم اهتمامه وابتهاجه .

أشرنا من قبيل إلى ما شاهده الوفد ابتداء من خروجه من مدينة ميدي من مظاهر الزينة والأعلام في طريقهم ، وعندما يسألون بحجبتهم المرافقون أن ذلك بمناسبة الاستيلاء على نجران ، والحقيقة أن في ذلك الوقت كان ابتداء تقدم الجيش الإمامي إلى بلاد نجران ، وبعد ذلك تمكن من التوغل في بعض جهاته واستعمال الشدة وهدم بيوت بلدة بدّر ، ونبش قبور المكارمة ، ففر المكرمي رئيس نجران ومعه من معه من شيوخهم فروا إلى الرياض وأخذ الجيش في موالاة تقدمه ، في حال أن هناك فريق أقل من أهل نجران كانوا موالين للإمام .

وبعد تلك المقابلة انصرف الوفد إلى نزلهم ، وكان نصيبهم شبه الترك وقرن الإهمال ، بتصل بهم بعض أعضاء حكومة الإمام يتناوبون ويأخذون معهم في الحديث والحجالة ويعيدون على أسماعهم مطالب الإمام كتحصيل

حاصل وقول قائل ، ويسمعون منهم إلى أن أصبح الوفد في شبه ملل وعدم تصديق ، أما الضيافة والعناية بهم وبأحوالهم فوسع عليهم ، مع المراقبة الشديدة والتصنت والملاحظة على كل حركاتهم وسكناتهم وتحركاتهم ، ومن يتصل بهم ، إلى غير ذلك وقطعت عنهم المخابرة اللاسلكية فيما بينهم وبين الحجاز ونجد .

والإنسان العادي يشعر بوطأة المراقبة وضغوطها على نفسيته من شخص مثله فكيف بوفد له حصانته (الدبلوماسية) وصفته الرسمية .

كان الإمام ينتظر في خلالها انتهاء جيشه من غزو نجران ، حتى يكون الوفد والحكومة السعودية من ورائه ، أمام الأمر الواقع .

ولأنما الحكومة السعودية بدورها لم تكن في غفلة فهي على علم بأدق تحركات الحكومة المتوكلية ، فضلا عن حركة جيش بسعده وعدده ، وقيادة ولي عهد اليمن نفسه لذلك الجيش .

ظل الوفد شهرين في صنعاء يتعرض للمضايقة ، وشبه الإهمال والمراقبة على تحركاته ومنع إرسال برقيات الصادرة وحجب البرقيات الواردة له ، وإذا احتج على ذلك كان الاعتذار جاهزاً بحجة خراب جهاز اللاسلكي . وإزاء تلك الحالة كتب رئيس الوفد (حمد السليمان) إلى أخيه وزير المالية عبد الله السليمان :

الأخ عبد الله السليمان ...

سيدي نرجوكم ترفعوا لجلالة الملك بأنهم منعوا سحب برقياتنا إلى جلالته وقد منعونا عن السفر ، ولا نعرف قصدهم نحونا ، لكن نيتهم رديئة أردنا تعريفكم مختصراً لثلاثين شهرين ٤ / ٤ / ١٣٥٢ . حمد السليمان

وبوصول الكتاب أ برق جلالته لجلالة الإمام البرقية الآتية :

عدد

١٦٧٦ في ١٢ / ٤ / ١٣٥٢ هـ .

أرجو أن يكون الأخ بآتم الصحة والعافية ، ثم يعلم الأخ أننا لم نرسل

الوفد الذي تقرر إرساله بيننا إليكم ، إلا لحسم المواد ، وما يريح المسلمين
وبرغم أعداء الدين .

وكنا ننتظر يوم وصول الوفد أن تصلنا برقية منكم بوصوله فلم تصل
أقام الوفد تلك المدة الطويلة ، وكان خواطرهم ضاقت ، ونحن ما رأينا
لإقامتهم فائدة وكان باب العذر مفتوح ، وهو للمرض الذي كان ملمساً
بكم ، نرجو أن تكونوا قد رزقتم الشفاء والعافية منه ، كذلك أمرناهم بيقون
رغبتكم وأبرقنا لهم بواسطتكم برقية بذلك ، لم نر لها جواباً .

ومع ذلك أمرناهم بامتنال أمركم في البقاء ، وكنا نؤملهم ونؤمل أنفسنا
بإنهاء الأمور بنجاح ، ولأن نؤمل أنفسنا بذلك ، ولكن من تاريخ
٢٥ ربيع الأول إلى اليوم الثامن من ربيع الثاني لم نر منهم أي برقية فاستغربنا
ذلك .

يعلم الأخ أن أعضاء الوفد هؤلاء ليس عليهم جناية أو حجة وأن تميم
الأمر ، وعدم تميمها راجع إلى الله ثم لكم ، ونحن في انتظار ما يقتضيه
نظركم بالمسلك الذي يسلكونه .

ولكن إهانة الوفد وعدم مراجعتهم شيء عجيب جداً لأن هذا لا يسوغه
مقامكم منا ، وليس في نظرنا موجب لا مادي ولا معنوي لا بالسر
ولا العلانية وبقيننا أنه كذلك في نظركم .

على أن الأعمال التي عومل بها المذكورون لم تعمل لا في سابق الزمان
ولا لاحقه ، بين حكومات الإسلام وأمرائهم ، السابقين واللاحقين ولا عند
الأجانب .

لذلك لم يبق للسكوت مجال ، فافتضى أن نعرف حقيقة مقاصدكم التي
نرجو أن تكون حسنة ، وفيها عز الإسلام والمسلمين ، والثاني استنقاذ الوفد
الذي ليس لإهانتته موجب ، ولا لانقطاع أخباره موجب أيضاً عافاكم الله .

فأجاب جلالته الإمام يحيى بالبرقية الآتية بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٢

لم يكن ترك الجواب بالإفادات البرقية ، إلا ثقة بالإفادة إليكم من وفدكم الكريم ، وكان عذرنا سابقاً المرض الذي بلغ بنا النهاية ، وقد مَنَّ الله بالعافية ، وبقي بقية نسأل الله زوالها .

وعند اشتداد مرضنا ، كان من القاضي عبد الله العمري من طلب حكباء من حكومة مصر ، ومن حكومة العراق ، فوصلوا ، وقد كان منهم البحث وشرعوا في المعالجة لزوال العلة ، والله هو الشافي .

أما ما أشرتم إليه من تأخير تلغرافات وفدكم إلى حضرتكم ، فذلك واقع وكان قد رفع إلينا الوفد ، وكان منا سؤال القاضي عبد الله العمري ، فأفاد أن طائر الهواء الحديدي غير صالح ، وأنه قد أرسل من صنعاء من يصلحه وذلك صحيحاً .

وكنّا جلبنّا قبل مدة طائر الهواء الذي بـ (تغز) بدلا عن الذي كان (بالحديدة) وتأخر وجود المهندس لتركيبه ، والآن العمل في إصلاح الأول وطائر الهواء هذا كبير السن وكثير الأمراض والعلل .

وأما منع التلغرافات إليكم فهذا أمر لم يكون قطعياً ، وقد توجه الوفد إلى حضرتكم أمس الخميس ، وحررنا إلى حضرتكم ما سترونه إن شاء الله وقد كتبنا الآن إلى (الحديدة) ليكون عرض طائر الهواء بالحديدة على الوفد ليعرف الحقيقة ، وكونوا من صداقتنا على يقين ما دمتنا على قيد الحياة فليس بيننا وبين حضرتكم إلا كل جميل والله الحمد ... والسلام عليكم .

وبوصولها أبرق له جلالة الملك البرقية الآتية :

عدد

١٧٦٦ ربيع الثاني سنة ١٣٤٢ هـ .

برقيتكم وصلت وسررنا صحتكم ، الحقيقة والله المطلع أن مرضكم مرض لنا لأننا نحب كل شخص من العرب يهمل أمر الإسلام والعرب ، أما اعتذاركم من قبل برقيات الوفد فمقبول ، كل ما يفعل المحبوب محبوب ، والوفد خدامكم ، والأخ أخيك ، والمصلحة عائدة للجميع ، ولكن والله ما يهمننا

إلا تعاطي أهل الأغراض ، أذئاب الأشرار الذين ما يخفون عليكم بالأمور
بيننا وبينكم ، ويصدرونها عن مصادر بطرفكم ، وإذا اطلعتم على الجرائد
رأيتم حقيقة ما نقول .

وما ذكرتم أنكم تداومون على صداقة أحيكم ما دمتم بقبيل الحياة فهذا
هو مأمول فيكم ، وأخوكم يعطيكم أماناً على ذلك ما زال الأمر ما يحوج
للدفاع عن النفس والشرف ، ولكن الذي أقوله لكم ، وأؤكد لكم فيه ،
أن ما يكون بينكم وبيننا من الاختلاف لا مصلحة لنا ولا لكم فيه ، وأن
أصابع أهل الأغراض من الخارج والداخل تأخذ ذلك فرصة ولا يسعى
بالخلاف بيننا وبينكم إلا شخصان إما محب شؤم ، أو عدو يفرح بالدوائر على
الجميع ، وفكر بما قال الشاعر :

وأحزم الناس من لم يرتكب عملاً حتى يفكر ما تجني عواقبه
أحببت تقديم هذه البرقية لأمرين :

- ١ - الخبر عن صحتكم .
 - ٢ - ما أحب تعطيل الجواب منا لكم .
- وعندما يصل الوفد من جيزان ويرفعون لنا أخبارهم ، وما أبديتموه لهم
فنكتب الجواب بما يقتضيه الحال عافاكم الله .

سفر الوفد إلى الحجاز :

بعد رفع كتاب حمد السليمان إلى أخيه عبد الله السليمان بتاريخ ٤ ربيع
الثاني ١٣٥٢ هـ ألح الوفد على رجال الإمام وبالأخص وزيره القاضي العمري
في رغبتهم مقابلة الإمام للسماح لهم بالسفر ، وهم يهدفون من وراء ذلك
إلى أمرين :

- ١ - أما لإحياء المفاوضة والوصول إلى نتيجة سلباً أو إيجاباً .
 - ٢ - أو السماح لهم بالعودة إلى حكومتهم في حال تعذر ذلك .
- وكنتييجة لإلحاحهم ، سمح لهم سيادة الإمام بالمقابلة وتمت في يوم الثلاثاء
الموافق ٩ ربيع الثاني ، ولَمَّا لم يلمس الوفد أي بادرة نجاح طلب السماح بالسفر

إلى حكوماتهم فوافقهم ، وتوجه الوفد من صنعاء في يوم الخميس الموافق ١١ ربيع الثاني ١٣٥٢ محمل رسالة خطية من الإمام لجلالته هذا نصها :
في ١٢ / ٤ / ١٣٥٢ .

وصل الوفد الكريم ولم نجد فيه عيباً إلا شدة التعصب والإخلاص لحضرتكم وقد كان الأخذ والرد بعد طول الإقامة لمانع أثرنا ، الذي بلغ بنا النهاية وإلى الآن وآثاره باقية ، وكان طلب حكماء من حكومتي مصر والعراق فوصلوا ونأمل قد تشخصت لهم العلة ، والله الشافي .

اعلموا حرسكم الله أنه لم يكن بيننا وبين حضرتكم إلا كلية الصداقة والوداد ونؤمل أنا سنلقى الله تعالى على ذلك .

وآخر ما كان عليه البناء بيننا وبين الوفد الكريم في شأن الأراضي التهامية والعسرية أن يكون بقاؤها كما هي عليه الآن ؟ ، وفي مسألة قتلى تنومة أن يكون الخوض فيها للمراجعة بيننا وبينكم .

وفي شأن الإدريسي جعلناه بوجهنا وذمتنا ألا نساعد على شقاق ، ولا نرضى له ، فإن حدث منه حادث فیدنا على يديكم عليه ، ولا نراه يحدث نفسه بشقاق فقد عرف قدر نفسه ، وقدر أعوانه وأصحابه ، وهو الآن منقطع بنفسه لا يخوض في شيء ويشكو قليلاً لقلة المخصص له من حضرتكم ، فبالله تفضلوا بزيادة ألف ريال له ، ولعبد الوهاب ، وعائلاتهم وحاشيتهم ، فهم ذوو تكاليف ويحتاجون كثرة الإنفاق فأفضلوا بتلك الزيادة .

أما مسألة يام ونجران يا حضرة الملك عافاكم الله فأنتم تعلمون أنهم جزء من اليمن ماله مفصل ، بل هم مصاصة قبائل اليمن ، ونحن أوضحنا لحضرتكم بما كتبناه وعاد جوابكم بما هو المؤمل ، فخرجوكم ثم نرجوكم أن تغضوا النظر عنهم ، وتحسنوا التدارك لاستبقاء الصداقة والوداد بيننا وبينكم ، ولا ضرر عليكم إن كان منا إصلاح أمر يام ، ولا نفع لكم إن تركناهم على ما هم عليه من الفساد والهمجية .

ثم كان الاتفاق أخيراً بالوفد الكريم ، وكانت المراجعة في شأن المواد

الأربع التي شملها كتابكم الكريم المرسل إلينا صحة ابن ضاوي ، وكان اختيار الوفد تأخير الخوض في شأن الأربع المواد ، حتى يكون وصولهم إلى حضرتهم وسيوضحون لكم إن شاء الله ، وإذا تفضلتم بالإجابة عن هذا الكتاب إلينا برقيةاً نحن ننتظر ذلك وننشد ما قال ابن الدميثة :

أبسن لي أفي بمنى يديك جعلتني فأفرح أم صبرتني في شماك
ودمت محروسن والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عدد

١٨٥٩

برقية من جلالة الملك إلى جلالة الإمام يحيى

بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٣٥٢

تقدم لكم قبله برقية عرفناكم بها أنه بوصول الوفد إلى جيزان ، وأخبارهم لنا بمضمون كتابكم نراجعك بشأنه ، وقد وردنا منهم اليوم برقية لم يذكروا فيها إلا خلاصة كتابكم ، فلم يتضح لنا المعنى المقصود من الكتاب ، وكان في البرقية بعض الأغلاط التي جعلت غموضاً في المقصود ، وقد أبرقنا لهم يرسلون نفس الكتاب إلينا ، لأمرين :

الأول : الحرص على الصداقة وحسن المعاملة .

الثاني : ظهر لنا من فحوى الكتاب أن بعض الأمور العائدة لكم ملزومون بها في الجزم فيها ، والأمران اللذان من جهتنا ، سواء المختلف فيها أو المقررة تؤجلونها ، أو تقبلونها على حالها .

هذا الذي فهمناه من الخلاصة ، ولعله متى ورد الكتاب بنصه يظهر لنا غير المعنى ، ولكن رغبة منا في تقوية الصلات ، وتدارك الأمور من أمر ما محمد عقباه ، حيننا مراجعتكم لنكون على بصيرة للاستعداد في الرد عليكم :
أولاً : أخى تفهمون أن الملك لله ليس لأحد ، وأن الأمور ليست بالوراثة ولو دامت لغيرك ما اتصلت إليك .

ثانياً : إن وراثتنا وآثارنا السابقة في بعض الأمور مفهومة ومعروفة ،

عند كل الناس ، ولكننا لا نطالب بالأمور الفانية ، ولا نجب
الاعتداء على شيء ليس بأيدينا ، إن محبتنا للزينة ، والاتفاق
معكم ليس بخاف عليكم ، كما تقدم ، وقد أجبناكم لجميع
ما بخاطركم في السابق ، ونرى ذلك فعل جميل في محله ، وتقرب
للإثتلاف والمساعدة ، ولكن يظهر لنا مع الأسف أن القوم الذين
عملوا ما لا يخفى عليكم تدخلوا في بعض المسائل ، لتفاهم الأمر
لعلهم يدركون بعض الشيء مما خسروه في أعمالهم الأولى ، ولكن
الحمد لله فقد كان فيهم ما قاله صلوات الله وسلامه عليه :
« الحمد لله الذي جعل آخر كيد الشيطان الوسوسة » .

أخي تعلمون بأننا ما نَحْذَرُ من جهة الله ، ولا من جهة الأمانة التي في
رقابتنا ولا من جهة الصداقة التي بيننا وبينكم حتى نقوم بالواجب ، فلما ندرك
المطلوب أو نَعْذِرُ ، وتعلمون أن شرفكم وشرفنا وديننا ما يسعنا إزاءهم
إلا القيام باللازم على أمر واضح وبرهان بين ، أرسلنا وفدنا وأعطيناه
التعليمات اللازمة وحصل أمران أحزننا أحدهما وأسفنا للآخر .

أما ما أحزننا فهو اختلال صحتكم نسأل الله لنا ولكم العافية ، وأما أسفنا
فهو التأخر وعدم الاتفاق .

والآن فإن البيان الذي على غير أساس ولا ثقة ما يصلح لدينا ولا شرفنا
لا منّا ولا منكم .

وكانت المراجعة بيننا وبينكم في المطلوب لنا ومنا ، وسنكون على أساس
يقره الدين والعرف العصري ، مما يرغب به العدو ، ويسر به الصديق ،
فهذا الذي نطلبه وهو مرادنا ، فإن كانت الأمور ما تحصل إلا على الوجوه
الثلاثة الآتية :

١ - لا تحصل راحة ولا طمأنينة لا لنا ولا للرعايا .

٢ - يلقي كل شيطان مارد ثقله له بذلك .

٣ - يكون مضحكة للأجانب .

فهذا أمر أظنكم توافقونا على أن عدمه خير من وجوده ، فإن كان الأخ على ما نعهدده ويظنه المسلمون فيه فنحن نحب ذلك ، ونعاهد الله أن نجري اللازم بالإنصاف من جهتكم ، وعدم الحياة من جهتنا ، ونبرأ إلى الله أن نتكلم بأمر غير مشروع فليبرهن الأمر وليعطينا الثقة التامة على التفاهم على أساسات :

أولها مسألة الحدود والانفاق على تثبيتها كما كانت في السابق ، إلا أن هناك لزوم لتعديل ضروري عائد للمصلحة بيننا وبينكم .

ثانيهما : إبعاد كل مفسد بطرفكم يحدث مشكلاً بيننا وبينكم .

الثالث : مسألة (نجران) نفيكم أننا ما نحب لهم ولاية ، وليس هناك أمر يقرن بيننا وبينهم لا دين ولا طمع ، إنما هي مصالح ومضار بين الرعايا ، ونحن مستعدون أن نراجع فيما يحفظ مصالحنا ومصالحكم ومصالح رعايانا ورعاياكم بغير زيادة ولا نقصان ، وهذا الذي يراه أخوكم وتستريح به النفوس ، فإن أجبتونا على ذلك فنحن مستعدون للأمر ، فلما أن تبدي اقتراحكم بذلك ، أو نبدي اقتراحنا .

فإن كان الأمر لا فائدة منه ، وإنما كما ذكر أعلاه فإن المراوغة فيه شيء يأباه الدين والشرع ، وكما أن لأنفسنا علينا حقاً ، فإن لشرفكم ومقامكم علينا حقاً أيضاً ، وذلك بأن لا نكتنمكم شيئاً ، فإن أجبتونا إلى ذلك فهو الذي نراه ونحمد الله عليه ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياكم كذلك فإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ونشهد الله أننا لا نحب الاختلاف ، ونحسب لكم من الصلاح ما نحبه لأنفسنا ، وأرجو من الله إن كان يعلم صدق نيتنا للإسلام والمسلمين فاسأله أن ينصر دينه ويعلم كلامه ، ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه فإن كان يعلم عندنا ضد ذلك فاسأله أن من كان يقصد الغش والحياة والمراوغة أن ينتقم منه ويخذله ، ويكفي المسلمين شره .

إن أحاكم قد أكثر عليكم المقال ، ولكن الشفقة ومحبة الانفاق حملني

على ذلك لدفع المسؤولية عنى وعنكم ، وجعلها على من تسبب وخالف الأمر المشروع ، ومصلحة المسلمين ، وإني أعاهد الله أن لا أتعدى الخطّة التي تشرون عليها وأن أعاملكم بالمعاملة التي تعاملوني بها وإني لا أبداً أكمّ بشرّاً إلا أن يكون دفاعاً عن الدين والشرف وأسأله أن يوفقنا وإياكم للخير .

فأجابه الإمام بالبرقية الآتية : ٢٤ / ٣ / ١٣٥٢ هـ .

ج : كثير من برقيتكم لم يظهر لنا معناه ، مع تكرار أخذها من (مسيدي) ولكننا عرفنا المراد على الإجمال ، والمراد أنه لم يكن بيننا وبين حضرتكم عداوة ولا شقاق بل صداقة ومودة ووافق ، ونعتقد أننا نموت على ذلك إن شاء الله وعسى أن لا يصل هذا إلى حضرتكم إلا بعد وصول محررنا بعينه فقيه استكمال كل الأطراف ، بما يجمع بين الغرضين .

فالحدود كما ذكرتم في برقيتكم على ما كانت عليه ، ومسألة (تنوّم) حلّها من حضرتكم ، ومسألة الإدريسي قد جعلناه بوجهنا وذمتنا ، أن لا نساعد ولا نرضى له بأذى شقاق ، وإن كان منه شيء فيدنا مع يديكم عليه ، على أننا لا نظن أن يتحصّل منه شيء قطعياً ، فلا تصدق من يعظم أمره ، ورجونا من حضرتكم أن تزيدوا في مخصص الإدريسي ألف ريال شهرياً .

وفي مسألة يام رجوناكم أن تصرفوا النظر عنهم ، فالمراجعة بما فيه الصلاح والقلاح بيننا وبين حضرتكم فهو من لازم الوداد .

ونظن أنه قد اتضح لكم ما لدينا لحضرتكم من الولاء ، وأن كل أمر يخالف ذلك ساقط لدينا ومبدول .

ولم يظهر لنا ما هو يوافقكم فيما كتبناه مع وفدكم الكريم ، ونؤكد ما تقدم منا لحضرتكم غيره مرة بأننا موالون لكم ، غير مضمّرين سوءاً ما دما على قيد الحياة ، إنما بعض الأمور نرى إهمالها مع كلية الصداقة والوداد .

برقية من الإمام يحيى

بتاريخ ١٨/٤/١٣٥٢

ج : لقد سرتنا برقيتكم إذ وافقت ما تنطبق عليه نيتنا فالحمد لله رب العالمين ولا سبيل لأشرار يسلكون به ما يكدر الصفو ، والمنتظر وصول جوابكم على ما حررناه لكم مع وفدكم الكريم والسلام .

برقية من جلالة الملك إلى جلالة الإمام

بتاريخ ٢٦/٤/١٣٥٢

أخي حفظك الله - تلقينا برقيتكم الأولى والثانية ، ونحن الحمد لله بحال الصحة ، وأحطنا علماً بما ذكره الأخ .

أما برقيتنا السابقة فالقصد منها الاستفسار عن كيفية العمل لحل المواد المطلوبة بيننا وبينكم ، وسواء ظهر المقصود لحضرة الأخ مما كتبناه سابقاً أو لم يظهر فإننا نشرح للأخ ما عندنا في المواضيع المشار إليها ونفرد لكل موضوع برقية على حدة ليسهل حلها ، ويتوضح المقصود بصورة جلية ، فإذا وصل ذلك فالنظر في الجواب تفصيلاً وإجمالاً له .

أما ما أشار إليه الأخ من المحافظة على الصداقة والولاء وأن نكون مطمئنين الخاطر من ذلك ، وأنه لن يكون بيننا شقاق أو عداوة ، فإن هذا متحقق عندنا إن شاء الله ، ودليلنا على ذلك تكرارنا على الأخ بحسم المواد لشيت دائم الصداقة ، وتأمين راحة الجميع ولئلا يكون الأخ مطمئن الخاطر وليثق بأنه ليس عندنا إلا ما عندكم من المحبة والصداقة ، وهو الذي ندين الله به باطناً وظاهراً وهذا هو الواجب على كل مسلم عربي نرجو الله أن يحقق ذلك ويجمع شمل المسلمين والسلام ..

وفي تلك الأثناء وقع من قبيلة العبادل السعودية بعض الخلاف نتيجة تحريض الإدريسي ، وتوجه أحد رجال الإدريسي (أحمد الأهدل) إلى صنعاء فأبرق جلالتة للإمام بالواقع فوصلت منه البرقية الآتية :

إلى جلالة الملك الأخ عبد العزيز

بتاريخ ١٣٥٢/٥/٣ هـ

ج : بعض البرقيات إجمالاً عجالة ؟ ، أيها الأخ العزيز حفظكم الله كونوا على ثقة تامة من صداقتنا ، ومع ذلك فوالله لا تجدون منا إلا الوفا والصداقة ، وهذا إنما هو إنصاف للحقيقة لحضرتكم ، وإلا نحن نعتقد أنكم لا تخافون منا ولا من غيرنا .

بشأن الأهدل وصل إلينا ولم نتفق به منذ وصوله ، وبشأن (العبادل) فإنه قبل عشرة أيام بلغ إلينا نفورهم وخوفهم ، وقد كتبنا لعامل (مبيدي) أن يقنعهم بلزوم طاعتكم ، ولا يחדش أفكارهم البسيطة ، ولا يهتموا بأي أمرٍ لنا فيه أدنى اطلاع ، ولا تحسبونا إلا كأحد إخوانكم ، واحفظوا هذا عنا دائماً مطلقاً ، وكذبوا ما يخالف ذلك ، ولسنا دجالة إلى أن نكتب لكم بالكذب الحرام ، وكل الأمور إن شاء الله كما تحبون ، ستوضح لكم إن شاء الله والسلام .

برقية من الإمام لجلالة الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٥/١٠ هـ

ما أفدتم به من أمر يام فهو اللازم لضبط الحدود من الطرفين لمنع كل ما عساه يحدث من الشقاق بين الحدود ، مع انضباط أمور (يام) إن شاء الله لا بد تجري الأمور كما تحبون ، وإن مقدمات قصدنا رفع كل شر بين المسلمين عموماً وخصوصاً فيما يتعلق بنا وبحضورك والسلام عليكم .
وصول الوفد إلى جازان :

وصل الوفد السعودي عائداً إلى جازان يوم الأحد الموافق ١٤/٤/١٣٥٢ هـ ورفع برقية بوصوله لجلالته ، ثم رفع بعد ذلك خلاصة كتاب الإمام محبي وبعده أيام توجه إلى الرياض بالسيارات عن طريق الحجاز ، فإنه في ذلك التاريخ لم يكن للسيارات طريق إلى عسير فضلاً عن نجد ، وبطبيعة الحال أن قطع الطريق من جازان إلى مكة عن طريق غير ممهدة ولا مسفلتة يستغرق أياماً وكذا من مكة إلى نجد .

وبوصولهم إلى الرياض وبعد مقابلة جلالة الملك سلموه كتاب الإمام يحيى ورفعوا التقرير المسهب عن مهمتهم في صنعاء والذي نورد منه ما يأتي :

(يتضح لجلالتكم من مطالعة هذه الأوراق ما دار بيننا وبين الإمام يحيى من جهة ، وبيننا وبين مندوبيه من جهة أخرى ، وما بذلناه من الجهد والصبر والأناة ، لأجل الوصول إلى الاتفاق الصريح معهم ، ليكون من ورائه الصلح والسلام ، وعز العرب والمسلمين ، وقد عملنا بكل ما فينا من قوة لبيان غايتنا السلمية ورغبتنا الخالصة ، في الاتفاق وإظهارها بارزة ملموسة ، ونظن أننا قد وفقنا إلى أبعد مدى من كلامنا وحركاتنا وتصرفاتنا في التعبير عن نبل مقاصدنا وإثبات شريف مرامنا ، كما أننا وفقنا بحسب اعتقادنا إلى الوقوف على غاياتهم الخفية وأغراضهم المستورة ، ومطامعهم البعيدة المرمى ، وخططهم وأساليبهم المتخذة نحونا في معاملاتهم وذلك بالرغم من مراوغتهم ، وتطلباتهم والتزامهم جانب الغموض في المباحث والمذكرات ،

إننا نقول بملء الأسف أن جميع مجهوداتنا في الوصول إلى هذا الغرض النبيل قد ضاعت سدى ، فكنا كمن حاورَ عَجَمَاءَ ، أو نادى صَخْرَةً صَمَاءَ ، ومع شديد أسفنا من عدم وصولنا إلى ما نتمناه ، ومن إخفاق مساعيها السلمية فإننا نعلن رضا ضمائرنا من شيء واحد وهو أننا وفقنا إلى إزالة تلك الحالة المهيمنة بيننا وبين الإمام يحيى ، وأزلنا قناع الرّيب والنفاق بصورة لا تترك مجالاً للشك فيما ينصب لبلائنا من أحابيل ، ويدس عليها من دسائس ، ولحكومتنا بعد الوقوف على الحقائق أن تختطّ منهاجاً ثابتاً تسير عليه في المستقبل لأجل صيانة منافعها وحفظ أملاكها إلى أن تبدل ذهنية القابضين على زمام الأمر في اليمن ، وتأتي طوارق الحدثان بما يجبرهم على مصالحتنا ومسالمتنا ، ومعرفة أن هناك أمة عربية تتطلع إلينا وإليهم وتطلب منا ومنهم الاتفاق والاتحاد على ما فيه العز للعرب والإسلام .

لقد رأينا الإمام يحيى غير صافي النية من جهة جلالتكم ، بصورة غير

مأمولة من ملك عربي مسلم ، نحو بلاد عربية إسلامية مجاورة له ، في فترة تاريخية عصبية يرى فيها كل عاقل لزوم تسليد العرب والمسلمين ، وتعاقدهم ، وقد أدهشنا وأبسم الله هذا الشعور العدائي الذي لم نكن نتوقعه من مسلم عربي . وقد عجزنا من تعليل أسباب ذلك العداء الكامن بالرغم أنه من الممكن حمله على محمل العقيدة الزيدية من جهة ، والطموح أو الحسد الشخصي لجلالتكم من جهة أخرى .

إن الإمام يحيى يكرهنا ويخافنا ، ولكنه يحترز من محاربتنا ومجاهتنا وجهاً لوجه ، وخطته التي يسير عليها تتلخص في أن يعمل على إفساد القبائل والأهالي التابعين لنا ، ويستعمل من أجل الغرض وسائل عديدة ، منها بعض اللاجئين إليه من رعايانا ، ومنها دعاة المذهب الزيدي الذين لهم صلات مع أشخاص في بلادنا ، ثم إذا اعتقد أن الفرصة سانحة أجهز على قطعة من أملاكنا بالحرب أو بالدس أو بالتظاهر بتحكيم جلالتكم ، كما حصل في مسألة (الثعثر) والمماطلة والمراوغة والتسويق من الوسائل الفعالة التي يلجأ إليها ، غير أن غايته القصوى مرتكزة على الانتظار ، وفرصة الفتن الداخلية أو الاشتباك مع أحد الدول للوصول إلى ما يتمناه من أغراض لاحققها الله .

برقية من الإمام يحيى إلى جلالة الملك

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٠ هـ

بلغ إلينا تحشيد الجنود إلى الحدود ، ولم نعرف سبباً لذلك ، فلم يكن منا غير المحافظة على الصداقة كما أوضحنا لحضرتكم مكرراً ، وكلما بلغ إليكم مما يخالف ذلك مَحْضُ افتراء ، فاحذر ألا تُخْذَع لمن يريد طمس الإسلام وهلاك الجميع ، فلا خير في الشقاق لنا ولا لكم ، والغالب نحن وأنتم خاسر والسلام .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢١ هـ

لقد تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٧/٢٠ ولما بلغ الأخ تحشيد بعض

الجنود ، فهذا صحيح ، وقد أخبرتكم بذلك في برقيتنا المتقدمة وأنّ حشدنا للمحافظة على السكينة ، وتطمين الرعايا ليستريح مبتغي العافية ، ويقمع فساد صاحب الفساد ومبتغيه ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فلانكم الأخ أنه حدثت أمور تدعو للريبة في الموقف رأينا الواجب يقضي بالاستعداد وهي :

أولاً : وصل وفدنا وبلغنا ما كان بينه وبين مندوب سيادتكم ، وأيضاً أن ذلك الكتاب الذي يحمله الوفد إلينا منكم - ممّا دلّ لنا أن هناك تبدل في خطتكم .

ثانياً : لقد انتشر في كثير من الصحف ما بعثموه لبعض الناس عن مطالبتكم في بلداننا من المقاطعة ، وعسير ، ثم ما فعلتموه في نجران وألحقتم بذلك مسألة الحجاج التي تعلمون براءتنا منها ولا حجة علينا فيها .

ثالثاً : اطلعنا على ما نشرته جريدة « الإيمان » الصادرة في جمادى الأولى المعبرة عن خطتكم وما عزمتم عليه .

مجموع هذه المعلومات جعلتنا نعتقد أنّ هناك تغييراً في موقف الأخ نحونا مما دعانا لاتخاذ الاستعدادات للطوارئ ، وإرسال بعض الجند الذي بلغكم خبره ، وكنا عازمين على إرسال مذكرة للأخ نُبيِّن له فيها حقيقة الموقف ، ونرجوه فيها لإنهاء أسباب الخلاف الذي يعود ضرره على الطرفين ، ويطمئن الرعايا ويكبح الأعداء ، وقد أخرنا كتابنا انتظار ما نؤمله من الأخ من الانصاف ، ورعايته لوحدة الإسلام والمسلمين ، أما نحن فليس لدينا غير ما سبق أن أخبرناكم به وهو :

أولاً : الاعتراف بالحدود وتثبيتها بمعاهدة .

ثانياً : إعادة الأدارسة .

ثالثاً : مسألة نجران .

فإن كان سيادة الأخ على ما نعهده فيه من رغبة في الاتفاق فمرجو أن يصرح لنا برأيه بوضوح في المسائل الثلاث المتقدمة ، ومن ثم الاتفاق

على ذلك برقيةً بيننا وبين حضرتكم بصورة واضحة ، وإن أمكن عقد اجتماع في المكان الذي نتفق عليه لوضع المعاهدة بصورة نهائية ، ولكننا نرجوكم أمراً .

الأول : تعجيل البت في المواد الثلاث .

والثاني : بيان الخطوة بوضوح تام بدون غموض ، هذا ما نرجو الإجابة عليه سريعاً .

ونحب أن يتأكد الأخ أنه ليس لنا مقصد ، أو مطمع فيما تحت يده ولا نبغي إلا السلم والعافية ، وحسن الجوار ، والصدقة بيننا وبينكم ، بل الذي يجبرنا على الدفاع ليس لنا عنه محيد ، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح للإسلام والمسلمين .

برقية جوابية من الإمام للملك عبد العزيز

بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٦

وصلت برقيتكم ، وسرنا وصولها وبحول الله لا يكون بيننا إلا ما يكتب الأعداء وهل ترون حسن إرسال الوفد من لدينا إلى حضرتكم لإزالة سوء التفاهم ورفع الاشتباه ، وإيضاح الحقائق ، وتقرير ما ينبغي وهل هذا كاف لحفظ السلام فأفيدونا برأيكم والسلام عليكم .

جواب الملك عبد العزيز إلى الإمام

برقية بتاريخ ١٣٥٢/٧/٢٧

تلقينا برقية الأخ تاريخ ١٣٥٢/٧/٢٧ وشكرنا له لإيضاحاته الثمينة وعلى الأخص بالأمر الذي يكتب الأعداء ويزيل سوء التفاهم ، ونرجو من الله أن يمن علينا وعليكم بالهداية ويجعلنا وإياكم ممن يطابق قوله عمله .

بعلم الأخ حفظه الله أننا لا نريد غير حسم المشكل ، وإزالة سوء التفاهم وهذا إن شاء الله مبدأنا ومنهانا .

أما اقتراح الأخ إرسال وفد إلينا فنحن نلبي كل طلب يراد به اظهار الحقيقة ويحصل منه راحة الإسلام والمسلمين .

ولكن الأخ يعلم أنه لنا عدة سنوات ، ونحن نتبادل لإرسال الرسل لحل المشاكل ولم تُغنِ الوفود شيئاً ، وتعلمون أن المسألة متعلقة بشخصكم وشخصنا ولا يمكن أن تُحلَّ عاجلاً أو آجلاً إلا بما تنفق عليه بيننا بأشخاصنا إن شاء الله ، وتطويل الأمر ليس منه فائدة بل بالعكس ، فإن التطويل يزيد في تعقيد الأمور ، ويزيد في المشاكل ، والذي نقرحه ونراه الإصحاح ، ولا نرى سبيلاً لحل المشكل بدونه ، هو البت في الثلاث المواد التي عرفناكم بها من قبل والتي أوجزناها في برقيتنا السابقة بصورة واضحة ، إما ننفي أو إثبات .

ولا يمكن أن تستقيم الأمور إلا بالله ثم بحزم المسألة وإيضاحها بصورة صريحة ، وإن عدم الاتفاق عليها هو الذي يوجب على الأخ تلافي العاجل والآجل ، فإذا وافق الأخ على ذلك وأعطانا عليه الجواب الذي نتق بالله ثم به ، فتقديم الوفد منا أو منكم سهل لتسوية الأحوال في أي مكان .

برقية جوابية من الإمام

بتاريخ ٢ شعبان ١٣٥٢

وصلت برقيتكم الكريمة ، واعلموا عافاكم الله ما عندنا غير ما ذكرنا إليكم من الصداقة ، وأنه لم يحدث منا ما يوجب الكلام فضلاً عن تصادم الأقوام وإننا نعلم أن عندكم ما عندنا من محبة السلام ، لولا ما يلقي إليكم من سمناسة أعداء الإسلام ، من الكذب والإفراء والتشويش ، وهما نحن نسألکم بالله أن تصونوا ما بقي من الحشاشة العربية ، وأن تتخذونا أخاً صادقاً ليس له غير ما يظهره ويؤكداه من الصداقة ، وكنا نظن أن سفر الوفد من لدنا سيوافقكم لاستشهاده بين الأمم ، ولما سيكون منهم من رفع كل اشتباه ، وتأکید الصداقة والوداد ، ومرحّباً سنوضح لكم أمر الثلاث المواد برقية كل مادة في برقية ، ونسأل الله أن يجعلنا من المحابين فيه على كل حال ، وعلى كل حال فلا تجدون منا غير حسن الإخاء والسلام .

جواب الملك البرقي

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٦ هـ

تلقينا برقية الأخ في ٢ شعبان ١٣٥٢ وأحطنا علماً بما ذكرتم من صداقتكم وأنه لا يحدث من سيادتكم ما يوجب رفع الكلام فضلاً عن تصادم الأقوام إلى آخر ما ذكرتموه من الألفاظ الثمينة التي نشكركم عليها .

ولقد سألتمونا بالله عن تدخل سماسة أعداء الإسلام وتدخلهم معنا فنراً إلى الله من ذلك ، ولا والله الحمد ما أعلم في حياتي أن للأجنبي تأثيراً عليّ في أي أمر كان أو يكون بيني وبين أحد من العرب ، ولم يعاونني أحد منهم ، ولم يحرضني على ذلك منهم أحد ، لأنهم يعلمون والحمد لله حقيقة ما عندي .

وكما سألتموني بالله أسألكم به سبحانه وتعالى أن تدققوا النظر في الأمر ، وتنهون الرأي فيما يصلح الله به حال المسلمين ويحقق الدماء ونسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم متبعين ما قاله تعالى : ﴿ فلان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ﴾ .

أما الحرب والسلام فرجعه اليوم منكم وإليكم ، ومطالبنا التي أخبرناكم بها والتي أجبتمونا ببرقيتكم الأخيرة أنكم ستجيبون عليها لا بد منها .

وليس لنا شيء من المقاصد غير الدفاع عن المطالب التي ذكرناها لكم ولا يمكننا السكوت عليها .

فلن كنتم تعلمون أننا اعتدينا على شيء من أرضكم ، أو نكثنا لكم عهداً ، أو حاربنا لكم صديقاً بينكم وبينه عهداً أخبرتمونا به والزمنا لكم به ، إذا كنتم تعلمون أننا فعلنا شيئاً من ذلك مستعدون لكم بما يقضي برد العدوان والوفاء بالعهد ، فإن كنتم تعلمون أننا لم نعمل أي عمل مُنافٍ لما ذكرنا بيننا وبينكم فلا نطلب منكم غير الإنصاف والوفاء بالعهد ، ومنع العدوان على أي أمر لم يكن لكم منه مدخل من قبل ومن بعد ، لهذا نسألكم

بالله ثم بالإسلام ثم بدين محمد أن تنظروا في الأمر قبل حدوث مالا تُحمد
عقباه وينافي الشريعة والعقل .

برقية من الإمام يحيى إلى الملك

بتاريخ ٥/٨/٥٢

تابع لشفرتنا في ٢/٨/٥٢ وما أشرتم إليه من أجل نجران ويام تذكروا
ما كانت به المراجعة بيننا وبينكم من قبل الحركة عليهم ، وما أفدتم به علينا
مكرراً ومع هذا فسنذع الحكم لنا على حضرتكم وإلى فهامتكم أنتم أنفسكم ،
وليس لنا غرض هنالك يُغَيِّرنا معكم ، لأنَّ الأخ لا ينسى سعيينا في إرجاع
الهاربين من أهل المخلاف السلياني إلى بلادهم بعد فرارهم ، حتى أمرنا من لم
يرجع بعد تأمينكم أرجعناه جبراً والسلام عليكم .

برقية جوابية من الملك للإمام يحيى

بتاريخ ٨/٨/٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥/٨/٥٢ التي يذكر فيها الأخ من جهة (نجران)
(يام) وإن المراجعة كانت بيننا وبينكم من قبل الحركة عليه ، وإفادتكم
مكررة ، وتطلبون الحكم منا علينا بأنفسنا ، وأن ليس لحضرتكم غرض
هناك بغيرنا وتذكرونا بمسألة الهاربين من أهل المخلاف السلياني وارجاعهم
إلى آخر ما ذكرتموه .

أخي ما نحب التطويل في مثل هذه المراجعة ، ولكن الظروف تحملنا
على ذلك لأمرين .

أولاً : الصراحة التي عودنا ربناً إياها مع جميع الخلق .

الثاني : مجانبة الهوى والاقتصار إلا على ما ليس عنه محيص .

أما احتجاجكم علينا ببرقيتنا قبل الحركة فلم يخطر لنا على بال أن يكون
بن الأخ وأخيه ، أو الصديق وصديقه أمر غامض لهذا الحد .

كما أنه لم يخطر ببالنا أن يسلخ فكركم أن تتصوروا بأخيكم الغباوة
إلى هذا الحد .

ولقد حدث حينما وردتنا برفيتكم بشأنها وأن رأى أحد رجالنا أن وراء الأمر بعض المحاذير ولكن وثوقنا بالله ثم بكم وتباعد الأسباب التي توجب الأمر الغامض بيننا وبينكم أنكرنا ذلك ، وأجبناكم بما عندنا جواباً على سؤالكم أن ليس لنا مداخلة مع (يام) سوى أهل (نجران) ، وأفدناكم بما يلزم تظميناً لحاظركم ولإيضاح أمرين :

الأول : أن (يام) ليس لنا تداخل فيهم ، إلا في أهل (نجران) .

الثاني : تعلمون مداخلتنا مع أهل نجران وأهله من قديم ، ولم يكن شيئاً حديثاً ، وأن ذلك لمصلحتنا ومصلحتكم ، ولم يكن لنا غرض من الأغراض الأخرى . وطلبتم برفية أخرى توضح لكم الأمر فيينا لكم أنه لا يمكن أن نخالف ما كان بيننا وبينكم بالسابق ، مما قد كان تسمً بين تركي ابن ماضي وابن دُلَيْسَم ، وبين مندوبيكم في صنعاء مما ظلَّ العمل عليه إلى التاريخ الأخير .

هذا هو الواقع ولا نعلم سبباً يقضي بنقض ما بيننا وبينكم ، كما أننا لانعرف السبب الذي حملكم على أن تفعلوا بأهل نجران ما فعلتم .

فلما أرسل إلينا أهل نجران الكتب التي وصلتهم من حاشيتكم ظهر لنا أن الأمر قد تغيَّر ، وأنَّ الخطَّة قد تبدَّلت ، ولكن رغبة منا بالسلم ومحبة للراحة عجلنا بإرسال مندوبين إليكم لحل المشكلة ، وحصل على المندوبين ما حصل ولم ينظر في هذا الأمر معهم ، فثبت عندنا أن هذه المشكلة العظيمة (كلام غير مفهوم في الأصل) والطريقة الثانية التي نرجو الله أن لا يقدرها :

ولما تفاهم الأمر ، وتواردت إلينا الكتب المرسلة من حاشيتكم لأهل (نجران) تبين أنه لم يكن الغرض من ذلك الاعتداء عليهم ، إلا لتقريبهم منا والتجأهم إلينا فكررنا الأمر عليكم ، ودفعنا الأمور بصبر جديد ، إلى أن يحل أو أن هذه المراجعة .

أما التحكيم فلا ظَهَرَ لَنَا المقصود منه ، فإن كنتم تأمروننا أن نحكم لكم فهذا شيء غريب ، وإن كان هذا الفهم غلطاً ، وأنَّ الأمر على الحقيقة التي نظرنا فيكم فإنا نشرح ما عندنا ، وهو آخر ما عندنا في قضية (نجران) فإن قبل حصل به المطلوب ، وإن رفض فليس وراء رفضه غير فرجة الأعداء والنكابة بين المسلمين .

والذي نراه أن يكون (نجران) محدوده ، بلاد محايدة بيننا وبينكم لا نملكها ولا تملكونها ، وأن لا نتدخل في شؤونهم الداخلية ، ويظلون كما كانوا عليه في السابق من زمن آبائنا وأجدادنا وزماننا وزمانكم ، وأن تكون المعاملة حسنة بيننا وبينهم ومنا ومنكم .

فإن حدث من أهل نجران علينا أو عليكم أمرٌ مخالف يوجب تأديبهم نراجع نحن وأنتم ، ندعوهم إلى السلم والعافية ، فإن قبلوا فالحمد لله ، وإن لم يقبلوا واقضى تأديبهم فشاركوا في القول والعمل حتى يتفثوا للحسن ويتركوا العمل الخبيث ، هذا الذي يحفظ به الشرف وتحصل الراحة وتزول المشاكل ، ويحفظ شرفنا وعارنا من جهتهم .

أما استشهادكم بأهل « الخلاف السلياني » وارجاعكم إليهم . أخى عافاكم الله نبيين للأخ غير عَيْبٍ بيان الأخ لأخيه ، ونقول ما أبعد هذا من هذا ، فأهل الخلاف السلياني ، لم ترجعوه إلا بموجب العهد الذي بيننا وبينكم وبإليت الوفاء بالعهد شمل من سواهم لتم الراحة والسكون للجميع ، وزيادة على ذلك فقد طلبتم منا عفواً عاماً فففعلنا عنهم ، وتركنا ما يلزمنا شرعاً وعقلاً من حقوق الحكومة التي نهوها وأموال الرعايا مثل بئصهي وغيره التي سرقوها تلك الأعمال التي تسخط الله وعبيده الصالحين فتحملنا ذلك كله من أجل حضرتهم ، هذا الذي عند أخيكم بئسهُ لكم ، فارجو إيماناً قبول صريح وهو ظننا بالله ثم بكم ، وإما نبي صريح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأرجو أن تعجلوا بحسم المواد الثلاث لأن ليس من التأخير فائدة ، وأن في تعجيلها دفعاً لمكايد الأعداء وراحة المسلمين عامة ، ومنعاً للتشويش بين الرعايا ونسأل الله التوفيق .

برقية من الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز

بتاريخ ٥٢/٨/٩

تابع لبرقيتنا ٩ شعبان سنة ١٣٥٢ بشأن الإدريسي تفضلوا وضحوا لنا ما هو غاية المراد منه ، ولكم علينا الالتزام به ، وعليكم عطف النظر إليه ، فقد بلغوا من الحاجة إلى غاية السّفالة ، ولهم عليكم حقوق ليس لهم علينا منها شيء ، ولا تظنّوا إلا خيراً ، فليس لنا من سياسة غير الصدق ، ولا تخزوني في ضيقي ، عافاكم الله ، وفيما كتبنا لكم من البرقيات الكفاية ، فكل ما فيها هو الذي لا نزعزع عنه والسلام .

جواب الملك عبد العزيز إلى الإمام

بتاريخ ٤٢/٨/١٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ٥٢/٨/٩ بشأن مسألة الإدريسي فقد أوضحت أمرين ، سأتمونا غاية مرادنا من الإدريسي وأنكم ملتزمون به ، والثاني انه له حق وأنه في غاية الضنك .

نبين للأخ أنه ليس للإدريسي علينا أي حق سابق ، فعلنا الجميل معه ، وقابلنا من الخيانة والغدر بالذي لا يخفاكم ، وإن ما أجريناه معه من الجميل لم يكن إلا لأمرين .

الأول : مراعاة لحاظركم .

الثاني : محبة للسلم والعافية للجميع .

أما المراد من الإدريسي فهو نفي الأذى ، ودفع الدسائس التي لا تخفى عليكم ظاهراً وباطناً ، فإن كنتم تريدون الأمر الحاسم في مسألة الإدريسي فليس لها إلا أحد أمرين : إما أن يقدم علينا ونعطيهم أمان الله ، ونتعهد لهم برد أملاكهم مع مساعدتنا لهم ، وإما أن ترفعوه إلى صنعنا ، فإذا تمّ الاتفاق بيننا وبينكم على المواد الباقية فيحول الله وقوته ما ندعُ عليهم قاصراً فيما يصلح أمرهم والله يحفظكم .

برقية من الإمام للملك عبد العزيز

بتاريخ ٥٢/٨/١٣

وصلت البرقيتان من الأخ العزيز بتاريخ ٥ و ٥٢/٨/٨ والأهم المقدم أن يتفضل الأخ بمنع أجسادهم عن تجاوز محطاتهم التي هم فيها ، قبل أن يحدث ما يصعب علينا وعليكم تلافيه ، ويخرج الأمر من أيدينا وأيديكم ، بالدخول في ميدان الكفاح ودور امتشاق الصَّفاح ، ولكم علينا عهد الله وميثاقه أن لا يكون منا عدوان ولا تجاوز ، وليعلم الأخ العزيز أن الأمر عظيم فوق ما يتصور الخيال منا ومنكم .

ولا محذور من الثاني ، بل محذور من الاستعجال ، فالأناة من الرحمن ، والعجلة من الشيطان ، وليعلم الأخ أننا لانريد شيئاً من الشقاق بيننا وبينكم . وأن المكاتبات إلينا الآن من الحجاز وعسير وتهامة للاشتراك ضدكم ، ولا نريد ذلك ولا نرضاه ، ونشهد الله عليكم .

واعلموا أن ثَمَّةَ من يتربص بالجميع الدوائر ، ليلبغ من الطرفين مراده الخبيث ، وتفضلوا أكدوا على أمير جيزان لترك التجاوز والتهديد لأهل المخلاف ، فإنهم في غاية من الخوف ، وهم على وشك النفور .

ولم نرَ أحسنَ مما أشرنا به إليكم من بعثنا وفداً معتمداً إلى حضرتكم العالية كما عرفناكم ، ولنقطع آمال وكلام الأشرار ، الذي لا اهتمام لهم إلا بالتحريض لإضرار النار ، وأن العوام يقولون : (ما على شرعجل) وصدقوا ، وتفضلوا بالمراجعة مع ذوي الديانة والبصيرة من خيار أصحابكم ، الذي لا غرض لهم ولا عوض .

ونحن محافظون على صداقتنا وأخوتنا ، ونشهد الله علينا ، وعجلوا إفادتنا في هذا تفضلاً واحساناً ، بما ترونه ، وتفضلوا باعتبار هذا الكتاب من أخ نصوح صدوق ، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى ما به عز الإسلام والمسلمين وأن يأخذ بنواصينا إلى ما يحبه ويرضاه ، ونستعين به ونستخيره ، من الدخول في حرب مظلمة الأنحاء ، منقطعة الرجاء ، إنما جعل بعض هذا

مفتوحاً لما يكون في التشفير من الغلط العظيم المخل بالمعنى ودمتم
وشريف السلام عليكم .

برقية من الملك عبد العزيز إلى الإمام يحيى

بتاريخ ٥٢/٨/١٥

تقلينا برفيقة الأخ المؤرخة ٥٢/٨/١٣ التي تشير فيها إلى برقيتنا
٥٢/٨/١٥ وقد رأينا أنكم أهملتم الجواب الحاسم على الأمور الثلاثة
التي هي مثار النزاع ، وبالأخص تصفية الحدود ، التي لم نحظ منكم على
جواب بشأنها ، مع المراجعة فيها مضى عليها مدة طويلة ، وأن ما أشار
إليه الأخ في طلب منع رؤساء الأجناد من تجاوز محطاتهم فإن رؤساء أجنادنا لم
يتعدوا شيئاً مما ذكر ، ولم يتجاوزوا محطاتهم البعيدة حتى عن أطراف
حدودنا .

وأما الأقوال والأكاذيب فهي ترد لنا من أقوال بعض عمالكم ، كما
ترد إليكم وأما ما أشرتم إليه من تطور الحالة ووصفكم لخطورتها فلا شك
عندنا في خطورتها .

ونحن لَمْ نُلحِجْ عليكم من أشهر إلا لاعتقادنا بما ينتج عن التطويل من
الأضرار العاجلة والآجلة .

إنَّ حِسم الأمور ، ودفع الشر هو بيد الله ثم بيد الأخ لا بيدنا ، وقد
أوضحنا لكم مطالبنا بصراحة لا مزيد عليها ، وعملنا للسلم عدة سنوات ،
وبعثنا الوفد وصبرنا كثيراً ، ولم نَرَ من الأخ أمراً حساساً يحسم الشر ،
وكنا نرجو أن يصلنا الجواب الحاسم بعد مافصلناه لكم من الرجاء ، ولكننا
لا نزال كما بدأنا ، نحن لا نكره مجيء الوفد ولكننا أخبرناكم أنَّ الوفد عاجز
عن حل المشكل بيننا وبينكم ، وما هناك أمور يتكلم فيها الوفد .

هنا ثلاث مواد عرضناها على سيادتكم مِراراً ونكررها الآن هي تحديد
الحدود بيننا وبينكم بصورة قطعية ، وتكتب بعهد مكتوب ، نجران تنازلنا
في أمره وقلنا يكون قطعة محايدة بيننا وبينكم ، كما أشرنا في برقيتنا المؤرخة

٨ شعبان ١٣٥٢ ، (٣) طلبنا إعادة الأدارة طبق المعاهدة التي بيننا وبينكم وأفدناكم إن كان ذلك صعباً فتكون إقامتهم في صنعنا تساهلاً منا ومحبة في الراحة ، فهذه المطالب الثلاثة لا نريد غيرها .

والسلم والحرب متوقف على كلمة تقولونها ، إمّا : (نَعَمْ) وإمّا : (لا) وهذا يوضح الموقف ويحلّ المشكل ، وأما ما أشار إليه الأخ من كثرة المكاتبة التي وردت من عسير وتهمّة والحجاز ، فإن مثل هذه المكاتبات لا نعتبرها اهتماماً ، لأنّ لدينا مثل ذلك الكثير من سائر أنحاء بلادكم ، وإننا متكلمون على الله مَنْ وَفَى معنا ، وفَيْنَا معه ، ومن غَدَرَ بِسِنَا فالله هو الذي عودنا الجميل بنصره على كل من غدر .

وأما ما ذكرتم بشأن من يتربصون بنا وبكم الدوائر ، فقد سبق أن حذرناكم منهم لذلك سعيّا كثيراً لحلّ المشكل ، ونحن الآن نطلب من الأخ جوابه الصريح في حلّ هذا الاشكال ، ولقد استغربنا كثيراً لغموض جواب الأخ في البت أمام هذه الحالة الواضحة ، والمبينة الخطورة ونخشى بل يرجح لنا أن تكون الخطة التي يسير عليها الأخ طبقاً لما ذكره بعض رجالكم ، أمثال العرشي والعمري وغيرهم إذ ذكروا أنه من خطة سيادتكم المطاولة معنا حتى إذا رأيتمونا اشتدنا في الأمور وحشدنا قواتنا إلى الحدود للدفاع عن كيان بلادنا تساهلتم في الأمر ، ولَسْتُمْ في القول حتى تفرّ همة جنودنا ونعيدهم ، وحينئذ تجدون الفرصة سانحة لكم لتقوموا وتأخذوا ما تريدون .

ولاني أحب أن أعيدَ الأخ بالله من مثل هذا الظن الذي إن كنتم تحبون السير عليه والأخذ به ، فليس من وراء ذلك غير تعقيد الأمور ، ووقوع المحذور ، وشماتة الأعداء بنا وبكم .

وأما ما ذكرتم وهو من قبل لزوم مشاورتنا أهل الديانة وذوي العقول نفيدكم أن جميع رعايانا وأهل أطرافنا لا يحبون الفتن ولا يوقظونها ، وإنما

يحبون السلم والراحة ، ولكن في حالة الذَّبِّ عن الشرف لا يؤخرون أنفسهم وأموالهم دقيقة واحدة ، ولا يقبلون عن ذلك بديلا .

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الصلاح ، ونستجير به من الدخول بغضبه والحقيقة انه كما قال ﷺ : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » -

فيا أخي الحرب واستحكامه ، والسلم واستقراره ، هو كما أخبرناكم بيد الله ثم بيدكم ، ونشهد الله وجميع خلقه أننا لا نحب الحرب ، ولا الفتنة ، وأنا مدافعون عن بلادنا ، وما تحملناه في أعناقنا من حوزة المسلمين .

برقية من الإمام يحيى إلى الملك

بتاريخ ٥٢/٨/١٩

تلقينا برقية الأخ العزيز المؤرخة ١١-٨-٥٢ (نعم) لا نريد إلا حسم الأمر بيننا وبين حضرتكم ، بأحسن الوجوه وأجملها ، من دون تحكم من الطرفين ، ولا بأس بما رأيتموه في مسألة الأدارسة من انتقالهم إلى صنعاء غير أن أهل تهامة يتعصب برؤ الجبال ، وبرؤ صنعاء شديد جدا ، فإن ناسب لحضرتكم انتقالهم إلى زيد ، فالمسافة إلى صنعاء وزيد متقاربة ، وسيكون الأمر منا عليهم ، وعدم التدقيق وعدم نسبته لشيء ؟ .

والمرجو منكم حسن النظر فيما يجبر حالهم ، ويقوم بهم ، ومنع التعرض على أملاكهم ومن يقوم بها ، ففي ذلك فضل ورعاية ، وحسن سمعة ومودة للعموم ، ولا تلتفتوا إلى كلام من يقول : إن لنا غرض يخالف ما نكتبه لحضرتكم والسلام عليكم .

جواب الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٣٥٢/٨/٢٠

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٩/٨/٥٢ باحترام ، وأجمل ما رأيناه فيها منذ كانت المراجعة بيننا وبينكم الكلمة العزيزة التي تقولون فيها : أنكم لا تريدون إلا حسم الأمور بيننا وبينكم بأحسن الوجوه ، وهذا الذي نؤمله فيكم في السابق واللاحق .

ذكرتم أنكم توافقون على انتقال الأدارسة إلى صنعاء ، ولكن نظراً لحالة البرد ترجحون انتقالهم إلى زَبِيد ، وتحثوننا على العطف عليهم .

أخي عفاكم الله : إنَّ إلحاحنا عليكم بشأن الأدارسة ليس اهتماماً ولا مخافة منهم إن شاء الله ، وإنَّما القصد إبعاد سوء التفاهم بيننا وبينكم ، وإنَّنا نوافق على انتقالهم لـ (زبيد) وثقتنا بالله ثم بكم سواء بشأنهم أو بشأن غيرهم وثيقة قوية ولا نقصر عنهم ، ولكن أخي كما قيل : (بالفخ أكبر من العصفور) .

هناك المادتان اللتان راجعناكم بها ، أهم ما يكون ، وهما اللتان تنحسم المواد بحسمها ، وهما في الضرورة مادة ومعنى ، ولا حاجة لأن نشرح لحضرتكم أكثر مما سبق وشرحنا ، أنَّ بحسَمِهما يرجأ إن شاء الله الصلاح في العاجل والآجل وفي تأخير حسمهما الذي نخاذر وتحاذرون .

أخي : سبق أن أشرت لكم ببعض ما يحول بصدري ، أؤكد ذلك لكم الآن - إعلَمَ والله الذي لأربَّ سواه أنني أحبُّ أن أفدي بالمال وبعض العيال لكي لا يكون بيننا وبينكم أي سوء تفاهم بالكلام فضلاً عن التعرض للحسام ، وأنني لا أريد زيادة في الملك ، ولا تطوُّر في شيء من الأحوال ، الأمر الذي يجب لنا عليه هو حماية الدين والأمانة التي في رقابنا ، ولا يمكننا التأخر عن ذلك ما دمننا نجد إلى ذلك سبيلاً ، فأرجوكم ثم أرجوكم النظر في إتمام حسم المادتين لأنَّ الجرح معهما كبير فإنَّ بُوشِرَ بالدواء يرجى له السلامة ، وإن كبر الجرح وأهمِّلَ دواؤه كان منه الفساد الكبير ، الذي يؤدي إلى الهلاك ، وأحب أن أقول أن الحالة تحتوي على ثلاثة أمور . :

أولاً : التقارب بيننا وبينكم .

والثاني : نظراً لحالة الإسلام والعرب وموقفهم في الحال الحاضر .

والثالث : وهو أكبر كل ذلك : المحاذير من أن يجري المساء في

غير مجراه مما نخافه ونحذره ،

وأنتم أعلم به منا فهذا الذي في ضمير أخبكم ، الذي يشهد الله عليه

فلذا وفقكم في نظريتكم البعيدة ، وتأكدتم نتائج الأمور تفادون في ذلك
أعظم مما تفادى واعلموا هداكم الله التي قالها الشاعر العربي :
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ
فارجوكم السرعة في الجواب على المادتين والله يحفظكم .

برقية جوابية من الإمام للملك

بتاريخ ٥٢/٨/٢٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/٨/١٥ في يوم الخميس ٢٠ منه والله يعلم
أننا نكره الشقاق بيننا وبينكم إلى النهاية ، وأنتم غلب عليكم سوء الظن ، فلم
تحميلونا على سلامة ، ولم يخطر لنا على بال ما ذكرتم من إرادتنا المطالبة
لقصد تفرقة جنودكم ، ولا نظن العمري ، وعامل ميدي يقولان القول ،
من المفترين ، مازالوا يسعون بكل صورة لبث الضغائن ، ووجدوا من
حضرتمكم أذنًا سامعة ، نعم حيث لم يرق لديكم بعثنا وفداً ، فلا بأس إن شاء
الله وقد انحلت عقدة الإدارة بما تفضلتم به من الإفادة بشأنهم ، وما أجبنا
به عليكم فتفضلوا وأوضحوا لنا كيف يكون تحديد الحدود ؟ بيننا وبينكم
إيضاحاً شافياً ، وهل يكفي عن تلك المعاهدة بكل صداقة وأخوة بصورة
جليّة من غدر وخيانة وتسويش ، فتفضلوا بتعجيل الجواب في هذا الشأن
لنوضح أمر بلاد (يام) .

وإنه يسرنا مضي الأسبوع في سلام ، ونخاف انقِداح نار الشقاق
وقد عجل هذا الدفع ماتهمونا به من إرادة المطالبة والسلام عليكم .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام يحيى

بتاريخ ٥٢/٨/٢٣

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/٨/٢٢ بتاريخ ٢٣ منه وقد ذكرتم كرهكم
للشقاق معنا ، والله المطلع بما في الصدور ، والله يعلم أن كرهنا للخلاف
معكم أعظم وأشد ، وأصرّح لكم بوضوح أنه إن كان قصدنا الشقاق
والاختلاف معكم فاسأل الله أن يتخذ من كان قصده ذلك ، وإنه يعلم

الله أن أحب ما نسعى إليه هو السلم والراحة مع سائر الخلق ، وعلى الأخص مع حضرتكم ، فأسال الله من كان قصده ذلك أن يُمِدَّهُ بالعز والتأييد ، ويدبم له الراحة والأمان .

وما أشرتم إليه من حملنا إياكم على غير حسن الظن ، وإننا نتلقى أقوال المفترين ، وأشرتم إلى ما رويناكم عن أقوال العرشي والعمري ، أما ما ذكرناه عن المذكورين فما شهدنا إلا بما سمعنا ، وأما أهل الشر فلا شك أنهم يكثرُونَ أمام الشقاق ، ونرجو من الله أن يكبت من كان فيه شر للإسلام والمسلمين .

أما مسألة الأدارسة فكما جرت المراجعة بشأنهم سهل انتهاؤها متى انتهت الأمور الأخرى ، كما ذكرنا للأخ من قبل .

أما سؤالكم عن كيفية تحديد الحدود ، فإنَّ كيفية تحديد الحدود معروفة واضحة لا إبهام فيها ، فالحدود تعين بيننا وبينكم على الأساس الذي كان بين مندوبكم ومندوبنا في صنعاء في جمادى الثاني عام ١٣٤٦ أيام كان وفدنا مؤلفاً من ابن ماضي ومحمد بن دليم ، ثم ما لحق بذلك من تعديل أيام حكمنا في قضية (العُرى) فتعين هذه النقطة بين البلدين بعهد صداقة وإخاء مكتوب بيننا وبين الأخ .

فهذه هي الطريقة الحاسمة في مسألة الحدود ، كما وأنَّ أملكنا وطيد متى نفذ ذلك أن يكون بيننا وبين الأخ أقوى عُرى الصداقة والإخاء ، هذا وأرجو من الأخ أن يعجل الجواب بهذا الصدد ، وفي المسألة الثالثة والله يحفظكم .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٦-٨-٥٢

تلقينا برقية الأخ العزيز المؤرخة ١٩-٨-٥٢ وشكرنا لحضرتكم ما أبداه من الفرار من إضرام النار ، وهو المؤمل من حضرتكم رَأْفَةً بحال المسلمين ولم يكن بيننا وبين حضرتكم غير الجميل ، وبجبة السلام من

الطرفين ، لولا ذو الأغراض القبيحة ، وإنَّ غالب الظن أن هذا الأمر ينتهى بالسلام وتأكيد الصداقة برغم أنوف المحرشين .

وقد طلبنا من حضرتكم إيضاح المراد في مسألة الحدود ، ليكون درس ذلك ولا يخفى أنه كان استعجال الأخ لحشد الجنود ، وخوفنا من دسائس (المكارمة) الإسماعيلية ، وأتباعهم ، ومُرَّوجي أفكارهم ، ولكن في حلم حضرتكم وانصافه ما يكفل كل نجاح والسلام عليكم .

برقية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ٢٩-٨-٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٦-٨-٥٢ في ٢٩ منه وأحطنا علماً بما ذكره من أمله بحسم الأمور بالسلم ، وأملنا إن شاء الله كبير فيما أمَّله الأخ ، ونرجو أن يكبت الله الأعداء ، وينصر دينه ويُعَلِّي كلمته .

أما مسألة الحدود ، ومسألة (نجران) فقد عرفناكم بشأنها بوضوح لا مَزِيدَ عليه ، ولذلك نرجوكم التعجيل في الجواب ، وإقراره بما يحفظ السلم ويؤمن الراحة .

أما من قبل تحشيد جنودنا فقد أوضحنا لكم أنه لا قصد لنا بأيّ مشاغبة أو فساد ، ولم يكن ذلك إلا لما أوضحناه لكم في السابق ، فتكونوا على يقين من الأمر كما عرفناكم بالسابق أنَّ الحرب والسلم بيد الله ثم بيدكم ، لأنه ليس لدينا مطالب تطلبونها منا حتى نجيبكم عليها ، وإنما المطلوب من حضرتكم فرجواكم الإجابة على ما تقدم لتحسم المواد ويكُتبت الأعداء ، وإنَّ كل تأخير في حسم الأمر لا ينتج إلا الفساد على الجميع ونخشى من عواقبه .

أما ما ذكرتموه من استماعنا لأقوال الناس فهذا ليس من عادتنا ، وإنما أعمالنا مركبة من أمرين :

١ - السعي للسلم بكل ممكن مع الناس عامة ومعكم خاصة .

٢ - المحافظة على الذمة والشرف لا غير .

والذي نكرره على حضرتكم العزيزة هو الإسراع بحسم المواد ،
والاستعجال فيها لأنه لا سمح الله إن حصل أدنى شيء في الزوايا خبيثاً ،
ما نحب أن تظهر ونحب السلم على الدوام ، وأن تكون المحبة مستديمة ،
والأمر في الحل والعقد كما عرفناكم أعلاه ، وإثارة الأمور وتسكينها بيد الله
ثم بيدكم والسلام .

برقية من الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز

بتاريخ ١ رمضان سنة ٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٢٣ شعبان ١٣٥٢ وتأكد لدينا أنه لا شقاق
ولا عداوة بيننا وبين حضرتكم ، فمحيى الله المحرشين أعداء السلم والعرب
والمسلمين فما هو لديكم هو لدينا بكل معناه .

عقدة الأدارسة كما ذكرتم ، وعقدة الحدود منحلّة إن شاء الله
بما هو غاية المطلوب منا ومنكم ، وذلك بربط معاهدة حُبِّيَّة سَلْمِيَّة دينية
لمدة عشرين سنة ، يثبت فيها كل من الطرفين على ما بيده فعلاً من البلاد ،
ولنلقى الله قبل انتهاء هذه المدة وبهذا انحلت العقدة الثانية على وفق المراد في
الحدود وغيرها .

على أن التّوَادَّ والصداقة حاصلان من قبل ، ولولا الغاشون ... أخذهم
الله وانتصف منهم لما سمع أحدٌ من ذلك شيئاً في غير الصداقة .

برقية من الملك للإمام

بتاريخ ٢ رمضان

تلقينا برقية الأخ في سلخ شعبان ٥٢ مساء اليوم الثاني من رمضان ٥٢
وقد أحطت علماً بما تفضلتم من أن لا شقاق ولا عداوة بيننا ، وأنّ القصد
هو الائتلاف والمحبة ، وترك ما يفرح الأعداء ، ويحقق آمالهم ، وإنّا نشكر
الأخ على بيانه الذي هو عين ما لدينا ، ومقصدنا وغايتنا ، وهو الذي ندين
الله به :

ذكرتم أنه قد انحل من المطلوب عقدتان الأولى مسألة الأدارسة والثانية مسائل الحدود ، التي اقترحتم فيها عقد معاهدة حُبِّيَّة سلمية دينية لمدة عشرين سنة تثبت فيها الحدود ، ويكون لكل من الطرفين فيها البلاد التي تحت يده ، ورجوتم أن تلقون الله قبل هذه المدة ، ولا يكون بيننا أدنى خلاف .

إنا نشكر الأخ على اقتراحه هذا ، وإنَّا نقبل ونؤيد اقتراحه ، ونقبل أن تثبت الحدود بين الطرفين ، ويكون لكل فريق ما تحت يده من البلاد ، وأن تعقد بيننا وبينكم معاهدة صداقة ، كما ذكرتم سلمية دينية لمدة عشرين سنة ، هذا هو مرادنا ، والذي نجه عاجلا وآجلا ، وبهذا تكون العقدتان قد انحلتا إن شاء الله تعالى ، بمساعدة حضرتكم ونيتكم الصالحة ، وبفضل الله ثم برجائنا سبحانه وتعالى أن تُحَلَّ العُقْدَةُ الثالثة بأحسن من العُقْدَتَيْن ، وكذلك نرجو من الأخ التعجيل بِحَلِّ المسألة الثالثة ، يمكن تعيين المندوبين لوضع صيغة الاتفاق النهائي الذي يفرج به كل مؤمن محب للإسلام والعرب .



تصعيد الأحداث والتعدي على بني مالك وإبراق الملك للإمام يحيى .

برقية الملك عبد العزيز إلى الإمام

بتاريخ ٥٢/٨/٢٩

أخى بلغنا اليوم خبر يكدر خاطر ، وهو أن فرقة من (بني مالك) هم آل خالد وآل مسلمة تخلفوا مع جماعتهم ، وأنهم وصلوا إلى بعض موظفيكم ، وقدّموا لهم رهائن واتفقوا معهم ، وأمدوهم ببعض الذخيرة ، وقد أوجب هذا انزعاجنا ، لأننا لم نفتح باباً لأحدٍ بذلك ، والآن آخرُ الأعذار انتهت ، وإنه كلما طال الزمان يتوَلَّدُ مثل ذلك وأزود ، فإن كان المقصود هو التطويل وتحريك الفساد فهو الذي نخشاه ، ونرجو من الله الإعانة ، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وإن كان الأمر على ما وضحتموه لنا ، كما هو أملنا بالله ثم بكم
فخرجوا إنفاذ أمرين :

الأول : تعريفنا بمسألة الحدود والمعاهدة عليها التي هي رأس كل شيء
لحسم المواد .

الثاني : أن تمنعوا مأموريكم عن التدخل ، وتسليم كل مفسد حسب
المعاهدة بيننا وبينكم .

فإن كنتم تدعون أن الأمر غير صحيح ، فخرجوا أن تعطونا عهد الله
وميثاقه وبالشرف الإسلامي العربي ، أن هذا لم يكن ولا تدخلتم فيه ،
وأن تسرعوا بحسم المادتين اللتين هي مثار الخلاف ، (الحدود) و (نجران) ،
لأنه لا فائدة من تأخيرها ، وذلك حرصاً على السلم والعافية ، ونخافة
من وقوع ما نخشاه نحن وأنتم ، فخرجوا سرعة الإجابة الصريحة والله يحفظكم .

برقية جوابية من الإمام يحيى للملك

في ٥ رمضان ٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٩ / ٨ / ٥٢ يوم الثلاثاء ٢ / ٩ / ٥٢ من
شأن (بني مالك) نعلم ، بلغ إلينا ذلك ، والحقيقة لا أهمية له ، فحكمهم
حكم أهل (الخلاف) غاية الأمر التعويل على حضرتكم لتأمينهم وتسكين
روعتهم ، وتقرير أمورهم ، فالخوف معهم من معرة الجيوش ، وكان
سبق إلى حضرتكم أن تفضلوا بالتأكيد إلى أمير جيزان ، لما به رفع فرع
أهل البلاد ، وترك تخويفهم وتهديدهم ، ومع إمكان المراد بالليث لا معنى
للتخشين ، فتفضلوا بالأمر بصونهم ، ولا يكن لكم فكرة منهم ، فليس
لنا غرض ، ولعل وجه المساعدة لهم من بعض أصحابنا ، لما يروونه ويسمعونه
من بعض أصحابكم من التصميم على العدوان والحرب ، وعلى الجملة فلا يدخل
بالكم ذلك ، وقد بلغ إلينا ولا نبرأ من صحتها وعدمها .

إن كان زحف طائفة من جندكم إلى (نجران) واعتداؤهم على أصحابنا

بضرب المدافع نرجو أن لا يكون لذلك صحة ، والحاصل أنه لا إرادة لنا ولا غرض لأي شقاق بيننا وبين حضرتكم ، ولا تغيير حال .
هذه البلاد على ما هي عليه يكون معلوماً ، بل وترون تصل إلينا كتب ممن يريدون لإضرار النار ، ولم نجب عليها بنبي ولا إثبات والسلام .

برقية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ٨ رمضان سنة ٥٢

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥ / ٩ / ٥٢ في مساء الثامن منه ، وأحطنا علماً بما جاء فيها ، ونسأل الله أن يَمُنَّ علينا وعليكم بالهدى والتوفيق ، ويقينا وليامكم شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .

أخي : أحسب أن أتكلم معكم كلام مسلم عربي ، لا يحب الشقاق ، ونبراً إلى الله من الكذب والبهتان .

يتلخص ما جاء في برقية الأخ بأمور ثلاثة :

- ١ - مسألة الخلاف .
- ٢ - مساعدة بعض أصحابكم لـ (بني مالك) .
- ٣ - مسألة (نجران) .

أما مسألة (الخلاف) فكان علينا ألا نَرُدَّ عليكم بها ، لأنها مسألة داخلية ، لا دخل لنا بداخلكم ، كما أنه لا دخل لكم بداخيلتنا ورعايانا ولكن نظراً لأنه سبق منا أن عرفنا الأخ تعريف أخ لأخيه من جهتكم نجب توضيح الواقع لكم .

أما أهل (الخلاف) فحاشى أن يكونوا قد جزعوا من الجنود المرسلة إليهم ، أو تحدث في قلوبهم خوفاً ، بل إنها إن شاء الله تومن خوفهم ، وأقسم لكم بالله أني ما أتكلم معكم إلا كلاماً صحيحاً ، إن أهل (الخلاف) جميعهم أحرص منا على المسألة إذا استثنينا الذين وصلوا إلى طرفكم ، وطرف الإدريسي هذه الأيام ، وما عدا الأشقياء من (آل خالد) من (بني مالك) الذين صار تحريكهم بسبب أصحاب حضرتكم كما ذكرتم .

وجميع أهل المخلاف لما سمعوا بالحركة اجتمعوا إلى أميرنا ، وطلبوا العهد والميثاق أن النفس بالنفس والدم بالدم ، ورجوه أن يعمل معهم عملين :

الأول : أخذ رهائن منهم ، وذلك لم يكن من عادتنا ، وإنما نزولاً على طلبهم قبل منهم رهائهم .

الثاني : طلبوا نزول جند من قواتنا لمساعدتهم في الداخل والخارج . هذه هي الحقيقة لا مِـرِـيَّةَ فيها .

أما المسألة الثانية ، وهي مسألة (آل خالد) ومساعدة أصحابكم لهم فهذه مسألة آسَفْتُنَا كثيراً وأحزنتنا إلى آخر درجة لأمرين :

١ - أننا ما ظننا يصير أيُّ سبب لأحد من عمالكم في ذلك ، نظراً لما تكرر منكم إلينا من الموائيق والعهود ، أما العذر عنهم بما وصلهم من الأراجيف فكان ينبغي ألا يكون ، لأنه سبق أن عرفناكم بأراجيف كثيرة بلغتنا من جهتكم على جهتنا ، فطمنتونا وقنعنا بأن لا صحة لها ، فكان الواجب على الأخ وعماله أن يتركوا الأقوال ويتثبتوا ، وأن يثقوا بالله ثم بنا ، كما وثقنا بالله ثم بكم .

والثاني : أن الأخ يحرضنا على مراعاة أهل (المخلاف) وعدم الحركة عليهم .

أخي : هذه نصيحة مقبولة ، ولكنها كان يجب أن تكون من قبلكم لأصحابكم لأنهم أولى وأحرى إذ كانوا هم الذين حركوا الفتنة على الرعية ، والحقيقة أن هذه مسألة وخيمة وليس لها عندنا حل إلا أمرين .

الأول : وثوقنا بالله ثم بكم ، واعتمادنا عليه ، ثم على الصدق بأننا ما عملنا ولا نعمل شيئاً ضدكم ، يخفى عليكم ، ويظهره الله اليوم أو بعده إن شاء الله .

الثاني : مخاصمتها وحلها عند الله ثم عندكم .

وأما مسألة الرعايا وتطمينهم فهذا حق واجب ، وليس عندنا لهم إلا حكم الشريعة وما أنزل به القرآن ، الأولى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ﴾ . . . الآية .

والثانية : ما قصه الله تعالى عن ذي القرنين ، وهذا الذي نعمل به مع جميع رعايانا وليس عندنا من الحكم إلا ما أنزل به القرآن ، وما جاءت به سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أحسن كافأناه ، ومن أساء فجرمه على نفسه ، يبذل له النصيح باللسان فإن أبي فليس له إلا السنان .

وأما مسألة ما حدث في (نجران) فأقسم لكم بالله الذي لا ربَّ سواه أننا ما رضىنا ولا علمنا ولا أمرنا ، وأنَّ جميع أمرائنا وقوادنا نؤكد عليهم ليلاً ونهاراً بمنع العدوان بالكلام فضلاً عن غيره .

وأنَّ المسألة هي علينا أكبر مما هي عليكم لأمرين :

الأول : يأبى الله أن نعطي كلاماً ونخالقه بالفعل .

والثاني : حبنا في الراحة والسَّلام .

والحادثة وقعت كما عرفناكم ، ولكن الابن فيصل وفقه الله عمل اللازم ووبَّخ الفاعلين وعاقبهم ، وعزل الأمير ، وأمر بحبسه .

وثقوا بالله الذى لا رب سواه أنه لا يأتيكم منا لا قليل ولا كثير يعلمه الله ويحقي عليكم من عذر ، ولا من مكر ، والله على ما نقول وكيل .

أخي : إنَّ إلحاحنا عليكم للتعجيل في حسم المواد هو مخافة مما وقع لأن الاختلاف يقع الشر فيه من أحد شخصين ، إما صاحب غرض ويحب الفتنة ، أو من جاهل يريد الإصلاح فيعمل الفساد ، فثقوا بالله من جهتنا ، واحرصوا على سرعة حسم المواد لعل الله يدفع الشرَّ بين المسلمين .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٠/٩/٥٢هـ

قد بلغنا ما كان ، ونعوذ بالله من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ ، فهل بقي شيء من التأمل من الجهتين ، حتى تنتهي المراجعات إن شاء الله ، فلا ينبغي

من أحد منا أن يتغافل عما يكون من أتباعه في الجانب الآخر .
فقد سبق لكم ما سبق مراراً متعددة ، وأنه لا إرادة لنا في الشقاق
ولا فيما يخالف الصداقة بيننا وبين الأخ العزيز ، ولا نخرج عن هذه الطريقة
إلا مكرهين ، والله يجعل هذا الشهر قادمًا علينا وعليكم بكل خير وأن يجعلنا
من أدرك شهر رمضان فغفر له .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٥٢/٩/٩

تلقينا برقية الأخ المفيدة قبول ما أبرقناه إليكم في ربط المعاهدة عشرين
سنة وفي الحدود ، وفي الحقيقة فيما أبرقناه الوفاء بالغرض ، وسبق الكلام
في مسألة (نجران) والخشية معنا من انخداعكم للمكارمة ، الذين أفدتم
إلينا سابقاً ، أنه لا رابطة بينكم وبينهم لا دينية ولا دنيوية ، وقد كان حدث
تحركات في (نجران) فخرجو منكم منعكم الحركات إلى انتهاء المخابرة الودية
كما أسلفنا إلى حضرتم بتاريخ ٦ رمضان ١٣٥٢ والسلام .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١١ رمضان ١٣٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٩ رمضان ١٣٥٢ مساء ١١ منه ذكرتم تحديد
الحدود ، ونحن عرفناكم بقبول ما ذكرناه للأخ جواباً على برقيته ، أما مسألة
(نجران) فقد عرفنا سيادتكم ببرقتين بتاريخ ٨ منه ، والذي تؤكد لكم
أن كل إنسان يعمل أي حادث يسبب مشكلاً بيننا وبينكم سنقاومه أعظم
مما تقاومونه أنتم ، لأنه لا يقدم على مثل ذلك إلا منافق يحب الشر بين الإسلام
والمسلمين ، ونراه من الأعداء .

أما مسألة (نجران) و (المكارمة) فقد أبدينا لكم ما يلزم ، كونوا
على ثقة أن أنظارنا لا تريد الأشخاص ، والقبائل أو الولايات ، وإنما
أنظارنا مقتصرة على ما فيه المصلحة العامة وكف النزاع ، ومنع الشقاق
في العاجل والآجل .

هذه غايتنا ونجزم ونتيقن إن شاء الله أنها غايتكم أيضاً ، لذلك نرجوكم
حسم المواد حتى يحصل المطلوب من الراحة والسكون ، وستجدوني إن شاء
الله وفيأ معكم وسنحمد إن شاء الله وإياكم عُنُقِي السلام والأمان والراحة
لا عدمننا بقاءكم .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ١٥ رمضان

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ١١ رمضان ١٣٥٢ وقد سبق إلى حضرتكم
برقية مؤرخة ١٣ منه والمرجو من الأخ أن تكون الإفادة كما يليق بعالي
قدره ، وبما يحسن للأخوة والصدقة ، وصالح الإسلام والمسلمين ، وإرغام
الأعداء والكافرين .

وليعلم الأخ أنه لا محذور قطعاً من قبضنا لزمام يام ، والاستيلاء عليهم
بل في ذلك مصلحة عامة وخاصة .

ومن الحال أن يحصل منا أدنى عدوان ، وخصوصاً بعد المعاهدة الأخوية
وأني محاورة قد حصلت في الحدود المتصلة بيننا وبين حضرتكم في هذه المدة
الماضية فكيف يحصل بعد الآن في الحدود .

وعلى الجملة فالتعويل على حضرتكم وكريم خلقكم في الإفادة التي نتمناها
ولا ضرر منها ، ولا نفع في غيرها ، ولا مصلحة في غير ما نؤمله ونرجوه
لا دينية ولا دنيوية ولا سياسية .

ثم اعلّموا عافاكم الله أننا لا نحول عن الصدقة ، والمحافظة على الأخوة
ما دمتنا على الحياة ، كما وعدنا حضرتكم مكرراً ، ولا رحم الله من شوش
أفكاركم وسعى لتغيير إفادتكم السابقة إلينا ، ولا بُدّ من المستأجرين ،
ومع كريم خلقكم ، وطرحكم أقوال المستأجرين يحصل كل مراد ، وتنتهي
المحاورات في ظرف أربعة أيام والسلام .

برقية من الملك لأمير جيزان

بتاريخ ٥٢/٩/١٧

علمنا برقيتكم وكل عدو إن شاء الله معثور ، ولا يتأسف غير فاعل
السوء ولا بد اطلعت على برقيتنا لـ (يحيى) وأنت خذ بالخزم والعزم ،
ولا تفتر همتك ، فليس عليك والله قاصر .

الجند الذي عندك من (نجد) و (عسير) كثير والله الحمد ، والجند
متواصل من (الرياض) إلى فيصل أوله عند (فيصل) والثاني في (بيشة)
والثالث بمشي من (الرياض) .

وتعرف أن الأمور كلها بالله ثم بالخزم والعزم والهمة القوية ، وأنتم
اجمعوا جماعكم على الحدود واضبطوا أنفسكم عن التعدّي ، إلا أن هاجمكم
أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله ، لا تهاجموا أحداً حتى يبدأكم بالهجوم ،
وأبشروا بأن الله خاذل إن شاء الله كلّ عدو .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٥٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٥ / ٩ / ٥٢ بعد أن تلقينا برقيتكم المؤرخة
١٣ و ١٥ منه الملحقة برقيتكم الأخيرة بشأن (نجران) .

أمّا ما ذكرتموه من حرصكم على السلام وكبت الأعداء فهذا شيء
نشكركم عليه واعتمادنا على الله ، ثم عليه سابقاً ولاحقاً ، أخبرناكم سابقاً أننا
لا نأخذ أقوال الناس ، وإنما نثق بالله ثم بكم ، ولكن بعد ما صرحتم لنا
بما فعل في جهة (العبادل) وبني مالك ، رأينا تفاوتاً عظيماً ، بين ما ذكرتموه
لنا سابقاً ووثقنا بالله ثم به ، وبين ما أخبرتمونا به مؤخراً .

إنّ أخاكم والله المطلع ليس عنده قول أو عمل يخالف ما قد أبديناه
لحضرتكم وقد أوجب الدّهشة ، ودعى للاستعداد للطوارئ ، وهذا الذي
نخشاه أن يفرط الأمر من اليد ، فلا يهمننا (بني مالك) و (العبادل) إنما

اعتمدنا على الله ، ثم على الصداقة ، وعلى عوائده الجميلة ، نترك كل شيء
ونعمل جهدنا في الإصلاح ، فإذا ابتلينا أعاننا الله تعالى .

نرجع إلى ما ذكرتموه في مسألة (نجران) أخبرناكم أنه لا يوجد شفقة
على توليه ولا نحب ذلك ، إنما الشفقة على الراحة والإصلاح ، وبما أن
(نجران) موقعه في جهتنا مهيم ، ولا يمكن حله بسهولة ، إلا بالنظر
في المصلحة العائدة للطرفين ، والأمر الذي يريح هو رأي أخيكم سداً
للذريعة ، وتقريباً للإصلاح أن نتعاقد وإياكم على المسألتين اللتين انتهينا منهما ،
وهما إبعاد الإدارة ، وتضمن جميع حركاتكم من جهته على المحل المذكور (؟) ،
والثاني أن تبقى الحدود كما كانت بيننا وبينكم منذ دخولنا في هذا الطرف ،
ونعقد معاهدة ودية لمدة عشرين سنة ، ويعلن ذلك في الجرائد والمجلات ،
وأن يبعد العساكر منا ومنكم عن الحدود والمجلات ، لمنع الاشتباك وراحة
الرعية ، وأما مسألة (نجران) فتؤجل وينتدب مندوبون منا ومنكم عن
الحدود ، والكل يبدي المشكل الذي عنده ، حتى يتوصل إلى حل سلمي ،
يحفظ مصالحكم ومرادكم ويحفظ مصلحتنا ومرادنا ، فهذا الذي يراه أخوك .

فإذا وافقتم على ذلك ، فارجو أن يتقرر شكلها مكتوبة بيننا وبينكم ،
ثم تكتبونها من جهتكم وتوقعونها ، ونكتبها من جهتنا ونوقعها ، وترسلونها
لولدنا فيصل عن طريق نجلكم في (صعدة) ، ونرسلها لنجلكم في (صعدة)
عن طريق ولدنا فيصل ، أو يقدّم بها الوفد من جهتكم ، أو يقدم بها الوفد
من جهتنا ، للمكان الذي نتفق عليه ، وأعاهدكم بالله أنه ليس لأخيكم قصد
إلا حل المشكل وأنه لا يأتيكم من قبلنا غدر ولا خيانة ، إلا أبديه على واضح
فأرجوكم الإسراع بالجواب على هذا والسلام .

برقية من الإمام للملك

بتاريخ ١٥ رمضان ٥٢

بعد تحرير البرقية بتاريخ ١٥ رمضان وصل الولد سيف الإسلام بعض (البرنز) رصاص المدفع الذي كان حارب أصحابنا به في نجران وأنه تقرر تقرير محاربة جنودكم في حرب عسكرنا الذي بـ (نجران) .

وإن المدفع بآن مع الجيش فوق الحصينة ، وما له علم بما صار بيننا وبين حضرتكم من المراجعة .

وأفاد أيضاً أن جنودكم موجودة ببلاد (يام) ، وأنه قد أمر بعزل بعض عسكر إلى حدود (بني مالك) و (فيفا) .

وحالا كتبنا له تحذيراً عن الحادث ، وأوضحنا له ما يدور بيننا وبين حضرتكم من المراجعة الودية ، فأردنا بهذا إعلان حضرتكم لا يدخل ببالكم وكل أمر من جهتنا هو في اليد والسلام .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٧ رمضان ٥٢

أخي : وصلتنا برقيتكم المؤرخة ١٥ رمضان سنة ٥٢ منتصف ليلة ١٧ منه تذكرون فيها من قبل الجند الذي أرسل من نجلكم إلى جهة (فيفا) و (بني مالك) وأن هذا كان بعد حادث (نجران) أخي عافاكم الله أن هذا قد أخبرتكم به قبل مسألة نجران وقد أخبرتمونا أن بعض أصحابكم أرسل لـ (بني مالك) ثم أخبرتمونا أنكم أرسلتم لـ (العبادل) أيضاً ، وقد شرحنا لكم برقيتنا بتاريخ ١٧ منه ما يلزم .

والآن نريدكم إيضاحاً بأننا نعوذ بالله ونبرأ إليه من الحرب وتبعها ، وإننا نحب السلم ، ولكن سوق الجند من جهات وكتب الإدريسي التي تعرض الناس على الفتنة ليقع الأمر بيننا وبينكم ، فلا يسعنا إزاء ذلك إلا الدفاع .

فإن كان لحضرتكم رغبة في الصلح والسلم فاعملوا عمله ، أو يرجع الجند منا ومنكم لأماكنه ، وتم المراجعة بيننا وبينكم في الحال الذي يصلح للجميع وإن كان القصد الكلام بيننا وبينكم في مسألة (نجران) لا يحصل إلا من طريق التهديد فهذا لا ينتج أمراً صالحاً ، ويحصل منه أمران . :
١ - تهيج خواطر العالم .

٢ - ما يخفكم حالتنا أننا ما نعطي السلم إلا مع السلم ، وإنه إذا وقع التهديد فإننا نبذل فيه المال والنفس .

وإني أدخلكم على الله ، ثم أدخلكم عليه ، ثم أحملكم مسئولية الحرب ، أمام الله ، ثم أمام العالم عن الوقوع في هذا الشر الذي لا تؤمله من حضرتكم .

وقد سبق أن تركنا جميع ما يقال ، ونحن نرى الحقيقة ونكذبها ، وثوقاً بالله ثم بوعودكم وعهودكم .

فإن كان القصد من هذه الحركات نشوب الحرب فقد بلغ الأمر منتهاه ، وإن كان القصد السلم فطريق السلم كما عرفناكم والله يحفظكم .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٤٢ هـ

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٨ رمضان ١٣٤٢ وكذلك الثانية بالتاريخ المذكور وحمدنا الله على ما قد تم ، فلا نكذبكم والإفادة عما كان في (نجران) وقد انحلت العقدتان الإدارية والمعاهدة المشتملة على الحدود والله الحمد ، ولم يبق إلا ما أفاد به الأخ العزيز من ترك بلاد (يام) في الحياء ، وذلك مشكل علينا مع كونها يمنية ، ولا ولاية لأحدٍ عليها ، وليلعلم الأخ العزيز أننا أحرص للمحافظة على السلم ، خصوصاً بيننا وبينكم ، وليس لنا إرادة لأقل أو أدنى عدوان وشقاق بيننا وبينكم ، وراء أهل (المخلاف) وغيرهم ولا نقول فيها كما قلتم في (نجران) ! بل نقول نحن من عونكم

لتسكين روعهم كما تحبون ؟ ، وإنما الخشية معنا من انخداعكم (للداعي)^(١) وأعوانه الذي أنبأتم أنه ليس بينه وبينكم رابطة دينية ، ولا طمع لحضرتكم فيهم ، وفي قبضنا زمام (يام) نوع لما أشار إليه الأخ من حقن الدماء ومنع العدوان ، بن (يام) وبين غيرهم .

فليتفضل الأخ حرسه الله بالإيضاح للنهاية ، وهل سيكون يحب الجند من بلاد (يام) طوعاً أو كرهاً ، مع عدم الموجب لذلك ، موافقة لغرض (الداعي) وأعوانه ، أم سيرجح الأخ الصداقة بيننا وبين حضرتكم وإن كره (الداعي) وأعوانه ، كما نرجح ونحب ونتمنى ذلك ، وإن كان الأخ يسعى للسلم ورفع الأحقاد فنحن نُهرِّول إليه هرولةً .

وتفضلوا بسرعة الإفادة لحل هذه المادة الثالثة أحبَّ الشقين .

وقد بلغ إلينا عزم بعض عسكر من رازح إلى (العبادل) ؟ وبعد أن نشاع مشاركة جندكم و (يام) في مهاجمة (نجران) .

وقد كررنا ما يلزم ، وعلى الحملة فلا ترون من جهتنا أدنى ميل إلى الشقاق وإنما يعمل بعض أصحابنا أعمال الدفاع لما يبلغ إليه من تبادل جيوشكم والسلام .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٧ رمضان ٥٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣ رمضان ٥٢ ليلة ١٧ منه أما حبكم للسلم والراحة فنحن نحب ذلك مثلكم ، وقد كررناه عليكم مراراً .

أما مسألة (نجران) فقد وضحتنا لكم أمرها توضيحاً تاماً سابقاً ولاحقاً ، وعلى الأخص من جهة الحركة الأخيرة التي صارت ، وأخبرناكم أننا منعناها وأقسمنا لكم بالله أننا ما رضىناها ولا علمنا بها ، ولكن ماذا نقول : إذا كان أصحابكم يحركون الفتنة في (بني مالك) وتسوقون جنداً عليه ،

(١) (الداعي) : هو المكرمي رئيس « نجران » الروحي .

وبعض أصحابكم يسرون جنداً عليه ، وبعض أصحابكم يسرون جنداً من (رازح) على أطراف (العبادل) فهذا يعتبر أن الكلام ضاع ، وأنكم قد أعلنتم الحرب وبدأتم به ، وهذا الذي كان يحذرنا الناس منه ، وكانوا يؤكدون لنا أنكم عازمون عليه ، وأن الكلام الذي بيننا وبينكم مخادعة ، ولكن ديننا وشيئتنا أبت علينا أن نقبل ذلك ، وإنما قبلنا عهد الأَخ ورضينا بالله رباً .

وجاء الفعل الأخير مصدقاً لما قاله الناس ، ولم يبقَ في اليد حيلة فإن كان الأَخ صادقاً في قوله فليمنع جميع الحركات ، وليبعد الجند إلى آخر درجة من الحدود ، فإن كانت المراجعة ستكون وجندكم يمشي والإدريسي يكتب ويحرك ، كما رأينا كتبه لأهل المقاطعة فهذا أمر لا يرضاه الله ولا تقبله النفوس الطيبة ، فإن كان الأمر والقصد إغفالنا وأنتم عازمون على ما عزمتم عليه فلا نقول إلا (حسبنا الله ونعم الوكيل - يا مالك يوم الدين اياك نعبد وإياك نستعين) .

برقية جوابية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٤ رمضان ٥٢

تلقينا برقية الأخ الثالثة المؤرخة ١٧/٩/٥٢ وحمدنا الله فقد آنسنا منها السلام ، وعز الإسلام والمسلمين ، ذلك ما كنا نبغي ، والذي كُنَّا نؤمله من حضرتكم وفي الحقيقة يا حضرة الأخ العزيز ما كان يوجب الحشد والتجهيز ، وإنما هي نزعة شيطانية لا رحم الله من نزعها ، وكلفكم وأغراكم ، وعلى كل حال فنحن كما نحبون ، ولا تجدون منا غير حسن الإخاء ، في الشدة والرخاء ، وحالا كتبنا إلى ولدنا سيف الإسلام ، وأعلمناه بإفادتكم الكريمة ، ومنعناه من كل حركة وعدوان وتجاوز ، ففضلوا بينوا وقت اجتماع المندوبين بـ (ميسدي) أو غيرها حيث ما ترونه لربط المعاهدة الأخوية الدينية والدنيوية الشاملة لجميع الأطراف ، وسيكون رفع كل الأجناد من لدينا ومن لدن حضرتكم ، والتعويل على حضرتكم في العفو العام

المطلق والتأمين الشريف الشامل لكل من تمايل إلينا من خوف معرفة جيوشكم من (العبادل) و (بني مالك) ونحوهم لسكون روعتهم وزوال إفزاعهم ، فهم في غاية الخوف والوجل .

وحين عودة كل هارب من (المخلاف) إلى مساكنهم ، مع تطمينهم بالعمو والأمان ، وإرجاعهم فيما كانوا فيه قبل الثورة (الإدريسية) لتسكن بذلك جميع الأمور ، ولا يبقى للشيطان والعدوان مجال .

ولقد بلغ إلينا ما لا نحكم بصدقه ، أن بعض أمرائكم أعلن بكفر (العبادل) واستحلال دماءهم وأموالهم ونسائهم هم وأولادهم ، ومثل هذا لاحق بغبي ولو فرضنا صحة ذلك .

وسيكون إن شاء الله توقيع المعاهدة ، منا ومن حضرتكم ، ونشرها في الجرائد كما ذكرتم ، وسبحان الله ما أحلى نشرها لدى ذوي الديانات الإسلامية ، وأكثر سرورهم ، واستغرابهم وتعجبهم لذلك مما كانت تنسجه أيدي الإفرءاء .

وفضلاً واحساناً وتطولاً وامتناناً ، حسن نظركم في شأن (يام) وقد وضحنا لكم بما لا يبتى معه اشتباه ، فلاشك ولا ريب في ارتفاع المحذور . ولا خير في تأخير الكلام في ذلك ، وأساس تبديد المراجعات وإبقاء محل لتشويش الأفكار ، وبذر الأشرار ، ما يحصل معه إلا الشكوك والأوهام ، ولا تنخدعوا (للداعي) فحقيقة أمورهم غير خافية على حضرتكم ، (لويجدون ملجأ أومغارات أومدّخلًا لولّوا إليه وهم يجمحون) ، ومن العجائب أن والي عدن أخبر قبل أمس السبت أنها وصلت برقية من (عدن) بأنه كانت المعاهدة بيننا وبين حضرتكم وبارك لنا بذلك والسلام .

جواب الملك إلى الإمام

بتاريخ ٥٢/٩/٢٥

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٥٢/٩/٢٣ وسرنا ما قد أوضحتموه ، وعلى الأخص ما رجوتهم من كبت المفسدين ، ولإنا نرجو أن يكبت الله أعداء

الدين ويعلي كلمته ، وقد سرنا أيضاً ما تفضلتم به من محبتكم حسن الإخاء في الشدة والرخاء ، ولا غرو فأنتم أهل لذلك ، وإنَّ ما تفضلتم به أيضاً من إخبار نجلكم الكريم بمنع العدوان وطلبتم منا العفو عن المفسدين من (بني مالك) و (العبادل) .

يعلم الأخ والله الحمد أنَّ العفو من شيمتنا ، وقد سبق لعقلاء تلك الأطراف أن أخبرونا بالواقع ، وطلبوا منا المحافظة التامة قبل أن يقع شيء .

ولكن وثوقاً بالله ثم بعهود الأخ ووعوده ما ألقينا بآلا ، هذا من جهة ومن جهة ثانية ، لم نشأ أن يكون ذلك سبباً لاشتباك الشر ، فمن أجل ذلك غابنا ممنونون ، والجهال جهلهم على أنفسهم ، وهم لا أهمية لهم ، بحوله تعالى في أمر يرُجأ أو يخاف ، إنما هم همج رعاع لا ينفَعون من لجأوا إليه ، ولا يضررون من تركوه ، وكما قيل : (من خان لك خان بك) وإنما يكبرهم السمعة ، وظهور التداخل بالشؤون الداخلية ، الذي يفرح الأعداء ويشمئز منه صاحب الشرف . ومن أجل ذلك فنحن قد عفونا عما وقع من جهالهم وسفهاهم ، فرجوكم منع التدخل وإبعاد الذين أمدوهم من جماعتكم عنهم ، حتى يكون للعفو محل وتزول الشبهة .

وبهذه المناسبة ، نخبر الأخ أنه لما وقعت هذه الحوادث الأخيرة ، أتتنا أخبار من (عدن) وغيره تنبئ بفرحة الأعداء ، وكآبة المحبين ، وكان لذلك وقع سيء في (نجد) حتى أشكل الأمر على أخيكم وساء الظن .

وكان ولدنا (سعود) ولي العهد سار إلى (أبها) على السيارات قبل وصول برقيتكم الأخيرة بثلاثة أيام ، وكان تجهيز الابن (فيصل) من (الحجاز) ليسير بطريق الساحل ، ببعض القوات التي عنده ، ونبرأ إلى الله أن يكون ذلك مناً حُباً في الفتنة ، أو حُباً في التوغل في الحرب ، وإنما هو محافظة على العزيزة ، ومقابلة لتلك المفاجأة .

وبعد ورود برقيتكم الأخيرة تمكنا من إدراك سير الابن (فيصل) من الحجاز نظراً للمواصلات البرقية بيننا وبينه ، وأرجعناه إلى محله .

وأما (سعود) فنظراً لعدم وجود مواصلات البرقية بيننا وبينه ، لم نتمكن من إرجاعه ، إذ يكون اليوم في (بيشة) .

والحقيقة إن ما وقع أخيراً كان له وقع سيء لا لأهميته ، بل نأسف على الاختلاف الذي ظهر من الحصن العزيز الذي هو حضرته ، إذ زرع الثقة بالوعود التي كانت تصدر منكم ، ولكن بعد ورود برقيتكم الأخيرة هدأت الخواطر ، ورجونا أن تكون الأمور عادت إلى مجاريها القديمة ، إن شاء الله ، أما من قبل المندوبين فنحن نرحب بهم ويرى أخوكم أن يكون اجتماعهم في (أبها) لأمرين .

الأول : نظراً لوجود ولي عهدنا فيها .

والثاني : لتوفر المواصلات في (أبها) مع الوفد .

فارجوكم قبول اقتراحنا هذا ، وتعيين الوقت الذي يصل فيه وفدكم حتى نعين فيه وفدنا لمقابلتهم ، ونرجوكم تعجيل ذلك .

ثم نعرض لحضرتكم أمرين :

الأول : كونوا على ثقة بالله أن ما كنا عليه من حب السلم ظاهراً وباطناً لا نزال عليه ، ولا نعلم أننا أمرنا بخلاف ذلك ، ونبرأ إلى الله منه ما لم يقع ما لا نعذر فيه ، ونبرأ إلى الله من أن نأمر بأمر يخالف ذلك .

والثاني : إذا رأى حضرتكم أنه متى وقع المطلوب إن شاء الله من السلم والراحة كما نرجو ، وترجون ، فرى أن ننزه الفرصة بوجود الآخرين من أولياء العهد قريباً بعضهم من بعض ، كي يجتمعان بعد ذلك للتعارف والتعاهد فيما بينهما من دون الشائب ، ونرى أن هذه الفرصة من التوفيق إن شاء الله أما من جهة (يام) فقد وضحنا لحضرتكم سابقاً أن (يام) ماتهما مسائلهم والمُسهم حفظ الصالح وعدم الاختلاف عاجلاً وآجلاً .

ورجأونا أن ذلك يحل بين المندوبين بما يرضي الجميع ، وتطمئن به

النجواطر إن شاء الله ونسأل الله أن يحفظنا وإياكم ، ويعيذنا من شرور أنفسنا ،
وسيئات أعمالنا ، ويؤيد الإسلام والمسلمين بحوله وقوته .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٤ رمضان ٥٢

في يومنا هذا وصل من ولدنا سيف الإسلام أنها تكاثرت الجيوش
مع (يام) والمدافع ، وهاجموا عسكرنا الذي في (نجران) بغاية الشدة ،
وكان ما كان ووصل من الولد عبد الله بن الوزير ، من (عبّس) أن
جيوشكم لا زالت تتكاثر إلى (المخلاف) حتى تشوش الأفكار ، وكنا أبرقنا
إلى الولد عبد الله بن الوزير وأرسلنا كتاباً إلى سيف الإسلام بمعنى ما عرفناكم ،
وقد أكدّنا ما كتبناه إليهم الآن ، ففضلوا بتأكيد الأمر إلى أمرائكم
والسلام .

جواب الملك إلى الإمام

بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٥٢

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٢ الذي تذكر فيها
ما وصلكم من نجلكم العزيز عن (نجران) ونؤكد عليكم من غير تكذيب
للابن الكريم ، أن ما وصله لا أصل له ، لم تزد القوة منذ أشهر ولا جندي
واحد ، ولا مدفع ولا شيء من القوة ، ونحن لم تنقطع أوامرنا عنهم في
الصباح وفي المساء بمنع أي عدوان .

وما ذكره عبد الله بن الوزير ، فقد يكون له شيء من الصحة .

إذ أنه بعد أن وقعت حادثة (العبادل) وحوادث (بني مالك) لم
يكن هناك بُد من اتخاذ الأهبة للدفاع ، فكان تقدم (الشويعر) إلى
(صامطة) وبعض الجند إلى (المضايا) .

وأمرنا بوضع قوة في (أبي عريش) وقوة في (الحسينية) كلها استعداد
للتطوارئ وحصل من ذلك في (نجد) رجّة دعت قوَى (نجد) للتحرك
من أما كتبنا .

وكان الابن (سعود) قد تقدمها في السيارات ، كما أخبرناكم برقيتنا
البارحة ، وكل ذلك قبل وصول برقيتكم الأخيرة المؤرخة ٥٢/٩/٢٣ وبعد
أن تلقيناها ، أصدرنا الأوامر المشددة بتوقف كل حركة وتسكين الأمور
لحد لا يعلم منتهاه إلا الله .

هذا الواقع شرحناه للأخ بكل جلاء ووضوح ، وإننا نؤكد للأخ
عهد الله وميثاقه ، عهد مسلم عربي ، أنه ما يكون منّا أي اعتداء ، ولا يمكن
أن نخالف الوعد الذي اتفقنا عليه مؤخراً وقد أكدنا على سائر الأمراء ،
فتفضلوا بالأمر بارجاع من وصل (بني مالك) من قبلكم .

وكذلك بتوقيف كل حركة على الحدود إلى أن تنتهي المشكلة التي نبرأ
إلى الله من شرورها ، ونحن لم نرسل الابن (سعود) إلا ليكون أشدّ في منع
أي عدوان ، وتجاوز يقع في أي جهة من الجهات ، ويسعى في توطيد
الصداقة بيننا وبينكم ، فكونوا واثقين بالله من جهتنا .

ورجاؤنا أن تعجلوا أمركم لأمرائكم في الحدود بسحب ما بعثوا به
لداخل بلادنا ، كما نرجو تعجيل أمر المندوبين ، ونسأل الله أن يوفقنا
وأيّاكم لحقن دماء المسلمين في هذه العشرة المباركة من رمضان والسلام .

برقية من الإمام إلى الملك

بتاريخ ٢٩ رمضان

تلقينا برقيتكم المؤرخة ٥٢/٩/٢٦ و٢٥ ، وسرنا كل ما اشتملت عليه
ولله الحمد والمنة ، وعجبنا جداً لما رفعه ولدنا سيف الإسلام من خصوص
الزحف على عسكرينا في (نجران) والضرب بالمدفع ، وحصول القتل من
الطرفين ، حتى سمّى لنا بعض المقاتلين من الزحفين ، وعلى كل حال
فقد زال المحذور ، وارتفعت إن شاء الله جميع الشرور .

ورغبة في موافقة اقتراحكم لأبأس من أن يكون اجتماع المندوبين
في (أبها) كما ذكرتم ، وقد رأينا أن يكون رأس المندوبين من لدينا الولد

عيد الله بن الوزير وقد طلبناه إلينا ، وسيعزم من هنا بعد عيد الافطار ، بطريق (صعدة) وسنعرفكم بيوم عزمه من صنعاء .

أخطرنا الآن برقياً إلى الولد عبد الله بن الوزير أن يخطر من جمعيته بالوقوف المطلق ، ومنع كل حركة ، وكتبنا إلى ولدنا سيف الإسلام بمعنى ما أشرتم إليه أن يرسل من لديه من (بني مالك) و (العبادل) ومن إليهم من يسكن روعتهم ، ويعلمهم أنه قد كان من حضرتكم العفو المطلق ، والأمان الكامل ، وتفضلوا بإرسال رقم العفو والأمان ، إلى ولدنا لإطابة نفس المحدثين ، فهم في وجل عظيم ، خصوصاً من إحاطة جندكم بهم ، ولا لوم عليهم ، مع ما كان منهم وإحاطة الأجناد بهم ، وعلى كل حال فلم يبق غير حسن النظر في جبر خواطرهم ، ورفع خيفتهم وعودهم إليكم بسلام ، ويدنا ويدكم الآن واحدة ، ولا التفات إلى كل ما حدث من الأشرار ، ولا بد من التعويل على حضرتكم في شأن بلاد (يام) وقد أوضحنا لكم ما تطيب به النفوس ، وفيما بين (يام) وبين المحاددين لهم من القبائل ، كما عرفناكم سابقاً بما تحبون ، إن شاء الله .

نعم عافاكم الله بعد كتابة هذا وصل من ولدنا أنه بلغ إليه وصول أربعة (موائر) إلى (نجران) ولا نظن صدق الناقل إلى ولدنا ، مع ما أكدتم من المنع وتفضلوا بعطف النظر إلى معرفة الحقائق والسلام .

الوفد اليمني :

آخر ما تم التوصل إليه ، وأوضحته البرقيات المتبادلة ، من الوجهة السياسية الموافقة على وفدين سعودي ويمني يكون اجتماعهما في أبها للنظر في المواضيع المعلقة وهي :

موضوع نجران - الحدود - معاهدة لمدة عشرين سنة - كف التدخل .. وكما مر بالقارئ الكريم في برقية الإمام الأخيرة والمؤرخة ٢٩ رمضان سنة ٥٢ وأن رئيس وفده عبد الله بن الوزير .

وبعد عيد الفطر توجه الوفد اليمني من (صنعاء) صوب صعدة للاجتماع بولي عهد اليمن والتشاور معه .

وأشعر الملك بريقاً بتحركه من صنعاً فأمر بتأليف الوفد السعودي
المفاوض على الوجه الآتي :

- ١ - فؤاد حمزة .
- ٢ - الشيخ عبد الله بن زاحم .
- ٣ - تركي بن ماضي .
- ٤ - عبد الوهاب أبو ملحمة .
- ٥ - دليم بن محمد بن دليم .

وأمر أحد أعضاء الوفد السعودي الشيخ تركي بن ماضي بالتوجه
إلى (ظهران) الجنوب لانتظار الوفد واستقباله ولمرافقته إلى (أبها) .

وصل الوفد اليمني إلى ظهران الجنوب ، واستقبل استقبالاً لائقاً ، وبعد
الاستراحة والاستجمام ، استقل السيارات المنتظرة للتوجه بهم إلى أبها ،
يرافقهم عضو الوفد السعودي تركي بن ماضي ، وقد أخذ منذ أن استقبلهم
في دراسة نفسية رئيس الوفد اليمني عبد الله بن الوزير وسبّر غور
شخصيته ، وقد سجل انطباعاته وخلاصة ملاحظاته الشخصية عنه بقوله :
(كان كعاداته يتظاهر بالقوة والشجاعة ، ويضع الأمور في غير موضعها ،
وكان متغطرساً متكبراً . . . ومع ذلك فليس عنده إخلاص للملكين ،
ويُرشح نفسه لولاية اليمن . وقد سبق لي به معرفة ، قبل هذه الآونة وذلك
حينما انتدبه الإمام لمفاوضتنا في صنعاء عام ١٣٤٦ ، ولم يكن انتدابه إلا دليلاً
على عدم حسن النية من حكومته) .

وصول الوفد إلى أبها :

كان الوفد اليمني يتألف من أشخاص متوارين تحت شخصية ابن
الوزير ، وكان الإمام نفسه قصد ذلك ، فهو لم يُشِرْ في برقيته إلى الملك
المؤرخة ٥٢/٩/٢٩ بتعيين الوفد إلى أسمائهم فهو يقول (رأس المندوبين من
لدينا الولد عبد الله بن الوزير) بدون أن يوضح أسماء أولئك المندوبين كما
عمل عندما أرسل الوفد في ٣ شعبان سنة ١٣٤٦ فقد سمي وفده فرداً فرداً .

وصل الوفد مدينة أبها في يوم ٢ ذي القعدة فاستقبل الاستقبال اللائق وأنزل في المنزل المريح .

وعقد الاجتماع الأول التمهيدي ولم يتعد الترحيب والمجاملة والأحاديث العامة حول مُهِمَّة الوفدين ، بوجه الاجمال وسبَرَ غور نفسية كل طرف للآخر وانفضت الجلسة ، وعلى أثر ذلك أبرق الوفد السعودي لجلالة الملك هذه البرقية : ٥٢/١١/٢ - جلالة الملك المعظم .

اجتمعنا بالوفد اليمني للسلام والترحيب ، فكان الحديث عاما بشأن الاتفاق ، وإن عملنا لغاية واحدة ، عزة الإسلام والعرب ، ولم نبحث معهم اليوم بشيء بغية راحتهم ، ربما يكون الاجتماع بهم غداً ، وقد طلبوا عمل تجربة لفتح المخابرة باللاسلكي بين (أبها) و (صنعاء) تسهيلاً لتبادل البرقيات ، وسنجرى ذلك حسب طلبهم . (ثم تواقع أعضاء الوفد) .

جواب جلالته على الوفد السعودي

علمنا باجتماعكم ، ونرجو أن يتم الله ما فيه الخير ، ومادام أن هناك سيلاً للسلم فلا تدخرون جميع جهودكم في سبيل الوصول إليه ، ما لم يتعد الحد ، ويكون هناك ما ضرره أكبر من نفعه ، وبالله ثم بكم الكفاية ، وجميع ما عندي أبلغتكم به من قبل ، أسأل الله أن يوفقكم للخير .

الاجتماع الثاني :

في يوم ١٣٥٢/١١/٥ عقد الاجتماع الثاني بين الوفدين ، ودارت المناقشة ، وكان رئيس الوفد اليمني عبد الله بن الوزير متوتر الأعصاب ، مسرفاً في تفوهاته ، وأخيراً رفض البحث في موضوع (نَجْرَان) وتمسك الوفد السعودي بضرورة البحث في تلك القضية ، وانفض المجلس دون نتيجة .

وبخروج الوفد السعودي اجتمع في مقر (فؤاد حمزة) وبعد التداول رفع لجلالة الملك بالنتيجة ثم تلاها بالبرقية الآتية بتوقيع فؤاد حمزة :

جلالة الملك .

رفعنا لجلالتكم برقية من الوفد عن جلستنا اليوم ، وأوضحنا لجلالتكم أننا وجدنا من ابن الوزير حيدة زائدة ، وقد ظهرت هذه الحدة منذ دخلوا حدودنا ، فقد كانوا في الطريق يظهرون الغطرسة والعظمة ، ويذكرون قوة الإمام يحيى ، وأنه اشترى كذا وكذا من المدافع والرشاشات ، وأنه ، وانه الخ وأشاعوا في اليمن أنكم تنازلتم عن (نجران) و (يام) وقد أظهر من الحدة في جلستنا فوق المعروف ، وكان يقوم ويقعد متظاهراً أنه يريد الانسحاب من الجلسة ، وإننى أنتظر ارشاد جلالتكم فيما ترونه ، وغداً إن شاء الله يتبين لنا الموقف أكثر من أمس .

فأجابهم جلالته بالبرقية الآتية

بتاريخ ٥٢/١١/٧

اطلعنا على ما كان بيننا وبين الوفد اليمني ، وأن ما أظهره ابن الوزير من الحماسة لم يكن قوياً حسناً للمستقبل ، وأنتم سيروا معهم سيراً حسناً موافقاً قابلوها الذين يمثلون الشدة بمثليها ، ولكن بأدب ، وأخبروهم بأن الشدة لا تضر يحيى ولا تذل لنا ، وإنما تعرقل المساعي السلمية ، وإن كان المقصود من قدومهم الصلاح وحفظ الحقوق فذلك المطلوب ، وإن كان الأمر غير ذلك فلا بأس إلا فاعل السوء ، والعاقبة للمتقين ، أملي في إصلاحهم ضعيف كذلك حالاً أمرت جنودى بالاستعداد ، فإن حصل الصلاح فالاستعداد ما به نقص ، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله . أما السلم فنحن نجه ونقدمه على كل شيء .

توالى الجلسات :

وتوالى الجلسات بين الوفدين ، وكان ابن الوزير في تحامل على فؤاد حمزة تحاملاً شخصياً ، ولا يتجاوب مع أعضاء الوفد السعودي في اقتصار البحث على المواد التي كانت موضع الحوار بين العاهلين ، وهي (الحدود) ورفع التعدي على الأقسام التي احتلتها الجيوش المتوكلية ، وموضوع (نجران) ، وإبرام معاهدة أخوية دينية سيامية بين البلدين ، مما كان هو

الغاية في اجتماع الوفدين ، كما نصت عليه البرقيات المتبادلة ، وكان ابن الوزير يُصرُّ إصراراً قاطعاً على عدم البحث في موضوع (نجران) أو انسحاب جيشهم منه ، والوفد يرفع بدوره ما كان في كل جلسة من تلك الجلسات التي تدور في حلقة مفرغة تتجه لعدم التجاوب من الوفد الإمامي وبالأخص في موضوع (نجران) ..

وكما كان الوفد السعودي يرفع بما دار في كل جلسة ، كان الوفد الإمامي بدوره يرفع للإمام .

وبتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ ورد للوفد السعودي الرسالة الآتية :

وفدنا الكريم في أباها - مكة المكرمة في ١٧/١١/٥٢

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أشرفنا على برقية الإمام يحيى لرئيس وفده التي زعم فيها أن مسألة (نجران) خلصت بيننا وبينه ، وقد سمعنا في بعض برقياتنا لنا بعض الألفاظ التي فيها كذلك .

وقد تركنا الجدال معه منعاً للنزاع ، ورجاء أنه باجتماع الوفد يُحَلَّ كل شيء مشكل ، وبناء على ما أخبرتمونا به من كلام الوفد في جلساتكم السابقة ، وبناء على ما رأيناه في برقية الإمام يحيى الأخيرة للوفد ظهر لنا أن الأمر على غير ما نظن ، لذلك أحبيت أن أوضح لكم ما عندي بصراحة .

أما دعوى أن بني وبين الإمام يحيى كلاماً يبيح له التعدّي على (نجران) فحاشا وكلاً ، وليس هناك غير البرقيتين اللتين تعلمونها وعندكم نصها ، ومضمون الأولى أنها جواباً على برقية وردتنا من (يحيى) حينما قدم وفد (نجران) على (ابن مساعد) و (ابن عسكر) في أباها (فستل سؤالاً أجمل فيه بذكر (يام) ولم يخصص ، فتطميناً لحاطره أجبناه بتلك البرقية ولم يخطر لنا أنه يريد أن يتعدّى بأيّ عدوان أو أية حركة على (نجران)

وقد أفدناه أننا لا نحب المداخلة في (يام) سوى (نجران) ومداخلتنا في (نجران) لا للتولي عليها إنما هي أمور قديمة من آباتنا وأجدادنا عليهم ، وأن لا يكون منهم حركة تحدث على أطراف العربان المجاورين لهم ولا يكون عليهم حركة تضرهم ، هذا معنى البرقية ونصها عندكم .

وقد وردتنا برقية يستريدنا إيضاحاً في المسألة فأجبناه ليكون مطمئن الخاطر ، وأنّ العمل بيننا وبينه في مسألة (نجران) هو على ما كان بين مندوبيه وبين مندوبنا السابقين (ابن دليم) و (ابن ماضي) في عام ١٣٤٦ ونص تلك البرقية عندكم .

ومعنى ذلك أن مندوبينا حين بينوا الحدود وذكروا أن من (وائلة) وجنوباً لـ (يحيى) ومنها وشمالاً لنا .

والدليل الأعظم على تابعة (نجران) لنا في السابق واللاحق ، الكتب الموجودة بينهم وبين آبائنا وأجدادنا ، وسيرتنا معهم .

وكذلك لما جرى منهم بعض العدوان هاجمهم (الإخوان) في (بدر) فلم يعترض الإمام على ذلك .

أيضاً ومن زمان (الدرعية) إلى الآن يجري من (أهل نجران) وعليهم حوادث من أهل (نجد) ولم يعترض عليها أحد لا من (الترك) من قبل ولا من (الإمام يحيى) من بعد .

وأنّ (باديتهم) منذ ولانا الله (نجد) ثم (عسير) من بعده ، ونحن نأخذ الزكاة منهم ، فهذا دليل واضح مثل الشمس .

الثاني أنّ الإمام (يحيى) لما قاتل (عبس) و (الزرائق) لم يستفتنا لأنهم رعيته ، ولكن سألنا عن (يام) لأنهم محسوبون علينا .

ونحن ظننا أن استفتاءه لنا بشأنهم ، استفتاء الأخ لأخيه ، ولم نظن أن وراء الغطاء شيئاً مخبوء ، وأن هناك أمر يدبر بليل .

ثم أرسلنا له وفداً لحل المشكل ، وليس بخاف عليكم حالة وفدنا في (صنعاء) ثم طلب منا الإمام (يحيى) بعض الإيضاح ، وأخبرناه بأن الذي عندنا ثلاث مسائل :

الأولى : مسألة الحدود .

والثانية : مسألة الإدارة لتسليمهم ، أو إبعادهم عن الحدود ؟

وكان منه بعض الاستفهام في المسألة واقترح بأن تكون المعاهدة بيننا وبينه لعشرين سنة ، وأن تحدد الحدود بيننا وبينه فقبلنا اقتراحه ، واقترح علينا أن يبعد الأدارسة إلى (زبيد) فقبلنا ذلك أيضاً ، واقترحنا عليه أن تكون (نجران) محايمة بيننا وبينه ، فمن ذلك الوقت إلى الآن لم يحصل أي قرار بشأن (نجران) .

وهذا دليل واضح أن المسألة لم تنته ، ولا يمكن أن تنتهي إلا بالمساواة والانصاف بيننا وبينه ، ومع أنه قد صار (في الفخ أكبر من العصفور) وهي اعتداؤهم على الجبال ، فقد أهنأ أنفسنا وردعنا جندنا حباً في السلم والعافية لأن ذلك من رغبتنا .

ونظراً لما أبداه حضرته في برقياته بأنه يحب ذلك ، ولديكم من الوثائق والمعلومات التي أخبرناكم بها من قبل أمور كثيرة ما نحب نذكرها في هذه البرقية .

إن الذي أثبتته لكم وأمركم به ، هو أن تجتهدوا في الإصلاح ، وأشهد الله وملائكته أنني أحب ذلك ، فلو أفدي بالشيء الكثير ، ما لم يمس الشرف أو يضطربنا على أمر ضرره علينا في العاجل والآجل أكثر من نفعه ، ولعنة الله على الكاذبين . وقد أحبيت أن أخبركم بهذه الصراحة ، لأن هذا أول ما عندي وآخر ما عندي للإمام (يحيى) وآخر ما عندي لكم .



وعندما استلم الوفد السعودي البرقية اغتم أول جلسته عقدت ، وقرأ برقية جلالته على الوفد اليمني حرفياً ، لم تسعفه الحيرة بجواب ، وبعد صمت أعقبه استفاقة ، طلب رئيس الوفد اليمني صورة البرقية فأجابه رئيس الوفد السعودي بأنه وزملاءه سيفكرون في طلبهم ، ورآن الصمت من جديد قطعه الوفد السعودي بقوله : هل تقبلون باقتراحنا الأول بشأن (نجران) .

الوفد اليمني : لا .

الوفد السعودي : إذا أنتم تصرون على التمسك (بنجران) فهل تعلمون بأن ذلك يؤدي إلى الحرب لا محالة .

الوفد اليمني : إننا أوضحنا ما عندنا وفي اعتقادنا أننا لم نخطيء ، وما تحملنا مشقة السفر إلا لاعتقادنا أن المسألة منتهية .

الوفد السعودي : ليس عندنا إلا ما أخبرناكم به .

الوفد اليمني : سوف نرفع للإمام بما تم .

وانفضت الجلسة ، وانصرف كل إلى (نزله) .

رفع الوفد اليمني للإمام بالواقع وما وصلت إليه المفاوضات ، وما قرىء عليه في رسالة الملك إلى الوفد حول القضايا التي انتدب لها ، وبالأخص حول (نجران) وإنما يظهر أنه لم يتلق أي تعليمات جديدة تُطريّ الموقف ، وتلين من جفافه ، أو ترطب من قسوته ، فظل متوقفاً لا يريم عن موقفه المتصلب في سلبية وتحجر .

واتصل الإمام بالملك برقية ، ويظهر أن هذا الاتصال نتيجة لما رفعه وفده وقد أجابه الملك بالبرقية الآتية :

في ١٣٥٢/١٢/٦ سيادة الأخ الإمام يحيى .

تلقينا برقية الأخ المؤرخة غرة الحجة ١٣٥٢ ، إنا نأسف لما وصل إليه الموقف بسبب الخلاف والتطويل ، الذي حدث مما لا يتحملة غيرنا ، وقد سبق أن أخبرناكم بما فهمناه بأن رغبتكم في المطالبة بغية تعجزنا وإملالنا كما ذكر بعض رجالكم ، وقد نفيم ذلك بالقول ، وكانت النتيجة بقبولنا وصبرنا أن ألحقت (الجبال) بـ (نجران) .

ثم تذكرون بأنكم توفون معنا بالعهود ، وأنكم لم تقبلوا أعداءنا ، وأنكم تعاملونا معاملة الأخ لأخيه ، والصديق لصديقه ، وهذا كلام مع مقارنته بالأفعال التي فعلت أيدتْ يأسناً ، وتقرر عندنا أن الأمر دُبْرَ بِلِيلٍ ، مادامت الأقوال تنقضها الأفعال .

فالجبال قد أخذت بعد العهد ، والأدارة بعد الوعد برفعهم مدوا
وساعدوا لعمل الفتنة ، فلم يبق ما نرجوه من الصلاح .
والحقيقة أننا نحن الجناة على أنفسنا ، أهملنا أهل (نجران) ثم لبسناهم
عن العمل ، ومنعنا المساعدة لهم رجاء التفاهم .

وكذا أهملنا أهل (فيفا) و (الجبال) وأوقفنا إمدادهم ، طلبا للسلام
إلى أن وقع ما وقع ، وبعد هذا كله ، وبعد أن أعيتنا جميع المراجعات
والمكاتبات واستنفذنا سائر الوسائل السلمية الممكنة ، لم يبق لنا إلا أن
نخبر حضرتكم بالصراحة التي نراها واجبة علينا ، وكرامة لحضرتكم عن
الخداع بأننا توكلنا على الله ، واستمددناه من حوله وقوته ، على أداء الواجب
الذي يحفظ أمانتنا ويؤمن رعايانا ، ويصون شرفنا ، وأمرنا بالدفاع لإنقاذ بلادنا .
وقد أحببنا إحاطة حضرتكم بهذا العزم لتكونوا على بيّنة منه ، وباب
السلام مفتوح إذا أردتموه ، وليس عندنا غير ما طلبناه في السابق وهو :
أولا : إخلاء (الجبال) وإطلاق رهائنهم ، وترك أمرهم مينا لهم
وتحديد الحدود بيننا وبينكم بمعاهدة .

ثانياً : إبعاد الإدارة بالمحل المقرر .

ثالثاً : المساومة بـ (نجران) بأي حال من الأحوال .

وان الأعمال التي سنعملها إن شاء الله من الدفاع عن شرفنا لا يمنع السلم
ونحن معذورون فيها .

وقد تقدمت الجنود متوكلة على الله ، والتوفيق بيد الله .

برقية جواوية من الإمام يحيى للملك

بتاريخ ٥٢/١٢/١٠

تلقينا برقية الأخ بتاريخ ٥٢/١٢/٦ في يوم عرفة ، ونشكر الأخ
للإفصاح بتوجه أجناده علينا ، فنقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، ولأننا
مع ذلك سنلتزم السكون ، راجين تلافي الأخ للسلام والصدقة خائفين من
دسائس وأطماع الأجانب ، ولم يكن هناك اختلاف في شيء قطعاً غير
ما عرفناكم .

[يلاحظ أن الإدريسي كانت إقامته في موضع يسمى « زهب حجر » شرق بلدة حرص اليمنية قرب حدودنا الجنوبية ، فتم الاتفاق بنقله إلى مدينة « زيد » في الداخل والتي تبعد عن حدودنا نحو خمسمائة كيل تقريباً ، في حال أن الإمام هنا يفيد أنه أمر برفعه من الشرقية إلى « صعدة » والمسافة بين « زيد » الهامية ، وجبالنا الشرقية وصعدة لا تقل عن سبعمائة كيل تقريباً] .

إنا أمرنا برفع الإدريسي من الجبال إلى صعدة وكان آخر ما عرفناكم من تعويل أهل الجبال علينا لتأمينهم ، ولما كان بـ (نجران) .

أما وعدنا لكم من إرجاع (الجبال) وإطلاق الرهائن ، ورفع الأدارسة كما تراجعنا به والمعاهدة لعشرين عاما وإبقاء الحدود كما هي عليه ، فهذا نحن ملزمون به إلى الآن مع الإنصاف في بلاد (يام) .

وتأملت ملاحيقه لما كتبناه إليكم من اعترافكم بأنه لا أخوة لكم في كل بلاد (يام) فلا بد نوافيكم بعد هذا بلفظ برقيتكم ، فلعلكم سهوتم عن ذلك .

ولا والله ما نريد المطاولة ولا الشقاق ، ولكن كم ترون على أخبيكم مالا ترونه على أنفسكم ، وتنسبون إلينا نقض العهود والله المستعان ، أي عهد نقضناه ، فتداركوا الأمور عافاكم الله ، فإنه لا خير للإسلام والمسلمين ولا لنا ولا لكم في الشقاق بيننا والسلام عليكم .

حرر هذا في يوم عيد الأضحى الأكبر أعاده الله علينا وعليكم بالخير .

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ١٣٥٢/١٢/١٠

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١٠ منه أما شكر الأخ لنا على الإفصاح وإخباركم بتوجه جنودنا ، فبأي الله أن يكون عندنا غير الإفصاح في جميع أقوالنا وأفعالنا .

وأما قولكم : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ونحن نقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) على المعتدي منّا ، المتجاوز على الحدود ، ونرجو من الله من كان قصده الإصلاح والعافية أن يؤيده وينصره ، ومن قصده الشقاق منا وأن يعمل بالباطن غير عمله بالظاهر — أن يجعل كيده في نحره ، ويكفي المسلمين شره ويشمت به الأعداء .

وأما السلم فأشهد الله وملائكته أنني أحب السلم مع جميع الخلق ومعكم خصوصاً ، مثل ما أحب السلم مع والذي عبد الرحمن .

فأما خوفكم من دسائس الأجانب فنحن والله الحمد أحرص منكم على ذلك ولدينا شاهد قوي ، وهو لما كان مندوب حكومة بريطانيا يفاوضكم رأينا تعديكم وتجاوزكم على حدودنا ورعايانا تركنا مقابلتكم بالمثل ، حتى تخلصوا معهم لثلا يقال : إنها دسيصة أجنبية ، فهذا أكبر شاهد لنا .

وأما الخيانة في العهد فهذا مثل الشمس ، أنظر في برقيتكم دخلتم الجبال وأرسلتم الإدريسي ليث الدسائس والفتن ، بعد قبولكم رفع الإدريسي وعمل معاهدة عشرين سنة بيننا وبينكم ، فهذا شاهد لنا أكبر من الجبال على نقض العهد ، وذلك دخولكم بلادنا بعد الاتفاق ، ونحن تأخرنا عن العدوان بمثله لما رأينا مفاوضتكم الانكليز .

أما الآن فأهل الجبال رعايانا ، وليس لكم حق بالمداخلة في شأنها بأي وجه من الوجوه ، إلا أن تكونوا محتلين محاربين .

فأما أمانهم فقد أعطيناكم الأمان عليهم ، والآن نعطيكم أمان الله ، وعهد الله ، أن ما يأتيهم منّا مثقال حبة خردل جزاء ما فات ، إلا إن عملوا فيما بعد أمرّاً مخالفاً ، والله واحد ، ومن غدر في العهد الأول ، غدر في العهد الثاني .

فإن كنتم تريدون السلم والعافية بيننا وبينكم ، فأقول لكم :
المسألة الأولى : رفع جنودكم والإدريسي حالا في ظرف أيام قليلة من الجبال وأطرافها ، ويكون الإدريسي في المحل الذي تقرر بيننا وبينكم

وَتَخْلُونَ الْجِبَالَ ، وتطلقون سراح مشائخهم ورهائهم ونعطيكم عهد الله وأمانه ، أننا ما ندخل الجبال حتى يأتهم من ولدنا سعود كتاب عهد وميثاق .

المسألة الثانية : مسألة نجران ، اختاروا فيها مسألتين ، إما أن يكون محايدياً بيننا وبينكم ، كما عرفناكم سابقاً ، وإما أن يكون ما بأيديكم من أهل نجران ويام بلادهم ورؤوسهم لكم وما كان تحت أيدينا من أهل (نجران) و (يام) بلادهم ورؤوسهم لنا ، وتعطونا عهد الله على هذا ، أو توقف الأمور ، وأوضح لكم ما تقدم حتى لا يكون مجالا للفرص والتأويل ، إن قصدي من ذلك ، أن وادي نجران الذي أهله تحت أيدينا لنا ، والذي تحت أيديكم لكم ، أما هداة وبدر وحبونا فهذه لنا ، وليس فيها كلام قطعاً .

فإن كان هناك إنصاف فهذا الإنصاف ، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فقد عذرنا ، ولعنة الله على من يحب الحرب أو يشيرها .

ونرجو أن يكون هذا العيد المبارك فيه الصلاح والفلاح ، وأن يعيده علينا وعليكم بجز الإسلام والمسلمين ، وإصلاح ذات بيننا وبينكم ، ونرجو الإسراع في الجواب ، والبت فيما ذكرنا لكم قبل حصول مالا يمكن تلافيه والسلام .

برقية من الإمام يحيى إلى الملك

بتاريخ ٥٢/٢/١١

أوضحوا لنا ما هو الذي ترونه في أمر بلاد (يام) مع كلية الانصاف؟

برقية جوابية من الملك إلى الإمام

بتاريخ ٥٢/١٢/١١

تلقينا برقية الأخ المؤرخة ١١ منه وتطلبون منا الإيضاح بشأن بلاد يام ، وقد عرفناكم سابقاً أن يكون محايدياً بيننا وبينكم ، وأن تكون بلاد يام التي تحت أيديكم في السابق لكم ، والذي تحت أيدينا في السابق لنا ، مثل (هداة) و (بدر) و (حبونا) وهذا ما ذكرناه لكم في السابق ، إذا صار نجران محايدياً .

ولكننا نوضح لكم مسألة (هدادة) و (بدر) و (حبونا) لأن (بدر) بأيدينا من سابق منذ دخول (الإخوان) ومعاهدتهم معنا ، وكذا (حبونا) وعمدتنا القرار الذي كان بين مندوبيكم ومندوبينا ابن دليم وابن ماضي عام ١٣٤٦ ، وذلك ما كان من (واثلة) وشمالا فهو لنا ، وما كان من (واثلة) وجنوباً فهو لكم ، وهذا الذي كنا نعتمد عليه في السابق واللاحق .

ولما جرى الاختلاف ، وكان من تعديكم على (نجران) طلبنا بالقرار المتقدم بيننا وبينكم ، واقترحنا أن يكون (نجران) محايداً ، مع العلم أن (بدر) و (حبونا) و (هدادة) تكون على حال السابق لأنها بأيدينا وهذا الذي نقصده من ذلك ، إذا حصل قبولكم الحياد في (نجران) كما أن (واثلة) وغيرها من (يام) تكون بأيديكم لأن الاشتراك في نفس (نجران) قد يقع اختلاف فيه ، لذا أحببنا حياده لأنه أقرب للتفاهم وأضمن لحسن السيرة .

وحيث أنكم أصررتم على احتلال (نجران) وتفاقم الأمر ، وكرهنا ذلك ، وجباً للصلح والسلام ، اقترحنا أنكم إذا لم توافقوا على حياد نفس (نجران) يكون من تحت أيديكم من أهل بادية وحاضرة لكم ، ورؤسهم وبلادهم ، ومن كان تحت أيدينا من أهله حاضرة وبادية يكونون لنا برؤوسهم وبلادهم ، هذا هو التوضيح الذي عرفناكم به أخيراً ، فرجوكم التدقيق فيه ، وإبعاد التأويل عنه والاسراع بالرد بكلام واضح لينفصم الأمر ، وينقضي المشكل الذي عرفناكم به أخيراً .

ونرجو الله أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويكتب أعداء الدين ، ويحقق دماء المسلمين ، وأن يُخْزِي كل عدو للدين .

فإذا عزمتم على المسألة بـ (نجران) باحدى الفئتين التي ذكرناها لكم على السلم والراحة والتفكير في جميع ما يؤمن ذلك ، فرجوكم حالا إخلاء الجبال وإطلاق الرهائن ، وعدم المداخلة في شأن الجبال ، وإبعاد الإدريسي إلى المكان الذي اتفقنا عليه ، ونحن نعطيكم عهد الله وأمانه لا نغدر بهم وأن

نجهد بالإصلاح بكل ما نتمكن عليه ، وأن الأمان الذي أعطيناكم إياه لا يختلف عنه .

على أن أهّل الجبال والله الحمد هم معنا الآن على أحسن حال ، وقد عرفوا منزلة أنفسهم وحالهم منّا في السابق ، ولولا خشية إيقاع جنودكم بهم وإننا تركناهم في السابق ، ولم نمدّهم ، لأظهروا ما في أنفسهم بالفعل من الميل نحونا ، نرجوكم التعجيل بالجواب بالصراحة والسرعة لتتمكن من تغيير خطة جندنا وإيقافهم نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير .

فأجاب الإمام يحيى بريقة مضمونها (إنكم قد تنازلتم عن يام ونجران في بريقة سابقة) .

فأجابه الملك بالبرقية

المؤرخة في ١٣ الحجة ١٣٥٢

تلقينا برقيتكم المؤرخة ١٣/١٢/١٣٥٢ ونفيدكم خلاصة عن الحقيقة لأن التطويل لا فائدة فيه ، أما (يام) وحالتنا وإياكم فيه ، فليس عندنا زيادة على ما عرفناكم فيه ، والصلح عليه والحرب عليه ، ولم نر من سبب لتعجيل حضرتكم إلا التطويل في المسائل ، لإدراك عمل ما فات ، أما طلبكم منا أن نطلب البرقيات من مدير البرق فنحمد الله أن أشغالنا مضبوطة لا إهمال فيها وجميع البرقيات التي بيننا وبينكم موجودة لا نكرر منها شيئاً ، وإذا قدر الله الاختلاف بيننا وبينكم ، سننشر ما كان بيننا وبينكم في العالم الإسلامي بغير زيادة ولا نقصان ، والكلام يطول ويعرض ، وإذا تأملت برقياتنا بهذا الشأن وجدتموها على الدوام مذكور فيها أن العمل بيننا وبينكم مسألان :

الأولى : على يد مندوبينا محمد بن دليم وتركى بن ماضي ورفقاهم ، فهذا لا يتغير عنه .

والثاني : ما عقّد وتمّ في المؤتمر الذي انعقد أيام حوادث (العُمر) . فهل غير ذلك العقدين شيئاً ؟ .

أما اختصار الأمر في برقيتنا التي أشرتم إليها فليس القصد منه إلا أن
وَقَدْ نَا كَانَ مَقْدَمًا إِلَيْكُمْ لِحَلِّ مُشْكِـلِ (نَجْرَان) وَغَيْرِهَا ، وَقَدْ أَوْضَحْنَا
لَكُمْ مَا عِنْدَهُمْ وَمَا عِنْدَنَا ، وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَلْقُوا مِنْكُمْ قَبُولَ ، وَقَدْ حَـجَزْتُمُوهُمْ
لَدَيْكُمْ إِلَى أَنْ أَمْضَيْتُمْ أَمْرَكُمْ فِي (نَجْرَان) فَهَلْ عِنْدَكُمْ بِشَأْنِ (نَجْرَان) وَ (يَام)
أَحَدَ أَمْرَيْنِ .

١ - إِمَّا مَعَاهِدَةٌ تَقْضِي بِأَنْ (يَام) وَ (نَجْرَان) لَكُمْ .

٢ - أَوْ أَنْكُمْ أَخْبَرْتُمُونَا حِينَ تَحْرِكُكُمْ عَلَى (نَجْرَان) فَأَجْزَنَا عَمَلَكُمْ .

فَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ ، وَهَذَا هُوَ الْمَعُولُ عَلَيْهِ ، مِنْ جِهَةِ (يَام) وَ (نَجْرَان)
فَلْيَتَفَكَّرْ حَضْرَتُكُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلْيَنْظُرْ مِنَ الَّذِي تَجَاوِزَ الْحَدَّ عَلَى الْعَهْدِ فِي
(نَجْرَان) وَ (الْجَبَال) .

هَذَا رَدُّنَا عَلَى بَرَقِيَّتِكُمْ ، وَأَفْكَارِنَا قَدْ أَوَّلَتْكُمْ ، وَالْحَقِيقَةُ الَّتِي عَلَيْهَا
الْمَعُولُ هُوَ مَا أَبْرَقْنَاهُ لَكُمْ مُؤَخَّرًا بِرَقِيَّتِنَا بِتَارِيخِ ١٣٥٢/١٢/١١ فَتَأْمَلُوهَا
عَافَاكُمْ اللَّهُ .

كَمَا أَبْرَقَ لَهُ الْبَرَقِيَّةُ بِتَارِيخِ ١٣٥٢/١٢/١٧ بِشَأْنِ ابْنِ الْوَزِيرِ .

بَرَقِيَّةٌ مِنَ الْإِمَامِ إِلَى الْمَلِكِ

بِتَارِيخِ ٥٢/١٢/١٧

تَلَقَيْنَا بَرَقِيَّةَ الْأَخِ الْمُؤَرَّخَةَ ٥٢/١٢/١٧ وَإِنَّمَا أَرَدْنَا بِوَصُولِ السَّيِّدِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَزِيرِ إِلَى حَضْرَتِكُمْ لِيَكُونَ مِنْهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرَاجَعَةِ مَا نَرَاهُ لِلْعَرَضِ
عَلَيْكُمْ ، وَالتَّفَاهُمِ الْكَامِلِ ، وَلَا بَأْسَ بِهَذَا بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ لِمُدَّةِ سِيرَةِ إِنْ كَانَ
الْوَفَاقُ ، وَإِلَّا فَلَا يَفُوتُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ ، وَالْأَنَاءَةُ مِنَ اللَّهِ ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

وَقَدْ أَجَابَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ بِالْبَرَقِيَّةِ الْآتِيَةِ

بِتَارِيخِ ٥٢/١٢/١٧

تَلَقَيْنَا بَرَقِيَّةَ الْأَخِ بِتَارِيخِ ٥٢/١٢/١٧ يُلِحُّ الْأَخُ بِوَصُولِ السَّيِّدِ بْنِ الْوَزِيرِ
إِلَيْنَا وَيَطْلُبُ أَنْ تَطُولَ الْمُدَّةُ مَدَّةَ سِيرَةٍ .

أخي إن هذا موجب للأسف ، وقد صار الشك يقيناً ، وأيّد سوء القصد وإنكم تريدون إتمام أعمالكم السابقة ، فلا ابن الوزير ولا غيره من كبير أو صغير أن يحل المشكل بدون أن ينفذ المطلب الذي طلبناه ، وهو فرض علينا إدراكه ، ولا يمكن تركه ، فإن كنتم تحبون الإنصاف والصلح والسلم وحقن الدماء فلا يكون إلا به ، ونحن لم نطلب شططاً ، ولم نطلب إلا حقاً تجاوزتم عليه ، إنّ العهود التي بيننا وبينكم أيام قدم إليكم ابن دليم وابن ماضي ، ونقضتم معاهدة (العُرّ) التي عاهدتمونا عليها ، ثم نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم في تحديد الحدود ، وعمل المعاهدة لمدة عشرين سنة ، ولم يكن لهذه العهود من جواب إلا استيلائكم على (فيفا) و (بني مالك) و (العبادل) وتقديم الإدريسي يشتغل بالفساد ، وقد أشرفنا على كتاب منه ل (محمد بن حمود) صاحب « الحسينية » وغيره يحثهم فيه على الفتنة ، ويهددهم ويوعدهم .

إن مطلبنا الذي طلبناه منكم يقره كل منصف يخاف الله تعالى ، طلبنا منكم تسحبون جنودكم من بلادنا التي دخلتموها بعد العهد بيننا وبينكم ، وأن تطلقوا رهائن أهلها ، وأن لا تدخلوا في شؤونهم ، وقد أعطيناكم الأمان الذي طلبتموه لهم ، وعفونا عنهم ، ولم نعاتبهم على ما فات منهم ، لأنهم معذورون إذ طلبوا النجدة منا ليردّ عدوانكم فلم نجيبهم لاستبعادنا أن يقع ذلك منكم علينا .

ثانياً : طلبنا منكم الإنصاف في (نجران) واقترحنا أن يكون محايداً بيننا وبينكم ، وأن يكون ما يسجنّوبه من البلدان لكم ، وما بشماله من البلدان أن يكون لنا مثل (بدر) و (هداة) و (حبّونا) وما بينها ، فإن كنتم لا توافقون على حياده فاقترحنا أن يكون من تحت أيديكم من أهل نجران لكم هم وبلدانهم ، ومن كان تحت أيدينا من أهل (نجران) هم وبلادهم لنا ، وهذا عدا ما هو واقع جنوب (نجران) أن يكون لكم ، وما هو شمال (نجران) مثل (هداة) و (بدر) و (حبّونا) فهو لنا كما تقدم ، وإني أكرر هذا الطلب ، وأنا على خير رجاء بالنجاح ، لأن المعاملة التي

عاملتمونا بها آيستنا من النجاح ، ولكن توضيحاً للحقيقة ، وبراءة للذمة .
أما إيقاف العمل بغير شيء ظاهر واضح غير قابل للتأويل مستعجل
فوق العادة ليس بالإمكان ، لأن الأمر قد فرط ، وباب السلم مفتوح إذا
عزمت على إتمام ما كان تقرر بيننا ، وقد مضى علينا عدة أشهر ، والعدوان
يتبادى علينا ، ولم تجدنا جميع المراجعات فائدة ، فلم يكن لنا مندوحة
عن الدفاع الذي أمرنا به .

أما ابن الوزير فهو تحت أمركم ، إن أردتم رجوعه إليكم رجوع ، وإن
أردتم بقاءه في أبها بقي ، وإن أردتم قدومه إلينا يقدم ، وهو ولد كريم بين
جماعته ورفاقته وأمره إليكم .

أما المراجعة والتعليل والتطويل فلا فائدة ولا نجاح لها ، والمسؤولية أمام
الله ثم الرعية ثم أمام الناس ، على من تسبب وماطل عافاكم الله .

وبعد هذه البرقية تقدمت الجيوش السعودية ، ودار القتال كما سنوضحه
في الفصل الخاص بذلك مفصلاً .

نجران

هو القطر المعروف في جنوب شرق المملكة العربية السعودية - راجع كتابنا (نجران في أطوار التاريخ) المعد للطبع من العهد (الكلاسيكي) إلى نهاية العهد العثماني .

لقد كان بعد العهد العثماني - كما كان خلاله - غير خاضع لجهة ما وإن كان يجمال الأتراك مجاملة سياسية وأدبية مراعاة لمصالح طائفتهم الخاضعة للإدارة العثمانية في جهات (حراز) وغيرها ، في اليمن الأعلى .

وقنع الأتراك بانتمائهم الاسمي ، تحت إدارة زعيمهم الروحي (المكرمي) الذي يدين وأهل نجران بالولاء الحقيقي لإمام طائفة الاسماعيلية في الهند ، وترسل إليه زكواتهم ، ويتلقون توجيهاته .

وبجلاء الأتراك بعد أن سلموا للإمام يحيى إدارة المرتفعات الجبلية من (صعدة) شمالاً إلى (المحميات البريطانية) آنذاك - اليمن الجنوبي حالياً - مع زبيد والمخا وأصبحت حدود بلاد الإمام يحيى تماس حدود الإمارة الإدريسية .

وفي الجنوب الغربي تفصل بينهما قبيلة الزرائيق التي ليست خاضعة - آنذاك لأحدهما وفي القسم الجبلي من (عبال) في الجنوب الشرقي إلى (بني مالك) في الشمال الشرقي .

وضم ابن سعود بلاد عسير - التي تربطها عهود ولاء بآل سعود من عهد الدولة السعودية الأولى ، وبذلك تلامست الحدود مع الحكومة المتوكلية في تلك الناحية .

وبدخول القسم الشمالي من الإمارة الإدريسية تحت السيادة السعودية تماسست الحدود من الناحية الجنوبية الغربية والشمالية والشرقية بين المملكتين .

وبقيت نجران منطقة حياد لا حكم لأحد الطرفين عليها ، وهي في نزاع قبلي مع قبائل الحكومتين تارة يُدّال لها وتارة عليها .

ومنذ التحام الحدود المباشرة بين الحكومتين أخذ كل طرف من الطرفين يهيء الأسباب لاحتواء (نجران) ، وأول وسائل الاحتواء الادعاء ، وأرادت الحكومتان تحديد الحدود ، فتم الاتفاق على إرسال وفد إلى صنعاء للتفاوض في موضوع الحدود فتألف الوفد السعودي من ابن مشيط وأبي ملحمة ونركي بن ماضي والوفد اليمني من (عبد الله بن الوزير ورفقاه) وبعد شهر من المفاوضات المضنية ، لم تسفر المفاوضات عن نتيجة فعاد الوفد إلى مكة .

وفي ١٢ / ٥ / ١٣٤٦ انتدب وفد إلى صنعاء لاستئناف المفاوضات السابقة مؤلف من ابن دُلَم وتركي بن ماضي ، ووصل الوفد السعودي إلى صنعاء وانتدب الإمام للمفاوضة معهما الوزير الأول عبد الله العَمَرِي ، ورئيس الديوان عبد الكريم المطهر ، وتوالت الجلسات ، ويقول الوفد السعودي إنه لأول مرة اعترف الوفد اليمني بسيادة ابن سعود على البلاد الإدريسية وعسير ، ورسم ما يشبه الخريطة للحدود ، وإن الاتفاق كاد أن يتم لولا مسألة نجران ، التي تمسك كل من الوفدين بادعائها .

فالحكومة السعودية تعتبر نجران تابعاً لها منذ تأسست الدولة السعودية الأولى حسب ما لديها من وثائق تاريخية ، وأنه امتداد لحدودها الجنوبية الشرقية وضرورة دفاعية .

والحكومة المتوكلية ، تعتبره تابعاً لها ، وجزءاً مكملها ، لا يمكن التفريط فيه .

وأهل نجران إسماعيلية في عدا (عقائدي) مع كل الفرق الإسلامية وتقليدي بالأخص مع الزيدية وآخر حروبهم الطاحنة مع الزيدية وقعت في جهة طيبة وبلاد همدان في اليمن نفسه مع الإمام شرف الدين الذي دمر معاقلهم ، وهدم حصونهم هناك ، وأجلاهم عن عاصمتهم الروحية بلدة (طيبة) وشردهم وشتت جماعتهم ، ففر زعيمهم جَدَّ مكارمة نجران إلى الحديدة ، ومنها أبحر إلى القنفذة ، ومن هناك اتصل بطائفتهم في نجران فاستقدموه ونصبوه زعيماً روحياً عليهم .

وهم - كالإسماعيلية - لا يرغبون في الانضمام إلى جهة ، ويودون آنذاك البقاء على حالتهم بين الجهتين وحكم أنفسهم على الطريقة القبلية تحت زعامة المكرمي .

وفي نفس الوقت استغلوا التنافس السياسي عليهم بين المملكتين ، واستفادوا مادياً وتقاسموا الأدوار بمهارتهم ، ووظفوا ذكاءهم وحيلهم الباطنية لمصلحتهم ، وتعميق نفورهم وتمحور نفورهم ، وتنمية قدراتهم القبلية وتمتين تمردهم وكانوا يفتسمون الأدوار بمهارة وبفطنة فيتصل البعض بهذه الجهة والبعض بالأخرى للاستفادة المادية ، وإن كان المكرمي نفسه ، وأكثر شيوعهم يرون أن في كرم الرياض وسياستها المرنة ، ما يقربهم إليها .

وعلى ذلك عاشت نجران من سنة ١٣٤٥ - ١٣٥٢ مستفيدة ومحاولة محاولة غير ناجحة أن تكون محايدة بين الجهتين .

وفي أوائل سنة ١٣٥٢ تراءى للإمام أن الفرصة سانحة - بالأخص بعد فتنة الإدريسي - والتجائه إلى الحكومة المتوكلية ، وما سبق ذلك من فتنة (حركة الدباغين) في الشمال ظناً أن السعودية مشحنة بالجراح مهددة القوة ، بعد كل ما جرى ، فعملت حكومته على إثارة فتنة محلية في نجران ، وفي نفس الوقت أخذت في الحشد والتجهيز على حدود نجران للتدخل ، وعندما قامت الفتنة المحلية زحفت جنودها على نجران ، فقاومها الأكثر وتساهل معها الأقل فالت بحدّها وجدّها إلى تلك الأكثرية المتمثلة في (المكرمي) ومن يؤيده فسحقت قوتهم ، ففروا ملتجئين إلى الرياض فدخلت إلى مركز المكرمي بلدة (بدر) ودَمَرَتْها ، وأخربت بيوت المكرمي ، ونبشت قبور أسلافه ، وبذلك صبت الوقود على النار ، فهب أنصار المكرمي فأجلوهم عن بدر ، فتمركزت القوات المتوكلية في حصون وادي نجران ، فأصبحت البادية وبلاد يام في يد المقاومة ، وأصبح الوادي محتلاً بالقوات المتوكلية وتمكنت المقاومة من تجميد نشاط القوات المتوكلية وعدم تمكينها من التوسع ، وتغيير موقفها من الهجوم إلى الدفاع .

وعند اشتداد الأزمة بين المملكتين تقدمت سرية من الجيش السعودي

ورابطت في أسفل وادي نجران ، وفضل الموقف على الوجه الآتي :

١ - القوات المتوكلية متحصنة في قصور وادي (نجران) .

٢ - البادية وبلاد يام ليست لأحد ، والمقاومة مستمرة .

٣ - سرية من الجيش السعودي في أسفل وادي نجران .

وفي يوم ١٨ / ١٢ / ١٣٥٢ نشب القتال بين الشقيقتين في الجهتين الشرقية والغربية الأولى بقيادة ولي العهد سعود بن عبد العزيز ، والثانية بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز .

وقد تقدمت القوات السعودية إلى أن وصلت إلى مشارف مدينة (زَبِيد) جنوباً ، وفي الشرق الجنوبي إلى مشارف الجبال بعد مدينة باجل .

أما في الميدان الشرقي الشمالي فقد تمكنت القوات السعودية من القضاء على كل نشاط للجيش المتوكلي والتوغل في خطوطه الأمامية .

ونكتفي هنا بإيراد ما سطره صاحب كتاب « ائمن عبر التاريخ » ومؤلفه من إخواننا اليمنيين حول تلك الحرب الضارية ، حيث قال في ص ٢٨٧ الطبعة الأولى : -

(أما حركة المقاومة من جانب القوات المتوكلية فإنها شلَّت تماماً ... وأدَّى ذلك إلى توقف القوات المتوكلية لا في المنطقة الشمالية الشرقية وحسب ، بل وفي المنطقة الغربية الجنوبية التي سقطت فعلاً في يد القوات السعودية) .

الحصار :

أشرنا في الفصل الخاص بالبرقيات المتبادلة بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى وتوقفنا عند برقية الملك عبد العزيز الأخيرة بتاريخ ١٧ / ١٢ / ٥٢ وفي نفس اليوم أذن لعبد الله بن الوزير رئيس الوفد اليمني ورفقائه بالسفر عن طريق القنفذة فلم يوافق ، ورغب أن يكون سفره عن طريق ظهران الجنوب ، فلم توافق الحكومة على ذلك خشية على حياته في المخاطرة بسلوكه في خطوط القتال ، وتقرر سفره إلى مكة المكرمة حتى تهيأ له وسيلة في توجهه إلى الحُدَيْدَة بِحَرًّا .

انتقل عبد الله بن الوزير ورفقاؤه إلى مكة ، وكان المرافق لهم عضو الوفد السعودي تركي بن ماضي .

وبقى ابن الوزير في مكة ينتظر السماح بالسفر من جدة إلى عدن بحراً نظراً لاستيلاء الجيش السعودي على الحُدَيْدَة ، وهو الميناء الرئيسي لليمن واندفاعه جنوباً وشرقاً إلى الجبال التي شرق باجل ، وجنوباً إلى الحسينية قرب مدينة (زَبِيد) .

وشعر الإمام بهزة الزلزال ورجة البركان الذي يحقق بمملكته فأبرق لابن سعود : (أيها الأخ : كفى ما قد حصل ، وهذا الولد عبد الله الوزير مفوضاً منا لعقد المعاهدة) وحضر ابن الوزير لمقابلة الملك عبد العزيز وتلقي الشروط التي يتم بها الصلح فكتب الملك بيده الشروط الآتية :

١ - تسليم الأدارسة .

٢ - الانسحاب من نجران .

٣ - الاعتراف .

٤ - المعاهدة لمدة عشرين سنة .

وحالا تسلمها ابن الوزير ، واستأذن للخروج للإبراق للإمام بها ، وأبرق فعلا فوصلت موافقة الإمام على ذلك ، وعُقدت المعاهدة ، وانسحبت الجيوش اليمنية من نجران والجبال ، ودخلتها الجيوش السعودية ، كما انسحبت الجيوش السعودية من تهامة اليمن الأمامية التي احتلتها في تلك الحرب ، كما سنورده مفصلاً .

بعد وصول برقية الإمام إلى الملك عبد العزيز وموافقة الإمام على شروط الملك وفي أثناء إبرام المعاهدة كان وصول الوفد الإسلامي .

الوفد الإسلامي :

كان الزعيم الإسلامي المعروف الشيخ محمد رشيد رضا قد اتصل بكل من الملك والإمام يحيى برقيةاً ورجاهما إنهاء الحرب حرصاً على الوحدة العربية

والجامعة الإسلامية وهما خير من يحرصان ، وبالأخص في شبه الجزيرة العربية مهد القومية ، ومهبط الرسالة المحمدية ومن فوره اتصل بالأمير شكيب أرسلان وأمين الحسيني ومحمد علي علثوبة فتم الرأي على توجه الوفد إلى الحجاز لمقابلة الملك عبد العزيز فوصلوا وقد تم الأمر على ما أشرنا ، إليه فيما تقدم ، وبعد إبرام المعاهدة توجه أعضاء الوفد رفق ابن الوزير إلى الحديدة ومنها إلى صنعاء وقابلوا الإمام يحيى وتم توقيع المعاهدة من الإمام على ما سنوضحه بعد .



الفصل العشرون

الحالة في الجنوب

كان الأتراك في الدور الثاني من حكمهم على جنوب الجزيرة العربية قد استعادوا سيطرتهم على ذلك القسم في عام ١٢٣٤ وهو العام الذي وصل فيه خليل باشا ، وانتزع الإمارة من أحمد بن حمود أبي مِسْمَار وولاهها حليفهم علي بن حيدر .

ثم كتب كتاباً إلى إمام صنعاء مع وفد من لديه يرأسه يوسف أغا فتفاوض مع الإمام على دفع مبلغ من المال ، لقاء إقراره على إمامته ، فأرسل الإمام عماله إلى البلاد ، ما عدا ما كان تابعاً لحمود وهو المخلاف السليمانى ، وقسم من تهامة اليمن ، وأقرّ عليه علي بن حيدر - كما ذكرنا - ثم عاد خليل باشا إلى الحجاز بعد أن ربط إدارة إمارة علي بن حيدر بسلطته في مكة ، وظل الوضع كالاتي :

- ١ - من حدود قبيلة صليل وشمالاً إلى (الشَّقِيق) تحت إمارة علي ابن حيدر وينوب عنه على وادي مَوْر ابنه الحسين .
- ٢ - صليل وما جاورها تحت سلطة أحد الإقطاعيين المسمى الكلفود .
- ٣ - سواحل الحديدة والمخا وما بعده مع القسم الجبلي تحت سلطة إمام صنعاء .

ثم تغير الوضع بغزو العسيرين لتهامة اليمن فكان :

- ١ - صليل والحديدة والمخا للعسيرين - راجع الفصل الخاص بإمارة العسيرين .
- ٢ - انحصرت إمارة علي بن حيدر في جهة أبي عريش تحت تبعية عسير - راجع الفصل الخاص بإمارة (علي بن حيدر) .

٣ - إمام صنعا في القسم الجبلي - راجع الفصل الخاص بإمامة الزيديين

وفي سنة ١٢٥٠ وصلت قوات حاكم مصر محمد علي بقيادة شخص يسمى محمد أمين يحمل كتاباً إلى علي بن حيدر يقضي بإرسال ابنه الحسن ابن علي مع الحملة للاستيلاء على تهامة اليمن من العسيريين، فتقدمت تلك القوات واستولت على الحديدة فانسحب العسيريون من الحديدة وغيرها إلى بلادهم واستولت قوات محمد علي على تهامة اليمن إلى الحما وباديها، واتخذت مدينة الحُدَيْدَة قاعدة لحكمها، وظل علي بن حيدر على إمارته في أبي عريش مرتبطاً بقائد محمد علي في الحُدَيْدَة.

وتوفي علي بن حيدر في سنة ١٢٥٤ فخلفه ابنه الحسين بن علي على إمارة أبي عريش، حتى صدر الأمر للقوات المصرية كنتيجة لمؤتمر (لندرة) بانسحاب قوات محمد علي، فصدر الأمر بتسليم تهامة بأسرها للحسين بن علي ابن حيدر نيابة عن الخلافة العثمانية فسلم الحسين بن علي البلاد إلى الحما، وأخذ في التجهيز لغزو (عدن) - المحمية البريطانية آنذاك.

ثم غزا القسم الجبلي فوصل إلى - تعز -، ثم إلى إب إلا أن إمام صنعا الجديد محمد يحيى الذي كان حليفه بالأمس أخذ في الاستعداد لاستعادة ما استولى عليه من القسم الجبلي، ومن هنا تحفز الأمير عائض أمير عسير لغزو بلاد الحسين، فسوى أمره مع عائض، وانصرف للاستعداد لقتال محمد بن يحيى إلا أن هذا سبقه إلى الهجوم، ودارت المعركة فوق أسيراً في يد محمد بن يحيى فسجنه في قرية البشيشية إحدى قرى زبيد، واستولى على القسم الجنوبي من تهامة من الزيدية وجنوباً إلى الحما جنوباً وبقيت الحُدَيْدَة، واللحِيَّة ووادي مَوْرٍ بيد نواب الحسين بن علي، إلى أبي عريش.

وفي شهر شعبان سنة ١٢٦٤ استعان أبناء أخيه الأمير الحسين بمرتزقة من يام وتقدموا إلى القرية المسجون بها الأمير وتمكنوا من إطلاقه، وإعادته إلى الإمارة.

إنّ ما كانت تحكيه بريطانيا ضد الحسين بن علي الذي حاول مهاجمة عدن قد وجد سبيله إلى الاستجابة من (الآستانة) وبالأخص بعد هزيمته من قبل محمد بن يحيى إمام صنعا وأسره ، فأرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة توفيق باشا ورافقه أمير مكة محمد بن عون في نفس تلك السنة وتسلمت القوات التركية منه تهامة - كما تقدم - واتصلوا بإمام صنعا محمد بن يحيى فقابلهم في أطراف القسم الجبلي وتقدم بهم إلى صنعا وتسلموها منه ، إلا أنّ منافسه علي المهدي اقتحم مدينة صنعا ، وطرده فلولهم إلى تهامة ، وقطع رأس محمد بن يحيى ، وعاد محمد بن عون إلى مكة ، وبقي توفيق باشا حاكماً على تهامة اليمن وتهامة عسير يصرف أمورها من الحُدَيْدَة إلى أن توفي وكان الوضع كالآتي :

١ - القسم الجبلي الأعلى تحت إمامة علي بن المهدي إمام صنعا .

٢ - تهامة تحت حكم الأتراك .

٣ - المخلاف السليماني يتولى أمره ورثة علي بن حيدر وتتأرجح سيادته

بين الأتراك والعسيرين .

وتخفى الأتراك بعد غزو محمد بن عايض للحُدَيْدَة وهزيمته من تحت أسوارها ، وبعثوا الجحافل نحو عسير ، وصل رديف باشا إلى حلي ابن يعقوب ، ثم زحف على مُحَايِل فاحتلها يوم ١٠ / ١٢ / ١٢٨١ واستمر القتال حتى قُتِلَ ابنُ عايضٍ صَبْرًا في صفر سنة ١٢٧٩ فاستولى الأتراك على عسير ، ثم وصلت قواتهم الأخرى صنعا ١٦ / ٢ / ١٢٨٩ وهكذا أعادوا جنوب الجزيرة إلى سيطرة الأتراك .

واستمر الأتراك على إدارة البلاد ، وكان سلطانهم على تهامة من سنة ١٢٣٢ مباشرة أو بالنيابة ، والأتراك حَنَفِيّو المذهب من مذاهب السنة والجماعة الأربعة يتفقون مع أهل تهامة الشافعيّ المذهب ، وإن كان الأتراك أعاجم ، فالانفاق بين أهل المذاهب الأربعة حاصل والقناعة بصحة مذهبهم موجودة ، بخلاف الشيعة فهم مع أهل السنة والجماعة في خلاف ديني

وسيامي كما يسجله التاريخ^(١) فقد كان حكم الأئمة منحصرأ في الشمال

(١) جاء في كتاب «أطباق الحلوى» لابن الوزير ، وهو من كبار مؤرخي الزيدية ص ٤٥ مخطوط مانصه ، وفيها : من الدارس لتاريخ جنوب الجزيرة يجد أن الاختلافات المذهبية والنزعات الطائفية كانت السبب في كل الحروب المحلية ، وإذا كان قد وقع ذلك في كثير من أنحاء الجزيرة والبلاد الإسلامية ، إلا أنه في جنوب الجزيرة كان أدعى إلى الفرقة والاختلاف ، لقد استوعب اليمن كثيراً من المذاهب والفرق من شافعية وحنفية ، وخوارج وزيدية ، وإسماعيلية ، ومطرفية - فرقة من الفرق - وغيرها ، واستمرت الحروب وشبت الفتن وزالت أكثرها إلا القليل ، وأثماً المذهبان اللذان تشبثت عروقهما بتربة الحياة وساد سلطانها هما الشافعية في اليمن الأسفل واليمن الجنوبية وتهامة ، والزيدية في القسم الأعلى الشمال فالشافعية ظلت المذهب الرسمي ، من عهد الامارة الزيدية على تمامه من سنة ٢٠١ إلى نهاية الدولة الطاهرية سنة ٩٢٣ إلا في فترات يسيرة ساد فيها المذهب الاسماعيلي أو مذهب الخروج في عهد الصليحي وفي عهد علي بن مهدي وابنيه وقد بلغ من عمق الولاء المذهبي أن أهل تهامة اليمن كانوا يفضلون سلطان النجاشيين السني المذهب والأحباش الأصل على سلطان الصليحي الاسماعيلي المذهب العريبي الأصل .

فكان في أثناء تداول الحروب بين النجاشيين والصليحيين انه إذا جاء فصل الشتاء نزل الصليحيون بجيوشهم واستولوا على زبيد بالقوة ففر النجاشيون إلى جزيرة دهلك فإذا أقبل فصل الصيف نزل النجاشيون في السفن من جزيرة دهلك فيستقبلهم أهل زبيد يتقدمهم الفقهاء والزهاد بالمصاحف مرفوعة والأعلام منشورة احتفاءً وابتهاجاً فينسحب الصليحيون إلى الجبال . وجاء بعد الدولة الطاهرية - عهد الجراكسة المصريين مع قلة عنايتهم بالناحية المذهبية ، وتلاهم عهد الأتراك الأول من سنة ٩٤٥ - ١١٤٠ وهم أيضاً سنيون ، فارتاح إلى سياستهم الداخلية الشافعيون .

وبعد تمكن الإمام المؤيد من جلاء الأتراك سنة ١١٤٠ - استمر حكمه وحكم خلفائه إلى سنة ١٢٣٤ وبوصول خليل باشا الذي أقر باسم الدولة العثمانية على بن حيدر على المخلاف السليماني ووادى (مور) وأقر الإمام (محمد بن يحيى المتوكل) على القسم الجنوبي من الزيدية إلى باب المنتدب مع الجبال مقابل (خراج) للدولة .

ظلت الحالة على ذلك الوجه تقريباً مع استيلاء العسيريون في فترات على كثير من بلاد تهامة إلى الحما إلى سنة ١٢٦٤ فوصل توفيق باشا ومحمد بن عون لاستلام البلاد باسم الدولة العثمانية فقابلته الإمام محمد بن يحيى وصعد ببعض القوات التركية إلى صنعاء وبعد وقت قصير هاجم صنعاء على بن المهدي وطرد الحامية التركية وقطع رأس الإمام محمد بن يحيى وبعده تولى المنصور أحمد ابن هاشم سنة ١٢٦٥ وكان الموضع التقريبي في جنوب الجزيرة في عام ١٢٦٦ كالآتي :

١- تهامة وبعض الجبال الجنوبية تحت سلطة الأتراك .

٢- حراز وأعمالها للمكرى صاحب نجران .

٣- صنعاء وأعمالها تتأرجح بين سلطات الأئمة الزيدية .

الأعلى فيما بين دمار وصعدة ، وقد يتقلص عن تلك المساحة وينحصر في صعدة ، ولم يكتب له التوسع النسبي إلا في عهد الإمام شرف الدين في القرن العاشر ، ثم بعد ذلك استولى الأتراك على اليمن إلى عهد الإمام المؤيد (١٠٢٩ - ١٠٥٤) وهو أول من امتد حكمه على بلاد اليمن سهله وجبليه ، وعم سلطانه البلاد اليمنية التي تدين بمذهب الشافعي في السهل والجبال .

وكانت من أول القرن الثالث - العهد الزيادي يحكمها أمراء أو ملوك سنون فكان الاختلاف المذهبي داعياً لعدم الانسجام في العهد الجديد - وبقدر ما ابتعد الشوافع من حكاهم استراب الأئمة فيهم واشتدوا في الحكم عليهم .

وقد وجد أهل اليمن الأسفل القسم الشافعي وأهل تهامة في الحكم التركي على ضعف إدارته ، وقلة نفوذ سلطانه ، وإهمالهم لشؤون البوادي ، ما يتواءم

= وقعت بين الإمام إسماعيل المتوكل ، وعلماء العصر مطارحات ، منها ما هو التكفير بالالزام الذي يذهب إليه الإمام - نفسه - ووضع في ذلك رسالة مطبوعة القاضي الحيرثي ومنها في شأن التأديب الذي يعم البلاد ، وسببه خاص ، ومنها في شأن المكوس والحجابي ، ومنها ما يتعلق بالزكوات .

ولما سأل الإمام إسماعيل عن هذه المطالب الشهيرة ببلاد اليمن الأسفل - يلاحظ أن اليمن الأسفل هو (تعز) - إب - العدين - بعد أن - ملحان - ريمه ، وقنس وغيرها ، وكذا في مايسى حالياً باليمن الجنوبي وتهامة اليمن وغيرها في تلك الجهات - وسبب أخذها واستحصاها منهم ، فكان من جملة جوابه على السائل ما يأتي :

(ان في مذهب أهل العدل - الزيدية - أن المجبرة والمشبهة كفار . . .) وكان الإمام المهدي . أحمد بن الحسن بن القاسم لا يتحمل وجود فقهاء الشافعية في مساجد تعز ، ويسمهم كفار التأويل . ومن رسائل هذا الإمام - المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم - قبل توليه الإمامة - إلى عمه الإمام إسماعيل قوله : انه يتعجب حيناً يرى فقهاء الشافعية يؤمنون الناس في مساجد تعز مع وجود فقهاء الزيدية وانهم - أى فقهاء الشافعية يعلمون عقائدهم الخبيثة في مدارسهم ومساجدهم . وانه يرى أن الأئمة الذين سبقوا المتوكل كان لهم عذرهم في عدم القضاء على الشافعية بسبب وجود دول شافعية في اليمن في الماضي ، أما بعد انفراد الأئمة الزيديين بحكم اليمن فيجب على الإمام أن ينقل قضاه فيهم .

مع ميوهم المذهبية وعقائدهم السنية ، وظل الأتراك على حكم جنوب الجزيرة حتى كان غزو (إيطاليا) لطرابلس وإعلان إيطاليا الحرب على تركيا .

وكان أول ثائر على الأتراك في تهامة محمد بن علي الإدريسي - راجع الفصل الخاص بالإدريسي - وتلاه الإمام يحيى في القسم الجبلي الأعلى ، حيث يتركز المذهب الزيدي - واتصل الإمام يحيى بالإدريسي للتنسيق في غايتهما الثورية ضد عدوهما المشترك - راجع الفصل الخاص بالإدريسي والإمام يحيى - ثم اختلفا وسار كل منهما في طريقه وبصفة الإمام الإدريسي شافعي المذهب فقد تجاوب معه كل أهل تهامة ، بل وبعض شافعيي أهل الجبال كأهل ، ملحان وريمه وعبال وصعفان وغيرهم ولو طال به العمر لكان انضم إليه اليمن الأسفل - راجع الفصل الثامن - الإمامين الإدريسي ويحيى - وراجع الفصل الثاني نظرة الإدريسي إلى الإمام يحيى .

وكان الإدريسي قريباً إلى نفوس أهل تهامة محبباً إلى قلوبهم ، نعرف ذلك من ميل أهل تهامة إليه ، وهذه قبيلة (القُحْرَا) وهي من أعنى قبائل تهامة بعد أن أسرت البعثة البريطانية المتوجهة من الحديدة إلى صنعاء لم تستجب لنداءات الإمام يحيى في إطلاقهم ولا لإغراءات الإنكليز أو تهديداتهم ، وإنما لنعومة السياسة الإدريسية وقربها إلى مفاهيمهم ، استجابوا لنداء الإدريسي وسلموا البعثة المأسورة لرجاله فأضاف إلى رصيده السياسي لدى الإنجليز رصيداً جديداً من مكاسبه تسليمه مدينة (الحُدَيْدَة) في عام ١٣٣٨ التي احتلها الإنكليز ، ولم يسلموها للإمام يحيى - كما تقدم .

لقد توفي الإدريسي في شهر شعبان سنة ١٣٤١ وقد مضى على ثورته ضد الأتراك خمس عشرة سنة وعلى تسلمه مدينة الحديدة ثلاث سنوات ، وإنما كان في خلال هذه البرهة اليسيرة قد رسخ حكمه فيما استولى عليه من تهامة اليمن فضلاً عن مسقط رأسه أو موطن انطلاق ثورته - المخلاف السليماني - وتعمق له الولاء وتعلق الناس بشخصيته وإنما لم يكن له الخلفُ الذي يحافظ على مكاسب الإمارة ، فقد تولى خلافته ابنه الأكبر علي بن محمد فعارضه عمّه ، ثم سويت المسألة على دَحْنٍ ، فثار عليه قريبه مصطفى

الإدريسي ، ولم يُنهِ الخلاف إلا بعد حركات وخسائر أوهنت قوى الإمارة - راجع الفصل الخاص بثورة مصطفى الإدريسي - والإمام يحيى يتربص على حدوده الشمالية الغربية ، ويعمل بكل جهد للانقضاض على النصف الجنوبي من الإمارة الإدرسية - كما تقدم - بعنوان الحالة في القسم الجنوبي من الإمارة الإدرسية - إن الإمام يحيى والإدريسي هما من رجال هذه الأمة باسمها قاما وبأبنائها قاتلا ، وقد حررا الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية من الأتراك ، وكان الإمام يحيى أقرب إلى نفوس الأتراك ، وبموجب معاهدة صلح القسطنطينية بين الأتراك والحلفاء القاضية بانسحابهم من البلاد العربية وغيرها سلموا ما تحت أيديهم للإمام يحيى ، أما الإمام الإدريسي فقد أخذ منهم عنوة الخلاف السلياني والجزء الشمالي من تهامة ، كما سلم الأتراك عسير لأهلها وبدورهم بموجب معاهدة صيبا انضموا إلى الإدريسي أولا ثم استسلم أمير مكة فنقضوا ما أبرموه مع الإدريسي ، ثم اختلفوا مع الرياض التي دعيتهم للانضمام إليها كأسلافهم ، فاستولت الرياض على عسير كما تقدم .

بالرغم من قصر المدة بين أمر استيلاء الإدريسي على البلاد الجنوبية من الأتراك وموته وإسناد الأمر بعده إلى ابنه إلا أن عمق الشعور تجاه تلك الإمارة في تهامة كان أعظم مما يُقدَّر ، فبعد ثلاث سنوات من استيلائه على مدينة الحديدة أي في سنة ١٣٤٤ توفي الإدريسي ، فاستولى الإمام يحيى على النصف الجنوبي من تلك الإمارة من (عبال) والضحي وميدي ، إلا أن روح الطائفية الحديدة والتعسف المذهبي جعل أهل تهامة يعربون عن استيائهم ، بالثورات المرتجلة والحركات الفجة الطائشة أملأ أن يعود إليهم الحكم الإدريسي ، الذي يوائم ميولهم .

١ - فقامت ثورة في بلاد عيس تزعمها شيخ عيس محمد الشوكاني فقضي عليها والتجأ إلى الإدريسي ثم إلى ابن سعود .

٢ - وتلاه ثورة بني مروان وتجمع قبائل تلك القبيلة لمهاجمة مدينة

مَيْدَى ، وضرب نطاق الحصار عليها ، فوصلت الإمدادات من الحكومة المتوكلية وشتَّتْ شملهم وقضت على حركتهم الفاشلة .

٣ - ثورة قبائل صليل بقيادة أحد شيوخهم المسمى (القوزي) وجماعة معه منهم شيخ بلدة الزيدية وبعد مناوشات وصلت الإمدادات من صنعاء وقضى عليها فالتجأ القوزي ورفقاؤه إلى الإدريسي في صبيا أملا في أن ينجدهم بقوات ، ويعود أمرهم إليه في حال أن الإدريسي قد أصبح تحت الحماية السعودية بموجب معاهدة مكة .

فرفع إلى الرياض عن التجائهم وطلبهم المساعدة فنُصِّح بعدم التدخل في شؤون اليمن ، ولما يشؤا من أي إمداد أو عون رجعوا إلى بلادهم طالبين العفو .

فالحكم الجديد غير منسجم مع طباعهم وميولهم المذهبية ، وحالتهم كما قال المؤرخ اليمني صاحب كتاب « اليمن عبر التاريخ » حول انهيار المقاومة المتوكلية في تهامة وأسبابها وتقدم الجيش السعودي إلى قرب زبيد . . موقف الرجعية - يقصد حكومة الإمام - السلبي في اليمن وتسامح حكامها الذين لا يهتمون إلا بمقدار ما يكفل لهم الاستمرار على عرش الحكم ، بالإضافة إلى ما ارتكبه مع عمالهم من ظلم واستغلال ، وبث الروح الطائفية والمذهبية والطبقية ونحو ذلك مما كان مدعاة للسخط والتبرم جعل الأهالي ولا سيما أهل الأطراف منهم - يقصد أهالي تهامة - يفضلون الانضواء إلى أي بلد .

نشاط قوات الإمام والأدارسة

لم ترض اليمن سحب قواتها من (نجران) ولم توقف نشاط الأدارسة فقام عبد الوهاب الإدريسي وأنصاره بنشاط مكثف في المنطقة الجبلية السعودية ومهد للقوات المتوكلية بالاستيلاء على (بني مالك) و (فيفا) والعبادل وغيرها وكان هو الطليعة في التمهيد وتحريض تلك القبائل ، وبذل الرغائب ، وكان على اتصال بولي عهد اليمن السيف أحمد الذي اتخذ مركز قيادته في صعدة للحملة المتقدمة على (نجران) .

وقد هاجمت القوات المتوكلية بعد استيلائها على (بني مالك) و (فيفا) و (العبادل) وغيرها ، هاجمت بلدة العارضة ، والاستيلاء عليها كما هاجمت الخوبة من بلاد بني الحُرث وإنما استطاعت حاميتها صدّ الهجوم.

الاستعداد :

نتيجة لما سبق أخذت الحكومة للأمر أهميته ، وتواردت القوات إلى منطقة جازان من (نجد) و (الحجاز) ، وعند تكامل وجودها خرج أمير المنطقة حمد الشويعر ، وجمع تلك القوات وضرب معسكره في (الواصلي) ثم نقله إلى (أبي عريش) وعندما تكاثرت الجيوش واشتدت الأزمة صدر إليه الأمر بنقل معسكره إلى (صامطة) وتواردت إليه الإمدادات برّاً وبحراً .

اشتراك قبائل منطقة جازان :

تقدم شيوخ ووجهاء المنطقة إلى حمد الشويعر وطلبوا منه قبول اشتراكهم في الجيش فوافق بعد الرفع للملك ، فأقبلت قبائل المنطقة بشوكاتها ومجاهديها واستدعى حمد الشويعر (حمود سرداب) وزير حرية الإدريسي الأول وطلب منه أن يكون بجانبه ، ويتولى أمر شوكات المنطقة الذي بلغ تعدادة نحو خمسة آلاف مقاتل وكانوا في أثناء تقدم القوات في مقدمة طلائع الجيش السعودي لما لهم من خبرة في الحدود والبلاد المجاورة لمنطقتهم .

الاجراءات الدفاعية والوقائية :

أمرت الحكومة في شهر الحجة سنة ١٣٥١ بإنشاء قلعة في جازان وباشر تعميرها أمين المالية الشيخ عبد الله القاضي على جبل (الشريف) في جنوب المدينة ، وعرفت فيما بعد باسم (الدوسرية) باسم أول كتيبة عسكرت بها وبلغ تكاليف تعميرها زهاء أربعين ألف ريال ، وهو مبلغ له قيمته في ذلك العهد .

وتمّ بعد ذلك تعمير :

١ - قلعة متوسطة في الحفائر عطن الماء .

٢ - تجديد النوبة الوسطى في طريق جازان - الحفائر .

٣- تجديد التوبة إلى دونها والتي موقعها بين النوبة المتقدم ذكرها والمطلع .

٤- إنشاء برج على الشاطئ الجنوبي فوق العمارة الحالية لمركز خضر السواحل .

٥- تعمير قصر في مركز الخوبة في بلاد بني الحرث .

٦- تعمير قصر في مركز العارضة .

٧- ترميم قلعة (صبيا) وقد هدمت في هذا التاريخ وبني في مكانها مدرسة صبيا والتي قرب السوق .

٨- ترميم قلعة صامطة .

٩- ترميم قلعة الحقو .

١٠- ترميم قلعة فرسان المعروفة بـ (القشلة) .

وعندما تأزم الموقف ونقل المعسكر الرئيسي من (الواصلي) إلى (أبي عريش) ثم إلى (صامطة) أمر بالإجراءات الآتية :

١- إقامة معسكرات فرعية في الجهات الآتية :

(أ) معسكر خارج مدينة أبي عريش بقيادة ابن سلطان .

(ب) معسكر في العارضة بقيادة سعيدان محمد .

(ج) معسكر في الحسينية .

التحرشات :

أشرنا إلى نشاط عبد الوهاب الإدريسي في القسم الجبلي لـ (بني مالك) و (فيفا) و (العبادل) وغيرها ، يُمهد للجيش المتوكلي الذي استولى على تلك الجبال وأخذ من شيوخها رهائن واعتقل بعض المشايخ في صعدة .

وبعد ذلك تقدمت قواته وهاجمت بلدة العارضة فهزم قائد المعسكر (سعيدان محمد) وانسحب ، كما هاجمت مركز الخوبة ولكن حاميتها صدت الهجوم .

وعلى أثر ذلك بعثت الحكومة قوة استعادت مركز العارضة فانسحب الجيش المتوكلي إلى جبل (سلا) المطل على بلدة العارضة .

تحرك الشويعر من صامطة :

صدر الأمر بتحرك المعسكر السعودي في صامطة إلى بلاد (بني حُمَد) قرب الحدود المباشرة .

وظل هناك نحو شهرين وقد اجتمع تحت قيادته ما ينوف على ثلاثين ألف مقاتل وإنما الأوامر كانت تصل إليه بالتوقف عن أي تحرش أو تعدي ، إلا إذا هوجم الجيش .

الجيشان في الميدان الغربي :

يتألف الجيش السعودي في الميدان الغربي الجنوبي من نحو ثلاثين ألفاً من الفرسان والمشاة المحمولين على السيارات والإبل ، ومعهم نحو عشرة آلاف جمل لحمل المؤن والعتاد للأماكن الصعبة المسالك ، وسيارات للنقل والاتصالات ومواصلات ميدان لاسلكية ، وسلاح موحد جديد ألماني ذو الخمسة الطلقات ، ويتألف مجموعه من : (٣٠٤٠٠) :

٥٤٠٠ مقاتل تقلهم ثلاث مئة وخمسون سيارة نقل كبيرة .

٢٠٠٠ ألفا فارس

٢٠٠٠٠ عشرون ألف على الإبل السريعة .

٣٠٠٠ مشاة : ومع الجيش : ٢٠ عشرون سيارة مصفحة و ٢٠

عشرون رشاشاً و ٢٠ عشرون مدفعية .

ويتألف الجيش المتوكلي المرابط في حرص من نحو خمسة آلاف من الجيش النظامي و ١٥٠٠٠ من الشوكات المجندين من أهل الخميسين وأسلم وحجور وبني مروان .

معه ٢٠ من الرشاشات .

بطاريتا مدفعية .

٥٠٠٠ وفي مدينة مَينَدي من الجيش النظامي خمسة آلاف .

٥٠٠٠ من المجندين الجيش مسلح بالبندقية الإيطالية والرشاشات .

وسلاح الجيش النظامي البندقية الإيطالية المسماة (طالب الشر) وسلاح
المجندين خليط من البنادق القديمة المصنوعة قبل الحرب العظمى من ذات
الرصاص الواحدة (أم حبة) .

كان مركز قيادة الجيش المتوكلي في المنطقة الجنوبية الغربية في بلاد
عَبَّس ، جنوب حرص بقيادة عبد الله بن الوزير - كما سبقت الإشارة
في برقية الإمام إلى الملك عبد العزيز المؤرخة ٢٤ / ٩ / ١٣٥٢ وإنما بانتداب
ابن الوزير مع الوفد الذي توجه إلى أبا أسند قيادته إلى شخص آخر ،
وما القوات التي في حرص وميندي سوى طليعتين لذلك الجيش .

التهديد للهجوم :

إن لـ (حرص) أهمية (استراتيجية) نرى أن الكثير من الجيوش الغازية
لتهامة اليمن تبدأ بمهاجمته فقد هاجمه (١) (توران شاه) أخو صلاح الدين
في تقدمه إلى زَبِيد كما بدأ بمهاجمته الإدريسي في حروبه مع الأتراك ،
وفي تاريخنا الحاضر هاجمه الجيش السعودي بقيادة حمد الشويعر .

إن موقع بلدة حرص وسط بين الساحل والجبل ، فالجيش الذي
يستولى عليه يشطر البلاد إلى شطرين ويتقدم منه في قلب المنطقة ويقطع
كل اتصال بين المدن الساحلية وبلدان المنطقة الوسطى .

أقام الجيش السعودي - بعد انتقاله من أبي عريش - في ضواحي بلدة
صامطة ، ثم نقل معسكره إلى بلاد بني حُمَد ، ثم انتقل إلى أقرب نقطة
من الحدود بحيث لا تعدو المسافة بين الجيشين ١٥ كيلا .

وبطبيعة الحال فإن للجيشين استخباراتهما وجواسيسها وغيونهما من يوافيهما
بالأخبار وأدق المعلومات - على قرب تلك المسافة - كل ساعة تقريباً .

(١) هاجمه قبل (توران شاه) على بن مهدي من الناحية الجنوبية .

ولهذا فقد كان على قيادة القوات المراقبة في حرّض عامل حرّض علي السياني ، وقد أعدّ خطته الدفاعية على عدوة وادي ابن عبد الله شمال حرّض وحفر الخنادق ووضع الاستحكامات الترابية ، وموضع للرشاشات ، كما وضع خطاً طليعياً متقدماً مثل الخط الأول ، وخطاً ثالثاً في أسفل البلدة يمتد شمالاً الشرقى قاعدته قلعة المدينة ، وهي قلعة حصينة بالنسبة إلى وسائل الدفاع آنذاك .

ويعتقد أنه كان يؤمل أنه يستطيع إيقاف الهجوم السعودي ، حتى توافيه القوات المراقبة في عبس ، كما هي خطة الإمام يحيى الذي كان يعتقد أنه بإيقاف الهجوم السعودي وكسر حدة هجمومه تمكنه المطاولة وأن تكون حرب استنزاف بالنسبة إلى بُعد مواصلات الجيش السعودي من مركزه الرئيسي .

ويمكنه بعد ذلك القيام بالهجوم المضاد الجارف ، وتكون قد خارت قوى الجيش السعودي ، واستنزفت موارده - كما يظن - ومن ثمّ فإنّ لم يكن النصر له تُسوَّى المسألة وفقاً لرغبته .

إلا أن قائد جهة الطليعة وعامل حرّض علي السياني كان محتاطاً في تصرفاته الدفاعية ، فقد شحن القلعة التي في جنوب شرق حرّض ، بالمؤن والعتاد ومواد البناء ، احتياطاً ، فيما لو لم تَصْمُدْ خطوط الدفاع فقد يكون له من القلعة موقع دفاعي يمكنه من الصمود حتى يعيق تقدم القوات المهاجمة ولو بعض الوقت حتى تتوارد الإمدادات والنجدات السريعة إليه .

التهو :

وعندما أخفقت المفاوضات - كما أشرنا من قبل - صدرت الأوامر إلى سائر الجهات السعودية بالهجوم وحدد الوقت في فجر يوم الثلاثاء الموافق ١٣٥٢/١٢/١٨ .

لقد أشرنا أنه لم يكن يفصل بين الجيشين أكثر من خمسة عشر كيلاً بل تقصر المسافة في بعض المنحنيات إلى عشرة أكيل ، ومسافة كهذه لا تجعل

للمباغطة قيمة ، لأن عيون كل فريق ترصد حركات الآخر ، وإنما قد يخطئ التقدير ، وتخون الثقة صاحبها ، وألعبنا إلى أن خطة الإمام يحيى هي المطاولة ما أمكن ، ثم حرب الاستنزاف والدفاع على الحدود حتى تنهأ الفرصة أو يحصل على ما يريد بالصلح والتسوية .

الهجوم :

عَبَّأَ حمد الشويعر جيشه وأمره بالاستعداد الكامل ، والتَّهَيَّأَ التام ، وانتظار ساعة الصفر وبعث أرساده وعيونه وجواسيسه على طول الحدود من ساحل المُوسَّم إلى جبل (أبو النار) ، وقطع كل اتصال بين الجهتين ، والمواصلات بين الطرفين .

وعند منتصف الليل تحرك المعسكر بأسره ، واستعدت السيارات والمصفحات والمدفعية المحمولة في السيارات ، وتقدمت الخيل في تَوَدَّةٍ وهدوء ، وبدأ الجيش سيره على طول جبهة حرض وتوقف على بعد خمسة أكيال أو أقل بفرسانه ومصفحاته ورشاشاته ومدفعية وسياراته ، وعندما حان وقت صلاة الفجر صلى الجيش جماعات جماعات وبعد انتهاء الصلاة صدر الأمر بالهجوم ، ودَوَّى القضاء بشعار الهجوم بصوت واحد (يا مالِك يوم الدين إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وتلاه دَوَّى طلقات النيران والمدفعية كالرعد القاصف ، والزلازل الراجف ، وانطلقت الفرسان تَرَجُّ الأرض بسنابكها ، فارتجفت بلدة حَرَضٍ ، من وراء خطوط الدفاع بسكانها فاختلعت القلوب من أبدانها .

وتقدمت الطلائع من الخيالة في جانب ، والمصفحات والسيارات تُبارِيها من الجانب الآخر كالسيل الحاشر ، والطوفان الزاخر ، يَطُمُّ ما قبله ، ويردم ما يعترضه .

وانطلقت عليهم النيران من خنادق الدفاع واستحكمت الخطوط الأمامية وأوْكَار الرشاشات كجحيم البراكين ، وإنما كما قال الراجز :

صَادَفَ دَرَّةَ السَّيْلِ دَرَّةٌ يَدْفَعُهُ يَرْفَعُهُ حَيْثُ وَحَيْثُ يَضَعُهُ

وسرعان ما اكتسح الخط الطبيعي وتلاه الخط الأول والثاني وسقطت البلدة في يد القوات المهاجمة فانسحب القائد حاكم البلد على السباني ، مع بعض فلول قواته واحتياطيه إلى قلعة حرّض ، فضرِب على القلعة نطاق الحصار ، وتوغّل الجيش جنوباً خمسة عشر كيلاً ، وبعث سراياه للضواحي المجاورة ، وقطع خط السلك بين حرّض وعبّس وحرّض وميّدي وميّدي وعبّس واللحيّة والحديّدة ، وانسحب فلول المجنّدين إلى أوطانهم وكل ما مروا بمجنّدين ورأوا ما هم عليه سرّت إليهم العُدوّى ، فانسحبوا بدورهم إلى آخرهم وهكذا .

وتدفقت رسائل مشايخ تهامة على القائد الشويعر من باجل شرقاً إلى زبيد جنوباً ووصلت كتب هادي هبيج أكبر مشايخ تهامة ، وعامل وادي مور والزهرة واللحيّة بالمولاة فأجابهم الشويعر بكل ما يطيب خواطرهم ، ويطمئن نفوسهم ويستقطب ولاءهم .

وظل في حرّض اثني عشر يوماً ينتظر تسلم القلعة ، ووصول الأمير فيصل بن عبد العزيز القائد العام للجيّة الجنوبية الغربية .

ظلت القلعة صامدة اثني عشر يوماً تصلّيها المدفعية نارها ، والسباني يعمر ليلاً ما تهدّم منها نهراً ، وفي مساء ليلة السبت الموافق ١٣٥٢/١٢/٣٠ التمس في هدأة الليل غرة وفرق أصحابه إلى جماعات صغيرة ، وحدد لهم مكاناً للتجمع بعيداً عن طائلة المعسكر في الناحية الشرقية ، وقد تنكروا في زيّ القبائل المحلية ، وترك جماعة قليلة يطلقون بين الفينة والفينة طلقات متقطعة وتسلسل من القلعة ثم لحق به من تأخر حتى لم يبق أحد فيها .

وفي الصباح كشف الأمر ، فأرسلت سرية من الجيش لمطاردته فلم تظفر به .

وبعد أن رتب الشويعر شؤون حرّض ، واستقبل من استقبل من شيوخ قبائل تهامة اليمن تحرك بالجيش صوب قرية (المخازن) الواقعة شرق مدينة ميّدي ، وامتد معسكره من قرب حدودنا في جهة المُوَسَّم إلى وادي (حبران) بالحاء المهملة .

الفصل الحادي والعشرون

غزو اليمن

وصول الأمير فيصل بن عبد العزيز لتولى قيادة الميدان

في يوم ٢٧ / ١٢ / ١٣٥٢ في نحو الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الزوالي وصل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل مدينة جازان ، بطريق البر ، ترافقه زهاء مئة سيارة ، وقد استعدت المنطقة من القحمة إلى المُوسَم للاحتفاء بسموه ، فنشرت الأعلام ونصبت الزينات في كل قرية وبلدة ، واستقبله الأهالي بالاحتفاء والابتهاج .

أما مدينة جازان فكان لها القسم الأكبر ، والنصيب الأوفر ، فاستقبله أهالي المدينة ووجهاؤها في المطلع بالتكبير والتهليل والابتهاج ، فسار موكبه يشق الكتل البشرية حتى قلعة الدوسرية التي قد هيئت وفرشت وخفقت على أبراجها الأعلام ، وبعد أن استقر به المجلس أذن للوجهاء والأعيان والمشايخ بالسلام على سموه وألقى شاعر جازان الشيخ علي بن محمد السنوسي قصيدة الترحيب بسموه كما أقام في الظهر وكيل أمير جازان سعود الشويعر مأدبة حافلة على شرف سموه ، ودعى إليها وجهاء جازان وأعيانه وشيوخه والقبائل المجاورة للمدينة وأعيان أهل أبي عريش وصبيا الذين توافدوا للترحيب والسلام على سموه ، وبعد أن أقام يومين تحرك ركبته إلى (المُوسَم) فاستقبل من قبل أميرها والجيش والمعسكرات والأهالي ، فظل فيه بقية يومه وليلته ، وفي الصباح تحرك موكبه إلى معسكر المُوسَم فاستقبل استقبالاً رائعاً وقضى بقية يومه في المُوسَم ثم تحرك إلى المعسكر الرئيسي في قرية (المخازن) .

تحرك سموه إلى المخازن :

كان المعسكر الرئيسي للجيوش السعودية قد أخذ في الاستعداد لقدوم سموه والمسافة بين المُوسَم و (المخازن) نحو ثمانية عشر كيلاً تقريباً ، وما أهل الموكب حتى اهتز المعسكر وهب لاستقباله بكل ضروب الإجلال

والإبتهاج والاحتفاء ، وتقدم قائد المعسكر حمد الشويعر ، مع ألف من الفرسان لاستقبال سموه على مسافة سبعة أكيال ، وأطلقت المدافع تحية لسموه ، وبعد أن استراح دقائق في المخيم الخاص الذي ضرب لسموه أقبل قادة السرايا ورؤساء المجاهدين وشيوخ القبائل للتشرف بالسلام عليه .

قام الجيش باستعراض رائع وأطلقت المدافع والرشاشات والبنادق فكان دوي قاصف ارتجت له الأرض ودَوَّى الفضاء وثار عِثِيرُ أُنْثَى فارس اشتركت في الاستعراض الرهيب فأطار ذلك بالبقية الباقية من صواب (العرشي) عامل مَيْدِي وجيشه والسكان بين حرض ومَيْدِي وَعَبَسَ ووادي مَوْر ، وانسحب جيش معسكر عَبَسَ ، مع قاداته إلى الجبال وبعضهم إلى بلدانهم .

مدينة مَيْدِي :

مدينة مَيْدِي بخصونها الشاغمة ، وقلعتها المنيعة ، وعاملها (العرشي) المعروف - قبل ذلك - بالدهاء ظنَّ أن ليس من السهل احتلالها ، لذلك أخذ الشويعر وأركان حربه في إدارة أوجه الرأي - بعد التشاور مع القيادة العليا - واتخاذ الترتيبات اللازمة وإعداد الخطة الحكيمة ، والقيام بالاستكشاف ، وسبّر مناعة استحكاماتها ومواقع دفاعها ، وعداً حصونها وقلعتها ، هنا قلاع صغيرة على موارد الماء ووكر للمدافع من الشمال ، وقلعة في الطرف الجنوبي من جزيرة (الدَّوَيْمَة) التي تمتد من ساحل المَوْسَم إلى مَرْسَى مَيْدِي ، أي إن قسماً من الجزيرة في حدودنا ، كما أن في مرسى مَيْدِي الرئيسي - (الخور) - قلعة ، واستحكامات .

لذلك فقد أخذت المدفعية بضرب الاستحكامات والقلاع التي خارج المدينة ، كما قامت سرية من معسكر المَوْسَم بغارة ليلية موفقة على قلعة الدَّوَيْمَة قضت على حاميتها بال سلاح الأبيض .

كما قامت كوكبة من الخيل بعملية استكشاف وحركة التفاف حول المدينة في وضع النهار فتمحرت من معسكرها (المخازن) متجهة شمالاً ،

ثم انخرفت غرباً ما بين المدينة ووكر المدافع الغمالي إلى قرب ساحل البحر (مَرَسَى البُغْلَة) ثم مرت من غرب القلعة الغربية واتجهت جنوباً ، والناس تشاهد تحركها من فوق سطوح البيوت والحصون ، في دهشة وخوف ، بدون أن تتحرك القوات التي في المدينة لاعتراضها بل والعرشي نفسه يشاهدها من أعلى قَصْرٍ بِاصْهَيٍّ - الذي هو مقر إدارته - وبعد أن اتَّجَهَتْ جنوباً أصدر أمره بالنفير على حامية القلعة الغربية باطلاق قذائف المدفعية عليها ، في حال أنها قد توغلت جنوباً وحجبتها الآكام ، ثم سلكت ما بين مَيْدِي وقرية (حَبْل) وعادت إلى المعسكر سالمة .

• وعلى أثر ذلك أرسلت سرية فاحتلت قرية (حَبْل) كما أرسلت سرية أخرى فاحتلت قرية (الدَّيْر) مركز وادي (حيران) - بالحاء المهملة - وبذلك طوقت مدينة مَيْدِي من جميع النواحي ، وعلمت القيادة أن المعسكر الرئيسي في بلاد عبس قد انسحب ، فأرسلت سرية لاحتلال بلاد عبس ومعها شيخ (عبس) السابق محمد الشوكاني .

ظل العرشي كالطير في قَفَصٍ ، أعْمَى البصيرة ، محطم المعنوية قد تسلل من عنده المخذون ولم يفضل لديه إلا الجيش النظامي ، فاندعت لديه الرؤيا الصحيحة ، والتصورات الواضحة ، وساء ظنه بأعيان المدينة ووجهاتها فزج بهم في السجن .

أخذ فكره يدور في دَوَّامة من المتناقضات ، وعقله يتخبط في أمواج من التشويشات والسلبيات ، فتارة يعزم على المقاومة ، ويأمر ببناء استحكام الرشاش ، في أعلى قصر باصْهَيٍّ - مقر إقامته ، ودائرة عمله - فَيَبْتَنِي على وجه السرعة ، ويستعد للحصار بالماء والأرزاق وأخرى يعزم على الخروج متسللاً كما فعل زميله - عامل حرض السياني ، وأخيراً وفي ليلة ٧ محرم ٥٣ عزم سراً على الانسحاب خلصة ، مع جيشه ، وبصورة سرية استدعى ضباط الجيش وأوعز إليهم بأن يحضروا سراياهم إلى ساحة مقره بعد المغرب ، مباشرة مُؤَرِّباً بأنه سيهاجم المعسكر السعودي ، على غيرة ، وبحضورهم سار بهم لناحية الشمال الشرقي قليلاً ، ثم أمرهم بالانحراف إلى ناحية الغرب

إلى جهة (المرسى) وكان قد أمر بعدم إقلاع السفن الموجودة فيه تحسباً للفرار عليها ، إذا أُلجأ الأمر إلى ذلك وبوصوله إلى المرسى ، وجد أن جميع السفن قد أُلقت ، فصارح كبار جيشه بالحقيقة ، وأمرهم بالانسحاب عن طريق الساحل إلى اليمن ، وركب سيارة (كبيرة) ليسبقهم فتعطلت ، فركب بغلته وسار مع الجيش .

فشاع خبر انسحابه في المدينة ، فإذا هي تندب حظّها وتبكي شجوها ، وكان وجهاء المدينة في السجن على رأس أحد تجارها إبراهيم بن حسن الرفاعي ، فخرجوا من السجن وتمّ بعد التشاور السريع بعث رفاعي رسولا إلى المخازن ، على وجه السرعة يحمل مصباحاً لاخبار القائد بالأمر وطلب منه إرسال من يتسلم المدينة ويؤمن أهلها .

فسار الرسول فلقى دورية من دوريات الجيش فأخبرهم بمهمته فأركبوه وراء أحد الفرسان وأسرع به إلى المعسكر وأوصله إلى حمد الشويعر الذي استصحبه بدوره إلى الأمير فيصل فأصدر أمره في الحال بما يأتي :

١ - إرسال قوة خفيفة من الجيش لحفظ المدينة وتأمين أهلها .

٢ - إرسال دورية من الخيالة تطوف حول المدينة وتمنع كل متسلل من الخارج .

٣ - الأمر على القيادة بعدم دخول أي فرد من الجيش إلى المدينة - غير من ذكر .

وتقدمت القوة الخفيفة مع رسول الأهالي ، ودخلت المدينة فاستقبلها وجهاء الأهالي وباشرت بإجراءات حفظ الأمن ، كما تقدمت دورية الفرسان ، وباشرت عملها بالطواف خارج المدينة ، وقامت سيارة من السيارات التي تقل القوات الخفيفة تخبر القيادة بتسلم البلدة ، وبوصولها قام سمو الأمير فيصل يرافقه حمد الشويعر ومعهم فرقة من الجيش إلى أقرب نقطة من المدينة ، وظل سموه ساهراً طيلة ليله يُصدّر الأوامر والتعليمات ، وعند شروق الشمس دخل المدينة واستقر في قصر بآصهيّ مقر الحاكم الأول .

تعقب العرشي والجيش المنسحب :

علمت قيادة الجيش السعودي بعد استيلائها على مدينة مَيْدِي ، بحقيقة انسحابه برأً بطريق الساحل ، فقد كان الخبر لديها قبل ذلك ، بأنه ركب السفن إلى الحُدَيْدَة ، فصدر الأمر لسريتين من الجيش بمطاردته ، وكان العرشي وجيشه المنسحب من مَيْدِي في حوالي الساعة السابعة والنصف من المدينة وصل إلى المرسى في حوالي الساعة الثامنة والنصف فوجد السفن التي قد احتاط بها قد أقلعت ، وبعد الأخذ والرد قرر السير بطريق الساحل ، فركب سيارة شحن لتسرع به قبل الجيش فتعطلت ، فركب بغلته وسار مع الجيش ، والمسافة بين مَيْدِي ، وحَبْل لا تتعدى الساعتين للماشي المريح فانهم لم يقطعوها إلا في نحو ثمان ساعات ، لأنهم إن قربوا من الشط غرزت دوابهم وأقدامهم ، وإن بعدوا عن الشط خافوا أن تشعر بهم دوريات العدو ، أو متخطفة القبائل ، فإن الجيش المهزوم عرضة لكل شر ، لهذا كان ببطء سيرهم ، ومع تباشير الفجر شاهدتهم دورية السرية التي في قرية حبل ، والساحل يبعد عن القرية بنحو خمسة أكيال فعادت إلى رئيسها وأخبرته بالأمر فأخذ في الاستعداد للخروج لاعتراضهم فإذا سيارات السريتين مقبلة ، فأخبروهم بأمرهم ، فتحركوا لمطاردتهم في سرعة وتصميم ، وتقدم فصيل الرشاش ، وعند مشاهدتهم قام بحركة التفاف لقطع خط سيرهم ، وأطلق عليهم النيران ، ودارت المعركة واستمرت ثلاث ساعات ونصف أكثرها في المساء وبين الشورى^(١) وبالسلاح الأبيض ، وانتهت المعركة بأسر العرشي ، ومن بقي من جيشه وعادوا بهم إلى مَيْدِي ، فأمر بارسالهم إلى جازان ، وظلوا في الأسر إلى أن أبرم الصلح بين الحكومتين .

مغادرة عمال اليمن لتهامة :

وبسقوط مَيْدِي وعَبَس انسحب عمال الإمام على تهامة إلى صنعاء وغيرها من القسم الجبلي ، كما انسحب بقية الجيش المتوكلي من مراكزه ،

(١) أشجار ساحليه معروفة ، أوردنا اسمها ووصفها في كتابنا « المعجم النباتي لمنطقة جازان » المد للطلع .

وتقدم من لم يتقدم من شيوخ تهامة بالكتابة للقيادة السعودية بولائه أو القنوم بنفسه لتسليم بلاده .

كما أكد الشيخ هادي هيج رسائله بالولاء والطاعة ، وطلب ارسال أمراء لمنطقته .

التقدم من ميسدى :

نتيجة لذلك ولانسحاب القوات المتوكلية ، وانهيار كل مقاومة في تهامة ، وما ترتب على معركتي حرض وميسدي ، وبعدهما معركة جنوب حبل وتصفية جيش العرشي بين قتيل وجريح وأسير ، وأسر العرشي نفسه ، وما ترتب على ذلك التمزق ، وحدث الفراغات فقد صدر أمر الفيصل بإرسال عدد من الحكام العسكريين مع بعض القوات إلى الجهات الآتية : مَور ، و الزهرة و بني نشر و جبال قيس و الزيدية و مدينة اللحية .

وصدر الأمر على قائد الميدان حمد الشويعر بالتحرك بالجيش إلى الجنوب بطريق عبّس ومنها إلى الزهرة ، وسار الأمير فيصل في السيارات بعده ، فوصل إلى (الزهرة) يوم ١٦ محرم ، وقد ضرب حمد الشويعر معسكره في خارج البلدة ، ووفود أعيان القبائل من جنوب تهامة وأطراف الجبال تتوارد جماعات جماعات ، مقدمة ولأعها ، معاهدة على السمع والطاعة ، وبعد أن استراح برهة و أصدر تعليماته وأوامره إلى الشويعر سار إلى مدينة اللحية .

الحالة في منطقة مدينة الحديدة :

أشرنا إلى مغادرة عمال الإمام يحيى لمراكزهم بعد احتلال مدينة ميسدي ، وكان من ضمنهم عامل الحديدة الأمير عبد الله بن الإمام يحيى نفسه وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه - فكما غادر مدينة (الحديدة) عامل الإدريسي عبد المطلب بن هارون ، منسحباً ناجياً بنفسه بدون حرب ولا ضرب ، قبل ثمان سنوات وبعد أن ظلت المدينة شاغرة بدون سلطة تحكمها ثلاثة أيام يدخلها عبد الله بن الوزير على رأس الجيش المتوكلي وهكذا

انسحب عبد الله بن الإمام ناجياً بنفسه ثم بعده يغادرها قائد حامية المدينة (سليم بك) في زورق شراعي إلى جزيرة (كمران) وتفضل المدينة بدون سلطة تحكمها ، حتى يبعث أهل المدينة رسلهم إلى الأمير فيصل بطلب بعث من يستلم مدينتهم ويؤمن أهلها ، وبشغور مدينة الحديدة بفرار عاملها وحاميتها وصلت سفن حربية بريطانية وإيطالية ، وفرنسية ورابطت في الميناء بحجة المحافظة على أرواح رعاياها وأموالهم .

وحاولت السفن الإيطالية إنزال بعض جنودها، وإنما كان ذلك وقد دخلت طلائع الجيش السعودي الذي كان همها وضع جنود في الميناء ، ولم يكن جنود السفن الإيطالية يعلمون بهم ، وبدنهم من الميناء برؤسهم الجند السعودي ومنعهم فعادوا إلى سفنهم ، وبوصول الأمير فيصل أخبر بذلك فاتصل بجدة لاسلكياً فاحتجت وزارة الخارجية إلى تلك الحكومات التي بدورها أمرت سفنها بمغادرة المياه الإقليمية للحديدة .

الاستيلاء على مدينة الحديدة وبلاد الزرائق :

وبوصول مندوب مدينة الحديدة إلى الأمير فيصل صدر أمره بما يأتي :

١ - بعث قوة من الجيش إلى مدينة الحديدة مع مندوب الأهالي مع كتاب بالأمن وتطمينهم ، وتحريض قائد الجيش والموظفين المدنيين المرافقين لهم بما يجب من تأمين راحة الأهالي وتسيير دفة الأعمال .

٢ - بعث قوة بقيادة الشيخ إبراهيم السبهان لتسلم مدينة الضحى ، التي طلب أهلها إرسال من يؤمنها .

٣ - بعث قوة إلى بيت الفقيه وبلاد الزرائق يرافقها شيخ مشايخ الزرائق الشيخ أحمد فتني الذين وصلت كتبهم ومندوبهم بالسمع والطاعة .

٤ - بعث سرية من الجيش إلى بلاد قبيلة القحرا وقاعدتهم بلدة باجل بعد وصول رسلهم وكتبهم بالسمع والطاعة واستولت السرية على كل ما حولها إلى جهة (الحجيلة) وما سامتها ، وبذلك تم الاستيلاء على كامل ما كان في حدود الإمارة الإدريسية السابقة .

٥- أرسلت قوة من الجيش إلى جهة (زبيد) بقيادة عبد الله بن خفّلان ، فاستولت في طريقها على وادي رمع ، ومنه إلى (الحسينية) ومنها إلى ضواحي زبيد ، وهناك اشتبكت بالقوات المتوكلية وظلت في قتال معها إلى أن حان الصلح .

دخول فيصل الحديدة :

وفي يوم ١٧ محرم ١٣٥٣ تحرك ركب الأمير فيصل من اللُّحَيَّة في طريقه إلى الحديدة ، في موكب مهيب ، بطريق الساحل تستقبله القرى والبلدان والقبائل بالحفاوة والابتهاج والأفراح ، وقرع الطبول ولعلعة الرغاريد ، حتى أشرف على مدينة الحديدة ، أكبر مدن اليمن الساحلية ومينائها الرئيسي وخرجت القوات السعودية ، لاستقباله خارج المدينة ، التي قد رفعت الأعلام على قصورها ودوائرها ، وخرج الناس لاستقباله ومشاهدة موكبه ، وأطلقت المدافع تحية لسموه ولازال موكبه سائراً حتى وصل قصر الحكومة مقر عامل الحديدة عبد الله بن الإمام يحيى ، فأقبل وجهاء المدينة وأعيانها وقناصل الدول الأجنبية للسلام على سموه ، وبعدها أصدر توجيهاته إلى الدوائر الحكومية والمرافق العامة والمؤسسات الحكومية باستئناف أعمالها وإدارة شؤون البلدة كالعادة المتبعة ، حتى يتم بأقصى سرعة وصول الأنظمة المرعية في المملكة وبعد ذلك وصل حمد الشويعر مع سائر الجيش وضرب معسكره خارج المدينة .

وصول الشيخ عبد الله السلیمان :

وفي اليوم الرابع لوصوله وصل الشيخ عبد الله السلیمان وزير المالية على متن باخرة خاصة ، تقل سرية من رجال الأمن وجماعة من رجال الإدارة ، وأجهزة اتصالات لاسلكية مع موظفيها ، ومكاتب للإدارات ومطبوعات رسمية ، ورؤساء موظفين .

وفي وقت وصوله اتخذت الاجراءات في تنظيم الإدارات الإدارية والمالية وغيرها وملء شواغرها كما قام رجال الأمن ، ورجال الإدارة

الإدارية بملء أطهرهم وتشغيل أقسامهم وإدارة أعمالهم ، وملء شواغر الوظائف واستمرت الأجهزة الحكومية بالقيام بواجبها إلى أن تم تصديق المعاهدة التي أشرنا إليها آنفا ، وتوجه بها الوفد العربي الإسلامي إلى صنعاء وبعد توقيعها من الإمام بدأت الحكومة المتوكلية بتنفيذ ما قرره المعاهدة وهو :

الانسحاب من نجران ، وقد تم ذلك فعلا واستلمه مندوب المملكة . الانسحاب من أقسامنا الجبلية فيفا وبني مالك والعبادل وغيرها واستلمها مندوبو المملكة . سلمت الحكومة المتوكلية الأدارسة وتسلمهم مندوب الأمير فيصل في جهة زبيد ثم وصل بهم إلى مدينة الحديدة ومنها رحلوا إلى مكة .

وبإنفاذ ذلك بدأت الحكومة السعودية في الانسحاب من الأراضي اليمنية التي استولى عليها الجيش السعودي .

وبدأ أولا بالحدود التي يربط فيها الجيش السعودي في جهة زبيد ، وفي حدود الجبال التي شرق وشمال وجنوب باجل وما سامتها إلى (أسلم) و (مستبا) و (بني مروان) ومن ثم المناطق الساحلية والوسطى ، لقد تم ترتيب أعمال التسليم في الحديدة وتشكلت لجان لكل منطقة من مندوبين عن الحكومتين وسلمت المنطقة وموجوداتها بموجب وثائق ووصل الأمير فيصل مدينة مئدي في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ .

عودة حمد الشويعر لمركز امارة جيزان :

أشرنا إلى مغادرة حمد الشويعر لمدينة مئدي عقب مغادرة سمو الأمير فيصل ، وقد والى سيره فوصل جازان ليلا ، وأخذ في الاستعداد لاستقبال الأمير الذي وصل صباحاً وبعودة الأمير استأنف اشغال مهام مركزه كحاكم إداري للمنطقة .

أخذ غزو نجد والحجاز وعسير يعود إلى أوطانه ، كما أخذ غزو منطقة (جازان) في معاودة حياته العادية ، وانصرف سكان المنطقة — على وجه

العموم — إلى تعمير ما دمرته الفتنة ، وأتلفه الإهمال مع نزوح السكان كما مر بك مفصلاً .

وفي نهاية عام ١٣٥٣ عزم على الحج مدير مالية المنطقة عبد الله القاضي ورافقه الوجيه أحمد بهكلي الوصي على أولاد باصهي كما لحقهم هناك بعض وجهاء المنطقة ، وهناك قدم الأول تقريراً لجلالة الملك حول الإدلة وأمراء الملحقات وغير ذلك وكان جلالة الملك كما هو مشهور عنه يتحرى العدل في الرعية ، ويحرص على ذلك ، بكل جهده ، وفي الحال أمر بإرسال هيئة تحقيق مظالم أطلق عليها اسم (هيئة الجنوب) — وخولت من الصلاحيات والإجراءات ما يسهل مهمتها .

في أوائل عام ١٣٥٤ وصلت هيئة الجنوب وباشرت مهمتها بالإعلان في الجوامع يوم الجمعة ، وفي الأسواق الدورية بأنها وصلت للنظر في المظالم ، فكل من لديه مظلمة فليقدم ، فتقدم المتظلمون ، وفي أثناء ذلك توفي أمير المنطقة حمد الشويعر فأُتيب عنه أخوه سعود الشويعر ، وقد أنصفت الهيئة كل من تحققت مظلمته .

وفي تلك السنة وصل إلى المنطقة الداعية المرشد عبد الله القرعاوي ، واستقر في بلدة (صامطة) وأخذ في بذر غرسه الأول من الإرشاد والتدريس .

معاهدة صديقية إسلامية وأخوة عربية

بين المملكة العربية السعودية وبين المملكة اليمنية المتوكلية

حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين ملك اليمن من جهة
وحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية من جهة أخرى رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب
التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في
جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها .

وانظروا لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين تحكوميتهما
وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة وحباً في تثبيت
الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية
فما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما ورغبة في أن
يكونا عضداً واحداً أمام الملل والمفاجئة وبنيناً مترابطيناً للمحافظة على سلامة
الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما
وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما .

عن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن :

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير .

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية :

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته
ونائب رئيس مجلس الوكلاء . وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآتي الذكر
الصلاحية التامة والتفويض المطلق ، وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على
أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول قررا باسم
ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

المادة الأولى - تنتهي حالة الحرب القائمة بين مملكة اليمن والمملكة
العربية السعودية بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة

الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة إسلامية عربية دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصداقة في الوفاق والاتفاق سرّاً وعلناً ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفائهما وورثائهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضا الخالق وعز قومهما ودينهما .

المادة الثانية - يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز وخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً بالملكية على المملكة العربية السعودية ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى وخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على اليمن ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام في بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة .

إن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها من البلاد التي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عايض أو في نجران وبلاد يام كما أن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية واحتلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها .

المادة الثالثة - يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على

أيهما على أن يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله ٥

المادة الرابعة — خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم في جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نغعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي في جهة الشرق إلى أطراف الحدود ما بين من عدا يام ، من همدان بن زيد واثلي وغيره وبين يام فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر الأحمر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمنية وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية فما هو في جهة اليمن المذكورة هو ميدي وحرص وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضبيعة وبعض العبادلة وجميع بلاد وجبال رازح ومنه مع عر وآل مشيخ وجميع البلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام بياد وما يليها ومحل مريصة من سحار الشام وعموم سحار ونغعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقه وعموم من عدا يام ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمنية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمن فهو من المملكة اليمنية وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة ، وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان

وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يلها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم أهل وائلة عن التمتع بالصلوات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن ملك للمملكة اليمنية كل الأطراف والبلاد اليمنية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوي من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

المادة الخامسة : نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة

كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود .

المادة السادسة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهليين والجند عن كل ضرر .

المادة السابعة : يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين وبرد كل ما يثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح بالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر .

المادة الثامنة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنع عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملوا جهدهم لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة وبحسب جزمها منها أو بعضاً متمماً للكل فيها .

المادة التاسعة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركز لأي عمل عدواني أو مشروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي :

١ - إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله .

٢ - وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فإنه يلي القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم إلى حكومته الطالبة وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفي الأحوال التي تمكن الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته .

٣ - وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

المادة العاشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً موظفاً كان أم غير موظف فرداً كان أم جماعة ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيها فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتحج وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها .

المادة الحادية عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعلماء والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو وقوع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة .

المادة الثانية عشرة : يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية .

المادة الثالثة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الإجرام والأعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر من كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائناً ما كان وبالغاً ما بلغ وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة وإن تعذر على أحدهما الحضور فينبب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن كان له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أي حيف أو نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً .

المادة الرابعة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والأملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من التصرفات الشرعية فيها .

المادة الخامسة عشرة : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم

المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها أو كيانها للأخطار .

المادة السادسة عشرة : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان الذين تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة وأنهما لا يريدان بأحد سرّاً وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أية عداوة على أية أمة .

المادة السابعة عشرة : في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

أولاً - الوقوف على الحياد التام سرّاً وعلناً .

ثانياً - المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

ثالثاً - الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجح الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعصيد للمعتدي الخارجي .

المادة الثامنة عشرة : في حالة حصول فتن واعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتي :

أولاً : اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيهم .

ثانياً : منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها كما هو موضح (في المادة التاسعة والعاشرة) .

ثالثاً : منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً : منع الإمدادات والأرزاق والمؤن واللخائر عن المعتدين أو الثائرين

المادة التاسعة عشرة : يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وزيادة الاتصال بين بلديهما وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلدين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه .

المادة العشرون : يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداداه لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الطرفين في مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلدين التي هي كلمة واحدة ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له ، كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجر حرية أحدهما أو اضطرابه لسلوك هذه الطريقة .

المادة الحادية والعشرون : يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ على كل حال اعتباراً من تاريخ هذه المعاهدة .

المادة الثانية والعشرون : تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء ما نص عليه في المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قرية تامة ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة

الأشهر الأولى التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها فإن لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل .

المادة الثالثة والعشرون : تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطابف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإشهاداً بالواقع وقد وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ١٣٥٣ .

التوقيع

عبد الله بن أحمد الوزير خالد بن عبد العزيز السعود

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم بين مملكة اليمن ومملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك يحيى ملك اليمن والملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحللا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حل فإن الفريقين الساميين المتعلقين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصور المبينة في المواد الآتية :

المادة الأولى : يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل إحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم مع الفريق الآخر إليه .

المادة الثانية : يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فإن قبل أحد الفريقين المرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً وإن لم يكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعاً مع العلم بأن القرعة لا تجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل في القضية وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك .

المادة الثالثة : يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم

الانفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه. ويعطي حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين. ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبلغه ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدون للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك .

المادة الرابعة : أجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الأخرى .

المادة الخامسة : يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف ، ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف .

التوقيع

عبد الله بن أحمد الوزير

نخالد بن عبد العزيز سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ هـ .

من خالد بن عبد العزيز السعود إلى حضرة الأخ صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الإمام يحيى حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله - أما بعد فإنه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول إنفاذ مقتضاها إلا في إثبات ما يأتي :

١- أن يجري تسليم الإدارة وإخلاء جبالنا في تهامة وإطلاق رهائن أهلها حالا .

٢- أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوماً ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وأن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره وكل حادث حدودي عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة الإمام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام :

(للتوقيع)

خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد
المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى - السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد . فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر سنة ١٣٥٣
وقد أحطت علماً بما اشترطتموه سموكم لإنفاذ معاهدة الطائف التي عقدت
بين الفريقين من تسليم الأدارسة وإخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل
جنود جلالة الإمام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز وإطلاق رهائن
أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الأخص مسألة الحدود إلى أن يتم
ترتيب الاتفاق الذي اتفقنا عليه لإنفاذه وإن انسحاب جند جلالة الملك
عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف حادث من ابتداء انسحابه إلى
آخره وأن كل عدوان عليه في خلال تلك المدة يكون مضموناً من قبل جلالة
الإمام يحيى لقد أحطت علماً بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا
لاشتراطكم وأنه سيكون مرعياً من جهتنا . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع

عبد الله بن الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله - السلام عليكم ورحمة الله وبعد . فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقاً بمعاهدة الطائف الموقع عليها من سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الإمام يحيى وأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بما هو آت :

١ - يتسلم الأدارة لجلالة الملك عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الإدريسي وسيسلمون حالا لرجال سمو الأمير فيصل في تهامة أما السيد عبد الوهاب الإدريسي فنظراً لأنه لا يزال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الأنحاء لتسليمه فإن لم يطع الأمر فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بشأنه بما يأتي :

(أ) أن تمتنع حكومة الإمام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمتنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة .

(ب) إذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الأراضي التي هو فيها فإن حكومة الإمام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته في أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد إذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمنية وأن تمتنع فراره أو فرار أي شخص من الذين اشتركوا معه في عمله إلى الخارج إذا دخلوا إلى أراضي المملكة اليمنية .

٢ - أما من كان له تعلق بالأدارة وحركتهم من الأشراف أو غيرهم فإذا أرادوا إلحاق بالإدريسي فلهم الأمان من قبل حكومة جلالة الملك

عبد العزيز والصيانة والاحترام والإكرام اللائق بحقهم ، وإذا لم يشأوا ذلك فإنهم يخرجون من بلاد جلالة الإمام يحيى ولا يسمح لهم بالبقاء فيها وإذا عادوا إليها مرة أخرى فيطردون حالا وينذرون بأنهم إذا عادوا إلينا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز فإن عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الإمام يحيى بتسليمهم إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط فأرجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم وعلى هذا عهد الله وميثاقه وأرجو أن يكون هذا طبقاً للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

التوقيع

عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣ .

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السيادة الأخ السيد عبد الله ابن أحمد الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الإمام يحيى حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فأتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ما تعهدتم به باسم جلالة الإمام يحيى بشأن الأدارة وأتباعهم وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الأمانة والوفاء المأمول في جلالة الإمام يحيى ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع

خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز إلى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمنية في البلدين أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقتان اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة أو غيرها من الأغراض والمنافع فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع

خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر سنة ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم بتاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلدين واني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل إلى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل وأن ذلك سيكون مرغياً من جانب حكومتنا كما هو مرغى من جانب حكومتكم . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع

عبد الله بن أحمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم
والكتب التي ألحقت بها وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة
في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها كما أننا نصديقها ونبرمها ونتعهد
ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا مستقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال
الأمانة والاختلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان
طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا
بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين .

حرر في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين بعد
الثلاثمائة والألف وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخيها جلالة
الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن .

كتب هذا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين سامحهما الله تعالى .



وحيه
سنة ١٣٥٩

القسم الجبلي من منطقة جازان

كانت الأحوال في القسم الجبلي من المنطقة غير مستقرة فصدر أمر جلالة الملك المعظم على أمير منطقة (عسير) بالنزول على رأس حملة لتأديب العاصي وتأليف النافر - لأن قبائل القسم الجبلي في غاية من الجهالة والبداية وبالأخص قبيلة الريث - وكان (الشويعر) قد أبلغ باستنهاض قبائل السهول للاشتراك في المهمة فعاقه الأجل فأنيطت المهمة بكاملها بأمر (عسير) معالي (تركي بن أحمد السديري) فر في طريقه على القبائل فأصلح أمورها إلى أن خيم في قرية (الحسينية) وبعد أن رتب أمر المعسكر انحدر إلى (جازان) فقام بكثير من المهام وكان أمر مهمته الرئيسية يستدعي تنقله بين (جازان) و (صبيا) و (الحسينية) وقد تمكن بدربته العملية ومرونته السياسية من إنهاء المخالفات في ذلك القسم والقبض على الفارين من العدالة ومكافأة المطيعين من رؤسائهم بمقررات وأعطية وبذلك أنهى مهمته بدون قتال ولا نضال وأذن لمجاهدي المنطقة بالرجوع إلى قراهم كما أذن لمجاهدي عسير بالعودة ومن ثم أقام في مدينة (جازان) امتثالاً للأوامر الملكية وعند ذلك صدر الأمر بالإذن لسعود الشويعر وإخوته بالعودة إلى وطنهم فأقيم قائد حامية المنطقة (إبراهيم الطاسان) أميراً إدارياً بالنيابة. وعند ذلك عاد أمير عسير إلى منطقة عمله في منتصف ربيع الآخر عام ١٣٥٤ .

موجز تاريخ أمراء المنطقة (١)

إمارة عبد الله بن عقيّل :

وصل إلى (جازان) وباشر إدارة أعمال المنطقة في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٥٤ وهو بطل موقعة (ابن رفادة) في شمال المملكة - وقد سبق اسمه في أخبار حركة الحزب الشريف قبل هذا الفصل - ولم تطل مدته في هذا المركز أكثر من ستة أشهر وخلفه في إمارة المنطقة محمد بن عبد العزيز الماضي .

محمد بن عبد العزيز الماضي :

له ميوله المعروفة للمطالعة واقتناء كتب التاريخ والأدب باشر أعمال إدارة المنطقة في شهر رجب ١٣٥٥ وفي عام ١٣٥٦ افتتحت أول مدرسة ابتدائية في جازان وقد أسهم مدير المالية آنذاك (عبد العزيز جميل) بمساعٍ مبرورة في لفت أنظار (المراجع) إلى ذلك وتلى ذلك افتتاح مدرستين في كل من (صبيا) وأبي عريش .

وفي عهد ابن ماضي تأسست أول إدارة شرطة في (جازان) .

وفي تلك السنة توجه أمير المنطقة (ابن ماضي) إلى ميدي للاتفاق (بابن الوزير) الذي انتدب من قبل جلالة (الإمام يحيى) في القضايا المتعلقة بين الحكومتين ومنها تخطيط الحدود ووضع الترتيبات العملية للجان التي سوف تباشر التخطيط . وبعد أن أقام في ميدي ثلاثة أيام عاد إلى (جازان) وبرفقته

(١) لدينا مواد كتاب خاص باسم « جازان في العهد السعودي » الزاهر ويشتمل على ماحققته الحكومة من النهضة العمرانية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة وسيطع قريباً بحول الله تعالى .

(عبد الله بن الوزير) الذي حل ضيفاً على الحكومة زهاء أسبوع أنهى في خلاله مع أمير المنطقة مهمتهما المشتركة وعاد إلى اليمن .

استمر (ابن ماضي) على إمارة منطقة جازان وفي نهاية عام ١٣٥٨ توجه إلى (الرياض) وأتاب على عمله ابن أخيه محمد الحمد الماضي وفي أول شهر صفر ٥٩ وصل إلى جازان سمو الأمير محمد بن عبد العزيز في طريقه إلى (صنعاء) متدياً من قبل جلاله والده إلى جلاله الإمام يحيى للدراسة الموقف الدولي الخطير - حينذاك - واتخاذ الحكومتين موقفاً دفاعياً موحداً لحماية بلاديهما من أخطار الحرب العظمى الثانية .

وقد نزل لاستقبال سموه معالي أمير منطقة عسير الأمير تركي السديري ، وبرفقته أخوه الأمير خالد السديري ، المرشح لإمارة منطقة (جازان) خلفاً لمحمد بن عبد العزيز الماضي .

استقبال :

واستقبلت (جازان) الأمير محمد بن عبد العزيز السعود ، بمظاهرة الحفاوة والابتهاج ونشرت الأعلام وأقيمت الزينات والأفراح وبعد أن أقام ثلاثة أيام غادرها في طريقه برأ إلى (صنعاء) وبعد أن أنهى مهمته عاد إلى جدة بطريق البحر .

أمير منطقة جازان خالد السديري :

تسلم أعمال وإدارة المنطقة من محمد الحمد الماضي ، وكيل سلفه وباشر العمل في شهر صفر ١٣٥٩ والأمير خالد أديب ضليع واسع الثقافة يجمع بين سياسة السيف والقلم . فنظم سير الأعمال الإدارية وطبق نظام الإمارات الإدارى تطبيقاً عملياً في المنطقة وقرر جلسات المجلس الإداري أسبوعياً وبصفته رئيس المجلس فقد بث في الأعضاء روح الثقة وخولهم حرية النقاش .

غزوة الريث :

أشرنا فيما تقدم إلى نزول أمير عسير تركي السديري في عام ١٣٥٤ لإصلاح وتأديب قبائل المنطقة الجبلية عامة والريث خاصة وأنه وفق - بعون الله -

ثم بما يتصف به من الدربة العملية والمرونة السياسية من إصلاح أمور قبائل تلك الجهة ومن جعلتهم الريث ، وقد صار بعد ذلك جميع قبائل الجبال على تلك الخطة المرسومة واستمرأوا العدل وكفوا عن التعديات وغزو بعضهم . . إلا قبيلة الريث فقد شجعها وعورة المسالك المؤدية إلى جبلهم القهر وملحقاته وجهاتهم البدائية التي لم تبعد بهم عن حياة الغاب كنتيجة لغزلهم عن جميع القبائل المحيطة بهم ولموقعهم الجغرافي البعيد عن العمران — بالنسبة إلى غيره — ولبعدهم عن الطرق الرئيسية ومحيطهم القبلي الذي اتسم بروح العداء وبعدهم عن روح الدين فلا تجد فيهم من يعرف آية من القرآن ويثبتهم الحشنة التي لا تلبس للزراعة بسهولة إلا بعد العناء والكد الذي لا تحتمله بدائية حالتهم . والاكتفاء الذاتي الذي فرضه التوحش وحتمته حياة التعدي وثارات الدماء مع القبائل المجاورة فكل ما يحتاجه (الفرد) مشر من الحام وشريحة من اللحم أو شخب من اللبن فإن جادت السماء في زرع بعض المنخفضات بين الصخور من الحنطة — أو في الهدنة الموقته بينهم وبين أحد القبائل المجاورة — ما يسد حاجة من تنوق نفسه إلى ذلك .

وهم في عداء مستمر ودماء مطلولة وذحول مطلوبة ومواشي مسلوقة مع كل المجاورين لهم في الغرب والجنوب والشرق والشمال كـ (ربيعة) و (الحقو) و (هروب) والصهايل و (الحساب) و (التليد) و (بني حريص) (وقحطان) وعند نزول أمير عسير في عام ١٣٥٣ هـ وهم على الحال وقحطان التي وصفناها . لم يمحض على إشراف الحكومة المباشر على المنطقة إلا ثلاثة أعوام تخللها في العام الأول الاشتغال بالتجهيزات وحرب اليمن والذي استغرق شطرا من العام الثاني أي عام ١٣٥٣ ومع ما أعارتهم الحكومة من الإهتمام بأحوالهم وإقامة مركز في جهتهم النائية إلا أنهم كفوا فترة عن التعديات والسطو على مجاورهم وبعدها ارتفعوا إلى قلال جبالهم وشعاف أطوارهم واستأنفوا حالتهم الأولى وظلت الحكومة تحاول بالحكمة والسياسة استئناسهم واستصلاحهم فلم يجد ذلك وفي آخر عهد إمارة ابن ماضي تفاقم شهرهم وتعدياتهم على القبائل المجاورة — التي سبق الإشارة إليهم — وطلبوا من الحكومة الإذن لهم بغزوهم فلم توافق وبوصول الأمير خالد السديري وما

قام به من وسائل (ودبلوماسية) لاستصلاحهم لم يزدادوا إلا غنيا والبادية في حالة فساد أمرها واستفحال ضرورتها لادواء لدائها إلا القوة فصدرت الأوامر بسوق حملة من مجندي قبائل (منطقة جازان) وقبائل عسير وانتهت مهمة الحملة باذعان الريث وأخذ سلاحهم وذلك في جمادى الأولى عام ٦١ هـ وفي عودة الأمير خالد جرد أغلب قبائل الجبال من السلاح الذي لا ينتج من إحرازه إلا الفساد .

ويعود إليه فضل كبير في اشعال جذوة الروح العلمية والأدبية في المنطقة وكانت مجالسه الخاصة ندوات أدبية وحلقات فكرية .

الأمير محمد السديري :

صدرت الأوامر بنقل خالد السديري إلى المنطقة الشرقية — وكان قد غادر جازان في زيارة خاصة للرياض — فعاد مع الأمير الجديد أخوه محمد السديري .

يتحلى الأمير محمد السديري بالسماحة والخلق النبل وروح الفتوة العربية الأصيلة ففاز بحب الكثير في المنطقة ، ومن أهم ما كان في عهده :

١ — تأسيس مشروع الماء واعطاء امتياز له لمحمد سعيد بامهير ، وبدى المشروع بحفر بئر في قرية منسية — في ساحل الجعافرة — ثم ظهر أنها غير كافية وأن مياهها دون الكمية المطلوبة فتحول الحفر إلى قرية (الماطري) .

٢ — المهرجان الرائع الذي أقيم في عموم المملكة ومنها هذه المنطقة بمناسبة عودة جلالة الملك المغفور له من مصر .

٣ — تأسيس لجنة لمساعدة مجاهدي فلسطين — كما أمرت الحكومة بذلك في سائر مدن المملكة وقد انتخب المؤلف سكرتيراً للجنة والزميل محمد السنوسي محاسباً ومحمد البسام أمين الصندوق .

٤ — انتدابه لتهنئة الإمام أحمد — ملك اليمن بانتصاره على حركة ابن الوزير — وقد أهداني معاليه صورتين تذكارتين له ولجلالة الإمام أحمد في أثناء تلك الزيارة يرى القارىء إحداها .



معالي الأمير محمد بن أحمد السديري
أثناء مقابلته الإمام أحمد ملك اليمن

وقد عين بعد عودته من (اليمن) وذلك في شهر محرم عام ١٣٦٨ قائداً للجيـش المؤلف من المجاهدين الذي تقرر آنذاك إرساله إلى فلسطين .

الأمير مساعد السديري :

يتسم بالمبادرة وسرعة التنفيذ وبذلك تمكن من إزاحة غير واحد من رؤساء دوائر جازان اتخذوا من الشغب مجالا للشهرة ومن أبرز أعماله في المنطقة :

١ - رئاسة لجنة سقي الموسم الواقع الاختلاف بشأنه بين أهالي (حرض) اليمنية و (الموسّم) السعودية وقد طال الوقت على ذلك النزاع زهاء تسعة أعوام حتى تمكن بالإشتراك مع الشيخ محمد علي البيز ، من التوصل إلى اتفاقية مع وفد اليمن لحل الموضوع بما يضمن صالح أهالي الموسم وحرص .

٢ - بناء القصر الحكومي خارج المدينة وقد بناه على حسابه ثم بعد انتقاله عوضته الحكومة عنه .

وقد خلفه على إمارة المنطقة سليمان بن جبرين في شهر الحجة عام ١٣٧١ .

أمير منطقة جازان سليمان بن جبرين :

شيخ دريته التجارب استلم أعمال إدارة المنطقة من سلفه (مساعد السديري) وفي عهد إمارته زار جلالة الملك المعظم (سعود الأول) المنطقة تلك الزيارة الملكية الخالدة التي احتفلت بها البلاد احتفالاً منقطع النظير وقد نشرت جريدة (أم القرى) في عددها ١٥٣٦ في ١٣٧٤/٢/٢٤ وصفاً حافلاً بنورده هنا للحقيقة والتاريخ نصاً :

حفاوة جازان باستقبال جلالة الملك بن عبدالعزيز

لما اسلنا المرافق للموكب المكي جازان في ١٦/٢/١٣٧٤

إن جازان التي خفت بمجموع أهاليها إلى عرض البحر لاستقبال الملك عندما ألفت الباخرة مراسيها ليلة البارحة في جازان التي انتظرت هذه الزورة الكريمة طويلا وتطلعت إليها كثيراً واستعدت فيها أكبر استعداد قد استقبلت فجر هذا اليوم مبكرة فرحة مسرعة معجلة فراح بعض أهاليها بزوارقهم إلى عرض البحر لمواكبة الركاب السامي وعندما أخذ طريقه في الساعة الثانية والنصف على متن الزوارق البخارية إلى الرصيف الجديد حيث كان في استقباله جموع غفيرة من الأهالي وفي مقدمتهم سعادة الأمير وفضيلة القاضي وحضرات رؤساء الدوائر الحكومية وكبار أعيان البلدة ووجهاتها وأدت التحية لجلالته ثلثان من الجيش والشرطة كما عزفت الموسيقى السلام الملكي السعودي وأخذ جلالته طريقه بين صفين من الأهالي إلى هذا الميدان الكبير المواجه للميناء الذي أقامت فيه بلدية جازان سرادقاً لحفل البلدة لاستقبال الملك المفدى وقد احتشدت خارج السرادق ألوف كبيرة من الأهالي الذين استعدوا بألعابهم وأهازيجهم وطولهم وبدأوا يعرضون هذه الألعاب التي تعبر عن فرحتهم بالزيارة الملكية الكريمة وقد زين مدخل السرادق بأقواس النصر الكبيرة وكتب عليها : (أهلاً بعاهل الجزيرة العربية ومرحباً بالملك العظيم) وأخذ حفظه الله مكانه في صدر السرادق الكبير بين التصفيق الحار والتهتاف العالي وبين هذه الأناشيد الجميلة التي أخذ طلبة المدارس يرددونها ثم تشرف بالسلام على جلالته جموع كبيرة من الأهالي ونهض حفظه الله لاستقبالهم واقفاً يغمرهم بعطفه الكريم وبعد أن أديرته القهوة العربية افتتح الحفل بالقرآن الكريم من الطالب محمد منصور بيضي ثم ألقى الأستاذ أحمد خضري كلمة سعادة الأمير الشيخ سليمان بن جبرين التي رحب فيها بجلالته ونوه بمآثر العهد السعودي الزاهر وتلاه الأستاذ علي ابن عبده علاقي الذي ألقى كلمة البلدية والبلدة في الترحيب بجلالته العاهل

المفدى وفي التعبير عن شعور الولاء والحب الذي يكونونه للجالس على العرش وأعقبه شاعر جازان الأستاذ محمد أحمد عيسى العقيلي بقصيدة رائعة كان لها أجمل الوقع وقوطعت أبياتها بالتصفيق والهناف بحياة جلالة الملك (١) المعظم . وفي ختام هذا الحفل الشعبي الكبير ألقى الأستاذ محمد بن علي السنوسي قصيدة جميلة قوبلت بالاستحسان ثم تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بالانتقال إلى حيث أقام الأهالي والتجار في جيزان مائدة شاي كبرى تكريماً لجلالته .

وبعد أن أمضى حفظه الله بعض الوقت على المائدة بين أهالي جيزان الذين غمر وجوههم الفرح واستخفهم الحماسة بهذا التشريف الملكي العظيم توجه الركب المحروس إلى ناحية (المطلع) حيث أقيم مشروع الماء ، هذا الماء الذي احتضنته شركة الماء والثلج والكهرباء وقامت بإبرازه إلى حيز الوجود عمل استمر عامين ، فقد مدت الأنابيب ل جلب الماء من الآبار الارتوازية التي بوادي (٢) (الماطري) الذي يبعد عن جيزان حوالي عشرين كيلو متراً قد تم إيصال الماء أخيراً إلى أول نقطة من البلدة بناحية المطلع وقد أعد لكي يتفضل جلالة مولانا الملك المعظم بافتتاحه بيده الكريمة وكانت الجماهير على طول الطريق تحيي الركب الملكي المحروس وتعدو خلفه وتحببه بهتافاتها وأهازيجها وألعابها وقد أقيمت أقواس النصر الكثيرة في كل شارع وكتب عليها بخط عريض (نحن فداء للمليك واحنا لك يا سعود قلوبنا معك يا سعود ، ومرحباً بمليك القلوب) ، وما أن أخذ حفظه الله مكانه في صدر السرادق المعد حتى دعا إليه الشيخ سليمان بن جبرين أمير البلدة والشيخ محمد سعيد بامهير المشرف على المشروع ورؤساء الدوائر الحكومية في البلدة وأعلنهم جلالته أنه قرر أن يكون هذا المشروع على حساب جلالته الخاص مع ما سبق أن أنفق عليه وما سينفق كما أمر حفظه الله أن يستأنف العمل في المشروع وأن يقام خزان كبير لحفظ الماء وتمد الأنابيب إلى داخل البلدة وتعم

(١) تجدهما في آخر هذا الفصل .

(٢) الصحة بقرية الماطري لأن الماطري قرية لا وادي .

الكباسات والموارد في كل شارع وميدان وأن يذلل الماء للجميع بدون مقابل وأن يبدأ العمل في المشروع حالا بحيث لا يمضي شهر إلا وقد انتهى العمل فيه وأوصاهم جلالته بأن يتعاونوا جميعاً ويبدلوا كل ما في وسعهم للمساعدة في إتمام هذا المشروع العظيم وعندما أعلن النبأ بين الجماهير الكثيرة التي احتشدت خارج السرادق دوت أرجاء الميدان بالهتاف المتعالي والتصفيق الحار والدعاء لجلالته بطول العمر ودوام التوفيق ثم تفضل جلالته بالانتقال إلى خارج السرادق حيث أقيم المورد الأول للماء وأدار جلالته الصنبور الكبير فندفق الماء عذباً صافياً قراحاً يروي النفوس الظامئة وينساب إلى الأرض الجذباء فتهتز وتربو وتعالى التصفيق والهتاف من كل ناحية وتدافعت الجماهير على المورد تستقي منه وتهل من مائه كسرب من الطير العطشى تدافع على ضفة الغدير .

زيارة جلالته لأهل العلم في جازان :

ثم توجه ركب جلالته المحروس إلى دار فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن الشيخ رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة جازان الذي احتفل هو الآخر بهذه المناسبة السعيدة وعندما شرف جلالة الملك المعظم كانت الدار مزدانة بالأعلام واحتشد أمامها جمع كبير من الأهالي وأخذ جلالته طريقه إلى داخلها بين الحفاوة البالغة والهتاف المتعالي بحياته الغالية وبعد أن أديررت القهوة العربية تقدم بين يدي جلالته الشيخ إبراهيم الحمد الشامي الذي ألقى كلمة عن فضيلة رئيس الهيئة رحب فيها بجلالته ونوه بأفضاله العديدة وأباده البيضاء على « العلم » ورجاله ثم تفضل بحفظه الله بالانتقال إلى مائدة الشاي الأنيقة التي حفلت بما لذ وطاب والتي كانت تعبيراً عن الحفاوة والفرحة العظيمتين وكانت الجماهير خارج الدار يتعالى هتافها قائلة : مرحباً بك يا سعود ، معاك الله يا سعود ، وغادر حفظه الله دار الشيخ عبد العزيز بن الشيخ بين الحفاوة والإكرام .

وقصد الركب الكريم بعد ذلك إلى دار فضيلة عبد العزيز بن فوزان قاضي المنطقة الذي أقام حفلة شاي جميلة على شرف جلالته وبعد ذلك عاد

ركب جلالتة محفوفاً برعاية الله وعنايته إلى الباخرة الملكية حيث قضى هناك فترة الظهيرة .

حفافة أمير جازان بجلالتة :

وفي تمام العاشرة والنصف عاد ركب جلالتة مرة أخرى إلى جازان التي كانت جميعها في استقباله هاتفة مصفقة مرصوفة ، وتوجه إلى دار الإمارة حيث أقام سعادة أمير البلدة سليمان بن جبرين حفلاً تكريمياً لجلالتة وبعد أن ألقى الأستاذ أحمد فقيه قصيدة جميلة بين يدي جلالة الملك المعظم تفضل جلالتة بالانتقال إلى حيث أقيمت مأدبة العشاء الكبرى التي دعى إليها جمع غفير من أهالي البلدة .

حفافة مدير شرطة جازان بجلالتة :

ثم غادر جلالتة الدار مودعاً بالحفاوة والإكرام وقصد إلى دار مدير الشرطة عيسى المشاري الذي أقام لجلالتة حفلة شاي أنيقة وألقى بين يدي جلالتة الشاب حمد مسرحي كلمة ترحيبية نيابة عن الداعي .

حفافة معتمدية المعارف في جازان بجلالتة :

وبعد ذلك توجه الركب المحروس إلى هذا السراوق الكبير الذي أقامته معتمدية المعارف في البلدة والذي ازدان بأقواس النصر واللوحات التي ترحب بنصير العلم وباعث النور واصطففت طلبة المدارس يرددون أناشيدهم وما أن شرف حضرة صاحب الجلالة المفدى حتى استقبلوه بالهتاف بحياته الغالية والتصفيق وأخذ جلالتة مكانه في صدر السراوق وتقدم بين يدي جلالتة الشاب أحمد عبده مسلم حيث ألقى كلمة عن زملائه طلاب المدارس الثانوية في جيزان وتلاه الطالب عبد الكريم صوري بكلمة عن طلاب المدارس الابتدائية ثم ألقى الأستاذ محمد لطفي عثمان كلمة البعثة التدريبية المصرية في جازان .

أمر جلالته بفتح دار لليتامى بجازان :

وبعد ذلك تقدم الطفلان علي عمر جابر وراجح حيث قدما محاورة لطيفة عبرا فيها عن حاجة جازان إلى إنشاء داراً للأيتام يأوي إليها الطلاب منهم وتلاهما الأستاذ عثمان شاكر معتمد المعارف في جازان بكلمة ترحيبية وقد استجاب جلالته حفظه الله إلى الرغبة التي أبدأها الطلاب وأصدر أمره الكريم على الفور بإنشاء دار للأيتام بجازان يأوي إليها الأيتام في البلدة ومن القرى المحاورة لها ، وأن يكون ذلك بأقصى سرعة ممكنة واستقبل هذا العطف الأبوي وهذه المنحة الملكية الكريمة من أبيهم العظيم ووالدهم الجليل بالتصفيق الحاد والدعاء أن يحفظ الله جلالته أباً لهم يواسيهم بخنانه وعطفه ما افتقدوه من عطف الأب وحنانه .

حفاوة حامية جازان العسكرية بجلالته :

وبعد أن أدى حفظه الله صلاة المغرب جماعة مع أبنائه الطلاب توجه الركب المحروس إلى خارج البلدة حيث أقامت حامية جازان حفلاً تكريمياً لجلالته وبين الحفاوة الرائعة والولاء الصادق من الضباط والجنود لجلالة قائدهم الأعلى أخذ حفظه الله مكانه في صدر السرايق ثم تقدم الرئيس حسن عسيري بكلمة الترحيب وتلاه الملازم أحمد عبد الملك بقصيدة جميلة ثم ألقى الملازم عبد الرحمن مدين قصيدة أخرى رحب فيها بجلالته بين أشباله وأعقبه أمين سرية صالح باقديم حيث ألقى قصيدة بين يدي جلالته ثم رفع الستار عن هذا المسرح الذي أقاموه عن هذه التمثيلية العسكرية الجميلة التي قدمها الرئيس حسن عسيري « كن يقظان » وتفضل جلالته القائد الأعلى للجيش فغمر ضباطه وجنوده بعطفه السامي الكريم وتزويدهم بنصائحه الغالية ثم غادر جلالته المكان بين الحفاوة البالغة والتكريم العظيم وقصد جلالته إلى الباخرة الملكية حيث يقضي فيها المساء ، حيا الله جلالته ذخراً لشعبه المخلص الوفي الأمين .

جازان في ١٧ / ٢ / ٧٤ كان يوم الجمعة هذا الثامن من أيام هذه الرحلة

الملكية الميمونة من أحفل الأيام وأجملها وأكبرها تعبيراً وإفصاحاً . وإليك
البيان .

حفاوة موظفي جازان بجلالته :

في تمام الساعة الواحدة من صباح اليوم شرف مولانا حضرة صاحب
الجلالة الملك المعظم ميناء مدينة جازان مرة أخرى وأخذ ركاب جلالته
طريقه بين الحفاوة والإكرام إلى حيث أقام موظفو البلدة لجلالته حفلا
تكريميا رائعا ، وما أن أخذ جلالته مكانه في صدر السرادق حتى أقبل على
جلالته رؤساء الدوائر الحكومية وكبار الموظفين مسلمين مرحبين ثم ألقى
مدير مالية جازان عبد القادر خورشيد كلمة باسم موظفي البلدة رحب فيها
بجلالته وتمنى له طيب الإقامة في بلدهم وشكره على تفضله حفظه الله بحضور
حفله وتلاه الدكتور فاروق التاودي الذي ألقى كلمة الصحة وتحدث فيها
عن مجهودات جلالته في سبيل رفع المستوى الصحي بين أبناء شعبه ورجاه
المزيد من هذه الجهود الطيبة ثم تفضل جلالته بالانتقال إلى حيث أقيمت
مائدة شاي أنيقة للحفاوة بجلالته في صبيا .

وبعد فترة من الوقت قضاها الملك المعظم مع أبنائه الموظفين يتحدث
إليهم ويغمرهم بنصائحه السامية وإرشاداته الحكيمة ويدعوهم أن يخلصوا العمل
لأمتهم وأن يبذلوا قصارى جهودهم في أداء واجباتهم بعد ذلك غادر حفظه
الله مكان الاحتفال بعد ذلك تشرف من هناك بتوديع جلالته توديعاً حافلاً
بالحفاوة والشكر والتكريم وتوجه الركب المحروس بعناية الله آخذاً طريقه
إلى بلدة صبيا ^(١) التي تقع إلى الشرق من جازان وتبعد عنها حوالي ^(٢)
أربعين كيلومتراً وكان الطريق إليها وعراً تغوص السيارات في كثبان فيه
من الرمال ولكن الملك العظيم أبي إلا أن يسعى إلى أبناء شعبه وأن يزورهم
يزورهم في ديارهم مهما بعدت وكانت تحتشد على طول الطريق مجموعات
من القرويين والبدو والمزارعين الذين كانوا يحيون الملك بالهتاف والتصفيق

(١) الصحة في الشمال الشرق .

(٢) المسافة بين جازان وصبيا ٢٩ كيلا .

وكان حفظه الله يحبيهم جميعاً وينسم لهم جميعاً ويغدق على فقرائهم المنح والعطايا السخية وهكذا مضى ركاب الملك ويمشي البذل والكرم والجود في ركابه إلى أن وصل إلى بلدة صيبا وهي بلدة صغيرة يعيش أهلها على الزراعة والرعي وقد لاحظنا أن أراضيها المحيطة بها على جانب عظيم من الخصب والجود فقد قضينا أكثر من ساعتين نسير بين صفين من حقول الذرة الخضراء وشجيرات السمسّم والخضرة محدقة بنا من كل جانب وكان أهالي الوادي عن بكرة أبيهم قد احتشدوا في هذا الوادي الكبير الذي يتوسط البلدة وبدوا وقد ملأوا شعاب الوادي وأطرافه كالبحر الزاخر المتلاطم وقد أقاموا أقواس النصر ورفعوا الأعلام واستعدوا بطبولهم ورقصاتهم المحلية وجعلوا يتواثبون ويتصايحون ويهتفون وشق الركاب الحروس طريقه بصعوبة وسط هذه الجموع الحاشدة إلى حيث أقيم سراقق الاستقبال الكبير الذي كتبت عليه عبارات الترحيب بعاهل الجزيرة وخليفة المسلمين ضيفهم الكريم ومليكمهم العظيم واستقبل جلالة مولانا الملك المعظم عند مدخل السراقق كبار الأهالي وفي مقدمتهم الأمير بمباخر العود والندو بالترحيب والتهليل وبعد أن أخذ حفظه الله مكانه في صدر الحفل افتتح الحفل بتلاوة القرآن الكريم من الطالب جابر حسن ثم ألقى الأستاذ طاهر سلام كلمة الإمارة في الترحيب بجلالته وتلاه الأستاذ حمود عبده الذي ألقى كلمة نيابة عن أساتذة المدرسة في صيبا ثم ألقى كلمة الأهالي الشاب محمد العابد وأعقبه الأستاذ عبد الله مكّي بقصيدة صورت شعور أهالي صيبا نحو المليك العظيم وبعد ذلك ألقى الطالب عبد القادر باصبي كلمة باسم زملائه الطلاب ، وفي ختام الحفل ألقى رئيس هذه الأراضي كلمة عن مزارعي البلدة وكان الخطباء يرددون عبارات الترحيب والشكر والولاء لجلالته وينوهون بأفضالاته العديدة وأياديه البيضاء على الشعب .

(١) أن صيبا ليس بلدة صغيرة بل هي مدينة وقد قدر (فلبس) سكانها بخمسة وعشرين ألفاً وقد قدرنا سكانها في كتابنا هذا - بسبعة وعشرين ألفاً .

عناية جلالته بإقامة سد لوادى صيبا :

وقد رجا جلالته الأهالي في كلمتهم أن يتفضل بإقامة سد لكي يحفظ مياه الأمطار الغزيرة الكثيرة التي تهطل على البلدة فيستفاد منها في الزراعة ومن الناحية الأخرى يصد عن بيوت البلدة خطر اجتياح السيول لها وقد اهتم حفظه الله بهذا الرجاء وأمر أن يرسل مهندسون فنيون لدراسة المشروع تمهيداً لإقامته في أقرب وقت ممكن وتعالى تصفيق الأهالي وهتافهم بحياة أبي الشعب الحاني وراعيه الساهر وقائده ، وبعد ذلك غادر جلالته الميدان مشيعاً بالحفاوة والإكرام إلى دار أمير صيبا سليمان بن جريس الذي أقام لجلالته حفل غداء كبير دعا إليه جموعاً حاشدة من أهالي البلدة ، وبعد أن تناول جلالته الطعام هنيئاً بين أبناء شعبه في هذا الحفل الودي العائلي الحبيب توجه ركاب جلالته الكريم إلى حيث قضى حفظه الله فترة الظهيرة يبحث في أحوال البلدة وتفقد مرافقها والاستماع إلى رغبات أهاليها .

الحفاوة بجلالته في (أبو عريش) :

وفي الساعة الثامنة والنصف من بعد ظهر الجمعة وقبل أن نسترد أنفاسنا اللاهثة ونستعيد قوانا الذاهبة أمر حفظه الله فتحرك الركاب الكريم فغادر بلدة صيبا في طريقه إلى بلدة أبي عريش التي تقع إلى الجنوب الشرقي (١) من جازان وودعته أهالي صيبا بالهتاف والتصفيق والحفاوة والحب ومضى الركاب في طريق وعر المسالك كثير المرتفعات والمنخفضات طريق لم تطرقه السيارات من قبل وكان الركاب يتوقف ثم يسير مرات كثيرة تارة ليحيي جلالة الملك المعظم جموع المزارعين والأهالي الذين احتشدوا لتحيته ومرة لوعورة الطرق ولكن جلالته في كلتا الحالتين مشرق الطلعة والابتسامة الحبيبة لا تفارق محياه الكريم . غير عابئ بما يلقاه من تعب وما يصادفه من مشقة فالملك في عرفه حفظه الله رسالة سامية تؤدي ومهمة جليلة تزجي ورعاية مستمرة وسهر دائم ومتاعب كثيرة قبل أن يكون اسماً رناناً ولقباً

(١) أبو عريش تقع شرق مدينة جازان لا في الجنوب الشرقي .

عريضاً ومنظراً فخماً وهكذا مضى الركب والجموع توابكه واليمن يصاحبه والبشر طالعه وطابعه إلى أن وصل أبا عريش في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين عصرأ حيث كان في استقباله جموع الأهالي في هذا السرادق الكبير الذي أقاموه وزينوه بالأقواس والأعلام وبعد أن تشرفت جموعهم بالسلام عليه وهتف طلبة المدرسة بأناشيدهم وافتتح الحفل بالقرآن الكريم من الطالب محمد بن أحمد قاسم وأعقبه الأستاذ ناصر قاسم بكلمة نيابة عن أمير البلدة ثم ألقى الطالب أحمد صالح عمودي كلمة الأهالي في الترحيب بجلالته وغادر حفظه الله سرادق الاستقبال إلى حيث أقام لجلالته (رشيد بن خثلان) أمير البلدة حفلة عشاء كبرى حاول فيها أن يعبر عن مدى الحفاوة والحب الذي يكنه هو وأهالي البلدة للجالس على العرش المفدى وبعد ذلك توجه حفظه الله إلى دار فضيلة القاضي عبد الرحمن الطرباق حيث تناول القهوة العربية .

الحفاوة بجلالته في القويعة :

وتوجه الركاب المحروس إلى قرية القويعة المجاورة لأبي عريش حيث أقام لجلالته هادي قصادي شيخ جميع المسارحة الشرفاء والأستاذ علي أبو غزالة مأمور المالية حفلاً تكريمياً وافتتح الحفل بكلمة الترحيب ألقاها علي أبو غزالة ثم ألقى الأستاذ أحمد باهادون قصيدة جميلة قوبلت بالاستحسان وبعد أن أدى حفظه الله صلاة المغرب جماعة مع أبناء شعبه تفضل بجلالته بالانتقال إلى مائدة الشاي الأنيقة وبعد فترة من الوقت نهض بجلالته مغادراً المكان مودعاً بالحفاوة والتكريم وبالتصفيق والتهنئة واتجه الركب المحروس إلى جازان وفي الطريق إليها كانت التحيات تتوالى من الجموع وكانت العطايا تنهل من الملك الجواد على فقرائهم .

الفرحة الشعبية الكبرى بجلالته في (جازان) :

وحينما أشرفنا على جيزان كانت قد أعدت لموكب بجلالته المحروس استقبالا شعبياً فريداً منقطع النظير اشترك فيه الشيوخ والكهول والشبان والأطفال والخاصة والعامة حتى النساء شاركن في الاحتفال والتحية بزغاريدهن المنطلقة من كل بيت وكأنما هو فرح عام سرت عدواه من بيت إلى بيت

ومن شارع إلى شارع ومن محلة إلى محلة فكنا لا نرى إلا جموعاً تهتف
وأبادي تصفق ولا نسمع إلا الهتافات والزغاريد وكأن هذه الجموع لا تفرغ
وكانما هؤلاء الناس وهذه البلدة تجمعت رجلاً واحداً ، حشد نفسه وقواه
وإمكانياته ليعبر عن شعوره (١) وعن ترحيبه وعن تفانيه هذه الساعة من
ساعاتهم التي كانت جازان ترتقبها لتعلن أنها فرحة فخورة وإنها ظمأى
لما يبرد غلتها بعد وكان جواب الملك على هذه الحفاوة التي لم نشهد لها مثيلاً
وعلى هذا الحب المتدفق الرائع كان جوابه أروع فكانت تحياته أحسن وأندى
وأجمل كان يحيي الجموع ملوحاً بيده الكريمة من العربة الملكية المكشوفة
ويتوقف دقائق عند كل جماعة ويتسلم بيده الكريمة العرائض التي تقدم
إلى جلالته ويستوقف الركب امرأة عجوز لتقدم إلى الملك التماسها فيأمر
جلالته ويتوقف الركب ويفضل فيستمع لها ويغمرها بعطفه ويطمئنها ويمضي
الركاب الكريم والعجوز واقفة كالذاهلة من الفرحة رافعة يديها إلى السماء
في ابتهاج عميق كل هذا كأنما لم نقطع هذه المسافات الطويلة ولم نغم بهذه
الرحلة الشاقة طيلة النهار وعاد الركاب المحروس بعد ساعات إلى الباخرة
الملكية الراسية في عرض البحر .

الحفاوة بجلالته في طريق صامطة :

في تمام الساعة الواحدة من صباح يوم السبت توجه الركاب الملكي
المحروس في طريقه إلى بلدة (صامطة) التي تقع جنوب جازان ولم يكن
الطريق إليها أقل وعورة ولا أوضح مسالك من زميله طريق صبيا ولكنه
كان أكثر منه طولاً وأبعد مسافة فهي تقع على بعد ٧٥ كيلو متراً من جازان
وكالعادة قام جموع الأهالي والبدو القرويين تصطف على جانبي الطريق
في انتظار ركب الملك لتحيته وتعبر له عن عواطفها وتحتلي طلعتة المشرقة
وكالعهد بمولانا حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم كان يغمر الجميع بعطفه
ويرد التحيات بأحسن منها ويغدق الهبات على الفقراء والمساكين ومن المناظر

(١) تلك الفرحة الكبرى حقاً قد الهمت المؤلف قصيدة من عيون الشعر تجدها في آخر
هذا الفصل بعنوان (تحية التساج) .

الرائعة استوقفنا طفل صغير بائس ووالدته الكهله أقبلتا على الملك يحييانه وأمر حفظه الله خازنه أن يعطيها بعض النقود ولكن الطفل رفض أن يأخذ الهبة قائلاً (كفى بالماء الذي أغدقه الملك علينا ومنحنا إياه بعد أن كنا نقاسي الأمرين في سبيله) وكان أهالي القرى التي تقع في الطريق إلى صامطة يحتشدون على جانبي الطريق ويستقبلون ركاب الملك مصفيين هاتفين عارضين ألعابهم وكان حفظه الله يأمر فيوقف الركاب يستمع حفظه الله إلى تعبيراتهم المختلفة عن فرحهم واحتفائهم .

الحفاوة بجلالته في المضايا :

ورجى أهالي قرية المضايا إيقاف الركب ورجوا الملك أن يتفضل بتناول القهوة لديهم فاستجاب حفظه الله وترجل من العربة الملكية وقضى بينهم بعض الوقت وتناول قهوتهم وغمرهم بعطفه ومضى الركب وهم غير مصدقين أن الملك العظيم شرفهم بزيارته وأنه تحدث إليهم واستمع منهم .

الحفاوة بجلالته في قرية الأحمد :

وبعد مسير حوالي ثلاث ساعات وصل الركب المحروس قرية الأحمد التي أعدت عدتها وتهيأت لاستقبال ركب الملك المفدى وبين التصفيق الحاد والهتاف المتعالي أخذ حفظه الله مكانه في صدر السراشق بين أقواس النصر والأعلام الكثيرة وافتتح الحفل بالقرآن الكريم الطالب أحمد جابر ثم ألقى فضيلة قاضي بني مالك سليمان السعود الدوجان كلمة بين يدي جلالته رحب فيها بخليفة المسلمين ونوه بأعماله الخالدة ومجهوداته العظيمة وتلاه الأستاذ إبراهيم جرادي عسيري الذي ألقى كلمة سعود بن تويم أمير الأحمد وأهالي الأحمد ورحب فيها بجلالته أجمل ترحيب ، وبعد أن قضى حفظه الله بعض الوقت إلى مائدة الشاي الجميلة غادرها ركابه السامي إلى دار فضيلة القاضي أحمد جابر واستقبل في الطريق إليها بحفاوة بالغة وقد ألقى الطالب محمد عبده كلمة فضيلة القاضي في هذه المناسبة ثم تفضل حفظه الله بالانتقال إلى مائدة الشاي التي أعدها القاضي .

الحفاوة بجلالته في بلدة صامطة :

وبين هذا السيل المنهر من الحفاوة والتكريم غادر ركاب جلالته قرية الأحد مستأنفاً السير في طريقه إلى صامطة ووافيناها في الساعة الخامسة والنصف ورحبت جموع الأهالي الحاشدة بركاب الملك الكريم بالتصفيق والهتاف والحفاوة وأخذ حفظه الله طريقه إلى معهد صامطة العلمي الذي قد أخذ زينته وأهبطه لاستقبال الملك وحيا جلالته جموع طلبة المعهد بالهتاف بحياته الغالية والأناشيد وتصدر حفظه الله هذا الفناء الواسع الذي توسط المعهد وتقدم بين يدي جلالته حافظ الحكمي مدير المعهد بقصيدة رائعة تغني فيها بنصير العلم وباعث النور مولانا الملك المفدى ، وتلاه أحد طلاب المعهد بكلمة ترحيبية عن زملائه وبين ألحان الموسيقى وصداح الطلبة بالأناشيد تفضل جلالته بالانتقال إلى مائدة الشاي الأنيقة ثم توجه الركاب الكريم إلى دار الإمارة حيث كان في استقبال جلالته حاكم البلد حسين بن شديد وفضيلة القاضي أحمد بن مسلم ، وبعد أن أخذ جلالته مكانه في صدر السرادق تقدم فضيلة القاضي بكلمة ترحيبية عن الأمير وعن نفسه وعن الأهالي ثم تقدم الطالب علي بن مديش بقصيدة بليغة جميلة وبعد ذلك انتقل حفظه الله إلى مائدة الغذاء الكبرى التي أقامها تكريماً لجلالته أمير وقاضي صامطة ، وبعد أن تناول حفظه الله الطعام هنيئاً قضى فترة الظهيرة يتفقد شؤون البلدة ويسأل عن أحوالها ويفصل في قضاياها بما عرف عن جلالته من اهتمام بالغ بشؤون مملكته ، وفي التاسعة من مساء هذا اليوم توجه الركاب المحروس بعناية الله ورعايته عائداً إلى جازان بين معالم الحفاوة ومظاهر الولاء في كل مكان وفي كل قرية وفي كل شارع وأمضى حفظه الله المساء على ظهر الباخرة الملكية .

الحفاوة بتوديع جلالتة في جازان :

وفي صباح هذا اليوم الأحد توافد على الباخرة الملكية جموع كبيرة من كبار أهالي جازان والمدن والقرى المحيطة بها وفي مقدمتهم سعادة أمير المنطقة سليمان بن جبرين ، وفضيلة قاضيتها ورؤساء الدوائر الحكومية فيها للتشرف بالسلام على حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مودعين وقد قضى الجميع وقتاً غير قصير في حضرة المليك الجليل يستمعون إلى نصائحه الغالية وإرشاداته الحكيمة التي تفيض إخلاصاً وخيراً وعقلاً .

حفظ الله الملك المفدى ذخراً لشعبه المخلص الوفي الأمين .

انتهى ما جاء في جريدة « أم القرى » .

تحية التاج

وصف الاحتفال الرائع ومناهج الاستقبال الفريد

قد أدار البيان والشعرُ جامه	فاشربني نخبه وعبيي مُدامه
واصدحي بالحنون فالأفق قدشف	يزف السنأ ويزجي نغمامه
وارمقي فجره المفضض مذلاح	وقد وشع السنأ أقسامه
في وشاح من الشعاع مضى	رصع البدر والنجوم وسامه
وتملأ الضياء قد شعشع النور	وقد لألأ الصباح ابتسامه
رفاً إيماض وهجه يغمر الكون	مبيناً تتوج الشمس هامه
كسنا ومضة من التاج شعت	في غواشي الدجى أضاءت تهامة
رفلت في غلائل النور تختال	تنير الدجى وتجلو ظلامه

* * *

لبست فيه حلة المجد جازان	وتاهت جلالة وفخامة
ماس في الزينة السخية تختال	وقد داعب الهوا أعلامه
وهفت في السماء منا قلوب	تلتقي الركب في الفضاء حوامه
وبدا الفلك في تهاده يبحري	فلك أطلع الشمس أمامه
فهما بالهتاف جازان رعداً	رج أطواده وهز أكامه
ليلة من بشائر المجد غراء	رقى اليمن في زهاها تمامه

* * *

وصباح مذهب زاهر النور	نضا عن سنا الأمانى لثامه
كان بدءاً لمهرجان وعيد	ألبس الدهر بهجة أيامه
يتهادى في نشوة الوجد جازان	وقد ألهب اللقاء غرامه
هزجاً بالولاء والحب يشدو	ثملاً أسكر الهوا أنغامه
أشعل الشعب بهجة وسروراً	فانتشى شيخه يباري غلامه

زغرد الغيد من وراء المقاصير نحبي ركابه ومقامه . . .
عجباً ما أرى مليكاً شأى الشعب حناناً وأمة مستهامه

* * *

أقسم الشعب أن يحيط علاه أينما سار لا يذوق منامه
كل ما هلّ موكب الملك هبت في جماهيرها تؤدي سلامه
واستطارت تواكب الركب صفا تجتلي نوره وتزجي احترامه
أمة أعربت وأبدت شعوراً صادقاً قدر المليك انتظامه
قال ماذا أرى ومن أنهض الشعب لهذا اللقا ومن ذا أقامه
فأجاب الأمير في خير نطق سيدي ما رأيته الهامه
وأقيمت موائد الشعب كالهالات نوراً وروعة وفخامة
نسقت في بدائع الزهر ألواناً وحاكت أنفاسه وانسجامه
احتفالات لا الرشيد اجتلاها في علاها ولا استضافت هشامه

موكب التاج (١)

أشرق (التاج) قد تجلت (سعوده)
كالسنا (جوهرآ) وكالبرق ومضآ
عربي الشعاع يسطع منه
وأعادت دنيا الخلافة عهدآ
باركت (عصره) السماء فخلنا

ضفروا (الغار) و(الأكاليل) واشدوا
وانثروا (الزهر) والرياحين غضآ
وامزجوا (الريح) بالبخور أريجآ
وانصبوا من حواشي الشفق الزاه
وليسر فوق هامنا والنواصي
واحملوها (مشاعلا) و(شموعآ)
أطلقوها (أهازجا) وغناء

أمة أعربت بمكنون (ود)
تتلظى (عواطفآ) وشمورا
تتملاك في (الشروق) ضياء

لبس القطر من شعاع الداري
وجلاها مباهجآ هزت الدين
رفرفت في الفضاء أعلامه الغر
وعلى ضفة الشواطئ دوي

حلا كالضحى ترف (بروده)
سرورا قد رددتها حدوده
وماجت على السهول حشوده
(هاتف) الشعب قد تعالت رعوده

<p>(رمز) نصر على البحار تعيده كاد أن ينطق ابتهاجاً (حديده) ه احتفاء (أثباجه) ومدوده عبقرياً هز الضفاف مدیده (نعم) من يد (المليك) تجوده جلاها على البلاد وفوده على الروض بالندی أملوده</p>	<p>حى ركبا على الخضم نهادی يتهادی بسید (الضاد) فخرأ غمر الأحمر العتید فحید وتغنت (عرائس) الموج لحناً خطر اليمن في (الجنوب) وهلت سافرات الضياء مشرقة (النور) رف (جازان) في ذراها كما رف</p>
---	--

* * *

<p>بين شعب تلقفتك كبوده ولاء قد لقتته (مهوده) مرفقاً يدمغ الزمان خلوده سلسلا ينقع الغليل بروده كمزن السما ، مرته رعوده (سور) الحمد للمليك نصيده</p>	<p>سرح الطرف في ربوعك واهناً يتفدك بالنفوس ويجبوك وتأمل آثارك الغر وانظر منهلاً من مناهل الخلد يجري صافياً كالشماع أزهر رقراقاً هامساً بالثناء والشكر يتلو</p>
--	---

* * *

<p>ت على (مرفا) الرصيف قدوده وحباه ردا الجلال سعوده على العالمين تهفو بنوده</p>	<p>رفل (الثغر) مشرق الأفق قد ماسـ خلعت زينة عليه الليالي وليدم سيد الجزيرة للشرق</p>
---	--

وجاء في جريدة « أم القرى » أيضا العدد ١٥٣٦ — :

جاءنا في ١٩ / ٢ / ٧٤ من مراسلنا المرافق لركاب جلالة الملك المعظم في رحلته التفقدية الميمونة إلى السواحل في المملكة ما يلي :

في تمام الساعة السادسة من ظهر هذا اليوم الأحد تركت الباخرة الملكية « الأمير سعود » من ميناء جازان آخذة طريقها بسلامة الله ورعايته بين الحفاوة والإجلال والحب والولاء إلى ميناء جدة بعد أن انتهت هذه الرحلة الملكية الكريمة التي تفقد فيها مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم — المفدى — السواحل الجنوبية للمملكة وزار مدنها وقراها القريبة والبعيدة الكبيرة والصغيرة وعاش فيها حفظه الله مع أبناء شعبه المخلص أياماً قليلة حفلت بكثير من فضائله ومشروعات كبيرة وخطوات سديدة وفي هذا الوقت بالذات بعد أن انتهت الرحلة الملكية الميمونة والباخرة تمر بنا عباب البحر الأحمر في طريقها إلى جدة تنقل مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم فوجه الخطاب التالي إلى أبناء شعبه جميعاً وإلى أبناء الجنوب خصوصاً :

لقد كان من دواعي ارتياحنا واغتيابنا أن نزور هذا الجزء من مملكتنا بسواحل تهامة وعسير والاجتماع بأهلها وتفقد شئونهم والنظر في أحوالهم والوقوف على حاجتهم فزرننا الليث ثم القنفذة فالبرك فالقحمة ثم حللنا بجازان وزرنا فيها صيبا وأبو عريش وصامطة وتجولنا في مناطقها الزراعية الواسعة وقد سرنا ما شاهدناه في أهل كل من هذه الأماكن التي زرناها من مظاهر الولاء والمحبة وآيات الابتهاج والإجلال ووسائل الحفاوة البالغة مما أوجب شكرنا الجزيل لهم جميعاً ونحن اليوم نغادرهم ولدينا الذكرى الطيبة والمآثر الحسنة والعزيمة الصادقة على القيام بالأسباب المؤدية إلى تيسير استثمار هذه المناطق الزراعية واستخراج خيراتها في رفع مستوى السكان جميعاً لتكثر فيها الخيرات وتحل المكانة اللائقة بها سائلين المولى أن يمكننا بعونه وتوفيقه إنه سميع مجيب .

وبعد فإن هذا الخطاب الملكي السامي الكريم غني عن كل تعليق لما فيه من التعبير الصادق الواضح عن عواطف الشكر والحب للشعب وبشائر الخير والنهوض والعمل المثمر المفيد لخير هذه الأمة وهذه المملكة التي تتشرف بالقيادة الحكيمة من خير قائد والرعاية الدائمة من أخلص راع والعطف الأبوي من أحسن الآباء وليس لنا إلا أن نتضرع إلى الله في علاه أن يديم الخير في ملك الخير وأن يزيد البر في عهد ملك البر وأن يحقق أماني الملك في شعبه وأماني الشعب في ملكه أنه خير من يدعى فيجيب .



قصيدة المؤلف

في حفل افتتاح العين السعودية في جازان

« عين » من الخلد تسقي جوف بطحاء
وسلسيل من (النهر) المقدس أم
أم أنها قضب (البلور) قد سميت
إذا تكسرت الأضواء واثقلت

جرت إلى (ربوة) في السفع فيحاء
نبع (الفراديس) من فيناء غيناء
(سبائك) من شعاع النور والماء
في ذوبة شع ومض (البرق) للرأي

* * *

وها هنا (النيل) أم (جازان) ناهضة
أم نفحة من (سعود) قد تخللها

في موكب المجد ، من بعث وإحياء
سر (البقاء) ، فأضفت كل نعماء

* * *

جازت (بجازان) أحقاب ينهها
وعته (ذاكرة) الأدهار محتدماً
نغر تلظى على (الأجيال) ما نجلت
يشكو (الأوام) وسيل الماء مندفق
كأنه (الكاعب) الحسنة قد وهبت
إذا مرته (الغوادي) الغر وارتجزت
حالت هواطل صوب الغيث عن صدر

حر (الظماء) على لفح ورمضاء
من وهج هاجرة أو قيط لإصلاء
رماله أو يبض (الصخر) بالماء
عن جانبيه ولم يحظ بإرواء
شطر الجمال ، على ضنك وضراء
رواعد (المزن) قاسى أي أرزاء
إلى (الموارد) إلا رنق أنواء

* * *

هنا على الشاطئ المسحور قد مخرت
وراضت (البحر) ، والدنيا ملفعة
يزهى بها (الأحمر) الزخار ناشطة
محملات نفيس (الدّر) جانحة
تغشى (شواطئ) بحر الشرق جللها
مذهبات شطوط الرمل مشرقة

يبض (القلوع) وجابت كل أنحاء
— في أول الدهر لم تفصح بأنباء
(ثغوره) بين إقلاع وإرساء
بين (القطيف) إلى (الحورا) وبتراء
ضفافها ، فيض أحلام وأضواء
فاض الجمال عليها ذوب لألاء

* * *

وحيثها هبة (ملكية) عظمت
سيقت إليكم بلا من ولا ثمن
ومنحة من (أبيادي) الملك ييضاء
عبر (الفياضي) وجازت كل (كأداء)

استنبطت من طباق الأرض فاندفعت
ثم استريضت وقيدت من منابعها
محجوبة لم تلح للعين صفحتها
تنهل من صبيب تفتت عن حجب
ثجاجة بنمير (الماء) سائغة
زفت إليكم ، تهادي في مواكبها
فاضت (سعودية) في الشعب فازدهرت
ردوا (الحياض) وعبوها مروقة
كأنها (السهم) في نزع وغلواء
إلى (القني) بلا مهل وإبطاء
صحية (الشرب) ما ليثت (بأقداء)
كومضة من لمى لعساء لمياء
تشني الغليل وتطفي كل برحاء
مجلوة الحسن في حفل وأضواء
بها (الربوع) وماست كل خضراء
واستلهموا (الشكر) في جهر وإخفاء

ردوا (المناهل) في أحيائكم نهلا
وليحفظ الله رمز (التاج) في ملك
كأنها (المزن) من (شؤبوب) وطفاء
أعطى الجليلين من مجد وإثراء

يا صاحب (التاج) وهاجاً ومؤتلقاً
ومن إليه قلوب (الشعب) خافقة
إني لأسمع شدو (العين) صادحة
في نغمة كنشيد (الحور) ساحرة
فيها (الجمال) وفيها (الفن) منطلق
تثني عليك ثناء (الخالدين) بما
يكاد يعزف من (أوتارها) نغم
على جبين ، كنور الشمس ، وضاء
حباً تسايره في كل أنحاء
بما يترجمه شعري وإنشائي
قدسية اللحن في رجوع وأصدا
وروعة ملكت حسي وإصغائي
أوليته (الشعب) ، في نعت وإطراء
في كل (ناطقة) عبت و (وعجاء)

وحي (عهداً) كشعشاع السنا نعمت
تثاب فيه جهود (العاملين) على
به (الجزيرة) في (أمن) و (إنشاء)
نهج (النهوض) وبعلى كل بناء

كانت (أمانى) أبداءها (السعود) لنا
مغامر من دعاة المجد تحفزه
وفكرة نبتت في صدر فداء
نفس عصامية في عزم مضاء

* * *

في مثلها ليلة ذكرى يقدها
أشرق في أفقها (بدرًا) مطالعه
والأرض تهتز تهباً من جوانبها
ضامى الشعور غريق الوجد في نغم
حتى محا الليل ضوء الصبح فاثقلت
فكبر الشعب إجلالا وهاتفه
مباهج عمت الشعب الوفي فلم
وها هو اليوم إعظاماً يجددها
دام المليك ودام الآل تلحظهم
(شعب) ويعتز في فخر وإعلاء
سعد السعود على شط وبطحاء
والشعب يختال في زهو ونعماء
يحدو مواكبه في (لج) أضواء
(شمسان) من غرة غرا ولألاء
كالرعد هز القضا في كل أرجاء
يذخر مظاهر إجلال وإحفاء
(ذكرى) تخلد في شعر وأنباء
عناية الله في صبح وإمساء

* * *

قصيدة الاستاذ الشاعر محمد السنوسي

في الترحيب بمقدم العاهل المفدى

لاح كالفجر نوره وانبلاجه (ملك) عرشه القلوب وتاجه
تتناجى به الضمائر والأرواح حباً ملا الضلوع اختلاجه
حمل الشعب قبل أن يحمل التاج وعنايه بؤسه واحتياجه
ومشى كالملاك في قلبه العطف وفي كفه الرحيم علاجه
تلك آثاره تلوح وهذا فضله يخرس الجحود حجاجه
طاف بي طائف يثير بقلبي ذكريات يزكي رواها اعتلاجه
والجنوب الحبيب يستقبل (البدر سعوداً) بطاحه وفجاجه
فتمثلته وقد وقف الشعب حوالبه والقلوب سياجه
باسماً يقطع (الشريط) ويفتر شعب هز الوجود ابتهاجه
باسطاً كفه الكريم بفيض حيوي عم البلاد انفراجه
هو سر الحياة للأرض والناس وينبوعها الشهي مجاجه
وطنى (وردة) يرف بها قلبي ولحن يشوقني نهزاجه
الهواء الذي يرطب أنفاسي نسيم تبثه أمواجه
والضياء الذي بعيني نور من سناه تشعه أبراجه
والشباب الذى ألف به جسمي رداء من نسجه ديباجه
والنمير الذي أعب مدام رق من مائه النقي مزاجه
كيف لا أحتفي بفرحته الكبرى طروباً ومنطقي صناجه
وخرير المياه يغمر إحساسي شعوراً معبراً ابجاجه
في أنايبه امتداد إلى كل فؤاد تأججت أمشاجه
كامتداد العروق في الجسم تنصب إلى قلبه دماً أوداجه
قف به صادقاً وشد بجهود لم يرعها من الحسود لجاجه
لم يكن (بامهير) يحفل بالمال ولا غره بريقاً رواجه
لم يخذل أعصابه مطلق الهز ولا هزه الهوى وعجاجه

كان أقوى من الرياح سراجـه	عصفت حوله الرياح ولكن
سنا الحق لامعاً وهاجـه	حمل الفكرة العظيمة واستهدى
رحيب الخطى وهذا نتاجـه	ومضى في طريقه ثابت العزم
فزكا غرسه وتم نضاجـه	رجل كالرجال رام التسامي
والعطف أحوذى نساـجـه	عمل حاطه ابن جبرين بالتشجيع
ومفتاحها القوي رتاجـه	ورعاه الوزير قطب المشاريع
عرشه في القلوب جأ وتاجـه	وهو جندي أمة ومليك
يمشي سوياً يقوده منهاجـه	وطريق الحياة رجب لمن





حضرة صاحب المعالي الأمير تركي بن أحمد السديري
رحمه الله

أمير جازان سليمان بن جبرين :

وفي شهر جمادى الأولى عام ١٣٧٥ سار على رأس حملة تأديبية للريث وقد وصل لمساندته (الأمير) عبد الله الفيصل الفرحان كما نزل من السراق أمير عسير تركي بن ماضي ، وفي آخر شهر جمادى الآخرة تم إدخال (صنابير) الماء إلى (حارات) مدينة جازان وفي ١٥ / ٢ / ٧٥ احتفلت مدينة جازان بإدخال ماء العين السعودية إلى داخل المدينة وألقى المؤلف قصيدة وتلاه زميله محمد السنوسي بقصيدة تجدها في هذا الفصل .

الأمير تركي السديري :

معالي الأمير (تركي بن أحمد السديري) ابن خال جلالة المغفور له الملك (عبد العزيز) وخال عدد من أصحاب السمو الملكي والأمير تركي أكبر أبناء (أحمد السديري) سنأ وأعظمهم مكانة وأسطعهم سيادة ونبلا خلال كريمة وأخلاق سامية يمتزج في طبعها العربي الأصيل روعة المجد ورقة التواضع وسعة الأفق وعمق السياسة وفيض البذل والسماحة ولا أنزلف بما أسطره هنا إليه بصفته أمير منطقتي فهو من أزهد الرجال في الإطراء والثناء ومع ذلك فالتنويه بمزايا الرجال العاملين من أفضل الحوافز الإنسانية للخير وأكرم الدوافع النفسية للعمل وما أحوج كل نفس بشرية - من الملك العظيم إلى العامل البسيط - إلى كلمة ثناء صادق من قلب مخلص في تقدير الجهود .

ويتسم عهده بجهود إصلاحية ومشاريع عمرانية نافعة نخص منها :

١ - افتتاح دار الأيتام بجازان لكفالة ورعاية وتعليم مئة يتيم من أيتام المنطقة على حساب الحكومة .

٢ - تخطيط مدينة (جازان) الجديدة نظراً لاتساع العمران .

٣ - إبراز مشروع سد وادي (جازان) من مراحل الدراسة إلى مرحلة التنفيذ .

٤ — إفتتاح مشروع إنارة مدينة (جازان) بالكهرباء .
ولا يزال يوالي جهوده المبصرة ومساعدته واقترحاته لدى المراجع في
المشاريع التقدمية لهذه المنطقة .



معالي أمير منطقة جازان محمد بن تركي بن أحمد السديري

تحقيق صحفي

قام به مندوب جريدة الندوة مع مدير عام وزارة الزراعة نشر بالعدد ٢١٤ في ١١ / ٤ / ١٣٧٩ عن « جازان » آثرنا لإيراد نصه في هذا التاريخ .

سئل معالي الأمير خالد السديري وزير الزراعة السؤال التالي :
ما هو المشروع الزراعي الهام الذي تتحمس له شخصياً كمواطن وتنمي سرعة تحقيقه ؟

فأجاب : مشروع وادي جازان .

وكانت هذه الإجابة بمثابة الأنوار الكاشفة التي سلطت على منطقة زراعية هامة . فرحنا بنجري تحقيقاً صحفياً واسع النطاق مع سعادة المهندس الزراعي (السيد عبد الله الدباغ) مدير عام وزارة الزراعة عن جازان . والأمال الكبيرة الذي يتمنى وزير الزراعة تحقيق مشاريعها وبشاركه التمنيات الطيبة كل الذين يحبون الخير لبلادهم .

أهمية جازان :

س : هل من الممكن أن تنشروا للقراء أهمية منطقة جازان الزراعية ؟

ج : أجمعت آراء الفنين السعوديين والخبراء الأجانب الذين استقدموا إلى هذه البلاد على أن المنطقة الجنوبية من المملكة سواء المعروفة باسم عسير وتهامة عسير تتوفر بها جميع الإمكانات الزراعية اللازمة التي يمكن أن تصبح ذات أثر واضح ملموس في سد حاجة البلاد من الحاصلات الزراعية والمواد الغذائية التي تستورد منها كميات هائلة تقدر سنوياً بما لا يقل عن ثلث قيمة كافة الواردات عموماً وهي في معظمها من الحاصلات التي تنتج فعلاً في هذه البلاد أو التي يمكن إنتاجها بمجهود بسيط في حين أن استيراد تلك المواد يستنفد قدراً كبيراً من العملة الصعبة يمكن أن يوجه لما هو أسمى كما يرهق المستهلك نتيجة للأسعار المرتفعة التي يعمل على تحصيلها المستورد

والوسيط ويفوت الفرصة على المنتج المحلي في هاتين المنطقتين جميع المقومات اللازمة لعناصر التنمية والتحسين وزيادة الإنتاج الزراعي فالمياه العذبة الخالصة من الأملاح الضارة متوفرة إلا أنها تذهب هباء إلى البحر الأحمر فضلاً عما تحمله من مواد الخصب مثل « السلت » هذا إذا لم ترد مياه السيول في صورة جارفة فتدمر الوديان في بعض القرى وتحمل معها أرضاً زراعية خصبة لا يمكن أن تعوض ونقذف بها إلى البحر مع ما تقضي عليه من الحيوان والأنفس كما حدث في عام ١٩٤٦م إذ جرف أحد الوديان ما يقرب من نصف قرية وهناك الأرض الزراعية الخصبة التي وصفت بأنها من أجود الأراضي الزراعية في هذه البلاد وفيما يجاورها من بلاد وهي بمساحات شاسعة جداً وتتميز في نفس الوقت بوجود بعضها في صورة مسطح وبعضها مسطح ساحلي قريب من الموانئ البحرية وبعضها على ارتفاعات متباينة من سطح البحر مما يغير من درجة الحرارة كما هو معروف فيلطفها ويجعل من هذا التباين وسيلة لتنويع الحاصلات ففي الوقت الذي تجدد في المنطقة الساحلية نباتات يلائمها الجو الحار (مثل السمسم والذرة الرفيعة) نجد على مسافة قريبة منها نباتات تتطلب البرودة النسبية منزرعة في مسطحات الجبال والمرتفعات مثل (القمح وأشجار الفاكهة والقشطة والأعناب والأشجار المثمرة) وهناك مجموعة حيوانية ضخمة من أبقار وأغنام وماعز ودواجن استحوذت إعجاب الخبراء وهناك أيد عاملة متوفرة رخيصة الأجر تشارك فيها المرأة زوجها والابنة والدها وخلاصة القول أن المنطقة الجنوبية إذا لم نصفها بأنها إقليم زراعي يجب أن يستغل فيغل ويدر ويسد نقصاً نستكمل من خارج البلاد .

منطقة تهامة :

ففي منطقة تهامة الجنوبية الممتدة من على ساحل البحر الأحمر شريحة من الأراضي المنبسطة لا تقل مساحتها عن نصف مليون فدان ٢,٠٠٠,٠٠٠ «دونم» وهناك معدل من تساقط الأمطار وإن كان يبدو لغير المتعمقين غير كاف لقيام زراعة مطرية في حد ذاته إلا أن تجمعاً منه في صورة وديان تحمل كميات ضخمة من السيول سنوياً تكفي لقيام زراعة مستقرة مستديمة متنوعة الحاصلات

متباينة المواسم فإذا أضفنا إلى ما تقدم ثروة مائية جوفية يمكن أن تستغل أمكن القول بأنه من الميسور جداً التوسع في الزراعات المستديمة التي تتطلب المياه على مدار السنة مثل أشجار الفاكهة .

٢٠٠ ألف فدان :

وفي المنطقة قرر الخبراء وجود ٢٠٠,٠٠٠ فدان في الجزء الممتد في الحدود الجنوبية لامتداد ١٠٠ كم شمالاً فقط مما يعطى فكرة عن ضخامة المساحات في عموم المنطقة وفي هذه المنطقة من الوديان وادي (بيش) ووادي عتود ووادي ضمد ووادي صيبا ووادي جازان وغيره من الوديان والشعبان العديدة ذات الأرض الخصبة والمياه الوفيرة .

س : ماهي مشاريع وزارة الزراعة بالنسبة لهذه الأودية .

ج : من بين هذه الوديان العديدة تخيرت الوزارة (وادي جازان) لتنفيذ مشروع خاص بالتحكم في مياهه واستغلالها في ري أراضيها الخصبة ليس باعتباره أضخم الوديان فهناك ما هو أضخم منه وإنما اختارته لاعتبارات فنية مثل قربها من العمران واعتدال كميات المياه به فرأت أن تتخذ مشروعاً نموذجياً بمثابة رائد لما يتلوه من المشاريع الأخرى العديدة التي يتشكل في مجموعها برنامجاً ضخماً طويل الأمد للتنمية الزراعية في منطقة تهامة الجنوبية .

وادي جازان :

س ٣ : هل لدى الوزارة دراسة وافية لمشروع وادي جازان ؟

ج : نعم ان مشروع وادي جازان يعتبر من المشاريع المدروسة دراسة كاملة مستوفاة من حيث فنياته وتكاليفه ومراحل العملية والزمنية والنتائج التي تستوجب عنه وهو في جملته يهدف إلى التحكم في مياه السيول التي تفيض سنوياً في الوادي لري أراضيها وذلك بإقامة سدود ومحولات وقنوات للري وتقوية الجسور في المواضع الضعيفة على جانبي الوادي كما يهدف المشروع إلى الاستفادة من المياه الجوفية بالمنطقة في ري الأراضي به لتنظيم الزراعة واستقرارها وحمايتها من الفيضانات العالية .

ثلاث مراحل :

س ٤ : كم مرحلة تستغرق تنفيذ هذا المشروع ؟

ج : هذا المشروع مقسم على ثلاث مراحل الأولى يمكن البدء بها فوراً وهي كفيلة بوقاية خمسة آلاف فدان من أراضي هذا الوادي من أخطار الفيضانات المدمرة عن طريق ضبط مياه السيول فيه ضبطاً تلقائياً (أتوماتيكياً) كما تمكن من تحسين الأساليب المتبعة في الزراعة والري في مساحة ٢٠,٠٠٠ فدان لم تكن لتروي أو تنزرع في غير السنين الطيبة .

كانت تكاليف هذا المشروع طبقاً للأسعار السائدة عند إتمام دراسة عام ١٩٥٥م (زهاء ٨ مليون ريال) إلا أنه أصبحت حوالي (١٦ مليون ريال) طبقاً للأسعار والأجور السائدة في الوقت الحاضر مما تعطي فكرة صادقة عن الأضرار التي ترتبت عن إرجاء تنفيذ هذا المشروع هذا من الناحية النقدية الصرفة أما إذا أدخلنا في اعتبارنا قيمة الأضرار المادية التي تحدث من حين لآخر نتيجة لانجراف التربة واكتساح أراضي زراعية ونفوق ماشية وفوات مواسم زراعية بكاملها وتدمير قرى وضياح الفرصة في زيادة الإنتاج التي قدرها الخبراء بستة أمثال الإنتاج الحالي كحد أدنى إذا لم تزد عن ذلك لوضح لنا أن الخسارة الواقعية تصل إلى حد مروع سيستحث كل هممة وحاس للبدء بهذا المشروع الحيوي الذي فضلاً عن فوائده المادية فهو رائد نموذجي عملي يستفاد من نتائجه وخبراته فيما يتلوه من المشاريع التي لها نفس الطبيعة ونفس الفوائد في سبيل إعمار واستثمار المنطقة الجنوبية على أسس علمية حديثة قد رسمت الوزارة خططها الفنية بتنفيذ هذا المشروع على سنتين أو ثلاثة سنوات إذا قضت الظروف المالية أو الزمنية بضرورة ذلك .

ففي السنة الأولى تتلخص الأعمال في الآتي :

- ١ - إنشاء طريق إلى موقع السد بطول ٥٠ ك . م تقريباً .
- ٢ - إنشاء مستعمرة لسكنى الفنيين والموظفين والمكاتب والمخازن والورش ومحطات كهربائية .

- ٣- الإشراف الفني والإداري على تنفيذ المشروع .
- ٤- القيام بحسبات اختبارية دقيقة لطبقات التربة في طبقات معينة .
- ٥- تزويد المشروع بما يلزم من وسائل النقل والخزانات المتنقلة للوقود والأدوات الفنية والتأسيسات وغير ذلك وتقدر جملة تكاليف ما تقدم بحوالي ٣,٨ مليون ريالاً أما الأعمال في السنة الثانية فتلخص في الآتي :
- ١- الاستمرار في الإشراف الفني .
- ٢- الاستمرار في المستلزمات الموسمية .
- ٣- إنشاء السد مع تكاليفه وهذا وحده يتكلف ٩ ملايين ريال .
- ٤- إنشاء عمقين خلف السد تكاليفهما ملايين ريال .

وعموماً تقدر تكاليف الأعمال في هذه السنة — بنحو ١٢ مليون ريال أي أن جملة تكاليف المشروع تقدر بحوالي ١٥,٨ ملايين ريال والمشروع كما يبدو حيويّاً أكيد النتائج من شأنه زيادة الإنتاج المحلي زيادة كبيرة تؤدي إلى رخاء أهل المنطقة وتفيض كثيراً عن حاجتها الاستهلاكية بما يقتضي ضرورة التفكير الجدي في كيفية تصريف فائض المحاصيل والإنتاج الحيواني ومن حسن الحظ أن الحكومة الموقرة جادة ساهرة لهذا الجانب العمراني في البلاد ألا وهو طرق المواصلات والمعروف أنها شرعت فعلاً في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بربط منطقة : جازان بمنطقة : جدة بطريق بري يمكن التكهن بما سيكون عليه في ضوء تلك الطرق الممتازة التي نراها وندرسها حالياً كطريق الرياض — مكة وطريق الرياض — الظهران وطريق جدة — المدينة وطريق المدينة وكذلك فهي معنية بوسائل النقل البحري فإن النية متجهة إلى تحسين ميناء جازان فإذا ربطنا بين المدة التي يستغرقها هذا المشروع وما يترتب عليه من تطوير الزراعة والثروة

الحيوانية في منطقة جازان وبين ما يستغرقه تعبيد الطرق وتحسين الميناء وجدنا
أن هناك توافق بين زمني الجهات المختصة كل فيما يخصه ففياً تقدم نرى يقظة من
الجهة المختصة بالتنمية الزراعية وأخرى من الجهة المختصة بالمواصلات والموانئ
مما يبشر بوجود التناسق اللازم بين أجهزة الدولة في اتجاهاتها نحو تنمية مرافقها
الحيوية ولا شك في أن الزراعة بصفة خاصة هي المرفق الدائم في هذه البلاد
والذي يتصل اتصالاً مباشراً وثيقاً بدخل الفرد وبالتالي بإيرادات الدولة ونسأل
الله التوفيق وإلى اللقاء .

الداعية المرشد عبد الله القرعاوي :

أشرنا قبل في حوادث عام ٥٣ هـ إلى وصول الداعية (عبد الله القرعاوي)
إلى تهامة (منطقة جازان) وقيامه متبرعاً بالإرشاد ونشر العلم واستقراره
في بلدة صامطة وفتح مدرسة سلفية بدأها على نفقته وكانت له وسائل خاصة
يتألف بها قلوب من يتوسم فيه الرغبة للهداية والتعليم فاجتمع له عدد من
الطلبة فقام بتلقينهم مبادئ الفقه والقراءة ومبادئ الحساب والعربية والفرائض
والتوحيد بتدرج بهم في تشويق إلى التوسع في تلك المعارف فجعل الله على
يده النجاح وكان من أذكى طلابه فتى في مستهل العمر لماح الذكاء قوي
الحافظة أعجب الداعية بسرعة تحصيله وقوة حافظته فأطلق عليه لقب الحافظ
فشهر بذلك الطالب في علوم (الفقه والفرائض والتوحيد والعربية والحديث)
حتى أصبح علماً يشار إليه بالبنان فاعتمد عليه الداعية في التدريس وتوسعت
تلك المدرسة التي ابتدأت بنحو العشرة إلى أن صارت تضم ما يزيد على المئة
وتخرج فيها عدد من القضاة الشرعيين والمرشدين فأصبحت صامطة هجرة
من هجر العلم ومنهلاً من مناهل الفقه ومشروعاً من مشاريع التوحيد فأقبل عليها
الطلاب وعندما رأت الحكومة نجاح مشروعه شجعت مسعاه وباركت
مجهوداته وتولت نفقات الدراسة وقررت الرواتب للمدرسين .

أما المحافظ فقد أنيط به إدارة المعهد العلمي الذي افتتحته الحكومة بصامطة ومع ذلك فقد ألف من الكتب والرسائل ما يزيد على الخمسة عشر كتاباً وقد أدركته الوفاة وهو في مقتبل العمر في عام ١٣٧٨ تغمده الله برحمته وفيض رضوانه .

وانتشرت مدارس القرعاوي في البلدان والقرى والحلل فأينما يمت وسرت وجدت مدرسة للقرعاوي تحارب الأمية وتيسر الهداية وكلها على نفقات الحكومة وقد توقفت تلك المدارس ولم يبق إلا معهد صامطة العلمي فهو منار إشعاع في حدودنا الجنوبية .

وفي اليوم الثالث من شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٧ :

توفي أمير المنطقة الشيخ تركي السديري فخلفه في مركز الإمارة وكيل الإمارة الشيخ محمد بن تركي السديري الشاب الجامعي المثقف .

في سنة ١٣٨٣ زار المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز لتفقد أحوالها فاحتفلت بمقدمه البلاد احتفالاً رائعاً .

وفي سنة ١٣٨٥ بدأت النهضة العمرانية تعم المنطقة وبدأت وزارة المواصلات في تخطيط طريق جيزان - صيبا - الدرب - أبها .

وفي سنة ١٣٨٨ بدأ تخطيط طرق المواصلات بين مدن وقرى المنطقة وفيها زار المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وتفقد مراكز الحرس الوطني في ثكناتهم في السهول والجبال .

وفيها زار المملكة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز .

وفي سنة ١٣٨٩ هـ بُدئ في حفر الآبار الارتوازية في عدة جهات من المنطقة وأنشئت البساتين للخصروات وأصبح في هذا التاريخ يوجد ما يزيد على ثلاثة آلاف بئر ارتوازي .

وفي سنة ١٣٩٠ بدأت الحكومة في حفر آبار ارتوازية في القرى والبلدان
لمياه الشرب .

وفيها بدأ تنفيذ سفلتة طريق جيزان — أبها كما بدأ بتنفيذ سفلتة طرق
المواصلات الداخلية .

والآن أصبحت جل البلدان والقرى تربطها خطوط مواصلات مسفلتة
متصلة بمدينة جازان .

فهرس هذا الجزء

صفحة

٦١٣	مقدمة الطبعة الثانية
٦١٥	مقدمة الطبعة الأولى
٦١٩	الفصل الأول — الحالة العامة في المخلاف السليماني
٦٢٠	السيد أحمد بن إدريس المغربي
٦٢٥	علي بن محمد بن أحمد بن إدريس
٦٢٦	الفصل الثاني — الإمام محمد بن علي بن إدريس
٦٢٧	العلاقات الإدريسية الإيطالية
٦٢٩	الإدريسي في صبيا
٦٣٣	الحالة العامة في المخلاف السليماني
٦٤١	التجاء الجعافرة إلى الإدريسي
٦٤٣	الثورة
٦٤٤	التأهب لضمد
٦٤٤	تشكيل الحكومة
٦٤٥	أحمد شريف الخواجي
٦٤٨	محمد يحيى باصهي
٦٥٣	القبض على أحمد شريف ومحاكمته
٦٥٨	في الميدان الشرقي
٦٦٠	الإدريسي في شذا
٦٦٠	الضبيعة
٦٦١	إلى النظر
٦٦١	رد العقد
٦٦٢	منبه — العر — فيفا — بني مالك — رازح
٦٦٢	الموقعة

صفحة

٦٦٤	الفصل الثالث — الدولة العثمانية والإدريسي
٦٦٤	الموقف الأول...
٦٦٤	أول وفد تركي إلى الإدريسي
٦٦٥	أول معاهدة
٦٦٨	محاولة متصرف عسير
٦٦٩	عودة إلى أحمد شريف
٦٧٠	الحملة التركية
٦٧٤	العمليات الخيرية في الشمال
٦٧٥	القتال
٦٧٥	وصول النجيدات التركية إلى القنفذة
٦٧٦	إهتمام الإدريسي بالموقف
٦٧٧	عسير بين الأتراك والإدريسي
٦٧٧	سليمان شفيق متصرفا لعسير
٦٧٨	سليمان شفيق والإدريسي
٦٨٠	طلب نجدة
٦٨٠	وصول مغاوضين من الآستانة
٦٨٣	الاجتماع الثاني بين سليمان شفيق والإدريسي
٦٨٨	الاستعدادات
٦٨٨	مقدمات الحركة
٦٨٩	الثورة
٦٩٠	أبها
٦٩٠	الهجوم
٦٩٢	حملة شريف مكة لفك حصار أبها...
٧٠٠	إعلان إيطاليا الحرب
٧٠٣	خطاب من الإدريسي إلى الإمام يحيى
٧٠٦	الحملة الثانية إلى جازان

صفحة	
٧٠٨	خطة إدرسية لاسترداد محائل
٧١٤	الفصل الرابع - وصول فيصل بن الحسين
٧٢٠	محمد علي باشا
٧٢٢	الفصل الخامس - حملة جديدة على الإدريسي
٧٢٤	العمليات الحربية في الجنوب
٧٢٥	وفد تركي
٧٢٦	الاستيلاء على ميناء ميدى
٧٢٦	احتلال مدينة حرص
٧٢٦	احتلال مدينة فرسان
٧٢٦	قدوم الإدريسي ميدى
٧٢٧	القتال
٧٢٧	مخالفة يحيى على ثواب
٧٢٧	الإدريسي والحرب العظمى الأولى
٧٢٨	القتال في جانب الحلفاء
٧٢٩	الهزيمة
٧٣٠	قوات جديدة
٧٣٠	الإنكليز وتشديد الحصار على الأتراك وضرب الموانئ
٧٣١	الإحتلال البريطاني لمدينة الحديدة
٧٣٣	المعاهدة الإدريسية البريطانية
٧٣٥	الفصل السادس - بلاد عسير
٧٣٥	حصار الإدريسي لأبها
٧٣٩	الحرب العظمى الأولى
٧٣٧	عسير في مضطرب العواصف
٧٣٨	اتفاقية صبيا
٧٤٠	القتال
٧٤٠	الحملة الإدريسية

صفحة

٧٤١	الرياض وعسير	...
٧٤٤	الفصل السابع — بين الإمامين يحيى والإدريسي	...
٧٤٨	الاتفاق والاختلاف	...
٧٥٠	نظرة الإدريسي تجاه الإمام يحيى	...
٧٥٢	جواب الإدريسي للإمام يحيى	...
٧٥٦	الفصل الثامن — ابن سعود والإدريسي	...
٧٥٨	موقف الإدريسي من ثورة عسير	...
٧٥٨	محاولة آل عائض	...
٧٦١	معاهدة مكة المكرمة	...
٧٦٣	الفصل التاسع — من رسائل الإمام محمد بن علي بن إدريس	...
٧٦٩	منشور إدريسي	...
٧٩٤	خطاب من الإدريسي إلى قاضية في جبل النضير	...
٨٠٧	الفصل العاشر — ثقافة الإدريسي	...
٨٠٩	قصائده التي بعثها من مصر إلى والده بصيبا	...
٨١٢	الفصل الحادى عشر — مقدمة دراسة عامة	...
٨١٩	الفصل الثانى عشر — دراسة عامة عن الدولة الإدريسية	...
٨١٩	الناحية السياسية	...
٨٢٥	السياسة الداخلية	...
٨٢٦	السياسة الإدارية	...
٨٢٧	الجهاز الإدارى العام	...
٨٢٨	الرهائن	...
٨٢٨	المواصلات	...
٨٢٨	الإيرادات الحكومية	...
٨٢٩	الأوامر	...
٨٢٩	محاولة تنظيم جهاز الدولة	...
٨٢٩	مآثره الحكومية	...

صفحة

٨٣٠	الترشيحات ومؤهلات العمال
٨٣٠	السجون
٨٣٠	الناحية العلمية
٨٣٣	الطريقة الأحمدية والإمام محمد الإدريسي
٨٣٤	الديوان الإدريسي
٨٣٥	الوزراء
٨٣٥	كبار رجال القضاء في مجلس الإدريسي
٨٣٥	رؤساء قادة الجيوش
٨٣٦	أشهر عمال الجهات
٨٣٨	الحدود
٨٣٨	الداخل الحكومي
٨٣٩	الجيش
٨٣٩	الناحية الاجتماعية والاقتصادية
٨٤٤	الشعر في العهد الإدريسي
٨٥٠	الفصل الثالث عشر — الإمام علي بن محمد الإدريسي
٨٥٠	اجتماع ذوى الرأى
٨٥١	البيعة
٨٥١	المبادرة الأولى
٨٥٤	العودة
٨٥٦	مؤامرة
٨٥٧	الإخفاق
٨٥٧	الحالة في صيبا
٨٥٨	نهاية المؤامرة
٨٥٩	تداعى صفوف المؤامرة الأولى
٨٥٩	الواسطة
٨٦٠	بعد الصلح

صفحة

الأمير مصطفى في المنطقة الجنوبية	٨٦٤
الرحلة	٨٦٤
الجديد في الموقف	٨٦٥
الإستعداد والبحث عن معين	٨٦٦
إجراءات تبطل الإتفاقية	٨٦٦
الثورة	٨٦٧
الإمام والثورة	٨٦٨
الحالة في القسم الجنوبي من المملكة الإدريسية...	٨٧٢
الزعيم هادي هيج شيخ مشايخ قبائل الواعظات	٨٧٦
حيلة الإنقاذ	٨٧٨
رجلا جنوب تهامة	٨٧٩
النائب الجديد	٨٨٤
الفراغ	٨٨٥
ولي عهد اليمن وابن الوزير	٨٨٦
إستفاقة المذهول	٨٨٦
العودة إلى ميدى	٨٨٧
الإمام على الإدريسي يدخل كمران في قالب الأسماك	٨٨٧
قرية جبل	٨٨٨
يحيى ثابت حكيم	٨٨٩
المهجوم	٨٩٠
رئيس ميدى الأول أحمد طاهر زيلع	٨٩١
عودة يحيى ثابت	٨٩١
الخط الثاني	٨٩٢
أحمد طاهر يقاتل في المدينة	٨٩٢
في الميدان الشرقي	٨٩٣
نظرة سريعة	٨٩٤

صفحة

٨٩٤ الخندق
٨٩٤ الورشة
٨٩٥ رجال الدولة المبعدون
٨٩٦ الحملة على سامطة
٨٩٧ المعركة
٨٩٨ وصول الزعيم الإسلامي أحمد السنوسي
٨٩٨ الوساطة السعودية
٨٩٨ الإنقلاب الناجح
٨٩٩ حملة العيد
٨٩٩ حصار
٩٠٠ الفصل الرابع عشر — الحسن الإدريسي
٩٠٠ مطامع إيطاليا
٩٠١ رجوع الوزراء المنفيين
٩٠١ ثورة قبائل بني مروان وعبس
٩٠٢ عصيان الحرث
٩٠٢ جزيرة زفاف
٩٠٣ حملة الحقو
٩٠٣ مجاعة
٩٠٤ أول مندوب سعودي
٩٠٤ وفد إدريسي
٩٠٤ مخالفة أبي عريش
٩٠٨ الكدرة
٩٠٩ الفصل الخامس عشر — ابن سعود والأدارة
٩١٧ الفصل السادس عشر — ما دار بين الملك والإمام من المكاتبات
٩٣١ الجبال الشرقية
٩٣٦ الفصل السابع عشر — بوادر الحركة الفاشلة

صفحة	
٩٤٤	ابن رفادة وثورة الشمال
٩٤٧	ثورة الجنوب
٩٥٠	حالة الوزراء
٩٥٣	في عهد الحسن
٩٥٧	عود على بدء
٩٥٩	الاجتماعات
٩٦٠	رحلة الأمراء
٩٦٢	التنظيمات السعودية
٩٦٨	الأمير ابن زعير
٩٧٠	الموقف الأخير
٩٧٢	الرحلة إلى صبيا
٩٧٤	دخول تركي ورفقاه علي الحسن
٩٧٥	تقدم عبد الوهاب الإدريسي
٩٧٦	الفصل الثامن عشر - الحالة في منطقة جازان
٩٧٧	ابن زعير
٩٧٧	الحصار
٩٧٩	التسليم
٩٨٠	دخول عبد الوهاب إلى جازان
٩٨٣	سير الحملة
٩٨٣	وقعة سودة
٩٨٥	اللنش
٩٨٩	فرسان
٩٩٠	الموقف في صبيا
٩٩١	حصار معركة سودة صبيا
٩٩٢	محاولة غير ناجحة
٩٩٤	الموقف الملتب

صفحة

٩٩٧	إطلاق سراح المعتقلين
٩٩٩	موقف الإدريسي
١٠٠٠	الجديد في الموقف
١٠٠٢	التعديل في الخطة
١٠٠٣	رد الفعل
١٠٠٥	الهجوم على صيبا وبيت باصهي
١٠١٠	القبض على باصهي
١٠١٢	الخروج بباصهي إلى ضمد
١٠١٢	في ضمد
١٠١٤	حملة عسير
١٠١٥	عبد الله القعتمى وابن على الأقمم الخواجي
١٠١٥	خروج القعتمى وعمر الأقمم
١٠١٦	نجاة عمر الأقمم
١٠١٨	نهاية حياة القاضي عبد الله العتمى
١٠١٩	حملة خالد بن لوى
١٠٢٠	السرية التي في صيبا
١٠٢٠	خروج خالد بن لوى من أبها
١٠٢١	معركة سمرة
١٠٢١	الحالة العامة في المنطقة إبان الثورة
١٠٢٢	الخطة الإدريسية
١٠٢٣	غزو القبائل الموالية للإدريسي لقرية أم الحشب وأطرافها
١٠٢٤	وصول حملة ابن ربيعان
١٠٢٤	وقعة المضايا
١٠٢٥	المعركة
١٠٢٩	التقدم إلى جهة أبي عريش
١٠٢٩	معركة البيض

صفحة

١٠٢٩	...	إستدعاء الإدريسي للعابد الإدريسي من جزيرة كمران
١٠٣١	...	وصول حملة عبد العزيز بن مساعد
١٠٣٢	...	معركة الحقو
١٠٣٢	...	الوفد
١٠٣٤	...	حمد الشويعر
١٠٣٥	...	الفصل التاسع عشر — الحالة مع الإمام
١٠٣٦	...	العلاقات
١٠٣٧	...	المعاهدة
١٠٣٨	...	الحدود والإعتراف بها
١٠٣٩	...	المعاهدة الجديدة
١٠٤٠	...	الاتحاد والتعاون
١٠٤٠	...	التحكيم
١٠٤١	...	المؤتمر العربي في بغداد
١٠٤١	...	الاعتراف
١٠٤١	...	ملاحظة مهمة
		مشروع معاهدة بين المملكة العربية السعودية وبين حكومة
١٠٤٢	...	الإمام يحيى
١٠٤٥	...	رحلة الوفد
١٠٤٥	...	الإستقبال
١٠٤٩	...	سفر الوفد إلى الحجاز
١٠٥١	...	برقيات متبادلة بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى
١٠٥٦	...	وصول الوفد إلى جازان
١٠٩٤	...	الوفد اليمني
١٠٩٥	...	وصول الوفد إلى أمها
١١١١	...	نجران
١١١٤	...	الحصار

صفحة

١١١٥	الوفد الإسلامي
١١١٧	الفصل العشرون — الحالة في الجنوب
١١١٤	نشاط قوات الإمام والأدارة
١١٢٥	الاستعداد
١١٢٥	إشتراك قبائل منطقة جازان
١١٢٥	الإجراءات الدفاعية والوقائية
١١٢٦	التحرشات
١١٢٧	تحرك الشويعر من سامطة
١١٢٧	الجيشان في الميدان الغربي
١١٢٨	التهديد للهجوم
١١٢٩	التهيو
١١٣٠	الهجوم
١١٣٢	الفصل الحادى والعشرون — غزو اليمن
١١٣٣	مدينة ميدى
١١٣٦	تعقب العرشى والجيش المنسحب
١١٣٦	مغادرة عمال اليمن لتهامه
١١٣٧	التقدم من ميدى
١١٣٧	الحالة في منطقة مدينة الحديدة...
١١٣٨	الاستيلاء على مدينة الحديدة وبلاد الزرانيق
١١٣٩	دخول فيصل الحديدة
١١٣٩	وصول شيخ عبد الله السليمان...
١١٤٠	عودة حمد الشويعر لمركز إمارة جيزان
١١٤٢	معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية
١١٥٢	عهد التحكيم بين مملكة اليمن وبين المملكة العربية السعودية
١١٦٠	القسم الجبلى من منطقة جازان
١١٦١	الفصل الثانى والعشرون — موجز تاريخ أمراء المنطقة

صفحة

١١٦١	إمارة عبد الله بن عقيل
١١٦١	محمد بن عبد العزيز الماضي
١٦٦٢	أمير منطقة جازان خالد السديري
١١٦٢	غزوة الريث
١١٦٤	الأمير محمد السديري
١١٦٦	الأمير مساعد السديري
١١٦٦	أمير منطقة جازان سليمان بن جبرين
١١٦٧	حفاوة جازان باستقبال جلالة الملك عبد العزيز
١١٦٩	زيارة جلالتهم لأهل العلم في جازان
١١٧٤	عناية جلالتهم بإقامة سد لوادي صبيا
١١٨٠	تحية التاج - قصيدة
١١٨٢	موكب التاج - قصيدة
١١٨٦	قصيدة المؤلف - في حفل افتتاح العين السعودية في جازان
١١٨٩	قصيدة الأستاذ الشاعر محمد السنوسي
١١٩٢	أمير جازان سليمان بن جبرين
١١٩٢	الأمير تركي السديري
١١٩٣	تحقيق صحفي
١١٩٤	أهمية جازان
١١٩٥	منطقة تهامة
١١١٩	الداعية المرشد عبد الله القرعاوي

مطبعة نهضة مصر

الفيحة - القاهرة

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السليماني وفي الحواشي

الجزء الاول

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
١	٣٩	المتن	في مقدمة الطبعة الاولى الاشارة الى المخطوطات التي في مكتبتى
٢	٤٧	حاشية	عن المستشرقين الذين اكتشفوا آثار جنوب الجزيرة
٣	٤٨	المتن	» » » » » » وأسمائهم
٤	٤٩	»	» » من الفرنسيين
٥	٤٩	»	» » » »
٦	٥٠	»	عن بعض الكتاب الكلاسيكيين
٧	٥٠	»	القرآن الكريم
٨	٥٠	»	تقدير الباحثون لتاريخ قيام الدولة السبئية
٩	٥٤	»	الديبع ، المستفيد - العقود اللؤلؤية - الخزرجي
١٠	٦٢	»	الهمداني
١١	٦٣	»	الكتب الكلاسيكية
١٢	٦٨	»	الهمداني
١٣	٦٨	»	ابن بطوطة
١٤	٦٨	»	الهمداني
١٥	٦٨	»	عمارة - تاريخ عمارة
١٦	٦٩	حاشية	لتحقيق بعض قرى ذكرها الهمداني
١٧	٨٤	المتن	عمارة
١٨	٨٤	»	ياقوت الحموي - معجم البلدان
١٩	٨٤	»	تاج العروس القيور أبادي
٢٠	٨٤	»	عمارة
٢١	٨٤	حاشية	حول تحقيق موضع أمزربة
٢٢	٩٦	المتن	الديبع
٢٣	٩٦	»	ابن عبد المجيد
٢٤	٩٦	المتن	الديبع
٢٥	٩٦	حاشية	تاريخ عمارة ص ٣٩ وما بعده
٢٦	٩٧	المتن	» »
٢٧	٩٩	»	عمارة
٢٨	٩٩	»	الديبع

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السليمانى وفي الحواشي
الجزء الاول

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
٢٩	١٠٣	حاشية	حول من قتل الصليحي
٣٠	١٠٥	»	عن رأى جيش
٣١	١٠٦	»	حول الملكة اروى - ديوان الحجورين مخطوط
٣٢	١١١	المتن	المصدر الاول
٣٣	١١١	»	الديبع
٣٤	١١٩	»	عمارة
٣٥	١٢١	»	»
٣٦	١٢٢	»	نشوان المحيري ورسالة الحور العين
٣٧	١٢٨	حاشية	الاكليل ج ٢ ص ١١
٣٨	١٣٠	»	»
٣٩	١٣٣	المتن	الهمداني
٤٠	١٣٧	حاشية	» الاكليل ج ١٠ ص ٣٩
٤١	١٣٨	»	» » » ص ٦٩
٤٢	١٣٩	»	تاريخ الشعوب الاسلامية بركلهان
٤٣	١٤٠	»	عن مكان قتل سرور وزير الدولة النجاشية
٤٤	١٤١	»	قلاند الجمي في تاريخ عدن
٤٥	١٤٢	»	الاكليل ج ١٠ ص ٩٩
٤٦	١٤٩	»	جوته الشاعر الالمانى المشهور : ديوانه «الديوان الشرقي للمؤلف العربي»
٤٧	١٥٠	»	ظهر الاسلام احمد أمين ج ١ ص ٦٢
٤٨	١٥١	»	كتاب تاريخ الصلحين
٤٩	١٥٨	المتن	» عمارة
٥٠	١٥٨	حاشية	تحقيق النغوى
٥١	١٦٦	»	كتاب عمارة
٥٢	١٦٨	المتن	» »
٥٣	١٧٠	»	» »
٥٤	١٧٠	»	» »
٥٥	١٧٠	»	» »
٥٦	١٧٤	»	قلاند الجمي

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السلياني وفي الحواشي

الجزء الاول

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
٥٧	١٨٦	المتن	تاريخ ابن الجاور الدمشقي
٥٨	٢٠٠	حاشية	الجواهر اللطاف
٥٩	٢٠٠	»	الهمداني صفة جزيرة العرب
٦٠	٢٠٢	»	تاريخ مكة للسباعي ص ١٣٢
٦١	٢٠٢	»	الجامع اللطيف ابن ظهيرة ص ٣٠٥
٦٢	٢٠٢	المتن	الآلي المضيفة أحمد بن محمد الشرفي
٦٣	٢٠٣	»	» » » » »
٦٤	٢٠٣	»	عمارة الحكمي
٦٥	٢٠٤	»	ديوان الحجورين - مخطوط -
٦٦	٢٠٤	»	اللطائف السنية (الكبسى)
٦٧	٢٠٨	»	تاريخ الوشلي مخطوط ج ٣
٦٨	٢١٢	»	الديبع
٦٩	٢٣٥	»	دائرة المعارف الاسلامية
٧٠	٢٣٧	»	العقود اللؤلؤية الخزرجي
٧١	٢٤١	حاشية	تاريخ ابن الجاور
٧٢	٢٤٥	»	العقود اللؤلؤية ص ٢٥٣ ج ٢
٧٣	٢٤٥	المتن	» » ٦٧ ج ٢
٧٤	٢٤٧	»	تاريخ وطبوط مخطوط
٧٥	٢٥٥	»	العقيق اليمني
٧٦	٢٦٢	»	تاريخ الديبع
٧٧	٢٦٣	»	ديوان الجراح بن شاجر
٧٨	٢٦٤	»	تاريخ العقيق اليمني
٧٩	٢٦٩	»	ديوان الجراح بن شاجر
٨٠	٢٧٨	»	العقيق اليمني
٨١	٢٧٩	حاشية	البرق اليمني ص ٤٢
٨٢	٢٨٢	المتن	تاريخ الواسطي
٨٣	٢٩٢	حاشية	العقيق اليمني
٨٤	٢٩٣	المتن	» »

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السليماني وفي الحواشي

الجزء الاول

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
٨٥	٢٩٩	المتن	الجواهر الحسان
٨٦	٣٠٠	»	السلاف في تاريخ صبيا والخلاف
٨٧	٣٠١	»	العقيق اليماني
٨٨	٣١٨	»	ضحى الاسلام أحمد أمين
٨٩	٣٢٠	»	الاغاني : أبو الفرج الاصفهاني { ضحى الاسلام
٩٠	٣٢١	»	الملل والنحل الشهرستاني
٩١	٣٢٢	»	الحور العين نشوان الحميري شرح رسالة
٩٢	٣٢٢	»	تاريخ الشعوب الاسلامية بركلمان
٩٣	٣٢٦	»	» » » »
٩٤	٣٢٨	»	الاكلیل الجزء العاشر
٩٥	٣٣٧	»	قصيدة البسامة لابن الوزير وشرحها للزحيف
٩٦	٣٣٧	حاشية	» »
٩٧	٣٤٥	»	مجلة فتاة الجزيرة العربية نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية
٩٨	٣٥٠	»	كتاب تاريخ اليمن (الواسعي)
٩٩	٣٥٠	»	كتاب العقيق اليماني - مخطوط -
١٠٠	٣٥٥	المتن	بغية المريد
١٠١	٣٥٥	»	مطالع البدور
١٠٢	٣٥٦	»	» »
١٠٣	٣٥٧	»	ديوان أحمد بن الحسين الركيحي
١٠٤	٣٦٩	»	تاريخ اليمن للواسعي
١٠٥	٣٨١	»	العقيق اليماني
١٠٦	٣٨١	»	صفة جزيرة العرب الهمداني
١٠٧	٣٨١	»	العقيق اليماني
١٠٨	٣٨٢	»	العقد المفضل بالعجائب والغرائب
١٠٩	٣٨٢	»	الديبع المفيد في تاريخ زبيد
١١٠	٣٨٦	»	العقد المفصل بالعجائب والغرائب
١١١	٣٨٧	»	تاريخ مكة للسباعي
١١٢	٣٩٤	حاشية	كتاب خلاصة المسجد مخطوط

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السليمانى وفي الحواشى

الجزء الاول

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
١١٣	٣٩٦	المتن	كتاب خلاصة المسجد مخطوط
١١٤	٤١٠	»	» نزهة الظريف مخطوط
١١٥	٤١٢	»	الذهب المسبوك وهو نفس كتاب الديباج الخسروانى
١١٦	٤١٥	»	كتاب نزهة الظريف مخطوط
١١٧	٤٣٤	»	حاضر العالم الاسلامى
١١٨	٤٣٧	»	كتاب العقيدة والشريعة فى الاسلام (ترجمة حسين عبد القادر)
١١٩	٤٣٨	»	تاريخ الشعوب الاسلامية (بركلمان)
١٢٠	٤٣٩	»	اكتشاف جزيرة العرب القسم الخاص «بركها»
١٢١	٤٧٨	»	وثيقة تاريخية (المكتبة العقلية)
١٢٢	٤٩١	»	» » » »
١٢٣	٤٩٧	»	» » » »
١٢٤	٥١٩	»	» » » »
١٢٥	٥٢٦	»	صفة جزيرة العرب (الهمدانى)
١٢٦	٥٢٧	»	معجم البلدان (ياقوت الحموى)
١٢٧	٥٥٢	»	الدر الثمين فى وقائع وأخبار امام المسلمين الحسن بن أحمد عاكش مخطوط
١٢٨	٥٥٣	»	رسائل امراء عسير (مقتنيات المكتبة العقلية)
١٢٩	٥٧٠	حاشية	العقد الثمين (مخطوط)
١٣٠	٥٧٧	المتن	» » »
١٣١	٥٨٢	»	وثيقة تاريخية (المكتبة العقلية)

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السليماني وفي الحواشي

الجزء الثاني

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
١	٦٢٠	المتن	حدائق الزهر
٢	٦٢١	»	نشر الثناء الحسن
٣	٦٢١	»	النفس اليماني
٤	٦٢٣	»	ملوك العرب
٥	٦٢٤	»	نشر الثناء الحسن
٦	٦٢٥	»	» » »
٧	٦٢٧	»	اللامع اليماني
٨	٦٢٨	»	عن صحف ومجلات قديمة ورواية عن اشخاص زامنوا ذلك العهد
٩	٦٢٩	حاشية	بعض خواص خدم الادريسي
١٠	٦٣١	المتن	وثيقة تاريخية
١١	٦٣٢	»	» »
١٢	٦٣٤	»	رواية الشيخ بن جده شيخ قبيلة المقاربة
١٣	٦٣٨	حاشية	رسالة للادريسي
١٤	٦٤٦	»	عن روايتي محسن بن محمد مشاري ومحمد بن أحمد شريف الخواجي
١٥	٦٥٣	»	رواية أمان بارزيق المتوفي سنة ١٣٨٥هـ
١٦	٦٥٣	»	رسالة للادريسي
١٧	٦٥٤	»	رواية محسن مشاري وعبدالله بشيري ومحمد بن أحمد شريف وامن
١٨	٦٥٨	المتن	» محسن بن أحمد أبو طالب
١٩	٦٦٦	»	وثيقة تاريخية
٢٠	٦٧٣	»	جماعة من المعمرين الذين اشتركوا في معركة الحفائر
٢١	٦٧٣	»	مذكرات سليمان شفيق
٢٢	٦٧٤	»	عن رسالة بقلم بن ناصر مفرح عداوي
٢٣	٦٧٨	حاشية	من المنشورات التي تصدرها الدولة العثمانية
٢٤	٦٧٨	»	مذكرات سليمان شفيق
٢٥	٦٧٨	»	منشور الادريسي المنشور بـ ١٧٠
٢٦	٦٧٩	»	للاريسي
٢٧	٦٨٠	المتن	» » »
٢٨	٦٨٠	»	مذكرات سليمان شفيق
			» » »

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلاف السلياني وفي الحواشي
الجزء الثاني

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
٢٩	٦٨٠	حاشية	نشر الثناء الحسن
٣٠	٦٨٠	المتن	مذكرات سليمان شفيق
٣١	٦٩٤	»	» » »
٣٢	٦٩٥	»	عن الرحلة اليانية
٣٣	٧٠٠	»	» مذكرات سليمان شفيق
٣٤	٧٠٣	»	رسالة من الادريسي إلى الامام يحيى
٣٥	٧٠٦	»	من مذكرات سليمان شفيق
٣٦	٧١٥	»	» » » »
٣٧	٧٢٧	»	ملوك العرب
٣٨	٧٣٤	حاشية	جريدة عكاظ العدد ٣ في ٢٤/١٢/٧٩
٣٩	٧٤٤	المتن	منشور ادريسي
٤٠	٧٤٩	حاشية	تاريخ اليمن للواسمي
٤١	٧٥٠	المتن	ملوك العرب
٤٢	٧٥١	»	» » »
٤٣	٧٥٢	حاشية	» » »
٤٤	٧٥٤	المتن	رسالة من ابن مساعد السعود
٤٥	٧٥٧	»	احد خدم الادريسي
٤٦	٧٥٩	»	رسالة بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
٤٧	٧٦٥	»	رسالة تاريخية من الادريسي
٤٨	٧٦٩	»	منشور ادريسي
٤٩	٧٨٠	»	رسالة من الادريسي
٥٠	٧٨٢	»	» » »
٥١	٧٨٣	»	» » »
٥٢	٧٨٥	»	بيان كشف حسابي
٥٣	٧٨٦	»	رسالة من الادريسي
٥٤	٧٨٨	»	» » »
٥٥	٧٨٨	»	» » »
٥٦	٧٨٩	»	ايصال مالي ادريسي
			المصدر
			للوشلي
			لسليمان شفيق
			» »
			للبركاتي
			لسليمان شفيق
			للادريسي
			لسليمان شفيق
			» »
			لامين الريحاني
			جريدة عكاظ
			للادريسي
			للواسمي
			لامين الريحاني
			» »
			» »
			لابن مساعد
			لمنصور ماضي
			للملك عبدالعزيز
			للادريسي
			»
			»
			»
			»
			المعهد الادريسي
			للادريسي
			»
			»
			المعهد الادريسي

فهرست بأسماء المصادر الواردة أسماؤها في صلب (متن) كتابنا الخلف السلياني وفي الحواشي
الجزء الثاني

عدد	الصفحة	الحاشية أو المتن	المصدر
٨٤	٩١٩	حاشية	لامين الريحاني
٨٥	٩٢٠	»	ملوك العرب منشور للادريسي
٨٦	٩٣٨	المتن	شخصية معروفة
٨٧	٩٦٩	المتن والحاشية	رواية محمد حسين مغفوري شيخ الكربوس
٨٨	٩٧٠	حاشية	رواية يحيى محمد عطيف وحمد البسام
٨٩	٩٧٩	المتن والحاشية	حمد السليمان البسام واللامع الياني
٩٠	٩٩٢	المتن	رواية أجد حراس العابد الادريسي المسمى امطاعن
٩١	١٠١٢	»	» الشيخ ابراهيم بن علي شاجري
٩٢	١٠١٦	»	» علي بن احمد حكيم شيخ قبيلة الخرم
٩٣	١٠١٧	»	» » » » » » »
٩٤	١٠٣٠	»	» موظف البريد محسن زيلع
٩٥	١٠٣٠	»	بموجب رسالة بقلم محسن محمد زيلع
٩٦	١١١٤	»	اليمن عبر التاريخ
٩٧	١١٢٠	حاشية	كتاب أطباق الحلوى وصحاف المن والسوى لابن الوزير

المصادر المخطوطة للجزء الأول في طبعته الأولى كما هو موضح في ص ٤٣٥

مسلسل	اسم المخطوط	اسم المؤلف
١	الفريد في تاريخ زبيد	عبد الرحمن الطيب
٢	تحفة الزمن	عبد الرحمن الاهدل
٣	الجواهر الحسان	الاسدي
٤	مطالع البدور وجمع البحور	ابن أبي الرجال
٥	تاريخ وطوط	وطوط
٦	صحائف الحاوي وأطباق المن والسوى	ابن الوزير
٧	طيب السمر في أوقات السحر	الطبيبي
٨	العقيق اليباني في تاريخ الخلفاء المسلمين	عبد الله بن علي النعمان الضمدي
٩	العقد المفصل بالعجائب والغرائب	علي بن عبد الرحمن البهكلي
١٠	خلاصة المسجد في دولة محمد بن احمد	عبد الرحمن بن الحسن البهكلي
١١	عبرة اللبيب	جابر الفقيه المكرمي بمخطوطه يشتمل على ١٩٠ ص تاريخ الاسماعيلية
١٢	الديباج الخسرواني في تاريخ ملوك الخلفاء المسلمين	الحسن بن احمد البهكلي
١٣	الذهب المسبوك في ذكر من ظهر في الخلفاء من الملوك	الحسن بن احمد عاكش / وهو نفسه الديباج الخسرواني
١٤	نفح العود في أخبار دولة الشريف حمود	عبد الرحمن بن احمد البهكلي
١٥	نزهة الظريف في أخبار أبناء الشريف	» » » » »
١٦	ذيل نفح العود	الحسن بن احمد عاكش
١٧	حدائق الزهر	احمد بن عبد الله عاكش
١٨	الثناء الحسن في تاريخ فضلاء اليمن	اسماعيل الوشلي
١٩	الآل المضيئة	الشرقي
٢٠	ديوان الحجوريين	السلطانية سليمان الخطاب
٢١	اللطائف السنية	الكبسي
٢٢	شرح البسامة	الزحيف
٢٣	ديوان أحمد بن حسين	أحمد بن حسن الركيحي

المصادر المخطوطة للجزء الثاني في طبعته الأولى كما هو موضح في ص ٤٢٧

مسلسل	اسم المخطوط	اسم المؤلف
١	حدائق الزهر	الحسن بن احمد عاكش الضمدي المتوفي عام ١٢٩٤
٢	نشر الثناء الحسن	اسماعيل الوشلي المتوفي عام ١٣٤٩
٣	اللامع اليماني الجزء الثاني	عبدالله العمودي
٤	عدد من رسائل أمراء عسير	
٥	عدد وفير من رسائل الادريسي	
٦	مخطوط يحتوي على أشعار الادريسي ومداخلة بعضها بخط (علي بن عطيف) وبعضها بخط (عبد الوهاب الادريسي)	
٧	مذكرات الشيخ تركي بن ماضي	الحسن بن احمد عاكش
٨	الدر الثمين في مناقب أمير المسلمين	

المصادر المخطوطة للجزء الثاني في طبعته الأولى كما هو موضح في ص ٤٢٨

مسلسل	اسم المخطوط	اسم المؤلف
١	منشورات سياسية للادريسي	الادريسي
٢	رسالة بقلم القاضي محمد حسين حاوي (من رجال العهد الادريسي)	
٣	» » حيدر بن محمد حيدر القبي (من كبار رجال العهد الادريسي)	
٤	» » ناصر بن مفرح عداوي (من شهد العهد الادريسي)	
٥	» » منصور بن محمد يامي (خادم الادريسي الخاص)	
٦	» » محسن بن محمد ناصر عداوي (من رجال العهد الادريسي)	
٧	» » يحيى بن محمد عطيف - عن حروب صامطه والحارث وغيرها	
٨	» » محسن زيلع - عن حركة العصيان والحزب الشريف	
٩	عدد من الرواة ممن عاصروا عهد الادريسي الاول والثاني بعضهم أوردنا أسماؤهم في الهوامش والبعض اكتفينا باستفاضة الرواية ومنهم الاتي أسماؤهم :	
١	- احمد طامي بن خالة الامام الادريسي توفى سنة ١٣٧٢هـ	
٢	- عبدالله بشيري خواجي من قادة العهد الادريسي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ	
٣	- احمد عبده المش البيشي من قادة طلائع الجيش الادريسي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ	
٤	- عوض بن علي حديدي من أعيان صيبا وهو الذي استقى منه صاحب كتاب عسير محمد عمر رفيع	
٥	- حسين بن يحيى رفاعي عامل الادريسي على جبل النظير توفى سنة ١٣٧٠هـ	
٦	- عيسى هباشي من عرايف الحسيني	
٧	- حسين مهارشي الخواجي أخو احمد شريف الذي قطعت يده	
٨	- علي شيخ حكيم شيخ الحكامية السابق المتوفى سنة ١٤٠٢هـ	
٩	- محمد شار سرداب الحازمي عامل الادريسي على بلدة الزيدية المتوفى سنة ١٣٨٥هـ	
١٠	- محسن بن محمد مشاري من اعيان صيبا توفى سنة ١٣٧٨هـ	
١١	- علي عطيه قنش واخوه محمد عطيه شيخ قرية الباجر - من حرس الادريسي الخاصين	

المصادر المطبوعة للجزء الاول والثاني في الطبعة الاولى والثانية كما هو في ص ٤٢٦

مسلسل اسم الكتاب اسم المؤلف

١	الاكليل - الجزء العاشر	الهمداني
٢	الجامع اللطيف	ابن ظهيرة
٣	صفة جزيرة العرب	الهمداني
٤	شمس العلوم	نشوان المجيري
٥	الضوء اللامع	السخاوي
٦	العقود اللؤلؤية	الحزرجي
٧	تاريخ حضرموت السياسي	البكري
٨	تاريخ اليمن	الواسعي
٩	ضحى الاسلام	احمد أمين
١٠	تاريخ الشعوب الاسلامية	بركلمان
١١	قلائد اليمن في تاريخ عدن	حسان احمد عثمان
١٢	سبل السلام على بلوغ المرام	أبو الفدا
١٣	المختصر في تاريخ البشر	جواد علي
١٤	تاريخ العرب قبل الاسلام	امين الريحاني
١٥	ملوك العرب	فؤاد حمزة
١٦	قلب الجزيرة	عمارة الحكي
١٧	تاريخ اليمن	فريد وجدي
١٨	دائرة المعارف	الشوكاني
١٩	البدر الطالع	مجلة اليمامة
٢٠	بحث للاستاذ حمد الجاسر	

أضيفت عليها المصادر في الطبعة الثانية

٢١	غاية الاماني في أخبار القطر الياني	يحيى بن الحسين القاسمي
٢٢	اليمن بين ماضيه وحاضره	د. أحمد فخري
٢٣	تاريخ العرب لعصر ما قبل الاسلام	محمد مبروك نافع
٢٤	تاريخ العرب	جورج زيدان
٢٥	التمذد الاسلامي	حافظ وهبه
٢٦	خمسون عاماً في جزيرة العرب	

(تابع) المصادر المطبوعة للجزء الاول والثاني في الطبعة الاولى والثانية كما هو في ص ٤٢٦

ممسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٧	في قلب بلاد عسير	فؤاد حمزه
٢٨	قرة العيون في أخبار اليمن الميمون	الحزرجي
٢٩	تاريخ عدن	حمزه لقمان
٣٠	بلوغ المرام	حسين العرشي
٣١	رحلة بن بطوطه	بن بطوطه
٣٢	تاج العروس	الفيروز ابادي
٣٣	قلائد الجمن في تاريخ اليمن	ابن حسان
٣٤	الديوان الشرقي للمؤلف الغربي	
٣٥	تاريخ الصليحيين	بن فيض الله الهمداني
٣٦	تاريخ اليمن	عبد الباقي بن عبد المجيد
٣٧	تاريخ بن المجاور الدمشقي	بن المجاور الدمشقي
٣٨	تاريخ مكة	للسباعي
٣٩	البرق اليماني	تحقيق الشيخ حمد الجاسر
٤٠	الأغانى	ابو الفرج الاصفهاني
٤١	حاضر العالم الاسلامي	ترجمة حجاج النويهير
٤٢	مذكرات سليمان شفيق	مجلة العرب
٤٣	الرحلة اليمانية	عبد المحسن البركاتي